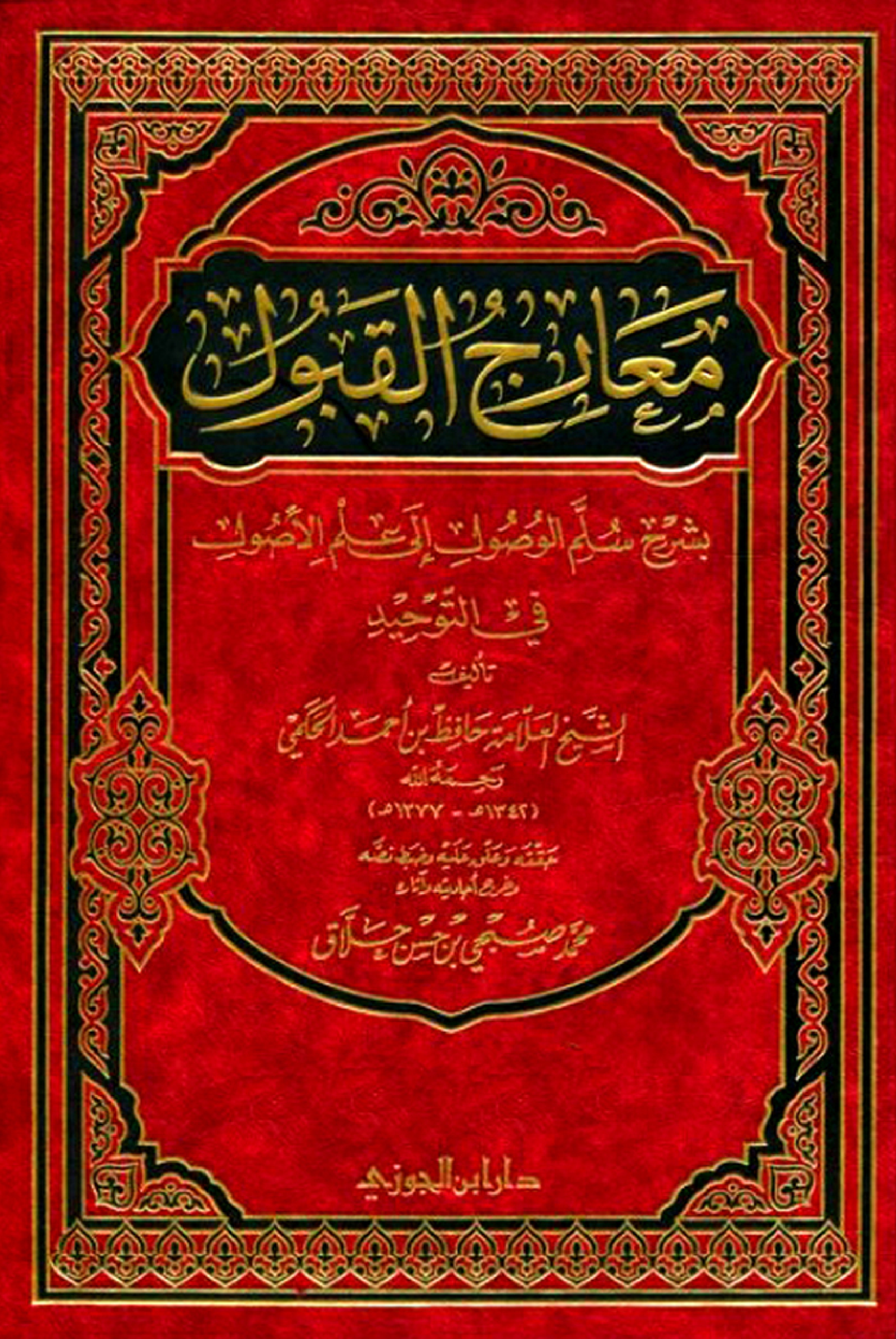

معارج القبول
بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول
في التوحيد
تأليف
الشيخ العلامة حافظ بن أحمد الحكمي
رحمه الله
(١٣٤٢هـ - ١٣٧٧هـ)
حققه وعلق عليه وضبط نصه
وخرج أحاديثه وآثاره
محمد صبحي بن حسن حلاق
دار ابن الجوزي



تأليف

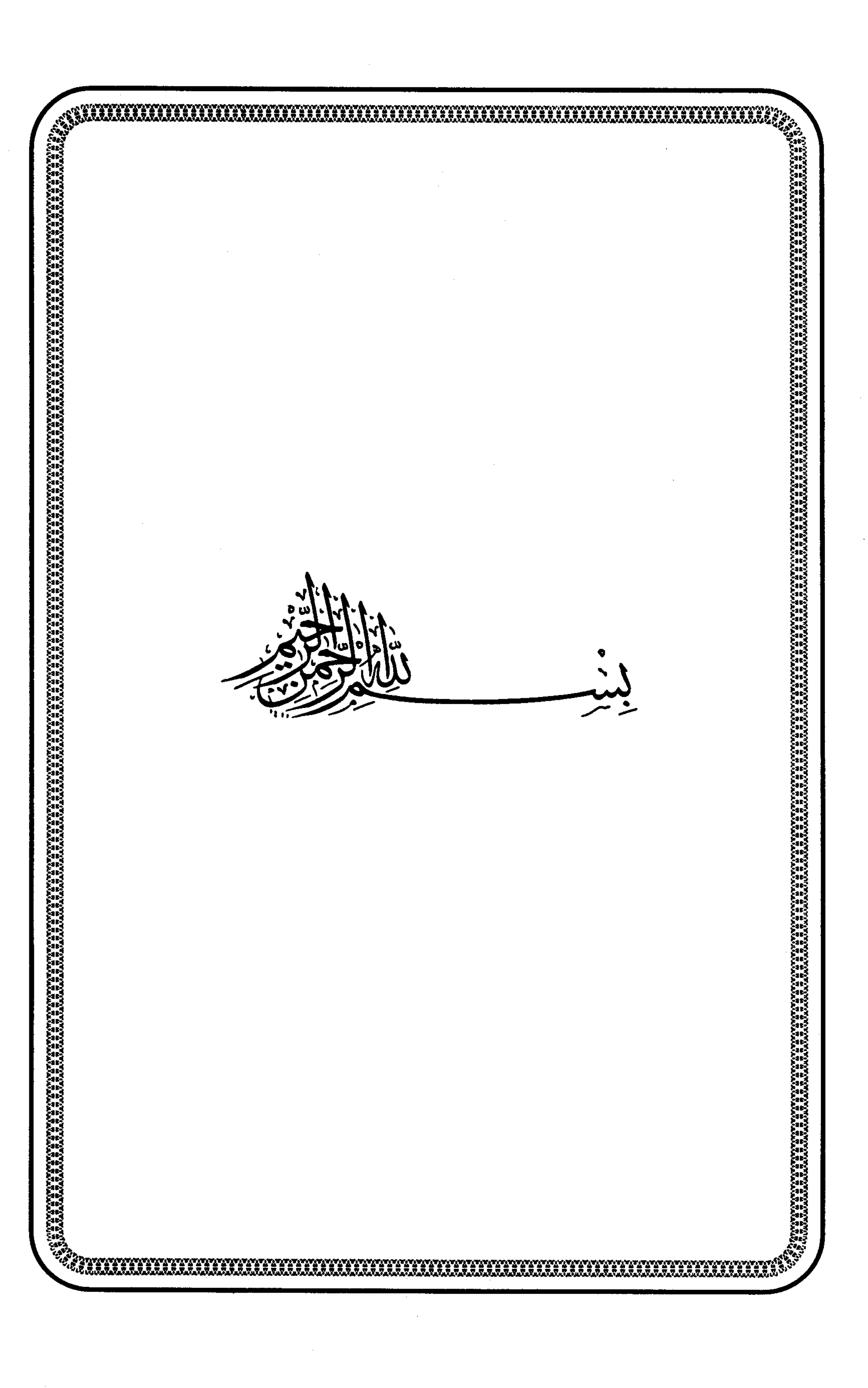
الشيخ العلامة حافظ بن أحمد الحكمي
رحمه الله
(١٣٤٢هـ - ١٣٧٧هـ)

حققه وعلق عليه وضبط نصه
وخرج أحاديثه وآثاره

محمد صبحي بن حسن حلاق

الجزء الأول

دار ابن الجوزي


بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الثالثة

محرم ١٤٣٦ هـ



دار ابن الجوزي

للنشر والتوزيع

المملكة العربية السعودية: الدمام - شارع ابن خلدون - ت: ٨٤٢٨١٤٦ - ٨٤٦٧٥٨٩ - ٨٤٦٧٥٩٣،
ص ب: ٢٩٨٢ - الرمز البريدي: ٣١٤٦١ فاكس: ٨٤١٢١٠٠ - الرياض - ت: ٤٢٦٦٣٣٩ - الإحساء - الهفوف
- شارع الجامعة - ت: ٥٨٨٣١٢٢ - جـدة - ت: ٦٥٠٤٨٨٢ - ٦٨١٣٧٠٦ - بيروت - هاتف: ٠٣/٨٦٩٦٠٠
- فاكس: ٠١/٦٤١٨٠١ - القاهرة - ج.م.ع - محمول: ٠١٠٦٨٢٣٧٨٣ - تلفاكس: ٠٢٤٣٤٤٩٧٠
البريد الإلكتروني: aljawzi@hotmail.com - www.jwzi.com

مقدمة

بقلم فضيلة الدكتور عبد الوهاب بن لطف الديلمي.

عضو هيئة التدريس بجامعة صنعاء.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حق حمده، والصلاة والسلام الأتمَّان على عبده ورسوله، وعلى آله وصحبه.

أما بعد:

فإن توحيد الخالق سبحانه، من أهم ما يجب العناية به، تأليفاً، ونشراً، وتعليماً، وبياناً، وهدايةً، فهو الأساس الذي دعت إليه جميع الرسل أممها، وهو الغاية العظمى التي خلَق الله العباد لها، وبدونه لا يقبل الله قُربةً ولا عملاً؛ وقد هيَّأ الله سبحانه من اختارهم من خلقه لتدوين هذا العلم، وبيان حقيقته كما جاءت في الكتاب والسنة، وعاش عليها سلف هذه الأمةِ أقرب الناس معاصرة لنزول الوحي، وأصدقهم فهماً له وتطبيقاً لنصوصه.

وها هو كتاب «**معارج القبول**» للشيخ حافظ الحكمي أحد هذه الكتب الذي يخرج اليوم في ثوب جديد، بعد أن كان قد نال عناية من حيث الطبع والنشر، **غير أنه اليوم ينال عناية أخرى ـ جديرة بالتنويه بها ـ من الأخ الشيخ / محمد صبحي بن حسن حلاق/ الذي أفنى كثيراً من عمره في خدمة كثير من كتب السلف الصالح أمثال: الإمام الشوكاني، وابن الأمير الصنعاني، وغيرهما.**

وكان لجهده المشكور أثر واضح في نشر كتب ظلَّت مغمورة، معرَّضة للتلف، وهو جهد يعتبر قُرْبة إلى الله عز وجل، نرجو الله عز وجل له المثوبة والأجر على ما صنع.

أمَّا جهده الذي بذله في كتاب «**معارج القبول**» الذي بين أيدينا، فيُعرف من خلال ما أوضحه في خطته التي ألزم نفسه السير على منوالها، وكذا من خلال

الموازنة بين الأصل المطبوع خالياً عن التحقيق، وبين الجهد الذي صرفه المحقق في خدمة الكتاب، وهذا أمر لا يحتاج القارئ إلى تعريف به، **ولو لم يكن من جهده إلاَّ أنه أراح القارئ من عناء البحث عن الأحاديث والآثار، وعرَّفه مواطنها، وبين حكم كثير منها من حيث الصحة والضعف، لكفاه جهداً يشكر عليه.**

ولا نقف عند هذا الحدّ من الثناء على المحقق لما بذله من جهد في خدمة هذا الكتاب، بل من الواجب الإشارة إلى ما يجب على الدارسين والمثقفين من الإقبال على دراسة أمثال هذا الكتاب، والتزوّد منها، والحياة في ظلالها، والمشاركة في العناية بها حتى تأخذ مكانها اللائق بها، وحتى لا يندرس هذا العلم، وتضمحل معالمه.

فهو علم لا يستغني عنه المسلمون في كل عصر، وما وجد الانحراف عند بعض الطوائف في أمر العقيدة، إلاّ بسبب الجهل لهذا العلم، والتأصيل له بمنهج الفلاسفة، وعلم الكلام، الذي غُلِّبَ فيه جانب العقل على النص، وأنَّى للعقل البشري القاصر العاجز أن يهتدي إلى معرفة خالقه سبحانه، دون أن يسترشد بنصوص الكتاب والسنة، ويقف عند حدودهما.

نسأل الله عز وجل أن يهيء لهذه الأمة من يجدد لها معالم دينها، وأن يهدي الجميع إلى سبيل الرشاد، إنه ولي ذلك والقادر عليه، والحمد لله رب العالمين.

د. عبد الوهاب بن لطفي الديلمي

صنعاء في / ٢٠/ ذي الحجة الحرام ١٤١٧هـ

الموافق / ٢٧/ ٤/ ١٩٩٧م

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة المحقق

إن الحمدَ لله، نحمدُه، ونستعينُهُ ونستغفِرهُ، ونعوذُ بالله مِنْ شرورِ أنفسِنا، ومِنْ سيئاتِ أعمالِنا، مَنْ يهدِهِ اللّهُ فلا مُضِلَّ لَهُ، ومَنْ يُضلِلْهُ فلا هاديَ له، وأشهدُ أن لا إله إلا الله، وحدَهُ لا شريكَ لَه، وأشهَدُ أنَّ محمداً عبدهُ ورسولُه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾[1] [الأحزاب].

«أما بعد:

---

(١) أخرجه أبو داود (٢/ ٥٩١ رقم ٢١١٨) والترمذي (٣/ ١٣ رقم ١١٠٥) والنسائي (٦/ ٨٩) وابن ماجه (١/ ٦٠٩ رقم ١٨٩٢) وابن الجارود رقم (٦٧٩) والحاكم في «المستدرك» (٢/ ١٨٢ ـ ١٨٣) وأبو نعيم في «الحلية» (٧/ ١٧٨) والبيهقي (٧/ ١٤٦) والدارمي (٢/ ١٤٢) وأحمد (١/ ٣٩٢ ـ ٣٩٣)، (١/ ٤٣٢) والطيالسي (ص٤٥ رقم ٣٣٨) من حديث ابن مسعود، وزاد الطيالسي عن شعبة، قال، قلت: لأبي إسحاق: هذه خطبة النكاح وفي غيرها؟ قال: في كل حاجة.

قال الألباني في كتابه «خطبة الحاجة التي كان رسول الله ﷺ يعلمها أصحابه» ص١٢: «وردت هذه الخطبة المباركة عن ستة من الصحابة وهم: (عبد الله بن مسعود) و(أبو موسى الأشعري) و(عبد الله بن عباس) و(جابر بن عبد الله) و(نبيط بن شريط) و(عائشة) رضي الله عنهم. وعن تابعي واحد وهو الزهري، رحمه الله.

ثم تكلم عليها على هذا النسق. وقال في الخاتمة ص٣١: «وقد تبين لنا من مجموعة الأحاديث المتقدمة، أن هذه الخطبة تفتح بها جميع الخطب، سواء كانت خطبة نكاح أو خطبة جمعة أو غيرها، فليست خاصة بالنكاح كما يظن، وفي بعض طرق حديث ابن مسعود التصريح بذلك كما تقدم، وقد أيد ذلك عمل السلف الصالح فكانوا يفتتحون بهذه الخطبة ثم ذكر بعضاً منهم. . .» اهـ.

فإنَّ خيرَ الحديث كتابُ الله، وخير الهدي هَدْي محمد ﷺ، وشَرَّ الأمورِ محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكُلَّ بدعةٍ ضلالة وكل ضلالة في النار»[1].

وبعد:

فإن المطلع على كتاب «معارج القبول» دون أن يسبق له معرفة بمؤلفه يتبادر إلى ذهنه أنه من مؤلفات أحد الأئمة الأعلام كابن قيم الجوزية أو من هو في طبقته، لما اشتمل الكتاب على موضوعات التوحيد كافة وسائر الغيبيات، واستوفى في الموضوع الواحد جميع نصوصه من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ بما لا يدع زيادة لمستزيد.

كما أن الكتاب يمتاز بغزارة مادته وسهولة عبارته ووضوح فكرته، وسلامة منهجه، وأصالة مصادره، من كتاب وسنة وأقوال صحابة وتابعين خالياً من فلسفة المتكلمين وجدلهم. محاولاً فيه صاحبه تقريب مسائل العقيدة الصحيحة إلى أفهام أهل العلم على اختلاف منازعهم، وتباين طرقهم في فهم مباحث التوحيد، وقضاياه المتعددة.

ولم أكن مبالغاً إذا قلت: إن كتاب «معارج القبول» له قيمة علمية لم تتوفر لكثير من الكتب المعاصرة المؤلفة في التوحيد.

❁ ❁ ❁

أما الأرجوزة (سُلَّم الوصول إلى علم الأصول) فإنها في منتهى السلاسة والسهولة والوضوح، خالية من الحشو والاستطرادات الخارجة عن موضوعها، بعيدة عن الغموض والتعقيد، أنشأها على وزن (بحر الرجز).

❁ ❁ ❁

ولنستمع إلى المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ يشرح لنا قصة ذلك في تقديمه لهذا الشرح، حيث يقول:

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٢/ ٥٩٢ رقم ٤٣/ ٨٦٧) وأحمد (٣/ ٣١٠ ـ ٣١١) والدارمي رقم (٢١٠) والبيهقي في الأسماء والصفات رقم (١٣٧) والنسائي (٣/ ١٨٨) من حديث جابر. وهو حديث صحيح.

«وقد سألني من لا تسعني مخالفته من المحبِّين أن أنظم مختصراً يسهل حفظه على الطالبين، ويقرب مناله للراغبين، ويفصح عن عقيدة السلف الصالح ويُبين؛ فأجبته إلى ذلك مستعيناً بالله، راجياً الثواب من الله، قائلاً لا حول ولا قوة إلا بالله.

وضممت إلى ذلك مسائل نافعة تتعلق بهذه العصور من التنبيه على ما افتتن به العامة من عبادة الأشجار والأحجار والقبور، ومناقضتهم التوحيد بالشرك الذي هو أقبح المحظور، وصرف جل العبادة لغير الله من الدعاء والرجاء والخوف والمحبة والذبح والنذور، فيسَّر الله تعالى ذلك بمنِّه وفضله، وأعانني وله الحمد والمنَّة على إكماله، وسميته «سلم الوصول إلى مباحث علم الأصول».

فلما انتشر بأيدي الطلاب، وعظمت فيه رغبة الأحباب، سئل مني أن أعلق عليه تعليقاً، يحل مشكله، ويفصل مجمله، مقتصراً على ذكر الدليل ومدلوله من كلام الله تعالى وكلام رسوله، فاستخرت الله تعالى بعلمه واستقدرته بقدرته، فعنَّ لي أن أعزم على ذلك الأمر المسؤول، مستمداً من الله تعالى الإعانة على نيل السول، وسميته: «معارج القبول، بشرح سُلَّم الوصول إلى علم الأصول»[1].

وقد سار المؤلف ـ رحمه الله تعالى ـ في ترتيب مباحث كتاب (معارج القبول) على فصول وفق ترتيبها في أرجوزة (سلم الوصول)، ولتتضح الصورة كاملة لهذه المباحث بعناوينها وما تعالجه من موضوعات، نوردها مفصلة على النحو التالي:

* **مقدمة**: في تعريف العبد بما خُلق له، وبأول ما فرض الله تعالى عليه، وبما أخذ الله عليه به الميثاق في ظهر أبيه آدم، وبما هو صائر إليه.

١ ـ **فصل**: في كون التوحيد ينقسم إلى نوعين، وبيان النوع الأول وهو توحيد المعرفة والإثبات.

٢ ـ **فصل**: في بيان النوع الثاني من التوحيد، وهو توحيد الطلب والقصد، وأنه معنى لا إله إلا الله .

---

(١) معارج القبول: بحث «سبب نظم المتن وتأليف الشرح» ص٥٥.

٣ ـ **فصل**: في تعريف العبادة وذكر بعض أنواعها، وأن من صرف منها شيئاً لغير الله فقد أشرك.

٤ ـ **فصل**: في بيان ضد التوحيد وهو الشرك، وأنه ينقسم إلى قسمين: أصغر وأكبر، وبيان كل منهما.

٥ ـ **فصل**: في بيان أمور يفعلها العامة منها ما هو شرك، ومنها ما هو قريب منه، وبيان حكم الرقى والتمائم.

٦ ـ **فصل**: من الشرك فعل من يتبرَّك بشجرة أو حجر أو بقعة أو قبر أو نحوها، يتخذ ذلك المكان عيداً. وبيان أن الزيارة تنقسم إلى: سنيَّة، وبدعية، وشركية.

٧ ـ **فصل**: في بيان ما وقع فيه العامة اليوم مما يفعلونه عند القبور من الشرك الصريح والغلو المفرط في الأموات.

٨ ـ **فصل**: في بيان السحر وحد الساحر، وأن منه علم التنجيم. وذكر عقوبة من صدَّق كاهناً.

٩ ـ **فصل**: يجمع معنى حديث جبريل المشهور في تعليمنا الدين، وأنه ينقسم إلى ثلاث مراتب هي: الإسلام والإيمان والإحسان، وبيان أركان كل منها.

١٠ ـ **فصل**: في كون الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وتفاضل أهله فيه، وأن فاسق أهل الملة لا يكفر بذنب دون الشرك إلا إذا استحله، وأنه تحت المشيئة، وأن التوبة مقبولة ما لم يغرغر.

١١ ـ **فصل**: في معرفة نبينا محمد ﷺ وتبليغه الرسالة، وإكمال الله لنا به الدين، وأنه خاتم النبيين، وأفضل الخلق أجمعين. وأن من ادَّعى النبوة بعده فهو كاذب يكفر من صدَّقه واتَّبعه.

١٢ ـ **فصل**: في من هو أفضل الأمة بعد رسول الله ﷺ، وذكر الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ بمحاسنهم والكف عن مساوئهم وما شجر بينهم.

* **خاتمة**: في وجوب التمسك بالكتاب والسنة، والرجوع عند الاختلاف إليهما، فما خالفهما فهو رد.

❀ ❀ ❀

واعلم أنَّ التوحيدَ من أشرف العلوم وأجلِّها، لأنَّهُ العلمُ باللَّهِ تعالى، وآياتِه وأسمائه، وصفاته، وحقوقِه على عبادِه، وكذلك العلمُ بالنبوَّاتِ، وكلُّ ما يتعلقُ بأمورِ الآخرة مِنْ بَعْثٍ وجنَّةٍ ونارٍ. . .

وهذه هي المقاصدُ الثلاثُ التي نزلتْ بها الكتبُ السماويةُ، وأجمعتِ الرسلُ على الدعوةِ إليها.

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وقال تعالى: ـ إشارةً إلى اتفاقِ الرسلِ والكتبِ السماويةِ على إثباتِ اليوم الآخـرِ ـ: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الزمر: ٧١].

ولزيادةِ بيان أهميةِ التوحيدِ فقد قالَ شيخُ الإسلام ابنُ تيميةَ في «قاعدةٍ جليلةٍ في «التوسُّلِ والوسيلةِ» ص١٦، تحقيقُ: الشيخ عبدِ القادرِ الأرنؤوطِ.

«وهذا الأصلُ ـ وهو التوحيدُ ـ هو أصلُ الدينِ الذي لا يَقْبَلُ اللَّهُ من الأولينَ والآخرينَ ديناً غيْرَهُ، وبه أَرْسَلَ اللَّهُ الرُّسُلَ وأنزلَ الكتبَ، كما قال تعالى: ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ [الزخرف: ٤٥]، وقال: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾ [النحل: ٣٦].

وقد ذكرَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ عن كلٍّ من الرسل أنَّه افتتحَ دعوتَه بأنْ قالَ لقومِهِ: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٥٩]» اهـ.

وقال الإمام الشوكاني في «إرشادِ الثقاتِ إلى اتفاقِ الشرائع على التوحيدِ والمعاد والنبواتِ» بتحقيقِنا (ص٦ ـ ٧):

«وأما مقاصدُ القرآنِ الكريمِ التي يُكَرِّرُها، ويوردُ الأدلةَ الحسيَّةَ والعقليةَ عليها ويشير إليها في جميع سورهِ وفي غالب قِصَصِهِ وأمثالِهِ فهي ثلاثةُ مقاصدَ، يعرِفُ ذلكَ مَنْ له كمالُ فَهْمٍ وحُسْنُ تدبُّرٍ وجَوْدَةُ تصوُّرٍ وفَضْلُ تفكُّرٍ:

(المقصدُ الأولُ): إثباتُ التوحيدِ.

(المقصدُ الثاني): إثباتُ المعادِ.

(المقصدُ الثالثُ): إثباتُ النبوّات. . .

ولا ريبَ أنَّ مَنْ آمنَ باللَّهِ، وبما جاءتْ به رسُلُهُ، ونطقتْ به كتبهُ، فإنَّ إيمانه بهذه الثلاثةِ المقاصدِ هو أهمُّ ما يجبُ الإيمانُ به، وأقدمُ ما يتحتَّم عليه اعتقادُهُ، لأنَّ الكُتبَ قد نطقتْ بها، والرسلَ قدِ اتَّفقَتْ عليها، يقطعُ كلَّ ريبٍ وينفي كلَّ شُبْهَةٍ، ويُذْهِبُ كلَّ شكٍّ» اهـ.

ومِنْ فضلِ اللَّهِ عليَّ أنني درستُ التوحيدَ على علماءَ أفاضِلَ في بلادِ الشام في مُقْتَبَلِ العمرِ، وخَلُصْتُ إلى الاعتقادِ الجازمِ أنَّ المنهجَ الصحيحَ في فهمِ التوحيدِ هو منهجُ أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ الذي سارَ عليهِ السَّلفُ الصالحُ، وأوْصَوْا بهِ مَنْ بعدَهم، والذي تميَّزَ بالوضوحِ، والبعدِ عن صورِ التأويلِ والتشبيهِ، والتعطيلِ والتشويهِ، وهذا المنهجُ هو المنهجُ الصحيحُ لمن أرادَ النجاةَ والفلاحَ في الدنيا والآخرةِ.

فلذا كتبتُ **«سلسلةُ أحكامِ القرآنِ» وهي**:

١ ـ أحكامٌ متعلقةٌ بالتوحيدِ. وأسميتُه: **«إعلامُ الأنامِ بعقيدةِ الإسلامِ»**.

٢ ـ أحكامٌ متعلقةٌ بتهذيبِ النفسِ. وأسميتُه: **«إيضاحُ الأسسِ في تزكيةِ الأنفسِ»**.

٣ ـ أحكامٌ متعلقةٌ بأقوالِ وأفعالِ المكلفينَ. وهي المقصودةُ بـ «الفقهِ»، وأسميتُه: **«إرشادُ الأمةِ إلى فقهِ الكتابِ والسُّنَّةِ»**.

والغَرَضُ من هذه السلسلةِ بناءُ المسلمِ صاحبِ العقيدةِ السليمةِ، والنفسِ المزكَّاةِ، والعبادةِ الصحيحةِ المعتمدةِ على الكتابِ والسنةِ على فهمِ السلفِ الصالحِ.

وعندما طلبَ منِّي الأخُ الكريمُ صاحبُ «دار ابنِ الجوزي»: **سعدُ بنُ فوازٍ الصميلُ** حفظَه الله ورعاه خدمةَ كتابِ «معارجُ القَبُولِ»: للعلامة: حافِظ الحكمي، وجد ذلك في نفسي قبولاً طيباً، ورغبةً مُلِحَّةً، لما اشتملَ عليه الكتابُ من موضوعاتِ التوحيدِ كافةً، واستوفى في الموضوعِ الواحدِ جميعَ نصوصِه من كتابِ اللَّهِ وسنةِ رسولِهِ، وأقوالِ الصحابةِ والتابعينَ، بما لا يدعُ زيادةً لمستزيدٍ.

وفي الختامِ أسألُ اللَّهَ العليَّ القديْرَ أنْ يجعلَ أعمالَنا كلَّها صالحةً. . ولوجهِهِ خالصةً. . . وألاَّ يجعلَ فيها شركاً لأحد. . .

كتبه المعتز بالله

محمد صبحي بن حسن حلاق

أبو مصعب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

نُبذةٌ عن مؤلِّف الكتاب
الشيخ العلامة
حافِظِ بنِ أحمدَ الحَكَميِّ
(١٣٤٢ - ١٣٧٧هـ)

بقلم ابنه
الدكتور أحمد بن حافظ الحكمي
الأستاذ المساعد بكلية اللغة العربية - الرياض
(جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية)

الشيخُ العلامةُ حافظُ بنُ أحمدَ بنِ عليٍّ الحكميُّ أحدُ علماء المملكةِ العربيةِ السعوديةِ السلفيين، وهو عَلَمٌ من أعلامِ مِنطقةِ الجَنوبِ (تهامة) الذين عاشوا حياتهم في الشطر الأول من النصف الثاني من هذا القرن (الرابع عشر الهجري).

والحكَميُّ: نسبةٌ إلى (**الحكَم بنِ سعدِ العشيرةِ**) بطْنٌ من (مذحج) من (كهلانَ ابنِ سبأَ بنِ يشجُبَ بنِ يَعرُبَ بنِ قَحطانَ).

مولده ونشأته:

ولد الشيخُ حافظٌ لأربعٍ وعشرين ليلةً خلت من شهر رمضانَ المباركِ من سنة ١٣٤٢هـ (١٩٢٤م) بقرية (**السَلام**) التابعةِ لمدينة (**المضايا**) - الواقعةِ في الجَنوب الشرقيِّ من مدينة (**جازانَ**) حاضرةِ المِنطقة على الساحل، قريبةٌ منها - حيث تقيم قبيلتُه التي إليها يَنتسبُ.

ثم انتقل مع والده أحمدَ إلى قرية (**الجاضع**) التابعةِ لمدينة (**سامطةَ**) في نفس المنطقة وهو ما يزال صغيراً؛ لأن أكثرَ مصالِح والدِه - من أراض زراعيةٍ ومواشٍ ونحوِهما - كانت هناك، وإن بقِيتْ أسرتُه الصغيرةُ تنتقل بين قريتي (السلام) و (الجاضع) لظروفها المعيشية.

ونشأ حافظٌ في كنف والديه نشأةً صالحةً طيبةً، تربّى فيها على العفاف والطهارةِ وحُسنِ الخلق، وكان قبل بلوغِه يقوم برعْي غنمِ والديه التي كانت أهمَّ ثروةٍ لديهم آنذاك جرياً على عادة المجتمعِ في ذلك الوقتِ، إلا أن حافظاً لم يكن كغيره من فتيان مجتمعِه؛ فقد كان آيةً في الذكاء وسُرعةِ الحفظِ والفهمِ، فلقد ختم القرآن وحفِظ الكثيرَ منه وعمرُه لم يتجاوز الثانيةَ عشرةَ بعد، وكذلكَ تعلم الخطَّ وأحسن الكتابة منذ الصِغَر.

طلبه العلم:

عندما بلغ حافظٌ من العمر سبعَ سنواتٍ أدخله والدُه مع **شقيقه الأكبرِ محمدٍ**[1] مدرسةً لتعليم القرآنِ الكريمِ بقرية (الجاضع)، فقرأ على مدرِّسه بها جُزأي (عم، وتبارك)، ثم واصل قراءتَه مع أخيه حتى أتم قراءةَ القرآنِ قراءةً مُجوَّدةً خلالَ أشهرٍ معدودة، ثم أكمل حفظَه حفظاً تاماً بُعيد ذلك.

اشتغل بعدئذ بتحسين الخطِّ فأولاه أكبرَ جهودِه حتى أتقنه، وكان ينسخ من مصحف مكتوبٍ بخط ممتاز، إلى جانب اشتغالِه مع أخيه بقراءة بعض كتبِ الفقهِ والفرائضِ والحديثِ والتفسير والتوحيدِ مطالعةً وحفظاً بمنزل والدِه، إذ لم يكن بالقرية عالمٌ يوثق بعلمه فيُتتلمذ على يديه.

وفي مطلع سنة ١٣٥٨هـ قدِم من (نجد) **الشيخُ الداعيةُ المصلحُ عبدُ الله بنُ محمدِ بنِ حَمَدٍ القَرعاويُّ**[2] إلى منطقة (تِهامةَ) في جَنوب المملكةِ، بعد أن سمع

---

(١) هو الآن من خيرة علماء المنطقة الجنوبية في المملكة العربية السعودية وذوي الفضل فيها، له نشاط ملموس في الدعوة والإرشاد وإلقاء المحاضرات الإسلامية الرصينة، تولى إدارة معهد سامطة العلمي أكثر من عشرين عاماً بعد رحيل أخيه الشيخ حافظ الذي كان أول مدير لهذا المعهد. أسأل الله أن يطيل في عمره وأن ينفع به وأن يمتعه بالصحة ويجعل التوفيق حليفه دائماً.

(٢) ولد الشيخ عبد الله القرعاوي ـ وهو جدي لأمي ـ في مدينة عنيزة بمنطقة القصيم من نجد سنة ١٣١٥هـ وتوفي في مدينة الرياض سنة ١٣٨٩هـ ـ رحمه الله تعالى ـ، وقد كان له الفضل الكبير في النهضة العلمية والأدبية في المنطقة الجنوبية من المملكة (تِهامة وعسير)، وكانت لدعوته السلفية الإصلاحية هناك نتائج إيجابية وآثار إصلاحية عظيمة على تلك المنطقة وأبنائها من جميع النواحي الدينية والاجتماعية والثقافية ـ انظر بحثاً عنه وعن=

عما كان فيها من الجهل والبِدَع ـ شأنُ كلِّ منطقةٍ يقِلُّ فيها الدعاةُ والمصلحون أو ينعدمون ـ ونذر نفسَه مخلصاً على أن يقومَ بالدعوة إلى الدين القويم، وتصحيحِ العقيدةِ الإسلاميةِ في النفوس، وإلى إصلاح المجتمعِ وإزاحةِ ما كان عالقاً في أذهان الجهالِ من اعتقادات فاسدةٍ وخُرافاتٍ مُضِلّة.

وفي سنة ١٣٥٩هـ قدِم شقيقُ حافظٍ عمِّي (**محمدُ بنُ أحمدَ**) برسالة منه ومن أخيه حافظٍ يطلُبان فيها من الشيخ القرعاويِّ كتباً في التوحيد، ويعتذران عن عدم القدرةِ على المجيء إليه لانشغالهما بخدمة والديهما والعنايةِ بشئونهما، كما يطلُبان منه ـ إن كان في استطاعته ـ أن يتوجهَ إليهما بقريتِهما ليسمَعا منه بعضَ ما يُلقي من دروس، وفعلاً لبَّى الشيخُ طلبَهما وذهب إلى قريتهما، وهناك التقى بحافظٍ وعرَفه عن كَثب، وتوسّم فيه النجابةَ والذكاءَ، وقد صدقت فيه فراستُه.

ومكثَ الشيخُ عدةَ أيام في (الجاضع) ألقى فيها بعضَ دروسِه العلميةِ التي حضرَها مجموعةٌ من شيوخ القريةِ وشبابِها، ومن بينهم حافظٌ الذي كان أصغرَهم سناً، لكنه كان أسرعَهم فهماً وأكثرَهم حفظاً واستيعاباً لِما يُلقي الشيخُ من معلومات.

يقول عنه الشيخُ عبدُ الله القَرعاويّ: «**وهكذا جلستُ عدةَ أيامٍ في الجاضع، وحافظٌ يأخذ الدروسَ، وإن فاته شيءٌ نقله من زملائه، فهو على اسمه (حافظ) يحفظ بقلبه وخطِّه، والطلبةُ الكبارُ كانوا يراجعونه في كل ما يُشكل عليهم في المعنى والكتابة، لأني كنت أُملي عليهم إملاءً ثم أشرحه لهم**»[1].

وعندما أراد الشيخُ العودةَ إلى مدينة (سامطةَ) التي جعلها مقراً له ومركزاً لدعوته، طلب من والدَيْ حافظٍ أن يُرسلاه معه ليطلُب العلمَ على يديه في (سامطة) على أن يجعلَ لهما من يرعى غنمَهما بدلاً عنه، ولكنهما رفضا طلب الشيخِ أولَ الأمر وأصرَّا على أن يبقى ابنُهما الصغيرُ في خدمتهما لحاجتهما الكبيرةِ إليه.

= دعوته وآثارها كتبته في: مجلة (العرب) التي تصدر في الرياض: (مجلد ٨/ج ٧و ٨، ص٥٢٣ ـ ٥٣٠).

(١) نقلت هذا من رسالة صغيرة كتبها جدي الشيخ عبد الله القرعاوي بخطه وذكر فيها شيئاً موجز عن حياته، احتفظ بها لدي.

وتشاء إرادة الله أن لا تطول حياةُ والدتِه بعد ذلك، إذ توفيت في شهر رجبِ سنةَ ١٣٦٠هـ، فيسمح والدُه له ولأخيه محمدٍ بأن يذهبا إلى الشيخ للدراسة لمدة يومين أو ثلاثة في الأسبوع ثم يعودا إليه، فكان حافظٌ لذلك يذهب إلى الشيخ في (سامطة) فيُملي عليه الدروسَ، ثم يعود إلى قريته، وكان مُلْهماً يفهم ويعي كلَّ ما يقرأ أو يسمع من معلومات. ولم يعمِّر والدُه بعد ذلك إذ انتقل إلى جوار ربِّه وهو عائدٌ من حجِّ سنةِ ١٣٦٠هـ ـ رحمه الله ـ فتفرغ حافظٌ للدراسة والتحصيلِ، وذهب إلى شيخه ولازمه ملازمةً دائمةً يقرأ عليه ويستفيد منه.

وكان حافظٌ في كل دراساتِه على شيخِه مبرِّزاً ونابغةً، فأثمر في العلم بسرعة فائقةٍ، وأجاد قولَ الشعرِ والنثرِ معاً، وألف مؤلفاتٍ عديدةٍ في كثير من العلوم والفنونِ الإسلامية ـ سنقف على أسمائها ـ، ولقد كان كما قال عنه شيخُه: «**لم يكن له نظيرٌ في التحصيل والتأليفِ والتعليمِ والإدارةِ في وقت قصير**»[1].

علمه:

مكث حافظٌ يطلب العلمَ على يد شيخِه الجليلِ **عبدِ اللّهِ القرعاويّ**، ويعمل على تحصيله، ويقتني الكتبَ القيمةَ والنادرةَ من أمهات المصادرِ الدينيةِ واللغويةِ والتاريخيةِ وغيرِها ويستوعبُها قراءةً وفهماً.

وعندما بلغ التاسعةَ عشرةَ من عمره ـ ومع صِغَر سنه ـ طلب منه شيخُه أن يؤلف كتاباً في توحيد الله، يشتمل على عقيدة السلفِ الصالحِ، ويكون نظماً ليسهل حفظُه على الطلاب، يعد بمثابة اختبارٍ له يدل على القدْر الذي استفاده من قراءاته وتحصيله العلميّ؛ فصنَّف منظومتَه (**سلم الوصول إلى علم الأصول ـ في التوحيد**)[2] التي انتهى من تسويدها في سنة ١٣٦٢هـ وقد أجاد فيها، ولاقت استحسانَ شيخِه والعلماء المعاصرين له.

ثم تابع تصنيفَ الكتبِ بعد ذلك؛ فألَّف في التوحيد، وفي مصطلح الحديثِ، وفي الفقه وأصوله، وفي الفرائض، وفي السيرة النبوية، وفي الوصايا

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

والآدابِ العلمية، وغيرِ ذلك نظماً ونثراً، وقد طُبعت جميعُها طبعَتها الأولى على نفقة المغفورِ له جلالةِ الملِك سعودِ بنِ عبدِ العزيز.

ويتضح لنا من آثاره العلميةِ أن أبرزَ مقروءاتِه ذات الأثرِ في منهجه العلميِّ ومؤلفاتِه هي تلك الكتبُ التي ألَّفها علماءُ السلفِ الصالحِ من أهل السنة في العلوم الإسلاميةِ من تفسير وحديثٍ وفقهِ وأصولِه، أما في مجال العقيدةِ فقد بدا شديدَ التأثر بشيخ الإسلام ابن تيميةَ وتلميذِه ابنِ القيمِ، كثيرَ الاستفادة من مؤلفاتهما والأخذِ عنها، هذا إلى جانب استيعابِه لكثير من مصادر التاريخِ والأدبِ واللغةِ والنحوِ والبيانِ المؤلفةِ في مختلف العصورِ الإسلامية.

ولقد كان ـ رحمه الله ـ عميقَ الفهمِ سريعَ الحفظِ لما يقرأ، وقد مر بنا قولٌ لشيخِه يُشيد فيه بتلميذِه حافظٍ، الذي كان يحفظ بقلبه وخطِّه ـ على حد تعبيرِ الشيخ ـ وكان زملاؤه الكِبارُ يراجعونه في كل ما يُشكل عليهم منذُ مراحلِ تعليمِه الأولى.

أدبُه:

يُعدُّ الشيخُ حافظٌ من أجلِّ علماء مِنطقةِ تِهامةَ وأقدرِهم على قول الشعر، فقد كان يعشق الشعرَ منذ صِغَره ويحفظه ويقوله سليقةً دون تكلّفٍ، فلا غرابةَ إذا رأيناه يُخرِج أكثرَ مؤلفاتِه نظماً.

ولقد كان أكثرُ ما يقول الشعرَ ـ في غيرِ ما كتبه من منظومات علمية ـ إما نصيحةً أو مساجلةً لصديق أو وصفاً أو خاطرةً، إلا أنه لم يدوِّن جُلَّ ما قال إن لم يكن كلَّه، وما بأيدينا منه الآن نزرٌ يسيرٌ جداً حفِظه عنه بعضُ تلاميذِه.

ومن أهم قصائدِ شعرِه تلك **القصيدةُ الميميةُ** التي أنشأها في الوصايا والآدابِ العلمية، وهي طويلة جداً، نختار منها هذه الأبيات التي يصف فيها العلمَ ومنزلَته:

العلمُ أغلى وأحلى ما له استمعتْ	**أذنٌ، وأعربَ عنه ناطقٌ بفمِ**
العلمُ غايتُه القصوى ورتبتُه الـ	**ـعلياءُ فاسعَوا إليه يا أولي الهمم**
العلمُ أشرفُ مطلوبٍ وطالبُه	**لله أكرمُ من يمشي على قدم**
العلمُ نورٌ مبينٌ يستضيء به	**أهلُ السعادةِ والجهّال في الظُّلَم**

العلمُ أعلى حياةٍ للعباد، كما   أهلُ الجهالةِ أمواتٌ بجَهْلِهِم

ثم يقول مرغِّباً في العلم، وحاضّاً طالبَه على الحِرص عليه، والسعي قدرَ المستطاع لنيل أكبرِ قسطٍ منه، وعدم الرضا بغيره عوضاً عنه، فمن حصل عليه فقد ظفِر.

ويوصي طلبةَ العلم بمساعدةِ غيرِهم في تحصيله وتقريبِ مباحثه، ويشير عليهم قبل ذلك كلِه بأن يُخلصوا نياتهم ـ في طلبه ـ لوجه اللّهِ الكريم:

يا طالبَ العلمِ لا تَبغي به بدَلا   فقد ظفِرْتَ وربِّ اللوحِ والقلمِ
وقدِّس العلمَ واعرِفْ قدرَ حُرْمتِه   في القول والفعل، والآدابَ فالتزمِ
واجهَدْ بعزم قويٍّ لا انثناء له   لو يعلم المرءُ قدرَ العلمِ لم يَنمِ
والنُصحَ فابذُلْه للطلاب محتسباً   في السر والجهرِ، والأستاذَ فاحترمِ
ومرحباً قل لمن يأتيك يطلُبه   وفيهمُ احفَظ وصايا المصطفى بهمِ
والنيَّةَ اجعلْ لوجه اللّهِ خالصةً   إن البناءَ بدون الأصلِ لم يقُمِ

وهناك أيضاً قصيدتُه الهمزيةُ التي قالها في تشجيع الإسلامِ وأهلِه والدعوةِ إلى التمسك بأساسه وأصلِه، وهي لا تزال مخطوطةً لم تُنشر من قبلُ، وتقع في أكثرَ من مِائتي بيتٍ، من بحر الكاملِ على رويِّ الهمزة.

استعرَض فيها ماضيَ المسلمين وحاضرَهم وما ينبغي أن يكونوا عليه في مستقبلهم، كلُ ذلك بأسلوب قويٍّ رصين وتعبيرٍ جزلٍ، بالإضافة إلى ما تفجّر في جوانبِ أبياتِها من شعور فيّاضٍ ومعانٍ سامية وأهداف نبيلة وروح عالية؛ تحدَّث في أولها عن الرسول الكريمِ محمدِ بنِ عبدِ اللّهِ صلواتُ اللّهِ وسلامُه عليه وقيامِه بالدعوة إلى الله، فقال:

ويُعِزُّ ربي رُسْلَه والمؤمنيـ   ـن جميعَهم بالنصر والإنجاءِ
حتى استتمَّ بناءَهم بمحمد   أكرِمْ به للرسل خَتْمَ بناءِ
فهو الرسولُ إلى الخلائق كلِّهم   ممن تُقِلُّ بسيطةُ الغبراء
ما لامرئٍ أبداً خروجٌ عن شريـ   ـعته ونهجِ طريقِه البيضاء
لم يقْبِض المولى تعالى روحَه   حتى أشاد الدينَ بالإعلاء

وأتمَّ نعمَته وأكمل دينَه ... ولخلقه أدّاه أيَّ أداءِ
ومضى وأمتُه بأقومِ منهجٍ ... وعلى مَحَجَّة هذِيه البيضاءِ

ثم تحدث عن الخلفاء الراشدين ومناهِجِهم في الحكم، وانتقل بعدهم يصف واقعَ المسلمين في العصور التي تلت عصرَ الخلفاءِ الراشدين، وعندما وصل إلى القرن السابعِ الهجريِّ عصرِ شيخِ الإسلامِ (ابن تيميةَ) وجدناه يقول:

وأتى بقرن سابعٍ من هجرةٍ ... عَلَمٌ به يُؤتمُّ في الظلماء
أعني بذاك الحَبْرَ أحمدَ مَن إلى ... عبد الحليمِ نُمي بلا استثناء
كم هاجم البدعَ الضلالَ وأهلَها ... بدلائل الوحْيَينِ خيرِ ضياءِ
وقواعدَ التحريفِ هدَّ أصولَها ... أعظِمْ به هدْماً لشرِّ بناءِ
وله جهادٌ ليس يُعهد مثلُه ... إلا بعهدِ السادةِ الخلفاءِ

وبعد أن ذكر ما قام به ابنُ تيميةَ من قمع للفتن وإبادةٍ للطغيان، تابع المسيرةَ إلى العصور الإسلاميةِ التالية، مصوِّراً طبيعةَ الحياةِ التي كان يعيشها المسلمون في تلك الأزمنة، مشيراً إلى بعض المصلحين الذين سعَوا لتصحيح الأوضاعِ في بلادهم كالشيخ محمد بنِ عبدِ الوهَّاب في القرن الثاني عشرَ الهجريِّ وغيرِه.

ثم ذهب يوجِّه الخطابَ إلى العلماء وطلابِ العلمِ في عصره، مستنهضاً هِمَمَهم للدعوة إلى الله والإخلاصِ في العمل، والقيامِ بالواجب الملقى على عواتقهم نحوَ إخوانِهم المسلمين في كل مكان، قائلاً:

هل تسمعون معاشرَ العلما، ألا ... تُصغون نحوَ مقالتي ونِدائي؟!
يا طالِبي علمِ الشريعةِ فانهضوا ... وادعُوا عبادَ الله باستهداء
أنحُوا بهم نحوَ الصراطِ المستقيـ ... ـمِ ورفضِ كلِّ طريقةٍ عوجاء
كيف انتصارُ المسلمين وجُلُّهم ... عن دينهم في غفلة عمياء؟!

وقد أطال في ذلك، وبهذا نكتفي.

ولعل في هذه المقتطفات من هاتين القصيدتين كفايةً كنماذجَ حيةٍ من شعر الشيخِ حافظِ الحكمي ـ رحمه الله ـ والتي تدل على تدفق شاعريتِه، وجودةِ شعرِه الإسلاميِّ وسُموِّ غاياتِه.

أعماله:

عندما لمس **الشيخُ عبدُ الله القَرعاويّ** تفوُّقَ تلميذِه حافظٍ ونبوغَه العلميَّ أقامَه مدرِّساً لزملائه والمستجِّدين من التلاميذ، فألقى عليهم دروساً نافعةً استفادوا منها فائدةً كبرى.

ثم عيَّنه شيخُه في سنة ١٣٦٣هـ مديراً لمدرسة (سامطة) السلفية ـ أوَّلِ وأكبرِ مدرسةٍ افتتحها الشيخُ في المنطقة لطلاب العلم ـ، وأسند إليه أمرَ الإشرافِ على مدارس القرى المجاورة.

واتسعت بعد ذلك مدارسُ الشيخ في منطقتي (تهامةَ وعسيرٍ) فما من مدينة أو قرية إلا وأسس بها مدرسةً أو أكثرَ تدرس العلومَ الإسلاميةَ[١]، وجعل بها من تلاميذه من يقوم بالتدريس فيها ويتولى شؤونَ إدارتِها.

ولما كان الشيخُ يقوم في فترات متعددةٍ بجَوْلاتٍ على مئات المدارسِ التي كان قد أسسها في المنطقة، جعل تلميذَه الأولَ الشيخَ حافظاً الحكميَّ مساعداً له، يتولى الإشرافَ على سير التعليمِ وأمورِ الإدارةِ أثناء تَجوالِ الشيخ على مدارسه، فنهض حافظٌ بالعبء المُلقى على عاتقه وأدّى الأمانةَ خيرَ الأداء.

ثم تنقل الشيخُ حافظ ـ للقيام بواجبه مع شيخه ـ في عدة أماكنَ، منها قريةُ (السلامة العليا) ومدينةُ (بيش: أم الخشب) في الجزء الشماليِّ من منطقة (جازان) وغيرهما، عاد بعدها إلى مدينة (سامطة) مرة أخرى يدير مدارسَها ويساعد شيخَه في تَحمل المسئولية والإشرافِ على سير التعليمِ ومواصلةِ تدعيمِ مَهامِّ الدعوةِ والإصلاح.

وهكذا مضى الشيخُ حافظٌ يؤدي واجباتِه في سبيل النهوضِ بأبناء مِنطقتِه، وليرفعَ من مستواهم الثقافيِّ، وليُفيدَهم من علمه قدْرَ ما يستطيع، فقد كان يجتمع إليه طلبةُ العلمِ من كل مكانٍ للتتلمذ على يديه فيستفيدون منه فائدةً عُظمى، ومن

---

(١) انظر شيئاً عن هذه المدارس وافتتاح بعضها في: (مجلة المنهل التي تصدر في جدة: مجلد ٨، عدد ٥ جمادى الأولى سنة ١٣٦٧هـ ـ في المقابلة التي أجريت مع الشيخ عبد الله القَرعاويِّ ـ: ص١٨٥ ـ ١٩٦).

وعدّاً لأوائل هذه المدارس وأهمها في مقالي الذي كتبته عن الشيخ عبد الله القَرعاويِّ في: (مجلة العرب التي تصدر في الرياض: المجلد ٨/ ص٥٢٦).

طلبتِه الآن علماءُ أفاضلُ يتولَّون مناصبَ القضاءِ والتدريسِ والوعظِ والإرشادِ في جميع أنحاء المنطقةِ الجَنوبيةِ وغيرها.

وفي سنة ١٣٧٣هـ افتتحت وزارةُ المعارفِ السعوديةُ مدرسةً ثانويةً بـ (جازان) عاصمةِ المنطقةِ، فعُيّن الشيخُ حافظٌ أوَّلَ مديرٍ لها في ذلك العام.

ثم افتُتح معهدٌ علميٌّ تابعٌ للإدارة العامة للكليات والمعاهدِ العلميةِ آنذاك (جامعة الإمامِ محمدِ بنِ سعودِ الإسلاميةُ حالياً) بمدينة (سامطة) في عام ١٣٧٤هـ فعُين الشيخُ حافظٌ مديراً له؛ فقام بعمله هذا خيرَ قيام، وكان يُلقي فيه بعضَ المحاضراتِ ويُملي على تلاميذه الكثير من المعلومات الشرعيةِ واللغويةِ المفيدة، ويضع لهم المذكراتِ الدراسيةَ للفنون التي لم تُقرَّر لها كتبٌ علميةٌ وفق المناهج المحددة، وكان يُمليها أحياناً بنفسه، وقد يمليها عن طريق المدرِّسين بالمعهد أحياناً أخرى.

صفاته:

كان الشيخُ حافظٌ الحَكَمي ـ رحمه الله ـ مثالاً يُحتذى لكل طالبِ علم يريد التحصيلَ والعلمَ النافعَ، ومثالاً لكل عالمٍ جليلٍ متواضعٍ يحب لتلاميذه وزملائِه كلَّ خيرٍ وصلاح.

ويكفي أن أُوردَ هنا ما قاله عنه شقيقُه الأكبرُ (عمِّي) **الشيخُ محمدُ بنُ أحمدَ الحكمي** ـ حفظه الله ـ في رسالة كتبها إليَّ إجابةً لطلبي:

«كان رحمه الله على جانب كبير من الورع والكرمِ والعفةِ والتقوى، قويَّ الإيمان، شديدَ التمسك، صدّاعاً بالحق، يأمرُ بالمعروف ويأتيه، وينهى عن المنكر ويبتعد عنه، لا تأخُذه في الله لومةُ لائم.

كانت مجالسُه دائماً عامرةً بالدرس والمذاكرة وتحصيلِ العلم، تَغَصّ بطلابه في البيت والمسجدِ والمدرسة، لا يُمَلّ حديثُه، ولا يَسأم جليسُه.

كان جلَّ أوقاتِه ملازماً لتلاوة القرآنِ الكريم، ومطالعةِ الكتبِ العلمية، بالإضافة إلى التدريس والتأليفِ والمُذاكرة.

وكان خفيفَ النفس يحب الرياضةَ والدُّعابةَ والمُزاحَ مع زملائه وطلابه

وزوّاره، مما يجذِب قلوبَ الناسِ إليه، ويحبب إليهم مجالستَه والاستفادةَ منه»[1].

وفاته:

لم يزل الشيخُ حافظٌ مديراً لمعهد سامطةَ العلميِّ حتى حجَّ في سنة ١٣٧٧هـ، وبعد انتهائه من أداء مناسكِ الحجِّ لبَّى نداء ربِه في يوم السبتِ الثامنَ عشرَ من شهر ذي الحِجةِ سنة ١٣٧٧هـ (١٩٥٨م) بمكةَ المكرمةِ على إثر مرَضٍ ألَمَّ به، وهو في رَيعان شبابِهِ، إذ كان عمرُه آنذاك خمساً وثلاثين سنةً ونحوَ ثلاثةِ أشهر، ودُفن بمكةَ المكرمة، رحمه الله تعالى رحمةً واسعةً.

وقد كان وقعُ خبرِ وفاتِه على شيخه وعلى أهله وزملائِه وأصدقائِه وتلاميذِه شديداً، والمصيبةُ به فادحةً، وقد رثاه بعضُ تلاميذِه رثاء حاراً يعكس مدى الفاجعةِ التي أصابتهم بموته، من ذلك قصيدةٌ للشيخ الدكتور **زاهرِ بنِ عواضٍ الألمعيِّ** يقول في أولها:

لقد دوّى على (المخلاف) صوتٌ ... نعى النحريرَ عالَمها الهُماما
تفجَّعت الجنوبُ وساكنوها ... على بدْرٍ بها يمحو الظلاما
وذاعت في الدُنا صيحاتُ خطبٍ ... فهزَّت من فجائعها الأناما
فكفكفت الدموعَ على فقيد ... على الإسلام شمَّر واستقاما
وأحيا في الربوع بيوتَ علم ... وواسى مُقْعداً ورعى يتاما
أ(حافظُ) كنت للعلياء قُطباً ... وللإسلام طَوداً لا يُسامى
وبحراً في العلوم بعيدَ غَورٍ ... كثيرَ النفعِ قوَّاماً إماما
وما مُتُّم فمنهجُكم مَنارٌ ... يضيء دروبَنا وبها أقاما[2]

---

(١) وأما عن صفاته الخَلْقِيَة، فقد وصفه الشيخ زيد المدخلي ـ حفظه الله ـ في كتابه: «الشيخ حافظ الحكمي...» ص٣٩ قائلاً: «كان رحمه الله ربعة أسمر اللون مستدير الوجه مفلج الأسنان، خفيف اللحية والعارضين، أقرن الحاجبين يعجبه لباس الخشن من الثياب في غالب الأوقات....»اهـ.
أبو ياسر خالد بن قاسم الرَداديّ في تحقيقه لكتاب «دليل أرباب الفلاح لتحقيق فن الاصطلاح» ص٢٣ التعليقة (١).

(٢) القصيدة في ديوان (الألمعيات) للدكتور زاهر الألمعي: (ص١٢٦ ـ ١٢٧).

وممن رثاه أيضاً تلميذُه الأستاذُ إبراهيمُ بنُ حسنٍ الشعبيُّ بقصيدة، نقتطف منها قولَه:

تـوفّـي (حـافـظٌ) ركـنُ الـبـلادِ ... وخـلّـف حـسـرةً لـي فـي الـفـؤاد
وقـد ضـاقـت عـلـيَّ الأرضُ ذرعـاً ... بـمـا رَحُـبـت ولـم تـسَـعِ الـبـوادي
وسـاءَ الـحـالُ مـنـي حـيـن وافـى ... بـنـا نـعـيُ الـفـتـى الـبـطـلِ الـعـمـادِ
لـقـد كـنـت الـمـقـدمَ فـي الـمـزايـا ... مـن الـخـيـرات يـا قـطـبَ الـنـوادي
وكـنـت الـقـائـدَ الـمـدعـوَّ فـيـنـا ... فـمـن نـخـتـارُ بـعـدك لـلـقـيـاد؟
صـلاحٌ لـلـمـشـاكـل كـنـت قِـدمـاً ... ومـصـبـاحَ الـبـحـوثِ بـكـل وادي
وفـي كـل الـعـلـوم مـددتَ بـاعـاً ... وهِـمـتُـك الـعـلـيَّـةُ فـي ازديـاد

وقد خلَّف الشيخُ ـ رحمه الله ـ بعد رحيلِه مكتبةً علميةً كبيرةً عامرةً بكل علمٍ وفن، أوصى بأن تكون وقفاً على طلاب العلمِ ورُوَّاد المعرفة، فضُمَّت إلى معهد سامطةَ العلميِّ لينتفِع بها المدرِّسون والطلاب، ولتبقى تحت إشرافِ إدارةِ المعهد.

كما خلَّف من تأليفه آثاراً علميةً نافعةً في كثير من الفنون الإسلامية، لا يستغني عنها كلُ طالبِ علم، وسنشير إليها.

وله من الأبناء أربعةٌ هم: أحمدُ ـ كاتبُ هذه الأسطر ـ، وعبد الله، ومحمد، وعبدُ الرحمن، وفَّقهم الله جميعاً وسدَّد خطاهم، وأخذ بأيديهم لما فيه خيرُهم وصلاحُهم[1].

مؤلفاته:

لوالدي **الشيخِ حافظِ بنِ أحمدَ الحكمي** ـ رحمه الله تعالى ـ **مؤلفاتٌ عديدةٌ في**: التوحيد، ومصطلح الحديث، والفقهِ وأصولِه، والفرائضِ، والتاريخِ والسيرةِ النبوية، والنصائحِ والوصايا والآدابِ العلمية.

---

(١) وانظر مزيداً من البيان عن حالته الاجتماعية في كتاب «الشيخ حافظ الحكمي حياته وجهوده...» ص٣٩ للشيخ زيد المدخلي ـ حفظه الله ـ.
أبو ياسر خالد بن قاسم الرَدادي في تحقيقه لكتاب «دليل أرباب الفلاح» ص٢٥ رقم التعليقة (١).

من هذه المؤلفات ما هو منظومٌ، ومنها ما هو منثورٌ، وهي كما يلي:

أ ـ في التوحيد:

١ ـ (سُلَّم الوصول، إلى علم الأصول، في توحيد اللَّهِ واتباعِ الرسول ﷺ)
أرجوزةٌ في أصول الدين، مطلعُها:

أبدأُ باسم اللَّهِ مستعينا ... راضٍ به مُدَبِّراً مُعينا

انتهى من تسويدها في سنة ١٣٦٢هـ، وهي أوَّلُ ما أُلِّف. طُبعت طبعتها الأولى بمكةَ المكرمة سنة ١٣٧٣هـ (في ١٦ص).

٢ ـ (معارج القَبول، بشرح سلّم الوصولِ إلى علم الأصول ـ في التوحيد)
وهو شرحٌ مُطوّلٌ لأرجوزة (سلم الوصول) ـ المتقدمِ ذكرُها ـ، انتهى من تسويده في سنة ١٣٦٦هـ، ويقع في مجلدين كبيرين تزيد صفحاتُهما في طبعته الأولى عن ألف ومائة صفحة[1].

---

(١) (*) طبع كتاب «معارج القبول» طبعته الأولى بالمطبعة السلفية بالقاهرة نحو سنة ١٣٧٧هـ، في مجلدين ضخمين بلغت صفحاتهما/ ١١٨٣ صفحه، ج١/ ٥٤٤ صفحة، ج٢/ ٦٣٩ صفحة.
(*) ثم أصدرته مصوراً عن هذه الطبعة الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد في المملكة العربية السعودية.
(*) ثم طبع الطبعة الثالثة بعناية ولد المؤلف الدكتور أحمد بن حافظ الحكمي حفظه الله.
(*) كما طبع الكتاب طبعات مسروقة فيها تحريف وأخطاء مطبعية.
(*) ثم طبع في ثلاثة مجلدات بتحقيق/ عمر بن محمود أبو عمر/ عام ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.
(*) قلت: وقد اطلعت على جميع طبعات الكتاب، فدفعني لخدمته عوامل أهمها:
١ ـ الرغبة الصادقة ـ في نفسي ـ لنشر كتب العقيدة السلفية بين صفوف المسلمين، لعلمي الأكيد أن العقيدة أولاً.
٢ ـ تلبية لرغبة الأخ:/ سعد بن فواز الصميل/ في نشر هذا السِّفر الطيب.
٣ ـ وجود نقص لآيات كاملة في الموضوع الواحد في بعض الطبعات عما في طبعة نجل المؤلف التي اعتمد فيها على مخطوطة بخط والده رحمه الله.
٤ ـ وجود نقص لكلمات أو حروف وأحياناً جمل في بعض الآيات القرآنية.
٥ ـ وجود زيادة حروف على بعض الآيات ليست منها.
٦ ـ وجود خطأ في عزو الآيات إلى سور غير سورها في مواطن كثيرة. =

وهذا الكتابُ أهمُ آثارِ الشيخِ وأشهرُها وأغناها عن التعريف، يتمتع الآن بقيمة علميةٍ كبيرةٍ بين طلابِ العلمِ وأساتذةِ الجامعاتِ الإسلامية، وقد دأبت الرئاسةُ العامةُ لإدارات البحوثِ العلميةِ والإفتاءِ في المملكة العربية السعودية زمناً طويلاً على توزيعه مجاناً على خريجي الكلياتِ وعلى المدرسين والقضاةِ، لما فيه من فوائدَ جمّةٍ، وما يحويه من معلومات قيمةٍ في موضوعه، ولُحسن عَرضِه وتبويبِه واستيفائِه لكثير من نصوص الكتابِ والسنةِ وأقوالِ السلفِ الصالحِ بما لا يدع زيادةً لمستزيد.

٣ ـ **(أعلامُ السنةِ المنشورة، لاعتقاد الطائفةِ الناجيةِ المنصورةِ)** كتابٌ مؤلَّفٌ على طريقة السؤالِ والجواب، انتهى من تسويده في غُرَّة شهرِ شعبانَ سنة ١٣٦٥هـ، وطُبع طبعَته الأولى بمكةَ المكرمة د. ت (في ٦٧ص)[1].

٤ ـ **(الجوهرة الفريدة، في تحقيق العقيدة)** منظومة داليَّة، مطلعُها:

الحمدُ لله لا يُحصى له عددُ ... ولا يحيط به الأقلامُ والمددُ

طبعت طبعتَها الأولى بمكةَ المكرمة سنة ١٣٧٣هـ (في ١٩ص).

ب ـ في المصطلح:

٥ ـ **(دليلُ أربابِ الفلاح لتحقيق فن الاصطلاح)** كتابٌ جليلٌ حافلٌ في

= ٧ ـ وجود أخطاء كثيرة في ضبط الآيات القرآنية بالشكل.

٨ ـ إغفال تراجم الأعلام الذين يحتاج لمعرفتهم القارئ.

٩ ـ إهمال التعريف بالفرق والطوائف الضالة المنحرفة عن منهج السلف الصالح ليُحذر منها.

١٠ ـ القصور في عزو الآثار، والأقوال إلى مصادرها.

وغير ذلك مما سوف يراه القارئ بنفسه في طبعتنا هذه.

اللهم اجعل أعمالنا كلها صالحة... ولوجهك خالصة...

ولا تجعل فيها شركاً لأحد.

محمد صبحي بن حسن حلاق أبو مصعب

(١) (*) ثم طبع الكتاب بتحقيق: مصطفى أبو النصر شلبي، ط٢/١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

(*) ثم طبع الكتاب بتحقيق: أحمد علي علوش مدخلي، ط٣/١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م/.

مصطلح الحديث، طبع طبعته الأولى بمكة المكرمة سنة ١٣٧٤هـ (في ١٧٤ص)[١].

٦ ـ **(اللؤلؤ المكنون، في أحوال الأسانيد والمتون)** منظومة، مطلعها:

الحمدُ كلُ الحمدِ للرحمن ... ذي الفضل والنعمةِ والإحسان

انتهى من نظمها في سنة ١٣٦٦هـ، وطبعت طبعتها الأولى بمكة المكرمة د. ت (في ١٨ص).

ج ـ في الفقه:

٧ ـ **(السبلُ السويَّة، لفقه السننِ المروية)** منظومةٌ طويلةٌ في الفقه وفقَ أبوابِه المعروفة، مطلعها:

أبدأ باسم خالق مُحمدِ لا ... مُحسْبِلاً مكتفياً مُحَوقِلا

طبعت طبعتها الأولى بمكة المكرمة د. ت (في ١٣٤ص)[٢].

د ـ في أصول الفقه:

٨ ـ **(وسيلة الحصول، إلى مهمات الأصول)** منظومةٌ في أصول الفقه، مطلعها:

الحمدُ للعدل الحكيمِ الباري ... المستعانِ الواحدِ القهار

انتهى من كتابتها في سنة ١٣٧٣هـ، وتقع في ٦٤٠ بيتاً. طبعت طبعتها الأولى بمكة المكرمة د. ت (في ٣٥ص).

٩ ـ **متن (لامية المنسوخ)** منظومة لاميةِ الرَّويِّ في النسخ وما يدخله من الكتب الفقهية، مطلعها:

الحمدُ لله في الدارين متصلُ ... هو السلامُ فلا نقصٌ ولا عللُ

---

(١) ثم طبع مؤخراً بتحقيق أبي ياسر خالد بن قاسم الردَادي عام/ ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م/ أبو مصعب: محمد صبحي بن حسن حلاق.

(٢) وقد تصدى لشرحها العلامة زيد المدخلي ـ حفظه الله ـ شرحاً وافياً وسَماه بـ «الأفنان الندية بشرح السبل السوية»، وقد طبع ـ ولله الحمد ـ في ستة مجلدات.
[أبو ياسر خالد بن قاسم الردَادي في تحقيقه لكتاب (دليل أرباب الفلاح) ص٢٧ رقم التعليقة (١)].

طبعت طبعتها الأولى بمكة المكرمة د. ت (في ١٠ص).

هـ ـ في الفرائض:

١٠ ـ **(النورُ الفائض، من شمس الوحي، في علم الفرائض)** رسالةٌ منثورةٌ في علم الفرائض، انتهى من كتابتها في ١٥ ـ ٨ ـ ١٣٦٥هـ، وطبعت طبعتها الأولى بمكة المكرمة سنة ١٣٧٣هـ (في ٤٦ص).

و ـ في التاريخ والسيرةِ النبوية:

١١ ـ **(نيلُ السول، من تاريخ الأممِ وسيرةِ الرسولِ ﷺ)** منظومة تاريخية، تزيد أبياتها عن (٩٥٠ بيتاً)، مطلعُها:

الحمد لله المهيمنِ الأحدْ ... باري البرايا الواحدِ الفردِ الصمدِ

طبعت طبعتها الأولى بمكة المكرمة د. ت (في ٥٢ص).

ز ـ في النصائح والوصايا والآداب العلمية:

١٢ ـ **نصيحةُ الإخوانِ المشهورة بـ (القاتية)، وعنوانُها: (هذا سؤالٌ بشأن القاتِ والدخانِ والشَّمةِ)**، وهي قصيدة تائية، مطلعها:

حمداً لمن أسبغ النَّعما وألهمنا ... حمداً عليها بألطافِ خفياتِ

وقد طبع معها ردٌ عليها لأحد أهل اليمن، ثم جوابُ الشيخِ عليه، وفي الجواب الأخير فوائدُ جليلةٌ. طبعت طبعتها الأولى بمكة المكرمة سنة ١٣٧٤هـ (في ١٥ص).

١٣ ـ **(المنظومة الميمية، في الوصايا والآداب العلمية)** قصيدةٌ ميميةٌ رائعة في الحث على العلم وطلبه والتمسك بما جاء في كتاب الله وسنةِ رسولِه ﷺ، مطلعها:

الحمدُ لله ربِّ العالمين على ... آلائه وهو أهلُ الحمدِ والنعمِ

طُبعت طبعتها الأولى بمكة المكرمة د. ت (في ١٤ص).

وقد طبعت جميعُ هذه الكتبِ من مؤلفات الوالدِ الشيخ حافظِ الحكمي ـ رحمه الله ـ طبعَتها الأولى ـ ما أرِّخ منها وما لم يُؤرَّخ ـ في سنتي ١٣٧٣ ـ ١٣٧٤هـ

على نفقة جلالة المغفورِ له الملكِ سعودِ بنِ عبدِ العزيزِ بمطابع البلادِ السعودية بمكةَ المكرمة، عدا كتابِ (معارج القبول) الذي طبع طبعتَه الأولى د. ت (نحو سنة ١٣٧٧هـ) في المطبعة السلفية بمصر.

وللوالد الشيخِ ـ من بعدُ ـ بعضُ الرسائلِ والمنظوماتِ المخطوطةِ التي لم تطبع بعد، سنعمل على طبعها ونشرِها في وقت قريبٍ إن شاء الله، حتى يُنتفعَ بها كما انتُفع بغيرها من مؤلفاته المطبوعةِ، أهمُها:

١ ـ (مفتاحُ دار السلام، بتحقيق شهادتي الإسلام).

٢ ـ (شرح الورقات، في أصول الفقه ـ لأبي المعالي الجُويني).

٣ ـ همزية الإصلاح، في تشجيع الإسلام وأهلِه، والتمسك كلَّ التمسك بأساسه وأصله).

٤ ـ (مجموعةُ خطب للجمع والمناسبات الدينية)[(١)].

وكلُ مؤلفاتِه ـ رحمه الله ـ تعطيك الدليلَ الواضحَ على مكانته العلمية، وعلى تعمقه في كثير من جوانب المعرفة، وهي كتبٌ قيمةٌ يكفي للدلالة على جودتها وقيمتِها أن بعضَها عُرض على فضيلة العلامةِ الشيخ محمدِ بنِ إبراهيمَ آل الشيخ ـ مفتي الديار السعودية آنذاك، رحمه الله ـ فاستحسنها واستجادها وأشار على الحكومة بطبعها وتوزيعِها حتى يستفيدَ منها الخاصةُ والعامةُ على السواء، لما فيها من فوائدَ جمَّةٍ، ونصائحَ عامةٍ نافعةٍ لجميع المسلمين في دينهم ودنياهم، ولأنها تحضّهم على التمسك بكتاب اللّهِ وسنة رسولِه الأمين ﷺ، وعلى اتباع السلفِ الصالحِ والأئمةِ المبرزين من علماء المسلمين.

رحم اللّهُ الشيخَ حافظاً الحكميَّ رحمةً واسعةً، وأسكنه فسيحَ جناتِه، وجزاه عما قدَّم خيرَ الجزاءِ، وغفر له ولوالديه ولشيخه ولجميع المسلمين.

أحمد بن حافظ الحكمي

---

(١) وقد ذكر الشيخ زيد المدخلي ـ حفظه الله ـ جميع مصنفات المؤلف ـ رحمه الله ـ المخطوطة في كتابه «الشيخ حافظ الحكمي...» ص٤٩ فانظره.
[أبو ياسر خالد بن قاسم الردادي في تحقيقه لكتاب «دليل أرباب الفلاح» ص٢٩ رقم التعليقة (١)].

بسم الله الرحمن الرحيم

بدأت باسم الله مستعينا ... راض به مدبرا معينا
والحمد لله كما هدانا ... إلى سبيل الحق واجتبانا
أحمده سبحانه وأشكره ... ومن مساوي عملي أستغفره
وأستعينه على نيل الرضا ... وأستمد لطفه فيما قضى
وبعد إني باليقين أشهد ... شهادة الإخلاص أن لا يعبد
بالحق مألوه سوى الرحمن ... من جل عن عيب وعن نقصان
وأن خير خلقه محمدا ... من جاءنا بالبينات والهدى
رسوله إلى جميع الخلق ... بالنور والهدى ودين الحق
صلى عليه ربنا ومجدا ... والآل والصحب دواما سرمدا
وبعد هذا النظم في الأصول ... لمن أراد منهج الرسول
سألني إياه من لا بد لي ... من امتثال أمره الممتثل
فقلت مع عجزي ومع إشفاقي ... معتمدا على القدير الباقي

مقدمة

اعلم بأن الله جل وعلا ... لم يترك الخلق سدى وهملا
بل خلق الخلق ليعبدوه ... وبالإلهية يفردوه
أخرج فيما قد مضى من ظهر ... آدم ذريته كالذر
وأخذ العهد عليهم أنه ... لا رب معبود بحق غيره

فصل في كون التوحيد ينقسم إلى نوعين وبيان النوع الأول وهو توحيد المعرفة والإثبات

أول واجب على العبيد ... معرفة الرحمن بالتوحيد
إذ هو من كل الأوامر أعظم ... وهو نوعان أيا من يفهم
إثبات ذات الرب جل وعلا ... أسمائه الحسنى صفاته العلى
وأنه الرب الجليل الأكبر ... الخالق البارئ والمصور
باري البرايا منشئ الخلائق ... مبدعهم بلا مثال سابق
الأول المبدي بلا ابتداء ... والآخر الباقي بلا انتهاء
الأحد الفرد القدير الأزلي ... الصمد البر المهيمن العلي
علو قهر وعلو الشان ... جل عن الأضداد والأعوان
كذا له العلو والفوقية ... على عباده بلا كيفية
ومع ذا مطلع إليهم ... بعلمه مهيمن عليهم
وذكره للقرب والمعية ... لم ينف للعلو والفوقية
فإنه العلي في دنوه ... وهو القريب جل في علوه
حي وقيوم فلا ينام ... وجل أن يشبهه الأنام
لا تبلغ الأوهام كنه ذاته ... ولا يكيف الحجا صفاته
باق فلا يفنى ولا يبيد ... ولا يكون غير ما يريد

صورة للصفحة الأولى من أصل منظومة (سلم الوصول) بخط الناظم - رحمه الله -

بايع عنه سيد الأكوان ... بكفه في بيعة الرضوان
الرابع ابن عم خير الرسل ... أعني الإمام الحق ذا القدر العلي
مبيد كل خارجي مارق ... وكل خب رافضي فاسق
من كان للمختار في مكان ... هارون من موسى بلا نكران
فالستة المكملون العشره ... وسائر الصحب الكرام البرره
وأهل بيت المصطفى الأطهار ... وتابعوه السادة الأخيار
فكلهم في محكم القرآن ... أثنى عليهم خالق الأكوان
في الفتح والحديد والقتال ... وغيرها بأكمل الخصال
كذاك في التوراة والإنجيل ... صفاتهم معلومة التفصيل
وذكرهم في سنة المختار ... قد سار سير الشمس في الأقطار
ثم السكوت واجب عما جرى ... بينهم من فعل ما قد قدرا
فكلهم مجتهد مثاب ... وخطؤهم يغفره الوهاب

خاتمة

في التسليم بالكتاب والسنة والرجوع عند الاختلاف إليهما فما خالفهما فهو رد

شرط قبول السعي أن يجتمعا ... فيه إصابة وإخلاص معا
لله رب العرش لا سواه ... موافق الشرع الذي ارتضاه
وكل ما خالف للوحيين ... فإنه رد بغير مين
وكل ما فيه اختلاف نصبا ... فرده إليهما قد وجبا
فالدين إنما أتى بالنقل ... ليس بالأوهام وحدس العقل
ثم إلى هنا قد انتهيت ... وتم ما بجمعه عنيت
سميته بسلم الوصول ... إلى سما مباحث الأصول
والحمد لله على انتهائي ... كما حمدت الله في ابتدائي
أسأله مغفرة الذنوب ... جميعها والستر للعيوب
ثم الصلاة والسلام أبدا ... تغشى الرسول المصطفى محمدا
ثم جميع صحبه والآل ... السادة الأئمة الأبدال
تدوم سرمدا بلا نفاد ... ما جرت الأقلام بالمداد
ثم الدعا وصية القراء ... جميعهم من غير ما استثناء
أبياتها يسر بعد الجمل ... تاريخها الغفران فافهم وادع لي

٢٧٠ ... ١٣٦٢

صورة للصفحة الأخيرة من أصل منظومة (سُلَّم الوصول) بخط الناظم ـ رحمه الله ـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي ... بغير صاحبة ولا ولد ... الذي لا إله إلا هو ولا رب سواه، المستحق لجميع أنواع العبادة ولا ينبغي [illegible]
[illegible] ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل وأن الله هو العلي الكبير
عالم الغيب والشهادة الذي يستوي في علمه ما أسر العبد من عمل وما أظهر، الذي علم ما كان وما يكون [illegible]
وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر، يعلم ما يلج في
الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها كيف لا وهو الذي خلق وقدر، ألا يعلم
من خلق وهو اللطيف الخبير ۞ رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما الذي كتب على نفسه الرحمة و
هو أرحم الراحمين، الذي غلبت رحمته غضبه كما كتب ذلك عنده على عرشه في الكتاب المبين، الذي
وسعت رحمته كل شيء وبها يتراحم الخلائق بينهم كما ثبت عن سيد المرسلين، فانظر إلى آثار رحمة الله
كيف يحيي الأرض بعد موتها إن ذلك لمحيي الموتى وهو على كل شيء قدير ۞ الملك الحق الذي بيده ملكوت كل
شيء ولا شريك له في ملكه ولا معين، المتصرف في خلقه بما يشاء من الأمر والنهي والإعزاز والإذلال و
الإحياء والإماتة ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين، لا راد لقضائه ولا معقب لحكمه، و [illegible]
[illegible] الحكم ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين، له ملك السموات والأرض وما بينهما وإليه المصير ۞
القدوس السلام الذي تقدس بصفات الكمال، وتقدس عن كل نقص ومحال، وتعالى عن الأشباه والأمثال
حرام على العقول أن تصفه وعلى الأوهام أن تكيفه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ۞
المؤمن الذي آمن أولياءه من خزي الدنيا ووقاهم في الآخرة عذاب الهاوية، وآتاهم في هذه الدنيا
حسنة ويسكنهم دار المقامة في جنة عالية، المهيمن الذي شهد على خلقه بأعمالهم فهو القائم على كل
نفس بما كسبت لا تخفى عليه منهم خافية، إنه بعباده خبير بصير ۞ العزيز الذي لا يغالب ولا يرام
جنابه، الجبار الذي له مطلق الجبروت والعظمة وهو الذي يجبر كل كسير مما به، المتكبر الذي لا ينبغي
الكبرياء إلا له ولا يليق إلا بجنابه، العظمة إزاره والكبرياء رداؤه فمن نازعه صفة منها أحل به
الغضب والمقت والتدمير ۞ الخالق البارئ المصور لما شاء إذا شاء في أي صورة شاء من أنواع
التصوير، هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن والله بما تعملون بصير، خلق السموات والأرض
بالحق وصوركم فأحسن صوركم وإليه المصير، ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة إن الله سميع بصير
۞ الغفار الذي لو أتاه العبد بقراب الأرض خطايا ثم لقيه لا يشرك به شيئا لأتاه بقرابها مغفرة [illegible]
الذي قصم بسلطانه فقهره كل مخلوق وقهره، الوهاب الذي كرمه موهوب وواصل إلى خلقه [illegible]
جوده وعطائه وإنعامه الزاخرة، الرزاق الذي لا تنفد خزائنه ولا يغيض ما في يمينه أرأيتم ما أنفق
منذ خلق السموات والأرض ما نقص من فضله العزيز ۞ [illegible]
القوت في الأعضاء [illegible] محكما، يرزق من [illegible] من يشاء من [illegible]
[illegible] ولا [illegible] ولا يرزق [illegible] فضاء [illegible]
الأرزاق التي في هذه الدار ما يضمنه سيده [illegible] من أسباب النجاة من الإيمان ونحوه والعلم والحكمة

صورة للصفحة الأولى من مسوّدة كتاب (معارج القبول) بخط المؤلّف ـ رحمه الله ـ

صورة للصفحة الأخيرة من مسوّدة كتاب (معارج القبول) بخط المؤلّف ـ رحمه الله ـ

خطتي في تحقيق
«معارج القبول» وتخريجه

١ ـ وضعت مقدمة للكتاب.

٢ ـ أثبتُّ نبذة عن حياة المؤلف بقلم ابنه الدكتور / أحمد بن حافظ الحكمي.

٣ ـ نقلت صورة الصفحة الأولى والأخيرة من أصل منظومة (سلم الوصول) بخط الناظم ـ رحمه الله ـ.

وكذلك أثبتُّ صورة للصفحة الأولى والأخيرة من مسوَّدة كتاب «معارج القبول» بخط المؤلف رحمه الله.

٤ ـ عزوت الآيات إلى سورها.

٥ ـ قمت بعزو الأحاديث إلى مظانِّها المختلفة، وذكرت رقم الجزء والصفحة والحديث للكتب التي ذكرتها في الحاشية. فالرقمان اللذان يفصل بينهما خط مائل، الأول منهما للجزء، والثاني للصفحة من الطبعة التي اعتمدنا، والرقم الثالث للحديث. وفي حال عدم ذكر الرقم الثالث أذكر اسم الكتاب أو المؤلف على حسب الشهرة.

٦ ـ إذا عزوت الحديث إلى البيهقي مطلقاً، أعني أنه أخرجه في السنن الكبرى، وأما في غيرها فأبينه.

وإذا عزوت الحديث إلى الترمذي أو النسائي أو أبي داود أو ابن ماجَهْ أو الدارقطني أو الدارمي. أعني أنهم أخرجوه في سننهم، وأما في غيرها فأبينه.

٧ ـ وضعت الأحاديث النبوية بين علامتي تنصيص هكذا «» مع ضبطها بالشكل.

٨ ـ حكمت على الأحاديث ـ بحسب قواعد هذا الفن ـ صحة أو ضعفاً.

٩ ـ وضعت الآثار بين قوسين هكذا () مع ضبطها بالشكل.

١٠ ـ استخرجت الآثار من مظانها المختلفة وحكمت عليها صحة أو ضعفاً بقدر الإمكان.

١١ ـ عزو الأقوال إلى مصادرها ما أمكن إلى ذلك سبيلاً.

١٢ ـ إرجاع المعاني التفسيرية إلى التفاسير.

١٣ ـ شرحت الكلمات الغريبة، والعبارات الغامضة.

١٤ ـ جعلت عناوين الفصول الرئيسة في الكتاب بخط كبير واضح.

١٥ ـ أثبتُّ نص المنظومة ـ في بداية الكتاب ـ كاملة مضبوطة بالشكل.

وأبقيت تعليقات ابنه عليها كما هي وذلك لتمام الفائدة.

١٦ ـ ضبطت أبيات المنظومة ـ أثناء ورودها متخللة الشرح ـ.

١٧ ـ ضبطت الكلمات الضرورية التي تشكل على القارئ في كتاب «معارج القبول» كله، ولله الحمد والمنة.

١٨ ـ ترجمة لبعض الأعلام في هذا الكتاب.

١٩ ـ عرَّفت ببعض الفرق والطوائف في هذا الكتاب.

٢٠ ـ وضعت لكل جزء الفهارس التالية:

أ ـ فهرس الأعلام المترجم لهم.

ب ـ فهرس الفرق والطوائف المعرَّف بهم.

جـ ـ فهرس الموضوعات.

٢١ ـ سوف أضع للكتاب فهارس علمية إن شاء الله.

وفي الختام أقول:

«اللَّهُمَّ لكَ الحمدُ، أنتَ قيِّمُ السماواتِ والأرضِ، ومن فيهنَّ، ولك الحمدُ، لكَ مُلكُ السماواتِ والأرضِ ومن فيهنَّ، ولكَ الحمدُ أنتَ نورُ السماواتِ والأرضِ ومن فيهنَّ، ولك الحمدُ، أنتَ مَلِكُ السماواتِ والأرضِ ومن فيهنَّ، ولكَ الحمدُ أنتَ الحقُّ ووعدُكَ الحقُّ، ولقاؤكَ حقٌّ، وقولُكَ حقٌّ، والجنَّةُ حقٌّ، والنارُ حقٌّ، والنبيونَ حقٌّ، ومحمدٌ ﷺ حقٌّ، والساعةُ حقٌّ.

اللَّهمَّ لكَ أسلمتُ وبكَ آمنتُ، وعليك توكلتُ، وإليكَ أنبتُ، وبكَ خاصمتُ، وإليكَ حاكمتُ فاغفرْ لي ما قدَّمتُ وما أخَّرْتُ، وما أسررتُ وما أعلنتُ، أنتَ المقدِّم وأنتَ المؤخِّرُ، لا إله إلا أنت». آمين.

وكتبه: أبو مصعب: محمد صبحي بن حسن حلاق.

اليمن / صنعاء/ مساء الأحد:

٢٤/ ذي الحجة/ ١٤١٦هـ

١٢/ مايو (أيار)/ ١٩٩٦م

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

فاتحة الكتاب

الحمد لله الذي لم يتخذْ ولداً ولم يكن له شريكٌ في الملك ولم يكن له وليٌّ من الذل، وما كان معه مِن إله، **الذي لا إله إلا هو** ولا خالقَ غيرُه ولا ربَّ سواه، المستحقُ لجميع أنواع العبادةِ، ولذا قضى أنْ لا نعبُدَ إلا إياه: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [الحج: ٦٢].

عالمُ الغيبِ والشهادةِ الذي استوى في علمه ما أسرّ العبدُ وما أظهر، الذي علمَ ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، وما يعزُب عن ربك مثقالُ ذرةٍ في السمواتِ ولا في الأرض ولا أصغرُ من ذلك ولا أكبرُ: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ [سبأ: ٢]. كيف لا وهو الذي خلق وقدَّر: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤].

رحمنُ الدنيا والآخرة ورحيمُهما الذي كتب على نفسه الرحمةَ وهو أرحمُ الراحمين، الذي غلبت رحمتُه غضبَه كما كتب ذلك عنده على العرش في الكتاب المبين، الذي وسعت رحمتُه كلَّ شيءٍ، وبها يتراحم الخلائقُ بينهم كما ثبت ذلك عن سيد المرسلين: ﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الروم: ٥٠].

الملكُ الحقُ الذي بيده ملكوتُ كلِ شيء ولا شريكَ له في ملكه ولا مُعين.

المتصرفُ في خلقه بما يشاء من الأمر والنهي والإعزازِ والإذلالِ والإحياءِ والإماتةِ والهدايةِ والإضلالِ: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤]. لا رادَّ لقضائه ولا مضادَّ لأمره ولا معقِّبَ لحكمه: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ﴾ [الأنعام: ٦٢]. ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [المائدة: ١٨].

القدوسُ السلامُ الذي اتصف بصفات الكمالِ، وتقدَّس عن كل نقصٍ ومُحال، وتعالى عن الأشباه والأمثال، حرامٌ على العقول أن تصِفَه وعلى الأوهام أنْ تُكَيِّفه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

المؤمنُ الذي آمن أولياءَه من خزي الدنيا ووقاهم في الآخرة عذابَ الهاوية، وآتاهم في الدنيا حسنةً وسيُحِلُّهم دارَ المُقامةِ في جنة عالية.

المهيمنُ الذي شهد على الخلق بأعمالهم، وهو القائمُ على كل نفس بما كسبت لا تخفى عليه منهم خافيةٌ، إنه بعباده لخبير بصير.

العزيزُ الذي لا مُغالبَ له ولا مَرامَ لجنابه.

الجبَّارُ الذي له مطلقُ الجبَروتِ والعظمة، وهو الذي يجبُر كلَّ كسيرٍ مما به.

المتكبرُ الذي لا ينبغي الكبرياءُ إلا له ولا يليق إلا بجنابه، العظمةُ إزارُه والكبرياءُ رداؤُه، فمن نازَعه صفةً منها أحلَّ به الغضبَ والمقتَ والتدميرَ[1].

الخالقُ البارئُ المصوِّرُ لما شاء إذا شاء في أي صورةٍ شاء من أنواع التصوير: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝٢ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ۝٣﴾ [التغابن]. ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [لقمان: ٢٨].

---

(١) يشير المؤلف رحمه الله إلى الحديث الذي أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٢٣ رقم ١٣٦/ ٢٦٢٠)، والبخاري في «الأدب المفرد» رقم (٥٥٢) عن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة قالا: قال رسول الله ﷺ: **«العزُّ إزارُهُ، والكِبْرياءُ رِدَاؤُه، فمن يُنازِعُني عَذَّبْتُهُ»**.
وأخرجه أحمد في «المسند» (٢/ ٤١٤)، (٢/ ٢٤٨، ٣٧٦، ٤٢٧، ٤٤٢) عن أبي هريرة عن النبي ﷺ فيما يحكي عن ربه عز وجل قال: **«الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، من نازعني واحداً منهما قذفته في النار»**.
(*) وأخرجه الطيالسي في «مسنده» رقم (٢٣٨٧).
وابن أبي شيبة في «المصنف» (٩/ ٨٩).
والحميدي في «المسند» رقم (١١٤٩).
وأبو داود (٤/ ٣٥٠ رقم ٤٠٩٠) وابن ماجه (٢/ ١٣٩٧ رقم ٤١٧٤)، والبغوي في «شرح السنة» (١٣/ ١٦٩ رقم ٣٥٩٢).
وهو حديث صحيح، والله أعلم.

الغفَّارُ الذي لو أتاه العبدُ بقُراب الأرضِ خطايا ثم لقِيَه لا يشرك به شيئاً لأتاه بقرابها مغفرة. **القهَّار** الذي قصم بسلطان قَهْرِه كلَ مخلوقٍ وقَهَره.

الوهَّابُ الذي كلُ موهوبٍ وصل إلى خلقه فمن فيض بحارِ جودِه وفضلِه ونعمائِه الزاخرة.

الرزَّاقُ الذي لا تنفَدُ خزائنُه ولم يَغِضْ ما في يمينه، أرأيتم ما أنفق منذ خلق السمواتِ والأرضَ ماذا نقص من فضله الغزير، يرزُق كلَ ذي قوتٍ قوتَه ثم يدبِّر ذلك القوتَ في الأعضاء بحكمته تدبيراً مُتقَناً مُحكماً، يرزق من هذه الدنيا مَن يشاء من كافر ومسلم أموالاً وأولاداً وأهلاً وخدَماً، ولا يرزق الآخرةَ إلا أهلَ توحيدِه وطاعتِه، قضى ذلك قضاءً حتماً مُبرماً، وأشرفُ الأرزاقِ في هذه الدارِ ما رزقه عبدَه على أيدي رسلِه من أسباب النجاةِ من الإيمان والعلمِ والعملِ والحكمةِ وتبيينِ الهدى المستنير.

الفتَّاحُ الذي يفتح على من يشاء بما يشاء من فضله العميم، يفتح على هذا مالاً وعلى هذا مُلكاً وعلى هذا عِلماً وحِكمة، ذلك فضلُ اللَّهِ يؤتيه من يشاء واللَّهُ ذو الفضل العظيم: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [فاطر: ٢].

العليمُ الذي أحاط علمُه بجميع المعلوماتِ من ماض وآتٍ وظاهرٍ وكامنٍ ومتحركٍ وساكنٍ وجليلٍ وحقير، عَلِم بسابق علمِه عددَ أنفاسِ خلقِه وحركاتِهم وسكناتِهم وأعمالَهم وأرزاقَهم وآجالَهم، ومَن هو منهم من أهلِ الجنةِ ومن هو منهم من أهلِ النارِ في العذاب المُهين: ﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩].

ما من جبل إلا ويعلم ما في وَعْرِه، ولا بحرٍ إلا ويدري ما في قعره: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [فاطر: ١١].

القابضُ الباسط، فيقبِض عمن يشاء رزقَه فيَقْدِره عليه، ويبسُطه على من يشاء فيوسع عليه، وكذا له القبضُ والبسْطُ في أعمال عبادِه وقلوبِهم، كلُ ذلك إليه، إذ

هو المتفردُ بالإحياء والإماتةِ والهدايةِ والإضلال والإيجادِ والإعدامِ وأنواعِ التصرفِ والتدبيرِ.

الخافضُ الرافعُ، الضارُ النافعُ، المُعطي المانع، فلا رافعَ لمن خفض، ولا خافضَ لمن رفعه، ولا نافعَ لمن ضرّ، ولا ضارٌ لمن نفعه، ولا مانعَ لما أعطى، ولا مُعطيَ لمن هو له مانع، فلو اجتمع أهلُ السمواتِ السبعِ والأرضينَ السبعِ وما فيهن وما بينهما على خفْض من هو رافعُه أو ضرٍّ مَن هو نافعُه أو إعطاء مَن هو مانعُه لم يك ذلك في استطاعتهم بواقع: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأنعام: ١٧].

المُعزّ المُذِل الذي أعز أولياءَه المؤمنين في الدنيا والآخرة، وأيَّدهم بنصره المُبينِ وبراهينِه القويمةِ المتظاهرةِ، وأذل أعداءَه في الدارين وضَرب عليهم الذِلةَ والصَّغارَ وجعل عليهم الدائرةَ، فما لِمَن والاه وأعزه من مُذِل، وما لِمن عاداه وأذله من ولي ولا نصير.

السميعُ البصيرُ، لا كسمع ولا بَصَر أحدٍ من الورى، القائلُ لموسى وهارونَ: ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦]. فمن نفى عن الله ما وصف به نفسَه أو شبَّه صفاتِه بصفات خلقِه فقد افترى على الله كذِباً وقد خاب من افترى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣].

الحكَمُ العدْلُ في قضائه وقدَره وشرعه وأحكامِه قولاً وفعلاً: ﴿إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [هود: ٥٦].

فلا يحيفُ في حكمه ولا يجور: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦]. الذي حرَّم الظلم على نفسه وجعله بين عباده محرَّماً ووعد الظالمين الوعيدَ الأكيدَ، وفي الحديث: «**إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يُفلِته**»[١]، ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٨/ ٣٥٤ رقم ٤٦٨٦) ومسلم (٤/ ١٩٩٧ رقم ٦١/ ٢٥٨٣)، عن أبي بُرْدَة عن أبي موسى الأشعري.

(*) لَيُملي للظالم: أي يؤخر عقوبته، ويتركه ويمهله.

وهو الذي يضع الموازين القِسطَ ليوم القيامة فلا تُظلم نفس شيئاً بل يُحصي عليهم الخَردلةَ والذرَّةَ والفتيلَ والقِطمير.

اللطيفُ بعباده معافاةً وإعانةً وعفواً ورحمةً وفضلاً وإحساناً، ومن معاني لطفِه إدراكُ أسرارِ الأمورِ حيث أحاط بها خِبرةً وتفصيلاً وإجمالاً وسرّاً وإعلاناً.

الخبيرُ بأحوال مخلوقاتِه وأقوالِهم وأفعالِهم، ماذا عمِلوا، وكيف عملوا، وأين عمِلوا، ومتى عملوا، حقيقةً وكيفيةً ومكاناً وزماناً: ﴿إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ١٦].

الحليمُ فلا يعاجل أهلَ معصيتِه بالعقاب، بل يعافيهم ويُمهلهم ليتوبوا فيتوبَ عليهم إنه هو التوابُ العظيمُ، الذي اتصف بكل معنىً يوجب التعظيمَ، وهل تنبغي العظمةُ إلا لرب الأربابِ؟ خضعت لعظمته وجَبروتِه جميعُ العظماء، وذلَّ لعزته وكِبريائه كلُ كبير.

الغفورُ الشكورُ الذي يغفِر الكثيرَ من الزلل، ويقبل اليسيرَ من صالح العمل، فيضاعفُه أضعافاً كثيرةً ويُثيب عليه الثوابَ الجَلَلَ، وكلُ هذا لأهل التوحيدِ، أما الشركُ فلا يغفره ولا يقبل معه من العمل من قليل ولا كثير.

العليُّ الذي ثبت له كلُ معاني العلوِّ، علوِّ الشأن وعلوِّ القهرِ وعلوِّ الذات، الذي استوى على عرشه وعلا على خلقه بائناً من جميع المخلوقات، كما أخبر بذلك عن نفسه في كتابه وأخبر عنه رسولُه ﷺ في أصح الروايات[1]، وأجمع على ذلك أهلُ الحلِّ والعقدِ بلا نزاعٍ بينهم ولا نكير.

الكبيرُ الذي كلُ شيء دونه، والأرضُ جميعاً قبضتُه يوم القيامةِ، والسمواتُ مطوياتٌ بيمينه كما أخبر بذلك عن نفسه نصّاً بيّناً مُحكماً.

الحفيظُ على كل شيء، فلا يعزُب عنه مثقالُ ذرةٍ في الأرض ولا في

---

(١) ستأتي قريباً من حديث أبي سعيد الخدري، ومعاوية بن الحكم، وأبي الدرداء، وعبد الله بن عمرو، وعمران بن حصين، وأبي هريرة، وابن عمر، وابن عباس، والنواس بن سمعان وغيرهم.

السماء، الذي وسِع كرسيُّه السمواتِ والأرضَ ولا يؤوده حفظُهما، حفِظَ أولياءَه في الدنيا والآخرة ونجّاهم من كل أمرٍ خطير.

المُغيث لجميع مخلوقاتِه فما استغاثه ملهوفٌ إلا نجّاه.

الحسيبُ الوكيلُ الذي ما التجأ إليه مُخلِصٌ إلا كفاه، ولا اعتصم به مؤمنٌ إلا حفِظه ووقاه: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣]، فنعم المولى ونعم النصير.

الجليلُ الذي جلَّ عن كل نقصٍ واتصفَ بكل كمالٍ وجلال.

الجميلُ الذي له مُطلقُ الجمالِ في الذات والصفاتِ والأسماءِ والأفعالِ.

الكريمُ الذي لو أن أولَ الخلقِ وآخِرَهم وإنسَهم وجِنَّهم قاموا في صعيد واحدٍ فسألوه فأعطى كلَّ واحدٍ منهم مسألَته ما نقص ذلك مما عنده: «**إلا كما ينقُص المِخيَطُ إذا أُدخِلَ البحرَ**»[1] كما روى عنه نبيُه المصطفى المِفضالُ، ومِن كرمه أن يُقابِلَ الإساءةَ بالإحسان والذنبَ بالغُفران، ويقبَلَ التوبةَ ويعفو عن التقصير.

الرقيبُ على عباده بأعمالِهم، **العليمُ** بأقوالهم وأفعالِهم.

الكفيلُ بأرزاقِهم وآجالِهم وإنشائِهم ومآلِهم، **المجيبُ** لدعائِهم وسُؤالِهم وإليه المصير.

الواسعُ الذي وسِع كلَّ شيء علماً، ووسع خلقَه برزقه ونعمتِه وعفوِه ورحمتِه كرماً وحلماً: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠]، ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣].

الحكيمُ في خلقه وتدبيره إحكاماً وإتقاناً، والحكيمُ في شرعه وقدْرِه عدلاً وإحساناً، وله الحكمةُ البالغةُ والحجةُ الدامغة، ومَن أكبرُ من الله شهادةً وأوضحُ دليلاً وأقومُ برهاناً؛ فهو العدْلُ وحُكمُه عدلٌ وشرْعُه عدلٌ وقضاؤُه عدْلٌ، فله الملكُ وله الحمدُ وهو على كل شيء قديرٌ.

---

(١) وهو جزء من حديث أبي ذر الغفاري الصحيح. أخرجه مسلم (٤/ ١٩٩٤ ـ ١٩٩٥ رقم ٢٥٧٧).

الودودُ الذي يُحب أولياءَه ويُحبونه كما أخبر عن نفسه في محكم الآيات.

المجيبُ لدعوة الداعي إذا دعاه في أي مكانٍ كان وفي أي وقتٍ من الأوقات، فلا يشغَلُه سمعٌ عن سمع، ولا تختلف عليه المطالبُ ولا تشتبه عليه الأصواتُ، فيكشف الغمَّ ويُذهب الهمَّ، ويُفرِّج الكربَ ويستُر العيبَ، وهو السِّتِّيرُ.

المَجيدُ الذي هو أهلُ الثناء كما مجّد نفسَه، وهو المُمجَّد على اختلاف الألسُنِ وتبايُنِ اللغاتِ بأنواع التمجيد.

الباعثُ الذي بدأ الخلقَ ثم يعيده، وهو أهونُ عليه، إنه هو الفعّالُ لما يريد.

الشهيدُ الذي هو أكبرُ كلِ شيء شهادةً وكفى بالله شهيداً: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: ٥٣]. **هو الحقُّ** و: ﴿قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ٧٣].

القويُ المتينُ الذي لم يَقُم لقوته شيءٌ وهو الشديدُ المِحال.

الوليُ للمؤمنين فلا غالبَ لمن تولاه، وإذا أراد بقوم سوءاً فلا مردَّ له وما لهم من دونه من وال.

الحميدُ الذي ثبت له جميعُ أنواعِ المحامدِ، وهل يثبُت الحمد إلا لذي العزةِ والجلال؛ فله الحمدُ كما يقول وخيراً مما نقول، لا نُحصي ثناءً عليه هو كما أثنى على نفسه، وكيف يُحصي العبدُ الضعيفُ ثناءً على العلي الكبير.

المُحصي الذي أحصى كلَّ شيء عدداً وهو القائل: ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: ١٢].

المُبدئ المعيدُ، الذي قال وهو أصدق القائلين: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]، ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ [الروم: ٢٧].

وأنّى يُعجزه إعادتُه وقد خلقه من قبلُ ولم يك شيئاً، كلٌ يعلم ذلك ويُقِرُّ به بلا نكيرِ.

المُحيي المُميتُ، الذي انفرد بالإحياء والإماتةِ، فلو اجتمع الخلقُ على إماتة نفسٍ هو مُحييها أو إحياء نفسٍ هو مُميتُها لم يك ذلك ممكناً، وهل يقدِر المخلوقُ الضعيفُ على دفع إرادةِ الخالقِ العلاّم؟.

الحيُّ الدائمُ الباقي الذي لا يموت وكلُ ما سواه زائلٌ كما قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن].

القيُّومُ الذي قام بنفسه ولا قِوامَ لخلقه إلا به، ومن آياته أن تقومَ السماءُ والأرضُ بأمره فلا يحتاج إلى شيء وكلُ شيء إليه فقيرٌ.

الواحدُ الأحدُ الذي لا شريكَ له في إلهيته ورُبوبيّتِه وأسمائِه وصفاتِه وملكوتِه وجَبروتِه وعظمتِه وكِبريائِه وجلالِه، لا ضِدَّ له ولا ندَّ ولا شبيهَ ولا كُفؤَ ولا عديلَ.

الصمدُ الذي يَصمُد إليه جميعُ الخلائقِ في حوائجهم ومسائِلهم، فهو المقصودُ إليه في الرغائب المستغاثُ به عند المصائب، فإليه منتهى الطلباتِ، ومنه يُسأل قضاءُ الحاجات، وهو الذي لا تعتريه الآفاتُ، وهو حسبُنا ونعم الوكيلُ.

فهو **السيدُ** الذي قد كمُلَ في سُؤدُده، **والعظيمُ** الذي قد كمُل في عظمته، **والحليمُ** الذي قد كمُل في حِلمه، **والعليمُ** الذي قد كمُل في علمه.

والحكيمُ الذي قد كمُل في حكمته، وهو الذي قد كمُل في صفات الكمالِ، ولا تنبغي هذه الصفاتُ لغير الملكِ الجليلِ.

القادرُ المُقتدر الذي: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر: ٤٤].

المقدِّمُ المؤخِّرُ بقدرته الشاملةِ ومشيئتِه النافذةِ على وَفق ما قدّره وسبَق به علمُه وتمّت به كلمتُه بلا تبديلٍ ولا تغييرٍ.

الأوّلُ فليس قبله شيءٌ، **والآخِرُ** فليس بعدَهُ شيءٌ، **والظاهرُ** فليس فوقه شيءٌ، **والباطنُ** فليس دونه شيءٌ، هكذا فسَّره البشير النذير.

الوالي فلا منازِعَ له ولا مُضادَّ، **المتعالي** عن الشركاء والوزراء والنُظَراء والأنداد.

البَرُّ وصفاً وفِعلاً، ومِن برّه المنُّ على أوليائه بإنجائهم من عذابه كما وعدهم على ألسنة رسلِه، إنه لا يُخلف الميعاد.

التوابُ الذي يرزق من يشاء التوبةَ فيتوبُ عليه، وينجِّيه من عذاب السعير.

المنتقمُ الذي لم يَقم لغضبه شيءٌ، وهو الشديدُ العقابِ والبطشِ والانتقامِ.

العفُوُّ بمنّه وكرمِه عن الذنوب والآثام، **الرؤوف** بالمؤمنين، ومِن رأفته بهم أن نزَّل على عبده آياتٍ مبيِّناتٍ ليخرِجهم من ظلمات الكفرِ إلى نور الإسلام، ومن رأفته بهم أن اشترى منهم أنفسَهم وأموالَهم بأن لهم الجنةَ مع كون الجميع مُلكَه، ولم ينزِعْ عنهم التوبةَ قبل الحِمام، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التحريم: ٨].

مالكُ المُلكِ، يؤتي الملكَ من يشاء وينزِع الملك ممن يشاء، ويُعز من يشاء ويُذل من يشاء.

ذي الجلال والإكرامِ والعِزةِ والبقاء، والملكوتِ والجَبروت، والعظمةِ والكبرياء.

المُقسط الذي أرسل رسلَه بالبينات وأنزل معهم الكتاب والميزانَ ليقوم الناسُ بالقسط وما للظالمين من نصير.

الجامعُ لِشَتات الأمورِ، وهو جامعُ الناسِ ليوم لا ريبَ فيه إن الله لا يُخلف الميعاد.

الغنيُّ المغني فلا يَحتاج إلى شيء ولا تزيد في مُلكِه طاعةُ الطائعين، ولا تنقُصه معصيةُ العاصين من العباد، وكلُ خلقِه مفتقرون إليه لا غنىً بهم عن بابه طرفةَ عينٍ، وهو الكفيلُ بهم رعايةً وكفايةً، وهو الكريمُ الجوادُ، وبجوده عمَّ جميعَ الأنامِ من طائعٍ وعاصٍ وقويٍ وضعيفٍ وشَكورٍ وكَفور ومأمورٍ وأمير.

نورُ السمواتِ والأرض ومَن فيهن كما وصف نفسَه بذلك في كتابه ووصفه به محمدٌ عبدُه ورسولُه وحبيبُه ومصطفاه، وقال ﷺ مستعيذاً به: «**أعوذُ بنور وجهِك الذي أشرقت له الظلماتُ وصَلح عليه أمرُ الدنيا والآخرة أن يحِلَّ بي غضبُك أو ينزِل بي سخطُك، لك العُتبى حتى ترضَى، ولا حولَ ولا قوةَ إلا بالله**»[١].

(١) **وهو حديث ضعيف.**

=

فبصفات ربِّنا تعالى نؤمن، ولكتابه وسنةِ رسولِه نُحكِمُ، وبحكمهما نرضى ونُسلِّم، وإن أبى الملحدُ إلا جُحودَ ذلك وتأويلَه على ما يوافق هواه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [فصلت: ٤٠].

الهادي الذي بيده الهدايةُ والإضلالُ، فلا هاديَ لمن أضلَّ ولا مُضِلَّ لمن هدى: ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾ [الكهف: ١٧]، ﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام: ٣٩]، ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾ [البقرة: ١٢٠]، ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ﴾ [الحج: ٨].

البديعُ الذي أبدع السمواتِ والأرضَ وما بينهما بلطيف صنعِه وبديعِ حكمتِه بلا مُعين ولا مِثال.

الباقي الذي كلُ شيء هالكٌ إلا وجهَه، فلا ابتداءَ لأوَّليَّته، ولا لآخريَّته زوال.

الوارثُ الذي يرِث الأرضَ ومن عليها وهو خيرُ الوارثين. **وإليه المرجِعُ والمآلُ**، فبإيجاده كلُ موجودٍ وُجد، وإليه كلُ الأمورِ تصير.

الرشيدُ في كل أقوالِه وأفعالِه، فبالرشاد يأمرُ عبادَه وإليه يهديهم.

الصبورُ الذي لا أحدَ أصبرُ منه على أذى سمعه، ينسُبون له الولدَ ويجحَدون أن يُعيدهم ويُحييَهم، وكلُ ذلك بسمعه وبصرِه وعلمِه لا يخفى عليه منهم شيءٌ ثم هو يرزقُهم ويعافيهم، ذلك بأنهم لم يبلُغوا نفعَه فينفعُونه ولا ضُرَّه فيضُرُّونه، وإنما يعود نفعُ طاعتِهم إليهم، ووبالُ عصيانِهم عليهم، واستغنى اللَّهُ واللَّهُ غنيٌّ حميدٌ: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن: ٧].

= أخرجه ابن إسحاق بدون سند (٢/ ٧١ ـ سيرة ابن هشام).
وأخرجه الطبراني كما في «مجمع الزوائد» (٦/ ٣٥) وقال الهيثمي: «وفيه ابن إسحاق وهو مدلس ثقة، وبقية رجاله ثقات».
وحكم المحدث الألباني على الحديث بالضعف في تخريجه لفقه السيرة للغزالي ص١٢٦.

أحمَدُه تعالى على جزيل إنعامِه وإفضالِه، وأشكُره على جليل إحسانِه ونوالِه، وله الحمدُ على أسمائه الحسنى وصفاتِ كمالِه ونُعوتِ جلالِه، وله الحمدُ على عدله قدراً وشرعاً، وله الحمدُ في الأولى والآخرةِ وهو الحكيم الخبير.

وأشهد أن لا إله إلا اللَّهُ وحدَه لا شريكَ له، الملكُ الحقُ العليُّ الكبير، تعالى في إلهيته وربوبيتِه عن الشريك والوزير، وتقدّس في أحَديَّته وصَمديَّته عن الصاحبة والولدِ والوالدِ والوليِّ والنصير، وتنزَّه في صفات كمالِه ونعوتِ جلالِه عن الكُفؤ والنظير، وعزَّ في سلطان قَهرِه وكمالِ قدرتِه عن المنازِع والمُغالِبِ والمُعينِ والمُشير، وجلَّ في بقائه وديموميّته وغِناه وقيّوميّتِه عن المُطعم والمُجير.

وأشهد أن سيدَنا ونبيَّنا محمداً عبدُه ورسولُه البشيرُ النذير، المرسَلُ إلى الناس كافةً بالملَّة الحنيفيةِ والهُدى المنير.

بعثه اللَّهُ عز وجل رحمةً للعالمين، وأنزل عليه كتابَه المهيمن والنورَ المُبين، والهدى المستبين والمنهَج المستنير، والشركُ مضطرِمةٌ نارُه، طائرٌ شرارُه، مرتفعٌ غبارُه، لا مَغيِّرَ له ولا نكيرَ؛ فقام بتبليغ الرسالةِ حقَّ القيام، وجاهد في الله حقَّ جهادِه إعلاءً لكلمة اللَّهِ الملكِ العلَّام، حتى جاء الحقُ وزهق الباطلُ، وأدبر ليلُ الكفرِ والضلالةِ وانفجر فجرُ الإيمانِ والإسلام، ونُشرت أعلامُ التوحيد وعلا بنيانُه وأشرقت أنوارُه، ونُكّست رايةُ الشركِ وانكسرت شوكتُه وخَمدتْ نارُه ورُميَ بناؤُه بالدَّمدَمة والتكسيرِ والتدمير.

صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبِه شموسِ الهدايةِ وأوعيةِ العلم وأنصارِ الدين القويم، وتابعيهم: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠].

وعلى من اقتفى أثرَهم واتبع سيرَهم وسلك صراطَهم المستقيم، وجعلنا من المقتدين بهم المتمسّكين بالكتاب والسنةِ نقف معهما وبسيرهما نسير.

[لا نجاح للعباد إلا بمعرفة الله وتوحيده]

أما بعد؛ فاعلموا رحمكم اللَّهُ أنه لا صلاحَ للعباد ولا فلاحَ ولا نجاحَ ولا حياةَ طيبةَ ولا سعادةَ في الدارين ولا نجاةَ من خزي الدنيا وعذابِ الآخرةِ إلا

بمعرفة أولِ مفروضٍ عليهم والعملِ به، وهو الأمرُ الذي خلقهم اللَّهُ عز وجل له وأخذَ عليهم الميثاقَ به وأرسلَ به رسلَه إليهم وأنزل به كتبَه عليهم، ولأجله خُلقت الدنيا والآخرةُ والجنةُ والنارُ، وبه حقَّت الحاقةُ ووقعت الواقعة، وفي شأنِه تُنصب الموازينُ وتتطايرُ الصحفُ، وفيه تكون الشقاوةُ والسعادةُ، وعلى حسب ذلك تُقسَم الأنوارُ، ومن لم يجعل اللَّهُ له نوراً فما له من نور.

وذلك الأمرُ هو معرفةُ اللَّهِ عز وجل بإلهيته وربوبيتِه وأسمائِه وصفاتِه وتوحيدِه بذلك، ومعرفةُ ما يناقضه أو بعضِه من الشرك والتعطيلِ والتشبيهِ والتشبهِ واجتنابِ ذلك، والإيمانُ بملائكتِه وكتبِه ورسلِه واليومِ الآخِرِ وبالقدرِ خيرِه وشرِه.

وتوحيدُ الطريقِ إلى الله عز وجل بمتابعة كتابِه ورسولِه والعملِ على وَفق ما شرعه الله عز وجل ورسولُه ﷺ، ومعرفةُ ما يناقضها من البدَع المُضِلّة، ويَميل بالعبد عنها فيجانبُها كلَّ المجانبَةِ ويعوذ بالله منها؛ فإن اللَّهَ تعالى أنزل كتابَه تبياناً لكل شيء، وتفصيلَ كلِّ شيء وقال: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]، وقال: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٣].

وأرسل رسولَه بذلك الكتابِ مبلّغاً ومبيّناً ليقرَأه على الناس على مُكث ويبيّنه لهم أتمَّ البيانِ ويحكُمَ فيما هم فيه يختلفون، ويهدِيَهم به إلى صراط مستقيم، فقال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٨٩].

وقال تعالى: ﴿مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: ١١١]، وقال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤].

وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النحل: ٦٤].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة].

ولا شفاءَ للقلوب والأرواح ولا حياةَ لها إلا بطاعة اللّهِ تعالى ورسولِه ﷺ، والاستجابةِ لله تعالى ولرسوله ﷺ، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ﴿٢١﴾ ۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلۡبُكۡمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوۡ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمۡ خَيۡرٗا لَّأَسۡمَعَهُمۡۖ وَلَوۡ أَسۡمَعَهُمۡ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ ﴿٢٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ﴾ [الأنفال: ٢٠ ـ ٢٤]. الآيات.

وقال تعالى: ﴿۞ إِنَّمَا يَسۡتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسۡمَعُونَۘ وَٱلۡمَوۡتَىٰ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ﴾ [الأنعام: ٣٦].

ولم يُنج اللّهُ تعالى من عذابه ولم يَكتُب رحمَته إلا لمن اتبع كتابَه ورسولَه كما قال تعالى: ﴿عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُواْ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [الأعراف].

وقد كان الرسولُ يُبعث في قومه خاصةً وبُعث محمدٌ ﷺ إلى الناس كافة كما قال تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلۡأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [سبأ: ٢٨].

ولم يتوفَّه اللّهُ تعالى حتى أكمل له الدين وبلَّغ البلاغَ المبين، وبيّن للناس ما نُزّل إليهم أوضحَ التبيين، وترك أمتَه على المَحجّة البيضاء، ليلُها كنهارها، لا يزيغ عنها بعده إلا هالكٌ، وما من طائرٍ يطير بجناحيه إلا وقد ذكر لهم منه علماً.

وهدى اللّهُ به الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه واللّهُ يهدي من يشاء إلى صراطٍ مستقيم، كما قال تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ

﴿وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ٢١٣].

قال ابن عباس[١] رضي الله عنهما: (كان بين نوحٍ وآدمَ عشرَةُ قُرونٍ كلُّهم على شريعة من الحق فاختلفوا فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين)، وكذلك هي في قراءة عبدِ الله[٢] وأُبيِّ بنِ كعبٍ[٣]، وهذا التفسيرُ مرويٌّ عن قَتادةَ[٤] ومُجاهدٌ[٥] أيضاً.

---

(١) أخرجه ابن جرير الطبري في «جامع البيان» (٤/ ٢٧٥ رقم ٤٠٤٨ ـ شاكر).
والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٤٤٢) وقال: حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي، وهو كما قالا، ولكنه موقوف على ابن عباس. ولا يقبل مثل هذا إلا من كتاب أو سنة. وعلى هذا فله حكم الرفع، لأنه ليس للعقل فيه مجال.

(٢) أخرجه ابن جرير الطبري في «جامع البيان» (٤/ ٢٧٩ رقم ٤٠٥٧) و(٤/ ٢٨٥ رقم ٤٠٦٣) عن السدي.

(٣) أخرجه ابن جرير الطبري في «جامع البيان» (٤/ ٢٧٧ ـ ٢٧٨ رقم ٤٠٥٣).

(٤) أخرجه ابن جرير الطبري في «جامع البيان» (٤/ ٢٧٦ رقم ٤٠٤٩) عنه.

(٥) أخرجه ابن جرير الطبري في «جامع البيان» (٤/ ٢٧٧ رقم ٤٠٥٢).
قال ابن جرير (٤/ ٢٧٩ ـ ٢٨٠): «يجوز أن يكون ذلك الوقت الذي كانوا فيه أمة واحدة من عهد آدم إلى عهد نوح عليهما السلام، كما روى عكرمة عن ابن عباس، وكما قال قتادة.
وجائزٌ أن يكون: كان ذلك حين عرَض على آدم خلقه؛ وجائز أن يكون: كان ذلك في وقت غير ذلك ـ ولا دلالة من كتاب الله ولا خبر يثبت به الحجة، على أن هذه الأوقات كان ذلك. فغيرُ جائز أن نقول فيه إلا ما قال الله عز وجل: من أن الناس كانوا أمة واحدة، فبعث الله فيهم لما اختلفوا، الأنبياء والرسل.
ولا يضرُّنا الجهل بوقت ذلك، كما لا ينفَعُنا العلمُ به، إذا لم يكن العلم به لله طاعة. غير أنه أي ذلك كان، فإنَّ دليلَ القرآن واضح على أن الذين أخبر الله عنهم أنهم كانوا أمة واحدة، إنما كانوا أمة واحدة على الإيمان ودين الحق، دون الكفر بالله والشرك به. وذلك أن الله عز وجل قال في السورة التي يذكر فيها «يونس»: ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلاَّ أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلاَ كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [يونس: ١٩].
فتوَّعد جل ذكره على الاختلاف لا على الاجتماع، ولا على كونهم أمة واحدة. ولو كان اجتماعهم قبل الاختلاف كان على الكفر، ثم كان الاختلاف بعد ذلك، لم يكن إلا بانتقال بعضهم إلى الإيمان. ولو كان ذلك كذلك، لكان الوعد أولى بحكمته جل ثناؤه في ذلك الحال من الوعيد، لأنها حال إنابة بعضهم إلى طاعة، ومحالٌ أن يتوعد في حال التوبة والإنابة، ويترك ذلك في حال اجتماع الجميع على الكفر والشرك» اهـ.

وقوله: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾ [البقرة: ٢١٣]، أي من بعد ما قامت الحُججُ عليهم، وما حملهم على ذلك إلا البغيُ من بعضهم على بعض.

وقوله تعالى: ﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢١٣]، قال النبي ﷺ: «**نحن الآخِرون السَّابقون يومَ القيامةِ، فنحن أولُ الناسِ دخولاً الجنة، بَيْد أنهم أُوتوا الكتابَ من قبلنا وأُوتيناه مِن بعدِهم، فهدانا الله لِما اختلفوا فيه من الحق بإذنه؛ فهذا اليومُ الذي اختلفوا فيه وهدانا الله له، فالناسُ لنا فيه تَبعٌ فغداً لليهود وبعدَ غدٍ للنصارى**». رواه عبدُ الرزاق[1]، وهو في الصحيح[2] من طُرق بألفاظ.

---

(١) في تفسيره (١/ ٨٢ ـ ٨٣) من طرق:
الأولى: عن سليمان الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة.
وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٤/ ٢٨٣ رقم ٤٠٦٠) وأحمد (١٣/ ١٣٢ رقم ٧٣٩٥ ـ شاكر).
الثانية: عن همام بن منبه عن أبي هريرة.
وأخرجه أحمد في «المسند» (١٦/ ٢٧ ـ ٢٨ رقم ٨١٠٠ ـ شاكر) وهمام بن منبه في صحيفته (ص٤ رقم١).
الثالثة: عن ابن طاوس عن أبيه عن أبي هريرة.
وأخرجه أحمد (١٤/ ١٢٥ رقم ٧٦٩٣) عن ابن طاوس عن أبيه، عن همام بن منبه كلاهما عن أبي هريرة.
والخلاصة أن الحديث صحيح.

(٢) أخرج البخاري (٢/ ٣٥٤ رقم ٨٧٦) ومسلم (٢/ ٥٨٥ رقم ١٩/ ٨٥٥) من طريق أبي الزناد، عن الأعرج عن أبي هريرة.
وأخرج البخاري (٢/ ٣٨٢ رقم ٨٩٦) و(٦/ ٥١٥ رقم ٣٤٨٦) من طريق ابن طاوس عن أبيه عن أبي هريرة.
وأخرج مسلم (٢/ ٥٨٥ رقم (٠٠٠)/ ٨٥٥) من طريق أبي الزناد عن الأعرج، وابن طاوس عن أبيه، كلاهما عن أبي هريرة.
وأخرج مسلم (٢/ ٥٨٥ ـ ٥٨٦ رقم ٢٠/ ٨٥٥) من طريق الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة.
وأخرج البخاري (١١/ ٥١٧ رقم ٦٦٢٤) ومسلم (٢/ ٥٨٦ رقم ٢١/ ٨٥٥) من طريق همام بن منبه، عن أبي هريرة.
(*) وأخرج البخاري الجزء الأول من الحديث: (٦/ ١١٦ رقم ٢٩٥٦) و(١/ ٣٤٥ رقم ٢٣٨) و(١٢/ ٢١٥ رقم ٦٨٨٧) و(١٣/ ٤٦٤ رقم ٧٤٩٥) و(١١/ ٥١٧ رقم ٦٦٢٤) و(١٢/ ٤٢٣ رقم ٧٠٣٦) من طريق همام بن منبه عن أبي هريرة.

وعن عبدِ الرحمنِ بنِ زيدِ بنِ أسلمَ عن أبيه[1] في قوله تعالى: ﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢١٣]، فاختلفوا في يوم الجمعةِ فاتخذوا اليهودُ يومَ السبتِ والنصارى يومَ الأحد، فهدى اللّهُ أمةَ محمدٍ ليوم الجمعة، واختلفوا في القِبلة فاستقبلت النصارى الشرقَ واليهودُ بيتَ المقدس، وهدى الله تعالى أمةَ محمدٍ للقبلة.

واختلفوا في الصلاة، فمنهم من يركع ولا يسجُد ومنهم من يسجُد ولا يركع، ومنهم من يصلي وهو يتكلم، ومنهم مَن يصلي وهو يمشي، فهدى الله تعالى أمةَ محمدٍ للحق من ذلك.

واختلفوا في إبراهيمَ عليه الصلاة والسلام، فقالت اليهودُ كان يهودياً، وقالت النصارى كان نصرانياً، وجعله الله حنيفاً مسلماً، فهدى اللّهُ أمةَ محمدٍ إلى الحق من ذلك.

واختلفوا في عيسى عليه الصلاة والسلام، فكذبت اليهودُ وقالوا لأمه بهتاناً عظيماً، وجعلَته النصارى إلهاً وولداً، وجعله الله تعالى روحَه وكلمتَه، فهدى اللّهُ أمةَ محمد ﷺ إلى الحق من ذلك.

وقال الربيعُ بنُ أنسٍ[2] في قوله عز وجل: ﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢١٣]: أي عند الاختلافِ أنهم كانوا على ما جاءت به الرسلُ قبلَ الاختلافِ، أقاموا على الإخلاص لله عز وجل وحده وعبادتِه لا شريكَ له، وإقامِ الصلاة وإيتاء الزكاة، فأقاموا على الأمر الأولِ الذي كان قبلَ الاختلافِ، وكانوا شهداءَ على الناس يومَ القيامة، شهداءَ على قومِ نوح وقوم هودٍ وقومِ صالحٍ وقومِ شعيبٍ وآلِ فرعونَ، وأن رسُلَهم قد بلَّغوهم وأنهم كذبوا رسُلَهم، وفي قراءة أبيِّ بنِ كعبٍ[3]: وليكونوا شهداءَ على الناس يوم القيامة، ﴿وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ٢١٣].

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٤/ ٢٨٤ رقم ٤٠٦١ ـ شاكر).
(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٤/ ٢٨٥ رقم ٤٠٦٢ ـ شاكر).
(٣) انظر «جامع البيان» (٤/ ٢٨٥) وتفسير ابن كثير (١/ ٢٥٨).

وكان أبو العاليةِ رحمه الله تعالى يقول[1]: في هذه الآية المخرجُ من الشبهات والضلالاتِ والفتنِ.

وفي الصحيحين[2] عن عائشةَ رضي الله عنها أن رسولَ الله ﷺ كان إذا قام يصلي من الليل قال: **«اللهم ربَّ جبريلَ وميكائيلَ وإسرافيلَ، فاطرَ السمواتِ والأرضِ عالمَ الغيبِ والشهادةِ أنت تحكم بين عبادِك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدِني لما اختُلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم»**.

وفي الدعاء المأثور[3]: **«اللهم أرِنا الحقَّ حقاً وارزُقنا اتباعَه، وأرِنا الباطلَ باطلاً وارزُقنا اجتنابَه، ولا تجعلْه ملتبِساً علينا فنضِلَّ، واجعلنا للمتقين إماماً»**.

اختلافُ الفِرَقِ الإسلامية

واعلم أنه كما أخبرنا اللَّهُ تعالى عن الأمم السابقةِ أنهم اختلفوا اختلافاً شديداً وافترقوا افتراقاً بعيداً، وفي ذلك أعظمُ واعظٍ وأكبرُ زاجرٍ عن الاختلاف والتفرقِ،

---

(١) انظر «جامع البيان» (٤/ ٢٨٥) وتفسير ابن كثير (١/ ٢٥٨).

(٢) لم يخرجه البخاري بل أخرجه مسلم رقم (٧٧٠) وأبو داود رقم (٧٦٧) والترمذي رقم (٣٤٢٠) والنسائي (٣/ ٢١٢ ـ ٢١٣) وابن ماجه رقم (١٣٥٧) وأحمد (٦/ ١٥٦) وأبو عوانة (٢/ ٣٠٤ ـ ٣٠٥، ٣٠٥) والبغوي رقم (٩٥٢) من طرق...

(٣) ذكره ابن كثير في تفسيره (١/ ٢٥٨) بدون سند ولا راوٍ ولا مخرِّج.

(*) وذكر الغزالي في الإحياء (٢/ ٣٦٩) الدعاء التالي:

«اللهم أرني الحق حقاً فأتبعه، وأرني المنكر منكراً وارزقني اجتنابه، وأعذني من أن يشتبه عليَّ فأتبع هواي بغير هدى منك، واجعل هواي تبعاً لطاعتك، وخذ رضا نفسك من نفسي في عافية، واهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم».

قال العراقي: لم أقف لأوله على أصل. وروى المستغفري في الدعوات من حديث أبي هريرة كان النبي ﷺ يدعو فيقول: **«اللهم إنك سألتنا من أنفسنا ما لا نملكه إلا بك فأعطنا منها ما يرضيك عنا»**، وفيه: ولهان بن خبير ضعفه الأزدي.

ولمسلم ـ رقم ٧٧٠ ـ من حديث عائشة فيما كان يفتتح به صلاته من الليل: **«اهدني لما اختلف فيه»** إلى آخر الحديث وقد تقدم.

قال ابن السبكي: (٦/ ٣٢٥) لم أجد له إسناداً.

[تخريج أحاديث إحياء علوم الدين، للعراقي وابن السبكي والزبيدي. استخراج أبي عبد الله محمود بن محمد الحداد (٣/ ١٤١٨ رقم ٢١٧١)].

ولم يقتصر سبحانه في تذكيرنا بذلك عليه بل زجَرنا عن الاختلاف زجْراً شديداً، وتوعّد على ذلك وعيداً أكيداً، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران: ١٠٥ ـ ١٠٦]. قال ابنُ عباس[١] رضي الله عنهما: تبيضُّ وجوهُ أهلِ السنة والائتلافِ، وتسوّدُّ وجوهُ أهلِ البدعِ والاختلاف.

ثم فصّل تعالى مآلَ الفريقين، وأين تُوصِل أهلَها كلٌّ من الطريقين، فقال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾﴾ [آل عمران].

وحذَّرنا عن ذلك نبيُنا محمدٌ ﷺ الذي هو أولى بنا من أنفسنا فقال ﷺ: **«ألا وإن مَن كان قبلكم من أهل الكتابِ افترقوا على ثنتين وسبعينَ مِلةً، وإن هذه الملةَ ستفترق على ثلاث وسبعين، ثنتان وسبعون في النار وواحدةٌ في الجنة وهم الجماعة»**[٢].

---

(١) أخرجه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (١/ ٧٩ رقم ٧٤) موقوفاً.
وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٢/ ٦٣) إلى ابن أبي حاتم، وأبو نصر في «الإبانة» والخطيب في «تاريخه» واللالكائي في «السنة».
وذكر السيوطي كذلك أن هذا الأثر الموقوف ورد مرفوعاً عن ابن عمر، وأبي سعيد الخدري.
وقد ذكر ابن كثير أثر ابن عباس في تفسيره (٢/ ١٠٥ ـ ١٠٦) بدون سند وكذلك البغوي (٢/ ٨٧).

(٢) وهو حديث حسن.
أخرجه أحمد (٤/ ١٠٢) وأبو داود رقم (٤٥٩٧) والدارمي (٢/ ٢٤١) والحاكم (١/ ١٢٨) والآجري في «الشريعة» (ص١٨) وابن بطة في «الإبانة» (١/ ٣٧١ رقم ٢٦٨ك١) والمرزوي في «السنة» رقم (٥٠، ٥١) وابن أبي عاصم في «السنة» رقم (١) و(٢) و(٦٥) واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» رقم (١٥٠).
قال الحاكم وقد ساقه عقب حديث أبي هريرة المتقدم: هذه أسانيد تقام بها الحجة في تصحيح هذا الحديث. ووافقه الذهبي.
وقال ابن حجر في «تخريج أحاديث الكشاف» (ص٦٣): **إسناده حسن**.
وقال الألباني في «ظلال الجنة»: **حديث صحيح** بما قبله وما بعده.
وانظر شواهد هذا الحديث في «الصحيحة» رقم (٢٠٤).

وفي بعض الرواياتِ: «**هم مَن كان على مثل ما أنا عليه اليومَ وأصحابي**»[(١)].

وقد حصل مصداقُ ما أخبر به الرسولُ ﷺ وهو الصادقُ المصدوقُ، من الافتراق وتفاقُم الأمرِ وعِظَم الشِقاق، فاشتد الاختلافُ ونَجمت البدعُ والنفاق؛ فافترقوا في أسماء اللّهِ تعالى وصفاتِه إلى نُفاةٍ مُعطِّلة وغُلاةٍ ممثِّلة، وفي باب الإيمان والوعدِ والوعيدِ إلى مُرْجِئة ووعيديةٍ من خوارجَ ومعتزلة، وفي باب أفعالِ اللّهِ وأقدارِه إلى جبرية غُلاةٍ وقدَريةٍ نُفاةٍ، وفي أصحاب رسولِ الله ﷺ وأهل بيتِه إلى رافضة غُلاةٍ وناصبةٍ جُفاة، إلى غير ذلك من فِرَق الضلالِ وطوائِف البدعِ والانتحال، وكلُ طائفةٍ من هذه الطوائفِ قد تحزّبت فِرَقاً وتشعّبت طُرقاً، وكلُ فرقةٍ تكفِّر صاحبتِها وتزعُم أنها هي الفِرقةُ الناجيةُ المنصورة.

---

(١) هذا اللفظ رواه جماعة من الصحابة: منهم عبد الله بن عمرو، وسعد بن أبي وقاص، ومعاوية بن أبي سفيان، وأنس بن مالك، وعوف بن مالك، وأبو هريرة، وعلي وغيرهم.

١ ـ عبد الله بن عمرو.

أخرجه الترمذي رقم (٢٦٤١) من طريق أبي داود الحضري عن سفيان به، وقال الترمذي: هذا حديث مفسر غريب لا نعرفه مثل هذا إلا من هذا الوجه.

وأخرجه المروزي في «السنة» رقم (٥٩) من طريق عبد الرحمن بن محمد المحاربي عن الأفريقي به.

وأخرجه اللالكائي رقم (١٤٧) من طريق قبيصة قال: حدثنا سفيان به.

كما أخرجه ابن وضاح (ص٨٥) من طريق إسماعيل بن عياش عن الأفريقي به.

وكذا أخرجه الآجري في «الشريعة» (ص١٥).

والحديث ضعيف لسببين:

الأول: أن مداره على الأفريقي وهو ضعيف الحفظ.

والثاني: أن المحاربي مدلس ولم يصرح فيه بالتحديث بل عنعنه.

وقال الحاكم في «المستدرك» (١٢٨/١): وقد روى هذا الحديث عن عبد الله بن عمرو بن العاص بإسنادين تفرد به عبد الرحمن بن زياد الأفريقي، والآخر: كثير بن عبد الله المزني ولا تقوم بهما الحجة.

هذا وقد حسَّن الألباني الحديث في «صحيح الجامع» رقم (٥٢١٩).

قلت: وللحديث طرق يتقوى بها.

وانظر تخريج أحاديث الصحابة الباقين في كتابنا: «إعلام الأنام بعقيدة الإسلام».

وخلاصة القول أن الحديث حسن لغيره.

الفرقةُ الناجيةُ

وقد أخبر الصادقُ المصدوقُ ﷺ أن الفرقةَ الناجيةَ هم من كان على مثل ما كان عليه هو وأصحابُه، وليس أحدٌ من هؤلاء كذلك، بل إنهم قد ضلُّوا من قبلُ وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل.

وذلك لأنه لا يُعرَف ما كان عليه النبيُّ ﷺ وأصحابُه إلا من طريق سُننِه المرويةِ وآثارِه المُصطفوية التي هي الشريعةُ الغراءُ والمَحجّةُ البيضاء، وهؤلاء من أبعد الناسِ عنها وأنفرِهم منها، وإنما تصلُح هذه الصفة لَحملَتها وحُفّاظِها ونُقّادِها المنقادين لها المتمسكين بها، الذابّين عنها، يقِفون عندها ويسيرون بسيرها، لا ينحرفون عنها يميناً ولا شمالاً، ولا يقدّمون عليها لأحد مَقالاً، ولا يبالون مَن خالفهم ولا من خذلهم، ولا يضُرّهم ذلك حتى يأتيَ أمرُ اللَّهِ تبارك وتعالى.

أعني بذلك أئمةَ الحديثِ وجَهابذةَ السنةِ وجيشَ دولتِها، المرابطين على ثغورها، الحافظين حدودها، الحامين حَوزتَها، وفقهم اللَّهُ عز وجل للاستضاءة بنورها والاهتداء بهديها القويمِ، وهداهم لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه واللَّهُ يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، فآمنوا بما أخبر الله به في كتابه وأخبر به عبدُه ورسولُه محمدٌ ﷺ في سُنته، وتلقّوه بالقَبول والتسليم إثباتاً بلا تكييفِ ولا تمثيلِ وتنزيهاً بلا تحريفِ ولا تعطيل، فهم الوسطُ في فِرَق هذه الأمةِ كما أن هذه الأمةَ هي الوسطُ في الأمم.

فهم وسطٌ في باب صفاتِ الله تعالى بين أهل التعطيلِ الجَهْمية وأهلِ التمثيلِ المشبّهة، وهم وسطٌ في باب أفعالِ الله تعالى بين الجَبْرية والقدَرية، وفي باب وعيدِ الله بين المُرجِئة والوعيدية من القدَرية وغيرهم، وفي باب الإيمانِ والدين بين الحَروريةِ والمعتزلة وبين المُرجئة والجَهْمية، وفي أصحاب رسول الله ﷺ بين الرافضة والخوارج.

فهم والله (أهلُ السنة والجماعة)، وهم الطائفةُ المنصورةُ إلى قيام الساعة، الذين لم تزل قلوبُهم على الحق متفقةً مؤتلفةً، وأقوالهم وأعمالُهم وعقائِدُهم على الوحي لا مفترقةً ولا مختلفةً.

فانتدبوا لنُصرة الدين دعوةً وجهاداً، وقاوموا أعداءَه جماعاتٍ وفُرادى، ولم

يخشَوا في الله لومةَ لائم، ولم يبالوا بعداوة مَن عادى، فقهروا البدعَ المُضِلةَ وشرّدوا بأهلها واجتثُّوا شجرةَ الإلحاد بمعاول السُنةِ من أصلها، فبهتوهم بالبراهينِ القطعيةِ في المحافل العديدة، وصنَّفوا في رد شُبَهِهِم ودفعِ باطلِهم وإدحاضِ حُججهم الكتبَ المفيدة، فمنهم المتقصّي للرد على الطوائف بأسرها، ومنهم المخلِّصُ لعقائد السلفِ الصالحِ من غيرها.

ولم تنجُمْ بدعةٌ من المضلين الملحدين، إلا ويقيض اللَّهُ لها جيشاً من عبادِه المخلصين، فحفِظ اللَّهُ بهم دينه على العباد، وأخرجهم بهم من ظلمات الزيغِ والضلالةِ إلى نور الهدى والرشاد، وذلك مصداقُ وعدِ اللَّهِ عز وجل بحفظِه الذِكْرَ الذي أنزله، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، وإعلاءً لكلمته وتأييداً لحزبه إذ يقول: ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَـٰلِبُونَ﴾ [الصافات: ١٧٣].

سببُ نظمِ المتن وتأليفِ الشرح

وقد سألني من لا تسعني مخالفتُه من المحبين[١]، أن أنظِم مختصراً يسهُل حفظُه على الطالبين، ويَقْرب منالُه للراغبين، ويُفصحُ عن عقيدة السلفِ الصالحِ ويُبين؛ فأجبتُه إلى ذلك مستعيناً بالله، راجياً الثوابَ من الله، قائلاً لا حولَ ولا قوة إلا بالله.

وضممتُ إلى ذلك مسائلَ نافعةً تتعلق بهذه العصورِ من التنبيه على ما افتُتن به العامةُ من عبادة الأشجارِ والأحجارِ والقبور، ومناقضتِهم التوحيدَ بالشرك الذي هو أقبحُ المحظور، وصَرْفِ جُلِّ العبادةِ لغيرِ الله من الدعاء والرجاء والخوفِ والمحبةِ والذبحِ والنُذور، فيسَّر الله تعالى ذلك بمنه وإفضالِه، وأعانني وله الحمدُ والمنَّة على إكماله، وسميتُه (**سُلَّمُ الوصول، إلى مباحث علمِ الأصول**).

فلما انتشر بأيدي الطلاب، وعظُمت فيه رغبةُ الأحباب، سُئل مني أن أعلق عليه تعليقاً لطيفاً، يَحُل مُشكِلَه ويفصّل مُجملَه، مقتصراً على ذكر الدليلِ ومدلولِه، من كلام اللَّهِ تعالى وكلامِ رسولِه، فاستخرتُ اللَّهَ تعالى بعلمه، واستقدرتُه بقدرته، فعنَّ لي أن أعزِمَ على ذلك الأمرِ المسؤولِ مستمداً من الله تعالى الإعانةَ على نيل

---

(١) وهو شيخه «القرعاوي».

السُّول، وسمَّيتُه **(معارج القبول، بشرح سلم الوصول، إلى علم الأصول)**.

واللَّهَ أسأل أن يُعينَ على إكمالِه بمنه وفضلِه، وأن ينفعني وطلابَ العلمِ به وبأصلِه، وأن يهديَنا الصراطَ المستقيمَ، ويجعلَنا من أنصار التوحيدِ وأهلِه، إنه سميعٌ قريبٌ مجيب، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.



نصُّ منظومة

سُلَّمُ الوُصُول، إلى عِلْم الأصُول
في توحيد الله واتِّباع الرَّسُول ﷺ[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

أَبْدَأُ بِاسْمِ اللَّهِ مُسْتَعِينَا ... رَاضٍ بِهِ مُدَبِّراً مُعِينَا
والْحَمْدُ لِلَّهِ كَمَا هَدَانَا ... إِلَى سَبِيلِ الْحَقِّ واجْتَبَانَا
أَحْمَدُهُ سُبْحَانَهُ وَأَشْكُرُهْ ... وَمِنْ مَسَاوِي عَمَلِي أَسْتَغْفِرُهْ
وأَسْتَعِينُهُ عَلَى نَيْلِ الرِّضَا ... وأَسْتَمِدُّ لُطْفَهُ فِيمَا قَضَى
وبعدُ: إنِّي بِالْيَقِينِ أَشْهَدُ ... شَهَادَةَ الإِخْلاصِ أَنْ لا يُعْبَدُ
بِالحقِّ مأْلُوهٌ[2] سِوَى الرَّحْمَنِ ... مَنْ جَلَّ عَنْ عَيْبٍ وَعَنْ نُقْصَانِ
وأَن خَيْرَ خَلْقِهِ مُحَمَّدا ... مَنْ جَاءَنَا بِالْبَيِّنَاتِ والْهُدَى
رسولُه إلى جَمِيعِ الْخَلْقِ ... بِالنُّورِ والْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ
صلَّى عَلَيْهِ رَبُّنَا وَمَجَّدا ... والآلِ[3] وَالصَّحْبِ دَوَاماً سَرْمَدَا

---

(١) طبعت منظومة (سلم الوصول) عدة طبعات، لم تخل من التصحيف والأخطاء المطبعية، وعندي من هذه المنظومة نسخة (مبيضة) كتبها الوالد (الناظم) ـ رحمه الله تعالى ـ بخطه، كنت أريد الاعتماد عليها في سرد نص المنظومة هنا، ولكن عند المقارنة بين أبياتها في هذه النسخة وبين أبياتها الواردة في شرحها (معارج القبول) ـ الطبعة الأولى ـ وجدت اختلافات يسيرة في عدة كلمات استحسن الناظم ـ رحمه الله ـ تعديلها، وإن لم يكن لها أدنى تغيير في المعنى، وقد رأيت أن أجعل من الرواية الواردة في (المعارج) أساساً لنقل المنظومة في هذا الموضع مراعاة للشرح المترتب عليها غالباً، مع العناية بالإشارة في الهامش إلى ما يقابلها في النسخة الخطية المذكورة عند وجود الاختلاف.

(٢) في النسخة الخطية: مألوهاً.

(٣) والآل معطوفاً على الضمير في «عليه» والقاعدة النحوية تقول: «لا يُعطف على الضمير المجرور إلا بإعادة الجار» وعدّ بعضهم العطف بدونه لحناً. ولعل الناظم رحمه الله أخذ برأي من يجيز ذلك من أئمة النحو، أو أن ضرورة الشعر اقتضت ذلك. (أبو مصعب).

وَبَعْدُ: هَذَا النَّظْمُ في الأُصُولِ … لِمَنْ أَرَادَ مَنْهَجَ الرَّسُولِ

سَأَلَنِي إِيَّاهُ مَنْ لا بُدَّ لِي … مِنِ امْتِثَالِ سُؤْلِهِ(١) الْمُمْتَثَلِ

فَقُلْتُ مَعْ عَجْزِي وَمع إِشْفَاقِي … مُعْتَمِداً عَلَى الْقَدِيرِ الْبَاقِي:

❁ ❁ ❁

مقدمةٌ

تُعرِّف العبدَ بما خُلِق له، وبأول ما فَرض الله تعالى عليه وبما أخذ الله عليه به الميثاقَ في ظهر أبيه آدمَ، وبما هو صائرٌ إليه

اِعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ جَل وَعَلاَ … لَمْ يَتْرُكِ الْخَلْقَ سُدَى وَهَمَلاَ

بَلْ خَلَقَ الْخَلْقَ لِيَعْبُدُوهُ … وَبالإِلَهِيَّةِ يُفْرِدُوهُ

أَخْرَجَ فِيمَا قَدْ مَضَى مِن ظَهْرِ … آدَمَ ذُرِّيَّتَهُ كَالذَّرِّ

وَأَخَذَ الْعَهْدَ عَلَيْهِمْ أَنَّهُ … لاَ رَبَّ مَعْبُودٌ بِحَقٍّ غَيْرَهُ

وَبَعْدَ هَذَا رُسْلَهُ قَدْ أَرْسَلاَ … لَهُمْ وَبالْحَقِّ الْكِتَابَ أَنْزَلاَ

لِكَيْ بِذَا الْعَهْدِ يُذَكِّرُوهُم … وَيُنْذِرُوهُمْ وَيُبَشِّرُوهُمْ(٢)

كَيْ لاَ يَكُونَ حُجَّةٌ لِلنَّاسِ بَلْ … لِلَّهِ أَعْلَى حُجَّةٍ عَزَّ وَجَلْ

فَمَنْ يُصَدِّقْهُمْ بِلاَ شِقَاقِ … فَقَدْ وَفَى بِذَلِكَ الْمِيثَاقِ

وَذَاكَ نَاجٍ مِن عَذَابِ النَّارِ … وَذَلِكَ الْوارِثُ عُقْبَى الدَّارِ

وَمَنْ بِهِمْ وَبالْكِتَابِ كَذَّبَا … وَلاَزَمَ الإِعْرَاضَ عَنْهُ والإِبَا

فَذَاكَ نَاقِضٌ كِلاَ الْعَهْدَيْنِ … مُسْتَوْجِبٌ لِلْخِزْيِ في الدَّارَيْنِ

---

(١) في النسخة الخطية: أمره. وواضح أنه يقصد بذلك شيخه الداعية المصلح الشيخ عبد الله بن **محمد القرعاوي** ـ رحمه الله تعالى ـ الذي كان قد طلب منه في نحو سنة ١٣٦٢هـ أيام طلبه للعلم على يديه أن ينظم متناً مختصراً في العقيدة يسهل على الطلاب حفظه واستيعابه، ويكون أيضاً بمثابة اختبار لتحصيله العلمي في هذا الفن، فكانت هذه المنظومة المباركة: (انظر ما قدمته في ترجمته من هذه الطبعة).

(٢) في النسخة الخطية: وينذروهم ويحذروهم.

[ال] ـ فصلُ ـ [الأول]
في كون التوحيد ينقسم إلى نوعين
وبيان النوع الأول
وهو توحيدُ المعرفةِ والإثبات

أَوَّلُ وَاجِبٍ عَلَى الْعَبِيدِ ... مَعْرِفَةُ الرَّحْمَنِ بالتَّوْحِيدِ
إِذْ هُوَ مِن كُلِّ الأَوَامِرْ أَعْظَمُ ... وَهُوَ نَوْعَانِ أَيَا مَن يَفْهَمُ
إِثْبَاتُ ذَاتِ الرَّبِّ جَلَّ وَعَلاَ ... أَسْمَائِهِ الْحُسْنَى صِفَاتِهِ الْعُلَى
وَأَنَّهُ الرَّبُّ الْجَلِيلُ الأَكْبَرُ ... الْخَالِقُ الْبَارِئُ وَالْمُصَوِّرُ
بَارِي الْبَرَايَا مُنْشِئُ الْخَلائِقِ ... مُبْدِعُهُمْ بِلاَ مِثَالٍ سَابِقِ
الأَوَّلُ الْمُبْدِي بِلاَ ابْتِدَاء ... والآخِرُ الْبَاقِي بِلاَ انْتِهَاء
الأَحَدُ الْفَرْدُ الْقَدِيرُ الأَزَلِيّ ... الصَّمَدُ الْبَرُّ الْمُهَيمِنُ الْعَلِيّ
عُلُوَّ قَهْرٍ وَعُلُوَّ الشَّانِ ... جَلَّ عَنِ الأَضْدَادِ وَالأَعْوَانِ
كَذَا لَهُ الْعُلُوُّ وَالْفَوقِيَّهْ ... عَلَى عِبَادِهِ بِلاَ كَيفِيَّهْ
وَمَعَ ذَا مُطَّلِعٌ إِلَيهِمُ ... بِعِلْمِهِ مهَيْمِنٌ عَلَيْهِمُ
وَذِكْرُهُ لِلْقُرْبِ وَالْمَعِيَّة ... لَمْ يَنْفِ لِلْعُلُوِّ وَالْفَوقِيَّة
فَإِنَّهُ الْعَلِيُّ فِي دُنُوِّهِ ... وَهُوَ الْقَرِيبُ جَلَّ فِي عُلُوِّهِ
حَيٌّ وَقَيُّومٌ فَلاَ يَنَامُ ... وَجَلَّ أَنْ يُشْبِهَهُ الأَنَامُ
لاَ تَبْلُغُ الأَوْهَامُ كُنْهُ ذَاتِهِ ... وَلاَ يُكَيِّفُ الْحِجَا صِفَاتِهِ
بَاقٍ فَلاَ يَفْنَى وَلاَ يَبِيدُ ... وَلاَ يَكُون غَيْرُ مَا يُرِيدُ
مُنْفَرِدٌ بِالْخَلْقِ وَالإِرَادَهْ ... وَحَاكِمٌ ـ جَلَّ ـ بِمَا أَرَادَهْ
فَمَنْ يَشَأْ وَفَّقَهُ بِفَضْلِهِ ... وَمن يَشَأْ أَضَلَّهُ بِعَدْلِهِ
فَمِنْهُمُ الشَّقِيُّ وَالسَّعِيدُ ... وذَا مُقَرَّبٌ وَذَا طَرِيدُ
لِحِكْمَةٍ بَالِغَةٍ قَضَاهَا ... يَسْتَوْجِب الْحَمْدَ على اقتِضاهَا
وَهُوَ الَّذِي يَرَى دَبِيبَ الذَّرّ ... في الظُّلُمَاتِ فَوْقَ صُمِّ الصَّخْرِ
وَسَامِعٌ لِلْجَهْرِ وَالإِخْفَاتِ ... بِسَمْعِهِ الْوَاسعِ لِلأَصْوَاتِ

وَعِلْمُهُ بِمَا بَدَا وَمَا خَفِي ... أَحَاطَ علماً بالْجَليِّ وَالْخَفِي[1]

وَهْوَ الْغَنِيُ بِذَاتِهِ سُبْحَانَهُ ... جَلَّ ثَنَاؤُهُ تَعَالَى شَانُهُ

وَكُلُّ شَيْءٍ رِزْقُهُ عَلَيْهِ ... وَكُلُّنَا مُفْتَقِرٌ إِلَيْهِ

كَلَّمَ مُوسَى عَبْدَهُ تَكْلِيمَا ... وَلَمْ يَزَلْ بِخَلْقِهِ عَلِيمَا

كَلاَمُهُ جَلَّ عَنِ الإِحْصَاءِ ... وَالْحَصْرِ وَالنَّفَادِ وَالْفَنَاءِ

لَوْ صَارَ أَقلاَماً جَمِيعُ الشَّجَرِ ... وَالْبَحْرُ تُلقَى فِيهِ سَبْعَةُ أَبْحُر

وِالْخَلْقُ تَكْتُبُهُ بِكُلِّ آنِ ... فَنَتْ وَلَيْس الْقَوْلُ مِنهُ فَانِ

وَالْقَوْلُ فِي كِتَابِهِ الْمُفَصَّلْ ... بِأَنَّهُ كَلاَمُهُ الْمُنَزَّلْ

عَلَى الرَّسُولِ الْمُصْطَفَى خَيرِ الورَى ... لَيْسَ بِمَخْلُوق وَلا بِمُفْتَرَى

يُحْفَظُ بِالْقَلْبِ وَبِاللِّسَانِ ... يُتْلَى كَمَا يُسْمَعُ بِالآذَانِ

كَذَا بِالأَبْصَارِ إِلَيهِ يُنْظَرُ ... وَبِالأَيَادي خَطُّهُ يُسَطَّرُ

وَكُلُّ ذِي مَخْلُوقَةٌ حَقِيقَهْ ... دُونَ كَلاَمِ بَارِئِ الْخَلِيقَهْ

جَلَّتْ صِفَاتُ رَبِّنَا الرَّحْمنِ ... عَنْ وَصْفِهَا بِالْخَلْقِ وَالْحِدْثَانِ

فَالصوْتُ والأَلْحَانُ صَوْتُ الْقارِي ... لكِنَّمَا الْمَتْلُوُّ قَوْلُ الْبَارِي

مَا قَالَهُ لاَ يَقبَلُ التَّبْدِيلا[2] ... كَلَّا وَلاَ أَصْدَقَ مِنهُ قِيلا

وَقَدْ رَوَى الثِّقَاتُ عَن خَيْرِ المَلاَ ... بِأَنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَعَلاَ

فِي ثُلُثِ اللَّيلِ الأخيرِ يَنزِلُ ... يَقُولُ هَلْ مِن تَائِب فَيُقْبِلُ

هَلْ مِنْ مُسِيءٍ طالِبٍ لِلْمَغْفِرَة ... يَجِدْ كَرِيماً قَابِلًا لِلْمَعْذِرَهْ

يَمُنُّ بِالْخَيرَاتِ وَالْفَضَائِلْ ... وَيَسْتُرُ العَيْبَ ويعطي السَّائِلْ

وأَنَّهُ يجِيءُ يومَ الفَصْلِ ... كَمَا يَشَاءُ لِلْقَضَاءِ الْعَدْلِ

وَأَنَّهُ يُرَى بِلا إِنْكَارِ ... فِي جَنَّةِ الفِرْدَوْسِ بِالأَبْصَارِ

كُلٌّ يَرَاهُ رُؤيَةَ العِيَانِ ... كَمَا أَتَى فِي مُحْكَمِ الْقُرآنِ

وَفِي حَدِيثِ سَيِّدِ الأَنَامِ ... مِنْ غَيرِ مَا شَكٍّ وَلاَ إِبْهَامِ

رُؤْيَةَ حَقٍ لَيْسَ يَمْتَرُونَهَا ... كَالشَّمْسِ صَحْواً لاَ سَحَابَ دُونَهَا

---

(١) ورد هذا البيت في النسخة الخطية متوسطاً بين البيتين السابقين قبله.

(٢) في النسخة الخطية: ما إن لما قد قاله تبديلاً.

وَخُصَّ بِالرُّؤْيَةِ أَوْلِيَاؤُهُ فَضِيلَةً وَحُجِبُوا أَعداؤُهُ

وَكُلُّ مَا لَهُ مِنَ الصِّفَاتِ أَثْبَتَهَا فِي مُحْكَمِ الآيَاتِ

أَوْ صَحَّ فِيمَا قَالَهُ الرَّسُولُ فَحَقُّهُ التَّسْلِيمُ وَالقَبُولُ

نُمِرُّهَا صَرِيحَةً كَمَا أَتَتْ مَعَ اعْتِقَادِنَا لِمَا لَهُ اقْتَضَتْ

مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلاَ تَعْطِيلِ وَغَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلاَ تَمْثِيلِ

بَلْ قَوْلُنَا قَوْلُ أَئِمَّةِ الهُدَى طُوبَى لِمَنْ بِهَدْيِهِمْ قَدِ اهْتَدَى

وَسَمِّ ذَا النَّوْعَ مِنَ التَّوحِيدِ تَوْحِيدَ إِثْبَاتٍ بِلا تَرْدِيدِ

قَدْ أَفْصَحَ الوَحْيُ المُبِينُ عَنْهُ فَالْتَمِسِ الْهُدَى الْمُنِيرَ مِنْهُ

لاَ تَتَّبِعْ أَقْوالَ كُلِّ مَارِدِ غَاوٍ مُضِلٍّ مَارِقٍ مُعَانِدِ

فَلَيْسَ بَعْدَ رَدِّ ذَا التِّبْيَانِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنَ الإِيمَانِ

❀ ❀ ❀

[ال] فصلُ [الثاني]

في بيان النوعِ الثاني من التوحيد
وهو توحيدُ الطلبِ والقصدِ،
وأنه هو معنى لا إله إلا الله

هَذَا وَثَانِي نَوْعَي التَّوْحِيدِ إِفْرَادُ رَبِّ الْعَرْشِ عَنْ نَدِيدِ

أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ إِلهاً وَاحِدا مُعْتَرِفاً بِحَقِّهِ لاَ جَاحِدا

وَهْوَ الَّذِي بِهِ الإِلَهُ أَرْسَلا رُسُلَهُ يَدْعُونَ إِلَيْهِ أَوَّلا

وَأَنْزَلَ الْكِتَابَ والتِّبْيَانَا مِنْ أَجْلِهِ وَفَرَقَ الْفُرْقَانَا

وَكَلَّفَ اللَّهُ الرَّسُولَ الْمُجْتَبَى قِتَالَ مَنْ عَنْهُ تَوَلَّى وَأَبَى

حَتَّى يَكُونَ الدِّينُ خَالِصاً لَهُ سِرّاً وَجَهْراً دِقُّهُ وَجِلُّهُ

وَهَكَذَا أُمَّتُهُ قَدْ كُلِّفُوا بِذَا[1] وَفِي نَصِّ الْكِتَابِ وُصِفُوا

وَقَدْ حَوَتْهُ لَفْظَةُ الشَّهَادَهْ فَهِيَ سَبِيلُ الْفَوْزِ وَالسَّعَادَهْ

---

(١) في النسخة الخطية: به.

مَـنْ قَـالَـهَـا مُـعْـتَـقِـداً مَـعْـنَـاهَـا وَكَـانَ عَـامِـلاً بِـمُـقْـتَـضَـاهَـا

فِـي الْـقَـوْلِ وَالْـفِـعْـلِ وَمَـاتَ مُـؤمِـنـا يُـبْـعَـثُ يَـوْمَ الْـحَـشْـرِ نَـاجٍ آمِـنـا

فَـإنَّ مَـعْـنَـاهَـا الَّـذِي عَـلَـيْـهِ دَلَّـتْ يَـقِـيـنَـاً وَهَـدَتْ إلَـيْـهِ

أَنْ لَـيْـسَ بِـالْـحَـقِّ إلَـهٌ[1] يُـعْـبَـدُ إلاَّ الإلَـهُ الـواحِـدُ الْـمُـنْـفَـرِدُ

بِـالْـخَـلْـقِ وَالـرِّزْقِ وَبِـالـتَّـدْبِـيـرِ جَـلَّ عَـنِ الـشَّـرِيـكِ وَالـنَّـظِـيـرِ

وَبِـشُـرُوطٍ سَـبْـعَـةٍ قَـدْ قُـيِّـدَتْ وَفِـي نُـصُـوصِ الـوَحْـيِ حَـقًّـا وَرَدَتْ

فَـإنَّـهُ لَـمْ يَـنْـتَـفِـعْ قَـائِـلُـهَـا بِـالـنُّـطْـقِ إلاَّ حَـيْـثُ يَـسْـتَـكْـمِـلُـهَـا

الْـعِـلْـمُ وَالْـيَـقِـيـنُ وَالـقَـبُـولُ وَالانْـقِـيَـادُ فَـادْرِ مَـا أَقُـولُ

وَالـصِّـدْقُ وَالإخْـلاَصُ وَالْـمَـحَـبَّـه وَفَّـقَـكَ الـلَّـهُ لِـمَـا أَحَـبَّـهْ

❁ ❁ ❁

[ال] فصلُ [الثالث]
في تعريف العبادة،
وذِكْرِ بعضِ أنواعِها
وأن مَن صرف منها شيئاً لغير الله فقد أشرك

ثُـمَّ الْـعِـبَـادَةُ هِـيَ اسْـمٌ جَـامِـعٌ لِـكُـلِّ مَـا يَـرْضَـى الإلَـهُ الـسَّـامِـعُ

وَفِـي الْـحَـدِيـثِ مُـخُّـهَـا الـدُّعَـاءُ خَـوفٌ تَـوَكُّـلٌ كَـذَا الـرجَـاءُ

وَرَغْـبَـةٌ وَرَهْـبَـةٌ خُـشُـوعُ وَخَـشْـيَـةٌ إنَـابَـةٌ خُـضُـوعُ

وَالاسْـتِـعَـاذَةُ وَالاسْـتِـعَـانَـهْ كَـذَا اسْـتِـغَـاثَـةٌ بِـهِ سُـبْـحَـانَـهْ

وَالـذَّبْـحُ وَالـنَّـذْرُ وَغَـيْـرُ ذَلِـكْ فَـافْـهَـمْ هُـدِيـتَ أَوْضَـحَ الْـمَـسَـالِـكْ

وَصَـرفُ بَـعْـضِـهَـا لِـغَـيْـرِ الـلَّـهِ شِـرْكٌ وَذَاكَ أَقْـبَـحُ الْـمَـنَـاهِـي

❁ ❁ ❁

---

(١) في النسخة الخطية: إلهاً.

[ال] ـ فصلُ ـ [الرابع]
في بيانِ ضدِّ التوحيدِ وهو الشركُ
وأنه ينقسم إلى قسمين: أصغرَ وأكبرَ،
وبيانِ كلٍ منهما

وَالشِّرْكُ نَوْعَانِ: فَشِرْكٌ أَكْبَرُ ... بِهِ خُلُودُ النَّارِ إِذْ لاَ يُغْفَرُ
وَهُوَ اتِّخَاذُ الْعَبْدِ غَيْرَ اللَّهِ ... نِدًّا بِهِ مُسَوِّياً مُضَاهِي
يَقْصِدُهُ عِنْدَ نُزُولِ الضُّرِّ ... لِجَلْبِ خَيْرٍ أَوْ لِدَفْعِ الشرِ
أَوْ عِنْدَ أَيِّ غَرَضٍ لاَ يَقْدِرُ ... عَلَيْهِ إِلاَّ الْمَالِكُ الْمُقْتَدِرُ
مَعْ جَعْلِهِ لِذَلِكَ الْمَدْعُوِّ ... أَوِ الْمُعَظَّمِ أَوِ الْمَرْجُوِّ
فِي الْغَيْبِ سُلْطَاناً بِهِ يَطَّلِعُ ... عَلَى ضَمِيرِ مَنْ إِلَيْهِ يَفْزَعُ
وَالثَّانِ شِرْكٌ أَصْغَرٌ وَهُوَ الرِّيَا ... فَسَّرَهُ بِهِ خِتَامُ الأَنْبِيَا
وَمِنْهُ إِقْسَامٌ بِغَيْرِ الْبَارِي ... كَمَا أَتَى فِي مُحكَمِ الأَخْبَارِ

❊ ❊ ❊

[ال] ـ فصلُ ـ [الخامس]
في بيان أمورٍ يفعلها العامة
منها ما هو شركٌ
ومنها ما هو قريبٌ منه.
وبيانُ حكم الرُّقَى والتَّمائم

وَمَنْ يَثِقْ بِوَدْعَةٍ أَوْ نَابِ ... أَوْ حَلْقَةٍ أَوْ أَعْيُنِ الذِّئَابِ
أَوْ خَيْطٍ أَوْ عُضْوٍ مِنَ النُّسُورِ ... أَوْ وَتَرٍ[1] أَوْ تُرْبَةِ الْقُبُورِ
لأَيِّ أَمْرٍ كَائِنٍ تَعَلَّقَهْ ... وَكَلَهُ اللَّهُ إِلَى مَا عَلَّقَهْ
ثم الرُّقَى مِنْ حُمَةٍ أَوْ عَيْنِ ... فَإِنْ تكنْ من خَالِص الوَحْيَيْنِ
فَذَاكَ مِنْ هَدْيِ النَّبِي وَشِرْعَتِهْ ... وذَاكَ لاَ اخْتِلاَفَ فِي سُنِّيَتِهْ

---

(١) في النسخة الخطية: أو خيطاً أو عضواً... أو وتراً...

أَمَّا الرُّقَى الْمَجْهُولَةُ الْمَعَانِي فَذَاكَ وَسْوَاسٌ مِنَ الشَّيْطَانِ

وَفِيهِ قَدْ جَاءَ الْحَدِيثُ أَنَّهُ شِرْكٌ بِلَا مَرْيَةٍ فَاحْذَرَنَّهُ

إِذْ كُلُّ مَنْ يَقُولُهُ[1] لَا يَدْرِي لَعَلَّهُ يَكُونُ[2] مَحْضَ الْكُفْرِ

أَوْ هُوَ مِنْ سِحْرِ الْيَهُودِ مُقْتَبَسْ عَلَى الْعَوَامِ لَبَّسُوهُ فَالْتَبَسْ

فَحَذَراً ثُمَّ حَذَارِ مِنْهُ لَا تَعْرِفِ الْحَقَّ وَتَنْأَى عَنْهُ[3]

وَفِي التَّمَائِمِ الْمُعَلَّقَاتِ إِنْ تَكُ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتِ

فَالاخْتِلَافُ وَاقِعٌ بَيْنَ السَّلَفْ فَبَعْضُهُمْ أَجَازَهَا وَالْبَعْضُ كَفْ

وَإِنْ تَكُنْ مِمَّا سِوَى الْوَحْيَيْنِ فَإِنَّهَا شِرْكٌ بِغَيْرِ مَيْنِ

بَلْ إِنَّهَا قَسِيمَةُ الأَزْلَامِ فِي الْبُعْدِ عَنْ سِيمَا أُولِي الإِسْلَامِ

* * *

[ال] ـ فصلُ ـ [السادس]

من الشرك فعلُ مَن يتبرك بشجرة أو حجر أو بُقعة أو قبرٍ أو نحوِها يتخذ ذلك المكان عيداً. وبيانُ أن الزيارةَ تنقسم إلى سنية وبدْعية وشِركية

هَذَا وَمِنْ أَعْمَالِ أَهْلِ الشِّرْكِ مِنْ غَيْرِ مَا تَرَدُّدٍ أَوْ شَكِّ

مَا يَقْصِدُ الْجُهَّالُ مِنْ تَعْظِيمِ مَا لَمْ يَأْذَنِ اللهُ بِأَنْ يُعَظَّمَا

كَمَنْ يَلُذْ بِبُقْعَةٍ أَوْ حَجَرِ أَوْ قَبْرِ مَيْتٍ أَوْ بِبَعْضِ الشَّجَرِ

مُتَّخِذاً لِذَلِكَ الْمَكَانِ عِيداً كَفِعْلِ عَابِدِي الأَوْثَانِ

ثُمَّ الزِّيَارَةُ عَلَى أَقْسَامِ ثَلَاثَةٍ يَا أُمَّةَ الإِسْلَامِ

فَإِنْ نَوَى الزَّائِرُ فِيمَا أَضْمَرَهْ فِي نَفْسِهِ تَذْكِرَةً بِالآخِرَهْ

---

(١) في النسخة الخطية: إذ كل ناطق به.

(٢) في النسخة الخطية: لعله أن يك.

(٣) هذا البيت غير وارد في (معارج القبول)، وهو موجود في النسخة الخطية المكتوبة بخط الناظم في هذا الموضع.

ثُمَّ الدُّعَا لَهُ[1] ولِلأَمْواتِ بالعَفْوِ وَالصفحِ عَنِ الزَّلاَّتِ

وَلَمْ يَكُنْ شَدَّ الرِّحَالَ نَحْوَهَا وَلَمْ يَقُلْ هُجْراً كَقَوْلِ السُّفَهَا[2]

فَتِلْكَ سُنَّةٌ أَتَتْ صَرِيحَهْ في السُّنَنِ الْمُثْبَتَةِ الصَّحِيحَهْ

أَوْ قَصَدَ الدُّعَاءَ وَالتَّوَسُّلاَ بِهِمْ إلى الرَّحْمنِ جَلَّ وَعَلاَ

فَبِدْعَةٌ مُحْدَثَةٌ ضَلاَلَهْ بَعِيدَةٌ عَنْ هَدْيِ ذِي الرِّسَالَهْ[3]

وَإنْ دعا الْمَقْبُورَ نَفْسَهُ فَقَدْ أَشْرَكَ باللَّهِ الْعَظِيمِ وجَحَدْ

لَنْ يَقْبَلَ اللَّهُ تعالى مِنْهُ صَرْفاً ولاَ عَدْلاً فَيَعْفُو عَنْهُ

إذْ كُلُّ ذَنْبٍ مُوشِكُ الغُفْرانِ إلاَّ اتِّخَاذَ النِّدِّ لِلرحْمَنِ

* * *

[ال] ـ فصلُ ـ [السابع]

في بيان ما وقع فيه العامةُ اليوم مما يفعلون عند القبورِ وما يرتكبونه من الشِرْك الصريحِ والغُلوّ المفْرط في الأموات

وَمَنْ عَلَى الْقَبْرِ سِرَاجاً أَوْقَدَا أَوِ ابْتَنى عَلَى الضَّرِيحِ مَسْجِدا

فَإنَّهُ مُجَدِّدٌ جِهَارَا لِسُنَنِ الْيَهُودِ والنَّصارَى

كَمْ حَذَّرَ الْمُخْتَارُ عَنْ ذَا وَلَعَنْ فَاعِلَهُ كَمَا رَوَى أَهْلُ السُّنَنْ

بلْ قَدْ نَهَى عَنِ ارْتِفَاعِ الْقَبْرِ وَأَنْ يُزَادَ فِيهِ فَوقَ الشِّبْرِ

وَكُلُّ قَبْرٍ مُشْرِفٍ فَقَدْ أَمَرْ بِأَنْ يُسَوَّى هَكَذَا صَحَّ الْخَبَرْ

وحَذَّرَ الأُمَّةَ عَنِ إطْرائِهِ فَغَرَّهُمْ إبْلِيسُ باسْتِجْرَائِهِ

فَخَالَفُوهُ جَهْرَةً وَارْتَكَبُوا مَا قَدْ نَهَى عَنْهُ وَلَمْ يَجْتَنِبُوا

---

(١) في النسخة الخطية: ثم دعا له.

(٢) في النسخة الخطية: كبعض السفها. وهذا البيت معلق بخط الناظم في النسخة التي كتبها بخطه بين البيتين السابقين قبله بعد أن سقط سهواً.

(٣) هذا البيت والذي قبله سقطا من الطبعة الأولى لـ (معارج القبول)، مع أنهما قد شرحا فيه، وموضع نصهما يجب أن يكون في (ج١، ص٤٧٩) قبل الشروع في شرحهما.

فَانظُرْ إلَيهِمْ قَدْ غَلَوْا وَزَادُوا وَرَفَعُوا بِنَاءَهَا وَشَادُوا
بِالشَّيدِ[1] والآجُرِّ والأَحْجَارِ لاَ سِيَّمَا فِي هَذِهِ الأَعْصَارِ
وَلِلْقَنَادِيلِ عَلَيهَا أَوْقَدُوا وَكَمْ لِوَاء فَوْقَهَا قَدْ عَقَدُوا
وَنَصَبُوا[2] الأَعْلامَ وَالرَّايَاتِ وَافْتَتَنُوا بِالأَعْظَمِ الرُّفَاتِ
بَلْ نَحَرُوا فِي سُوحِهَا النَّحائِرْ فِعْلَ أُولي التَّسْيِيبِ وَالْبَحَائِرْ
وَالْتَمَسُوا الْحَاجَاتِ مِنْ مَوْتَاهمُ وَاتَّخَذُوا إلَهَهُمْ هَوَاهُمُ
قَدْ صَادَهُمْ إبْلِيسُ في فِخَاخِهِ بَلْ بَعْضُهُمْ قَدْ صَارَ مِنْ أَفْرَاخِهِ
يَدْعُو إلَى عِبَادَةِ الأَوْثَانِ بِالمَالِ وَالنَّفْسِ وَبِاللِّسَانِ
فَلَيتَ شِعْرِي مَنْ أَبَاحَ ذَلِكْ وَأَوْرَطَ الأُمَّةَ فِي المَهَالِكْ
فَيَا شَدِيدَ الطَّوْلِ وَالإنْعَامِ إلَيكَ نَشْكُو مِحْنَةَ الإسْلامِ[3]

❁ ❁ ❁

[ال] ـ فصلُ ـ [الثامن]
في بيانِ حقيقةِ السحرِ وحدِّ الساحرِ
وأن منه عِلْمَ التنجيم.
وذكرِ عقوبةِ من صدق كاهناً

وَالسِّحْرُ حَقٌّ وَلَهُ تَأْثِيرُ لَكِنْ بِمَا قَدَّرَهُ الْقَدِيرُ
أَعْنِي بِذَا التَّقْدِيرِ مَا قَدْ قَدَّرَهْ فِي الْكَوْنِ لاَ فِي الشِّرْعَةِ الْمُطَهَّرَهْ
وَاحْكُمْ عَلَى السَّاحِرِ بِالتكْفِيرِ وَحَدُّهُ الْقَتْلُ بِلاَ نَكِيرِ
كَمَا أَتَى فِي السُّنَّةِ الْمُصَرَّحَهْ مِمَّا رَوَاهُ[4] التِّرمِذِيْ وَصَحَّحَهْ
عَنْ جُنْدِبٍ وَهَكَذَا فِي أَثَرِ[5] أَمْرٌ بِقَتْلِهِمْ رُوِيْ عَنْ عُمَرِ

---

(١) في النسخة الخطية: بالجص.
(٢) في النخسة الخطية: ونشروا.
(٣) هذا البيت والذي قبله لم يردا في (معارج القبول)، ولم يدخلا في الشرح، وهما في النسخة الخطية بقلم الناظم، ولعلهما مما أضافه بعد كتابة الشرح.
(٤) في النسخة الخطية: فيما رواه.
(٥) في النسخة الخطية: عن جندب الخير، كذا في أثر.

وَصَحَّ عَن حفْصَةَ عندَ مَالِكِ ... مَا فِيه أَقْوَى مُرْشِدٍ لِلسالِكِ
هَـذَا وَمِنْ أَنْواعِه وَشُعَبِهْ ... عِلْمُ النُّجُوم فَادْرِ هَـذَا وَانْتَبِهْ
وحَلُّهُ بِالْوَحْيِ نَصاً يُشْرَعُ ... أَمَا بِسِحْرٍ مِثْلِه فَيُمْنَعُ[1]
وَمَن يُصَدِّقْ كَاهِناً فَقَدْ كَفرْ ... بِمَا أَتَى بِهِ الرَّسُولُ[2] الْمُعْتَبَرْ

❁ ❁ ❁

[ال] ـ فصلُ ـ [التاسع]
يجمع معنى حديثِ جبريلَ المشهورِ
في تعليمنا الدينَ أنه ينقسم إلى ثلاث مراتبَ:
الإسلامُ والإيمانُ والإحسانُ
وبيانُ أركانِ كلٍ منها

اعْلَمْ بِأَنَّ الدينَ قَوْلٌ وَعَمَلْ ... فَاحْفَظْهُ وَافْهَمْ مَا عَلَيْه ذَا اشْتَمَلْ[3]
كَفَاكَ مَا قَدْ قَالَهُ الرَّسُولُ ... إِذْ جَاءَهُ يَسْأَلُهُ جِبْرِيلُ
عَلَى مَرَاتِبَ ثَلاثٍ فَصَّلَهْ ... جَاءَتْ عَلَى جَمِيعه مُشْتَمِلَهْ:
الإِسْلامِ وَالإِيمَانِ وَالإِحْسَانِ ... وَالْكُلُّ مَبْنِيٌّ عَلَى أَرْكَانِ
فَقَدْ أَتَى: الإِسْلامُ مَبْنِيٌّ[4] عَلَى ... خَمْسٍ، فَحَقِّق وَادْرِ مَا قَدْ نُقِلا
أَوَّلُهَا الرُّكْنُ الأَسَاسُ الأَعْظَمُ ... وَهُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ الأَقْوَمُ
رُكْنُ الشَّهَادَتَيْنِ فَاثْبُت وَاعْتَصِمْ ... بِالْعُرْوَةِ الْوثْقَى الَّتي لاَ تَنفَصِمْ
وَثَانِياً[5] إِقَامَةُ الصَّلاةِ ... وَثَالِثاً[6] تَأْدِيَةُ الزَّكَاةِ

---

(١) هذا البيت غير وارد في النسخة الخطية، وهو في (معارج القبول) في هذا الموضع.
(٢) في النسخة الخطية: النبي.
(٣) كذا في معارج القبول (ط١: ٢/ ١٧) ونصه في النسخة الخطية هكذا:
والدين نية وقول وعمل ... فاحفظ ودع عنك المراء والجدل
(٤) في معارج القبول (ط١: ٢/ ٤٠): مبنياً، وما أثبتناه عن النسخة الخطية.
(٥) في النسخة الخطية: وبعدها.
(٦) في النسخة الخطية: وثالث.

وَالرَّابِعُ الصِّيَامُ فَاسْمَعْ وَاتَّبِعْ ... وَالْخَامِسُ الحَجُّ عَلَى مَن يَسْتَطِعْ

فَتِلْكَ خَمْسَةٌ. وَلِلإِيمَانِ ... سِتَّةُ أَرْكَانٍ بِلاَ نُكْرَانِ

إِيمَانُنَا بِاللهِ ذِي الْجَلاَلِ ... وَمَا لَهُ مِن صِفَةِ الْكَمَالِ

وَبِالْمَلاَئِكَةِ[1] الْكِرَامِ الْبَرَرَةْ ... وَكُتْبِهِ الْمُنَزَّلَةِ الْمُطَهَّرَةْ

وَرُسْلِهِ الْهُدَاةِ لِلأَنَامِ ... مِن غَيْرِ تَفْرِيقٍ وَلاَ إِيهَامِ

أَوَّلُهُمْ نُوحٌ بِلاَ شَكٍّ كَمَا ... أَنَّ مُحَمَّداً لَهُمْ قَدْ خَتَمَا

وَخَمْسَةٌ مِنْهُمْ أُولُوا الْعَزْمِ الأُلَى ... فِي سُورَةِ الأَحْزَابِ وَالشُّورَى تَلا

وبِالْمَعَادِ أَيْقِنْ[2] بِلاَ تَرَدُّدِ ... وَلاَ ادِّعَا عِلْمٍ بِوَقْتِ الْمَوْعِدِ

لَكِنَّنَا نُؤْمِنُ مِنْ غَيْرِ امْتِرَا ... بِكُلِّ مَا قَدْ صَحَّ عَنْ خَيْرِ الْوَرَى

مِنْ ذِكْرِ آيَاتٍ تَكُونُ قَبْلَهَا ... وَهْيَ عَلاَمَاتٌ وَأَشْرَاطٌ لَهَا

وَيَدْخُلُ الإِيمَانُ بِالْمَوْتِ وَمَا ... مِنْ بَعْدِهِ عَلَى الْعِبَادِ حُتِمَا

وَأَنَّ كُلاًّ[3] مُقْعَدٌ مَسْؤُولُ ... مَا الرَّبُّ مَا الدِّينُ وَمَا الرَّسُولُ؟

وَعِنْدَ ذَا يُثَبِّتُ الْمُهَيْمِنُ ... بِثَابِتِ الْقَوْلِ الَّذِينَ آمَنُوا

وَيُوقِنُ الْمُرْتَابُ عِنْدَ ذَلِكْ ... بِأَنَّ[4] مَا مَوْرِدُهُ الْمَهَالِكْ

وَبِاللِّقَا وَالْبَعْثِ وَالنُّشُورِ ... وَبِقِيَامِنَا مِنَ الْقُبُورِ

غُرْلاً حُفَاةً كَجَرَادٍ مُنْتَشِرْ ... يَقُولُ ذُو الْكُفْرَانِ: ذَا يَوْمٌ عَسِرْ

وَيُجْمَعُ الْخَلْقُ لِيَوْمِ الْفَصْلِ ... جَمِيعُهُمْ عُلْوِيُّهُمْ وَالسُّفْلِي

فِي مَوْقِفٍ يَجِلُّ فِيهِ الْخَطْبُ ... وَيَعْظُمُ الْهَوْلُ بِهِ وَالْكَرْبُ

وَأُحْضِرُوا لِلْعَرْضِ وَالْحِسَابِ[5] ... وَانْقَطَعَتْ عَلاَئِقُ الأَنْسَابِ

وَارْتَكَمَتْ سَحَائِبُ الأَهْوَالِ ... وَانْعَجَمَ الْبَلِيغُ فِي الْمَقَالِ

وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْقَيُّومِ ... وَاقْتُصَّ مِنْ ذِي الظُّلْمِ لِلْمَظْلُومِ

وَسَاوَتِ الْمُلُوكُ لِلأَجْنَادِ ... وَجِيءَ بِالْكِتَابِ وَالأَشْهَادِ

---

(١) في النسخة الخطية: وبالملائك. قلت: وهو الأولى. (أبو مصعب).

(٢) تقرأ «يقن» بحذف الهمزة تحاشياً من الزحف في البيت. (أبو مصعب).

(٣) في معارج القبول (ط١: ٢/ ١٣٢): وأن كل، والصواب ما أثبتناه عن النسخة الخطية.

(٤) لعله: بأنه مورده. (أبو مصعب).

(٥) في النسخة الخطية: واحضروا إذا ذاك للحساب.

وَشَهِدَتِ الأَعْضَاءُ وَالْجَوَارِحُ ... وَبَدَتِ السَّوْءآتُ وَالْفَضَائِحُ
وَابْتُلِيَتْ هُنَالِكَ السَّرائِرُ ... وَانكَشَفَ الْمَخْفِيُّ فِي الضَّمَائِرْ
وَنُشِرتْ صَحَائِفُ الأَعْمَالِ ... تُؤْخَذُ بِالْيَمِينِ وَالشِّمَالِ
طُوبَى[1] لِمَنْ يَأْخُذُ[2] بِالْيَمِينِ ... كِتَابَهُ بُشْرَى بِحُورٍ عِينِ
وَالْوَيْلُ لِلآخِذِ بِالشِّمَالِ ... وَرَاءَ ظَهْرٍ لِلْجَحِيمِ صَالِي
وَالْوَزْنُ بِالْقِسْطِ فَلاَ ظُلْمَ وَلاَ ... يُؤْخَذُ عَبْدٌ بِسِوَى مَا عَمِلاَ
فَبَيْنَ نَاجٍ رَاجِحٍ مِيزَانُهُ ... وَمُقْرِفٍ أَوْبَقَهُ عُدْوَانُهُ
وَيُنْصَبُ الْجِسْرُ بِلاَ امْتِرَاءِ ... كَمَا أَتَى فِي مُحْكَمِ الأَنْبَاءِ
يَجُوزُهُ النَّاسُ عَلَى أَحْوَالِ ... بِقَدْرِ كَسْبِهِمْ مِنَ الأَعْمَالِ
فَبَيْنَ مُجْتَازٍ إِلَى الْجِنَانِ ... وَمُسْرِفٍ يُكَبُّ فِي النِّيرَانِ
وَالنَّارُ وَالْجَنَّةُ حَقٌّ وَهُمَا ... مَوْجُودَتَانِ لا فَنَاءَ لَهُمَا
وَحَوْضُ خَيْرِ الْخَلْقِ حَقٌّ وَبِهِ ... يَشْرَبُ فِي الأُخْرَى جَمِيعُ حِزْبِهِ
كَذَا لَهُ لِوَاءُ حَمْدٍ يُنْشَرُ ... وَتَحْتَهُ الرُّسْلُ جَمِيعاً تُحْشَرُ
كَذَا لَهُ الشَّفَاعَةُ الْعُظْمَى كَمَا ... قَدْ خَصَّهُ اللَّهُ بِهَا تَكَرُّمَا
مِنْ بَعْدِ إِذْنِ اللَّهِ لاَ كَمَا يَرَى ... كُلُّ قُبُورِيٍّ عَلَى اللَّهِ افْتَرَى
يَشْفَعُ أَوَّلاً إِلَى الرَّحْمَنِ فِي ... فَصْلِ الْقَضَاء بَيْنَ أَهْلِ الْمَوْقِفِ
مِنْ بَعْدِ أَنْ يَطْلُبَها النَّاسُ إِلى ... كُلُّ أُولِي الْعَزْمِ الْهُدَاةِ الْفُضَلا
وَثَانِياً يَشْفَعُ فِي اسْتِفْتَاحِ ... دَارِ النَّعِيمِ لأُولِي الْفَلاَحِ
هَذَا وَهَاتَانِ الشَّفَاعَتَانِ ... قَدْ خُصَّتَا بِهِ بِلاَ نُكْرَانِ
وَثَالِثاً يَشْفَعُ فِي أَقْوَامِ ... مَاتُوا عَلَى دِينِ الْهُدَى الإِسْلاَمِ
وَأَوْبَقَتْهُمْ كَثْرَةُ الآثَامِ ... فَأُدْخِلُوا النَّارَ بِذَا الإِجْرَامِ
أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا إِلى الْجِنَانِ ... بِفَضْلِ رَبِّ الْعَرْشِ ذِي الإِحْسَانِ
وَبَعْدَهُ يَشْفَعُ كُلُّ مُرْسَلِ ... وَكُلُّ عَبْدٍ ذِي صَلاَحٍ وَوَلِي

---

(١) في النسخة الخطية: بشرى.
(٢) في معارج القبول (ط١: ٢/ ٦٤): يؤخذ ـ وهو خطأ، وصوابه (يأخذ) وقد صحح أثناء الشرح، كما هو في النسخة الخطية.

وَيُخْرِجُ اللَّهُ مِنَ النِّيرانِ جَمِيعَ مَنْ مَاتَ عَلَى الإِيمَانِ
فِي نَهَرِ الْحَيَاةِ يُطْرَحُونَا فَحْمَاً فَيَحْيَوْنَ وَيَنْبُتُونَا
كَأَنَّمَا يَنْبُتُ فِي هَيْئَاتِهِ حَبُّ حَمِيلِ السَّيْلِ فِي حَافَاتِهِ
وَالسَّادِسُ الإِيمَانُ بِالأَقْدَارِ فَأَيْقِنَنْ بِهَا وَلَا تُمَارِ[1]
فَكُلُّ شَيْءٍ بِقَضَاءٍ وَقَدَرْ وَالْكُلُّ فِي أُمِّ الْكِتَابِ مُسْتَطَرْ
لَاَ نَوْءَ لَاَ عَدْوَى وَلَاَ طَيْرَ وَلا عَمَّا قَضَى اللَّهُ تَعَالَى حِوَلاَ
لا غُولَ لَاَ هَامَةَ لَاَ وَلَاَ صَفَرْ كَمَا بِذَا أَخْبَرَ[2] سَيِّدُ الْبَشَرْ
وَثَالِثٌ مَرْتَبَةُ الإِحْسَانِ وَتِلْكَ أَعْلَاهَا لَدَى الرَّحْمَنِ
وَهُوَ[3] رُسُوخُ الْقَلْبِ فِي الْعِرْفَانِ حَتَّى يَكُونَ[4] الْغَيْبُ كَالْعِيَانِ

❁ ❁ ❁

[ال] ـ فصلُ ـ [العاشر]
في كون الإيمانِ يزيد بالطاعة وينقُص بالمعصية وأن فاسقَ أهلِ الملة لا يُكفّر بذنب دون الشركِ إلا إذا استحلّه وأنه تحت المشيئة، وأن التوبةَ مقبولةٌ ما لم يُغَرغِرْ

إِيمَانُنَا يَزِيدُ بِالطَّاعَاتِ وَنَقْصُهُ يَكُونُ بِالزلّاتِ[5]
وَأَهْلُهُ فِيهِ عَلَى تَفَاضُلِ هَلْ أَنْتَ كَالأَمْلَاكِ أَوْ كَالرُّسُلِ
وَالْفَاسِقُ الْمِلِّيُّ ذو الْعِصْيَانِ لَمْ يُنْفَ عَنْهُ مطلَقُ الإِيمَانِ
لَكِنْ بِقَدْرِ الْفِسْقِ وَالْمَعَاصِي إِيمَانُهُ مَا زَالَ فِي انْتِقَاصِ
وَلَاَ نَقُولُ إِنَّهُ فِي النَّارِ مخَلَّدٌ، بَلْ أَمْرُهُ لِلْبَارِي
تَحْتَ مَشِيئَةِ الإِلَهِ النَّافِذَهْ إِنْ شَا عَفَا عنهُ وَإِنْ شَا آخَذَهْ

---

(١) في النسخة الأصلية: ولا تماري.
(٢) في معارج القبول (ط١: ٢/٣٨٢): خبَّر.
(٣) في معارج القبول (ط١: ٢/٣٩٩): وهي، أثبتنا ما في النسخة الخطية.
(٤) في النسخة الخطية: حتى يصير.
(٥) في النسخة الأصلية: وتارة ينقص بالزلأت.

بِقَدْرِ ذَنْبِهِ، وإِلَى[1] الجِنَانِ يُخْرَجُ إِنْ مَاتَ عَلَى الإِيمَانِ

وَالْعَرْضُ تَيْسِيرُ الْحِسَابِ في النَّبَا وَمَنْ يُنَاقَشِ الْحِسَابَ عُذِّبَا

وَلاَ نُكَفِّرْ بِالْمَعَاصِي مُؤْمِنَا إِلاَّ مَعَ اسْتِحْلاَلِهِ لِمَا جَنَى

وَتُقْبَلُ التَّوْبَةُ قَبْلَ الْغَرْغَرَهْ كَمَا أَتَى فِي الشِّرْعَةِ الْمُطَهَّرَهْ

أَمَّا مَتَى تُغْلَقُ عَنْ طَالِبِهَا؟ فَبِطُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا[2]

❁ ❁ ❁

[ال] ـ فصلُ ـ [الحادي عشر]
في معرفة نبيّنا محمدٍ ﷺ
وتبليغِه الرسالةَ وإكمالِ الله لنا به الدينَ،
وأنه خاتمُ النبيين، وسيدُ ولدِ آدمَ أجمعين،
وأن من ادعى النبوةَ بعده فهو كاذبٌ

نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ مِن هَاشِمِ إِلَى الذَّبِيحِ دُونَ شَكٍّ يَنْتَمِي

أَرْسَلَهُ اللَّهُ إِلَيْنَا مُرْشِداً وَرَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ وَهُدَى[3]

مَوْلِدُهُ بِمَكَّةَ الْمُطَهَّرَهْ هِجْرَتُهُ لِطَيْبَةَ الْمُنَوَّرَهْ

بَعْدَ ارْبَعِينَ[4] بَدَأَ الْوَحْيُ بِهِ ثُمَّ دَعَا إِلَى سَبِيلِ رَبِّهِ

عَشْرَ سِنِينَ أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّاً تَعَالَى شَأْنُهُ وَوَحِّدُوا

وكَانَ قَبْلَ ذَاكَ فِي غَارِ حِرَا يَخْلُو بِذِكْرِ رَبِّهِ عَنِ الوَرَى

وَبَعْدَ خَمْسِينَ مِنَ الأَعْوَامِ مَضَتْ لِعُمْرِ سَيِّدِ الأَنَامِ

أَسْرَى بِهِ اللَّهُ إِلَيْهِ فِي الظُّلَمْ وفَرَضَ الْخَمْسَ عَلَيْهِ وحَتَمْ

وَبَعْدَ أَعْوَامٍ ثَلاثَةٍ مَضَتْ مِنْ بَعْدِ مِعْرَاجِ النَّبِيِّ وانقَضَتْ

أُوذِنَ بِالْهِجْرَةِ نَحْوَ يَثْرِبَا مَع كُلِّ مُسْلِمٍ لَهُ قَدْ صَحِبَا

---

(١) في معارج القبول (ط١: ٢/ ٤٢١) الواو من (وإلى) ساقطة أثناء البيت، وهي مثبتة في الشرح وكذلك في النسخة الخطية.

(٢) هذا البيت غير وارد في (معارج القبول)، أثبته كما جاء في النسخة الأصلية.

(٣) هذا البيت أيضاً غير وارد في (معارج القبول)، وهو مثبت في النسخة الخطية.

(٤) بوصل همزة أربعين. (أبو مصعب).

وَبَعْدَهَا كُلِّفَ بِالْقِتَالِ لِشِيعَةِ الْكُفْرَانِ والضَّلالِ
حتى أَتَوْا لِلدِّينِ منقَادِينَا وَدَخَلُوا في السِّلمِ مُذْعِنِينا
وَبَعدَ أنْ قَدْ بَلَّغَ الرِّسَالَهْ واسْتَنْقَذَ الْخَلْقَ مِنَ الْجَهَالَهْ
وَأَكْمَلَ اللَّهُ بِهِ[1] الإسْلاَمَا وقَام دِينُ الْحَقِّ واسْتَقَامَا
قَبَضَهُ اللَّهُ الْعَلِيُّ الأَعْلَى سبْحَانَهُ إِلَى الرَّفِيقِ الأَعْلَى
نَشْهَدُ بِالحَقِّ بِلاَ ارْتِيابِ بِأَنَّهُ الْمُرْسَلُ بِالْكِتَابِ
وأَنَّهُ بَلَّغَ مَا قَدْ أُرسِلاَ بِهِ وَكُلُّ مَا إِلَيْهِ أُنْزِلاَ
وكُلُّ مَنْ مِن بَعْدِهِ قَدِ ادَّعَى نُبُوَّةً فَكَاذِبٌ فِيمَا ادَّعَى
فَهْوَ خِتَامُ الرُّسْلِ بِاتِّفَاقِ وأَفْضَلُ الْخَلْقِ علَى الإطْلاَقِ

❀ ❀ ❀

[ال] ـ فصلُ ـ [الثاني عشر]
فيمن هو أفضلُ الأمةِ بعد الرسولِ ﷺ
وذكرُ الصحابةِ بمحاسنهم،
والكفُّ عن مساوئهم وما شَجَر بينهم

وَبَعْدَهُ الْخَلِيفَةُ الشَّفِيقُ نِعْمَ نَقِيبُ الأُمَّةِ الصِّدِّيقُ
ذَاكَ رَفِيقُ الْمُصْطَفَى في الْغَار شَيْخُ الْمُهَاجِرِينَ والأَنْصَارِ
وَهْوَ الَّذِي بِنَفْسِهِ تَوَلَّى جِهَادَ[2] مَن عَنِ الْهُدَى تَوَلَّى
ثَانِيهِ في الْفَضل بِلاَ ارْتِيابِ الصَّادِعُ النَّاطِقُ بِالصَّوابِ
أَعْنِي بِهِ الشَّهْمَ أَبَا حَفْصٍ عُمَرْ مَنْ ظَاهَرَ الدِّينَ الْقَوِيمَ ونَصَرْ
الصَّارِمَ الْمُنكي عَلَى الْكُفَّارِ ومُوسِعَ الْفُتُوحِ في الأَمْصَارِ[3]
ثَالِثُهُمْ عُثْمَانُ ذُو النُّورَيْنِ ذو الْحِلْمِ والْحَيَا بِغَيْرِ مَيْنِ
بَحْرُ الْعُلُومِ جَامِعُ الْقُرْآنِ مِنْهُ اسْتَحَتْ مَلاَئِكُ الرَّحْمٰنِ

---

(١) في معارج القبول (ط١: ٢/٤٨٦): له، وما هنا عن النسخة الخطية.
(٢) في النسخة الخطية: قتال.
(٣) في النسخة الخطية: وفاتح البلاد والأمصار.

بَـايَـعَ عَـنْـهُ سَـيِّـدُ الأَكْـوَانِ ... بِـكَـفِّـهِ فـي بَـيْـعَـةِ الـرِّضْـوانِ
والـرَّابِـعُ ابْـنُ عَـمِّ خَـيْـرِ الـرُّسُـلِ ... أَعْنِي الإِمَامَ الْحَقَّ ذَا الْقَدْرِ الْعَلِي
مُـبِـيـدُ كُـلِّ خَـارِجِـيٍّ مَـارِقِ ... وَكُـلِّ خِـبٍّ رَافِـضِـيٍّ فَـاسِـقِ
مَـنْ كَـانَ لِـلـرَّسُـولِ[1] فـي مَـكَـانِ ... هَـارُونَ مِـنْ مُـوسَـى بِـلا نُـكْـرَان
لاَ فـي[2] نُـبُـوَّة، فَـقَـدْ قَـدَّمْـتُ مَـا ... يَـكْـفِي لِمَنْ مِنْ سُوء ظَنٍّ سَلِمَا
فَـالـسِّـتَّـةُ الْـمُـكَـمِّـلُونَ الْـعَـشَـرهْ ... وَسَـائِـرُ الـصَّـحْـبِ الْـكِـرَام الْـبَـرَرهْ
وَأَهْـلُ بَـيْـتِ الْـمُـصْـطَـفَى الأَطْـهَـار ... وَتَـابِـعُـوهُ الـسَّـادَةُ الأَخْـيَـارُ
فَـكُـلُّـهُـمْ فـي مـحْـكَـمِ الْـقُـرآنِ ... أَثْـنَـى عَـلَـيْـهِـم خَـالِـقُ الأَكْـوَانِ
فـي الـفَـتْـحِ وَالْـحَـدِيـدِ والْـقِـتَـالِ ... وَغَـيْـرِهـا بـأَكْـمَـلِ الْـخِـصَـالِ
كَـذَاكَ فـي الـتَّـوْرَاةِ وَالإِنْـجِـيـلِ ... صِـفَـاتُـهُـمْ مَـعْـلُـومَـةُ الـتَّـفْـصِـيـلِ
وَذِكْـرُهُـمْ فـي سُـنَّـةِ الْـمُـخْـتَـارِ ... قَـدْ سَـارَ سَـيْـرَ الشَّـمْـسِ في الأَقْـطَـارِ
ثُـمَّ الـسُّـكُـوتُ وَاجِـبٌ عَـمـا جَـرَى ... بَـيْـنَـهُـمْ مِـنْ فِـعْـل مَـا قَـدْ قُـدِّرَا
فَـكُـلُّـهُـمْ مُـجْـتَـهِـدٌ مُـثَـابُ ... وَخِـطْـؤُهُـمْ[3] يَـغْـفِـرُهُ الْـوَهَّـابُ

❁ ❁ ❁

خاتمةٌ
في وجوب التمسكِ بالكتاب والسنةِ
والرجوعِ عند الاختلافِ إليهما،
فما خالفهما فهو ردٌّ

شَـرْطُ قَـبُـولِ الـسَّـعْـيِ أَنْ يَـجْـتَـمِـعَـا ... فِـيـهِ إِصَـابَـةٌ وَإِخْـلاَصٌ مَـعَـا
لِـلَّـهِ[4] رَبِّ الْـعَـرْشِ لاَ سِـوَاهُ ... مُـوَافِـقَ الـشَّـرْعِ الَّـذِي ارْتَـضَـاهُ

---

(١) في النسخة الخطية: من صار للمختار.

(٢) في معارج القبول (ط١: ٢/٥٦٦) ـ السطر الثاني ـ: ولا في، الواو في أول البيت هناك كتبت خطأ فتحذف.

(٣) بكسر الخاء وسكون الطاء. (أبو مصعب).

(٤) في معارج القبول (ط١: ٢/٦٠٢): الله، تحذف الألف، وهي مصححة في الشرح.

وكُلُّ مَا خَالَفَ لِلوَحْيَيْنِ فَإِنَّهُ رَدٌّ بِغَيْرِ مَيْنِ
وكُلُّ مَا فِيهِ الْخِلَافُ[1] نُصِبَا فَرَدُّهُ إِلَيْهِمَا قَدْ وَجَبَا
فالدِّينُ إِنَّمَا أَتَى بِالنَّقْلِ لَيْسَ بالأَوْهَامِ وَحَدْسِ الْعَقْلِ

* * *

ثُمَّ إلى هُنَا قَدِ انْتَهَيْتُ وَتَمَّ مَا بِجَمْعِهِ عُنِيتُ
سَمَّيْتُهُ بِسُلَّمِ الْوُصُولِ إِلَى سَمَا مَبَاحِثِ الأُصُولِ
وَالْحَمْدُ لِلهِ عَلَى انتِهَائِي كَمَا حَمِدْتُ اللَّهَ في ابْتِدائي
أَسْأَلُهُ مَغْفِرَةَ الذُّنُوبِ جَمِيعِهَا والسَّتْرَ لِلعُيُوبِ
ثُمَّ الصَّلاةُ والسَّلامُ أَبَدَا تَغشَى الرَّسُولَ الْمُصطَفى مُحَمَّدَا
ثُمَّ جَمِيعُ صَحْبِهِ وَالآلِ السَّادَةِ الأَئِمَّةِ الأَبْدَالِ
تَدُومُ سَرْمَدًا بِلاَ نَفَادِ مَا جَرَتِ الأَقْلاَمُ بِالْمِدَادِ
ثُمَّ الدُّعَا وَصِيَّةُ الْقُرَّاء جَمِيعِهِمْ مِنْ غَيْرِ مَا اسْتِثْنَاء
أَبيَاتُهَا (يُسْر) بِعَدِّ الْجُمَلِ[2] تَأْرِيخُهَا (الْغفرَانْ) فافْهَمْ[3] وَادْعُ لِي
٢٧٠ ١٣٦٢هـ

* * *

---

(١) في النسخة الخطية: وكل ما فيه اختلاف.

(٢) أي عدة أبيات المنظومة تساوي مجموع رمز كلمة (يسر) وفق رموز الحروف الأبجدية المعروفة؛ فالياء بـ ١٠، والسين بـ ٦٠، والراء بـ ٢٠٠ = مجموعهما ٢٧٠ بيتاً، وواضح أن عدد الأبيات في مجموعهما ٢٩٠ بيتاً لا ٢٧٠ بيتاً.
والناظر في خاتمة الكتاب (معارج القبول ـ ط١: ٢/٦٣٢) يجد أن المؤلف قد نظم الشطر الأول من هذا البيت بأسلوب آخر أكثر وضوحاً، حيث يجعله هكذا:
(أبياتها المقصود «يسر» فاعقل)، ويعني بالمقصود: الأبيات التي عرض فيها الأحكام والمسائل، فإذا نحن حذفنا أبيات المقدمة الأولى والأبيات الأخيرة من الخاتمة وهي ٢٠ بيتاً، سنجد أن عددها ٢٧٠ بيتاً.

(٣) أي مجموع رموز كلمة (الغفران)؛ فالألف بـ ١، واللام بـ ٣٠، والغين بـ ١٠٠٠، والفاء بـ ٨٠، والراء بـ ٢٠٠، والألف الثانية بـ ١، والنون بـ ٥٠ = مجموعها ١٣٦٢هـ، وهو تاريخ نظمها والانتهاء من تسويدها.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

شرحُ مقدمةِ المنظومة

(أبـدأ بـاسـم الله مـسـتـعـيـنـا راضٍ بـه مُـدبِّـراً مُـعِـيـنـا)

(أبدأ) في جميع حرَكاتي وسكَناتي وأقوالي وأعمالي وفي شأني كلِّه، ومنه هذا التصنيفُ.

(باسم الله) متبركاً و **(مستعيناً)** به أو إياه يتعدَّى بالباء وبدونه أي طالباً منه العونَ على فعلِ طاعتِه وتركِ معصيته، كما قال تعالى في فاتِحة الكتابِ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥].

وقال النبيُّ ﷺ لابن عمِّه عبدِ اللَّهِ بنِ عباسٍ رضي الله عنهما: «**إذا سألت فاسأل اللَّهَ، وإذا استعنتَ فاستعن بالله**»[1]. وهو خطابٌ شاملٌ لجميع الأمة، وفي ضمن ذلك الأمرِ

---

(١) حديث ابن عباس له عدة طرق، وهذه الطرق في ألفاظها بعض الاختلاف.
(*) ١ ـ أخرجه أحمد (١/ ٢٩٣) والترمذي (٤/ ٦٦٧ رقم ٢٥١٦).
وأبو يعلى في «المسند» (٤/ ٤٣٠ رقم ٢٢٩/ ٢٥٥٦) وابن السني في «عمل اليوم والليلة» رقم (٤٢٥) والبيهقي في «شعب الإيمان» (١/ ٢١٦ رقم ١٩٥). **وإسناده حسن**. من طريق حنش الصنعاني عن ابن عباس.
(*) وأخرجه الطبراني في «الدعاء» (٢/ ٨٠٤ رقم (٤٢) من طريق عبد الله بن صالح وهو صدوق يغلط كثيراً.
(*) وأخرجه أحمد (١/ ٣٠٧) والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص٧٥ ـ ٧٦) واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٤/ ٦١٣ رقم ١٠٩٤) و(٤/ ٦١٤ رقم ١٠٩٥). **بإسناد حسن**.
٢ ـ أخرج الطبراني في «الكبير» (١١/ ٢٣ رقم ١١٥٦٠) بإسناد ضعيف.
٣ ـ أخرج العقيلي (٣/ ٣٩٧ ـ ٣٩٨) والطبراني في «الكبير» (١١/ ١٢٣ رقم ١١٢٤٣) وفي «الدعاء» (٢/ ٨٠٣ رقم ٤١) والحاكم (٣/ ٥٤٢) والبيهقي في «الآداب» رقم (٩٣٣) والقضاعي في «مسند الشهاب» (١/ ٤٣٤ رقم ٧٤٥) والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧/ ٢٠٣ رقم ١٠٠٠١). وفي إسناده عيسى بن محمد القرشي، قال عنه أبو حاتم: «ليس بالقوي». وقال الذهبي: «عيسى ليس بمعتمد»، من طريق ابن أبي مليكة عن ابن عباس.
٤ ـ أخرج عبد بن حميد (رقم: ٦٣٦ ـ المنتخب) **وإسناده ضعيف**. =

الواقِع في جواب الشرطِ نهيٌ لنا عن الاستعانة بغير اللّهِ عز وجل لأنه لا خالقَ للعباد وأفعالِهم غيرُه تعالى، فإذا كان المخلوقُ لا يقدِر على فعل نفسِه إلا بما أقدره الله تعالى عليه فكيف يجوز أن تُطلَبَ الإعانةُ منه على فعل غيرِه، والعاقلُ يفهم ذلك باديَ بَدْء.

خلاصةُ القولِ في تفسير البسملة

والكلامُ على تفسير البسملةِ مُستوفىً في كتب المفسرين[1]، ولنذكُرْ خُلاصةَ

= من طريق عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس.

(*) وله طريق أخرى أخرجها العقيلي في «الضعفاء» (٣/ ٥٣) والآجري في «الشريعة» (ص١٩٨)، والطبراني في «الكبير» (١١/ ١٧٨ رقم ١١٤١٦) مختصراً. بسند ضعيف.

٥ ـ أخرج أبو نعيم في «الحلية» (١/ ٣١٤) وإسناده ضعيف.

٦ ـ أخرج الحاكم (٣/ ٥٤١) **وإسناده ضعيف جداً.**

٧ ـ أخرج أحمد (١/ ٣٠٧) بلفظ الطريق رقم (١). من طريقين:

(الأول): من طريق الحجاج بن الفُرَافِصَة عن ابن عباس. **وهو منقطع.**

و(الثاني): من طريق همام بن يحيى البصري عن ابن عباس. **وهو منقطع.**

قلت: وفي الباب من حديث علي بن أبي طالب، وسهل بن سعد، وأبي سعيد الخدري وعبد الله بن جعفر.

(*) أما حديث علي بن أبي طالب، فقد أخرجه القاضي التنوخي في «الفرج بعد الشدة» (١/ ١١٢) **وإسناده ضعيف جداً.**

(*) وأما حديث سهل بن سعد، فقد أخرجه القاضي التنوخي في «الفرج بعد الشدة» (١/ ١١٥) وإسناده ضعيف.

(*) وأما حديث أبي سعيد الخدري، فقد أخرجه أبو يعلى في «المسند» (٢/ ٣٥٠ رقم ١٠٩٩/١٢٥) وفي معجم الشيوخ رقم (٩٦) وابن عدي في الكامل (٧/ ٢٦٨٣) والآجري في الشريعة» ص١٩٩ واللالكائي (٤/ ٦١٤ رقم ١٠٩٦) والخطيب في «تاريخ بغداد» (١٤/ ١٢٥) وإسناده ضعيف جداً.

(*) وأما حديث عبد الله بن جعفر، فقد أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (١/ ١٣٧ رقم ٣١٥) وقال الألباني: **حديث صحيح**، وإسناده واه جداً. علي بن أبي علي الهاشمي: متروك كما قال أبو حاتم والنسائي، وقال الحاكم: يروي عن ابن المنكدر أحاديث موضوعة يرويها عن الثقات وإنما حكمت على الحديث بالصحة للطرق الآتية... ثم ذكرها.

وأخرجه الطبراني كما في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٨٩، ١٩٠) وقال الهيثمي: وفيه علي بن أبي علي القرشي وهو ضعيف» اهـ.

وخلاصة القول أن الحديث صحيح لطرقه وشواهده.

(١) انظر «معاني القرآن الكريم» للإمام أبي جعفر النحاس (١/ ٥٠ ـ ٥٦). وتفسير البغوي=

ذلك فنقول: الباءُ أداةٌ تخفِضُ ما بعدها، ومعناها في البسملة الاستعانةُ، وتطويلُها في القرآن تعظيماً لكتاب اللّهِ عز وجل، وإسقاطُ الألفِ من الاسم طلباً للخِفَّة لكثرة استعمالِها، وقيل لما أسقطوا الألفَ ردوا طولَها على الباء ليدُلَّ على السقوط، ولذلك لما كُتبت الألفُ في: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ [العلق: ١]، رُدت الباءُ إلى هيئتها.

والاسمُ هو المسمّى وعينُه وذاتُه فإنك تقول: يا الله يا رحمنُ يا رحيمُ، فتدعوه بأسمائه التي سمى بها نفسَه كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وقال تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء: ١١٠]. ولو كانت أسماءُ اللّهِ غيرَه لكان الداعي بها مشركاً إذ دعا مع الله غيرَه، ولكانت مخلوقةً إذ كلُ ما سوى الله مخلوقٌ، وهذا هو الذي حاوله الملحدون في أسماء اللّهِ تعالى وصفاتِه، تعالى الله عمّا يقولون علواً كبيراً.

وسيأتي بسطُ القولِ في ذلك إن شاء الله تعالى في الكلام على الأسماء.

(الله) علمٌ على ذاتِه تبارك وتعالى، وكلُ الأسماء الحسنى تضاف إليه كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [طه: ٨]. ألا ترى أنك تقول: الرحمنُ من أسماء اللّهِ تعالى والرحيمُ من أسماء اللّهِ ونحو ذلك، ولا تقول: اللّهُ من أسماء الرحمن[1]، وقال النبيُ ﷺ: «**إن لله تسعةً وتسعين اسماً مائةً إلا واحداً مَن أحصاها دخل الجنة**»[2].

واختلفوا في كونه مشتقاً أو لا، ذهب الخليلُ وسيبويهِ وجماعةٌ من أئمة اللغةِ والشافعيُ والخطابيُ وإمامُ الحرمين ومَن وافقهم إلى عدم اشتقاقه لأن الألفَ واللامَ فيه لازمةٌ، فتقول: يا اللّهُ ولا تقول يا الرحمن، فلولا أنه من أصل الكلمةِ لما جاز إدخالُ حرفِ النداء على الألف واللام.

وقال آخرون إنه مشتقٌ، واختلفوا في اشتقاقه إلى أقوال أقواها أنه مشتقٌ من

= «معالم التنزيل» (١/ ٤٩ ـ ٥٢) و«جامع البيان» (١/ ٥٠ ـ ٥٩).

(١) انظر ما قاله صاحب شرح الطحاوية في ذلك (ص١٣١). تخريج الألباني.

(٢) أخرجه البخاري (١١/ ٢١٤ رقم ٦٤١٠) ومسلم (٤/ ٢٠٦٣ رقم ٦/ ٢٦٧٧) من حديث أبي هريرة.

أَلَه يألَهُ إلاهةً، فأصلُ الاسمِ الإلهُ. فحُذفت الهمزةُ وأُدغمت اللامُ الأولى في الثانية وجوباً فقيل الله، ومن أقوى الأدلةِ عليه قولُه تعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ٣]، مع قولِه عز وجل: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِي ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ [الزخرف: ٨٤]. ومعناه ذو الألوهيةِ التي لا تنبغي إلا له، ومعنى أَلَه يأْلَه إلاهةً: عبدَ يعبُد عبادةً، فالله المألوه أي المعبود.

ولهذا الاسمِ خصائصُ لا يُحصيها إلا الله عز وجل. وقيل إنه هو الاسمُ الأعظم(١).

﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ٣]. اسمان مشتقان من الرحمة على وجه المبالغة، ورحمنُ أشدُّ مبالغةً من رحيم، فالرحمنُ يدل على الرحمة العامة كما قال تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]. والرحيم يدل على الرحمة الخاصةِ بالمؤمنين كما قال تعالى: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣]. ذكره ابنُ جريرٍ(٢) بسنده عن العزْرميّ بمعناه.

وفي الدعاء المأثور(٣): «**رحمٰنَ الدنيا والآخرةِ ورحيمَهما**»، والظاهرُ المفهومُ

---

(١) لقد ورد الاسم الأعظم في أحاديث صحيحة وستأتي هذه الروايات.

(٢) في «جامع البيان» (١/ ١٢٧ رقم ١٤٦ ـ شاكر).
حدثني السري بن يحيى التميمي، قال: حدثنا عثمان بن زفر، قال سمعت العَرْزَمي يقول: «الرحمن الرحيم» قال: الرحمن بجميع الخلق، الرحيم قال: بالمؤمنين.
(*) السري بن يحيى التميمي الكوفي: شيخ الطبري، لم نجد له ترجمة إلا في الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٢/ ١/ ٢٨٥) وقال: «لم يقض لنا السماع منه، وكتب إلينا بشيء من حديثه، وكان صدوقاً».
(*) والعَرْزَمي، المرويُّ عنه هذا الكلام هنا: ضعيف جداً، قال الإمام أحمد في «المسند» رقم (٦٩٣٨): «لا يساوي حديثه شيئاً»، وهو محمد بن عبيد الله بن أبي سليمان العَرْزَمي. وأما عمه: عبد الملك بن أبي سليمان العزرمي فإنه تابعي ثقة، ولكنه قديم مات سنة(١٤٥هـ). فلم يدركه «عثمان بن زفر» المتوفى سنة (٢١٨هـ).

(٣) وهو جزء من حديث أخرجه المروزي في «مسند أبي بكر الصديق» رقم (٤٠) والحاكم في «المستدرك» (١/ ٥١٥ ـ ٥١٦) والبزار (٤/ ٥٢ رقم ٣١٧٧ ـ كشف) ودلائل النبوة للبيهقي (٦/ ١٧١ ـ ١٧٢) وابن عدي في «الكامل» (٢/ ٦٢١). كلهم من حديث عائشة.
قال الحاكم: هذا حديث صحيح غير أنهما لم يحتجَّا بالحكم بن عبد الله الأيلي.
ورده الذهبي بقوله: قلت: الحكم ليس بثقة. =

من نصوص الكتابِ والسنةِ أن اسمَه الرحمنَ يدل على الصفة الثانية الذاتيةِ من حيث اتصافُه تعالى بالرحمة، واسمه الرحيمُ يدل على الصفة الفعليةِ من حيث إيصالُه الرحمةُ إلى المرحوم، فلهذا قال تعالى: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣]، ﴿إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٧].

ولم يأت قطُّ إنه بهم رحمن، ووصف نبيَّه محمداً ﷺ بأنه رؤوف رحيم فقال تعالى: ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]، ولم يصِف قطُّ أحداً من خلقه أنه رحمن فتأملْ ذلك، والله أعلم.

(راض) خبرٌ لمبتدأ محذوف تقديرُه وأنا راضٍ **(به)** أي بالله عز وجل **(مدبِّراً)** حالٌ من الضمير المجرورِ أي بتدبيره لي في جميع شؤوني، فإن أزِمَّةَ الأمورِ بيده

= وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٨٦): والبزار، وفيه الحكم بن عبد الله الأيلي وهو متروك.
قلت: «الحكم بن عبد الله الأيلي» قال يحيى بن معين: «ليس بثقة» وضعفه العقيلي، وقال ابن حبان: «قال الإمام أحمد: أحاديث الحكم بن عبد الله كلها موضوعة». التاريخ الكبير (٢/ ٣٤٥) و«المجروحين» (١/ ٢٤٨) و«الميزان» (١/ ٥٧٢).
قلت: والخلاصة أن الحديث موضوع، والله أعلم.
(*) وأخرجه الطبراني في «الصغير» (١/ ٢٠٢) من حديث أنس.
وأورده الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ١٨٩) وقال: «رواه الطبراني في «الصغير» ورجاله ثقات».
قلت: دون لفظ «ورحيمهما».
وأورده المنذري في «الترغيب والترهيب» (٢/ ٥٩٨ رقم ٢٧١٦) وقال: رواه الطبراني في «الصغير» بإسناد جيد.
قلت: والخلاصة أن الحديث حسن، والله أعلم.
وأخرجه الطبراني في «الكبير» (٢٠/ ١٥٤ ـ ١٥٥ رقم ٣٢٣) من حديث معاذ.
وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٨٧ ـ ١٨٩) وقال: وفيه نصر بن مرزوق ولم أعرفه وبقية رجاله ثقات، إلا أن سعيد بن المسيب لم يسمع من معاذ.
قلت: نصر بن مرزوق قال عنه ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٤/ ١/ ٤٧٢) «كتبنا عنه وهو صدوق».
أما علة الحديث فهي الانقطاع بين سعيد بن المسيب ومعاذ.
وأخرجه الطبراني (٢٠/ ١٥٩ ـ ١٦٠) رقم (٣٣٢) من طريق آخر عن معاذ.
وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٨٩) وقال: وفيه من لم أعرفهم.
قلت: وخلاصة القول أن الحديث ضعيف بطريقيه والله أعلم.

وهو الذي يعلم ما لا نعلم ويقدِر ما لا نقدِر، وهو الذي يدبر الأمرَ من السماء إلى الأرض: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلۡأَمۡرُ بَيۡنَهُنَّ لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىۡءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىۡءٍ عِلۡمَۢا﴾ [الطلاق: ١٢].

و (**معيناً**) لي على جميع أموري الدينيةِ والدنيوية، فإني لا أقدِر إلا على ما أقدَرني عليه، ولا عِلمَ لي إلا ما علَّمنيه، فلا أعبُد إلا إياه ولا أستعين إلا به ولا أتوكل إلا عليه، ولا حولَ ولا قوةَ إلا بالله، ولا منجا ولا ملجأ منه إلا إليه.

القولُ في حمد اللّهِ وشُكرِه والاستِعانةِ به

(والحمدُ للَّهِ كما هدانا إلى سبيلِ الحقِ واجتبانا)

أي (و) أُثني بحمده فأقول (**الحمد لله**) كما أثنى به على نفسه في كتابه فقال: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]. وأمرَ بذلك عبادَه فقال تعالى مخاطباً لنبيّه خطاباً يدخُل فيه جميعُ أمتِه: ﴿قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ [النمل: ٥٩]. فله الحمدُ كالذي يقول وخيراً مما نقول، سبحانه لا نُحصي ثناءً عليه هو كما أثنى على نفسه، فله الحمدُ على أسمائه الحسنى وصفاتِه العُلى، وله الحمدُ على نِعَمه الظاهرةِ والباطنةِ، وله الحمدُ في الأولى والآخرة.

وعن الأسود بنِ سريع[1] رضي الله عنه قال: قلتُ يا رسولَ الله، ألا أُنشدك محامدَ

---

(١) **وهو حديث حسن.**

أخرجه أحمد مختصراً ومطولاً (٣/ ٤٣٥) و(٤/ ٢٤) والنسائي في «الكبرى» كما في «تحفة الأشراف» (١/ ٧٠ رقم ١٤٧) من طريق الحسن ـ البصري ـ عن الأسود بن سَرِيع.

قال ابن أبي حاتم في «المراسيل» (ص٣٩ ـ ٤٠): «الحسن لم يسمع من الأسود بن سريع لأن الأسود بن سريع خرج من البصرة أيام علي رضي الله عنه. وكان الحسن بالمدينة. قلت له: قال المبارك ـ يعني ابن فضالة ـ في حديث الحسن عن الأسود بن سريع قال: أتيت النبي ﷺ فقلت: إني حمدت ربي بمحامد: «أخبرني» الأسود؟ فلم يعتمد على المبارك في ذلك» اهـ.

وقال ابن المديني في «العلل» (ص٦٧) كما قال ابن أبي حاتم.

قلت: ولكن الأشهر من هذا الحديث أنه من رواية عبد الرحمن بن أبي بكرة عن الأسود وقد قال ابن منده أيضاً: إنه لا يصح سماعه منه، وفيه قصة دخول عمر بن الخطاب عليه أثناء إنشاده وأن النبي ﷺ استنصته وقال عن عمر رضي الله عنه: «هذا رجل لا يحب الباطل».

وللحديث طرق أخرى تقويه عند أحمد والطبراني فهو بها حسن إن شاء الله.

حمِدْتُ بها ربي تبارك وتعالى؟ فقال ﷺ: «**أما إن ربّك يُحب الحمدَ**» رواه أحمدُ والنَّسائي.

وعن الحكَم بن عُمَيرٍ رضي الله عنه وكانت له صحبةٌ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إذا قلتَ الحمدُ لله فقد شكرتَ اللَّهَ فزادك**» رواه ابن جرير[1].

وعن جابر بن عبدِ الله[2] رضي الله عنهما قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**أفضلُ الذكرِ لا إله إلا الله، وأفضلُ الدعاءِ الحمدُ لله**»، رواه التِرمذيُّ والنَّسائيُّ وابنُ ماجَهْ، وقال التِرمِذيُّ: حسنٌ غريبٌ.

وعن أنس بنِ مالكٍ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**ما أنعم اللَّهُ على عبد نعمةً فقال الحمدُ لله إلا كان الذي أعطى** - يعني من هدايته للحمد - **أفضلَ مما أخَذ**» رواه ابنُ ماجه[3]، ....

---

(١) في «جامع البيان» (١/ ١٣٦ رقم ١٥٢) - شاكر.
وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (١/ ١١) ونسبه للطبري، والحاكم في «تاريخ نيسابور»، والديلمي «**بسند ضعيف**».
قال أحمد شاكر: وإسناده ضعيف حقاً، بل هو إسناد لا تقوم له قائمة.
ثم ذكر أن/ عيسى بن إبراهيم القرشي الهاشمي/ هو بلاء هذا الحديث لأن البخاري قال عنه في «الضعفاء الصغير» رقم (٢٦٩): «منكر الحديث». وشيخه/ موسى بن أبي حبيب/ مثله: ضعيف تالف. وقال الذهبي في «الميزان» (٤/ ٢٠٢ رقم ٨٨٥٦) ضعفه أبو حاتم، وخبرُه ساقط.
والخلاصة: فهو حديث ضعيف جداً.

(٢) أخرجه ابن حبان في صحيحه رقم (٨٤٦) والترمذي رقم (٣٣٨٣) والنسائي في «عمل اليوم والليلة» رقم (٨٣١) والحاكم (١/ ٥٠٣). من طريق يحيى بن حبيب بن عربي، عن موسى بن إبراهيم الأنصاري، عن طلحة بن خِراش عن جابر.
قال الترمذي: **هذا حديث حسن غريب**، لا يعرف إلا من حديث موسى بن إبراهيم. وهو صدوق يخطئ كما في «التقريب» رقم (٦٩٤٢)، فمثله يكون حديثه حسناً. وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.
وأخرجه ابن ماجه رقم (٣٨٠٠) والبيهقي في الأسماء والصفات رقم (١٩٣). والبغوي في «شرح السنة» رقم (١٢٦٩) وابن أبي الدنيا في «الشكر» رقم (١٠٢) والخرائطي في «فضيلة الشكر» رقم (٧) والحاكم (١/ ٤٩٨) من طرق عن موسى بن إبراهيم الأنصاري به.
وصححه الحاكم ووافقه الذهبي وهو كما قالا.

(٣) في «السنن» (٢/ ١٢٥٠ رقم ٣٨٠٥). وقال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (٣/ ١٩٢ =

وللقرطبي[1] عنه عن النبي ﷺ قال: «**لو أن الدنيا بحذافيرها في يد رجلٍ ثم قال الحمدُ لله لكان الحمدُ لله أفضلَ من ذلك**».

قال القرطبي[2] وغيرُه: أي لكان إلهامُه الحمدُ لله أكثرَ نعمةً عليه من نِعم الدنيا. لأن ثوابَ الحمدِ لا يفنى ونعيمُ الدنيا لا يبقى. قال الله تعالى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف: ٤٦].

وقال علي[3] رضي الله عنه: الحمدُ لله كلمةٌ أحبها الله تعالى لنفسه ورضِيَها لنفسه وأحب أن تقال.

وقال ابن عباس[4] رضي الله عنهما: الحمدُ لله كلمةُ الشكر، وإذا قال العبدُ الحمدُ لله قال شكرني عبدي.

وقال رضي الله عنه[5]: الحمدُ لله كلمةُ كلِّ شاكرٍ. وقال رضي الله عنه[6]: الحمدُ لله هو الشكرُ لله، هو الاستخذاءُ له والإقرارُ له بنعمته وهدايتِه وابتدائِه وغيرُ ذلك.

= رقم (١٣٣١/٣٨٠٥): «هذا إسناد حسن، شَبيب بن بِشر مختلف فيه» اهـ.
وقال الحافظ في «التقريب» رقم (٢٧٣٨) عن شبيب هذا: «صدوق يخطئ».
فالحديث حسن إن شاء الله. وقد حسن الألباني الحديث في صحيح ابن ماجه.

(١) أورده الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (ص٢٨٠) بدون سند كعادته.
وقد عزاه القرطبي في تفسيره (١/ ١٣١) للحكيم الترمذي ـ وما ذكر المؤلف رحمه الله إنما هو سبق قلم والله أعلم ـ **وحكم المحدث الألباني عليه بالوضع في** «**الضعيفة**» رقم (٨٧٥).

(٢) في تفسيره «الجامع لأحكام القرآن» (١/ ١٣١).

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١/ ١٥) رقم (١٣) و(١/ ١١٧ رقم ٣٤٧). **بسند ضعيف، لضعف الحجاج بن أرطأة**.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١/ ١٣ رقم ٨) **بسند ضعيف جداً**، لأن في سنده علي بن زيد بن جدعان متفق على ضعفه.
وذكره السيوطي في «الدر» (١/ ١١) ونسبه إلى ابن أبي حاتم وابن جرير وابن المنذر. ولم أقف عليه عند ابن جرير.

(٥) ذكره ابن كثير في تفسيره (١/ ٤٨) عن ابن عباس **بدون سند**.

(٦) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١/ ١٤ رقم ٩) وابن جرير في تفسيره (١/ ١٣٥ رقم ١٥١). **بسند فيه ضعف وانقطاع**.
أما الضعف فهو ضعف بشر بن عُمارة الخثعمي الكوفي. =

وقال الضحاك[1]: الحمدُ لله رداءُ الرحمن، وقال كعبُ الأحبار[2]: الحمدُ لله ثناءُ الله.

وفي معنى الحمدُ لله وفضلِها آثارٌ غيرُ ما ذكرنا لا تُحصى. ولما كان من أكبرِ نعمِ اللَّهِ علينا، وأجلِّ مِننِه الواصلةِ إلينا، هدايتُه إيانا إلى صراطِه المستقيم، الذي هو دينُ الإسلام الذي أرسل به رسلَه وأنزل به كُتبَه ولا يَقبل من أحد غيرَه، ناسَبَ الثناءُ عليه بها فقلت (**كما هدانا**) أي على ما هدانا إرشاداً ودِلالةً بكتبه ورُسلِه، وتوفيقاً وتسديداً بمشيئته وقدَرِه (**إلى سبيل الحق**) وهو دينُ الإسلام والإيمانِ (**واجتبانا**) له.

وبذلك قال تعالى ممتناً علينا وله الحمدُ والمنة: ﴿وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ [البقرة: ١٩٨].

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ [الحج: ٧٧ ـ ٧٨].

ولما كان الحمدُ الخَبريُّ أبلغَ من الإنشائي لدلالته على الثبوت والاستمرارِ قدمتُه عليه أولاً ثم عطفتُ عليه الإنشائيَّ جمعاً بينهما فقلت:

= وأما الانقطاع فهو عدم سماع الضحاك من ابن عباس.

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١/ ١٤ رقم ١١) **وهو ضعيف**.
وفي سنده بزيغ بن عبد الله اللحام ومولاه يحيى بن عبد الرحمن كلاهما متكلم فيهما.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١/ ١٤ رقم ١٠) وابن جرير في تفسيره (١/ ١٣٧) رقم (١٥٣).
قال أحمد شاكر: «**هذا إسناد صحيح**. وسواء صح أم ضعف. فلا قيمة له، إذ منتهاه إلى كعب الأحبار. وما كان كلام كعب حجة قط، في التفسير وغيره» اهـ.
قلت: رد كلام كعب الأحبار بالكلية بدون بيان أو توضيح تسرُّع، مع العلم أن له شواهد من الأحاديث المرفوعة.
وخبر كعب هذا أورده السيوطي في «الدر المنثور» (١/ ١٠) وعزاه إلى ابن جرير وابن أبي حاتم.

(أحمده سبحانه وأشكره ومن مساوي عملي أستغفرُهْ)

(أحمده) أي أُنشِئُ له حمداً آخرَ متجدداً على توالي نعمِه وتواتُرِ فضلِه، فله الحمدُ كما ينبغي لجلال وجهِه وعظيمِ سلطانِه (سبحانه) أي تنزيهاً له عما لا يليق بنعوت جلالِه وصفاتِ كمالِه، وهذه العبارة تتضمن معنى قولِه ﷺ في الحديث المتفقِ عليه[1]: «**كَلِمتانِ حبيبتانِ إلى الرحمن، خفيفتان على اللِّسانِ، ثقيلَتَانِ في الميزان: سُبحانَ اللَّهِ وبحمدِهِ سُبحانَ اللَّهِ العظيمِ**».

(وأشكره) على ما أنعم وألْهمَ امتثالاً لقوله عز وجل: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢].

واختلف العلماءُ في معنى الحمدِ والشكرِ هل هما مترادفتان أو لا، فذهب إلى ترادُفهما ابنُ جريرِ الطبريُّ[2] صاحبُ التفسيرِ وجعفرُ الصادقُ وغيرُهما، وذهب جماعةٌ من المتأخرين إلى التفرقة بينهما.

وقال شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميةَ رحمه الله تعالى: الحمدُ يتضمن المدحَ والثناءَ على المحمود بذكر محاسنِه، سواءٌ كان الإحسانُ إلى الحامد أو لم يكن، والشكرُ لا يكون إلا على إحسان المشكورِ إلى الشاكر.

فمن هذا الوجهِ الحمدُ أعمُّ من الشكر لأنه يكون على المحاسن والإحسان، فإن اللَّهَ تعالى يُحمد على ما له من الأسماء الحسنى والمَثَلِ الأعلى، وما خلقه في الآخرة والأولى، ولهذا قال تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ﴾ [الإسراء: ١١١].

وقال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ [الأنعام: ١].

وقال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ﴾ [سبأ: ١].

وقال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾ [فاطر: ١].

---

(١) البخاري في رقم (٦٤٠٦) و(٦٦٨٢) و(٧٥٦٣) ومسلم رقم (٢٦٩٤).

(٢) في «جامع البيان» (١/١٣٨ ـ ١٣٩).

وأما الشكرُ فإنه لا يكون إلا على الإنعام، فهو أخصُّ من الحمد من هذا الوجه، لكنه يكون بالقلب واليدِ واللسانِ كما قيل:

أفادتكمُ النَّعماءُ مني ثلاثةً ... يدي ولساني والضميرَ المحجبا

ولهذا قال تعالى: ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣]. والحمدُ يكون بالقلب واللسانِ، فمن هذا الوجهِ الشكرُ أعمُّ من جهة أنواعِه، والحمدُ أعمُّ من جهةِ أسبابه.

وفي الحديث: «**الحمدُ لله رأسُ الشكر**»[1]، فمن لم يحمَد اللَّهَ لم يشكُرْه. وفي الصحيح[2] عن النبي ﷺ أنه قال: «**إن الله ليرضَى عن العبد أن يأكلَ الأَكلَةَ فيحمَدَه عليها، ويشرَبَ الشَربَة فيحمَدَه عليها**». والله أعلم. انتهى كلامه رحمه الله تعالى.

(ومن مساوي) جمع مَساءة. **(عملي)** مضافٌ إليه من إضافة الصفةِ إلى الموصوف.

(أستغفره) السين للطلب أي أطلب منه مغفرةَ تلك المساوئِ ما تقدم منها وما تأخر إنه هو أهلُ التقوى وأهلُ المغفرة.

(وأستعينُه على نيل الرضا ... وأستمدّ لُطفَه فيما قضى)

(وأستعينه) أطلب منه العونَ **(على نيل الرضا)** أي على فعل الأعمالِ الصالحةِ التي بسببها يُنال رضاه أن يَرزُقَنيها ويُنيلَني رضاه بفضله ورحمتِه.

---

(١) **وهو حديث ضعيف.**
روي من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص، ومن حديث عبد الله بن عباس.
(*) فأما حديث عبد الله بن عمرو بن العاص، فقد أخرجه عبد الرزاق في «المصنف (١٠/ ٤٢٤) وفي تفسيره ـ كما في تخريج أحاديث الكشاف للزيلعي (١/ ٢٥ رقم ٣).
وذكره الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (ص١٩٦)، وأخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٤/ ٩٦ رقم ٤٣٩٥) والثعلبي في تفسيره ـ كما في تخريج أحاديث الكشاف للزيلعي رقم (٣).
والخطابي في غريب الحديث (١/ ٣٤٥ ـ ٣٤٦). والديلمي ـ كما في الفردوس رقم (٢٧٨٤).
ورجاله ثقات لكنه منقطع بين قتادة وابن عمرو. انظر: الضعيفة (١٣٧٢).
(*) وأما حديث ابن عباس فقد أخرجه البغوي في «شرح السنة» (٥/ ٤٩) وفي التفسير (٥/ ١٣٩) والطبراني في «الكبير» (١٢/ ١٩) وفي «الصغير» (١/ ١٠٣) وصححه الحاكم (١/ ٥٠٢).
وقد ضعف الألباني الحديث في «الضعيفة» (٢/ ٩٣ ـ ٩٤).

(٢) في صحيح مسلم (٤/ ٢٠٩٥ رقم ٢٧٣٤) من حديث أنس.

(وأستمد) أي أطلب منه الإمدادَ بأن يرزُقَني (لُطفَه) بي (فيما قضى) وقدَّر من المصائب، وأن يجعلني راضياً بذلك مؤمناً به مستيقناً أنه من عند اللَّهِ وأن وقوعَه خيرٌ عندي من كونه لم يقَع، وأن يهديَ قلبي كما قال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التغابن: ١١].

وكما قال ﷺ: «وأسألك الرضا بعد القضاء»[١] الحديث. فإن ذلك أعلى درجاتِ الإيمان بالقدر، وهو الرضا بالمصيبة.

القولُ في كلمة الشهادة

(وبعد إني باليقين أشهدُ	شهادةَ الإخلاصِ أنْ لا يُعبدُ)
(بالحق مألوهٌ سوى الرحمنِ	مَن جلَّ عن عيب وعن نقصان)

(وبعد) هو ظرفٌ زمانيٌّ يؤتى به للتنبيه على ما بعدَه وفَضْلِه عما قبلَه، ويُبنى على الضم لقطعه عن الإضافة ويُغني عن إعادة المضافِ إليه.

(إني باليقين) القاطعِ الجازمِ بدون شكٍ ولا ترددٍ (أشهد شهادةَ) مصدرٌ مؤكدٌ (الإخلاصِ) مضافٌ إلى شهادة من إضافة الصفةِ إلى الموصوف (أنْ) مخففةٌ من الثقيلة واسمُها ضميرُ الشأن مُستَكِنٌّ والتقديرُ أنه، والخبرُ (لا يُعبد) بضم الياء وفتحِ الباءِ بالبناء للمفعول (بالحق) يتعلق بيُعبد (مألوهٌ) نائبُ الفاعل ليعبد ومعناه معبودٌ (سوى) أداةُ استثناء بمعنى إلا (الرحمنِ) أي لا معبودَ بحق إلا اللَّهُ عز وجل، والتقييدُ بحق يخرُج به الآلهةُ المعبودةُ بباطل فإنها قد عُبدت، والمنفيُّ هو استحقاقُ العبادةِ عن غيرِ اللَّهِ عز وجل لا وقوعُها، وهذه هي شهادةُ أن لا إله إلا الله، ولما لم يُمكنْ في النظم الإتيانُ بلفظها نظمتُها بمعناها، وسيأتي إن شاء اللَّهُ تعالى بسطُ القولِ في تفسيرها.

(مَن جلَّ) في صفات كمالِه ونعوتِ جلالِه (عن عيب وعن نقصان) وهما لفظان مترادفان. فكلُ عيبٍ يسمى نقصاناً وكلُ نقصانٍ يسمى عيباً، واللَّهُ سبحانه

---

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٨/٣١٩ رقم ٨٢٥) وفي «الأوسط» (٦/١٦٥ رقم ٦٠٩١) وفي «الدعاء» رقم (١٤٢٣)، من حديث فضالة بن عبيد.
وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/١٧٧) وقال: ورجالهما ثقات.

وتعالى منزهٌ عن ذلك كلِه، بل له الجلالُ المطلقُ والكمالُ المطلقُ في ذاته وأسمائِه وصفاتِه وأفعالِه.

(وأن خيرَ خلقِه محمدا — مَن جاءنا بالبينات والهدى)

(رسولُه إلى جميع الخلقِ — بالنور والهدى ودينِ الحق)

(و) أشهد **(أن خيرَ)** أفضلَ **(خلقِه)** هاءُ الضميرِ يعود على الرحمن **(محمداً)** بدلٌ من خير أو عطفُ بيانٍ، ومعناه الكثيرُ المحامدِ فهو أبلغُ من محمود.

(من جاءنا بالبينات والهدى) من عندِ اللهِ عز وجل، هذه الجملةُ صلةُ مَن، وهو محلُه النصبُ نعتٌ لمحمد ﷺ والخبرُ **(رسولُه)** الرسولُ بمعنى المرسَل وهو من أُوحيَ إليه وأُمر بالتبليغ، فإن أوحيَ إليه ولم يؤمر بالتبليغ فهو نبيٌّ فقط، فكلُ رسولٍ نبيٌّ ولا عكسٌ.

(إلى جميع الخلق) كافةً، قال الله عز وجل: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سبأ: ٢٨]. وقال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ فَـَٔامِنُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

وفي الصحيح[1] من حديث الخصائصِ: «**وكان الرسولُ يُبعث في قومه خاصةً وبُعثت إلى الناس عامة**».

وفيه أيضاً[2]: «**والذي نفسُ محمدٍ بيدِهِ، لا يسمعُ بي أحدٌ من هذه الأمةِ يهوديٌّ ولا نصرانيٌّ ثم يموتُ ولم يؤمنْ بالذي أُرسلتُ به إلا كان من أصحابِ النار**».

(بالنور) **المبين** وهو القرآنُ الذي قال اللهُ عز وجل فيه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١٧٤]. وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ

---

(١) البخاري رقم (٣٣٥) و(٤٣٨) و(٣١٢٢) ومسلم رقم (٥٢١) من حديث جابر.

(٢) أي في الصحيح.
أخرجه مسلم (١/ ١٣٤ رقم ٢٤٠/ ١٥٣).

مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٥٢ صِرَٰطِ ٱللَّهِ﴾ [الشورى: ٥٢ ـ ٥٣]. الآية. وقال تعالى: ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَاۚ﴾ [التغابن: ٨]، وغيرُ ذلك من الآيات.

(والهدى) الإرشادُ والدلالةُ إلى الصراط المستقيم، **(ودين الحق)** الإسلامُ الذي لا يقبل اللّهُ تعالى من أحد غيرَه، قال الله عز وجل: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ [الصف: ٩]. وكلٌ من القرآن والرسولِ والإسلامِ يسمى نوراً وهدىً وصراطاً مستقيماً، وكلُ الثلاثةِ متلازمةٌ، تقول: أرسلَ اللّهُ عز وجل رسولَه وأنزل عليه كتابَه بدين الإسلام، وتقول دينُ الإسلامِ هو الذي أرسل اللّهُ به رسولَه وأنزل به كتابَه، وكلٌ منها نورٌ مبين، وهدىً مستبين، وصراطٌ مستقيم.

القولُ في الصلاة، والتعريف بالآل والأصحاب

(صلى عليه ربُنا ومجّدا والآلِ[1] والصحبِ دواماً سرمدا)

(صلى عليه ربنا) قال أبو العالية[2]: الصلاةُ من الله عز وجل ثناؤه على عبده في الملإِ الأعلى، ذكره عنه البخاريُّ.

ومنه قولُه تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَـٰٓئِكَتُهُۥ﴾ [الأحزاب: ٤٣].

وفي الصحيح[3] من الحديث القُدسيِّ: «**وإذا ذكرني في نفسه ذكرتُه في نفسي، وإذا ذكرني في ملأٍ ذكرتُه في ملأٍ خيرٍ منهم**».

(ومجّدا) بألف الإطلاقِ، أي شرّفه وزاده تشريفاً وتمجيداً **(والآل)** أي آلِه ﷺ وهم أتباعُه وأنصارُه إلى يوم القيامة[4] كما قيل:

---

(١) انظر ما كتبناه في تعليقنا على هذا البيت رقم (١/ ٥٧ رقم التعليقة ٣).

(٢) ذكره البخاري في صحيحه معلقاً (٨/ ٥٣٢ رقم الباب ١٠). ووصله القاضي إسماعيل بن إسحاق الجهضمي في فضل الصلاة على النبي ﷺ (٩٥) بإسناد حسن كما قال الشيخ الألباني.

(٣) أخرجه البخاري رقم (٧٤٠٥) و(٧٥٠٥) و(٧٥٣٧) ومسلم (٤/ ٢٠٦٨ رقم ٢٦٨٦) من حديث أبي هريرة.

(٤) **واعلم أن للعلماء في حقيقة أهل البيت خمسة أقوال:** =

....

= (القول الأول):
إنهم الذين حرمت عليهم الصدقة، وبذلك فسرهم زيد بن أرقم الصحابي في صحيح مسلم رقم (٢٤٠٨).
(القول الثاني):
إن آله ﷺ أزواجه وذريته خاصة، حكاه ابن عبد البر عن قوم، واستدلوا بالحديث الذي أخرجه البخاري (٦/ ٤٠٧ رقم ٣٣٦٩) ومسلم (٤/ ١٢٧ - نووي).
عن أبي حُميد الساعديُّ ﷺ.
(القول الثالث):
إن آله صلى الله عليه وسلم أتباعه إلى يوم القيامة، حكاه ابن عبد البر عن بعض أهل العلم.
قال الأمير الصنعاني: وهو مذهب نشوان بن سعيد الحميري (ت: ٥٧٣هـ).
(القول الرابع):
إن آله ﷺ هم الأتقياء من أمته، حكاه القاضي حسين، والراغب، وغيرهما. ويستدل له بحديث: (آل محمد كل تقي).
قلت: وهو حديث موضوع. أخرجه العقيلي في الضعفاء (٤/ ٢٨٦ - ٢٨٧) والبيهقي في «السنن الكبرى» (٢/ ١٥٢) وابن الجوزي في «العلل المتناهية» (١/ ٢٦٦ - ٢٦٧ رقم ٤٢٩) كلهم من طريق نافع أبو هرمز.
قال البيهقي: «وهذا لا يحل الاحتجاج بمثله (نافع السلمي أبو هرمز) بصري كذبه يحيى ابن معين. وضعفه أحمد بن حنبل وغيرهما من الحفاظ. وبالله التوفيق» اهـ.
وقال ابن الجوزي: «هذا الحديث لا يصح عن رسول الله ﷺ ونافع يغلب على حديثه الوهم، قال يحيى بن معين: لا يكتب حديثه، وضعفه هو وأحمد بن حنبل، وقال يحيى بن مرة: كذاب. وقال الدارقطني: متروك» اهـ.
(القول الخامس):
إن آله ﷺ هم الذين جللهم بالكساء، ومن تناسل منهم من أولادهم إلى يوم القيامة.
واستدلو بالحديث الذي أخرجه مسلم في صحيحه (٤/ ١٨٨٣ رقم ٦١/ ٢٤٢٤).
عن عائشة ﵂، قالت: خرج النبي ﷺ غداةً، وعليه مِرْطٌ مُرَحَّل، من شعر أسود، فجاء الحسن بن علي فأدخله، ثم جاء الحسين فدخل معهُ، ثم جاءَت فاطمة فأدخلها، ثم جاء عليٌّ فأدخله، ثم قال:
﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ [الأحزاب: ٣٣].
- مرط: المرط كساء، جمعه مروط.
- مُرَحَّل: هو الموشَّى المنقوش عليه صور رحال الإبل.
والخلاصة: إن أقوى الأقوال وأقربها بالاستدلال القول الأول والخامس، والله أعلم.

آلُ النبيِّ هُمو أتباعُ مِلَّتِه على الشريعة من عُجم ومن عربِ
لو لم يكن آلُه إلا قرابتُه صلى المصلّي على الطاغي أبي لهبِ

ويدخُل الصحابةُ من باب أولى، ويدخُل فيه أهلُ بيتِه من قرابته وأزواجِه وذريتِه من بابِ أولى وأولى.

(والصاحب) جمعُ صحابي وهو من رأى أو لقِيَ النبيَّ ﷺ مؤمناً به ولو لحظةً ومات على ذلك ولو تخللت ردةٌ في الأصح[1]، وهم أفضلُ القرونِ في هذه الأمةِ[2]، وسيأتي في آخر المتنِ الكلامُ على فضل بعضِهم على بعض إن شاء الله تعالى.

---

(١) قال الحافظ ابن حجر في «الإصابة» (١/ ٧ ـ ٨): «وأصح ما وقفت عليه من ذلك أنَّ الصحابي: من لقي النبيَّ ﷺ مؤمناً به ومات على الإسلام. فيدخل فيمن لقيه من طالت مجالسته له أو قصُرت، ومن روى عنه أو لم يرْوِ، ومن غزا معه أو لم يغزُ، ومن رآه رؤية ولم يجالسه، ومن لم يره لعارض كالعمى.
ويدخل في التعريف:
ـ كل مكلف من الجن والإنس.
ـ وكل من لقيه مؤمناً ثم ارتد، ثم عاد إلى الإسلام، ومات مسلماً سواء اجتمع به ﷺ مرة أخرى أم لا، وهذا هو الصحيح المعتمد كالأشعث بن قيس، فإنه ارتد ثم عاد إلى الإسلام في خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ومات مسلماً. فقد اتفق أهل الحديث على عدّه من الصحابة.
ويخرج من التعريف:
ـ من لقيه كافراً، ولو أسلم بعد ذلك، إذا لم يجتمع به مرة أخرى.
ـ من لقيه مؤمناً بغيره، كمن لقيه من مؤمني أهل الكتاب قبل البعثة.
ـ من لقيه مؤمناً به، ثم ارتد ومات على ردته والعياذ بالله.
ثم قال: وهذا التعريف مبني على الأصح المختار عند المحققين كالبخاري وشيخه أحمد بن حنبل ومن تبعهما»، اهـ بتصرف.

(٢) يشير المؤلف رحمه الله إلى الحديث الذي أخرجه البخاري (٥/ ٢٥٩ رقم ٢٦٥٢) ومسلم (٤/ ١٩٦٢ رقم ٢٥٣٣) والترمذي (٥/ ٦٩٥ رقم ٣٨٥٩) وقال: **حديث حسن صحيح**.
من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: **«خيرُ الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيءُ أقوامٌ تسبقُ شهادةُ أحدهم يمينه، ويمينه شهادته»**.
وفي الباب عن أبي هريرة، وعائشة، وعمران بن حصين رضي الله عنهم.
(*) أما حديث أبي هريرة فقد أخرجه مسلم (٤/ ١٩٦٣ رقم ٢٥٣٤).
(*) وأما حديث عائشة فقد أخرجه مسلم (٤/ ١٩٦٥ رقم ٢٥٣٦).
(*) وأما حديث عمران بن حصين فقد أخرجه البخاري رقم (٢٦٥١، ٣٦٥٠، ٦٤٢٨، ٦٦٩٥) ومسلم (رقم ٢١٤/ ٢٥٣٥).

التعريفُ بموضوع الكتابِ

(وبعدُ: هذا النظمُ في الأصول لمن أراد منهجَ الرسول)
(سألني إياه من لا بُدّ لي من امتثال سُؤلِه المُمتثَلِ)

(وبعد) تقدم الكلامُ عليه قريباً، أي وبعد الشهادتين والصلاةِ والسلام على محمد صلى الله عليه وسلم وآلِه وصحبِه **(هذا النظمُ)** الألف واللامُ للعهد الحضوريّ، موضوعُه **(في الأصول)** والمُراد بها هنا أصولُ الدين من الإيمان بالله عز وجل وأسمائِه وصفاتِه وملائكتِه وكتبِه ورسلِه واليومِ الآخرِ وبالقدر خيرِه وشرِه، وأركانُ الإسلامِ الشهادتين والصلاةُ والزكاةُ والصومُ والحجُ وما يتعلق بكل منها، والكلامُ على رسالة نبينا محمدٍ ﷺ وما يتعلق بها، والكلامُ في مسألة الخلافةِ والاعتصامِ بالكتاب والسنة وما تحتوي عليه كلُ مسألةٍ من ذلك، وسترى إن شاء الله تعالى تبيانَها مفصلاً **(لمن أراد)** من المؤمنين.

(منهجَ الرسول) سبيلَه ومسلكَه وهو ما عليه أهلُ السنةِ والجماعة. **(سألني الخ)** البيت بيّنٌ واضحٌ.

(فقلت مع عجزي ومع إشفاقي معتمداً على القدير الباقي)

(فقلت) جوابُ سألني **(مع عجزي)** عدم قُدرتي على ذلك **(ومع إشفاقي)** خوفي من الغلط في هذا البابِ الذي المسألةُ منه أكبرُ من الدنيا وما فيها، وذلك لقِصَر باعي وقِلة اطلاعي، والذي قوّى عزْمي على ذلك هو كوني **(معتمداً)** أي متوكلاً **(على القدير)** الذي لا يعجزه شيءٌ في السموات ولا في الأرض **(الباقي)** الذي كلُ شيءٍ هالكٌ إلا وجهَه، له الحكمُ وإليه تُرجعون: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣]، ﴿وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨]. ولا حولَ ولا قوةَ إلا بالله العليّ العظيم.



مُقدِّمة

تُعرِّف العَبْدَ بما خلِقَ له،
وبأوَّل ما فرضَ الله تعالى عليه
وَبما أخذَ الله عليه به الميثاقَ في ظهرِ أبيه آدمَ،
وَبما هوَ صائرٌ إليه



(اعلم بأن اللَّهَ جل وعلا لم يترك الخلقَ سُدىً وهَملا)
(بل خلق الخلقَ ليعبدوه وبالإلهيّة يُفرِدوه)

(اعلم) كلمةٌ يؤتى بها للاهتمام وللحث على تدبر ما بعدها، والخطابُ بها في هذا الموضعِ لكل المكلفين.

(بأن الله جل) شأنُه وتنزّه عن كل نقص **(وعلا)** بكل معاني العلوّ **(لم يترك الخلق سدى و)** لا **(هملا)**، أي لا يأمرهم ولا ينهاهم في الدنيا ولا يبعثهم فيجازيهم في الآخرة، لأنه تعالى ما خلقهم إلا بالحق لا عبثاً ولا باطلاً، بل لحكمة بالغةٍ يستحق عليها الحمدَ، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (١٩٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٩١)﴾ [آل عمران: ١٩٠ ـ ١٩١].

﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا﴾ أي الخلقَ ﴿بَاطِلًا﴾ لا بل بالحق ليجزيَ الذين أساءوا بما عملوا ويجزيَ الذين أحسنوا بالحسنى. ثم نزّهوه عن العبث وخلْقِ الباطلِ فقالوا: ﴿سُبْحَانَكَ﴾ أي عن أن تخلُقَ شيئاً باطلاً تباركت وتعاليتَ. وقال تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ۚ تَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٣) خَلَقَ الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ (٤)﴾ [النحل: ٣ ـ ٤].

يخبر تعالى عن خلقه العالَم العُلويَّ وهو السمواتُ بما حوت، والعالَمُ السُفليَّ وهو الأرضُ بما حوت، وإن ذلك مخلوقٌ بالحق لا للعبث، ثم نزه تعالى نفسَه عن شرك من عُبد معه غيرُه وهو المستقلُ بالخلق وحده لا شريك له، فلهذا يستحق أن يُعبدَ وحده لا شريك له ثم نبه تعالى على خلق جنسِ الإنسان من نطفة أي مَهينةٍ ضعيفة، فلما استقل ودرَجَ إذا هو يخاصم ربَّه تعالى ويكذبه ويحارب رسلَه، وهو إنما خُلق ليكون عبداً لا ضداً، وهذا كقوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ (٧٧) وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ ۖ قَالَ مَن

يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ ٧٨ قُلۡ يُحۡيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلۡقٍ عَلِيمٌ ٧٩﴾ [يس: ٧٧ ـ ٧٩].

وقال تعالى: ﴿أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ عَبَثٗا وَأَنَّكُمۡ إِلَيۡنَا لَا تُرۡجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥]. أي أفظننتم أنكم مخلوقون عبثاً بلا قصدٍ ولا إرادةٍ منا ولا حكمةٍ لنا، وقيل للعبث أي لتلعبوا وتعبثوا كما خُلقت البهائمُ لا ثوابَ لها ولا عقابَ: ﴿وَأَنَّكُمۡ إِلَيۡنَا لَا تُرۡجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥]. أي لا تعودون في الدار الآخرة، لا، ليس الأمرُ كذلك، إنما خلقناكم للعبادة وإقامةِ أوامرِ اللهِ عز وجل ثم نبعثكم ليوم لا ريبَ فيه فنجازي كلَّ عاملٍ بعمله إن خيراً فخيرٌ وإن شراً فشرٌ، وهذا يقولُه تعالى لأهل النارِ توبيخاً وتقريعاً وتبكيتاً بعد ما رأَوا الحقائقَ عينَ اليقين.

ثم قال تعالى منزهاً نفسَه عما حسِبوه: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۖ﴾ [المؤمنون: ١١٦]، أي تقدس أن يخلُقَ شيئاً عبثاً فإنه الملكُ الحقُّ المنزه عن ذلك ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡكَرِيمِ﴾ [المؤمنون: ١١٦]، وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا بَٰطِلٗاۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [ص: ٢٧].

يخبر تعالى أنه ما خلق الخلقَ عبثاً وإنما خلقهم ليعبُدوه ويوحِّدوه ثم يجمعهم ليوم الجمعِ فيُثيب المطيعَ ويعذبُ الكافرَ، وليس الأمرُ كما يظنه الذين كفروا الذين لا يرَون بعثاً ولا معاداً، وإنما يعتقدون هذه الدارَ فقط: ﴿فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [ص: ٢٧]، أي ويلٌ لهم يومَ مَعادِهم ونشورِهم من النار المعدّة لهم.

ثم بيَّن تعالى أنه عز وجل مِن عدلِه وحكمتِه لا يساوي بين المؤمنين والكافرين فقال تعالى: ﴿أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلۡمُفۡسِدِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلۡمُتَّقِينَ كَٱلۡفُجَّارِ﴾ [ص: ٢٨]، أي لا نفعل ذلك ولا يستوون عند الله، وإذا كان الأمرُ كذلك فلا بد من دار أخرى يثاب فيها هذا المتقي ويعاقبُ هذا الفاجر.

قال ابنُ كثير(١) رحمه الله تعالى: وهذا الإرشادُ يدل على العقولَ السليمةِ

---

(١) في تفسيره (٤/٣٦).

والفِطَرِ المستقيمةَ على أنه لا بد من مَعاد وجزاءٍ، فإنا نرى الظالِمَ الباغيَ يزداد مالُه وولدُه ونعيمُه ويموت كذلك، ونرى المطيعَ المظلومَ يموت بكمده، فلا بد في حكمة الحكيمِ العليمِ العادلِ الذي لا يظلِمُ مثقالَ ذرةٍ من إنصاف هذا المظلومِ من هذا الظالم، وإذْ لم يقع هذا في هذه الدار، فتعين أن هناك داراً أخرى لهذا الجزاءِ والمواساة.

وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ﴾ [الروم: ٨].

يقول تعالى منبهاً على التفكر في مخلوقاته الدالةِ على وجوده وانفرادِه بخلقها وأنه لا إله غيرُه ولا ربَّ سواه فقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ﴾ [الروم: ٨]، يعني به النظرَ والتدبرَ والتأملَ لخلق اللّهِ عز وجل الأشياءَ من العالم العلويِّ والسُفليِّ وما بينهما من المخلوقات المتنوعةِ والأجناس المختلفةِ فيعلموا أنها ما خلقت سدىً ولا باطلاً بل بالحق، وأنها مؤجلةٌ إلى أجل مسمًّى وهو يومُ القيامة، ولهذا قال تعالى: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ﴾ [الروم: ٨].

وقال تعالى: ﴿خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ﴾ [العنكبوت: ٤٤]، أي للحق وإظهارِ الحقِ لا على وجه العبثِ واللعبِ ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ أي في خلقها: ﴿لَءَايَةً﴾ أي لدلالة ﴿لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ على أنه تعالى المتفرّدُ بالقُدَر والخلق والتدبير والإلهية.

وقال تعالى: ﴿خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ﴾ [العنكبوت: ٤٤] أي بالعدل ﴿وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الجاثية: ٢٢].

وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ﴾ [الحجر: ٨٥] أي لا على وجه العبث واللعب ﴿وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ﴾ أي وإلى مدة معينةٍ مضروبةٍ، يعني يوم القيامةِ وهو الأجلُ الذي تنتهي إليه السموات وهو الإشارة إلى فنائهما.

وقال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة: ٣٦]. قال السدي(١):

---

(١) ذكره ابن كثير في تفسيره (٤/ ٤٨٢).

يعني لا يُبعث. وقال مجاهدٌ[1] والشافعيُّ[2] وعبدُ الرحمنِ بنُ زيدِ بنِ أسلمَ[3]: يعني لا يُؤمر ولا يُنهى.

قال ابنُ كثير[4] رحمه الله تعالى: والظاهرُ أن الآيةَ تعم الحالين، أي ليس يُترك في هذه الدنيا مهملاً لا يُؤمر ولا يُنهى، ولا يُترك في قبره سُدىً لا يُبعث، بل هو مأمورٌ منهيٌّ في الدنيا محشورٌ إلى الله في الدار الآخرة.

(بل خلق) الله تعالى **(الخلق ليعبدوه)** عز وجل بما شرعه على ألسنة رسلِه وأنزل به كتبَه، **(و)** مع عبادتهم إياه لا يُشركون بعبادته أحداً كائناً مَن كان، بل **(بالإلهية يُفردوه)** دون ما سواه، فمن عبد اللَّهَ تعالى ألفَ سنةٍ ثم أشرك به لحظةً من اللحظات ومات على ذلك حبِطَ جميعُ عملِه وصار هباءً منثوراً حيث أشرك مع الله في عبادتِه مَن هو مثلُه مخلوقٌ لعبادة الله عز وجل، قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

قال عليُّ بنُ أبي طالبٍ[5] رضي الله عنه: أي إلا لآمُرَهم أن يعبُدونِ وأدعُوهم إلى عبادتي، يؤيده قوله عز وجل: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١].

وقال عليُّ بنُ أبي طلحةَ عن ابن عباس رضي الله عنهما: إلا ليعبُدون: إلا ليُقِرّوا بعبادتي طوعاً أو كرهاً[6] وهذا اختيارُ ابنِ جريرٍ[7].

وقال ابنُ جُريجٍ[8] ومجاهدٌ[9]: إلا ليعرفونِ. وقال الربيعُ بنُ أنسٍ[10]: أي إلا للعبادة طوعاً أو كرهاً.

وقال السدي[11]: مِن العبادة ما ينفع ومنها ما لا ينفع: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥].

---

(١) أخرجه الطبري في «جامع البيان» (١٤/ج٢٩/ ٢٠٠ ـ ٢٠١).
(٢) ذكره ابن كثير في تفسيره (٤/ ٤٨٢).
(٣) أخرجه الطبري في «جامع البيان» (١٤/ج٢٩/ ٢٠١).
(٤) في تفسيره (٤/ ٤٨٢).
(٥) ذكره البغوي في تفسيره (٧/ ٣٨٠).
(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٣/ج٢٧/ ١٢) وفيه انقطاع بين علي بن أبي طلحة وابن عباس.
(٧) في «جامع البيان» (١٣/ج٢٧/ ١٢).
(٨)(٩)(١٠)(١١) ذكرهم ابن كثير في تفسيره (٤/ ٢٥٥).

فهذا منهم عبادةٌ ولا ينفعهم مع الشرك. وقال الضحاك[١]: المرادُ بذلك المؤمنون اهـ. من تفسير ابن كثير.

وقال الكلبيُّ[٢] والضحاكُ[٣] وسفيانُ[٤]: هذا خاصٌ لأهل طاعتِه من الفريقين، يدل عليه قراءةُ ابن عباس[٥]: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ﴾ - من المؤمنين - ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]. ثم قال في آية أخرى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

وقال بعضهم: وما خلقتُ السعداءَ من الجن والإنسِ إلا لعبادتي، والأشقياءَ منهم إلا لمعصيتي.

وهذا معنى قولِ زيدِ بن أسلمَ[٦] قال: هم على ما جُبِلوا عليه من الشقاوة والسعادة. وقيل معناه إلا ليخضَعوا إليَّ ويتذلّلوا، ومعنى العبادةِ في اللغة التذلُّل والانقيادُ، فكلُ مخلوقٍ من الجن والإنسِ خاضعٌ لقضاء اللّهِ ومتذلل لمشيئته، ولا يملِك أحدٌ لنفسه خروجاً عما خُلق عليه قدْرَ ذرّةٍ من نفع ولا ضُر.

وقيل: إلا ليعبدون: إلا ليوحدون. فأما المؤمنُ فيوحّده في الشدة والرخاء، وأما الكافرُ فيوحّده في الشدة والبلاء دون النعمةِ والرخاءِ، بيانُه قولُه عز وجل: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [العنكبوت: ٦٥]. الآية اهـ. من تفسير البغويّ[٧] رحمه الله تعالى.

قلت: وهذه الأقوالُ في هذه الآيةِ وإن كانت متقاربةً والآيةُ تسع جميعَها، أرجحُها الأولُ وهو قولُ أمير المؤمنين عليِّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه: إلا لآمرَهم وأدعُوَهم لعبادتي، يؤيده قولُه تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١]، وقولُه تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا

(١) ذكره ابن كثير في تفسيره (٤/ ٢٥٥).
(٢)(٣) ذكره الشوكاني في فتح القدير (٥/ ٩٢) ثم أضاف: «واختيار الفراء وابن قتيبة».
(٤) ذكره البغوي في تفسيره (٧/ ٣٨٠).
(٥) ذكره البغوي في تفسيره (٧/ ٣٨٠).
(٦) أخرجه الطبري في «جامع البيان» (١٣/ج٢٧/ ١١).
(٧) (٧/ ٣٨٠ - ٣٨١)

﴿لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة: ٥] الآية وغيرُها من الآيات.

ويؤيد ذلك أن اللَّهَ تبارك وتعالى إنما شاء العبادةَ من جميع عبادِه وأرادها منهم وقضاها عليهم في الشرع لا في الكون، فمن أطاع أمرَه وأتى بما أراده وشاءه منه فله رضاه والجنةُ، ومن خالف في ذلك فله سَخَطُه والنارُ.

ولو شاء الله تعالى من جميعهم العبادةَ وأرادها في الكون لم يكن لهم بدٌّ من ذلك ولم يكن لأحد إلى معصية اللَّهِ تعالى من سبيل، ولا يخرُج عن قضائِه تعالى وقدَره شيءٌ من المخلوقات مثقالَ ذرة، فإنه لا رادَّ لقضائه، ولا مُعقِّبَ لحكمه، ولا مُضَادَّ لأمره، ولا ناقضَ لما أبرمه، ولا دافعَ لما قدّره، ولذلك قال المفسرون هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣]. فقال ابن عباس[١] وقَتادةُ[١] والحسنُ[١]: وأمرَ ربُك.

وقال الربيعُ بنُ أنسٍ[٢] وأوجب ربُك. وقال مجاهد[١]: وأوصى ربُك.

وقرأ أبيُّ بنُ كعبٍ[١] وابنُ مسعودٍ[١] والضحاكُ بنُ مُزاحم[١]: ووصى ربك ألا تعبدوا إلا إياه، ولو أنه تبارك وتعالى قضى في الكون أن لَا يُعبد إلا إياه لم يشرِكْ به أحدٌ من خلقه، وإنما قضى ذلك شرعاً ليبلُوَكم أيُكم أحسنُ عملاً، ليجزيَ الذين أساءوا بما عملوا ويجزيَ الذين أحسنوا بالحسنى.

وهذه المشيئةُ منه للعبادة مِن عباده شرعاً عامةٌ لمؤمنهم وكافرِهم، وأما مشيئتُه للعبادة الكونية القدَريةِ فخاصةٌ للمؤمنين، فلهذا اتفقتْ فيهم المشيئتان فوافقوا المشيئةَ الشرعيةَ لِما سبق لهم في المشيئة القدريةِ الكونية.

وأما الكافر فلم يوافق المشيئةَ الشرعيةَ لِما سبق عليه في المشيئة القدَرية مِن الشقاوة. فتبين بهذا أن المشيئةَ الكونيةَ القدَريةَ لا خروجَ لأحدٍ منها، ولا محيدَ له عنها، سواءٌ سبقت له بالشقاوة أو السعادة.

وأما المشيئةُ الشرعيةُ فمن كان سَبَقَ له في القدَرية أنه يوافقها كان كذلك، أو يخالفها كان كذلك.

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ج١٥/ ٦٢).
(٢) ذكره البغوي في تفسيره (٥/ ٨٥).

[تعريف العبادة]

وأما معنى العبادة فقال شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميةَ[1] رحمه الله تعالى: (العبادةُ هي اسمٌ جامعٌ لكل ما يُحبه اللّهُ تعالى ويرضاه من الأقوال والأعمالِ الباطنةِ والظاهرةِ.

فالصلاةُ، والزكاةُ، والصيامُ، والحجُ، وصِدقُ الحديثِ، وأداءُ الأمانةِ، وبِرُّ الوالدين، وصلةُ الأرحامِ، والوفاءُ بالعهود، والأمرُ بالمعروف، والنهي عن المنكر، والجهادُ للكفار والمنافقين، والإحسانُ إلى الجار واليتيمِ والمسكينِ وابنِ السبيلِ، والمملوكِ من الآدميين، والبهائمِ، والدعاءُ، والذكرُ، والقراءةُ، وأمثالُ ذلك من العبادة ـ يعني الظاهرة ـ.

وكذلك حبُّ اللّهِ ورسولِه، وخشيتُه، والإنابةُ إليه، وإخلاصُ الدِينِ له، والصبرُ لِحكمْهِ، والشكرُ لِنعمهِ، والرضا بقضائِه، والتوكلُ عليه، والرجاءُ لرحمته، والخوفُ لعذابه، وأمثالُ ذلك من العبادةِ لله ـ يعني الباطنةَ ـ، وجماعُ العبادةِ كمالُ الحبِ مع كمالِ الذل).

وسيأتي إن شاء اللّهُ تعالى زيادةُ بحثِها في بابها من المتن.

(أخرج فيما قد مضى من ظهرِ ... آدمَ ذرّيَته كالذَّرّ)

(وأخذ العهدَ عليهمْ أنه ... لا ربَّ معبودٌ بحقٍّ غيرُه)

(أخرج) أي اللّهُ تبارك وتعالى **(فيما)** أي الزمنِ الذي **(قد مضى)** وذلك بعد خلقِه آدمَ عليه الصلاة والسلام **(من ظهر آدم)** أبي البشرِ عليه السلام **(ذريته)** كلَّ مَن يوجد منهم إلى يوم القيامة **(كالذر)** أي كهيئته، **(وأخذ)** عز وجل **(العهد عليهم)** وتفسيرُ العهد **(أنه)** الضميرُ للشأن أو الحالِ، هو ربُّهم **(لا رب معبود)** مستحقٌّ للعبادة، ولذا قُيِّد **(بحق غيرُه)** وإلا فكم قد اتخذ أعداؤه من أرباب وعبدوها بالباطل بدون حقٍ بل بالظلم العظيم، قال اللّهُ تبارك وتعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا

---

(١) في «مجموع الفتاوى» (١٠/١٤٩ ـ ١٥٠).

بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾﴾ [الأعراف].

وعن أنس بنِ مالكٍ رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**يقال للرجل من أهل النارِ يوم القيامة: أرأيتَ لو كان لك ما على الأرض من شيء أكنتَ مفتدِياً به؟ قال فيقول: نعم، فيقول: قد أردتُ منك أهونَ من ذلك، قد أخذتُ عليك في ظهر آدمَ أن لا تُشرك بي شيئاً فأبيتَ إلا أن تشرِكَ بي**» أخرجاه في الصحيحين[(١)].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**إن الله تعالى أخذَ الميثاقَ من ظهر آدمَ عليه السلامُ بنعمانَ يومَ عرفةَ، فأخرج من صُلبه كلَّ ذُريةٍ ذَرأها فنثرها بين يديه ثم كلّمهم قُبُلاً**»، قال تعالى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً﴾ - إلى قوله - ﴿ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٢ ـ ١٧٣].

رواه أحمدُ والنسائيُّ والحاكم وقال صحيحُ الإسنادِ ولم يُخرّجاه[(٢)]، وقد رُوي من طرق كثيرةٍ موقوفاً.

---

(١) البخاري (٦/ ٣٦٣ رقم ٣٣٣٤) ومسلم (٤/ ٢١٦١ رقم ٢٨٠٥).

(٢) أحمد في «المسند» (١/ ١٧٢)، والنسائي في «التفسير» (٢١١)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٥٤٤).

قلت: وأخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (١/ ٨٩ رقم ٢٠٢)، وابن جرير في «جامع البيان» (١٣/ ٢٢٢ رقم ١٥٣٣٨)، وابن منده في الرد على الجهمية رقم (٢٩)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص٣٢٦ ـ ٣٢٧) كلهم من طريق الحسين بن محمد المروزي، ثنا جرير بن حازم عن كُلثوم بن جبر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن النبي ﷺ به.

قال الحاكم: صحيح الإسناد. ووافقه الذهبي. قلت: كلثوم بن جبر من رجال مسلم.

وأما ابن كثير فتعقبه في «التفسير» (٢/ ٢٧٢) بقوله: «هكذا قال، وقد رواه عبد الوارث عن كلثوم بن جبر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فوقفه.

وكذا رواه إسماعيل بن عُلَيّة ووكيع عن ربيعة بن كلثوم بن جبر عن أبيه به، وكذا رواه عطاء بن السائب، وحبيب بن أبي ثابت وعلي بن بذيمة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس.

وكذا رواه العوفي وعلي بن أبي طلحة عن ابن عباس. فهذا أكثر وأثبت والله أعلم».

وقال الألباني في «الصحيحة» (٤/ ١٥٩): «قلت: هو كما قال رحمه الله تعالى، ولكن ذلك لا يعني أن الحديث لا يصح مرفوعاً، وذلك لأن الموقوف في حكم المرفوع، لسببين: =

وعن عمرَ بنِ الخطابِ رضي الله عنه أنه سُئل عن هذه الآيةِ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢]. الآية.

فقال عمرُ بنُ الخطاب رضي الله عنه: سمعتُ رسول الله ﷺ سُئل عنها فقال: «**إن الله خلقَ آدمَ عليه السلام ثم مسح ظهرَه بيمينه فاستخرج منه ذريةً، قال: خلقتُ هؤلاء للجنة وبعمل أهلِ الجنةِ يعملون، ثم مسح ظهرَه فاستخرج منه ذريةً، قال: خلقتُ هؤلاءِ للنار وبعمل أهلِ النارِ يعملون**». فقال رجلٌ: يا رسولَ الله ففيم العملُ؟ قال رسولُ الله ﷺ: «**إذا خلق اللَّهُ العبدَ للجنة استعمله بأعمال أهلِ الجنةِ حتى يموتَ على عمل من أعمال أهلِ الجنة فيدخُلَ به الجنةَ، وإذا خلق العبدَ للنار استعمله بأعمال أهلِ النارِ حتى يموت على عمل من أعمال أهلِ النارِ فيدخُلَ به النارَ**». رواه أحمدُ وأبو داود والنسائيُّ والترمذيُّ وابنُ أبي حاتمٍ وابنُ جريرٍ وابنُ حبان في

= **الأول**: أنه في تفسير القرآن، وما كان كذلك فهو في حكم المرفوع، ولذلك اشترط الحاكم في كتابه «المستدرك» أن يخرج فيه التفاسير عن الصحابة كما ذكر ذلك فيه (١/ ٥٥).

الآخر: أن له شواهد مرفوعة عن النبي ﷺ عن جمع من الصحابة، وهم عمر بن الخطاب، وعبد الله بن عمرو، وأبو هريرة، وأبو أمامة، وهشام بن حكيم أو عبد الرحمن بن قتادة السلمي على خلاف عنهما. ومعاوية بن أبي سفيان، وأبو الدرداء، وأبو موسى، وهي وإن كان غالبها لا تخلو أسانيدها من مقال، فإن بعضها يقوي بعضاً.

بل قال الشيخ صالح المقبلي في «الأبحاث المسددة» (ص١٠٢): «ولا يبعد دعوى التواتر المعنوي في الأحاديث والروايات في ذلك».

ولا سيما وقد تلقاها أو تلقى ما اتفقت عليه من إخراج الذرية من ظهر آدم وإشهادهم على أنفسهم بالقبول؛ السلف الصالح من الصحابة والتابعين دون اختلاف بينهم، منهم: عبد الله بن عمرو، وعبد الله بن مسعود، وأبي بن كعب، وسلمان الفارسي، ومحمد بن كعب، والضحاك بن مزاحم، والحسن البصري، وقتادة، وفاطمة بنت الحسين، وأبو جعفر الباقر، وغيرهم.

وقد أخرج هذه الآثار الموقوفة، وتلك الأحاديث المرفوعة الحافظ السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ١٤١ ـ ١٤٥)، وأخرج بعضها الشوكاني في «فتح القدير» (٢/ ٢٥١ ـ ٢٥٢) ومن قبله الحافظ ابن كثير في تفسيره (٢/ ٢٧٢ ـ ٢٧٥) اهـ.

وخلاصة القول أن حديث ابن عباس صحيح، والله أعلم.

صحيحه، وقال الترمذيُّ: هذا حديثٌ حسنٌ[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«لما خلق اللَّهُ آدمَ مسح ظهرَه فسقط من ظهره كلُ نسمةٍ هو خالقُها من ذريته إلى يوم القيامة، وجعل بين عيني كلِ إنسانٍ منهم وَبيصاً من نور، ثم عرضهم على آدمَ فقال: أيْ ربِّ، من هؤلاء؟ قال: هؤلاء ذريتُك. فرأى رجلاً منهم فأعجبه وَبيصُ ما بين عينيه فقال: أي ربِّ، مَن هذا؟ قال: هذا رجلٌ من آخِر الأممِ من ذريتك يقال له داودُ. قال: ربِّ وكم جعلْتَ عمرَه؟ قال: ستين سنةً. قال: أي ربِّ، زده من عمري أربعين سنةً.**

فلما انقضى عمرُ آدمَ جاءه ملك الموت فقال: أو لم يبقَ من عمري أربعون سنةً؟ قال: أوَلم تعطِها لابنك داودَ؟ قال: فجحد آدمُ، فجحدت ذريتُه، ونَسيَ آدمُ،

---

(١) رواه أحمد (١/ ٤٤ ـ ٤٥) وأبو داود (٤٧٠٣) والنسائي في «التفسير» رقم (٢١٠). والترمذي (٥/ ٢٢٦ رقم ٣٠٧٥) وقال: هذا حديث حسن، ومسلم بن يسار لم يسمع من عمر.
وابن ابن حاتم كما في «الدر المنثور» (٣/ ١٤٢). وابن جرير رقم (١٥٣٥٧).
وابن حبان (١٨٠٤ ـ موارد).
قلت: وأخرجه مالك (٢/ ٨٩٨ ـ ٨٩٩) والآجري في «الشريعة» (ص١٧٠) واللالكائي رقم (٩٩٠) والبغوي في «شرح السنة» رقم (٧٧) وابن منده في «الرد على الجهمية» (ص٥٦) رقم (٢/ ٢٨) والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص٣٢٥)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٣٢٤ ـ ٣٢٥، ٥٤٤) وابن أبي عاصم في «السنة» رقم (١٩٦، ٢٠١) والبخاري في تاريخه (٤/ ٢/ ٩٦ ـ ٩٧) من طرق عن زيد بن أبي أنيسة عن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب العدوي عن مسلم بن يسار الجهني ـ به.
قال أبو عمر بن عبد البر في «التمهيد» (٦/ ٣): «هذا الحديث منقطع بهذا الإسناد، لأن مسلم بن يسار هذا لم يلق عمر بن الخطاب، وبينهما في هذا الحديث نعيم بن ربيعة، وهو أيضاً مع هذا الإسناد لا تقوم به حجة، ومسلم بن يسار هذا مجهول».
ثم قال: (٦/ ٥ ـ ٦): «وزيادة من زاد في هذا الحديث: «نعيم بن ربيعة» ليست حجة، لأن الذي لم يذكره أحفظ، وإنما تقبل الزيادة من الحافظ المتقن. وجملة القول في هذا الحديث، أنه حديث ليس إسناده بالقائم، لأن مسلم بن يسار، ونعيم بن ربيعة جميعاً، غير معروفين بحمل العلم، ولكن معنى هذا الحديث، قد صح عن النبي ﷺ من وجوه كثيرة ثابتة يطول ذكرها» اهـ.
والخلاصة فحديث عمر صحيح لغيره، والله أعلم.

فنسِيَتْ ذريتُه». رواه الترمذيُّ[1] وقال: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

وقد رُوي من غير وجه عن أبي هريرةَ رضي الله عنه عن النبي ﷺ، ورواه الحاكمُ[2] وقال صحيحٌ على شرطِ مسلمٍ ولم يخرِّجاه. ورواه ابنُ أبي حاتم في تفسيره[3] نحوَ ما تقدم إلى أن قال: «**ثم عرضهم على آدمَ فقال: يا آدمُ هؤلاء ذريتُك، وإذا فيهم الأجذمُ والأبرصُ والأعمى وأنواعُ الأسقام، فقال آدمُ: يا ربِّ لم فعلتَ هذا بذُرِّيتي؟ قال: كي تشكُرَ نعمتي. وقال آدمُ: يا ربِّ من هؤلاء الذين أراهم أظهرَ الناسِ نوراً؟ قال: هؤلاء هم الأنبياءُ يا آدمُ من ذريتك**». ثم ذكر قصةَ داودَ كنحوِ ما تقدم.

وعن هشامِ بنِ حكيمٍ[4] رضي الله عنه أن رجلاً سأل النبيَّ ﷺ فقال: يا رسولَ الله،

---

(١) في «السنن» (٥/ ٤٥٣ ـ ٤٥٤ رقم ٣٣٦٨) وقال: **هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.**
قلت: وأخرجه الحاكم (١/ ٦٤) و(٤/ ٢٦٣) وصححه، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص٣٢٤ ـ ٣٢٥)، وابن أبي عاصم في «السنة» رقم (٢٠٦) وابن سعد في «الطبقات» (١/ ٢٧ ـ ٢٨) من طرق عن أبي هريرة.

(٢) في «المستدرك» (٢/ ٣٢٥) من حديث أبي هريرة وقال الحاكم: **صحيح على شرط مسلم** ووافقه الذهبي. **وهو كما قالا.**
والخلاصة فحديث أبي هريرة صحيح لغيره.

(٣) عزاه إليه ابن كثير في تفسيره (٢/ ٢٧٤) من حديث عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه أنه حدث عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة.
قلت: سنده ضعيف.
فعبد الرحمن بن زيد بن أسلم العدوي: ضعيف قاله ابن حجر في «التقريب» رقم (٣٨٦٥).
وأخرجه أبو الشيخ في «العظمة» رقم (١٠١٥/ ٤١) وذكره ابن منده في «التوحيد» (١/ ٢١١ رقم ٧٩) تعليقاً قال: روى عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه... وساقه مختصراً.
وأورده السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ١٤٢) مطولاً. وعزاه لابن أبي حاتم، وابن منده، وأبي الشيخ في «العظمة» وابن عساكر.
والخلاصة إن سند الحديث ضعيف لكنه صحيح من طرق أخرى، والله أعلم.

(٤) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٢٢/ ١٦٩ رقم ٤٣٥) وفي «مسند الشاميين» (٣/ ٩١ رقم ١٨٥٤) والبزار (٣/ ٢٠ رقم ٢١٤٠ ـ كشف الأستار) وابن جرير الطبري في «جامع البيان» رقم (١٥٣٧٩).
قال البزار: لا نعلم روى هشام إلا هذا الحديث وآخر. =

أتبدأ الأعمال أم قد قُضي القضاء؟ قال: فقال رسولُ الله ﷺ: **«إن اللَّهَ قد أخذ ذرية آدمَ من ظهورهم، ثم أشهدهم على أنفسهم، ثم أفاض بهم في كفيه، ثم قال: هؤلاء في الجنة وهؤلاء في النار؛ فأهلُ الجنةِ مُيسَّرون لعمل أهلِ الجنة، وأهلُ النار ميسَّرون لعمل أهل النار»**. رواه ابنُ جريرٍ[1] وابنُ مرْدَويه[2] من طرق عنه.

وعن أبي أُمَامةَ ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«لما خلق اللَّهُ الخلقَ وقضى القُضيةَ أخذَ أهلَ اليمين بيمينه وأهلَ الشمالِ بشماله فقال: يا أصحابَ اليمين، فقالوا: لبيك وسعديك، قال: ألستُ بربكم؟ قالوا: بلى. قال: يا أصحابَ الشمال، قالوا: لبيك وسعدَيك، قال: ألستُ بربكم؟ قالوا: بلى.**

ثم خلط بينهم، فقال له: يا ربِّ لم خلطْتَ بينهم، قال: لهم أعمالٌ من دون ذلك هم لها عاملون أن يقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين، ثم ردهم في صُلب آدمَ». رواه ابنُ مرْدَوِيه[3]، وفيه جعفرُ بنُ الزبيرِ وهو ضعيفٌ[4].

= من طريق راشد بن سعد، عن عبد الرحمن بن قتادة، عن أبيه، عن هشام، به.
وأخرجه الطبراني في «الكبير» (٢٢/١٦٨ رقم ٤٣٤) وفي «مسند الشاميين» (٣/ ٩١ رقم ١٨٥٥) وابن جرير في «جامع البيان» رقم (١٥٣٨٠) والآجري في «الشريعة» (ص١٧٢) والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص٣٢٦).
من طريق راشد بن سعد، عن عبد الرحمن بن قتادة، عن هشام، به.
وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/١٨٦) وقال: «رواه البزار والطبراني وفيه بقية بن الوليد وهو ضعيف، ويحسن حديثه بكثرة الشواهد، وإسناد الطبراني حسن».
قلت: وقد فصل المرحوم أحمد شاكر في تعليقه على تفسير ابن جرير (١٣/ ٢٤٤ ـ ٢٤٩) على أسانيد هذا الحديث فراجعه.
وللحديث شواهد من حديث عبد الرحمن بن قتادة وغيره.
والخلاصة أن الحديث حسن، والله أعلم.

(١) تقدم تخريجه في التعليقة المتقدمة.
(٢) عزاه إليه ابن كثير في تفسيره (٢/ ٢٧٤).
(٣) عزاه إليه ابن كثير في تفسيره (٢/ ٢٧٤).
وأورده السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ١٤٣): وعزاه إلى عبد بن حميد، والحكيم الترمذي في «نوادر الأصول»، وأبو الشيخ في «العظمة»، وابن مردويه.
(٤) قاله ابن كثير في تفسيره (٢/ ٢٧٤).
وقال عنه ابن حجر في «التقريب» رقم (٩٣٩): «متروك الحديث، وكان صالحاً في نفسه».

وعن ابن عباسٍ رضي الله عنهما قال: أخرج اللَّهُ ذريةَ آدمَ من ظهره كهيئة الذَّرِّ وهو في آذيّ من الماء. رواه ابنُ جرير[١].

وله[٢] عنه رضي الله عنه قال: إن اللَّهَ تعالى مسح صُلبَ آدمَ فاستخرج منه كلَّ نسَمةٍ هو خالُقها إلى يوم القيامة، فأخذ عليهم الميثاقَ أن يعبدوه ولا يُشرِكوا به شيئاً وتكفَّل لهم بالرزق، ثم أعادهم في صلبه، فلن تقومَ الساعةُ حتى يولدَ من أعطى الميثاقَ يومئذ؛ فمن أدرك منهم الميثاقَ الآخرَ فوفى به نفعه الميثاقُ الأولُ، ومن أدرك الميثاقَ الآخرَ فلم يُقرّ به لم ينفعه الميثاقُ الأولُ، ومن مات صغيراً قبل أن يدرك الميثاقَ الآخرَ مات على الميثاق الأولِ على الفطرة.

وله[٣] عن عبد اللَّهِ بنِ عمرَ رضي الله عنهما قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**وإذ أخذ ربُك من بني آدمَ من ظهورهم ذريتَهم، قال: أخذ من ظهره كما يؤخذ بالمُشط من الرأس، فقال لهم وأشهدهم على أنفسهم: ألستُ بربكم؟ قالوا: بلى، قالت الملائكةُ: شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين**». وصحح ابنُ كثيرٍ وقْفَه[٤].

---

(١) في «جامع البيان» (١٣/ ٢٢٩ رقم ١٥٣٥١).
قلت: وأخرجه ابن منده في «الرد على الجهمية» رقم (٣١).
وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ١٤١) وعزاه إلى عبد بن حميد، وابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن منده في كتاب «الرد على الجهمية»، وأبو الشيخ.
(*) آذيّ الماء: الآذيّ: بالمد والتشديد، الموج الشديد، ويجمع أواذي.
[النهاية: (١/ ٣٤)].

(٢) في «جامع البيان» (١٣/ ٢٣٠ رنم ١٥٣٥٢). من رواية جويبر وهو ضعيف جداً.
وأورده السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ١٤٣).
وأورده ابن كثير في تفسيره (٣/ ٦٠٧).

(٣) في «جامع البيان» (١٣/ ٢٣٢ رقم ١٥٣٥٤). قال أحمد شاكر: رواه أبو جعفر من طرق ثلاث، أولاهما مرفوعة، والأخريان موقوفتان على عبد الله بن عمرو. وهذا الخبر، خرجه السيوطي مرفوعاً في «الدر المنثور» (١/ ١٤٢) وزاد نسبته لابن منده في كتاب «الرد على الجهمية» (ص٣٦ ـ ٦٤).
وذكره ابن كثير في تفسيره (٢/ ٢٧٣) وضعف رفعه، وبيَّن أن وقفه أصح.
وقال الطبري (١٣/ ٢٥٠): «... ولا أعلمه صحيحاً، لأن الثقات الذين يعتمد على حفظهم وإتقانهم، حدثوا بهذا الحديث عن الثوري، فوقفوه على عبد الله بن عمرو، ولم يرفعوه...» اهـ.

(٤) في تفسيره (٢/ ٢٧٣) كما تقدم.

وعن أبي بن كعب رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢]. الآيات، قال: فجمعهم له يومئذ جميعاً ما هو كائنٌ منه إلى يوم القيامة فجعلهم في صُوَرهم، ثم استنطقهم فتكلموا وأخذ عليهم العهدَ والميثاقَ وأشهدهم على أنفسهم ألستُ بربكم؟ قالوا بلى. الآية.

قال فإني أُشهِد عليكم السمواتِ السبعَ والأَرضينَ السبعَ وأُشهِد عليكم أباكم آدمَ أن تقولوا يوم القيامة لم نعلمْ بهذا، اعلموا أنه لا إلَه غيري ولا ربَّ غيري ولا تُشركوا بي شيئاً، وإني سأُرسِل إليكم رُسُلاً ليذكّروكم عهْدي وميثاقي وأُنزل عليكم كتبي.

قالوا: نشهد أنك ربُنا وإلهُنا لا ربَّ لنا غيرُك ولا إله لنا غيرُك، فأقروا له يومئذ بالطاعة، ورفع أباهم آدمَ فنظر إليهم فرأى فيهم الغنيَّ والفقيرَ وحسَنَ الصورةِ ودون ذلك، فقال: يا ربِّ لو سوَّيتَ بين عبادِك، قال: إني أحببتُ أن أُشكَرَ.

ورأى فيهم الأنبياءَ مثلَ السُرُجِ عليهم النورُ، وخُصُّوا بميثاقٍ آخَرَ من الرسالة والنبوة، فهو الذي يقول تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ﴾ [الأحزاب: ٧]. الآية. وهو الذي يقول: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ﴾ [الروم: ٣٠] الآية. ومن ذلك قال: ﴿هَـٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ﴾ [النجم: ٥٦]. ومن ذلك قال: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ﴾ [الأعراف: ١٠٢]. الآية. رواه عبدُ الله بنُ أحمدَ في مُسند أبيه[١] وابنُ أبي حاتمٍ[٢] وابنُ جريرٍ[٣] وابنُ مِرْدويه[٤].

---

(١) (٥/ ١٣٥). وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٢٥) وقال: «رواه عبد الله بن أحمد، عن شيخه محمد بن يعقوب الربالي، وهو مستور، وبقية رجاله رجال الصحيح» اهـ.

(٢)(٤) عزاه إليهما ابن كثير في تفسيره (٢/ ٢٧٤).

(٣) في «جامع البيان» (١٣/ ٢٣٨ رقم ١٥٣٦٣) بإسناد صحيح.

قلت: وأخرجه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٣٢٣ ـ ٣٢٤) والآجري في «الشريعة» (ص٢٠٧)، وابن منده في «الرد على الجهمية» (ص٥٩ رقم ٣٠/٥) واللالكائي (٣/ ٦١٨ رقم ٩٩١) وابن بطة (١/ ٣١٤ رقم ١٣٣٧ ـ القدر).

قال الحاكم: **هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه**، ووافقه الذهبي وهو كما قالا.

والخلاصة أن الحديث صحيح، والله أعلم.

وفي البغوي[1] قال مقاتلٌ وغيرُه من أهل التفسير: إن اللّهَ تعالى مسحَ صفحة ظهرِ آدمَ اليمنى فأخرج منه ذريةً بيضاءَ كهيئةِ الذَّرِّ يتحركون، ثم مسح صفحةَ ظهرِه اليسرى فأخرج منه ذريةً سوداءَ كهيئةِ الذَّرِّ فقال: يا آدمُ هؤلاءِ ذريتُك، ثم قال لهم: ألستُ بربكم؟ قالوا: بلى، فقال للبِيض: هؤلاء في الجنة برحمتي ولا أبالي وهم أصحاب اليمين، وقال للسُّود: هؤلاء في النار ولا أبالي وهم أصحابُ الشمال، ثم أعادهم جميعاً في صلبه.

فأهلُ القبورِ محبوسون حتى يخرُجَ أهلُ الميثاقِ كلُهم من أصلابِ الرجالِ وأرحامِ النساء، قال الله تعالى فيمن نقض العهدَ الأولَ: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ﴾ [الأعراف: ١٠٢]. وقال بعضُ أهلِ التفسير[2]: إن أهلَ السعادةِ أقرُّوا طَوعاً وقالوا بلى، وأهلَ الشقاوة قالوا تَقِيَّةً وكُرهاً. وذلك معنى قولِه تعالى: ﴿وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [آل عمران: ٨٣].

واختلفوا في موضع الميثاقِ، قال ابن عباس[3] رضي الله عنهما: ببطن نَعمانَ وادٍ إلى جنب عرفةَ.

ورُوي عنه[4] أيضاً أنه بدَهناءَ من أرض الهندِ وهو الموضعُ الذي هبطَ آدمُ

---

(١) في «معالم التنزيل» (٣/ ٢٩٨).

(٢) في «معالم التنزيل» (٣/ ٢٩٨).

(٣) أخرجه النسائي في «التفسير» رقم (٢١١) **بإسناد حسن.**

قلت: وأخرجه أحمد (١/ ٢٧٢)، وابن أبي عاصم في «السنة» رقم (٢٠٢) والطبري رقم (١٥٣٤٠) والحاكم في «المستدرك» (١/ ٢٧) و(٢/ ٥٤٤) وصححه وأقره الذهبي.

كلهم من طريق جرير بن حازم عن كلثوم عن ابن جبير عن ابن عباس مرفوعاً.

وأخرجه الطبري وغيره من طرق موقوفاً على ابن عباس ـ به، ولذا قال الحافظ ابن كثير في تفسيره (٢/ ٢٧٢): «وقد رواه عبد الوارث عن كلثوم بن جبر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فوقفه، وكذا رواه إسماعيل بن علية ووكيع بن أبي ثابت وعلي بن بذيمة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، وكذا رواه العوفي وعلي بن أبي طلحة عن ابن عباس، فهذا أكثر وأثبت والله أعلم» اهـ.

وهو كما قال إلا أن المرفوع صحيح أيضاً لشواهده.

وانظر «الصحيحة» للمحدث الألباني رقم (١٦٢٣).

(٤) أخرجه الطبري في «جامع البيان» (١٣/ ٢٢٤ رقم ١٥٣٤٢) وانظر تعليق الشيخ أحمد شاكر.

عليه السلام عليه، وقال الكلبيُّ[1]: بين مكةَ والطائف، وقال السدي[1]: أخرج آدمَ عليه السلام من الجنة فلم يُهبطه من السماء ثم مسح ظهرَه فأخرج ذريتَه.

ورُوي[1] أن الله تعالى أخرجهم جميعاً وصوّرهم وجعل لهم عقولاً يعلمون بها وألسُناً ينطِقون بها ثم كلمهم قُبُلًا يعني عِياناً وقال: ألستُ بربكم؟.

وقال الزَّجاج[2]: وجائزٌ أن يكون اللَّهُ تعالى جعل لأمثالِ الذرِّ فهماً تعقِل به، كما قال تعالى: ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ﴾ [النمل: ١٨].

قال البغوي[3]: فإن قيل فإن معنى قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، وإنما أخرجهم من ظهر آدمَ؟ قيل إن الله تعالى أخرج ذريةَ آدمَ بعضَهم من ظهور بعضٍ على نحو ما يتوالد الأبناءُ من الآباء في الترتيب، فاستغنى عن ذكر ظهرِ آدمَ لما علم أنهم كلَّهم بنوه وأُخرِجوا من ظهره.

قولُه تعالى: ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، أي أشهد بعضَهم على بعض.

قوله: ﴿شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟﴾، قرأ أبو عمرٍو[4]: أن يقولوا، أو يقولوا، بالياء

---

(١) ذكره البغوي في تفسيره (٣/ ٢٩٩).

(٢) في كتابه: «معاني القرآن وإعرابه» (٢/ ٣٩٠).

(٣) في «معالم التنزيل» (٣/ ٢٩٩).
قال الحافظ ابن عبد البر في «التمهيد» (١٦/ ١٢)، بعد أن ساق روايات أخذ الذرية والإشهاد: «قد أكثر الناس من تخريج الآثار في هذا الباب وأكثر المتكلمون فيه، وأهل السنة مجتمعون على الإيمان بهذه الآثار واعتقادها وترك المجادلة فيها. وبالله العصمة والتوفيق».
وانظر ما قاله الألباني في «الصحيحة» (٤/ ١٥٨ ـ ١٦٣) و«درء تعارض العقل والنقل» لشيخ الإسلام ابن تيمية (٨/ ٣٥٩) وما بعدها. . وتفسير القرطبي (٧/ ٣١٣) وما بعدها.

(٤) هو زبّان بن العلاء بن عمار بن المازني، التميمي، البصري وقيل: اسمه (يحيى) كان إمام البصرة ومقرءها.
قال الإمام ابن الجزري:
(كان أبو عمرو بن العلاء أَعلم الناس بالقرآن والعربية، مع الصدق والثقة والأمانة والدين).
انظر ترجمته في: معرفة القراء الكبار (١/ ١٠٠)، النشر (١/ ١٣٤)، غاية النهاية (١/ ٢٨٨ ـ ٢٨٩)، الأعلام (٣/ ٤١).

فيهما، وقرأ الآخرون بالتاء فيهما[1]. واختلفوا في قوله: ﴿شَهِدْنَآ﴾، قال السُّدي[2]: هو خبرٌ من الله عز وجل عن نفسه وملائكتِه أنهم شهِدوا على إقرار بني آدمَ.

وقال بعضُهم[3]: هو خبرٌ عن قول بني آدمَ أشهد اللّهُ بعضَهم على بعض، فقالوا: بلى شهِدْنا.

وقال الكلْبيّ[4]: ذلك من قولِ الملائكةِ، وفيه حذفٌ تقديرُه: لما قالت الذريةُ بلى، قال الله عز وجل للملائكة: اشهَدوا.

قوله: ﴿أَن تَقُولُوا۟﴾. يعني وأشهدَهم على أنفسهم أن تقولوا، أي لِئلا يقولوا أو كراهيةَ أن يقولوا.

ومن قرأ بالتاء فتقديرُ الكلام أُخاطبُكم ألستُ بربكم لئلا تقولوا يومَ القيامةِ إنا كنا عن هذا غافلين، أي عن هذا الميثاقِ والإقرار؛ فإن قيل: كيف تَلزَم الحجةُ واحداً لا يذكر الميثاقَ؟ قيل: قد أوضح اللّهُ تعالى الدلائلَ على وحدانية وصدقِ رسلِه فيما أخبروا، فمن أنكره كان معانداً ناقضاً للعهد ولزِمتْه الحجة، وبنسيانهم وعدمِ حفظِهم لا يسقُط الاحتجاجُ بعد إخبارِ المُخبر صاحبِ المعجزة.

قوله: ﴿أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ﴾ [الأعراف: ١٧٣]. يقول: إنما أخذ الميثاقَ عليكم لئلا تقولوا أيها المشركون إنما أشرك آباؤنا من قبل ونقَضوا العهد، وكنا ذريةً من بعدهم أي كنا أتباعاً لهم فاقتدينا بهم، فتجعلوا هذا عذراً لأنفسكم وتقولوا: ﴿أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٣]، أفتُعذِّبنا بجناية آبائِنا المُبطلين؟ فلا يمكنهم أن يحتجوا بمثل هذا الكلامِ بعد تذكيرِ اللّهِ تعالى بأخذ الميثاقِ على التوحيد.

﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ﴾ [الأعراف: ١٧٤]. أي نبين الآياتِ ليتدبرَها العِباد: ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٤] من الكفر إلى التوحيد اهـ. البغوي[5].

---

(١) انظر «الموضح في وجوه القراءات وعللها» لابن أبي مريم (٢/ ٥٦٤ ـ ٥٦٥).
(٢) ذكره الطبري في «جامع البيان» (١٣/ ٢٤٩ ـ شاكر).
(٣) ذكره الطبري في «جامع البيان» (١٣/ ٢٥٠ ـ شاكر).
(٤) ذكره البغوي في تفسيره (١/ ٣٠٠).
(٥) في «معالم التنزيل» (٣/ ٣٠٠).

وقال ابنُ كثير[1] رحمه الله تعالى: وذهب طائفةٌ من السلف والخلفِ أن المرادَ بهذا الإشهادِ إنما هو فطْرُهم على التوحيد، كما في حديث أبي هريرةَ ﵁ قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«كل مولودٍ يولد على الفِطرة»**.

وفي رواية: **«على هذه المِلّة، فأبواه يُهَوِّدانه وينصِّرانه ويُمجِّسانه، كما تولد البهيمةُ بهيمةَ جمعاءَ هل تُحِسّون فيها من جَدْعاء»**. أخرجاه[2].

وفي صحيح مسلم[3] عن عِياضِ بنِ حمارٍ ﵁ قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«يقول الله تعالى: إني خلقتُ عبادي حُنفاءَ فجاءتْهم الشياطينُ فاجتالتْهم عن دينهم وحَرّمت عليهم ما أحللت لهم»**.

وعن الأسود بنِ سريعٍ من بني سعدٍ[4] قال: غزوتُ مع رسول الله ﷺ أربعَ غزَواتٍ، قال: فتناول القومُ الذريةَ بعدما قتلوا المقاتِلةَ، فبلغ ذلك رسولَ الله ﷺ فاشتد عليه ثم قال: **«ما بالُ أقوامٍ يتناولون الذرية»**؟ فقال رجل: يا رسولَ الله

---

(١) في تفسيره (٢/ ٢٧٥).

(٢) البخاري (٣/ ٢١٩ رقم ١٣٥٩) و(٣/ ٢٤٦ رقم ١٣٨٥).
ومسلم (٤/ ٢٠٤٧ رقم ٢٦٥٨).
أما رواية: **«ما من مولود يولد إلا هو على الملة»** عند مسلم دون البخاري.

(٣) (٤/ ٢١٩٧ رقم ٢٨٦٥).
قلت: وأخرجه أحمد (٤/ ١٢٦).

(٤) أخرجه أحمد (٣/ ٤٣٥) و(٤/ ٢٤) والبيهقي في «السنن الكبرى» (٩/ ٧٧) وأبو يعلى في «المسند» (٢/ ٢٤٠ رقم ١/ ٩٤٢) والطبراني في «الكبير» (١/ ٢٨٣ ـ ٢٨٤ رقم ٨٢٧، ٨٢٨، ٨٢٩) والحاكم (٢/ ١٢٣) مختصراً.
قال البيهقي: وكذلك رواه هشيم عن يونس بن عبيد وذكر فيه سماع الحسن من الأسود بن سريع.
قلت: وهو قول الجمهور.
وقال الحاكم: **هذا حديث صحيح** على شرط الشيخين وأقره الذهبي.
وقال ابن حجر في «تهذيب التهذيب» (١/ ٣٩٠): «وقال ابن المديني: لم يسمع من الأسود بن سريع، لأن الأسود خرج من البصرة أيام علي. وكذا قال ابن منده» اهـ.
وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/ ٣١٦): «رواه أحمد بأسانيد والطبراني في «الكبير» و«الأوسط» كذلك، وبعض أسانيد أحمد رجاله رجال الصحيح».
قلت: ويشهد لهذا الحديث حديث أبي هريرة المتقدم فهو به صحيح، والله أعلم.

أليسوا أبناءَ المشركين؟ فقال: «**إن خيارَكم أبناءُ المشركين، ألا إنها ليست نسَمة تولد إلا وُلِدتْ على الفِطرة فما تزال عليها حتى يُبينَ عنها لسانُها فأبواها يُهوّدانها ويُنصّرانها**».

قال الحسن[1]: ولقد قال الله تعالى في كتابه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢]. قالوا ولهذا قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ [الأعراف: ١٧٢]. ولم يقل من آدمَ: ﴿مِن ظُهُورِهِمْ﴾ ولم يقل من ظهره ﴿ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ أي جعل نسلَهم جيلاً بعد جيلٍ وقرناً بعد قرنٍ كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ١٦٥]، وقال: ﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ﴾ [النمل: ٦٢]. وقال تعالى: ﴿كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ ءَاخَرِينَ﴾ [الأنعام: ١٣٣].

ثم قال تعالى: ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، أي وجدهم شاهدين بذلك قائلين له حالاً، قال: والشهادةُ تكون بالقول كقوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا﴾ [الأنعام: ١٣٠]. الآية. وتارةً تكون حالاً كقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ﴾ [التوبة: ١٧]، أي حالهم شاهدٌ عليهم بذلك لا أنهم قائلون ذلك، وكذا قولُه تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ﴾ [العاديات: ٧].

كما أن السؤالَ تارةً يكون بالمقال، وتارة يكون بالحال كقوله تعالى: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ [إبراهيم: ٣٤]. قالوا: ومما يدل على أن المرادَ بهذا أن جعل هذا الإشهادَ حجةً عليهم في الإشراك، فلو كان قد وقع هذا كما قال مَن قال لكان كلُ أحدٍ يذكرُه ليكون حجةً عليه.

فإن قيل إخبارُ الرسولِ ﷺ به كافٍ في وجوده؛ فالجوابُ أن المكذبين من المشركين يكذبون بجميع ما جاءتهم به الرسلُ من هذا وغيرِه، وهذا جعلَ حجةً مستقلةً عليهم فدل على أنه الفطرةُ التي فُطروا عليها من الإقرار بالتوحيد، ولهذا قال تعالى: ﴿أَن تَقُولُوا۟﴾ [الأعراف: ١٧٢]، أي لئلا تقولوا يوم القيامة: ﴿إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، أي عن التوحيد: ﴿أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا﴾ [الأعراف: ١٧٣]. الآية. اهـ.

---

(١) ذكره ابن كثير في تفسيره (٢/ ٢٧٥).

قلت: ليس بين التفسيرين منافاةٌ ولا مضادّةٌ ولا معارضة؛ فإن هذه المواثيقَ كلَّها ثابتةٌ بالكتاب والسنة:

الأول: الميثاقُ الذي أخذه الله تعالى عليهم حينَ أخرجهم من ظهر أبيهم آدمَ عليه السلام وأشهدهم على أنفسهم: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢]. الآيات. وهو الذي قاله جمهورُ المفسرين رحمهم الله في هذه الآياتِ، وهو نصُّ الأحاديثِ الثابتةِ في الصحيحين وغيرهما.

الميثاق الثاني: ميثاقُ الفطرة، وهو أنه تبارك وتعالى فطرهم شاهدين بما أخذه عليهم في الميثاق الأولِ كما قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ﴾ [الروم: ٣٠]. الآية.

وهو الثابتُ في حديث أبي هريرةَ، وعياض بنِ حمارٍ، والأسودِ بن سريعٍ[١] رضي الله عنهم، وغيرِها من الأحاديث في الصحيحين وغيرِهما.

الميثاقُ الثالث: هو ما جاءت به الرُسلُ وأُنزلت به الكتبُ تجديداً للميثاق الأولِ وتذكيراً به: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٦٥].

فمن أدرك هذا الميثاقَ وهو باقٍ على فطرته التي هي شاهدةٌ بما ثبت في الميثاقِ الأولِ فإنه يقبل ذلك من أول مرةٍ ولا يتوقف؛ لأنه جاء موافقاً لما في فطرته وما جبله اللّهُ عليه، فيزداد بذلك يقينُه ويقوَى إيمانُه فلا يتلعثم ولا يتردد.

ومن أدركه وقد تغيرت فطرتُه عما جبله اللّهُ عليه من الإقرار بما ثبت في الميثاقِ الأولِ، بأن كان قد اجتالتْه الشياطينُ عن دينه وهوّده أبواه أو نصّراه أو مَجَّساه، فهذا إن تداركه اللّهُ تعالى برحمته فرجع إلى فِطرته وصدّق بما جاءت به الرسلُ ونزلت به الكتبُ نفعه الميثاقُ الأولُ والثاني، وإن كذَّب بهذا الميثاقِ كان مكذباً بالأول فلم ينفعْه إقرارُه به يوم أخذه الله عليه حيث قال: ﴿بَلَىٰ﴾ جواباً لقولِه تعالى: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ وقامت عليه حجةُ اللّهِ وغلبت عليه الشِقوةُ وحق عليه العذابُ: ﴿وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ [الحج: ١٨].

---

(١) تقدم قريباً وهو حديث صحيح.

ومن لم يدرك هذا الميثاقَ بأن مات صغيراً قبل التكليفِ مات على الميثاق الأولِ على الفطرة، فإن كان من أولاد المسلمين فهم مع آبائهم، وإن كان من أولاد المشركين فاللّهُ أعلمُ بما كان عاملاً لو أدركه، كما في الصحيحين[1] عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سئل رسولُ الله ﷺ عن أولاد المشركين فقال ﷺ: «**اللّهُ تعالى إذْ خلقهم أعلمُ بما كانوا عاملين**».

وفيه[2] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سئل رسولُ الله ﷺ عن ذراري المشركين فقال ﷺ: «**اللّهُ أعلمُ بما كانوا عاملين**».

(وبعد هذا رُسْلَه قد أرسلا	**لهم وبالحق الكتابَ أنزلا)**
(لكي بذا العهدِ يُذكّروهم	**ويُنذروهم ويبشّروهم)**
(كي لا يكونَ حجةٌ للناس بل	**لله أعلى حجةٍ عز وجل)**
(فمن يُصدّقهم بلا شِقاقِ	**فقد وفى بذلك الميثاقِ)**
(وذاك ناجٍ من عذاب النارِ	**وذلك الوارثُ عُقبى الدار)**
(ومن بهم وبالكتاب كذبا	**ولازَمَ الإعراضَ عنه والإبا)**
(فذاك ناقضٌ كِلا العهدينِ	**مستوجبٌ للخزي في الدارين)**

(وبعد هذا) أي الميثاقِ الذي أخذه عليهم في ظهر أبيهم ثم فطرَهم وجبلَهم على الإقرار به وخلقهم شاهدين به **(رُسْلَه)** بإسكان السينِ للوزن مفعولُ أرسل مقدمٌ **(قد أرسلا)** بألف الإطلاق **(لهم)** أي إليهم **(وبالحق)** متعلقٌ بأنزل أي بدين الحقِ **(الكتابَ)** جنسٌ يشمل جميعَ الكتبِ المنزلة على جميع الرسلِ **(أنزلا)** بألف الإطلاقِ.

والأمرُ الذي أرسل اللّهُ تعالى به الرسلَ إلى عباده وأنزل عليهم به الكتبَ هو **(لكي بذا العهدِ)** الميثاقِ الأولِ **(يذكروهم)** تجديداً له وإقامةً لحجة الله البالغةِ عليهم **(وينذروهم)** عقابَ الله إن عصَوه ونقضوا عهدَه و **(يبشروهم)** بمغفرته ورضوانِه إن هم وفَوا بعهده ولم ينقُضوا ميثاقَه وأطاعوه وصدقوا رسلَه.

---

(١) البخاري (٣/ ٢٤٥ رقم ١٣٨٣) و(١١/ ٤٩٣ رقم ٦٥٩٧)، ومسلم (٤/ ٢٠٤٩ رقم ٢٦٦٠).

(٢) البخاري (٣/ ٢٤٥ رقم ١٣٨٤) و(١١/ ٤٩٣ رقم ٦٥٩٨).
ومسلم (٤/ ٢٠٤٩ رقم ٢٦٥٩).

والحكمةُ في ذلك لـ (كي لا يكون حجةٌ) على الله عز وجل (للناس، بل لله) على جميع عبادِه (أعلى حجة) أبلغُها وأدمغُها (عز) سلطانُه (وجل) شأنُه عن أن يكون لأحد عليه حجةٌ، كما قال تعالى لنبيه محمدٍ ﷺ وهو خاتمُ الرسل والمصدّقُ لما جاءوا به، وكتابُه مصدّقٌ لما بين يديه مما معهم من الكتب ومهيمنٌ عليه:

﴿۞ إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلٗا قَدۡ قَصَصۡنَٰهُمۡ عَلَيۡكَ مِن قَبۡلُ وَرُسُلٗا لَّمۡ نَقۡصُصۡهُمۡ عَلَيۡكَۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلٗا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا ﴿١٦٥﴾﴾ [النساء].

وقال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ﴿٤٩﴾ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٥٠﴾ وَٱلَّذِينَ سَعَوۡاْ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَحِيمِ ﴿٥١﴾﴾ [الحج].

وقال تعالى له ﷺ: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا ﴿٤٧﴾﴾ [الأحزاب]. الآيات. وقال تعالى له: ﴿إِنۡ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٣].

وقال تعالى: ﴿۞ قُلۡ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثۡنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا نَذِيرٞ لَّكُم بَيۡنَ يَدَيۡ عَذَابٖ شَدِيدٖ﴾ [سبأ: ٤٦]. الآيات. وقال تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُۖ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ﴾ [البقرة: ٢٤ ـ ٢٥]. الآية.

وغيرُ ذلك من الآيات التي يخبر اللّهُ تعالى فيها أنه ما أرسل من رسول إلا داعياً إلى عبادةِ اللّهِ عز وجل لا شريكَ له والكفرِ بما سواه من الأنداد، ومبشراً لمن صدّقه وأطاعه بالجنة ونذيراً لمن كذبه وعصاه بالنار.

ثم أخبر تعالى أن المرادَ بذلك: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعۡدَ ٱلرُّسُلِۚ﴾ [النساء: ١٦٥]. وقال تعالى: ﴿قُلۡ فَلِلَّهِ ٱلۡحُجَّةُ ٱلۡبَٰلِغَةُ﴾ [الأنعام: ١٤٩].

وتقديرُ البحثِ في الرسالة واتفاقِ الرسلِ في دعوتهم يأتي في بابه إن شاء الله عز وجل.

(فمن يصدقهم) يعني الرسلَ **(بلا شقاق)** تكذيبٍ ولا مخالفة؛ **(فقد وفى)** لربه عز وجل **(بذلك الميثاقِ)** العهدِ الأولِ، وهؤلاء هم القليلُ من الثقلين ولكنْ هم جندُ الله الغالبون المنصورون في الدنيا، وحِزبُه المفلحون الفائزون في الآخرة.

وجوابُ الشرط **(فذاك ناجٍ من عذاب النار)** إذ لم يرتكب أسبابَ دخولِها من معصية اللّهِ وتكذيبِ رسلِه كما ارتكب ذلك مَن خُلق لها.

(وذلك الوارثُ عقبى الدار) وهي الجنةُ لفعله أسبابَها التي أمره اللّهُ عز وجل بها من الوفاء بعهد اللّهِ وميثاقِه وتصديقِ رسلِه وكتبِه والعملِ بجميع طاعتِه تبارك وتعالى.

(ومن بهم) أي بالرسل **(وبالكتاب)** أي الكتبِ التي أنزل الله عليهم ليبلّغوها إلى عبادِه ويبيِّنوها ليعمَلوا بما فيها **(كذباً)**، **(ولازم الإعراضَ عنه)** عما أرسل اللّهُ به رسلَه **(والإبا)** أي الامتناعَ، وهم الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [غافر: ٧٠]. الآيات. وقال تعالى فيهم: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه: ١٢٤]. الآيات وغيرُها.

وهؤلاء أكثرُ الثقلين كما قال الله تبارك وتعالى: ﴿فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ [الإسراء: ٨٩]. وقال تعالى: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ ۖ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ﴾ [الأعراف: ١٠٢]. وقال تعالى: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [الأنعام: ١١٦]، وغيرُ ذلك من الآيات.

وجوابُ الشرطِ **(فذاك)** أي المكذبُ بالكتاب وبما أرسل اللّهُ تعالى به رسلَه، الآبي منه المُعرِض عنه المُصِرّ على ذلك حتى مات عليه هو **(ناقض كلا العهدين)** الميثاقَ الذي أخذه الله عليه وفطره على الإقرار به وما جاءت به الرسلُ من تجديد الميثاقِ الأولِ وإقامةِ الحجة.

(مستوجبٌ) بفعله ذلك **(للخزي في الدارين)** أي في الدنيا والآخرة كما قال تعالى: ﴿وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ﴾ [القصص: ٤٢].

وقد وفى بذكر الفريقين الموفين بالعهد والناقضين له وما لكل منهم وما عليه في الدنيا والآخرة قولُ اللّهِ عز وجل: ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ﴾ [الرعد: ١٨]، أي فيما دعاهم إليه على ألسنة رسلِه وهم الفريق الأول ﴿ٱلْحُسْنَىٰ ۚ﴾ الجنة ﴿وَٱلَّذِينَ لَمْ

﴿يَسْتَجِيبُواْ لَهُۥ﴾ وهم الفريق الثاني ﴿لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْاْ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ [الرعد: ١٨].

وتأويل ذلك ما ورد في الصحيحين[1] من طرق عن أنس بنِ مالكٍ رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**يقول الله تعالى لأهونِ أهلِ النار عذاباً يوم القيامة: لو أن لك ما في الأرض من شيء أكنتَ تفتدي به؟ فيقول: نعم. فيقول: أردتُ منك أهونَ من هذا وأنت في صُلب آدمَ، أن لا تشركَ بي شيئاً، فأبيت إلا أن تُشرِكَ بي**». وقد تقدم ذكرُه قريباً.

﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ﴾ [الرعد: ١٩]، يعني الفريق الأولَ: ﴿كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ﴾ [الرعد: ١٩]. يعني الفريقَ الثانيَ، لا والله ليسوا سواءً ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝١٩ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ﴾ [الرعد: ١٩ ـ ٢٠]. يتناول كلَّ العهودِ والمواثيقِ التي أمر الله عز وجل بالوفاء بها مع الحق ومع الخلق، وتناولُها للميثاق المذكورِ من باب أولى.

﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾ [الرعد: ٢١]. من صلة الأرحام ومن الإيمان بالله ورسلِه وعدمِ التفريقِ بين أحدٍ منهم ﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ۝٢١ وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ﴾ [الرعد: ٢١ ـ ٢٢] على قدَر اللّهِ وعلى ملازمة طاعتِه وعن معصيته ﴿ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٢]. فكأنه قيل: ما هي؟ فقال تعالى: ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ۝٢٣ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ۝٢٤﴾ [الرعد].

ثم ذكر الفريقَ الثانيَ بصفاتهم السيئةِ وبيّن جزاءَهم عليها والعياذُ بالله تعالى، فقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ۝٢٥﴾ [الرعد].

فسبحان اللّهِ وبحمده، ما أبلغ حكمتَه وأعدلَ حُكمَه، ولا إله إلا اللّهُ واللّهُ أكبر ولا حول ولا قوةَ إلا بالله العليِّ العظيم.

❁ ❁ ❁

---

(١) تقدم تخريجه.

[ال] فصلُ [الأول]
في انقسام التَّوحيد إلى نوعين
وَبَيان النّوع الأولِ، وهو توحيدُ المعرفةِ والإثباتُ



(أول واجبٍ على العبيد ... معرفةُ الرحمنِ بالتوحيد)
(إذْ هو من كل الأوامر أعظمُ ... وهُو نوعانِ أيا من يفهمُ)
(إثباتُ ذات الربِّ جل وعلا ... أسمائِه الحسنى صفاته العُلى)

(أولُ واجب) فرضه اللّهُ عز وجل (على العبيد) هو (معرفةُ الرحمن) أي معرفتُهم إياه (بالتوحيد) الذي خلقهم له وأخذ عليهم الميثاقَ به، ثم فطرهم شاهدين مُقِرِّين به، ثم أرسل به رسلَه إليهم وأنزل به كتبَه عليهم.

(إذْ) حرفُ تعليلٍ لأولية وجوبِ معرفةِ العبادِ ربَّهم تبارك وتعالى بالتوحيد (هو من كل الأوامر) جمعُ أمرٍ، وهو خطابُ اللّهِ عز وجل المتعلقُ بالمكلفين بصيغة تستدعي الفعلَ (أعظم) كما أن ضِدَه من الشرك والتعطيلِ والتمثيلِ هو أعظمُ المناهي، ولهذا لا يدخُل العبدُ في الإسلام إلا به، ولا يخرُج منه إلا بضده، ولم يُزَحزح عن النار ويدخُل الجنة إلا به، ولا يخلَّد في النار ويُحْرَم الجنةَ إلا بضده، ولم تدعُ الرسلُ إلى شيء قبله ولم تَنْهَ عن شيء قبل ضِدِّه.

(وهو) أي التوحيد (نوعان):

الأولُ: التوحيدُ العلميُّ الخَبريُّ الاعتقاديُّ المتضمِّنُ إثباتَ صفاتِ الكمالِ لله عز وجل وتنزيهَه فيها عن التشبيه والتمثيلِ وتنزيهَه عن صفات النقصِ، وهو توحيدُ الربوبيةِ والأسماءِ والصفاتِ.

والثاني: التوحيدُ الطلبيُّ القَصْديُّ الإراديُّ، وهو عبادةُ اللّهِ تعالى وحده لا شريكَ له وتجريدُ محبتِه، والإخلاصُ له وخوفُه ورجاؤُه والتوكلُ عليه بالرضا به رباً وإلهاً ووليّاً، وأن لا يَجْعلَ له عدلاً في شيء من الأشياء، وهو توحيدُ الإلهية.

والقرآنُ كلُّه من أوله إلى آخره في تقرير هذين التوحيدين؛ لأنه إما خبرٌ عن الله عز وجل وما يجب أن يوصفَ به وما يجب أن ينزَّه عنه، وهو التوحيدُ العلميُّ الخبريُّ الاعتقادي.

وإما دعوةٌ إلى عبادته وحده لا شريك له، وخلعُ ما يُعبد من دونه، فهو التوحيد الطلبيُّ الإراديُّ.

وإما أمرٌ ونهيٌ وإلزامٌ بطاعته، فذلك من حقوق التوحيدِ ومُكْمِلاتِه، وإما خبرٌ عن إكرامه لأهل التوحيدِ وما فعل بهم في الدنيا من النصر والتأييدِ وما يكرمهم به في الآخرة، وهو جزاءُ توحيدِه.

وإما خبرٌ عن أهل الشركِ وما فعل بهم في الدنيا من النَّكال وما يَفعل بهم في العُقبى من العذاب، فهو جزاءُ مَن خرَج عن حكم توحيدِه.

فالقرآن كلُه في التوحيد وحقوقِه وجزائِه وفي شأن الشركِ وأهله وجزائِهم.

اقرأ في الجمع بين التوحيدين: ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝٢ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ۝٣ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ۝٤ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ۝٦ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ۝٧ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۝٨﴾ [طـه]. وآيةَ الكرسيِّ، وقل هو الله أحد، وغيرَها من القرآن.

واقرأ في الأمر والنهي: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧].

واقرأ في إكرام أهل التوحيدِ في الدنيا والآخرة: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ۝٥١﴾ [غافر: ٥١].

واقرأ في إخزاء أهلِ الشركِ في الدنيا والآخرة: ﴿وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ۝٣٩ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٤٠ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ۝٤١ وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ ۝٤٢﴾ [القصص].

[الكلام على التوحيد العلمي الخبري الاعتقادي]

والكلامُ في هذا الفصل على النوع الأول، وهو التوحيد العلميُّ الخبريُّ الاعتقاديُّ، وهو (إثباتُ) بالرفع بدلُ بعض من قولنا «نوعان» أي الأولُ منهما

(إثباتُ ذاتِ الربِّ جل وعلا) فإن هذه العوالَم العُلوياتِ والسُفلياتِ لا بد لها من موجِد أوجدها ويتصرفُ فيها ويدبّرها. ومحالٌ أن توجدَ بدون موجد، ومحالٌ أن توجِدَ أنفسَها.

قال الله تبارك وتعالى في مقام إثباتِ الربوبيةِ وتوحيدِ الألوهية: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [الطور].

قال ابن عباس[١] رضي الله عنهما: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ﴾ [الطور: ٣٥]، أي من غير ربٍّ، ومعناه أخُلِقوا من غير شيءٍ خلقهم فوُجدوا بلا خالقٍ، وذلك مما لا يجوز أن يكون؛ لأن تعلّق الخلقِ بالخالق من ضرورة الاسمِ فلا بد له من خالق، فإن أنكروا الخالقَ لم يجُز أن يوجدوا بلا خالق.

﴿أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ [الطور: ٣٥] لأنفسهم وذلك في البطلان أشدُّ؛ لأن ما لا وجودَ له كيف يخلق، فإذا بطَل الوجهان قامت الحجةُ عليهم بأن لهم خالقاً فليؤمنوا به.

﴿أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [الطور: ٣٦]. وهذا في البطلان أشدُّ وأشدُّ، فإن المسبوقَ بالعدم يستحيل أن يوجَدَ بنفسه فضلاً عن أن يكون موجِداً لغيره، وهذا إنكارٌ عليهم في شركهم بالله عز وجل وهم يعلمون أنه الخالقُ لا شريك له.

﴿بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾ [الطور: ٣٦]، أي ولكنّ عدمَ إيقانِهم هو الذي يحمِلهم على ذلك.

وعن جُبير بن مُطعم رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقرأ في المغرب بالطور، فلما بلغ هذه الآيةَ: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الطور]. كاد قلبي أن يطير. أخرجاه في الصحيحين[٢].

وكثيراً ما يُرشد اللّهُ تبارك وتعالى عبادَه إلى الاستدلال على معرفته بآياته الظاهرةِ

---

(١) ذكره البغوي في «معالم التنزيل» (٧/ ٣٩٢).
(٢) البخاري (٢/ ٢٤٧ رقم ٧٦٥) وأطرافه رقم (٣٠٥٠) و(٤٠٢٣) و(٤٨٥٤) ومسلم (١/ ٣٣٨ رقم ٤٦٣).

من المخلوقات العُلوية والسُفلية، كما قال تعالى: ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ﴾ [الذاريات: ٢٠]، أي فيها من الآيات الدالةِ على عظمةِ خالِقها وقُدرتِه الباهرة، مما قد ذرأ فيها من صنوف النباتِ والحيواناتِ والمِهاد والجبالِ والقفارِ والأنهارِ والبحار، واختلافِ ألسنةِ الناسِ وألوانِهم وما جُبلوا عليه من الإرادات والقُوى، وما بينهم من التفاوت في العقولِ والفهومِ والحركاتِ والسعادةِ والشقاوةِ، وما في تركيبهم من الحِكَم في وضع كل عضوٍ من أعضائهم في المحل الذي هو مُحتاجٌ إليه فيه، ولهذا قال عز وجل: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمْۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١].

قال قتادة[(١)]: من تفكر في خلق نفسِه عَلِم أنه إنما لُيِّنت مفاصلُه للعبادة، وكذا ما في ابتداء الإنسانِ من الآيات العظيمةِ إذْ كانت نطفةً ثم علقةً ثم مضغةً ثم عظاماً إلى أن نُفخ فيه الروحُ.

وقال تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْي۟دٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [الذاريات].

يقول تعالى منبهاً على خلق العالم العُلويِّ والسُفليِّ: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا﴾ أي جعلناها سقفاً محفوظاً رفيعاً ﴿بِأَيْي۟دٍ﴾ أي بقوة، قاله ابن عباس ومجاهدٌ وقَتادةُ والثَّوريُّ وغيرُ واحد[(٢)]. ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ قال ابن عباس[(٣)] رضي الله عنهما: لقادرون.

وعنه[(٣)] أيضاً: لموسعون الرزقَ على خلْقنا.

وقيل[(٣)]: ذَوُو سَعةٍ. وقال ابن كثير[(٤)]: أي قد وسّعنا أرجاءَها ورفعناها بغير عَمدٍ حتى استقلت كما هي.

﴿وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا﴾ أي جعلناها فِراشاً للمخلوقات ﴿فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ﴾ الباسطون نحن. قال ابن عباس[(٥)]: نِعْمَ ما وطّأت لعبادي. ﴿وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾

---

(١) ذكره ابن كثير في تفسيره (٤/ ٢٥١).
(٢) أخرجه الطبري في «جامع البيان» (١٣/ج٢٧/ ٧).
(٣) ذكره البغوي في «معالم التنزيل» (٧/ ٣٧٩).
(٤) في تفسيره (٤/ ٢٥٤).
(٥) ذكره البغوي في «معالم التنزيل» (٧/ ٣٧٩).

[الذاريات: ٤٩]: صنفين ونوعين مختلفين كالسماء والأرض، والشمس والقمرِ، والليلِ والنهار، والبرِّ والبحرِ، والسهلِ والجبلِ، والشتاءِ والصيفِ، والجنِّ والإنس، والذكرِ والأنثى، والنورِ والظلمةِ، والإيمانِ والكُفرِ، والسعادةِ والشقاوةِ، والجنةِ والنارِ، والحقِّ والباطلِ، والحُلو والمُرِّ، والدنيا والآخرةِ، والموتِ والحياةِ، والجامدِ والنامي، والمتحرِّك والساكِن، والحرِّ والبردِ وغيرِ ذلك.

﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الذاريات: ٤٩]. أي لتعلموا أن الخالقَ واحدٌ فردٌ لا شريكَ له. اهـ ابنُ كثيرٍ[١] والبغوي[٢].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٦٤].

قال أبو الضحى[٣]: لما نزلت: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣]، قال المشركون: إن كان هكذا فليأتِنا بآية، فأنزل الله عز وجل: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١٦٤]. تلك في ارتفاعها ولَطافتِها واتساعِها وكواكبِها السيارةِ والثوابتِ ودورانِ فلكِها، وهذه الأرضُ في كثافتِها وانخفاضِها وجبالِها وبحارِها وقِفارِها ووِهادِها وعُمرانِها وما فيها من المنافع.

﴿وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [البقرة: ١٦٤] هذا يجيء ثم يذهب ويخلُفه الآخرُ، ويعقبُه ولا يتأخر عنه لحظةً كما قال تعالى: ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٤٠]. وتارةً يطولُ هذا ويقصرُ هذا، وتارةً يأخذ هذا من هذا ثم يتعاوضان، كما قال تعالى: ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى

---

(١) في تفسيره (٤/ ٢٥٤).

(٢) في تفسيره (٧/ ٣٧٩).

(٣) أخرجه ابن كثير في تفسيره (١/ ٢٠٨) من رواية وكيع بن الجراح، عن سفيان عن أبيه عن أبي الضُحى به.
وأبو الضُحى، هو: مسلم بن صُبيح الهمداني. ثقة فاضل من الرابعة. كما في «التقريب» رقم (٦٦٣٢).
فالحديث معضل. وسنده إليه صحيح.

﴿ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ﴾ [الحج: ٦١، الحديد: ٦، فاطر: ١٣]. أي يزيد من هذا في هذا ومن هذا في هذا: ﴿وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ﴾ [البقرة: ١٦٤]. أي في تسخير البحرِ بحمل السفنِ من جانب إلى جانب لمعايش الناسِ والانتفاع بما عند أهلِ ذلك الإقليم ونقل هذا إلى هؤلاء ﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [البقرة: ١٦٤] كما قال تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾﴾ إلى قوله: ﴿وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يس: ٣٣ - ٣٦]، ﴿وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ﴾ [البقرة: ١٦٤]. على اختلاف أشكالِها وأنواعها وألوانِها ومنافِعها وصِغَرِها وكِبَرِها، وهو يعلم ذلك كلَّه ويرزقه لا يخفى عليه شيءٌ من ذلك، كما قال تعالى: ﴿۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [هود: ٦].

﴿وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ﴾ [البقرة: ١٦٤] فتارةً تأتي بالرحمة، وتارةً تأتي بالعذاب وهي الريحُ، وتارة تأتي مبشّرات بين يدي السحاب، وتارةً تسوقُها، وتارةً تجمعه، وتارة تُفرِّقه، وتارة تُصرِّفه، ثم تارة تأتي من الشمال وهي الشامية، وتارة تأتي من ناحية اليمن، وتارة صَباً وهي الشرقيةُ، وتارة دَبورٌ وهي غربية. وغير ذلك والله أعلم.

﴿وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١٦٤] أي سائرٌ بين السماء والأرضِ مسخَّرٌ إلى ما يشاء اللَّهُ من الأراضي والأماكن كما يصرِّفه تعالى: ﴿لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٦٤]. أي في هذه الأشياء دلالاتٌ بيِّنةٌ على وَحدانية اللّهِ تعالى ﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٦٤][1]. فيعلمون أن لهذه الأشياء خالقاً وصانعاً غنياً بذاتِه وكلُّ ما سواه فقيرٌ إليه، قائمٌ بذاته وكلُّ ما سواه لا يقوم إلا به، قديرٌ لذاته وكلُ ما سواه عاجزٌ لا قُدرةَ له إلا بما أقدره، متصفٌ بجميع صفاتِ الكمالِ، وكلُ ما سواه فلازمُهُ النقصُ، وليس الكمالُ المطلقُ إلا له وهو اللَّهُ تبارك وتعالى.

وقال تبارك وتعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ

(١) تفسير الآية (١٦٤) من سورة البقرة مأخوذ من تفسير ابن كثير (١/ ٢٠٧ - ٢٠٨).

وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [الروم].

يقول تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ﴾ [الروم: ٢٠]. الدالةِ على عظمته وكمالِ قدرتِه أنه خلق آدمَ من تراب ﴿ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ﴾ [الروم: ٢٠]. فأصلكم من تراب ثم من ماء مهين، ثم تَصَوَّر فكان علقةً ثم مضغةً ثم صار عِظاماً شكلُه شكلُ إنسانٍ، ثم كسا اللَّهُ تعالى تلك العظامَ لحماً ثم نفخ فيه الروحَ فإذا هو سميعٌ بصير.

ثم أُخرج من بطن أمِّه صغيراً ضعيفَ القُوى والحركة، ثم كلما طال عمُره تكاملتْ قُواه وحركاتُه حتى آل به الحالُ إلى أن صار يبني المدائنَ والحصونَ ويسافر في أقطار الأقاليم ويركبُ متنَ البُحورِ، ويدور أقطارَ الأرض ويكتسب ويجمع الأموالَ، وله فكرةٌ وغورٌ ودَهاءٌ ومكرٌ ورأيٌ وعِلمٌ، واتساعٌ في أمور الدنيا والآخرةِ كلٌّ بحسَبه، فسُبحان مَن أقْدَرهم وسيَّرهم وسخَّرهم وصرَّفهم في فنون المعايشِ والمكاسبِ، وفاوت بينهم في العلوم والفِكَرِ والحُسنِ والقُبح والغِنى والفقرِ والسعادةِ والشقاوة.

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«إن اللَّهَ تعالى خلقَ آدمَ من قبضةٍ قبضها من جميع الأرضِ فجاء بنو آدمَ على قدْرِ الأرضِ، جاء منهم الأبيضُ والأحمرُ والأسودُ وبين ذلك، والخبيثُ والطيِّبُ والسهلُ والحزَنُ وغيرُ ذلك»**. رواه أحمدُ[1] وأبو داودَ والترمِذي، وقال حسن صحيح.

---

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٤٠٠) وأبو داود (٤٦٩٣) والترمذي (٢٩٥٥).
وقال: هذا حديث حسن صحيح.
قلت: وأخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» (٩/ ٣) وابن بطة في «الإبانة» (١/ ٣١٠ رقم ١٣٣٠ ـ القدر).
والخلاصة فهو حديث صحيح.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا﴾، أي خلق لكم من جنسكم إناثاً تكون لكم أزواجاً ﴿لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا﴾ [الروم: ٢١] كما قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ [الأعراف: ١٨٩]. يعني بذلك حواءَ خلقها اللَّهُ تعالى من آدمَ من ضِلْعه الأقصرِ الأيسرِ، ولو أنه تعالى جعل بني آدمَ كلَّهم ذكوراً وجعل إناثَهم من جنس آخرَ من غيرهم إما جانٌّ أو حيوانٌ لما حصل هذا الائتلافُ بينهم وبين الأزواجِ، بل كانت تحصل نفرةٌ لو كانت الأزواجُ من غير الجنس، ثم من تمام رحمتِه ببني آدمَ أن جعلَ الأزواج من جنسهم ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً﴾ [الروم: ٢١] وهي المحبةُ ﴿وَرَحْمَةً﴾ وهي الرأفةُ، فإن الرجلَ يُمسِك المرأةَ إما لمحبة لها أو لرحمة بها بأن يكون لها منه ولدٌ، أو محتاجةٌ إليه في الإنفاق أو للألفة بينهما وغير ذلك.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢١]. في عظمة اللَّهِ وقدرتِه.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [الروم: ٢٢]. الدالةِ على قدرته العظيمةِ ﴿خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الروم: ٢٢]، أي خلقُ السمواتِ في ارتفاعِها واتساعِها وشفوفِ أجرامِها وزهارةِ كواكبِها ونجومِها الثوابتِ والسياراتِ، وخلقُ الأرضِ في انخفاضِها وكثافتِها وما فيها من جبال وأوديةٍ وبحارٍ وقِفار وحيوانٍ وأشجار.

﴿وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ﴾ [الروم: ٢٢] يعني اللغاتِ، فهؤلاء بلغة العربِ، وهؤلاء تَتَرٌ لهم لغة أخرى، وهؤلاء كُرجٌ، وهؤلاء رومٌ، وهؤلاء إفرنجٌ، وهؤلاء بَربرٌ، وهؤلاء حبشةٌ، وهؤلاء هنودٌ، وهؤلاء فرسٌ، وهؤلاء صَقالبةٌ، وهؤلاء خُزَرٌ، وهؤلاء أرمنٌ، وهؤلاء أكرادٌ، إلى غير ذلك مما لا يعلمه إلا اللَّهُ عز وجل من اختلاف لغات بني آدم.

﴿وَأَلْوَٰنِكُمْ﴾ [الروم: ٢٢]. أي واختلافُ ألوانِكم أبيضَ وأسودَ وأحمرَ، وأنتم أولادُ رجلٍ واحدٍ وامرأةٍ واحدةٍ، وغيرُ ذلك من اختلاف الصفاتِ والحِلَى، فجميعُ أهل الأرضِ بل أهلِ الدنيا منذ خلق اللَّهُ آدمَ إلى قيامِ الساعةِ كلٌ له عينانِ وحاجبانِ وأنفٌ وجبينٌ وفمٌ وخدَّان، وليس يُشبه واحدٌ منهم الآخرَ، بل لا بد أن يُفارقه بشيء من السمْت أو الهيئة أو الكلامِ ظاهراً كان أو خفياً يظهر عند التأملِ.

كلُ وجهٍ منهم أسلوبٌ بذاته وهيئةٌ لا تُشبه أخرى، ولو توافق جماعةٌ في

صفة من جمالٍ أو قبح لا بد مِن فارق بين كلِ واحدٍ منهم وبين الآخر ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ﴾.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ﴾ [الروم: ٢٣] أي ومن الآيات ما جعل اللَّهُ من صفة النوم في الليل فإن فيه تحصُل الراحةُ وسكونُ الحركةِ وذهابُ الكَلالِ والتعبِ، وجعل لكم الانتشارَ والسعيَ في الأسباب والأسفارِ في النهار وهذا ضدُّ النوم ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ [الروم: ٢٣] سماعَ تدبرٍ واعتبار.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [الروم: ٢٤] الدالةِ على عظمته أنه: ﴿يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [الروم: ٢٤] أي تارةً تخافون مما يحدث بعده من أمطار مُزعجة وصواعقَ مُتلفةٍ، وتارةً ترجون وَميضَه وما يأتي بعده من المطر المحتاج إليه، ولهذا قال تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ﴾ [الروم: ٢٤] أي بعد أن كانت هامدةً لا نباتَ فيها ولا شيء ﴿فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾ [الحج: ٥]. وفي ذلك عبرةٌ ودِلالةٌ واضحةٌ على المَعاد وقيامِ الساعةِ، ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ﴾ [الروم: ٢٤ ـ ٢٥] كقوله تعالى: ﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ﴾ [الحج: ٦٥]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ﴾ [فاطر: ٤١].

وكان عمرُ بنُ الخطاب رضي الله عنه إذا اجتهد في اليمين قال: والذي قامت السمواتُ والأرضُ بأمره، أي هي قائمةٌ ثابتةٌ بأمره لها وتسخيرِه إياها. ثم إذا كان يومُ القيامةِ بُدّلت الأرضُ غيرَ الأرضِ والسمواتُ، وخرجت الأمواتُ من قبورها أحياءً بأمره تعالى ودعائِه إياهم، ولهذا قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ [الروم: ٢٥] أي من الأرض كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٥٢]، وقال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾﴾ [النازعات]. وقال تعالى: ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ [يس: ٥٣][1].

---

(١) بلفظه من تفسير ابن كثير (٣/٤٣٩ ـ ٤٤٠).

والأياتُ في هذا الباب العظيم من الاستدلال بالمخلوقات على وجود خالِقها وقدرتِه وعظمتِه أكثرُ من أن تُحصى وأجلُّ من أن تُستقصى، وفيما ذكرنا كفايةٌ وغِنى يُغني عن خَرْط المناطِقةِ ومقدِّماتهم ونتائجهم وتناقضِهم فيها.

واللَّهُ تبارك وتعالى أعلى وأكبرُ وأجلُّ وأعظمُ من أن يُحتاجَ في معرفةِ وجودِه إلى شواهدَ واستدلالاتٍ، فذاتُ المخلوق نفسِه شاهدةٌ بوجود خالقِه حيث أوجده ولم يك من قبلُ شيئاً.

فلِمَ يذهب يستدلُّ بغيره وفي نفسه الآيةُ الكبرى والبرهانُ الأعظمُ، وشأنُ اللَّهِ تعالى أكبرُ من ذلك، ولم يجحدْ وجودَه تعالى مَن جحده من أعدائه إلا على سبيل المكابرة، ولهذا قال تعالى في كفرهم بآياته: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّاۚ﴾ [النمل: ١٤]، فكيف بوجود الخالِق تبارك وتعالى؟ ولهذا لما قال أعداءُ اللَّهِ لرسله على سبيل المكابرةِ لما جاءوهم بالبينات فردوا أيديَهم في أفواههم وقالوا: ﴿إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ﴾ [إبراهيم: ٩ ـ ١٠]. وهذا يحتمل شيئين:

أحدُهما: أفي وجوده تعالى شكٌّ، فإن الفِطَرَ شاهدةٌ بوجوده ومجبولةٌ على الإقرار به، فإن الاعترافَ به ضروريٌّ في الفِطَر السليمةِ، ولكن قد يعرض لغيرها شكٌّ واضطرابٌ وأكثرُ ذلك على سبيلِ المكابرةِ والاستهزاء، فيجب إقامةُ الحجةِ عليهم للإعذار إليهم، ولهذا قالت لهم رسلُهم تُرشِدهم إلى طريق معرفتِه فقالوا: ﴿فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ﴾ الذي خلقهما وابتدعهما على غير مثالٍ سبق، فإن شواهدَ الحدوثِ والخلقِ والتسخيرِ ظاهرةٌ عليهما فلا بد لهما من خالق وهو اللَّهُ الذي لا إله إلا هو خالقُ كلِ شيءٍ وإلهُه ومليكُه.

والمعنى الثاني: في قولهم: ﴿أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ﴾ أي أفي إلهيته وتفرُّدِه بوجوب العبادةِ له شكٌّ وهو الخالقُ لجميع الموجوداتِ ولا يستحق العبادةَ إلا هو وحده لا شريكَ له، فإن غالبَ الأممِ كانت مُقِرَّةً بالخالق ولكن تعبُد غيرَه من الوسائط التي يظنونها تنفعُهم أو تقرِّبهم، والجوابُ لهذا الاستفهامِ على كلا المعنيين: لا، أي لا شكَّ فيه.

ذكرُ مناظرةٍ أخرى بين رُسل اللَّهِ وأعدائِه

قال الله تبارك وتعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

قال المفسرون[1] وغيرُهم من علماء النسَب والأخبار: هذا المُحاجّ هو ملكُ بابلَ واسمُه نمرودُ بنُ كَنْعانَ، ذكروا أنه استمر في ملكه أربَعِمائةِ سنةٍ، وكان قد طغى وبغى وتجبّرَ وعتا وآثرَ الحياةَ الدنيا.

ولما دعاه الخليلُ إبراهيمُ عليه الصلاة والسلام إلى عبادة اللَّهِ وحدَه لا شريك له حملَه الجهلُ والضلالُ وطولُ الآمالِ على إنكار الخالقِ جل وعلا عِناداً ومُكابرةً، فحاجَّ إبراهيمَ الخليلَ في ذلك وادَّعى لنفسه الربوبية، فلما قال الخليلُ عليه الصلاة والسلام: ﴿رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾.

قال قتادةُ[2] والسُدّي[3] ومحمدُ ابنُ إسحاقَ[3]: يعني أنه إذا أتى بالرجلين، قد تحتم قتلُهما فإذا أمر بقتل أحدِهما وعفا عن الآخر فكأنه قد أحيا هذا وأمات هذا الآخَرَ، وهذا ليس بمعارَضةٍ للخليل عليه الصلاة والسلام بل هو كلامٌ خارجي عن مقام المناظرةِ ليس بمنعٍ ولا بمعارضة بل هو تشغيبٌ محضٌ وهو انقطاعٌ في الحقيقة، فإن الخليلَ عليه الصلاة والسلام استدل على وجود الخالقِ جل وعلا بحدوث هذه المشاهَداتِ من إحياء الحيواناتِ وإماتتِها على وجود فاعلِ ذلك الذي لا بد من استنادها إليه في وجودها ضرورةً لعدم قيامِها بأنفسها، ولا بد من فاعل لهذه الحوادثِ المشاهَدةِ من خلقها وتسخيرها وتسييرِ هذه الكواكبِ والرياحِ والسحابِ والمطرِ وخلقِ هذه الحيواناتِ التي توجد مشاهدةً ثم إماتتِها، ولهذا قال إبراهيمُ عليه الصلاة والسلام: ﴿رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

---

(١) كابن كثير في تفسيره (١/ ٣٢٠)، والبغوي في تفسيره (١/ ٣١٥).
(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٥/ ٤٣٣ رقم ٥٨٧٣).
(٣) ذكره ابن كثير في تفسيره (١/ ٣٢١).

فقولُ هذا الجاهلِ أنا أُحيي وأُميت إن عنى أنه الفاعل لهذه المشاهَداتِ فقد كابر وعاند، وإن عنى ما ذكره قَتادةُ والسُديُّ ومحمدُ بنُ إسحاقَ فلم يقل شيئاً يتعلق بكلام الخليل إذ لم يمنع مستلزماً ولا عارَضَ الدليلَ.

ولما كان انقطاعُ مناظرةِ هذا المُحاجِّ قد تخفى على كثير من الناس ممن حضره وغيرِهم ذكر دليلاً آخرَ بين وجودِ الخالقِ وبُطلانِ ما ادعاه النمرودُ وانقطاعِه جهرةً: ﴿قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِي بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ﴾ [البقرة: ٢٥٨]. أي هذه الشمسُ مسخرةٌ كلَ يومٍ تطلُع من المشرق كما سخرها خالقها ومُسيّرها وقاهُرها، وهو الله الذي لا إلهَ إلا هو خالقُ كلِ شيءٍ، فإن كنت كما زعمتَ أنك تُحيي وتُميت فأتِ بهذه الشمسِ من المغرب، فإن الذي يُحيي ويُميت هو الذي يفعل ما يشاء ولا يمانَع ولا يُغالَب، بل قد قهر كلَّ شيءٍ ودان له كلُ شيءٍ، فإن كنتَ كما تزعُم فافعل هذا، فإن لم تفعلْه فلست كما زعمت، وأنت تعلم وكلُ أحدٍ أنك لا تقدِر على شيء من هذا، بل أنت أعجزُ وأقلُّ وأذلُّ من أن تخلقَ بَعوضةً أو تتصرفَ فيها.

فبيَّنَ ضلالَه وجهلَه وكذِبه فيما ادعاه وبطلانَ ما سلكه وتبجّح به عند جهَلةِ قومِه، ولم يبق له كلامٌ يجيب الخليلَ عليه الصلاة والسلام به بل انقطع وسكت، ولهذا قال تعالى: ﴿فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

ذكرُ مناظرةٍ أخرى من ذلك أيضاً

قال الله تبارك وتعالى: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِيٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الشعراء].

يذكر تعالى ما كان بين موسى وفرعونَ من المقاولة والمحاجّةِ والمناظرة، وما أقامَه الكليمُ على فرعون اللئيمِ من الحجة العقليةِ المعنويةِ ثم الحسيَّة.

وذلك أن فرعون قبّحه اللّهُ أظهرَ جحدَ الخالق تبارك وتعالى، وزعم أنه الإلهُ ﴿فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾ [النازعات]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا

عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ [القصص: ٣٨]. وهو في هذه المقالة معانِدٌ يعلم أنه عبدٌ مربوبٌ وأن اللَّه هو الخالقُ البارئ المصوِّرُ الإلهُ الحقُّ كما قال تعالى: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [النمل: ١٤].

ولهذا قال لموسى عليه السلام على سبيل الإنكارِ لرسالتِه وإظهارِ أنه ما ثَمَّ ربٌ أرسله: ﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ٢٣] لأنهما قالا له: ﴿إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٦]، فكأنه يقول لهما: ومَن ربُ العالمين الذي تزعُمان أنه أرسلكما وابتعثكما، فأجابه موسى قائلاً: ﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ﴾ [الشعراء: ٢٤]، أي خالقُ جميعِ ذلك ومالكُه والمتصرِّفُ فيه وإلهُه لا شريكَ له، هو اللَّهُ الذي خلق الأشياءَ كلَها:

العالَمَ العلويَّ وما فيه من الكواكب النيِّراتِ الثوابتِ والسياراتِ، والعالَمَ السُفليَّ وما فيه من بحار وأنهارٍ وقِفار وجبالٍ وأشجار وحيواناتٍ ونباتٍ وثمار، وما بين ذلك من الهواء والطيرِ والسحابِ المسخرِ والرياحِ والمطرِ وما يحتوي عليه الجوُ، وغيرُ ذلك من المخلوقات التي يعلم كلُ موقنٍ أنها لم تحدُث بأنفسها ولا بد لها من موجد ومُحدث وخالقٍ وهو اللَّهُ الذي لا إله إلا هو ربُ العالمين.

الجميعُ مُذلَّلون مسخَّرون وعبيدٌ له خاضعون ذليلون: ﴿إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾ [الشعراء: ٢٤]، أي إن كانت لكم قلوبٌ موقنةٌ وأبصارٌ نافذةٌ.

﴿قَالَ﴾ أي فرعونُ ﴿لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ﴾ [الشعراء: ٢٥] من أمرائه ومَرازِبته[1] وكُبرائِه ورؤساءِ دولتِه على سبيل التهكم والتنقصِ والاستهزاءِ والتكذيبِ لموسى عليه الصلاة والسلام فيما قاله: ﴿أَلَا تَسْتَمِعُونَ﴾ [الشعراء: ٢٥] أي ألا تعجبون مِن هذا في زعمه أن لكم إلهاً غيري، فقال لهم موسى: ﴿رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الشعراء: ٢٦] أي هو الذي خلقكم والذين من قبلكم من الآباء والأجدادِ والقرونِ السالفةِ في الآباء، فإن كلَ واحدٍ يعلم أنه لم يخلُق نفسَه ولا أبوه ولا أمه، ولم يحدُث من غير مُحدِث، وإنما أوجده وخلقه ربُ العالمين، وهذان المقامان هما المذكوران في قوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣].

---

(١) أي جنوده وأتباعه.

ومع هذا كلِه لم يستفق فرعونُ من رَقْدَته ولا نزَع عن ضلالتِه بل استمر على طغيانه وعِنادِه وكفرانِه ﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾﴾ [الشعراء]، أي ليس له عقلٌ في دعواه أن ثَمّ رباً غيري.

﴿قَالَ﴾ أي موسى لأولئك الذين أوعز إليهم فرعونُ ما أوعز من الشُبَه، فأجاب موسى عليه السلام بقوله: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الشعراء: ٢٨]، أي هو الذي جعل المشرق مشرقاً تطلُع منه الكواكبُ والمغربَ مغرباً تغرُب فيه الكواكبُ، ثوابتها وسياراتُها مع هذا النظام الذي سخرها فيه وقدَّرها، وهو اللّهُ لا إله إلا هو خالقُ الظلامِ والضياءِ وربُ الأرضِ والسماء، ربُ الأولين والآخرين، خالقُ الشمسِ والقمرِ والكواكبِ السائرةِ والثوابتِ الحائرة، خالقُ الليل بظلامه والنهارِ بضيائِه، والكلُ تحت قهرِه وتسخيرِه وتسييرِه سائرون وكلٌ في فلك يسبحون، يتعاقبون في سائر الأوقاتِ ويدورون، فهو تعالى الخالقُ المالكُ المتصرّف في خلقِه بما يشاء.

فإن كان هذا الذي يزعُم أنه ربُكم وإلهُكم صادقاً فليعكس الأمرَ وليجعلِ المشرق مغرِباً والمغربَ مشرِقاً، والثابتَ سائراً والسائرَ ثابتاً كما قال تعالى عن الذي حاجَّ إبراهيمَ في ربه في الآية السابقة.

ولما قامت الحججُ على فرعونَ وذهبت شُبَهُه وغُلِبَ وانقطعت حجتُه ولم يبقَ له قولٌ سوى العِنادِ، عدل إلى استعمال جاهِه وقوتِه، وسلطانِه وسطوتِه، واعتقد أن ذلك نافعٌ له ونافذٌ في موسى عليه الصلاة والسلام، فقال وظن أنه ليس وراء هذا المقامِ مَقالٌ: ﴿قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَـٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الشعراء] إلى آخر ما قصَّ الله عز وجل عنه حتى قصمه الله تعالى، قاصمُ الجبابرة، وأخذه أخْذَ عزيزٍ مقتدر.

ومناظرةُ الرسلِ لأعداء اللّهِ في هذا البابِ يطول ذكرُها، ومقاماتُ نبيِّنا محمدٍ ﷺ مع هذه الأمةِ أشهرُ من أن تُذكرَ، فمن شاءها فليقرأ المصحف من فاتِحته إلى خاتمته، إلا أن أمتَه لم يكن فيهم من يجحد الخالقَ، بل هم مقرُّون به وبربوبيتِه، غير أنهم لم يَقْدِروه حقَّ قدرِه، بل عبدوا معه غيرَه، ولهذا قال تعالى في شأنِهم: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥، الزمر: ٣٨]، ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ

﴿ٱللَّهُ﴾ [العنكبوت: ٦٣]. ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧]، إلى غير ذلك من الآيات كما سيأتي بسطُه إن شاء الله تعالى.

ذكرُ ما نُقل عن الأئمة وعن غيرهم في هذا الباب

عن الإمام مالكٍ رحمه الله تعالى أن الرشيدَ سأله عن ذلك فاستدل له باختلاف اللغاتِ والأصواتِ والنغماتِ.

وعن أبي حنيفةَ رحمه الله تعالى أن بعضَ الزنادِقة سألوه عن وجود الباري تعالى فقال لهم: دعُوني فإني مُفكّرٌ في أمر قد أُخبرتُ عنه، ذكروا لي أن سفينةً في البحر مُوقرةً فيها أنواعٌ من المتاجر وليس بها أحدٌ يحرُسها ولا يسوقُها، وهي مع ذلك تذهب وتجيء وتسير بنفسها وتخترق الأمواجَ العظامَ حتى تخلُصَ منها وتسيرَ حيث شاءت بنفسها من غير أن يسوقَها أحدٌ؛ فقالوا: هذا شيءٌ لا يقولُه عاقل.

فقال: ويَحكُم، هذه الموجوداتُ بما فيها من العالم العُلويِّ والسُفليِّ وما اشتملت عليه من الأشياء المحكمةِ ليس لها صانعٌ! فبُهت القومُ ورجعوا إلى الحق وأسلموا على يديه.

وعن الشافعي رحمه الله تعالى أنه سئل عن وجود الخالقِ عز وجل، فقال: هذا ورقُ التوتِ: طعمُه واحدٌ تأكله الدودُ فيخرج منها الإبريسَمُ، وتأكله النحلُ فيخرج منه العسلُ، وتأكله الشاءُ والبقرُ والأنعامُ فتُلقِيه بعراً وروثاً، وتأكله الظباءُ فيخرج منه المسكُ، وهو شيء واحد.

وعن الإمام أحمدَ بنِ حنبلَ رحمه الله أنه سُئل عن ذلك فقال: ههنا حصنٌ حصينٌ أملسُ ليس له بابٌ ولا منفذٌ ظاهرٌ، كالفضةِ البيضاء، وباطِنه كالذهب الإبريز، فبينا هو كذلك إذ انصدع جدارُه فخرج منه حيوانٌ سميعٌ بصيرٌ ذو شكل حسنٍ وصوتٍ مليح اهـ.

يعني بذلك البيضةَ إذ خرج منها الديك.

وسُئل أبو نواسٍ[1] عن ذلك فأنشد:

---

(١) هو أبو علي: الحسن بن هانئ بن عبد الأول بن الصباح الحَكمي. =

تأملْ في رياض الأرضِ وانظرْ ... إلى ما صنع المليكُ
عيونٌ من لُجينٍ شاخصاتٌ ... بأحداقٍ هي الذهبُ السبيكُ
على قُضُبِ الزَبَرْجَدِ شاهداتٌ ... بأن اللَّهَ ليس له شريكُ

وقال ابنُ المعتزِّ[1]، ويُروى لأبي العتاهيةِ[2] رحمهما الله تعالى:

فيا عجباً كيف يُعصى الإلهُ ... أم كيف يجحَدُه الجاحدُ؟!
وللَّهِ في كلِّ تَحريكةٍ ... وفي كل تسكينةٍ شاهدُ
وفي كل شيء له آيةٌ ... تَدِلُّ على أنه واحدُ

وسُئل بعضُ الأعرابِ عن هذا وما الدليل على وجودِ الربِّ تعالى، فقال: يا سبحانَ الله، إن البعرَ ليدُلّ على البعير، وإن أثر الأقدام ليدل على المسير، فسماء ذاتُ أبراجٍ، وأرضٌ ذاتُ فجاجٍ، وبحارٌ ذاتُ أمواجٍ، ألا يدل ذلك على وجود اللطيف الخبير؟

ومِن خُطبِ قُس بنُ ساعدةَ الأياديِّ[3] وكان على ملة إبراهيمَ رحمه الله

= ولد بالبصرة سنة (١٤٥هـ) وقيل: سنة (١٣٦هـ) ومات ببغداد سنة (١٩٥هـ) وقيل غير ذلك.
وقال البغدادي في «خزانة الأدب»: (١/ ٣٤٦): «وأبو نواس ليس ممن يستشهد بكلامه ـ في اللغة والصرف والنحو ـ» اهـ.
[انظر: خزانة الأدب (١/ ٣٤٧ ـ ٣٤٨)].
* لم أجد هذه الأبيات في ديوان أبي نواس المطبوع في دار الكتب العلمية بشرح وضبط الأستاذ علي فاعور.

(١) هو عبد الله بن المعتز أشعر بني العباس، خليفة يوم وليلة، قُتل بعدهما خنقاً. صنف بعض الكتب، وامتاز شعره بسهولة اللفظ، توفي سنة (٢٩٦هـ).
[شعراء ودواوين (ص١٨٣ ـ ١٨٤) لعبد الوهاب الصابوني. والنجوم الزاهرة (٣/ ١٦٣)].

(٢) هو إسماعيل بن القاسم العنزي الكوفي الشاعر المشهور بأبي العتاهية، ولد بعين التمر ـ بليدة بالحجاز، قرب المدينة ـ وأكثر الناس ينسبونه إلى القول بمذهب الفلاسفة، وكان يقول بالوعيد وتحريم المكاسب، ويتشيع على مذهب الزيدية. وتوفي سنة (٢١١هـ).
[شذرات الذهب (٢/ ٢٥ ـ ٢٦)].
* وأما الأبيات فهي في ديوانه المطبوع في دار الكتب العلمية (ص٦٢).

(٣) قس بن ساعدة الإياديّ بكسر الهمزة، وإياد: حيٌّ من معدّ بن عدنان.
قال الذهبي: قس بن ساعدة أورده ابن شاهين، وعبدان، في الصحابة. =

تعالى: أيها الناسُ، اجتمِعوا فاسمعوا، وإذا سمعتم فَعُوا، وإذا وعَيتم فانتفعوا، وقولوا وإذا قلتُم فاصدُقوا، مَن عاش ماتَ، ومن ماتَ فاتَ، وكلُ ما هو آتٍ آتٍ، مطرٌ ونباتٌ، وأحياءٌ وأمواتٌ. ليلٌ داجٍ، وسماءٌ ذاتُ أبراجٍ، ونجومٌ تزهر، وبحارٌ تَزخَر، وضوءٌ وظلام، وليلٌ وأيام، وبرٌّ وآثام.

إن في السماء خبرَاً، وإن في الأرض عِبَراً، يَحار فيهن البصرُ. مِهادٌ موضوعٌ، وسقفٌ مرفوعٌ، ونجومٌ تغور وبحارٌ لا تفور، ومَنايا دَوانٍ، ودهرٌ خوّان، كحدّ النسطاس ووزنِ القُسطاس.

أقسم قُسٌّ قَسماً، لا كاذباً فيه ولا آثماً. لئن كان في هذا الأمرِ رِضىً ليكونن سَخَطٌ. ثم قال: أيها الناسُ، إن لله ديناً هو أحبُّ إليه من دينكم هذا الذي أنتم عليه، وهذا زمانُه وأوانُه.

ثم قال: ما لي أرى الناسَ يذهبون فلا يرجِعون، أرَضوا بالمقام فأقاموا، أم تُركوا فناموا.

وفي بعض ألفاظِها قال: شرقٌ وغربٌ، ويُتمٌ وحزب، وسِلْمٌ وحربٌ، ويابسٌ ورَطبٌ، وأُجاجٌ وعذبٌ، وشموسٌ وأقمارٌ، ورياحٌ وأمطارٌ، وليلٌ ونهارٌ، وإناثٌ وذكورٌ، وبَرارٍ وبُحور، وحبٌّ ونبات، وآباء وأُمهات، وجَمعٌ وأشتات، وآياتٌ في إثرِها آيات، ونورٌ وظلام، ويسرٌ وإعدام، وربٌّ وأصنام.

لقد ضل الأنامُ، نشوُ مولود، ووأدُ مفقود، وتربيةُ محصود، وفقيرٌ وغنيّ، ومُحسنٌ ومُسيء، تباً لأرباب الغفلة، لَيُصلِحَنّ العاملُ عَمَله، ولَيَفقِدن الآملُ أملَه، كلا بل هو إلهٌ واحدٌ، ليس بمولود ولا والد، أعاد وأبدى، وأمات وأحيا، وخلق الذكرَ والأنثى، ربُ الآخِرة والأولى.

أما بعد؛ فيا معشرَ إيادَ، أين ثمودُ وعادٌ، وأين الآباءُ والأجداد، وأين العليلُ والعُوّادُ، كلٌ لهُ معادٌ.

= وكذلك قال ابن حجر في الإصابة: ذكره أبو علي ابن السكن، وابن شاهين، وعبدان المروزيّ وأبو موسى في الصحابة، وصرح ابن السكن بأنه مات قبل البعثة.
[انظر «خزانة الأدب» (٢/ ٨٩ ـ ٩١) والإصابة رقم (١٠٤٤). وأسد الغابة رقم (٦٥٧) والاستيعاب رقم (٣٥٣) والوافي بالوفيات (١١/ ٣٥) والطبقات الكبرى لابن سعد (٥/ ٥٥٩ ـ ٥٦١)].

يُقسم قُسُّ بربِ العباد، وساطِحِ المِهاد، لتُحشرُنّ على الانفراد، في يوم التنادِ، وإذا نُفخ في الصور، ونُقر في الناقور، ووعظ الواعظُ، فانتبذ القانطُ وأبصر اللاحظُ، فويلٌ لمن صدَف عن الحق الأشهر، والنورِ الأزهر، والعَرْض الأكبر، في يوم الفصْل، وميزانِ العدْل، إذا حكم القدير، وشهِد النذير، وبعُدَ النصير، وظهر التقصيرُ، فريقٌ في الجنة وفريقٌ في السعير.

أسماءُ اللَّهِ الحُسنى

وأسماءُ اللَّهِ الحسنى هي التي أثبتَها تعالى لنفسه وأثبتها له عبدُه ورسولُه محمدٌ ﷺ وآمن بها جميع المؤمنين، قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠]. وقال تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَـٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ﴾ [الإسراء: ١١٠]. وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [طه: ٨].

وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَـٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَـٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَـٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر].

وعن أبي هريرةَ رضي الله تعالى عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«إن لله تسعةً وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنةَ، وهو وِترٌ يحب الوِتْرَ»**. أخرجاه في الصحيحين[١].

ورواه التِرمِذي[٢] وزاد: **«هو اللَّهُ الذي لا إله إلا هو الرحمنُ، الرحيمُ،**

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤١٠) ومسلم (٢٦٧٧).

(٢) في «السنن» رقم (٣٥٠٧).

قلت: وأخرجه ابن حبان (٣/ ٨٨ رقم ٨٠٨) والبغوي (٥/ ٣٢ - ٣٣ رقم ١٢٥٧) والحاكم (١/ ١٦) والطبراني في «الدعاء» رقم (١١١) والبيهقي في «شعب الإيمان» (١/ ١١٤ - ١١٥ رقم ١٠٢) وفي «السنن الكبرى» (١٠/ ٢٧) وفي «الأسماء والصفات» (ص٥). وفي «الاعتقاد» (ص١٨ - ١٩). =

الملكُ، القدوسُ، السلام، المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبار، المتكبرُ، الخالق، البارئ، المصور، الغفار، القهار، الوهاب، الرزاق، الفتاح، العليمُ، القابضُ، الباسط، الخافض، الرافع، المُعِزُّ، المُذِلُّ، السميع، البصير، الحكَم، العدْلُ، اللطيف، الخبير، الحليم، العظيم، الغفور، الشكور، العلي، الكبير، الحفيظ، المُقيت، الحَسيب، الجليل، الكريم، الرقيبُ، المُجيبُ، الواسعُ، الحكيمُ، الودودُ، المجيد، الباعثُ، الشهيد، الحقُّ، الوكيل، القوي، المتينُ، الوليُّ، الحميد، المُحصي، المُبدئ، المُعيد، المُحيي، المُميت، الحيُّ، القيومُ، الواجدُ، الماجدُ، الواحدُ، الأحدُ، الفردُ، الصمد، القادر، المقتدر، المقدم، المؤخر، الأولُ، الآخرُ، الظاهرُ، الباطنُ، الوالي، المتعالي، البَرُّ، التواب، المُنتقمُ، العفُوّ، الرءوفُ، مالك الملكِ، ذو الجلال والإكرامِ، المُقْسط، الجامعُ، الغني، المُغني، المعْطي ،المانعُ، الضارُّ، النافعُ، النورُ، الهادي، البديعُ، الباقي، الوارثُ، الرشيدُ، الصبور». ثم قال الترمذي: هذا حديث غريب.

وقد روي من غير وجه عن أبي هريرةَ ولا نعلم في كثير من الروايات ذكرَ الأسماء إلا في هذا الحديث اهـ.

= كلهم من طريق صفوان بن صالح، عن الوليد بن مسلم به.

وقال الحاكم: «هذا حديث قد خرجاه في الصحيحين بأسانيد صحيحة دون ذكر الأسامي فيه. والعلة فيه عندهما أن الوليد بن مسلم تفرد بسياقته بطوله وذكر الأسامي فيه ولم يذكرها غيره. وليس هذا بعلة فإني لا أعلم اختلافاً بين أئمة الحديث أن الوليد بن مسلم أوثق وأحفظ وأعلم وأجل من أبي اليمان، وبشر بن شعيب، وعلي بن عياش، وأقرانهم من أصحاب شعيب» اهـ.

وقال ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (٢٢/ ٤٨٢): «إن التسعة والتسعين اسماً لم يرد في تعيينها حديث صحيح عن النبي ﷺ، وأشهر ما عند الناس فيها حديث الترمذي الذي رواه الوليد بن مسلم عن شعيب عن أبي حمزة، وحفاظ أهل الحديث يقولون: هذه الزيادة مما جمعه الوليد بن مسلم عن شيوخه من أهل الحديث، وفيها حديث ثانٍ أضعف من هذا، رواه ابن ماجه. وقد روي في عددها غير هذين النوعين من جمع بعض السلف» اهـ.

وقال ابن حجر في «فتح الباري» (١١/ ٢١٧): «وقد استضعف الحديث أيضاً جماعة، فقال الداودي: لم يثبت أن النبي ﷺ عين الأسماء المذكورة.

وقال ابن العربي: يحتمل أن تكون الأسماء تكملة الحديث المرفوع، ويحتمل أن تكون من جمع بعض الرواة، وهو الأظهر عندي...» اهـ.

وراوه الدارميُّ[1]: وزاد: كلُّها في القرآن.

وأخرج ابنُ أبي الدنيا[2] والطَبرانيُّ[3] كلاهما في الدعاء وأبو الشيخ[4] والحاكم[5] وابن مردويهِ[6] وأبو نُعيمٍ[7] والبيهقيُّ[8] عن أبي هريرةَ: «**إن لله تسعةَ**

---

(١) في الرد على بشر المريسي (ص١٢ ـ ١٣).
وخلاصة القول أن الحديث صحيح بدون سرد الأسماء. أما بها فهو ضعيف، والله أعلم.

(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (١٤٨/٣).

(٣) في «الدعاء» رقم (١١٢).

(٤) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (١٤٨/٣).

(٥) في «المستدرك» (١٧/١) وقال الحاكم: هذا حديث محفوظ من حديث أيوب وهشام عن ابن سيرين عن أبي هريرة مختصراً دون ذكر الأسامي الزائدة فيها وكلها في القرآن.

(٦) عزاه إليه الشوكاني في «تحفة الذاكرين» (٨٧ ـ ٨٨) لابن مردويه في «تفسيره» من طريق خالد بن مخلَد.

(٧) في جزء فيه طرق حديث: «**إنَّ لله تسعة وتسعين اسماً**» رقم (٥٢).

(٨) في «الاعتقاد» (ص١٩).
وخلاصة القول أن علّة الحديث عبد العزيز بن الحصين وقد تفرد بهذه الرواية.
فالحديث ضعيف، والله أعلم.

* **قال ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (٦/ ٣٧٩ ـ ٣٨٠)**: «روى الأسماء الحسنى في «جامعه» ـ أي الترمذي ـ من حديث الوليد بن مسلم، عن شعيب عن أبي الزناد، عن الأعرج عن أبي هريرة.
ورواها ابن ماجه في «سننه» من طريق مخلد بن زياد القطواني، عن هشام بن حسان، عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة.
وقد اتفق أهل المعرفة بالحديث على أن هاتين الروايتين ليستا من كلام النبي ﷺ، وإنما كل منهما من كلام بعض السلف.
فالوليد ذكرها عن بعض شيوخه الشاميين كما جاء مفسراً في بعض طرق حديثه.
ولهذا اختلفت أعيانهما، فروى عنه في إحدى الروايات من الأسماء بدل ما يذكر في الرواية الأخرى، لأن الذين جمعوها قد كانوا يذكرون هذا تارة وهذا تارة؛ واعتقدوا ـ هم وغيرهم ـ أن الأسماء الحسنى التي من أحصاها دخل الجنة ليست شيئاً معيناً، بل من أحصى تسعة وتسعين اسماً من أسماء الله دخل الجنة، أو أنها وإن كانت معينة فالاسمان اللذان يتفق معناهما يقوم أحدهما مقام صاحبه، كالأحد والواحد، فإن في رواية هشام بن عمار عن الوليد بن مسلم عنه، رواهما عثمان بن سعيد «الأحد» بدل «الواحد» و «المعطي» بدل «المغني» وهما متقاربان.
وعد الوليد هذه الأسماء بعد أن روى الحديث عن خليد بن دعلج عن قتادة عن ابن سيرين عن أبي هريرة. =

وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة، أسألُ اللَّهَ الرحمنَ، الرحيمَ، الإله، الربَّ، الملك، القدوس، السلام، المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبار، المتكبر، الخالقَ، البارئ، المصوّر، الحليم، العليم، السميع، البصير، الحي، القيومَ، الواسعَ، اللطيفَ، الخبير، الحنّانَ، المنّان، البديعَ، الغفور، الودود، الشكور، المجيدَ، المبدئ، المُعيد، النورَ، البارئ - وفي لفظ القائم - الأولَ، الآخرَ، الظاهرَ، الباطن، العفوّ، الغفار، الوهابَ، الفرد - وفي لفظ القادر - الأحدَ، الصمد، الوكيلَ، الكافي، الباقي، المغيث، الدائم، المُتعالِ، ذا الجلال والإكرام، المولى، النصيرَ، الحقَّ، المتين، الوارثَ، المُنيرَ، الباعثَ، القديرَ - وفي لفظ المجيب - المحيي، المميت، الحميدَ - وفي لفظ الجميل - الصادقَ، الحفيظَ، المحيطَ، الكبيرَ، القريب، الرقيبَ، الفتاحَ، التواب، القديم، الوتر، الفاطرَ، الرزاق، العلّام، العلي، العظيم، الغنيَّ، الملكَ، المقتدرَ، الأكرمَ الرؤوف، المدبرَ، المالكَ، القاهرَ، الهاديَ، الشاكرَ، الكريمَ، الرفيعَ، الشهيدَ، الواحدَ، ذا الطول، ذا المعارج، ذا الفضلِ، الخلّاق، الكفيلَ، الجليلَ.

وأخرج أبو نُعيم[1] عن محمد بنِ جعفرٍ رحمه الله تعالى قال: سألت أبي جعفرَ محمد بن الصادق عن الأسماء التسعةِ والتسعين التي من أحصاها دخل الجنة فقال: هي في القرآن؛ ففي الفاتحة خمسةُ أسماء: يا اللَّهُ، يا رب، يا رحمنُ، يا رحيمُ، يا ملك.

= ثم قال هشام: وحدثنا الوليد، حدثنا سعيد بن عبد العزيز مثل ذلك، وقال: كلها في القرآن: «هو الله الذي لا إله إلا هو»... مثل ما ساقها الترمذي، لكن الترمذي رواها عن طريق صفوان بن صالح، عن الوليد، عن شعيب، وقد رواها ابن أبي عاصم، وبين ما ذكره هو والترمذي خلاف في بعض المواضع، وهذا كله مما يبين لك أنها من الموصول المدرج في الحديث عن النبي ﷺ في بعض الطرق، وليست من كلامه» اهـ.

* **وقال ابن كثير في تفسيره (٢/ ٢٨٠)**: «والذي عوّل عليه جماعةٌ من الحفّاظ أنّ سرد الأسماء في هذا الحديث مدرجٌ فيه، وإنما ذلك كما رواه الوليد بن مسلم وعبد الملك بن محمد الصنعاني، عن زهير بن محمد أنه بلغه عن غير واحد من أهل العلم أنهم قالوا ذلك، أي أنهم جمعوها من القرآن، كما روي عن جعفر بن محمد وسفيان بن عيينة وأبي زيد اللغوي، والله أعلم» اهـ.

(١) في جزء في طرق حديث: **«إن لله تسعة وتسعين اسماً»**. رقم (٩١) والحافظ في جزئه رقم (٤٠). وعزاه لأبي نعيم في «الفتح» (١١/ ٢١٧). **وهو حديث ضعيف.**

وفي البقرة ثلاثةٌ وثلاثون اسماً: يا محيطُ، يا قديرُ، يا عليم، يا حكيم، يا عليُّ، يا عظيم، يا توابُ، يا بَصيرُ، يا وليُّ، يا واسعُ، يا كافي، يا رؤوفُ، يا بديعُ، يا شاكر، يا واحد، يا سميعُ، يا قابضُ، يا باسطُ، يا حيُّ، يا قيومُ، يا غنيُّ، يا حميدُ، يا غفور، يا حليم، يا إلهُ، يا قريبُ، يا مجيبُ، يا عزيزُ، يا نصيرُ، يا قويُّ، يا شديدُ، يا سريعُ، يا خبير.

وفي آل عمرانَ: يا وهابُ، يا قائمُ، يا صادقُ، يا باعثُ، يا مُنعم، يا مُتفضلُ.

وفي النساء: يا حسيبُ، يا رقيبُ، يا شهيدُ، يا مُقيت، يا وكيل، يا علي، يا كبير.

وفي الأنعام: يا فاطرُ، يا قاهرُ، يا لطيفُ، يا بُرهان. وفي الأعراف: يا مُحيي، يا مُميت.

وفي الأنفال: يا نِعم المولى، ويا نِعم النصيرُ. وفي هود: يا حفيظُ، يا مَجيدُ، يا ودود، يا فعَّالُ لما تُريد.

وفي الرعد: يا كبيرُ، يا متعالي. وفي إبراهيمَ: يا منانُ، يا وارثُ.

وفي الحِجْر: يا خلّاق. وفي مريم: يا فردُ. وفي طه: يا غفَّار. وفي قد أفلح: يا كريمُ. وفي النور: يا حقُّ، يا مبينُ. وفي الفرقان: يا هادِ. وفي سبأ: يا فتاحُ. وفي الزُمر: يا عالمُ.

وفي غافر: يا قابلَ التوب، يا ذا الطَّوْل، يا رفيع. وفي الذاريات: يا رزَّاقُ، يا ذا القوة، يا متينُ. وفي الطور: يا برّ. وفي اقتربت: يا مقتدرُ، يا مليكُ.

وفي الرحمن: يا ذا الجلالِ والإكرام، يا ربَّ المشرِقين، يا ربَّ المغربين، يا باقي، يا مُعين. وفي الحديد: يا أولُ، يا آخِرُ، يا ظاهرُ، يا باطن. وفي الحشر: يا مِلك، يا قدوس، يا سلامُ، يا مؤمنُ، يا مهيمنُ، يا عزيزُ، يا جبار، يا مُتكبرُ، يا خالقُ، يا بارئ، يا مصوِّر.

وفي البروج: يا مُبدئُ، يا مُعيد. وفي الفجر: يا وترُ. وفي الإخلاص: يا أحدُ، يا صمدُ، انتهى.

وقد حرَّرها الحافظُ ابنُ حجرٍ رحمه الله في (تلخيص الحبير)[١] تسعةً وتسعين اسماً من الكتاب العزيزِ منطبقةً على لفظ الحديثِ ورتبها هكذا: اللَّهُ، الربُ، الإلهُ، الواحد، الرحمن، الرحيمُ، الملكُ، القدوسُ، السلامُ، المؤمن، المهيمن، العزيزُ، الجبارُ، المتكبر، الخالق، البارئُ، المصور، الأول، الآخِرُ، الظاهرُ، الباطنُ، الحي، القيوم، العلي، العظيم، التوابُ، الحليم، الواسع، الحكيمُ، الشاكرُ، العليم، الغني، الكريم، العفُوّ، القدير، اللطيف، الخبيرِ، السميع، البصير، المولى، النصيرُ، القريبُ، المُجيب، الرقيبُ، الحسيب، القوي، الشهيد، الحميد، المَجيد، المحيط، الحفيظ، الحق، المُبينُ، الغفار، القهارُ، الخلاقُ، الفتاح، الودودُ الغفور، الرؤوفُ، الشكور، الكبيرُ، المتعالِ، المُقيت، المستعانُ، الوهابُ، الخفيُّ، الوارث، الولي، القائمُ، القادرُ، الغالبُ، القاهرُ، البرّ، الحافظُ، الأحدُ، الصمد، المَليك، المقتدر، الوكيلُ، الهادي، الكفيلُ، الكافي، الأكرمُ، الأعلى، الرزاقُ، ذو القوة، المتين، غافرُ، الذنب، وقابل التوب، شديدُ العقاب، ذو الطَوْل، رفيعُ الدرجاتِ، سريعُ الحسابِ، فاطرُ السمواتِ والأرض، بديعُ السمواتِ والأرضِ، نورُ السمواتِ والأرضِ، مالك الملكِ، ذو الجلال والإكرام. اهـ.

وقد عدَّها جماعةٌ غيرُ مَن ذكرنا كسفيانَ بنِ عُيينةَ[٢] ....

(١) (٤/ ١٧٤).

(٢) قال الحافظ في «الفتح» (١١/ ٢١٧ ـ ٢١٨): وروينا في «فوائد تمام» من طريق أبي الطاهر بن السرح عن حبان بن نافع عن سفيان بن عيينة، الحديث.

يعني حديث: «**إن لله تسعة وتسعين اسماً**» فوعدنا سفيان أن يخرجها لنا من القرآن فأبطأ، فأتينا أبا زيد فأخرجها لنا فعرضناها على سفيان فنظر فيها أربع مرات وقال: نعم هي هذه، وهذا سياق ما ذكره جعفر وأبو زيد، قالا: ففي الفاتحة خمسة: «الله، رب، الرحمن، الرحيم، مالك».

وفي البقرة: «محيط، قدير، عليم، حكيم، علي، عظيم، تواب، بصير، ولي، واسع، كاف، رؤوف، بديع، شاكر، واحد، سميع، قابض، باسط، حي، قيوم، غني، حميد، غفور، حليم».

وزاد جعفر: «إله، قريب، مجيب، عزيز، نصير، قوي، شديد، سريع، خبير». قالا: وفي آل عمران: «وهاب، قائم»، زاد جعفر الصادق: «باعث، منعم، متفضل». =

= وفي النساء: «رقيب، حسيب، شهيد، مقيت، وكيل»، زاد جعفر: «علي، كبير»، وزاد سفيان: «عفو».
وفي الأنعام: «فاطر، قاهر»، زاد جعفر: «مميت، غفور، برهان»، وزاد سفيان: «لطيف، خبير، قادر».
وفي الأعراف: «محيي، مميت».
وفي الأنفال: «نعم المولى، ونعم النصير».
وفي هود: «حفيظ، مجيد، ودود، فعال لما يريد».
زاد سفيان: «قريب، مجيب».
وفي الرعد: «كبير، متعال».
وفي إبراهيم: «منان»، زاد جعفر: «صادق وارث».
وفي الحجر: «خلاق».
وفي مريم: «صادق، وارث»، زاد جعفر: «فرد».
وفي طه عند جعفر وحده: «غفار».
وفي المؤمنين: «كريم».
وفي النور: «حق مبين»، زاد سفيان: «نور».
وفي الفرقان: «هاد».
وفي سبأ: «فتاح».
وفي الزمر: «عالم» عند جعفر وحده.
وفي المؤمن: «غافر قابل ذو الطول»، زاد سفيان: «شديد»، زاد جعفر: «رفيع».
وفي الذاريات: «رزاق، ذو القوة المتين» بالتاء.
وفي الطور: «بر».
وفي اقتربت: «مقتدر»، زاد جعفر: «مليك».
وفي الرحمن: «ذو الجلال والإكرام».
زاد جعفر: «رب المشرقين ورب المغربين باقي معين».
وفي الحديد: «أول، آخر، ظاهر، باطن».
وفي الحشر: «قدوس، سلام، مؤمن، مهيمن، عزيز، جبار، متكبر، خالق، بارئ، مصور»، زاد جعفر: «ملك».
وفي البروج: «مبدئ، معيد».
وفي الفجر: «وتر» عند جعفر وحده.
وفي الإخلاص: «أحد، صمد».
هذا آخر ما رويناه عن جعفر وأبي زيد، وتقرير سفيان في تتبع الأسماء من القرآن، وفيها اختلاف شديد، وتكرار، وعدة أسماء لم ترد بلفظ الاسم وهي: =

وابنِ حزم[1] والقُرطبيّ[2] وغيرِهم، وعدَّها ابنُ العربيِّ المالكيُّ في (أحكام القرآن)[3] مرتباً لها على السور، لكنه أخطأ في بعض ما عدَّه كما سنشير إليه قريباً إن شاء الله تعالى.

[أسماء الله ليست منحصرة بحديث أبي هريرة]

واعلم أن أسماءَ اللَّهِ عز وجل ليست بمنحصرة في التسعة والتسعين المذكورةِ في حديث أبي هريرةَ ولا فيما استخرجه العلماءُ من القرآن، بل ولا فيما علمتْه

= «صادق، منعم، متفضل، منان، مبدئ، معيد، باعث، قابض، باسط، برهان، معين، مميت، باقي».

(١) في «المحلى» (٨/ ٣١). وقال: «... وجاءت أحاديث في إحصاء التسعة والتسعين اسماً مضطربة لا يصح منها شيء أصلاً، فإنما تؤخذ من نص القرآن، ومما صح عن النبي ﷺ، وقد بلغ إحصاؤنا منها إلى ما نذكر، وهي:
«الله، الرحمن، الرحيم، العليم، الحكيم، الكريم، العظيم، الحليم، القيوم، الأكرم، السلام، التواب، الرب، الوهاب، الإله، القريب، السميع، المجيب، الواسع، العزيز، الشاكر، القاهر، الآخر، الظاهر، الكبير، الخبير، القدير، البصير، الغفور، الشكور، الغفار، القهار، الجبار، المتكبر، المصور، البر، المقتدر، الباري، العلي، الغني، الولي، القوي، الحي، الحميد، المجيد، الودود، الصمد، الأحد، الواحد، الأول، الأعلى، المتعال، الخالق، الخلاق، الرزاق، الحق، اللطيف، رؤوف، عفو، الفتاح، المتين، المبين، المؤمن، المهيمن، الباطن، القدوس، الملك، مليك، الأكبر، الأعز، السيد، سبوح، وتر، محسان، جميل، رفيق، المسعر، القابض، الباسط، الشافي، المعطي، المقدم، المؤخر، الدهر» اهـ.
قلت: ذكر ابن حزم أربعة وثمانين اسماً، ولم يقتصر فيه على ما في القرآن بل ذكر ما اتفق له العثور عليه منه، وهو سبعة وستون اسماً متوالية، كما هي مذكورة في كتابه آخرها (الملك)، وما بعد ذلك التقطه من الأحاديث.

(٢) في شرح الأسماء الحسنى له كما في (تلخيص الحبير) (٤/ ١٧٣) وقال: «العجب من ابن حزم ذكر من الأسماء الحسنى نيفاً وثمانون فقط، والله يقول: ﴿ما فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]. ثم ساق ما ذكره ابن حزم، وقال القرطبي: وفاته: الصادق، المستعان، المحيط، الحافظ، الفعال، الكافي، النور، الفاطر، البديع، الفالق، الرافع، المخرج».
قلت: وقد عاودت تتبعها من الكتاب العزيز إلى أن حررتها منه تسعة وتسعين اسماً، ولا أعلم من سبقني إلى تحرير ذلك» اهـ.

(٣) (٢/ ٨٠٨ _ ٨١٥).

الرسلُ والملائكةُ وجميعُ المخلوقين، لحديث ابن مسعودٍ[1] عند أحمدَ وغيرِه عن رسولِ الله ﷺ أنه قال: «**ما أصاب أحداً قطُّ همٌّ ولا حَزن فقال: اللهم إني عبدُك وابنُ عبدِك وابنُ أمتِك، ناصيتي بيدك، ماضٍ فيَّ حكمُك، عدْلٌ فيَّ قضاؤُك، أسألك بكل اسم هو لك سمَّيتَ به نفسَك، أو أنزلتَه في كتابك، أو علّمتَه أحداً من خلقك، أو استأثرتَ به في علمِ الغيب عندَك، أن تجعل القرآنَ العظيمَ ربيعَ قلبي ونورَ صدْري وجلاءَ حَزَني وذهابَ همي، إلا أذهب اللّهُ حزَنَه وهمَّه وأبدله مكانه فرَحاً**».

---

(١) **وهو حديث صحيح.**
أخرجه أحمد (١/ ٣٩١، ٤٥٢) والطبراني في «الكبير» رقم (١٠٣٥٢) وأبو يعلى في «المسند» (٩/ ١٩٨ رقم ٣٣١/ ٥٢٩٧) والحاكم (١/ ٥٠٩) وابن حبان رقم (٩٧٢ - الإحسان).
قال الحاكم: **هذا حديث صحيح** على شرط مسلم إن سلم من إرسال عبد الرحمن بن عبد الله عن أبيه، فإنه مختلف في سماعه من أبيه.
وتعقبه الذهبي بقوله: «قلت: وأبو سلمة لا يدرى من هو، ولا رواية له في الكتب الستة».
قلت: * هو سالم من الإرسال، فقد ثبت سماعه بشهادة غير واحد من الأئمة مثل سفيان الثوري، وابن معين، والبخاري، وأبي حاتم.
انظر: «التاريخ الكبير» للبخاري (٥/ ٢٩٩) و «العلل» لابن المديني.
* وأبو سلمة الجهني، ترجمه البخاري في «الكنى» ولم يورد فيه لا جرحاً ولا تعديلاً.
وقال الحافظ في «تعجيل المنفعة» (ص٤٩٠): «وقد ذكره ابن حبان في الثقات، وأخرج حديثه في صحيحه...».
وقال في «لسان الميزان» (٧/ ٥٦): «... وقد ذكره ابن حبان في الثقات، وأخرج حديثه في صحيحه، وأحمد في مسنده، والحاكم في مستدركه...
والحق أنه مجهول الحال، وابن حبان يذكر أمثاله في «الثقات» ويحتج به في الصحيح إذا كان ما رواه ليس بمنكر» اهـ.
والخلاصة أن هذا المذهب لم يبتدعه ابن حبان ولم ينفرد به ابن حبان. انظر: مقدمة ابن الصلاح (ص٥٤).
* ولحديث ابن مسعود شاهد من حديث أبي موسى عند ابن السني رقم (٣٤١) ورجاله ثقات ما عدا عبد الله بن زبيد بن الحارث اليامي، راويه عن أبي موسى.
فقد ترجمه ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٥/ ٦٢) ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً.
فهو حسن في الشواهد.
وخلاصة القول أن الحديث صحيح، والله أعلم.

فقيل: يا رسولَ الله، أفلا نتعلمها؟ فقال: «**بلى ينبغي لكل من سمِعها أن يتعلَمها**».

[من أسماء الله ما لا يطلق عليه إلا مقترناً بمقابله]

واعلم أن من أسماء الله عز وجل ما لا يُطلق عليه إلا مقترناً بُمقابِله، فإذا أُطلق وحده أوهم نقصاً تعالى اللّهُ عن ذلك، فمنها المُعطي المانعُ، والضارُّ النافعُ، والقابضُ الباسطُ، والمُعزُّ المُذِلُّ، والخافضُ الرافعُ، فلا يطلق على الله عز وجل المانعُ الضارُّ القابضُ المُذلُّ الخافضُ كلاً على انفراده، بل لا بد من ازدواجها بمقابلاتها، إذ لم تُطلق في الوحْي إلا كذلك، ومن ذلك المنتقمُ لم يأت القرآن إلا مضافاً إلى «ذو» كقوله تعالى: ﴿عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ [آل عمران: ٤]، أو مقيَّداً بالمجرمين كقوله تعالى: ﴿إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ [السجدة: ٢٢].

واعلم أنه قد ورد في القرآن أفعالٌ أطلقها اللّهُ عز وجل على نفسه على سبيل الجزاءِ العدْلِ والمقابلة، وهي فيما سيقت فيه مدحٌ وكمالٌ، لكن لا يجوز أنْ يُشتقَّ له تعالى منهما أسماءٌ، ولا تُطلق عليه في غير ما سيقت فيه من الآيات.

كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢]، وقوله: ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٥٤]، وقوله تعالى: ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة: ٦٧]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة: ١٤ ـ ١٥] ونحو ذلك، فلا يجوز أن يُطلق على الله تعالى مخادِعٌ ماكرٌ ناسٍ مستهزِئ ونحوُ ذلك مما يتعالى الله عنه، ولا يُقال: اللّهُ يستهزئ ويخادِع ويمكُر وينسى على سبيل الإطلاق، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

وقال ابن القيم[1] رحمه الله تعالى: «إن الله تعالى لم يصف نفسَه بالكيد والمكرِ والخِداع والاستهزاء مطلقاً، ولا ذلك داخلٌ في أسمائه الحسنى، ومن ظن الجهّال المصنِّفين في شرح الأسماءِ الحسنى أن من أسمائه تعالى الماكرَ المخادعَ المستهزئ الكائدَ فقد فاه بأمرٍ عظيمٍ تقشعرّ منه الجلودُ وتكاد الأسماعُ تُصمّ عند

---

(١) انظر ما قاله ابن القيم أيضاً في «بدائع الفوائد» (١/١٥٩ ـ ١٧٠).

سماعِه، وغرَّ هذا الجاهلَ أنه سبحانه وتعالى أطلق على نفسه هذه الأفعالَ فاشتق له منها أسماءً، وأسماؤه تعالى كلُها حسنى فأدخلَها في الأسماء الحسنى وقرنها بالرحيم الودودِ الحكيمِ الكريم، وهذا جهلٌ عظيم، فإن هذه الأفعالَ ليست ممدوحةً مطلقاً بل تُمدح في موضع وتُذم في موضع، فلا يجوز إطلاقُ أفعالِها على الله تعالى مطلقاً، فلا يقال إنه تعالى يمكُر ويخادِع ويستهزِئ ويكيد، فكذلك بطريق الأولى لا يُشتق له منها أسماءٌ يُسمَّى بها، بل إذا كان لم يأتِ في أسمائه الحسنى المريدُ والمتكلمُ ولا الفاعلُ ولا الصانعُ، لأن مُسمياتِها تنقسم إلى ممدوح ومذمومٍ وإنما يوصف بالأنواع المحمودةِ منها كالحليم والحكيمِ والعزيزِ والفعّالِ لِما يريد، فكيف يكون منها الماكرُ والمُخادعُ والمُستهزئ؟

ثم يلزم هذا الغالطَ أن يجعل من أسمائه الحسنى الداعيَ والآتيَ والجائيَ والذاهبَ والقادمَ والرائدَ والناسيَ والقاسمَ والساخطَ والغضبانَ واللاعنَ إلى أضعاف أضعافِ ذلك من التي أطلق تعالى على نفسه أفعالَها في القرآن، وهذا لا يقوله مسلمٌ ولا عاقلٌ.

والمقصودُ أن اللّهَ سبحانه وتعالى لم يصفْ نفسَه بالكيد والمكرِ والخِداعِ إلا على وجه الجزاءِ لمن فعل ذلك بغير حق، وقد عُلم أن المجازاةَ على ذلك حسنةٌ من المخلوق فكيف من الخالق سبحانه وتعالى.

قلت: ومن هنا يتبين لك ما ذكرنا من النظر في بعض ما عدّه ابن العربي[1]، فإن الفاعلَ والزارعَ إذا أُطلقا بدون متعلَّقٍ ولا سياقٍ يدل على وصف الكمالِ فيهما فلا يُفيدان مدحاً، أما في سياقها من الآيات التي ذُكرت فيها فهي صفاتُ كمالٍ ومدحٍ وتوحُّد، كما قال تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَـٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]. وقال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [الواقعة] الآيات، بخلاف ما إذا عُدّت مجردةً عن متعلّقاتها وما سيقتْ فيه وله.

---

(١) (٢/٨٠٦ ـ ٨٠٧).

ـ سورة اقترب، فيها: ثلاثة أسماء...، ... الفاعل.

ـ سورة الواقعة، فيها ثلاثة أسماء: ...، ... الزارع، ...

وأكبر مصيبة أنْ عدَّ[1] في الأسماء الحسنى رابعَ ثلاثةٍ وسادسَ خمسةٍ مصرحاً قبل ذلك بقوله: وفي سورة المجادلةِ اسمان فذكرهما.

وهذا خطأٌ فاحشٌ؛ فإن الآية لا تدل على ذلك ولا تقتضيه بوجه لا منطوقاً ولا مفهوماً، فإن الله عز وجل قال: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ﴾ [المجادلة: ٧]. الآية.

وأين في هذا السياق رابعُ ثلاثةٍ سادسُ خمسة؟ وكان حقُه اللائقُ بِمراده أن يقول: رابعُ كلِ ثلاثةٍ في نجواهم وسادسُ كلِ خمسةٍ كذلك، فإنه تعالى يعلم أفعالَهم ويسمع أقوالَهم كما هو مفهومٌ من صدر الآيةِ، ولكن لا يليق بهذا المعنى إلا سياقُ الآية، والله تعالى أعلم.

واعلم أن دِلالةَ أسماء الله تعالى حقٌ على حقيقتها مطابقةً[2] وتضمناً[3] والتزاماً[4]، فدِلالةُ اسمِه تعالى «الرحمن» على ذاته عز وجل مطابَقةً، وعلى صفة الرحمة تضمُّناً، وعلى الحياة وغيرِها التزاماً، وهكذا سائرُ أسمائِه تبارك وتعالى.

وليست أسماءُ اللّهِ تعالى غيرَه كما يقوله الملْحِدون في أسمائِه، تعالى اللّهُ عمَّا يقولون علوّاً كبيراً، فإن اللّهَ عز وجل هو الإلهُ وما سواه عبيدٌ، وهو الربُّ وما سواه مربوبٌ، وهو الخالقُ وما سواه مخلوقٌ، وهو الأولُ فليس قبله شيءٌ، وما سواه مُحدثٌ كائنٌ بعد أن لم يكن، وهو الآخرُ الباقي فليس بعدَه شيءٌ وما سواه فانٍ، فلو كانت أسماءُ اللّهِ تعالى غيرَه كما زعموا لكانت مخلوقةً مربوبةً محدَثةً فانيةً، إذ كلُ ما سواه كذلك، تعالى اللّهُ عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

---

(١) أي ابن العربي في «أحكام القرآن» (٢/ ٨٠٧):
سورة المجادلة فيها اسمان: رابع ثلاثة، سادس خمسة.

(٢) المطابقة: دلالة اللفظ على تمام ما وُضع له من حيث هو تمامه.

(٣) التضمّن: دلالة اللفظ على جزء ما وُضع له من حيث هو جزؤه.

(٤) الالتزام: دلالة اللفظ على لازم خارج عن المعنى الموضوع له اللفظ من حيث هو لازمه.
[انظر: التقرير والتحبير شرح التحرير: لابن الهمام (١/ ١٠٠)]. وانظر: القواعد المثلى لفضيلة الشيخ محمد العثيمين، القاعدة الرابعة ص١١.

[أسماء الله غير مخلوقة]

وقال عثمانُ بنُ سعيدٍ الدارمِيّ ـ نَقِمةُ اللَّهِ على بِشْر المُريسيّ وذويه ـ: بابُ الإيمان بأسماء اللَّهِ تعالى وأنها غيرُ مخلوقة[1].

قال: «ثم اعترَض المعترِضُ ـ يعني ابنَ الثلجيّ[2] ـ على أسماء اللَّهِ تعالى المقدسةِ، فذهب في تأويلها مذهبَ إمامِه المريسيِّ فادعى أن أسماءَ اللَّهِ غيرُ اللَّهِ وأنها مستعارةٌ مخلوقةٌ، كما أنه قد يكون شخصٌ بلا اسمٍ فتسميتُه لا تزيد في الشخص ولا تُنقص، يعني ـ الخبيثُ ـ أن الله تعالى كان مجهولاً كشخص مجهولٍ لا يُهتدى لاسمه ولا يُدرى ما هو حتى خلق الخلق فابتدعوا له أسماءً من مخلوق كلامِهم فأعاروه إياها من غير أن يُعرَف له اسمٌ قبل الخلق».

قال: «ومن ادعى التأويلَ في أسماء اللَّهِ فقد نسب اللَّهَ تعالى إلى العجز والوهنِ والضرورةِ والحاجةِ إلى الخلق؛ لأن المستعيرَ محتاجٌ مضطرٌ والمعيرُ أبداً أعلى منه وأغنى، ففي هذه الدعوى استجهالُ الخالقِ إذْ كان بزعمه هَمَلاً لا يُدْرى ما اسمُه، والله المتعالي عن هذا الوصفِ المنزهُ عنه؛ لأن أسماءَ الله تعالى هي تحقيقُ صفاتِه سواءٌ عليك قلتَ: عبدتُ اللَّهَ أو عبدتُ الرحمنَ أو الرحيمَ أو الملِكَ العزيزَ الحكيم، وسواءٌ على الرجل قال كفرتُ بالله، أو قال: كفرتُ بالرحمن الرحيم، أو بالخالقِ العزيزِ الحكيم، وسواءٌ عليك قلت: عبدُ الله أو عبدُ الرحمن أو عبدَ العزيز أو عبدُ المجيد.

وسواءٌ عليك قلتَ: يا اللَّهُ أو يا رحمنُ أو يا رحيمُ أو يا مالكُ يا عزيزُ يا جبار، بأي اسمٍ دعوتَه من هذه الأسماء أو أضفتَه إليه فإنما تدعو اللَّهَ نفسَه، مَن شك فيه فقد كفر.

---

(١) في كتابه «الرد على بشر المريسي» (ص٧ ـ ١١).

(٢) هو محمد بن شجاع بن الثلجي الفقيه البغدادي الحنفي، أبو عبد الله صاحب التصانيف.
قال ابن عدي: كان يضع الحديث في التشبيه ينسبها إلى أصحاب الحديث يسابهم بذلك.
وقال الذهبي: جاء من غير وَجْهٍ أنه كان ينال من أحمد وأصحابه، ويقول: إيش قام به أحمد! وهو من أصحاب بشر المريسي.
وقال زكريا الساجي: محمد بن شجاع كذاب احتال في إبطال الحديث نصرةً للرأي.
[«الميزان» (٣/ ٥٧٧ ـ ٥٧٩ رقم ٧٦٦٤) و «تهذيب التهذيب» (٣/ ٥٨٨ ـ ٥٨٩)].

وسواءٌ عليك قلت: ربيَ اللَّهُ أو ربيَ الرحمنُ كما قال تعالى: ﴿وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ١١٢]، وقال تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الصف: ١]، وقال: ﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤٢]. كذلك قال في الاسم: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١]. كما قال تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ﴾ [الجمعة: ١، التغابن: ١]. ولو كان الاسمُ مخلوقاً مستعاراً غيرَ الله لم يأمر اللَّهُ تعالى أن يسبِّحَ مخلوقٌ غيرَه.

وقال تعالى: ﴿لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الحشر: ٢٤].

ثم ذكر الآلهةَ التي تُعبد من دون اللَّهِ عز وجل بأسمائها المخلوقةِ المستعارةِ فقال تعالى: ﴿إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم﴾ [النجم: ٢٣]. وكذلك قال هودٌ لقومه حين قالوا: ﴿أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾ [الأعراف: ٧٠]، فقال لهم نبيُّهم: ﴿أَتُجَٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم﴾ [الأعراف: ٧١].

يعني أن أسماءَ اللَّهِ تعالى لم تزل كما لم يزَل عز وجل، وأنها بخلاف هذه الأسماءِ المخلوقةِ التي أعاروها الأصنامَ والآلهةَ التي عبدوها من دونه، فإن لم تكن أسماءُ اللَّهِ بخلافها فأيُّ توبيخٍ لأسماء هذه الآلهةِ المخلوقةِ إذْ كانت أسماؤُها وأسماءُ اللَّهِ تعالى مخلوقةً مستعارةً عندكم بمعنى واحدٍ، وكلُها من تسمية العبادِ وتسميةِ آبائِهم بزعمهم؟.

ففي دعوى هذا المعارضِ أن الخلقَ عرَّفوا اللَّهَ إلى عباده بأسماء ابتدعوها لا أن اللَّهَ عرَّفهم بها نفسَه، فأيُّ تأويلٍ أوحشُ في أسماء اللَّهِ تعالى من أن يتأولَ رجل أنه كان كشخص مجهولٍ، أو بيتٍ أو شجرةٍ أو بهيمةٍ لم يسبِقْ لشيء منها اسمٌ، ولم يُعرف ما هو حتى عرّفه الخلقُ بعضُهم بعضاً.

ولا تُقاس أسماءُ الله تعالى بأسماء الخلقِ لأن أسماءَ الخلقِ مخلوقةٌ مستعارةٌ وليست أسماؤُهم نفسَ صفاتِهم بل مخالفةٌ لصفاتِهم، وأسماءُ اللَّهِ تعالى صفاتُه ليس شيءٌ منها مخالفاً لصفاتِه ولا شيءٌ من صفاتِه مخالفاً لأسمائِه.

فمن ادعى أن صفة من صفات اللَّهِ مخلوقةٌ أو مستعارةٌ فقد كفر وفجَر؛

لأنك إذا قلت «اللَّهُ» فهو «اللَّهُ»، وإذا قلت «الرحمنُ» فهو «الرحمنُ» وهو «اللَّهُ»، فإذا قلت «الرحيمُ» فهو كذلك، وإذا قلت حكيمٌ عليمٌ حميدٌ مَجيدٌ جبار متكبر قاهر قادرٌ فهو كذلك، وهو اللَّهُ سواءٌ لا يخالف اسمٌ له صفتَه ولا صفتُه اسماً، وقد يسمى الرجلُ حكيماً وهو جاهل، وحكماً وهو ظالمٌ، وعزيزاً وهو حقيرٌ، وكريماً وهو لئيمٌ، وصالحاً وهو طالحٌ، وسعيداً وهو شقيٌّ، ومحموداً وهو مذمومٌ، وحبيباً وهو بغيضٌ، وأسداً وحماراً وكلباً وجِدْياً وكليباً وهِرًّا وحَنظلةً وعلقمةً وليس كذلك.

واللَّهُ تعالى وتقدّس اسمُه كلُ أسمائِه سواءٌ لم يزل كذلك ولا يزال، لم تُحدَث له صفةٌ ولا اسمٌ لم يكن كذلك، كان خالقاً قبل المخلوقين، ورازقاً قبل المرزوقين، وعالماً قبل المعلومين، وسميعاً قبل أن يَسمعَ أصواتَ المخلوقين، وبصيراً قبل أن يرى أعيانَهم مخلوقةً.

قال الله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، وقال: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ﴾ [السجدة: ٤]، وقال في موضع: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ [الفرقان: ٥٩]. لأنهما بمعنى واحدٍ، ولو كان كما ادعى المعارض ـ يعني ابنَ الثلجيِّ وإمامَه المُريسي ـ لكان الخالق والمخلوقُ استويا جميعاً على العرش إذ كانت أسماؤه مخلوقةً عندهم إذ كان اللَّهُ في دعواهم في حد المجهولِ أكثرَ منه في حد المعروفِ، لأن لحدوث الخلقِ حداً ووقتاً وليس لأزلية اللَّهِ تعالى حدٌ ولا وقتٌ.

لم يزل ولا يزال، وكذلك أسماؤه لم تزَل ولا تزال.

ثم احتج المعارضُ لترويج مذهبه هذا بأقبح قياسٍ؛ فقال: أرأيتَ لو كتبتَ اسماً في رَقعة ثم احترقت الرقعةُ أليس إنما تُحرق الرقعةُ ولا يُضرّ الاسمُ شيئاً؟

فيقال لهذا التائهِ الذي لا يدري ما يخرُج من رأسه: إن الرقعةَ وكتابةَ الاسم ليس كنفس الاسم، إذا احترقت الرقعةُ احترق الخطُّ وبقي اسمُ اللَّهِ له وعلى لسانَ الكاتبِ لم يزل قبل أن يُكتب لم تَنقُص النارُ من الاسم ولا ممن له الاسمُ شيئاً، وكذلك لو كانت أسماءُ المخلوقين لم تَنقُص النارُ من أسمائهم ولا من أجسامهم شيئاً، وكذلك لو كتبتَ «اللَّهُ» بهجائه في رَقعة ثم أحرفْتَ الرقعةَ لاحترقت الرقعةُ

وكان اللَّهُ سبحانه بكماله على عرشه، وكذلك لو صُوِّر رجلٌ في رقعة ثم ألقيت في النار لاحترقت الرقعةُ ولم يُضَرَّ المصوَّرُ شيئاً.

وكذلك القرآنُ لو احترقت المصاحفُ كلُها لم ينقُص من القرآن نفسِه حرفٌ واحدٌ، وكذلك لو احترق القراءُ كلُهم أو قُتلوا أو ماتوا لبقيَ القرآنُ بكماله كما كان لم ينقصْ منه حرفٌ واحدٌ، لأنه منه بدأ وإليه يعود عند فناء الخلقِ بكماله غيرَ منقوص.

وقد كان للمريسي في أسماء الله مذهبٌ كمذهبه في القرآن، كان القرآنُ عنده مخلوقاً من قول البشرِ لم يتكلم اللَّهُ بحرف منه في دعواه، وكذلك أسماءُ اللَّهِ تعالى عنده من ابتداع البشرِ من غير أن يقول تعالى: ﴿إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [القصص: ٣٠] بزعمه قطّ. وزعم أني متى اعترفتُ بأن اللَّهَ تعالى تكلم بـ: ﴿إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ لزِمني أن أقولَ تكلّم بالقرآن.

ولو اعترفنا بذلك لانكسر علينا مذهبُنا في القرآن، وقد كسره اللَّهُ عليهم على رغم أنوفِهم فقال: ﴿إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [القصص: ٣٠].

ولا يستحق مخلوقٌ أن يتكلم بهذا، فإن فعل ذلك كان كافراً كفرعونَ الذي قال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤].

فهذا الذي ادعَوا في أسماء اللَّهِ عز وجل أصلٌ كبيرٌ من أصول الجهميةِ التي بنوا عليها محنتهم وأسَّسوا بها ضلالَتهم غالطوا بها الأغمارَ والسفهاءَ، وهم يرَون أنهم يغالطون بها الفقهاءَ، ولئن كان السفهاءُ وقعوا في غلط مذاهبِهم فإن الفقهاءَ منهم لَعلى يقين.

أرأيتم قولَكم إن أسماءَ اللَّهِ مخلوقةٌ، فمن خلَقها، وكيف خلَقها؟ أجعلها أجساماً وصوراً تشغل أعيانُها أمكنةً دونه من الأرض والسماءِ أم موضعاً دونه في الهواء؟.

فإن قلتم لها أجسامٌ دونه فهذا ما تنقِمه عقول العقلاء، وإن قلتم خلقها في ألسنة العبادِ فدعَوه بها وأعاروها إياه فهو مما ادعينا عليكم أن اللَّهَ تعالى كان بزعمكم مجهولاً لا اسمَ له حتى أحدث الخلقَ فأحدثوا له أسماءً من مخلوق كلامِهم، فهذا هو الإلحادُ في أسماء اللَّهِ والتكذيبُ بها، قال الله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ

﴿لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ [الفاتحة].
كما يُضيفه إلى رب العالمين، ولو كان كما ادعيتم لقيل الحمدُ لله رب العالمين، المسمَّى الرحمنَ الرحيم، مالكَ يوم الدين.

وكما قال: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۝٢ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾ [آل عمران: ٢ - ٣]، كما قال: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ١، غافر: ٢، الجاثية: ٢، الأحقاف: ٢]. كذلك قال: ﴿تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [فصلت: ٢]، ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢]، ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ [النمل: ٦]. كلُها بمعنى واحدٍ وكلُها هي الله، واللَّهُ هو أحدُ أسمائِه - إلى أن قال[1] - وكما قال اللَّهُ تعالى في كتابه: ﴿أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [القصص: ٣٠]، كذلك قال على لسان نبيِّه ﷺ: «**أنا الرحمنُ**»، ثم روى بسنده حديث عبدِ الرحمنِ بنِ عَوفٍ[2] رضي الله عنه

---

(١) الدارمي في رده على بشر المريسي (ص١٢ - ١٣).

(٢) **وهو حديث صحيح**.

* أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (١١/ ١٧١ رقم ٢٠٢٣٤) من طريق معمر، عن الزُهري، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن ردَّاد الليثي عنه.

ومن طريق عبد الرزاق أخرجه أحمد (١/ ١٩٤) وأبو داود رقم (١٦٩٥) وابن حبان في «الثقات» (٤/ ٢٤١)، والحاكم (٤/ ١٥٧) والبيهقي في «السنن الكبرى» (٧/ ٢٦)، وفي «الأسماء والصفات» (ص٣٧٠) والمزي في «تهذيب الكمال» (٩/ ١٧٤ - ١٧٥).

* وأخرجه أحمد (١/ ١٩٤) والبخاري في «الأدب المفرد» رقم (٥٣) والحاكم (٤/ ١٥٨) من طرق عن الزُهري، به.

* وأخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٨/ ٥٣٥، ٥٣٦ رقم ٥٤٣٩) ومن طريقه أخرجه أبو داود رقم (١٦٩٤) والبغوي في «شرح السنة» (١٣/ ٢٢ رقم ٣٤٣٢) والحميدي (١/ ٣٥ - ٣٦ رقم ٦٥) ومن طريق الحميدي أخرجه الحاكم (٤/ ١٥٧ - ١٥٨) والترمذي رقم (١٩٠٧) وأبو يعلى (٢/ ١٥٣ - ١٥٤ رقم ٨٤٠) والبيهقي (٧/ ٢٦).

من طريق سفيان، عن الزهري، عن أبي سلمة: أن أبا الرداد الليثي اشتكى فعاده عبد الرحمن بن عوف، فقال: خيرهم وأوصلهم أبو محمد، فقال عبد الرحمن... ونسب ابن أبي شيبة، وأبو يعلى، والترمذي، والبيهقي (سفيان) فقالوا: «ابن عيينة».

* وأخرجه أحمد (١/ ١٩٤) والحاكم (٤/ ١٥٨) من طريق سفيان (نسبه الحاكم فقال: «سفيان بن حسين») عن الزهري، بالإسناد المتقدم.

قال أبو عيسى: حديث سفيان عن الزُهري حديث صحيح، وروى معمرٌ هذا الحديث عن الزهري، عن أبي سلمة، عن رداد الليثي، عن عبد الرحمن بن عوف. =

قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**قال الله تعالى: أنا الرحمنُ، وهي الرَّحِمُ شققتُ لها من اسمي، فمن وصلها وصلتُه ومن قطعها بَتَتُّه**». فيقول الله تعالى: «**أنا شققتُ لها من اسمي**».

وادَّعَت الجهميةُ[1] مكذبين لله ولرسوله أنهم أعاروه الاسمَ الذي شقها منه،

= قال محمد ـ يعني البخاري ـ وحديث معمر خطأ. كذا قال الترمذي.

قلت: هذا إسناد رجاله ثقات، واتصاله متوقف على سماع أبي سلمة من أبيه. فقد قال ابن أبي حاتم في «المراسيل» (ص٢٥٥) رقم (٩٤٧): «قال يحيى بن معين: أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف لم يسمع من أبيه شيئاً».

وقال العلائي في «جامع التحصيل» (ص٢٦٠) رقم (٣٧٨): «قال يحيى بن معين، والبخاري، لم يسمع ـ أبو سلمة ـ من أبيه شيئاً. زاد ابن معين: ولا من طلحة بن عبيد الله...».

* وأخرجه أحمد (١/ ١٩١، ١٩٤) وأبو يعلى (٢/ ١٥٥ رقم ٨٤١) والحاكم (٤/ ١٥٧) من طريق يزيد بن هارون، أنبأنا هشام الدستوائي، عن يحيى بن أبي كثير، عن إبراهيم بن عبد الله بن قارظ أن أباه أخبره: أنه دخل على عبد الرحمن بن عوف وهو مريض فقال عبد الرحمن...

وقال الحافظ في «تهذيب التهذيب» (٣/ ٢٣٤ رقم ٥١١): «رواه أبو يعلى **بسند صحيح** من طريق عبد الله بن قارظ، عن عبد الرحمن بن عوف، من غير ذكر أبي الرداد».

وانظر ما علقه العلامة أحمد شاكر على هذا الإسناد في «المسند» رقم (١٦٥٩).

* **ولحديث عبد الرحمن بن عوف هذا شاهد من حديث أبي هريرة** عند أحمد (٢/ ٤٩٨) والحاكم (٤/ ١٥٧) من طريق محمد بن عمرو، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، وصححه الحاكم على شرط مسلم، ووافقه الذهبي.

* **ويشهد له أيضاً حديث عائشة** عند البخاري رقم (٥٩٨٩) ومسلم رقم (٢٥٥٥) وأحمد (٦/ ٦٢) وأبو يعلى في «المسند» (٧/ ٤٢٣ رقم ٩٠/ ٤٤٤٦).

* **وكذلك يشهد له حديث عامر بن ربيعة** عند أبي يعلى (١٣/ ١٥٦ رقم ٧١٩٨/٦) والبزار (٢/ ٣٧٥ رقم ١٨٨٢ ـ كشف) وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ١٥٠) وقال: «رواه الطبراني، وأبو يعلى بنحوه، والبزار... وفيه عاصم بن عبيد الله ضعفه الجمهور، وقال العجلي: لا بأس به».

(١) **الجهمية إحدى الفرق الكلامية التي تنتسب إلى الإسلام، وهي ذات مفاهيم وآراء عقدية، لها آراء خاطئة في مفهوم الإيمان، وفي صفات الله تعالى وأسمائه. وترجع في نسبتها إلى مؤسسها «الجهم بن صفوان» الترمذي.**

ومن أهم آراء الجهمية ما يلي:

١ ـ مذهبهم في التوحيد، هو إنكار جميع الأسماء والصفات لله عز وجل، ويجعلون أسماء الله من باب المجاز. =

ومن أين علم الخلقُ أسماءَ الخالقِ قبل تعليمه إياهم، فإنه لم يعلم آدمَ ولا الملائكةَ أسماءَ المخلوقين حتى علمهم اللَّهُ تعالى مِن عنده، وكان بدءُ علمها منه فقال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [البقرة].

وقال رسولُ الله ﷺ: «**إن لله تسعةً وتسعين اسماً من أحصاها وحفِظها دخل الجنة**»[1] وساق الأسماءَ الحسنى كما قدمنا.

ثم قال: «**فهذه كلُها أسماءُ اللَّهِ تعالى لم تزَل له كما لم يزل، بأيها دعوتَ فإنما تدعو اللَّهَ نفسَه.** قال: **ولن يدخل الإيمانُ قلبَ رجلٍ حتى يعلم أن اللَّهَ تعالى لم يَزل إلهاً واحداً بجميع أسمائِه وجميعِ صفاتِه لم يُحدثْ له منها شيءٌ كما لم تزل وحدانيتُه**». انتهى كلامُه رحمه الله تعالى.

[تفصيل المراد بقوله ﷺ «من أحصاها»]

واختلف العلماءُ في معنى قولِه ﷺ: «**من أحصاها**»[2]. فقال البخاريُّ وغيرُه

= ٢ ـ القول بالجبر والإرجاء.
٣ ـ نفي أن يكون الله متكلماً بكلام يليق بجلاله وإثبات أن القرآن مخلوق.
٤ ـ الإيمان هو المعرفة بالله.
٥ ـ نفي أن يكون الله تعالى في جهة العلو.
٦ ـ أن الله قريب بذاته، وأن الله مع كل واحد بذاته عز وجل، وهذا هو المذهب الذي بنى عليه أهل الاتحاد والحلول أفكارهم.
انظر مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري (١/ ٢٧٩).
وقد ذهب كثير من علماء السلف إلى تكفير الجهمية وإخراجهم من أهل القبلة.
انظر: «فرق معاصرة تنسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها» إعداد: غالب بن علي عواجي. (٢/ ٧٩٣ ـ ٨٢٠) الباب الحادي عشر: الجهمية.

(١) **وهو حديث صحيح تقدم تخريجه قريباً.**

(٢) أخرج هذه اللفظة البخاري (١١/ ٢١٤ رقم ٦٤١٠) ومسلم (٤/ ٢٠٦٢ رقم ٢٦٧٧) من حديث أبي هريرة وقد تقدم.

من المحققين: معناه حفِظها، وأن إحدى الروايتين مفسِّرةٌ للأخرى.

وقال الخطابي: يحتمل وجوهاً: أحدُها أن يعُدَّها حتى يستوفِيَها، بمعنى أن لا يقتصِرَ على بعضها، فيدعو اللَّهَ بها كلِها ويُثني عليه بجميعها فيستوجب الموعودَ عليها من الثواب.

وثانيها: المُرادُ بالإحصاء الإطاقةُ، والمعنى من أطاق القيامَ بحق هذه الأسماء والعملَ بمقتضاها وهو أن يعتبرَ معانيها فيُلزِمَ نفسَه بمواجبها، فإذا قال «الرزاق» وثِقَ بالرزق، وكذا سائرُ الأسماء.

ثالثُها: المرادُ بها الإحاطةُ بجميع معانيها، وقيل أحصاها عمِل بها فإذا قال: «الحكيم»، سلم لجميعِ أوامرِه وأقدارِه وأنها جميعَها على مقتضى الحكمة، وإذا قال: «القُدوس»، استحضر كونَه مقدساً منزهاً عن جميع النقائص، واختاره أبو الوفاء بنُ عقيل.

وقال ابنُ بطال: طريقُ العملِ بها أن ما كان يُسوِّغ الاقتداءُ به كالرحيم والكريم فيُمرِّن العبدُ نفسَه على أن يصِحّ له الاتصافُ بها، يعني فيما يقوم به، وما كان يختص به نفسَه كالجبار والعظيم فعلى العبد الإقرارُ بها والخضوعُ لها وعدمُ التحلّي بصفة منها، وما كان فيه معنى الوعدِ يقف فيه عند الطمعِ والرغبة، وما كان فيه معنى الوعيدِ يقف منه عند الخشيةِ والرهبة اهـ[1].

والظاهرُ أن معنى حِفْظِها وإحصائِها هو معرفتُها والقيامُ بعبوديتها، كما أن القرآنَ لا ينفع حفظُ ألفاظِهِ مَن لا يعمل به، بل جاء في المُرّاق من الدين أنهم يقرأون القرآنَ لا يجاوز حناجِرَهم.

وقال ابن القيم[2] رحمه الله تعالى بعد كلامٍ طويلٍ على أولية اللَّهِ تعالى وما في ذلك الشهودِ منَ الغنى التامِّ قال: وليس هذا مختصاً بأوليته تعالى فقط، بل جميعُ ما يبدو للقلوب من صفات الربِّ سبحانه يستغني العبدُ بها بقدر حظِّه وقَسْمِه من معرفتها وقيامِه بعبوديتها، فمن شهد مشهَدَ علوِّ اللَّهِ تعالى على خلقِه وفوقيّتِه

---

(١) بلفظه من «فتح الباري شرح صحيح البخاري» (١١/ ٢٢٥ ـ ٢٢٦).

(٢) في «طريق الهجرتين وباب السعادتين» (ص٤٣ ـ ٤٦).

لعباده واستوائِه على عرشه كما أخبر بها أعرفُ الخلقِ وأعلمُهم به الصادقُ المصدوقُ وتعبّد بمقتضى هذه الصفةِ، بحيث يصير لقلبه صَمَدٌ يعرج إليه مناجياً له مُطْرقاً واقفاً بين يديه وقوفَ العبدِ الذليلِ بين يدي الملكِ العزيز، فيشعر بأن كَلِمَه وعملَه صاعدٌ إليه معروضٌ عليه مع أوفى خاصتِه وأوليائِه فيستحي أن يصعَدَ إليه من كَلِمِه ما يخزيه ويفضحه هناك، ويشهد نزولَ الأمرِ والمراسيمِ الإلهيةِ إلى أقطار العوالمِ كلَّ وقتٍ بأنواع التدبيرِ والتصرفِ من الإماتة والإحياءِ والتوليةِ والعزْلِ والخفْضِ والرفعِ والعطاء والمنع وكشفِ البلاءِ وإرسالِه وتقلُّبِ الدولِ ومُداولةِ الأيامِ بين الناس إلى غير ذلك من التصرفات في المملكة التي لا يتصرف فيها سواه، فمراسيمُه نافذةٌ فيها كما يشاء: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [السجدة: ٥]، فمن أعطى هذا المشهدَ حقَه معرفةً وعبوديةً استغنى به.

وكذلك من شهد مشهدَ العلمِ المحيطِ الذي لا يعزُب عنه مثقال ذرةٍ في الأرض ولا في السموات ولا في قرار البحارِ ولا تحت أطباقِ الجبالِ بل أحاط بذلك علمُه علماً تفصيلياً، ثم تعبَّد بمقتضى هذا الشهودِ من حراسةِ خواطره وإراداتِه وجميعِ أحوالِه وعزَماتِه وجوارِحِه، علمَ أن حركاتِه الظاهرة والباطنة وخواطرِه وإراداتِه وجميعَ أحوالِه ظاهرةٌ مكشوفةٌ لديه علانيةً، باديةٌ لا يخفى عليه منها شيء.

وكذلك إذا أشعر قلبه صفةَ سمعِه سبحانه لأصوات عبادِه على اختلافها وجهرِها وخفائِها، وسواءٌ عنده من أسرّ القولَ ومن جهرَ به لا يشغلُه جهرُ من جهرَ عن سمعه صوتَ من أسرّ، ولا يشغله سمعٌ عن سمع، ولا تغلطه الأصوات على كثرتِها واختلافِها واجتماعِها، بل هي عنده كلُها كصوتٍ واحدٍ، كما أن خلقَ الخلق جميعِهم وبعْثِهم عنده بمنزلة نفسٍ واحدة.

وكذلك إذا شهد معنى اسمِه البصير جل جلاله الذي يرى دبيبَ النملةِ السوداء على الصخرة الصماء في حِنْدِس[1] الظلماء، ويرى تفاصيلَ خلْقِ الذرةِ

---

(١) الحِنْدِسُ: الظُّلْمةُ. وفي الصحاح: الليل الشديد الظلمة.
«لسان العرب» (٣/٣٥٦).

الصغيرةِ ومُخِّها وعروقِها ولحمَها وحركتَها، ويرى مدَّ البعوضةِ جناحها في ظلمةِ الليل، وأعطى هذا المشهدَ حقَّه من العبودية بحرَس حركاتِه وسكناتِه، وتيقن أنها بمرأى منه سبحانه ومشاهدةٍ لا يغيب عنه منها شيءٌ.

وكذلك إذا شهد مشهدَ القيّوميةِ الجامعَ لصفاتِ الأفعالِ وأنه قائمٌ على كل شيءٍ وقائمٌ على كل نفسٍ بما كسبت، وأنه تعالى هو القائمُ بنفسه المُقيمُ لغيره، القائمُ عليه بتدبيره وربوبيّته وقهرِه وإيصالِ جزاء المحسنِ وجزاء المسيءِ إليه، وأنه بكمال قيّوميته لا ينام ولا ينبغي له أن ينامَ، يخفِضُ القِسْطَ ويرفعه، يُرفَع إليه عملُ الليلِ قبل عمل النهارِ وعملُ النهارِ قبل عملِ الليلِ، لا تأخذه سنةٌ ولا نومٌ ولا يضِلّ ولا ينسى.

وهذا المشهدُ من أرفع مشاهدِ العارفينَ وهو مشهدُ الرُبوبية، وأعلى منه مشهدُ الإلهيةِ الذي هو مشهدُ الرسلِ وأتباعِهم الحنفاء، وهو شهادةُ أن لا إله إلا اللّهُ وأن إلهيةَ ما سواه باطلٌ ومُحالٌ، كما أن ربوبيةَ ما سواه كذلك، فلا أحدَ سواه يستحق أن يُؤَلّهَ ويُعْبَدَ ويُصلّى له ويُسجدَ ويستحقَّ نهايةَ الحبِّ مع نهايةَ الذلِّ لكمال أسمائِه وصفاتِه وأفعالِه، فهو المطاعُ وحده على الحقيقة والمألوهُ وحده وله الحُكمُ، فكلُّ عبوديةٍ لغيره باطلةٌ وعَناءٌ وضَلالٌ، وكلُ محبةٍ لغيره عذابٌ لصاحبها، وكلُ غِنىً بغيره فقرٌ وفاقة، وكلُ عزٍ بغيره ذُلٌ وصَغارٌ، وكلُ تكثُرٍ بغيره قلةٌ وذِلةٌ.

فكما استحال أن يكون للخلق ربٌّ غيرُه، فكذلك استحال أن يكون لهم إلهٌ غيرُه، فهو الذي انتهت إليه الرغبَاتُ وتوجهت نحوَه الطلباتُ، ويستحيل أن يكون معه إلهٌ آخرُ، فإن الإلَه على الحقيقة هو الغنيُّ الصمَدُ الكاملُ في أسمائِه وصفاتِه الذي حاجةُ كلِ أحدٍ إليه ولا حاجةَ به إلى أحد، وقيامُ كلِ شيءٍ به وليس قيامُه بغيره ـ إلى أن قال ـ فمشهدُ الألوهيةِ هو مشهدُ الحنفاء، وهو مشهدٌ جامعٌ للأسماء والصفاتِ وحظُ العبادِ منه بحسب حظِهم من معرفة الأسماء والصفات، ولذلك كان الاسمُ الدالُّ على هذا المعنى هو اسمَ اللّهِ جل جلاله، فإن هذا الاسمَ هو الجامعُ، ولهذا تُضاف الأسماء الحسنى كلُها إليه فيقال: الرحمنُ الرحيمُ الغفارُ القهارُ من أسماء الله، ولا يُقال: اللّهُ من أسماء الرحمن، قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

فهذا المشهدُ تجتمع فيه المشاهَدُ كلُها، وكلُ مشهدٍ سواه فإنما هو مشهدٌ لصفة من صفاتِه، فمن اتسع قلبُه لمشهد الإلهيةِ وقام بحقه من التعبد الذي هو كمالُ الحبِّ مع كمال الذلِّ والتعظيمِ والقيامِ بوظائف العبوديةِ فقد تم له غِناه بالإله الحقِّ وصار من أغنى العِباد، ولسان مثلِ هذا يقول:

غنيتُ بلا مالٍ عن الناسِ كلِهمْ وإن الغِنى العالي عن الشيء لا بِه

اهـ.

[تفسير قوله تعالى:
﴿وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ﴾]

وقوله تعالى: ﴿وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

قال ابنُ عباس[١] وابنُ جُريجٍ ومجاهدٌ[٢]: هم المشركون عدَلوا بأسماء اللّهِ تعالى عما هي عليه فسَمَّوا بها أوثانَهم فزادوا ونقصوا، فاشتقوا اللاتَ من الله، والعُزّى من العزيز، ومَناة من المنّان. وقيل: هي تسميتُهم الأصنامَ آلهةً.

ورُوي عن ابن عباس[٣] رضي الله عنهما: يُلحدون في أسمائِه أي يكذبون.

وقال قتادةُ[٤]: يلحِدون يشركون في أسمائه.

---

(١) أخرجه ابن جرير الطبري في «جامع البيان» (١٣/ ٢٨٢ رقم ١٥٤٥٣).
عن ابن عباس: «وذروا الذين يلحدون في أسمائه» قال: إلحاد الملحدين، أن دعوا «اللات» في أسماء الله.

(٢) أخرج ابن جرير الطبري في «جامع البيان» (١٣/ ٢٨٣ رقم ١٥٤٥٤).
عن مجاهد: «وذروا الذين يلحدون في أسمائه»، قال: اشتقوا «العزى» من «العزيز»، واشتقوا «اللات» من «الله».
وقد ذكر ابن كثير قول ابن عباس وابن جريج ومجاهد في تفسيره (٢/ ٢٨٠).

(٣) أخرج ابن جرير الطبري في «جامع البيان» (١٣/ ٢٨٣ رقم ١٥٤٥٥).
عن ابن عباس قوله: «وذروا الذين يلحدون في أسمائه» قال: «الإلحاد»، التكذيب.

(٤) أخرج ابن جرير الطبري في «جامع البيان» (١٣/ ٢٨٣ رقم ١٥٤٥٦).
عن قتادة: «يلحدون» قال: يشركون.
وقد ذكر ابن كثير قول ابن عباس وقتادة في تفسيره (٢/ ٢٨٠).

وقال عليُّ بنُ أبي طلحةَ عن ابن عباس[1]: الإلحادُ التكذيبُ.

وأصلُ الإلحادِ في كلام العربِ العدولُ عن القصد والميلُ والجَوْرُ والانحرافُ، ومنه اللحدُ في القبر لانحرافه إلى جهة القِبلة عن سِمَة الحفْر اهـ.

وهذه الأقوالُ متقاربةٌ، والإلحادُ يعُمُّها، وهو ثلاثةُ أقسام:

الأول: إلحادُ المشركين وهو ما ذكره ابنُ عباسٍ وابنُ جريج ومجاهدٌ من عدولهم بأسماء اللَّهِ تعالى عما هي عليه وتسميتُهم أوثانَهم بها مضاهاةً لله عز وجل ومُشاقةً له وللرسول ﷺ.

الثاني: إلحادُ المُشبّهة الذين يكيفون صفاتِ اللَّهِ عز وجل ويشبهونها بصفات خلقِه مضادّةً له تعالى ورداً لقوله عز وجل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠]. وهو مقابلٌ لإلحاد المشركين، فأولئك جعلوا المخلوقَ بمنزلة الخالق وسوَّوْه به، وهؤلاء جعلوا الخالقَ بمنزلة الأجسامِ المخلوقةِ وشبّهوه بها، تعالى وتقدس عن إفكهم.

الثالث: إلحادُ النُفاةِ وهم قسمان:

قسمٌ أثبتوا ألفاظَ أسمائِه تعالى دون ما تضمّنته من صفات الكمالِ فقالوا: رحمنٌ رحيمٌ بلا رحمة، عليمٌ بلا علم، حكيمٌ بلا حكمة، قديرٌ بلا قدرة، سميعٌ بلا سمع، بصيرٌ بلا بصر. واطّردوا بقية الأسماء الحسنى هكذا وعطلوها عن معانيها وما تقتضيه وتتضمنه من صفات الكمالِ لله تعالى، وهم في الحقيقة كمن بعدهم، وإنما أثبتوا الألفاظَ دون المعاني تستراً وهو لا ينفعهم.

وقسمٌ لم يتستّروا بما تستّر به إخوانُهم، بل صرّحوا بنفي الأسماء وما تدل عليه من المعاني واستراحوا من تكلُّف أولئك، ووصفوا الله تعالى بالعدم المحْضِ الذي لا اسمَ له ولا صفة وهم في الحقيقة جاحدون لوجود ذاتِه تعالى مكذّبون بالكتاب وبما أرسل اللَّهُ به رُسلَه.

وكلُ هذه الأربعةِ الأقسامِ كلُ فريقٍ منهم يكفر مُقابلَه، وهم كما قالوا كلُهم كفارٌ بشهادةِ اللَّهِ وملائكتِه وكتبِه ورسلِه والناسِ أجمعين من أهل الإيمانِ والإثباتِ الواقفين مع كلام اللَّهِ تعالى وسنةِ رسولِه ﷺ وآلِه وصحبِه أجمعين.

---

(١) ذكره ابن كثير في تفسيره (٢/ ٢٨٠). بسند منقطع.

(صفاتِه العلى) أي وإثباتُ صفاتِه العُلى التي وصف بها نفسَه تعالى ووصفه بها نبيُّه ﷺ من صفاتِ الكمالِ ونُعوتِ الجلالِ، من صفاتِ الذاتِ وصفاتِ الأفعال، مما تضمنتْه أسماؤه بالاشتقاق كالعلم والقدرةِ والسمعِ والبصرِ والحِكمةِ والرحمة والعزة والعلوّ وغيرِها، ومما أخبر به عن نفسِه وأخبر بها عنه رسولُه ﷺ، ولم يَشتقَّ منه اسماً كحبه المؤمنين والمتقين والمحسنين، ورضائِه عن عباده المؤمنين ورضاه لهم الإسلامَ ديناً، وكراهتِه انبعاثَ المنافقين وسَخَطِه على الكافرين وغضبِه عليهم، وإثباتِ وجهِه ذي الجلالِ والإكرام ويدَيه المبسوطتين بالإنفاق، وغيرِ ذلك مما هو ثابتٌ في الكتاب والسنة والفِطَرِ السليمة.

وسيأتي الكلامُ على ما ذكر من ذلك في المتْن في محله، وما لم يذكر في المتن ففي خاتمة البابِ إن شاء الله تبارك وتعالى.

[إثبات ربوبية الله تعالى]

(وأنه الربُ الجليلُ الأكبرُ　　الخالقُ البارئُ والمصوِّر)

(باري البرايا مُنشئ الخلائقِ　　مُبْدِعُهم بلا مثالٍ سابقِ)

(وأنه الربُ) أي وإثبات ربوبيتِه بأنه ربُ كل شيء ومليكُه، ربُ الأولين والآخرين، ربُ المشرقين وربُ المغربين، ربُ السمواتِ والأرضين وما بينهما ربُ العالمين، ربُ الآخِرةِ والأولى، مالكُ الملكِ فلا شريكَ له في ملكه يؤتي الملكَ من يشاء وينزِع الملكَ ممن يشاء، ويُعزّ من يشاء ويُذل من يشاء ويهدي من يشاء ويُضل من يشاء ويُسعد من يشاء ويُشقي من يشاء، ويُخفض من يشاء ويرفع من يشاء، ويُعطي من يشاء ويمنَع من يشاء، ويصِل من يشاء ويقطع من يشاء، ويبسُط الرزقَ لمن يشاء ويقدِرُه على من يشاء، يخلق ما يشاء، يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذكورَ، أو يزوِّجُهم ذكراناً وإناثاً ويجعلُ من يشاء عقيماً إنه عليمٌ قدير.

يولج الليل في النهار ويولج النهارِ في الليل، ويُخرج الحيَّ من الميت ويخرج الميتَ من الحي، ويُحيي الأرضَ بعد موتِها، وسخر الشمسَ والقمرَ كلٌ يجري لأجلٍ مسمى، يدبر الأمرَ من السماء إلى الأرض ثم يعرُج إليه في يوم كان مقداره ألفَ سنةٍ مما تعدّون.

خلق فسوّى وقدّر فهدى، وأضحك وأبكى، وأمات وأحيا، وخلق الزوجين

الذكرَ والأنثى من نطفةٍ إذا تُمنى، وأغنى وأقْنَى وأوجد وأفْنى، يُبدي ويُعيد ويفعل ما يريد، رفع سَمْكَ السماءِ فسوَّاها وأغطشَ ليلَها وأخرج ضُحاها، وبسطَ الأرضَ ودحاها فِراشاً لعباده ومِهاداً، ونصَب الجبالَ عليها أوتاداً، سخر الفُلْكَ تجري في البحر بأمره، ويُمسك السماءَ أن تقعَ على الأرضِ إلا بإذنِه.

فالقُ الإصباحِ وجعل الليلَ سكناً والشمسَ والقمرَ حُسباناً، لا الشمسُ ينبغي لها أن تُدركَ القمرَ ولا الليلُ سابقُ النهارِ وكلٌ في فلكٍ يسبحون، الذي أحسن كلَ شيءٍ خلقه وبدأَ خلْقَ الإنسانِ من طين ثم جعل نسلَه من سُلالةٍ من ماء مَهين، ثم سوّاه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمعَ والأبصارَ والأفئدةَ قليلاً لعلكم تشكرون.

خالقُ الكونِ وما فيه، وجامعُ الناسِ ليوم لا ريب فيه. مرَج البحرينِ هذا عذبٌ فراتٌ وهذا ملحٌ أُجاجٌ وجعل بينهما برزخاً وحِجْراً محجوراً، وأسبغَ على عباده نِعَمَه الظاهرةَ والباطنةَ، وجعل الليلَ والنهارِ خِلْفةً لمن أراد أن يذَّكَرَ أو أراد شُكوراً، علّم وألْهمَ، ودبّر فأحكمَ، وقضى فأبرم.

لا رادَّ لقضائِه ولا مُضادَّ لأمره، ولا مُعقِّبَ لحكمِه ولا شريكَ له في ملكه، ولا إله غيرُه ولا ربَّ سواه، ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، ولا حولَ ولا قوةَ إلا بالله العليِّ العظيم.

(**الجليلُ**) أي المتصفُ بجميع نعوتِ الجلالِ وصفاتِ الكمالِ، المنزّهُ عن النقائص والمُحال، المتعالي على الأشباه والأمثال، له الأسماءُ الحسنى والصفاتُ العُلى والمثَلُ الأعلى، وله الحمدُ في الآخرة والأولى.

(**الأكبرُ**) الذي السمواتُ والأرضُ وما فيهن وما بينهما في كفّه كخردلة في كف آحاد عبادِه، له العظمةُ والكِبرياءُ وهو أكبرُ كلِّ شيءٍ شهادةً، لا مُنازِعَ له في عظمته وكبريائِه، ولا تنبغي العظمةُ والكبرياءُ إلا له، ومن نازَعه في صفة منهما أذاقه عذابَه وأحلّ عليه غضبَه، ومن يحلِلْ عليه غضبُه فقد هوَى.

(**الخالق**) أي المقدّرُ والمُقلِّبُ للشيء بالتدبير إلى غيره كما قال تعالى: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ﴾ [الزمر: ٦].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ

﴿ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا﴾ [الحج: ٥] الآية.

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾﴾ [المؤمنون].

وقال تعالى: ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾ [مريم: ٦٧]، وقال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ [الأنعام: ١]، وقال تعالى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الرعد: ١٦، الزمر: ٦٢]، وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦].

فالله تبارك وتعالى الخالقُ وكلُّ ما سواه مخلوقٌ له، مربوبٌ له، لا خالقَ غيرُه، فجميعُ السمواتِ والأرضِ ومن فيهن وما بينهما وحركاتُ أهلها وسكناتُهم وأرزاقُهم وآجالُهم وأقوالُهم وأعمالهم كلُّها مخلوقاتٌ له مُحدَثةٌ كائنةٌ بعد أن لم تكن، وهو خالقُ ذلك كلِه ومُوجدُه ومُبدِئُه ومُعيدُه، فمنه مبدأُها وإليه مُنتهاها: ﴿أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾ [الشورى: ٥٣].

(البارئ) أي المنشئُ للأعيان من العدم إلى الوجود، والبَرْءُ هو الفَرْيُ، وهو التنفيذُ وإبرازُ ما قدَّره وقرَّره إلى الوجود، وليس كلُّ مَن قدّر شيئاً ورتبه يقدِر على تنفيذه وإيجادِه سوى اللّهِ عز وجل، كما قيل:

ولأنت تفري ما خلقتَ وبعضُ القومِ يخلق ثم لا يفري

أي أنت تنفذ ما خلقتَ أي قدرت، بخلاف غيرِك فإنه لا يستطيع كلَّ ما يريد، فالخلقُ التقديرُ، والفريُ التنفيذُ.

(المصوّر) الممثلُ للمخلوقات بالعلامات التي يتميز بعضُها عن بعض، أي الذي ينفذ ما يريد إيجادَه على الصفة التي يريدها، يقال: هذه صورةُ الأمرِ أو مِثالُه، فأولاً يكون خلقاً ثم بَرْءاً ثم تصويراً، وهذه الثلاثةُ الأسماءُ التي في سورة الحشر في خاتمتها: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ﴾ [الحشر: ٢٤].

قال ابنُ كثير[1] رحمه الله تعالى: أي الذي إذا أراد شيئاً قال له كن فيكون على الصفة التي يريد والصورةِ التي يختار، كقوله تعالى: ﴿فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار: ٨].

(باري البرايا) جميعِ الموجوداتِ **(منشئ الخلائق)** أي جميعِ المخلوقاتِ **(مبدعهم)** أي خالِقهم ومُنشئُهم ومُحدِثهم، يفسر ذلك **(بلا مثال سابق)** أي بلا نظيرٍ سالفٍ، ومنه سُمّيت البِدْعةُ بدعةً لأنها على غير مثالٍ سبق في الشرع، وقال الله تعالى: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾ [البقرة: ١١٧، الأنعام: ١٠١]. أي مُحدِثها وموجدُها على غير مثالٍ سبق.

وهذا مفسِّرٌ للبيت الذي قبله وقد تقدم الكلامُ عليه ولله الحمدُ والمنة.

(الأولُ المبدي بلا ابتداءِ والآخِرُ الباقي بلا انتهاءِ)

(الأولُ) فليس قبله شيءٌ **(المبدي)** الذي يُبدئ الخلقَ ثم يعيده **(بلا ابتداء)** لأوليَّته تعالى **(والآخِرُ)** فليس بعده شيءٌ **(الباقي)** وكلُّ ما سواه فانٍ **(بلا انتهاء)** لآخريته تعالى، قال الله عز وجل: ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣]. وقال تعالى: ﴿قُلۡ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ﴾ [يونس: ٣٤].

وقال تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ كَيۡفَ يُبۡدِئُ ٱللَّهُ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ١٩ قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ بَدَأَ ٱلۡخَلۡقَۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأٓخِرَةَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٠﴾ [العنكبوت].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ [القصص: ٨٨]، وقال تعالى: ﴿كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا فَانٖ ٢٦ وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ٢٧﴾ [الرحمن]. وقال تعالى: ﴿يَوۡمَ هُم بَٰرِزُونَۖ لَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنۡهُمۡ شَيۡءٞۚ لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦].

وقال رسولُ الله ﷺ: **«اللهم ربَّ السمواتِ السبعِ وربَّ العرشِ العظيم، ربَّنا وربَّ كلِّ شيءٍ، فالقَ الحبِّ والنوى، مُنزلَ التوراةِ والإنجيلِ والقرآنِ، أعوذُ بك من**

---

(١) في تفسيره (٤/٣٦٨).

شر كلِّ دابةٍ أنت آخذٌ بناصيتِها، أنت الأولُ فليس قبلك شيءٌ، وأنت الآخِرُ فليس بعدك شيءٌ، وأنت الظاهِرُ فليس فوقك شيءٌ، وأنت الباطنُ فليس دونك شيءٌ، اقض عني الدَّينَ وأغنني من الفقر». رواه مسلمٌ[1] من حديث أبي هريرةَ ﷺ عن النبي ﷺ.

وفي الصحيحين[2] عن عِمرانَ بنِ حُصينٍ رضي الله عنهما قال: دخلتُ على النبي ﷺ وعقَلتُ ناقتي بالباب، فأتاه ناسٌ من بني تميمٍ فقال: «**اقبَلوا البُشرى يا بني تميم**»، قالوا: قد بشّرتنا فأعطِنا، مرتين.

ثم دخل عليه ناسٌ من أهل اليمن فقال: «**اقبلوا البُشرى يا أهلَ اليمن إذ لم يقبَلْها بنو تميم**»، قالوا: قبِلْنا يا رسول الله، قالوا: جئناك نسألك عن أول هذا الأمر، قال: «**كان اللّهُ ولم يكن شيءٌ غيرَه، وكان عرشُه على الماء، وكتب في الذكر كلَّ شيءٍ، وخلق السمواتِ والأرضَ**». الحديث.

وقال عمرُ ﷺ: قام فينا النبيُّ ﷺ مقاماً فأخبرنا عن بدء الخلقِ حتى دخل أهلُ الجنةِ منازلَهم وأهلُ النارِ منازلَهم، حفِظ ذلك مَن حفِظَه ونسِيَه مَن نسِيَه. رواه البخاري[3].

وفي حديث ابن عمرَ[4] ﷺ: «**أنه تعالى يطوي السمواتِ بيده ثم يقول: أنا الملكُ أنا الملِكُ، أنا الجبارُ المتكبرُ، أين ملوكُ الأرضِ؟ أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟**».

وفي حديث الصُّور: «**أنه عز وجل إذا قبض أرواحَ جميعِ خلقِه فلم يبق سواه وحدَه لا شريك له، حينئذ يقول: لمن الملكُ اليوم، ثلاث مرات**». ثم يجيب نفسَه

---

(١) في صحيحه (٤/ ٢٠٨٤ رقم ٢٧١٣).

(٢) البخاري (٦/ ٢٨٦ رقم ٣١٩٠) و (٦/ ٢٨٦ رقم ٣١٩١) و(٨/ ٨٣ رقم ٤٣٦٥) و (٨/ ٩٨ رقم ٤٣٨٦)، (١٣/ ٤٠٣ رقم ٧٤١٨).
ولم يخرجه مسلم في صحيحه كما ذكر المصنف.
قلت: وأخرجه ابن خزيمة في «كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل».

(٣) في صحيحه معلقاً (٦/ ٢٨٦ ـ ٢٨٧ رقم ٣١٩٢).
ووصله الحافظ في «تغليق التعليق» (٣/ ٤٨٨).

(٤) أخرجه البخاري (١٣/ ٣٩٣ رقم ٧٤١٢) ومسلم (٤/ ٢١٤٨ رقم ٢٧٨٨).

قائلاً: «لله الواحدِ القهار»[١]، أي الذي هو وحده قد قهر كلَّ شيء وغلبَه.

ولابن أبي حاتم[٢] عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «ينادي مُنادٍ بين يدي الساعة: يا أيها الناسُ أتتكُم الساعَةُ، فيسمعه الأحياءُ والأمواتُ. قال: وينزل اللّه عز وجل إلى السماء الدنيا ويقول: **لمن الملكُ اليوم؟ للّهِ الواحد القهار**».

قال ابنُ القيم[٣] رحمه الله تعالى في أثناء كلامِه على هذه الأسماءِ الأربعةِ وهي الأولُ والآخِرُ والظاهرُ والباطن: «هي أركانُ العلمِ والمعرفة، فحقيقٌ بالعبد أن يبلُغَ في معرفتها إلى حيثُ ينتهي به قُواه وفهمُه.

واعلم أن لك أنت أولاً وآخِراً وظاهراً وباطناً بل كلُّ شيءٍ فله أولٌ وآخرٌ وظاهرٌ وباطنٌ، حتى الخطْرةُ واللحظةُ والنفسُ وأدنى من ذلك وأكثرُ، فأوليةُ اللّهِ عز وجل سابقةٌ على أولية كلِّ ما سواه، وآخِريّتُه ثابتةٌ بعد آخِريّةِ كلِّ ما سواه، فأوليتُه سبقُه لكل شيء، وآخريتُه بقاؤه بعد كلِّ شيء، وظاهريتُه سبحانه فوقيتُه وعلُوُّه على كل شيء، ومعنى الظهور يقتضي العُلوَّ، وظاهرُ الشيء هو ما علا منه وأحاط بباطنه، وبطونُه سبحانه إحاطتُه بكل شيء بحيث يكون أقربَ إليه من نفسه، وهذا قربٌ غيرُ قربِ المُحبِّ من حبيبه، هذا لونٌ وهذا لون، فمدارُ هذه الأسماءِ الأربعةِ على الإحاطة، وهي إحاطتان: زمانيةٌ ومكانية.

فإحاطةُ أوليتِه وآخريتِه بالقَبل والبَعد، فكلُّ سابقٍ انتهى إلى أوليتِه، وكلُّ آخِرٍ انتهى إلى آخريته، فأحاطت أوليتُه وأخريتُه بالأوائل والأواخِرِ، وأحاطت ظاهريتُه

---

(١) وهو جزء من حديث طويل من رواية أبي هريرة. وسيأتي بتمامه في أحاديث الصور.

(٢) قال ابن كثير في تفسيره (٤/ ٨١): «وقد قال ابن أبي حاتم: حدثنا محمد بن غالب الدقاق، حدثنا عبيد بن عبيدة، حدثنا معتمر، عن أبيه، حدثنا أبو النضر، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: فذكره... رجاله ثقات سوى (عبيد بن عبيدة).
قال الحافظ في «اللسان» (٤/ ١٢٠ ـ ١٢١ رقم ٢٥٦): «عبيد بن عبيدة التمار بصري، يروي عن المعتمر بن سليمان... يغرب كذا قال ابن حبان في «الثقات» (٨/ ٤٣١).
وقال الدارقطني في «العلل»: (١١/ ٢٩٦ س٢٢٩٣)... عبيد بن عبيدة ثقة بصري.
وقال: عبيد يحدث عن معتمر بغرائب لم يأتِ بها غيره...».
قلت: وقد تصحف (أبو نضرة العبدي) إلى أبي النضر. فتنبَّه.

(٣) في كتابه: «طريق الهجرتين» (ص٢٤).

وباطنيتُه بكل ظاهرٍ وباطن، فما من ظاهر إلا واللّهُ فوقه وما من باطن إلا واللّهُ دونه، وما من أول إلا واللّهُ قبله وما من آخر إلاّ والله بعده.

فالأولُ قِدَمُه، والآخِرُ دوامُه وبقاؤُه، والظاهرُ علوُّه وعظمتُه، والباطنُ قربُه ودنُوُّه، فسبَقَ كلَّ شيءٍ بأوليته وبقيَ بعد كلِّ شيءٍ بآخريته، وعلا على كل شيءٍ بظهوره، ودنا من كل شيءٍ ببُطونه، فلا تُواري منه سماءٌ سماءً ولا أرضٌ أرضاً، ولا يحجُبُ عنه ظاهرٌ باطناً، بل الباطنُ له ظاهرٌ والغيبُ عنده شهادةٌ، والبعيدُ منه قريبٌ والسرُّ عنده علانية، فهذه الأسماءُ الأربعةُ تشتمل على أركان التوحيدِ، فهو الأولُ في آخريته والآخرُ في أوليته، والظاهرُ في بطونِه والباطنُ في ظهوره، لم يزل أولاً وآخِراً وظاهراً وباطناً».

ثم ساق الكلامَ على التعبد بهذه الأسماءِ فشفَى وكفَى رحمه الله تعالى، ولكن قد أحاط بذلك المعنى تفسيرُ رسولِ الله ﷺ في حديث أبي هريرةَ المتقدمِ قريباً بأوجز عبارةٍ وأخصرِها، فسبحان مَن خصَّه بجوامع الكلمِ ﷺ.

(الأحدُ الفردُ القديرُ الأزليّ الصمدُ البَرُّ المهيمنُ العليّ)
(علوَّ قهرٍ وعلوَّ الشانِ جل عن الأضدادِ والأعوانِ)
(كذا له العلوُّ والفوقيَّهْ على عباده بلا كيفيَّهْ)

[الأحد الفرد في إلهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته]

(**الأحدُ الفردُ**) الذي لا ضِدَّ له، ولا نِدَّ له ولا شريكَ له في إلهيته وربوبيتِه، ولا متصرِّفَ معه في ذرة من ملكوته، ولا شبيهَ له ولا نظير له في شيء من أسمائه وصفاتِه.

فهو أحدٌ في إلهيته ولا معبودَ بحق سواه، ولا يستحق العبادةَ إلا هو، ولذا قضى ألا نعبدَ إلا إياه، وهو أحدٌ في ربوبيته فلا شريكَ له في ملكه ولا مُضادَّ ولا مُنازِعَ ولا مُغالبَ.

أحدٌ في ذاتِه وأسمائِه وصفاتِه فلا شبيهَ له ولا مثيلَ، ليس كمثله شيءٌ وهو السميع البصير. يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يُحيطون به علماً.

فكما أنه الأحدُ الفردُ في ذاته وإلهيتِه وربوبيتِه وأسمائِه وصفاتِه، فهو المتفردُ

في ملكوته بأنواع التصرفاتِ من الإيجاد والإعدامِ والإحياء والإماتةِ والخلقِ والرزقِ والإعزازِ والإذلالِ والهدايةِ والإضلالِ والإسعادِ والإشقاءِ والخفْضِ والرفعِ والعطاءِ والمنْعِ والوصْلِ والقطْعِ والضُرِّ والنفع.

فلو اجتمع أهلُ السمواتِ السبعِ والأرضينَ السبعِ ومَن فيهن وما بينهما على إماتةِ مَنْ هو مُحْييهِ أو إعزازِ من هو مُذِلُّه أو هدايةِ من هو مُضِلُّه أو إسعادِ مَن هو مُشْقيه، أو خفْض من هو رافعُه أو وصلِ من هو قاطعُه، أو إعطاءِ من هو مانعُه أو ضرِّ من هو نافعُه، أو عكسِ ذلك، لم يكن ذلك بممكن في استطاعتهم، وأنَّى لهم ذلك والكلُّ خلقُه ومُلكُه وعبيدُه وفي قبضته وتحت تصرّفِه وقهرِه، ماضٍ فيهم حكمُه، عدلٌ فيهم قضاؤُه نافذةٌ فيهم مشيئتُه لا امتناعَ لهم عما قضاه ولا خروجَ لهم من قبضته، ولا تَحرَّكُ ذرةٌ في السمواتِ والأرضِ ولا تسْكُن إلا بإذنِه، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن.

فسُحقاً لأصحاب السعير كيف جحدوا بآياته وأشركوا في إلهيته وربوبيتِه مَن هو مخلوقٌ مربوب مثلُهم لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً، واتخذوهم من دونه أرباباً وأنداداً، سوَّوْهم به وعدَلوهم به واعتقدوا أنهم متصرفون معه في ملكوته وعبدوهم مِن دونه، وهم يرَون ويعلمون أنهم مُحدَثون بعد أن لم يكونوا، مَسْبوقون بالعدم عاجزون عن القيام بأنفسهم، فقراءُ إلى مَن يقوم بهم.

وألحدوا في أسماء اللّهِ وصفاتِه وآياتِه على اختلافِهم في صناعةِ الإلحادِ، فبين مُشبِّهٍ له تعالى بالعدم وهم نُفاةُ أسمائِه وصفاتِه بل هم نُفاةُ وجودِ ذاتِه، وبين مُشبهٍ له بالمخلوقات ممثّلٍ صفاتِه تعالى بصفات الحادثاتِ المحدثاتِ حاكمين عليه بعقولهم واصفين له بما لم يصِف به نفسَه.

وآخرون جحدوا إرادتَه ومشيئتَه النافذة وقدرتَه الشاملةَ وأفعالَه وحكمتَه وحمْدَه، وجعلوا أنفسَهم هم الفاعلين لما شاءوا، الخالقين لما أرادوا من دون مشيئةِ لله ولا إرادةٍ، وجحدوا أن يكون اللّهُ خلقَهم وما يعملون.

وآخرون جعلوا قضاءَه وقدَره حجةً لهم على تركِ أوامره ونواهيه، وأنهم لا قُدرةَ لهم ولا اختيار، وأنه كلفهم بفعل ما لا يطاق فعلُه وتركِ ما لا يُطاق تركُه،

وجعلوا معاصيَه طاعاتٍ إذ وافقت مشيئتَه الكونيةَ وقدَرَه الكونيَّ فخاصموه بمشيئته وأقداره وعطَّلوا أوامرَه ونواهيَه ونسبوه إلى الظلم تعالى، وأن تعذيبه مَن لم يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسولُ الله ولم يقم الصلاةَ ولم يؤتِ الزكاةَ ولم يصُم ولم يحُجَّ ولم يعمل الطاعاتِ ولم يترك المعاصيَ كتعذيب الذكر لم يصِرْ أنثى والأنثى لم تصِرْ ذكراً، وأن أمرَهم بالصلاة وغيرِها كأمر الآدميِّ بالطيران والأعمى بنقط المصاحفِ، أولئك خُصَماءُ الله يوم القيامة، تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون، علواً كبيراً.

ورضي الله عن المؤمنين إذ عرَفوه حقَّ معرفتِه وقدّروه حقَّ قدرِه ووحّدوه بإلهيته وربوبيتِه وأسمائِه وصفاتِه، وأثبتوا له ما أثبته لنفسِه، ونفَوا عنه التمثيلَ، وآمنوا بقضائِه وقدرِه وتلقَّوْه بالرِّضا والتسليم، وأن ذلك موجبُ ربوبيتِه ومقتضى إلهيتِه واللائقُ بحكمتِه وحمْدِه، وتلقوا أمرَه بالسمع والطاعةِ والامتثالِ والانقيادِ، ووقفوا عند نواهيه وحدودِه فلم يعتدوها، ونزّلوا كلّاً من القدر والشرعِ منزلته ولم ينصِبوا الخصامَ بينهما.

فالقضاءُ والقدرُ يؤمَنُ به ولا يُحتج به، والأمرُ والنهيُ يُطاع ويُمتثل، فالإيمانُ بالقدر من كمالِ التوحيدِ وشهادةِ أن لا إله إلا الله، والقيامُ بالأمرِ والنّهيِ موجبُ شهادةِ أن محمداً رسولُ الله، فمن لا يؤمن بالقضاء والقدرِ وينقادُ للأمرِ والنّهي فهو مكذبٌ بالشهادتين ولو نطَق بهما بلسانه.

وهذا البحثُ سيأتي تفصيلُه عن قريب إن شاء الله في موضعه، وإنما ساقنا إليه هاهنا الكلامُ على كمالِ أحديةِ اللّهِ عز وجل في إلهيتِه وربوبيتِه وأسمائِه وصفاتِه وأفعالِه وقدَرِه وشرعِه، وأنه لا مُعارضَ لمشيئته ولا معقّبَ لحكمه، وأن المخلوقَ لا تصرُّفَ له في نفسه فضلاً عن غيره ولا قدرةَ له على ما لم يُقْدِرْه الله تعالى عليه، فكيف يسوّي به ويعدِل به ويُشرك معه في إلهيتِه أو ينسُبُ إليه التصرفَ في شيء من ملكوته.

وكم يقيم الحجةَ تبارك وتعالى على من أشرك معه إلهاً غيرَه بأحديَّته في الربوبية والأسماءِ والصفاتِ وإقرارِ المشركِ بها، وأن آلهتَه التي أشرك لا تتصف بشيء منها، ويُلزِمه إفرادَه بالألوهية الملازمةِ للربوبية كما قال تعالى: ﴿رَبُّ

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥].

وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الروم: ٤٠]، وقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [يونس].
إلى غير ذلك من الآيات.

(القدير) الذي له مُطلقُ القُدرةِ وكمالُها وتمامُها، الذي ما كان ليُعجِزَه من شيء في الأرض ولا في السماء، الذي ما خلق الخلقَ ولا بعثهم في كمال قدرتِه إلا كنفسٍ واحدة، الذي إنما أمرُه إذا أراد شيئاً أن يقولَ له كن فيكون، الذي يبدأ الخلقَ ثم يعيده وهو أهونُ عليه، الذي يمسك السمواتِ والأرضَ أن تزولا ولئن زالتا إنْ أمسكهما من أحد من بعده، ويُمسك السماءَ أن تقعَ على الأرضِ إلا بإذنه، الذي وسِع كرسيُّه السمواتِ والأرضَ ولا يؤودُه حِفظُهما، أي لا يُكرثه ولا يُثقله، الفعالُ لما يشاء إذا شاء كيف شاء في أي وقتٍ شاء، قال الله تعالى: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا﴾ [النساء: ١٣٣].

وقال تعالى بعد الكلام على البدء والإعادة: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [الحج: ٦٢] الآية.

وقال تعالى بعد الكلام على هذا المعنى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الحج: ٦]، وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر: ٤٤]. وقال تعالى: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ [لقمان: ٢٨].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأحقاف: ٣٣]، وقال تعالى: ﴿أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [ق: ١٥]. وقال: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا

﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ [ق: ٣٨].

وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾ [الطلاق: ١٢]. وقال تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس].

وقال تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك: ١]. وقال تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٤١﴾﴾ [المعارج]. وقال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١٨].

وقال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فصلت: ٣٩]. وقال تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ ۖ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾﴾ [العنكبوت].

والآياتُ في هذا البابِ كثيرةٌ يطولُ ذكرُها، بل كلُّ آياتِ اللّهِ الظاهرةِ والمعنويةِ، وجميعُ مخلوقاتِه العلويةِ والسُّفليةِ تدل على كمال قدرتِه الشاملةِ التي لا يخرج عنها مثقال ذرة، كما أنه لا يعزُب عن علمه مثقالُ ذرةٍ، وعبارةُ العبدِ تقصُر عن ذلك المعنى العظيمِ، وكفى العبدَ دليلاً أن ينظُرَ في خلق نفسِه كيف قدّره أحكمُ الحاكمين وخلقه في أحسن تقويم، وشق له السمعَ فسمِع والبصرَ فأبصر واللسانَ فنطقَ والفؤادَ فعقَل إلى غير ذلك.

فكيف إذا سرح قلبُه في عجائب الملكوتِ، ونظر بعين بصيرتِه إلى مُبدعاتِ الحيِّ الذي لا يموت، ورأى الآياتِ الباهرةَ والبراهينَ الظاهرةَ على كمال قدرةِ ذي العزةِ والجبروت: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ وَأَنْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَدِ ٱقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٥].

وفي حديث الاستخارة المتفق عليه[1]: «**اللهم إني أستخيرُك بعلمك وأستقدِرُك بقدرتِك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدِر، وتعلم ولا أعلمْ**». الحديث.

(**الأزليّ**) بذاته وأسمائِه وصفاتِه الذي لا ابتداءَ لأوليته ولا انتهاءَ لآخريته، وليس شيءٌ من أسمائه وصفاتِه متجدّداً حادثاً لم يكن قبل ذلك، كذلك له كمالُ الربوبيةِ ولا مربوبٌ، واسمُ الخالقِ ولا مخلوقٌ، هو العليمُ قبل إيجادِه المعلوماتِ والسميعُ قبل إيجادِه المسموعاتِ، والبصيرُ قبل إيجادِه المُبصراتِ، وكذلك سائرُ أسمائِه وصفاتِه أزليةٌ بأزلية ذاتِه، باقيةٌ ببقاء ذاتِه، لم يزل متصفاً بها في أوليته، وكذلك لم يزل متصفاً بها في سَرْمديته.

ليس بعد خلقِ الخلقِ استفادَ اسمَ الخالِق، ولا بإحداثه البريةَ استفادَ اسمَ الباري، بل هو سبحانه الخالقُ قبل خلْقِ المخلوقين، والرزّاقُ قبل وجودِ المرزوقين، وهو المُحيي المُميتُ قبل خلقِه الموتَ والحياةَ، وكذلك وصف نفسَه تبارك وتعالى فقال: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر: ٤٤]، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٩٦، ١٠٠، ١٥٢، الفتح: ١٤، الفرقان: ٧٠، والأحزاب: ٥، ٥٠، ٥٩، ٧٣]، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٥٨، ١٦٥، الفتح: ٧، ١٩]، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: ١٣٤]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٤]. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ [النساء: ٣٤]. إلى غير ذلك. قال ابنُ عباس: أي لم يزل كذلك. اهـ.

ولا يجوز أن يُعتقد أن الله تعالى وُصف بصفة لم يكن متصفاً بها لأن صفاتِه

---

(١) * أخرجه البخاري رقم (١١٦٢) ورقم (٦٣٨٢) ورقم (٧٣٩٠).
قلت: ولم يخرجه مسلم.
* قال النووي في «الأذكار» (ص٢١٣):
قال العلماءُ: تُستحب الاستخارةُ بالصلاة والدُّعاء المذكور، وتكون الصلاة ركعتين من النافلة، والظاهر أنها تحصل بركعتين من السنن الرواتب، وبتحيَّة المسجد وغيرها من النوافل، ويقرأ في الأولى بعد الفاتحة: «قل يا أيها الكافرون»، وفي الثانية: «قل هو الله أحد». ولو تعذرت عليه الصلاة استخار بالدعاء.
ويُستحبُّ افتتاح الدعاء المذكور وختمه بالحمد والصلاة والتسليم على رسوله صلَّى الله عليه وسلَّم.
ثم إن الاستخارة مستحبة في جميع الأمور كما صرَّح به نصُّ هذا الحديث الصحيح.
وإذا استخار، مضى لما ينشرح له صدره. والله أعلم». اهـ.

سبحانه كلُّها صفاتُ كمالٍ وفقدانُها صفةُ نقصٍ، ولا يجوز كونُه قد حصل له الكمالُ بعد أن كان متصفاً بضده، وتقدم في الأزلية حديثُ عِمرانَ بنِ حُصينٍ[١] رضي الله عنهما في بدء الخلق: «**كان الله ولم يكن شيءٌ غيرَه وكان عرشُه على الماء**».

[الصمد الذي يصمد إليه الخلائق في حوائجهم]

(**الصمد**) قال عِكرِمةُ عن ابنِ عباس[٢]: (يعني الذي يصمُد إليه الخلائقُ في حوائجهم ومسائِلهم).

وقال عليُّ بن أبي طلحةَ عن ابن عباس[٣]: (هو السيدُ الذي قد كمُل في سُؤْدُدِه، والشريفُ الذي قد كمُل في شرَفه، والعظيمُ الذي قد كمُل في عظمته، والحليمُ الذي قد كمُل في حِلمه، والعليمُ الذي قد كمُل في علمه، والحكيمُ الذي قد كمُل في حكمته، وهو الذي قد كمل في أنواع الشرف والسُؤددِ وهو الله سبحانه، هذه صفتُه لا تنبغي إلا له)، ليس له كفؤٌ وليس كمثله شيءٌ، سبحان اللّهِ الواحدِ القهار.

وعن أبي وائل[٤]: («الصمد» الذي قد انتهى سُؤْدُدُه). ورواه ابن مسعود رضي الله عنه.

وعن زيد بنِ أسلمَ[٥]: الصمدُ السيدُ. وقال الحسنُ وقَتادةُ[٤]: هو الباقي بعد خلقِه.

وقال الحسن[٤] أيضاً: الصمدُ الحيُّ القيومُ الذي لا زوالَ له. وقال عِكرِمَةُ[٦]: الصمدُ الذي لم يخرُجْ منه شيءٌ ولم يَطْعَم.

---

(١) **تقدم تخريجه قريباً وهو حديث صحيح.**

(٢) ذكره ابن كثير في تفسيره (٤/ ٦٠٩).

(٣) أخرجه ابن جرير الطبري في «جامع البيان» (٣٠/ ٣٤٦) بسند منقطع، لأن علي بن أبي طلحة لم يسمع من ابن عباس.
وذكره أيضاً ابن كثير في تفسيره (٤/ ٦٠٩).

(٤) أخرجه ابن جرير الطبري في «جامع البيان» (٣٠/ ٣٤٦).
وذكره ابن كثير في تفسيره (٤/ ٦١٠). وذكره البخاري تعليقاً «الفتح» (٨/ ٧٣٩ باب رقم ٢). ووصله ابن حجر في «الفتح» فقال: وقد وصله الفريابي من طريق الأعمش عنه. وجاء أيضاً من طريق عاصم عن أبي وائل فوصله بذكر ابن مسعود فيه.

(٥) ذكره ابن كثير في تفسيره (٤/ ٦١٠).

(٦) أخرجه ابن جرير الطبري في «جامع البيان» (٣٠/ ٣٤٥).

وقال ابن مسعودٍ[(١)] وابن عباسٍ[(٢)] وسعيدُ بنُ المسيَّبِ[(٣)] ومجاهدٌ[(٤)] وعبدُ الله بنُ بريدَةَ[(٥)] وعكرمةُ[(٥)] أيضاً وسعيدُ بنُ جبيرٍ[(٥)] وعطاءُ بنُ أبي رباحٍ[(٦)] وعَطيةُ العَوْفي[(٧)] والضحاكُ[(٨)] والسُدّي[(٩)]: الصمدُ الذي لا جوفَ له.

وقال الشعبي[(١٠)]: هو الذي لا يأكل الطعامَ ولا يشرب الشرابَ. وقال عبد الله بنُ بريدةَ[(١١)] أيضاً: الصمدُ نورٌ يتلألأ.

قال ابنُ كثير[(١٢)] رحمه الله تعالى: «رُوي ذلك كلُّه وحكاه ابنُ أبي حاتمٍ والبيهقيُّ والطبراني، وكذا أبو جعفرِ بنِ جريرٍ ساق أكثرَ ذلك بأسانيده».

وقال الطبرانيُّ في كتاب السنةِ[(١٣)] له بعد إيرادِه كثيراً من هذه الأقوالِ في تفسير الصمد: «وكلُّ هذه صحيحةٌ، وهي صفاتُ ربِّنا عز وجل، وهو الذي يُصمَد إليه في الحوائج، وهو الذي قد انتهى سُؤدُدُه، وهو الصمدُ الذي لا جوفَ له ولا يأكلُ ولا يشرب وهو الباقي بعد خلقِه. وقال البيهقي نحوَ ذلك».

وقال الترمذيُّ[(١٤)] رحمه الله تعالى: حدثنا أحمدُ بنُ مَنيعٍ أخبرنا أبو سعدٍ هو

---

(١) ذكره ابن كثير في تفسيره (٤/ ٦١٠).
(٢) أخرجه ابن جرير الطبري في «جامع البيان» (٣٠/ ٣٤٤) وعطية ضعيف.
(٣) أخرجه ابن جرير الطبري في «جامع البيان» (٣٠/ ٣٤٥).
(٤) أخرجه ابن جرير الطبري في «جامع البيان» (٣٠/ ٣٤٤) من طرق خمس.
(٥) أخرجه ابن جرير الطبري في «جامع البيان» (٣٠/ ٣٤٥).
(٦)(٧) ذكره ابن كثير في تفسيره (٤/ ٦١٠).
(٨) أخرجه ابن جرير الطبري في «جامع البيان» (٣٠/ ٣٤٥).
(٩) ذكره ابن كثير في تفسيره (٤/ ٦١٠).
(١٠) أخرجه ابن جرير الطبري في «جامع البيان» (٣٠/ ٣٤٥).
(١١) ذكره ابن كثير في تفسيره (٤/ ٦١٠).
(١٢) في تفسيره (٤/ ٦١٠).
(١٣) ذكر ذلك ابن كثير في تفسيره (٤/ ٦١٠).
(١٤) **وهو حديث صحيح لغيره.**
أخرجه الترمذي (٥/ ٤٥١ ـ ٤٥٢ رقم ٣٣٦٤) وأحمد في «المسند» (٥/ ١٣٣ ـ ١٣٤) والبخاري في «التاريخ الكبير» (١/ ٢٤٥) وابن أبي عاصم في «السنة» (١/ ٢٩٧ ـ ٢٩٨ رقم ٦٦٣) وابن جرير في «جامع البيان» (٣٠/ ٣٤٢) وابن أبي حاتم في تفسيره كما في «مجموع الفتاوى» (١٧/ ٢١٥) والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص٤٩ ـ ٥٠)، وأبو الشيخ في=

الصنعانيُّ عن أبي جعفرٍ الرازيِّ عن الربيع بنِ أنسٍ عن أبي العاليةِ عن أُبيِّ بنِ كعبٍ أن المشركين قالوا لرسول الله ﷺ: انسُبْ لنا ربَّك، فأنزل الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾ [الإخلاص]. والصمدُ الذي لم يلِد ولم يولد؛ لأنه ليس شيءٌ يولد إلا سيموتُ، وليس شيءٌ يموتُ إلا سيورَث، وإن اللّهَ تعالى لا يموت ولا يورث. ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٤]، قال: لم يكن له شبيهٌ ولا عدلٌ وليس كمثلِه شيءٌ.

حدثنا عبدُ بنُ حميدٍ أخبرنا عبيدُ اللّهِ بنُ موسى عن أبي جعفرٍ الرازيِّ عن

= «العظمة» (١/ ٣٧٢ ـ ٣٧٤ رقم ٨٨/ ٨) والدارمي في «الرد على الجهمية» (ص١٠) وابن عدي في «الكامل» (٦/ ٢٢٣١) والعقيلي في «الضعفاء» (٤/ ١٤١) والخطيب في «تاريخ بغداد» كلهم من طريق أبي سعيد محمد بن ميسر الصاغاني، عن أبي جعفر الرازي به.
قال الألباني في «ظلال الجنة» (١/ ٢٩٨): «**إسناده ضعيف**»، لسوء حفظ أبي جعفر الرازي.
وأبو سعد الخراساني هو محمد بن ميسر الجعفي الصاغاني البلخي الضرير، ضعفه غير واحد ولكنه قد توبع.
ثم قال: تابعه محمد بن سابق ثنا أبو جعفر الرازي بتمامه.
أخرجه الحاكم (٢/ ٥٤٠) وقال: **صحيح الإسناد**، ووافقه الذهبي.
قلت: وأخرجه البيهقي في «الاعتقاد» (ص١٥) وفي شعب الإيمان (١/ ١١٣ ـ ١١٤ رقم ١٠١).
وقد عرفت أنه ليس كذلك، لضعف الرازي، على أن الترمذي قد أعله بعلة أخرى، وهي الإرسال.
فإنه رواه ـ (٥/ ٤٥٢ رقم ٣٣٦٥) ـ من طريق عبيد الله بن موسى عن أبي جعفر الرازي . . . فذكره دون قوله: «عن أبي بن كعب» يعني أنه أرسله.
وقال الترمذي: «وهذا أصح من حديث أبي سعد».
قلت: وأعله البخاري أيضاً بالإرسال، وقال في أبي سعد: فيه اضطراب. (التاريخ الكبير: ١/ ٢٤٥).
(*) وللحديث شاهد من حديث جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قرأ: «قل هو الله أحد» في كل يوم خمسين مرة نودي يوم القيامة من قبره قم فادخل الجنّة**».
أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٦/ ٨٩ رقم ٣٤٢٢ ـ مجمع البحرين)، وأبو يعلى في «المسند» (٤/ ٣٨ رقم ٢٧٨/ ٢٠٤٤) إلا أنه قال: إن أعرابياً أتى النبي ﷺ فقال: انسب الله!
فقال: «**أنسب الله**»، فأنزل الله:
﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١].
وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٤٦) وقال: وفيه مجالد بن سعيد. قال ابن عدي: له عن الشعبي، عن جابر، وبقية رجاله رجال الصحيح.
والخلاصة باجتماع هذه الطرق يصح الحديث لغيره إن شاء الله.

الربيع عن أبي العاليةِ[1] أن النبيَّ ﷺ ذكر آلهتَهم فقالوا: انسُب لنا ربَّك، قال: فأتاه جبريلُ عليه السلام بهذه السورةِ: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١]. فذكر نحوه ولم يذكر فيه أُبيَّ بنَ كعْب، وهذا أصحُّ من حديث أبي سعيدٍ. اهـ.

قلت: وهذه السورةُ العظيمةُ التي قال فيها النبيُّ ﷺ: **«إنها تعدل ثُلثَ القرآنِ»**[2]، مشتملةٌ على توحيد الإلهيةِ والربوبيةِ والأسماءِ والصفاتِ، جامعةٌ بين الإثباتِ لصفات الكمالِ وبين التنزيهِ له تعالى عن الأشباه والأمثالِ، متضمنةٌ الردَّ على جميع طوائفِ الكفرِ من الدهرية والوثنيةِ والملاحدةِ من المشبّهة والمُعطّلَة وأهلِ الحلولِ والاتحادِ، ومن نسبَ له الصاحبةَ والولدَ وغيرِهم، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً. والله أعلم.

(البَرّ) وصْفاً وفعلاً، قال ابن عباس[3]: اللطيفُ. وقال الضحاك[4]: الصادقُ فيما وعَد.

[المهيمن على عباده بأعمالهم]

(المهيمن) قال ابنُ عباس ومجاهدٌ وقَتادةُ والسُّديُّ ومقاتلٌ: هو الشهيدُ على عباده بأعمالهم[5]، يقال: هَيمَن يُهيمِنُ، فهو مُهيمِنٌ إذا كان رقيباً على الشيء كما قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [البروج: ٩]. وقوله: ﴿ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ﴾ [يونس: ٤٦]. وقال: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الرعد: ٣٣].

وقال الحسن: الأمينُ. وقال الخليلُ: هو الرقيبُ الحافظُ. وقال ابن زيد: المصدِّق. وقال سعيدُ بنُ المسيَّب والضحاك: القاضي. وقال ابنُ كَيسان: هو اسمٌ من أسماء اللهِ تعالى في الكتب، واللهُ أعلمُ بتأويله[4] أهـ.

[العلي علوّ قهر وعلوّ شأن]

(العلي) فكلُّ معاني العلوِّ ثابتةٌ له، **(علوَّ قهرٍ)** فلا مُغالبَ له ولا منازِعَ، بل

---

(١) تقدم تخريجه ضمن النقطة المتقدمة.

(٢) أخرجه البخاري (٩/ ٥٨ رقم ٥٠١٣) و(١١/ ٥٢٥ رقم ٦٦٤٣) (١٣/ ٣٤٧ رقم ٧٣٧٤) من حديث أبي سعيد الخدري.

(٣) ذكره البغوي في «معالم التنزيل» (٧/ ٣٩١).

(٤) ذكره البغوي في «معالم التنزيل» (٧/ ٣٩١).

(٥) ذكر ذلك عنهم البغوي في «معالم التنزيل» (٨/ ٨٧).

كلُّ شيءٍ تحت سلطانِ قهره: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ [ص: ٦٥]. ﴿لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُۚ سُبْحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ [الزمر: ٤].

وقد جمعَ اللّهُ تعالى بين علوِّ الذاتِ والقهرِ في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦۚ﴾ [الأنعام: ١٨]. أي وهو الذي قهر كلَّ شيءٍ وخضعَ لجلاله كلُّ شيء، وذل لعظمته وكبريائِه كلُّ شيء، وعلا بذاته على عرشه فوق كلِّ شيء.

(وعلوّ الشان) فتعالى عن جميع النقائِص والعيوبِ المنافيةِ لإلاهيته وربوبيتِه وأسمائِه الحسنى وصفاتِه العُلى.

تعالى في أحديّته عن الشريك والظهيرِ والوليِّ والنصير، وتعالى في عظمته وكبريائِه وجبروتِه عن الشفيع عنده بدون إذنِه والمجيرِ، وتعالى في صمديته عن الصاحبة والولدِ والوالدِ والكُفء والنظير، وتعالى في كمال حياتِه وقيّوميتِه وقُدرتِه عن الموت والسِّنةِ والنومِ والتعبِ والإعياء، وتعالى في كمالِ علمِه عن الغفلة والنسيانِ وعن عُزوب مثقالِ ذرةٍ عن علمه في الأرض أو في السماء.

وتعالى في كمال حكمتِه وحمدِه عن الخلق عبثاً، وعن ترك الخلق سُدىً بلا أمر ولا نهي ولا بعثٍ ولا جَزاءٍ، وتعالى في كمال عدْله عن أن يظلِمَ أحداً مثقالَ ذرةٍ أو أن يهضِمَه شيئاً من حسناتِه، وتعالى في كمال غناه عن أن يُطعَم أو يُرزَقَ أو أن يفتقِر إلى غيره في شيء، وتعالى في صفات كمالِه ونُعوتِ جلالِه عن التعطيل والتمثيل.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُۚ﴾ [آل عمران: ٦٢]. وقال تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]. وقال تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِۖ﴾ [الأحقاف: ٤]. وقال: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٢]. وقال تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ﴾ [سبأ: ٢٢].

وقال تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّۖ﴾ [الإسراء: ١١١]. وقال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾ [الإخلاص]. وقال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ

جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ [الجن: ٣]. وقال تعالى: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]. وقال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨]. وقال تعالى: ﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ﴾ [يونس: ٣].

وقال تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. وقال تعالى: ﴿وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾ [المؤمنون: ٨٨]. وقال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨]. وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ [ق: ٣٨]. وقال تعالى: ﴿أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [ق: ١٥]. وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأحقاف: ٣٣]. وقال تعالى: ﴿وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٧٤، ٨٥، ١٤٠، ١٤٩. آل عمران: ٩٩].

وقال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ﴾ [المؤمنون: ١٧]. وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم: ٦٤]. وقال تعالى عن موسى لما قال له فرعون: ﴿فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾﴾ [طـه]. وقال تعالى: ﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ﴾ [سبأ: ٣]. وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [ص: ٢٧].

وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [الدخان]. وقال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥]. وقال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة: ٣٦]. وقال تعالى: ﴿وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا﴾ [النساء: ٤٠]. وقال تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ [طه: ١١٢]. وقال تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾ [الأنعام: ١٤]. وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات].

وقال تعالى: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥]. وقال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠]. وقال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]. والآياتُ في هذا الباب كثيرةٌ جداً.

وهذان المعنيان من العلوّ لم يخالف فيهما أحدٌ ممن يدّعي الإسلامَ وينتسبُ إليه، وإنما ضل من ضل منهم وأخطأ في التنزيه الذي هو مقصودُه حيث لم يسلُك الطريقَ الموصلةَ إليه، وأحسن الظنَّ بنفسه وعقلِه ومتبوعِه، وأساءه بالكتاب والسنة، وكثيرٌ منهم اغتر بقول كان مقصودُ قائِله الزيغَ والفسادَ والكفرانَ، فحسِب ـ لإحسان الظنّ به ـ أن مقصودَه التحقيقُ والإيمانُ والعِرفانُ، واتبعوا السُبلَ المُضِلّةَ فتفرقت بهم عن صراط الرحمنِ.

فمنهم من نزّهه تعالى عن فوقيته على عرشه بائناً من خلقه ووقع في أعظَمَ من ذلك حيث اعتقد أنه في كل مكان، ولم ينزهه حتى عن الأماكن الخسيسة، ومنهم من نزَّهه عن العُلوّ والفوقيةِ وجعله هو الوجودَ بأسره، ومنهم من نزّهه عن وجود ذاتِه ووصفه بالعدم المحْضِ، ومنهم من نزهه عن أفعاله ومشيئتِه فِراراً من وصفه بالظلم، ووقع في تعطيله عن قدرته ونسبتِه إلى العجز وغلا بعضُهم في ذلك حتى أنكرَ علمَه السابقَ ووصفه بضده، ومنهم من غلا في مسألة القدَر وإثباتِه وخاصم به الأمرَ والنهيَ فراراً مما وقع فيه الأولون ووقع في أعظم مِن ذلك: تعطيلِ الشريعةِ ونسبتِه تعالى إلى الظلم وإلى تكليف عبادِه ما لا يُطاق، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

ففروا من الهدى إلى الضلالة، ومن الرُّشد إلى الغيّ، ومن الإسلام إلى الكفر، ومن السنة إلى البدْعة، ومن النور إلى الظلمات، وضل سعيُهم في الحياة

الدنيا وهم يحسبون أنهم يُحسنون صنعاً، وهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه فجعلوا إمامَهم وقُدوتَهم الكتابَ والسنة وساروا معهما حيث سارا ووقفوا حيث وقفا، فأثبتوا الله ما أثبته لنفسه وأثبته له رسولُه ﷺ من الأسماء الحسنى والصفاتِ العُلا، وآمنوا بالقدر خيرِه وشرِّه وتلقَّوه بالرضا والتسليم، وانقادوا للشريعة فقابلوا أوامرَها ونواهيَها بالامتثال والتعظيم، فما أثبت الله لنفسِه أثبتوه وما نفاه عن نفسه نفوه.

فإذا سمعوا آياتِ الصفاتِ وأحاديثَها قالوا آمنا به كلٌّ من عند ربنا، وإن أحسنوا قالوا الحمدُ لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتديَ لولا أن هدانا الله، وإن إساءوا قالوا ربنا ظلمْنا أنفسَنا وإن لم تغفر لنا وترحَمْنا لنكونن من الخاسرين، وإذا أصابتهم مصيبةٌ قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون.

(كذا) ثابتٌ (**له العلوُّ والفوقيَّة**) بالكتاب والسنة وإجماعِ الملائكةِ والأنبياءِ والمرسلين وأتباعِهم على الحقيقة من أهل السنةِ والجماعة.

(**على عباده**) فوقهم مستوياً على عرشه عالياً على خلقه بائناً منهم، يعلم أعمالَهم ويسمع أقوالَهم ويرى حركاتِهم وسكناتِهم لا تخفى عليه منهم خافيةٌ، والأدلةُ في ذلك من الكتابِ والسنةِ أكثرُ من أن تحصى وأجلُّ من أن تُستقصَى، والفِطَرُ السليمةُ والقلوبُ المستقيمةُ مجبولةٌ على الإقرار بذلك لا تُنكره.

ولْنُشِرْ إلى بعض ذلك إشارةً تدل على ما وراءها وبالله التوفيق.

فمن ذلك أسماؤه الحسنى الدالةُ على ثبوت جميع معانيَ العلوِّ له تبارك وتعالى كاسمه الأعلى واسمِه العَليِّ واسمِه المتعالي واسمِه الظاهر واسمِه القاهرِ وغيرِها.

قال تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١].

ولما نزلت قال النبيُّ ﷺ: «**اجعلوها في سجودكم**»(١). وقال تعالى: ﴿وَسِعَ

---

(١) **وهو حديث ضعيف.**
أخرجه أبو داود (١/ ٥٤٢ رقم ٨٦٩) وابن ماجه (١/ ٢٨٧ رقم ٨٨٧) والحاكم (١/ ٢٢٥) والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (١/ ٢٣٥) والبيهقي (٢/ ٨٦) والدارمي (١/ ٢٩٩) وأحمد (٤/ ١٥٥) والطيالسي (ص١٣٥ رقم ١٠٠٠) من طرق عن موسى بن أيوب =

كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾ [النساء: ٣٤]. وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [الحج: ٦٢].

وقال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [سبأ: ٢٣]. وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ﴾ [الشورى: ٥١]. وقال تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ﴾ [الرعد: ٩]. وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ [الحديد: ٣].

وقال النبي ﷺ في دعائه: «**وأنتَ الظاهرُ فليس فوقك شيءٌ**»[1].

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٨]. وهذه الأسماءُ تدل على ثبوت جميعَ معاني العلوِّ له تبارك وتعالى ذاتاً وقهراً وشأناً.

[استواؤه على العرش]

ومن ذلك التصريحُ بالاستواء على عرشِه كما قال تعالى في سورة الأعراف: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]. وقال تعالى في سورة يونس: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾ [يونس: ٣]. وقال تعالى في سورة الرعد: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الرعد: ٢]. وقال تعالى في سورة طه: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥].

= الغافقي، قال: سمعت عمي، إياس بن عامر يقول: سمعت عقبة بن عامر الجهني يقول: فذكره. . .
قال الحاكم: «وقد اتفقا على الاحتجاج برواته غير إياس بن عامر وهو مستقيم الإسناد» اهـ.
ورده الذهبي بقوله: «قلت: إياس بالمعروف».
وذكره ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (١/١/٢٨١) ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً.
وقد ضعف الألباني الحديث في الإرواء (٢/ ٤٠ ـ ٤١ رقم ٣٣٤).

(١) تقدم تخريجه.

وقال تعالى في سورة الفرقان: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ [الفرقان: ٥٩]. وقال تعالى في سورة ألم تنزيل السجدة: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ۝٤ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ [السجدة: ٤ ـ ٥]. الآية. وقال تعالى في سورة الحديد: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤].

وفي حديث أنس في فضل الجمعةِ وتسميتِه في الآخرة يومَ المزيد الحديث بطوله وفي آخره قال: «**وهو اليومُ الذي استوى فيه ربُّك على العرش**». وقد رواه الشافعيُّ في مسنده[١]، وعبدُ اللهِ بنُ أحمدَ في كتاب السنةِ[٢]، وابنُ خزيمةَ[٣]

---

(١) في مسند الشافعي (١/١٢٦ ـ ١٢٧ رقم ٣٧٤) ترتيب المسند **بسند ضعيف**.

(٢) (١/٢٥٠ ـ ٢٥١ رقم ٤٦٠) **وإسناده ضعيف**.

(٣) لم أعثر عليه عند ابن خزيمة؟!.

قلت: وأخرجه الطبراني في «الأوسط» (٢/٣١٤ ـ ٣١٥ رقم ٢٠٨٤).

وأورده الهيثمي في «مجمع البحرين» (٢/١٩٧ ـ ١٩٨ رقم ٩٤٤) وقال: «لم يروه عن نافع إلا ابنه، تفرد به أبو بكر». وأورده أيضاً في «مجمع الزوائد» (٢/١٦٣ ـ ١٦٤) وقال: ورجاله ثقات.

وأورده المنذري في «الترغيب والترهيب» رقم (١٠٢٧) وقال: «رواه الطبراني في «الأوسط» **بإسناد جيد**».

وأخرجه الآجري في «التصديق بالنظر إلى الله» رقم (٤٥) **بسند ضعيف**.

والنحاس في «رؤية الله» رقم (٨): **بسند ضعيف**.

وأخرجه الدارقطني في «رؤية الله» رقم (٦٩، ٧٠، ٧١، ٧٢، ٧٣) وابن أبي شيبة في «المصنف» (٢/١٥٠، ١٥١) والخطيب في «تاريخ بغداد» (٣/٤٢٤، ٤٢٥) وابن عدي في «الكامل» (٤/١٣٧٣) والعقيلي في «الضعفاء» (١/٢٩٢ ـ ٢٩٣) من طرق.

وأخرجه أبو يعلى في مسنده (٧/٢٢٨ ـ ٢٢٩ رقم ١٤٧٣/٤٢٢٨).

وأورده الهيثمي في «المجمع» (١٠/٤٢١) وقال: «رواه البزار ـ رقم (٣٥١٩) والطبراني في «الأوسط» رقم (٢٠٨٤) بنحوه، وأبو يعلى باختصار رقم (١٣٣٤/٤٠٨٩)، ورجال أبي يعلى رجال الصحيح، وأحد إسنادي الطبراني رجاله رجال الصحيح، غير عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان وقد وثقه غير واحد، وضعفه غيرهم، وإسناد البزار فيه خلاف» اهـ. =

وغيرُهم، وقد جمع أبو بكرٍ بنُ أبي داودَ طرقَه في جزء، وسيأتي إن شاء اللّهُ تعالى بطوله وألفاظِه في إثبات رؤيةِ المؤمنين ربَّهم تبارك وتعالى.

وعن أنس ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«إذا جمع الله تعالى الخلائقَ حاسبَهم فيَميزُ أهل الجنةِ وأهل النارِ وهو تعالى في جنته على عرشه»**. قال محمدُ بنُ عثمانَ الحافظُ[1]: هذا حديثٌ صحيحٌ[2].

وعن قتادةَ بنِ النعمانِ ﷺ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: **«لما فرَغ اللّهُ من خلقه استوى على عرشه»**. رواه الخلاّلُ في كتاب السنة[3] بإسناد صحيحٍ على شرط البخاريِّ.

وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن اليهودَ أتَوا النبيَّ ﷺ فسألوه عن خلق السمواتِ والأرضِ، فذكر حديثاً طويلاً، قالوا: ثم ماذا يا محمد؟ قال: **«ثم استوى على العرش»**، قالوا: أصبتَ يا محمد، لو أتممْتَ، ثم استراح، فغضِب غضباً شديداً، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ [ق: ٣٨]. رواه ابنُ مِنْده[4] والحاكمُ[5] وصححه، وفي إسناده البقالُ ضعفه ابنُ مَعينٍ.

= وأورده الحافظ في «المطالب العالية» رقم (٥٨٠) وعزاه إلى أبي يعلى وجوّد إسناده. كما صحح البوصيري إسناد أبي يعلى.

وصحح الألباني الحديث في «صحيح الترغيب والترهيب» (١/ ٢٩١ رقم ٦٩٤).

انظر فتاوى شيخ الإسلام (٦/ ٤١٠ ـ ٤١٦).

والخلاصة أن للحديث طرقاً كثيرة، وألفاظاً مختلفة. رواه جمع من الأئمة وصححه جماعة من العلماء.

(١) هو محمد بن عثمان بن محمد أبي شيبة العبسي أبو جعفر الكوفي. مات ببغداد عن نيِّف وثمانين سنة. انظر: [الأعلام (٦/ ٢٦٠) والميزان (٣/ ٦٤٢ ترجمة ٧٩٣٤)].

(٢) ذكره ابن القيم في «اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية» (ص٥٥).

(٣) عزاه إلى الخلال ابن القيم في «اجتماع الجيوش» (ص٥٤) وقال: **«إسناده صحيح على شرط البخاري»**.

وعزاه إلى الخلال الذهبي في «العلو للعلي الغفار في صحيح الأخبار وسقيمها» (ص٥٢) وقال: **«رواته ثقات»**.

(٤) لم أعثر عليه عند ابن منده في «الإيمان» ولا في «التوحيد» ولا في «الرد على الجهمية» والله أعلم.

(٥) في «المستدرك» (٢/ ٥٤٣) وقال الحاكم: **هذا حديث صحيح الإسناد** ولم يخرجاه.

ورده الذهبي بقوله: «وأنّى ذلك والبقال قد ضعفه ابن معين والناس».

وقال الحافظ في «التقريب» (١/ ٣٠٥ رقم ٢٥٢): «سعيد بن مرزبان العبسي مولاهم، أبو =

وعن أبي رَزينٍ العُقيليِّ قال: قلتُ يا رسولَ الله أين كان ربُّنا قبل أن يخلقَ السمواتِ والأرضَ؟ قال: **«كان في عَماءٍ ما فوقه هواءٌ وما تحته هواءٌ، ثم خلق العرشَ فاستوى عليه»**. رواه أبو داودَ[1] وابنُ ماجه[2]، وقال الذهبيُّ[3]: إسنادُه حسنٌ.

ورواه الترمذيُّ[4] وحسنه، لكنّ لفظَه: **«وخلق عرشَه على الماء»**. قال يزيدُ بنُ هارونَ[5]: العَماءُ: أي ليس معه شيءٌ.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن مُرّة عن ناس من أصحاب النبيِّ ﷺ في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة: ٢٩]، قال: **«إن الله تعالى كان عرشُه**

= سعيد البقال، الكوفي، الأعور، ضعيف مدلس...» اهـ.
قلت: ويشهد لحديث ابن عباس هذا ما أخرجه ابن جرير الطبري في «جامع البيان» (١٣/ج١٧٨/٢٦ ـ ١٧٩) عن أبي بكر ﷺ نحوه **وإسناده ضعيف**، بسبب ابن حُميد، قال الحافظ في «التقريب» (١٥٦/٢ رقم ١٥٩): «محمد بن حُميد بن حَيّان الرازي، حافظ ضعيف، وكان ابن معين حسن الرأي فيه» اهـ.

(١) أبو داود الطيالسي في مسنده رقم (١٠٩٣).

(٢) في سننه رقم: (١٨٢).

(٣) في «العلو» (ص١٩).
قلت: وأخرجه الترمذي رقم (٣١٠٩) وابن حبان في «صحيحه» (رقم: ٣٩ ـ موارد) وعبد الله بن أحمد في «السنة» (١/ ٢٤٥ ـ ٢٤٦ رقم ٤٥٠) وابن أبي عاصم في «السنة» رقم (٦١٢) وأبو الشيخ في «العظمة» (١/ ٣٦٣ ـ ٣٦٤ رقم ٨٣/٣) وأحمد في «المسند» (٤/ ١١، ١٢) والبيهقي في «الأسماء والصفات» رقم (٨٠١) و(٨٦٤) وابن زمنين في «أصول السنة» (ص٣٨٢ رقم ٣١).
وأورده الذهبي في «العلو» وحسن إسناده، وقال الألباني في «مختصر العلو» (ص١٨٦): «في تصحيحه نظر، فإن مداره على وكيع بن (حُدُس)، ويقال (عُدُس) وهو مجهول لم يرو عنه غير يعلى بن عطاء، ولذلك قال المؤلف ـ الذهبي ـ في «الميزان»: «لا يعرف» اهـ.
وقال في «ظلال الجنة» (١/ ٢٧١): «**إسنادهُ ضعيف**، وكيع بن عُدُس ويقال: حُدُس وهو مجهول لم يرد عنه غير يعلى بن عطاء ولم يوثقه غير ابن حبان».
والخلاصة فالحديث ضعيف، والله أعلم.

(٤) في «السنن» رقم (٣١٠٩). **وهو حديث ضعيف** تقدم تخريجه والكلام عليه في «التعليقة» المتقدمة.

(٥) ذكره الترمذي في «السنن» عقب الحديث رقم (٣١٠٩).
وانظر: «النهاية» (٣/ ٣٠٤) لابن الأثير، وتحفة الأحوذي للمباركفوري (٨/ ٥٢٩ ـ ٥٣١).

على الماء ولم يخلُق شيئاً قبل الماءِ، فلما أراد أن يخلُق الخلْقَ أخرج من الماء دُخاناً فارتفع فوق الماءِ فسما عليه فسمّاه سماءً، ثم أيبسَ الماءَ فجعله أرضاً ثم فتقها فجعلها سبعَ أرضين». الحديث. إلى أن قال: «**فلما فرغ اللّهُ عز وجل من خلق ما أحبَّ استوى على العرش**». رواه السُدي[(١)] وابنُ جريرِ الطبريُّ في تفسيره[(٢)] والبيهقيُّ في الأسماء والصفات[(٣)].

وعن أبي هريرة ﷺ أن النبيَّ ﷺ أخذ بيده فقال: «**يا أبا هُريرةَ، إن الله تعالى خلقَ السمواتِ والأرضينَ وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش يوم السابع**». الحديث بطوله رواه النَّسائيُّ في تفسير سورة السجدةِ من سُننه الكُبرى[(٤)].

وفيه أخضرُ بنُ عَجْلانَ قال الذهبيُّ[(٥)]: وثقه ابنُ معينٍ، وقال أبو حاتم:

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره رقم (٣٠٧) والسدي: هو إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة السدي، أبو محمد صدوق يهم. «التقريب» (١/ ٧٢).

(٢) في تفسيره (١/ ٤٣٥ ـ ٤٣٦ شاكر).

(٣) في «الأسماء والصفات» رقم (٨٠٧).
قلت: وأخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» رقم (٣/ ٥٩٥) والذهبي في «العلو» (ص٦٧).
والحديث إسناده ضعيف. لضعف أبي صالح ـ هو باذام ـ بالذال المعجمة، ويقال آخره نون، مولى أم هانئ، ضعيف مدلس روى له الأربعة. «التقريب» (١/ ٩٣)

(٤) رقم (٤١٢). وانظر «تحفة الأشراف» رقم (١٤١٩٣). ورجاله كلهم ثقات غير «الأخضر بن عجلان».

(٥) في «العلو» (ص٧٥).
قال الألباني في «مختصر العلو» (ص١١٢): «٥٧ ـ قلت: تليين الأزدي إياه؛ لا تأثير له، لأن الأزدي نفسه متكلم فيه كما هو معلوم، لا سيما وقد وثقه ابن معين كما ترى، وكذا الإمام البخاري والنسائي وابن حبان وابن شاهين كما في «التهذيب» ـ (١/ ١٦٩ رقم ٣٥٩) ـ فهو متفق على توثيقه لولا قول أبي حاتم: يكتب حديثه.
لكن هذا القول إن اعتبرناه صريحاً في التجريح فمثله لا يقبل لأنه جرح غير مفسر، لا سيما وقد خالف قول الأئمة الذين وثقوه، على أنه من الممكن التوفيق بينه وبين التوثيق بحمله على أنه وسط عند أبي حاتم، فمثله حسن الحديث قطعاً على أقل الدرجات، وكأنه أشار إلى ذلك الحافظ بقوله فيه في «التقريب» ـ (١/ ٥٠ رقم ٣٢٩) ـ: صدوق.
وبقية رجال الإسناد ثقات كلهم، فالحديث جيد الإسناد على أنه لم يتفرد بذكر خلق التربة يوم السبت، وغيرها في بقية الأيام السبعة. فقد أخرج مسلم ـ رقم (٢٧٨٩) ـ وغيره ـ كأحمد (٢/ ٣٢٧) وأبي يعلى (١٠/ ٥١٣، ٥١٤) وابن أبي حاتم في تفسيره (١/ ١٠٣ رقم =

يُكتب حديثُه، وليّنه الأزديُّ، وحديثُه في السنن الأربعةِ، وهذا الحديثُ غريبٌ من أفراده.

[تصريح القرآن بفوقية الله تعالى]

ومن ذلك التصريحُ بالفوقية لله تعالى قال الله عز وجل: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٨]، وقال: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ۩﴾ [النحل: ٥٠].

ولما حكمَ سعدُ بنُ معاذٍ رضي الله عنه في بني قُريظةَ بأن تُقتلَ مقاتِلتُهم وتُسْبى ذُرِّيتُهم وتُغنم أموالُهم قال له النبيُّ ﷺ: **«لقد حكمْتَ فيهم بحكم الملِكِ من فوق سبعةِ أرْقِعة»**[1].

وفي لفظ: **«من فوق سبعِ سمواتٍ»**[2]، ....

= ٣٠٥) وابن منده في «التوحيد» رقم (٥٨) ـ من طريق أخرى عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً، وقد خرجته في «الصحيحة» رقم (١٨٣٣) وقد توهم بعضهم أنه مخالف للآية المذكورة في أول الحديث، وهي في أول سورة «السجدة»، وليس كذلك كما كنت بيَّنته فيما علقته على «المشكاة» (٥٧٣٥)، وخلاصة ذلك أن الأيام السبعة في الحديث هي غير الأيام الستة في القرآن، وأن الحديث يتحدث عن شيء من التفصيل الذي أجراه الله على الأرض، فهو يزيد على القرآن، ولا يخالفه، وكان هذا الجمع قبل أن أقف على حديث الأخضر، فإذا هو صريح فيما كنت ذهبت إليه من الجمع. فالحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات» اهـ.

وخلاصة القول أن حديث أبي هريرة الذي أخرجه النسائي حسن، والله أعلم.

(١) (*) الأرقعة: قال الزمخشري في «الفائق في غريب الحديث» (٢/ ٧٧): «وهي السماوات، لأن كل واحدة منها رقيع التي تحتها» اهـ.
وانظر «لسان العرب» مادة (رقع).

(٢) (*) أورده الذهبي في «العلو» (ص٣٢)، **وقال: هذا مرسل.**
قلت: وورد عنده (محمد بن مالك) بدل (معبد بن كعب) وهو خطأ. انظر: ترجمة معبد في «التهذيب» (١٠/ ٢٠٢) رقم (٤١٢).
(*) وأورده الذهبي من طريق آخر عن سعد بن أبي وقاص، **وقال: هذا حديث صحيح.**
أخرجه النسائي ـ كما من تحفة الأشراف (٣/ ٢٩٣) ـ من طريق عامر عبد الملك بن عمر العقدي، عن محمد بن صالح التمار وهو صدوق.
(*) وأخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» (ص٤٢٠) من حديث سعد بن أبي وقاص وفي سنده (محمد بن صالح التمار)، قال الحافظ في «التقريب» (٢/ ١٧٠): «صدوق يخطئ». =

وأصله في الصحيحين[1] وهذا سياقُ ابنِ إسحاقَ.

وفي صحيح البخاريِّ[2] عن أنس بنِ مالكٍ ﷺ قال: كانت زينبُ ﷺ تفتخر على أزواج النبيِّ ﷺ وتقول: زوَّجَكُن أهاليكُنّ وزوَّجني اللّهُ من فوق سبعِ سمواتٍ.

وفي سنن أبي داودَ[3] من حديث جبيرِ بنِ مُطعمٍ ﷺ قال: جاء أعرابيٌّ إلى

= وترجم له الذهبي في «الميزان» (٣/ ٥٨١) وذكر خلاف العلماء فيه، فقال: وثقه أحمد، وأبو داود، وقال أبو حاتم: ليس بالقوي.

قلت: فسنده حسن.

(*) وورد الحديث عند ابن إسحاق في «السيرة (٣/ ٢٩٣ ـ ن: مكتبة الجمهورية) مرسلاً عن علقمة بن وقاص.

(١) البخاري (٧/ ٤١١ رقم ٤١٢١) ومسلم (٣/ ١٣٨٩ رقم ١٧٦٩) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. وليس فيه موضع الشاهد.

(٢) في صحيحه (١٣/ ٤٠٣ ـ ٤٠٤ رقم ٧٤٢٠).

(٣) في «السنن» (٥/ ٩٤ رقم ٤٧٢٦).

قلت: وأخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» (١/ ٢٣٩ ـ ٢٤٠ رقم ١٤٧/٤٠) والدارمي في «الرد على الجهمية» (ص٢٤) وابن أبي عاصم في «السنة» رقم (٥٧٥) و(٥٧٦) وابن أبي حاتم في «تفسيره» رقم (٢٢٤) واللالكائي رقم (٦٥٦) والبغوي في «شرح السنة» (١/ ١٧٥) وأبو الشيخ في «العظمة» (٢/ ٥٥٤ ـ ٥٥٥) والذهبي في «العلو» (ص٣٧ ـ ٣٩) والدارمي في «الرد على المريسي» (ص١٠٥) من طرق.

قال الألباني في «ظلال الجنة» (١/ ٢٥٢ ـ ٢٥٣): «**إسناده ضعيف**، ورجاله ثقات، لكن ابن إسحاق مدلس ومثله لا يحتج به إلا إذا صرح بالتحديث، وهذا لم يفعله في ما وقفت عليه من الطرق إليه، ولذلك استغربه الحافظ ابن كثير في تفسيره آية الكرسي من «تفسيره» (١/ ٣١٧) حيث قال: «وأغرب من هذا حديث جابر بن مطعم في صفة العرش كما رواه أبو داود في كتابه «السنة» من سننه، والله أعلم» اهـ.

وقال الألباني في «الرد على الجهمية» (ص٢٤): «ولا يصح في أطيط العرش حديث».

وقال الذهبي في «العلو» (ص٣٩): «**هذا حديث غريب جداً فرد**، وابن إسحاق حجة في المغازي إذا أسند، وله مناكير وعجائب، فالله أعلم أقال النبي ﷺ هذا أم لا، وأما الله عز وجل فليس كمثله شيء جل جلاله، وتقدست أسماؤه، ولا إله غيره... وقولنا في هذه الأحاديث: إننا نؤمن بما صح منها، وبما اتفق السلف على إمراره وإقراره، فأما ما في إسناده مقال، واختلف العلماء في قبوله وتأويله، فإنا لا نتعرض له بتقرير، بل نرويه في الجملة ونبين حاله. وهذا الحديث إنما سقناه لما فيه مما تواتر من علو الله تعالى فوق عرشه، مما يوافق آيات الكتاب» اهـ.

وخلاصة القول أن الحديث ضعيف، والله أعلم.

النبي ﷺ فقال: يا رسولَ الله جُهِدَت الأنفسُ وضاعت العِيالُ ونُهكت الأموالُ وهَلكَتِ الأنعامُ، فاستسقِ اللَّهَ لنا فإنا نستشفع بك على الله ونستشفع بالله عليك.

قال رسول الله ﷺ: **«ويحك أتدري ما تقول»**؟ وسبح رسولُ الله فما زال يُسبّح حتى عرف ذلك في وجوه أصحابِه. ثم قال: **«ويحك إنه لا يُستشفع بالله على أحد من خلقه، شأنُ اللّهِ أعظمُ من ذلك. ويحك أتدري ما الله، إن عرشَه على سمواتِه لهكذا»**. وقال بأُصْبَعه مثلَ القُبة عليه: **«وإنه لَيئِطّ به أطيطَ الرحْل بالراكب»**.

قال ابن بشار في حديثه: **«إن الله فوق عرشِه وعرشه فوق سمواته»** وساق الحديث.

وله[1] عن العباس بنِ عبدِ المُطلب رضي الله عنه قال: كنت في البطحاء في عِصابة فيهم رسولُ الله ﷺ، فمرتْ بهم سحابةٌ فنظر إليها فقال: **«ما تُسمّون هذه؟»**،

---

(١) أي لأبي داود في سننه (٥/ ٩٣ رقم ٤٧٢٣).
قلت: وأخرجه الترمذي (٥/ ٤٢٤ ـ ٤٢٥ رقم ٣٣٢٠) وقال: حديث حسن غريب.
وأخرجه ابن ماجه (١/ ٦٩ رقم ١٩٣) وأحمد (١/ ٢٠٧) والحاكم (٢/ ٤١٢) والدارمي في «الرد على المريسي» (ص٩٠ ـ ٩١) وفي «الرد على الجهمية» (ص٢٤) وابن أبي عاصم في «السنة» (١/ ٢٥٣) والآجري في «الشريعة» (ص٢٩٢) وابن منده في «التوحيد» رقم (٢١) واللالكائي في «شرح السنة» رقم (٦٥٠، ٦٥١) وابن خزيمة في «التوحيد» (١/ ٢٣٤ ـ ٢٣٥ رقم ١٠/ ١٤٤) وأبو الشيخ في «العظمة» (٢/ ٥٦٦ ـ ٥٦٩) و (٣/ ١٠٥٠) والبيهقي في: «الأسماء والصفات» رقم (٨٤٧) و (٨٨٢) والذهبي في «العلو» (ص٥٠).
قال الحاكم: **صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه**.
قلت: وفي هذا بعد شديد.
وقال الألباني في «ظلال الجنة» (١/ ٢٥٤): «**إسناده ضعيف**، عبد الله بن عميرة قال الذهبي: فيه جهالة. قال البخاري: لا يعرف له سماع من الأحنف بن قيس».
قلت: وقال الحافظ في «التقريب» (١/ ٤٣٨): مقبول.
وانظر: «لسان الميزان» (٢/ ٤٦٩).
وقال الذهبي في «العلو» (ص٥٠): «تفرد به سماك عن عبد الله، وعبد الله فيه جهالة؛ ويحيى بن العلاء متروك الحديث.
وقد رواه إبراهيم بن طهمان عن سماك، وإبراهيم ثقة» اهـ.
وخلاصة القول أن الحديث ضعيف، والله أعلم.

قالوا: السحابَ. قال: «**والمزنَ**». قالوا: والمزنَ، قال: «**والعنَان**»، قالوا: والعَنان.

قال أبو داودَ: ولم أُتقن العنانَ جيداً، قال: «**هل تدرون ما بُعدُ ما بين السماء والأرض؟**» قالوا: لا ندري، قال: «**إن بُعدَ ما بينهما إما واحدةٌ أو اثنتان أو ثلاثٌ وسبعون سنةً، ثم السماءُ فوقها كذلك** ـ حتى عد سبع سموات ـ **ثم فوق السماءِ السابعةِ بحرٌ بين أسفله وأعلاه مثلُ ما بين سماء إلى سماء، ثم فوق ذلك ثمانيةُ أوعالٍ بين أظلافِهم ورُكبهم مثلُ ما بين سماء إلى سماء، ثم على ظهورهم العرشُ بين أسفلِه وأعلاه مثلُ ما بين سماءٍ إلى سماء، ثم اللّهُ تبارك وتعالى فوق ذلك**».

زاد أحمد: «**وليس يخفى عليه شيءٌ من أعمال بني آدمَ**».

وفي سنن ابن ماجَه[1] من حديث جابرِ بنِ عبدِ الله ﵄ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**بينا أهلُ الجنة في نعيمهم إذْ سطع لهم نورٌ، فرفعوا رؤوسَهم فإذا الربُّ قد أشرف عليهم من فوقهم فقال: السلامُ عليكم يا أهلَ الجنة**، قال: **وذلك قول الله عز وجل**: ﴿سَلَٰمٌ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ﴾ [يس: ٥٨]. قال: **فينظُر إليهم وينظُرون إليه فلا يلتفتون إلى شيء من النعيم ما داموا ينظُرون إليه حتى يحتجبَ عنهم ويبقى نورُه وبركتُه عليهم في ديارهم**». وفي إسناده الرُقاشيُّ ضعيف، ومعناه ثابتٌ في الكتاب والسنة.

---

(١) (١/ ٦٥ رقم ١٨٤).
قال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (١/ ٦٥ رقم ٦٩): «هذا إسناد ضعيف لضعف الفضل بن عيسى بن أبان الرقاشي».
قلت: وأخرجه اللالكائي (٣/ ٥٣٤ رقم ٨٣٦) والدارقطني في «الرؤية» رقم (٦١) والآجري في «الشريعة» (ص٢٦٧) وابن عدي في «الكامل» (٦/ ٢٠٣٩) والعقيلي في «الضعفاء الكبير» (٢/ ٢٧٤ ـ ٢٧٥) وأبو نعيم في «صفة الجنة» رقم (٩١) وابن الجوزي في «الموضوعات» (٣/ ٢٦١ ـ ٢٦٢).
قلت: والفضل الرقاشي أنكر حديثه ابن معين وأبو حاتم، وضعفه أحمد والنسائي والساجي وغيرهم. (تهذيب التهذيب: ٨/ ٢٥٥).
وفي إسناده أيضاً: أبو عاصم العباداني واسمه «عبد الله بن عبيد الله» قال الذهبي: «واهٍ». (الميزان: ٢/ ٤٥٨).
وخلاصة القول أن الحديث ضعيف جداً.

وفي حديث الشفاعةِ الطويلِ عن أنس بنِ مالكٍ[1] ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**فأدخُلُ على ربي تبارك وتعالى وهو على عرشه**». وذكر الحديثَ.

وفي بعض ألفاظ البخاريِّ في صحيحه[2]: «**فأستأذِن على ربي في داره فيُؤذَن لي عليه**». قال عبدُ الحقِّ في الجمع بين الصحيحين: هكذا قال: «**في داره**» في المواضع الثلاثةِ، يريد مواضعَ الشفاعاتِ الثلاث التي يسجُد فيها ثم يرفع رأسَه.

وعن عمرَ بنِ عبدِ الملِك قال: خطَبَنا عليٌّ ﷺ فقال: إن رسولَ الله ﷺ حدثني عن ربه عز وجل فقال: «**وعزتي وجلالي وارتفاعي فوق عرشي ما من أهلِ قريةٍ ولا بيتٍ ولا رجلٍ ببادية كانوا على ما كرِهتُ من معصيتي فتحوَّلوا عنها إلى ما أحببتُ من طاعتي إلاَّ تحوَّلتُ لهم عما يكرهون من عذابي إلى ما يُحبُّون من رحمتي**». رواه ابنُ أبي شيبةَ في كتاب العرش[3] والعسّال في المعرفة[4]، وضعفه الذهبيُّ[5].

وعن جابر بن سُليم قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**إن رجلاً ممن كان قبلكم لبِس بُردين فتبختر، فنظر اللّهُ إليه من فوقِ عرشِه فمَقتَه، فأمر الأرضَ فأخذته**

---

(١) أخرجه المقدسي في «إثبات صفة العلو» رقم (٢٧) والذهبي في «العلو» (ص٣٢).
وقال الذهبي: «زائدة ضعيف، والمتن بنحوه في الصحيح للبخاري من حديث قتادة عن أنس عن النبي ﷺ قال: «**فأستأذن على ربي في داره فيؤذن لي عليه**».
وأخرجه أبو أحمد العسال في كتاب «المعرفة» **بإسناد قوي** عن ثابت عن أنس، وفيه: «**فآتي باب الجنة فيفتح لي، فآتي ربي تبارك وتعالى وهو على كرسيه، أو سريره فأخر له ساجداً**» وذكر الحديث. اهـ.
قلت: حديث قتادة عن أنس أخرجه البخاري (١٣/ ٤٢٢ رقم ٧٤٤٠) و (١٣/ ٣٩٢ رقم ٧٤١٠).

(٢) (١٣/ ٤٢٢ رقم ٧٤٤٠).
قلت: وأخرجه أحمد (٣/ ٢٤٤) وابن خزيمة في «التوحيد» (ص٢٤٨).

(٣) رقم (١٩).

(٤) عزاه إليه الذهبي في «العلو» (ص٥٣). وفيه: الهيثم بن الأشعث. قال الذهبي: مجهول وإسناده ضعيف.

(٥) في «العلو» (ص٥٣).

فهو يتجلجل فيها». رواه الدارمي[1]، وله شاهدٌ في البخاري[2] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وفي حديث عمران بن حصين في بدء الخلق: **«كان اللّهُ عز وجل على العرش وكان قبل كلِّ شيء، وكتب في اللوح المحفوظِ كلَّ شيءٍ يكون»**. حديثٌ صحيحٌ أصلُه في البخاري[3].

وعن عبد اللّهِ بنِ مسعود رضي الله عنه قال: **«إن العبدَ لَيَهُمّ بالأمرِ من التجارة أو الإمارةِ حتى يُيسَّرَ له، نظر اللّهُ له من فوق سبع سمواتٍ فيقول للملائكة: اصرِفوه عنه فإن يسرتُه له أدخلتُه النارَ»**. رواه البغويّ[4] وسكت الذهبيُّ عنه.

وعنه رضي الله عنه قال: **«العرشُ فوق الماءِ واللّهُ فوق العرشِ لا يخفى عليه شيءٌ من أعمالكم»**. قال الذهبيُّ[5]: رواه عبدُ الله بنُ أحمدَ في السنة وأبو بكر بنُ

---

(١) في «الرد على المريسي» (ص٤٩) **وصححه**.
قلت: وأخرجه المقدسي في «إثبات صفة العلو» رقم (٢٢) وأبو داود (٤/ ٣٤٤ رقم ٤٠٨٤) وروى بعضه الترمذي (٥/ ٧٢ رقم ٢٧٢٢) وليس عندهم الشطر الذي فيه الشاهد.
وللحديث طرق ذكرها أحمد بن حنبل في «المسند» (٥/ ٦٣ ـ ٦٤) وليس فيه الشاهد.
وأورده الذهبي في «العلو» (ص٣٦) وقال: إسناد لين.
قلت فيه: عبد السلام بن عجلان قال عنه ابن حبان: يخطئ ويخالف. «لسان الميزان» (٤/ ١٦).

(٢) في صحيحه (١٠/ ٢٥٨ رقم ٥٧٨٩).

(٣) في صحيحه رقم (٦٩٨٢ ـ البغا).

(٤) عزاه إليه الذهبي في «العلو» (ص٤٨). وسكت عنه الذهبي.
قلت: وأخرجه اللالكائي رقم (١٢١٩) والدارمي في «الرد على الجهمية» (ص٢٦) بنحوه.
وقال ابن القيم في «الجيوش الإسلامية» (ص١٠٠): **إسناد صحيح**.

(٥) في «العلو» (ص٦٣ ـ ٦٤).
أخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» (ص٤٠١)، واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (٣/ ٤٣٨ ـ ٤٣٩ رقم ٦٥٩) وابن خزيمة في «التوحيد» (١/ ٢٤٢ ـ ٢٤٣ رقم ١٤٩/٦) والدارمي في «الرد على الجهمية» (ص٢٦ ـ ٢٧) وفي «الرد على المريسي» (ص٧٣، ٩٠، ١٠٥) وأبو الشيخ في «العظمة» (٢/ ٦٨٨ ـ ٦٨٩ رقم ٢٧٩/ ١٧) والطبراني في «الكبير» (٩/ ٢٢٨ رقم ٨٩٨٧) وابن عبد البر في «التمهيد» (٧/ ١٣٩) والبخاري في «خلق أفعال العباد» رقم (٨٣).
وأورده ابن القيم في «الصواعق المرسلة» (٤/ ١٤١٧) من طرق، **وهو موقوف على ابن مسعود بسند حسن**.

المنذرِ وأبو أحمدَ العسّالُ وأبو القاسمِ الطبرانيُّ وأبو الشيخِ وأبو القاسمِ اللالكائيُّ وأبو عمْرٍو الطلْمنكِيُّ وأبو بكرٍ البيهقيُّ وأبو عُمَر بنُ عبدِ البَرِّ في تواليفهم، وإسنادُه صحيح.

وأخرج ابنُ أبي شيبةَ[1] أن حسانَ بنِ ثابتٍ رضي الله عنه أنشد النبيَّ ﷺ:

شهِدتُ بإذن اللّهِ أن محمداً	رسولُ الذي فوق السمواتِ مِن علُ
وأن أخا الأحقافِ إذْ قام فيهمو	يقول بذات اللّهِ فيهم ويعدِلُ
وأن أبا يحيى ويحيى، كلاهما	له عملٌ من ربه مُتقبَّلُ

[تصريح القرآن والسنة بأن الله تعالى في السماء]

ومن ذلك التصريحُ بأنه تعالى في السماء قال الله تعالى: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ۝١٦ أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ فَسَتَعۡلَمُونَ كَيۡفَ نَذِيرِ ۝١٧﴾ [الملك].

وفي الصحيحين[2] عن أبي سعيدِ الخُدري رضي الله عنه قال: بَعث عليٌّ بن أبي طالب رضي الله عنه إلى رسول الله ﷺ من اليمن بذُهَيبَّة في أديم مقروضٍ لم تُحصّلْ من ترابها، قال: فقسمها بين أربعةِ نفرٍ: بين عُيينة بنِ بدرٍ، وأقرعَ بنِ حابسٍ، وزيدِ الخيل، والرابعُ إما علقمةُ وإما عامرُ بنُ الطُّفَيل، فقال رجلٌ من أصحابه: كنا نحن أحقَّ بهذا من هؤلاء، قال فبلغ ذلك النبيَّ ﷺ فقال: **«ألا تأمَنوني وأنا أمينُ مَن في السماء، يأتيني خبرُ السماءِ صباحاً ومساءً»**.

قال: فقام رجلٌ غائرُ العينين مُشرِفُ الوجنتين ناشرُ الجبهةِ كثُّ اللحيةِ محلوقُ الرأسِ مشمِّرُ الإزار فقال: يا رسولَ اللّهِ اتقِ الله؛ فقال ﷺ: **«ويلك، أوَ لستُ أحقَّ أهلِ الأرضِ أن يتقيَ الله؟»**، قال: فلما ولّى الرجلُ قال خالدُ بنُ

---

(١) في «المصنف» (٨/٥٠٧ ـ ٥٠٨).
قلت: وأخرجه ابن قدامة في «إثبات صفة العلو» رقم (٢٣) والذهبي في «العلو» (ص٤٠) وقال: **«وهذا مرسل»**.
وأورده الهيثمي في «المجمع» (١/٢٤) وقال: «رواه أبو يعلى **وهو مرسل**» اهـ.
(٢) البخاري (٦/٣٧٦ رقم ٣٣٤٤) ومسلم (٢/٧٤١ رقم ١٠٦٤).

الوليد: يا رسولَ الله ألا أضرِبُ عُنقَه؟ قال: «**لا، لعله أن يكون يُصلي**»، فقال خالد: وكم من مُصلٍ يقول بلسانِه ما ليس في قلبه، قال رسول الله ﷺ: «**إني لم أُومر أن أُنقبَ قلوبَ الناس ولا أشُقَّ بطونَهم**»، قال: ثم نظر إليه وهو مُقَفٍّ فقال: «**إنه يخرُج من ضِئْضِئِ هذا قومٌ يتلون كتابَ اللّهِ رَطْباً لا يجاوز حناجرَهم، يمرُقون من الدين كما يمرُق السهمُ من الرميَّة**». وأظنه قال: «**لئن أدركتُهم لأقتُلنَّهم قتلَ ثمودَ**».

وعن معاويةَ بنِ الحكمِ في حديثٍ طويلٍ قال: وكانت لي جاريةٌ ترعى غنماً لي قِبَل أُحدٍ والجوَّانيةِ[١]، فاطلعتُ ذاتَ يوم فإذا الذئبُ قد ذهب بشاة من غنمها، وأنا رجلٌ من بني آدمَ آسَفُ كما يأسَفون، لكني صككتُها صَكَّةً، فأتيتُ رسولَ الله ﷺ فعظُم ذلك عليَّ، قلتُ: يا رسولَ الله أفلا أعتِقُها؟ قال: «**ائتِني بها**»، فأتيتُه بها فقال لها: «**أين الله**»؟ قالت: في السماء، قال: «**من أنا**»؟ قالت: أنت رسولُ اللّهِ ﷺ، قال: «**أعتِقْها فإنها مؤمنةٌ**». أخرجه مسلمٌ[٢] وأبو داودَ[٣] والنسائيُّ[٤] وغيرُ واحدٍ من الأئمة في تصانيفهم[٥].

وعن أبي الدرداءِ رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**من اشتكى منكم شيئاً أو اشتكاه أخٌ له فليقل: ربَّنا اللّهَ الذي في السماء، تقدس اسمُك، أمرُك في السماء والأرض، كما رحمتُك في السماء فاجعل رحمتَك في الأرض، اغفِر لنا حُوبَنا وخطايانا، أنت ربُّ الطيبين، أنزلْ رحمةً من رحمتك وشفاءً من شفائك على هذا الوجع، فيبرأ**». رواه أبو داودَ[٦].

---

(١) الجوَّانية: موضع بقرب أحد، في شمال المدينة النبوية.
(٢) في صحيحه (١/ ٣٨١ ـ ٣٨٢ رقم ٣٣/ ٥٣٧).
(٣) في «السنن» (١/ ٥٧٠ ـ ٥٧٣ رقم ٩٣٠).
(٤) في «السنن» (٣/ ١٤ ـ ١٨ رقم ١٢١٨).
(٥) كأحمد في «المسند» (٥/ ٤٤٧، ٤٤٨ ـ ٤٤٩) والطيالسي في «المسند» (ص١٥٠ رقم ١١٠٥) واللالكائي (٣/ ٣٩١ ـ ٣٩٢ رقم ٦٥٢) وابن أبي عاصم في «كتاب السنة» (١/ ٢١٥ رقم ٤٨٩) والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص٤٢١ ـ ٤٢٢) وابن خزيمة في «كتاب التوحيد» (ص١٢١ ـ ١٢٢).
(٦) في «السنن» (٤/ ٢١٨ رقم ٣٨٩٢).
قلت: وأخرجه النسائي في «عمل اليوم والليلة» رقم (١٠٣٨) والحاكم (١/ ٣٤٤) وابن حبان في «المجروحين» (١/ ٣٠٨) وابن عدي في «الكامل» (٣/ ١٠٥٤) والدارمي في «الرد =

وعن عبد اللّهِ بنِ عمروٍ رضي الله عنهما قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**الراحمون يرحَمُهم الرحمن، ارحموا مَن في الأرض يرحمْكم من في السماء. الرحِمُ شَجنة من الرحمن، فمن وصلها وصله اللّهُ، ومن قطعها قطعه الله**». رواه الترمذي[1] وقال: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

= على المريسي (ص١٠٤)، والذهبي في «الميزان» (٢/ ٩٨).

قال الحاكم: قد احتج الشيخان بجميع رواته غير زيادة بن محمد وهو شيخ من أهل مصر قليل الحديث.

وقال ابن حبان: وزياد بن محمد هذا منكر الحديث جداً يروي المناكير عن المشاهير. فاستحق الترك.

وقال الذهبي عقب الحديث: فهذه ألفاظ منكرة لم يأت بها غير زيادة.

* وأخرجه النسائي في «عمل اليوم والليلة» رقم (١٠٣٥) من رواية طلق بن حبيب العنزي عن أبيه مرفوعاً.

قلت: وإسناده جيد إلى طلق، وحبيب العنزي والد الطلق مجهول الحال.

* وأخرجه النسائي في «عمل اليوم والليلة» رقم (١٠٣٦) من رواية طلق بن حبيب العنزي عن رجل من أهل الشام، عن أبيه مرفوعاً. **وإسناده جيد** إلى طلق ورجح الحافظ في «الإصابة» (١/ ٣١٠) هذا الطريق.

وخلاصة القول أن الحديث ضعيف، والله أعلم.

(١) في «السنن» (٤/ ٣٢٣ رقم ١٩٢٤) وقال: **حسن صحيح.**

قلت: وأخرجه أبو داود رقم (٤٩٤١) وأحمد (٢/ ١٦٠) والحميدي رقم (٥٩١) والدارمي في «الرد على المريسي» (ص١٠٤) والحاكم (٤/ ١٥٩) والبخاري في «الكنى» (ص٦٤) والخطيب في «تاريخ بغداد» (٣/ ١٦٠) وابن قدامة في «العلو» رقم (١) والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص٤٢٣).

كلهم من طريق سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن أبي قابوس مولى لعبد الله بن عمرو بن العاص، عن عبد الله بن عمرو.

وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

وفي سنده أبو قابوس. قال عنه الحافظ في «التقريب» رقم (٨٣٠٩) مقبول وللحديث شواهد.

منها: حديث جرير بن عبد الله.

أخرجه الطبراني في «الكبير» (٢/ ٣٥٥ رقم ٢٤٩٧). قال الذهبي في «العلو» (ص٢٠): رواته ثقات.

ومنها حديث عبد الله بن مسعود. أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٠/ ١٨٣ رقم ١٠٢٧٧) وفي «الصغير» (١/ ١٠١) والحاكم (٤/ ٢٤٨) وصححه ووافقه الذهبي.

وانظر الصحيحة رقم (٩٢٥). **والخلاصة: فالحديث صحيح.**

وله عن عِمرانَ بنِ حُصينٍ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ لأبي: **«يا حُصينُ كم تعبُد اليوم إلهاً؟»**، قال أبي: سبعةً، ستةً في الأرض وواحداً في السماء.

قال ﷺ: **«فأيُهم تُعِدّ لرغبتك ورهبتِك؟»**، قال: الذي في السماء. قال: **«يا حُصين أما أنك لو أسلمْتَ علمتُك كلمتين تنفعانِك»**، قال: فلما أسلمَ حُصينٌ قال: يا رسولَ اللّهِ علّمْني الكلمتين اللتين وعَدتني؛ فقال ﷺ: **«قل: اللهم ألهِمْني رُشدي، وأعِذْني من شر نفسي»**. قال الترمذي(١): هذا حديثٌ حسنٌ غريب، وقد رُوي هذا الحديثُ عن عمرانَ بنِ حُصينٍ من غير هذا الوجه.

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«والذي نفسي بيده ما من رجل يدعو امرأتَه إلى فراشها فتأبى عليه إلا كان الذي في السماء ساخطاً عليها حتى يرضى عنها»**. رواه مسلم في صحيحه(٢).

---

(١) في «السنن» (٥/ ٥١٩ ـ ٥٢٠ رقم ٣٤٨٣).
قلت: وأخرجه الدارمي في «الرد على المريسي» (ص٢٤) والطبراني في «الكبير» (١٨/ ١٧٤ رقم ٣٩٦) والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص٤٢٤).
كلهم من طريق أبي معاوية عن شبيب بن شيبة عن الحسن البصري، عن عمران بن حصين.
قلت: شبيب بن شيبة ضعيف بل قال الدارقطني: متروك. والحسن البصري لم يسمع من عمران بن حصين كما قال ابن المديني. وكذلك الحسن مدلس وقد عنعن.
* وأخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» (١/ ٢٧٧ ـ ٢٧٨ رقم ١٩/ ١٧٧) والذهبي في «العلو» (ص٢٣ ـ ٢٤).
كليهما من طريق عمران بن خالد بن طليق بن محمد بن عمران بن حصين قال: حدثني أبي عن أبيه عن جده وإسناده ضعيف.
قلت: عمران بن خالد بن طُليق... قال أحمد: متروك الحديث، وقال أبو حاتم: ضعيف. وقال ابن حبان: لا يجوز الاحتجاج به. [الميزان (٣/ ٢٣٦) واللسان (٤/ ٣٤٥)].
أما خالد بن طليق... قال الدارقطني: ليس بالقوي، وذكر ابن أبي حاتم، ولم يذكره بشيء، وقال الساجي: صدوق يهم. وعده ابن حبان في الثقات.
[الميزان (١/ ٦٣٣) ولسان الميزان (٢/ ٣٧٩)].
وأما طليق بن محمد... قال الدارقطني: لا يحتج به. وقال الذهبي: طليق بن محمد عن عمران بن حصين منقطع.
وخلاصة القول أن حديث عمران بن حصين ضعيف، والله أعلم.
(٢) (٢/ ١٠٦٠ رقم ١٤٣٦).

وعن ابن عمرَ رضي الله عنهما قال: كنا جلوساً ذاتَ يوم بفِناء رسولِ اللّهِ ﷺ إذ مرت امرأةٌ من بناته، فقال أبو سفيان: ما مثلُ محمدٍ في بني هاشمٍ إلا كمثل الريحانةِ في وسط الزّبْل. فسمعتْ فأبلغَتْه رسولَ الله ﷺ، فخرج فصعِدَ على منبره وقال: **«ما بالُ أقوامٍ تُبلّغني عن أقوام، إن اللّهَ خلقَ سمواتٍ سبعاً فاختار العُليا فسكنها، وأسكن سمواتِه مَن شاء من خلقه، ثم اختار خلقَه فاختار بني آدمَ فاختار العربَ فاختار مُضَرَ فاختار قريشاً فاختار بني هاشم فاختارني، فلم أزَلْ خياراً من خيار، فمن أحبَّ قريشاً فبحُبّي أحبهم، ومن أبغَض العربَ فببغضي أبغضهم»**. قال الذهبي[1]: هو حديثٌ منكَرٌ رواه جماعةٌ في كتب السنة وأخرجه ابنُ خُزيمةَ في كتاب التوحيد.

وعن أبي هريرةَ رضي الله عنه أن رسولَ الله ﷺ قال: **«الميتُ تحضُره الملائكة؛ فإذا**

---

(١) في «العلو» (ص٢٣).

قلت: وأخرجه الطبراني في «الكبير» (١٢/ ٤٥٥ رقم ١٣٦٥٠) والعقيلي في «الضعفاء» (٤/ ٣٨٨) وابن عدي (٢/ ٥٥٥) و(٦/ ٢٢٠٧) وأبو نعيم في «دلائل النبوة» (١/ ٦٧) والحاكم (٤/ ٧٣ ـ ٧٤) وابن قدامة في «العلو» (ص١١٧ ـ ١١٨).

من طريقين عن محمد بن ذكوان عن عمرو بن دينار عن ابن عمر مرفوعاً.

قلت: وهذا إسناده ضعيف جداً.

محمد بن ذكوان: قال النسائي: ليس بثقة. وضعفه الدارقطني، وغيره (الميزان: ٣/ ٥٤٢) و«الضعفاء والمتروكين» للدارقطني (ص٣٤٨).

وأورد الحديث ابن أبي حاتم في «العلل» (٢/ ٣٦٧ ـ ٣٦٨) وقال عن أبيه: «إنه حديث منكر».

كما أورده الهيثمي في «المجمع» (٨/ ٢١٥) وقال: فيه حماد بن واقد وهو ضعيف يعتبر به، وبقية رجاله وثقوا.

قلت: لقد فات الهيثمي رحمه الله العلة الثانية وهي ضعف محمد بن ذكوان، لأن الطرق التي فيها حماد بن واقد كانت رواية حماد عن محمد بن ذكوان أيضاً.

وأخرجه الحاكم (٤/ ٨٦ ـ ٨٧) من طريق أخرى عن عمرو بن دينار عن سالم بن عبد الله عن ابن عمر مرفوعاً مختصراً.

وقال الألباني في «الضعيفة» (١/ ٥١٣): وفي سنده أبو سفيان زياد بن سهيل الحارثي، ولم أجد له ترجمة.

والخلاصة: فالحديث منكر، والله أعلم.

كان الرجلُ الصالحُ قالوا: اخرُجي أيتها النفسُ المطمئنةُ كانت في الجسد الطيّبِ، اخرُجي حميدةً وأبشري برَوحٍ ورَيحانٍ وربٍّ غيرِ غضبانَ. فيقولون ذلك حتى يُعرَجَ بها إلى السماء التي فيها اللّهُ عز وجل». وذكر باقي الحديث.

رواه أحمدُ[1] والنَّسائيُّ[2] وابنُ ماجه[3] وابنُ جريرٍ واللفظُ له[4]، وفي الباب أحاديثُ تأتي إن شاءَ اللّهُ تعالى في ذكر الموتِ وفتنةِ القبر.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسولَ الله ﷺ قال: «**لما أُسريَ بي مررتُ برائحة طيبة، فقلت: يا جبريلُ ما هذه الرائحةُ الطيبة؟ قال: هذه رائحةُ ماشطةَ ابنةِ فرعونَ وأولادُها كانت تمشُطُها فوقع المُشطُ من يدها، فقالت: بسم الله تعالى، فقالت ابنتُه: أبي؟ قالت: لا، ولكن ربي وربُّ أبيكِ اللّهُ. فقالت: أُخبرُ بذلك أبي؟ قالت: نعم؛ فأخبرتْه فدعا بها فقال: من ربُّك، هل لك ربٌّ غيري؟ قالت: ربي وربُك الله الذي في السماء. فأمر ببقرة من نُحاس فأُحميت ثم دعا بها وبولدها فألقاهما فيها**». وساق الحديث بطوله. رواه الدارمي[5] وأبو يعلى المَوْصليُّ[6]، وقال الذهبي[7]: هذا حديثٌ حسنُ الإسناد.

---

(١) في «المسند» (٨/ ٤١٤ رقم ٨٧٥٤ ـ شاكر). وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح.

(٢) في «السنن الكبرى» كما في «تحفة الأشراف» (١٠/ ٧٨).

(٣) في «السنن» (٢/ ١٤٢٦ رقم ٤٢٦٨).

(٤) في «جامع البيان» (١٢/ ٤٢٤ ـ ٤٢٥ رقم ١٤٦١٥).
قلت: وأخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» (١/ ٢٧٣ رقم ١١/ ١٧٥).
وأورده الذهبي في «العلو» (ص٢٢) وعزاه لأحمد والحاكم وقال: على شرط البخاري ومسلم.
وقال الألباني في «مختصر العلو» (ص٨٥) بعدما ذكر قول الذهبي: وهو كما قال.
وأورده السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٨٣) وزاد نسبته إلى ابن حبان، والبيهقي في البعث.
وخلاصة القول أن الحديث صحيح، والله أعلم.

(٥) في «الرد على الجهمية» (ص٢٥): وقال الألباني: رجاله ثقات إلا أن عطاء بن السائب كان اختلط، وقد روى عنه حماد في الاختلاط.
قلت: بل قبل الاختلاط عند جمع من الأئمة.

(٦) لم أجده في مسند أبي يعلى الموصلي.

(٧) في «العلو» (ص٤٥ ـ ٤٦).

وعن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«لما أُلقيَ إبراهيمُ عليه السلام في النار قال: اللهم إنك واحدٌ في السماء وأنا واحدٌ في الأرض أعبُدك»**. رواه الدارمي في النقض[1]، وقال الذهبي[2]: حسنُ الإسناد.

وعن أبي هريرةَ رضي الله عنه عن النبي ﷺ: **«إذا أحب اللّهُ العبدَ نادى جبريلَ إن اللّهَ يحب فلاناً فأَحِبَّه فيُحبّه جبريلُ، فينادي جبرائيلُ في أهل السماءِ إن الله يحب فلاناً فأَحِبّوه، فيُحِبه أهلُ السماء، ثم يوضع له القَبولُ في الأرض»**. رواه البخاريُّ[3].

وعن النوّاس بن سَمعانَ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«إذا أراد اللّهُ أن يوحِيَ بالأمر تكلم بالوحي أخذت السمواتُ منه رجْفةً أو قال رِعدةً شديدةً خوفاً من الله عز وجل، فإذا سمع ذلك أهلُ السموات صُعِقوا وخروا لله سجداً، فيكون أولُ من يرفع رأسه جبريلَ عليه السلام فيكلمه اللّهُ تعالى مِن وحيه بما أراد، ثم يمر جبريلُ على الملائكة كلما مر بسماء سأله ملائِكتُها: ماذا قال ربُّنا يا جبريلُ؟ فيقول: قال الحقَّ وهو العليُّ الكبير، فيقولون كلُّهم مثلَ ما قال جبريلُ، فينتهي**

= **قلت**: وأخرجه أحمد في «المسند» (١/ ٣٠٩ ـ ٣١٠) ومن طريق أحمد هذه، أخرجه الطبراني في «الكبير» (١١/ ٤٥١ رقم ١٢٢٨٠) و (١١/ ٤٥٠ ـ ٤٥١ رقم ١٢٢٧٩) وابن حبان في «الإحسان» (٧/ رقم ٢٩٠٣، ٢٩٠٤) والبزار (١/ ٣٧ ـ ٣٨ رقم ٥٤ ـ كشف) والحاكم (٢/ ٤٩٦) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٣٨٥).
وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي، وهو كما قالا.
وأورده السيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ١٥٠) وقال: «وأخرج أحمد، والنسائي والبزار، والطبراني، وابن مردويه، والبيهقي في الدلائل بسند صحيح عن ابن عباس...» وذكر الحديث.

(١) وفي «الرد على الجهمية» (ص٢٥).
وأخرجه البزار (٣/ ١٠٣ رقم ٢٣٤٩ ـ كشف) والخطيب في «تاريخ بغداد» (١٠/ ٣٤٦) وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ١٩).
وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ٢٠١) وقال: «رواه البزار، وفيه عاصم بن عمر بن حفص، وثقه ابن حبان. وقال: يخطئ ويخالف، وضعفه الجمهور» اهـ.
قلت: وفيه أبو جعفر الرازي وهو سيء الحفظ.
(٢) في «العلو» (ص٢١).
(٣) في صحيحه (١٣/ ٤٦١ رقم ٧٤٨٥).
قلت: وأخرجه مسلم (٤/ ٢٠٣٠ رقم ١٥٧/ ٢٦٣٧).

جبريلُ بالوحي إلى حيث أمره اللّهُ عز وجل». رواه ابنُ جريرٍ[1] وابنُ خزيمةَ[2] والطبرانيُّ[3] وابنُ حاتمٍ واللفظُ له[4].

ومن ذلك التصريحُ باختصاص بعض الأشياءِ بأنها عنده، قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٦]. وقال تبارك وتعالى: ﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ [الأنبياء: ١٩]. وقال تبارك وتعالى: ﴿فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ﴾ [فصلت: ٣٨].

وقال تبارك وتعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩]. وقال تبارك وتعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ﴾ [التحريم: ١١]. الآية.

وفي الصحيحين[5] عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إن الله لما قضى الخلقَ كتب عنده فوق عرشِه إن رحمتي سبقتْ غضبي**».

---

(١) في «جامع البيان» (١٢/ج٢٢/ ٩١).
(٢) في «التوحيد» (١/ ٣٤٨ ـ ٣٤٩ رقم ١/ ٢٠٦).
(٣) كما في «المجمع» (٧/ ٩٤ ـ ٩٥) وقال الهيثمي: «رواه الطبراني عن شيخه يحيى بن عثمان بن صالح، وقد وثق، وتكلم فيه من لم يسم بغير قادح معين، وبقية رجاله ثقات».
(٤) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٦٩٨).
قلت: وأخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (١/ ٢٢٧) ومحمد بن نصر المروزي في «تعظيم الصلاة» (١/ ٢٣٦) والآجري في «الشريعة» (ص٢٩٤) وأبو الشيخ في «العظمة» (٢/ ٥٠١) والبغوي في تفسيره (٦/ ٣٩٨) والبيهقي في «الأسماء والصفات» (١/ ٥١١ رقم ٤٣٥).
قال الألباني في «ظلال الجنة» (١/ ٢٢٧): «إسناده ضعيف، نعيم بن حماد سيء الحفظ، خرج له البخاري مقروناً بغيره واتهمه الأزدي. وقال الحافظ في «التقريب»: «صدوق يخطئ كثيراً» والوليد بن مسلم ثقة، لكنه كان يدلس تدليس التسوية. وسائر رجاله ثقات. . .
وقال أبو زرعة الدمشقي: عرضت على دحيم حديثاً حدثناه نعيم بن حماد عن الوليد بن مسلم. . . (قلت: فذكر هذا الحديث)، فقال دحيم: لا أصل له» اهـ.
وخلاصة القول أن الحديث ضعيف، والله أعلم.
(٥) البخاري (١٣/ ٣٨٤ رقم ٧٤٠٤) ومسلم (٤/ ٢١٠٧ رقم ٢٧٥١).

ولمسلم[1] عنه في حديث طويلٍ: «**وما اجتمع قومٌ في بيت من بيوت اللَّهِ يتلون كتابَ اللَّهِ ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينةُ، وغشِيتهم الرحمةُ، وحفّتهم الملائكةُ، وذكرهم الله فيمن عنده**».

وفيهما[2] عنه ﷺ قال: قال النبيُّ ﷺ: «**يقول الله تعالى: أنا عند ظنِّ عبدي بي، فأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرتُه في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرتُه في ملأ خيرٍ منهم، وإن تقرّب إليَّ شِبراً تقربت إليه ذِراعاً، وإن تقرّب إليّ ذراعاً تقربت منه باعاً، وإن أتاني يمشي أتيتُه هَرْولةً**».

وفي صحيح مسلم[3] عن جابر بنِ سَمُرةَ ﷺ قال: خرج علينا رسولُ الله ﷺ، وذكرَ الحديثَ إلى أن قال: ثم خرج علينا فقال: «**ألا تصِفُّون كما تصِفُّ الملائكةُ عند ربِّها**»؟ فقلنا: يا رسولَ الله وكيف تصفّ الملائكةُ عند ربها؟ قال: «**يتِمّون الصفوفَ الأُوَلَ ويتراصّون في الصف**».

ولهما[4] عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**احتج آدمُ وموسى عند ربِّهما عز وجل، فحجَّ آدمُ موسى**». وذكر الحديث وسيأتي إن شاء الله بتمامه.

ومن ذلك الرفعُ والصعودُ والعروجُ إليه وهو أنواع:

منها: رفعُه عيسى عليه السلام، قال الله تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾﴾ [النساء]. وقال تبارك وتعالى: ﴿يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [آل عمران: ٥٥].

وسيأتي إن شاء الله تعال ذكرُ الأحاديثِ الواردةِ في نزوله إلى الأرض حَكماً عدْلاً في آخر هذه الأمةِ بشريعةِ نبيِّهم محمدٍ ﷺ في أشراط الساعة.

ومنها: صعودُ الأعمالِ إليه كما قال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠].

---

(١) في صحيحه (٤/ ٢٠٧٤ رقم ٢٦٩٩).
(٢) البخاري (١٣/ ٣٨٤ رقم ٧٤٠٥) ومسلم (٤/ ٢٠٦٧ رقم ٢٦٧٥).
(٣) في صحيحه (١/ ٣٢٢ رقم ٤٣٠).
(٤) البخاري: (١١/ ٥٠٥ رقم ٦٦١٤) ومسلم (٤/ ٢٠٤٢ رقم ١٣/ ٢٦٥٢).

وفي صحيح البُخاريّ[1] عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«من تصدَّق بعَدْل تمرةٍ من كسبٍ طيب - ولا يصعد إلى الله إلا الطيبُ - فإن الله تعالى يتقبَلها بيمينه، ثم يربّيها لصاحبها كما يربي أحدُكم فُلُوَّه حتى تكون مثلَ الجبل»**.

ورواه مسلم[2] أيضاً والنَّسائي[3] والتِرمِذيُّ[4] وابنُ ماجه[5] وابنُ خُزيمةَ في صحيحه[6].

وعن النُعمان بنِ بشيرٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«الذين يذكرُون من جلال اللَّهِ عز وجل من تسبيحه وتكبيرِه وتحميدِه وتهليلِه يتعاطَفن حول العرشِ لهن دويٌّ كدويّ النحلِ يذكرْنَ بصاحبهن، ألا يُحب أحدُكم أن لا يزالَ له عند الله شيءٌ يُذكر به»**. رواه أحمدُ[7] وابنُ ماجه[8].

وعن ابن عمرَ رضي الله عنهما قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«اتقوا دعوةَ المظلومِ فإنها تصعَد إلى الله عز وجل كأنها شرارةٌ»**. قال الذهبي[9]: غريبٌ وإسناده جيد.

---

(١) في صحيحه (٣/ ٢٧٨ رقم ١٤١٠).

(٢) في صحيحه (٢/ ٧٠٢ رقم ١٠١٤).

(٣) في «السنن» (٥/ ٥٧).

(٤) في «السنن» (٣/ ٤٩ - ٥٠ رقم ٦٦١).

(٥) في «السنن» (١/ ٥٩٠ رقم ١٨٤٢).

(٦) في صحيحه (٤/ ٩٢ - ٩٣ رقم ٢٤٠٢).

(٧) في «المسند» (٤/ ٢٦٨).

(٨) في «السنن» (٢/ ١٢٥٢ رقم ٣٨٠٩).
وقال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (٣/ ١٩٣ رقم ١٣٣٣/ ٣٨٠٩): «هذا إسناد صحيح رجاله ثقات، وأخو عوف اسمه عبيد الله بن عتبة.
رواه ابن أبي الدنيا، والحاكم (١/ ٥٠٣) وقال: «صحيح على شرط مسلم - ووافقه الذهبي -.
ورواه مسدد في مسنده عن يحيى بن سعيد القطان بإسناده ومتنه.
ورواه أبو بكر بن أبي شيبة في مسنده عن أبي نمير موسى بإسناده ومتنه» اهـ.
وخلاصة القول أن الحديث صحيح، والله أعلم.

(٩) في «العلو» (ص٢٧).
قلت: وأخرجه الحاكم (١/ ٢٩) وقال: «قد احتج مسلم بعاصم بن كليب والباقون من رواة هذا الحديث متفق على الاحتجاج بهم ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي.
قلت: والحديث على شرط مسلم.

وفي الصحيحين[1] من حديث معاذِ بنِ جبلٍ رضي الله عنه مرفوعاً: «**اتقِ دعوةَ المظلومِ فإنه ليس بينها وبين الله حجاب**».

وعن أبي موسى الأشعريِّ[2] رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «**إن الله لا ينام، ولا ينبغي له أن ينامَ، يخفِضُ القِسْطَ ويرفعُه، يُرفعُ إليه عملُ الليلِ قبلَ النهارِ وعملُ النهارِ قبل الليل، حجابُه النورُ لو كشفه لأحرقتْ سُبحاتُ وجهِه ما انتهى إليه بصرُه من خلقه**». وفي ذلك أحاديثُ لا تحصى في الصحيحين وغيرِهما.

ومنها: صعودُ الأرواحِ إلى الله عز وجل، أعني أرواحَ المؤمنين، قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠].

وروى الإمامُ أحمدُ[3] من حديث البراءِ بنِ عازبٍ الطويلِ في قبض الروحِ، وفيه قال: «**إن العبدَ المؤمنَ إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبالٍ من الآخرة نزل إليه ملائكةٌ من السماء بيضُ الوجوه، كأن وجوهَهم الشمسُ، معهم كفنٌ من أكفان الجنةِ وحَنوطٌ من حَنوط الجنة، حتى يجلِسوا منه مدَّ البصر، ثم يجيء ملكُ الموتِ حتى يجلِسَ عند رأسه فيقول: أيتها النفسُ الطيبةُ اخرُجي إلى مغفرة من الله ورضوان، قال: فتخرُج فتسيل كما تسيل القَطرةُ مِنْ فيِّ السقاء فيأخذها، فإذا أخذها لم يدَعوها في يده طرفة عينٍ حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفنِ وفي ذلك الحنوطِ، ويخرج منها كأطيبِ نفحةِ مسكٍ على وجه الأرض، قال: فيصعدون بها فلا يمرون على ملأ من الملائكة إلا قالوا ما هذه الروحُ الطيبةُ، فيقولون فلانُ بنُ فلانٍ بأحسن أسمائِه التي كانوا يسمونه في الدنيا حتى ينتهوا إلى سماء الدنيا**

---

(١) البخاري في صحيحه (٨/ ٦٤ رقم ٤٣٤٧) ومسلم (١/ ٥٠ رقم ١٩).

(٢) أخرجه مسلم (١/ ١٦١ ـ ١٦٢ رقم ١٧٩).

(٣) في «المسند» (٤/ ٢٨٧ ـ ٢٨٨، ٢٨٨).

قلت: وأخرجه الحاكم في «المستدرك» (١/ ٣٧ ـ ٣٨) وصححه ووافقه الذهبي.

وأبو داود (٥/ ١١٤ ـ ١١٦ رقم ٤٧٥٣) والطيالسي في مسنده رقم (٧٥٣).

وأورده الهيثمي في «المجمع» (٣/ ٤٩ ـ ٥٠) وقال الهيثمي: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح اهـ.

وخلاصة القول أن الحديث صحيح، والله أعلم.

فيستفتحون له فيُشيّعه مِنْ كل سماءٍ مُقرّبوها إلى السماء التي تليها، حتى ينتهوا بها إلى السماء السابعةِ، فيقول الله تعالى: «اكتُبوا كتابَ عبدي في عليّين وأعيدوه إلى الأرض، فإني منها خلقتُهم وفيها أعيدهم ومنها أُخرجهم تارةً أخرى». وذكر الحديثَ، وسيأتي إن شاء الله بطوله.

وقد تقدم حديثُ أبي هريرةَ في ذلك، وفيه أحاديث جمّةٌ سنذكر منها ما يسره اللّهُ تعالى في بابه إن شاء الله.

ومنها: عروجُ الملائكةِ والروحِ إليه، قال الله تبارك وتعالى: ﴿مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ۝٣ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٣ ـ ٤].

وفي الصحيحين[(١)] عن أبي هريرةَ ﷺ أن رسولَ الله ﷺ قال: «يتعاقبون فيكم ملائكةٌ بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاةِ العصرِ وصلاةِ الفجر، ثم يعرُج الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم بهم فيقول: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلّون وأتيناهم وهم يصلّون».

وعنه ﷺ عن النبي ﷺ قال: «إن لله تبارك وتعالى ملائكةً يطوفون في الطُرق يلتمسون أهلَ الذكر، فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله تعالى تنادَوا هلُمّوا إلى حاجتكم، قال: فيَحفّونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا، قال: فيسألهم ربُهم عز وجل وهو أعلمُ منهم: ما يقول عبادي؟ قال: يقولون: يسبُحونك ويكبّرونك ويحمَدونك ويمجّدونك، قال: فيقول تعالى: هل رأَوْني؟ قال: فيقولون: لا واللّهِ ما رأوك.

قال: فيقول: وكيف لو رأَوني؟ قال: يقولون: لو رأَوك كانوا لك أشدَّ عبادةً وأشدَّ لك تمجيداً وأكثرَ لك تسبيحاً، قال: يقول: فما يسألوني؟ قال: يقولون: يسألونك الجنةَ، قال: يقول: وهل رأَوها؟ قال: يقولون: لا واللّهِ يا ربِّ ما رأَوها، قال: يقول: فكيف لو أنهم رأَوها؟ قال: يقولون: لو أنهم رأَوْها كانوا أشدَّ عليها حرصاً وأشدَّ لها طلباً وأعظمَ فيها رغبة.

قال: فمِمَّ يتعوّذون؟ قال: يقولون: من النار، قال: يقول: وهل رأَوْها؟ قال: يقولون: لا والله ما رأَوها، قال: يقول: كيف لو رأَوها، قال: يقولون: لو

---

(١) البخاري (٢/ ٣٣ رقم ٥٥٥) ومسلم (١/ ٤٣٩ رقم ٦٣٢).

رأوها كانوا أشدَّ منها فراراً وأشدَّ لها مخافةً، قال: فيقول: فأُشهدكم أني قد غفَرْت لهم، قال: يقول ملكٌ من الملائكةِ: فيهم فلانٌ ليس منهم، إنما جاء لحاجة، قال: هم الجلساءُ لا يشقى بهم جليسُهم».

متفق عليه[1] وهذا لفظ البخاريِّ.

وعنه رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «كان ملكُ الموتِ يأتي الناسَ عِياناً، فأتى موسى عليه الصلاة والسلام فلطَمه فذهب بعينه، فعرج إلى ربه عز وجل فقال: يا ربِّ بعثْتَني إلى موسى فلطمني فذهب بعيني، ولولا كرامتُه عليك لشقْقتُ عليه.

قال: ارجِعْ إلى عبدي فقل له فليضَعْ يدَه على ثور فله بكل شعرةٍ وارتْ كفُّه سنةٌ يعيشها، فأتاه فبلّغه ما أمره، فقال: ثم ماذا بعد ذلك؟ قال: الموتُ، قال: الآن، فشمّه شمَّةً قبض فيها روحَه، ورد اللّهُ على ملك الموتِ بصرَه».

وفي لفظ: «فلطم عينَه ففَقَأها فرجعَ فقال: أرسلْتَني إلى عبد لا يريد الموتَ، فرد اللّهُ عليه عينَه وقال: ارجِع إلى عبدي فقل له إن كنت تريد الحياةَ فضع يدك على متْنِ ثورٍ.

وفيه: «قال: يا ربِّ فالآنَ، وقال: رب أدْنِني من الأرض المقدسة رمْية بحجر، قال رسولُ الله ﷺ: «لو كنتُ ثَمَّ لأريتُكم قبرَه إلى جانب الطريقِ عند الكثيبِ الأحمر». متفق عليه[2].

ومن ذلك مِعراجُ نبيِّنا محمدٍ ﷺ إلى سِدْرة المُنتهى وإلى حيث شاء الله عز وجل، كما ثبتت به الأحاديثُ الصحيحةُ المشهورةُ في الصحيحين[3] وغيرِهما.

---

(١) البخاري (١١/٢٠٨ ـ ٢٠٩ رقم ٦٤٠٨) ومسلم (٤/٢٠٦٩ ـ ٢٠٧٠ رقم ٢٦٨٩).

(٢) البخاري (٣/٢٠٦ ـ ٢٠٧ رقم ١٣٣٩) و (٦/ ٤٤٠ ـ ٤٤١ رقم ٣٤٠٧) ومسلم (٤/ ١٨٤٢ رقم ٢٣٧٢).

(٣) منها: حديث مالك بن صعصعة.
فقد أخرجه البخاري (٧/ ٢٠١ رقم ٣٨٨٧) ومسلم (١/ ١٤٩ رقم ١٦٤) والنسائي (١/ ٢١٧ ـ ٢٢١ رقم ٤٤٨).
ومنها: حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.
فقد أخرجه البخاري (١٣/ ٤٧٨ رقم ٧٥١٧) ومسلم (١/ ١٤٥ رقم ١٦٢) والنسائي (١/ ٢٢١ رقم ٤٤٩).
=

قال البخاريُّ[1] رحمه الله تعالى: بابُ المعراج. حدثنا هُدبةُ بنُ خالدٍ حدثنا همامُ بنُ يحيى حدثنا قَتادةُ عن أنس بنِ مالكٍ ﵁ عن مالك بنِ صَعْصعةَ ﵁ أن نبيَّ الله ﷺ حدثهم عن ليلة أُسريَ به قال: «**بينما أنا نائمٌ في الحَطيم** - وربما قال في الحِجْر مضطجعاً - **إذ أتاني آتٍ فقدَّ، قال: وسمعتُه يقول: فشُقَّ ما بين هذه إلى هذه.**

فقلت للجارود وهو إلى جنبي: قال: مِن ثَغرة نحْرِه إلى شِعْرته وسمعتُه يقول: **من قَصّه إلى شِعرته فاستخرجِ قلبي، ثم أُتيت بطَسْت من ذهب مملوءةٍ إيماناً فغَسل قلبي ثم حُشيَ ثم أُعيد. ثم أُتيت بدابة دون البغلِ وفوق الحمارِ أبيضَ،** فقال له الجارود: هو البُراقُ يا أبا حمزةَ؟

فقال أنس: نعم يضع خَطوه عند أقصى طرفِه.

فحُملتُ عليه فانطلق بي جبريلُ حتى أتى السماءَ الدنيا فاستفتح فقيل: مَن هذا؟ قال: جبريلُ. قيلَ: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: وقد أُرسِل إليه؟ قال: نعم. قيل: مرحباً به فنِعم المجيءُ جاء. ففتح فلما خلَصْتُ فإذا فيها آدمُ فقال: هذا أبوك آدمُ فسلِّم عليه، فسلمتُ عليه فردَّ السلامَ ثم قال: مرحباً بالابن الصالحِ والنبيِّ الصالح.

ثم صعِد حتى أتى السماءَ الثانيةَ فاستفتح، قيل: مَن هذا؟ قال: جبريلُ. قيل: ومَن معك؟ قال: محمدٌ ﷺ. قيل: وقد أُرسِل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحباً به فنعم المجيءُ جاء، ففتح فلما خلصتُ إذا بيحيى وعيسى وهما ابنا الخالة، قال: هذا يحيى وعيسى فسلِّم عليهما، فسلمتُ فردّا ثم قالا: مرحباً بالأخِ الصالحِ والنبيِّ الصالحِ.

= ومنها: حديث أبي ذر ﵁.
فقد أخرجه البخاري (١/ ٤٥٨ رقم ٣٤٩) ومسلم (١/ ١٤٨ رقم ١٦٣).
ومنها: حديث ابن مسعود ﵁.
فقد أخرجه مسلم (١/ ١٥٧ رقم ١٧٣) والنسائي (١/ ٢٢٣ - ٢٢٤ رقم ٤٥١) والترمذي (٥/ ٣٩٣ - ٣٩٤ رقم ٣٢٧٦). وقال: حديث حسن صحيح.

(١) في صحيحه (٧/ ٢٠١ رقم ٣٨٨٧) وقد تقدم تخريجه في التعليقة السابقة.

ثم صعِدتُ إلى السماء الثالثةِ فاستفتح، قيل: من هذا؟ قال: جبريلُ، قيل: ومن معك؟ قال: محمد ﷺ، قيل: وقد أُرسِل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحباً به فنعم المجيءُ جاء، ففتح فلما خلصتُ إذا يوسفُ، قال: هذا يوسفُ فسلم عليه، فسلمتُ عليه فرد، ثم قال: مرحباً بالأخ الصالحِ والنبيّ الصالح.

ثم صعِد بي حتى أتى السماءَ الرابعةَ فاستفتح. قيل مَن هذا؟ قال: جبريلُ. قيل: ومن معك؟ قال: محمدٌ ﷺ. قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم. قيل: مرحباً به فنعم المجيءُ جاء. ففتح فلما خلصتُ إذا إدريسُ. قال: هذا إدريسُ فسلم عليه. فسلمتُ عليه فرد. ثم قال: مرحباً بالأخ الصالحِ والنبيّ الصالحِ.

ثم صعد بي حتى أتى السماءَ الخامسةَ فاستفتح. قيل: من هذا؟ قال: جبريلُ. قيل: ومن معك ؟ قال: محمد ﷺ. قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم. قيل: مرحباً به فنعم المجيءُ جاء. فلما خلصتُ فإذا هارون. فقال: هذا هارون فسلّم عليه. فسلمتُ عليه فرد. ثم قال: مرحباً بالأخ الصالحِ والنبيّ الصالحِ.

ثم صعِد بي حتى أتى السماءَ السادسةَ فاستفتح قيل: مَن هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد ﷺ. قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم. قيل: مرحباً به فنعم المجيءُ جاء. فلما خلصتُ فإذا موسى. قال: هذا موسى فسلّم عليه. فسلمتُ عليه فرد. ثم قال: مرحباً بالأخ الصالح والنبيّ الصالحِ. فلما تجاوزتُ بكى. قيل له: ما يُبكيك. قال: أبكي لأن غلاماً بُعث بعدي يدخُل الجنةَ من أمته أكثرُ مما يدخُلها من أمتي.

ثم صعِد بي إلى السماء السابعةِ فاستفتح جبريلُ. قيل: مَن هذا؟ قال: جبريل. قيل ومن معك؟ قال: محمد. قيل: وقد أرسل إليه؟ قال: نعم. قال: مرحباً به فنعم المجيءُ جاء. فلما خلصتُ فإذا إبراهيمُ. قال: هذا أبوك فسلم عليه. قال: فسلمتُ عليه فرد السلام. قال: مرحباً بالابن الصالحِ والنبيّ الصالحِ.

ثم رُفِعتُ إلى سِدرة المنتهى فإذا نبقُها مثلُ قِلال هَجَر، وإذا أوراقُها مثلُ آذانِ الفِيَلةِ. قال: هذه سِدرةُ المنتهى، وإذا أربعةُ أنهارٍ: نهرانِ ظاهران ونهران باطنان. فقلت: ما هذا يا جبريلُ؟ قال: أما الباطنان فنهران في الجنة، وأما الظاهران فالنيلُ والفراتُ.

ثم رُفع لي البيتُ المعمورُ، ثم أُتيت بإناء من خمر وإناءٍ من لبن وإناءٍ من عسل، فأخذتُ اللبنَ فقال: هي الفِطرةُ أنت عليها وأمتُك.

ثم فُرضت عليَّ الصلوات خمسين صلاةً كلَّ يوم، فرجعتُ فمررت على موسى فقال: بِمَ أُمرت؟ قال: أُمرتُ بخمسين صلاةً كلَّ يوم، قال: إن أمتَك لا تستطيع خمسين صلاةً كلَّ يوم، وإني واللَّهِ قد جرَّبتُ الناسَ قبلك وعالجتُ بني إسرائيلَ أشدَّ المعالجة، فارجعِ إلى ربك فاسأله التخفيفَ لأمتك، فرجعْتُ فوضع عني عشراً، فرجعت إلى موسى فقال مثله، فرجعت فوضع عني عشراً، فرجعتُ إلى موسى فقال مثلَه، فرجعت فوضع عني عشراً، فرجعتُ إلى موسى فقال مثله، فرجعتُ فأُمرت بعشر صلواتٍ كلَّ يوم، فرجعتُ فقال مثله، فرجعتُ فأُمرت بخمس صلواتٍ كلَّ يوم، فرجعت إلى موسى فقال: بِمَ أمرت؟ قلت: أُمرت بخمس صلواتِ كل يوم، قال: إن أمتك لا تستطيع خمسَ صلواتٍ كلَّ يوم، وإني قد جرَّبتُ الناسَ قبلك وعالجتُ بني إسرائيلَ أشدَّ المعالجة فارجِع إلى ربك فاسأله التخفيفَ لأمتك.

قال: سألتُ ربي حتى استحيَيتُ ولكني أرضى وأسلِّم. قال: فلما جاوزتُ ناداني منادٍ: أمضيتُ فريضتي وخففتُ عن عبادي.

ومن ذلك التصريحُ بنزوله تبارك وتعالى كما في الصحيحين[1] عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ينزِلُ ربُّنا كلَّ ليلةٍ إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلثُ الليلِ الآخِرُ فيقول: مَن يدعوني فأستجيبُ له، من يسألني فأُعطِيه، من يستغفرني فأغفرُ له».

وقد ثبت في ذلك أحاديثُ كثيرةٌ عن نحو ثلاثين صحابياً[2]، وقد ثبت أيضاً

---

(١) البخاري رقم (١١٤٥) و (٦٣٢١) و (٧٤٩٤). ومسلم رقم (٧٥٨).

(٢) منها: حديث أبي سعيد الخدري.
فقد أخرجه مسلم رقم (١٧٢/٧٥٨).
ومنها: حديث جبير بن مطعم.
فقد أخرجه الدارمي (٣٤٧/١) وأحمد (٨١/٤) والآجري في «الشريعة» (ص٣١٢) وابن خزيمة في «التوحيد» (ص١٣٣)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص٤٥١) وسنده صحيح.
=

نزولُه تبارك وتعالى ليلة النصفِ من شعبانَ[1] ....

= ومنها: حديث رفاعة بن عرابة الجهني.
فقد أخرجه أحمد (٤/ ١٦) والدارمي (١/ ٣٤٧) وابن ماجه رقم (١٣٦٧) وابن خزيمة في «التوحيد» (ص١٣٢)، والآجري في «الشريعة» (ص٣١٠) **وسنده صحيح**.
ومنها: حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه.
فقد أخرج الدارمي (١/ ٣٤٨) وأحمد (١/ ١٢٠) **وسنده جيد**.
ومنها: حديث ابن مسعود رضي الله عنه.
فقد أخرجه أحمد (١/ ٣٨٨، ٤٠٣، ٤٤٦) والآجري في «الشريعة» (ص٣١٢)، وابن خزيمة في «التوحيد» (ص١٣٤) **وسنده صحيح**.
ومنها: حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه.
فقد أخرجه اللالكائي (٣/ ٤٨٦ رقم ٧٥٠) وابن أبي عاصم في «السنة» رقم (٥٠٩).
قال الألباني: **حديث صحيح، وإسناد ضعيف... وإنما صححت الحديث لأنه روي عن جمع من الصحابة بلغ عددهم عندي الثمانية**.
ومنها: حديث جابر رضي الله عنه.
فقد أخرجه اللالكائي (٣/ ٤٨٦ ـ ٤٨٧ رقم ٧٥١) **بسند ضعيف**.
ومنها: حديث أبي الدرداء رضي الله عنه.
فقد أخرجه اللالكائي (٣/ ٤٨٩ ـ ٤٩٠ رقم ٧٥٦) **بسند ضعيف**.
ومنها: حديث عمرو بن عبسة رضي الله عنه.
فقد أخرجه اللالكائي (٣/ ٤٩٣ رقم ٧٦١) **بسند ضعيف**.
وأخرجه الترمذي رقم (٣٥٧٩) وابن ماجه رقم (١٣٦٤) وأحمد (٤/ ٣٨٥)، وقال الترمذي **حديث حسن صحيح غريب**.
ومنها: حديث عقبة بن عامر الجهني رضي الله عنه.
فقد أخرجه اللالكائي (٣/ ٤٩٤ رقم ٧٦٢) **ورجاله ثقات**.
ومنها: حديث ابن عباس رضي الله عنه.
فقد أخره اللالكائي (٣/ ٤٩٨ رقم ٧٦٦) وابن أبي عاصم في «السنة» رقم (٥١٣) وقال الألباني: **إسناده صحيح**.

(١) ورد ذلك عن أبي ثعلبة الخشني، وأبي موسى الأشعري، وعائشة.
* أما حديث أبي ثعلبة الخشني:
فقد أخرجه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (٣/ ٤٩٣ رقم ٧٦٠) وابن أبي عاصم في «السنة» رقم (٥١١). وقال الألباني: «**حديث صحيح**، ورجاله ثقات غير الأحوص بن حكيم فإنه ضعيف الحفظ كما في «التقريب»، فمثله يستشهد به فيقوى بالطريق التي بعده وبشواهده المتقدمة وغيرها مما سبقت الإشارة إليه» اهـ.
يعني في كتاب «السنة» المذكور آنفاً. =

وعشيةَ عَرَفَة[1]، وعند فَناءِ الخلق[2]: «**حين ينزل إلى السماء الدنيا فينادي: لمن الملكُ اليومَ، لله الواحدِ القهار**».

وكذا نزولُه تعالى لفصل القضاءِ بين عبادِه كما يشاء وعلى ما يليق بجلاله وعظمتِه، وسيأتي إن شاء الله تعالى بسطُ ذلك كلِه في آخر هذا الفصلِ من المتن.

ومن ذلك تنزُّلُ الملائكة، ونزولُ الأمر من عندِه، وتنزيلُ الكتابِ منه تبارك وتعالى، قال الله عز وجل: ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ﴾ [النحل: ٢].

وقال حكايةً عنهم: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ۖ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم: ٦٤]. وقال تعالى: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ [السجدة: ٥]. الآية. وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ [الطلاق: ١٢].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ

= **وخلاصة القول أن الحديث صحيح لغيره.**

* وأما حديث أبي موسى الأشعري:

فقد أخرجه اللالكائي (٣/ ٤٩٥ ـ ٤٩٦ رقم ٧٦٣) وابن أبي عاصم في «السنة» رقم (٥١٠).

وقال الألباني في «ظلال الجنة»: (**حديث صحيح** وإسناده ضعيف لجهالة عبد الرحمن بن عزرب، وضعف ابن لهيعة. والحديث أخرجه ابن ماجه (١٣٩٠) من طريقين آخرين عن ابن لهيعة به، إلا أن أحدهما لم يقل في إسناده: «عن أبيه») اهـ.

* وأما حديث عائشة:

فقد أخرجه اللالكائي (٣/٤٩٦ ـ ٤٩٧ رقم ٧٦٤) وابن ماجه رقم (١٣٨٩) وأحمد (٦/ ٢٣٨) والترمذي رقم (٧٣٩) وقال: حديث عائشة لا نعرفه إلا من هذه الوجوه ـ من حديث الحجاج ـ وسمعت محمداً ـ أي البخاري ـ يضعف هذا الحديث.

وقال: يحيى بن أبي كثير لم يسمع من عروة، والحجاج بن أرطأة لم يسمع من يحيى بن أبي كثير».

وخلاصة القول أن حديث عائشة ضعيف.

(١) أخرج اللالكائي (٣/٤٩٩ رقم ٧٦٧) بسند ضعيف عن أم سلمة قالت: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله عز وجل ينزل إلى السماء الدنيا فيباهي بأهل عرفة ملائكته، فيقول: انظروا إلى عبادي أتوني شعثاً غبراً، يا أهل عرفة قد غفرت لكم**».

(٢) تقدم تخريج هذا الحديث.

رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦].

وقال تعالى: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾ [آل عمران: ٣]، ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ﴾ [إبراهيم: ١]، ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ﴾ [الأنبياء: ٥٠]، ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [السجدة: ٢]، ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [الزمر: ١]، ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ [الزمر: ٢]، ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [غافر: ٢]، ﴿تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [فصلت: ٢]، ﴿تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢]، ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾ [الإسراء: ١٠٦]، ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾﴾ [الشعراء]. وغيرُ ذلك من الآيات.

وفي الصحيح[1] عن ابن عباس رضي الله عنهما: «**بلغ أبا ذر مبعثُ النبيِّ ﷺ فقال لأخيه: اعلمْ لي عِلمَ هذا الرجلِ الذي يزعُم أنه يأتيه الخبرُ من السماء**».

وقد تقدم في حديث الذُهيبةِ[2] قولُه ﷺ: «**يأتيني خبرُ السماء صباحاً ومساءً**».

وفي الصحيح[3] قال المغيرة رضي الله عنه: «أخبرنا نبيُّنا محمدٌ ﷺ عن رسالةِ ربنا تبارك وتعالى أنه مَن قُتل منا صار إلى الجنة».

وفيه[4]: قالت عائشةُ رضي الله عنها: من حدَّثك أن النبي ﷺ كتم شيئاً من الوحي فلا تصدِّقه، إن الله تعالى يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧].

وفيه[5] من حديث ابن مسعودٍ رضي الله عنه: قال رجل: يا رسولَ الله أيُّ الذنبِ أعظمُ؟ ـ وذكر الحديثَ إلى أن قال ـ فأنزل الله تصديقَها: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ

---

(١) في صحيح مسلم (٤/١٩٢٣ رقم ٢٤٧٣).
(٢) تقدم تخريجه.
(٣) في صحيح البخاري (١٣/٥٠٣ رقم ٧٥٣٠).
(٤) البخاري (١٣/٥٠٣ رقم ٧٥٣١) ومسلم (١/١٩٥ ـ ١٩٦ رقم ١٧٧).
(٥) البخاري (١٣/٥٠٣ رقم ٧٥٣٢) ومسلم (١/٩٠ ـ ٩١ رقم ٨٦).

﴿ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ [الفرقان: ٦٨]. الآيات. وغيرُ ذلك من نصوص الكتابِ والسنة.

ومن ذلك رفعُ الأيدي إليه والأبصار كما في حديث القنوت[(١)] وأحاديثِ الاستسقاء[(٢)]، وحديثُ دعائِه ﷺ على النفر الذين طرحوا على ظهره الشريفِ سَلا الجَزورِ وهو ساجدٌ[(٣)] وحديثُ استغاثِته ربَّه ببدر ومناشدتِه إياه حتى سقط رداؤُه[(٤)]، وكذا في أُحد[(٥)] ....

---

(١) أخرج البيهقي في «السنن الكبرى» (٢/ ٢١١) عن ثابت، عن أنس بن مالك، - في قصة القراء وقتلهم - قال: فقال لي أنس: لقد رأيتُ رسول الله ﷺ كلما صلى الغداة رفع يديه يدعو عليهم، يعني على الذين قتلوهم.
قال النووي في «المجموع» (٣/ ٤٧٩): **إسناده صحيح أو حسن.**
قال البيهقي (٢/ ٢١١ - ٢١٢) رحمه الله تعالى: «ولأن عدداً من الصحابة ﷺ رفعوا أيديهم في القنوت...
ثم روي عن أبي رافع قال: صليت خلف عمر بن الخطاب ﷺ فقنت بعد الركوع ورفع يديه وجهر بالدعاء. قال البيهقي: **هذا عن عمر صحيح.**
وروي عن علي بن أبي طالب ﷺ **بإسناد فيه ضعف.**
وروي عن ابن مسعود وأبي هريرة ﷺ في قنوت الوتر.
* وأما مسح الوجه باليدين بعد الفراغ من الدعاء، فقد قال البيهقي: «**لست أحفظه عن أحد من السلف في دعاء القنوت، وإن كان يروى عن بعضهم في الدعاء خارج الصلاة.**
وقد روي فيه عن النبي ﷺ حديث فيه ضعف، وهو مستعمل عند بعضهم خارج الصلاة. وأما في الصلاة فهو عمل لم يثبت بخبر صحيح ولا أثر ثابت ولا قياس، فالأولى أن لا يفعله، ويقتصر على ما فعله السلف ﷺ من رفع اليدين دون مسحهما بالوجه في الصلاة، وبالله التوفيق» اهـ.

(٢) منها حديث أنس الذي أخرجه البخاري (٢/ ٥٠١ رقم ١٠١٣) ومسلم (٢/ ٦١٢ - ٦١٣ رقم ٨٩٧) أن رجلاً دخَل يومَ الجمعةِ من بابٍ كان وِجاهَ المنبر ورسولُ اللَّهِ ﷺ قائمٌ يخطب، فاستقبل رسولَ اللَّهِ ﷺ قائماً فقال: يا رسولَ الله هلكتِ المواشي، وانقطعتِ السبُلُ، فادعُ اللَّهَ يغيثُنا. قال: فرفعَ رسولُ اللَّهِ ﷺ يديه... الحديث.

(٣) أخرجه البخاري (١/ ٣٤٩ رقم ٢٤٠) ومسلم (٣/ ١٤١٩ رقم ١٧٩٤) من حديث عبد الله بن مسعود.

(٤) أخرجه مسلم (٣/ ١٣٨٣ - ١٣٨٤ رقم ٥٨/ ١٧٦٣).

(٥) أخرجه أحمد (٣/ ٤١٤). وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/ ١٢١، ١٢٢) وقال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.
وأخرجه الحاكم (١/ ٥٠٧)، وقال الحاكم: هذا صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.
وقال الذهبي: لم يخرجا لعبيد وهو ثقة، والحديث مع نظافة إسناده منكر أخاف أن يكون موضوعاً رواه عن خلاد بن أبي مسرة.
=

والخندقِ[1] وحُنينٍ[2]، واستغفارُه لرفيق أبي موسى[3] يومئذ وغيرُ ذلك.

فكُتب السنةِ مملوءةٌ بهذا النوعِ، وقد ورد في رفع اليدين في الدعاء أكثرُ من مائة حديثٍ في وقائعَ متفرّقة[4]، وذلك معلومٌ بالفِطَر، فكلُ مَن حزَبَه أمرٌ من المؤمنين رفعَ يديه إلى العلو يدعو الله عز وجل.

= **قلت**: أما قول الذهبي لم يخرجا لعبيد فهو كما قال، حيث لم يذكر أحد من أصحاب الكتب التالية أنهما رويا له أو أحدهما: الخلاصة للخزرجي (ص٢٥٤) و «الكاشف» للذهبي (٢/ ٢٣٧) «تهذيب التهذيب» للحافظ ابن حجر (٧/ ٦٠ رقم ١٣٣).

ولكن عبيد بن رفاعة ثقة. وكذلك خلاد بن يحيى ثقة «تهذيب التهذيب» (٣/ ١٥٠ رقم ٣٣١).

وأخيراً ابن أبي مسرة صدوق [الجرح والتعديل (٥/ ٦)].

والخلاصة أن الحديث صحيح لغيره، والله أعلم.

(١) أخرجه البخاري (٧/ ٤٠٦ رقم ٤١١٥) ومسلم (٣/ ١٣٦٣ رقم ٢١/ ١٧٤٢) من حديث ابن أبي أوفى.

(٢) أخرجه مسلم (٣/ ١٤٠١ رقم ٧٩/ ١٧٧٦) من حديث البراء. وقد انفرد مسلم بلفظ الدعاء.
وأما الحديث فقد أخرجه البخاري رقم (٤٣١٥، ٤٣١٦، ٤٣١٧) ومسلم رقم (١٧٧٦) والترمذي رقم (١٦٨٨).

(٣) هو عبيد بن عامر. والقصة في غزوة أوطاس.
أخرجه البخاري في صحيحه (٨/ ٤١ رقم ٤٣٢٣).

(٤) منها: ما أخرجه البخاري (١١/ ١٩٦ رقم ٦٣٩٧) ومسلم (٤/ ١٩٥٧ رقم ١٩٧/ ٢٥٢٤) من حديث أبي هريرة. قال: قدم الطفيل وأصحابُهُ فقالوا: يا رسولَ اللّهِ، إنْ دَوْساً قد كفرَتْ وأبَتْ، فادعُ اللّهَ عليها. فقيل: هلكت دوسٌ. فقال: **«اللهم اهدِ دوساً وائتِ بهم»**.

* وأخرجه البخاري في «الأدب المفرد» رقم (٦١١) عن أبي هريرة قال: قدم الطفيل بن عمرو الدوسي على رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله: إن دوساً قد عصت وأبت، فادع الله عليها. فاستقبل رسول الله ﷺ القبلة ورفع يديه، فظن الناس أنَّهُ يدعو عليهم. قال: **«اللهم اهدِ دوساً وائتِ بهم»، وهو حديث صحيح.**

* قال المحدث الألباني في «صحيح الأدب المفرد» (ص٢٢٩): «ليس عندهما قوله: «ورفع يديه»، وقد صرح بذلك الحافظ في المكان المشار إليه آنفاً من الفتح. وإسناده صحيح على شرط الشيخين، وقد عزاه البيهقي في «دلائل النبوة» للبخاري في صحيحه.
وهو من تساهله كما بينته في «الصحيحة» رقم (٢٩٤١).

وفي الحديث فائدة هامة وهي استقبال القبلة بالدعاء، ولذلك قال شيخ الإسلام في بعض كتبه: «لا يستقبل بالدعاء إلا ما يستقبل بالصلاة».

يشير بذلك إلى أنه لا يجوز استقبال القبور بالدعاء كما يفعل بعض الجهلة في المسجد النبوي، فإنهم يستقبلون قبره ﷺ بالدعاء ومن بعيد، ونحوه استقبال الهلال بالدعاء عند=

وكذلك رفعُ البصرِ ثبت في الدعاء بعد الوضوءِ في سنن أبي داود[1] وهو في الصحيح[2] بدون رفع البصر.

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«إنَّ طرْفَ صاحبِ الصُّورِ مذ وكِّل به مستعدّ ينظُر نحوَ العرشِ مخافةَ أن يُؤمرَ قبل أن يرتدَّ إليه طرفُه كأن عينيه كوكبان دُرِيَّان»**. أخرجه الحاكم وصححه[3].

= إهلاله، فليتنبه لهذا اهـ.

ومنها: أخرج الترمذي (٥/ ٣٢٦ رقم ٣١٧٣) عن عمر بن الخطاب. قال: كانَ رسولُ اللَّهِ ﷺ إذا نزلَ عليه الوحيُ سُمِعَ عندَ وجههِ كدَوِيِّ النحلِ، فأُنْزِلَ عليه يوماً، فمكثنا ساعةً فَسُرِّيَ عنه، فاستقبلَ القبلةَ، ورفع يديهِ، وقال: **«اللَّهمَّ زِدْنَا ولا تُنْقِصْنا، وأكرِمْنا ولا تُهنَّا، وأعطِنا ولا تحرِمْنا، وآثرنا ولا تؤثِر علينا، وأرضِنا وارضَ عنا»**.

وأخرجه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٣٩٢) وقال **صحيح الإسناد**، وقال الذهبي: سئل عبد الرزاق عن شيخه ذا فقال: أظنه لا شيء.

قلت: يونس بن سليم الصنعاني شيخ عبد الرزاق قال عنه الحافظ ابن حجر في «التقريب» (٢/ ٣٨٤): مجهول. وقال عنه الذهبي في «الكاشف» (٣/ ٣٠٤): واه، ويونس هذا في سند الترمذي والحاكم.

فالحديث بهذا الإسناد ضعيف.

قلت: وارجع إلى «فتح الباري» (١١/ ١٤١) و«فض الوعاء في أحاديث رفع اليدين في الدعاء»، للحافظ السيوطي. تحقيق وتخريج محمد شكور.

(١) في «السنن» (١/ ١١٩ رقم ١٧٠) من حديث عقبة بن عامر الجهني. **وهو حديث ضعيف.**

(٢) في صحيح مسلم (١/ ٢٠٩ ـ ٢١٠ رقم ٢٣٤).

(٣) في «المستدرك» (٤/ ٥٥٨ ـ ٥٥٩) وقال: «**هذا حديث صحيح الإسناد** ولم يخرجاه. وقال الذهبي على شرط مسلم.

قلت: إن في سنده مروان بن معاوية الفزاري، وهو ثقة حافظ من رجال الجماعة إلا أنه مدلس من الثالثة، ويدلس أيضاً تدليس الشيوخ، وقد عنعن هنا، وليس هو من شيوخ مسلم.

[الجرح والتعديل (٨/ ٢٧٢ ـ ٢٧٣ رقم ١٢٤٦) والتقريب (٢/ ٢٣٩ رقم ١٠٢٦)].

وتابع مروان عند ابن أبي الدنيا ـ كما في النهاية لابن كثير (١/ ٢١٣) ـ عبد الواحد بن زياد العبدي مولاهم وهو ثقة من رجال الجماعة.

[الجرح والتعديل (٦/ ٢٠ ـ ٢١ رقم ١٠٨) والتقريب (١/ ٥٢٦ رقم ١٣٨٣)].

وخلاصة القول أن الحديث حسن لغيره بمجموع الطريقين.

وأخرج البغويُّ عن ثابتٍ البنانيِّ قال: كان داودُ عليه السلام: يُطيل الصلاةَ ثم يركع ثم يرفع رأسَه إلى السماء ثم يقول: «**إليك رفعتُ رأسي يا عامرَ السماءِ نظرَ العبيدِ إلى أربابِها يا ساكنَ السماء**».

قال الذهبي[1]: إسنادُه صالحٌ.

وعن أبي هريرةَ ﷺ قال: يُحشرَ الناسُ حُفاةً عُراةً مُشاة قياماً أربَعِمائة سنةٍ شاخصةً أبصارُهم إلى السماء ينتظرون فصْلَ القضاءِ، قد ألجمهم العرَقُ من شدة الكرب، وينزل اللَّهُ تعالى في ظُلل من الغمام من العرش إلى الكرسي. أخرجه أبو أحمدَ العَسّالُ في كتاب المعرفة[2].

وعن عبد الله بنِ مسعود ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**يجمعُ اللَّهُ الأولين والآخرينَ لميقات يوم معلوم أربعين سنةً شاخصةً أبصارُهم إلى السماء ينتظرون فصْلَ القضاءِ، وينزل اللَّهُ في ظلل من الغمام من العرش إلى الكرسي**». الحديث بطوله قال الذهبي[3]: إسنادُه حسنٌ. وفيه أحاديثُ غيرَ ما ذكرنا.

---

(١) في «العلو» (ص٥٥).

قلت: وأخرجه اللالكائي (٣/٤٤٣ رقم ٦٦٩) وقال محققه: «إذا كان المراد به: داود النبي فهو من الأخبار الغيبية التي لا تعرف إلا بواسطة مأمونة وهي: «الوحي» أو «النقل الصحيح»، وهذا الأثر مجرد من ذلك فلا حجة فيه إذن.

وفي صحيح الآثار الإسلامية ما يكفي لمن أراد الحق اهـ.

(٢) عزاه إليه الذهبي في «العلو» (ص٦٥).

(٣) في «العلو» (ص٧٣).

قلت: أخرجه الحاكم (٤/٥٨٩ ـ ٥٩٢) والدارقطني في «الرؤية» رقم (١٧٨) والطبراني في «الكبير» (٩/٤١٧ ـ ٤٢١ رقم ٩٧٦٣) وعبد الله بن أحمد في «السنة» (٢/٥٢٠ ـ ٥٢٤ رقم ١٢٠٣).

وقال الحاكم: **الحديث صحيح ولم يخرجاه**، وأبو خالد الدالاني ممن يجمع حديثه في أئمة أهل الكوفة.

وقال الذهبي: ما أنكره حديثاً على جودة إسناده وأبو خالد شيعي منحرف.

قلت: أبو خالد الدالاني واسمه يزيد بن عبد الرحمن، وهو صدوق يخطئ كثيراً، ولم أجد من وصفه بالتشيع سوى الذهبي هنا. ولكن لم ينفرد أبو خالد بهذا الحديث بل تابعه زيد بن أبي أنيسة. وأصل الحديث في صحيح مسلم مختصراً (١/١٧٣، ١٧٤، ١٧٤ ـ ١٧٥ رقم ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٠).

وخلاصة القول أن حديث ابن مسعود حسن، والله أعلم.

ومن ذلك إشارةُ النبيّ ﷺ إلى العلو في خُطبته في حجة الوداعِ بأُصبعه وبرأسه، كما في حديث جابر الطويلِ عند مسلم[1] وفيه: «**وقد تركت فيكم ما لن تضلوا إن اعتصمتم به: كتابَ الله، وأنتم تُسألونَ عني فما أنتم قائلون؟** قالوا: نشهد أنك قد بلّغتَ وأدّيتَ ونصحْت، فقال بأصبعه السبابةِ يرفعها إلى السماء وينكُتها إلى الناس: «**اللهم اشهدْ، اللهم اشهدْ**» ثلاث مرات. وذكر الحديث.

وللبخاري[2] من حديث ابن عباسٍ في خُطبته ﷺ يوم النحْر - وفيه - ثم رفع رأسَه فقال: «اللهم هل بلغت، اللهم هل بلّغتُ» الحديث.

ومن ذلك النصوصُ الواردةُ في ذكر العرشِ وصفتِه وإضافتِه غالباً تبارك وتعالى وأنه تعالى فوقه، قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [النمل: ٢٦]. وقال تعالى: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ﴾ [المؤمنون: ١١٦]. وقال تعالى: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هود: ٧]. وقال تعالى: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ﴾ [غافر: ١٥]. وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾﴾ [البروج]، إلى غير ذلك.

وفي الصحيح[3] عن ابن عباس رضي الله عنهما: كان النبيُّ ﷺ يقول عند الكرب: «**لا إله إلا الله العليمُ الحليم. لا إله إلا اللّهُ ربُ العرشِ العظيم، لا إله إلا اللّهُ ربُ السمواتِ وربُ الأرضِ ربُّ العرشِ الكريم**».

وفيه[4] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إن في الجنة مِائةَ درجةٍ أعدها الله للمجاهدين في سبيله كلُ درجتين ما بينهما كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فسلوه الفردوسَ فإنه أوسطُ الجنة وأعلى الجنةِ وفوقه عرشُ الرحمن ومنه تَفجّرُ أنهارُ الجنة**».

وفيه[5] عن أبي سعيد الخُدريّ رضي الله عنه عن النبي ﷺ، قال النبيُّ ﷺ: «**فإن**

---

(١) (٢/ ٨٩٠ رقم ١٢١٨).

(٢) في صحيحه (٣/ ٥٧٣ رقم ١٧٣٩).

(٣) البخاري (١١/ ١٤٥ رقم ٦٣٤٦) ومسلم (٤/ ٢٠٩٢ - ٢٠٩٣ رقم ٢٧٣٠).

(٤) البخاري (٦/ ١١ رقم ٢٧٩٠).

(٥) البخاري (٥/ ٧٠ رقم ٢٤١٢) ومسلم (٤/ ١٨٤٤ رقم ٢٣٧٣).

الناسَ يُصعقون يوم القيامة فأكون أولَ من يُفيق، فإذا بموسى آخذٌ بقائمة من قوائم العرشِ». الحديث.

وفيه[1] عن أبي هريرةَ رضي الله عنه أن رسولَ الله ﷺ قال: «**يدُ اللّهِ ملأى لا يَغيضُها نفقة، سحّاء الليلَ والنهارَ**»، وقال: «**أرأيتم ما أنفق منذ خلق السمواتِ والأرضِ فإنه لم يغِضْ ما في يمينه، وعرشُه على الماء، وبيده الأخرى الفيضُ أو القبض، يرفع ويخفِض**»، وفي رواية: «**وبيده الأخرى الميزانُ يخفِض ويرفع**».

وفيه[2] عنه رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**سبعةٌ يظلهم الله تعالى في ظله يوم لا ظِل إلا ظلُّه**». قال الذهبي: إسنادُه صالحٌ.

وعن جابر بن عبدِ الله رضي الله عنهما أن رسولَ الله ﷺ قال: «**أُذِن لي أن أحدّثَ عن ملك من ملائكة اللّهِ تعالى من حملةِ العرشِ أن ما بين شحمةِ أُذنه إلى عاتقه مسيرةُ سبعِمائةِ عام**». رواه أبو داودَ[3] وابنُ أبي حاتمَ[4] ولفظُه: «**أُذن لي أن أحدّثكم عن ملك من حَمَلة العرشِ بُعدُ ما بين شحمةِ أُذنِه وعُنقِه مَخفقُ الطيرُ سبعَمائة عام**». وإسناده جيدٌ رجالُه كلُهم ثِقاتٌ، وفيه جملةُ أحاديثَ غيرَ ما ذكرنا وقد تقدم منها جملةٌ وافية.

[تكذيب فرعون لموسى في أن إلهه في السماء]

ومن ذلك ما قصه الله تعالى عن فرعون لعنه الله في تكذيبه موسى عليه

---

(١) البخاري (٨/ ٣٥٢ رقم ٤٦٨٤) ومسلم (٢/ ٦٩٠ ـ ٦٩١ رقم ٩٩٣).

(٢) البخاري (٢/ ١٤٣ رقم ٦٦٠) ومسلم (٢/ ٧١٥ رقم ١٠٣١).

(٣) في «السنن» (٥/ ٩٦ رقم ٤٧٢٧).

(٤) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٣٤٦).

قلت: وأخرجه أبو الشيخ في «العظمة» (٣/ ٩٤٨ ـ ٩٤٩ رقم ٤٧٦/ ١) والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص٣٩٨) والطبراني في «الأوسط» (٢/ ١٩٩ رقم ١٧٠٩).

وقال الطبراني: لم يَرْو هذا الحديث عن موسى إلا إبراهيم.

قلت: وهو ثقة كما في «التقريب» ولهذا قال الذهبي في «العلو» (ص٧٨): **إسناده صحيح**.

وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ٨٠) وقال: رواه الطبراني في «الأوسط» ورجاله رجال الصحيح اهـ.

وانظر: «الصحيحة» رقم (١٥١).

وخلاصة القول أن الحديث صحيح.

السلام في أن إلَهه اللَّهُ عز وجل العليُّ الأعلى خالقُ كلِّ شيءٍ وإلهُ

قال الله تعالى في سورة القَصصِ: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [القصص: ٣٨].

وقال تعالى في سورة المؤمن: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ﴿٣٧﴾﴾ [غافر].

ففرعونُ لعنه اللهُ تعالى كذب موسى في أن ربَّ السمواتِ والأرضِ وربَّ المشرقِ والمغرب وما بينهما هو اللَّهُ الذي في السماء فوق جميع خلقِه مباينٌ لهم لا تخفى عليه منهم خافيةٌ، فكلُ جَهْميٍّ نافٍ لعلو اللَّهِ عز وجل فهو فرعونيٌّ وعن فرعونَ أخذ دينه، وكلُ سُنّيٍّ يصف اللَّهَ تعالى بما وصف به نفسَه أنه استوى على عرشه بائنٌ من خلقه فهو موسَوِيٌّ محمّديٌّ متّبعٌ لرسل اللَّهِ وكُتبِه.

[قصة تكليم الله موسى حين تجلّى للجبل فاندكَّ الجبل]

ومن ذلك ما قصَّه اللَّهُ تعالى في قصة تكليمه موسى حين تجلّى للجبل فاندكَّ الجبلُ، قال الله عز وجل: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ﴾ [الأعراف: ١٤٣]. الآية.

قال التِرمِذيُّ في جامعه في تفسير سورةِ الأعراف[١]: حدثنا عبدُ اللَّهِ بنُ عبدِ الرحمنِ أخبرنا سليمانُ بنُ حَرْبٍ أخبرنا حمّادُ بنُ سَلَمةَ عن ثابت عن أنسٍ رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ قرأ هذه الآية: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ [الأعراف: ١٤٣].

قال حمَّاد: هكذا ـ وأمسك سليمانُ بطرَفِ إبهامِه على أنمَلَة أُصبَعِه ـ قال

---

(١) في «السنن» (٥/ ٢٦٥ رقم ٣٠٧٤) وقال: هذا حديث حسن صحيح.

فساخ الجبلُ وخرَّ موسى صعِقاً. هذا حديثٌ حسنٌ صحيح غريبٌ لا نعرِفه إلا من حديث حمادِ بن سلمةَ.

ورواه أيضاً[1] من طريق معاذِ بنِ مُعاذٍ العنبريِّ عن حماد نحوَه، ومن طريق معاذٍ أيضاً رواه أحمدُ[2] حدثنا حمادُ بنُ سلمةَ حدثنا ثابتٌ البنانيُّ عن أنس بن مالكٍ رضي الله عنه عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ﴾ [الأعراف: ١٤٣]. قال: قال هكذا يعني أنه أخرج طرَفَ الخِنْصَر ـ قال أحمد: أرانا معاذ، فقال له حميدٌ الطويل: ما تريد إلى هذا يا أبا محمد؟ قال: فضرب صدرَه ضربةً شديدة وقال: من أنت يا حميدُ، وما أنت يا حميدُ؟ يحدثني به أنسُ بنُ مالكٍ عن النبي ﷺ وتقول ما تريد إليه؟.

ورواه أبو جعفرِ بنِ جريرٍ الطبريُّ في تفسير هذه الآيةِ[3] من طريق هُدبةَ بنِ خالدٍ حدثنا حمادُ بنُ سَلَمَة عن ثابت عن أنس رضي الله عنه قال: قرأ رسولُ الله ﷺ: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ [الأعراف: ١٤٣]، قال: ووضع الإبهامَ قريباً من طرف خِنْصِره، قال: فساخ الجبلُ، قال حميدٌ لثابت: يقول هكذا؟ فرفع ثابتٌ يدَه فضرب صدرَ حميدٍ وقال: يقوله رسولُ الله ﷺ ويقول أنسٌ وأنا أكتُمه؟.

ورواه الحاكمُ في مستدركه[4] من طرُق عن حمادِ بنِ سَلَمةَ وقال: هذا حديثٌ صحيحٌ على شرط مسلمٍ ولم يخرّجاه.

ورواه الخلاّلُ[5] من طريق هُدبةَ بنَ خالدٍ عن حمادِ بنِ سلمةَ فذكره وقال: هذا إسنادٌ صحيحٌ لا علة فيه.

---

(١) في «السنن» (٥/ ٢٦٦ رقم ٣٠٧٤) وقال: **هذا حديث حسن. وهو كما قال.**

(٢) في «المسند» (٣/ ١٢٥).

قلت: وأخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» (١/ ٢٥٨ ـ ٢٥٩ رقم ١/ ١٦٢) وعبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ٢٦٩ رقم ٥٠٠).

وأخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» رقم (٤٨١) **بإسناد ضعيف.**

(٣) في «جامع البيان» (٦/ج٩/ ٥٣).

وأخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» رقم (٤٨٠) وإسناده على شرط مسلم.

(٤) في «المستدرك» (٢/ ٣٢٠) وقال: **صحيح** على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

(٥) ذكره ابن كثير في تفسير (٢/ ٢٥٤ ـ ٢٥٥). وقال: «**هذا إسناد صحيح** لا علة فيه».

وخلاصة القول إن الحديث صحيح، والله أعلم.

ورواه ابنُ خُزيمةَ في كتاب التوحيد[1] من طريق عبدِ الوارثِ بنِ عبدِ الصمدِ، حدثنا أبي حدثنا حمادُ بنُ سلمةَ، ومن طريق عفانَ بنِ مسلمٍ قال: حدثنا حمادُ بنُ سلمةَ، ومن طريق الهيثمِ بنِ جميلٍ قال: حدثنا حمادُ بْنُ سلمةَ، ومن طريق مسلمِ بنِ إبراهيمَ قال: حدثنا حمادٌ، ومن طريق حجاجٍ يعني ابنَ مِنْهالٍ عن حمادِ بنِ سلمةَ، ومن طريق سليمانَ بنِ حربٍ عن حمادِ بنِ سلمةَ، قال أبو بكر بنُ خزيمةَ رحمه الله تعالى على هذه الآيةِ قبل سياقِ الحديثِ بهذه الطرق[2]: «أفليس العلمُ محيطاً ـ يا ذوي الألبابِ ـ أن الله ـ عز وجل ـ لو كان في كل موضعٍ ومع كل بشرٍ وخلْقٍ كما زعمت المعطِّلةُ، لكان متجلياً لكل شيء، وكذلك جميعُ ما في الأرض، لو كان الله تعالى متجلّياً لجميع أرضِه سَهلِها ووَعْرِها وجبالِها وبراريها ومَفاوِزِها ومُدُنِها وقُراها، وعِماراتِها وخرابِها، وجميع ما فيها من نبات وبناءٍ لجعلها دكاً كما جعل اللَّهُ الجبلَ الذي تجلى له دكاً.

قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ [الأعراف: ١٤٣][3]. انتهى.

وبالجملة فجميعُ رسلِ الله عليهم الصلاة والسلام وجميعُ كتبه المنزلةِ وجميعُ أهل السموات ومؤمني أهلِ الأرض من الجن والإِنسِ أتباعِ رسلِ اللَّهِ وجميعُ الفِطَر

---

(١) (١/ ٢٦٠ ـ ٢٦١ رقم ٣/ ١٦٤) من طريق عبد الوارث بن عبد الصمد.
و (١/ ٢٦١ رقم ٤/ ١٦٥) من طريق عفان بن مسلم.
و (١/ ٢٦٢ رقم ٥/ . . .) من طريق الهيثم بن جميل.
و (١/ ٢٦٢ رقم ٦/ ١٦٦) من طريق مسلم بن إبراهيم.
و (١/ ٢٦٣ رقم ٧/ . . .) من طريق حجاج يعني ابن منهال.
و (١/ ٢٦٣ رقم ٨/ . . .) من طريق سليمان بن حرب.

(٢) في «التوحيد» (١/ ٢٥٨).

(٣) قال محقق: «كتاب التوحيد»: «كان قدماء الجهمية قبل أن يتفلسفوا يقولون: إن الله في كل مكان، فلزمهم أن يكون سبحانه في الحشوش والأخلية، وحوانيت الخمر ودور البغاء، وأجواف الخنازير، وسائر الأمكنة القذرة، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً ـ ولما ترجمت الفلسفة العربية: ووجدوا بعض الفلاسفة من العقليين يثبتون نوعاً من الموجودات يسمونه المجردات، وينفون عنها المكان والجهة، والصورة إلى غير ذلك من خصائص الأجسام، جعلوا الله عز وجل واحداً من هذه المجردات التي هي في الحقيقة: معدومات، فقالوا: ليس له مكان. . .» ابن تيمية.

السليمةِ والقلوبِ المستقيمةِ التي لم تجتَلْها الشياطين عن دينها جميعُها شاهدةٌ حالاً ومقالاً أن خالقَها وفاطرَها ومعبودَها الذي تألهه وتفزَعُ إليه وتدعوه رغَباً ورهَباً هو فوق كلِ شيءٍ عالٍ على جميع خلقِه استوى على عرشِه بائناً من مخلوقاته، وهو يعلم أعمالَهم ويسمع أقوالَهم ويرى حركاتِهم وسكناتِهم وجميعَ تقلباتِهم وأحوالِهم لا يخفى عليه منهم خافية.

ولهذا ترى جميعَ المؤمنين عالِمَهم وعاميَّهم وحُرَّهم ومملوكَهم وذكَرَهم وأنثاهم وصغيرَهم وكبيرَهم كلٌّ منهم إذا دعا الله تبارك وتعالى في جلب خيرٍ أو كشفِ مكروه إنما يرفع يديه ويشخَص ببصرِه إلى السماءِ إلى جهةِ العلوِّ، إلى مَن يعلم سرَّه ونجواه متوجهاً إليه بقلبه وقالَبِه يعلم أن معبودَه فوقَه وأنه إنما يُدعى مِن أعلى، لا من أسفل كما يقوله الجهميةُ قبَّحهم الله تعالى وتنزه عما يقولون علواً كبيراً.

ذكرُ أقوالِ أصحابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ورضيَ عنهم

روى ابنُ أبي شيبةَ[1] عن ابن عمرَ ﵄ قال: لما قُبض رسولُ اللَّهِ ﷺ قال أبو بكرٍ ﵁: أيها الناسُ، إنْ كان محمدٌ إلهكم الذي تعبُدونه فإن إلهكم قد مات، وإن كان إلهَكم اللَّهُ الذي في السماء فإن إلهَكم لم يمُت. ثم تلا: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ [آل عمران: ١٤٤]. حتى ختم الآية.

وللبخاري في تاريخه[2] عنه ﵁ قال: لما قُبض رسولُ الله ﷺ دخل أبو بكرٍ ﵁ عليه فأكبَّ عليه وقبَّل جبهته وقال: بأبي أنت وأمي، طِبْتَ حياً وميتاً. وقال: من كان يعبُد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله في السماء حيٌّ لا يموت.

---

(١) في «المصنف» (١٤/ ٥٥٣).
قلت: وأخرجه الدارمي في «الرد على الجهمية» (ص٢٦) والذهبي في «العلو» (ص٦٢).
وهو حديث صحيح.

(٢) (١/ ٢٠١ ـ ٢٠٢ رقم ٦٢٣) تعليقاً.
قلت: وأخرجه ابن قدامة في «العلو» رقم (٥٥). وأصل القصة في صحيح البخاري (٣/ ١١٣ رقم ١٢٤١، ١٢٤٢) و (٨/ ١٤٥ رقم ٣٦٦٨).

ولابن أبي شيبةَ[1] عن قيسِ بنِ أبي حازم قالَ: لما قدِم عمرَ رضي الله عنه الشامَ استقبله الناسُ وهو على بعيره، فقالوا: لو ركبْتَ بِرْذَوناً يلقاك عظماءُ الناسِ ووجوهُهم، فقال عمر رضي الله عنه: ألا أراكم ههنا؛ إنما الأمرُ من ههنا ـ فأشار بيده إلى السماء ـ قال الذهبي[2]: إسنادُه كالشمس.

وروى الزهريُّ عن سالم أن كعباً قال لعمرَ[3]: ويلٌ لسلطان الأرضِ من سلطان السماء، فقال عمرُ: إلاَّ من حاسب نفسَه، فقال كعبٌ: إلاَّ مَن حاسب نفسَه. فكبّر عمرُ ثم خرّ ساجداً.

وعن عبد الرحمن بنِ غُنم قال: سمعتُ عمرَ بنَ الخطابِ يقول: ويلٌ لديّان الأرضِ من ديّان السماءِ يومَ يلْقَوْنه، إلا مَن أمر بالعدل فقضى بالحق ولم يقضِ على هوىً ولا قرابة ولا على رَغبة ولا رَهَبٍ، وجعل كتابَ الله مرآةً بين عينيه، قال ابنُ غُنمٍ: فحدثتُ بهذا عثمانَ ومعاويةَ ويزيدَ وعبدَ الملك. رواه أبو نُعيم[4].

وعن أبي يزيدَ المدنيِّ قال: لقِيَتْ عمرَ امرأةٌ يقال لها: خولةُ بنتُ ثعلبةَ، فقال عمر: هذه امرأةٌ سمع اللّهُ شكواها من فوق سبعِ سمواتٍ.

قال الذهبي[5]: هذا إسنادٌ صالحٌ فيه انقطاعٌ، أبو يزيدَ لم يلحق عمرَ رضي الله عنه.

وفي لفظ عمرَ رضي الله عنه أنه مرّ بعجوز فاستوقفتْه فوقف يحدثها، فقال رجل: يا أمير المؤمنين حبستَ الناسَ على هذه العجوزِ، فقال: ويلك أتدري من هي، هذه امرأةٌ سمع اللّهُ شكواها من فوق سبعِ سمواتٍ، هذه خولةُ التي أنزل اللّه فيها: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ [المجادلة: ١].

---

(١) في «المصنف» (١٣/ ٢٦٣).
قلت: وأخرجه الذهبي في «العلو» (ص٦٢). **وإسناده على شرط الشيخين.**

(٢) في «العلو» (ص٦٢). **بسند صحيح.**

(٣) أخرجه الدارمي في «الرد على المريسي» (ص١٠٤) وفي «الرد على الجهمية» (ص٢٩).
وفي إسناده عبد الله بن صالح كاتب الليث وهو صدوق كثير الغلط وفيه غفلة (التقريب: ٣٣٨٨)، وقد تابعه عبد الله بن بكير عند الخرائطي في «فضيلة الشكر» (٦٨) **فهو به صحيح، والله أعلم.**

(٤) في «الحلية» (٥/ ٣٨٩) **مرسلاً.**
وعزاه الذهبي في «العلو» لسمويه في فوائده، (ص٦٣) **وإسناده صحيح.**

(٥) في «العلو» (ص٦٣).

وهذا الحديثُ رواه عثمانُ بنُ سعيدٍ الدارميّ[1]، وقال ابنُ عبد البر[2]: حُدِّثنا من وجوه عن عمرَ رضي الله عنه عنه: فذكره:

ومن شعر عبدِ الله بن رواحة رضي الله عنه:

(شهدتُ بأن وعدَ اللَّهِ حقٌّ — وأن النارَ مثوى الكافرينا)
(وأن العرشَ فوق الماء طافٍ — وفوقَ العرش ربُ العالمينا)
(وتحمِلُه ملائكةٌ كرامٌ — ملائكةُ الإلهِ مُسوَّمينا)

قال ابن عبد البر في الاستيعابِ[3]: رويناه من وجوهٍ صحاحٍ.

وروى الدارمي[4] عن ابن مسعودَ رضي الله عنه قال: «ما بين السماءِ الدنيا والتي تليها خمسمائةُ عامٍ، وبين كلِ سماءٍ مسيرة خمسمائة عامٍ، وبين السماء السابعةِ وبين الكرسيّ خمسمائة عام، وبين الكرسيِّ إلى الماء مسيرةُ خمسمائة عام، والعرشُ على الماء، والله تعالى فوق العرشِ، وهو يعلم ما أنتم عليه».

وروى الأعمشُ عن خيثمةَ عنه: «إن العبدَ لَيَهُمّ بالأمر من التجارة أو الإمارةِ حتى إذا تيسّر له نظر اللّهُ إليه من فوق سبعِ سمواتٍ فيقول للملائكة: اصرِفوه عنه، فإنه إن يسّرتُه له أدخلتُه النارَ». أخرجه اللالكائي بإسناد قوي[5].

---

(١) في «الرد على الجهمية» (ص٢٦). ومن طريقه أخرجه الذهبي في «العلو» (ص٦٣) بسند منقطع.

(٢) في «الاستيعاب» (٤/ ٢٩١) معلقاً.

(٣) أخرجه الدارمي في «الرد على الجهمية» (ص٢٧)، **بسند ضعيف منقطع**.
فيه: قدامة بن إبراهيم: قال عنه الحافظ في (التقريب: ٥٥٢٥): مقبول.
ويحيى بن أيوب المصري: قال عنه الحافظ في (التقريب: ٧٥١١): صدوق ربما أخطأ.
قال الذهبي في «العلو» (ص٤٢): «روي من وجوه مرسلة منها يحيى بن أيوب المصري، حدثنا عمارة بن غزية عن قدامة بن محمد بن إبراهيم الحاطبي فذكره، **فهو منقطع اهـ**.
وقال ابن عبد البر في «الاستيعاب» (٢/ ٢٩٦): «وقصته مع زوجته حين وقع على أمته مشهورة رويناها من وجوه صحاح» اهـ.

(٤) في «الرد على الجهمية» (ص٢٦ ـ ٢٧) **موقوفاً بسند حسن وقد تقدم**.

(٥) في «السنة» (ص٦٥) **بسند ضعيف**. كما أشار الذهبي في «العلو» (ص٦٤) ومن طريقه ساقه الذهبي. وصحح ابن القيم في «الجيوش الإسلامية» (ص١٠٠) إسناده.
وأخرجه الدارمي في «الرد على الجهمية» (ص٢٦) بنحوه.
انظر: «مختصر العلو» (ص١٠٤) للمحدث الألباني.

وعنه ﷺ قال: «إن الله تعالى يبرُز لأهل جنتِه في كل جُمعةٍ في كثيف من كافور أبيض فيحدُث لهم من الكرامةِ ما لم يرَوا مثلَه ويكونون في الدنوّ منه كمسارعتهم إلى الجُمع»، أخرجه ابنُ بطةَ في الإبانة الكبرى بإسناد جيد[١].

وعن علي بنِ أبي طالب[٢] رضي الله عنه قال: البحرُ المسجور يجري تحتَ العرشِ.

وتقدم حديثُ أبي هريرةَ[٣] رضي الله عنه وفيه: **«وينزل الله تعالى في ظُللٍ من الغمام من العرش إلى الكرسي»**.

وعن أم سلمةَ[٤] رضي الله عنها في قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، قالت: الكيفُ غيرُ معقول، والاستواءُ غيرُ مجهول، والإقرارُ به إيمان، والجحود به كفرٌ.

قال الذهبي[٥]: «هذا القولُ محفوظٌ عن جماعة كربيعةِ الرأي، ومالكٍ الإمامِ، وأبي جعفر الترِمذيّ، فأما أم سلمةَ فلا يصح لأن أبا كنانةَ ليس بثقة وأبو عميرٍ لا أعرفه».

وعن عبد الله بنِ عمرو[٦] رضي الله عنهما قال: قالت الملائكةُ: يا ربنا منا الملائكةُ

---

(١) أورده الذهبي في «العلو» (ص٦٥) وقال: أخرجه ابن بطة في «الإبانة الكبرى» **بإسناد جيد**، وقد تقدم هذا ولكن بإسناد آخر.

(٢) أخرجه الطبري في «جامع البيان» (١٣/ج٢٧/ ٢٠) **بسند ضعيف**.
من طريق ابن حميد، وهو محمد بن حميد الرازي سيء الحفظ.
وفيه مهران العطار: سيء الحفظ.
وليث بن أبي سليم قد اختلط فلم يتميز حديثه فترك.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) أخرجه اللالكائي رقم (٦٦٣).
وأشار إلى هذه الرواية ابن حجر في «الفتح» (١٣/ ٤٠٦).
وقال ابن تيمية في «الفتاوى» (٥/ ٣٦٥) بعد ذكر قول مالك في الاستواء: «وقد روى هذا الجواب عن أم سلمة رضي الله عنها موقوفاً ومرفوعاً، ولكن ليس إسناده مما يعتمد عليه» اهـ.

(٥) في «العلو» (ص٦٥).

(٦) أخرجه الدارمي في «الرد على المريسي» (ص٣٤).
في إسناده عبد الله بن صالح كاتب الليث: صدوق كثير الغلط، ثبت في كتابه وكانت فيه غفلة (التقريب: ٣٣٨٨). ومع ذلك قال الذهبي: إسناده صالح.
وأورده ابن كثير في تفسيره (٣/ ٥٥) عن الطبراني من طريقين مختصراً عما هنا.

المقربون، ومنا حملةُ العرشِ، ومنا الكرامُ الكاتبون، وذكر الحديثَ. قال الذهبي[1]: إسنادُه صالحٌ.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «وأيمُ اللَّهِ إني لأخشى لو كنت أحبُ قتلَه لقتلتُه - يعني عثمان رضي الله عنه - ولكن علم الله من فوق عرشِه أني لم أحبَّ قتلَه». رواه الدارمي[2].

وعن أسماءَ بنتِ عُميسٍ أن جعفراً رضي الله عنه جاءها إذ هم بالحبشة يبكي فقالت: قال: «رأيت فتى مُترفاً من الحبشة شاباً جسماً مر على امرأة فطرح دقيقاً كان معها فنسفتْه الريحُ فقالت: أَكِلك إلى يومِ يجلِس الملكُ على الكُرسي فيأخذ للمظلوم من الظالم». رواه ابنُ ماجه[3] وغيرُه.

وعن أبي أمامةَ الباهليِّ[4] رضي الله عنه قال: «لما لعن الله إبليسَ وأخرجه من سمواته وأخزاه قال: ربِّ أخزيتني ولعنتني وطردتَني عن سمواتك وجوارك، فوعزَّتِك

---

(١) في «العلو» (ص٦٦).

(٢) في «الرد على الجهمية» (ص٢٧) **بإسناد صحيح**.

(٣) في «السنن» (٢/١٣٢٩ رقم ٤٠١٠) من حديث جابر.
قال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (٣/٢٤٢ - ٢٤٣ رقم ١٤١٠/٤٠١٠): «هذا إسناد حسن، سويد مختلف فيه» اهـ.
قلت: وفيه عنعنة أبي الزبير فإنه كان مدلساً.
وتابعه في «المرفوع منه» الفضل بن العلاء، حدثنا ابن خيثم به.
أخرجه ابن حبان (١١/٤٤٥ رقم ٥٠٥٩ - الإحسان -) والخطيب في «تاريخه» (٧/٣٩٦).
وأخرج البيهقي في «الأسماء والصفات» رقم (٨٦٠) عن عطاء بن السائب عن محارب بن دثار عن ابن بريدة عن أبيه رضي الله عنه قال: لما قدم جعفر رضي الله عنه من الحبشة، قال له رسول الله ﷺ: **«ما أعجب شيء رأيته ثم قال...»** فذكره.
وإسناده صحيح لولا أن عطاء بن السائب كان اختلط، ولكنه يستشهد به.
والخلاصة: **فالحديث حسن، والله أعلم**.
* **تنبيه**: واللفظ المذكور في الكتاب ذكره الذهبي في «العلو» (ص٦٦) وفيه ضعف، لكنه حسن بشواهده.

(٤) ذكره ابن القيم في «اجتماع الجيوش الإسلامية» (ص٦٦) بغير سند.
ولم أقف على هذا الأثر مسنداً.
وقد وقفت على أثر في معناه منسوب إلى أبي قلابة. أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٣/١٨٧) وأبو نعيم في «الحلية» (٢/٢٨٤).

لأغوينّ خلقَك ما دامت الأرواح في أجسادهم، فأجابه الربّ تبارك وتعالى فقال: وعزتي وجلالي وارتفاعي على عرشي لو أن عبدي أذنب حتى ملأ السمواتِ والأرضَ خطايا ثم لم يبْقَ من عمره إلا نفَسٌ واحدٌ فندِم على ذنوبه لغفرتُها وبدّلت سيئاتِه كلَّها حسناتٍ».

وقد رُوي عن أبي سعيد الخدريِّ[1] ﷺ أن رسولَ اللّهِ ﷺ قال: **«إن الشيطان قال: وعزتك لا أبرَح أُغوي عبادَك ما دامت أرواحُهم في أجسادِهم، فقال الرب: وعزتي وجلالي وارتفاعِ مكاني، لا أزال أغفِر ما استغفروني»**.

وعن ابن عباس ﷺ قال: «إن الكرسيَّ الذي وسِع السمواتِ والأرضَ لموضع قدميه، وما يقدر قدْرَ العرشِ إلا الذي خلقه، وإن السمواتِ في خلق الرحمن عز وجل مثلُ قبةٍ في صحراء» رواه عبدُ الله بنُ أحمدَ في كتاب السنة[2].

---

(١) أخرجه أحمد (٣/ ٧٦) وأبو يعلى (٢/ ٥٣٠) من طريق ابن لهيعة به دون قوله: «وارتفاع مكاني».
وأخرجه البغوي في «شرح السنة» (٥/ ٧٦) من طريق ابن لهيعة به وفيه الزيادة «وارتفاع مكاني»، وهي زيادة منكرة.
وأخرجه الحاكم في «المستدرك» (٤/ ٢٦١). وقال: **صحيح الإسناد** ولم يخرجاه وسكت عليه الذهبي.
قلت: وأورد الذهبي هذا الحديث في كتاب «العلو» (ص٧٢) من طريق ابن لهيعة التي فيها الزيادة وقال عقبه: «فيه دراج وهو واه» اهـ.
وللحديث طرق أخرى عن أبي سعيد أخرجه أحمد (٣/ ٢٩، ٤١) وأبو يعلى (٢/ ٤٥٨) كلاهما من طريق ليث عن يزيد بن الهاد عن عمرو عن أبي سعيد مرفوعاً.
وقال المحدث الألباني في «الصحيحة» رقم (١٠٤): «هذا إسناد رجاله كلهم ثقات رجال الشيخين، لكنه منقطع بين عمرو ـ وهو ابن أبي عمرو مولى المطلب ـ وبين أبي سعيد الخدري، فإنهم لم يذكروا لعمرو رواية عن أحد من الصحابة غير أنس بن مالك وهو متأخر الوفاة جداً عن أبي سعيد، فإن هذا كانت وفاته سنة (٧٥) على أكثر ما قيل، وهو توفي سنة (٩٢) وقيل (٩٣)، انتهى.
وخلاصة القول أن الحديث حسن بطرقه، والله أعلم.

(٢) رقم (٥٩٠) وفي إسناده إبراهيم بن يوسف بن إسحاق بن أبي إسحاق السبيعي، روى عن أبيه وجده أبي إسحاق، وعنه إسحاق بن منصور السلولي وغيره صدوق يهم [التقريب (١/ ٤٧)].
وإسحاق بن منصور السلولي روى عن إبراهيم بن يوسف بن أبي إسحاق السبيعي وعنه=

وللدارمي[1] عنه رضي الله عنه أنه استأذن على عائشةَ رضي الله عنها وهي تموت فقال: «كنتِ أحبَّ نساء النبيِّ ﷺ إليه، ولم يكن رسولُ الله ﷺ يُحب إلا طيباً، وأنزل الله تعالى براءتَك من فوق سبعِ سمواتٍ جاء بها الروحُ الأمينُ، فأصبح ليس مسجدٌ من مساجد اللَّهِ تعالى يُذكر فيها إلا هو يُتلى فيها آناءَ الليلِ وآناءَ النهار».

وذكر الطبراني في شرح السنة[2] عن مجاهد قال: قيل لابن عباس: إن ناساً يكذبون بالقدَر، قال: «يكذّبون بالكتاب، لئن أخذت شعر أحدهم لا ينبتونه، إن الله تعالى كان على عرشه قبل أن يخلُقَ شيئاً فخلق الخلقَ فكتب ما هو كائنٌ إلى يوم القيامة، فإنما يجري الناسُ على أمر قد فُرِغ منه».

ولإسحاق بنِ راهُويه[3] عن عِكرِمةَ في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ﴾ [الأعراف: ١٧]. قال ابن عباس رضي الله عنهما: لم يستطع أن يقولَ مِن فوقِهم، علم أن الله تعالى من فوقِهم.

وليحيى بنِ سعيدٍ الأُمويِّ[4] عن عدي بنِ عَميرةَ رضي الله عنه قال: خرجت مهاجراً إلى النبي ﷺ، فذكر قصةً طويلةً وقال فيها: فإذا هو ومن معه يسجُدون على وجوههم ويزعُمون أن إلَههم في السماء، فأسلمتُ وتبعتُه.

= عباس العنبري كان صدوقاً تكلم فيه للتشيع. [التقريب (١/ ٦١)].
يوسف ابن إسحاق بن أبي إسحاق السبيعي ثقة، روى عن عمار الدهني وعنه ابنه إبراهيم. [التقريب (٢/ ٣٧٩)].
وقد قال المحدث الألباني عن هذا الإسناد، في «مختصر العلو» (ص١٠٢): **إسناد صحيح رجاله كلهم ثقات.**

(١) في «الرد على الجهمية» (ص٢٧ ـ ٢٨) **بإسناد حسن.**
(٢) وأخرجه اللالكائي (٤/ ٧٤١ رقم ١٢٢٣) وقال محققه:
وأخرجه ابن بطة بسند آخر عن أبي هاشم... به في «الإبانة» (٢/ ٨٧).
(٣) أخرجه اللالكائي (٣/ ٤٤٠ رقم ٦٦١).
(٤) في مغازيه من طريق ابن إسحاق كما في «اجتماع الجيوش الإسلامية» (ص٦٦) لابن القيم وفيه يزيد بن سنان وهو ضعيف.
وأورد هذا الخبر ابن حجر في «الإصابة» (٤/ ٣٩٣ ـ ٣٩٤) عند ترجمة عدي بن عميرة.
والذهبي في «العلو» (ص٢٥) وقال: **هذا حديث غريب.**
وأخرجه ابن قدامة في «العلو» رقم (٧).

وأقوالُ الصحابةِ في هذا البابِ وتفاسيرُهم أكثرُ من أن تُحصَرَ، وفيما ذكرنا كفايةٌ.

ذِكرُ أقوالِ التابعين رحمهم الله تعالى ومَن بعدَهم من أهل السنةِ والجماعة

عن كعبِ الأحبارِ ﵁ قال: قال الله عز وجل في التوراة: «**أنا اللَّهُ فوق عبادي، وعرشي فوق جميع خلقي، وأنا على عرشي أدبر أمورَ عبادي، ولا يخفى عليَّ شيءٌ في السماء ولا في الأرض**». قال الذهبي[1] رواتُه ثقاتٌ.

وعنه رحمه الله قال: إن الله تعالى خلق سبعَ سمواتٍ ومن الأرض مثلَهن، ثم جعل بين كلِ سماءين كما بين السماءِ الدنيا والأرض، وجعل كَثْفَها مثل ذلك، ثم رفع العرشَ فاستوى عليه. وذكر الأثر.

رواه أبو الشيخ في كتابه العظمة[2]، قال الذهبي[3]: إسنادُه نظيفٌ، وأبو صالحٌ ليَّنوه وما هو بمتهم بل سيءُ الإتقان.

وعن مسروق رحمه الله تعالى أنه كان إذا حدث عن عائشةَ ﵄ قال: حدثتني الصدِّيقةُ بنتُ الصديقِ حبيبةُ الله المبرأةُ من فوق سبعِ سمواتٍ، قال الذهبي[4]: إسنادُه صحيحٌ.

ويُروى عن عطاءِ بنِ يسار رحمه الله أن موسى عليه السلام قال: يا رب، مَن أهلُك الذين هم أهلُك الذين تُظلّهم في ظل عرشِك؟ قال: هم الذين يأوون إلى مساجدي كما تأوي النسورُ إلى أوكارِها[5].

---

(١) في «العلو» (ص٩٢).
وأخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ٧) عنه بسند صحيح.

(٢) (رقم: ٢٣٦) بإسناد حسن.

(٣) في «العلو» (ص٩٢).
قلت: وأخرجه الدارمي في «الرد على الجهمية» (ص٢٩).

(٤) في «العلو» (ص٩٢).
وانظر: «مختصر العلو» (ص١٢٨).

(٥) ذكره الذهبي في «العلو» (ص٩٣) بصيغة التمريض.

وعن عبيد بنِ عميرٍ قال: ينزل الربُّ عز وجل شطرَ الليلِ إلى سماء الدنيا فيقول: مَن يسألني فأعطيه؟ مَن يستغفرني فأغفرُ له؟ حتى إذا كان الفجرُ صعِد الربُّ عز وجل. أخرجه عبدُ الله بنُ الإمامِ أحمدَ في رده على الجهمية[1].

وعن شريح بن عبيدِ اللَّهِ[2] أنه كان يقول: ارتفع إليك ثُغَاءُ التسبيح، وصعِد إليك وَقارُ التقديس، سبحانك ذا الجبروتِ، بيدك الملكُ والمَلكوتُ والمفاتيحُ والمقاديرُ. إسنادُه صحيحٌ.

وعن أبي قُلابَة[3] رحمه الله تعالى قال: «أهبطَ اللَّهُ تعالى آدمَ؟ قال: يا آدمُ إني مُهبطٌ معك بيتاً يُطاف حولَه كما يُطاف حولَ عرشي ويصلّى عنده كما يُصلّى عند عرشي»، وذكر الأثرَ.

قال الذهبيُّ[4]: هو ثابتٌ عن أبي قُلابةَ.

وعن عمرِو بنِ ميمونَ[5] قال: لما تعجّل موسى إلى ربه رأى في ظل العرشِ رجلاً يغبِطه، فسأل الله تعالى أن يُخبِرَه باسمه فقال: لا ولكني أحدثك بشيء من فعله، كان لا يحسد الناسَ على ما آتاهم اللَّهُ من فضلِه، ولا يعُقّ والديه، ولا يمشي بالنميمة. قال الذهبي[6]: إسنادُه قويٌّ.

---

(١) عزاه إليه الذهبي في «العلو» (ص٩٣) **ورجاله ثقات.**

(٢) أخرجه أبو الشيخ في «العظمة» رقم (١٠٩) **بإسناد حسن.**
وأورده الذهبي في «العلو» (ص٩٣) وقال: **إسناده صحيح.**
* الثغاء: صوت الغنم والظباء وغيرها عند الولادة.
وثغت الشاة: صاحت.
وثغاء التسبيح: أصوات التسبيح.

(٣) أورده الذهبي في «العلو» (ص٩٣ ـ ٩٤).

(٤) في «العلو» (ص٩٤): وأضاف قائلاً: «وأين مثل أبي قلابة في الفضل والجلالة؟ هرب من توليه القضاء في العراق إلى الشام» اهـ.

(٥) أورده الذهبي في «العلو» (ص٩٤). **وبسنده ضعيف.**
لأن زهير بن معاوية بن خديج سمع من أبي إسحاق بعد ما اختلط. ومع ذلك قال الذهبي: **إسناده قوي.**

(٦) في «العلو» (ص٩٤).

وعن مجاهدٍ[1] رحمه الله تعالى قال: ما أخذت السمواتُ والأرضُ من العرش إلا كما تأخذ الحلْقةُ من أرض الفَلاة.

وعنه رحمه الله تعالى في قول اللّهِ عز وجل: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩]. قال: يُجلسُه أو يُقعِده على العرش.

قال الذهبي[2]: «لهذا القولِ طرقٌ خمسةٌ. وأخرجه ابنُ جريرٍ في تفسيره[3]، وعمل المَرْوزيُّ مصنفاً».

وعن نَوفِ البكالي: «أن موسى عليه السلام لما سمعَ الكلامَ قال: من أنت الذي يكلمني؟ قال: أنا ربُّك الأعلى»، قال الذهبيُّ[4]: إسنادُه صحيحٌ.

وعنه قال: إني أجد في التوراة لو أن السمواتِ والأرضَ كُنّ طبقاً من حديد فقال رجلٌ: لا إله إلا اللّهُ، لخَرَقتْهنّ حتى تنتهيَ إلى الله عز وجل»، رواه حمّادُ بنُ سلمةَ[5].

وعن أبي عيسى يحيى بنِ رافعٍ[6] رحمه الله تعالى أن ملكاً لما استوى الربُّ على كرسيه سجد فلا يرفع رأسَه حتى تقوم الساعةُ فيقول: لم أعبُدْك حقَّ عبادَتك.

---

(١) ذكره الذهبي في «العلو» (ص٩٤) وفيه ليث بن أبي سليم صدوق اختلط جداً ولم يتميز حديثه فترك. [التقريب: (٥٦٨٥)].

(٢) في «العلو» (ص٩٤).

(٣) «جامع البيان» (٩/ج١٥/ ١٤٥) وفيه ليث بن أبي سليم تقدم الكلام عليه آنفاً.
قال الطبري: وأولى القولين في ذلك بالصواب ما صح به الخبر عن رسول الله ﷺ. عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: **«عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً»**، سُئل عنها، قال: **«هي الشفاعة»**.

(٤) في «العلو» (ص٩٤). وقال: «**إسناده صحيح**، ونوف من علماء التابعين ووعاظهم» اهـ.

(٥) ذكره الذهبي في «العلو» (ص٩٥). وفيه علي بن زيد بن جدعان. ضعيف. [التقريب: (٤٧٣٤)].

(٦) ذكره الذهبي في «العلو» (ص٩٥). وقال: «أبو عيسى هو يحيى بن رافع أدرك عثمان بن عفان رضي الله عنه» اهـ.
قلت: وفيه نعيم بن حماد: صدوق يخطئ كثيراً، فقيه عارف بالفرائض.
[التقريب: (٧١٦٦)] وقال يحيى بن معين عنه: ليس في الحديث بشيء، ولكنه صاحب سنة» [التهذيب: (٤/ ٢٣٥)].

وعن قتادةَ[1] رحمه الله تعالى قال: قالت بنو إسرائيلَ: «يا ربِّ أنت في السماءِ ونحن في الأرض، فكيف لنا أن نعرِف رضاك وغضبَك؟ قال: **إذا رضيتُ عنكم استعملتُ عليكم خيارَكم، وإذا غضبتُ استعملتُ عليكم شِرارَكم**». قال الذهبي[2]: وهذا ثابتٌ عن قتادةَ.

وعن عِكرِمَةَ[3] رحمه الله تعالى قال: بينما رجلٌ في الجنة اشتهى الزرعَ، فيقول للملائكةِ ابذُروا فيخرج أمثالُ الجبال، فيقول الربُّ عز وجل من فوق عرشه: «كُلْ يا ابنَ آدمَ فإن ابنَ آدمَ لا يشبع». قال الذهبي[4]: إسناده ليس بذاك.

وصحَّ في السنة لِلّالكائي[5] عن ثابتٍ البنانيِّ قال: كان داودُ عليه السلام يطيل الصلاةَ، ثم يرفع رأسه إلى السماء، ثم يقول: إليك رفعتُ رأسي نظَر العبيدِ إلى أربابها يا ساكنَ السماء.

وفي الحِلية[6] بإسناد صحيح عن مالك بنِ دينارٍ أنه كان يقول: خُذوا، فيقرأ ثم يقول: اسمعوا إلى قول الصادقِ من فوقه عرشِه.

وعن مجاهد في قوله تعالى: ﴿وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا﴾ [مريم: ٥٢] قال: بين السماءِ السابعةِ وبين العرشِ سبعون ألفَ حجاب، فما زال يقرِّب موسى حتى كان بينه

---

(١) أخرجه الدارمي في «الرد على الجهمية» (ص٢٨).
(٢) في «العلو» (ص٩٦) وقال: «هذا ثابت عن قتادة أحد الحفاظ الكبار».
(٣) أخرجه ابن قدامة في «العلو» رقم (٦٩)، وأبو نعيم في «الحلية» (٣/ ٣٣٤) وأورده ابن القيم في «اجتماع الجيوش الإسلامية» (ص٧٢) والذهبي في «العلو» (ص٩٦) **بسند ضعيف**.
(٤) في «العلو» (ص٩٦).
(٥) (٣/ ٤٤٣ ـ ٤٤٤ رقم ٦٦٩).
قلت: وأخرجه ابن قدامة في «العلو» رقم (٤٤) وأورده الذهبي في «العلو» (ص٩٦) وقال: صح في السنة للالكائي.
وأخرجه الذهبي في «العلو» (ص٥٥) وقال: **إسناده صالح**.
وكذلك أورده الذهبي في «الأربعين» رقم (٣٧) وقال: صح عن ثابت البناني.
(٦) (٢/ ٣٥٨).
وأورده الذهبي في «العلو» (ص٩٧) وقال: حديث في «الحلية» **بإسناد صحيح**.
قلت: في سند الحلية: سيار بن حاتم العنزي: قال عنه الحافظ في «التقريب» (٢٧١٤): صدوق له أوهام.

وبينه حجابٌ، فلما رأى مكانه وسمِع صريفَ القلمِ قال: ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ﴾ [الأعراف: ١٤٣]. هذا ثابتٌ عن مجاهد إمامِ التفسيرِ، أخرجه البيهقي في كتابه الأسماء والصفات[(١)].

وعن سفيانَ قال: كنت عند ربيعةَ بنِ أبي عبدِ الرحمن فسأله رجل فقال: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه ٥]. كيف استوى؟ فقال: «الاستواءُ غيرُ مجهولٍ والكيفُ غيرُ معقول، ومن الله الرسالةُ وعلى الرسول البلاغ وعلينا التصديقُ»[(٢)].

وعن حسان بنِ عطيةَ[(٣)] قال: حملةُ العرشِ أقدامُهم ثابتة في الأرض السابعة ورؤوسُهم قد جاوزت السماءَ السابعةَ، وقرونُهم مثلُ طولِهم عليها العرشُ.

وذكر أيوبُ السِخْتيانيُّ المعتزلةَ وقال: إنما مدارُ القومِ على أن يقولوا: ليس في السماء شيءٌ. قال الذهبي[(٤)]: «هذا إسنادٌ كالشمس وضوحاً وكالأُسطوانة ثبوتاً عن سيد أهلِ البصرةِ وعالِمهم رحمه الله تعالى».

وقرأ ابنُ محيصن[(٥)] رفيقُ ابنِ كثير بمكة: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات: ٢٢].

---

(١) (ص٩٦). **وإسناده صحيح**.
وأورده الذهبي في «العلو» (ص٩٧ ـ ٩٨).

(٢) أخرجه اللالكائي (٣/ ٤٤١ ـ ٤٤٢ رقم ٦٦٥) وابن قدامة في «العلو» رقم (٧٤). والبيهقي في «الأسماء والصفات» مع اختلاف يسير في اللفظ (ص٤٠٨) والذهبي في «العلو» (ص٩٨).
قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ بعد أن ذكر قولاً مماثلاً لمالك ـ ومثل هذا الجواب ثابت عن ربيعة شيخ مالك. [الفتاوى: (٥/ ٣٦٥)].
وقال في «الحموية» (ص٧٨ ـ ٧٩) وروى الخلال بإسناد كلهم أئمة ثقات عن سفيان بن عيينة، قال: سئل ربيعة بن أبي عبد الرحمن عن قوله: «الرحمن على العرش استوى» وذكر بقية الخبر.

(٣) أورده الذهبي في «العلو» (ص٩٨).
قلت: فيه يحيى بن عبد الله البابلتي. قال عنه الحافظ في «التقريب» (٧٥٨٥) (ضعيف).
* تنبيه في «العلو» البابلي وهو خطأ مطبعي والصواب ما أثبتناه من «التقريب».

(٤) في «العلو» (ص٩٨).

(٥) قال الذهبي في «العلو» (ص٩٨): «وقرأ ابن محيصن رفيق ابن كثير بمكة ﴿وفي السماء=

وعن الضحاك في قوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧]، قال: هو على عرشه وعلمُه معهم أينما كانوا، وفي لفظ: هو فوق العرشِ وعلمه معهم أين ما كانوا. أخرجه العسالُ وابنُ بطةَ وابنُ عبد البرِّ بإسناد جيد[١].

وعن سليمانَ التيْميِّ[٢] رحمه الله تعالى قال: لو سُئلت أين الله لقلتُ في السماء.

وعن حبيبِ بنِ أبي حبيب[٣] قال: شهدتُ خالدَ بنَ عبدِ الله القسريَّ وخطبَهم بواسط فقال: «**أيها الناسُ ضحُّوا تقبَّل الله ضحاياكم، فإني مضحٍّ بالجَعْد بنِ دِرهم، فإنه زعم أن الله لم يتخذ إبراهيمَ خليلاً ولم يكلم موسى تكليماً، سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً**». ثم نزل فذبحه.

قال الذهبي[٤]: والمعتزلةُ تقول هذا وتحرّف نصَّ التنزيل في ذلك، وزعموا أن الربَّ منزّهٌ عن ذلك.

= **رزقكم وما توعدون﴾** حرف ابن محيصن في كتاب المنهج لأبي محمد سبط الخياط، قال الأستاذ ابن مجاهد: كان عالماً بالأثر والعربية لكن أكثر العلماء على أن قراءة ابن محيصن في عداد الشاذ» اهـ.

(١) أخرجه عبد الله بن أحمد في «السنة» رقم (٥٩٢) وابن جرير الطبري في «جامع البيان» (١٤/ج٢٨/ ١٢ ـ ١٣) والآجري في «الشريعة» (ص٢٨٩) والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص٤٣٠). **بإسناد حسن.**
وأخرجه ابن عبد البر في «التمهيد» (٧/ ١٣٩) معلقاً، وأورده الذهبي في «العلو» (ص ٩٨ ـ ٩٩). وقال: أخرجه أبو أحمد العسال وأبو عبد الله بن بطة، وأبو عمر ابن عبد البر **بإسناد جيد**. ومقاتل ثقة إمام» اهـ.

(٢) أخرجه اللالكائي (٣/ ٤٤٤ رقم ٦٧١) وابن قدامة في «العلو» رقم (٧٥) وأورده الذهبي في «العلو» (ص٩٩).

(٣) أخرجه البخاري في «خلق أفعال العباد» رقم (٣): وفي «التاريخ الكبير» (٢/ ٦٤) والدارمي في «الرد على الجهمية» (ص٧ وص١١٣) والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٠/ ٢٠٥ ـ ٢٠٦) وفي «الأسماء والصفات» (ص٢٥٤) والآجري في «الشريعة» (ص٩٧) و (ص٣٢٨) والذهبي في «العلو»، من طريق عبد الرحمن بن محمد به. وفي سنده محمد بن حبيب، وعبد الرحمن بن محمد وهما مجهولان.
وذكره الذهبي في «العلو» (ص١٠٠) عن السري بن يحيى. وإسناده ضعيف لجهالة محمد بن حبيب.

(٤) في «العلو» (ص١٠٠).

وقال أبو عمرَ ابنُ عبدِ البرِّ رحمه الله في التمهيد[1]: وعلماءُ الصحابةِ والتابعين الذين حُمل عنهم التأويلُ قالوا في تأويل قوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧]: هو على العرش وعِلمُه في كل مكان. وما خالفهم أحد في ذلك يحتج به.

طبقةٌ أخرى

عن نُوح الجامع قال: كنت عند أبي حنيفةَ أولَ ما ظهرَ جهمٌ، إذ جاءته امرأةٌ من تِرمِذ كانت تُجالسُ جَهْماً، فدخلت الكوفةَ فأظنُّني أقلُّ ما رأيت عليها عشَرةَ آلافِ نفس، فقيل لها: إن ههنا رجلاً قد نظر في المعقول يقال له أبو حنيفة، فأْتيه. فأتتْه فقال: أنت الذي تعلم الناسَ المسائلَ وقد تركتَ دينَك، أين إلٰهُك الذي تعبُده؟.

فسكت عنها ثم مكث سبعةَ أيامٍ لا يجيبها، ثم خرج إلينا وقد وضع كتاباً إن الله عز وجل في السماء دون الأرضِ، فقال له رجلٌ: أرأيتَ قولَ اللّٰهِ عز وجل: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ [الحديد: ٤]. قال: هو كما تكتُب إلى الرجل أني معك، وأنت غائبٌ عنه. رواه البيهقي[2].

ثم قال: لقد أصاب أبو حنيفة رحمه الله فيما نفى عن الله عز وجل من الكون في الأرض. وأصاب فيما ذكر من تأويل الآيةِ وتَبع مطلقَ السمع بأن الله تعالى في السماء.

قلت: وإنما أراد بقوله هو كما تكتُب إلى الرجل الخ نفْيَ الحلول، وإلا فربُّنا تبارك وتعالى سواءٌ عنده الغيبُ والشهادةُ والسرُّ والعلانية.

وعن أبي مُطيع الحكَم بنِ عبدِ الله البلْخيِّ قال: سألت أبا حنيفة عمن يقول: لا أعرف ربي في السماء أو في الأرض، قال: «إذا أنكر أنه في السماء أو في

---

(١) في «التمهيد» (٧/١٣٨ ـ ١٣٩).

(٢) في «الأسماء والصفات» (٢/٣٣٧ ـ ٣٣٨ رقم ٩٠٥) **وإسناده ضعيف جداً.**
وفيه: نوح بن أبي مريم: كذاب وضاع. [التقريب: (٧٢١٠)].
ونعيم بن حماد قد تكلم في حفظه. [التقريب: (٧١٦٦)].
ولذلك قال البيهقي: إن صحت الحكاية عنه.

الأرض فقال: قد كفر؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]. وعرشُه فوق سمواته.

فقلت: إنه يقول: أقول على العرش استوى، ولكن قال: لا يدري العرشَ في السماء أو في الأرض، قال: إذا أنكر أنه في السماء فقد كفر»، رواه شيخُ الإسلامِ الأنصاريُّ في الفاروق(١).

وروى المقدسِيُّ(٢) عنه رحمه الله تعالى أنه قال: من أنكر أن الله عز وجل في السماء فقد كفر.

وعن ابن جريجٍ(٣) رحمه الله تعالى قال: كان عرشُه على الماء قبل أن يخلُق الخلقَ.

وروى الحاكم عن الأوزاعي رحمه الله تعالى قال: «كنا ـ والتابعون متوافرون ـ نقول: إن الله عز وجل فوق عرشِه، ونؤمن بما وردت به السنةُ من صفاته»، وأخرجه البيهقيُّ في الأسماء والصفاتِ(٤).

وللثعلبي(٥) عنه في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ [الأعراف: ٥٤، يونس: ٣، الرعد: ٢، الفرقان: ٥٩، السجدة: ٤، الحديد: ٤]. قال: هو على عرشه كما وصف نفسَه.

وسُئل رحمه الله تعالى عن أحاديثِ الصفاتِ فقال: أمِرَّها كما جاءت(٦).

---

(١) ذكر ذلك الذهبي في «العلو» (ص١٠١).
(٢) ابن قدامة في «إثبات العلو».
(٣) أورده الذهبي في «العلو» (ص١٠٢) وقد قال: روى أبو حاتم الرازي عن الأنصاري عنه ثم ذكره.
(٤) (رقم: ٨٦٥).
والأثر ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في «الحموية» (ص٧٥) وعزاه للبيهقي وصحح إسناده.
وكذلك ذكره الحافظ في «الفتح» (٤٠٦/١٣) وعزاه أيضاً للبيهقي وجود إسناده.
وأيضاً ذكره الذهبي في «تذكرة الحفاظ» (١/ ١٧٩ ـ ١٨٠) وصحح إسناده.
وأورده الذهبي في «العلو» (ص١٠٢) وعزاه للبيهقي.
(٥) ذكره الذهبي في «العلو» (ص١٠٢).
(٦) أخرجه الآجري في «الشريعة» (ص١٠٢) بإسناد صحيح.
وأورده الذهبي في «العلو» (ص١٠٢).

وعن مقاتل بنِ حيانَ في قوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧]، قال: هو على عرشه وعلمُه معهم. رواه عبدُ اللَّهِ بنُ أحمدَ في السنة[١].

وللبيهقي[٢] عنه قال: بلَغنا واللَّهُ أعلمُ في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ [الحديد: ٣]. هو الأولُ قبل كلِ شيءٍ، والآخرُ بعد كلِ شيءٍ، والظاهرُ فوق كلِ شيء، والباطنُ أقربُ من كلِ شيء، وإنما قربُه بعلمِه وهو فوق عرشِه.

وعن سفيان الثوريِّ في قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤] قال: علمُه[٣].

وقال في جميع أحاديثِ الصفات: أمِرّوها كما جاءت[٤].

وعن الإمام مالكِ بنِ أنسٍ[٥] رحمه الله تعالى قال: الله في السماء وعلمُه في كل مكان لا يخلو منه شيءٌ. وسأله رجلٌ فقال: يا أبا عبد الله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]. كيف استوى؟ فأطرق مالكٌ وأخذتْه الرُّحضاءُ، ثم رفع رأسَه

---

(١) في «السنة» رقم (٥٩٢) بإسناد لين.
وأورده الذهبي في «العلو» (ص١٠٢) وعزاه لعبد الله بن أحمد في «السنة».

(٢) في «الأسماء والصفات» (ص٤٣٠).
قلت: وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٤/ج٢٨/ ١٢ ـ ١٣) والآجري في «الشريعة» (ص٢٨٩) **بإسناد حسن**.
وأورده الذهبي في «العلو» (ص٩٨ ـ ٩٩) وقال: أخرجه أبو أحمد العسال، وأبو عبد الله ابن بطة، وأبو عمر ابن عبد البر بإسناد جيد، ومقاتل ثقة إمام» اهـ.

(٣) أخرجه اللالكائي رقم (٦٧٢). وعبد الله بن أحمد في «السنة» رقم (٥٩٧) والآجري في «الشريعة» (ص٢٨٩) والبيهقي في «الأسماء والصفات» رقم (٩٠٨).
وأورده الذهبي في «العلو» (ص١٠٣). وذكره ابن عبد البر في «التمهيد» (٧/ ١٣٩).
قال الألباني في «مختصر العلو» (ص١٣٩): «ومعدان هذا لم أعرفه، وقد وقع موصوفاً بـ «العابد» في رواية البيهقي، والله أعلم.
ووقع في «الآجري»: خالد بن معدان! وهو خطأ مطبعي، فإن خالد بن معدان تابعي! وقال المؤلف في «مختصره»: «وهذا الأثر ثابت عن معدان» اهـ.

(٤) أورد ذلك الذهبي في «العلو» (ص١٠٣).

(٥) أخرجه اللالكائي رقم (٦٧٣)، وعبد الله بن أحمد في «السنة» (رقم: ١١). والآجري في «الشريعة» (ص٢٨٩). **وإسناده صحيح**.

فقال: الرحمنُ على العرش استوى كما وصفَ نفسه، ولا يقال كيف، وكيف عنه مرفوعٌ، وأنت صاحبُ بِدعة، أخرِجوه[1].

وفي رواية قال: الكيفُ غيرُ معقول، والاستواءُ منه غيرُ مجهول، والإيمانُ به واجبٌ، والسؤالُ عنه بِدعةٌ، وإني أخاف أن تكون ضالاً، وأمرَ به فأُخرِج[2].

وقال سلامُ بنُ مُطيع[3]: ويلكم ما تُنكرون هذا الأمر، واللّهِ ما في الحديث شيءٌ إلا وفي القرآن ما هو أثبتُ منه، قولُ اللّهِ تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [الحج: ٧٥، لقمان: ٢٨، المجادلة: ١].

﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [آل عمران: ٢٨ و ٣٠]. ﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ﴾ [المائدة: ١١٦]. ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤، يونس: ٣، الرعد: ٢، الفرقان: ٥٩، السجدة: ٤، الحديد: ٤]. ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧]. ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ [ص: ٧٥]. ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]. ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾ [القصص: ٣٠]. فما زال في ذلك من العصر إلى المغرب.

وصح عن ابن الماجِشون[4] أنه سُئل عما جحدت به الجهمية فقال: أما بعد فقد فهمتُ ما سألتَ عنه فيما تتابعتْه الجهميةُ في صفة الربِّ العظيمِ الذي فاتت عظمتُه الوصفَ والتقديرَ، وكلَّت الألسنُ عن تفسير صفِته، وانحسرت العقولُ دون معرفة قدرِه، فلم تجد العقولُ مساغاً فرجعت خاسئةً حسيرة، وإنما أُمروا بالنظر

---

(١) أخرجه الصابوني في «عقيدة السلف» رقم (٢٥) وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٣٢٥ - ٣٢٦). واللالكائي رقم (٦٦٤).
وتابع سلمة عليه بكار بن عبد الله القرشي عند ابن عبد البر في «التمهيد» (٧/ ١٥١).

(٢) أخرجه الدارمي في «الرد على الجهمية» (ص٣٣) والصابوني في «عقيدة السلف» رقم (٢٦).
وأخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» رقم (٨٦٦) و (٨٦٧) من طريقين، وقد جوَّد ابن حجر في «الفتح» (١٣/ ٤٠٦ ـ ٤٠٧) إسناد الحديث رقم (٨٦٦).
كما صحح الذهبي سنده في «العلو» (ص١٠٣).

(٣) أورده الذهبي في «العلو» (ص١٠٥) معلقاً.
وقال الألباني في «مختصر العلو» (ص١٤٤): **إسناده صحيح**.

(٤) أورده الذهبي في «العلو» (ص١٠٥ ـ ١٠٦). وقال: صح عن ابن الماجشون...

والتفكيرِ فيما خلق، وإنما يقال: «كيف» لِما لم يكن مرةً ثم كان، أما مَن لا يحول ولا يزول ولم يزل وليس له مِثلٌ فإنه لا يعلم كيف هو إلا هو.

وساق فصلاً طويلاً في هذا المعنى، وذكر جملةً مِنْ نصوص الصفاتِ رحمه الله.

وقال حمادُ بنُ زيدٍ: إنما يدُورون على أن يقولوا: ليس في السماء إلهٌ، يعني الجهميةَ، رواه ابنُ أبي حاتمٍ الرازيُّ[١].

وقال محمدُ بنُ إسحاقَ إمامُ أهلِ المغازي[٢]: كان اللَّهُ تعالى كما وصف نفسَه إذ ليس إلا الماءُ عليه العرشُ، وعلى العرش ذو الجلال والإكرام، الظاهرُ في علوه على خلقه فليس شيءٌ فوقه، الباطنُ لإحاطته بخلقه فليس شيءٌ دونه، الدائمُ الذي لا يبيد، وكان أولَ ما خلق النورُ والظلمةُ، ثم السمواتُ السبعُ من دُخان، ثم دحى الأرضَ، ثم استوى إلى السماء فحبَكَهن وأكملَ خلْقهن في يومين، ففرَغ من خلق السمواتِ والأرضِ في ستة أيام، ثم استوى على العرش.

طبقةٌ أخرى

روى ابنُ أبي حاتم[٣] عن جرير بنِ عبدِ الحميد قال: كلامُ الجَهميةِ أولُه عسلٌ وآخِرُه سُمٌّ، وإنما يحاولون أن يقولوا ليس في السماء إلهٌ.

وصح عن عليِّ بنِ الحسنِ بنِ شقيقٍ[٤] قال: قلتُ لعبد الله بنِ المبارك:

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم كما قال الذهبي في «العلو» (ص١٠٦ ـ ١٠٧)، وعبد الله بن أحمد في «السنة»، رقم (٤١) كلاهما من طريق سليمان بن حرب **بإسناد صحيح**.
وقال الألباني في «مختصر العلو» (ص١٤٧): **فهو إسناد صحيح**، وصححه ابن تيمية أيضاً في «الحموية».

(٢) أورده الذهبي في «العلو» (ص١٠٨). وقال عن محمد بن إسحاق: كان يبالغ في نشر أحاديث الصفات ويأتي بغرائب.
قلت: وذكره الذهبي عن سلمة بن الفضل وهو صدوق كثير الخطأ. [التقريب: (٢٥٠٥)].

(٣) عزاه إليه الذهبي في «العلو» (ص١١٠). **وإسناده صحيح**.

(٤) أخرجه عبد الله بن أحمد في «السنة» رقم (٢٢) والدارمي في «الرد على الجهمية» (ص٢٣). والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص٤٢٧).
وصحح إسناده ابن القيم في «اجتماع الجيوش الإسلامية» (ص٧١). =

كيف نعرِف ربَّنا عز وجل؟ قال: في السماء السابعةِ على عرشه، ولا نقول: كما تقول الجهميةُ إنه ها هنا في الأرض». فقيل هذا لأحمدَ بنِ حنبل فقال: هكذا هو عندنا.

وعنه ﵁ أن رجلاً قال له: يا أبا عبدِ الرحمن قد خفتُ اللَّهَ من كثرة ما أدعو على الجهمية، قال: لا تخفْ فإنهم يزعُمون أن إلهك الذي في السماء ليس بشيء. رواه عبدُ اللَّهِ بنُ أحمدَ[1].

وقال نوحٌ الجامعُ وسأله رجلٌ عن الله عز وجل في السماء هو؟ فحدث بحديث النبيِّ ﷺ حين سأل الأَمَة أين الله؟ قالت: في السماء، قال: **«أعتِقْها فإنها مؤمنة»**. ثم قال: سمَّاها النبيُّ ﷺ مؤمنةً أن عرفَتْ أن اللَّهَ عز وجل في السماء. رواه عبدُ اللَّهِ بنُ أحمدَ أيضاً[2].

وقل عبّادُ بنُ العوّام[3]: «كلمْتُ بِشراً المُرَيسيَّ وأصحابَه فرأيتُ آخِرَ كلامِهم ينتهي أن يقولوا ليس في السماء شيءٌ، أرى أن لا يُناكَحوا ولا يُوارثوا».

وثبت عن أبي يوسفَ[4] رحمه الله تعالى قال: «من طلب الدينَ بالكلام

= وقال الألباني في «مختصر العلو» (ص١٥٢): «**فهو صحيح كما قال المؤلف رحمه الله تعالى هنا**.

وقال في «مختصره»: «**هذا صحيح ثابت عن ابن المبارك وأحمد** ﵄.

وصححه ابن تيمية في «الحموية».

(١) في «السنة» رقم (٢٤) **بسند ضعيف**.

وأورده الذهبي في «العلو» وعزاه لعبد الله بن أحمد.

(٢) عزاه إليه الذهبي في «العلو» (ص١١١).

ونوح الجامع تقدم أنه متهم بالوضع.

وحديث الجارية صحيح تقدم تخريجه.

(٣) أخرجه عبد الله بن أحمد في «السنة» رقم (٦٥) **بسند ضعيف**.

وأورده الذهبي في «العلو» (ص١١٢) معلقاً.

(٤) أورده الذهبي في «العلو» (ص١١٢) وصدَّره بقوله: ثبت عن أبي يوسف.

وقال الألباني في «مختصر العلو» (ص١٥٤): «أخرجه الهروي في «ذم الكلام» (٦/١٠٤/١) من طريقين عن أبي يوسف، وقد جزم بنسبته إليه ابن تيمية في رسالته «الجواب الفاصل» من مخطوطات المكتب الإسلامي».

ثم أخرجه الهروي (٥/٩٤/٢) عن مالك مثله» اهـ.

تزندق، ومن طلب المالَ بالكيمياء أفلس، ومن تتبع غريبَ الحديث كذَب». وقد ضربَ علياً الأحولَ وطوّف به في شأن الكلامِ وضربَ آخرَ كان معه[1].

وقال محمدُ بنُ الحسن[2]: «اتفق الفقهاءُ كلُهم من المشرق والمغرِب على الإيمان بالقرآن والأحاديثِ التي جاء بها الثقاتُ عن رسولِ الله ﷺ في صفة الربِّ عز وجل من غير تفسيرٍ ولا وصفٍ ولا تشبيهٍ، فمن فسّر شيئاً من ذلك فقد خرج مما كان عليه النبيُّ ﷺ وفارق الجماعةَ لأنه وصفَه بصفةِ لا شيء».

وكتب بشرٌ المريسيُّ[3] قبحه الله تعالى إلى منصور بنِ عمارٍ رحمه الله تعالى يسأله عن قوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] كيف استوى؟

فكتب إليه: استواؤه غيرُ محدود، والجواب فيه تكلّفٌ، ومسألتُك عن ذلك بدعةٌ، والإيمانُ بجملة ذلك واجبٌ، قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾ [آل عمران: ٧].

وقيل ليزيدَ بنِ هارونَ: مَن الجهميُّ؟ قال: من زعم أن قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه] على خلاف ما يقِرُّ في قلوب العامة فهو جهميٌّ. رواه عبدُ الله بنُ أحمدَ[4].

---

(١) أورده الذهبي في «العلو» (ص١١٢) من رواية ابن أبي حاتم، وفي سنده بشار الخفاف ضعيف، كثير الغلط، كثير الحديث قاله ابن حجر في «التقريب» (٦٧٤).
* وأخرج عبد الله بن أحمد في «السنة» رقم (٣) **بسند حسن** عن أبي يوسف القاضي، قال: «جيئوني بشاهدين يشهدان على المريسي، والله لأملأن ظهره وبطنه بالسياط، يقول في القرآن، يعني مخلوق؟».

(٢) أخرجه اللالكائي رقم (٧٤٠).
وأورده الذهبي في «العلو» (ص١١٣) وعزاه للالكائي وابن قدامة.

(٣) أخرجه الخطيب في «تاريخه» (١٣/ ٧٥ ـ ٧٦).
وفي سنده أبو علي الكوكبي قال عنه ابن حجر: إخباري مشهور، رأيت في أخباره مناكير كثيرة **بأسانيد جياد**.

(٤) في «السنة» رقم (٥٤) **بإسناد حسن**.
قلت: وأخرجه أبو داود في مسائله (ص٢٦٨ ـ ٢٦٩)، وأورده البخاري في «خلق أفعال العباد» رقم (٤٨) معلقاً بصيغة الجزم.
وانظر: «مختصر العلو» (ص١٦٨).

وقال سعيدُ بن عامرِ الضبعيُّ[1] وذكر الجهمية فقال: هم شرٌّ قولاً من اليهود والنصارى، قد اجتمع اليهودُ والنصارى وأهلُ الأديانِ مع المسلمين على أن الله عز وجل على العرش، وقالوا هم: ليس على العرش.

وقال أحمدُ بنُ حنبلٍ[2] رضي الله عنه: حدثنا وكيعٌ عن إسرائيلَ بحديث: «**إذا جلس الربُّ جل جلالُه على الكرسي**». فاقشعرّ رجلٌ عند وكيعٍ، فغضب وكيعٌ وقال: أدركْنا الأعمشَ والثوريَّ يحدِّثون بهذه الأحاديثِ ولا يُنكرونَها.

وقال مرة[3]: نسلّم هذه الأحاديثَ كما جاءت ولا نقول: كيف كذا ولا لِمَ كذا.

وقالَ عبد الرحمنِ بنُ مَهديٍّ[4]: إن الجهميةَ أرادوا أن ينفُوا أن يكون اللَّهُ تعالى كلّم موسى وأن يكون على العرش، أرى أن يُستتابوا فإن تابوا وإلا ضُرِبت أعناقُهم.

وقال وهْبُ بنُ جريرٍ[5]: إياكم ورأيَ جَهْمٍ فإنهم يحاولون أنه ليس شيءٌ في السماء، وما هو إلا وحْي إبليسَ، ما هو إلا الكفْرُ.

وقال الأصمعيُّ[6]: لما قدِمتْ امرأةُ جهْمٍ فقال رجل عندها: الله على عرشه، فقالت: محدودٌ على محدود. قال الأصمعي: هي كافرةٌ بهذه المقالةِ.

وقال الخليل ابنُ أحمدَ[7] في قوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة: ٢٧]، يقول: ارتفع.

---

(١) أورده الذهبي في «العلو» (ص١١٧) من رواية ابن أبي حاتم مرسلاً.

(٢) أخرجه عبد الله بن أحمد في «السنة» رقم (٥٨٧) **بإسناد ضعيف**.
فيه عبد الله بن خليفة قال عنه الحافظ في «التقريب» (٣٢٩٤): **مقبول**.
وفي سماع عبد الله بن خليفة من عمر نظر، ومنهم من يرويه عنه عن عمر موقوفاً.
ومنهم من يرويه عنه مرسلاً. تفسير ابن كثير (١/٤٥٨) ن: مطبعة الشعب.

(٣) أخرجه عبد الله بن أحمد في «السنة» رقم (٤٩٥) **بسند صحيح**.

(٤) أخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» (ص٢٤٩) **بإسناد حسن**.
وأخرج عبد الله بن أحمد في «السنة» رقم (٤٦، ٤٨، ١٤٧) **بأسانيد صحيحة نحوه**.

(٥) أخرجه الذهبي في «العلو» (ص١١٨)، وابن قدامة في «العلو» رقم (٨٥) وأورده ابن القيم في «جيوشه» (ص٧٢).

(٦) أورده الذهبي في «العلو» (ص١١٨) **معلقاً**.

(٧) أخرجه الذهبي في «العلو» (ص١١٨).
وقال الألباني في «مختصر العلو» (ص١٧١) وفيه من لم أعرفهم.

وقال الفرَّاء[١]: صعِد. وعن عبد الله بن أبي جعفرٍ الرازيِّ[٢] أنه ضرب رأسَ قرابةٍ له كان يرى رأيَ جهْم، وكان يَضرِب بالنعل على رأسه ويقول: لا، حتى تقولَ الرحمنُ على العرش استوى، بائنٌ من خلقه.

طبقةُ الشافعيِّ وأحمدَ رضي الله عنهما

روى الحافظُ المقدسيُّ[٣] عن محمد بنِ إدريسَ الشافعيِّ رحمه الله تعالى: «القولُ في السنة التي أنا عليها ورأيتُ عليها الذين رأيتهم مثلُ سفيانَ ومالكٍ وغيرِهما إقرارٌ بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسولُ الله ﷺ، وأن الله تعالى على عرشه في سمائه يقرُب من خلقه كيف شاء، وينزل إلى السماء الدنيا كيف شاء، وذكر سائرَ الاعتقاد».

وقال عبدُ الله بنُ مسلمةَ القعنبيُّ[٤]: «من لا يوقن أن الرحمنَ على العرش استوى كما يَقِرّ في قلوب العامةِ فهو جهميٌّ».

وقال عاصمُ بنُ علي[٥] شيخُ البخاريّ رحمهما الله تعالى: «ناظرتُ جهماً فتبين من كلامه أنه لا يؤمن أن في السماء رباً».

---

(١) أخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» (ص٤١٢ ـ ٤١٣) بسند صحيح.
وأورده الذهبي في «العلو» (ص١١٨ ـ ١١٩).

(٢) أورده الذهبي في «العلو» (ص١١٩) معلقاً.
وانظر: مختصر العلو» (ص١٧٢ ـ ١٧٣).

(٣) في «العلو» رقم (٩٢).
وأورده الذهبي في «العلو» (ص١٢٠) وحكم بأن إسناده واه.
والعلة في أبي الحسن الهكاري، وقد قال فيه الذهبي ـ في سير أعلام النبلاء (١٩/ ٦٨): لم يكن موثقاً في روايته.

(٤) أورده الذهبي في «العلو» (ص١٢١) معلقاً.
وانظر «مختصر العلو» (ص١٧٨).
وقال الذهبي: «المراد بالعامة: عامة أهل العلم... ولقد كان القعنبي من أئمة الهدى، حتى لقد تغالى فيه بعض الحفاظ وفضّله على مالك الإمام.
توفي سنة إحدى وعشرين ومائتين عن بضع وثمانين سنة، وهو أكبر شيخ لمسلم مطلقاً» اهـ.

(٥) أورده الذهبي في «العلو» (ص١٢٢) معلقاً.

وقال عبد اللَّه بنُ الزبيرِ الحُميديُّ[1]: نقف على ما وقف عليه القرآنُ والسنة، نقول: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] ومن زعم غيرَ هذا فهو مُبطِلٌ جهْميٌّ».

وقال هشامُ بنُ عبيد اللَّهِ الرازيّ[2]: «وحبُس رجلٌ في التجهم فجيء به إليه ليمتحِنه فقال له: أتشهد أن الله على عرشه بائنٌ من خلقه؟ فقال: لا أدري ما بائنٌ من خلقه، فقال: رُدّوه فإنه لم يتُب بعدُ».

وقال محمد بن مصعبِ العابدُ[3]: «مَن زعم أنك لا تتكلم ولا تُرى في الآخرة فهو كافرٌ بوجهك، أشهد أنك فوق العرشِ فوق سبعِ سمواتٍ، ليس كما تقول أعداءُ اللَّهِ الزنادقةُ».

وقال أبو عِمرانَ الطَرَطوسيُّ[4]: قلتُ لسنيدِ بنِ داودَ: هو عز وجل على عرشه بائنٌ من خلقه؟ قال: نعم».

وقال نعيمُ بنُ حمادٍ[5] في قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ [الحديد: ٤]. قال: معناه أنه لا يخفى عليه خافيةٌ بعلمه، ألا ترى قوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧]، الآية.

---

(١) أخرجه الذهبي في «العلو» (ص١٢٢ ـ ١٢٣).
وانظر: «مختصر العلو» (ص١٨٠).
وقال الألباني: «فقد رأيت ابن تيمية ثبت هذا النص عن الحميدي في كتابه «مفصل الاعتقاد» (ص٦).

(٢) أخرجه الذهبي في «العلو» (ص١٢٣).
وقال الألباني في «مختصر العلو» (ص١٨١): «علي بن الحسن بن يزيد السلمي وأبوه لم أعرفهما. لم يذكرهما ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل». ومن طريقه أخرجه الهروي في ذم الكلام (ق١٢٠/ ١)» اهـ.

(٣) أخرجه عبد الله بن أحمد في «السنة» رقم (٢١٠) **بإسناد صحيح**.
وانظر: «تاريخ بغداد» (٣/ ٢٨٠) و«مختصر العلو» (ص١٨٣).

(٤) أخرجه الذهبي في «العلو» (ص١٢٦).
وقال الذهبي: «السنيد تفسير كبير رأيته كله بالأسانيد، ومذهبه في الصفات مذهب السلف. توفي سنة ست وعشرين ومائتين» اهـ.

(٥) أخرجه الذهبي في «العلو» (ص١٢٦) **بسند صحيح**.

وقال رحمه الله تعالى[1]: «من شبَّه اللَّهَ بخلقه فقد كفر، ومن أنكر ما وصفَ به نفسَه فقد كفر، وليس ما وصفَ اللَّهُ به نفسَه ولا رسولُه تشبيهاً».

وقال بشرٌ الحافي[2]: «والإيمانُ بأن اللَّهَ تعالى على عرشه استوى كما شاء وأنه عالمٌ بكل ما كان وأنه يقول ويخلُق، فقوله: كنْ ليس بمخلوق».

ومن دعائه[3]: «اللهم إنك تعلم فوق عرشِك أن الذلَّ أحبُّ إليَّ من الشرف، اللهم إنك تعلم فوق عرشِك أن الفقرَ أحبُّ إليَّ من الغنى، اللهم إنك تعلم فوق عرشِك أني لا أُوثر على حبك شيئاً».

وقال أبو عبيدٍ القاسمُ بنُ سلاّم[4] ـ في أحاديث الرؤية، والكرسيِّ موضِع القدمين، وضحِكِ ربِنا، وحديثِ أين كان ربنا، فقال: «هذه أحاديث صحاحٌ حملها أصحابُ الحديث بعضُهم عن بعض، وهي عندنا حقٌّ لا نشك فيها، ولكن إذا قيل لنا: كيف وضع قدمَه وكيف يضحك؟ قلنا: لا نفسر هذا ولا سمِعنا أحداً يفسره».

وقال أحمدُ بنُ نصرٍ[5] ـ وسُئل عن علم الله فقال ـ: «علمُ اللَّهِ معنا وهو على عرشه».

وقال مكيُّ بنُ إبراهيمَ[6] دخلت امرأةُ جهمٍ على زوجتي فقالت: يا أمَّ

---

(١) أخرجه الذهبي في «العلو» (ص١٢٦) **بإسناد صحيح**.

(٢) أورده الذهبي في «العلو» (ص١٢٧).

(٣) أخرجه الذهبي في «العلو» (ص١٢٧).
وقال الألباني في «مختصر العلو» (ص١٨٥): «ساقه المصنف بسنده إلى عباس بن دهقان، ولم أجد له ترجمة.

(٤) أخرجه الذهبي في «العلو» (ص١٢٧) **بإسناد صحيح**.
قلت: وأخرجه ابن منده في «التوحيد» (٣/١١٦ رقم ٥٢٢) والدارقطني في «الصفات» (ص٦٨ ـ ٦٩ رقم ٥٧).
وقال ابن تيمية في «الحموية»: «رواه البيهقي وغيره بأسانيد صحيحة».
وانظر: «مختصر العلو» (ص١٨٦).

(٥) أورده الذهبي في «العلو» (ص١٢٨).

(٦) أخرجه الذهبي في «العلو» (ص١٢٨).
وقال الألباني في «مختصر العلو» (ص١٨٧): «كذا في المطبوعة والمخطوطة، وأظنه خطأ. والصواب محمد بن عمرو البلخي، فإنهم ذكروه في الرواة عن مكي بن إبراهيم، =

إبراهيمَ هذا زوجك الذي يحدث عن العرش مَنْ نَجَره؟ قالت: نجَره الذي نجَر أسنانكِ. قال: وكانت باديةَ الأسنان.

وقال قُتيبةُ بنُ سعيد[1]: قولُ الأئمةِ في الإسلام والسنةِ والجماعة ـ نعرِف ربَّنا في السماء السابعةِ على عرشه ـ كما قال جل جلاله: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥].

وقال أبو مَعْمر إسماعيلُ بنُ إبراهيمَ القطيعيُّ[2]: «آخِرُ كلامِ الجهميةِ أنه ليس في السماء إلهٌ».

وقال يحيى بنُ معينٍ[3]: إذا قال لك الجهمي: وكيف ينزل؟ فقل: كيف يصعد؟ قلت: الكيفُ في الحالين منفيٌّ عن الله تعالى لا مجالَ للعقل فيه.

وعن ابن المدينيِّ[4] أنه سئل: ما قولُ أهلِ الجماعة؟ قال: يؤمنون بالرؤية وبالكلام، وأن الله عز وجل فوق السمواتِ على عرشه استوى.

فسُئل عن قوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ﴾ [المجادلة: ٧]. فقال: اقرأ ما قبله: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ﴾ [المجادلة: ٧].

وسُئل أبو عبد الله أحمدُ ابنُ حنبلٍ[5] إمامُ أهلِ السنة: الله فوق السماء السابعةِ على عرشه بائنٌ على خلقه، وقدرتُه وعلمُه بكل مكان؟ وقال: نعم هو على عرشه، ولا يخلو شيءٌ من علمه. وقيل له: ما معنى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ﴾ [الحديد:

= وهو أبو عبد الله السواق، وهو ثقة من شيوخ البخاري، ومثله مكي بن إبراهيم، والأبار: ثقة حافظ متقن، كما قال الخطيب (٤/٣٠٦)» اهـ.

(١) أخرجه الذهبي في «العلو» (ص١٢٨).

(٢) أخرجه الذهبي في «العلو» (ص١٢٩) بسند صحيح.

(٣) أخرجه الذهبي في «العلو» (ص١٢٩).

(٤) أخرجه الذهبي في «العلو» (ص١٢٩).

(٥) أورده الذهبي في «العلو» (ص١٣٠).
وابن قدامة في «العلو» رقم (٨٠).
وابن القيم في «اجتماع الجيوش» (ص١٢٣) وعزاه إلى كتاب السنة للخلال. . .
وقد بسط الإمام أحمد، الكلام على معنى المعية في كتابه «الرد على الجهمية» (ص٩٧ - ٩٩).

٤]. ؟ قال: «علمه محيطٌ بالكل، وربنا على العرش بلا حدٍ ولا صفة».

وقال حرْبُ بنُ إسماعيلَ الكَرمانيُّ[١]: قلت لإسحاقَ بنِ راهُويه قوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧]، كيف تقول فيه؟ قال: «حيث ما كنتَ فهو أقربُ إليك من حبل الوريدِ وهو بائنٌ من خلقه، ثم ذكر عن ابن المبارك قولَه: هو على عرشه بائنٌ من خلقه، ثم قال: أعلى شيءٍ في ذلك وأبْيَنُه قولُه تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥].

رواه الخلالُ في السنَّة[٢]. وقال إسحاقُ بنُ راهُويه[٣]: دخلتُ على ابن طاهرٍ فقال: ما هذه الأحاديث يروون أن الله تعالى ينزِل إلى السماء الدنيا؟ قلت: نعم رواها الثقاتُ الذين يَروون الأحكامَ، فقال: ينزِل ويدع عرشه؟ فقلت: يقدر أن ينزِل من غير أن يخلو منه العرش، قال: نعم، قلت: فلم تتكلم في هذا؟.

وروى الخلالُ[٤] عنه قال: قال اللَّهُ تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه] إجماعُ أهلِ العلمِ أنه فوق العرشِ استوى ويعلم كلَّ شيءٍ في أسفل الأرضِ السابعة.

وقال رجلٌ لابن الأعرابيِّ[٥] رحمه الله تعالى: يا أبا عبدِ الله ما معنى قولِه: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه] قال: هو على عرشه كما أخبر. فقال الرجل: ليس كذاك، إنما معناه استولى. فقال: اسكُت ما يُدريك ما هذا، العربُ لا تقول للرجل

---

(١) أورده الذهبي في «العلو» (ص١٣١).
(٢) عزاه إليه الذهبي في «العلو» (ص١٣١). ولم أجده في الأجزاء الخمسة المطبوعة من السنة، ولعله في الأجزاء التي لم تطبع.
(٣) أخرجه الذهبي في «العلو» (ص١٣١ ـ ١٣٢) **بإسناد صحيح**.
وأخرجه البيهقي (ص٤٥١ ـ ٤٥٢) من طريق أخرى عن إسحاق مختصراً.
وعزاه ابن تيمية في «شرح النزول» لابن بطة **وصححه**.
انظر: «مختصر العلو» (ص١٩٢).
(٤) عزاه إليه الذهبي في «العلو» (ص١٣٢).
(٥) أخرجه الذهبي في «العلو» (ص١٣٣)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص٤١٥) واللالكائي رقم (٦٦٦) والخطيب في «تاريخ بغداد» (٥/ ٢٨٣ ـ ٢٨٤) **بسند صحيح**.
وقد أبطل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تأويل الاستواء بالاستيلاء من اثني عشر وجهاً كما في «مجموع الفتاوى» (٥/ ١٤٤ ـ ١٤٩) وابن القيم في «الصواعق» (٢/ ١٢٦ ـ ١٥٢) مختصره من اثنين وأربعين وجهاً. فارجع إليهما لزاماً.

استولى على الشيء حتى يكون له مُضادٌّ، فأيُّهما غلب قيل: استولى، واللَّهُ تعالى لا مضادَّ له وهو على عرشه كما أخبر، ثم قال: الاستيلاءُ بعد المغالبة، قال النابغة(*):

إلا لـمِـثـلـك أو مـا أنـت سـابـقـه سبْقَ الجوادِ إذا استولى على الأمد

وقال ذو النونِ المصريُّ[1] رحمه الله: أشرق لنور وجهِه السمواتُ، وأنار لوجهه الظلماتُ، وحَجب جلالَه عن العيون، وناجاه على عرشه ألسنةُ الصدور.

طبقةٌ أخرى

وقال المُزنيُّ[2] في عقيدته: الحمدُ لله أحقُّ ما بُدي وأولى من شُكر وعليه أُثنيَ، الواحدُ الصمدُ، ليس له صاحبةٌ ولا ولدٌ، جلّ عن المِثْل فلا شبيهَ له ولا عديل، السميعُ البصيرُ العليمُ الخبيرُ المَنيعُ الرفيعُ عالٍ على عرشه فهو دانٍ بعلمه من خلقه، والقرآنُ كلام الله ومن الله، ليس بمخلوق فَيبيدَ، وقدرةُ اللهِ ونعتُه وصفاتُه كلماتٌ غيرُ مخلوقات، دائماتٌ أزلياتٌ، ليست مُحدَثاتٍ فتبيدَ، ولا كان ربُنا ناقصاً فيزيدَ، جلت صفاتُه عن شَبَه المخلوقين، عالٍ على عرشه، بائنٌ من خلقه.

وذكرَ ذلك المعتقَد وقال: لا يصح لأحد توحيدٌ حتى يعلم أن الله على عرشه بصفاتِه، قلت: مثلُ أيِّ شيءٍ؟ قال: سميعٌ بصيرٌ عليمٌ قديرٌ. رواه ابنُ مِنْده[3].

وسُئل محمدُ بنُ يحيى الذُهليُّ رحمه الله تعالى عن حديث عبدِ اللَّهِ بنِ معاويةَ[4] عن النبي ﷺ: **«ليعلم العبدُ أن اللَّهَ معه حيث كان»**. فقال: يريد أن اللَّهَ علمُه محيطٌ بكل ما كان واللَّهُ على العرش.

(*) هو زياد بن معاوية وهو أحد شعراء الجاهلية، انظر: «خزانة الأدب» (٢/ ١٣٥ ـ ١٣٨).

(١) أورده الذهبي في «العلو» (ص١٣٥) وعزاه إلى أبي الشيخ في «العظمة».
وكذلك أورده ابن القيم في «جيوشه» (ص١٧١) وعزاه إلى أبي الشيخ أيضاً، وقد أورده أبو الشيخ في «العظمة» (١/ ٣٩٨).
وقال الألباني في «مختصر العلو» (ص١٩٨): «عمر بن بحر الأسدي لم أعرفه» اهـ.

(٢) أخرجه الذهبي في «العلو» (ص١٣٥).

(٣) عزاه إليه الذهبي في «العلو» (ص١٣٦).

(٤) أخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» (٤/ ٩٥ ـ ٩٦) والطبراني في «الصغير» (١/ ٣٣٤ ـ ٣٣٥ رقم ٥٥٥ ـ الروض الداني) بسند صحيح. =

وقال أبو عبد الله محمدُ بنُ إسماعيلُ البخاريُّ رحمه الله تعالى في آخر الجامع الصحيح[(١)] في كتاب الردِّ على الجهمية: بابُ قولِ اللَّهِ تعالى: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هود: ٧].

قال أبو العالية[(٢)]: استوى على عرشه ارتفع، وقال مجاهد[(٣)] في استوى: علا على العرش.

وقالت زينبُ أمُّ المؤمنين ﵂: زوّجني اللَّهُ من فوق سبعِ سموات[(٤)].

ثم إنه بوّبَ رحمه الله تعالى على أكثرِ ما تُنكره الجهميةُ من الصفات محتجاً بالآيات والأحاديث.

وقال أبو زُرعةَ الرازيُّ وسُئل عن تفسير: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه] فغضِب وقال: «تفسيرُه كما تقرأ، هو على عرشه، وعلمُه في كل مكان، مَن قال غيرَ هذا فعليه لعنةُ الله»[(٥)].

= وقال الطبراني: لا يروى هذا الحديث عن ابن معاوية إلا بهذا الإسناد. ولا يعرف لعبد الله بن معاوية الغاضري حديثاً مسنداً غير هذا.

وقال ابن حجر في «تلخيص الحبير» (٢/٣٠٣ رقم ٨/٨١٩): «رواه الطبراني وجوَّد إسناده».

وانظر: «الصحيحة» (رقم ١٠٤٦).

قلت: وأصل الحديث عند أبي داود (٢/ ٢٣٩ ـ ٢٤٠ رقم ١٥٨٢) بدون جملة المذكورة. **بسند منقطع**.

وقال الحافظ المنذري في «المختصر» (٢/١٩٨ رقم ١٥٢٠): «أخرجه منقطعاً. وذكره أبو القاسم البغوي في «معجم الصحابة» مسنداً، وذكره أيضاً: أبو القاسم الطبراني وغيره مسنداً وعبد الله بن معاوية هذا، له صحبة، وهو معدود في أهل حمص. وقيل: إنه روى عن النبي ﷺ حديثاً واحداً» اهـ.

وهو حديث ضعيف.

(١) (١٣/٤٠٣).

(٢) أورده البخاري في صحيحه **معلقاً**.
وقال ابن حجر في «الفتح» (١٣/ ٤٠٥): أخرجه الطبري من طريق أبي جعفر الرازي عنه.

(٣) أورده البخاري في صحيحه **معلقاً**.
وقال ابن حجر في «الفتح» (١٣/ ٤٠٥): وصله الفريابي عن ورقاء عن ابن أبي نجيح عنه.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (١٣/ ٤٠٣ ـ ٤٠٤ رقم ٧٤٢٠) من حديث أنس.

(٥) أورده الذهبي في «العلو» (ص١٣٧). =

وقال عبدُ الرحمنِ ابنُ أبي حاتم[1]: سألتُ أبي وأبا زُرعةَ رحمهما الله تعالى عن مذهب أهلِ السنةِ والجماعةِ في أصول الدين وما أدركا عليه العلماءَ في الأمصارِ حجازاً وعِراقاً ومصراً وشاماً ويمناً، فكان من مذهبهم أن الله تبارك وتعالى على عرشِه بائنٌ من خلقه كما وصف نفسَه بلا كيف، أحاط بكل شيء علماً.

وقال محمدُ بنُ إدريسَ بنِ المنذرِ الحنظليُّ أبو حاتم الرازيُّ: ونعتقد أن اللَّهَ عز وجل على عرشه بائنٌ من خلقه ليس كمثله شيءٌ وهو السميع البصير. رواه أبو القاسم الطبريُّ[2].

وقال يحيى بنُ معاذٍ الرازيُّ: إن اللَّهَ على العرش بائنٌ من خلقه أحاط بكل شيء علماً، لا يشِذُّ عن هذه المقالةِ إلا جهْميٌّ يمزُج اللَّهَ بخلقه. رواه صاحبُ الفاروق[3].

وعن محمد بنِ أسلمَ الطوسيِّ رحمه الله تعالى قال: قال لي عبدُ الله بنُ طاهرٍ: بلغني أنك لا ترفع رأسَك إلى السماء. فقلت: وهل أرجو الخيرَ إلا ممن هو في السماء. رواه الحاكم في ترجمته[4].

= وعزاه إلى أبي إسماعيل الأنصاري مصنف «ذم الكلام وأهله».
وانظر: «الفتاوى» (٥/ ٥٠) و«تفسير محاسن التأويل» للقاسمي (٧/ ٢٧٩).

(١) أخرجه الذهبي في «العلو» (ص١٣٧ ـ ١٣٨) بأسانيد ثلاثة عن عبد الرحمن بن أبي حاتم. أحدها من طريق هبة الله بن الحسن اللالكائي، وهذا أخرجه في كتابه «شرح أصول السنة».
وقال الألباني في مختصر العلو» (ص٢٠٤): هذا صحيح ثابت عن أبي زرعة وأبي حاتم رحمهما الله.

(٢) أورده الذهبي في «العلو» (ص١٣٩).
وقال الألباني في «مختصر العلو» (ص٢٠٧): «أبو القاسم الطبري ـ هو الإمام اللالكائي مؤلف كتاب «شرح السنن» وما نقله المصنف عنه موافق لما فيه (١/٤٨/١ ـ ٢) إلا أن فيه اختصاراً، وتقديماً وتأخيراً» اهـ.

(٣) أورده الذهبي في «العلو» (ص١٣٩ ـ ١٤٠).
وقال الألباني في «مختصر العلو» (ص٢٠٧ ـ ٢٠٨): «لم أعرفه، ولم أقف على الإسناد إليه» اهـ.

(٤) أورده الذهبي في «العلو» (ص١٤٠) وجوَّد إسناده الألباني في «مختصر العلو» (ص٢١٠).

وقال عبدُ الوهاب الورّاق[1]: من زعم أن اللَّهَ ههنا فهو جهميٌّ خبيثٌ، إن اللَّهَ عز وجل فوق العرشِ وعلمُه محيطٌ بالدنيا والآخرة.

وكتب حربٌ الكَرمانيّ[2] إلى عبدِ الرحمنِ بنِ محمد الحنظليِّ: «أن الجهميةَ أعداءُ اللَّه، وهم الذين يزعُمون أن القرآنَ مخلوقٌ، وأن اللَّهَ لم يكلم موسى، ولا يُرى في الآخرة، ولا يُعرف لله مكانٌ[3]، وليس على العرش، ولا كرسيٌّ، وهم كفارٌ فاحذرهم.

وقال عثمانُ بنُ سعيد الدارميُّ الإمامُ في كتاب النقض[4]: «قد اتفقت الكلمةُ من المسلمين أن اللَّهَ فوق عرشِه فوق سمواتِه يعلم ويسمع من فوق العرشِ لا تخفى عليه خافيةٌ من خلقه ولا يحجُبهم عنه شيء».

وقال أبو محمدِ بنُ قُتيبةَ[5] رحمه الله تعالى: كيف يُسوَّغ لأحد أن يقولَ إن اللَّهَ سبحانه بكل مكانٍ على الحلول فيه مع قوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [طه: ٥]، مع قولِه: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠]، كيف يصعدُ إليه شيءٌ هو معه، وكيف تعرُج الملائكةُ والروحُ إليه وهو معه، قال: لو أن هؤلاء رجَعوا إلى فِطرتهم وما رُكّبتْ عليه ذواتُهم من معرفة الخالق لعلموا أن اللَّهَ عز وجل هو العليُّ الأعلى وأن الأيديَ تُرفع بالدعاء إليه، والأممُ كلُها عجميُّها وعربيُّها تقول إن اللَّهَ في السماء ما تُركت على فِطَرها.

وقال أبو بكر بنُ أبي عاصمِ الشيبانيُّ[6]: جميعُ ما في كتابنا ـ كتابِ السنةِ

---

(١) ذكره الذهبي في «العلو» (ص١٤٢).

(٢) ذكره الذهبي في «العلو» (ص١٤٣).

(٣) قال الألباني في «مختصر العلو» (ص٢١٣): نسبة المكان إلى الله تعالى مما لم يرد في الكتاب والسنة ولا في أقوال الصحابة وسلف الأمة.
والللائق بنهجهم أن لا ننسبه إليه تعالى خشية أن يوهم ما لا يليق به عز وجل، على أنه مفسر في كلام الكرماني بما بعده» اهـ.

(٤) في «الرد على المريسي» (ص٢٥).
وذكر الذهبي في «العلو» (ص١٤٤).

(٥) في تأويل مختلف الحديث له (ص٢٧١).
وذكره الذهبي في «العلو» (ص١٤٥).

(٦) في كتاب «السنة» له. ومعه «ظلال الجنة في تخريج السنة» للمحدث الألباني. =

الكبيرِ ـ من الأخبار التي ذكرنا أنها توجب العلمَ فنحن نؤمن بها لصِحتها وعدالةِ ناقليها، ويجب التسليمُ لها على ظاهرها، وتركُ تكلّفِ الكلامِ في كيفيتها. فذكرَ من ذلك النزولَ إلى السماء الدنيا والاستواءَ على العرش.

وقال أبو عيسى محمدُ بنُ سَوْرَةَ التِرمذيُّ رحمه الله في جامعه[١] لما روى حديث أبي هريرةَ وهو خبرٌ منكرٌ عند أهل الحديثِ: «لو أنَّكم أدليتُم بحبلٍ إلى الأرض السفلى لَهَبَط على اللَّهِ»، فقال: قال أهلُ العلمِ أراد لهبط على علم اللَّهِ وهو على العرش كما وصف نفسَه في كتابه.

وقال أبو داودَ سليمانُ بنُ الأشعثِ السِجْستاني في كتاب السنة من سننه[٢] ـ باب في الجهمية ـ وساق في ذلك حديثَ أبي هريرة قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**لا يزالُ الناس يتساءلون حتى يُقالَ هذا: خَلَقَ اللَّهُ الخلقَ، فمنْ خلقَ اللَّهَ؟ فمن وجد من ذلك شيئاً فليقل آمنتُ بالله**».

وفي رواية[٣]: «فإذا قالوا ذلك فقولوا: اللَّهُ أحدٌ اللَّهُ الصمدُ لم يلدْ ولم يولدْ ولم يكن له كفواً أحد، ثم ليتْفُلْ عن يساره ثلاثاً وليستعِذْ من الشيطان»، وذكر حديثَ الأوعالِ[٤] ....

= وذكر ذلك الذهبي في «العلو» (ص١٤٦).

(١) (٥/ ٤٠٣ ـ ٤٠٤ رقم ٣٢٩٨) وهو جزء من حديث أبي هريرة.
قال الترمذي: «**هذا حديث غريب من هذا الوجه**».
قال: ويُروى عن أيوب ويونس بن عبيد وعلي بن زيد، قالوا: لم يسمع الحسن من أبي هريرة».
قلت: وأخرجه أحمد (٢/ ٣٧٠) والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص٣٩٩ ـ ٤٠٠) وقال البيهقي: «وفي رواية الحسن عن أبي هريرة انقطاع، ولا يثبت سماعه من أبي هريرة، وروي من وجه آخر منقطع عن أبي ذر مرفوعاً» اهـ.
والخلاصة أن الحديث ضعيف.

(٢) (٥/ ٩١ ـ ٩٢ رقم ٤٧٢١) **وهو حديث صحيح**.
قلت: وأخرجه البخاري (٦/ ٣٣٦ رقم ٣٢٧٦) ومسلم (١/ ١٢٠ رقم ١٣٥).

(٣) (٥/ ٩٢ رقم ٤٧٢٢) من حديث أبي هريرة.

(٤) أبو داود (٥/ ٩٣ ـ ٩٤ رقم ٤٧٢٣) من حديث العباس بن عبد المطلب، قال: كنت في البطحاء في عصابة فيهم رسول الله ﷺ، فمرت بهم سحابة، فنظر إليها، فقال: «**ما تسمون هذه**»؟ قالوا: السحاب، قال: «**والمزنُ**» قالوا: والمزن، قال: «**العَنَان**»، قالوا: =

وحديثَ جبيرِ بنِ مُطعم[1] وحديثَ أُذن لي أن أُحدِّثَ عن ملك الحديث[2] ـ وقد ترجم قبل ذلك وبعده على معتَقَدات أهلِ السنةِ[3] وما ورد فيها من الأحاديث

= والعنان، قال أبو داود: لم أتقن العنان جيداً، قال: **«هل تدرون ما بُعْدُ ما بين السماء والأرض»؟** قالوا: لا ندري، قال: **«إن بعد ما بينهما إما واحدة أو اثنتان أو ثلاث وسبعون سنة، ثم السماء فوقها كذلك»**. حتى عدَّ سَبْع سموات: **«ثم فوق السابعة بَحْر بين أسفله وأعلاه مثل ما بين سماء إلى سماء، ثم فوق ذلك ثمانية أوعال ـ من الملائكة على صورة الأوعال ـ بين أظلافهم ورُكبهم مثل ما بين سماء إلى سماء، ثم على ظهورهم العرش بين أسفله وأعلاه مثل ما بين سماء إلى سماء، ثم الله تبارك وتعالى فوق ذلك»**.

قلت: وأخرجه الترمذي (٥/ ٤٢٤ ـ ٤٢٥ رقم ٣٣٢٠) وابن ماجه (١/ ٦٩ رقم ١٩٣).

قال الترمذي: **«هذا حديث حسن غريب»**.

وروى الوليد بن أبي ثور عن سماك نحوه ورفعه.

وروى شريك عن سماك بعض هذا الحديث وأوقفَهُ ولم يرفَعْهُ» اهـ.

وقال المنذري: (٧/ ٩٣): وفي إسناده الوليد بن أبي ثور ولا يحتج بحديثه.

والخلاصة أن الحديث ضعيف.

(١) أبو داود (٥/ ٩٤ ـ ٩٦ رقم ٤٧٢٦) عنه، قال: أتى رسولَ الله ﷺ أعرابيٌّ فقال: يا رسولَ الله جُهِدَت الأنفس، وضاعت العيال، ونهكت الأموال، وهلكت الأنعام، فاستسق الله لنا، فإنا نستشفع بك على الله، ونستشفع بالله عليك، قال رسول الله ﷺ: **«ويحك!! أتدري ما تقول»؟** وسبَّح رسول الله ﷺ فما زال يسبح حتى عُرِفَ ذلك في وجوه أصحابه، ثم قال: **«ويحك!! إنه لا يُستشفَعُ بالله على أحد من خلقه، شأن الله أعظم من ذلك، ويحك!! أتدري ما الله، إن عرشه على سمواته لهكذا»** وقال بأصبعه مثل القبة عليه: **«وإنَّه ليئِطُ به أطيط الرّحل بالراكب»**.

قال ابن بشار في حديثه: «إن الله فوق عرشه، وعرشه فوق سمواته» وساق الحديث. . .

قلت: وأخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» ص٩٦، والآجري في «الشريعة» ص٢٩٣ من طرق.

قلت: وفيه «ابن إسحاق» مدلس ولم يصرح بالتحديث.

وخلاصة القول أن الحديث ضعيف.

(٢) أبو داود (٥/ ٩٦ رقم ٤٧٢٧) من حديث جابر. **وهو حديث صحيح.**

(٣) **مثل الباب (١٥):** باب ردِّ الإرجاء (٥/ ٥٥ ـ ٥٩).

الباب (١٦): باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه (٥/ ٥٩ ـ ٦٦).

الباب (١٧): باب في القدر: (٥/ ٦٦ ـ ٨٤).

الباب (١٨): باب في الجهمية: (٥/ ٩١ ـ ٩٧).

الباب (٢٠): باب في الرؤية: (٥/ ٩٧ ـ ١٠٠).

الباب (٢١): باب في الرد على الجهمية (٥/ ١٠٠ ـ ١٠٣).

رحمه الله تعالى كالرؤية والنزولِ وطيِّ السموات والأرض وتكلُّمِ اللّهِ عز وجل والشفاعةِ والبعثِ وخلقِ الجنةِ والنارِ وفتنةِ القبرِ وعذابِه والحوضِ والميزانِ وغير ذلك، ورد على طوائف الجهميةِ والمُرْجئةِ والخوارجِ والروافضِ رحمه الله تعالى.

وقال ابن ماجَهْ رحمه الله تعالى في سننه: باب ما أنكرت الجهمية[1]، فساق حديث الرؤية[2] وحديثَ أبي رزينٍ[3] وحديثَ جابر[4]: بينا أهلُ الجنة في نعيمهم

= الباب (٢٣): باب في الشفاعة: (٥/١٠٦ ـ ١٠٧).
الباب (٢٤): باب في ذكر البعث والصور (٥/١٠٧ ـ ١٠٨).
الباب (٢٥): باب في خلق الجنة والنار: ٥/١٠٨ ـ ١٠٩).
الباب (٢٦): باب في الحوض: (٥/١٠٩ ـ ١١٢).
الباب (٢٧): باب في المسألة في القبر وعذاب القبر: (٥/١١٢ ـ ١١٦).
الباب (٢٨): باب في ذكر الميزان: (٥/١١٦ ـ ١١٧).
الباب (٢٩): باب في الدَّجّال: (٥/١١٧ ـ ١١٨).
الباب (٣٠): باب في قتل الخوارج: (٥/١١٨ ـ ١٢٠).
الباب (٣١): باب في قتال الخوارج: (٥/١٢٠ ـ ١٢٧).

(١) (١/٦٣ ـ ٧٣).

(٢) * أخرجه ابن ماجه (١/٦٣ رقم ١٧٧) من حديث جرير بن عبد الله.
قلت: وأخرجه أبو داود رقم (٤٧٢٩) والترمذي رقم (٢٥٥١) وأحمد (٤/٣٦٥ ـ ٣٦٦).
وابن أبي عاصم في «السنة» رقم (٤٤٦) واللالكائي رقم (٨٢٨) والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص٨٠) والطبراني في «الكبير» رقم (٢٢٢٦) و (٢٢٢٧) والبغوي في «شرح السنة» (٣٧٩) وابن منده في «الإيمان» رقم (٧٩١) و (٧٩٧) من طرق...
وهو حديث صحيح.
* وأخرجه ابن ماجه (١/٦٣ رقم ١٧٨) من حديث أبي هريرة.
قلت: وأخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» رقم (٤٤٤). **وهو حديث صحيح.**
* وأخرجه ابن ماجه (١/٦٣ رقم ١٧٩) من حديث أبي سعيد الخدري.
قلت: وأخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» رقم (٤٥٢) وابن منده في «الإيمان» رقم (٨١٠). **وهو حديث صحيح.**

(٣) أخرجه ابن ماجه (١/٦٤ رقم ١٨٠) من حديث أبي رزين.
قلت: وأخرجه أبو داود رقم (٤٧٣١) وأحمد (٤/١١ ـ ١٢) وابن أبي عاصم في «السنة» رقم (٤٥٩) من طرق...
وهو حديث حسن.

(٤) أخرجه ابن ماجه (١/٦٥ رقم ١٨٤) عنه. **وهو حديث ضعيف.**
انظر: «مختصر العلو» (ص٢١٩ رقم ٢٥١). =

إذ سطع لهم نورٌ ـ الحديثُ تقدم ـ وحديثَ الأوعالِ[1] وغيرَها.

وكذلك مسلمٌ في صحيحه والنَّسائيّ في سننه وغيرُهم من أهل السَنَنِ ساقوا أحاديثَ الصفاتِ وأمرّوها كما جاءت لم يتعرضوا لها بكيف ولا تأويل.

وقال ابن أبي شيبة[2] رحمه الله تعالى: «ذكروا أن الجهميةَ يقولون: ليس بين اللَّهِ وبين خلقه حجابٌ، وأنكروا العرشَ وأن يكون الله فوقه وقالوا: إنه في كل مكان، ففسرت العلماءُ ﴿وهو معكم﴾ يعني علمَه، ثم تواترت الأخبارُ أن اللَّهَ خلق العرشَ فاستوى عليه فهو فوق العرشِ متخلصاً من خلقه بائناً منهم».

وقال سهلُ بنُ عبدِ الله التُسْتَريُّ[3] رحمه الله تعالى: «لا يجوز لمؤمن أن يقول: كيف الاستواءُ، لمن خلق الاستواء، ولنا عليه الرضا والتسليمُ لقول النبي ﷺ: «**إنه تعالى على العرش**»[4]، قال: وإنما سُمِّيَ الزنديقُ زنديقاً لأنه وزن دِقَّ الكلام بمخبول عقلِه وترك الأثرَ وتأوَّلَ القرآن بالهوى فعند ذلك لم يؤمن بأن الله تعالى على عرشه».

طبقة أخرى

قال زكريا بنُ يحيى الساجيُّ[5] رحمه الله: «القولُ في السنة التي رأيتُ عليها

= وتخريج الطحاوية (ص١٢٠).

(١) تقدم الكلام عليه.

(٢) ذكره الذهبي في «العلو» (ص١٤٨).

(٣) ذكره الذهبي في «العلو» (ص١٤٨).

قال الألباني في «مختصر العلو» ص٢٢١: « ـ لعله يعني في الاستواء الثاني استواء المخلوق، فإن استواء الله تعالى على عرشه صفة فعل له، وصفته كذاته أزلية، لا يجوز القول بخلقها كما هو ظاهر لا يخفى» اهـ.

(٤) تقدم تخريجه.

(٥) أخرجه ابن بطة العكبري في «الإبانة الكبرى في السنة» ـ وهو أربع مجلدات ـ كما في «العلو» (ص١٥٠).

* والساجي شيخ البصرة وحافظها، وعنه أخذ أبو الحسن الأشعري الحديث ومقالات أهل السنة. رحل إلى المزني والربيع فتفقه بهما.

وله كتاب «علل الحديث» وكتاب اختلاف الفقهاء»، لقي أبا الربيع الزهراني وطبقته، وعاش بضعاً وثمانين سنة. توفي سنة سبع وثلاثمائة.

أصحابَنا أهلَ الحديثِ الذين لقِيناهم إن اللَّهَ على عرشه في سمائه يقرُب من خلقه كيف شاء. وساق سائرَ الاعتقاد».

وقال أبو جعفر محمدُ بنُ جريرِ الطبريُّ إمامُ المفسرين[1] رحمه الله في عقيدته: «وحسْبُ امرىءٍ أن يعلمَ أن ربَّه هو الذي على العرش استوى، فمن تجاوز ذلك فقد خاب وخسِر».

ونقل في تفسير: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الفرقان: ٥٩]، في المواضع كلِها: أي علا وارتفع[2]، وتفسيرُه مشحون بأقوال للسلفِ على الإثبات.

وقال حمادُ بنُ البوشَنجيُّ[3]: «هذا ما رأينا عليه أهل الأمصارِ وما دلت عليه مذاهبُهم فيه، وإيضاحُ منهاج العلماء وصفةِ السنةِ وأهلِها، أن اللَّهَ فوق السماء السابعةِ على عرشه بائنٌ من خلقه، وعلمُه وسلطانُه وقدرتُه بكل مكان».

وقال إمامُ الأئمة محمدُ بنُ إسحاقَ بنِ خُزيمةَ[4]: «من لم يُقِرَّ بأن اللَّهَ على عرشه استوى فوق سبعِ سمواتِه بائنٌ من خلقه فهو كافرٌ يستتاب، فإن تاب وإلا ضربت عنقُه وأُلقِيَ على مزْبلة لئلا يتأذى برائحتِه أهلُ القبلةِ وأهلُ الذمة».

وقال أبو العباس ابنُ سُريج[5]: قد صح عن جميع أهلِ الديانةِ والسنةِ إلى زماننا أن جميع الآيِ والأخبارِ الصادقةِ عن رسول الله ﷺ يجب على المسلمين الإيمانُ بكل واحدٍ منها كما ورد، وأن السؤالَ عن معانيها بدعةٌ، والجوابَ كفرٌ

---

(١) رواه المصنف بإسناده عن أبي سعيد الدينوري، واسمه عمرو بن محمد بن يحيى كما وقع في إسناد جزء «الاعتقاد» لابن جرير المطبوع في بومباي. ولم أعرفه.
ولكن تابعه أبو بكر أحمد بن كامل قال: قال أبو جعفر محمد بن جريرٍ: فأول ما نبدأ فيه بالقول من ذلك كلام الله عز وجل. . . فذكر معتقده، وفيه ما روى الدينوري. قاله الألباني في «مختصر العلو» (ص٢٢٤).
قلت: وانظر: «صريح السنة» للطبري (ص٢٧) و «شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي» (١/٢٠٦).

(٢) (جامع البيان) (١١/ج١٩/٢٨).

(٣) أورده الذهبي في «العلو» (ص١٥١).

(٤) أورده الذهبي في «العلو» (ص١٥٢). وابن تيمية في «الحموية» (ص٩١).
وقال: ذكره عنه الحاكم بإسناد صحيح.

(٥) أورده الذهبي في «العلو» (ص١٥٢).

وزندقةٌ، مثلُ قوله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾ [البقرة: ٢١٠]. وقوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]. وذكر الاعتقادَ.

وقال ثعلب[1] إمامُ العربية: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]: علا.

وقال أبو جعفرٍ الترمذيُّ[2] وسأله سائلٌ عن حديث نزولِ الربِّ: فالنزولُ كيف هو يبقى فوقه علوٌّ؟ فقال: النزولُ معقولٌ والكيف مجهولٌ والإيمانُ به واجبٌ والسؤالُ عنه بدعة.

وقال الطحاوي الإمامُ في عقيدته[3]: «والعرشُ والكرسيُّ حقٌّ كما بيَّن في كتابه، وهو مستغنٍ عن العرش وما دونه، محيطٌ بكل شيءٍ وفوقه».

وقال أبو الحسن الأشعريُّ[4] في ذكر مقالةِ أهلِ السنةِ وأصحابِ الحديث: «وأن الله على عرشه كما قال تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه]، قال: ورأينا المسلمين جميعاً يرفعون أيديَهم إذا دعَوا نحو السماء؛ لأن الله تعالى مستوٍ على العرش الذي هو فوق السموات، فلولا أن الله على العرش لم يرفعوا أيديهم نحو العرش».

وقال أبو محمد البربهاريُّ[5] رحمه الله تعالى: الكلامُ في الرب محدثةٌ وبدعة وضلالة، فلا يتكلم في الله إلا بما وصف به نفسَه، ولا نقول في صفاته لم ولا كيف، يعلم السرَّ وأخفى، وعلى عرشه استوى، وعلمُه بكل مكان.

---

(١) أورده الذهبي في «العلو» واسمه أحمد بن يحيى الشيباني مولاهم ـ ويعرف بثعلب ـ وأثره عند اللالكائي (١/٩٢/١) كما في «مختصر العلو» (ص٢٣٠ ـ ٢٣١).

(٢) أورده الذهبي في «العلو» (ص١٥٦).
وقال الألباني في «مختصر العلو» (ص٢٣١): «**إسناده صحيح**، أخرجه المصنف بإسناده إلى أبي بكر الخطيب، وهذا رواه في «التاريخ» (١/٣٦٥) بإسناد رجاله ثقات...».

(٣) في كتابه «العقيدة الطحاوية» (٢/٣٧٢ ـ مع شرح ابن أبي العز) تحقيق وتخريج وتعليق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي وشعيب الأرناؤوط.

(٤) في مقالات الإسلاميين (ص٢٩٠).

(٥) ذكره الذهبي في «العلو» (ص١٦٤).
قلت: ذكر طرفاً كبيراً نحو ثلاث صفحات ابن العماد في «شذرات الذهب» (٢/٣١٩ ـ ٣٢٢).

طبقةٌ أخرى من أئمة الإسلامِ وعلماء السُنة

قال أبو أحمد العسالُ[1] في باب تفسيرِ قولِه تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه]، فساق ما ورد فيه من أقوال السلفِ وأئمتهم وحديث ابنِ مسعودٍ وقد مر.

وقال أبو بكر الصبغيُّ[2] في قوله تعالى: ﴿مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك: ١٦، ١٧]: أي من على العرش كما صحت الأخبارُ عن رسول الله ﷺ.

وقال أبو القاسمِ الطبرانيُّ في كتاب السنة[3]: بابُ ما جاء في استواء اللَّهِ على عرشه بائناً من خَلقه، فساق في الباب حديثَ أبي رزينِ العُقيليِّ[4] وحديثَ الأوعالِ[5] وغيرَهما من أحاديث العلوّ.

وقال أبو بكرِ الآجُرّيُّ[6]: «الذي يذهب إليه أهلُ العلمِ أن الله تعالى على عرشه فوق سمواتِه، وعلمُه محيطٌ بكل شيء قد أحاط بجميع ما خلق في السموات العُلى وبجميع ما خلق في سبعِ أرضينَ، يَرفع إليه أعمالَ العباد».

وقال أبو الشيخ في كتاب العظَمةِ[7] له: ذكرُ عرشِ الربِّ تبارك وتعالى وكرسيِّه وعِظَم خلقِهما وعلوّ الربِّ فوق عرشِه. وساق جملةَ أحاديث في ذلك.

وقال أبو بكرِ الإسماعيليُّ[8]: استوى على العرش بلا كيف وإنه انتهى إلى أنه استوى على العرش ولم يذكر كيف كان استواؤه».

---

(١) في كتابه «المعرفة» كما في «العلو» للذهبي (ص١٦٥).
واسمه محمد بن أحمد بن إبراهيم العنبري، له ترجمة جيدة في «أخبار أصبهان» لأبي نعيم. (٢/ ٢٨٣).

(٢) أورده الذهبي في «العلو» (ص١٦٥).

(٣) عزاه إليه الذهبي في «العلو» (ص١٦٥).

(٤) وهو حديث حسن تقدم تخريجه.

(٥) وهو حديث ضعيف تقدم تخريجه.

(٦) في كتابه «الشريعة» (ص٢٨٥).

(٧) (ص١٠١). وساق جملة أحاديث في ذلك من رقم (١٩٢ ـ ٢٦٤).

(٨) أخرجه الذهبي في «العلو» (ص١٦٧) ورجاله ثقات غير مسعود بن عبد الواحد الهاشمي فلم يجد له الألباني ترجمة. وبهذا الإسناد ساقه في ترجمة أبي بكر الإسماعيلي من «التذكرة» (٣/ ١٥٠ ـ ١٥١).

وقال الأستاذ أبو منصور الأزهريُّ[1]: «اللَّهُ تعالى على العرش».

وقال أبو الحسن بنُ مَهْديٌّ[2] رحمه الله في قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه]: اعلم أن الله تعالى في السماء فوق كلِّ شيءٍ مستوٍ على العرش بمعنى أنه عالٍ عليه، ومعنى الاستواءِ الاعتلاءُ، وإنما أمَرنا الله تعالى برفع أيدينا قاصدين إليه برفعها نحوَ العرشِ الذي هو مستوٍ عليه.

وقال ابنُ بطةَ[3] رحمه الله: «بابُ الإيمانِ بأن الله تعالى على عرشه بائنٌ من خلقه وعلمُه محيطٌ بخلقه، أجمع المسلمون من الصحابة والتابعين أن الله على عرشه فوق سمواتِه بائنٌ من خلقه».

وقال الدارَقُطنيُّ[4] رحمه الله تعالى:

(حديثُ الشفاعةِ في أحمدِ ... إلى أحمدَ المصطفى نُسنِدُهْ)
(وأما حديثٌ بإقعاده ... على العرش أيضاً فلا نجْحده)
(أمِرُّوا الحديثَ على وجهه ... ولا تُدْخلوا فيه ما يُفْسده)

وقال ابنُ مِنْده[5] رحمه الله تعالى: «فهو تعالى موصوفٌ غيرُ مجهولٍ،

---

(١) أورده الذهبي في «العلو» (ص١٦٧ ـ ١٦٨).

(٢) وهو حديث ضعيف تقدم تخريجه.

(٣) في كتاب «الإبانة» كما في «العلو» للذهبي (ص١٧٠).

(٤) قال الألباني في «الضعيفة» (٢/٢٥٦) ط٥: «... إن مما ينكر في هذا الباب ما رواه أبو محمد الدَّشْتي في «إثبات الحد» (١/١٤٤ ـ ٢) من طريق أبي العز أحمد بن عبيد الله بن كادش: أنشدنا أبو طالب محمد بن علي الحربي: أنشدنا الإمام أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني رحمه الله ثم ذكر الأبيات وزاد بيتاً:

ولا تنكروا أنه قاعد ... ولا تجحدوا أنه يقعده

فهذا إسناد لا يصح، من أجل أبي العز هذا، فقد أورده ابن العماد في وفيات سنة (٥٢٦) من الشذرات (٤/٧٨) وقال:

«قال عبد الوهاب الأنماطي: كان مخلطاً».

وأما شيخه أبو طالب وهو العشاري فقد أورده في وفيات سنة (٤٥١) وقال: (٣/ ٢٨٩): «كان صالحاً خيراً عالماً زاهداً».

فاعلم أن إقعاده ﷺ على العرش ليس فيه إلا هذا الحديث الباطل، وأما قعوده تعالى على العرش فليس فيه حديث يصح. ولا تلازم بينه وبين الاستواء عليه كما لا يخفى...».

(٥) ذكره الذهبي في «العلو» (ص١٧١).

وموجودٌ غيرُ مُدرَكٍ، ومَرْئيٌّ غيرُ مُحاطٍ به لقُربه كأنك تراه، وهو يسمع ويرى، وهو بالمنظر الأعلى، وعلى العرش استوى، فالقلوبُ تعرِفه والعقولُ لا تُكيِّفُه، وهو بكل شيءٍ عليم محيط.

وقال محمدُ بنُ أبي زيدٍ المغربيُّ[1]: وأنه تعالى فوق عرشِه المجيدِ بذاتِه، وأنه في كل مكان بعلمِه.

قلت: وقد أطلقَ هذه العبارةَ أعني قولَه: «بذاته» أبو جعفر بنُ أبي شيبةَ، والدارميُّ، ويحيى بنُ عمارٍ، وأبو نصر السّجْزِيّ، وابنُ عبد البرِّ، وشيخُ الإسلامِ الأنصاريُّ، وأبو الحسنِ الكرجي، وأحمدُ بنُ ثابتٍ الطرقي، وعبدُ العزيز القحيطي، وعبدُ القادر الجيلي وطائفة.

وقال ابنُ فورَكَ[2] رحمه الله: استوى بمعنى علا. وقال في قوله: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك: ١٦]. أي مَن فوق السماء.

وقال ابن الباقلاني في إبانته[3]: فإن قيل: فهل تقولون إنه في كل مكان؟ قيل: معاذ اللّهِ بل هو مستوٍ على عرشه كما أخبر في كتابه فقال تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طـه]، وقـال: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠]، وقال: ﴿أَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك: ١٦]، إلى آخر كلامِه.

وقال أبو أحمد القصّابُ في عقيدته[4]: «كان ربُنا عز وجل وحدَه لا شيء معه ولا مكانَ يَحويه، فخلقَ كلَّ شيءٍ بقدرته وخلق العرشَ لا لحاجة إليه فاستوى عليه استواءَ استقرارٍ كيف شاء وأراد، لا استقرارَ راحةٍ كما يستريح الخلقُ».

= **قلت**: وانظر كتاب «التوحيد» لابن منده (٣/ ١٨٧ ـ ١٩٢).

(١) في الرسالة المشهورة في مذهب مالك (ص٢٠) ط: المغرب.
وأورده الذهبي في «العلو» (ص١٧١ ـ ١٧٢)، «مختصر العلو» (ص٢٥٥ ـ ٢٥٦).

(٢) ذكره الذهبي في «العلو» (ص١٧٣) وأورده البيهقي في «الأسماء والصفات» (ص٤١١).

(٣) أورده الذهبي في «العلو» (ص١٧٣ ـ ١٧٤).

(٤) أورده الذهبي في «العلو» (ص١٧٥).

* والقصاب هو الحافظ الإمام محمد بن علي بن محمد المجاهد. وإنما عرف بالقصاب لكثرة ما أهرق من دماء الكفار في الغزوات كما في «تذكرة الذهبي» (٣/ ١٤١).
وقال: «ولم أظفر بوفاته، وكأنه بقي إلى قريب الستين وثلاثمائة».

قلت: تفسيرُ الاستواء بالاستقرار لم يرد في الكتاب ولا السنة، ونحن لا نصفُ اللَّهَ إلا بما ثبت في الكتاب والسنة، لا نزيد عليه ولا ننقُص منه.

وقال الحافظُ أبو نُعيم[1] رحمه الله تعالى: «طريقتُنا طريقةُ السلفِ المتبعين للكتاب والسنةِ وإجماعِ الأمة، ومما اعتقدوه أن اللَّهَ لم يزل كاملاً بجميع صفاتِه القديمةِ لا يزول ولا يحول، لم يزل عالماً بعلم بصيراً ببصر سميعاً بسمع متكلماً بكلام.

إلى أن قال: وأن الأحاديثَ التي ثبتت في العرش واستواء اللَّهِ عليه يقولون بها ويُثْبتونها من غير تكييفٍ ولا تمثيل، وأن اللَّهَ بائنٌ من خلقه والخلقُ بائنون منه لا يحِلّ فيهم ولا يمتزج بهم، وهو مستوٍ على عرشه في سمائه دون أرضِه».

وقال معمر بن زياد في أثناء وصيته[2]: «وأن الله استوى على عرشه بلا كيف ولا تشبيهٍ ولا تمثيلٍ ولا تأويل، والاستواءُ معقولٌ والكيفُ مجهول، وأنه بائنٌ من خلقه والخلقُ بائنون منه». وذكر سائرَ الاعتقاد.

وقال أبو القاسم اللالكائيُّ[3] في قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه]: وأن اللَّهَ على عرشه: قال الله عز وجل: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠]، وقال: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك: ١٦]، وقال: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٨]. فدلَّت هذه الآياتُ أنه في السماء وعلمُه في كل مكانٍ، رُوي ذلك عن عمرَ وابنِ مسعودٍ وابنِ عباس وأمِّ سلمةَ، ومن التابعين ربيعةُ وسليمانُ التيميُّ ومقاتلُ بنُ حيانَ، وبه قال مالكٌ والثوريُّ وأحمد.

وقال يحيي بنُ عمارٍ[4]: هو بذاته على العرش وعلمُه محيطٌ بكل شيء وعلمُه وسمعُه وبصرُه وقدرتُه مُدركةٌ لكل شيء، وذلك معنى قولِه تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤]، فهذا الذي قلناه هو كما قال الله تعالى وقاله رسولُ الله ﷺ، قلت: لفظةُ «بذاته» مستغنىً عنها بصريح النصوصِ الكافيةِ الوافيةِ.

---

(١) في كتاب «الاعتقاد» له كما في «العلو» للذهبي (ص١٧٦).
(٢) أورده الذهبي في «العلو» (ص١٧٧).
(٣) في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٣/ ٤٢٩ ـ ٤٣١ رقم ٦٤٦).
(٤) ذكره الذهبي في «العلو» (ص١٧٧ ـ ١٧٨).

وقال القادرُ بالله أميرُ المؤمنين في معتقده المشهور[1]: «وأنه خلق العرشَ لا لحاجة، واستوى عليه كيف شاء لا استواءَ راحةٍ، وكلُ صفةٍ وصف بها نفسَه أو وصفه بها رسولُه ﷺ فهي صفةٌ حقيقةٌ لا صفةُ مجازٍ.

وقال أبو عمرو الطلمنكيُ[2] رحمه الله تعالى: أجمع المسلمون من أهلِ السنةِ على أن معنى قولِه تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤]. ونحوَ ذلك من القرآن أنه علمُه، وأن الله تعالى فوق السموات بذاتِه، مستوٍ على عرشه كما نطق به كتابه، وعلماءُ الأمة وأعيانُ الأئمة من السلف لم يختلفوا أن اللّهَ على عرشه فوق سمواتِه.

وقال أبو نصرِ السّجْزيُ[3]: أئمتنا كسفيانَ الثوريِّ ومالكٍ وحمّاد بنِ سلمةَ وحمادِ بنِ زيد وسفيانَ بن عُيينةَ والفضيلِ وابنِ المباركِ وأحمدَ وإسحاقَ متفقون على أن اللّهَ سبحانه بذاته فوق العرشِ وعلمُه بكل مكان.

وقال أبو عمرٍو الداني[4] في أرجوزته التي في عقود الديانة:

كلامُه وقولُه قديمُ   وهُو فوق عرشِه العظيمُ

وقال أبو عمرَ ابنُ عبدِ البرِّ في شرح حديثِ النزول[5]: «هذا حديثٌ صحيحٌ لم يختلف أهلُ الحديثِ في صحتِه، وفيه دليلٌ أن الله تعالى في السماء على العرش فوق سبع سمواتٍ كما قالت الجماعة».

وقال أيضاً[6]: «أجمع علماءُ الصحابةِ والتابعين الذين حُمل عنهم التأويلُ قالوا في تأويل قوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ [المجادلة:

---

(١) ذكره الذهبي في «العلو» (ص١٧٨).
(٢) ذكره الذهبي في «العلو» (ص١٧٨).
وانظر: «درء تعارض العقل بالنقل» (٢/ ٣٥) و (٦/ ٢٥٠ ـ ٢٥١) والفتاوى (٥/ ١٨٩) و «شرح حديث النزول» (ص٨٥). الكل لابن تيمية.
(٣) ذكره الذهبي في «العلو» (ص١٨٠).
(٤) ذكره الذهبي في «العلو» (ص١٨١).
(٥)(٦) في «التمهيد» (٧/ ١٢٨ ـ ١٣٩).
وانظر: «الاستذكار» له (٨/ ١٤٦ ـ ١٥٣).

٧]، هو على العرش وعلمُه في كل مكان، وما خالفهم في ذلك أحدٌ يحتج بقوله».

وقال أبو يعلى[(١)] رحمه الله بعد أن ذكر حديثَ الجارية: «الكلامُ في هذا الخبرِ في فصلين أحدُهما جوازُ السؤال عن الله سبحانه بأين هو؟ والثاني جوازُ الإخبارِ عنه بأنه في السماء.

وقد أخبرنا تعالى أنه في السماء فقال: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك: ١٦] وهو على العرش».

وقال أبو بكرٍ البيهقيُّ[(٢)] رحمه الله تعالى في كتاب المعتقد له: بابُ القولِ في الاستواءِ، قال الله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]. وقال: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [السجدة: ٤]. ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٨]. ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠]. ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠]. ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الملك: ١٦]. وأراد مَن فوقَ السماء كما قال تعالى: ﴿فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ [طه: ٧١]. وقال: ﴿فَسِيحُواْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [التوبة: ٢] أي على الأرض، وكلُ ما علا فهو سماءٌ، والعرشُ أعلى السموات، فمعنى الآية أأمِنتم مَن على العرش كما صرح به في سائر الآيات.

طبقةٌ أخرى

قال أبو الفتح نصرٌ المقدسيُّ[(٣)]: «وأن اللَّهَ مستوٍ على عرشه بائنٌ من خلقه كما قال في كتابه».

وقال شيخُ الإسلام الأنصاريّ[(٤)] ـ صاحب منازل السائرين في التصوف ـ في كتاب له: بابُ استواءِ اللَّهِ على عرشه في السماء السابعة بائناً من خلقه من الكتاب

---

(١) في كتابه «إبطال التأويل» كما في «العلو» للذهبي (ص١٨٤).
(٢) في كتابه «الاعتقاد» (ص٥٥).
(٣) في كتاب «الحجة» له كما قال الذهبي في «العلو» (ص١٨٧).
(٤) ذكره ابن القيم في «اجتماع الجيوش الإسلامية» (ص١٧٦) والذهبي في «العلو» (ص١٨٩ ـ ١٩٠).
وانظر: «بيان تلبيس الجهمية» لابن تيمية (ص٤٤٠).

والسنة، فساق الحجةَ من الآيات والأحاديثِ إلى أن قال: «وفي أخبار شتَّى أن الله سبحانه وتعالى في السماء السابعةِ على العرش بنفسه وهو ينظرُ كيف تعملون، وعلمُه وقدرتُه واستماعُه ونظرُه ورحمتُه في كل مكان».

وقال البغويُّ[1] رحمه الله تعالى في قول الله عز وجل: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤، يونس: ٣، الرعد: ٢، السجدة: ٤، الحديد: ٤]: قال الكلبي ومقاتلٌ: استقر.

وقال أبو عبيدةَ: صعِد.

وأوّلت المعتزلةُ الاستواءَ بالاستيلاء، فأما أهلُ السنةِ فإنهم يقولون: الاستواءُ على العرش صفةٌ لله تعالى بلا كيف؛ يجب على الرجل الإيمانُ به، ويكِلُ العلمَ فيه إلى الله عز وجل.

ثم ذكر قول مالكٍ المتقدم، وقال: ورُوي عن سفيانَ الثوريِّ والأوزاعيِّ والليثِ بنِ سعدٍ وسفيانَ بنِ عُيينةَ وعبدِ اللّهِ بنِ المباركِ وغيرِهم من علماء السنةِ في هذه الآياتِ التي جاءت في الصفات المتشابهات: أمِرُّوها كما جاءت بلا كيف».

وقال أبو الحسن الكرجيُّ[2] في بائيته:

عقائدُهم أن الإلهَ بذاته	**على عرشه مع علمه بالغوائب**
وأن استواءَ الربِّ يُعقل كونُه	**ويُجهل فيه الكيفُ جَهْلَ الشهارب**

وقال الشيخ عبدُ القادرِ الجيليُّ[3] رحمه الله تعالى في كتاب الغُنية: «أما معرفةُ الصانعِ بالآيات والدلائل على وجه الاختصارِ فهو أن يُعرف ويتيّقنَ أن اللّهَ واحدٌ أحدٌ.

إلى أن قال: وهو مستوٍ على العرش، محتوٍ على الملك، محيطٌ بالأشياء، إليه يصعدُ الكلمُ الطيبُ والعمل الصالحُ يرفعه، ولا يجوز وصفُه بأنه في كل مكان بل يقال: إنه في السماء على العرش، كما قال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] وينبغي إطلاقُ ذلك من غير تأويلٍ.

---

(١) في «معالم التنزيل» (٣/ ٢٣٥ ـ ٢٣٦).

(٢) في عقيدته الشهيرة التي تزيد على مائتي بيت.
كما في «العلو» (ص١٩١) للذهبي.

(٣) في كتاب «الغنية» له كما في «العلو» (ص١٩٣).

وكونُه تعالى على العرش مذكورٌ في كل كتابٍ أُنزل، على كل نبيٍّ أُرسل، بلا كيف.

وقال أبو عبد الله القرطبي[1]: «وقد كان السلفُ الأولُ ﷺ لا يقولون بنفي الجهةِ ولا ينطقون بذلك، بل نطقوا هم والكافةُ بإثباتها لله تعالى كما نطق كتابُه وأخبرت رسلُه، ولم يُنكر أحدٌ من السلف الصالحِ أن استواءَه على عرشه حقيقةٌ، وخُصَّ عرشُه بذلك لأنه أعظمُ مخلوقاتِه، وإنما جهِلوا كيفيةَ الاستواءِ فإنه لا يُعلم حقيقةُ كيفيته.

قلت: أراد أبو عبد الله بالجهة إثبات العلوّ لله تعالى، أما لفظُ الجهةِ فلم يرد في الكتاب ولا السنة، ولا يلزم من إثبات العلوّ إثباتها، لأن العرشَ سقفُ جميعِ المخلوقات فما فوقه لا يسمى جهة، ولو سلمنا أنه يلزم من إثبات العلوّ إثباتُ الجهةِ فلازمُ الحقِّ حقٌّ، فما استلزمَه صريحُ الآياتِ والأحاديثِ فهو حقٌّ بلا خلاف عند أهل السنة.

وقال شيخُ الإسلامُ ابنُ تيميةَ رحمه الله تعالى في العقيدة الواسطية[2] بعد سرد الآياتِ والأحاديثِ في الصفات: «فصل: وقد دخل فيما ذكرنا من الإيمان بالله الإيمانُ بما أخبر به في كتابه وتواتر عن رسول الله ﷺ وأجمعَ عليه سلفُ الأمةِ من أنه سبحانه فوق سمواتِه على عرشه، عليٌّ على خلقه، وهو سبحانه معهم أينما كانوا يعلم ما هم عاملون، كما جمع بين ذلك في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤].

وليس معنى قولِه: «وهو معكم» أنه مختلطٌ بالخلق، فإن هذا لا توجبه

---

(١) في «الجامع لأحكام القرآن» (٧/ ٢١٩ ـ ٢٢٠).
وفي كتابه «الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى وصفاته العلى».
كما في «العلو» للذهبي (ص١٩٤ ـ ١٩٥).

(٢) (ص٤٩ ـ ٥٠) بتحقيقنا.

اللغةُ[1]، وهو خلافُ ما أجمع عليه سلفُ الأمةِ وخلافُ ما فطر اللَّهُ عليه الخلقَ، بل القمرُ آيةٌ من آيات الله من أصغر مخلوقاته وهو موضوعٌ في السماء وهو مع المسافر وغيرِ المسافر أينما كان، واللَّهُ سبحانه فوقَ العرشِ رقيبٌ على خلقه مهيمنٌ عليهم مطلعٌ عليهم إلى غير ذلك من معاني ربوبيّته.

وكلُ هذا الكلامِ الذي ذكر الله تعالى من أنه فوق العرشِ وأنه معنا حقٌ على حقيقته، لا يحتاج إلى تحريف[2]، ولكن يصان عن الظنون الكاذبةِ مثلُ أن يظنّ أن ظاهرَ قولِه: ﴿فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الزخرف: ٨٤]، أن السماء تُقِلّه أو تُظِلّه، وهذا باطلٌ بإجماع أهلِ العلمِ والإيمان، فإن الله تعالى قد: ﴿وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وهو الذي: ﴿يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ﴾ [فاطر: ٤١]، ﴿وَيُمۡسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦٓۚ﴾ [الحج: ٦٥]، ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ بِأَمۡرِهِۦۚ﴾ [الروم: ٢٥]» اهـ.

ومصنفاتُ هذا الإمامِ وتلميذِه ابنِ القيِّم رحمهما الله تعالى في الانتصار لمعتقد أهلِ السنةِ والجماعةِ قد طبّقتْ المشارقَ والمغاربَ، ولو ذهبنا نذكر أقوالَ أهلِ العلمِ والدينِ من السلف والخلفِ لاحتجْنا إلى عدة أسفارٍ بل إلى عدة أحمال، وفيما ذكرناه كفايةٌ.

ونحن نشهدُ الله تعالى وحملةَ عرشِه وجميعَ ملائكِته وأنبيائه ورسلَه وجميعَ خلقِه أنا نُثبت لربنا عز وجل ما أثبته لنفسه في كتابه وأثبته رسولُه ﷺ وأجمع عليه أهلُ السنةِ والجماعةِ سلفاً وخلفاً ممن ذكرنا وممن لم نذكر من أن ربَّنا وإلَهنا فوق سمواتِه على عرشه بائنٌ من خلقه، وهو يعلم ما هم عليه لا يخفى عليه منهم خافيةٌ، واستواؤه على عرشه كما أخبر وعلى الوجه الذي عناه وأراده كما يليق بجلالِ ربنا وعظمتِه، لا نتكلف لذلك تأويلاً ولا تكييفاً بل نقول: آمنا بالله وبما جاء عن الله على مراد الله، وآمنا برسول اللَّهِ وبما جاء عن رسولِ الله على مراد رسولِ اللَّهِ ﷺ، ولا نطلُب إماماً غيرَ الكتابِ والسنة، ولا نتخطّاهما إلى غيرهما ولا نتجاوز ما جاء فيهما، فننطِق بما نطقا به ونسكُت عما سكتا عنه ونسير سيرَهما

---

(١) انظر: «مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة» (٢/ ٢٦٥) لابن القيم.

(٢) يرد الشيخ هنا على المعطِّلة الذين حرّفوا الأدلة وسموا تحريفهم تأويلاً.

حيث سارا ونقف معهما حيث وقفا، ولا حولَ ولا قوةَ إلا بالله العلي العظيم.

(ومعَ ذا مطّلعٌ إليهمو ... بعلمه مهيمنٌ عليهمو)
(وذكرُه للقُرب والمعيّة ... لم ينفِ للعلوّ والفوقيّة)
(فإنه العليُّ في دنوّه ... وهو القريبُ - جلَّ - في علوه)

(ومع ذا) الاتصافِ بالعلو والاستواءِ على العرش والمباينةِ منه لخلقه تبارك وتعالى فهو (مطلع) سبحانه وتعالى (إليهمو) الواو للإشباع (بعلمه) المحيطُ بجميع المعلوماتِ لا تخفى عليه منهم خافيةٌ، كما جمع تبارك وتعالى بين ذلك في قوله عز وجل: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَمَا تَحۡتَ ٱلثَّرَىٰ ۝٦ وَإِن تَجۡهَرۡ بِٱلۡقَوۡلِ فَإِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى ۝٧﴾ [طه].

فجمع تعالى بين استوائه على عرشه وبين علمِه السرَّ وأخفى، وكذلك جمع عز وجل بينهما في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ۝٣﴾ [الحديد]. وهو الأولُ فليس قبله شيء، والآخِرُ فليس بعده شيءٌ، والظاهرُ فليس فوقه شيءٌ، والباطنُ فليس دونه شيءٌ، هكذا فسره رسولُ الله ﷺ في حديث أبي هريرةَ عند مسلم[1].

وكذلك جمعَ تعالى بينهما في الآية التي تليها فقال عز وجل: ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۖ وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾ [الحديد: ٤].

وكذلك جمع النبيُّ ﷺ بين هذين المعنيين في حديث الأوعالِ[2] إذ يقول: «**واللّهُ فوق العرشِ وهو يعلم ما أنتم عليه**». وغير ذلك من الآيات والأحاديث، وهو إجماعُ المؤمنين.

(مهيمن) رقيب (عليهمو) بواو الإشباع (وذكْره) تبارك وتعالى (للقرب) في قوله عز وجل: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ﴾ [البقرة: ١٨٦]. وقولِه تعالى: ﴿إِنَّهُۥ سَمِيعٞ قَرِيبٞ﴾ [سبأ: ٥٠].

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) وهو حديث ضعيف وقد تقدم تخريجه.

وقول النبيِّ ﷺ في حديث الصحيحين[1]: «**إن الذي تدعونه أقربُ إلى أحدكم من عنُق راحلتِه**».

(و) كذلك ذكْره (**المعيّة**) العامة في قوله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟﴾ [المجادلة: ٧]. وقوله عز وجل: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤].

وكذا المعيةُ الخاصةُ في قوله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨]. وقوله: ﴿وَٱصْبِرُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦]. وقولِه لموسى وهارونَ: ﴿إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦]. وقولِه في قصة نبيِّنا ﷺ مع الصدّيق رضي الله عنه: ﴿إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠].

كلُ ذلك (**لم ينف العلوّ**) المذكورَ في النصوص السابقةِ من الكتاب والسنةِ وإجماع الأمة من أنه تعالى مستوٍ على عرشه بائنٌ من خلقه: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠]. ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤]. ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ [السجدة: ٥].

(**والفوقيةْ**) عطفٌ على العلوِّ وهو رديفُه في المعنى، أي ولم ينف قولَه عز وجل: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٨]. وقولَه: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠].

وقول النبيِّ ﷺ: «**واللّهُ فوق العرشِ وهو يعلم ما أنتم عليه**»[2]، بل كلُ ذلك حقٌّ على حقيقته، ولا منافاةَ بين قُربه عز وجل وبين علوِّه.

(**فإنه**) هو (**العليّ**) المتّصفُ بجميع معاني العلوِّ ذاتاً وقَهراً وشأناً (**في دنوه**)، فيدنو تعالى من خلقه كيف شاء، وينزل إلى السماء الدنيا في آخر كلِ ليلةٍ وعشيةَ عَرَفَة وغيرِ ذلك كيف شاء، ويأتي لفصل القضاءِ بين عباده كيف شاء، وليس ذلك منافياً لفوقيته فوق عبادِه واستوائِه على عرشه فإنه ليس كمثله شيءٌ في ذاته ولا صفاته ولا أفعالِه.

---

(١) البخاري (١١/ ١٨٧ رقم ٦٣٨٤). ومسلم (٤/ ٢٠٧٦ رقم ٢٧٠٤) من حديث أبي موسى رضي الله عنه.

(٢) تقدم تخريجه. وهو جزء من حديث الأوعال الضعيف.

ومعيتُه العامةُ في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤]، معناها إحاطتُه بهم علماً وقُدرة كما يدل عليه أولُ السياقِ وآخِرُه، وهو إجماعُ الصحابةِ والتابعين كما تقدم نقلُ إجماعهم على ذلك.

وأما معيتُه الخاصةُ لأحبابه وأوليائِه فتلك غيرُ المعيةِ العامة، فهو معهم بالإعانة والرعاية والكفايةِ والنصرِ والتأييدِ والهدايةِ والتوفيقِ والتسديدِ وغيرِ ذلك مما تجفو عبارةُ المخلوق عنه، ويقصُر تعريفُه دونه، وكفاكَ قولُ الله عز وجل فيما رواه عنه نبيُّه ﷺ إذ يقول: **«ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أُحِبَّه، فإذا أحببتُه كنتُ سمعَه الذي يسمعُ به وبصرَه الذي يبصر به ويدَه التي يبطِش بها ورجلَه التي يمشي بها»**[١].

وفي بعض الروايات: **«وقلْبَه الذي يعقِل به، ولسانَه الذي ينطِق به»**[٢]. وليس معنى ذلك أن يكون جوارحَ للعبد تعالى اللَّهُ عن ذلك علواً كبيراً.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (١١/ ٣٤٠ ـ ٣٤١ رقم ٦٥٠٢) وابن حبان في صحيحه (٢/ ٥٨ رقم ٣٤٧) من حديث أبي هريرة.
قلت: أفاض الحافظ ابن حجر في الدفاع عن الحديث في «الفتح» وذكر له طرقاً جزم بأن مجموعها يدل على أن له أصلاً.
كما أطال الألباني أيضاً في بيان صحة هذا الحديث بمجموع طرقه في «الصحيحة» رقم (١٦٤٠) وقدم لبيانه بقوله: «. . . فإن حديثاً يخرجه الإمام البخاري في المسند الصحيح ليس من السهل الطعن في صحته لمجرد ضعف في إسناده لاحتمال أن يكون له شواهد تأخذ بعضده وتقويه. . .».

(٢) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (١/ ٥) والبزار رقم (٣٦٢٧، ٣٦٤٧ ـ كشف) وأحمد (٦/ ٢٥٦) والبيهقي في «الزهد» رقم (٦٩٣) وابن النجار في «ذيل تاريخ بغداد» (٣/ ١٧٨) والطبراني في «الأوسط» (رقم ٥٥٢ ـ مجمع البحرين).
وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢/ ٢٤٧) وقال: رواه أحمد وفيه عبد الواحد بن قيس بن عروة وثقه أبو زرعة والعجلي وابن معين في إحدى الروايتين وضعفه غيره، وبقية رجاله رجال الصحيح.
ورواه الطبراني في «الأوسط» وزاد: **«فإذا أحببته كنت عينه التي يبصر بها، وأذنه التي يسمع بها، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها»**، والباقي بنحوه، ورجاله رجال الصحيح خلا شيخه هارون بن كامل، رواه البزار بنحوه.
قلت: وبقية طرقه في كتاب «الزهد» في باب من آذى ولياً ـ (١٠/ ٢٦٩) ـ اهـ.
وخلاصة القول أن حديث عائشة صحيح، والله أعلم.

وإنما المُراد أن من اجتهد بالتقرب إلى الله عز وجل بالفرائض ثم بالنوافل قرّبه إليه ورقّاه من درجة الإيمانِ إلى درجة الإحسانِ، فيصير يعبُد الله على الحضور والمراقبةِ كأنه يراه، فيمتلئ قلبُه بمعرفة اللّهِ تعالى ومحبتِه وعظمتِه وخوفِه ومهابتِه وإجلالِه والأنسِ به والشوقِ إليه، حتى يصيرَ هذا الذي في قلبه من المعرفةِ مشاهداً له بعين البصيرة.

وإلى هذا المعنى أشار ﷺ بقوله: «**أحبوا الله من كل قلوبكم**»[1] فمتى امتلأ القلبُ بعظمة اللّهِ تعالى محا ذلك من القلب كلَّ ما سواه، ولم يبقَ للعبد شيءٌ من نفسه وهواه، ولا إرادةَ إلا لما يريد منه مولاه.

فحينئذ لا ينطِق العبدُ إلا بذكره ولا يتحركُ إلا بأمره، فإن نطق نطق بالله، وإن سمِع سمِع به، وإن نظرَ نظرَ به، وإن بطشَ بطش به، فهذا هو المرادُ بقوله عز وجل: «**كنت سمعَه الذي يسمع به، وبصرَه الذي يُبصر به، ويدَه التي يبطِش بها، ورِجَله التي يمشي بها**»[2].

ومن أشار إلى غير هذا فإنما يشير إلى الإلحاد من الحلول والاتحاد، والله ورسولُه بريئان منه.

(**وهو القريبُ ـ جل ـ في علوه**) فهو سبحانه وتعالى مستوٍ على عرشه عالٍ على جميع خلقه، وهو قريبٌ يجيب دعوةَ الداعِ إذا دعاه، ويعلم سرَّه ونجواه، وهو أقربُ إلى داعيه من عُنق راحلتِه، ويعلم ما توسوس به نفسُ الإنسان وهو

---

(١) وهو جزء من أول خطبة خطبها النبي ﷺ في المدينة، من حديث أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف.
أخرجها ابن إسحاق معلقة ـ كما في سيرة ابن هشام (٢/ ١٦٧) ـ وأخرجها البيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٥٢٤ ـ ٥٢٥) من طريق ابن إسحاق وقد صرح بالسماع فزالت شبهة التدليس.
ولكن فيه «المغيرة بن عثمان» سكت عنه البخاري في «التاريخ الكبير» (٧/ ٣١٨ ـ ٣١٩) وابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٨/ ٢٢٦ ـ ٢٢٧).
وأخرجها ابن كثير في «السيرة» (٢/ ٣٠١ ـ ٣٠٢) من طريق البيهقي وقال عقبها: وهذه الطريقة أيضاً مرسلة إلاّ أنها مقوية لما قبلها وإن اختلفت الألفاظ.

(٢) وهو جزء من حديث قدسي صحيح تقدم من حديث أبي هريرة وحديث عائشة.

أقربُ إليه من حبل الوريد؛ فإن الذي عند عُنقِ راحلِته أو عند حبلِ وريدِه لا يعلم ما خفيَ عليه من كلامه.

واللَّهُ عز وجل على عرشه ويعلم السرَّ وأخفى، ويعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرُج فيها وهو مع خلقه بعلمه وقدرتِه لا تخفى عليه منهم خافيةٌ، وما يعزُب عن ربك من مثقال ذرةٍ في الأرض ولا في السماء ولا أصغرَ من ذلك ولا أكبرَ، فهو على كل شيءٍ شهيدٌ وبكل شيءٍ محيطٌ، فهو سبحانه القريبُ في علوه، العليُّ في دُنوّه، وهو الأولُ والآخرُ والظاهرُ والباطنُ وهو بكل شيء عليم.

(حيٌّ وقيومٌ فلا ينام وجل أن يُشبِهَه الأنام)
(لا تبلُغ الأوهامُ كُنهَ ذاتِهِ ولا يكيِّف الحِجا صفاتِه)

(حيٌّ) لا يموت، كما قال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨]، وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [غافر: ٦٥]. فهو الحيُّ الذي لم تُسبق حياتُه بالعدم ولم تُعقَّب بالفناء، هو الأولُ فليس قبله شيءٌ والآخرُ فليس بعده شيءٌ.

وفي الصحيحين(١) عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبيَّ ﷺ كان يقول: «**أعوذ بعزتك الذي لا إله إلا أنت، الذي لا يموتُ، والجنُّ والإنسُ يموتون**».

(وقيوم) فهو القيُّومُ بنفسه القيِّم لغيره فجميعُ الموجوداتِ مفتقرةٌ إليه، وهو غنيٌّ عنها ولا قِوامَ لها إلا به ولا قِوام لها بدون أمرِه كما قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ﴾ [الروم: ٢٥]. وهو القائمُ على كل شيءٍ، والقائمُ بجميع أمورِ عبادِه، والقائمُ على كل نفس بما كسبت.

وفي الصحيحين(٢) من دعائه ﷺ في صلاة الليل: «**اللهم لك الحمدُ أنت ربُّ السمواتِ والأرض، ولك الحمدُ أنت قيِّمُ السمواتِ والأرضِ ومَن فيهن، ولك الحمدُ أنت نورُ السمواتِ والأرضِ**» الحديث.

---

(١) البخاري (١٣/٣٦٨ رقم ٧٣٨٣) ومسلم (٤/٢٠٨٦ رقم ٢٧١٧).
(٢) البخاري (١٣/٣٧١ رقم ٧٣٨٥) ومسلم (١/٥٣٢ رقم ٧٦٩).

وقد جمع تعالى بين هذين الاسمين «**الحي القيوم**» في ثلاثةِ مواضِعَ من كتابه:

الأول: آيةُ الكرسيِّ من سورة البقرة: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

الثاني: أول سورة آل عمران: ﴿الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ۝٢﴾.

الثالث: في سورة طه: ﴿۞ وَعَنَتِ ٱلۡوُجُوهُ لِلۡحَيِّ ٱلۡقَيُّومِۖ وَقَدۡ خَابَ مَنۡ حَمَلَ ظُلۡمٗا﴾ [طه: ١١١].

وروى ابن مردَويهِ[١] عن أبي أمامةَ مرفوعاً قال: «**اسمُ الله الأعظمُ الذي إذا دُعي به أجاب في ثلاث سورٍ: سورةِ البقرة وآل عمران وطه**».

(فلا ينام) أي لا يعتريه نقصٌ ولا غفلةٌ ولا ذهولٌ عن خلقه، فإن ذلك نقصٌ في حياته وقيّوميّته، ولهذا أردف هذين الاسمينِ بنفي السِّنَةِ والنومِ فقال: ﴿ٱللَّهُ لَآ

---

(١) أخرجه ابن مردويه كما في تفسير ابن كثير (١/ ٣١٥) من حديث أبي أمامة.
وفيه القاسم بن عبد الرحمن الأموي. وثقه ابن معين من وجوه عنه.
وقال الترمذي: ثقة. وقال ابن حبان: كان يروي عن أصحاب رسول الله ﷺ المعضلات. (الميزان: ٣/ ٣٧٣).
وفيه أيضاً إسحاق بن إبراهيم: مستور الحال، لكنه قد توبع كما عند الطحاوي في «مشكل الآثار» (١/ ٦٣) والطبراني في «الكبير» (٨/ ٢٨٢ رقم ٧٩٢٥) والحاكم (١/ ٥٠٥ - ٥٠٦).
وأخرجه ابن ماجه (٢/ ١٢٦٧ رقم ٣٨٥٦) من طريق أخرى فيه غيلان بن أنس قال عنه الحافظ في «التقريب» (٥٣٦٧) مقبول.
وللحديث شاهد من حديث أسماء بنت يزيد.
أخرجه أحمد (٦/ ٤٦١) والترمذي (٥/ ٥١٧ رقم ٣٤٧٨) وابن ماجه (٢/ ١٢٦٧ رقم ٣٨٥٥) وأبو داود (٢/ ١٦٨ رقم ١٤٩٦).
وفيه عبيد الله أبي زياد القداح وهو ليس بالقوي.
وشهر بن حوشب تكلم فيه غير واحد «الميزان» (٢/ ٢٨٣ رقم ٣٧٥٦).
والخلاصة أن الحديث حسن، والله أعلم.

﴿إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، أي لا تغلبه سنةٌ وهو الوسَنُ والنُّعاسُ، ولا نومٌ، ونفيُه من بابِ أولى لأنه أقوى من السِّنَة، بل هو قائمٌ على كل نفسٍ بما كسبت، شهيدٌ على كل شيء ولا يغيب عنه شيءٌ ولا تخفى عليه خافية.

وفي الصحيحين[1] عن أبي موسى ﷺ قال: قام فينا رسولُ الله ﷺ بأربع كلماتٍ فقال: «**إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القِسْطَ ويرفعه، يرفع إليه عملَ الليل قبل عملِ النهارِ وعملَ النهارِ قبلَ عملِ الليل، حجابُه النورُ ـ أو النار ـ لو كشفه لأحرقتْ سُبحاتُ وجهِه ما انتهى إليه بصرُه من خلقه**».

(وجل) عن (**أن يشبهه الأنام**) في ذاته أو أسمائِه أو صفاتِه أو أفعالِه، لأن الصفاتِ تابعةٌ لموصوفها، فكما أن ذاتَه لا تُشبه الذواتِ فكذلك صفاتُه لا تشبه صفاتِ المخلوقات، ولو اهتدى المتكلمون لهذا المعنى الذي هدى اللَّهُ إليه أهلَ السنةِ والجماعةِ لما نفَوا عن الله ما وصف به نفسَه ووصفه به رسولُ الله ﷺ، ولما عطلوه عن صفات كمالِه ونعوتِ جلالِه فراراً بزعمهم من التشبيه فوقعوا في أعظمَ من ذلك، ولزِمهم أضدادُ ما نفوه من الصفاتِ الثابتةِ بالكتاب والسنةِ وإجماعِ سلفِ الأمة.

وسببُ ضلالِهم أنهم تقدموا بين يدي اللَّهِ ورسولِه واتهموا الوَحْيين فيما نطقا به ووزنوهما بعقولهم السخيفةِ وأذهانِهم البعيدة وقوانينِهم الفاسدة التي هي ليست من الله في شيء، ولا من علوم الإسلامِ في ظلٍ ولا فيء، وإنما هي أوضاعٌ مختلفةٌ، أدخلها الأعادي على أهل الإسلام لقصد إظهارِ الفساد، ولغرس شجرةِ الإلحاد، المثمرة... وتعطيلَ الباري عز وجل عن صفاتِ كمالِه وعلوِّه واعتقادِ الحلولِ والاتحاد.

جاءوا بها في قالَب التنزيهِ	لله كي يغوون كلَّ سفيهِ
قالوا صفاتُ كمالِه منفيَّةٌ	عنه مخافةَ موجبِ التشبيه
تعطيلُهم سمَّوه «تنزيهاً» له	ليُروِّجوا فاعجبْ لذا التمويهِ

(١) بل أخرجه مسلم (١/١٦١ ـ ١٦٢ رقم ١٧٩).

والوحيُ قالوا نصُّه لا يوجب الـ	ـعلمَ اليقينَ فأيُّ دينٍ فيه
ما الدينُ إلا ما عن اليونان قد	جئنا به طوبى لمن يحويه
نبذوا كتاب الله خلف ظهورهم	وبقُوا حيارى في ضلالِ التيهِ

فسمُّوا النورَ الذي أنزله الله عز وجل على رسولِه ﷺ تفصيلَ كل شيء وتبياناً لكل شيءٍ ولم يفرّط فيه من شيء وبيان النبي ﷺ من جوامعِ كلمِه التي اختص الله بها، فسمُّوا ذلك كلَّه «آحاداً ظنيةً لا تفيد اليقين»[1]، وسموا زخارفَ أذهانهم ووساوسَ شيطانِهم «قواطعَ عقلية».

لا والله ما هي إلا خيالاتٌ وهميةٌ ووساوسُ شيطانيةٌ، هي من الدين بريئةٌ وعن الحق أجنبيةٌ، توجب الحَيرةَ وتُعقبُ الحسرة، كثيرةُ المباني قليلةُ المعاني، كسرابٍ بقيعةٍ يحسبه الظمآن ماءً، ويا ليته إذا جاءه لم يجده شيئاً لكن وجده السُمَّ النقيعَ والداءَ العُضال، فِخاخَ هَلَكةٍ نصبها الأعداءُ لاصطياد الأغبياء، وخُدعةَ ماكرٍ في صورة ناصحٍ فِعلَ عدوِّ اللّهِ اللعين في قصته مع الأبوين عليهما السلام في دلالتها على الشجرة التي نهاهما ربُّهما عنها: ﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ۝٢١ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ﴾ [الأعراف: ٢١ ـ ٢٢]، إلى آخر الآياتِ.

وكذلك كتبُ الكلام والمنطِقُ اليونانيُّ أدخله الأعداءُ علينا وسمَّوه علمَ التوحيدِ تلبيساً وتمويهاً وما هو إلا سُلَّمُ الإلحادِ والزندقة، وجحدوا صفاتِ الباري عز وجل وسمَّوا ذلك تنزيهاً ليُغْروا الجهّال بذلك، وإنما هو محضُ التعطيل.

وسمَّوا أولياءَ الله المؤمنين الذين عرفوه بأسمائه وصفاتِه مُشبِّهةً لينفِّروا الناسَ عنهم مكراً وخَديعة، فأصبح المغرورُ بقولهم المخدوعُ بمكرهم حائراً مخذولاً، لأنهم لما عزلوا كتابَ اللّهِ عن البيان وحكّموا عقولَهم السخيفةَ في نصوص صفاتِ الديّانِ لم يفهموا منها إلا ما يقوم بالمخلوق من الجوارِح والأدواتِ التي منحه الله إياها ومتى شاء سلبه، ولم ينظُروا المتصفَ بها من هو، فلذلك نفَوها عن الله عز وجل لئلا يلزَم من إثباتها التشبيهُ، فشبّهوا أولاً وعطلوا ثانياً، فلما نفوا عن الله

---

(١) انظر: «الحديث حجة بنفسه في العقائد والأحكام» للمحدث الألباني.
وانظر: كتابنا «مدخل إرشاد إلى فقه الكتاب والسنة»، «لزوم اتباع السنة على كل جيل في العقائد والأحكام» (ص٥٩ ـ ٦٢).

صفاتِ كمالِه لزِمهم إثباتُ ضِدِّها وهو النقائصُ، فمن نفى عن الله كونَه سميعاً بصيراً فقد شبَّهه بما لا يسمع ولا يُبصر ولا يغني شيئاً وكذلك سائرُ الصفات.

وماذا عليهم لو أثبتوا لله عز وجل ما أثبته لنفسه وأثبته له رسولُه ﷺ كما شاء الله تعالى وعلى الوجه الذي أراد، فجميعُ صفاتِه صفاتُ كمالٍ وجلالٍ تليقُ بعظمة ذاتِه، ونفيُها ضدُّ ذلك.

ولا يلزم من اتفاق التسميةِ اتفاق المسميَّات، فإن الله تعالى قد سمَّى نفسه سميعاً بصيراً، وأخبرنا أنه جعل الإنسان سميعاً بصيراً، وسمَّى نفسه الرؤوف الرحيم، وأخبر أن نبيَّه ﷺ بالمؤمنين رؤوفٌ رحيم، وسمى نفسَه الملك فقال: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤]. ﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ٢]. وسمَّى بعضَ خلقِه ملكاً فقال: ﴿وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦٓ أَسۡتَخۡلِصۡهُ لِنَفۡسِيۖ﴾ [يوسف: ٥٤]. وهو العزيزُ، وسمَّى بعضَ عبادِه عزيزاً وغيرُ ذلك.

فلا يلزم من اتفاق التسميةِ اتفاقُ الأسماءِ ومقتَضياتِها، فليس السمعُ كالسمع ولا البصرُ كالبصر، ولا الرأفةُ كالرأفة، ولا الرحمة كالرحمة، ولا العِزَّةُ كالعزة، كما أنه ليس المخلوقُ كالخالق ولا المحدَثُ الكائنُ بعد أن لم يكن كالأول الآخرِ الظاهرِ الباطنِ، وليس الفقيرُ العاجزُ عن القيام بنفسه كالحي القيومِ الغنيِّ عما سواه وكلُ ما سواه فقيرٌ إليه، فصفاتُ الخالق الحيِّ القيومِ قائمةٌ به لائقةٌ بجلاله أزليةٌ بأزليته دائمةٌ بدَيموميته، لم يزل متصفاً بها ولا يزالُ كذلك، لم تُسبَق بضد ولم تُعقَّبْ به، بل له تعالى الكمالُ المطلقُ أولاً وأبداً: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

فمن شبه الله تعالى بخلقه فقد كفر، ومن نفى عنه ما وصف به نفسَه فقد كفَر، وليس فيما وصف اللّهُ به نفسَه ورسولُه تشبيهٌ.

(لا تبلغ الأوهام كنه ذاته) أي نهاية حقيقتِها كما قال تعالى: ﴿يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا﴾ [طه: ١١٠]. وقال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

وإنما نعرِفه تعالى بما وصفَ به نفسَه في كتبه المنزلةِ على رسله بأنه أحدٌ صمدٌ: ﴿لَمۡ يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ۝٣ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ۝٤﴾ [الإخلاص].

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. إلى آخر الآية.

﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الحشر: ٢٢]. ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [الحشر: ٢٣]. ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [الحشر: ٢٤]. ﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣]، إلى غير ذلك من آيات الأسماءِ والصفات.

(ولا يكيف الحجا) أي العقلُ **(صفاتِه)** لأنه لا يعلم كيف هو إلا هو؛ فالواجبُ علينا أيها العبيدُ الإيمانُ بالله وأسمائِه وصفاتِه وإمرارِها كما جاءت، واعتقادُ أنها حقٌ كما أخبر اللَّهُ عز وجل وأخبرَ رسوله ﷺ، وعدم التكييفِ والتمثيلِ لأن الله عز وجل أخبرنا بأسمائه وصفاتِه وأفعالِه ولم يبين كيفيتِها فنُصدّق الخبر ونؤمن به ونكِلُ الكيفيةَ إلى الله عز وجل.

فصفاتُ ذاتِه تعالى من الحياة والعلمِ والسمعِ والبصرِ والقدرةِ والإرادةِ وغيرِها، وكذلك صفاتُ أفعالِه من الاستواء على العرش والنزولِ إلى سماء الدنيا والمجيءِ لفصل القضاءِ بين عبادِه وغيرُ ذلك كلُها حقٌ على حقيقتها، علِمْنا اتصافَه تعالى بها بما علمنا في كتابه وسنةِ رسولِه ﷺ، وغاب عن جميع المخلوقين كيفيتُها ولم يحيطوا بها علماً، كما قالت أمُّ سلمةَ[١] رضي الله عنها وربيعةُ الرأي[٢] ومالكُ بنُ

---

(١) أخرجه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٣/ ٤٤٠ ـ ٤٤١ رقم ٦٦٣).
وعزاه إليه الحافظ في «الفتح» (١٣/ ٤٠٦).
وقال ابن تيمية في «الفتاوى» (٥/ ٣٦٥) بعد ذكر قول مالك في الاستواء: «وقد روي هذا الجواب عن أم سلمة، موقوفاً ومرفوعاً، ولكن ليس إسناده مما يعتمد عليه» اهـ.

(٢) أخرجه اللالكائي (٣/ ٤٤١ ـ ٤٤٢ رقم ٦٦٥).
وذكره الحافظ في «الفتح» (١٣/ ٤٠٦).
وقال ابن تيمية في «الفتاوى» (٥/ ٣٦٥) بعد ذكر قول مالك: «ومثل هذا الجواب ثابت عن ربيعة ـ شيخ مالك ـ» اهـ.
وأخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» (ص٤٠٨) بسند آخر عن ربيعة.

أنسٍ[1] وغيرُهم رحمهم الله تعالى: «الاستواءُ غيرُ مجهولٍ، والكيفُ غيرُ معقول، والإيمانُ به واجبٌ، والسؤالُ عنه بدعةٌ، ومن الله الرسالةُ وعلى الرسولِ البلاغُ، وعلينا التصديقُ والتسليم».

وكذلك القولُ في جميع صفاتِه عز وجل، وإنا والله لكالّون حائرون في كيفية سرايةِ الدمِ في أعضائِنا وجَريانِ الطعامِ والشرابِ فينا، وكيف يدبّر الله تعالى قوتَ كلِ عضوٍ فيه بحسب حاجته، وفي استقرار الروحِ التي هي بين جنبينا وكيف يتوفاها الله في منامها وتعرُج إلى حيث شاء الله عز وجل ويردها إذا شاء، وفي كيفية إقعادِ الميتِ في القبر وعذابِه ونعيمِه، وكيفيةِ قيامِ الأمواتِ من القبور حُفاةً عراةً غُرْلاً، وكيفيةِ الملائكةِ وعِظَمِ خلقِهم.

فكيف العرشُ الذي لا يقدِّر قدْرَه إلا اللّهُ عز وجل، كلُ ذلك نجهل كيفيتَه ونحن مؤمنون به كما أخبرنا الله عز وجل عنه على ألسنة رسلِه عليهم الصلاةُ والسلام إيماناً بالغيب وإن لم نعلم الكيفية، فكيف بالخالق عز وجل وأسمائه الحسنى وصفاتِه العُلى: ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الروم: ٢٧]. ﴿لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٧٠]. ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٥٢]. ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧]. ﴿رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٥٣].

[انفراده تعالى بالإرادة والمشيئة]

(باقٍ فلا يفنى ولا يبيدُ ... ولا يكون غيرُ ما يريد)

(منفردٌ بالخلق والإرادة ... وحاكمٌ - جلَّ - بما أراده)

(باق) كما أنه الأولُ بلا ابتداءٍ فهو الباقي بلا انتهاءٍ، فكما لا ابتداءَ لأوليته كذلك لا انتهاء لآخريته، **(فلا يفنى ولا يبيد)** بل هو المُفني المُبيدُ، وهو المُبدِئ

---

(١) أخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» رقم (٨٦٦) عنه، وقال الحافظ في «الفتح» (١٣/ ٤٠٦ - ٤٠٧): «وأخرج البيهقي بسند جيد عن عبد الله بن وهب، قال: كنا عند مالك، فذكره.
قلت: وهو صحيح عن مالك، وقد تقدم.

المعيدُ، قال الله عز وجل: ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٨٨]. وقال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ۝٢٧﴾ [الرحمن].

(ولا يكون) في الكون **(غيرُ ما يريد)** والمُرادُ بالإرادة هنا الإرادة القدريةُ الكونيةُ التي لا بد لكل شيء منها ولا محيصَ ولا محيدَ لأحد عنها وهي مشيئةُ اللَّهِ الشاملةُ وقدرتُه النافذةُ، فما شاء الله تعالى كان وما لم يشأ لم يكن، فهو سبحانه الفعالُ لما يريد، ولا نفوذَ لإرادة أحدٍ إلا أن يريد، وما من حركة ولا سكونَ في السموات ولا في الأرض إلا بإرادته ومشيئتِه، ولو شاء عدمَ وقوعِها لم تقع، وورودُ ذلك في نصوص الكتابِ والسنة معلومٌ كقوله تبارك تعالى: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [البروج: ١٦]. ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا﴾ [الكهف: ٨٢]. ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا﴾ [الإسراء: ١٦].

وهذا الأمرُ القدريُّ الكونيُّ غيرُ الأمرِ الشرعيِّ، فإن الله لا يأمرُ بالفسق شرعاً ولا يحب الفاسقين وإنما هو أمرُ تكوين، ألا ترى أن الفسقَ علةُ: ﴿حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ﴾ [القصص: ٦٣]. و ﴿حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ﴾ علةٌ لتدميرهم، وهكذا الأمرُ سببٌ لفسقهم ومقتضٍ له وذلك هو أمرُ التكوين وقال: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]. ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]. ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ [المائدة: ٤١]. ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ﴾ [المائدة: ٤١].

وقولِ نوح لقومه: ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [هود: ٣٤]. وقوله تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنعام: ١٢٥]. وقوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ﴾ [الرعد: ١١]. وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يُرِيدُ﴾ [الحج: ١٦].

﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ١٧]. ﴿قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً﴾ [الأحزاب: ١٧]. وقوله تعالى: ﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم

مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢا﴾ [الفتح: ١١]. وقوله: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ [آل عمران: ١٧٦].

وقوله: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾ [الإسراء: ١٨]. وقول صاحب يس: ﴿ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ﴾ [يس: ٢٣]. وقال تعالى: ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ﴾ [الزمر: ٣٨].

وقول النبي ﷺ: «**من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين**»[(١)]، «**من يرد الله به خيراً يُصِبْ منه**»[(٢)]، «**إذا أراد الله رحمةَ أمةٍ قبض نبيُّها قبلَها، وإذا أراد هَلَكة أمةٍ عذّبها ونبيُّها حيٌّ فأقر عينَه بهلاكها**»[(٣)]، «**إذا أراد الله بعبد خيراً عجل له العقوبةَ في الدنيا، وإذا أراد بعبد شراً أمسك عنه ذنوبه حتى يُوافيَ به يوم القيامة**»[(٤)].

---

(١) أخرجه البخاري (٦/ ٢١٧ رقم ٣١١٦) ومسلم (٢/ ٧١٨ رقم ١٠٣٧)، من حديث عائشة.

(٢) أخرجه البخاري (١٠/ ١٠٣ رقم ٥٦٤٥). من حديث أبي هريرة.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه (٤/ ١٧٩١ ـ ١٧٩٢ رقم ٢٢٨٨)، من حديث أبي موسى.

(٤) أخرجه الترمذي (٤/ ٦٠١ رقم ٢٣٩٦) وقال: «**هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه**» اهـ.
وأخرجه أبو يعلى في «المسند» (٧/ ٢٤٧ رقم ٤٢٥٤) وابن عدي في «الكامل» (٣/ ١١٩٣) والبغوي في «شرح السنة» (٥/ ٢٤٥) والحاكم (٤/ ٦٠٨) وسكت عليه الحاكم والذهبي.
وأخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» (ص١٥٤). كلهم من حديث أنس بن مالك.
وفيه سعد بن سنان أو سنان بن سعد قال الحافظ في «التقريب» (٢٢٣٨): «صدوق له أفراد».
وله شاهد من حديث عبد الله بن مغفل مرفوعاً.
أخرجه ابن حبان (رقم ٢٤٥٥ ـ موارد) وأبو نعيم في «أخبار أصبهان» (٢/ ٢٧٤) والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص١٥٣ ـ ١٥٤) وأحمد في «المسند» (٤/ ٨٧) والحاكم (١/ ٣٤٩) و (٤/ ٣٧٦، ٣٧٧) وقال: **صحيح على شرط مسلم** ولم يخرجاه وأقره الذهبي.
ورجاله ثقات: لكن الحسن وهو البصري مدلس، وقد عنعنه.
وله شاهد من حديث ابن عباس بنحوه أخرجه الطبراني في «الكبير» (١١/ ٣١٣ رقم ١١٨٤٢) وقال الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ١٩١ ـ ١٩٢): «وفيه عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله العرزمي وهو ضعيف.
وخلاصة القول أن الحديث حسن بمجموع طرقه.
وقد أورده المحدث الألباني في «الصحيحة» رقم (١٢٢٠).

«إذا أراد الله قبْضَ عبدٍ بأرض جعل له إليها حاجةً»[1]، «إذا أراد اللَّهُ بأهل بيت خيراً أدخل عليهم بابَ الرفق»[2]، إذا أراد الله بقوم عذاباً أصابَ من كان فيهم ثم بُعثوا على نياتهم»[3].

والآثارُ النبويةُ في ذلك كثيرةٌ.

وكذلك لفظُ «المشيئة» في الكتاب والسنةِ ورودُه معلومٌ كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ وَلَـٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ [البقرة: ٢٥٣]. وقال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ [آل عمران: ٤٠].

وقال: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ﴾ [الأنعام: ١١٢]. ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ﴾ [يونس: ٩٩]. ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ﴾ [هود: ١١٨]. ﴿لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۗ﴾ [الرعد: ٣١]. ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ۚ﴾ [الأنعام: ٣٥]. ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا﴾ [السجدة: ١٣]. ﴿وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ﴾ [محمد: ٤]. ﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ [الإسراء: ٨٦]. ﴿فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ۗ﴾ [الشورى: ٢٤]. ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَيَأْتِ بِـَٔاخَرِينَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ قَدِيرًا﴾ [النساء: ١٣٣]. ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ [الفتح: ٢٧]. ﴿إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ﴾ [هود: ٣٣].

وقوله عن إمام الحنفاء: ﴿وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا ۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۗ﴾ [الأنعام: ٨٠]. وقوله عن الذبيح: ﴿سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ [الصافات: ١٠٢]. وقوله عن شعيبٍ عليه السلام: ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن

---

(١) أخرجه الترمذي (٤/ ٤٥٣ رقم ٢١٤٧) وقال: **«هذا حديث صحيح»**.
وأخرجه الحاكم (١/ ٤٢) وصححه، وأخرجه أحمد (٣/ ٤٢٩) والطبراني في «الكبير» (٢٢/رقم ٧٠٦) وأبو نعيم في «الحلية» (٨/ ٣٧٤).
وهو حديث صحيح.

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» (٦/ ٧١) من حديث عائشة.
وأورده الهيثمي في «المجمع» (٨/ ١٩): «رواه أحمد ورجال الثانية ـ أي المذكورة هنا ـ رجال الصحيح».

(٣) البخاري (١٣/ ٦٠ رقم ٧١٠٨) ومسلم (٤/ ٢٢٠٦ رقم ٢٨٧٩) من حديث ابن عمر.

﴿نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا ۚ وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الأعراف: ٨٩]. وقوله عن يوسف: ﴿ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾ [يوسف: ٩٩].

وقوله عن موسى: ﴿سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا﴾ [الكهف: ٦٩]. وقوله عن قوم موسى: ﴿وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ٧]. وقوله لنبيه ﷺ: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَا۟ىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ﴾ [الكهف: ٢٣ ـ ٢٤]. ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۗ﴾ [يونس: ٤٩]. وقال: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ﴾ [هود: ١٠٧]. وعن أهلِ النارِ مثلَ ذلك، وقال: ﴿رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ ۖ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ ۚ﴾ [الإسراء: ٥٤]. وقال: ﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ ۗ﴾[المائدة: ٤٠]. وقال: ﴿وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ﴾ [الشورى: ٢٧].

وقال: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ﴾ [الإسراء: ٣٠]. وقال: ﴿يَمْحُوا۟ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ﴾ [الرعد: ٣٩]. وقال: ﴿قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ﴾ [يونس: ١٦]. وقال: ﴿نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ ۖ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا﴾ [الإنسان: ٢٨]. وقال: ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ﴾ [المدثر: ٥٦]. وقال: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ﴾ [الإنسان: ٣٠].

فأخبر أن مشيئتَهم وفعلَهم موقوفان على مشيئته لهم هذا وهذا، وقال: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٦]. وقال: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ﴾ [الأحزاب: ٢٤]. وقال: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ﴾ [آل عمران: ٧٤]. وقال: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ﴾ [النور: ٢١]. وقال: ﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ﴾ [البقرة: ٢٦١]. وقال: ﴿نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ﴾ [يوسف: ٥٦]. وقال: ﴿نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ﴾ [يوسف: ٧٦].

وقال: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ﴾ [المائدة: ٥٤]. وقال: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ﴾ [إبراهيم: ١١]. وقال: ﴿فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [يوسف: ١١٠]. وقال: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [الروم: ٤٨]. وقال: ﴿إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ﴾ [يوسف: ١٠٠].

وقال: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢٦٩]. وقال: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ﴾ [يس: ٦٦]. ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ﴾ [البقرة: ٢٠]. وقال: ﴿إِن يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِ﴾ [الشورى: ٣٣]. وقال: ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا﴾ [الواقعة: ٦٥]. وقال: ﴿لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا﴾ [الواقعة: ٧٠].

وقال: ﴿فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ إِن شَاءَ﴾ [التوبة: ٢٨]. وقال: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [فاطر: ١٦]. وقال: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِن بَعْدِكُم مَّا يَشَاءُ﴾ [الأنعام: ١٣٣]. ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٠]. ﴿اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ﴾ [الشورى: ١٣]. ﴿وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ﴾ [البقرة: ٢٦١]. ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾ [القصص: ٦٨].

﴿لِّلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا﴾ [الشورى: ٤٩ - ٥٠]. ﴿وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَاطِ اللَّهِ﴾ [الشورى: ٥٢ - ٥٣]. ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [آل عمران: ٦]. ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾ [الإنفطار: ٨]. ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ﴾ [الشورى: ٥٢]. ﴿وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ﴾ [القصص: ٨٢]. وغيرُ ذلك من الآيات.

قال العلامةُ ابنُ القيم[١] رحمه الله تعالى بعد أن ساق نحواً من هذه الآياتِ: وهذه الآياتُ ونحوُها تتضمن الردَّ على طائفتي الضلالِ: نُفاةِ المشيئةِ بالكلية، ونُفاة مشيئة أفعالِ العبادِ وحركاتِهم وهُداهم وضلالِهم، وهو سبحانه يخبر تارةً أن كلَّ ما في الكون بمشيئتِه، وتارةً أن ما لم يشأ لم يكن، وتارةً أنه لو شاء لكان خلافَ الواقع وأنه لو شاء لكان خلافَ القدرِ الذي قدره وكتبه وأنه لو شاء ما عُصي وأنه لو شاء لجمع خلقَه على الهدى وجعلهم أمةً واحدة، فتضمن ذلك أن الواقعَ بمشيئته، وأن ما لم يقع فهو لعدم مشيئتِه، وهذا حقيقةُ الربوبية وهو معنى كونِه: ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢].

---

(١) انظر: «طريق الهجرتين وباب السعادتين» له (ص٦٤ - ٨٣).

وكونِه القيومُ القائمُ بتدبير أمورِ عبادِه، فلا خَلْقَ ولا رِزْقَ ولا عطاءَ ولا منْعَ ولا قَبْضَ ولا بسْطَ ولا موتَ ولا حياةَ ولا ضلالَ ولا هدى ولا سعادةَ ولا شقاوةَ إلاّ بعد إذنِه، وكلُ ذلك بمشيئتِه وتكوينِه إذ لا مالكَ غيرُه ولا مُدَبِرَ سواه ولا ربَّ غيرُه. اهـ.

والأحاديثُ من السنة النبويةِ في إثبات المشيئةِ كثيرةٌ جداً، منها قولُه ﷺ في شأن الجنين: **«فيقضي ربُك ما شاء ويكتبُ الملكُ»**[1].

وقوله: **«اشفعوا تُؤجروا، ويقضي اللَّهُ على لسان نبيِّه ما يشاء»**[2]، **«إن قبض أرواحَكم حين شاء وردَّها حين شاء»**[3]، **«إن الله لو شاء لم تناموا عنها، ولكنه أراد ليكون لمن بعدكم»**[4]، **«قولوا ما شاء اللَّهُ وحده»**[5].

«قلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمنِ كقلبٍ واحدٍ يُصرِّفها كيف يشاء»[6]، **«ما من قلب إلا بين إصبعين من أصابع الرحمنِ إن شاء أقامه وإن شاء أزاغه»**[7].

وكان ﷺ يقول: **«اللهم يا مقلبَ القلوبِ ثبتْ قلوبنا على دينك»**[8].

---

(١) وهو جزء من حديث ابن مسعود عند مسلم (٤/ ٢٠٣٧ رقم ٢٦٤٥).
(٢) أخرجه البخاري (١٣/ ٤٤٨ رقم ٧٤٧٦) ومسلم (٤/ ٢٠٢٦ رقم ٢٦٢٧)، من حديث أبي موسى.
(٣) أخرجه البخاري (١٣/ ٤٤٧ رقم ٧٤٧١) من حديث عبد الله بن أبي قتادة عن أبيه.
(٤) وهو جزء من حديث أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٤/ ١٥٥) من حديث عبد الله بن مسعود. وأصل الحديث عند البخاري (٨/ ٥٨٢ رقم ٤٨٣٣) دون الجزء المذكور.
(٥) أخرجه أحمد في «مسنده» (١/ ٢١٤، ٢٢٤، ٢٨٣) من حديث ابن عباس **بسند صحيح**.
(٦) أخرجه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٤٥ رقم ٢٦٥٤) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص.
(٧) أخرجه أحمد (٤/ ١٨٢) وابن ماجه (١/ ٧٢ رقم ١٩٩) من حديث النواس بن سمعان الكلابي.
قال البوصيري في «الزوائد» (١/ ٨٧ رقم ٧١): **«هذا إسناد صحيح»** اهـ.
(٨) أخرجه الترمذي رقم (٣٥٢٢) وابن أبي شيبة في «الإيمان» رقم (٥٦) وأحمد (٦/ ٣٠٢، ٣١٥).
قال الترمذي: **حديث حسن.**
قلت: فيه شهر بن حوشب سيء الحفظ، ولكن له شواهد تقويه. =

وقولُه عن الله عز وجل: «**فذلك فضلي أوتيه من أشاء**»[1]، وقولُه: «**مثلُ الكافرِ كمثل الأُرزةِ صماءُ معتدلةٌ حتى يقصِمها الله إذا شاء**»[2]، وقولُه: «**تعرَّضوا لنفحات رحمةِ الله، فإن للّهِ عز وجل سحائبَ من رحمته يُصيب بها من يشاء من عباده**»[3]، وقولُه في حديث البَيعة: «**ومن أصاب من ذلك شيئاً فستره الله فهو إلى الله عز وجل، إن شاء عذبه وإن شاء غفر له**»[4].

وفي حديث احتجاجِ الجنةِ والنارِ قولُه تعالى للجنة: «**أنت رحمتي أرحمُ بك من أشاء**» وللنار: «**أنت عذابي أعذب بك من أشاء**»[5]، وقولُه ﷺ: «**لا يقل أحدُكم اللهم اغفِرْ لي إن شئت، اللهم ارحمني إن شئت، وارزُقني إن شئتَ، لِيعزِم المسألة، فإن الله تعالى لا مُكرِهَ له**»[6]، وقولُه: «**ولكن قل قدّر الله وما شاء فعل**»[7] وقولُه عن الله عز وجل: «**ذلك بأني جوادٌ أفعل ما أشاء، عطائي كلامٌ،**

= منها: حديث عائشة.
أخرجه أحمد (٦/ ٩١) ورجاله ثقات إلا أن الحسن البصري لم يسمع من عائشة.
لكنه تابعه علي بن زيد عن أم محمد عن عائشة به نحوه.
أخرجه ابن أبي شيبة في «الإيمان» رقم (٥٧).
قلت: علي بن زيد بن جدعان سيء الحفظ أيضاً.
وأم محمد ـ وهي زوجة أبيه ـ لا تعرف.
ومنها: حديث النواس بن سمعان الكلابي المتقدم.
وخلاصة القول أن الحديث حسن بشواهده.
وأورده المحدث الألباني في «الصحيحة» رقم (٢٠٩١).

(١) أخرجه البخاري (٢/ ٣٨ رقم ٥٥٧) من حديث عبد الله بن عمر.
(٢) أخرجه البخاري (١٣/ ٤٤٦ رقم ٧٤٦٦) ومسلم (٤/ ٢١٦٣ رقم ٢٨٠٩) من حديث أبي هريرة.
(٣) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٢/ ٤٢ رقم ١١٢١)، وأورده الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (ص٢٢٣). من حديث أنس.
وأورده السيوطي في «جمع الجوامع» رقم (٣٣٩٥) وعزاه إلى ابن أبي الدنيا في «الفرج بعد الشدة»، ولأبي نعيم في «الحلية»، والبيهقي، والحكيم الترمذي.
(٤) أخرجه البخاري (٧/ ٢١٩) رقم (٣٨٩٢) من حديث عبادة بن الصامت.
(٥) أخرجه البخاري (٨/ ٥٩٥ رقم ٤٨٥٠) ومسلم (٤/ ٢١٨٦ رقم ٢٨٤٦) من حديث أبي هريرة.
(٦) أخرجه البخاري (١٣/ ٤٤٨ رقم ٧٤٧٧) من حديث أبي هريرة.
(٧) وهو جزء من حديث أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٥٢ رقم ٢٦٦٤) من حديث أبي هريرة.

وعذابي كلامٌ، إنما أمري لشيء إذا أردتُه أن أقولَ له كن فيكون»[1].

وقولُه: «ما أنعم الله على عبد من نعمة من أهل وولدٍ فيقول: ما شاء الله ولا قوةَ إلا بالله فيُرى فيه آيةٌ دون الموت»[2].

وفي حديث الشفاعة: «فيدعُني ما شاء الله أن يدَعَني»[3].

وفي حديث آخِرُ أهلِ الجنةِ دخولاً الجنةَ: «فيسكت ما شاء الله أن يسكُتَ»[4]، وفيه قولُه تعالى: «لا أهزأ بك ولكني على ما أشاء قديرٌ»[5]، وقال: «فأريد إن شاء اللَّهُ أن أختبئ دعوتي شفاعةً لأمتي»[6].

وقال: «لا يدخلِ النارَ إن شاء الله من أصحاب الشجرةِ الذين بايعوا تحتها أحدٌ»[7]، وقال: «إني لأطمع أن يكون حوضي إن شاء اللَّهُ ما بين أيلةَ إلى كذا»[8].

وقال في المدينة: «لا يدخلها الطاعونُ ولا الدَّجَّالُ إن شاء الله تعالى»[9]،

---

(١) أخرجه أحمد (٥/١٥٤، ١٧٧) والترمذي (٤/٦٥٦ رقم ٢٤٩٥). وابن ماجه (٢/١٤٢٢ رقم ٤٢٥٧) من حديث أبي ذر.
وهو حديث ضعيف.

(٢) أخرجه الطبراني في «الصغير» (١/٢١٢) و «الأوسط» ـ كما في «مجمع البحرين» (٧/٣٥٩) وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/١٤٠): وفيه عبد الملك بن زرارة وهو ضعيف.
قلت: انظر: «اللسان» (٤/٦٣) فقد قال الأزدي: لا يصح حديثه.
فالحديث ضعيف، والله أعلم.

(٣) أخرجه البخاري (١٣/٣٩٢ رقم ٧٤١٠) ومسلم (١/١٨٠ رقم ١٩٣) من حديث أنس بن مالك.

(٤) أخرجه البخاري (٢/٢٩٢ ـ ٢٩٣ رقم ٨٠٦) ومسلم (١/١٦٣ ـ ١٦٦ رقم ١٨٢) من حديث أبي هريرة.

(٥) أخرجه مسلم (١/١٧٤ ـ ١٧٥ رقم ١٨٧) من حديث عبد الله بن مسعود.

(٦) أخرجه البخاري (١١/٩٦ رقم ٦٣٠٤) ومسلم (١/١٨٨ رقم ١٩٨) من حديث أبي هريرة.

(٧) أخرجه مسلم (٤/١٩٤٢ رقم ٢٤٩٦) من حديث أم مُبشِّر.

(٨) أخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» رقم (٣٥٠) **بسند صحيح**. من حديث أبي هريرة.

(٩) أخرجه البخاري (١٣/٤٤٧ رقم ٧٤٧٣) من حديث أنس بن مالك.

وفي زيارة القبورِ: «**وإنا إن شاء الله بكم لاحقون**»[1].

وفي حصار الطائفِ: «**إنا قافلون غداً إن شاء الله**»[2]، وفي قدومِه مكةَ: «**مَنزِلُنا غداً إن شاء الله بخيفِ بني كنانة**»[3]، وفي قصة بدر: «**هذا مصرعُ فلانٍ غداً إن شاء الله، وهذا مصرعُ فلانٍ إن شاء الله**»[4].

وفي بعض أسفاره: «**إنكم تأتون الماء غداً إن شاء الله**»[5]، وقال: «**من حلف فقال: إن شاء الله، فإن شاء مضى وإن شاء رجَع غيرَ حَنِثٍ**»[6].

---

(١) أخرجه مسلم (٢/ ٦٦٩ رقم ٩٧٤) من حديث عائشة.

(٢) جزء من حديث عبد الله بن عمر.
أخرجه البخاري (١٣/ ٤٤٨ رقم ٧٤٨٠) ومسلم (٣/ ١٤٠٢ ـ ١٤٠٣ رقم ١٧٧٨).

(٣) أخرجه البخاري (١٣/ ٤٤٨ رقم ٧٤٧٩) من حديث أبي هريرة.

(٤) أخرجه مسلم (٤/ ٢٢٠٢ ـ ٢٢٠٣ رقم ٢٨٧٣) من حديث أنس بن مالك.

(٥) أخرجه مسلم (٤/ ١٧٨٤ رقم ١٠/ ٧٠٦) من حديث معاذ بن جبل.

(٦) أخرجه أبو داود (٣/ ٥٧٦ رقم ٣٢٦٢) وابن ماجه (١/ ٦٨٠ رقم ٢١٠٥).
والترمذي (٤/ ١٠٨ رقم ١٥٣١) والنسائي (٧/ ١٢، ٢٥) والدارمي (٢/ ١٨٥)، وابن الجارود رقم (٩٢٨) وابن حبان (رقم: ١١٨٣، ١١٨٤ ـ موارد) والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٠/ ٤٦) وفي «الأسماء والصفات» (ص١٦٩) من حديث ابن عمر.
قال الترمذي: «**حديث حسن**، وقد رواه عبيد الله بن عمر وغيره، عن نافع عن ابن عمر موقوفاً. وهكذا روي عن سالم عن ابن عمر رضي الله عنهما موقوفاً، ولا نعلم أحداً رفعه غير أيوب السختياني.
وقال إسماعيل بن إبراهيم: «كان أيوب أحياناً يرفعه وأحياناً لا يرفعه» اهـ. وقال البيهقي عقبه:
«وقد روي عن موسى بن عقبة وعبد الله بن عمر وحسان بن عطية وكثير بن فرقد عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ، **ولا يكاد يصح رفعه إلا من جهة أيوب السختياني**، وأيوب شك فيه أيضاً.
ورواية الجماعة من أوجه صحيحة عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما، عن قوله غير مرفوع.، والله أعلم» اهـ.
وقال الألباني في «الإرواء» (٨/ ١٩٩):
وفي قوله: «**لا يكاد يصح رفعه**» نظر، فقد أخرجه ابن حبان في «الثقات» (٧/ ٣٥١) والحاكم (٤/ ٣٠٣) عن طريقين، عن ابن وهب ثنا عمرو بن الحارث أن كثير بن فرقد حدثه أنّ نافعاً حدثهم به مرفوعاً بلفظ:
«**من حلف على يمين ثم قال: إن شاء الله فإن له ثنياه**». =

وقال: «لأغزوَنّ قريشاً»، ثم قال في الثانية: «إن شاء الله»[1].

وقال: «ألا مشمِّرٌ للجنة»؟ فقال الصحابة: نحن المشمّرون لها يا رسولَ الله، فقال: «قولوا إن شاء الله»، قالوا: «إن شاء الله»[2]. وغيرُ ذلك من الأحاديث الثابتةِ.

[انفراده تعالى بالخلق]

(منفرد) ربُنا عز وجل (بالخلق) فما من مخلوق في السموات والأرضِ إلا اللّهُ خالقُه سبحانه لا خالقَ غيرُه ولا ربَّ سواه، فهو خالقُ كلِ صانعٍ وصنعتَه، وخالقُ الكافرِ وكفرِه، والمؤمنِ وإيمانِه، والمتحركِ وحركتِه، والساكنِ وسكونِه، كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ﴾ [الزمر: ٦٢].

= وقال الحاكم:
«صحيح الإسناد». ووافقه الذهبي.
وأقول: بل هو على شرط البخاري، فإن كثير بن فرقد من رجاله، وهو ثقة.
قال أبو حاتم: «كان من أقران الليث» وبقية الرجال من رجال الشيخين.
وتابعه حسان بن عطية عن نافع به نحوه.
أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٣/ ٧٣) وقال: «تفرد برفعه عمرو بن هاشم البيروتي».
قلت: «وهو صدوق يخطئ» اهـ.
والخلاصة فالحديث صحيح، والله أعلم.

(١) أخرجه أبو داود (٣/ ٥٨٩ رقم ٣٢٨٥) عن عكرمة مرسلاً.
وقال أبو داود: وقد أسند هذا الحديث غير واحد عن شريك عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس. أسنده عن النبي ﷺ، وقال الوليد بن مسلم عن شريك: ثم لم يغزهم.
وقال أبو حاتم في «العلل» (١/ ٤٤٠) عن هذا الحديث: **مرسل**. وهو أشبه.
وقد صححه الألباني في صحيح أبي داود.

(٢) أخرجه ابن حبان (رقم ٢٦٢٠ ـ موارد) وابن ماجه (٢/ ١٤٤٨ ـ ١٤٤٩ رقم ٤٣٣٢) والبخاري في «التاريخ الكبير» (٤/ ٣٣٦) والفسوي في «المعرفة والتاريخ» (١/ ٣٠٤) والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص١٧٠)، وفي «البعث» رقم (٣٩١) وأبو نعيم في «صفة الجنة» رقم (٢٤).
وأخرجه الطبراني في «الكبير» رقم (٣٨٨) وأبو الشيخ في «العظمة» رقم (٦٠١) وأبو نعيم رقم (٢٤، ٢٥) والبغوي في «شرح السنة» رقم (٤٣٨٦) من طرق...
وهو حديث ضعيف.

وقال تعالى: ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ [فاطر: ٣]. وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [التغابن: ٢]. وقال تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [التغابن: ٣]. وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦]. وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۖ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ ۚ﴾ [الروم: ٤٠].

وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ۙ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٨٠﴾ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ ۚ﴾ [النحل: ٨٠ ـ ٨١].

وقال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾ [الواقعة].

وفي الصحيح[1] من حديث الأشعريين: «**ما أنا أحمِلُكم ولكن الله حملكم**».

وفيه[2] من حديث المصوّرين: «**ومن أظلم ممن ذهب يخلُق كخلقي، فليخلُقوا ذرةً أو ليخلُقوا حبةً أو ليخلقوا شعيراً**».

---

(١) البخاري (١١/٥١٧ رقم ٦٦٢٣) ومسلم (٣/١٢٦٨ رقم ١٦٤٩) من حديث أبي بردة.

(٢) البخاري (١٠/٣٨٥ رقم ٥٩٥٣) ورقم (٧٥٥٩) ومسلم (٣/١٦٧١ رقم ٢١١١) من حديث أبي هريرة.

وفيه(١): «من صوّر صورةً كُلِّفَ أن ينفخَ فيها الروحَ وليس بنافخ».

وغيرُ ذلك من الأحاديث الثابتةِ الصحيحة، فلله الخلقُ والأمرُ وله الملكُ وله الحمدُ وهو على كل شيء قدير.

(**والإرادة**) أي ومنفردٌ بالإرادة فلا مُراد لأحد معه ولا إرادةَ لأحد إلا بعد إرادتِه عز وجل ومشيئتِه كما قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾﴾ [المدثر].

وقال تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [التكوير].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًۢا ﴿٣١﴾﴾ [الإنسان].

فللعباد قدرةٌ على أعمالهم ولهم مشيئةٌ واللَّهُ خالقُهم وخالقُ قدرتِهم ومشيئتِهم، ولا قدرةَ لهم ولا مشيئةَ إلا بإقدار اللَّهِ عز وجل لهم إذا شاء وأراد.

[الله هو الحاكم بما أراد فلا معقب لحكمه ولا رادَّ لقضائِه]

(**وحاكمٌ جل بما أراده**) فلا معقِّبَ لحكمِه ولا رادَّ لإرادته ولا مناقضَ لقضائه وقدرِه: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ﴾ [فاطر: ٤٤]. بل هو: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ [البروج: ١٦، هود: ١٠٧].

﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ﴾ [القصص: ٦٨]. ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [البقرة: ١١٧]. ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ [المائدة: ١]، ويفعل ما يشاء ويخلق ما يشاء، لا ناقضَ لما أبرم ولا مُعارضَ لما حكم، ولا يقال: لمَ فعل كذا، وهلّا كان كذا، لأنه ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣].

---

(١) البخاري (١٢/٤٢٧ رقم ٧٠٤٢) ومسلم (٣/١٦٧١ رقم ٢١١٠) من حديث ابن عباس.

وفي حديث أبي ذر عند الترمذيِّ وغيره[1] وفي آخره قال: «**ذلك بأني جوادٌ واجدٌ ماجدٌ أفعل ما أريد، عطائي كلامٌ وعذابي كلامٌ، إنما أمري لشيء إذا أردتُه أن أقولَ له كن فيكون**».

(فمن يشأ وفقه بفضله ومن يشأ أضله بعدله)

(فمنهم الشقيُّ والسعيدُ وذا مُقرَّبٌ وذا طَريدُ)

قال الله عز وجل: ﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضۡلِلۡهُ وَمَن يَشَأۡ يَجۡعَلۡهُ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [الأنعام: ٣٩].

وقال تعالى: ﴿مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِيۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٨]. وقال تعالى: ﴿مَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُۥۚ وَيَذَرُهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٦]. وقال تعالى: ﴿وَمَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُمۡ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِهِۦۖ﴾ [الإسراء: ٩٧]. وقال تعالى: ﴿مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيّٗا مُّرۡشِدٗا﴾ [الكهف: ١٧].

وقال تعالى: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنٗاۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۖ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ﴾ [فاطر: ٨]. وقال تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ﴾ [الأنعام: ١٢٥]. وقال تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَنۡ أَنَابَ﴾ [الرعد: ٢٧].

وقال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾ [القصص: ٥٦]. وقال تعالى: ﴿لَّيۡسَ عَلَيۡكَ هُدَىٰهُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۗ﴾ [البقرة: ٢٧٢]. وقال تعالى: ﴿قُلۡ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهۡدِي لِلۡحَقِّۗ أَفَمَن يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهۡدَىٰۖ فَمَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ﴾ [يونس: ٣٥]. وقال تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلۡهُدَىٰۗ﴾ [البقرة: ١٢٠]. وقال تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّ ٱلۡهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٧٣]. وقال تعالى: ﴿وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا ۝٨﴾ [الشمس].

---

(١) تقدم تخريجه. وهو حديث ضعيف.

وقال النبيُّ ﷺ في خطبته: «**من يهد الله فلا مُضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له**»[1].

وقال ﷺ: «**اللهم آتِ نفسي تقواها، زكِّها أنت خيرُ من زكاها، إنك أنت وليُّها ومولاها**»[2].

(**فمنهم**) أي من عباده (**الشقيُّ**) وهو من أضله بعدله (**و**) منهم (**السعيد**) وهو من وفَّقه وهداه بفضله؛ فالسعيدُ من سعِد بقضاء اللَّهِ، والشقيُّ من شقِيَ بقضاء الله، فلله الحمدُ على فضلِه وعدلِه.

(**وذا مقرب**) بتقريب الله إياه إليه وهو السعيدُ، (**وذا طريد**) بإبعاد اللَّهِ إياه وهو الشقيُّ البعيد. فبيده تعالى الهدايةُ والإضلالُ والإشقاءُ والإسعادُ؛ فهدايتُه العبدَ وإسعادُه فضلٌ ورحمةٌ، وإضلالُه وإبعادُه عدلٌ منه وحِكمة، وهو أعلمُ بمواقع فضلِه وعدلِه، وهو الحكيمُ العليمُ الذي يضع الأشياءَ مواضعَها، وهو أعلم بمن هو محلُّ الهداية فيهديه، ومن هو محلُّ الإضلالِ فيُضلّه وهو أحكم الحاكمين، وهو عليم بالمتقين، وعليمٌ بالظالمين، وعليمٌ بالمهتدين، وهو أعلمُ بالشاكرين وأعلمُ بما في صدور العالمين، وهو أعلمُ حيث يجعل رسالته، وهو أعلمُ بمن ضلَّ عن سبيله، وهو أعلمُ بمن اهتدى، وله في ذلك الحكمةُ البالغةُ والحجةُ الدامغة، ولذا نقول:

(**لحكمة بالغةٍ قضاها ... يستوجب الحمدَ على اقتضاها**)

[جميع أفعاله تعالى وتصرفه في خلقه لحكمة يعلمها]

أي أن جميعَ أفعالِه من هدايتِه مَن يشاء وإضلالِه من يشاء، وإسعادِ مَن يشاء وإشقاءِ من يشاء، وجعلِه أئمةَ الهدى يهدون إلى الحق بأمره وأئمةَ الضلالةِ يهدون إلى النار، وإلهامَه كلَّ نفسٍ فجورَها وتقواها، وجعلِه المؤمنَ مؤمناً والكافرَ كافراً عاصياً مع قدرته التامةِ الشاملةِ، وأنه لو شاء لجعل الناسَ أمةً واحدةً ولو شاء لجمعهم على الهدى، ولو شاء لآمن من في الأرض كلُهم جميعاً، ولكن هذا الذي فعله بهم من قسمتِهم إلى ضالٍّ ومهتدٍ، وشقيٍّ وسعيدٍ، ومقرَّبٍ وطريدٍ، وطائعٍ وعاصٍ ومؤمنٍ وكافرٍ وغيرِ ذلك، هو مقتضى حكمته وموجبُ ربوبيتِه.

---

(١) أخرجه مسلم (٢/٥٩٣ رقم ٨٦٨) من حديث جابر.

(٢) أخرجه مسلم (٤/٢٠٨٨ رقم ٢٧٢٢) من حديث زيد بن أرقم.

وحكمتُه حكمةُ حقٍ وهي صفتُه القائمةُ به كسائر الصفاتِ، وهي متضمِّنُ اسمه «الحكيم»، وهي الغايةُ المحبوبةُ له ولأجلِها خلق فسوّى، وقدّر فهدى، وأسعدَ وأشقى، ومنع وأعطى، وخلق السمواتِ والأرضَ والآخرةَ والأولى.

فهو سبحانه الحكيمُ في خلقه وتكوينِه، الحكيمُ في قضائِه وقدرِه، الحكيم في أمره ونهْيه وجميعِ شرعِه؛ فإن أسماءَه وصفاتِه صفاتُ كمالٍ وجلال، وأفعاله كلُها عدلٌ وحكمةٌ، والفعلُ لغير حكمة عبثٌ، والعبثُ من صفاتِ النقصِ، واللّهُ تعالى منزَّهٌ بجميع أسمائِه وصفاتِه وأفعالِه عن جميع النقائص، فجميعُ ما خلقه وقضاه وقدّره خيرٌ وحكمةٌ من جهة إضافِته إليه سبحانه وتعالى، وكذلك جميعُ ما شرعه وأمر به كلُه حكمةٌ وعدلٌ، وما كان من شر في قضائه وقدرِه فمن جهة إضافتِه إلى فعل العبدِ لأنها معصيةٌ مذمومةٌ مكروهةٌ للرب غيرُ محبوبة.

وأما من جهة إضافتِه إلى الرب عز وجل فخيرٌ محضٌ، ولحكمة بالغةٍ وعدلٍ تام وغايةٍ محمودةٍ لا شرَّ فيها البتة، ولهذا قال تعالى فيما قصّه عن الجن: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [الجن: ١٠]. فبنى الفعلِ في إرادة الشرِّ للمفعول لأنه لا شر في حقه تعالى.

وقال النبي ﷺ في دعاء الافتتاحِ من صلاة الليلِ: «**لبيك اللهم وسعدَيك، والخيرُ كلُه في يديك، والشرُّ ليس إليك**»(١).

فنفى أن يُضاف الشرُّ إلى الله بوجه من الوجوه وإن كان هو خالقَه؛ لأنه ليس شراً من جهة إضافتِه إليه عز وجل، وإنما كان شراً من جهة إضافتِه إلى العبد، وذلك لأن الشرَّ ليس إلا السيئاتِ وعقوبتِها، وموجبُ السيئاتِ شرُ النفسِ وجهلُها، ولهذا قال النبي ﷺ: «**الحمدُ لله نحمَده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسِنا وسيئات أعمالنا**»(٢).

وقال ﷺ في سيد الاستغفار الذي علّمه أمتَه: «**اللهم أنت ربي، لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدُك، وأنا على عهدك ووعدِك ما استطعتُ، أعوذ بك من شر**

---

(١) أخرجه مسلم (١/ ٥٣٥ رقم ٧٧١) من حديث علي بن أبي طالب.
(٢) أخرجه مسلم (٢/ ٥٩٣ رقم ٨٦٧) من حديث جابر.

ما صنعتُ، أبوءُ لك بنعمتك عليّ، وأبوء بذنبي، فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت»[1].

وقال تعالى في حكايته استغفارِ الملائكةِ للمؤمنين: ﴿وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [غافر: ٩]. ومن وقاه الله السيئاتِ وأعاذه منها فقد وقاه عقوباتِها من باب الاستلزام، فإذا علم أن موجبَ السيئاتِ هو الظلمُ والجهلُ، وذلك من نفس العبدِ وهي أمورٌ ذاتيةٌ لها، وأن السيئاتِ هي موجبُ العقوبةِ، والعقوبةُ من الله عدلٌ محضٌ، وإنما تكون شراً في حق العبدِ لِما يلحقه من ألمها، وذلك بما كسبت يداه جزاءً وفاقاً كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠]. وقال تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُواْ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الزخرف: ٧٦]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ ٱلنَّاسَ شَيْـًٔا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [يونس: ٤٤].

فأفعالُ اللّهِ عز وجل كلُها خيرٌ بصدورها عن علمه وحكمتِه وعدلِه وغِناه التي هي من صفاتِ ذاتِه، فإذا أراد بعبده الخيرَ أعطاه من فضله علماً وعدْلاً وحكمةً، فيصدُر منه الإحسانُ والطاعةُ والبرُّ والخيرُ، وإذا أراد به شراً أمسكه عنه وخلّاه ودواعيَ نفسِه وطبعِه وموجبَها، فصدر منه موجبُ الجهلِ والظلمِ من كلِّ شرٍّ وقبيح، وليس منعُه لذلك ظلماً منه سبحانه، فإنه فضلَه يؤتيه من يشاء، وليس مَن منَع فضلَه ظالماً ولا سيما إذا منعه عن محل لا يستحقه ولا يليقُ به.

وأيضاً، فإن هذا الفضلَ هو توفيقُه وإرادتُه تعالى أن يلطُفَ بعبده ويُعينه ويوفقَه ولا يُخلّيَ بينه وبين نفسِه، وهذا محضُ فعلِه وفضلِه وهو أعلمُ بمن يصلُح لذلك، ولهذا قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الأنعام: ٥٣].

وقال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْۚ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝١٠ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ ۝١١﴾ [العنكبوت].

---

(١) أخرجه البخاري (١١/٩٧ ـ ٩٨ رقم ٦٣٠٦) من حديث شداد بن أوس.

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ رُسُلُ ٱللَّهِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٢٤]. وقال تعالى: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾﴾ [الأنعام]. وقال تعالى: ﴿إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ [النحل: ٣٧].

وقال تعالى: ﴿فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿٣٠﴾﴾ [النجم]. وقال تعالى: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [البقرة: ١٠٥]. وقال تعالى: ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ﴿٧﴾ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨﴾﴾ [التين]، بلى ونحن على ذلك من الشاهدين.

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾ [آل عمران: ٧٣ ـ ٧٤]. وقال تعالى: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ ۖ فَلَا تُزَكُّوٓا أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النجم: ٣٢]. وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾﴾ [الحديد].

اللهم إنا نسألك من فضلك العظيمِ أن تهدينا الصراطَ المستقيمَ، صراطَ الذين أنعمتَ عليهم غيرِ المغضوبِ عليهم ولا الضالين، آمين.

يا حيُّ يا قيومُ، يا ذا الجلال والإكرام، يا بديعَ السمواتِ والأرض، برحمتك نستغيث. اللهم رحمتَك نرجو فلا تكلنا إلى أنفسنا ولا إلى أحد من خلقك طرفةَ عين، وأصلِحْ لنا شأننا كلَّه، لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين.

[ما يجب لله على عباده من الحمد على حكمته في خلقه وأمره]

(**يستوجب**) يستحق (**الحمدَ على اقتضاها**) الضميرُ للحكمة، فله الحمدُ على مقتضى حكمتِه في جميع خلقِه وأمرِه، فجميعُ ما يفعله ويأمرُ به هو موجبُ ربوبيَّتِه ومقتضى أسمائِه وصفاتِه، وله الحمدُ على جميع أفعالِه، وله الحمدُ على خلقه وأمرِه، وهو المحمودُ على طاعةِ العبادِ ومعاصيهم، وإيمانِهم وكفرِهم، وهو المحمودُ على خلقه الأبرارَ والفُجّارَ، وعلى خلقه الملائكةَ والشياطينَ، وعلى خلقِه الرُسلَ وأعداءَهم، وهو المحمودُ على عدله وحكمتِه في أعدائِه، كما هو المحمودُ على فضله ورحمتِه على أوليائِه، وكلُ ذرةٍ من ذرات الكونِ شاهدةٌ بحكمتِه وحمدِه، كما قال تعالى:

﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ﴾ [الإسراء: ٤٤]. وقال: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ لَهُ ٱلۡمُلۡكُ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ قَدِيرٌ﴾ [التغابن: ١]. وقال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخۡتَارُۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [القصص: ٦٨]. ﴿وَرَبُّكَ يَعۡلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمۡ وَمَا يُعۡلِنُونَ ٦٩ وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأُولَىٰ وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٧٠﴾ [القصص].

وعلّمنا النبيُّ ﷺ في ذكر الاعتدالِ من الركوع: «**ربنا لك الحمدُ ملءَ السمواتِ والأرضِ، وملءَ ما بينهما، وملءَ ما شئت من شيء بعدُ**»[1]، وفي الذكر عقِبَ الصلواتِ: «**لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمدُ وهو على كل شيءٍ قدير**»[2]، وفي التلبية: «**لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريكَ لك لبيك، إن الحمدَ والنعمةَ لك والملكَ لا شريك لك**»[3].

وفي الدعاء المأثور: «**اللهم لك الحمدُ كلُه، ولك الملكُ كلُه، وبيدك الخيرُ**

---

(١) أخرجه مسلم (١/ ٥٣٤ رقم ٧٧١) من حديث علي بن أبي طالب.

(٢) أخرجه البخاري (٢/ ٣٢٥ رقم ٨٤٤) من حديث المغيرة بن شعبة.

(٣) أخرجه البخاري (٣/ ٤٠٨ رقم ١٥٤٩) ومسلم (٢/ ٨٤١ رقم ١١٨٤) من حديث ابن عمر.

كلُه، وإليك يرجع الأمرُ كلُه، أسألُك الخيرَ كلَّه وأعوذ بك من الشر كلِّه»[١].

وفي دعاء الافتتاح من صلاة الليل: «**اللهم لك الحمدُ، أنتَ ربُّ السمواتِ والأرضِ ومَن فيهن، ولك الحمدُ أنت قيّومُ السمواتِ والأرضِ ومَن فيهن، ولك الحمدُ أنت نورُ السمواتِ والأرضِ ومَن فيهن، ولك الحمدُ أنتَ الحقُ ووعدُك الحقُ، ولقاؤُك حقٌ، والساعةُ حقٌ، والجنةُ حقٌ والنارُ حقٌ، والنبيون حقٌ، ومحمد ﷺ حق**»[٢]. الحديث.

والآياتُ والأحاديثُ في هذا البابِ كثيرةٌ، والمقصودُ أن الربَّ عز وجل لا يكون إلا محموداً كما لا يكون إلا رباً وإلهاً، فله الحمدُ كلُه وله الملكُ كلُه، لا شريكَ له في حمدِه كما لا شريك له في ملكه، وإن كان بعضُ خلقِه محموداً كالرسل والعلماءِ فمرجِعُ ذلك الحمدِ إليه، كما أن مصدَره وموجبَه منه تعالى وهو الذي جعلهم كذلك.

وهذا كما أنه المَلكُ لا شريكَ له في ملكه، ويرزق بعضَ عباده إذا شاء ملكاً وهو مالِكُه. وكما أنه العليمُ ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء فيعلّم بعضَ عبادِه مِن علمه ما شاء.

وقال في ذكر عبدِه يعقوب: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَـٰهُ﴾ [يوسف: ٦٨].

وكذلك ما من محمود في السموات ولا في الأرض إلا وذلك راجعٌ إلى الله عز وجل في الحقيقة، فحمدُ كلِّ محمودٍ داخلٌ في حمده، كما أن كلَّ مُلكٍ داخلٌ في مُلكه، وكلُ شيء فمنه وله وإليه، فله الحمدُ ربُ السمواتِ والأرضِ رب العالمين، وله الكبرياء في السموات والأرض وهو العزيزُ الحكيم.

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (١٦/ ٦٠٢ رقم ٢٣٢٤٨) من حديث حذيفة بن اليمان بسند ضعيف.

وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٩٦) وقال: «رواه أحمد وفيه راوٍ لم يسم، وبقية رجاله ثقات» اهـ.

(٢) أخرجه البخاري (٣/ ٣ رقم ١١٢٠) ومسلم (١/ ٥٣٢ ـ ٥٣٣ رقم ٧٦٩) من حديث ابن عباس.

[التوفيق بين كون الله لا يحب الفساد
وكون ذلك بمشيئته وإرادتِه]

* **(مسألةٌ)**: فإن قيل: قد أخبرنا اللَّهُ عز وجل في كتابه وعلى لسان رسولِه وبما علِمنا من صفاته أنه يُحب المحسنين، ويُحب المتقين، ويُحب الصابرين، ويرضى عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات، ولا يُحب الكافرين، ولا يُحب الظالمين، ولا يرضى لعبادِه الكفرَ، ولا يُحب الفسادَ مع كون ذلك بمشيئته وإرادتِه وأنه لو شاء لم يكن ذلك، فإنه لا يكون في ملكه ما لا يريد، فما الجواب؟

قلنا: إن الإرادةَ والقضاءَ والأمرَ كلٌّ منها ينقسم إلى كوني وشرعي، ولفظُ المشيئةِ لم يرد إلا في الكونيّ، كقوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠، التكوير: ٢٩].

ومثالُ الإرادةُ الكونيةِ وقولُه تعالى: ﴿وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوۡمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ﴾ [الرعد: ١١]. وقولُه تعالى: ﴿إِنَّمَا قَوۡلُنَا لِشَيۡءٍ إِذَآ أَرَدۡنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠].

ومثالُ القضاءِ الكونيِّ قولُه تعالى: ﴿وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [البقرة: ١١٧، آل عمران: ٤٧].

ومثالُ الأمرِ الكونيِّ قولُه تعالى: ﴿وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرًا﴾ [الإسراء: ١٦].

فهذا القسمُ من الإرادة والقضاءِ والأمر هو مشيئتُه الشاملة وقدرتُه النافذةُ، وليس لأحد خروجٌ منها ولا محيدٌ عنها، ولا ملازمةَ بينها وبين المحبةِ والرضا، بل يدخُل فيها الكفرُ والإيمانُ والسيئاتُ والطاعاتُ، والمحبوبُ المَرضيُّ له والمكروهُ المُبْغَضُ، كلُ ذلك بمشيئته وقدَرِه وخلقِه وتكوينِه، ولا سبيل إلى مخالفتها ولا يخرج عنها مثقالُ ذرة.

ومثالُ الإرادةِ الشرعيةِ قولُه تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]. وقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمۡ وَيَهۡدِيَكُمۡ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَيَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ﴾ [النساء: ٢٦]. وقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٢٧].

ومثالُ القضاء الشرعيِّ قولُه تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ [الإسراء: ٢٣].

ومثالُ الأمرِ الشرعيِّ قولُه تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠].

وهذه الإرادةُ والقضاءُ والأمرُ الكونيُّ القَدَري هو المستلزمُ لمحبة الله تعالى ورضاه، فلا يأمر إلا بما يُحبه ويرضاه، ولا ينهى إلا عما يكرهه ويأباه.

ولا ملازمةَ بين هذا القسمِ وما قبله إلا في حق المؤمنِ المُطيع، وأما الكافرُ فينفرد في حقه الإرادةُ والقضاءُ والأمرُ الكونيُّ القدريُّ، فالله سبحانه وتعالى: يدعو عبادَه إلى طاعتِه ومرضاته وجنَّتِه، ويهدي لذلك من يشاء في الكون والقدَر هدايته، ولـهـذا قـال تـعـالـى: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [يونس: ٢٥].

فعمم الدعوةَ إلى جنته التي هي دارُ السلامِ وأن يدعو إلى ذلك جميعَ عبادِه وهو أعلم بمن يستجيب ممن لا يستجيب، وخص الهدايةَ بمن يشاء هدايتَه، كما قال تعالى: ﴿يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [النور: ٣٥].

* **(مسألة)** فإن قيل: أليس بممكن في قدرته تعالى أن يجعلهم كلَّهم طائعين مؤمنين مهتدين؟ قلنا: بلى.

وقد قدَّمنا لك جملةً وافيةً من الآيات والأحاديثِ في ذلك، ولكن قدَّمنا لك أيضاً أن هذا الذي فعله بهم هو مقتضى حكمتِه وأسمائِه وصفاتِه، وموجبُ ربوبيَّتِه وإلهيته، وهو أعلمُ بمواقع فضلِه وعدلِه، فحينئذ قولُ القائل: لمَ كان من عباده الطائعُ والعاصي؟ كقول من قال: لمَ كان من أسمائِه الضارُّ النافعُ والمُعطي المانعُ والخافضُ الرافعُ والمنعمُ والمنتقمُ ونحوُ ذلك، إذ أفعالُه تعالى هي مقتضى أسمائِه وآثارُ صفاتِه، فالاعتراضُ عليه في أفعالِه اعتراضٌ على أسمائِه وصفاتِه بل وعلى إلهيته وربوبيتِه، فسبحان ربِّ العرشِ عما يصفون، لا يُسأَلُ عما يفعل وهم يسألون.

* **(مسألة)** واعلم أنه قد يوسوس الشيطانُ لبعض الناس فيقول: ما الحكمةُ

في تقديرِ السيئاتِ مع كراهة اللَّهِ تعالى إياها، وهل يأتي المكروهُ بمحبوب؟

فنقول: الحمدُ لله إيماناً بإلهيته وربوبيتِه وأسمائِه وصفاتِه، واستسلاماً لأقدارِه وإرادتِه، وتسليماً لعدلِه وحكمتِه.

اعلم يا أخي وفَّقنا الله وإياك أن الواجبَ على العبدِ أمرٌ أهمُّ من ذلك البحثِ، وهو الإيمانُ بالله وأسمائِهِ وصفاتِه والتسليمُ لأقدارِه واليقينُ بعدلِه وحكمتِه والفرحُ بفضله ورحمتِه، ونحن لا نعلم من حكمة اللَّهِ وسائر أسمائِه وصفاتِه إلا ما علمناه، ولا يُحيط بكنهه شيء منها ونهايتِه إلا الذي اتصف بها وهو اللَّهُ الذي لا إله إلا هو، ومما علمناه من ذلك بما علّمنا اللَّهُ تبارك وتعالى أن السيئةَ لذاتِها ليست محبوبةً لله ولا مرضيةً كما قال تعالى بعد أن نهى عباده عن الكبائر المذكورة في سورة الإسراء: ﴿كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ [الإسراء: ٣٨].

ولكن يترتب عليها من مَحابّه ومرضاتِه ما هو أعلمُ به إما في حق فاعلها من التوبة والإنابةِ والإذعانِ والاعترافِ بقُدرة الله عليها والخوفِ من عقابِه، ورجاءِ مغفرتِه، ونفي العُجْبِ المُحبِط للحسنات عنه، ودوامِ الذلِّ والانكسارِ، وتمحُّضِ الافتقار وملازمةِ الاستغفار، وغيرِ ذلك من الفرائضِ والطاعاتِ المحبوبةِ للرب عز وجل التي أثنى في كتابه على المتصفين بها غايةَ الثناء.

وفي الصحيحين[1]: «**اللَّهُ أشدُّ فرحاً بتوبةِ عبدِه حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلتِه بأرض فلاةٍ فانفلتتْ منه وعليها طعامه وشرابُه فأيِسَ منها فأتى شجرةً فاضطجع في ظلها قد أيس من راحلته، فبينما هو كذلك إذ هو بها قائمةً عنده، فأخذ بخطامِها فقال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأن ربُك، أخطأَ من شدة الفرح**». أخرجاه عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ.

فالواجب على العبد كراهةُ ما يكرهه ربُّه وإلُهه وسيدُه ومولاهُ من السيئات، وعدم محبتِها والنفرة منها، والاجتهادُ في كف النفسِ عنها، وأطْرُها على محابِّ اللَّهِ، وأن لا يصدُرَ عنها شيءٌ يكرهه اللَّهُ عز وجل، فإن غلبتْهُ نفسُه بجهلها

---

(١) أخرجه البخاري (١١/ ١٠٢ رقم ٦٣٠٩) ومسلم (٤/ ٢١٠٥ رقم ٨/ ٢٧٤٧).
والللفظ المذكور رواية لمسلم في صحيحه (٤/ ٢١٠٤ رقم ٧/ ٢٧٤٧).

وشَرارتِها فصدر عنه شيءٌ من ذلك المكروهِ فليُبادِر إلى دواء ذلك وليتَداركْه بمحابِّ الله عز وجل ومرضاتِه من التوبة والإنابةِ والاستغفارِ والاذّكار وعدمِ الإصرارِ؛ فإن الله تعالى قد أرشدَ إلى ذلك وأثنى على من اتصف به، قال الله تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾ [آل عمران]، وغيرُ ذلك من الآيات.

وفي الحديث: «**لو لم تُذنبوا لأتى اللَّهُ بقومٍ يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم**»[1]، أو كما قال.

فإن ترتبَ على فعلِ السيئةِ من فاعلِها هذه الأمورُ المحبوبةُ للرب عز وجل فذلك غايةُ مصلحةِ العبدِ وسعادتِه وفلاحِه، وإن لم يقع منه ذلك فلِخَبَث نفسِه وعدمِ صلاحيتِها للملأ الأعلى ومجاورةِ المولى، والله أعلم بالمهتدين.

وحينئذ يترتب عليها فرائضُ اللَّهِ عز وجل على أوليائه المؤمنين من الدعوة إلى الله عز وجل التي هي من وظائف الرسلِ عليهم السلام، والأمرِ بالمعروفِ والنهي عن المنكر الذي هو أعظمُ فرائضِ اللَّهِ تعالى، والجهادِ في سبيله الذي هو ذُروةُ سنام الإسلامِ، وعليه يترتب لأوليائه الفتحُ أو الشهادةُ، ويكفيك في فضل ذلك قولُ الله عز وجل: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾ [التوبة: ١١١ ـ ١١٢].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٤/٢١٠٦ رقم ١١/٢٧٤٩) من حديث أبي هريرة.

ولو سردنا ما في هذا البابِ من الآيات والأحاديث لطال الفصلُ، ونحن نستغفر اللَّهَ العظيمَ من الخوضِ في هذا البابِ، ولسنا من الراسخين في العلم، وسيأتي إن شاء الله مزيدُ بحثٍ في هذا في بابِ الإيمانِ بالقدر، وهناك نذكر مراتِبَه ومذاهبَ مَن خالف فيه أهلَ السنةِ والجماعةِ إن شاء الله تعالى، واللَّهُ المستعانُ وعليه التُكلانُ ولا حولَ ولا قوةَ إلا بالله العلي العظيم.

[إثبات السمع والبصر لله تعالى]

(وهو الذي يرى دبيبَ الذرِّ في الظلمات فوق صُمِّ الصخر)

(وسامعٌ للجهر والإخفاتِ بسمعه الواسعِ للأصوات)

في هذين البيتين إثباتُ البصرِ لله تعالى المُحيطِ بجميع المُبصرات، وإثباتُ السمعِ له المُحيط بجميع المسموعات.

وهاتان الصفتان من صفاتِ ذاتِه تعالى وهما مُتضمَّنُ اسمَيه: «السميع البصير». قال الله عز وجل: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٨]. وقال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]. وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [الحج: ٦١]. وقال تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟ ۖ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ﴾ [الكهف: ٢٦].

وقال ابنُ جريرٍ[1]: وذلك في معنى المبالغة في المدح كأنه قيل ما أبصره وأسمَعه، وتأويلُ الكلامِ ما أبصرَ اللَّهَ لكل موجودٍ وأسمَعه لكلِ مسموعٍ لا يخفى عليه من ذلك شيءٌ.

ثم روى قتادةُ[2] في قوله تعالى: ﴿أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ﴾ [الكهف: ٢٦]، فلا أحدَ أبصرُ من اللهِ ولا أسمعُ.

---

(١) في تفسيره: «جامع البيان» (٩/ج١٥/ ٢٣٢).

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ج١٥/ ٢٣٢).

وقال ابنُ زيدٍ[(١)]: ﴿أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ﴾ [الكهف: ٢٦] يرى أعمالهم ويسمع ذلك منهم إنه كان سميعاً بصيراً.

وقال البغوي[(٢)] رحمه الله تعالى: **«أي ما أبصر اللَّهَ بكل موجودٍ وأسمَعه لكل مسموعٍ، أي لا يغيب عن سمعه وبصره شيءٌ»**.

وقال تعالى لموسى وهارون عليهما السلام: ﴿قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٦].

قال ابن عباس[(٣)] رضي الله عنهما: **«أسمع دعاءَكما فأُجيبه وأرى ما يراد بكما فأمنَعُه، لست بغافل عنكما فلا تَهتما»**.

وقال تعالى لهما في موضع آخر: ﴿كَلَّا فَٱذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ﴾ [الشعراء: ١٥]. وقال تعالى: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزخرف: ٨٠]. وقال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ﴾ [التوبة: ١٠٥]. وقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾ [العلق: ١٤]. وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾﴾ [الشعراء]. وقال تعالى: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟﴾ [آل عمران: ١٨١]. وقال تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة: ١].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: الحمدُ لله الذي وسعَ سمعُه الأصواتَ، لقد جاءت المجادلةُ إلى النبي ﷺ تكلمه في وأنا في ناحية البيت ما أسمع ما تقول، فأنزل الله عز وجل: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة: ١].

رواه البخاريُّ في كتاب التوحيد تعليقاً[(٤)]، ....

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ج١٥/ ٢٣٢).
(٢) في تفسيره: «معالم التنزيل» (٥/ ١٦٥).
(٣) ذكره البغوي في تفسيره (٥/ ٢٧٦) عنه.
(٤) (١٣/ ٣٧٢). ووصل حديثه المذكور أحمد والنسائي وابن ماجه باللفظ المذكور هنا ـ وهو: **«الحمدُ لله الذي وسع سمعه الأصواتَ، فأنزلَ الله تعالى على نبيه ﷺ ﴿قد سمع الله=**

وأخرجه النسائيُّ[1] وابنُ ماجه[2] وابنُ جرير[3] وابنُ أبي حاتم.

وفي رواية له عنها[4] رضي الله عنها أنها قالت: «تبارك الذي أوعى سمعُه كلَّ شيءٍ، إني لأسمع كلامَ خولةَ بنتِ ثعلبةَ ويخفى عليَّ بعضُه وهي تشتكي زوجَها إلى رسول الله ﷺ وهي تقول: يا رسولَ اللَّهِ أكل مالي وأفنى شبابي ونثرتُ له بطني حتى إذا كبِرَتْ سني وانقطع ولدي ظاهرَ مني، اللهم إني أشكو إليك.

قالت: فما برحت حتى نزل جبريلُ بهذه الآية: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ﴾ [المجادلة: ١].

قالت: وزوجُها أوسُ بن الصامت.

وقال البخاريُّ رحمه الله تعالى في كتاب التوحيد: بابُ قولِ الله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [النساء: ١٣٤]. وذكر خبرَ عائشةَ هذا معلقاً[5].

وروي[6] عن أبي موسى رضي الله عنه قال: كنا مع النبي ﷺ في سفر فكنا إذا علونا كبَّرنا فقال: «**اربَعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصمَّ ولا غائباً، تدعون سميعاً بصيراً قريباً**». ثم أتى عليَّ وأن أقول في نفسي لا حول ولا قوة إلا بالله، فقال: «**يا عبد الله بنَ قيس، قل لا حول ولا قوة إلا بالله فإنها كنزٌ من كنوز الجنة**».

= **قول التي تجادلك في زوجها﴾** [المجادلة: ١].
وأخرجه ابن ماجه أيضاً من رواية أبي عبيدة بن معن عن الأعمش بلفظ: «**تبارك**... وسياقه أتم، وليس لتميم المذكور عن عروة في الصحيحين سوى هذا الحديث وآخر عند مسلم». قاله الحافظ في «الفتح» (١٣/ ٣٧٣ ـ ٣٧٤).

(١) في «السنن» (٦/ ١٦٨ رقم ٣٤٦٠).

(٢) لم يخرجه ابن ماجه بهذا اللفظ بل باللفظ الآتي.

(٣) في «جامع البيان» (١٤/ج٢٨/ ٦).
قلت: وأخرجه سعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن مردويه كما في «الدر المنثور» (٨/ ٦٩) والحاكم (٢/ ٤٨١) وأحمد (٦/ ٤١٠) **وصححه الحاكم ووافقه الذهبي وهو كما قالا**.

(٤) أخرجه ابن ماجه (١/ ٦٦٦ رقم ٢٠٦٣) والحاكم (٢/ ٤٨١).
وصححه ووافقه الذهبي وهو كما قالا.
وابن مردويه وابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٨/ ٧٠).

(٥) البخاري (١٣/ ٣٧٢) معلقاً.

(٦) أخرجه البخاري (١٣/ ٣٧٢ رقم ٧٣٨٦) ومسلم (٤/ ٢٠٧٦ رقم ٢٧٠٤).

وعن عائشة[1] رضي الله عنها قالت: قال النبي ﷺ: «**إن جبريلَ عليه السلام ناداني قال: إن اللّهَ قد سمعَ قولَ قومِك وما ردُّوا عليك**».

وروي[2] في باب قول الله تعالى: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [فصلت: ٢٢]: عن عبد الله رضي الله عنه قال: اجتمع عند البيت ثقفيان وقرشيٌّ أو قرشيانِ وثقفيٌّ، كثيرة الشحم بطونُهم، قليلةِ الفهمِ قلوبُهم، فقال أحدُهم: أترون أن اللّهَ يَسمع ما نقول؟ قال الآخر: يسمع إن جهرنا ولا يسمع إن أخفينا، وقال الآخر: إن كان يسمع إذا جهرنا فإنه يسمع إذا أخفينا. فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾ [فصلت: ٢٢]. الآية.

وروى أبو داودَ[3] عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قرأ هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ إلى قوله تعالى: ﴿سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٨]. قال: رأيت رسولَ الله ﷺ يضع إبهامَه على أذنه والتي تليها على عينه، قال أبو هريرة رضي الله عنه: رأيتُ رسولَ الله ﷺ يقرأها ويضع إصبعيه.

قال ابنُ يونسَ: قال المقرئ يعني: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [الحج: ٧٥]، يعني أن لله سمعاً وبصراً.

قال أبو داود[4] رحمه الله تعالى: وهذا رد على الجهمية اهـ.

قلت: ـ يعني أبو داود رحمه الله ـ أن الجهميةَ لا يُثبتون لله تعالى اسماً ولا صفةً مما سمَّى ووصف نفسَه تعالى به وأثبته له رسولُ الله ﷺ، فلا يثبتون أن اللّهَ هو السميعُ البصير، ولا أنه يسمع ويرى بسمعٍ وببصر، فِراراً بزعمهم من التشبيه بالمخلوقين فنزهوه عن صفاتِ كمالِه التي وصف بها نفسَه وهو أعلمُ بنفسه وبغيره، وشبَّهوه بالأصنام التي لا تسمع ولا تبصر، قال الله عز وجل عن خليله إبراهيم

---

(١) أخرجه البخاري (١٣/ ٣٧٢ رقم ٧٣٨٩) ومسلم (٣/ ١٤٢٠ ـ ١٤٢١ رقم ١٧٩٥).
(٢) أخرجه البخاري (١٣/ ٤٩٥ رقم ٧٥٢١) ومسلم (٤/ ٢١٤١ رقم ٢٧٧٥).
(٣) في «السنن» (٥/ ٩٦ ـ ٩٧ رقم ٤٧٢٨) **بسند صحيح**.
(٤) في سننه (٥/ ٩٧).

عليه السلام في دعوته أباه إلى الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا﴾ [مريم: ٤٢].

وقد أثبت الجهميةُ قبَّحهم اللَّهُ حجةً لعُبَّادِ الأصنام وجواباً لإنكار خليلِ اللَّهِ وجميع رسلِه عليهم، فكان للكفار أن يقولوا: ومعبودُكم أيضاً لا يسمع ولا يبصر، تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيراً.

وقالت المعتزلة[1]: سميعٌ بلا سمع، بصيرٌ بلا بصر، واطّردوا جميعَ أسمائِه هكذا فأثبتوا أسماءً ونفَوا ما تتضمنه من صفات الكمال وهو عبارةٌ عن إثبات الألفاظِ دون المعاني، وقولُهم في الحقيقة راجعٌ إلى قول الجهمية، مخالفٌ كلٌ منهما للكتاب والسنة والعقولِ الصحيحةِ والفِطرِ السليمة.

وهدى الله تعالى بفضله أهلَ السنة لفهم كتابه، وآمنوا بما وصف به نفسَه وأقروا بما أخبر ونفَوا عنه التشبيه، كما جمع تعالى بينهما في قوله عز وجل: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]

[العلم الإلهي]

(وعِلمُه بما بدا وما خفي ... أحاط علماً بالجليِّ والخفي)

أي ومما أثبته اللَّهُ عز وجل لنفسه وأثبته له رسوله ﷺ أنه عليمٌ بعلم، وأن علمَه محيطٌ بجميع الأشياء من الكليات والجزئياتِ، وهو من صفاتِه الذاتية، وعلمُه أزليٌّ بأزليته، وكذلك جميعُ صفاتِه، فقد علم تعالى في الأزل جميعَ ما هو خالقٌ، وعلمَ جميعَ أحوالِ خلقه وأرزاقَهم وآجالَهم وأعمالَهم وشقاوتَهم وسعادتَهم، ومن هو منهم من أهلِ الجنةِ ومن هو منهم من أهلِ النارِ.

---

(١) **المعتزلة**: اسم يطلق على فرقة ضالة منحرفة ظهرت في الإسلام في القرن الثاني الهجري ما بين سنة (١٠٥ ـ ١١٠هـ) بزعامة رجل يسمَّى: «واصل بن عطاء الغزَّال».
نشأت هذه الطائفة متأثرة بشتى الاتجاهات الموجودة في ذلك العصر..
وقد تفرقت المعتزلة فرقاً كثيرة، واختلفوا في المبادئ والتعاليم ووصلوا إلى اثنتين وعشرين فرقة ـ [الملل والنحل (١/ ٥٦ ـ ٩٦) و [الفرق بين الفرق (ص١١٢ ـ ١٨٧].
[المعتزلة وأصولهم الخمسة، وموقف أهل السنة منها، تأليف: عواد بن عبد الله المعتق، وفرق معاصرة. إعداد: غالب بن علي عواجي. (٢/ ٨٢١ ـ ٨٥١)].

وعلمَ عدد أنفاسِهم ولحظاتِهم وجميعَ حركاتِهم وسكَناتِهم: أين تقع ومتى تقع وكيف تقع كلُ ذلك بعلمه وبمرأىً منه ومسمعٍ لا تخفى عليه منهم خافيةٌ، سواءٌ في علمه الغيبُ والشهادةُ والسرُّ والجهرُ والجليلُ والحقيرُ.

لا يعزبُ عن علمه مثقالُ ذرةٍ في السمواتِ ولا في الأرض، ولا في الدنيا ولا في الآخرة. قال الله تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٣٥]. وقال تعالى: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ١٩٧]. وقال تعالى: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢١٥].

وقال تعالى: ﴿وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٤]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [آل عمران: ٥]. وقال تعالى: ﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩]. وقال تعالى: ﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٧]. وقال تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [يونس: ٦١].

وقال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا۟ مِنْهُ ۚ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [هود: ٥]. وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ﴾ [النساء: ١٧٦]. وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾﴾ [الرعد].

وقال عن نبيِّه شعيب: ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۚ﴾ [الأعراف: ٨٩]. وقال تعالى عن خليله: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِى وَمَا نُعْلِنُ ۗ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [إبراهيم: ٣٨]. وقال تعالى: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ﴾ [النحل: ٢٣]. وقال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ﴾ [الإسراء:

٥٥]. وقال تعالى: ﴿وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [طه: ٧]. وقال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠]. وقال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّى يَعْلَمُ ٱلْقَوْلَ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الأنبياء: ٤].

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ﴾ [الأنبياء: ١١٠]. وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج: ٧٠]. وقال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ﴾ [النور: ٦٤]. وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٤﴾ وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٧٥﴾﴾ [النمل].

وقال تعالى: ﴿إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ١٦]. وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [السجدة: ٦]. وقال تعالى: ﴿إِن تُبْدُوا۟ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٤]. وقال تعالى: ﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ: ٣].

وقال تعالى: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [فاطر: ١١]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيْبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [فاطر: ٣٨]. وقال تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٩]. وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ﴾ [فصلت: ٥٤]. وقال تعالى: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ [محمد: ٣٠].

وقال تعالى: ﴿قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾﴾ [الحجرات: ١٦]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحجرات: ١٨]. وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦]. وقال تعالى: ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ ۖ﴾ [ق: ٤٥]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ

بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱهۡتَدَىٰ﴾ [النجم: ٣٠]. وقال تعالى: ﴿هُوَ أَعۡلَمُ بِكُمۡ إِذۡ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ وَإِذۡ أَنتُمۡ أَجِنَّةٞ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡۖ فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النجم: ٣٢]. وقال تعالى: ﴿يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۖ وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ﴾ [الحديد: ٤].

وقال تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ وَلَا خَمۡسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمۡ وَلَآ أَدۡنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمۡ أَيۡنَ مَا كَانُواْۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٧]. وقال تعالى: ﴿تُسِرُّونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعۡلَمُ بِمَآ أَخۡفَيۡتُمۡ وَمَآ أَعۡلَنتُمۡۚ وَمَن يَفۡعَلۡهُ مِنكُمۡ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [الممتحنة: ١]. وقال تعالى: ﴿يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعۡلِنُونَۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [التغابن: ٤]. وقال تعالى: ﴿عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِۖ لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ﴾ [سبأ: ٣]. وقال تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [التغابن: ١٨]. وقال تعالى: ﴿لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا﴾ [الطلاق: ١٢].

وقال تعالى: ﴿وَأَسِرُّواْ قَوۡلَكُمۡ أَوِ ٱجۡهَرُواْ بِهِۦٓۖ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ (١٣) أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ (١٤)﴾ [الملك]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾ [القلم: ٧]. وقال تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا (٢٦) إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا (٢٧) لِّيَعۡلَمَ أَن قَدۡ أَبۡلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمۡ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيۡهِمۡ وَأَحۡصَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ عَدَدَۢا (٢٨)﴾ [الجن]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدۡنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ وَنِصۡفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَۚ﴾ [المزمل: ٢٠]. الآية. وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلۡجَهۡرَ وَمَا يَخۡفَىٰ﴾ [الأعلى: ٧]. وقال: ﴿قَدۡ يَعۡلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمۡ لِوَاذٗاۚ﴾ [النور: ٦٣].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرُۢ﴾ [لقمان: ٣٤]. وقال تعالى: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَشۡهَدُونَۚ﴾ [النساء: ١٦٦]. وقال تعالى: ﴿إِلَيۡهِ يُرَدُّ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِۚ وَمَا تَخۡرُجُ مِن ثَمَرَٰتٖ مِّنۡ أَكۡمَامِهَا وَمَا تَحۡمِلُ مِنۡ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلۡمِهِۦۚ﴾ [فصلت: ٤٧]. وقال تعالى: ﴿فَإِلَّمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلۡمِ ٱللَّهِ﴾ [هود: ١٤].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٨١]. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٢٨]. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ٣٤، الحجرات: ١٣]. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ [الإنسان: ٣٠، الأحزاب: ١]. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾ [النساء: ٣٥]. ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [فاطر: ٣٨، الشورى: ٢٤، الزمر: ٧، الأنفال: ٤٣].

ولو ذهبنا نسوقُ جميعَ الآياتِ في إثبات علمِ اللّهِ عز وجل لطال الفصلُ وفيما ذكرنا كفايةٌ.

وفي الصحيحين[1] عن جابرٍ ﷺ قال: كان رسولُ الله ﷺ يعلم أصحابه الاستخارةَ في الأمور كلِّها كما يعلم السورة من القرآن، يقول: «**إذا همَّ أحدُكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة، ثم ليقل: اللهم إني أستخيرُك بعلمك، وأستقدرك بقُدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدِر ولا أقدِرُ، وتعلمُ ولا أعلم، وأنت علامُ الغيوب.**

اللهم فإن كنت تعلم هذا الأمرَ (ثم يسميه بعينه) خيراً لي في عاجل أمري وآجله ـ أو قال في ديني ومعاشي وعاقبةِ أمري ـ فاقدُرْه لي ويسِّره لي ثم بارك لي فيه.

اللهم وإن كنت تعلم أنه شرٌّ لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري ـ أو قال في عاجل أمري وآجِله ـ فاصرفِني عنه واقدُر لي الخيرَ حيث كان ثم أرضني به».

وفيهما[2] من حديث تعاقب الملائكة بأطراف النهار: «**فيسألهم وهو أعلم بهم**».

وفيهما[3] من دعاء الكرب: «**لا إله إلا اللّهُ العليمُ الحليم**». وفيهما[4] من حديث الذي أوصى أن يُحرَقَ ويُذْرى ثم قال: «**لمَ فعلتَ ؟ قال: من خشيتك وأنت أعلمُ**».

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) البخاري (٢/٣٣ رقم ٥٥٥) ومسلم (١/ ٤٣٩ رقم ٢١٠/ ٦٣٢) من حديث أبي هريرة.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) البخاري (٦/ ٥١٤ رقم ٣٤٧٨) ومسلم (٤/ ٢١١١ رقم ٢٧٥٧) من حديث أبي سعيد الخدري.

وفيهما[1] من حديث قصة موسى والخِضْر: «أن موسى قام خطيباً في بني إسرائيلَ، فسُئل أيُّ الناسِ أعلمُ؟ فقال: أنا، فعتبَ اللَّهُ عليه إذ لم يردَّ العلمَ إلى الله».

وفي رواية: «إليه»، وفيه قول الخِضرِ عليه السلام: «يا موسى إنك على علم من علم اللَّهِ علّمكه اللَّهُ لا أعلمه، وأنا على علم من علم اللَّهِ علَّمَنيهِ اللهُ لا تعلمه»، إلى أن قال: «فركبا في السفينة قال: ووقع عصفور على حرف السفينة فغمس منقاره في البحر فقال الخضرُ لموسى: ما علمك وعلمي وعلم الخلائق في علمِ اللَّهِ إلا مقدارُ ما غمس هذا العصفورُ منقارَه».

وفي رواية: «إلا مثلُ ما نقص هذا العصفورُ من هذا البحر».

وفيهما[2] عن ابن عمرَ رضي الله عنهما أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «مفاتيحُ الغيبِ خمسٌ لا يعلمها إلا اللَّهُ: لا يعلم ما في غد إلا اللَّهُ، ولا يعلم ما تغيضُ الأرحامُ إلا اللَّهُ، ولا يعلم متى يأتي المطرُ أحدٌ إلا اللَّهُ، ولا تدري نفسٌ بأيِّ أرضٍ تموت، ولا يعلم متى تقومُ الساعةُ إلا الله».

وفيهما[3] من حديث أبي موسى الأشعري: «اللهم اغفِرْ لي خطيئتي وجهلي وإسرافي في أمري وما أنت أعلمُ به مني»، إلى غير ذلك من الأحاديث.

وكما أخبر اللَّهُ تعالى عن علمه بما كان وما سيكون، كذلك أخبر عما لم يكن من المُمْكِنات والمستحيلات لو كان كيف يكون، فقال تعالى في الممكن على تقدير وقوعه: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ۝٨ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ۝٩﴾ [الأنعام]. وقال تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ۖ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ﴾ [فصلت: ٤٤]. الآية. وقال تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا ۚ قُلْ

---

(١) البخاري (١/٢١٧ ـ ٢١٨ رقم ١٢٢).
ومسلم (٤/١٨٤٧ ـ ١٨٥٣ رقم ١٧٠، ١٧١، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤/ ٢٣٨٠) من حديث أبي بن كعب.

(٢) البخاري (٨/٥١٣ رقم ٤٧٧٨). ولم يخرجه مسلم.

(٣) البخاري (١١/١٩٦ ـ ١٩٧ رقم ٦٣٩٩) ومسلم (٤/٢٠٨٧ رقم ٢٧١٩).

﴿إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [الأنعام]. وقال تعالى: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَٰهُ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُۥ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الشعراء]، إلى غير ذلك.

وقال تعالى في المستحيلات لو قُدِّر إمكانُها: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٢]. وقال تعالى: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [المؤمنون]. وقال تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾﴾ [الإسراء: ٤٢ ـ ٤٣]، إلى غير ذلك.

وأنكرت الجهمية والمعتزلة أن يكون لله علمٌ أضافه إلى نفسه إضافةَ الصفةِ إلى الموصوف، فأنكروا أن يكون أُنزل القرآن بعلمه، وأن أنثى لا تحمل ولا تضع إلا بعلمه، وجحدوا أن يكون قد أحاط بكل شيءٍ علماً، وحاربوا نصوصَ الكتابِ والسنة وجميعِ سلفِ الأمة، فليس معبودُهم هو العليمَ الخبيرَ الذي هو بكل شيء عليم، وإنما يعبدون العدمَ المحضَ الذي لا حقيقةَ له ولا وجودَ، فليصِفوه بما شاءوا فبعداً للقوم الظالمين.

[الله سبحانه غنيٌ بذاته، وكل شيء غيره مفتقر إليه]

(وهو الغني بذاته سبحانهُ — جل ثناؤه تعالى شانُه)
(وكلُ شيءٍ رزقُه عليه — وكلنا مفتقرٌ إليه)

(وهو الغني بذاته) فله الغنى المطلقُ فلا يحتاج إلى شيء **(سبحانه)** وبحمده تنزيهاً له وتحميداً **(جل ثناؤه تعالى شانه)** تعظيماً له وتمجيداً **(وكلُ شيء رزقه عليه)** لا رزاقَ له سواه، ولا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً إلا ما شاء الله **(وكلُنا)** معشرَ المخلوقات **(مفتقرٌ إليه)** لا غِنىً لنا عنه طرفَةَ عينٍ، فكما أن جميعَ المخلوقاتِ مفتقرةٌ إليه تعالى في وجودِها فلا وجود لها إلا به، فهي مفتقرةٌ إليه في قيامها فلا قِوام لها إلا به، فلا حركَة ولا سكونَ إلا بإذنه.

فهو الحيُّ القيومُ القائمُ بنفسه فلا يحتاج إلى شيء، القيِّم لغيره فلا قِوامَ لشيء إلا به، فللخالق مُطلقُ الغِنى وكمالُه، وللمخلوق مطلقُ الفقر إلى الله وكمالُه، قال الله عز وجل: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾﴾ [فاطر]. وقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ فَذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا۟ وَتَوَلَّوا۟ ۚ وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ ۚ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٦﴾﴾ [التغابن].

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾﴾ [الحج]. وقال تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ ۗ﴾ [الأنعام: ١٤]. وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾ [الذاريات].

وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ وَإِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَنِيًّا حَمِيدًا﴾ [النساء: ١٣١].

وقال تعالى رداً على اليهود: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟﴾ [آل عمران: ١٨١]. وقال رداً عليهم أيضاً: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ﴾ [المائدة: ٦٤]. وقال تعالى رداً على المنافقين: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟ ۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [المنافقون: ٧]. وقال تعالى: ﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا﴾ [الإسراء: ١٠٠]، والآياتُ في هذا الباب كثيرةٌ جداً.

يخبر تعالى بكمال غِناه عن خلقه وأنه لا يزيد في غناه طاعةُ من أطاع ولا ينقُصه معصيةُ من عصى، وأنه لم يخلُق الخلقَ لحاجة إليهم وأنه لو شاء لم يخلُقْهم ولو شاء لذهب بهم وجاء بغيرهم.

ويخبر أنهم كلُّهم فقراءُ إليه، لا غِنىً لهم عنه في نفَس من الأنفاس، وهم يعلمون ذلك من أنفسهم، وأنهم لم يكونوا موجودين حتى أوجدهم، ولا قُدرة لهم على شيء من أنفسهم ولا غيرها إلا بما أقدرهم عليه الغنيُّ الحميدُ الفعّالُ لما يريد.

وقال تعالى فيما رواه عنه رسولُه محمدٌ ﷺ: «**يا عبادي إني حرَّمتُ الظلمَ على نفسي وجعلتُه بينكم محرَّماً فلا تظالَموا، يا عبادي كلُكم ضالٌّ إلا من هديتُه فاستهدوني أهدِكم، يا عبادي كلُكم جائعٌ إلا من أطعمتُه فاستطعموني أُطعِمْكم، يا عبادي كلُكم عارٍ إلا من كسوتُه فاستكسوني أكْسُكم، يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفِر الذنوب جميعاً فاستغفروني أغفرْ لكم، يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضُرِّي فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني، يا عبادي لو أن أولكم وآخرَكم إنسَكم وجِنَّكم كانوا على أتقى قلبِ رجلٍ واحدٍ منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً، يا عبادي لو أن أوَلكم وآخرَكم وإنسَكم وجنَّكم كانوا على أفجر قلبِ رجلٍ واحدٍ ما نقص ذلك في ملكي شيئاً.**

يا عبادي لو أن أولَكم وآخرَكم وإنسَكم وجنَّكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيتُ كلَّ إنسانٍ مسألتَه ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقُص المخيطُ إذا أُدخل البحر، ولو أن أولكم وآخرَكم وحيَّكم وميتَكم ورطْبكم ويابسَكم اجتمعوا على أتقى قلبِ عبدٍ من عبادي ما زاد في ملكي جناح بعوضة.

يا عبادي إنما هي أعمالُكم أُحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غيرَ ذلك فلا يلومنَّ إلا نفسَه». رواه مسلم[1] عن أبي ذر عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه.

وفي رواية الترمذي[2]: «**يقول الله عز وجل: يا عبادي كلُكم ضالٌّ إلا من هديتُ، فسلوني الهدى أهدِكم. وكلُكم فقيرٌ إلا من أغنيتُ فسلوني أرزقْكم، وكلُكم مذنبٌ إلا من عافيتُ، فمن علم منكم أني ذو قدرةٍ على المغفرةِ فاستغفرني غفرتُ له ولا أبالي.**

---

(١) في صحيحه (٤/١٩٩٤ ـ ١٩٩٥ رقم ٢٥٧٧).

(٢) في «السنن» (٤/٦٥٦ رقم ٢٤٩٥) وقد تقدم في التعليقة السابقة.
وانظر: «شرح حديث: يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي» لابن تيمية. بتحقيقنا.

ولو أن أولَكم وآخرَكم وحيَكم وميتَكم ورطبَكم ويابسَكم اجتمعوا على أشقى قلبِ عبدٍ من عبادي ما نقص ذلك من ملكي جناحَ بعوضة، ولو أن أولَكم وآخرَكم وجنكم وإنسَكم وحيَّكم وميتَكم ورطبَكم ويابسَكم اجتمعوا في صعيد واحد فسأل كلُ إنسانٍ منكم ما بلغت أمنيتُه فأعطيتُ كل سائلٍ منكم ما سأل ما نقَص ذلك من ملكي إلا كما لو أن أحدَكم مر بالبحر فغمس فيه إبرةً ثم رفعها إليه، ذلك بأني جوادٌ واجدٌ ماجدٌ أفعل ما أريد، عطائي كلامٌ وعذابي كلام، إنما أمري لشيء إذا أردتُه أن أقول له كن فيكون».

وفي الصحيحين[1] عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يدُ اللَّهِ ملأى لا تغيضُها نفقةٌ، سحَّاءُ الليل والنهار، أفرأيتم ما أنفق ربكم منذ خلق السمواتِ والأرضَ، فإنه لم يغِضْ ما في يمينه».

وروى أبو داودَ[2] بإسناد جيدٍ من حديث عائشةَ رضي الله عنها في الاستسقاء وفيه قولُ رسولِ الله ﷺ: «الحمدُ لله ربِّ العالمين، الرحمن الرحيم، مالكِ يومِ الدين، لا إله إلا اللَّهُ يفعل ما يريد، اللهم أنت اللَّهُ لا إله إلا أنت، أنت الغنيُّ ونحن الفقراءُ، أنزل علينا الغيثَ واجعل ما أنزلت علينا قوةً وبلاغاً إلى حين».

وفي بعض الإسرائيليات يقول الله عز وجل: «أيؤمَّل غيري للشدائد، والشدائدُ بيدي وأنا الحيُّ القيوم، ويُرْجى غيري ويُطرق بابُه بالبُكرات وبيدي مفاتيحُ الخزائنِ وبابي مفتوحٌ لمن دعاني.

من ذا الذي أمّلني لنائبة فقطعتُ به، أو من ذا الذي رجاني لعظيم فقطعت به، أو من ذا الذي طرق بابي فلم أفتحه له، أنا غايةُ الآمالِ فكيف تنقطع الآمال دوني، أبخيلٌ أنا فيبخلني عبدي، أليس الدنيا والآخرةُ والكرمُ والفضلُ كلُه لي، فما يمنع المؤمِّلين أن يؤمِّلوني، لو جمعتُ أهلَ السمواتِ والأرض ثم أعطيتُ كلَّ واحد منهم ما أعطيتُ الجميعَ وبلّغتُ كلَّ واحد منهم أملَه لم ينقُص ذلك من ملكي عضوَ ذرة.

---

(١) البخاري (٨/ ٣٥٢ رقم ٤٦٨٤) ومسلم (٢/ ٦٩٠ - ٦٩١ رقم ٩٩٣).
ولفظ مسلم: «يمين الله».

(٢) في سننه (١/ ٦٩٢ رقم ١١٧٣) وقال: «هذا حديث غريب، إسناده جيد» وحسّن الألباني الحديث في صحيح أبي داود.

كيف ينقص مُلكٌ أنا قيِّمه، فيا بؤساً للقانطين من رحمتي، ويا بؤساً لمن عصاني وتوثَّب على محارمي». انتهى.

وجاء في بعض ألفاظِ حديثِ النزولِ[1]: «من يُقرضْ غيرَ عديمٍ ولا ظلوم».

والأحاديث في هذا الباب كثيرةٌ جداً لو أردنا استقصاءَها لطال الفصلُ، وفيما ذكرنا كفايةٌ، فسبحان من وسِع خلقَه بغناه، وافتقر كلُ شيء إليه وهو الغنيُّ عما سواه: ﴿وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾ [لقمان: ١٢].

[كلام الله تعالى]

(كـلّـم مـوسـى عـبـدَه تـكـلـيـمـا ولـم يـزل بـخـلـقـه عـلـيـمـا)

أي ومما أثبته ربُنا عز وجل لنفسه وأثبته له رسولُه ﷺ تكليمُه عبدَه ورسولَه موسى بنَ عِمرانَ بدون واسطةِ رسولٍ بينه وبينه، بل أسمعه كلامَه الذي هو صفتُه اللائقةُ بذاتِه كما شاء وعلى ما أراد.

قال الله عز وجل في سورة البقرة: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣]. وقال في سورة النساء: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]. فأكد بالمصدر مبالغةً في البيان والتوضيح. وقال تعالى في سورة الأعراف: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا ۚ سَأُو۟رِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿١٤٥﴾﴾.

وقال في سورة مريم: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥١﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ﴿٥٣﴾﴾.

---

(١) أخرجه مسلم (١/ ٥٢٢ رقم ١٧١/ ٧٥٨) من حديث أبي هريرة.

وقال تعالى في سورة طه: ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝٩ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ۝١٠ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَـٰمُوسَىٰٓ ۝١١ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ۝١٢ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ۝١٣ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ۝١٤ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ۝١٥ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ۝١٦ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَـٰمُوسَىٰ ۝١٧﴾ إلى قوله: ﴿أَلْقِهَا يَـٰمُوسَىٰ﴾ إلى قوله: ﴿قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ۝٢١﴾، إلى آخر الآيات.

وقال في سورة الشعراء: ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ۝١٠ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ ۝١١﴾ الآيات.

وقال تعالى في سورة النمل: ﴿إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ۝٧ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِىَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝٨ يَـٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٩ وَأَلْقِ عَصَاكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَـٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ۝١٠ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝١١ وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ۖ فِى تِسْعِ ءَايَـٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ ۚ﴾ الآيات.

وقال تعالى في سورة القصص: ﴿۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا ۖ قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ۝٢٩ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَـٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَـٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَـٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝٣٠ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَـٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْـَٔامِنِينَ ۝٣١ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ ۖ فَذَٰنِكَ بُرْهَـٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ ۝٣٢﴾ الآيات.

والقرآن ممتلىءٌ بذلك.

وفي الصحيحين[1] من حديث احتجاج آدمَ وموسى عليهما السلام عند ربِّهما، وفيه قولُ آدمَ لموسى: **«أنت موسى الذي اصطفاك الله تعالى برسالاته وبكلامه»** الحديث.

وفيهما[2] من حديث الشفاعةِ قولُ إبراهيم عليه السلام: **«ولكن عليكم بموسى فإنه كليم الله»**.

وفي رواية[3]: **«ولكن ائتوا موسى عبداً آتاه اللّهُ التوراةَ وكلَّمه تكليماً»**. وفي رواية[4]: **«ولكن ائتوا موسى عبداً آتاه الله التوراة وكلمه وقرَّبه نجياً»**.

فقد أخبرنا الله عز وجل أنه اصطفى عبدَه موسى بكلامه واختصه بإسماعه إياه بدون واسطةٍ وأنه ناداه وناجاه وكلمه تكليماً. وأخبرنا تعالى بما كلمه به، وبالموضع الذي كلمه فيه، وبالميقات الذي كلمه فيه، وأخبر عنه رسولُه محمدٌ ﷺ بذلك في أصح الروايات، فأيُّ كلام أفصحُ من كلام الله تعالى وكلامِ رسولِه ﷺ، وأيُّ بيانٍ أوضحُ من بيان اللّهِ ورسولِه، وبأي برهانٍ يقنع من لم يقنعْ بذلك: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ﴾ [الجاثية: ٦].

[يتكلم سبحانه إذا شاء بما يشاء وكيف يشاء]

وفي هذا أعلى دلالة وأبينُها وأوضحُها على ثبوت صفةِ الكلامِ لربنا عز وجل وأنه يتكلم إذا شاء بما يشاء وكيف يشاء بكلام يُسمعه من يشاء، أسمعه موسى عليه السلام كيف شاء وعلى ما أراد.

وقد ثبت بالكتاب والسنةِ نداؤه الأبوين عليهما السلام إذ يقول: ﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [الأعراف: ٢٢]، وأن الملائكةَ تسمعُ كلامَ اللّهِ بالوحي كما قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [سبأ: ٢٣].

---

(١) سيأتي تخريجه بتمامه.
(٢) سيأتي تخريجه بتمامه وقد تقدم بعضه.
(٣) سيأتي تخريجه بتمامه وقد تقدم بعضه.
(٤) سيأتي تخريجه بتمامه وقد تقدم بعضه.

وفي الصحيحين[1] عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: إن نبيَّ الله ﷺ قال: **«إذا قضى الله الأمرَ في السماء ضَربَت الملائكةُ بأجنحتها خُضعاناً لقوله كأنه سلسلةٌ على صفوان، فإذا فُزِّع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا: الحقَّ وهو العليُّ الكبير»**. الحديث.

وفيهما[2] عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«إن الله تبارك وتعالى إذا أحب عبداً نادى جبريلَ: إن اللَّهَ قد أحب فلاناً فأحبَّه، فيُحبه جبريلُ، ثم ينادي جبريلُ في السماء: إن الله قد أحب فلاناً فأحِبّوه، فيُحبُّه أهلُ السماء ويوضع له القَبولُ في الأرض»**.

وثبت بالكتاب والسنة كلامُه مع الرسل والملائكةِ وغيرِهم يوم القيامة كما قال تعالى: ﴿۞ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١٠٩]. وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ۝٤٠ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ۝٤١﴾ [سبأ].

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ۝٨٣ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٨٤ وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا۟ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ۝٨٥﴾ [النمل]. وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [القصص: ٦٢]. وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: ٦٥]. وأنه يقول لأهل الجنةِ سلامٌ عليكم كما قال تعالى: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ [يس: ٥٨].

وأنه يقول لأهل النار: ﴿ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: ١٠٨]. والقرآنُ ممتلىءٌ بذلك.

وفي الصحيح[3] عن عدّي بنِ حاتم رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربُه ليس بينه وبينه تَرجُمانٌ»**. الحديث.

---

(١) البخاري (١٣/ ٤٥٣ رقم ٧٤٨١). ولم يخرجه مسلم.

(٢) البخاري (١٣/ ٤٦٠ رقم ٧٤٨٥) ومسلم (٤/ ٢٠٣٠ رقم ٢٦٣٧).

(٣) البخاري (١٣/ ٤٧٤ رقم ٧٥١٢) ومسلم (٢/ ٧٠٣ ـ ٧٠٤ رقم ١٠١٦).

وفيه(١) عن أبي سعيد الخدريِّ ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**يقول الله تعالى**: يا آدمُ، فيقول: لبيّك وسعديك، فينادى بصوت: إن الله يأمرك أن تُخرج من ذريتك بعثاً إلى النار».

وفيه(٢) تعليقاً عن جابر عن عبد الله بنِ أُنيس ﷺ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**يحشرُ اللّهُ العبادَ، فيناديهم بصوت يسمعه مَن بَعُد كما يسمعه مَن قَرُب: أنا المِلكُ أنا الديان**».

وفيه(٣) عن أبي هريرةَ ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**قال الله تعالى: أعددتُ لعباي الصالحين ما لا عينٌ رأت ولا أذنٌ سمعت ولا خطرَ على قلب بشر**».

وفيه(٤) عنه ﷺ قال: «**يقول الله تعالى: ما لعبدي المؤمنِ عندي جزاءً إذا أنا قبضتُ صَفيَّه من أهل الدنيا ثم احتسبه إلا الجنة**».

وفيه(٥) من حديث الشفاعةِ: «**يقول الله عز وجل: مَن كان في قلبه مثقالُ حبةٍ من إيمان فأخرجوه**». الحديث.

وفيه(٦) من حديث آخِرُ أهلِ الجنة دخولاً الجنةَ: «**فيقول الله تعالى: اذهب فادخُل الجنةَ فإن لك مثلَ الدنيا وعشرةَ أمثالِها**».

وفيه(٧) من كلامه تعالى مع أهل الموقفِ قولُه تعالى: «**لِتتبعْ كلُ أمةٍ ما**

---

(١) البخاري (١٣/٤٥٣ رقم ٧٤٨٣) ومسلم (١/٢٠١ ـ ٢٠٢ رقم ٢٢٢).

(٢) البخاري تعليقاً (١٣/٤٥٣) بصيغة التمريض. و(١/١٧٣) تعليقاً بصيغة الجزم.
وذكر له الحافظ في «الفتح» (١/ ١٧٤) طريقين آخرين عن جابر يرتقي بهما إلى مرتبة الحجية.
ووصله البخاري في «خلق أفعال العباد» رقم (٣٦٥) وفي «الأدب المفرد» رقم (٩٧٠) والحاكم (٢/ ٤٣٧ ـ ٤٣٨) و(٤/ ٥٧٤، ٥٧٥)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص٧٨ ـ ٧٩) كلهم من طريق عبد الله بن محمد بن عقيل، قال عنه الحافظ في «التقريب» رقم (٣٥٩٣): «صدوق في حديثه لينٌ، ويقال: تغير بأخره».
وجزم الحافظ بأن إسناده صالح في «الفتح» (١/ ١٧٤) وقال: (وله طريق آخر أخرجها الطبراني في «مسند الشاميين» ـ (رقم: ١٥٦) ـ وتمام في «فوائده»... وإسناده صالح» اهـ.
وخلاصة القول أن الحديث حسن، والله أعلم.

(٣) البخاري (٨/ ٥١٥ ـ ٥١٦ رقم ٤٧٨٠) ومسلم (٤/ ٢١٧٤ رقم ٢٨٢٤).

(٤) البخاري (١١/ ٢٤١ ـ ٢٤٢ رقم ٦٤٢٤). (٥) تقدم تخريجه وسيأتي بتمامه.

(٦) البخاري (١١/ ٤١٨ رقم ٦٥٧١) ومسلم (١/ ١٧٣ رقم ١٨٦) من حديث عبد الله بن مسعود.

(٧) البخاري (١٣/ ٤١٩ ـ ٤٢٠ رقم ٧٤٣٧) ومسلم (١/ ١٦٣ ـ ١٦٧ رقم ١٨٢) من حديث أبي هريرة.

كانت تعبُد». وقوله عز وجل للمؤمنين: **«أنا ربكم»**.

وفيه[1] في باب كلامِ الربِّ عز وجل مع أهل الجنةِ عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال النبيُّ ﷺ: **«إن الله تعالى يقول لأهل الجنة: يا أهلَ الجنةِ، فيقولون: لبيك ربَّنا وسعدَيك والخيرُ في يديك. فيقول: هل رضيتم؟ فيقولون: وما لنا لا نرضى يا رب وقد أعطيتنا ما لم تُعطِ أحداً من خلقك؟ فيقول: ألا أعطيكم أفضلَ من ذلك؟ فيقولون: يا رب وأيُّ شيءٍ أفضلُ من ذلك؟ فيقول: أُحِلُّ عليكم رضواني فلا أسخَطُ عليكم بعده أبداً»**.

وفيه[2] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال اللَّهُ تعالى: **«أنا مع عبدي حيثما ذكرني وتحركت بي شفتاه»**.

وفيهما[3] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: يقولُ اللَّهُ عز وجل: **«إذا أراد عبدي أن يعمَلَ سيئةً فلا تكتبوها عليه حتى يعمَلَها»** الحديث.

وفيهما[4] من حديثه أيضاً أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: **«خلق اللَّهُ الخلقَ فلما فرغَ منه قامت الرحِمُ، فقال: مه؟ قالت: هذا مقامُ العائذِ بك من القطيعة، فقال: ألا ترضين أن أصِلَ من وصَلكِ وأقطَعَ من قطعك»**. الحديث.

وفيه[5] من حديثه أن رسولَ الله ﷺ قال: **«قال الله عز وجل: إذا أحبَّ عبدي لقائي أحببتُ لقاءَه، وإذا كرِه لقائي كرِهتُ لقاءَه»**.

---

(١) البخاري (١١/ ٤١٥ رقم ٦٥٤٩) و(١٣/ ٤٨٧ رقم ٧٥١٨). ومسلم (٤/ ٢١٧٦ رقم ٢٨٢٩).

(٢) البخاري تعليقاً (١٣/ ٤٩٩) بصيغة الجزم. ووصله البخاري في «خلق أفعال العباد» رقم (٣٤٤).

وأخرجه أحمد (٢/ ٥٤٠) وابن ماجه رقم (٣٧٩٢) من طريق محمد بن مصعب وأبي المغيرة، والبغوي في «شرح السنة» رقم (١٢٤٢) من طريق يحيى بن عبد الله، والحاكم (١/ ٤٩٦) عن طريق بشر بن بكر. وصححه الحاكم ووافقه الذهبي. كلهم عن الأوزاعي، عن إسماعيل بن عبيد الله، عن أم الدرداء، عن أبي هريرة، **وخلاصة القول أن الحديث صحيح، والله أعلم.**

(٣) البخاري (١٣/ ٤٦٥ رقم ٧٥٠١) ومسلم (١/ ١١٧ رقم ١٢٨).

(٤) البخاري (٨/ ٥٧٩ ـ ٥٨٠ رقم ٤٨٣٠) ومسلم (٤/ ١٩٨٠ ـ ١٩٨١ رقم ٢٥٥٤).

(٥) البخاري (١٣/ ٤٦٦ رقم ٧٥٠٤) ومسلم (٤/ ٢٠٦٦ رقم ٢٦٨٥).

وفيه[1] من حديثه أن رسولَ الله ﷺ قال: «**قال الله تعالى: أنا عند ظنّ عبدي بي**».

وفيه[2] من حديثه أيضاً في قصة المذنبِ المستغفرِ. الحديث. وفيه: «**فقال ربُه: أعلمَ عبدي أن له رباً يغفِر الذنبَ ويأخذُ به، غفرتُ لعبدي**». وذكر الحديث.

وفيه[3] من حديث عبد الله بن زيدٍ ﷺ قال: مُطر النبيُّ ﷺ فقال: «**قال الله عز وجل: أصبح من عبادي كافرٌ بي ومؤمنٌ بي**».

وفيه[4] من حديث عبدِ اللّهِ بنِ مسعودٍ ﷺ في ذكر طيِّ اللّهِ تعالى السمواتِ والأرضِ، وفيه: «**ثم يُهزهِزُ ثم يقول: أنا المِلكُ، أنا المِلك**». الحديث.

وفيه[5] من حديث عبد الله بن عمرَ ﷺ أن رجلاً سأله كيف سمعتَ النبيَّ ﷺ يقول في النجوى؟ قال: «**يدنو أحدُكم من ربه حتى يضعَ عليه كنفه فيقول تعالى: أعمِلْتَ كذا وكذا؟ فيقول: نعم، ويقول: أعملتَ كذا وكذا؟ فيقول: نعم، فيقرّره ثم يقول: إني سترتُها عليك في الدنيا وأنا أغفِرها لك اليوم**».

وفي صحيح مسلم[6] من حديث أنس بنِ مالكٍ ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**يقول الله تبارك وتعالى لأهونِ أهلِ النارِ عذاباً لو كانت لك الدنيا وما فيها أكنتَ مفتدياً بها؟ فيقول: نعم، فيقول: قد أردتُ منك أهونَ من هذا وأنت في صُلب آدمَ ألا تُشرك ـ أحسبه قال: ولا أُدخلَك النار ـ فأبيتَ إلا الشركَ**».

وعن أبي هريرةَ وأبي سعيد الخدري ﷺ قالا: قال رسولُ الله ﷺ: «**يُؤتى بالعبد يومَ القيامةِ فيقول له: ألم أجعل لك سمعاً وبصراً ومالاً وولداً وسخّرت لك الأنعامَ والحرثَ وتركتُك ترأسُ وتربَع، فكنت تظُن أنك ملاقي يومِك هذا؟ فيقول:**

---

(١) تقدم تخريجه.
(٢) البخاري (١٣/ ٤٦٦ رقم ٧٥٠٧) ومسلم (٤/ ٢١١٢ رقم ٢٧٥٨).
(٣) البخاري (٢/ ٣٣٣ رقم ٨٤٦) ومسلم (١/ ٨٣ رقم ٧١).
(٤) تقدم تخريجه.
(٥) البخاري (١٣/ ٤٧٥ رقم ٧٥١٤) ومسلم (٤/ ٢١٢٠ رقم ٢٧٦٨).
(٦) تقدم تخريجه.

لا، فيقول له: **اليومَ أنساكَ كما نسيتَني**». رواه مسلم[١] والترمِذي[٢] وقال: هذا حديثٌ صحيحٌ غريبٌ، ومعنى قوله: «**اليوم أنساك كما نسِيتَني**». اليوم أتركُك في العذابِ اهـ.

وفي الصحيحين[٣] عن عائشة رضي الله عنها في قصة الإفكِ قالت: ولكن واللّهِ ما كنت أظن أن اللّهَ يُنزل في براءتي وحْياً يُتلى، ولشأني في نفسي كان أحقرَ من أن يتكلم اللّهُ فيَّ بأمر يُتلى، ولكني كنت أرجو أن يرى رسولُ اللّهِ ﷺ في النوم رؤيا يبرّئني الله بها: فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ﴾ [النور: ١١]، العشرَ الآياتِ.

ولو ذهبنا ننقُل الأحاديثَ في قال الله ويقول ويتكلم وينادي ونحوِ ذلك لطال الفصلُ، وفيما ذكرنا كفايةٌ.

وهذه الآياتُ والأحاديثُ مما ذكرنا ومما لم نذكر كلُها شاهدةٌ بأن الله تعالى لم يزل متكلماً بمشيئته وإرادته، يتكلم بما شاء كيف شاء متى شاء بكلام حقيقةً يسمعه مَن يشاء من خلقه، وأن كلامَه قولٌ حقيقةً كما أخبر، وعلى ما يليق بعظمته كما قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ﴾ [الأحزاب: ٤]. وقال: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ [يس: ٥٨]. وقال: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ۝١٣ وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ ۝١٤﴾ [الطارق].

والقرآنُ كلامُه تعالى تكلم به حقيقةً كما شاء، وهو من فاتحته إلى خاتمته شاهد بذلك.

وسيأتي إن شاء اللّهُ تعالى بحثُه قريباً، وكلامُه تعالى صفةٌ من صفاتِه من لوازم ذاتِه، والصفةُ تابعةٌ لموصوفها، فصفاتُ الباري تبارك وتعالى قائمةٌ به أزليةٌ بأزليته، باقيةٌ ببقائه، لم يزل متصفاً بها ولا يزال كذلك لم تَجَدَّدْ له صفةٌ لم يكن متصفاً بها ولا تنفَدُ صفةٌ كان متصفاً بها، بل هو الأولُ والآخِرُ والظاهرُ والباطنُ وهو بكل شيء عليمٌ.

---

(١) في صحيحه (٤/٢٢٧٩ رقم ٢٩٦٨).

(٢) في «السنن» (٤/٦١٩ رقم ٢٤٢٨) وقال: هذا حديث صحيح غريب.

(٣) البخاري (٥/٢٦٩ ـ ٢٧٢ رقم ٢٦٦١) ومسلم (٤/٢١٢٩ ـ ٢١٣٦ رقم ٢٧٧٠).

[الكلام الإلهي يجلّ عن الإحصاء والحصر والفناء]

(كلامُه جل عن الإحصاء ... والحضرِ والنفادِ والفناءِ)
(لو صار أقلاماً جميعُ الشجرِ ... والبحرُ تُلقى فيه سبعةُ أبحُرِ)
(والخلقُ تكتبُه بكل آنِ ... فنَت وليس القولُ منه فانِ)

قال الله تبارك وتعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩]. وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [لقمان: ٢٧].

قال ابن كثيرٍ[١] رحمه الله تعالى: يقولُ الله تعالى مخبِراً عن عظمته وكبريائِه وجلالِه وأسمائِه الحُسنى وصفاتِه العُلى وكلماتِه التامةِ التي لا يحيط بها أحدٌ، ولا اطلاعَ لبشر على كُنهها وإحصائِها، كما قال سيدُ البشر وخاتمُ الرسل: «**لا أحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك**»[٢].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ﴾ [لقمان: ٢٧].

أي ولو أن جميعَ أشجارِ الأرضِ جُعلت أقلاماً وجُعل البحرُ مداداً وأمدَّه سبعةُ أبحر معه فكُتبت بها كلماتُ الله تعالى الدالةُ على عظمته وصفاتِه وجلالِه لتكسّرت الأقلامُ ونفِد ماءُ البحرِ ولو جاء أمثالُها مدداً، وإنما ذُكرت السبعةُ على وجه المبالغة ولم يُرَد الحصرُ، ولا أن ثمّ سبعةَ أبحرٍ موجودةً محيطةً بالعالم كما يقوله مَن تلقاه من الإسرائيلياتِ التي لا تُصدَّق ولا تُكذَّب، بل كما قال تعالى في الآيات الأخرى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩].

فليس المرادُ بقوله (بمثله) آخَرَ فقط، بل بمثله ثم بمثله ثم بمثله ثم هلمّ جرًّا، لأنه لا حصرَ لآياتِ اللّهِ وكلماتِه.

---

(١) في تفسير القرآن العظيم (٣/ ٤٦٠).
(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (١/ ٣٥٢ رقم ٤٨٦) من حديث عائشة.

قال الحسن البصري[1]: لو جُعل شجرُ الأرض أقلاماً وجُعل البحرُ مداداً وقال الله تعالى: «**إن مِن أمري كذا ومن أمري كذا، لنفِد ماءُ البحر وتكسّرت الأقلام**».

قال قتادة[1]: قال المشركون إنما هذا كلامٌ يوشك أن ينفَدَ، فقال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ﴾ [لقمان: ٢٧]. أي لو كان شجرُ الأرض أقلاماً ومع البحر سبعةُ أبحرٍ ما كانت لتنفَدَ عجائبُ ربي وحكمتُه وخلقُه وعلمُه.

وقال الربيعُ بنُ أنس[2] رحمه الله: إن مثَلَ علم العبادِ كلِّهم في علم اللَّهِ كقطرة من ماء البحورِ كلِّها، وقد أنزل اللَّهُ ذلك: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ﴾ [لقمان: ٢٧]. الآية.

يقول: لو كان البحرُ مِداداً لكلمات الله، والأشجارُ كلُها أقلاماً لانكسرت الأقلامُ وفنِيَ ماءُ البحرِ وبقِيَتْ كلماتُ الله قائمةً لا يُفنيها شيءٌ؛ لأن أحداً لا يستطيع أن يقدُرَه قدْرَه، ولا يُثنيَ عليه كما ينبغي حتى يكونَ هو الذي يُثني على نفسه، إن ربَّنا كما يقول وفوق ما نقول.

قال: وقد رُوي أن هذه الآية نزلت جواباً لليهود، قال ابن إسحاقَ رحمه الله تعالى: حدثني محمدُ بنُ أبي محمدٍ عن سعيدِ بنِ جبيرٍ ـ أو عِكْرِمَةَ ـ عن ابن عباس[3] رضي الله عنهما أن أحبارَ يهودَ قالوا لرسولِ الله ﷺ بالمدينة: يا محمدُ أرأيتَ قولَك: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥]، إيانا تريد أم قومك؟ فقال رسولُ الله ﷺ: كلاكما. قالوا: ألستَ تتلو فيما جاءك أنا قد أوتينا التوراةَ فيها تبيانٌ لكل شيءٍ؟ فقال رسول الله ﷺ: «**إنها في علمِ اللَّهِ قليلٌ وعندكم من ذلك ما**

---

(١) أخرجه الطبري في «جامع البيان» (١١/ج٢١/ ٨١) **موقوفاً**.
(٢) ذكره ابن كثير في تفسيره (٣/ ١١٤).
(٣) أخرجه الطبري في «جامع البيان» (١١/ج٢١/ ٨١) بسند ضعيف.
محمد بن أبي محمد الأنصاري، روى عن سعيد بن جبير وعكرمة، وعنه محمد بن إسحاق.
ذكره ابن حبان في «الثقات».
قلت: وقال الذهبي: لا يعرف.
[تهذيب التهذيب (٩/ ٣٨٤ رقم ٧١١)].

يكفيكم». وأنزل اللهُ فيما سألوه عنه من ذلك: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ﴾ [لقمان: ٢٧]. الآية.

وهكذا رُوي عن عكرمة[١] وعطاءَ بنِ يسار[١]، وهذا يقتضي أن هذه الآيةَ مدنيةٌ لا مكيةٌ، والمشهورُ أنها مكيةٌ، والله أعلم.

وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٠]، أي عزيزٌ قد عز كلَ شيءٍ وقهره وغلبه، فلا مانعَ لما أراد ولا مخالفَ لأمره ولا مُعقِّبَ لحكمِه، حكيمٌ في خلقه وأمرِه وأقوالِه وأفعالِه وشرْعِه وجميعِ شؤونِه[٢]. انتهى.

وعن جُويْرِيةَ رضي الله عنها أن النبيَّ ﷺ خرج من عندها ثم رجعَ بعد أن أضحى وهي جالسةٌ، فقال: **«ما زلتِ على الحال التي فارقتُك عليها؟»** قالت: نعم. قال النبي ﷺ: **«لقد قلتُ بعدك أربعَ كلماتٍ ثلاثَ مرات لو وُزِنَتْ بما قلتِ منذ اليوم لوزَنَتْهن: سبحانَ اللّهِ وبحمده عدد خلقِه، ورضا نفسِه، وزِنةَ عرشِه، ومدادَ كلماته»**. رواه مسلم[٣] والأربعة[٤].

وعن أبي هريرة[٥] رضي الله عنه قال: جاء رجلٌ إلى النبيِّ ﷺ فقال: يا رسولَ الله ما لقِيتُ من عقرب لدغتْني البارحة؟ قال: **«أما لو قلتَ حين أمسيتَ أعوذُ بكلماتِ اللّهِ التاماتِ التي لا يجاوِزُهن جبارٌ ولا متكبرٌ»**. والأحاديث في الباب كثيرةٌ.

---

(١) أخرجه الطبري في «جامع البيان» (١١/ج٢١/٨١) مرسلاً.

(٢) تفسير ابن كثير (٣/ ٤٦٠ ـ ٤٦١).

(٣) في صحيحه (٤/ ٢٠٩٠ رقم ٢٧٢٦).

(٤) أبو داود (٢/ ١٧١ رقم ١٥٠٣) والترمذي (٥/ ٥٥٦ رقم ٣٥٥٥) وقال: **حديث حسن صحيح**. والنسائي (٣/ ٧٧ رقم ١٣٥٢) وفي «عمل اليوم والليلة» (رقم: ١٦١، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٥) وابن ماجه (٢/ ١٢٥١ رقم ٣٨٠٨).
قلت: وأخرجه البغوي في «شرح السنة» رقم (١٢٩٧) وأحمد في «المسند» (١/ ٢٥٨، ٣٥٣) و(٦/ ٣٢٥، ٤٢٩، ٤٣٠) وابن حبان رقم (٨٢٨) و(٨٣٢) من طرق... **وهو حديث صحيح**.

(٥) لم أجده بهذا اللفظ. بل أخرجه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٨١ رقم ٢٧٠٩). عن أبي هريرةَ؛ أنه قال: جاءَ رجلٌ إلى النبي ﷺ فقال: يا رسولَ الله! ما لقيتُ من عقربٍ لدغتني البارحة. قال: **«أما لو قلت حينَ أمسيت: أعوذ بكلماتِ الله التامّات من شرّ ما خلق، لم تَضُرُّك»**.
وأخرجه النسائي في «عمل اليوم والليلة» رقم (٥٨٥) وأبو داود (٤/ ٢٢١ رقم ٣٨٩٨) والطبراني في «الدعاء» (٢/ ٩٥٧ رقم ٣٤٩/ ب) **وهو حديث صحيح**.

والمقصود أن كلماتِ اللَّهِ باقيةٌ لا تنفَد أبداً، تامةٌ لا تنقُص أبداً، وذلك لأن كلامَه وصفتَه وليس من صفاتِه شيءٌ ينفدُ، ولذا أخبرنا تعالى أن جميعَ أشجارِ الأرضِ لو كانت أقلاماً، والبحارَ أضعافَها مِداداً يُكتب بها كلماتُه لنفِدت كلُها وكلماتُه باقيةٌ لا تنفد، وذلك لأن الأشجارَ والبحارَ مخلوقةٌ والمخلوقاتُ من لازمها النفادُ والفناءُ، وكلماتُ اللَّهِ صفتُه وليس من صفاتِه شيءٌ يفنى، بل هو الباقي بأسمائِه وصفاتِه أزلاً وأبداً: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٨٨].

[كلام الله في كتابه عين كلامه ليس بمخلوق]

(والقولُ في كتابه المفصَّلْ بأنه كلامُه المنزَلْ)

(على الرسول المصطفى خيرِ الورى ليس بمخلوقٍ ولا بمفترى)

(والقولُ) الذي نعتقده وندينُ الله به **(في)** شأن **(كتابه المفصل)** بسكون اللام لِلرَّوِيّ، وهو القرآنُ وصفه اللَّهُ تعالى بذلك فقال: ﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١]. وقال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ [فصلت: ٣]. وقال تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا﴾ [الأنعام: ١١٤]. وغيرُ ذلك من الآيات.

(بأنه كلامه) حقيقةً، حروفُه ومعانيه، ليس كلامُه الحروفَ دون المعاني ولا المعانيَ دون الحروفِ، قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]. وقال تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ﴾ [الفتح: ١٥].

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إنكم لا ترجعون إلى الله بشيء أفضلَ مما خرج منه**»، يعني القرآن.

رواه أبو داودَ(١) والحاكمُ وصححه(٢).

---

(١)(٢) أخرجه أبو داود في «المراسيل» رقم (٥٣٨) والترمذي في سننه رقم (٢٩١٢) وأحمد في «الزهد» (ص٦٢ رقم ١٩٠) وعبد الله في «السنة» رقم (٩١) من طريق عبد الرحمٰن بن=

= مهدي عن معاوية عن العلاء بن الحارث، عن زيد بن أرطأة، عن جبير بن نفير. وجُبير بن نفير: تابعي **فالحديث مرسل**.

* وأخرجه الحاكم (١/ ٥٥٥) وعنه البيهقي في «الأسماء والصفات» (ص٢٣٦)، من طريق سلمة بن شبيب عن أحمد بن حنبل عن عبد الرحمٰن بن مهدي عن معاوية عن العلاء بن الحارث، عن زيد بن أرطأة، عن جُبير بن نفير، عن أبي ذر الغفاري مرفوعاً.

وقال الحاكم: **هذا حديث صحيح الإسناد** ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

* وأخرجه الحاكم (٢/ ٤٤١) وعنه البيهقي في «الأسماء والصفات» (ص٢٣٦) من طريق صالح كاتب الليث عن العلاء بن الحارث، عن زيد بن أرطأة، عن جُبير بن نفير، عن عقبة بن عامر الجهني. مرفوعاً.

وقال الحاكم **هذا حديث صحيح الإسناد** ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

* وللحديث شاهد عند أحمد (٥/ ٢٦٨) والترمذي رقم (٢٩١١) ومحمد بن نصر في «تعظيم الصلاة» (١/ ٢٠٨) وفي «قيام الليل» (ص٤١، ٤٢، ١٢٢) وابن الضريس في «فضائل القرآن» رقم (١٤١) والخطيب في «تاريخ بغداد» (٧/ ٨٨) و(١٢/ ٢٢٠) وابن النجار في «ذيله» (١/ ٣٧٢) كلهم من طريق أبي النضر هاشم بن القاسم، عن بكر بن خنيس، عن ليث بن أبي سليم، عن زيد بن أرطأة، عن أبي أمامة مرفوعاً «. . . **وما تقرَّب العباد إلى الله بمثل ما خرج منه** ـ يعني القرآن ـ» اهـ.

قال الترمذي: **هذا حديث غريب** لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وبكر بن خنيس قد تكلم فيه ابن المبارك، وتركه في آخر أمره، وقد روي هذا الحديث عن زيد بن أرطاة عن جبير بن نفير عن النبي ﷺ مرسلاً.

قلت: بالإضافة لضعف بكر بن خنيس، ضعف ليث بن أبي سليم ـ كما في «المجروحين» (٢/ ٢٣١ ـ ٢٣٤) و«الجرح والتعديل» (٧/ ١٧٧ ـ ١٧٩).

والخلاصة فالحديث ضعيف لإرساله ولاختلاط العلاء بن الحارث ـ كما في «الكواكب النيرات في معرفة من اختلط من الرواة الثقات» لأبي البركات محمد بن أحمد الذهبي (ص ٦٥ ـ ٦٦ رقم ٤١).

وقد قال البخاري في «خلق أفعال العباد» (ص١٥٠) رقم (٤٠٤): «إن هذا الخبر لا يصح لإرساله وانقطاعه» اهـ.

وحكم المحدث الألباني على الحديث **بالضعف** كما في «ضعيف الجامع» رقم (٢٠٤١).

قلت: والطرق هذه لا تتقوى ببعضها، **لأن رواية سلمة بن شبيب تعتبر شاذة. ورواية عبد الله بن صالح كاتب الليث تعتبر منكرة**. فلا تصلحان في الشواهد والمتابعات.

ورواية بكر بن خنيس عن ليث بن أبي سليم عن زيد عن أبي أمامة فلا يتقوى بها لضعف بكر وليث. ولأنه روي عن ليث **مرسلاً بسند صحيح**.

والصواب أنه مرسل، والله أعلم

وعن أبي سعيد الخدريِّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«يقول الربُ تبارك وتعالى: من شغله القرآنُ عن مسألتي أعطيتُه أفضلَ ما أعطي السائلين، وفضلُ كلامِ اللَّهِ على سائر الكلامِ كفضلِ اللَّهِ على خلقِه»**. رواه الترمذي[1]، وقال حديثٌ حسنٌ غريب.

وروى ابن خزيمةَ[2] عن نيار بنِ مكرم الأسلميِّ صاحبِ رسولِ الله ﷺ رضي الله عنه قال: لما نزلت: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝٣﴾ [الروم]، خرج رسول الله ﷺ فجعل يقول: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝٣ فِى بِضْعِ سِنِينَ﴾، فقال رؤساء مكةَ مشركي مكةَ: يا ابن أبي قحافةَ، هذا مما أتى به صاحبُك؟ قال: لا، واللهِ، ولكنه كلامُ اللَّهِ وقولُه. وذكر الحديث.

---

(١) في «السنن» (٥/ ١٨٤ رقم ٢٩٢٦) وقال **حسن غريب**.

قلت: وأخرجه الدارمي في «الرد على الجهمية» (ص٨٥) والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص٢٣٨). وعبد الله بن أحمد في «السنة» رقم (١٢٨) والدارمي (٢/ ٤٤١) ومحمد بن نصر في «قيام الليل» (ص١٢٢).

والطبراني في «الدعاء» رقم (١٨٥١) وابن حبان في «المجروحين» (٢/ ٢٧٧) والعقيلي في «الضعفاء» (٤/ ٤٩) من طرق عن محمد بن الحسن بن أبي يزيد الهمداني عن عمرو بن القيس عن عطية عن أبي سعيد مرفوعاً.

قلت: وفي سنده محمد بن الحسن بن أبي يزيد الهمداني ضعيف. وعطية العوفي يخطئ كثيراً ويرسل، وقد عنعن. وقال ابن أبي حاتم في كتاب «العلل» (٢/ ٨٢): «سألت أبي عن حديث رواه محمد بن الحسن بن أبي يزيد ـ فذكر هذا الحديث ـ فقال أبي: هذا حديث منكر ومحمد بن الحسن ليس بالقوي» اهـ. **وخلاصة القول أن الحديث منكر**.

(٢) في «التوحيد» (ص ١٦٦ ـ ١٦٧) **بسند حسن**.

قلت: وأخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» (ص ٢٣٩)، وفي «الاعتقاد» (ص ٤٩) وعبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» رقم (١١٦). وعلقه البخاري في «خلق أفعال العباد» رقم (٧٢).

وأخرجه الترمذي (٥/ ٣٤٤ رقم ٣١٩٤) وليس فيه موضع الشاهد عنده.

وقال الترمذي: **«هذا حديث صحيح حسن غريب** من حديث نيار بن مكرم لا نعرفه إلا من حديث عبد الرحمٰن بن أبي الزناد» اهـ.

وكان ابن مسعودٍ[1] ﷺ يقبِّل المصحفَ ويقول: كلامُ ربي كلامُ ربي.

وعن عمر[2] ﷺ قال: إن هذا القرآنَ كلامُ اللَّهُ فضعوه على مواضعه.

وقال خبابٌ[3] صاحبُ رسولِ الله ﷺ: تقرّبْ إلى الله بما استطعت فإنك لن تقرّب إلى الله بشيء أحبَّ إليه من كلامه.

وقال عبدُ اللَّهِ بن مسعودٍ[4] ﷺ: القرآنُ كلامُ الله، فمن ردَّ شيئاً فإنما يردّ على الله. وعنه[5] ﷺ قال: إن أحسنَ الكلامِ كلامُ الله.

ويروى ذلك عنه[6] مرفوعاً إلى النبي ﷺ وهو صحيحٌ في الصحيح[7].

---

(١) انظر: «السنة» رقم (١١٠) لعبد الله ابن الإمام أحمد.

(٢) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» رقم (١١٨) والآجري في «الشريعة» (ص ٧٧) والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص ٢٤٣) بسند ضعيف.

(٣) أخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» (ص ٢٤١) وابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٠/ ٥١٠) وعبد الله في «السنة» رقم (٩٦) و(١١١) والآجري في «الشريعة» (ص ٧٧) والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٤٤١) وأحمد في «الزهد» (ص ٦٢ رقم ١٩٢). بسند صحيح.

(٤) أخرجه عبد الله في «السنة» رقم (١١٩) والدارمي في «الرد على الجهمية» (ص ٩٠) والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص ٢٤١) بسند ضعيف.

(٥) أخرجه عبد الله في «السنة» رقم (١٢١) والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص ٢٤١) وهو أثر صحيح لغيره.

* وأخرج البخاري في صحيحه موقوفاً (١٠/ ٥٠٩ رقم ٦٠٩٨) عن مخارق قال سمعت طارقاً قال: قال عبد الله: «إنَّ أحسنَ الحديثِ كتابُ الله، وأحسنَ الهدي هدي محمد ﷺ».

* وأخرج البخاري في صحيحه موقوفاً (١٣/ ٢٤٩ رقم ٧٢٧٧).. عن مرة الهمداني، قال: قال عبد الله: «إن أحسنَ الحديث كتابَ الله، وأحسنَ الهدي هديُ محمد ﷺ، وشرَّ الأمور محدثاتها، وإن ما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين».

(٦) أخرجه أبو داود (٢/ ٥٩١ رقم ٢١١٨) والترمذي (٣/ ١٣ رقم ١١٠٥) والنسائي (٦/ ٨٩) وابن ماجه (١/ ٦٠٩ رقم ١٨٩٢) وغيرهم، وهو حديث صحيح بطرقه.
وقد تقدم تخريجه في مقدمة المحقق في أول الكتاب.

(٧) قال ابن حجر في «فتح الباري» (١٠/ ٥١١): «هكذا رأيت هذا الحديث في جميع الطرق موقوفاً».
وقد ورد بعضه مرفوعاً من طريق أبي الأحوص عن ابن مسعود أخرجه أصحاب السنن ـ كما تقدم في التعليقة السابقة ـ.
وجاء أكثره مرفوعاً من حديث جابر أخرجه مسلم ـ (٢/ ٥٩٢ رقم ٨٦٧) ـ اهـ.

وقال عثمانُ بنُ عفانَ[1] رضي الله عنه: ما أحبُّ أن يأتي عليّ يومٌ وليلةٌ ولا أنظرَ في كلام الله. يعني القراءةَ في المصحف.

وقال ابن مسعود[2] رضي الله عنه: مَن كان يُحبّ أن يعلمَ أنه يحب اللّهَ فليعرِض نفسَه على القرآن، فإن أحبَّ القرآنَ فهو يُحب الله، فإنما القرآنُ كلامُ الله.

فهذه النصوصُ من الكتابِ والسنةِ وإجماعِ الأمةِ على أن القرآنَ كلامُ الله تكلم به حقيقةً وأنه هو الذي قال تبارك وتعالى: ﴿الٓمٓ، الٓمٓصٓ، الٓر، الٓمٓر، كهيعص، طه، طس، طسم، حم، عسق﴾ وليس كلامُ الله المعانيَ دون الحروفِ ولا الحروفَ دون المعاني، بل حروفُه ومعانيه عينُ كلامِ الله.

[القرآن منزل من عند الله على رسوله الكريم]

(المنزل) من عند الله عز وجل (على الرسول المصطفى خيرِ الورى) محمدٍ ﷺ.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٦].

وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۗ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ﴾ [آل عمران: ٧].

وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ﴾ [النساء: ١٠٥]. وقال تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦۖ﴾ [النساء: ٦٠].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ

---

(١) أخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» (ص ٢٤٣) وعبد الله في «السنة» رقم (١٢٢). بسند ضعيف فيه انقطاع.

(٢) أخرجه عبد الله في «السنة» رقم (١٢٥) بسند ضعيف.

رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦]. وقال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وقال تعالى: ﴿قُلۡ مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّجِبۡرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلۡبِكَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [البقرة: ٩٧].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلۡنَا مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبۡلِ أَن نَّطۡمِسَ وُجُوهٗا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدۡبَارِهَآ﴾ [النساء: ٤٧]. الآية. وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَمَن يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِمۡ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ﴾ [آل عمران: ١٩٩]. الآية. وقال تعالى: ﴿لَّٰكِنِ ٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ مِنۡهُمۡ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَۚ﴾ [النساء: ١٦٢].

وقال تعالى: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَشۡهَدُونَۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٦٦]. وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا﴾ [النساء: ١٧٤]. وقال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡحِكۡمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦۚ﴾ [البقرة: ٢٣١].

وقال تعالى: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ﴾ [المائدة: ٤٨]. وقال تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ هَلۡ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنۡ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلُ﴾ [المائدة: ٥٩]. وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾ [المائدة: ٦٧].

وقال تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَاۚ﴾ [الأنعام: ٩٢].

وقال تعالى: ﴿أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡتَغِي حَكَمٗا وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مُفَصَّلٗاۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٞ مِّن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ﴾ [الأنعام: ١١٤]. وقال تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ فَٱتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام: ١٥٥]. وقال تعالى: ﴿الٓمٓصٓ ۝١ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيۡكَ فَلَا يَكُن فِي صَدۡرِكَ حَرَجٞ مِّنۡهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ

وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾ [الأعراف: ١ ـ ٣]. وقال تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٣].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَجَٰهِدُوا۟ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُو۟لُوا۟ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ﴾ [التوبة: ٨٦]. وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [التوبة: ١٢٤]. وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ ۚ﴾ [التوبة: ١٢٧]. وقال تعالى: ﴿فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ﴾ [هود: ١٤]. وقال تعالى: ﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ [إبراهيم: ١].

وقال تعالى: ﴿الٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢﴾﴾ [يوسف: ١ ـ ٢]. وقال تعالى: ﴿الٓمٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ۗ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ﴾. [الرعد: ١]. وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا ۚ﴾ [الرعد: ٣٧]. وقال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]. وقال تعالى: ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ﴾ [النحل: ٢]. وقال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ [النحل: ٨٩].

وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ﴾ [النحل: ٦٤]. وقال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤]. وقال تعالى: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ ۙ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ [النحل].

وقال تعالى: ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ۗ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾﴾ [الإسراء]. وقال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا﴾ [الكهف: ١ ـ ٢]. وقال تعالى: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠]. وقال

تعالى: ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ أَفَأَنتُمْ لَهُ مُنكِرُونَ﴾ [الأنبياء: ٥٠]. وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ ءَايَٰتٍ بَيِّنَٰتٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يُرِيدُ﴾ [الحج: ١٦].

وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ﴾ [طه: ١١٣]. وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [النور: ٣٤]. وقال تعالى: ﴿لَّقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [النور: ٤٦]. وقال تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١]. وقال تعالى: ﴿قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان: ٦].

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [الشعراء]. الآيات. وقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾ [النمل: ٦]. وقال تعالى: ﴿طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ نَتْلُوا۟ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾﴾ [القصص].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ﴾ [لقمان: ٢١]. وقال تعالى: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ [السجدة: ١ ـ ٣]. وقال تعالى: ﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [الأحزاب: ٢]. وقال تعالى: ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ﴾ [سبأ: ٦]. وقال تعالى: ﴿تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [يس: ٥].

وقال تعالى: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [الجاثية: ٢]. ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾ [النساء: ١٠٥]. وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ﴾ [الزمر: ٤١]. وقال تعالى: ﴿وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم﴾ [الزمر: ٥٥].

وقال تعالى: ﴿حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٢﴾﴾ [غافر]. وقال تعالى: ﴿حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾﴾ [فصلت]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ وَإِنَّهُۥ

لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فصلت]. وقال تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام: ١٥٥]. وقال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩].

وقال تعالى: ﴿حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ﴾ [الدخان: ١ ـ ٣]. وقال تعالى: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [الزمر: ١]. وقال تعالى: ﴿۞ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾﴾ [الواقعة].

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ﴾ [الحديد: ٢٥]. وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ﴾ [الحديد: ٩]. وقال تعالى: ﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ۚ﴾ [التغابن: ٨]. وقال تعالى: ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [القلم].

وقال تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [الحاقة]، وقوله تعالى في هذه الآية: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [الحاقة: ٤٠]. يعني به محمداً ﷺ، وفي سورة التكوير[١] يعني به جبريلَ.

ومعنى الإضافةِ في كلا الآيتين إنما هو التبليغ؛ لأن من حق الرسولِ أن يبلّغ عن المرسل. لا أن القرآنَ كلامُ الرسولِ الملكيِّ ولا البشريّ كما بيّن تعالى ذلك بقوله: ﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الحاقة: ٤٣]. وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ [القدر: ١]. وقال تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾﴾ [الرحمن]. وقال تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ﴾ [يوسف: ٣]. وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ﴾ [الشورى: ٥٢].

والآياتُ في هذا البابِ كثيرة جداً، بل القرآنُ كلُه من فاتحته إلى خاتمته

---

(١) الآية: ١٩.

يشهد بأنه كلامُ اللَّهِ، وتنزيلُه وقصصُه وتعليمُه وألفاظُه ومعانيه وإيجازُه وإعجازُه يرشد إلى أنه كلامُ الخالقِ عز وجل وصفتُه، وأنه لا يستطيع البشرُ الإتيانُ بسورة مِن مِثله، وقد أقر بذلك كل عاقلٍ حتى المشركون كما قال أكفَرُ قريشٍ الوليدُ بنُ المغيرةَ لما قرأ عليه رسولُ الله ﷺ القرآنَ، فرجع إلى قومه فقال أبو جهل: قل فيه قولاً يبلغ قومك أنك منكرٌ له.

قال: وماذا أقول فيه؟ فواللَّهِ ما منكم رجلٌ أعرفُ بالأشعار مني، ولا أعلمُ برجَزه ولا بقصيده مني ولا بأشعار الجن. والله ما يُشبه الذي يقول شيئاً من هذا. ووالله إن لقوله الذي يقوله حلاوةً، وإن عليه لطلاوةً، وإنه لمثمرٌ أعلاه، مُغدِقٌ أسفلُه، وإنه ليعلو ولا يُعلى، وإنه لَيحْطِم ما تحته.

قال: لا يرضى عنك قومُك حتى تقولَ فيه. قال: قف حتى أفكر فيه، فلما فكَّر قال: إن هذا إلا سحرٌ يُؤثر، يأثُره عن غيره؛ فنزلت: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا (١١) وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا (١٢) وَبَنِينَ شُهُودًا (١٣)﴾ [المدثر]. الآيات. رواه البيهقي[(١)] وغيره.

ويُروى عن عُتبةَ[(٢)] حين قرأ عليه رسولُ الله ﷺ حم السجدةَ نحوُ ذلك. وكذا أبو جهل قبحهم الله.

---

(١) **وهو حديث ضعيف.**

أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ١٩٨ ـ ١٩٩) عن الحاكم أبي عبد الله، عن محمد بن علي الصنعاني بمكة، عن إسحاق بن إبراهيم، قال: أخبرنا عبد الرزاق، عن معمر، عن أيوب السختياني، عن عكرمة، عن ابن عباس، ثم ذكر الخبر.

وأخرجه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٥٠٦ ـ ٥٠٧) وقال: **صحيح الإسناد** على شرط البخاري ولم يخرجاه، وأقره الذهبي.

وأخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ١٩٩) عن حماد بن زيد عن أيوب عن عكرمة **مرسلاً**.

وقال الشيخ مقبل في «الصحيح المسند من أسباب النزول» (ص ٢٦٢): «والظاهر ترجيح المرسل لأن حماد بن زيد أثبت الناس في أيوب، وأيضاً معمر قد اختلف عليه فيه كما في «دلائل النبوة» للبيهقي (٢/ ١٩٩) **فالحديث ضعيف**، والله أعلم» اهـ.

(٢) أخرجه أبو يعلى في مسنده (رقم: ١٨١٨/٥١) والبيهقي في «دلائل النبوة» (١/ ٢٣٠ ـ ٢٣١) وأبو نعيم في «دلائل النبوة» رقم (١٨٢) وابن أبي شيبة في «المصنف» (١٤/ ٢٩٥ =

فتبين بهذا أن قولَهم فيه: سحرٌ، شعرٌ، كهانةٌ، وغيرُ ذلك من مفترَياتهم إنما قالوه عناداً ومكابرةً، وإلا فقد استيقنوا أنه لا يدخُل تحت طَوق أحدٍ من البشر.

ونحن وجميعُ أهلِ السنةِ والجماعةِ نُشهد اللَّهَ الذي أنزله بعلمه وشهد به، ونُشهد ملائكتَه الذين شهدوا بذلك، ونُشهد رسولَه الذي أنزل عليه وبلّغه إلى الأمة، ونُشهد جميعَ المؤمنين الذين صدَّقوه وآمنوا به أنا مؤمنون مصدّقون شاهدون بأنه كلامُ الله عز وجل وتنزيلُه وأنه تكلمَ به قولاً وأنزله على رسوله وحياً.

ولا نقول إنه حكايةٌ عن كلامِ اللَّهِ عز وجل أو عبارةٌ، بل هو عينُ كلامِ الله حروفه ومعانيه، نزل به من عنده الروح الأمين، على محمد خاتمِ المرسلين، وكلٌّ منهما مبلِّغٌ عن الله عز وجل.

والكلام إنما يُضاف حقيقةً إلى من قاله مبتدِئاً لا إلى من قاله مبلِّغاً مؤدياً، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ﴾ [المائدة: ٦٧]. وقال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [التغابن: ١٢].

وقال تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [النور: ٥٤]. وقال تعالى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ﴾ [الشورى: ٤٨]. وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ ۚ﴾ [الجن: ٢٢ ـ ٢٣]. والآياتُ في هذا كثيرةٌ جداً.

يخبر تعالى عن رسوله أنه مبلّغ عنه مؤدٍ لما أرسله به، وهذا يعرُفه كلُ أحدٍ

= ـ ٢٩٦) وعبد بن حميد كما في «المنتخب» رقم (١١٢٣) والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٢٥٣) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/ ١٩ ـ ٢٠) وقال: رواه أبو يعلى، وفيه الأجلح الكندي، وثقه ابن معين وغيره، وضعفه النسائي وغيره، وبقية رجاله ثقات» اهـ.

وذكره ابن حجر في «المطالب العالية» رقم (٤٢٨٥) ونسبه إلى أبي يعلى وعبد بن حميد.

وأورده السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٣٥٨) إلى ابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، والحاكم وصححه، وابن مردويه، وأبي نعيم، والبيهقي كلاهما في الدلائل، وابن عساكر.

قلت: وخلاصة القول أن الحديث قابل للتحسين، والله أعلم.

يعقِل لفظةَ «رسول»، فإن الرسولَ لا بد له من مرسِل برسالتِه.

فالمرسِل اللَّهُ عز وجل، والرسالةُ هي القرآنُ، والمرسَلُ هو محمدٌ ﷺ المبلِّغ رسالةَ ربِّه.

وقال أنس[1]: بعث النبيُّ ﷺ خالَه حراماً إلى قومِه وقال: أتؤمِّنوني أبلِّغ رسالةَ رسولِ الله ﷺ؟ فجعل يحدثهم.

وقال المغيرةُ[2] رضي الله عنه: أخبرنا نبيُّنا عن رسالة ربِّنا أنه من قُتل منا صار إلى الجنة.

وعن عائشةَ[3] رضي الله عنها قالت: من حدثك أن النبيَّ ﷺ كتم شيئاً من الوحي فلا تصدِّقه، إن الله تعالى يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ [المائدة: ٦٧].

وفي خطبته في موقف الحجِّ الأكبرِ[4] قال ﷺ: **«وأنتم تُسألون عني فما أنتم قائلون؟ قالوا: نشهد أنك قد بلَّغت وأدَّيت ونصحت»**.

وفيها إشارتُه ﷺ بيده إلى السماء قائلاً: **اللهم هل بلغت؟ اللهم اشهد»**. قالها مراراً.

وعن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: قام فينا رسولُ الله ﷺ ذات يوم فذكر الغُلولَ فعظَّمه وعظَّم أمره، ثم قال: **«لا أُلفِيَنّ أحدَكم يجيء يومَ القيامةِ على رقبته بعيرٌ له رُغاء يقول: يا رسولَ اللَّهِ أغثني، فأقول لا أملِك لك شيئاً قد أبلغتُك.**

لا أُلفِيَنّ أحدَكم يجيء يوم القيامة على رقبته فرسٌ له حمحمةٌ فيقول: يا رسولَ الله أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئاً قد أبلغتُك.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٧/ ٣٨٥ ـ ٣٨٦ رقم ٤٠٩١).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٦/ ٢٥٨ رقم ٣١٥٩) و(١٣/ ٥٠٣ رقم ٧٥٣٠) من حديث جبير بن حية، قال المغيرة...

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (١٣/ ٥٠٣ رقم ٧٥٣١) ومسلم (١/ ١٥٩ رقم ١٧٧).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه (٢/ ٨٨٦ رقم ١٤٧/ ١٢١٨) وأبو داود (٢/ ٤٥٥ رقم ١٩٠٥) وابن ماجه (٢/ ١٠٢٢ رقم ٣٠٧٤) من حديث جابر.
وهو حديث صحيح طويل.

لا أُلفِيَنّ أحدَكم يجيء يوم القيامةِ على رقبته شاةٌ لها ثُغاءٌ يقول: يا رسولَ الله أغثني، فأقول لا أملك لك شيئاً قد أبلغتُك.

لا أُلفِيَنّ أحدَكم يجيء يومَ القيامةِ على رقبته نفسٌ لها صياحٌ فيقول: يا رسولَ الله أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئاً قد أبلغتُك.

لا أُلفيَن أحدكم يجيء يوم القيامةِ على رقبته رقاعٌ تَخفُق فيقول: يا رسولَ الله أغثني، فأقول: لا أملك لك من الله شيئاً قد أبلغتُك.

لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته صامتٌ يقول: يا رسولَ الله أغثني، فأقول: لا أملك لك من الله شيئاً قد أبلغتك». متفق عليه[1].

وكان ﷺ يعرِض نفسَه على القبائل في المواسم ويقول: **«إني رسولُ الله وآتيكُم لتمنعوني حتى أبلّغَ رسالةَ ربي»**[2].

وغيرُ ذلك من الأحاديثُ، يخبر ﷺ أنه مخبرٌ عن الله ومبلّغ رسالَته، وأن ما أمر به ونهى عنه وأخبر به هو تبليغٌ لأمر اللّهِ ونهْيِهِ وخبرِه، وأنه لم يقل شيئاً من عند نفسِه فيقول هو من عند الله، ومن اعتقد ذلك فهو كافرٌ من حزب أبي جهلٍ والوليد بنِ المغيرة وملإهم، قال الله عز وجل: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾﴾ [الحاقة].

[القرآن ليس بمخلوق كما يقوله الزنادقة]

(ليس بمخلوق) كما يقول الزنادقة من الحلولية والاتحاديةِ والجهميةِ والمعتزلة وغيرِهم تعالى الله عز وجل عن أن يكون شيءٌ من صفاته مخلوقاً، قال الله عز وجل:

---

(١) البخاري (٦/ ١٨٥ رقم ٣٠٧٣) ومسلم (٣/ ١٤٦١ رقم ١٨٣١).

(٢) **وهو حديث صحيح من حديث جابر بن عبد الله.**
أخرجه أحمد (٣/ ٣٢٢، ٣٣٩) وأبو داود رقم (٤٧٣٤) والترمذي رقم (٢٩٢٥) وقال: حديث غريب. وابن ماجه رقم (٢٠١) والحاكم (٢/ ١١٣) وصححه على شرط مسلم، وابن حبان في صحيحه (رقم ١٦٨٦ ـ موارد).
وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/ ٣٥) وقال: رواه أحمد ورجاله ثقات.

﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ﴾ [الشورى: ٥٢]. وقال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُۗ﴾ [الأعراف: ٥٤]. وقال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]. فأخبر تعالى أن الخلقَ غيرُ الأمر وأن القرآنَ من أمره لا من خلقه.

وقال: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠]. فكن من كلامه الذي هو صفتُه ليس بمخلوق، والشيءُ المُراد المَقولُ له «كن» مخلوقٌ. وقال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٥٩].

فعيسى وآدمُ مخلوقان بكن، و «كن» قولُ الله صفةٌ من صفاته، وليس الشيءُ المخلوقُ هو كن، ولكنه كان بقول اللّهِ له كن.

وقد انعقد إجماعُ سلفِ الأمةِ الذين قضوا بالحق وبه كانوا يعدِلون على تكفير من قال بخلق القرآن، وذلك لأنه لا إن يخلو قولُه من إحدى ثلاث: إما أن يقولَ إنه خلقه في ذاته، أو في غيره، أو منفصلاً مستقلاً وكلُ الثلاثِ كفرٌ صريحٌ.

لأنه إن قال خلقه في ذاته فقد جعل ذاتَه محلاً للمخلوقات، وإن قال إنه خلقه في غيره فهو كلامُ ذلك الغيرِ فيكون القرآنُ على هذا كلامَ كلِّ تالٍ له، وهذا قولُ الوليدِ بنِ المُغيرة فيما حكى اللّهُ عنه حيث قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾﴾ [المدثر]. الآيات.

وإن قال: إنه خلقه منفصلاً مستقلاً فهذا جحودٌ لوجوده مطلقاً، إذ لا يعقل ولا يتصور كلامٌ يقوم بذاته بدون متكلّم، كما لا يُعقل سمعٌ بدون سميعٌ، ولا بصرٌ بدون بصيرٍ، ولا علمٌ بدون عالم، ولا إرادةٌ بدون مريدٍ، ولا حياةٌ بدون حي، إلى غير ذلك، تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيراً.

فهذه الثلاثُ لا خروجَ لزنديق منها ولا جوابَ له عنها، فبُهت الذي كفر واللّهُ لا يهدي القومَ الظالمين، وقُطع دابرُ القوم الذين ظلموا، والحمد لله رب العالمين.

أصلُ القولِ بخلق القرآن

وأولُ ما اشتهرَ القولُ بخلق القرآنِ في آخر عصرِ التابعين لمّا ظهر جَهْمُ بنُ صفوانَ[1] شقيقُ إبليسَ لعنهما الله، وكان مُلحداً عنيداً وزنديقاً زائغاً مبتغياً غيرَ سبيلِ المؤمنين، لم يُثبت أن في السماء رباً، ولا يصف اللَّهَ تعالى بشيء مما وصف به نفسَه، وينتهي قولُه إلى جحود الخالقِ عز وجل.

ترك الصلاة أربعين يوماً وهو يزعُم أنه يرتاد ديناً، ولما ناظره بعض السمنية[2] في معبوده قال قبَّحه الله: هو هذا الهواءُ في كل مكان، وافتتح مرةً سورةَ طه، فلما أتى على هذه الآية: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] قال: لو وجدتُ السبيل إلى حكّها لحككْتُها، ثم قرأ حتى أتى على آية أخرى فقال: ما كان أظرف محمداً حين قالها، ثم افتتح سورةَ القصص، فلما أتى على ذكر موسى جمع يديه ورجليه ثم رفع المصحفَ ثم قال: أيُ شيءٍ هذا؟ ذكَره ههنا فلم يُتمَّ ذِكْرَه، وذكَره ههنا فلم يُتمَّ ذِكْرَه.

وقد رُوي عنه غير هذا من الكُفريات، وهو أذلُّ وأحقرُ من أن نشتغل بترجمتِه.

وقد يسَّر الله تعالى ذبحَه على يد سالمِ بنِ أحوزَ بأصبهانَ، وقيل بمَرْو، وهو يومئذ نائبُها رحمه الله تعالى وجزاه عن المسلمين خيراً.

---

(١) قال الذهبي في «ميزان الاعتدال» (١/ ٤٢٦ رقم ١٥٨٤): «جهم بن صفوان، أبو محرز السمرقندي الضال المبتدع، رأس الجهمية، هلك في زمان صغار التابعين، وما علمته روى شيئاً، لكنه زرع شراً عظيماً» اهـ.
وانظر: «المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد بن حنبل» (٢/ ٣٧٩ ـ ٣٨١). وانظر: «مقالات الإسلاميين» (ص ٦٢٦ ـ ٦٢٧).

(٢) السمنية: نسبة إلى سمني، وهم من القائلين بقدم العالم، وزعموا أن لا معلوم إلا من جهة الحواس الخمس، وأنكر أكثرهم المعاد والبعث، وقال بعضهم بتناسخ الأرواح في الصور المختلفة وقد علمهم زعيمهم يوداسف بأن قول: «لا» من عمل الشيطان وأن مذهبهم دفع الشيطان.
[«الفرق بين الفرق» (ص٢٥٣). ط١، ن: دار الآفاق الجديدة؛ الفهرست لابن النديم (ص٤٨٤)].

وقد تلقى هذا القولَ عن الجعد بنِ دِرْهم[1] لكنه لم يشتهر في أيام الجعْدِ كما اشتهر عن الجهم؛ فإن الجعدَ لما ظهر القولُ بخلق القرآن تطلّبه بنو أمية فهرب منهم فسكنَ الكوفةَ، فلقِيَه فيها الجهمُ بنُ صفوانَ فتقلد هذا القولَ عنه ولم يكن له كثيرُ أتباعٍ غيرُه، ثم يسَّر الله تعالى قتْلَ الجعدِ على يد خالدِ بنِ عبدِ الله القَسريِّ الأمير، قتله يومَ عيد الأضحى بالكوفة، وذلك لأن خالداً خطبَ الناسَ فقال في خطبتِه تلك: أيُها الناسُ ضَحُّوا تقبَّل الله ضحاياكم، فإني مُضحٍّ بالجعْدِ بنِ درهم، إنه زعم أن اللّهَ لم يتخذْ إبراهيمَ خليلاً ولم يكلم موسى تكليماً، تعالى الله عما يقول الجعْدُ علواً كبيراً.

ثم نزل فذبحه في أصل المنبر. روى ذلك البخاريُّ في كتابه (خلقُ أفعالِ العباد)[2]، ورواه ابن أبي حاتم في كتاب السنة له وغيرُهما.

وهو مشهورٌ في كتب التواريخ[3]، وذلك سنةَ أربعٍ وعشرين ومائة.

وقد أخذ الجعدُ بدعتَه هذه عن بيان بنِ سمعانَ، وأخذها بيانٌ عن طالوتَ ابنِ أختِ لبيدِ بنِ الأعصمِ، وأخذها طالوتُ عن خاله لبيد بنِ الأعصم اليهوديِّ

---

(١) قال الذهبي في «الميزان» (١/ ٣٩٩ رقم ١٤٨٢): «الجعْد بن درهم، عداده في التابعين، مبتدع ضال، زعم أنَّ الله لم يتخِذْ إبراهيم خليلاً، ولم يكلم موسى؛ فقتل على ذلك بالعراق يوم النَّحْرِ، والقصةُ مشهورة» اهـ.
وزاد ابن حجر في «لسان الميزان» (٢/ ١٠٥): «وللجعد أخبار كثيرة في الزندقة.
منها: أنه جعل قارورة تراباً وماءً فاستحال دوداً وهوام، فقال: أنا خلقت هذا لأني كنت سبب كونه فبلغ ذلك جعفر بن محمد، فقال: ليقل كم هو ـ وكم الذكران منه والإناث ـ إن كان خلقه، وليأمر الذي يسعى إلى هذا أن يرجع إلى غيره فبلغه ذلك فرجع» اهـ.

(٢) رقم ٣.
قلت: وأخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» (١/ ٦٤) والدارمي في «الرد على الجهمية» (ص ٧، ١١٣) وفي «الرد على المريسي» (ص١١٨)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص٢٥٤)، وفي «السنن الكبرى» (١٠/ ٢٠٥ ـ ٢٠٦) والآجري في «الشريعة» (ص٩٧، ٣٢٨).
وإسناده ضعيف لجهالة محمد بن حبيب.
وقال الألباني في تحقيقه لمختصر العلو: لكنه يتقوى بالذي بعده، فإن إسناده خير منه، ولعله لذلك جزم العلماء بهذه القصة.

(٣) مثل: «البداية والنهاية» للحافظ ابن كثير (٩/ ٣٦٤ ـ ٣٦٥).

الذي سحر النبيَّ ﷺ، وأنزل الله تعالى في ذلك سورةَ المعوذتين[1].

ثم تقلَّد هذا المذهبَ المخذولَ عن الجهم بشرُ بنُ غياث بن أبي كريمة المريسي[2] المتكلم، شيخُ المعتزلة وأحدُ من أضلَّ المأمونَ وجدّد القولَ بخلق القرآن، ويقال إن أباه كان يهودياً صبّاغاً بالكوفة وروي عنه أقوالٌ شنيعةٌ في الدين من التجهُّم وغيرِه. مات سنةَ ثماني عشْرةَ ومائتين.

ثم تقلَّد عن بِشْرٍ ذلك المذهبَ الملعونَ قاضي المحنةِ أحمدُ بنُ أبي داودَ[3]

---

(١) سيأتي تخريج حديث سحر النبي ﷺ.

(٢) قال الذهبي في «الميزان» (١/ ٣٢٢ ـ ٣٢٣): «بشر بن غياث المريسي. مبتدع ضال، لا ينبغي أن يُروى عنه ولا كرامة. تفقه على أبي يوسف فبرع وأتقن عِلمَ الكلام، ثم جرد القولَ بخلْقِ القرآن، وناظر عليه، ولم يدرك الجهْمَ بن صفوانَ، إنما أخذ مقالته، واحتج لها، ودعا إليها، وسمع من حماد بن سلمة وغيره.

وقال أبو النضر هاشم بن القاسم: كان والد بِشْر المَرِيسي يهودياً قصّاباً صباغاً في سويقة نصر بن مالك.

قلت: وقد كان بِشْر أُخذ في دولة الرشيد وأوذيَ لأجل مقالته.

قال أحمد بن حنبل: سمعتُ عبد الرحمٰن بن مهدي أيام صُنع ببشر ما صُنع يقول: مَنْ زعمَ أنَّ الله لم يكلم موسى يستتابُ، فإن تاب وإلاّ ضربت عنقه.

فقال المروزي: سمعت أبا عبد الله ذكر بشراً فقال: كان أبوه يهودياً، وكان بشْر يشغُب في مجلس أبي يوسف، فقال له أبو يوسف: لا تنتهي أو تُفسد خشبةَ ـ يعني تصلب ـ.

وقال قتيبة بن سعيد: بِشْر المَرِيسي كافر.

وقال يزيد بن هارون: ألا أحد من فِتيانكم يفتِك به.

وقال البُوَيْطي: سمعتُ الشافعيَّ يقول: ناظرتُ المريسي في القرعة، فذكرت له فيها حديث عمران بن حصين، فقال: هذا قمار، فأتيتُ أبا البختريَّ القاضي فحكيتُ له ذلك، فقال: يا أبا عبد الله، شاهد آخر وأصلبه.

مات سنة ثماني عشرة ومائتين.

قال الخطيب: حكي عنه أقوال شنيعة، أساء أهْلُ العلم قولهم فيه، وكفَّره أكثرُهم لأجلها، وأسند من الحديث شيئاً يسيراً.

قال أبو زُرْعة الرازي: بِشْر المَرِيسي زنديق.

وقد سرد أبو الخطيب ترجمة بشر في ست ورقات، فلم أنشط لإيرادها بكمالها؛ وكان من أبناء سبعين سنة» اهـ.

قلت: وإذا رغبت في معرفة المزيد من ضلالاته فانظر: «تاريخ بغداد (٧/ ٥٦ ـ ٦٧ رقم ٣٥١٦).

(٣) قال الذهبي في «الميزان» (١/ ٩٧ رقم ٣٧٤): =

وأعلن بمذهب الجهمية وحمل السلطانَ على امتحان الناسِ بالقول بخلق القرآنِ وعلى أن اللَّهَ لا يُرى في الآخرة، وكان بسببه ما كان على أهلِ الحديثِ والسنةِ من الحبس والضربِ والقتلِ وغيرِ ذلك.

وقد ابتلاه اللَّهُ تعالى بالفالج قبل موتِه بأربعِ سنينَ حتى أهلكه اللَّهُ تعالى سنةَ أربعين ومائتين.

ومن أراد الاطلاع على ذلك وتفاصيلِه فليقرأ كتبَ التواريخ يرى العجبَ.

ذكرُ ما قاله أئمةُ السنةِ في مسألة القرآن، وحُكمُ الجهمية

قال إمام أهلِ السنةِ أحمدُ بنُ حنبلٍ رحمه الله تعالى: (من قال القرآنُ مخلوقٌ فهو عندنا كافرٌ، لأن القرآنَ مِن علمِ اللَّهِ وفيه أسماءُ الله)[1].

وقال: (إذا قال الرجلُ: العلمُ مخلوقٌ فهو كافرٌ، لأنه يزعُم أنه لم يكن لله علمٌ حتى خلقه)[2].

وقال رحمه الله تعالى: (من قال القرآنُ مخلوقٌ فهو عندنا كافرٌ، لأن القرآنَ من علم الله، قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ٦١]. وقال تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: ١٢٠].

وقال تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ١٤٥]. وقال تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ﴾ [الأعراف: ٥٤].

= «أحمد بن أبي داود القاضي. جهمي بغيض، هلك سنة أربعين ومائتين قلَّ ما روى» اهـ.
وانظر ما قاله الحافظ ابن حجر في: «لسان الميزان» (١/ ١٧١).
وما قاله الحافظ الذهبي في: «سير أعلام النبلاء» (١١/ ١٦٩ ـ ١٧١ رقم ٧١).
وكذلك ما قاله الخطيب البغدادي في: «تاريخ بغداد» (٤/ ١٤١ ـ ١٥٦ رقم ١٨٢٥).

(١) ذكره عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١٠٢ رقم ١).
(٢) ذكره عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١٠٢ رقم ٢).

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ﴾ [هود: ١٧]. - قال أحمدُ: قال سعيدُ بنُ جبير: والأحزابُ المللُ كلُها - ﴿فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ﴾ [هود: ١٧].

وقال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُۥ قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ إِلَيْهِ أَدْعُوا۟ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ﴾ [الرعد: ٣٦]. وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا وَاقٍ﴾ [الرعد: ٣٧][١].

وقال رحمه الله تعالى: (من قال ذاك القولَ لا يُصلّى خلفه الجمعةُ ولا غيرُها، فإن صلى خلفه أعاد الصلاة). يعني من قال القرآنُ مخلوقٌ[٢].

وقال رحمه الله تعالى: (إذا كان القاضي جهمياً فلا تشهَدْ عنده)[٣].

وقال إبراهيمُ بنُ طَهمان[٤]: (الجهميةُ كفارٌ والقدريةُ كفارٌ)[٥]. وقال سليمانُ التيميُّ[٦] رحمه الله تعالى: (ليس قومٌ أشدَّ بغضاً للإسلام من الجهمية والقَدَرية؛ فأما الجهميةُ فقد بارزوا الله، وأما القدريةُ فإنهم قالوا في الله)[٧].

وقال سلامُ بنُ أبي مطيع[٨]: (الجهميةُ كفارٌ لا يُصلّى خلفهم)[٩].

---

(١) ذكره عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١٠٣ رقم ٣).

(٢) ذكره عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١٠٣ رقم ٤).

(٣) ذكره عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١٠٣ رقم ٦).

(٤) إبراهيم بن طهمان: أبو سعيد الهروي النيسابوري عالم خراسان ثقة تكلم فيه بالإرجاء، ويقال رجع عنه. مات سنة (١٦٣ هـ) وقيل غير ذلك [التقريب: ١/ ٣٦].
وانظر: ترجمته في: «سير أعلام النبلاء» (٧/ ٣٧٨) و«تذكرة الحفاظ» (١/ ٢١٣) و«الميزان» (١/ ٣٨).

(٥) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١٠٣ - ١٠٤ رقم ٧) ورجاله ثقات إلا حماد بن قيراط فعامة ما يرويه فيه نظر.

(٦) هو سليمان بن طَرخان التيمي، أبو المعتمر البصري، نزل في التَّيْم، فنسب إليهم، ثقة عابد، مات سنة ثلاث وأربعين، وهو ابن سبع وتسعين. [التقريب: ١/ ٣٢٦].
وانظر ترجمته في: «سير أعلام النبلاء» (٦/ ١٩٥) و«تذكرة الحفاظ» (١/ ١٥٠).

(٧) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١٠٤ - ١٠٥ رقم ٨) **بسند حسن**.

(٨) سلام بن مطيع: أبو سعيد الخزاعي البصري، روى عنه زهير بن نعيم البابي، ثقة صاحب سنة مات سنة (١٦٤هـ) وقيل غير ذلك. [التقريب: ١/ ٣٢٤].
وانظر ترجمته في: «طبقات خليفة بن خياط» (ص٢٢٣) و«تهذيب التهذيب» (٤/ ٢٥٢ - ٢٥٣ رقم ٥٠٥).

(٩) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١٠٥ رقم ٩) والدارمي في «الرد على=

وقال خارجةُ[1]: (الجهميةُ كفارٌ بلِّغوا نساءَهم أنهن طوالقُ وأنهن لا يَحلِلنَ لأزواجهن، لا تعودوا مرضاهم ولا تشهدوا جنائزهم. ثم تلا: ﴿طه ① مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ② إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ③﴾ إلى قوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ⑤﴾ [طه][2].

وقال مالكٌ رحمه الله: (من قال: القرآنُ مخلوقٌ يوجَع ضرباً ويُحبَس حتى يتوب)[3]. وقال سفيان الثوريُّ رحمه الله: (من زعم أن قولَ الله: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [النمل: ٩] مخلوقٌ فهو كافرٌ زنديقٌ حلالُ الدم)[4].

وقال أيضاً: (من قال إن: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ① ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ②﴾ [الإخلاص]. مخلوقٌ فهو كافرٌ)[5].

وقال أبو يوسف القاضي[6]: صنفان ما على وجه الأرضِ شرٌّ منهما: الجهميةُ والمُقاتِلية)[7].

= الجهمية» (ص١١١) وأبو داود في «مسائل أحمد» (ص٢٦٨)، اللالكائي رقم (٥١٧) بسند رجاله ثقات.

(١) خارجة: هو ابن مصعب بن خارجة الضبعي الخراساني السرخسي روى عنه سعيد بن صخر الدارمي، متروك. وكان يدلس عن الكذابين وكذبه ابن معين.
مات سنة (١٦٨هـ) [التقريب: ١/ ٢١٠].
انظر ترجمته في: «التاريخ» لابن معين (٢/ ١٤٢) و«الميزان» (١/ ٦٢٥).

(٢) أخرج الأثر عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١٠٥ ـ ١٠٦ رقم ١٠) وهو أثر ضعيف سنداً ومتناً.

(٣) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١٠٦ ـ ١٠٧ رقم ١١) بسند رجاله ثقات.

(٤) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١٠٧ رقم ١٢) في سنده مجهول وهو الشيخ البصري.
* وقد ثبت عن سفيان الثوري رحمه الله تكفير من قال بخلق القرآن كما ذكر ذلك اللالكائي في «شرح أصول السنة» (١/ ١٤٩، ٢٤٣) والذهبي في «العلو». انظر: مختصره (ص١٣٩).

(٥) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١٠٧ ـ ١٠٨) رقم (١٣) بسند حسن.

(٦) هو يعقوب بن إبراهيم القاضي. قال فيه البخاري: تركوه، وقال عمرو الناقد كان صاحب سنة. وقال أبو حاتم: يكتب حديثه.
وعن ابن معين: ليس في أصحاب الرأي أكثر حديثاً ولا أثبت من أبي يوسف.
وقال ابن عدي: إذا روى عنه ثقة وروى هو عن ثقة فلا بأس به. [الميزان: (٤/ ٤٤٧)].
أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١٠٨ رقم ١٤) بسند حسن.

(٧) أي مقاتل بن سليمان البلخي.

قلت: وأظنه يعني بالمقاتلية أتباع مقاتلِ بنِ سليمانَ البلْخي، فإنه رماه الإمامُ أبو حنيفةَ بالتشبيه، فإنه قال: أفرط جهمٌ في نفي التشبيه حتى قال إنه تعالى ليس بشيء، وأفرط مقاتلٌ في معنى الإثباتِ حتى جعله مثلَ خلقه، وتابع أبا حنيفةَ على ذلك جماعةٌ من أئمة الجرحِ والتعديل من أقرانه كأبي يوسفَ وغيرِه فمن بعدهم، حتى قال ابنُ حبان: كان[1] يأخذ من اليهود والنصارى من علم القرآنِ الذي يوافق كتبَهم، وكان يشبّه الربَّ بمخلوق، وكذبه وكيعٌ وغيرُه والله أعلم بحاله، قال وكيع: مات مقاتلُ بنُ سليمان سنة خمسين ومائة[2] اهـ.

وقال عبد الله بنُ المبارك: (الجهميةُ كفارٌ)[3]. وقال: (ليس تعبُد الجهميةُ شيئاً). وقال: (من قال القرآنُ مخلوقٌ فهو زنديقٌ[4])[5].

وقال: (إنا نستجيز أن نحكيَ كلامَ اليهودِ والنصارى ولا نستجيز أن نحكيَ كلامَ الجهمية)[6].

وقال سفيانُ بنُ عيينةَ: (القرآنُ كلامُ الله، من قال مخلوقٌ فهو كافر، ومن شك في كفره فهو كافرٌ)[7].

وقال: (من قال القرآنُ مخلوقٌ يحتاج أن يُصلبَ على ذُباب، يعني جبل)[8].

---

(١) انظر: «المجروحين» (٣/ ١٤) و«الميزان» (٤/ ١٧٣) و«التقريب» (٢/ ٢٧٢).

(٢) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١٠٩ رقم ١٥).

(٣) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١٠٩ رقم ١٧).

(٤) الزنديق: أصله فارسي معرب، والمشهور على ألسنة الناس أن الزنديق هو الذي لا يتمسك بشريعة، ويقول بدوام الدهر، والعرب تعبر عن هذا بقولهم: ملحد أي طاعن في الأديان.
وفي تهذيب اللغة: وزندقة الزنديق: أنه لا يؤمن بالآخرة ولا بوحدانية الخالق.
انظر: «لسان العرب» مادة زندق (١٠/ ١٤٧) المصباح المنير (١/ ٣٠٤) مادة الزاي مع النون وما يثلثهما.

(٥) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١١١ رقم ٢١).

(٦) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١١١ رقم ٢٣) والدارمي في «الرد على الجهمية» (ص٩) والبخاري في «خلق أفعال العباد» (ص١٠ رقم١١) بسند صحيح.

(٧) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١١٢ رقم ٢٥) بسند حسن.

(٨) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١١٢ رقم ٢٦).

وقال عبدُ الله بن إدريسَ[1] رحمه الله وقد سئل: (ما تقول في الجهمية يُصلى خلفَهم؟ فقال: أمسلمون هؤلاء، أمسلمون هؤلاء؟ لا ولا كرامة، لا يُصلّى خلفَهم)[2].

وقال له رجل: (يا أبا محمد إن قبْلنا ناساً يقولون القرآنُ مخلوقٌ، فقال مِن اليهود؟ قال: لا، قال: فمِن النصارى؟ قال: لا، قال: فمِن المجوس؟ قال: لا، قال: فمن؟ قال من الموحدين، قال: كذبوا ليس هؤلاء بموحّدين هؤلاء زنادقةٌ، هؤلاء زنادقةٌ)[3].

وقرأ ابن إدريس: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾. فقال: اللّهُ مخلوقٌ؟ والرحمنُ مخلوقٌ؟ والرحيمُ مخلوقٌ؟ هؤلاء زنادقة)[4].

(وسئل عن قوم يقولونَ القرآنُ مخلوقٌ، فاستشنع ذلك وقال: سبحان الله، شيءٌ منه مخلوقٌ؟)[5].

وقال وكيع: (فإني أستتيبه، فإن تاب وإلا قتلتُه)[6]. وقال: (من زعم أن القرآنَ مخلوقٌ فقد زعم أنه مُحدثٌ، ومن زعم أنه مُحدثٌ فقد كفر)[7].

---

(١) هو الإمام القدوة أبو محمد الأودي الكوفي أحد الأعلام، حدَّث عنه مالك وابن المبارك وخلائق.
قال فيه أحمد بن حنبل: كان ابن إدريس نسيج وحده.
وقال أبو حاتم: هو إمام من أئمة المسلمين حجة. وقيل لم يكن بالكوفة أحد أعبد منه.
وقال النسائي: ثقة ثبت.
وقال ابن حبان في «الثقات»: كان صلباً في السنَّة، ولد سنة (١١٠هـ) وتوفي سنة (١٩٢هـ).
انظر: «الجرح والتعديل» (٥/٨) و«تاريخ بغداد» (٩/ ٤١٥) و«تذكرة الحفاظ» (١/ ٢٨٢).

(٢) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١١٣ رقم ٢٧) **بسند رجاله ثقات.**

(٣) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١١٣ ـ ١١٤ رقم ٢٩ أ) **بسند رجاله ثقات.**

(٤) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١١٤ رقم ٢٩ ب) والآجري في «الشريعة» (ص٧٨) **بسند فيه مجهول.**

(٥) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١١٤ رقم ٣٠) **بسند حسن.**

(٦) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١١٤ ـ ١١٥ رقم ٣١) **بسند حسن.**

(٧) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١١٥ رقم ٣٢) **بسند صحيح.** =

(وقيل له: إن فلاناً يقول: إن القرآن محدثٌ، فقال سبحانَ الله، هذا الكفرُ.
قال السويدي: وسألتُ وكيعاً عن الصلاة خلفَ الجهمية، فقال: لا تصلّ خلفهم)[1].

وقال: (من زعم أن القرآنَ مخلوقٌ فقد زعم أنه مُحدثٌ، يستتاب فإن تاب وإلا ضُربت عنقه)[2].

(وقال ابن زهيرُ ابن حربٍ: اختصمتُ أنا ومُثنى، فقال المثنى: القرآنُ مخلوقٌ، وقلتُ أنا: كلامُ الله؛ فقال وكيع وأنا أسمع: هذا كفرٌ، وقال: من قال: القرآنُ مخلوقٌ هذا كفرٌ. فقال مثنى: يا أبا سفيانَ، قال الله: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ [الأنبياء: ٢]. فأيش هذا؟ فقال وكيع: من قال القرآنُ مخلوقٌ هذا كفر)[3].

وقال: (من قال القرآنُ مخلوقٌ فهو كافر)[4]. وقال رحمه الله: (القرآنُ كلامُ الله أنزله جبريلُ على محمدٍ ﷺ، كلُ صاحبِ هوىً يعرِف اللّهَ ويعرف من يعبُد، إلا الجهميةَ لا يدرون مَن يعبدون، بشرٌ المريسي وأصحابُه)[5].

(وقيل لوكيع في ذبائح الجهمية، قال: لا تؤكل، هم مرتدون)[6].

وقال: (من قال إن كلامَه ليس منه فقد كفر. وقال: من قال إن شيئاً مخلوقاً فقد كفر)[7].

= وأخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» (ص٢٤٩) من طريق آخر واللالكائي في «أصول السنة» رقم (٤٣٤) من طريق آخر.
وورد تكفير وكيع للجهمية في «خلق أفعال العباد» للبخاري (ص١٥).

(١) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١١٥ رقم ٣٣) **بسند صحيح**.

(٢) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١١٥ رقم ٣٤).
وأخرجه اللالكائي رقم (٥٠٦) من طريق آخر.

(٣) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١١٦ رقم ٣٥). وزهير بن حرب أبو خيثمة: ثقة ثبت روى عن وكيع ومات سنة (٢٣٤هـ). [التقريب: ١/ ٢٦٤].

(٤) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١١٦ رقم ٣٦) **في إسناده مجهول**.
وأخرجه اللالكائي برقم (٤٣٣) من طريق عبد الله بن محمد البغوي عن وهب بن بقية الواسطي قال: سمعت وكيعاً.

(٥) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١١٦ رقم ٣٧).

(٦) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١١٧ رقم ٣٨).

(٧) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١١٧ رقم ٣٩).

وقال فِطرُ بنُ حماد: (سألتُ معتمرَ بنَ سليمانَ فقلت: يا أبا محمد، إمامٌ لقوم يقول القرآنُ مخلوقٌ أصلّي خلفه؟ فقال: ينبغي أن تضرب عُنقَه.

قال فطر: وسألت حمادَ بنَ زيدٍ فقلت: يا أبا إسماعيلَ، إمامٌ لنا يقول القرآنُ مخلوقٌ أصلي خلفه؟ فقال: صلِّ خلف مسلمٍ أحبُّ إليّ.

وسألتُ يزيدَ بنَ زريعٍ فقلت: يا أبا معاويةَ، إمامٌ لقومٍ يقول القرآنُ مخلوقٌ أصلي خلفه؟ قال: لا ولا كَرامة)[1].

وقال عبدُ الرحمن بنُ مهدي: (من زعم أن اللّهَ لم يكلم موسى يستتاب، فإن تاب وإلا ضُربت عنقُه)[2].

وقال مرة: (لا أرى أن أستتيبَ الجهميةَ)[3]. وقال رحمه الله: (لو كان لي من الأمر شيءٌ لقُمتُ على الجسر فلا يمر بي أحدٌ من الجهمية إلا سألتُه عن القرآن، فإن قال مخلوقٌ ضربتُ رأسَه ورميتُ به في الماء)[4].

وقال أبو بكر بنُ الأسودِ: (لو أن رجلاً جهمياً مات وأنا وارثُه ما استحللتُ أن آخُذَ من ميراثه)[5].

وقال أبو يوسفَ القاضي: (جيئوني بشاهدين يشهدان على المريسي، واللّهِ لأملأنّ ظهرَه وبطنَه بالسياط، يقول في القرآن، يعني مخلوقٌ)[6].

---

(١) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١١٨ رقم ٤٢).

(٢) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١١٩ ـ ١٢٠ رقم ٤٤) **بسند صحيح**.
وأخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» (ص ٢٤٩) واللالكائي رقم (٥٠٥) وأبو داود في «مسائل أحمد» (ص١٠٤).

(٣) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ٢١٠ رقم ٤٥).

(٤) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١٢٠ رقم ٤٦) **بسند رجاله ثقات**.
وأخرجه أبو داود في مسائله (ص١٠٨)، والآجري في «الشريعة» (ص٨٠) واللالكائي رقم (٥٠٤).

(٥) أخرجه اللالكائي رقم (٥١٣) وعبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١٢١ رقم ٤٧) **بسند صحيح**.
قلت: والقول لعبد الرحمٰن بن مهدي وليس لأبي بكر بن الأسود كما في «السنة».

(٦) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١٢٢ ـ ١٢٣ رقم ٥٣) **بسند حسن**.

وقال يزيدُ بنُ هارونَ[١] وذكر الجهميةَ فقال: (هم واللَّهِ زنادقةٌ، عليهم لعنةُ الله)[٢].

وقال رحمه الله: (واللَّهِ الذي لا إله إلا هو عالمُ الغيبِ والشهادةِ، من قال القرآنُ مخلوقٌ فهو زنديقٌ)[٣]. (وسُئل عن الصلاةِ خلفهم قال: لا)[٤]. وقال معاذ بن معاذ: (من قال القرآنُ مخلوقٌ فهو كافرٌ)[٥].

وقال شبابةُ بنُ سوارٍ[٦]: (اجتمع رأيي ورأي أبي النضرِ هاشمِ بن القاسمِ[٧] وجماعةٍ من الفقهاء على أن المريسيَّ كافرٌ جاحد نرى أن يُستتاب، فإن تاب وإلا ضربت عنقُه)[٨].

---

(١) يزيد بن هارون: شيخ الإسلام، الإمام القدوة أبو خالد السلمي الواسطي الحافظ.
ولد سنة (١١٨هـ) سمع من عاصم الأحول، وسليمان التيمي، وبهز بن حكيم، وغيرهم.
قال ابن المديني: ما رأيت أحفظ من يزيد بن هارون.
وقال أحمد: كان يزيد حافظاً متقناً.
وقال أبو حاتم: يزيد ثقة إمام لا يسأل عن مثله. مات سنة (٢٠٦هـ).
انظر: «سير أعلام النبلاء» (٩/ ٣٥٨).

(٢) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١٢١ ـ ١٢٢ رقم ٤٩) **بسند رجاله ثقات**.
وأخرجه الآجري في «الشريعة» (ص ٨٠) من طريق عمر بن أيوب عن الحسن بن الصباح.

(٣) أخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» (ص٢٥٠) وعبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١٢٢ رقم ٥٠) **بسند حسن**.

(٤) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١٢٣ رقم ٥٥) **بسند حسن**.

(٥) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١٢٣ رقم ٥٦) **بسند حسن**.

(٦) شبابة بن سوار: المدائني. ثقة حافظ. رمي بالإرجاء، قال أبو زرعة: رجع شبابة عن الإرجاء.
مات سنة (٢٠٦هـ) [التقريب: (١/ ٣٤٥)].
وانظر ترجمته في: «الجرح والتعديل» (٤/ ٣٩٢) و«تاريخ بغداد» (٩/ ٢٩٥) و«سير أعلام النبلاء» (٩/ ٥١٣).

(٧) هاشم بن القاسم الليثي، أبو النضر البغدادي. مشهور بكنيته: ثقة ثبت.
مات سنة (٢٠٧هـ). [التقريب: (٢/ ٣١٤)].
وانظر ترجمته في: «الجرح والتعديل» (٩/ ١٠٥) و«تاريخ بغداد» (١٤/ ٦٥).

(٨) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١٢٤ رقم ٥٧) **بسند صحيح**.

وكان أبو تُوبةَ الحلبيُّ[1]، ونُعيم بنُ حماد[2]، وإبراهيمُ بنُ مَهديٍّ[3]: يكفِّرون الجهمية.

وقال بشرُ بنُ الحارث: (لا تجالسوهم ولا تكلموهم، وإن مرِضوا فلا تعودوهم، وإن ماتوا فلا تشهدوهم، كيف يرجِعون وأنتم تفعلون بهم هذا؟ قال: يعني الجهمية)[4].

وقال ابنُ أبي مريم[5]: (من زعم أن القرآن مخلوقٌ فهو كافر)[6]. وقال أبو الأسود النضرُ بنُ عبد الجبار[7]: (القرآنُ كلامُ الله، من زعم أنه مخلوقٌ فهو كافرٌ. هذا كلامُ الزنادقة)[8].

وقال عبادُ بنُ العوام[9]: (كلّمتُ بشراً المريسيَّ وأصحابَه فرأيتُ آخِرَ كلامِهم ينتهي أن يقولوا: ليس في السماء شيءٌ)[10].

---

(١) أبو توبة الحلبي: هو الربيع بن نافع، نزيل طرسوس. ثقة حجة عابد. مات سنة (٢٤١هـ). [التقريب: (١/ ٢٤٦)].
* وأخرج أثر أبي توبة عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١٢٥ رقم ٥٩).

(٢) نعيم بن حماد بن الحارث بن همام بن سلمة بن مالك الخزاعي، أبو عبد الله المروزي صدوق يخطئ كثيراً. فقيه عارف بالفرائض. مات سنة (٢٢٨هـ). [التقريب: (٢/ ٣٠٥)].
* وأخرج أثر أبي نعيم بن حماد. عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١٢٥ رقم ٦٠أ).

(٣) إبراهيم بن مهدي المصيصي بغدادي صاحب حديث، مرابط وثقة أبو حاتم. مات سنة (٢٢٥هـ). انظر ترجمته في: «سير أعلام النبلاء» (١٠/ ٥٥٦).
* وأخرج أثر إبراهيم، عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١٢٥ رقم ٦٠ب) بسند حسن.

(٤) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١٢٥ ـ ١٢٦ رقم ٦١).

(٥) ابن أبي مريم: هو سعيد بن الحكم بن محمد بن سالم المعروف بابن أبي مريم الجمحي بالولاء المصري، ثقة ثبت. روى عنه محمد بن سهل بن عسكر وغيره.
مات سنة (٢٢٤هـ). [التقريب: (١/ ٢٩٣)].
وانظر ترجمته في: «الجرح والتعديل» (٤/ ١٣) و«تهذيب الكمال» (١/ ٤٨٣).

(٦) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١٢٦ رقم ٦٢) **بسند رجاله ثقات.**

(٧) النضر بن عبد الجبار بن نصير المرادي أبو الأسود المصري. مشهور بكنيته. ثقة. مات سنة (٢١٩هـ). [التقريب: (٢/ ٣٠٢)].
وانظر ترجمته في: «الجرح والتعديل» (٨/ ٤٨) و«سير أعلام النبلاء» (١٠/ ٥٦٧).

(٨) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١٢٦ رقم ٦٤) **بسند صحيح.**

(٩) عباد بن العوام بن عمر الكلابي، أبو سهل الواسطي. ثقة. مات سنة (١٨٥هـ). [التقريب: (١/ ٣٩٣)].
وانظر ترجمته في: «تاريخ بغداد» (١١/ ١٠٤) و«سير أعلام النبلاء» (٨/ ٥١١).

(١٠) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١٢٦ ـ ١٢٧ رقم ٦٥) **بسند ضعيف.**

وقال عمرُو بنُ الربيع بنِ طارقٍ[1]: (القرآنُ كلامُ الله من زعم أنه مخلوقٌ فهو كافر)[2].

وقال هارونُ أميرُ المؤمنين: (بلغني أن بشر المريسيَّ يزعُم أن القرآن مخلوقٌ، لله عليَّ إن أظفرني اللَّهُ به إلا قتلته قِتلةً ما قتلتُها أحداً قط)[3].

وقال هارونُ بنُ معروف[4]: (من قال القرآنُ مخلوقٌ فهو يعبُد صنماً)[5].

وقال يحيى بنُ معينٍ رحمه الله: (من قال القرآنُ مخلوقٌ فهو كافر)[6].

وقال رجلٌ لِهُشيم[7]: (إن فلاناً يقول: القرآنُ مخلوقٌ. فقال: اذهب إليه فاقرأ عليه أولَ الحديد وآخِرَ الحشر، فإن زعم أنهما مخلوقانِ فاضرب عنقه. وقال أبو هاشم الغسانيُّ مثلَه)[8].

وقال أبو عُبيد[9]: (من قال القرآنُ مخلوقٌ فقد افترى على الله وقال عليه ما لم تقُله اليهودُ والنصارى)[10].

---

(١) عمرو بن الربيع بن طارق الكوفي. نزيل مصر. ثقة. روى عنه محمد بن عسكر. مات سنة (٢١٩هـ). [التقريب: (٢/ ٧٠)].

(٢) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١٢٦ رقم ٦٣) **بسند صحيح**.

(٣) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١٢٧ رقم ٦٦) **بسند صحيح**.

(٤) هارون بن معروف المروزي أبو علي الخزاز الضرير. ثقة. روى عنه هارون الحمال، وعبد الله بن أحمد. مات سنة (٢٣١هـ) [التقريب: (٢/ ٣١٣)].

(٥) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١٢٧ رقم ٦٧) **بسند صحيح**.

(٦) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١٢٨ رقم ٦٨) **بسند حسن**.

(٧) هشيم: بالتصغير ابن بشير السلمي، أبو معاوية بن أبي خازم الواسطي.
ثقة ثبت كثير التدليس والإرسال الخفي. مات سنة (١٨٣هـ). [التقريب: (٢/ ٣٢٠)].
وانظر ترجمته في: «سير أعلام النبلاء» (٨/ ٢٨٧) و«تاريخ بغداد» (١٤/ ٨٥) و«الجرح والتعديل» (٩/ ١١٥).

(٨) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١٢٨ رقم ٦٩).
وعزاه الذهبي إلى أبي حاتم الرازي من طريق محمد بن يحيى بن أبي سمينة. وقال الألباني: **إسناده جيد**. انظر: «مختصر العلو» (١٥٣).

(٩) أبو عبيد: القاسم بن سلام الإمام المشهور. ثقة فاضل. روى عنه الصاغاني. مات سنة (٢٢٤هـ). [التقريب: (٢/ ١١٧)].

(١٠) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١٢٩ رقم ٧١) **بسند صحيح**.
وأخرجه الآجري في «الشريعة» (ص٨٢).

وقال إسحاقُ بنُ البهلولِ[1] لأنسِ بنِ عياض أبي ضَمْرةَ[2]: (أصلّي خلف الجهمية؟ قال: لا، ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥][3].

وسُئِل عيسى بنُ يونسَ[4] رحمه الله عمن يقول: القرآنُ مخلوقٌ، فقال: كافر، أو كفرٌ. فقيل له: تُكفّرهم في هذه الكلمة؟ قال: إن هذا من أيسرِ أو أحسنِ ما يُظهرون[5].

(وكان يحيى بنُ معينٍ رحمه الله يعيد صلاةَ الجمعةِ مذ أظهر عبدُ الله بنُ هارون المأمونُ ما أظهر. يعني القولَ بخلق القرآن)[6].

وقال الحسينُ بنُ إبراهيمَ بنِ إشْكابَ[7]، وعاصمُ بنُ عليٍّ بنِ عاصمٍ[8]، وهارونُ الفروي[9]، ....

---

(١) إسحاق بن بهلول بن حسان الأنباري. صدوق. مات سنة (٢٥٢هـ).
انظر ترجمته في: «الجرح والتعديل» (٢/ ٢١٤) و«تاريخ بغداد» (٦/ ٣٦٦) و«سير أعلام النبلاء» (١٢/ ٤٨٩).

(٢) أنس بن عياض بن ضمرة الليثي أبو حمزة المدني. ثقة. حدث عنه إسحاق بن بهلول. مات سنة (٢٠٠هـ). [التقريب: ١/ ٨٤]. و«تذكرة الحفاظ (١/ ٣٢٣).

(٣) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١٢٩ رقم ٧٢) **بسند حسن.**

(٤) عيسى بن يونس بن إسحاق السبيعي. ثقة. مأمون. مات سنة (١٨٧هـ).
«التقريب»: (٢/ ١٠٣) و«تهذيب الكمال» (٢/ ١٠٨٦).

(٥) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١٣٠ رقم ٧٤).

(٦) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١٣٠ رقم ٧٦) **بسند رجاله ثقات.**

(٧) الحسن بن إبراهيم بن إشكاب. ثقة. روى عنه ابن محمد. مات سنة (٢١٦هـ). [التقريب: (١/ ١٧٣)].
* والأثر أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١٣٢ رقم ٨١) **بسند حسن.**

(٨) عاصم بن علي بن عاصم بن صهيب الواسطي أبو الحسن صدوق ربما وهم. مات سنة (٢٢١هـ). [التقريب: (١/ ٣٨٤)].
وانظر ترجمته في: «الجرح والتعديل» (٦/ ٣٤٨) و«تاريخ بغداد» (١٢/ ٢٤٧) و«سير أعلام النبلاء» (٩/ ٢٦٢) و«تذكرة الحفاظ» (١/ ٣٩٧).
* والأثر أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١٣٢ ـ ١٣٣ رقم ٨٢أ).
وهو أثر حسن لغيره.

(٩) هارون الفروي بن موسى المدني، لا بأس به. مات سنة (٢٥٣هـ). [التقريب: (٢/ ٣١٣)].
وانظر ترجمته في: «تهذيب الكمال» (٣٠/ ١١٣).
* والأثر أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١٣٣ رقم ٨٢ب). **بسند حسن.**

وعبد الوهاب الورّاقُ[1]، وسفيانُ بنُ وكيعٍ[2]: (القرآنُ كلامُ اللّهِ وليس بمخلوق).

وسُئل جعفرُ بنُ محمد رحمه الله عن القرآن فقال: (ليس بخالق ولا مخلوق، ولكنه كلامُ الله)[3].

وروى عن أبيه عليٍّ بنِ الحسين: (أنه قال في القرآن: ليس بخالق ولا مخلوق. ولكنه كلامُ الله)[4]. وقال الزهري: (سألتُ عليَّ بنَ الحسينِ عن القرآن فقال: كتابُ اللّهِ وكلامُه)[5].

وعن إبراهيمَ بنِ سعدٍ[6]، وسعيدِ بنِ عبد الرحمن الجُمحيِّ[7]، ووهبِ بنِ جريرٍ[8]، وأبي النضر هاشمِ بنِ القاسمِ[9]، ....

---

(١) عبد الوهاب بن الحكم الوراق: أبو الحسن. ثقة. مات سنة (٢٥١هـ). [التقريب: (١/ ٥٢٨)]. وانظر ترجمته في: «تاريخ بغداد» (١١/ ٢٥).
* والأثر أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١٣٣ رقم ٨٣) **بسند رجاله ثقات.**

(٢) سفيان بن وكيع بن الجراح، أبو محمد الكوفي، صدوق إلا أنه ابتلي بورّاقه فأدخل عليه ما ليس من حديثه، فنصح فلم يقبل فسقط حديثه. مات سنة (٢٤٧هـ). [التقريب: (١/ ٣١٢)]. انظر ترجمته في: «الميزان» (٢/ ١٧٣).
* والأثر أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١٣٣ رقم ٨٤أ) **بسند ضعيف.**

(٣) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١٥٢ رقم ١٣٤) **بسند حسن.**
وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: وقد استفاض هذا القول عن جعفر بن محمد.
انظر: «منهاج السنة النبوية» (٢/ ١٨١) تحقيق رشاد سالم. و«مختصر العلو» (ص١٤٨).

(٤) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١٥٢ ـ ١٥٣ رقم ١٣٥) واللالكائي رقم (٣٨٨).

(٥) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١٥٣ رقم ١٣٦) واللالكائي رقم (٣٨٩).

(٦) إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمٰن بن عوف الزهري. أبو إسحاق. ثقة. حجة. تكلم فيه بلا قادح. روى عنه الإمام أحمد.
مات سنة (١٨٥هـ). [التقريب: (١/ ٣٥)].
انظر ترجمته: في «الجرح والتعديل» (٢/ ١٠١) و«الميزان» (١/ ٣٣).

(٧) سعيد بن عبد الرحمٰن الجمحي، قاضي بغداد. صدوق له أوهام. مات سنة (١٧٦هـ). [التقريب: (١/ ٣٠٠)].
وانظر ترجمته في: «تهذيب الكمال»: (١/ ٤٩٦).

(٨) وهب بن جرير بن حازم الأزدي البصري. ثقة. روى عنه أحمد بن حنبل وغيره. مات سنة (٢٠٦هـ). [التقريب: (٢/ ٣٣٩)].
وانظر ترجمته في: «الجرح والتعديل»: (٩/ ٢٨) و«سير أعلام النبلاء» (٩/ ٤٤٢).

(٩) تقدم التعريف به قريباً.

وسليمان بنِ حربٍ[1] قالوا: (القرآنُ كلامُ الله ليس بمخلوق)[2].

وقال سفيانُ بنُ عُيينةَ: (لا نُحسن غير هذا، القرآنُ كلامُ الله: ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]، ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾)[3] [الفتح: ١٥].

وقال الإمامُ مالكُ بنُ أنسٍ وجماعةٌ من العلماء بالمدينة وذكروا القرآن فقالوا: (كلامُ الله وهو منه، وليس من الله شيءٌ مخلوقٌ)[4].

وقال حماد بنُ زيدٍ رحمه الله: (القرآنُ كلامُ الله أنزله جبريلُ من عند رب العالمين)[5].

وقال أبو بكرٍ بنُ عياشٍ: (من زعم أن القرآنَ مخلوقٌ فقد افترى على الله)[6].
وقال وكيع: (القرآنُ من الله، منه خرج وإليه يعود)[7].

وقال يحيى بنُ سعيدٍ: (كيف يصنعون بقل هو الله أحدٌ)، كيف يصنعون بهذه الآية: ﴿إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾ [القصص: ٣٠]، يكون مخلوقاً[8].

وقال وهبُ بنُ جريرٍ[9]، ومحمدُ بنُ يزيدَ الواسطيُّ[10] وابنُ أبي

---

(١) سليمان بن حرب بن بجيل الأزدي. ثقة إمام حافظ. روى عن حماد بن يزيد. مات سنة (٢٢٤هـ). [التقريب: (١/ ٣٢٢)].
وانظر ترجمته في: «سير أعلام النبلاء» (١٠/ ٣٣٠).
(٢) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١٥٤ رقم ١٣٨).
(٣) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١٥٥ رقم ١٤١) **بسند رجاله ثقات.**
(٤) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/١٥٦ رقم ١٤٥) **بسند رجاله ثقات إلا** أحمد بن محمد العمري فلم أعرفه. قاله الألباني في «مختصر العلو» (ص١٤٢).
(٥) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/١٥٦ رقم ١٤٦) **بسند فيه مجهول.**
(٦) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١٥٧ رقم ١٤٨).
(٧) أخرج عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١٥٨ رقم ١٥٣) بسند فيه مجهول.
(٨) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١٥٩ رقم ١٥٧) **بسند صحيح.**
(٩) تقدم التعريف به قريباً.
* والأثر أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١٥٩ رقم ١٥٨).
(١٠) محمد بن يزيد الواسطي الكلاعي شامي الأصل. ثقة. عابد. مات سنة (١٩٠هـ) أو قبلها [التقريب: «٢/ ٢١٩»].
* والأثر أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١٥٩ رقم ١٦٠) **بسند فيه مجهول.**

إدريسَ[1]، وأبو بكر بنُ أبي شيبةَ[2]، وأخوه عثمانُ بنُ أبي شيبةَ[3]، وأبو عمرُو الشيبانيُّ[4] ويحيى بنُ أيوبَ[5]، وأبو الوليدَ[6]، وحجّاجٌ الأنماطيُّ[7]، ويحيى بنُ معينٍ، وأبو خيثمةَ[8]، وإسحاقُ ابنُ أبي إسرائيلَ[9]، وأبو معمرٍ[10]: (القرآنُ كلامُ الله ليس بمخلوق).

---

(١) أخرج أثره عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١٦٠ رقم ١٦١) **بسند صحيح**.

(٢) أخرج أثره عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١٦٠ رقم ١٦٢).

(٣) عثمان بن أبي شيبة: هو عثمان بن محمد بن إبراهيم بن عثمان العبسي أبو الحسن بن أبي شيبة الكوفي. ثقة. حافظ شهير. روى عن جرير بن عبد الحميد، وعنه عبد الله بن أحمد. مات سنة (٢٣٩هـ). [التقريب: (٢/ ١٣)].
وانظر ترجمته في: «الجرح والتعديل» (٦/ ١٦٦) و«تاريخ بغداد» (١١/ ٢٨٣) و«سير أعلام النبلاء» (١١/ ١٥١) و«تذكرة الحفاظ» (٢/ ٤٤٤) و«شذرات الذهب» (٢/ ٩٢).
* والأثر أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١٦٠ رقم ١٦٣).

(٤) أبو عمرو الشيباني النحوي الكوفي. نزيل بغداد اسمه: إسحاق بن مرار. صدوق. مات سنة (٢٠٦هـ). [التقريب: (٢/ ٤٥٥)].

(٥) يحيى بن أيوب أبو زكريا المَقَابري - بفتح الميم والقاف ثم موحدة مكسورة - البغدادي العابد. ثقة. روى عنه الصاغاني، وعبد الله بن أحمد. مات سنة (٢٣٤هـ). [التقريب: (٢/ ٣٤٣)].
وانظر ترجمته في: «سير أعلام النبلاء» (١١/ ٣٨٦) و«تهذيب الكمال» (٣/ ١٤٩).
* والأثر أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١٦١ رقم ١٦٦) **بسند رجاله ثقات**.

(٦) أخرج أثره عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١٦١ رقم ١٧٠).

(٧) حجاج بن المنهال الأنماطي السلمي. وثقه أحمد وأبو حاتم والعجلي والنسائي وغيرهم. مات سنة (٢١٧هـ). وكان صاحب سنة (تهذيب التهذيب): (٢/ ١٨٢).
* والأثر أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١٦٢ رقم ١٧١).

(٨) أثر يحيى بن معين، وأبي خيثمة أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١٦٢ رقم ١٧٣) **بسند رجاله ثقات**.

(٩) إسحاق بن أبي إسرائيل: أبو يعقوب المروزي: صدوق تكلم فيه لوقفه في القرآن. مات سنة (٢٤٥هـ). [التقريب: (١/ ٥٥)].
وانظر ترجمته في: «الميزان» (١/ ١٨٢) و«سير أعلام النبلاء» (١١/ ٤٧٦).
* والأثر أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١٦٢ رقم ١٧٤) **بسند صحيح**.
قلت: وترجمته تخالف ما أورده عبد الله ابن الإمام أحمد، فلعل هذه الرواية كانت في آخر أيام إسحاق بن أبي إسرائيل، والله أعلم.

(١٠) أبو معمر: اسمه إسماعيل بن إبراهيم بن معمر الهلالي. ثقة مأمون. روى عن أبي سفيان =

(وقال أبو عمْرٍو الشيباني لإسماعيلَ بنِ حماد بنِ أبي حنيفةَ ـ وقال القرآنُ مخلوقٌ ـ فقال الشيباني: خلقه قبل أن يتكلمَ به أو بعد ما تكلم به؟ قال: فسكت)[1].

وقال حسنُ بنُ موسى الأشيبُ[2]: (أعوذ بالله السميعِ العليم من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]. فقال حسنٌ: مخلوقٌ هذا؟)[3].

وقال محمدُ بنُ سليمان لُوَينٌ[4]: (القرآنُ كلامُ الله غيرُ مخلوق، ما رأيتُ أحداً يقول القرآنُ مخلوقٌ، أعوذ بالله)[5] اهـ. من كتاب السنة[6].

وقال الشافعي رحمه الله تعالى في وصيته: (القرآنُ كلامُ الله غيرُ مخلوق)[7].
وقال عفانُ بنُ مسلم: (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ﴾ [الفتح: ١٥]. ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥، آل عمران: ٢].

= المعمري، وعنه عبد الله بن أحمد. مات سنة (٢٣٦ هـ). [التقريب: (١/ ٦٥).
انظر ترجمته في: «الجرح والتعديل» (٢/ ١٥٧) و«تاريخ بغداد» (٦/ ٢٦٦) و«تهذيب الكمال» (١/ ٩٥) و«سير أعلام النبلاء» (١١/ ٦٩).
* والأثر أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١٦٣ رقم ١٧٥) **بسند صحيح**.

(١) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١٦٠ رقم ١٦٥) **بسند فيه مجهول**.
(٢) حسن بن موسى الأشيب. أبو علي البغدادي. ثقة. روى عنه محمد بن إسحاق الصاغاني. مات سنة (٢٠٩هـ) وقيل (٢١٠هـ). [التقريب: (١/ ١٧١)].
وانظر ترجمته في: «تهذيب الكمال» (١/ ٢٨٠).
(٣) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١٦١ رقم ١٦٧) **بسند صحيح**.
(٤) محمد بن سليمان بن حبيب الأسدي الكوفي. لقبه: لوين بالتصغير. ثقة. روى عن ابن عيينة. وعنه عبد الله بن أحمد.
مات سنة (٢٤٥ هـ) وقيل غير ذلك. [التقريب: (٢/ ١٦٦)].
وانظر ترجمته في: «سير أعلام النبلاء» (١١/ ٥٠٠) و«تاريخ بغداد» (٥/ ٢٩٢) و«الجرح والتعديل» (٧/ ٢٦٨).
(٥) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» (١/ ١٦١ رقم ١٦٨) **بسند صحيح**.
(٦) الإمام أبي عبد الرحمٰن، عبد الله ابن إمام أهل السنة أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني. تحقيق ودراسة الدكتور محمد بن سعيد بن سالم القحطاني. ط: دار ابن القيم.
(٧) أخرجه الذهبي في «العلو» (ص ١٢٠) **بإسناده واه**.

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١]. أمخلوقٌ هذا؟، أدركتُ شعبةَ وحمادَ بنَ سلمةَ وأصحابَ الحسن يقولون: القرآنُ كلامُ الله ليس مخلوقاً)[١].

وقال يحيى بن يحيى[٢]: (من زعم أن من القرآنَ من أوله إلى آخره آيةٌ مخلوقةٌ فهو كافرٌ)[٣].

وقال هشام بنُ عبيد الله[٤]: (القرآنُ كلامُ الله غير مخلوق. فقال له رجل: أليس الله تعالى يقول: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ [الأنبياء: ٢].؟ فقال: مُحدثٌ إلينا، وليس عند الله بمُحْدث)[٥].

وقال إسحاقُ بنُ إبراهيمَ الحنظليُّ[٦] رحمه الله: (ليس بين أهل العلمِ اختلافٌ أن القرآنَ كلامُ الله ليس بمخلوق، فكيف يكون شيءٌ خرج من الرب عز وجل مخلوقاً)[٧].

وقال أبو جعفر النفيليُّ[٨]: (من قال إن القرآن مخلوقٌ فهو كافر، فقيل له يا أبا جعفرٍ الكفرُ كفران: كفرُ نعمةٍ وكفرٌ بالرب عز وجل؟ قال: بل كفرٌ بالرب عز

(١) أخرجه الذهبي في «العلو» (ص١٢٢). والخطيب في ترجمة عفان من «تاريخه» (١٢/ ٢٧٠ ـ ٢٧١) من طريق حنبل بن إسحاق عن عفان به. دون قوله: «أدركت شعبة... ليس مخلوقاً..» **وسنده قوي**. «مختصر العلو» (ص١٧٩).

(٢) يحيى بن يحيى النيسابوري عالم المشرق. كان إليه المنتهى في الإتقان والورع والجلالة بنيسابور، قلَّ أن ترى العيون مثله، حمل عن مالك وخارجة بن مصعب والكبار. ومات سنة (٢٢٦هـ). «العلو» (ص١٢٣).

(٣) أخرجه ابن منده كما في «العلو» (ص١٢٣).

(٤) هشام بن عبيد الله الرازي. عالم الري. كان من أئمة الفقه على مذهب أبي حنيفة، تفقه على محمد بن الحسن، كان ذا جلالة عجيبة وحرمة عظيمة ببلده. توفي سنة (٢٢١هـ). «العلو» (ص١٢٣).

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم كما في «العلو» (ص١٢٤).

(٦) كان إسحاق بن إبراهيم الحنظلي من كبار أئمة الاجتهاد ومن أعلام الحفاظ. توفي سنة (٢٣٣هـ) عن بضع وسبعين سنة. ولم يخلف بخراسان مثله. «العلو» (ص١٣٢).

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم كما في «العلو» (ص١٣٢). **بإسناد صحيح**.

(٨) أبو جعفر النفيليّ: عالم أهل الجزيرة. كان من أركان الدين، وكان ينظر بأحمد بن حنبل بحيث أن أبا داود السجستاني يقول: ما رأيت أحفظ من النفيليِّ. مات سنة (٢٣٤هـ) عن سن عالية. «العلو» (ص١٣٣).

وجل، ما تقول فيمن يقول: ﴿ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾ [الإخلاص] مخلوقٌ. أليس كافراً هو؟)[1].

وقال عبدُ الله بنُ محمدٍ العيشيُّ: (يستحيل في صفة الحكيم أن يخلُقَ كلاماً يدعي الربوبية، يعني قولَه تعالى: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ﴾ [طه: ١٤]، وقولَه: ﴿أَنَا۠ رَبُّكَ﴾ [طه: ١٢][2].

قلت: والمعتزلةُ يقولون إن كلامَ الله لموسى خلقه في الشجرة، فعلى هذا تكون الشجرةُ هي القائلة: ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي﴾ [طه: ١٤]، قبحهم الله في الدنيا والآخرة.

وقال محمدُ بنُ يحيى الذُهليُّ: (الإيمانُ قولٌ وعملٌ، يزيد وينقص، والقرآنُ كلامُ الله غيرُ مخلوق بجميع صفاتِه وحيث تصرّف)[3].

وأما كلامُ البخاريِّ رحمه الله تعالى ومتانتُه في هذه المسألةِ فأشهرُ من أن يحتاج إلى تعريف، وله في ذلك (كتاب خلق أفعال العباد)[4]، وقد بوّب في صحيحه على جملة وافية تدل على غزارة علمِه وجلالةِ شأنِه[5].

وقال أبو حاتم وأبو زُرعةَ: (أدركنا العلماءَ في جميع الأمصار فكان من

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم كما في «العلو». (ص١٣٣). **بسند صحيح**.
(٢) أخرجه الذهبي في «العلو» (ص١٣٤).
(٣) أخرجه الذهبي في «العلو» (ص١٣٦).
(٤) وهو مطبوع.
(٥) مثل: ١٧ ـ باب قوله تعالى ﴿**ولتصنع على عيني**﴾ [طه: ٣٩]. تغذى. وقوله جلَّ ذكره: ﴿**تجري بأعيننا**﴾ [القمر: ١٤]. «فتح الباري» (٣٨٩/١٣).
١٩ ـ باب قولِ الله تعالى: ﴿**لما خلقت بيدي**﴾ [ص: ٧٥]. «فتح الباري» (٣٩٢/١٣).
٢٤ ـ باب قولُ الله تعالى: ﴿**وجوه يومئذ ناضرة * إلى ربها ناظرة**﴾ [القيامة: (٢٢ ـ ٢٣)]. «فتح الباري» (٤١٩/١٣).
٣٣ ـ باب كلام الربِّ مع جبريل ونداء الله الملائكة. «فتح الباري» (٤٦٠/١٣).
٣٦ ـ باب كلام الربِّ عز وجل يوم القيامةِ مع الأنبياء وغيرهم. «فتح الباري» (٤٧٣/١٣).
٣٧ ـ باب ما جاء في قوله عز وجلَّ: ﴿**وكلَّم الله موسى تكليماً**﴾ [النساء: ١٦٤] «فتح الباري» (٤٧٧/١٣).
٣٨ ـ باب كلام الرب مع أهلِ الجنةِ. «فتح الباري» (٤٨٧/١٣). وغيرها كثير...

مذاهبهم أن الإيمانَ قولٌ وعملٌ، يزيد وينقص، والقرآنُ كلامُ الله غيرُ مخلوقٍ بجميع جهاتِه، والقدَرُ خيرُه وشرُّه من الله تعالى، وأن الله تعالى على عرشه بائنٌ من خلقه كما وصف نفسَه في كتابه وعلى لسان رسولِه بلا كيف، أحاط بكل شيءٍ علماً، ليس كمثله شيء وهو السميعُ البصيرُ)[1].

وقال محمدُ بنُ أسلمَ الطوسيُّ: (القرآنُ كلامُ اللَّهِ غيرُ مخلوقٍ أينما تُلي وحيثما كُتب لا يتغير ولا يتحول ولا يتبدل)[2] اهـ. من العلو للذهبي[3].

وقال إمامُ الأئمةِ محمدُ بنُ إسحاقَ بنُ خزيمةَ رحمه الله تعالى في كتاب

---

(١) قال الألباني في «مختصر العلو» (ص٢٠٤ ـ ٢٠٥): «**هذا صحيح ثابت عن أبي زرعة وأبي حاتم رحمة الله عليهما**. فقد ساقه المصنف ـ الذهبي في «العلو» (ص١٣٧ ـ ١٣٨) ـ بأسانيد ثلاثة عن عبد الرحمٰن بن أبي حاتم رحمه الله.
أحدها من طريق هبة الله بن الحسن اللالكائي، وهذا أخرجه في كتابه العظيم: «شرح أصول السنة» قال: (١/٤٧/١): أخبرنا محمد بن المظفر المقرىء قال: حدثنا الحسين محمد بن حبش المقري. قال: حدثنا أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم.
قلت: وهذا إسناد جيد، محمد بن مظفر هو ابن علي بن حرب أبو بكر المقري الدنيوري، قال الخطيب: (٣/ ٢٦٥): «سكن بغداد، وحدث بها عن أبي إسحاق المزكى النيسابوري و... وأبي علي بن حسن الدينوري، كتبنا عنه، وكان شيخاً صالحاً فاضلاً صدوقاً، مات سنة خمس عشر وأربعمائة».
والحسين بن محمد بن حبش المقري. هو أبو علي الدينوري صاحب موسى بن جرير الرقي، أورده ابن العماد في وفيات سنة (٣٧٣هـ) ولم يزد!
والظاهر من ترجمة ابن المظفر في «تاريخ بغداد» المتقدمة، أنه ورد بغداد وإن لم يكن من مواليدها لتحديث ابن المظفر عنه بها.
ومع ذلك لم يترجم له الخطيب فيه. والله أعلم.
ولكنه لم يتفرد به، فقد تابعه عند المصنف علي بن عبد العزيز وهو البغوي وهو ثقة ثبت، وعلي بن مردك ولم أعرفه.
ورسالة ابن أبي حاتم هذه محفوظة في «المجموع» (١١) في «الظاهرية» في آخر كتاب «زهد الثمانية من التابعين» من الطريقين الأخيرين عنه، وفيه أن ابن مردك بردعي. والله أعلم» اهـ.

(٢) أخرجه الذهبي في «العلو» (ص١٤٠) **بإسناد لا بأس به**.

(٣) «العلو للعلي الغفار في صحيح الأخبار وسقيمها» للإمام الحافظ الذهبي. قدم له وصححه وراجع أصوله: عبد الرحمٰن محمد عثمان. ط٢. ن: محمد عبد المحسن. صاحب المكتبة السلفية بالمدينة المنورة.

التوحيد بعد تبويبه على تكليم الله موسى عليه السلام وتكلُّم اللَّهِ بالوحي، وصفةِ نزول الوحي وتكليم الله عبادَه يوم القيامة وتقريرِ البحث في ذلك، ثم قال: (بابُ: ذكرُ البيان من كتاب ربِّنا المنزل على نبيه المصطفى ﷺ، ومن سنة نبينا محمدٍ ﷺ على الفرق بين كلامِ الله عز وجل الذي يكون به خلقُه، وبين خلقه الذي يكون بكلامه وقولِه، والدليلُ على نبذ قولِ الجهمية الذين يزعمُون أن كلامَ الله تعالى مخلوقٌ، جلّ ربُنا وعزَ عن ذلك)[1].

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤].

ففرّق اللَّهُ تعالى بين الخلقِ والأمرِ الذي به يخلق الخلقَ بواو الاستئناف، وأعلمنا اللَّهُ ـ جل وعلا ـ في مُحكم تنزيله أنه يخلق الخلقَ بكلامه، وقوله: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠].

فأعلمنا جل وعلا أنه يكون كلُ مَكُونٍ من خلقه بقوله كن فيكون، وقوله: «كن» هو كلامُه الذي به يكون الخلقُ، وكلامُه ـ عز وجل ـ الذي به يكون الخلقُ غيرُ الخلقِ الذي يكون مَكُوناً بكلامه، فافهم ولا تغلَطْ ولا تُغالط، ومن عقل عن الله خِطابَه علم أن الله سبحانه لما أعلم عبادَه المؤمنين أنه يكون الشيءُ بقوله: «كن» أن القولَ الذي هو كن غيرُ المَكُونِ بـ كن المقولِ له كن، وعقَل عن الله أن قوله «كن» لو كان خلقاً ـ على ما زعمت الجهميةُ المفتريةُ على الله ـ أنه إنما يخلُق الخلقَ ويكونه بخلقٍ لو كان قولُه: «كن» خلقاً.

فيقال لهم: يا جهلةُ، فالقولُ الذي يكون به الخلق على زعمكم لو كان خلقاً بمَ يكونه؟ أليس قولُ مقالتِكم التي تزعمون أن قولَه: «كن» إنما يخلُقه بقول قبله وهو عندكم خلقُه، وذلك القولُ يخلُقه بقول قبله وهو خلقٌ حتى يصير إلى ما لا غايةَ له ولا عددَ ولا أول.

وفي هذا إبطالُ تكوينِ الخلقِ وإنشاءِ البريةِ وإحداثِ ما لم يكن قبلُ،

---

(١) الباب رقم (٤١) من كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل لأبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة. دراسة وتحقيق الدكتور: عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان (١/ ٣٩٠).

بحدث اللّهِ الشيءَ ونشئِه، وهذا قولٌ لا يتوهمه ذو لبٍ لو تفكّر فيه ووُفِّقَ لإدراك الصوابِ والرشاد، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ [الأعراف: ٥٤].

فهل يتوهم مسلمٌ أن الله تعالى سخر الشمسَ والقمرَ والنجومَ مسخراتٍ بخلقه؟ أليس مفهوماً ـ عند من يعقِل عن الله خطابَه ـ أن الأمرَ الذي سخر به غيرُ المسخَّرِ بالأمر، وأن القولَ غيرُ المقولِ له؟، فتفهموا ـ يا ذوي الحِجا ـ عن الله خطابَه، وعن النبي المصطفى ﷺ بيانَه، لا تصُدوا عن سواء السبيلِ فتضِلوا كما ضلَّت الجهميةُ عليهم لعائنُ الله.

فاسمعوا الآن الدليلَ الواضحَ البيّنَ غيرَ المُشكلِ من سنة النبيِّ ﷺ ـ بنقل العدْل عن العدْل موصولاً إليه ـ على فرق بين خلقِ الله وبين كلامِ الله تعالى)[١].

ثم ساق الأحاديثَ في ذكر كلماتِ اللّهِ تعالى[٢] إلى حديث: «أعوذ بكلمات اللّهِ التاماتِ من شر ما خلق»[٣]، ثم قال[٤]: «أفليس العلمُ محيطاً ـ يا ذوي الحِجا ـ أنه غيرُ جائزٍ أن يأمُرَ النبيَّ ﷺ بالتعوذ بخلق اللّهِ من شر خلقِه؟

هل سمعتَ عالماً يُجيز أن يقول: أعوذ بالكعبة من شر خلقِ الله، أو يجيز أن يقولَ: أعوذ بالصفا والمروةِ، أو: أعوذ بعرفاتٍ ومِنىً من شر ما خلق الله، هذا لا يقوله ولا يُجيز القولَ به مسلمٌ يعرِف دين الله، مُحالٌ أن يستعيذ مسلمٌ بخلق اللّهِ من شر خلقِه». ثم ساق بحثاً طويلاً فليُراجَع منه.

وقال أبو معاويةَ بن خازم الضريرُ[٥] رحمه الله: (الكلامُ فيه بدعةٌ وضلالةٌ. ما تكلم فيه النبيُّ ﷺ ولا الصحابةُ ﷺ ولا التابعون ولا الصالحون رحمهم الله تعالى. يعني قولَ: القرآنُ مخلوقٌ).

---

(١) من «كتاب التوحيد» لابن خزيمة (١/ ٣٩١ ـ ٣٩٣).

(٢) في «كتاب التوحيد» لابن خزيمة (١/ ٣٩٤ ـ ٤٠١ رقم ١/ ٢٣٣، ٢/ ٢٣٤، ٣/ . . .، ٤/ ٢٣٥، ٥/ . . .).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه رقم (٤/ ٢٠٨٠) وقد تقدم تخريجه.

(٤) أبو بكر بن خزيمة في «كتاب التوحيد» (١/ ٤٠١ ـ ٤٠٢).

(٥) أبو معاوية: محمد بن خازم الضرير الكوفي، من حفاظ الحديث، ولكنه اتهم بالإرجاء، توفي سنة (١٩٥هـ). «تاريخ بغداد» (٥/ ٢٤٢ ـ ٢٤٩).

وذُكر عند أبي نُعيم ـ هو الفضلُ بنُ دُكين[1] ـ من يقول القرآنُ مخلوقٌ، فقال: (واللَّهِ واللَّهِ ما سمعتُ بشيء من هذا حتى خرج ذاك الخبيثُ جهمٌ).

وكلامُ أئمةِ السنةِ في هذا البابِ يطول ذكرُه، ولو أردنا استيعابَه لطال الفصلُ. وقد تكرر نقلُ الإجماع منهم على إثبات ما أثبتَ اللَّهُ عز وجل لنفسه وأثبته رسولُه ﷺ والصحابةُ فمن بعدهم، ونفي التكييفَ عنها، لا سيما في مسألةِ العلوِّ وفي هذه المسألةِ مسألةِ القرآنِ وتكليمِ اللَّهِ تعالى موسى، لأنها أولُ ما جحده الزنادقةُ قبَّحهم الله تعالى، وفي ذكر مَن سمّينا كفايةٌ، ومن لم نُسمِّ منهم أضعافُ ذلك، ولم يختلف منهم اثنان في أن القرآنَ كلامُ الله تعالى ليس بمخلوق، من الله بدأ وإليه يعود.

وتقلَّدوا كفرَ من قال بخلق القرآن ومنعوا الصلاةَ خلفه وأفتَوا بضرب عُنقِه وبتحريم ميراثِه على المسلمين وحرموا ذبيحتَه وجزموا بأنها ذبيحةُ مرتدٍّ لا تحِل للمسلمين.

فانظر أيها المنصفُ أقوالَهم ثم اعرِضها على نصوص الكتابِ والسنة: هل تجدهم حادوا عنها قِيدَ شبر، أو قدَّموا عليها قولَ أحدٍ من الناس كائناً من كان؟ حاشا وكلا ومعاذ الله، بل بها اقتَدَوا ومنها تضلَّعوا، وبنورها استضاءوا وإياها اتبعوا، فهداهم الله بذلك لِما اختلف فيه من الحق بإذنه، واللَّهُ يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

هذا مقالُ المؤمنين جميعِهم ... وعصابةِ التوحيدِ أعلامِ الهدى
الكاشفين عُوارَ كلِ مشبِّهٍ ... والقامعين لكل من قد ألحدا
زِنْ قولَهم بالوحي وانظر هل ترى ... ميلاً لهم عمَّا إليه أرشدا
حاشاهم عن أن يميلوا خطوةً ... عمَّا إليه اللَّهُ إياهم هدى
بل أثبتوا لله ما قد أثبتت ... آيُ الكتابِ وكلُ نصٍ أُسندا
ومن النُفاة تبرّأوا وكذاك مِن ... قول الممثل إذ تغالى واعتدى

---

(١) أبو نعيم: الفضل بن دكين، الكوفي. كان ثقة ثبتاً في الرواية مهاباً بين الناس امتحن في خلق القرآن فلم يجب، توفي سنة (٢١٩هـ). «تاريخ بغداد» (١٢/٣٤٦).

جعلوا إمامَهمُ الكتابَ وسنةَ المخـ تارِ يا طوبى لمن بهمُ اهتدى
ولِذاك أعلى اللّهُ ـ جل ـ منارَهم والملحدون بناءَهم قد هددا
وأتم نورَهم الإلهُ، وغيرُهم في ظلمةٍ إذ لم يكن بهم اقتدى
يا ربِّ ألحِقْنا بهم واجعل لنا نوراً نَميز به الضلالَ من الهدى

وقضى السلفُ الصالحُ رحمهم الله تعالى على الطائفةِ الواقفةِ وهم القائلون: لا نقولُ القرآنُ مخلوقٌ ولا غيرُ مخلوق، بأن من كان منهم يُحسن الكلامَ فهو جهميٌّ، ومن لم يُحسن الكلامَ منهم بل عُلم أنه كان جاهلاً جهلاً بسيطاً فهو تُقام عليه الحجةُ بالبيان والبرهان، فإن تاب وآمن أنه كلامُ الله تعالى وإلا فهو شرٌّ من الجهمية.

وسيأتي إن شاء الله الكلامُ على اللفظية قريباً، وسنذكر إن شاء الله تعالى في آخر الفصلِ سائرَ الفرقِ المخالفين للسنة في القرآن وغيرِه من الصفات، لأننا أحببنا تجريدَ مذهبِ أهلِ السنةِ على حدتِه لقصد التيسيرِ، وبالله التوفيق.

[القرآن ليس بمفترى كما قاله كفار قريش وغيرهم]

(**ولا بمفترى**) أي وليس القرآنُ بمفترىً كما قاله كفارُ قريشٍ وغيرُهم من أعداء اللّهِ تعالى حيث قالوا فيه: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾ [المدثر: ٢٤]. وقالوا: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ [الفرقان: ٤]. ﴿وَقَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا﴾ [الفرقان: ٥]. و ﴿يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ﴾ [النحل: ١٠٣].

وقالوا شعرٌ، وقالوا كِهانة، وقالوا: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ﴾ [ص: ٧]. وقالوا: ﴿لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ﴾ [الأنفال: ٣١]. وغيرُ ذلك من مفترياتِهم وإفكِهم، وكل ذلك إنما قالوه عِناداً ومكابرةً: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤].

وقد كشفَ اللّهُ تعالى شُبَهَهم وأدحض حُججَهم وبَهتهم وقطعَهم وفضَحهم على رؤوس الأشهادِ وبيَّن عجزهم وكشفَ عُوارَهم في جميع ما انتحلوا، فقال تعالى لمن قال: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾﴾ [المدثر]، قال الله تعالى: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾﴾ [المدثر]، إلى آخر الآيات.

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ﴾ [الفرقان: ٤]، فرد الله عليهم بقوله: ﴿فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا﴾ [الفرقان: ٤].

﴿وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفرقان: ٥].

فرد الله ذلك عليهم بقوله تعالى: ﴿قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان: ٦].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ ۙ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ ۚ﴾ [النحل: ١٠١]، فرد الله ذلك عليهم بقوله عز وجل: ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ لِيُثَبِّتَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ ﴿١٠٣﴾﴾ [النحل].

قال المفسرون[1]: إن المشركين يشيرون بهذا إلى رجل أعجميٍّ كان بين أظهرِهم غلام لبعض بطون قريشٍ قيل: اسمُه بَلْعَامُ[2]، وقيل يعيشُ[3] وقيل عائشٌ، وقيل جبر[4] وقيل يسارٌ وقيل غيرُ ذلك، وربما كان رسولُ الله ﷺ يجلِس إليه ويكلمه بعضَ الشيء، فرد الله عز وجل عليهم ذلك الافتراءَ بقوله تعالى: ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾ [النحل: ١٠٣].

أي فكيف يتعلم من جاء بهذا القرآنِ في فصاحته وبلاغتِه ومعانيه التامةِ الشاملةِ التي هي أكملُ من معاني كلِ كتابٍ نزل على بني إسرائيلَ، كيف يتعلم من رجل أعجمي؟ لا يقول هذا من له أدنى مَسَكةٍ من عقل.

وقال في رد قولِهم شعرٌ وكهانة: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾﴾ [يس]. وقال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ

---

(١) منهم ابن كثير في تفسيره (٢/ ٦٠٨) و«معالم التنزيل» للبغوي (٥/ ٤٤).

(٢) أخرجه ابن جرير (٨/ج١٤/ ١٧٧) **بسند ضعيف**. وزاد السيوطي نسبته لابن أبي حاتم وابن مردويه «الدر المنثور» (٥/ ١٦٧) و«زاد المسير» (٤/ ٤٩٢).

(٣) أخرجه ابن جرير (٨/ج١٤/ ١٧٨) وانظر: «زاد المسير» (٤/ ٤٩٢).

(٤) أخرجه ابن جرير(٨/ج١٤/ ١٧٨).

رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا۟ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ ۚ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الطور] الآيات.

وقال تعالى: ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [الحاقة] إلى آخرِ الآيات.

وقال تعالى لمن قال: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ﴿٧﴾ أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا ۚ﴾ [ص: ٧ ـ ٨]. فرد الله تعالى ذلك عليهم بقوله عز وجل: ﴿بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى ۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُوا۟ عَذَابِ ﴿٨﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ﴿٩﴾﴾ [ص: ٨ ـ ٩]. إلى آخر الآيات.

ورد عليهم تعالى في قولهم: ﴿لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ ۙ﴾ [الأنفال: ٣١]، بقوله عز وجل: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨].

وقد تحدَّاهم تعالى على أن يأتوا بمثله أو بعشر سور من مثله أو بسورة من مثله فعجَزوا عن ذلك كلِّه وبان كذبهم، قال الله عز وجل: ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [الطور]. وقال تعالى وتقدس: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٣﴾ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾﴾ [هود].

وقال تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [البقرة].

فعجَزوا عن ذلك كلِّه ولم يطمعوا في شيء منه، مع أنهم فحولُ اللغةِ وفرسانُ الفَصاحةِ وأهلُ البلاغةِ وأعلمُ الناسِ بنثر الكلامِ ونظمِه وهجْزِه ورجْزِه، مع شدة معاندتهم لرسول الله ﷺ وما جاء به، وحرصِهم على معارضته بكل ممكن، ولكن جاءهم ما لا قِبَل لهم به وأتاهم ما لا يُطيقون: كلامُ ذي الملكوت

والجبروت، والعظمةِ والكبرياء والعزةِ والجلالِ والكمالِ، ربُّ الأرض والسماء وربُّ الآخرة والأولى، من له الأسماءُ الحسنى والصفاتُ العُلى والمَثلُ الأعلى، الذي لا سَمِيَّ له ولا كُفؤ له، وليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

فلما رأوا وجوهَ إيجازِه وإعجازِه ومبانيه الكاملَة ومعانيه الشاملةَ، وإخبارَه عن الأمم الماضيةِ والغيوبِ المستقبلةِ، والأحكامِ الواقعةِ، ونبأ الوعدِ والوعيدِ، والترغيبِ والترهيبِ والتهديدِ، وغيرِ ذلك على أكمل وجهٍ وأوضحِ بيانٍ وأعلى قصصٍ وأعظمِ برهانَ، علموا أنه ليس بكلام المخلوقين ولا يشبه كلامَ المخلوقين، وعلموا أنه الحق، وإنما رمَوه بالإفك والبهتانِ بقولهم كاهنٌ شاعرٌ مجنونٌ وغيرُ ذلك، إنما هو مكابرةٌ وعنادٌ مع الاعتراف بذلك فيما بينهم كما تقدم عن الوليد وعُتبةَ وأبي جهلٍ قبحهم الله، وغيرِهم. ولو كان تقوّله كما زعموا هم لاستطاعوا معارضتِه ولم ينقطعوا عن مقاومته لأنهم عربٌ فُصحاءُ مثلُه، عارفون بوجوه البلاغةِ كلِّها لا يجهلون منها شيئاً.

ولمَا عدلوا إلى المُكابرةِ والتبجُحِ بالقول دون الفعلِ الذي هو أمقتُ شيءٍ عند العقلاء، ولكنه كلامُ ربِ العالمين، نزل به الروح الأمينُ على قلب محمد خاتمِ المرسلين وسيدِ ولدِ آدمَ أجمعين هدىً وبُشرى للمسلمين، وتبياناً لكل شيءٍ وتفصيلَ كل شيءٍ وذكرى للمؤمنين: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢].

فلا يأتي مُبطلٌ بشبُهة إلا وفيه إزهاقُ باطلِه وكشفُ شُبهتِه وإدحاضُ حجتِه كما هو معلومٌ عند مَن عرف مواقِعَ النزول، ويكفيك في ذلك قولُ الله عز وجل: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٣].

[القرآن يحفظ بالقلب، ويتلى باللسان، ويسمع بالآذان، وينظر إليه بالأبصار ويكتب خطه بالأيدي]

(يحفظ بالقلب، وباللسان يُتلى كما يُسمع بالآذان)

(كذا بالأبصار إليه يُنظر وبالأيادي خطُّه يُسطّر)

(وكل ذي مخلوقة حقيقة دون كلام بارئ الخليقة)

(جلت صفاتُ ربِّنا الرحمن   عن وصفها بالخلق والحِدْثان)
(فالصوتُ والألحانُ صوتُ القاري   لكنما المتلوُّ قولُ الباري)
(ما قاله لا يقبل التبديلا   كلا ولا أصدقُ منه قيلا)

(يُحفظ) بالبناء للمفعول أي القرآنُ (بالقلب) كما قال تبارك وتعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ (١٩٣) عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ (١٩٤) بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ (١٩٥)﴾ [الشعراء]. وقال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٩]. وقال: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾ [الأعلى: ٦].

وعن ابن عباس[(١)] رضي الله عنهما قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إن الذي ليس في جوفه شيءٌ من القرآن كالبيت الخرَاب**». قال الترمذي: هذا حديثٌ حسنٌ صحيح.

وعن أبي هريرةَ[(٢)] رضي الله عنه قال: بعث رسولُ الله ﷺ بعثاً وهم ذوو عددٍ فاستقرأهم، فاستقرأ كلَّ رجلٍ منهم - يعني ما معه من القرآن - فأتى على رجل مِن أحدثهم سناً فقال: «**ما معك يا فلان؟**»، فقال: معي كذا وكذا وسورةُ البقرة، فقال: «**أمعك سورة البقرة؟**»، قال: نعم، قال: «**اذهب فأنت أميرُهم**».

فقال رجلٌ من أشرافِهم: واللَّهِ ما منعني أن أتعلم البقرةَ إلا خشيةَ أن لا أقومَ بها، فقال رسولُ الله ﷺ: «**تعلَّموا القرآنَ واقرأوه، فإن مثلَ القرآنِ لمن تعلمه فقرأه وقام به كمثل جِرابٍ محشوٍّ مِسكاً يفوح ريحُه في كل مكان، ومثلُ من تعلمه فيرقُد وهو في جوفه كمثل جِرابٍ أُوكيَ على مسك**». قال الترمذي: هذا حديث حسن.

---

(١) **وهو حديث حسن بشواهده.**
أخرجه الترمذي (٥/ ١٧٧ رقم ٢٩١٣) وقال: **هذا حديث حسن صحيح**. وأخرجه الحاكم (١/ ٥٥٤) وصححه، وتعقبه الذهبي بأن قابوس فيه لين. وأخرجه أحمد في «المسند» (٢/ ٤٥٩ رقم ١٩٤٧ - شاكر) وقال: **إسناده صحيح** وأخرجه الدارمي (٢/ ٤٢٩).

(٢) **وهو حديث ضعيف.**
أخرجه الترمذي (٥/ ١٥٦ رقم ٢٨٧٦) وقال: **هذا حديث حسن**. وأخرجه ابن خزيمة في صحيحه (٣/ ٥ رقم ١٥٠٩) والنسائي في «الكبرى» - كما في تحفة الأشراف (١٠/ ٢٨٠) - وابن ماجه مختصراً (١/ ٧٨ رقم ٢١٧). وفيه عطاء مولى أبي أحمد، ولم يوثقه غير ابن حبان، وقال الحافظ في «التهذيب» قرأت بخط الذهبي: **لا يعرف**.
وخلاصة القول أن الحديث ضعيف، والله أعلم.

وفي حديث سهل بن سعدٍ رضي الله عنه المتفقِ عليه[1] في قصة الواهبة نفسَها وفيه قال: **«ما معك من القرآن؟»**، قال: معي سورةُ كذا وسورة كذا عدَّدها، فقال: **«تقرأُهن عن ظهر قلبك؟»**. قال: نعم، قال: **«اذهب فقد ملّكتُكَها بما معك من القرآن»**.

ولأبي داودَ[2] قال: سورةُ البقرة والتي تليها، قال: **«قم فعلِّمْها عشرين آيةً»**.

وفي الصحيحين[3] عن ابن عمرَ رضي الله عنهما قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«مثلُ القرآنِ إذا عاهد عليه صاحبُه فقرأه بالليل والنهارِ، كمثل رجلٍ له إبلٌ فإن عقَلها حفِظها وإن أطلق عِقالَها ذهبت، فكذلك صاحبُ القرآن»**.

ولهما[4] عن عائشة رضي الله عنها قالت: سمع رسولُ الله ﷺ رجلاً يقرأ في سورة بالليل فقال: **«يرحمه الله لقد أذكرني كذا وكذا آيةً كنت أُنسِيتُها من سورة كذا وكذا»**. والأحاديثُ في هذا كثيرةٌ جداً.

(وباللسان يتلى)، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ [الكهف: ٢٧]. وقال تعالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ﴾ [الإسراء: ١٠٦].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾ [الإسراء: ٤٥]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ﴾ [فاطر: ٢٩ ـ ٣٠]. إلى آخر الآية.

وقال تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾﴾ [القيامة]. وقال تعالى: ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ

---

(١) البخاري (٩/ ١٣١ رقم ٥٠٨٧) و(٩/ ١٩٨ رقم ١٥٤١) ومسلم (٢/ ١٠٤٠ رقم ١٤٢٥).

(٢) في سننه (٢/ ٥٨٨ رقم ٢١١٢) من حديث أبي هريرة وفي إسناده: عِسْل بن سفيان، وهو ضعيف.

والخلاصة إن الحديث ضعيف، والله أعلم.

(٣) البخاري (٩/ ٧٩ رقم ٥٠٣١) مسلم (١/ ٥٤٣ رقم ٧٨٩).

(٤) البخاري (٩/ ٨٤ رقم ٥٠٣٧) و(٩/ ٨٧ رقم ٥٠٤٢) ومسلم (١/ ٥٤٣ رقم ٧٨٨).

تَرْتِيلًا﴾ [المزمل: ٤]. وقال تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ١١٠]. وغيرُ ذلك من الآيات.

وعن أبي هريرةَ ﷺ أن رسولَ الله ﷺ قال: **«لا حسد إلا في اثنتين: رجلٌ علمه الله القرآنَ فهو يتلوه آناءَ الليل والنهارِ فسمعه جارٌ له»**، إلى آخر الحديث. رواه البخاري[1].

وأخرج أبو عُبيد القاسمُ بنُ سلاَّم[2] عن فَضَالةَ بنِ عبيد عن النبي ﷺ قال: **«للَّهُ أشدُّ أذناً إلى الرجل الحسنِ الصوتِ بالقرآن من صاحب القينة إلى قَينته»** ورواه ابن ماجه.

وله[3] عن المهاجر بنِ حبيبٍ قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«يا أهلَ القرآنِ لا تَوَسَّدوا القرآنَ، واتلوه حقَّ تلاوتِه آناء الليل والنهارِ، وتغنَّوه وتقنّوه، واذكروا ما فيه لعلكم تفلحون»**.

---

(١) في صحيحه (٩/ ٧٣ رقم٥٠٢٦) و(١٣/ ٢٢٠ رقم ٧٢٣٢) و(١٣/ ٥٠٢ رقم ٧٥٢٨).

(٢) في كتابه «فضائل القرآن» (ص ١٦١ ـ ١٦٢).
وأخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ٥٧١) والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٠/ ٢٣٠) وأحمد (٦/ ١٩).
وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ولم يوافقه الذهبي بل **قال هو منقطع**.
قلت: والانقطاع هو بين إسماعيل بن عبيد الله وفضالة بن عبيد. بسقوط ميسرة مولى فضالة.
وقد وصله أحمد (٦/ ٢٠) وابن ماجه (١/ ٤٢٥ رقم ١٣٤٠) وابن حبان (٣/ ٣١ رقم ٧٥٤) والطبراني في «الكبير» (١٨/ ٣٠١ رقم ٧٧٢) والبخاري في «التاريخ الكبير» (٧/ ١٢٤) والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٠/ ٢٣٠).
وقال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (١/ ٤٣٦ رقم ٤٧٢/ ١٣٤٠): «**هذا إسناد حسن** لقصور درجة ميسرة مولى فضالة وراشد بن سعيد عن درجة أهل الحفظ والضبط...» اهـ.
وقد ضعف الألباني الحديث في «ضعيف الجامع» رقم (٤٦٣٠) و«الضعيفة» رقم (٢٩٥١).
وخلاصة القول أن الحديث ضعيف، والله أعلم.

(٣) أي لأبي عبيد في كتابه «فضائل القرآن» (ص ١٢٦ ـ ١٢٧).
وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢/ ٢٥٢) وقال: «رواه الطبراني في «الكبير» وفيه أبو بكر بن أبي مريم وهو ضعيف» اهـ.
وانظر: «كنز العمال» (١/ ٦١١ رقم ٢٨٠٣).

والأحاديث في هذا كثيرةٌ جداً، سيأتي ما تيسَّر منها في ذكر الصوت.

(**كما يُسمع بالآذان**)، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]. وقال تبارك وتعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [المائدة: ٨٣]. وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٤]. وقال تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُواْ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾﴾ [الأحقاف]. الآيات.

وقال تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴿٢﴾﴾ - إلى قوله تعالى - ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ [الجن: ١ - ١٣]. الآيات.

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾ [الزمر: ١٨]، وغير ذلك من الآيات.

وعن عبد الله بنِ مسعودٍ ﷺ قال: قال لي النبيُّ ﷺ: «**اقرأ عليَّ القرآن**». قلت: اقرأ عليك وعليك أُنزل؟ قال: «**إني أُحِبُّ أن أسمعه من غيري**». الحديث متفق عليه(١).

وعن أبي موسى ﷺ أن رسولَ الله ﷺ قال: «**يا أبا موسى، لو رأيتني وأنا أستمع لقراءتك البارحة**»، فقال: أما والله لو أعلم أنك تسمع قراءتي لحبَّرتُها لك تحبيراً. رواه مسلم(٢).

ولأبي عبيد عن عائشةَ(٣) ﷺ قالت: أبطأتُ على رسول الله ﷺ ليلةً بعد

---

(١) البخاري (٩/ ٩٣ رقم ٥٠٤٩) و(٩/ ٩٤ رقم ٥٠٥٠) ومسلم (١/ ٥٥١ رقم ٨٠٠).

(٢) في صحيحه (١/ ٥٤٦ رقم ٢٣٦/ ٧٩٣).

(٣) **وهو حديث صحيح**. أخرجه ابن ماجه في سننه رقم (١٣٣٨). وقال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (١/ ٤٣٥ رقم ٤٧٠/ ١٣٣٧): «**هذا إسناد صحيح رجاله ثقات**».
وأخرجه الحاكم (٣/ ٢٢٥ - ٢٢٦) وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٣٧١) وقال الحاكم: «**صحيح على شرط الشيخين**» **ووافقه الذهبي. وليس كما قالا**، لأن عبد الرحمٰن بن سابط =

العشاء ثم جئتُ، فقال: «**أين كنت؟**»، قلت: كنت أسمع قراءةَ رجلٍ من أصحابك لم أسمع مثلَ قراءتِه وصوتِه من أحد، قالت: فقام رسولُ الله ﷺ وقمت معه حتى استمع له، ثم التفت إليَّ فقال: «**هذا سالمٌ مولى أبي حذيفةَ، الحمدُ لله الذي جعل في أمتي مثلَ هذا**». إسناده جيد، والأحاديث في هذا كثيرة.

(كذا بالأبصار إليه) متعلقان بـ **(ينظر)** أي إلى القرآن في المصحف وهو من أفضل العباداتِ وأجلِّها.

وروى أبو عبيد[1] بإسناد فيه ضعفٌ عن بعض أصحابِ النبيُّ ﷺ قال: قال النبيِّ ﷺ: «**فضلُ قراءةِ القرآنِ نظراً على من يقرأه ظَهراً كفضل الفريضة على النافلة**».

وقال ابن مسعود[2] رضي الله عنه: أديموا النظرَ في المصحف.

وعن ابن عباس[3] رضي الله عنهما أنه كان إذا دخل نشرَ المصحفَ فقرأ فيه.

وكان ابن مسعود[4] رضي الله عنه إذا اجتمع إليه إخوانه نشروا المصحفَ فقرأوا وفسّر

= لم يخرج له البخاري شيئاً. ولم يحتج الشيخان ولا أحدهما برواية الوليد عن حنظلة، ولا حنظلة عن عبد الرحمٰن، ولا عبد الرحمٰن عن عائشة.

فالصحيح أن السند صحيح مطلقاً.

(١) في «فضائل القرآن» (ص ١٠٤). **بسند ضعيف.**

قلت: وأخرجه ابن كثير في «فضائل القرآن» (ص٢٠٩). وابن شاهين في «الترغيب» (ص ١٩٤).

قال ابن كثير: «وهذا الإسناد فيه ضعف، فإن معاوية بن يحيى هذا هو الصدفي أو الأطرابلسي، وأيًا ما كان فهو ضعيف» اهـ.

(٢) أخرجه أبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص١٠٤) وابن كثير في «فضائل القرآن» (ص٢١٠) وعبد الرزاق (٣/ ٣٦٢ رقم ٥٩٧٩) وابن أبي شيبة (١٠/ ٥٣١) والطبراني في «الكبير» (٩/ ١٥٠، ١٥٢، رقم ٨٦٨٧، ٨٦٩٦) من طرق عن الثوري به، **وسنده حسن.**

(٣) أخرجه أبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص١٠٥)، وابن كثير في «فضائل القرآن» (ص٢١٠) **بسند جيد.**

(٤) أخرجه أبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص١٠٥)، وابن كثير في «فضائل القرآن» (ص٢١٠ ـ ٢١١).

وقال ابن كثير **إسناده صحيح.**

لهم. وقال ابنُ عمرَ[1] رضي الله عنهما: إذا رجع أحدُكم من سوقه فلينشُر المُصحفَ وليقرأ.

وذهب كثيرٌ من السلف أن قراءةَ القرآنِ في المصحف أفضلُ من على ظهر قلب؛ لأنه يشتمل على التلاوة والنظرِ في المصحف وكرِهوا أن يمضيَ على الرجل يومان لا ينظر في مصحفه[2].

(وبالأيادي خطُه يسطر)، كما قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [الواقعة]. وقال تعالى: ﴿رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾﴾ [البينة]. وقال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿١٢﴾ فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ ﴿١٤﴾﴾ [عبس].

وقد كتبه الصحابةُ في عهد النبي ﷺ بأمره، وفي خلافة أبي بكرٍ وعثمانَ، وإلى الآن يكتبه المسلمون.

وقال ابن عباس[3] رضي الله عنهما: ما تركَ النبي ﷺ إلا ما بين الدَّفتين[4].

وقال عليُّ بنُ أبي طالب نحوَ ذلك[5]. وقال أبو بكر[6] رضي الله عنه معنى ذلك في محضر الصحابة لم يقل أحدٌ خلافه.

---

(١) أخرجه أبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص١٠٥)، وابن كثير في «فضائل القرآن» (ص٢١١).
إسناده ضعيف. ابن أرطاة، وثوير، ضعيفان.

(٢) قال ابن كثير في «فضائل القرآن» (ص٢١١).
«فهذه الآثار تدل على أن هذا أمرٌ مطلوبٌ؛ لئلا يُعطَّلَ المصحف فلا يقرأ منه، ولعله قد يقع لبعض الحَفَظَة نسيانٌ فيستذكر منه، أو تحريف كلمةٍ أو آيةٍ، أو تقديم أو تأخيرٌ، فالاستثبات أولى، والرجوع إلى المصحف أثبتُ من أفواه الرجال...» اهـ.

(٣) أخرجه البخاري (٩/ ٦٤ ـ ٦٥ رقم ٥٠١٩).

(٤) «أي ما في المصحف، وليس المراد أنه ترك القرآن مجموعاً بين الدفتين لأن ذلك يخالف ما تقدم من جمع أبي بكر ثم عثمان» اهـ. قاله ابن حجر في «الفتح» (٩/ ٦٥).

(٥) أخرجه البخاري (٩/ ٦٥) عن محمد بن الحنفية.
وقال الحافظ ابن حجر في «الفتح»: «وقد تلطف المصنف في الاستدلال على الرافضة بما أخرجه عن أحد أئمتهم الذين يدعون إمامته وهو محمد بن الحنفية وهو ابن علي بن أبي طالب.
فلو كان هناك شيء يتعلق بأبيه لكان هو أحق الناس بالاطلاع عليه. وكذلك ابن عباس فإنه ابن عم علي وأشد الناس له لزوماً واطلاعاً على حاله» اهـ.

(٦) لم أجده.

ولو لم يكن الذي في المصحف كلامَ الله لم يحرُم مسُّه على أحد ولم يكن من شأنه أن: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة: ٧٩]، بل ولا كان يحرم توسُّده، ولذا أجاز الزنادقةُ ذلك حيث لم يؤمنوا أن فيه كتابَ الله، وهذا من أسفل دركاتِ الكفرِ قبَّحهم الله.

(وكلُ ذي) المذكوراتِ من القلب وحافظِته وذاكرتِه، واللسانِ وحركتِه، والآذانِ وأسماعِها، والأبصارِ ونظرها، والأيادي وكتابتِها، وأدواتِ الكتابةِ من أوراق وأقلام ومِداد، كلُها **(مخلوقة حقيقة)** ليس في ذلك توقفٌ، **(دون)** القرآنِ الذي هو **(كلام)** اللّهِ تعالى **(بارئ الخليقة)**،

قال الإمامُ أحمد[١] رحمه الله تعالى: (يتوجه العبدُ لله تعالى بالقرآن بخمسة أوجه وهو فيها غيرُ مخلوق: حفظٌ بقلب، وتلاوةٌ بلسان، وسمعٌ بأذن، ونظرةٌ ببصر، وخطٌ بيد؛ فالقلبُ مخلوقٌ والمحفوظ غيرُ مخلوق، والتلاوةُ مخلوقةٌ والمتلوُّ غيرُ مخلوق، والسمعُ مخلوقٌ والمسموعُ غيرُ مخلوق، والنظرُ مخلوقٌ والمنظورُ إليه غيرُ مخلوق، والكتابةُ مخلوقةٌ والمكتوبُ غيرُ مخلوق). انتهى.

فأعمالُ العبادِ مخلوقةٌ والقرآنُ حيثما تصرّف وأين كُتب وحيث تُليَ كلامُ اللّهِ تعالى غيرُ مخلوق.

جلت صفات ربِّنا الرحمنِ عن وصفها بالخلق والحِدْثانِ

فليس من صفات اللّهِ تعالى شيءٌ مخلوقٌ، تعالى الله عن ذلك وتعالى عن أن تكونَ ذاتُه محلاً للمخلوقات، بل هو الأولُ بأسمائِه وصفاتِه قبل كلِ شيء، والآخرُ بأسمائه وصفاتِه بعد كل شيء، لم يُسبق شيءٌ من صفاته بالعدم، ولم يُعقَّب بالفناء تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيراً.

(فالصوتُ) من جَهْوري وخفيٍّ، **(والألحانُ)** من حَسَن وغيرِه **(صوتُ القاري، لكنما المتلوُّ)** والمؤدَّى بذلك الصوتِ هو **(قولُ الباري)** جل وعلا.

وفي الصحيحين[٢] عن أبي هريرةَ ﷺ أنه كان يقول: قال رسول الله ﷺ: **«لم يأذن اللّهُ لشيء ما أذِن للنبي ﷺ يتغنى بالقرآن»**.

---

(١) انظر: «المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة» (١/ ٢٤٤).

(٢) البخاري (٩/ ٦٨ رقم ٥٠٢٣) و(١٣/ ٤٥٣ رقم ٧٤٨٢) ومسلم (١/ ٥٤٥ رقم ٧٩٢).

ولابن ماجهْ[1] بإسناد جيدٍ عن فضالة بنِ عبيدٍ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لله أشدُّ أذناً إلى الرجل الحَسنِ الصوتِ بالقرآن من صاحب القَينة إلى قَينته**».

وعن سعد بن أبي وقاصٍ رضي الله عنه قال: قال رسولُ ﷺ: «**غنوا بالقرآن. ليس منا من لم يُغنِّ بالقرآن، وابكوا فإن لم تقدروا على البكاء فتباكَوا**».

رواه البغوي[2]، ولأبي داودَ[3] نحوُه.

وله[4] عن أبي أُمامةَ رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**ليس منا من لم يتغنَّ بالقرآن**».

وله[5] وللنَّسائي[6] وابنِ ماجهْ[7] بإسناد جيدٍ عن البراء بنِ عازبٍ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**زيِّنوا القرآنَ بأصواتكم**».

وفي الصحيحين[8] عن جُبير بن مُطعم رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقرأ في المغرب بالطور، فما سمعتُ أحداً أحسنَ صوتاً ـ أو قراءةً ـ منه» الحديث.

---

(١) في «السنن» (١/ ٤٢٥ رقم ١٣٤٠) وقد تقدم تخريجه قريباً. وهو حديث ضعيف.
(٢) عزاه إليه ابن كثير في «فضائل القرآن» (ص١٨٥ ـ ١٨٦) وسنده واه.
(٣) في «السنن» (٢/ ١٥٥ ـ ١٥٦ رقم ١٤٦٩) عن سعيد بن أبي سعيد، قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس منا من لم يتغن بالقرآن».
قلت: وأخرجه أحمد في «المسند» (٢/ ٢٢٥ ـ ٢٢٦ رقم ١٤٧٦ ـ شاكر) بسند صحيح. والحاكم في «المستدرك» (١/ ٥٧٠). وهو حديث صحيح.
(٤) أي لأبي داود في «السنن» (٢/ ١٥٦ ـ ١٥٧ رقم ١٤٧١) بسند حسن.
(٥) أي لأبي داود في «السنن» (٢/ ١٥٥ ـ رقم ١٤٦٨).
(٦) في «السنن» (٢/ ١٧٩ ـ ١٨٠ رقم ١٠١٥ و١٠١٦).
(٧) في «السنن» (١/ ٤٢٦ رقم ١٣٤٢).
قلت: وأخرجه الدارمي (٢/ ٤٧٤) وأحمد (٤/ ٢٨٣، ٢٨٥، ٣٠٤)، وابن كثير في «فضائل القرآن» (ص١٨٩ ـ ١٩٠). والنسائي في «فضائل القرآن» رقم (٧٥). وفي مجلسين من إملائه رقم (٤٦). والبخاري في «خلق أفعال العباد» رقم (١٩٥، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠١) والحاكم (١/ ٥٧١، ٥٧٢) والطيالسي رقم (١٨٨٦) وغيرهم من طرق...
وهو حديث صحيح، والله أعلم.
(٨) البخاري رقم (٧٣١ ـ البغا) ومسلم رقم (٤٦٣).

ولابن ماجه[1] عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«إن من أحسن الناسِ صوتاً بالقرآن الذي إذا سمِعتموه يقرأ حسِبْتموه يخشى الله»**.

ولأبي عبيدٍ[2] عن حذيفةَ بنِ اليمانِ قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«اقرأوا القرآنَ بلحون العرب وأصواتِها، وإياكم ولحونَ أهلِ الفسق وأهلِ الكتابين. وسيجيءُ قومٌ من بعدي يُرجِّعون بالقرآنِ ترجيعَ الغناء والرهبانية والنَّوح، لا يجاوز حناجرَهم، مفتونةٌ قلوبُهم وقلوبُ الذين يُعجبهم شأنُهم»**.

وفي الصحيحين[3] عن أبي موسى رضي الله عنه أن رسولَ الله ﷺ قال: **«يا أبا موسى، لقد أُوتيتَ مِزماراً من مزامير آلِ داودَ»**.

ففي جميع هذِه الأحاديثِ التصريحُ بإضافةِ الصوتِ والألحانِ والتغنّي إلى

---

(١) في «السنن» رقم (١/ ٤٢٥ رقم ١٣٣٩).
وقال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (١/ ٤٣٦): «هذا إسناد ضعيف، لضعف إبراهيم بن إسماعيل بن مجمع وعبد الله بن جعفر» اهـ.
* وله شاهد من حديث ابن عمر أخرجه الطبراني في «الأوسط» رقم (٢٠٧٤) والبزار (٣/ ٩٨ رقم ٢٣٣٦ - كشف).
وأورده الهيثمي في «المجمع» (٧/ ١٧٠) وفيه: «حميد بن حماد بن خوار، وثقه ابن حبان، وقال: ربما أخطأ، وبقية رجال البزار رجال الصحيح».
قلت: وحميد بن حماد بن خوار لين الحديث فإسناد الحديث ضعيف لأجله.
* وله شاهد آخر مرسل من حديث طاووس. أخرجه أبو عبيد القاسم بن سلام في «فضائل القرآن» (ص١٦٥). وابن أبي شيبة في «المصنف» (١/ ١١٩) والدارمي في «السنن» (١/ ٤٧١، ٤٧٢) وغيرهم.
وخلاصة القول أن حديث جابر حسن لغيره، والله أعلم.

(٢) في «فضائل القرآن» (ص١٦٥).
قلت: وأخرجه الطبراني في «الأوسط» رقم (٧٢٢٣).
وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد (٧/ ١٦٩) وقال: «وفيه راوٍ لم يسم وبقية يعني مدلس» اهـ.
وأورده الذهبي في «الميزان» (٢/ ٣١٣ رقم ٢٠٩٢/ ٢٨٥١) في ترجمة: حُصين بن مالك الفزاري: تفرد عنه بقية، وليس بمعتمد، والخبر منكر.
وأخرجه ابن الجوزي في «العلل المتناهية» (١/ ١١٨ رقم ١٦٠) وقال: **هذا حديث لا يصح**، وأبو محمد مجهول، وبقية يروي عن الضعفاء ويدلسهم.
وخلاصة القول أن الحديث منكر، والله أعلم.

(٣) البخاري (٩/ ٩٢ رقم ٥٠٤٨) ومسلم (١/ ٥٤٦ رقم ٧٩٣).

العبد لأنه عملُه، والقرآنُ المؤدّى بذلك الصوتِ هو كلامُ الله حقيقةً، وكذلك المَهارةُ بالقرآن، والتتعْتُعُ فيه هو فعلُ العبدِ وسعيُه، لما في الصحيح[1] عن عائشةَ ﵂ قالت: قال رسولُ الله ﷺ: **«الماهرُ بالقرآنِ مع السفرة الكِرامِ البررَة، والذي يقرأ القرآنَ ويتتعتَعُ فيه وهو عليه شاقٌّ له أجران»**.

وهذا الفرقُ واضحٌ ولله الحمد، وعليه أهلُ السنةِ والحديث كأحمدَ بنِ حنبلٍ وأبي عبد الله محمدِ بنِ إسماعيلَ البخاريِّ وغيرهما رحمهم الله تعالى، ولو كان الصوتُ هو نفس المتلوِّ المؤدَّى به كما يقولُه أهلُ الاتحاد لكان كلُ من سمع القرآن من أي تالٍ وبأي صوت كليمَ الرحمنِ فلا مزيةَ لموسى عليه السلام على غيره.

اللهم لك الحمدُ، ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديْتنا، وهبْ لنا من لدنك رحمةً إنك أنت الوهاب.

[اللفظية جهمية، وهم الذين يقولون: لفظي بالقرآن مخلوق]

(مسألة): اشتهر عن السلفِ الصالحِ كأحمدَ بنِ حنبلٍ وهارونَ الفرويِّ[2] وجماعةِ أئمةِ الحديثِ أن اللفظيةَ جهميةٌ، واللفظيةُ هم من قال: لفظي بالقرآن مخلوقٌ، قال أئمةُ السنة رحمهم الله تعالى: ومن قال لفظي بالقرآنِ غيرُ مخلوقٍ فهو مبتدعٌ، يعنون غيرَ بِدْعيةِ الجهمية، وذلك لأن اللفظ يطلق على معنيين: أحدُهما الملفوظُ به، وهو القرآنُ وهو كلامُ الله ليس فعلًا للعبد ولا مقدوراً له.

والثاني: التلفظُ وهو فعلُ العبدِ وكسبُه وسعيُه؛ فإذا أُطلق لفظُ الخلق على المعنى الثاني شمَل الأولَ وهو قولُ الجهمية، وإذا عكس الأمرَ بأن قال لفظي بالقرآن غير مخلوقٍ شَمَل المعنى الثانيَ، وهي بدعةٌ أخرى من بِدَع الاتحادية.

وهذا ظاهرٌ عند كلِّ عاقلٍ، فإنك إذا سمعتَ رجلًا يقرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ

---

(١) البخاري (٨/ ٦٩١ رقم ٤٩٣٧) ومسلم (١/ ٥٤٩ ـ ٥٥٠ رقم ٧٩٨).

(٢) هارون الفروي ابن موسى المدني، لا بأس به. مات سنة (٢٥٣هـ). [التقريب: (٢/ ٣١٣)]. وانظر ترجمته في: «تهذيب الكمال» (٣/ ١٤٣١).

أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١]، تقول هذا لفظُ سورةِ الإخلاص، وتقول: هذا لفظُ فلانٍ بسورةِ الإخلاص، إذ اللفظُ معنىً مشترك بين التلفظِ الذي هو فعلُ العبدِ، وبين الملفوظِ به الذي هو كلامُ اللَّهِ عز وجل.

وهذا بخلاف ما ذكر السلفُ بقولهم: الصوتُ صوتُ القاري، والكلامُ كلامُ الباري، فإن الصوتَ معنىً خاصٌ بفعل العبدِ لا يتناول المتلوَّ المؤدَّى بالصوت البتةَ، ولا يصلُح أن تقولَ هذا صوتُ قل هو اللَّهُ أحدٌ، ولا يقول ذلك عاقلٌ، وإنما تقول هذا صوتُ فلانٍ يقرأ قل هو الله أحد، ونحو ذلك.

نعم إذا سمعَ كلامَ اللَّهِ عز وجل منه تعالى بدون واسطة كسماع موسى عليه الصلاةُ والسلامُ، وسماعِ جبريلَ عليه السلام، وسماعِ أهلِ الجنةِ كلامَه منه عز وجل، فحينئذ التلاوةُ والمتلوُّ صفةٌ للباري عز وجل ليس منها شيءٌ مخلوق، تعالى الله علواً كبيراً.

(ما قاله لا يقبل التبديلا)، قال الله تعالى: ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ﴾ [ق: ٢٩]. وقال تعالى: ﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ﴾ [الكهف: ٢٧]. وقال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ الأنعام: ١١٥]. وقال تعالى: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ٦٤].

(كلا) أي لا يكون ذلك **(ولا أصدق منه)** أي من الله تعالى **(قيلا)** أي قولاً وهو تمييزٌ محولٌ عن اسم لا، والتقديرُ لا قيلَ أصدقُ من قيله، قال الله تبارك وتعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧]. وقال تعالى في الآية الأخرى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢٢].

أي مَن أصدقُ من الله تعالى في حديثِه وخبرِه ووعدِه ووعيدِه؟ الجواب: لا أحدَ.

وفي خُطبة رسولِ الله ﷺ قال: «**إن أصدقَ الحديثِ كلامُ الله، وخيرَ الهديِ هديُ محمدٍ ﷺ**»[1]. الحديث.

---

(١) تقدم تخريجه.

[يجب الإيمان بصفة النزول
لله تعالى وإمراره كما جاء]

(وقد روى الثقاتُ عن خيرِ الملا — بأنه عزَّ وجلَّ وعلا)

(في ثلث الليلِ الأخيرِ ينزل — يقول هل من تائب فيُقبل)

(هل من مُسيءٍ طالبٍ للمغفرهْ — يجدْ كريماً قابلاً للمعذرهْ)

(يمنّ بالخيرات والفضائلْ — ويستُر العيبَ ويعطي السائلْ)

أي ومما يجب الإيمانُ به وإثباتُه وإمرارُه كما جاء، صفةُ النزولِ للرب عز وجل كما ثبت في الأحاديث الصحيحةِ المشهورةِ عن فُضلاء الصحابةِ كأبي بكر الصديق، وعليِّ بن أبي طالبٍ، وأبي هريرةَ، وأبي سعيدٍ، وجُبيرِ بنِ مُطعمٍ، وجابرِ بنِ عبدِ الله، وعبد الله بن مسعودٍ، وعمْرِو بنِ عبسةَ، ورِفاعةَ الجُهنيِّ، وعثمانَ بنِ أبي العاص الثقفيِّ، وأبي الدرداء، وابن عباس، وعُبادةَ بنِ الصامت، وأبي الخطاب، وعمرَ بنِ عامرٍ السلمي، وغيرهم ﷺ.

فعن أبي بكر الصديقِ[1] ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**ينزل اللَّهُ ليلةَ النصفِ من شعبانَ فيغفِرُ لكل نفسٍ إلا إنسانٍ في قلبه شحناءُ أو شركٌ**». رواه جماعةٌ عن ابن وهب.

وعن عليِّ بن أبي طالب[2] ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**لولا أن أشقَّ على أمتي لأخرتُ العشاءَ الأخيرةَ إلى ثلث الليل، فإنه إذا مضى ثلثُ الليلِ هبط اللَّهُ**

---

(١) أخرجه الدارقطني في «النزول» رقم (٧٥، ٧٦) واللالكائي رقم (٧٥٠) وابن خزيمة في «التوحيد» (ص١٣٦) وابن أبي عاصم في «السنة» رقم (٥٠٩) والدارمي في «الرد» على الجهمية» (ص٤١)، والبزار (٢/ ٤٣٥ رقم ٢٠٤٥ ـ كشف).
وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ٦٥)، وقال: «رواه البزار وفيه عبد الملك بن عبد الملك ذكره ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» ولم يضعفه، وبقية رجاله ثقات» اهـ.
قلت: ومصعب بن أبي ذئب مجهول.
وقال المحدث الألباني في «ظلال الجنة» (١/ ٢٢٣): «**حديث صحيح. وإسناده ضعيف**... وإنما صححت الحديث لأنه روي عن جمع من الصحابة، بلغ عددهم عندي الثمانية وقد خرجت أحاديثهم في «الصحيحة» رقم (١١٤٤)...» اهـ.

(٢) أخرجه الدارمي في «الرد على الجهمية» (ص٤٠) واللالكائي رقم (٧٤٩) والدارقطني في «النزول» رقم (١) بسند ضعيف لعدم تصريح «محمد بن إسحاق» بالسماع وهو مدلس.

عز وجل إلى سماء الدنيا لم يزَل بها حتى يطلُعَ الفجر فيقول: ألا سائلٌ يُعطى، ألا داعٍ فيُجاب، ألا مذنبٌ يُستغفر فيُغفر له، ألا سقيمٌ يستشفي فيُشفى». رواه الطبراني في السنة.

وعن أبي هريرةَ ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**ينزل ربُنا كلَّ ليلةٍ إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل فيقول: من يدعوني فأستجيب له، من يسألُني فأُعطيَهُ، من يستغفرني فأغفِرَ له**». أخرجاه في الصحيحين[1].

وفي رواية[2] عن أبي هريرةَ وأبي سعيد ﷺ أنهما شهدا على رسولِ الله ﷺ أنه قال: «**إن اللَّهَ يُمهل، حتى إذا كان ثلثُ الليل هبطَ إلى السماء الدنيا فنادى: هل من مذنب يتوب؟ هل من مستغفر؟ هل من سائل؟**».

وفي مسند أحمدَ[3] رحمه الله تعالى عن أبي هريرةَ ﷺ عن النبي ﷺ: «**ينزل اللَّهُ كلَّ ليلةٍ إذا مضى ثلثُ الليلِ الأولُ فيقول: أنا المِلكُ، من ذا الذي يستغفرني فأغفر له؟**».

وحديث أبي هريرة ﷺ في النزول قد تعددت طرقه في الصحيحين وسائرِ الأمهات[4]، وقد ساقه إمامُ الأئمةِ أبو بكرٍ محمدُ بنُ إسحاقَ بنُ خزيمةَ في كتاب التوحيد من أكثرَ من ثلاثين طريقاً[5] عن أبي هريرةَ ﷺ إلى النبي ﷺ.

وفي روايةِ عبدِ الرزاقِ عن مَعمرٍ عن الزهري عن سعيد بنِ المسيِّبِ عن أبي

---

(١) تقدم تخريجه.
(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (١/ ٥٢٣ رقم ٧٥٧).
(٣) في «المسند» (٢/ ٤١٩) **بسند صحيح**.
(٤) كاللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» رقم (٧٤٢، ٧٤٣، ٧٤٤، ٧٤٥). والدارقطني في «النزول» رقم (١٣) و(١٤) و(١٥) و(١٦) و(١٧) و(١٨) و(١٩) و(٢٠) و(٢١) و(٢٢) و(٢٣) و(٢٤) و(٢٥) و(٢٦).
(٥) انظر: في كتاب «التوحيد» لابن خزيمة رقم (١/ ١٨٨ و(٢/ . . .) و(٣/ ١٨٩) و(٤/ . . .) و(٥/ ١٩٠) و(٦/ ١٩١) و(٧/ . . .) و(٨/ ١٩٢) و(٩/ . . .) و١٠/ . . .) و(١١/ . . .) و(١٢/ . . .) و(١٣/ . . .) و(١٤/ . . .) و(١٥/ . . .) و(١٦/ . . .) و(١٧/ ١٩٣) و(٨/ ١٩٤) و(١٩/ . . .) و(٢٠/ . . .) و(٢١/ . . .) و(٢٢/ ١٩٥) و(٢٣/ . . .) و(٢٤/ . . .) و(٢٥/ . . .) و(٢٦/ . . .) و(٢٧/ . . .) و(٢٨/ . . .) و(٢٩/ . . .) و(٣٠/ . . .) و(٣١/ . . .).

هريرةَ رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إن الله ينزل إلى السماء الدنيا وله في كل سماءٍ كرسيٍ، فإذا نزل اللَّهُ سماءَ الدنيا جلس على كرسيه ثم مد ساعديه فيقول: من ذا الذي يقرض غيرَ عديم ولا ظلوم، من ذا الذي يستغفرني فأغفرُ له؟ من ذا الذي يتوب فأتوبُ عليه؟ فإذا كان عند الصبحِ ارتفع فجلس على كرسيه**». رواه ابن منده قال: وله أصل مرسل[1].

وعن جبير بن مطعم رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**ينزل اللَّهُ إلى سماء الدنيا كلَّ ليلةٍ فيقول جل جلاله: هل من سائل فأُعطيه، هل من مستغفر فأغفر له**». حديث صحيح رواه النسائي[2] وأبو الوليد الطيالسي.

وعن جابر رضي الله عنه، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**إن الله ينزل كل ليلةٍ إلى سماء الدنيا لثلث الليلِ فيقول: ألا عبدٌ من عبيدي يدعوني فأستجيب له؟ أو ظالمٌ لنفسه يدعوني فأغفِرَ له؟ ألا مقترٌ عليه رزقُه؟ ألا مظلومٌ يستنصرني فأنصُرَه؟ ألا عانٍ يدعوني فأفُكَّ عنه؟ فيكون ذلك مكانه حتى يفيء الفجرُ، ثم يعلو ربنا عز وجل إلى السماء العُليا على كرسيه**». رواه الدارقطني[3].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إن الله تعالى إذا كان ثلثُ الليلِ الآخِرُ نزل إلى سماء الدنيا ثم بسط يده فقال: من يسألني فأُعطيه، حتى يطلُعَ**

---

(١) في «الرد على الجهمية» رقم (١٢/ ٥٦) بسند ضعيف. لضعف محفوظ بن أبي توبة.
[انظر: «لسان الميزان» (٥/ ١٩) و «الميزان» (٣/ ٤٤٤)].
وقال ابن منده: وله أصل عند سعيد بن المسيب مرسل.
والخلاصة أن الحديث ضعيف، والله أعلم.

(٢) في «عمل اليوم والليلة» رقم (٤٨٧).
قلت: وأخرجه الدارقطني في «النزول» (رقم ٤)، وأحمد (٤/ ٨١) وابن أبي عاصم في «السنة» (١/ ٢٢١ رقم ٥٠٧) وابن خزيمة في «التوحيد» (١/ ٣١٠ ـ ٣١١ رقم ٣/ . . .) والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص٤٥١) والدارمي (١/ ٣٤٧) وأبو يعلى (١٣/ ٤٠٤ رقم ٧٤٠٨/١٨) والطبراني في «الكبير» (٢/ ١٣٤ رقم ١٥٦٦) والبزار (٤/ ٤٣ رقم ٣١٥٢ ـ كشف).
وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٥٣) وقال: «رواه أحمد والبزار وأبو يعلى ورجالهم رجال الصحيح. ورواه الطبراني» اهـ.

(٣) في «النزول» رقم (٧).

الفجر». حديثٌ حسنٌ رواه أحمدُ في مسنده[1]، ورجاله أئمة[2]، ورواه[3] أبو معاويةَ بلفظ: «**إن الله تعالى يفتح أبوابَ السماء، ثم يهبط إلى السماء الدنيا، ثم يبُسط يده فيقول: ألا عبدٌ يسألني فأُعطيه، حتى يطلع الفجر**».

وعن رِفاعةَ الجُهني قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إذا مضى نصفُ الليل أو ثلثُ الليل نزل الله إلى سماء الدنيا فقال: لا أسأل عن عبادي غيري، من ذا الذي يستغفرني فأغفِرُ له، من ذا الذي يدعوني فأستجيبُ له؟ من ذا الذي يسألني فأُعطيه؟ حتى ينفجر الفجر**». حديث صحيح رواه أحمدُ في مسنده[4].

وعن عثمانَ بن أبي العاص الثقفي رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «**ينزل الله إلى سماء الدنيا كل ليلة فيقول: هل من داعٍ فأستجيب له؟ هل من سائل فأُعطيه؟ هل من مستغفر فأغفرَ له. وأن داودَ خرج ذَاتَ ليلة فقال: لا يُسأل اللّهُ شيئاً إلا أعطاه، إلا أن يكون ساحراً أو عشّاراً**». رواه الإمامُ أحمدُ بنحوه[5].

---

(١) (١/ ٣٨٨، ٤٠٣) من طريق أبي إسحاق عن أبي الأحوص به، وأبو إسحاق مدلساً وقد عنعن.
قلت: وأخرجه اللالكائي رقم (٧٥٧) والآجري في «الشريعة» (ص٣١٢) والدارمي في «الرد على الجهمية» (ص٤٠) والدارقطني في «النزول» رقم (٨).
كلهم من طريق إبراهيم الهجري عن أبي الأحوص به.
وإبراهيم الهجري، هو ابن مسلم: قال عنه الحافظ في «التقريب» (١/ ٤٣): «لين الحديث رفع موقوفات».
وخلاصة القول أن الحديث صحيح لغيره، والله أعلم.

(٢) قالها ابن القيم في «مختصر الصواعق» (٢/ ٢٣٥) ولكنه لم يصب، فالإسناد ضعيف كما رأيت آنفاً.

(٣) أخرجها الدارقطني في «النزول» رقم (٨) والآجري في «الشريعة» (ص٣١٢).
وهو حديث صحيح لغيره.

(٤) في «المسند» (٤/ ١٦).
قلت: وأخرجه ابن ماجه رقم (١٣٦٧) والدارقطني في «النزول» رقم (٦٨) والآجري في «الشريعة» (ص٣١٠ ـ ٣١١) وابن خزيمة في «التوحيد» (١/ ٣١٢ رقم ٣٧/ . . .) والنسائي في «عمل اليوم والليلة» كما في «تحفة الأشراف» رقم (٣٦١١).
وهو حديث صحيح.

(٥) * أخرج أحمد في «المسند» (٤/ ٢٢) وابن أبي عاصم في «السنة» (١/ ٢٢ رقم ٥٠٨) والدارقطني في «النزول» رقم (٧٢) وابن خزيمة في «التوحيد» (ص١٣٥).
عن عثمان بن أبي العاص، عن النبي ﷺ قال: «**ينادي كل ليلةٍ منادٍ هل من داع فأستجيب**=

وعن أبي الدرداءِ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«ينزل اللّهُ تبارك وتعالى في آخر ثلاثِ ساعاتٍ بقين من الليل ينظر في الساعة الأولى منهن في الكتاب الذي لا ينظُر فيه غيرُه، فيمحو ما يشاء ويُثبت. ثم ينظر في الساعة الثانية في جنة عدْن وهي مسكنُه الذي يسكن، لا يكون معه فيها إلا الأنبياءُ والشهداءُ والصدّيقون، وفيها ما لم يرَ أحدٌ ولم يخطر على قلب بشر.**

ثم يهبِط في آخر ساعةٍ من الليل يقول: ألا مستغفرٌ فأغفر له؟، ألا سائلٌ فأعطيه؟، ألا داعٍ فأستجيب له؟». رواه عثمان بن سعيد الدارمي[1].

وروى موسى بنُ عقبةَ عن إسحاقَ بنِ يحيى بنِ الوليدِ عن عبادةَ بنِ الصامتِ[2] رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«ينزل اللّهُ كلَّ ليلة إلى سماء الدنيا**

= **له، هل من سائل فأعطه، هل من مستغفر فأغفر له»**.
وسنده ضعيف، لعنعنة الحسن البصري، ولسوء حفظ ابن جدعان. لكن يشهد لهذا الحديث الأحاديث الأخرى المتقدمة واللاحقة.
والخلاصة أن الحديث صحيح بشواهده.
* وأخرج أحمد في «المسند» (٤/٢١٨) عن عثمان بن أبي العاص، مرفوعاً بلفظ: **«إنَّ في الليل ساعة تفتح فيها أبواب السماء ينادي منادٍ هل من سائل فأعطيه؟ هل من داعٍ فأستجيب له؟ هل من مستغفر فأغفر له؟...**
وإن داود خرج ذات ليلة فقال: لا يسأل الله عز وجل أحد شيئاً إلاّ أعطاه إلا أن يكون ساحراً أو عشاراً...»،
وسنده ضعيف أيضاً.

(١) في «الرد على الجهمية» (ص٣٩).
قلت: وأخرجه اللالكائي رقم (٧٥٦) والدارقطني في «النزول» رقم (٧٣) وابن خزيمة في «التوحيد» (ص١٣٥ ـ ١٣٦)، وابن الجوزي في «العلل المتناهية» (١/٣٨ رقم ٢١).
قلت: والحديث بهذا السياق منكر، وآفته (زياد بن محمد). فقد قال البخاري والنسائي: «متروك الحديث». وقال ابن حبان: «منكر الحديث جداً، يروي المناكير عن المشاهير فاستحق الترك».
وقال الذهبي بعد أن ساق حديثه هذا: «فهذه ألفاظ منكرة، لم يأت بها غير زياد، وقد انفرد بحديث الرقية: ربنا الله الذي في السماء ـ بالإسناد» اهـ.
[«الميزان» (٢/٩٨) و «لسان الميزان» (٢/٤٩٦) و «التقريب» (١/١٧١)].
وخلاصة القول أن الحديث منكر بهذا السياق، والله أعلم.

(٢) أخرجه الآجري في «الشريعة» (ص٣١٢) وعزاه ابن حجر في «الفتح» (٣/٣٠) إلى الطبراني. =

حين يبقى ثلثُ الليل الآخِرُ فيقول: ألا عبدٌ يدعوني فأستجيب له؟ ألا ظالمٌ لنفسه يدعوني فأقبَلَه؟. فيكون كذلك إلى مطلع الصبح، ويعلو على كرسيه».

وعن أبي الخطاب ﷺ أنه قال وقد سئل عن الوتر: أُحِب أُوتِرُ نصف الليل، فإن الله يهبط من السماء السابعة إلى السماء الدنيا فيقول: هل من مذنب؟ هل من مستغفر؟ هل من داعٍ؟ حتى إذا طلع الفجرُ ارتفع». رواه محمد بن سعيد في طبقاته[1].

وعن عمْرو بن عامر السلمي ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إذا ذهب ثلثُ الليل ـ أو قال نصفُ الليل ـ ينزلُ اللَّهُ إلى سماء الدنيا فيقول: هل من عان فأُفُكَّه؟ هل من سائل فأعطيه؟ هل من داع فأستجيب له؟ هل من مستغفر فأغفِر له؟**». رواه ابنُ مِنده[2].

وعن عبيد بنِ السبّاقِ أنه بلغه أن رسولَ الله ﷺ قال: «**ينزل ربُنا من آخر الليلِ فينادي منادٍ في السماء العليا: ألا نزل الخالقُ العليم. فيخرج أهلُ السماء**

= وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٥٤) وعزاه إلى الطبراني في «الكبير» و «الأوسط» وقال: «يحيى بن إسحاق لم يسمع من عبادة، ولم يرو عنه غير موسى بن عقبة، وبقية رجال الكبير رجال الصحيح». وفي آخره لفظة منكرة وهي **«ويعلو على كرسيه»**.

وقال الحافظ: إسحاق بن يحيى بن الوليد بن عبادة بن الصامت، أرسل عن عبادة: وهو مجهول الحال. [التقريب: رقم (٣٩٢)].

وخلاصة القول أن الحديث حسن لغيره ما عدا اللفظة المنكرة.

(١) (٦/ ٥٧).

قلت: وأخرجه الطبراني في «الكبير» (٢٢/ ٣٧٠ رقم ٩٢٧).

وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢/ ٢٤٥) وقال: «رواه الطبراني في «الكبير» وثُوَيرة ضعيف».

وقال الحافظ في «التقريب» رقم (٨٦٢): ثوير، مصغر، ابن أبي فاختة، أبو الجَهْم: ضعيف رُميَ بالرّفض» اهـ.

(٢) لم أجده في «التوحيد»، ولا في «الرد على الجهمية»، ولا في الإيمان.

وقد عزاه ابن حجر في «الفتح» (٣/ ٣٠) إلى الدارقطني في كتاب «السنة».

وقال الدارقطني: عبد الحميد وأبوه لا يعرفان كما في «تهذيب التهذيب» (٦/ ١٠٥).

والخلاصة أن الحديث حسن بشواهده، والله أعلم.

ويناديَ فيهم منادٍ بذلك، فلا يَمُرَ بأهل سماءٍ إلا وهم سجودٌ». رواه أبو داودَ[1].

وروى أبو اليمانِ ويحيى بنُ أبي بكيرٍ وعبدُ الصمد بنُ النعمان ويزيدُ بنُ هارونَ ـ وهذا سياق حديثِه ـ أخبرَنا جريرُ بنُ عثمانٍ حدثنا سليمان[2] بنُ عامرٍ عن عمْرو بنِ عبسةَ قال: أتيتُ النبيَّ ﷺ فقلت: يا رسولَ الله جعلني الله فداك، شيءٌ تعْلمُه وأجهَلُه ينفعني ولا يضرُّك، ما ساعةٌ أقربُ من ساعة وما ساعةٌ تبقى فيها؟ يعني الصلاة؛ فقال: «**يا عمْرو بنَ عبسةَ، لقد سألتني عن شيء ما سألني عنه أحدٌ قبلك. إن الربَّ تعالى يتدلى من جوف الليل فيغفر، إلا ما كان من الشرك والبغي، والصلاةُ مشهودةٌ حتى تطْلُعَ الشمس فإنها تطلُع على قَرن الشيطان وهي صلاةُ الكفار، فأقصرِ عن الصلاةِ حتى ترتفع الشمس، فإذا استعلت الشمسُ فالصلاةُ مشهودةٌ حتى يعتدل النهار، فإذا اعتدل النهارُ فأخر الصلاةَ فإنها حينئذ تُسْجر جهنمُ، فإذا فاء الفيءُ فالصلاةُ مشهودةٌ حتى تدلي للغروب فإنها تغيب بين قرني الشيطان فأقصِرْ عن الصلاةِ حتى تطلع الشمس**»[3]. **وهو في مسلم[4] مطولاً.**

---

(١) في «المراسيل» رقم (٧٤).
قلت: وأخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» رقم (٥٠٦).
وقال المحدث الألباني: «**إسناده ضعيف لإرساله**، فإن ابن عبيد بن السبّاق اسمه: سعيد وهو تابعي ثقة وسائر رجاله ثقات رجال الشيخين غير حجاج يوسف وهو الثقفي البغدادي المعروف بابن الشاعر فهو من رجال مسلم، إلا أن ابن أخي الزهري، واسمه: محمد بن عبد الله بن مسلم ـ قد تكلموا فيه من قبل حفظه ـ.
وقال الحافظ في «التقريب»: «صدوق له أوهام».
قلت: والحديث بهذا السياق منكر، فيه زيادات منكرة لم ترد في شيء من الطرق المتقدمة والآتية.
فإن لم يكن الوهم فيها من ابن أخي الزهري، فالعلة الإرسال» اهـ.

(٢) الصواب: سليم بن عامر. فقد قال ابن أبي حاتم في «المراسيل» (ص٨٥) رقم (٣١٠): «سليم بن عامر لم يدرك عمرو بن عَبَسة، ولا المقداد بن الأسود» اهـ.

(٣) أخرجه اللالكائي رقم (٧٦١) وأحمد (٤/ ٣٨٥) والدارقطني في «النزول» رقم (٦٦) **بسند منقطع**.
فسليم بن عامر لم يسمع من عمرو بن عبسة.
* وقد أخرج الحديث من طرق أخرى وليس فيها ذكر التدلي. الترمذي رقم (٣٥٧٩) وابن ماجه رقم (١٣٦٤) وأحمد (٤/ ٣٨٥).
قال الترمذي: **هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه**.

(٤) ليس في أصل الحديث عند مسلم حتى يرد عنده مطولاً.

قلت: وهذا معنى قوله تبارك وتعالى: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾﴾ [الإسراء: ٧٨ ـ ٧٩].

وفي كتاب السنة للخلال[١] عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «**ينزل اللّهُ كلَّ ليلة إلى سماء الدنيا ثلثَ الليل الأوسط فيقول: من يدعوني فأستجيب له؟ ومن يسألني فأُعطيَه؟ ويترك أهلَ الحِقد لحقدهم**».

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله عز وجل ينزل في ثلاث ساعاتٍ بقين من الليل يفتح الذكرَ في الساعةِ الأولى لم يره أحدٌ غيرُه، فيمحو ما يشاء ويُثبت ما شاء، ثم ينزل في الساعة الثانيةِ إلى جنةِ عدْنٍ التي لم ترها عينٌ ولم تخطرُ على قلب بشر ولا يسكُنُها من بين آدم غيرُ ثلاثةٍ: النبيين والصديقين والشهداء، ثم يقول: طوبىٰ لمن دخلكِ.**

ثم ينزل في الساعة الثالثة إلى سماء الدنيا بروحه وملائكتِه فتنتفض[٢] فيقول: قومي بعزتي. ثم يطلُع إلى عباده فيقول هل من مستغفر أغفرُ له؟ هل من داع أجيبه؟، حتى تكون صلاةُ الفجر، وكذلك يقول: ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء: ٧٨]. **فيشهَده اللّهُ وملائكةُ الليلِ والنهار**». رواه ابنُ خزيمةَ في كتاب التوحيد[٣] وقد تقدم قريباً بغير هذا اللفظ.

وله[٤] عن القاسم بن محمدٍ عن أبيه ـ أو عمّه ـ عن جده عن رسول الله ﷺ

---

(١) لم أجده في الأجزاء الخمسة المطبوعة من «السنة» للخلال. ولعله في الأجزاء التي لم تُطبع بعد من الكتاب.
وقد أخرج الحديث الدارمي في «الرد على الجهمية» (ص٤١) واللالكائي رقم (٧٦٦) وابن أبي عاصم في «السنة» رقم (٥١٣).
قال الألباني: **إسناده صحيح**، رجاله ثقات رجال الشيخين، غير الوزان وهو أبو محمد الرقي وهو ثقة كما قال النسائي وغيره. مات سنة (٢٤٩هـ).
وخلاصة القول أن الحديث صحيح، والله أعلم.
(٢) في الأصل: «فينتفض» وهو تصحيف فاحش. والصواب ما أثبتناه.
(٣) (ص١٣٥ ـ ١٣٦).
وهو حديث منكر بهذا السياق. وقد تقدم تخريجه قريباً.
(٤) أي لابن خزيمة في «التوحيد» (ص١٣٦).

أنه قال: «**ينزِلُ الله عز وجل ليلةَ النصفِ فيغفر للمؤمنين**» الحديث رواه ابنُ زِنجَويه.

وعن أبي أمامةَ[1] رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إذا كان ليلةُ النصفِ من شعبانَ هبط الله تعالى إلى سماء الدنيا فيغفر لأهل الأرضِ إلا لكافر أو مشاحن**». رواه محمد بنُ الفضل البخاريُّ.

وعن أبي موسى الأشعري[2] رضي الله عنه سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول: **ينزِل ربنا إلى سماء الدنيا في النصف من شعبانَ فيغفر لأهلِ الأرضِ إلا لكافر أو مشاحن**».

قلت: ولا منافاةَ بين أحاديثِ تخصيصِ النزولِ بليلةِ النصفِ من شعبان وبين الأحاديثِ القاضيةِ أنه في كل ليلة، فإن النزولَ في ليلةَ النصفِ من شعبانِ مطلقٌ، والنزولَ في كل ليلة مقيدٌ بالنصف في لفظ وبالثلث في آخر، على أنه ليس في تخصيص النزولِ بنصف شعبانَ نفيٌ له فيما عداهما، والأحاديثُ التي فيها النزولُ كلَّ ليلةِ أكثرُ وأشهرُ وأصحُّ بلا شك ولا مرية.

وقد ثبت النزولُ أيضاً في عشيةِ عرفةَ كما روى ابن أبي حاتم من حديث أبي الزبيرِ عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن النبي ﷺ: «**إذا كان يومُ عرفةَ فإن اللَّهَ ينزل إلى سماء الدنيا فيباهي بهم الملائكةَ فيقول: «انظروا إلى عبادي، أتوني شُعْثاً غُبراً، أُشهدكم أني قد غفرتُ لهم**»[3].

= **وهو حديث صحيح وإسناده ضعيف وقد تقدم تخريجه قريباً.**

(1) قال ابن القيم في «مختصر الصواعق» (٢/ ٢٤٧) عقب الحديث: رواه محمد بن الفضل البخاري عن مكي بن إبراهيم عن جعفر بن الزبير عن القاسم عن أبي أمامة مرفوعاً ثم ذكر الحديث.
قلت: سنده هالك.

(2) أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» رقم (٥١٠) واللالكائي رقم (٧٦٣) والدارقطني في «النزول» رقم (٩٤) **بسند ضعيف** لجهالة «عبد الرحمن بن عزوب» وضعف «ابن لهيعة».
والحديث أخرجه ابن ماجه (١٣٩٠) من طريقين آخرين عن ابن لهيعة به، إلا أن أحدهما لم يقل في إسناده: «عن أبيه».
وخلاصة القول أن الحديث صحيح لغيره، والله أعلم.

(3) أخرجه اللالكائي رقم (٧٥١) من طريق ابن أبي حاتم **بسند ضعيف.**
وعزاه الحافظ ابن حجر في «الفتح» (٣/ ٣٠) إلى الدارقطني في كتاب «السنة».

ورواه الخلالُ في السنة[1] من حديث أبي النضر عن أيوبَ عن أبي الزبير عنه يرفعه: «**أفضلُ أيامِ الدنيا أيامُ العشر**». قالوا: يا رسول الله ولا مثلُهن في سبيل الله؟ قال: «**إلا من عفّر وجهه في التراب، إن عشيةَ عرفةَ ينزلُ اللَّهُ إلى سماء الدنيا فيقول للملائكة: انظروا إلى عبادي هؤلاء شعثاً غبراً، جاءوا من كل فج عميق ضاحين يسألوني رحمتي. فلا يرى يوم أكثرَ عتيقاً ولا عتيقةً**».

وروى خلادُ بنُ يحيى[2] حدثنا عبدُ الوهاب عن مجاهد عن ابن عمرَ رضي الله عنهما قال: كنت جالساً عند النبي ﷺ فجاء رجلان أحدُهما أنصاريٌّ والآخرُ ثقفيٌّ فذكر الحديث وفيه: «**إن الله ينزل إلى السماء الدنيا فيقول للملائكة هؤلاء عبادي جاءوني شعثاً غبراً من كل فج عميق، اشهدوا أني قد غفرتُ لهم ذنوبَهم**». رواه طلحةُ عن مجاهد به[3].

وقد رُوي النزولُ في رمضان، وليس هو نافياً له في غيره. فروى عليُّ بنُ معبد عن عبيد الله بنِ عمرَ عن زيد بن أبي أنيسةَ عن طارق عن سعيد بن جبير سمعتُ ابنَ عباس رضي الله عنهما يقول: «**إن الله تبارك وتعالى ينزِل في شهر رمضانَ، إذا ذهب الثلثُ الأولُ من الليل هبط إلى السماء الدنيا ثم قال: هل من سائل يُعطى؟ هل من مستغفر يُغفر له؟ هل من تائب يتاب عليه؟**»[4].

وروى عبيدُ الله بن موسى قال ابنُ أبي ليلى عن المنهال عن سعيد بنِ جبيرٍ عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

قال: «**ينزل الله إلى السماء الدنيا في شهر رمضان يدبر أمرَ السنة فيمحو ما**

---

(١) لم أجده في الأجزاء الخمسة المطبوعة من «السنة» للخلال. ولعله في الأجزاء التي لم تطبع بعد من الكتاب.
وعزاه إلى الخلال ابن القيم في «مختصر الصواعق» (٢/ ٢٣٥).

(٢) عزاه إليه ابن القيم في «مختصر الصواعق» (٢/ ٢٤٤ ـ ٢٤٥).

(٣) عزاه إليه ابن القيم في «مختصر الصواعق» (٢/ ٢٤٤ ـ ٢٤٥).

(٤) أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة رقم (٥١٣) واللالكائي رقم (٧٦٦) والدارمي في «الرد على الجهمية» (ص٤١).
وقال الألباني: **إسناده صحيح**... وقد تقدم الكلام عليه قريباً.

يشاء غيرَ الشقاوةِ والسعادةِ والموتِ والحياة»[1]. وإسناده حسن.

وهذا الموقوفُ له حكمُ المرفوعِ عند المحدثين لأنه لا يُقال من قِبَل الرأي. وقد ثبت النزولُ لفصل القضاء وللتجلي لأهل الجنةِ كما ستأتي الأحاديثُ إن شاء الله تعالى.

ونحن نشهد شهادةَ مُقِرٍّ بلسانه مصدِّقٍ بقلبه مستيقن بما في هذه الأخبار من ذكر نزولِ الربِّ جل وعلا من غير أن نصف الكيفيةَ، لأن نبينا المصطفى ﷺ لم يصف كيفيةَ نزولِ خالِقنا إلى سماء الدنيا، وأعلمنا أنه ينزل، والله جل وعلا لم يترك ولا نبيُّه ﷺ بيانَ ما بالمسلمين إليه الحاجةُ من أمر دينهم، فنحن القائلون مصدقون بما في هذه الأخبارِ من ذكر النزولِ كما يشاء ربُّنا وعلى ما يليق بجلاله وعظمتِه عز وجل غيرَ متكلِّفين القولَ بصفِته أو بصفة الكيفية.

إذ النبيُّ ﷺ لم يصف لنا كيفية النزولِ، فنسير بسير النصوصِ حيث سارت، ونقف معها حيث وقفت، لا نعدوها إن شاء الله تعالى ولا نقصّر عنها.

وقد تكلفت جماعة من مُثْبتي المتكلمين فخاضوا في معنى ذلك وفي ذلك الانتقال وعدمِه، وفي خلو العرشِ منه وعدمِه نفياً وإثباتاً وذلك تكلفٌ منهم، ودخولٌ فيما لا يعنيهم، وهو ضربٌ من التكييف لم يأت في لفظ النصوصِ ولم يسأل الصحابةُ النبيَّ ﷺ عن شيء من ذلك حين حدثهم بالنزول، فنحن نؤمن بذلك ونصدق به كما آمنوا وصدقوا، فإن قال لنا مُتعنِّتٌ أو متنطِّع: يلزم من إثبات كذا كيت وكيت في أي شيء من صفات الله، قلنا له: أنت لا تُلزمنا نحن فيما تدّعيه وإنما تُلزم قائلَ ذلك وهو رسولُ الله ﷺ، فإن كان ذلك لازماً لِما قاله حقيقةً وجب الإيمانُ به، إذ لازمُ الحقِّ حقٌّ، وإن لم يكن ذلك لازماً له فأنت معترِض على النبيِّ ﷺ كاذبٌ عليه متقدِّمٌ بين يديه.

---

(١) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٣/ ٣٢٢ ـ ٣٢٣ رقم ٣٦٦٦).
وأورده السيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ٦٥٩) وعزاه إلى عبد الرزاق والفريابي، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم. والبيهقي في «الشعب».
وأورده ابن القيم في «مختصر الصواعق» (٢/ ٢٤٥) وحسن إسناده.

وروى البيهقيُّ[1] عن الحاكم عن محمد بنِ صالحِ بنِ هانىءٍ سمع أحمدَ بنَ سلمةَ سمعتُ إسحاقَ بنَ راهُويه يقول: (جمعني وهذا المبتدعَ - يعني إبراهيمَ بنَ صالحٍ - مجلسُ الأميرِ عبدِ الله بنِ طاهرٍ، فسألني الأميرُ عن أخبارِ النزولِ فسردتُها، فقال ابنُ أبي صالحٍ: كفرتُ بربٍ ينزل من سماء إلى سماء، فقلت: آمنتُ بربٍ يفعل ما يشاء).

وقال إسحاق[2] رحمه الله تعالى: (دخلتُ على ابن طاهرٍ فقال: ما هذه الأحاديثُ يروون أن اللَّهَ ينزل إلى السماء الدنيا؟ قلت: نعم، رواها الثقاتُ الذين يروون الأحكامَ، فقال: ينزل ويدع عرشه؟ فقلت: يقدر أن ينزِلَ من غير أن يخلُوَ منه العرشُ؟ قال: نعم. قلت: فلِمَ تتكلم في هذا؟).

---

(1) في «الأسماء والصفات» (ص٤٥٢) **بإسناد صحيح**.
قلت: وأخرجه الذهبي في «العلو» (ص١٣١). وقال عقبها: «فكأن إسحاق الإمام يخاطبك بها».
وقال الألباني في «مختصر العلو» (ص١٩٢): «يعني أن الإسناد في غاية الصحة، حتى لكأنك تسمع ذلك من الإمام إسحاق مباشرة. فإن أحمد بن سلمة هو الحافظ أبو الفضل النيسابوري رفيق مسلم في الرحلة، كان حافظاً ماهراً. مات سنة (٢٨٦هـ).
ومحمد بن صالح بن هانئ من شيوخ الحاكم الذين أكثر عنهم في كتابه «المستدرك على الصحيحين».
ويبدو من كلام المصنف - أي الذهبي - المذكور أعلاه أنه من الثقات الأثبات... وهذا الأثر عند البيهقي في «الأسماء والصفات» (ص٤٥٢) من طريق الحاكم، وصححه المؤلف كما سبق» اهـ.

(2) أخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» (ص٤٥١ - ٤٥٢) من طريق أخرى عن إسحاق مختصراً وعزاه ابن تيمية في «شرح حديث النزول» لابن بطة **وصححه**.
وأخرجه الذهبي في «العلو» (ص١٣١ - ١٣٢): **بإسناد صحيح رجاله كلهم ثقات**.
قال الألباني في «مختصر العلو» (ص١٩٢ - ١٩٣): «فائدة»: في قول إسحاق رحمه الله تعالى: **«يقدر أن ينزل من غير أن يخلو منه العرش» إشارة منه إلى تحقيق أن نزوله تعالى ليس كنزول المخلوق، وأنه ينزل إلى السماء الدنيا دون أن يخلو منه العرش ويصير العرش فوقه، وهذا مستحيل بالنسبة لنزول المخلوق الذي يستلزم تفريغ مكان وشغل آخر. وهذا الذي أشار إليه إسحاق هو المأثور عن سلف الأمة وأئمتها، أنه تعالى لا يزال فوق العرش، ولا يخلو العرش منه، مع دنوه ونزوله إلى السماء.**
قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وهو الصواب. فراجع بسط ذلك في كتابه «شرح حديث النزول» (ص٤٢ - ٥٩)» اهـ.

وقال إسحاقُ[1] أيضاً: (قال لي ابنُ طاهرٍ: يا أبا يعقوبَ هذا الذي تروونه: **«ينزل ربُنا كلَّ ليلةٍ»**. كيف ينزل؟ قلت: أعز اللّهُ الأميرَ، لا كيفَ، إنما ينزِلُ بلا كيف).

وقال أحمدُ بنُ سعيدٍ الرباطيُّ: (حضَرتُ مجلسَ ابنِ طاهرٍ وحضر إسحاقُ، فسئلَ عن حديث النزولِ أصحيحٌ هو؟ قال: نعم، فقال له بعضُ القواد: كيف ينزل؟ فقال: أثبتْه فوق حتى أصفَ لك النزولَ، فقال الرجل: أُثبتُه فوق، فقال إسحاقُ: قال الله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢].

فقال ابنُ طاهر: هذا يا أبا يعقوب يوم القيامة، فقال: ومن يجيء يوم القيامة من يمنعه اليوم؟)[2] اهـ. من كتاب العلوّ[3].

وهذا الذي قاله إسحاقُ رحمه الله تعالى الذي عليه عامةُ أهلِ السنةِ والجماعةِ كما قدمنا عنهم في جميع نصوصِ الصفاتِ، وأن مذهبهم إمرارُها كما جاءت والإيمانُ بها بلا كيف.

[مجيء الله تعالى يوم الفصل كما يشاء للقضاء بين الخلائق]

(وأنه يجيء يومَ الفصلِ كما يشاء للقضاء العدل)

قال الله تبارك وتعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ [البقرة: ٢١٠]. وقال تبارك وتعالى:

---

(١) أخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» (ص٤٥٢) بإسناد صحيح.
وأخرجه الذهبي في «العلو» (ص١٣٢).
وقال الألباني في «مختصر العلو» (ص١٩٣): «أبو حامد بن الشرقي اسمه أحمد بن محمد، وهو ثقة حافظ توفي سنة (٣٢٥هـ).
لكن شيخه حمدان السلمي لم أعرفه، ومثله قرينه أبو داود الخفاف...» اهـ.

(٢) أخرجه الصابوني في «عقيدة السلف أصحاب الحديث» رقم (٤٤) بسند صحيح.
وذكره الذهبي في: «العلو» (ص١٣٢) معلقاً عن إبراهيم بن أبي طالب به.
وقال الألباني في «مختصر العلو» (ص١٩٣ ـ ١٩٤): «هذا إسناد صحيح، الرباطي ثقة من شيوخ البخاري مات سنة (٢٤٦هـ). وإبراهيم بن أبي طالب ثقة حافظ مات سنة (٢٩٥هـ)...» اهـ.

(٣) (ص١٣١ ـ ١٣٢).

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ [الأنعام: ١٥٨]. وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٥]. وقال تعالى: ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ [الفجر]. وقال تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ [الزمر: ٦٩].

وفي حديث الصور المشهورِ[١] الذي ساقَهُ غيرُ واحدٍ من أصحابِ المسانيدِ وغيرِهم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ وفيه: «**إن الناسَ إذا اهتموا لموقفهم في العَرَصات تشفعوا إلى ربهم بالأنبياء واحداً واحداً من آدمَ فمن بعده، فكلُهم يحيد عنها حتى ينتهوا إلى محمد ﷺ، فإذا جاءوا إليه قال: أنا لها، أنا لها، فيذهب فيسجد لله تعالى تحت العرشِ ويشفع عند الله في أن يأتيَ لفصلِ القضاءِ بين العباد فيشفِّعه اللَّهُ ويأتي في ظلل من الغمام بعد ما تنشق السماءُ الدنيا وينزل مَن فيها من الملائكة ثم الثانية ثم الثالثة ثم السابعة، وينزِل حملةُ العرش والكروبيون. قال: وينزِل الجبار عز وجل في ظلل من الغمام ولهم زجَلٌ من تسبيحهم يقولون: سبحان ذي المُلكِ والملكوت، سبحان ذي العزة والجبروت، سبحان الحيِّ الذي لا يموت، سبحان الذي يُميت الخلائقَ ولا يموت، سبُوحٌ قدوسٌ ربُ الملائكةِ والروح، سبوحٌ قدوسٌ سبحان ربِّنا الأعلى، سبحان ذي السلطانِ والعظمةِ، سبحانه سبحانه أبداً أبداً**».

وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**يجمعُ اللَّهُ الأولين والآخرين لميقات يوم معلوم أربعين سنةً شاخصةً أبصارُهم إلى السماء ينتظرون فصلَ القضاء، وينزل الله في ظلل من الغَمام من العرش إلى الكرسي**» رواه ابن منده[٢] وقال الذهبي[٣]: إسناده حسن.

وعن أبي هريرةَ رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إذا كان يوم القيامة نزل الربُّ إلى العباد**». رواه مسلم[٤].

---

(١) سيأتي تخريجه والكلام عليه في كتابنا هذا، عندما يذكره المؤلف بطوله.
(٢) في كتاب «التوحيد» (٣/ ١١٩ ـ ١٢٢ رقم ٥٣١) و (٣/ ١٢٣ رقم ٥٣٢) بسند حسن.
(٣) في «العلو» (ص٧٣).
(٤) لم يخرجه مسلم بهذا اللفظ. والذي يظهر أن المؤلف رحمه الله أخذ الحديث وتخريجه من «العلو» للذهبي. (ص٧٣).
وقد أخرج الترمذي (٤/ ٥٩٢ رقم ٢٣٨٢) من حديث أبي هريرة مرفوعاً بلفظ: «... **إذا كان** =

وعن أسماءَ بنتِ يزيدَ رضي الله عنها قالت: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**يهبط الربُ تعالى من السماء السابعة إلى المقام الذي هو قائمُه، ثم يخرج عنق من النار فيُظِل الخلائقَ كلَّهم فيقول: أمرتُ بكل جبارٍ عنيد، ومن زعم أنه عزيزٌ كريم، ومن دعا مع الله إلهاً آخر**». رواه أبو أحمدَ العسالُ في كتاب السنة[1].

وفي الصحيحين[2] من حديث الشفاعةِ عن أبي هريرة رضي الله عنه وفيه: «**يجمعُ الله الناسَ يوم القيامة فيقول: من كان يعبد شيئاً فليتْبعه، فيتبع من كان يعبد الشمسَ الشمسَ، ويتبع من كان يعبد القمرَ القمرَ، ويتبع من كان يتبع الطواغيتَ الطواغيتَ، وتبقى هذه الأمةُ فيها شافعوها** ـ أو منافقوها، شك إبراهيم، يعني ابنَ سعدٍ الراوي عن ابن شهاب ـ **فيأتيهم اللَّهُ تعالى فيقول: أنا ربكم. فيقولون: هذا مكانُنا حتى يأتينا ربُنا فإذا جاء ربُنا عرفناه، فيأتيهم اللّهُ في صورته التي يعرِفون فيقول: أنا ربُكم، فيقولون: أنت ربُنا فيتبعونه، ويُضرب الصراطُ بين ظهرَيْ جهنم**». وذكر الحديث بطوله.

ولهما[3] نحوه من حديث أبي سعيد، وفيه: «**حتى يبقى من كان يعبد الله من بَر أو فاجر، فيقال لهم: ما يحبسكم وقد ذهب الناسُ؟ فيقولون: فارقناهم ونحن أحوجُ منا إليهم اليوم، وإنا سمعنا منادياً ينادي: ليلْحقْ كلُ قومٍ بما كانوا يعبدون وإنما ننتظر ربَّنا، قال: فيأتيهم الجبارُ في صورة غير صورتِه التي رأوه فيها أولَ مرة فيقول: أنا ربُكم فيقولون: أنت ربُنا. فلا يكلمه إلا الأنبياءُ، فيقول: هل بينكم وبينه آيةٌ تعرِفونه؟ فيقولون: الساقُ، فيكشف عن ساقه فيسجد له كلُ مؤمن، ويبقى مَن كان يسجد لله رياءً وسُمعةً فيذهب كيما يسجدَ فيعود ظهرُه طبقاً واحداً**». وذكر الحديث. والأحاديث في هذا كثيرةٌ.

قال الذهبيُ[4] رحمه الله تعالى: (أحاديثُ نزولِ الباري متواترةٌ، قد سُقت طرقَها وتكلمتُ عليها بما أُسأل عنه يوم القيامة).

= يوم القيامة ينزل إلى العباد ليقضي بينهم. . . .» وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

(١) عزاه إليه ابن القيم في «مختصر الصواعق» (٢/ ٢٤٦) بسند ضعيف جداً.
شهر بن حوشب ضعيف، وأبان بن عياش متروك.

(٢) البخاري (٢/ ٢٩٢ ـ ٢٩٣ رقم ٨٠٦) ومسلم (١/ ١٦٣ ـ ١٦٦ رقم ١٨٢).

(٣) أي للبخاري (١٣/ ٤٢٠ ـ ٤٢٢ رقم ٧٤٣٩) ومسلم (١/ ١٦٧ ـ ١٧١ رقم ١٨٣).

(٤) في «العلو» (ص٧٣).

[رؤية الله يوم القيامة]

(وأنـــه يُـــرى بـــلا إنـــكـــارِ ... فـي جـنـة الـفـردوسِ بـالأبـصـار)
(كـــلٌّ يـــراه رؤيـــةَ الـــعِـــيـــانِ ... كـمـا أتـى فـي مـحـكـم الـقـرآن)
(وفـــي حـــديـــث ســـيـــدِ الأنـــامِ ... مـن غـيـر مـا شـك ولا إيـهـام)
(رؤيـــةَ حـــقٍّ لـــيـــس يـــمـــتـــرونـــهـــا ... كـالشمس صحواً لا سحابَ دونها)
(وخُـــصّ بـــالـــرؤيـــة أولـــيـــاؤُه ... فـضـيـلـةً، وحُـجـبـوا أعـداؤُهُ)

قال الله تبارك وتعالىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة]، وقال تعالىٰ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞۖ﴾ [يونس: ٢٦]، وقال تعالىٰ: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيۡنَا مَزِيدٞ﴾ [قٓ: ٣٥]، وقال تعالىٰ في شأن الكفار: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]، فإذا حُجب أولياؤه فأيُّ فضيلةٍ لهم على أعدائه.

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ ٱلۡيَوۡمَ فِي شُغُلٖ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمۡ وَأَزۡوَٰجُهُمۡ فِي ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمۡ فِيهَا فَٰكِهَةٞ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَٰمٞ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ ﴿٥٨﴾﴾ [يسٓ]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [المطففين]. وهذه الآياتُ صريحةُ الدلالة على رؤية المؤمنين ربَّهم تبارك وتعالىٰ لا تقبل تحريفاً ولا تأويلاً، ولا يردها إلاّ مكابرٌ قد ختم الله على سمعه وقلبهِ وجعل على بصره غشاوةً، فمن يهديه من بعد الله.

وقد تواترت الأحاديثُ بمعنى ما تضمنتْه هذه الآياتُ، رواها أئمّةُ السنة والحديث في دواوين الإسلامِ عن فضلاءِ الصحابةِ وأجلاّئِهم: كأبي بكر الصدّيق، وأبي هريرة، وأبي سعيد، وجريرِ بنِ عبد اللَّهِ، وصهيبٍ، وابنِ مسعودٍ، وعليٍّ بن أبي طالب، وأبي موسى، وأنس، وبُريدةَ بن الحصيب، وأبي رزين، وجابر بن عبد الله، وأبي أمامةَ، وزيدِ بن ثابت، وعمّار بن ياسر، وعائشةَ، وعبدِ الله بن عمرَ، وعمارِ بنِ رويبة، وسلمانَ الفارسيِّ، وحذيفةَ بنِ اليمان، وعبدِ الله بن عباس، وعبدِ الله بن عَمْرو بن العاصِ، وعبادةَ بنِ الصامت، وأُبيٍّ بن كعب، وكعبِ بن عُجرةَ، وأبي الدرداء، وفضالةَ بنِ عبيد، وعدي بن أرطاة، وأبي موسى الأشعري، وغيرهم رضي الله عنهم.

وهذا أوانُ سردِها فألقِ سمعَك وأحْضِرْ قلبَك، وتأمّلها تأمُّل طالب للحق لا

نافرٍ عنه، وكُنْ من الذين يستمعون القولَ فيتَّبعون أحسنَه، وإياك وسوءَ الظن بكلام الله وكلام رسولِهِ فذلك الهلَكَةُ، وما ضلّ من ضلّ وهلك من هلك إلاّ لسوء ظنّه بالكتاب والسنّة، والله المُستعانُ وعليه التكلانُ ولا حول ولا قوّة إلاّ به[1].

فعن أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه قال: أصبح رسولُ الله ﷺ ذاتَ يوم فصلّى الغَداةَ فجلس حتى إذا كان من الضّحى ضحِك رسولُ الله ﷺ ثم جلس مكانه حتى صلّى الأولى، والعصرَ والمغرِبَ، كلُّ ذلك لا يتكلم حتى صلّى العشاءَ الأخيرةَ، ثم قام إلى أهله، فقال الناسُ لأبي بكر رضي الله عنه: ألا تسأل رسولَ الله ﷺ ما شأنُه؟ صنع اليومَ شيئاً لم يصنعْه قَطُّ، قال: فسأله، فقال: «**نعم عُرِض عليَّ ما هو كائنٌ من أمر الدنيا والآخرةِ، فجُمع الأوّلون والآخرون في صعيد واحد، فقُطع الناسُ بذلك حتى انطلقوا إلى آدمَ ﷺ والعَرقُ يكادُ يُلجِمُهم فقالوا: يا آدمُ أنت أبو البشرِ وأنت اصطفاك الله عزّ وجلّ، اشفع لنا إلى ربّك عزّ وجلّ، قال: لقد لقِيت مثلَ الذي لَقِيتم، انطلقوا إلى أبيكم بعد أبيكم، إلى نوح** ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٣٣]».

«**قال: فينطلقون إلى نوحٍ ﷺ فيقولون: اشفع لنا إلى ربّك فأنت اصطفاك الله واستجاب لك في دعائك، ولم يدع على الأرض من الكافرين ديّاراً، فيقول: ليس ذلكم عندي، انطلقوا إلى إبراهيمَ ﷺ فإن الله اتّخذه خليلاً، فينطلقون إلى إبراهيمَ ﷺ فيقول: ليس ذلكم عندي، انطلقوا إلى موسى ﷺ فإنّ الله عزّ وجلّ كلّمه تكليماً، فيقول موسى ﷺ: ليس ذلكم عندي، انطلقوا إلى عيسى ابنِ مريمَ ﷺ فإنه كان يُبرئ الأكمهَ والأبرصَ ويحيي الموتى، فيقول عيسى: ليس ذلكم عندي انطلقوا إلى سيد ولدِ آدمَ، انطلقوا إلى محمد ﷺ فليشفعْ لكم إلى ربكم عزّ وجلّ، قال: فينطلق، فيأتي جبريلُ ربَّه تبارك وتعالىٰ، فيقول الله عزّ وجلّ: ائذن له وبشِّره بالجنّة، فينطلق به جبريلُ ﷺ فيخِرّ ساجداً قَدْر جُمعة ويقول الله عزّ وجلّ: ارفعْ رأسَك وقل يُسمع واشفع تُشفَّع، قال: فيرفع رأسَه فإذا نظر إلى وجه ربِّه عزّ وجلّ خرَّ ساجداً قَدْرَ جُمعةٍ أخرى، فيقول الله عزّ وجلّ: ارفع**

---

(١) انظر رسالة الإمام الشوكاني «البغية في مسألة الرؤية»، وتحقيقنا لها وتعليقنا عليها.

رأسَك وقل تُسمع واشفَع تُشفَّع، قال: فيذهب ليَضَعَ ساجداً فيأخذ جبريلُ بضَبْعيه فيفتح اللَّهُ عليه من الدعاء شيئاً لم يفتحْه على بشر قطّ، فيقول: أي ربّ خلقتني سيّدَ ولدِ آدمَ ولا فخر، وأوّلَ من تنشقّ عنه الأرضُ يوم القيامة ولا فخر، حتى إنه يرد على الحوض أكثرُ مما بين صنعاءَ وأيْلَة».

«ثم يقال: ادعوا الصدِّيقين فيشفعون، ثم يقال: ادعوا الأنبياءَ، قال: فيجيء النبيُّ ومعه العِصابةُ، والنبيُّ ومعه الخمسةُ والستةُ، والنبيُّ وليس معه أحدٌ، ثم يقال: ادعوا الشهداءَ فيشفعون لمن أرادوا».

«قال: فإذا فعلت الشهداءُ ذلك، قال: فيقول الله عزّ وجلّ: أنا أرحمُ الراحمين، أدخِلوا جنّتي من كان لا يشرك بي شيئاً. قال: فيدخلون الجنّةَ. قال: ثم يقول الله عزّ وجلّ: انظُروا في أهل النار هل تلقَوْن مَنْ عَمِل خيراً قط؟ قال: فيجدون في النار رجلاً فيقولون له: هل عمِلت خيراً قط؟ فيقول: لا، غير أني كنت أسامح الناسَ في البيع. فيقول الله عزّ وجلّ: اسمحوا لعبدي بسماحته إلى عبيدي».

«ثم يُخرجون من النار رجلاً فيقولون له: هل عمِلت خيراً قط؟ فيقول: لا، غيرَ أني أمرتُ ولدي: إذا متُّ فأحرقوني في النار ثم اطحَنوني حتى إذا كنت مثلَ الكُحل فاذهبوا بي إلى البحر فاذْروني في الريح فوالله لا يقدِر عليَّ ربّ العالمين أبداً. فقال الله عزّ وجلّ له: لم فعل ذلك؟ قال: من مخافتك، قال: فيقول الله عزّ وجلّ: انظر إلى مُلك أعظم ملكٍ فإن لك مثلَه وعشرةَ أمثالِه. قال: فيقول: أتسخر بي وأنت المَلِكُ؟ قال ﷺ: وذلك الذي ضَحِكْتُ منه الضحى»، رواه الإمامُ أحمد[1] رحمه الله تعالىٰ.

---

(١) في المسند (١/ ٤ ـ ٥).
قلت: وأخرجه ابن حبان في صحيحه رقم (٢٥٨٩ ـ موارد)، وأبو يعلى في «المسند» رقم (٥٦)، وابن أبي عاصم في «السنة» رقم (٧٥١) و(٨١٢)، وابن خزيمة في «التوحيد» (ص٣١٠ ـ ٣١٢)، والبزار (٤/ ١٦٨ ـ ١٧٠ رقم ٣٤٦٥ ـ كشف)، وأبو عوانة (١/ ١٧٥ ـ ١٧٨)، وابن الجوزي في «العلل المتناهية» (٢/ ٩٢٠ ـ ٩٢٣ رقم ١٥٣٩) من طرق عن النضر بن شميل، عن أبي نعامة العدوي، عن أبي هنيدة البراء بن نوفل، عن والان العدوي، عن حذيفة بن اليمان عن أبي بكر الصديق.
قال البزار: أبو هنيدة ووالان لا نعلم رويا إلاّ هذا الحديث، وهو على ما فيه رواه أهل العلم. =

وفي الصحيحين[1] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن أناساً قالوا: يا رسولَ الله هل نرى ربَّنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: **«هل تُضارّون في رؤية القمرِ ليلةَ البدر؟»**، قالوا: لا يا رسولَ الله، قال: **«هل تضارون في رؤية الشمسِ ليس دونها سحاب؟»**، قالوا: لا، قال: **«فإنكم تَرَونه كذلك، يجمع اللَّهُ الناسَ يوم القيامة، فيقول: من كان يعبُد شيئاً فليتبعْه، فيتبع مَن كان يعبد الشمسَ الشمسَ، ومن كان يعبد القمرَ القمرَ، ويتبع من كان يعبد الطواغيتَ، وتبقى هذه الأمةُ فيها منافقوها، فيأتيهم اللَّهُ تعالىٰ في صورة غيرِ صورتِه التي يعرفون فيقول: أنا ربّكم، فيقولون: نعوذ بالله منك، هذا مكانُنا حتى يأتيَنا ربُّنا عزّ وجلّ، فإذا جاء ربُّنا عرَفناه.**

فيأتيهم الله عزّ وجلّ في صورته التي يعرِفون فيقول: أنا ربُّكم، فيقولون: أنت ربُّنا، فيتبعونه ويُضرب الصراطُ بين ظَهرانِي جهنمَ فأكونُ أنا وأمتي أوّلَ من يخيَّر، ولا يتكلم يومئذ إلاّ الرسلُ، ودعوى الرسلِ يومئذ: اللّهمّ سلِّم سلِّم، وفي جهنمَ كلاليبُ مثلُ شَوك السَّعْدان، هل رأيتم شوكَ السعدان؟ قالوا: نعم يا رسول الله، قال: فإنها مثلُ شوكِ السعدانِ غيرَ أنه لا يعلم قَدْرَ عِظَمِها إلاّ الله عزّ وجلّ تخطَف الناسَ بأعمالهم، فمنهم الموبَقُ بعمله ومنهم المجازَى، فإذا فرَغ اللَّهُ تعالىٰ من القضاء بين العبادِ وأراد أن يُخرج برحمته من أراد من أهل النارِ أمر الملائكةَ أن يُخرجوا من النار من كان لا يشرك بالله شيئاً ممن أراد الله أن يرحَمَه ممن يقول لا إلٰه إلاّ الله، فيعرفونهم بأثر السجودِ، وتأكل النارُ من ابن آدمَ إلاّ أثرَ السجود، حرَّم الله على النار أن تأكلَ أثرَ السجود، فيخرجون من النار قد امتحشوا،

= قلت: أبو هنيدة البراء بن نوفل: روى عنه جمع، ووثقه ابن معين كما في «الجرح والتعديل» (٢/ ٤٠٠)، وقال ابن سعد في «الطبقات» (٧/ ٢٦٦): «كان معروفاً قليل الحديث».

وأما والان العدوي: هو والان بن بهيس أو ابن قرفة، وثّقه ابن معين، كما في «الجرح والتعديل» (١/ ٤٠٠).

وأورد الحديث الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٣٧٤) وقال: «رواه أحمد وأبو يعلى بنحوه والبزار ورجالهم ثقات» اهـ.

وقال الألباني في «ظلال الجنة» (٢/ ٣٤٩): **«إسناده حسن ورجاله ثقات»**.

(١) البخاري (٢/ ٢٩٢ ـ ٢٩٣ رقم ٨٠٦)، ومسلم (١/ ١٦٣ ـ ١٦٦ رقم ١٨٢)، وقد تقدم.

فيُصبّ عليهم ماءُ الحياة فينبتُون كما تنبُتُ الحِبةُ في حميل السيل، ثم يفرُغ الله تعالىٰ من القضاء بين العباد ويبقى رجلٌ مقبلٌ بوجهه على النار وهو آخِرُ أهلِ الجنة دخولاً الجنةَ، فيقول: أي ربِّ اصرِف وجهي عن النار، فإنه قد قشَبني ريحُها وأحدقني ذكاؤها، فيدعو اللّهَ ما شاءَ أن يدعُوَه.

ثم يقول الله تبارك وتعالىٰ: هل عسيتَ إن فعلتُ ذلك أن تسأل غيرَه؟ فيقول: لا أسألك غيرَه، فيعطي ربَّه من عهود ومواثيقَ ما شاء الله فيصرف وجهَه عن النار، فإذا أقبل على الجنّة ورآها سكت ما شاء الله أن يسكُت، ثم يقول: أي ربِّ قدِّمني إلى باب الجنّة، فيقول الله تعالىٰ: أليس قد أعطيتَ عهودَك ومواثيقَك لا تسألني غيرَ الذي أعطيتُك، ويلَك يا ابنَ آدمَ ما أغدرَك، فيقول: أي رب، فيدعو الله حتى يقول له: فهل عسيتَ إن أعطيتُك ذلك أن تسألَني غيرَه؟ فيقول: لا وعزّتك، فيعطى ربَّه ما شاء من عهود ومواثيقَ، فيقدمه إلى باب الجنّة، فإذا قام على باب الجنّة انفهقت له الجنةُ فيرى ما فيها من الخير والسرور، فسكت ما شاء الله أن يسكُت ثم يقول: أي ربِّ أدخلني الجنةَ، فيقول الله تبارك وتعالىٰ: أليس قد أعطيتَ عهودَك ومواثيقَك أن لا تسألني غيرَ ما أعطيتُ، ويلك يا ابنَ آدمَ ما أغدرَك، فيقول: أي ربِّ لا أكونُ أشقى خلقك. فلا يزال يدعو الله حتى يضحَكَ الله منه، فإذا ضَحِك اللّهُ منه، قال: ادخُل الجنّة، فإذا دخلها قال الله له: تمنَّ. فيسأل ربَّه ويتمنّى حتى إن اللّه ليُذكّره فيقول له: تمنَّ كذا وكذا، حتى إذا انقطعت به الأماني، قال الله عزّ وجلّ: ذلك لك ومثلُه معه».

قال أبو سعيد: وعشرةُ أمثالِهِ معه. قال عطاءُ بنُ يزيدَ: وأبو سعيد مع أبي هريرةَ لا يَرُد عليه من حديثه شيئاً، حتى إذا حدث أبو هريرة قال: إن الله عزّ وجلّ قال لذلك الرجل ومِثلُه، قال أبو سعيد: وعشرةُ أمثالِه معه يا أبا هريرة. قال أبو هريرة: ما حفِظتُ إلاّ قولَه: «ذلك لك ومثلُه معه». قال أبو سعيد: أشهد أني حفظتُ من رسول الله ﷺ قوله: «ذلك لك وعشرَةُ أمثالِه». قال أبو هريرة: وذلك آخرُ أهل الجنةِ دخولاً الجنّة.

ولهما[1] عن أبي سعيد الخدريِّ رضي الله عنه أن ناساً في زمن رسولِ الله ﷺ قالوا:

---

(١) أي البخاري (١٣/ ٤٢٠ ـ ٤٢٢ رقم ٧٤٣٩)، ومسلم (١/ ١٦٧ ـ ١٧١ رقم ١٨٣)، وقد تقدم.

يا رسولَ الله هل نرى ربَّنا يوم القيامة؟ قال رسولُ الله ﷺ: «نعم، هل تُضارُّون في رؤية الشمسِ بالظهيرة صحواً ليس معها سحابٌ؟ وهل تُضارّون في رؤية القمرِ ليلةَ البدرِ صحواً ليس فيها سحابٌ»؟ قالوا: لا يا رسولَ الله. قال: «ما تضارّون في رؤيته تبارك وتعالىٰ يوم القيامة إلاّ كما تُضارّون في رؤية أحدِهما، إذا كان يومُ القيامةِ أذّن مؤذنٌ: لتتبعْ كلُّ أمةٍ ما كانت تعبُد، فلا يبقى أحدٌ كان يعبُد غيرَ الله من الأصنام والأنصابِ إلا يتساقطون في النار، حتى إذا لم يبقَ إلاّ من كان يعبد اللّهَ من بَرّ وفاجر وغُبرَاتٌ من أهل الكتاب فتُدعى اليهودُ فيقال لهم: ما كنتم تعبدون؟ قالوا: كنّا نعبُد عزيرَ ابنَ الله. فيقال: كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد، فماذا تبغون؟ قالوا: عَطِشنا يا ربنا فاسقِنا. فيُشار إليهم ألا ترِدون. فيُحشرون إلى النار كأنها سرابٌ يحطِم بعضُها بعضاً فيتساقطون في النار. ثم يقال للنصارى: ما كنتم تعبُدون؟ فيقولون: كنا نعبد المسيحَ ابنَ الله. فيقال لهم: كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد. فيقال لهم: ماذا تبغون؟ فيقولون: عطِشنا يا ربنا فاسقِنا. فيشار إليهم ألا تَرِدون. فيحشرون إلى جهنمَ كأنها سرابٌ يحطم بعضُها بعضاً فيتساقطون في النار.

حتى إذا لم يبقَ إلاّ من كان يعبد اللّهَ من بَرٍّ وفاجر أتاهم ربُّ العالمين سبحانه وتعالىٰ في أدنى صورةٍ من التي رأَوْه فيها. قال: فما تنتظرون؟ لتتبعْ كلُّ أمة ما كانت تعبد. قالوا: يا ربنا فارقنا الناسَ في الدنيا أفقرَ ما كنّا إليهم ولم نصاحبْهم. فيقول: أنا ربُّكم. فيقولون: نعوذ بالله منك ولا نشكُ بالله شيئاً (مرتين أو ثلاثاً) حتى إن بعضَهم ليكاد أن ينقلب. فيقول: هل بينكم وبينه آيةً تعرِفونه بها؟ فيقولون: نعم، فيكشف عن ساق فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاءِ نفسِه إلاّ أذِن اللّهُ له بالسجود، ولا يبقى من كان يسجد اتقاءً ورياء إلاّ جعل الله ظهرَه طبقةً واحدةً كلما أراد أن يسجُد خرّ على قفاه، ثم يرفعون رؤوسَهم وقد تحوّل في صورته التي رأَوه فيها أوّل مرة، فيقول: أنا ربُّكم، فيقولون: أنت ربنا. ثم يُضرب لهم الجسرُ على جهنمَ وتحِلُّ الشفاعةُ. قيل: يا رسولَ الله وما الجسرُ؟ قال: دَحْضٌ مَزَلّة وخطاطيف وكلاليبُ وحسَكةٌ، تكون بنجد فيها شُويكةٌ يقال لها السَّعْدان، فيمرّ المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكأجاويد الخيل والرِّكاب،

فناجٍ مسلّمٌ ومخدوشٌ مُرسلٌ ومكدوس في نار جهنمَ. حتى إذا خلص المؤمنون من النار فوالذي نفسي بيده ما من أحد منكم بأشدّ مناشدةً في استيفاء الحق من المؤمنين لله تعالىٰ يوم القيامة لإخوانهم الذين في النار يقولون: ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون معنا ويحجون؟ فيقال لهم: أخرِجوا من عرَفتم، فيُحرَّم صورَهم على النار، فيُخرِجون خلقاً كثيراً قد أخذت النارُ إلى أنصاف ساقيه وإلى ركبتيه. فيقولون: ربنا ما بقيَ فيها أحدٌ ممن أمرتنا. فيقول: أرجِعوا فمن وجدتم في قلبه مثقالَ نصفِ دينارٍ من خير فأخرجوه، فيُخرِجون خلقاً كثيراً. ثم يقولون: ربنا لم نذرْ فيها أحداً ممن أمرتنا. ثم يقال: ارجِعوا فمن وجدتم في قلبه مثقالَ ذرةٍ من خير فأخرجوه، فيُخرجون خلقاً كثيراً. ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها أحداً ممن أمرتنا، ثم يقال: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقالَ ذرةٍ من خير فأخرجوه، فيخرجون خلقاً كثيراً، ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها خيراً قط».

«وكان أبو سعيد رضي الله عنه يقول: إن لم تصدقوني بهذا الحديثِ، فاقرؤوا إن شئتم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠]. فيقول الله عزّ وجلّ: شفعت الملائكةُ وشفع النبيّون وشفع المؤمنون ولم يبقَ إلاّ أرحمُ الراحمين، فيقبِض قبضةً من النار فيُخرج منها قوماً لم يعملوا خيراً قط قد عادوا حُمَماً فيلقيهم في نهر في أفواه الجنةِ يقال له نهرُ الحياة، فيَخرجُون كما تخرُجُ الحِبّةُ في حَميل السيل، ألا ترَونها تكون إلى الحجر أو الشجر، ما يكون منها إلى الشمس أُصيفِرُ وأُخيضِرُ، وما يكون منها إلى الظل أبيضُ؟ فقالوا: يا رسولَ الله كأنك ترعى بالبادية. قال: فيخرُجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتيمُ يعرفهم أهلُ الجنّة. فيقول أهلُ الجنة: هؤلاء عُتقاءُ الله الذين أدخلهم الله الجنةَ بغير عملٍ عَمِلوه ولا خيرٍ قدّموه، ثم يقول: ادخُلُوا الجنّة فما رأيتموه فهو لكم، فيقولون: ربنا أعطيتَنا ما لم تُعطِ أحداً من العالمين، فيقول: لكم عندي أفضلُ من هذا، فيقولون: يا ربنا وأيُّ شيءٍ أفضلُ من هذا؟ فيقول تعالىٰ: رِضائي فلا أسخَطُ عليكم بعده أبداً».

وفيهما[1] عن جرير بنِ عبدِ الله رضي الله عنه قال: كنّا جلوساً مع النبيّ ﷺ، فنظر

---

(١) أي البخاري (١٣/٤١٩ رقم ٧٤٣٤)، ومسلم (١/٤٣٩ رقم ٦٣٣).

إلى القمر ليلةَ أربعَ عشْرَة فقال: «**إنكم ستَرون ربَّكم عِياناً كما ترَون هذا لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تُغلبوا على صلاة قبل طلوعِ الشمس وصلاةٍ قبل غروب الشمس، فافعلوا**».

وفي صحيح مسلم[1] عن **صهيبٍ** رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إذا دخل أهلُ الجنةِ الجنةَ يقول الله عزّ وجلّ: تريدون شيئاً أزيدُكم؟ يقولون: ألم تُبيِّضْ وجوهَنا، ألم تُدخلنا الجنةَ وتُنجِّنا من النار؟ قال: فيكشِفُ الحجابَ، فما أُعطوا شيئاً أحبَّ إليهم من النظر إلى ربهم**»، ثمَّ تلا هذه الآية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦].

وللطبراني[2] **عن عبد الله بنِ مسعودٍ** رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «**يجمع**

---

(١) (١/ ١٦٣ رقم ١٨١).

(٢) في الكبير (٩/ ٤١٦ ـ ٤٢١ رقم ٩٧٦٣).
وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٣٤٣) وقال: «رواه كله الطبراني من طرق رجال أحدها رجال الصحيح غير أبي خالد الدالاني وهو ثقة» اهـ.
قلت: وأخرجه عبد الله بن الإمام أحمد في «السنة» رقم (١٢٠٣)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٥٨٩)، والدارقطني في «الرؤية» رقم (١٧٥).
قال الحاكم: «... والحديث صحيح ولم يخرجاه، وأبو خالد الدالاني ممن يجمع حديثه في أئمة أهل الكوفة» اهـ.
وتعقّبه الذهبي بقوله: «ما أنكره حديثاً على جودة إسناده، وأبو خالد شيعي منحرف» اهـ.
قلت: وأخرجه الطبراني في الكبير في الموضع نفسه من طريق محمد بن النضر الأزدي، وعبد الله بن أحمد بن حنبل، ومحمد بن عبد الله الحضرمي، ثلاثتهم عن إسماعيل بن عبيد بن أبي كريمة الحراني، ثنا محمد بن سلمة الحراني عن أبي عبد الرحيم، عن زيد بن أبي أنيسة، عن المنهال بن عمرو فذكره بنحوه.
وأخرجه الطبراني في الكبير أيضاً (٩/ ٤٢١ رقم ٩٧٦٤) من طريق نعيم بن أبي هند عن أبي عبيدة بن عبد الله بن مسعود، عن أبيه، فذكره بنحوه هكذا، ولم يذكر مسروقاً في سنده.
وأخرجه البيهقي في «البعث والنشور» رقم (٤٣٤) من طريق محمد بن إسحاق، به نحوه.
وساقه الحافظ ابن حجر في «المطالب العالية» (٤/ ٣٦٥ ـ ٣٦٧) بطوله إلى قوله: «وكبدها مرآته»، وعزاه لإسحاق بن راهويه في مسنده، وقال: «هذا إسناد صحيح متصل، رجاله ثقات».
وخلاصة القول أن الحديث من طريق الحاكم ضعيف، لضعف أبي خالد الدالاني، غير =

اللَّهُ الأوّلين والآخِرين لميقات يوم معلومٍ أربعين سنةً شاخصةً أبصارُهم إلى السماء ينتظرون فصلَ القضاء، وينزل اللَّهُ عزَّ وجلّ في ظلل من الغمام من العرش إلى الكرسي، ثم ينادي منادٍ: أيها الناسُ ألم ترضَوا من ربكم الذي خلقكم ورزقكم وأمركم أن تعبُدوه ولا تشركوا به شيئاً أن يُوليَ كلَّ أناسٍ منكم ما كانوا يتولَّون ويعبُدون في الدنيا، أليس ذلك عدلاً من ربكم؟ قالوا: بلى».

«قال: فينطلق كلُّ قومٍ إلى ما كانوا يعبدون ويتولَّون في الدنيا. قال: فينطلقون ويُمثّل لهم أشباهُ ما كانوا يعبدون، فمنهم من ينطلق إلى الشمس، ومنهم من ينطلق إلى القمر، وإلى الأوثان من الحجارة وأشباهِ ما كانوا يعبدون. قال: ويُمثّل لمن كان يعبد عيسى شيطانُ عيسى، ويمثل لمن كان يعبُد عزيراً شيطانُ عزيرٍ، ويبقى محمدٌ ﷺ وأمتُه فيأتيهم الربُّ عزّ وجلّ فيقول: ما بالُكم لا تنطلقون كما انطلق الناس؟ قال: فيقولون: إن لنا إلهاً ما رأيناه بعد. فيقول: هل تعرِفونه إن رأيتموه؟ فيقولون: إن بيننا وبينه علامةً إذا رأيناها عرَفناه».

«قال: فيقول: ما هي؟ فيقولون: يكشف عن ساق، فعند ذلك يكشف عن ساق فيخِرّون له سجّداً، ويبقى قوم ظهورهم كصيَاصي البقر، يريدون السجودَ فلا يستطيعون، وقد كانوا يُدْعَون إلى السجود وهم سالمون، ثم يقول: ارفعوا رؤوسَكم، فيرفعون رؤوسَهم فيُعطيهم نورَهم على قدر أعمالِهم، فمنهم من يُعطى نورَه على قَدْر الجبلِ العظيم يسعى بين أيديهم، ومنهم من يعطى نوراً أصغرَ من ذلك، ومنهم من يعطى نوراً مثلَ النخلة بيمينه، ومنهم من يعطى نوراً أصغرَ من ذلك، حتى يكونُ آخرُهم رجلاً يعطى نورَه على إبهام قدِمه، يُضيء مرةً ويطفأ مرة، فإذا أضاء قدّم قدمَه ومشى، وإذا طِفئَ قام، والربُّ تبارك وتعالىٰ أمامَهم حتى يُمرّ في النار فيبقى أثرُه كحدّ السيف».

«قال: ويقول: مُرّوا، فيمرّون على قَدْر نورهم، منهم من يمر كطرف العينِ، ومنهم من يمر كالبرق، ومنهم من يمر كالسحاب، ومنهم من يمر كانقضاض

= أنه لم ينفرد به بل تابعه زيد بن أبي أنيسة، والحديث من طريقه حسن لذاته.
وأصل الحديث في صحيح مسلم مختصراً (١/١٧٣، ١٧٤، ١٧٤ ـ ١٧٥ رقم ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٠).

الكوكب، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمر كشَدّ الفرسِ، ومنهم من يمرُّ كشد الرجل، حتى يمرّ الذي أُعطي نورَه على قَدْر إبهامِ قدمِه يحبو على وجهه ويديه ورجليه، تجرّ يدٌ وتعلَقُ يدٌ وتجرّ رجلٌ وتعلق رِجلٌ، وتُصيب جوانبَه النارُ، فلا يزال كذلك حتى يخلُصَ، فإذا خلَصَ وقف عليها ثم قال: الحمدُ لله لقد أعطاني الله ما لم يعط أحداً إذ نجاني منها بعد أن رأيتُها».

«قال: فينطلق به إلى غدير عند باب الجنّة فيغتسل فيعود إليه ريحُ أهلِ الجنّة وألوانُهم، فيرى ما في الجنة من خلال الباب، فيقول: ربِّ أدخلني الجنّة. فيقول الله تبارك وتعالىٰ له: أتسأل الجنةَ وقد نجّيتُك من النار؟ فيقول: يا رب اجعلْ بيني وبينها حجاباً لا أسمع حسيسَها. قال: فيدخل الجنّة».

«قال: ويرى أو يُرفع له منزلٌ أمام ذلك كأنما الذي هو فيه إليه حُلمٌ لِيدخُله فيقول: رب أعطِني ذلك المنزلَ، فيقول: فلعلّك إن أعطيتُكه تسأل غيرَه؟ فيقول: لا وعزّتك لا أسأل غيرَه، وأيُّ منزلٍ يكون أحسنَ منه. قال: فيُعطاه فينزِله، قال: ويرى أو يُرفع له أمامَ ذلك منزلٌ آخرُ ليدخُلَه فيقول: أي رب أعطِني ذلك المنزل، فيقول الله عزّ وجلّ: فلعلّك إن أعطيتُكه تسأل غيرَه؟ قال: لا وعزتِك لا أسأل غيرَه، وأيُّ منزلٍ يكون أحسنَ منه. قال: فيُعطاه فينزله».

«قال: ويرَى أو يرفع له أمامَ ذلك منزلٌ آخرُ، كأنما الذي هو فيه إليه حلُمٌ فيقول: رب أعطِني ذلك المنزلَ؟ فيقول الله جلّ جلاله: فلعلّك إن أعطيتُكه تسأل غيرَه. قال: لا وعزتِك لا أسألَ غيره، وأي منزلٍ يكون أحسن منه؟ قال: فيُعطاه فينزله ثم يسكت. فيقول الله عزّ وجلّ: ما لك لا تسأل؟ فيقول: رب قد سألتُك حتى استحييتُك، وأقسمتُ لك حتى استحييتُك. فيقول الله عزّ وجلّ: ألا ترضى أن أُعطيكَ مثل الدنيا منذ خلقتُها إلى يوم أفنيتُها وعشرةَ أضعافِه؟ فيقول: أتستهزئ بي وأنت ربُّ العزّة؟ فيضحك الربُّ عزّ وجلّ من قوله».

قال: فرأيتُ عبدَ الله بنَ مسعودٍ رضي الله عنه إذا بلغ هذا المكانَ من هذا الحديثِ ضَحِك. فقال له رجلٌ: يا أبا عبد الرحمٰنِ قد سمعتُك تحدّث بهذا الحديثِ مراراً كلما بلغتَ هذا المكانَ من هذا الحديثِ ضحكت. فقال: إنّي سمعتُ رسولَ الله ﷺ يحدث بهذا الحديثِ مراراً، كلما بلغ هذا المكانَ من هذا الحديثِ ضَحِك حتى تبدُوَ أضراسُه.

«قال: فيقول الربُّ عزّ وجلّ: لا ولكنني على ذلك قادرٌ، سل؟ فيقول: ألحِقني بالناس. فيقول: الحقْ بالناس. قال: فينطلق يرمُل في الجنّة حتى إذا دنا من الناس رُفع له قصرٌ من دُرّة فيخر ساجداً، فيقال له: ارفع رأسَك ما لك؟ فيقول: رأيتُ ربّي، أو تراءى لي ربي. فيقال: إنما هو منزلٌ من منازلك. قال: ثم يَلقى فيها رجلاً فيتهيأ للسجود فيقال له: مَهْ. فيقول: رأيتُ أنك ملكٌ من الملائكة، فيقول له: إنما أنا خازنٌ من خُزّانك، عبدٌ من عبيدك، تحت يدي ألفُ قَهرمان على مثل ما أنا عليه. قال: فينطلق أمامَه حتى يُفتَحَ له القصرُ».

«قال: وهو في دُرة مجوّفة سقائفُها وأبوابُها وأغلاقُها ومفاتيحُها منها، تستقبله جوهرةٌ خضراءُ مُبطّنةٌ بحمراءَ، كلُّ جوهرةٍ تُفضي إلى جوهرة على غير لون الأخرى، في كل جوهرةٍ سُررٌ وأزواجٌ ووصائفُ أدناهنّ حَوراءُ عيناءُ عليها سبعون حُلةً، يُرى مُخ ساقِها من وراء حُلَلِها، كبِدُها مِرآتُه وكبدُه مرآتُها، إذا أعرض عنها إعراضةً ازدادات في عينه سبعين ضعفاً عمّا كانت قبل ذلك، فيقول لها: والله لقد ازددتِ في عيني سبعين ضِعفاً، فتقول له: والله والله وأنت لقد ازددتَ في عيني سبعين ضعفاً. فيقال له: أشرِفْ، قال: فيُشرف، فيقال له: مُلكُك مسيرةُ مائةِ عامٍ ينفُذه بصرُه».

قال: فقال عمر رضي الله عنه: ألا تسمع إلى ما يحدثنا ابنُ أم عبدٍ يا كعبُ عن أدنى أهل الجنّة منزلاً، فكيف أعلاهم؟ قال كعب: يا أميرَ المؤمنين فيها ما لا عينٌ رأيت ولا أُذُنٌ سَمِعت، إنّ اللّهَ عزّ وجلّ جعل داراً فيها ما شاء من الأزواج والثمراتِ والأشربةِ، ثم أطبقها فلم يرَها من خلقه لا جبريلُ ولا غيرُه من الملائكة. ثم قرأ كعب: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءً بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧].

قال: وخلق دون ذلك جنتين وزيّنهما بما شاء وأراهما مَن شاء مِن خلقه، ثم قال: من كان كتابُه في علّيين نزل تلك الدارَ التي لم يرَها أحدٌ، حتى إن الرجلَ من أهل عِلّيين ليَخرُج فيسيرُ في مُلكه فلا تبقى خَيمةٌ من خيام الجنّة إلاّ دخلها من ضوء وجهِ، فيستبشرون بريحه فيقولون: واهاً لهذه الريحِ، هذا رجلٌ من أهل علّيين قد خرج يسير في مُلكه.

فقال: ويحك يا كعبُ، هذه القلوبُ قد استرسلتْ فاقبِضها. فقال كعب:

والذي نفسي بيده إن لجهنَّمَ يوم القيامة لزفرةً ما يبقى من ملك مقرّب ولا نبيٍّ مُرسل إلاّ يخرُّ لركبتيه، حتى إن إبراهيمَ خليلَ الله يقول: «**رب نفسي نفسي، حتى لو كان لك عملُ سبعين نبياً إلى عملك لظننتَ أنك لا تنجو**».

قال ابنُ القيم رحمه الله تعالىٰ: هذا حديثٌ كبيرٌ حسنٌ[1] رواه المصنّفون في السنة كعبد الله بن أحمَد[2] والطبراني[3] والدارَقُطنيِّ[4] رحمهم الله تعالىٰ.

وروى يعقوبُ بن سفيانَ عن عليِّ بن أبي طالب[5] رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**يزور أهلُ الجنةِ الربَّ تبارك وتعالىٰ في كل جمعة**»، وذكر ما يُعطَون قال: «**ثم يقول الله تبارك وتعالىٰ: اكشِفوا حجاباً، فيُكشف حجابٌ ثم حجابٌ، ثم يتجلّى لهم تبارك وتعالىٰ عن وجهه فكأنهم لم يرَوْا نعمةً قبل ذلك، وهو قولُه تبارك وتعالىٰ:** ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: ٣٥]».

وفي الصحيحين[6] عن **أبي موسى** رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ قال: «**جنّتان من فضة آنيتُهما وما فيهما، وجنّتان من ذهب آنيتُهما وما فيهما، وما بين القومِ وبين أن ينظُروا إلى ربّهم إلاّ رداءُ الكبرياءِ على وجهه في جنة عدْن**».

ولأحمَدَ[7] عنه رضي الله عنه قال رسولُ الله ﷺ: «**يجمع اللّهُ عزّ وجلّ الأممَ في**

---

(١) **وهو حديث حسن** كما قال ابن القيم في «حادي الأرواح» (ص٣٨٥).
(٢) رقم (١٢٠٣) كما تقدم آنفاً.
(٣) في الكبير (رقم ٩٧٦٣ و٩٧٦٤) كما تقدم آنفاً.
(٤) في الرؤية رقم (١٧٥) كما تقدم آنفاً.
(٥) أخرجه اللالكائي رقم (٨٥٢) بسند واه.
فيه راويان ضعيفان:
الأول: عمرو بن خالد: وهو أبو خالد القرشي ـ كذبه أحمد وابن معين وأبو حفص الأبار ووكيع، وزاد أحمد: يروي عن زيد بن علي عن آبائه أحاديث موضوعة يكذب. انظر: «تهذيب التهذيب» (٨/ ٢٤ ـ ٢٥).
الثاني: سويد بن عبد العزيز ـ السلمي ـ ضعف حديثه أحمد وابن معين والنسائي والخلال وابن حبان وغيرهم، وأنكر حديثه أحمد والبخاري وابن سعد وغيرهم. انظر: «تهذيب التهذيب» (٤/ ٢٤٢ ـ ٢٤٣).
(٦) البخاري: (٨/ ٦٢٣ ـ ٦٢٤ رقم ٤٨٧٨)، ومسلم (١/ ١٦٣ رقم ١٨٠).
(٧) في المسند (٤/ ٤٠٧ ـ ٤٠٨). =

صعيدٍ واحدٍ يوم القيامة، فإذا بدا لله عزّ وجلّ أن يصدَعَ بين خلقِه مثّل لكل قومٍ ما كانوا يعبُدون فيتبعونهم حتى يُقحموهم النارَ، ثم يأتينا ربُّنا عزّ وجلّ ونحن علىً ما كان رفيع فيقول: من أنتم؟ فنقول: نحن المسلمون، فيقول: ما تنتظرون؟ فنقول: ننتظر ربَّنا عزّ وجلّ، فيقول: وهل تعرفونه إن رأيتموه؟ فنقول: نعم إنه لا عِدْلَ له، فيتجلّى لنا ضاحكاً فيقول: أبشروا يا معشر المسلمين، فإنه ليس منكم أحدٌ إلاّ جعلتُ في النار يهودياً أو نصرانياً مكانه». وفي رواية: «يتجلّى لنا ربُّنا عزّ وجلّ ضاحكاً يوم القيامة».

وللدارَقُطني[1] عنه ﷺ عن النبيّ ﷺ قال: «يبعث الله يوم القيامة منادياً بصوت يسمعه أوّلُهم وآخرُهم: إن الله عزّ وجلّ وعدكم الحسنى وزيادةً، فالحسنى الجنةُ والزيادةُ النظرُ إلى وجهه عزّ وجلّ»، رواه الإمام أحمدُ وابن وَهْب.

وفي صحيح البخاريّ[2] عن عدي بنِ حاتم ﷺ قال: بينا أنا عند النبيِّ ﷺ إذ أتى إليه رجلٌ فشكا إليه الفاقةَ، ثم أتى إليه آخرُ فشكا إليه قطعَ السبيل. فقال: يا عديُّ هل رأيت الحِيرة؟ قلت: لم أرها وقد أُنبئتُ عنها؟ قال: فإن طالت بك حياةٌ لَترَيَنّ الظعينةَ ترتحل من الحِيرة حتى تطوفَ بالكعبة لا تخاف أحداً إلاّ الله عزّ وجلّ - قلت فيما بيني وبين نفسي: فأين دُعَّارُ طيِّءٍ الذين سعّروا البلاد - ولئن طالت بك حياةٌ لتفتَحَن كنوزَ كسرى، قلت: كسرى بنُ هرمز؟ قال: كسرى بنُ هُرمز. ولئن طالت بك حياةٌ لترين الرجلَ يُخرج ملءَ كفِّه من ذهب أو فضة يطلب مَن يقبله منه، فلا يجد أحداً يقبله منه.

ولَيلقَيَنّ اللّهُ أحدَكم يوم يلقاه وليس بينه وبينه حجابٌ ولا تَرجُمانٌ يترجم له،

= قلت: وأخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» رقم (٤٦٣) ورجاله ثقات. وأخرجه الدارمي في «الرد على الجهمية» (ص٥٦ - ٥٧)، والآجري في الشريعة (ص٢٦٣).
وخلاصة القول أن الحديث صحيح لغيره ما عدا جملة: «فإذا بدا له أن يصدع بين خلقه»، فهي منكرة. كما قال المحدث الألباني في «الصحيحة» (٢/ ٣٨٤).

(١) في الرؤية رقم (٥٣).
قلت: وأخرجه اللالكائي رقم (٧٨٢)، والطبري في «جامع البيان» (٧/ج١١/ ١٠٥)، ومدار الحديث على أبان بن أبي عياش وهو متروك.

(٢) (٦/ ٦١٠ رقم ٣٥٩٥).

فيقولن: ألم أبعَث إليك رسولاً فيُبلِّغَك؟ فيقول: بلى يا رب. فيقول: ألم أُعطِك مالاً وأفضُل عليك؟ فيقول: بلى. فينظر عن يمينه فلا يرى إلاّ جهنمَ، وينظر عن يساره فلا يرى إلاّ جهنمَ.

قال عدي بن حاتم: سمعت رسولَ الله ﷺ يقول: **اتّقوا النار ولو بشقِّ تمرةٍ، فمن لم يجد شِقَّ تمرةٍ فبكلمة طيبة.** قال عديٌّ: فرأيت الظعينةَ ترتحل من الحِيرة حتى تطوفَ بالكعبة لا تخاف إلّا الله، وكنت فيمن افتتح كنوزَ كسرى بن هرمز، ولئن طالت بكم حياةٌ لترَوُنّ ما قال النبيّ ﷺ.

وفي الصحيحين[1] عن أنس بنِ مالكٍ ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**يجمع اللّٰهُ الناس يوم القيامة فيهتمّون لذلك ـ وفي لفظ: فيُلهَمون لذلك ـ فيقولون: لو استشفعنا إلى ربّنا عزّ وجلّ حتى يُريحَنا من مكاننا هذا**».

«**فيأتون آدمَ فيقولون: أنت آدمُ أبو الخلق خلقك اللّٰهُ بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكةَ فسجدوا لك، اشفع لنا عند ربِّنا حتى يُريحَنا من مكاننا هذا. فيقول: لست هناكم، فيذكر خطيئتَه التي أصاب، فيستحي ربَّه منها، ولكن ائتوا نوحاً أولَ رسولٍ بعثه اللّٰهُ عزّ وجلّ**».

«**قال: فيأتون نوحاً فيقول: لست هناكم، فيذكر خطيئتَه التي أصاب، فيستحي ربَّه منها، ولكن ائتوا إبراهيمَ الذي اتخذه الله خليلاً**».

«**فيأتون إبراهيمَ فيقول: لست هناكم، ويذكر خطيئتَه التي أصاب، فيستحي ربَّه منها، ولكن ائتوا موسى الذي كلّمه الله تكليماً وأعطاه التوراة**».

«**فيأتون موسى فيقول: لست هناكم، ويذكر خطيئتَه التي أصاب، فيستحي ربَّه منها، ولكن ائتوا عيسى روحَ الله وكلمتَه، فيقول: لست هناكم، ولكن ائتوا محمداً ﷺ عبداً غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر**».

«**قال: قال رسولُ الله ﷺ: فيأتوني فأستأذِن على ربّي فيأذن لي، فإذا أنا رأيتُه فأقع له ساجداً فيدعني ما شاء الله أن يدعَني، فيقال: يا محمد إرفَع رأسَك وقل تُسمع وسل تُعطَ واشفع تُشفّع، فأرفع رأسي فأحمد ربّي بتحميد يُعلِّمُنيه ربي، ثم**

---

(١) البخاري (١٣/ ٤٧٣ ـ ٤٧٤ رقم ٧٥١٠)، ومسلم (١/ ١٨٠ ـ ١٨١ رقم ١٩٣).

أشفع، فيحدّ لي حداً فأُخرِجُهم من النار وأُدخلهم الجنّة. ثم أعود فأقع ساجداً فيدعُني ما شاء الله أن يدعَني، ثم يقال: ارفع رأسَك يا محمد، قل تُسمع وسل تُعط واشفع تُشفّع، فأرفع رأسي فأحمَدُ ربي بتحميد يُعلمُنيه ربي ثم أشفع، فيحُدّ لي حداً فأُخرِجُهم من النار وأُدخلهم الجنّة. قال: فلا أدري في الثالثة أو الرابعة، قال: فأقول: يا رب ما بقيَ في النار إلاّ من حبسه القرآن»، أي: وجب عليه الخلود.

وفي رواية لابن خزيمة[1]: «**يَلقى الناسُ يوم القيامة ما شاء الله أن يلقَوْه من الحبس، فيقولون: انطلقوا بنا إلى آدمَ فيشفعَ لنا إلى ربنا** ـ فذكر الحديث إلى أن قال ـ **فينطلقون إلى محمد ﷺ فأقول: أنا لها، فأنطلق حتى أستفتحَ بابَ الجنة فيُفتح لي فأدخل وربّي على عرشه فأخِرّ ساجداً**» وذكر الحديث.

وفي رواية[2]: «**فأستأذن على ربّي، فإذا رأيته وقعت ساجداً**».

وفي رواية[3]: «**فآتي ربي وهو على سريره ـ أو كرسيه ـ فأخرّ له ساجداً**». وساقه ابنُ خزيمةَ بسياق طويل[4]، وقال فيه: «**فأستفتح، فإذا نظرتُ إلى الرحمٰن وقعت له ساجداً**».

وفي حديث أبي هريرة[5]: «**آخُذ بحلقة بابِ الجنّة فيؤذن لي فيستقبلني وجهُ الجبار جلّ جلاله فأخِرّ له ساجداً**».

وللدارَقطني[6] عنه ﷺ عن النبيّ ﷺ في قول الله عزّ وجلّ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا

---

(١) في «التوحيد» (٢/٧١٦ ـ ٧١٩ رقم ٤٥٨/١٠) **بسند صحيح**.
قلت: وأخرجه ابن أبي عاصم في السنة (٢/٣٨٧ ـ ٣٨٨ رقم ٨١٦) **بسند صحيح على شرط الشيخين**، وله طرق، انظر: «ظلال الجنة» (٢/٣٨٨).
(٢) هي رواية البخاري ومسلم المتقدمة آنفاً.
(٣) أخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» (٢/٦١٤ ـ ٦١٦ رقم ٣٥٨/٨) **بسند صحيح**.
(٤) أخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» (٢/٧١٩ ـ ٧٢٣ رقم ٤٥٩/١١) **بسند صحيح**.
(٥) أخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» (٢/٥٩٣ ـ ٥٩٦ رقم ٣٤٧/٣) **بسند صحيح**.
(٦) في «الرؤية» رقم (٦٧) من حديث أنس بن مالك.
قلت: وأخرجه ابن منده في «الرد على الجهمية» رقم (٨٥)، واللالكائي رقم (٧٧٩) **بسند ضعيف جداً لضعف «سلم بن سالم البلخي» و«نوح بن أبي مريم» كذاب**.

﴿ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]. قال: «النظرُ إلى وجه الله عزّ وجلّ».

وله[1] عنه ﷺ قال: سمعت رسولَ الله ﷺ يقول: «أتاني جبريلُ عليه السلام وفي كفّه كالمرآة البيضاءِ يحملها، فيها كالنُّكتة السوداءِ. فقلت: ما هذه التي في يدك يا جبريل؟ قال: هذه الجمعةُ. قلت: وما الجمعةُ؟ قال: لكم فيها خيرٌ كثير. قلت: وما يكون لنا فيها؟ قال: يكون عيداً لك ولقومك من بعدك، ويكون اليهودُ والنصارى تبَعاً لكم».

«قلت: وما لنا فيها؟ قال: لكم فيها ساعةٌ لا يسأل الله عبدٌ فيها شيئاً هو له قسْمٌ إلا أعطاه إياه، أو ليس له بقِسْم إلا ذَخر له في آخرته ما هو أعظمُ منه».

«قلت: ما هذه النكتةُ التي فيها؟ قال: هي الساعة، ونحن ندعوه يومَ المزيد».

«قلت: وما ذاك يا جبريلُ؟ قال: إن ربَّك اتخذ في الجنّة وادياً فيه كُثبانٌ من مِسك أبيضَ، فإذا كان يومُ الجمعة هبط من عليين على كرسيه فيحِفّ الكُرسيّ بكراسيَّ من نور فيجيء النبيّون حتى يجلِسوا على تلك الكراسيّ، ويحف الكراسيَّ بمنابرَ من نورٍ ومن ذهب مُكلّلة بالجواهر، ثم يجيء الصدّيقون والشهداءُ حتى يجلِسوا على تلك المنابرِ، ثم ينزل أهلُ الغُرفِ من غرفهم حتى يجلِسوا على تلك الكثبانِ».

«ثم يتجلّى لهم عزّ وجلّ فيقول: أنا الذي صدقتُكم وعدي، وأتممتُ عليكم نعمتي، وهذا مَحلُّ كرامتي، فسَلوني، فيسألونه حتى تنتهيِ رغبتُهم فيفتح لهم في ذلك ما لا عينٌ رأت ولا أُذن سمِعت ولا خطَر على قلبِ بشر، وذلك بمقدار مُنصرَفِكم من الجمعة».

«ثم يرتفع على كرسيه عزّ وجلّ ويرتفع معه النبيّون والصدّيقون ويرجع أهلُ الغُرف إلى غرفهم، وهي لؤلؤةٌ بيضاءُ وزَبَرْجدةٌ خضراءُ وياقوتةٌ حمراءُ، غرفُها وأبوابُها وأنهارُها مطّردةٌ فيها، وأزواجُها وخُدّامُها وثمارُها متدلّياتٌ فيها، فليسوا إلى شيء أحوجَ منهم إلى يوم الجمعة ليزدادوا نظراً إلى ربهم ويزدادوا منه كرامة». (هذا

(١) أي للدارقطني في «الرؤية» رقم (٦٩) من حديث أنس بن مالك بسند ضعيف.

حديثٌ كبيرٌ عظيمُ الشأن رواه أئمةُ السُّنةِ وتلقَوه بالقَبول، وجَمل به الشافعيُّ مُسندَه[(1)][(2)]. ورواه محمدُ بنُ إسحاقَ[(3)] وعمرو بنُ أبي قيس[(4)].

وفيه: «**فإذا كان يومُ الجمعةِ نزل على كرسيه ثم حف الكراسيَّ بمنابرَ من نور، فيجيء النبيون حتى يجلِسوا عليها، ويجيء أهلُ الغرفِ حتى يجلِسوا على الكُثُبِ. قال: ثم يتجلّى لهم ربُّهم تبارك وتعالىٰ فينظرون إليه فيقول: أنا الذي صدقتُكم وعدي، وأتمَمْتُ عليكم نعمتي، وهذا محلُّ كرامتي، سَلوني. فيسألونه الرِّضا. قال: رضايَ أنزَلَكم داري وأنالَكم كرامتي. سلوني؟ فيسألونه الرضا، قال: فيُشهدهم بالرضا. ثم يسألونه حتى تنتهيَ رغبتُهم**»، وذكر الحديث.

ورواه عليُّ بنُ حربٍ[(5)]، والحسنُ بنُ عرَفَةَ[(6)]، وفي روايته: «**ثم يرتفع على كرسيه ويرتفع معه النبيون والصدّيقون والشهداءُ، ويرجع أهلُ الغُرف إلى غرفهم**».

ورواه الدارقطنيُّ[(7)] أيضاً من طريق آخرَ عن أنس ﷺ قال: بينا نحن حولَ رسول الله ﷺ إذ قال: «**أتاني جبريلُ في يده كالمرآة البيضاءِ في وسطها كالنُّكتة السوداءِ، قلت: يا جبريلُ ما هذا؟ قال: هذا يومُ الجمعة يعرِضه عليك ربُّك ليكون عيداً ولأمتك من بعدك**».

---

(1) (1/126 ـ 127 رقم 374) **بسند ضعيف جداً.**
وفيه: إبراهيم بن محمد: متروك، وموسى بن عبيدة الربذي: ضعيف.

(2) هذا كلام ابن القيم في كتابه «حادي الأرواح» (ص391).

(3) عزاه ابن القيم في «حادي الأرواح» (ص391) له من طريق ليث بن أبي سليم، عن عثمان بن عمير، عن أنس.
قلت: إسناده ضعيف.

(4) عزاه ابن القيم في «حادي الأرواح» (ص392) له من طريق أبي ظبية، عن عاصم، عن عثمان بن عمير أبي اليقظان، عن أنس.
قلت: إسناده ضعيف.

(5) عزاه ابن القيم في «حادي الأرواح» (ص392) له، من طريق إسحاق بن سليمان، عن عنبسة بن سعيد، عن عثمان بن عمير به.
قلت: إسناده ضعيف.

(6) عزاه ابن القيم في «حادي الأرواح» (ص392) له، من طريق عمّار بن محمد ابن أخت سفيان الثوري، عن ليث بن أبي سليم، عن عثمان به.

(7) في «الرؤية» رقم (75) **بسند ضعيف.**

«قال: قلت: يا جبريلُ ما هذه النكتةُ السوداءُ؟ قال: هي الساعةُ، وهي تقوم يومَ الجمعة وهو سيّدُ أيام الدنيا ونحن ندعوه في الجنة يومَ المزيد».

«قال: قلت: يا جبريلُ ولِمَ تدعونه يومَ المزيد؟ قال: إن اللّهَ اتّخذ في الجنّة وادياً أفيحَ من مسكٍ أبيض، فإذا كان يومُ الجمعةِ نزل ربُّنا عزّ وجلّ على كرسيّه أعلى ذلك الوادي، وقد حفّ الكرسيَّ بمنابرَ من ذهب مكلّلةٍ بالجوهر، وقد حُفّت تلك المنابرُ بكراسيَّ من نور».

«ثم يُؤذن لأهل الغرفِ فيُقبلون يخوضون كُثبانَ المسكِ إلى الرُّكَب عليهم أسورةُ الذهبِ والفضةِ وثيابُ السندُسِ والحريرِ، حتى ينتهوا إلى ذلك الوادي، فإذا اطمأنوا فيه جُلوساً بعث الله عزّ وجلّ عليهم ريحاً يقال لها المثيرةُ، فأثارت ينابيعَ المِسكِ الأبيضِ في وجوههم وثيابهم، وهم يومئذ جُرْدٌ مُرْدٌ مكحّلون أبناءُ ثلاثِ وثلاثين سنةً على صورة آدمَ يوم خلقه الله عزّ وجلّ، فينادي ربُّ العِزّة تبارك وتعالىٰ رَضواناً وهو خازنُ الجنة ـ فيقول: يا رضوانُ ارفع الحجبَ بيني وبين عبادي وزوّاري».

«فإذا رَفع الحجبَ بينه وبينهم فرأَوا بهاءَه ونوره همّوا له بالسجود، فيناديهم تبارك وتعالىٰ بصوته: ارفعوا رؤوسَكم فإنما كانت العبادةُ في الدنيا وأنتم اليوم في دار الجزاء، سلوني ما شئتم، فأنا ربُّكم الذي صدقتُكم وعدي، وأتممتُ عليكم نعمتي، فهذا محلُّ كرامتي، فسلوني ما شئتم؟ فيقولون: ربَّنا وأيُّ خيرٍ لم تفعله بنا، ألستَ أعَنتنا على سكراتِ الموتِ، وآنستَ منّا الوَحشةَ في ظلمات القبور، وآمنتَ وحشتَنا عند النفخةِ في الصور؟ ألستَ أقلتَ عثراتِنا، وسترتَ علينا القبيحَ من فعلنا، وثبّتَّ على جسرِ جهنّم أقدامَنا؟ ألست الذي أدنيتَنا من جِوارك، وأسمعتَنا لذاذةَ منطقِك، وتجلّيتَ لنا بنورك؟ فأيُّ خيرٍ لم تفعله بنا؟ فنعوذ بالله عزّ وجلّ. فيناديهم بصوته: أنا ربُّكم الذي صدقتُكم وعدي وأتممتُ عليكم نعمتي، فسلوني فيقولون: نسألك رضاك. فيقول تعالىٰ: برضائي عنكم أقلتُكم عثراتِكم وسترت عليكم القبيحَ من أموركم وأدنيتُ مني جوارَكم، وأسمعتُكم لَذاذةَ منطقي وتجلّيتُ لكم بنوري، فهذا محلُّ كرامتي، فسلوني. فيسألونه حتى تنتهيَ رغبتُهم».

«ثم يقول عزّ وجلّ: سلوني؟ فيقولون: رضِينا ربَّنا وسلّمْنا، فيزيدهم من

مزيد فَضْله وكرامتِهِ ما لا عينٌ رأتْ ولا أُذُنٌ سمعت ولا خطَر على قلب بشر، ويكون ذلك مقدارَ تفرُّقِهم من الجمعة».

«قال أنسٌ رضي الله عنه فقلت: بأبي وأمي يا رسولَ الله، وما مقدارُ تفرُّقِهم؟ قال: **كقَدْرِ الجمعةِ إلى الجمعة. قال: ثم يُحمل عرشُ ربِّنا تبارك وتعالىٰ معهم الملائكةُ والنبيّون، ثم يُؤْذن لأهل الغرفِ فيعودون إلى غرفهم وهما غرفتان من زُمُرّدتين خَضْراوين وليسوا إلى شيء أشوقَ منهم إلى الجمعة لينظروا إلى ربهم تبارك وتعالىٰ وليزيدَهم من مزيد فضلِه وكرامتِه».**

قال أنس رضي الله عنه: سمعتُه من رسول الله ﷺ وليس بيني وبينه أحدٌ.

ورواه أيضاً من طريق آخرَ[1]، ورواه أبو بكر بنُ أبي شيبةَ[2]، وأبو بكر بنُ

---

(١) أخرجه الدارقطني في «الرؤية» رقم (٧٦) **بسند ضعيف منقطع**.

(٢) في «المصنف» (٢/ ١٥٠) عن عبد الرحمٰن المحاربي عن ليث عن عثمان به.
وعبد الرحمٰن المحاربي مدلس من الثالثة كما في «طبقات المدلسين» (ص٩٣)، وهو هنا قد عنعن فلا تقبل روايته.
قلت: إلا أن **عبد الرحمٰن المحاربي** لم يتفرّد بالرواية عن ليث بل تابعه عليه جماعة منهم:
أ): جرير بن عبد الحميد الضبي ـ ثقة إمام ـ عن عثمان به.
أخرجه أبو يعلى في «طبقات الحنابلة» (٢/ ٩)، ومحمد بن عثمان بن أبي شيبة في «العرش» رقم (٨٨).
ب): شعبة بن الحجاج وإسرائيل وورقاء كلهم عن عثمان به.
أخرجه الدارقطني في «الرؤية رقم (٦٩)»، والخطيب في «موضح أوهام الجمع والتفريق» (٢/ ٢٦٤).
ج): محمد بن إسحاق المطلبي عنه به.
أخرجه الدارقطني في «الرواية» رقم (٧٠)، والخطيب في «الموضح» (٢/ ٢٦٦).
د): إبراهيم بن طهمان ـ وهو ثقة ـ عنه به.
أخرجه ابن طهمان في مشيخته رقم (١١٢).
هـ): عمّار بن محمد ابن أخت سفيان الثوري عنه به.
أخرجه الدارقطني في «الرؤية» رقم (٧٣).
* وكذلك لم يتفرد ليث بن أبي سليم بل تابعه جماعة عن عثمان بن عمير منهم:
أ): عاصم عن عثمان به.
أخرجه الدارقطني في «الرؤية» (٧١)، والخطيب في «الموضح» (٢/ ٢٦٨)، وعبد الله ابن=

....

= الإمام أحمد في «السنة» رقم (٤٦٠)، والآجري في «الشريعة» (٢/ ٣١ رقم ٦٥٤/ ٣٠٥).
ب): عنبسة بن سعيد الرازي ـ قاضي الري، ثقة ـ عنه به.
أخرجه الدارقطني رقم (٧٢).
ج): زياد بن أبي خيثمة عنه به.
أخرجه الخطيب في «الموضح» (٢/ ٢٦٨).
* وكذلك أيضاً لم يتفرّد عثمان بن عمير بالحديث عن أنس بل تابعه عليه جماعة، منهم:
أ): قتادة بن دعامة السدوسي عن أنس مرفوعاً.
أخرجه الدارقطني في «الرواية» رقم (٧٥).
قال العقيلي في «الضعفاء الكبير» (١/ ٢٩٢ ـ ٢٩٣): «ليس له أصل من حديث قتادة ـ بن دعامة ـ بل هو من حديث أبي اليقظان عثمان بن عمير عن أنس بأنقص من هذا...» اهـ.
وأورد الذهبي الحديث في «الميزان» (١/ ٦٠٨ ـ ٦٠٩) في ترجمة حمزة بن واصل، وكلام العقيلي.
ب): عبيد الله بن عبيد بن عمير عن أنس مرفوعاً:
أخرجه الشافعي في «المسند» (١/ ١٢٦ ـ ١٢٧) **بسند ضعيف جداً**.
ج): عمر مولى غفرة عن أنس مرفوعاً:
أخرجه الدارقطني في «الرؤية» رقم (٧٦) **بسند ضعيف منقطع**.
أما الضعف فبسبب عمر مولى غفرة، وهو عمر بن عبد الله المدني أبو حفص.
وأمّا الانقطاع فهو بين عمر هذا وأنس. انظر: «المراسيل» لابن أبي حاتم رقم (٢٣٨).
د): علي بن الحكم البناني عن أنس مرفوعاً:
أخرجه أبو يعلى في «المسند» رقم (٤٢٢٨).
قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٤٢١)، رواه البزار رقم (٣٥١٩ ـ كشف)، والطبراني في الأوسط رقم (٦٧١٧) بنحوه، وأبو يعلى باختصار، ورجال أبي يعلى رجال الصحيح، وأحد إسنادي الطبراني رجاله رجال الصحيح، غير عبد الرحمٰن بن ثابت بن ثوبان، وقد وثّقه غير واحد، وضعّفه غيرهم وإسناد البزار فيه خلاف»اهـ.
هـ): عبد الله بن بريدة عن أنس مرفوعاً:
أخرجه الطبراني في «الأحاديث الطوال» (٢٥/ ٢٦٤ رقم ٣٥)، وابن عدي في الكامل (٤/ ١٣٧٣)، وابن النحاس في «رؤية الله» (رقم ٨) **بسند ضعيف** لضعف صالح بن حيان القرشي.
و): يزيد الرقاشي عن أنس مرفوعاً:
أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢/ ١٥١)، وأبو يعلى في المسند مختصراً رقم (٤٠٨٩) **بسند ضعيف**، فيه الأعمش وهو مدلس وقد عنعن، وكذلك يزيد الرقاشي.
وخلاصة القول أن الحديث حسن لغيره، والله أعلم.

خزيمةَ[1]، وابنُ بطةَ في الإبانة[2] وغيرهم، وقد جمع ابنُ أبي داودَ طُرقَه[3].

ولإمام الأئمةِ محمدِ بنِ إسحاقَ بنِ خزيمةَ[4] عن بُريدةَ بنِ الحصيب رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«ما منكم من أحد إلاّ سيخلو اللّهُ به يوم القيامة ليس بينه وبينه تَرجمانٌ»**.

وللإمام أحمدَ[5] وأبي داودَ[6] عن أبي رزينٍ رضي الله عنه قال: قلنا: يا رسولَ الله أكُلُّنا يرى ربَّه عزّ وجلّ يوم القيامة؟ قال: **«نعم»**، قلت: وما آيةُ ذلك في خلقه؟

---

(١) عزاه إليه ابن القيم في «حادي الأرواح» (ص٣٩٤) من طريق زهير بن حرب عن جرير، عن ليث، عن عثمان بن أبي أحمد، عن أنس، **بسند ضعيف**.

(٢) عزاه إليه ابن القيم في «حادي الأرواح» (ص٣٩٤) من طريق الأعمش، عن أبي وائل، عن حذيفة **بسند ضعيف**.

(٣) أوردت طريق الحديث قريباً، فانظرها.

(٤) في «كتاب التوحيد» (١/ ٣٦٣ رقم ٢١٦/٧) **بسند حسن**.

* وأصله عند البخاري (١٣/ ٤٢٣ رقم ٧٤٤٣)، ومسلم (٢/ ٧٠٣ ـ ٧٠٤ رقم ١٠١٦) من حديث عدي بن حاتم.

(٥)(٦) أخرجه أحمد في «المسند» (٤/ ١١ و١٢) وابنه عبد الله في «السنّة» رقم (٤٥٠)، والآجري في «الشريعة» رقم (٢٩٨ و٢٩٩)، والترمذي رقم (٣١٠٩)، وابن ماجه رقم (١٨٢)، والطبراني في «الكبير» (١٩/ ٢٠٧ رقم ٤٦٨) من طرق عن حماد بن سلمة عن يعلى بن عطاء عن وكيع بن حدس عن عمّه أبي رزين.

وأخرج القسم الأوّل منه الطيالسي رقم (١٠٩٤)، وأحمد (٤/ ١١ و١٢) وابنه عبد الله في «السنّة» رقم (٤٤٨ و٤٥٤ و٤٥٥)، وابن أبي عاصم في «السنة» رقم (٤٥٩)، وابن خزيمة في التوحيد (ص١٧٩)، والدارمي في «الرد على الجهمية» (ص٥٥)، والطبراني في «الكبير» (١٩/ ٢٠٦ رقم ٤٦٥)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٥٦٠) من طرق عن حماد بن سلمة به.

قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

وأخرج القسم الأول أيضاً أبو داود رقم (٤٧٣١)، وابن خزيمة (ص١٧٨ ـ ١٧٩)، وابن أبي عاصم رقم (٤٦٠)، وعبد الله بن أحمد في «السنة» رقم (٤٤٧)، والطبراني في «الكبير» (١٩/ ٢٠٦ رقم ٤٦٦) من طريقين عن يعلى بن عطاء، به.

قال البيهقي في «الأسماء والصفات»: هذا حديث تفرّد به يعلى بن عطاء عن وكيع بن حدس، ولا نعلم لوكيع بن حدس هذا راوياً غير يعلى بن عطاء. وحسن الألباني الحديث في «ظلال الجنّة» (١/ ٢٠٠)، ووكيع بن حدس، ويقال «عُدُس» قال الذهبي: لا يعرف. وقال الحافظ: «مقبول»، يعني عند المتابعة، وقد توبع، **فهو بها حسن**.

وخلاصة القول: أن الحديث حسن كما قال المحدث الألباني، والله أعلم.

قال: «أليس كلُّكم ينظر إلى القمر ليلةَ البدر»؟ قلنا: نعم. قال: «الله أكبرُ وأعظمُ».

وللإمام أحمدَ[1] عن جابر رضي الله عنه وقد سُئِل عن الورود فقال: «نحن يوم القيامة على كذا وكذا ـ أي فوق الناسِ ـ فتُدعى الأُمم بأوثانها وما كانت تعبُد الأولَ فالأولَ، ثم يأتينا ربُّنا بعد ذلك فيقول: ومَن تنتظرون؟ فيقولون: ننتظر ربّنا عزّ وجلّ، فيقول: أنا ربُّكم، فيقولون: حتى ننظُرَ إليك، فيتجلّى لهم تبارك وتعالىٰ يضحك».

«قال: فينطلق بهم ويتّبعونه ويُعطي كل إنسانٍ منهم منافقٍ أو مؤمن نوراً، ثم يتبعونه على جسر جهنمَ وعليه كلاليبُ وحسَكٌ تأخذ مَن شاء الله، ثم يطفأُ نورُ المنافق، ثم ينجو المؤمنون فينجو أولُ زمرةٍ وجوهُهم كالقمر ليلة البدر، وسبعون ألفاً لا يحاسَبون، ثم الذين يلونهم كأَضْوءِ نجم في السماء، ثم كذلك، ثم تحِلُّ الشفاعةُ حتى يخرُجَ من النار من قال لا إلٰه إلاّ ٱلله وكان في قلبه من الخير ما يَزِن شعيرة، فيُجعلون بفناء الجنّة، ويَجعل أهلُ الجنة يَرشّون عليهم الماء حتى ينبُتون نباتَ الشيءِ في السيل ويذهبَ حِراقُه، ثم يَسأل حتى يجعل اللّهُ له الدنيا وعشرة أمثالِها معها» ورواه مسلم في صحيحه[2].

وفي رواية: «نحن يوم القيامة على تل مشرِفين على الخلائق»، ذكرها عبدُ الحق في الجمع بين الصحيحين[3].

ولعبد الرزاق[4] عنه رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «يتجلّى لهم الربُّ تبارك وتعالىٰ ينظُرون إلى وجهه فيخِرُّون له سُجّداً فيقول: ارفعوا رؤوسَكم فليس هذا بيوم عبادة».

---

(١) في «المسند» (٣/ ٣٤٥) من طريق ابن لهيعة عن أبي الزبير عن جابر به، وتابع ابن لهيعة روح بن عبادة عند أحمد (٣/ ٣٨٣).

(٢) في صحيحه (١/ ١٧٧ ـ ١٧٨ رقم ١٩١).

(٣) عزاه إليه ابن القيم في «حادي الأرواح» (ص٣٩٦).

(٤) عزاه إليه ابن القيم في «حادي الأرواح» (ص٣٩٦)، ولم أجده في «المصنف» المطبوع.

وللدارَقُطني[1] عنه رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**يتجلّى لنا ربُّنا عزّ وجلّ يوم القيامة ضاحكاً**».

ولأبي قُرّةَ عنه رضي الله عنه أنه سمع النبيَّ ﷺ يقول: «**إذا كان يومُ القيامة جُمعت الأمم**»، فذكر الحديثَ وفيه: «**فيقول: أتعرِفون اللّهَ عزّ وجلّ إن رأيتموه؟ فيقولون: نعم. فيقول: وكيف تعرِفونه ولم ترَوه؟ فيقولون: نعلم أنه لا عِدْلَ له. قال: فيتجلّى تبارك وتعالىٰ فيخِرّون له سُجّداً**»[2].

وفي سنن ابنِ ماجه[3] عنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**بينا أهلُ الجنةِ في نعيمهم إذ سطع لهم نورٌ فرفعوا رؤوسَهم فإذا الربُّ جلّ جلالُه قد أشرف عليهم من فوقهم، فقال تعالىٰ: السلامُ عليكم يا أهلَ الجنّة، وهو قوله عزّ وجلّ: ﴿سَلَٰمٌ قَوۡلًا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ﴾** [يسٓ: ٥٨]، **فلا يلتفتون إلى شيء مما هم فيه من النعيم ما داموا ينظُرون إليه حتى يحتجب عنهم، وتبقى فيهم بركتُه ونورُه**».

وللبيهقي[4] عنه رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**بينا أهلُ الجنةِ في مجلس لهم إذ سطع لهم نورٌ على باب الجنّة، فرفعوا رؤوسَهم فإذا الربُّ تبارك وتعالىٰ قد أشرف، فقال تعالىٰ: يا أهلَ الجنة سلوني. قالوا: نسألك الرّضا عنا. قال تعالىٰ: رضائي أحلّكم داري وأنا لكم كرامتي، هذا أوانُها فسَلوني. قالوا: نسألك الزيادة، قال: فيؤْتون بنجائبَ من ياقوتٍ أحمرَ أزِمّتُها زُمُرّدٌ أخضرُ وياقوت أحمر فجاءوا**

---

(١) في «الصفات» رقم (٣٣)، وفي سنده ابن لهيعة وهو سيء الحفظ، ويغني عنه ما ورد في الصحيحين.

(٢) ذكره ابن القيم في «حادي الأرواح» (ص٣٩٧) من حديث جابر **بسند رجاله ثقات**.

(٣) في السنن رقم (١٨٤).
قلت: وأخرجه اللالكائي رقم (٨٣٦)، وأبو القاسم الأصبهاني في «الحجة في بيان المحجة» (٢/ ٢٤١ رقم ٢١٦)، وأبو نعيم في «صفة الجنّة» رقم (٩١)، والحلية (٦/ ٢٠٨)، والبيهقي في «البعث» (ص٢٦٢ رقم ٤٤٨)، والعقيلي في «الضعفاء» (٢/ ٢٧٤) في ترجمة أبي عاصم العباداني وقال عنه: «لا يتابع عليه، ولا يعرف إلاّ به»، وعدّه ابن عدي في مناكير الفضل الرقاشي (٦/ ٢٠٣٩)، وحكم عليه ابن الجوزي بالوضع في الموضوعات (٣/ ٢٦١).
وخلاصة القول: إن الحديث ضعيف جداً، والله أعلم.

(٤) في «البعث والنشور» (ص٢٦٢ ـ ٢٦٣ رقم ٤٤٨) **وهو حديث ضعيف جداً**، وانظر تخريج الحديث السابق.

عليها تضع حوافرَها عند منتهى طرفِها، فيأمر اللَّهُ بأشجار عليها الثمارُ، فتجيء جواري الحورِ العِينِ وهن يقلن: نحن الناعماتُ فلا نَبأس، ونحن الخالداتُ فلا نموت، أزواجُ قومٍ مؤمنين كرامٍ، ويأمر اللَّهُ عزّ وجلّ بكثبان من مسك أبيضَ أذْفَرَ فتُثير عليهم ريحاً يقال لها المُثيرةُ حتى تنتهيَ بهم إلى جنة عَدْنٍ وهي قَصَبةُ الجنة، فتقول الملائكةُ: يا ربنا قد جاء القومُ».

«فيقول: مرحباً بالصادقين ومرحباً بالطائعين، قال: فيكشِف لهم الحجابَ فينظرون إلى الله تبارك وتعالىٰ ويتمتّعون بنور الرحمٰنِ حتى لا يُبصر بعضُهم بعضاً، ثم يقول: أرجِعوهم إلى القصور بالتُّحَف، فيرجِعون وقد أبصر بعضُهم بعضاً». فقال رسولُ الله ﷺ: فذلك قولُه تعالىٰ: ﴿نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٢]، رواه في كتاب البعث والنشور[(١)]، وفي كتاب الرؤية[(٢)].

وللدارَقُطني[(٣)] عنه ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إن الله عزّ وجلّ يتجلّى للناس عامةً ويتجلّى لأبي بكرٍ خاصة».

ولابن وَهْب والدارَقُطني[(٤)] عن أبي أُمامةَ ﷺ قالَ: خطبَنا رسولُ الله ﷺ

---

(١) رقم (٤٤٨)، وهو حديث ضعيف جداً، وقد تقدم.

(٢) للدارقطني رقم (٦١) عن جابر، وهو حديث ضعيف جداً.

(٣) في «الرؤية» رقم (٥٨).
قلت: وأخرجه الخطيب البغدادي في تاريخه (١٢/ ١٩) من نفس طريق الدارقطني.
وقال: رواه أبو حامد الحضرمي أيضاً عن علي بن عبدة وذكر الحديث، وقال: هذا باطل والحمل فيه على أبي حامد بن حسنويه، فإنه لم يكن ثقة. وأخرجه ابن حبان في «المجروحين» (٢/ ١١٥) من طريق الدارقطني أيضاً.
وقال ابن حبان: علي بن عبدة بن شريك أبو الحسن التميمي: كان ببغداد يسرق الحديث، ويعمد إلى كل حديث رواه ثقة، يرويه عن شيخ ذلك الشيخ ويروي عن الأثبات ما ليس من حديث الثقات، لا يحلّ الاحتجاج به.
وخلاصة القول: أن الحديث ضعيف جداً، والله أعلم.

(٤) في «الرؤية» رقم (٧٩).
قلت: وأخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» رقم (٣٩١) مطولاً، وابن ماجه رقم (٤٠٧٧) مطولاً أيضاً، والآجري في «الشريعة» رقم (٩٣٧/ ٥٣٣) من طرق، بسند ضعيف.
وقال الألباني في «ظلال الجنّة» (١/ ١٧٣): «ولي رسالة في تخريج هذا الحديث، وتحقيق الكلام على فقراته التي وجدت لأكثرها شواهد تقويها» اهـ.

يوماً فكان أكثرُ خُطبتِه ذكرَ الدجالِ يحذّرنا منه ويحدثنا عنه، حتى فرَغ من خُطبته، فكان فيما قال لنا يومئذ: «إن اللَّهَ عزّ وجلّ لم يبعث نبياً إلاّ حذّره أمّتَه، وإني آخرُ الأنبياءِ وأنتم آخرُ الأُمم، وهو خارجٌ فيكم لا محالة».

«فإن يخرجْ وأنا بين أظهُركم فأنا حجيجُ كلِّ مسلم، وإن يخرُجْ فيكم بعدي فكلُّ امرئٍ حجيجُ نفسه، واللَّهُ خليفتي على كلِّ مسلم، إنه يخرج من خلّة بين العراقِ والشامِ عاث يميناً وعاث شمالاً: يا عبادَ اللَّهِ اثبُتوا».

«وإنه يبدأ فيقول: أنا نبيٌّ، ولا نبيَّ بعدي. ثم يُثني فيقول: أنا ربُّكم، ولن تَرَوْا ربَّكم حتى تموتوا، وإنه مكتوبٌ بين عينيه «كافر» يقرأه كلُّ مؤمن، فمن لَقِيَه منكم فليتفُلْ في وجهه وليقرأ فواتحَ سورةِ الكهف، وإنه يُسلَّط على نفس من بني آدمَ فيقتُلها ثم يُحييها، وإنه لا يعدو ذلك، ولا يُسلّط على نفس غيرِها. وإن من فتنته أن معه جنةً وناراً، فنارُه جنةٌ وجنّتهُ نارٌ، فمن ابتُلي بناره فليُغمِضْ عينيه، وليستغثْ بالله تكنْ بَرداً وسلاماً كما كانت برداً وسلاماً على إبراهيم، وإن أيامَه أربعون يوماً: يوماً كسنة ويوماً كشهر ويوماً كجمعة ويوماً كالأيام، وآخرُ أيّامِه كالسراب، يصبح الرجلُ عند بابِ المدينة فيمسي قبل أن يبلُغ بابَها الآخرَ». قالوا: فكيف نصلّي يا رسولَ الله في تلك الأيام؟ قال: «تقدِرون كما تقدرون في الأيامِ الطِّوال».

وللإمام أحمَد[١] وأبي داودَ[٢] عن زيد بنِ ثابت ﵁ أن رسولَ الله ﷺ علّمه دعاءً وأمره أن يتعاهدَ به أهلَه كلَّ يوم، قال: «قل حين تصبح: لبّيك اللّهمّ لبّيك وسعديك، والخيرُ في يديك، ومنك وإليك، اللّهمّ وما قلتُ من قول أو نذرتُ من نذر أو حلفتُ من حِلفٍ فمشيئتُك بين يديه، ما شئتَ كان وما لم تشأ لم يكن، ولا حولَ ولا قوةَ إلاّ بك إنك على كل شيء قدير».

---

(١) في المسند (١٩١/٥) من طريق أبي بكر بن أبي مريم عن ضمرة بن حبيب بن صهيب عن زيد بن ثابت.

(٢) لم يخرجه أبو داود.
قلت: وأخرجه اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» رقم (٨٤٦) من طريق أبي بكر بن أبي مريم عن حبيب بن عبيد بن صهيب عن زيد بن ثابت.
وسنده ضعيف عند أحمد واللالكائي، لضعف أبي بكر بن أبي مريم.
انظر: «تهذيب التهذيب» «٤٩٠/٤» ط: الرسالة.

«اللّهمّ وما صلّيتُ من صلاة فعلى من صلّيتَ، وما لعنتُ من لعنة فعلى من لعنتَ، أنت وليّي في الدنيا والآخرة، توفني مسلماً وألحقني بالصالحين».

«أسألك اللّهمّ الرّضا بعد القضاءِ وبردَ العيش بعد الموتِ، ولذّةَ النظرِ إلى وجهك، والشوقَ إلى لقائك من غير ضرّاءَ مُضِرة ولا فتنةٍ مُضلّة. أعوذُ بك اللّهمّ أن أظلم أو أُظلَم أو أعتَدي أو يُعتدى عليَّ أو أكسِب خطيئةً محبطةً أو ذنباً لا تغفره».

«اللّهمّ فاطرَ السمٰواتِ والأرض، عالمَ الغيبِ والشهادة، ذا الجلالِ والإكرام، فإني أعهَد إليك في هذه الحياة الدنيا وأُشهدك وكفى بكَ شهيداً، أني أشهد أن لا إلٰه إلاّ أنت وحدك لا شريك لك، لك الملكُ ولك الحمدُ وأنت على كل شيءٍ قدير، وأشهد أن محمداً عبدُك ورسولُك، وأشهد أن وعدَك حقٌّ، وأن لقاءَك حقٌّ، والجنّةُ حقٌّ، والساعةُ آتيةٌ لا ريب فيها، وأنت تبعث مَن في القبور، وأشهد أنك إنْ تكِلني إلى نفسي تكِلْني إلى ضَيْعة وعَورةٍ وذنبٍ وخطيئة، وإني لا أثق إلاّ برحمتك، فاغفِر لي ذنبي إنه لا يغفر الذنوبَ إلاّ أنت، وتُبْ عليَّ إنك أنت التوّابُ الرحيم».

وللإمام أحمدَ[1] وابنِ حِبان[2] والحاكِم[3] في صحيحيهما عن أبي مِجْلَز قال: صلّى بنا عمّارٌ رضي الله عنه صلاةً فأوجز فيها، فأنكروا ذلك، فقال: ألم أُتِمَّ الركوعَ والسجود؟ قالوا: بلى. قال: أما إني قد دعوتُ فيها بدعاء كان رسولُ الله ﷺ يدعو به: «اللّهمّ بعلمك الغيبَ وقدرتِك على الخلق، أحْيني ما علمتَ الحياةَ خيراً لي، وتوفّني إذا علمتَ الوفاةَ خيراً لي، وأسألك خشيتَك في الغيب والشهادة، وكلمةَ الحقِّ في الغضب والرّضا، والقصدَ في الفقر والغنى، ولذّةَ النظرِ إلى وجهك، والشوقَ إلى لقائك في غير ضرّاءَ مضِرّةٍ ولا فتنةٍ مُضِلّة. اللّهمّ زيّنا بزينة

---

(١) في «المسند» (٤/ ٢٦٤).

(٢) في صحيحه (٥/ ٣٠٤ ـ ٣٠٥ رقم ١٩٧١).

(٣) في «المستدرك»(١/ ٥٢٤ ـ ٥٢٥) وصححه ووافقه الذهبي.
قلت: وأخرجه النسائي (٣/ ٥٤ ـ ٥٥)، وابن منده في «الرد على الجهمية» رقم (٨٦)، والدارمي في «الرد على الجهمية» (ص٦٠)، واللالكائي رقم (٨٤٥)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (١٠/ ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٥ ـ ٢٦٦) من طرق...

الإيمان واجعلنا هداةً مهتدين»، وأخرجه ابن خزيمة في كتاب التوحيد[1].

وفي صحيح الحاكم[2] عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسولُ الله ﷺ لجابر: «**يا جابرُ، ألا أبشّرُك؟ قال: بلى بشّرك اللّهُ بخير. قال: شعَرتُ أن اللّهَ أحيا أباك. قال: فأقعده بين يديه، فقال: تمنَّ عليّ عبدي ما شئتَ أُعْطِكَه. قال: يا ربِّ ما عبدتُك حقَّ عبادتك، أتمنى عليك أن تردَّني إلى الدنيا فأقاتلَ مع نبيك فأُقتَلَ فيك مرة أخرى. قال تعالىٰ: إنه قد سلف مني أنك إليها لا ترجِع**»، وهو في المسند[3] من حديث جابر.

وللترمذي[4] عنه رضي الله عنه قال: لما قُتل عبدُ الله بنُ عَمْرِو بنِ حَرامٍ يوم أُحد قال رسولُ الله ﷺ: «**يا جابرُ ألا أُخبرك ما قال اللّهُ عزّ وجلّ لأبيك؟ قالَ: بلى، قال: ما كلم اللّهُ عزّ وجلّ أحداً إلاّ من وراء حجاب وكلّم أباك كِفاحاً، فقال: يا عبدي تمنَّ عليَّ أُعطِك؟ قال: يا ربِّ تُحيِيني فأُقْتَلَ فيك ثانية، قال: إنه قد سبق مني أنهم إليها لا يرجعون، قال: يا ربِّ فأبلغْ مَن ورائي. فأنزل الله تعالىٰ هذه الآية:**

---

(١) في «التوحيد» (ص١٢).
حديث عمّار صحيح، والله أعلم.

(٢) في «المستدرك» (٣/ ٢٠٣)، وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، واعترض عليه الذهبي في «التلخيص» بقوله: «فيض ابن وثيق» كذاب.
وقال الذهبي في «الميزان» (٥/ ٤٤٤ رقم ٦٧٩٣/ ٦٦٧٠): «روى عنه أبو زرعة، وأبو حاتم، وهو مقارب الحال إن شاء الله» اهـ.
وقال ابن حجر في «لسان الميزان» (٤/ ٤٥٦): «وقد ذكره ابن أبي حاتم ولم يجرحه، وأخرج له الحاكم في المستدرك محتجاً به، وذكره ابن حبان في الثقات...» اهـ.
وأخرج أحمد (٣/ ٣٦١) حديث جابر برجال ثقات ما عدا عبد الله بن محمد بن عقيل، وهو ليّن الحديث.
وخلاصة القول: أن الحديث حسن لغيره، والله أعلم.

(٣) ٣/ ٣٦١، وقد تقدم الكلام عليه في التعليقة السابقة.

(٤) في السنن (٥/ ٢٣٠ - ٢٣١ رقم ٣٠١٠) وقال: هذا حديث حسن غريب.
قلت: وأخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» رقم (٦٠٢)، وابن ماجه رقم (١٩٠ و٢٨٠٠)، والحاكم في «المستدرك» (٣/ ٢٠٤) وصححه ووافقه الذهبي، وحسن الألباني الحديث.
وخلاصة القول: أن الحديث حسن، والله أعلم.

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا﴾ [آل عمران: ١٦٩]» الآية. قال الترمذيُّ: هذا حديثٌ حسنٌ غريب. قلت[١]: وإسنادُهُ صحيحٌ.

وللترمذي[٢] والطبرانيِّ[٣] عن ابن عمرَ ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إن أدنى أهلِ الجنةِ منزلةً لَرجلٌ ينظر في ملكه ألفَيْ سنةٍ يرى أقصاه كما يرى أدناه ينظر إلى أزواجه وسُرُره وخدمِه، وإن أفضلَهم منزلةً من ينظر إلى وجه اللَّهِ تبارك وتعالىٰ كلَّ يوم مرتين**».

وفي رواية ابن عرفة[٤]: ثم قرأ رسولُ الله ﷺ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ [القيامة].

وفي رواية سعيدِ بن هُشيم عن ابن عمرَ ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**يومُ**

---

(١) القائل ابن القيم في «حادي الأرواح» (ص٤٠١).

(٢) في السنن (٤/٦٨٨ رقم ٢٥٥٣) و(٥/٤٣١ رقم ٣٣٣٠) وقال الترمذي: هذا حديث غريب.

(٣) عزاه إليه الهيثمي في «المجمع» (١٠/٤٠١).
قلت: وأخرجه أبو يعلى (١٠/٧٦ رقم ٥٧١٢)، والطبري في جامع البيان (٢٩/١٩٣)، والحاكم (٢/٥٠٩)، وصححه وتعقبه الذهبي بقوله: «بل هو ـ أي ثوير ـ واهي الحديث»، وأبو القاسم الأصبهاني في «الحجة في بيان المحجة» (٢/٢٤٣) رقم ٢١٨، والآجري في «الشريعة» (٣/٣٨ رقم ٦٦٣/ ٣١٤)، والدارقطني في «الرؤية» رقم (١٨٨ و١٩٠ و١٩١)، واللالكائي رقم (٨٤٠ و٨٤١)، وأحمد (٢/١٣، ٦٤)، والخطيب في «الموضح» (٢/٩) من طرق.
وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/٤٠١) وقال: «رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني، وفي أسانيدهم ثوير بن أبي فاختة، وهو مجمع على ضعفه» اهـ.
وأورده السيوطي في «الدر المنثور» (٦/٢٩٠) وعزاه لابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، والترمذي، وابن جرير، وابن المنذر والآجري في الشريعة، والدارقطني في «الرؤية»، والحاكم وابن مردويه، واللالكائي في السنة والبيهقي» اهـ.
وحكم المحدث الألباني على الحديث بالضعف في «الضعيفة» رقم (١٩٨٥)، وهو كما قال حفظه الله.

(٤) عزاه إليه ابن القيم في «حادي الأرواح» (ص٤٠٢) من طريق شبابة، عن إسرائيل، عن ثوير، عن ابن عمر مرفوعاً.
قلت: ثوير متفق على ضعفه، والزيادة هذه عند الترمذي أيضاً.

القيامة أولُ يومٍ نظرتْ فيه عينٌ إلى الله تبارك وتعالىٰ»، رواه الدارقطني[1].

وله[2] عنه ﷺ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: **«ألا أُخبركم بأسفلِ أهلِ الجنة؟»**، قالوا: بلى يا رسولَ الله، فذكر الحديثَ إلى أن قال: **«حتى إذا بلغ النعيمُ منهم كلَّ مبلغٍ وظنّوا أن لا نعيمَ أفضلُ منه أشرف الربُّ تبارك وتعالىٰ عليهم فينظرون إلى وجه الرحمٰن عزّ وجلّ فيقول: يا أهلَ الجنّة، هلّلوني وكبّروني وسبّحوني بما كنتم تهلّلوني وتكبّروني وتسبّحوني في دار الدنيا، فيتجاوبون بتهليل الرحمٰن، فيقول تبارك وتعالىٰ لداودَ: يا داودُ قم فمجّدني فيقوم فيمجّد ربّه عزّ وجلّ»**.

وروى عثمانُ بنُ سعيدٍ الدارميُّ ـ في ردّه على المُريسي[3] ـ عن ابن عمرَ ﷺ يرفعه إلى النبيّ ﷺ: **«إن أهلَ الجنة إذا بلغ النعيمُ منهم كلَّ مبلغٍ وظنّوا أن لا نعيمَ أفضلُ منه تجلّى لهم الربُّ تبارك وتعالىٰ فنظروا إلى وجه الرحمٰنِ عزّ وجلّ فنسُوا كلَّ نعيمٍ عاينوه حين نظروا إلى وجه الرحمٰنِ عزّ وجلّ»**.

وقال الترمذيُّ[4] رحمه الله: حدّثنا محمدُ بنُ إسماعيلَ أخبرنا هشامُ بنُ عمارٍ

---

(١) في «الرؤية» رقم (١٩٢).
قلت: وأخرجه الخطيب في «تاريخ بغداد» (١٠/ ٣٥٢) وسنده ضعيف جداً.
كوثر بن حكيم: منكر الحديث كما قال الإمام البخاري في «التاريخ الكبير» (٧/ ٢٤٥)،
وهيثم بن حكيم: متروك الحديث.
وخلاصة القول: أن الحديث ضعيف.

(٢) في «الرؤية» للدارقطني رقم (١٩٣) بإسناد ضعيف منقطع، فهو من رواية حماد بن جعفر عن ابن عمر وبينهما مفاوز، وحماد بن جعفر منكر الحديث.
والخلاصة أن الحديث ضعيف.

(٣) (ص١٦١)، **بإسناد ضعيف منقطع**، انظر التعليقة السابقة.

(٤) في السنن (٤/ ٦٨٥ رقم ٢٥٤٩)، وقال الترمذي: هذا حديث غريب، لا نعرفه إلاّ من هذا الوجه.
وقد روى سويد بن عمرو عن الأوزاعي شيئاً من هذا الحديث.
قلت: وأخرجه ابن ماجه (٢/ ١٤٥٠ ـ ١٤٥١ رقم ٤٣٣٦)، وتمام في فوائده رقم (١٥٨٦)
وقد ضعف الألباني الحديث في ضعيف الترمذي وابن ماجه، وضعيف الجامع الصغير رقم (١٨٣١)، وفي مشكاة المصابيح رقم (٥٦٤٧).

أخبرنا عبدُ الحميد بنُ حبيبِ بنِ أبي العشرين أخبرنا الأوزاعيُّ حدثنا حسانُ بنُ عطيةَ عن سعيدِ بنِ المسيِّبِ أنه لقي أبا هريرة ﵁ فقال أبو هريرة: أتسأل الله تعالىٰ أن يجمعَ بيني وبينك في سوق الجنّة. فقال سعيد: أفيها سوقٌ؟ قال: نعم، أخبرني رسولُ الله ﷺ: «**أن أهلَ الجنة إذا دخلوها نزلوا فيها بفضل أعمالِهم، ثم يُؤذَن في مقدار يومِ الجمعةِ من أيام الدنيا فيزورون ربَّهم ويبرُز لهم عرشُه ويتبدّى لهم في روضة من رياض الجنّة، فتوضع لهم منابرُ من نور ومنابرُ من لؤلؤ ومنابرُ من ياقوت ومنابرُ من زَبَرجَدٍ ومنابرُ من ذهب ومنابرُ من فضة، ويجلِس أدناهم ـ وما فيهم من دنيء ـ على كُثبان المِسك والكافور. وما يَرَوْن أن أصحابَ الكراسي بأفضل منهم مجلساً.**

قال أبو هريرة: قلت: يا رسولَ الله، وهل نرى ربَّنا؟ قال: نعم، هل تتمارون في رؤية الشمسِ والقمرِ ليلةَ البدر؟ قلنا: لا. قال: كذلك لا تتمارون في رؤية ربِّكم، ولا يبقى في ذلكَ المجلسِ رجلٌ إلا حاضره اللّهُ تعالىٰ محاضَرةً حتى يقولَ للرجل منهم: يا فلانُ بنَ فلان أتذكرُ يوم قلت كذا وكذا؟ فيذكِّره ببعض غَدَراته في الدنيا. فيقول: يا ربِّ أفلم تغفرْ لي؟ فيقول: بلى، فبِسعة مغفرتي بلغتَ منزلَتك هذه. فبينما هم على ذلك غَشِيَتْهم سحابةٌ من فوقهم فأمطرَتْ عليهم طِيباً لم يجدوا مثلَ رِيحِه شيئاً قطُّ.

ويقول ربُّنا عزّ وجلّ: قوموا إلى ما أعددتُ لكم من الكرامة فخذوا ما اشتهيتم. فنأتي سوقاً قد حفّت به الملائكةُ فيه ما لم تنظُر العيونُ إلى مثله ولم تسمع الآذانُ ولم يخطُر على القلوب، فيُحمل إلينا ما اشتهينا ليس يباع فيها ولا يُشترى.

وفي ذلك السوقِ يلقى أهلُ الجنةِ بعضُهم بعضاً. قال: فيُقبل الرجلُ ذو المنزلة المرتفعةِ فيلقى مَن هو دونه، وما فيهم دنيء، فيرُوعه ما يرى عليه من اللباس، فما ينقضي آخرُ حديثِهِ حتى يتخيّلَ إليه ما هو أحسنُ منه، وذلك أنه لا ينبغي لأحد أن يحزَنَ فيها.

ثم ننصرف إلى منازلنا فتتلقّانا أزواجُنا فيقُلْن: مرحباً وأهلاً، لقد جئتَ وإن لك من الجمال أفضلَ مما فارقْتَنا عليه. فنقول: إن جالسْنا اليومَ ربَّنا الجبارَ،

ويحقّنا أن ننقلبَ بمثل ما انقلبنا». هذا حديثٌ غريبٌ لا نعرفه إلاّ من هذا الوجه.

قلت: ابنُ أبي العشرين كاتبُ الأوزاعي. قال أحمدُ[١] وأبو حاتم[٢]: ثقةٌ. وقال النسائي[٣]: ليس بذاك القوي، وقال البخاري[٤]: ربما يخالف في حديثه، وفي التقريب[٥]: صَدوقٌ ربما أخطأ، وأما بقيةُ رجالهِ فلا يُسأل عنهم. ورواه ابنُ ماجه[٦] وابن أبي الدنيا[٧] وابنُ أبي عاصم[٨].

ولابنِ بطةَ[٩] عن عمار بنِ رُويبةَ ﷺ قال: نظر النبيّ ﷺ إلى القمر ليلةَ البدر، فقال: «**إنكم سترَون ربَّكم كما تَرَوْن هذا القمرَ، لا تُضارّون في رؤيته، فإن استطعتم على أن لا تُغلَبوا على صلاة قبل طلوعِ الشمس وصلاةٍ قبل غروبِها فافعلوا**».

وفي رواية له[١٠] عنه قال: نظر رسولُ الله ﷺ إلى القمر ليلةَ البدر، فقال: «**إنكم سترونَ ربَّكم تبارك وتعالىٰ كما تَرَوْن هذا القمرَ لا تُضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تُغْلَبوا على ركعتين قبل طلوعِ الشمسِ وركعتين بعد غروبِها فافعلوا**».

---

(١) العلل رواية عبد الله (٢٦١٠)، وعنه في الجرح (٣/١/١١).

(٢) في «الجرح والتعديل» (٣/١/١١).

(٣) في «الضعفاء والمتروكين» رقم (٤١٩).

(٤) في «التاريخ الكبير» (٦/٤٥).

(٥) ١/٤٦٧.

(٦) رقم (٤٣٣٦) كما تقدم.

(٧) عزاه إليه المنذري في «الترغيب والترهيب» (٤/٤٥١) عن هقل بن زياد كاتب الأوزاعي أيضاً ـ وهو ثقة احتجّ به مسلم وغيره.

(٨) في «السنة» رقم (٥٨٥) إسناده ضعيف لضعف هشام بن عمار وعبد الحميد.
والحديث ضعيف كما تقدم، وانظر: «الضعيفة» للألباني رقم (١٧٢٢).

(٩) عزاه إليه ابن القيم في «حادي الأرواح» (ص٤٠٣)، وفي إسناده أبو بكر بن عمارة بن رويبة، قال عنه الحافظ في «التقريب» رقم (٧٩٨٣): مقبول.
وأخرجه البخاري رقم ٥٥٤، ومسلم رقم (٦٣٣) من حديث جابر بن عبد الله.

(١٠) عزاه إلى ابن بطة ابن القيم في «حادي الأرواح» (ص٤٠٤)، وفي إسناده المسعودي صدوق وقد اختلط. وأبو بكر بن عمارة بن رويبة تقدم الكلام عليه في التعليقة السابقة.
والحديث في الصحيحين من حديث جرير بن عبد الله كما تقدم في التعليقة السابقة.

ولأبي معاويةَ عن سلمانَ الفارسيّ[1] رضي الله عنه قال: «يأتون النبيَّ ﷺ فيقولون: يا نبيَّ الله، إنَّ الله فتح بك وختم بك وغفرَ لك، قم فاشفعْ لنا إلى ربك، فيقولون: نعم أنا صاحبُكم، فيخرُج يحوش الناسَ حتى ينتهيَ إلى باب الجنة فيأخذ بحلقة البابِ فيقرَع، فيُقال: من هذا؟ فيقول: محمدٌ ﷺ. قال: فيُفتح له فيجيء حتى يقومَ بين يدي اللَّهِ عزّ وجلّ فيستأذن في السجود فيُؤذن له»، الحديث.

ولابنِ بطةَ[2] والبزارِ[3] عن حذيفةَ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «أتاني جبريلُ فإذا في كفّه مرآةٌ كأصفى المرايا وأحسنِها، وإذا في وسطها نُكتة سوداءُ. قال: قلتُ: يا جبريلُ ما هذه؟ قال: هذه الدنيا صفاؤها وحسنُها. قال: قلت: وما هذه اللمعةُ في وسطها؟ قال: هذه الجمعةُ. قال: قلت: وما الجمعةُ؟ قال: يومٌ من أيام ربّك عظيمٌ، وسأخبرك بشرفه وفضلِهِ واسمِهِ في الآخرة.

أمّا شرفُه وفضلُه في الدنيا، فإن الله تعالىٰ جمع فيه أمرَ الخلق، وأمّا ما يُرجى فيه فإن فيه ساعةً لا يوافقها عبدٌ مسلمٌ أو أمةٌ مسلمةٌ يسألان الله فيها خيراً إلاّ أعطاهما إياه.

وأمّا شرفُه وفضلُه واسمُه في الآخرة، فإنّ الله تبارك وتعالىٰ إذا صيّر أهلَ الجنة إلى الجنة وأهلَ النارِ إلى النار، وجرت عليهم أيامُها وساعاتُها ليس بها ليلٌ ولا نهارٌ إلاّ قد علم الله مقدارَ ذلك وساعاتِهِ، فإذا كان يومُ الجمعة في الحين الذي يبرُز ـ أو يخرج ـ فيه أهلُ الجنة إلى جُمُعتهم نادى منادٍ: يا أهلَ الجنّة اخرُجوا إلى دار المزيدِ لا يعلم سعتَه وعَرضَه وطولَه إلاّ اللَّهُ تعالىٰ في كُثبانٍ من المسك.

---

(١) عزاه إليه ابن القيم في «حادي الأرواح» (ص٤٠٤).
وحديث الشفاعة معروف أخرجه البخاري في مواضع من «صحيحه» منها رقم (١٤٧٥) من حديث ابن عمر.

(٢) عزاه إليه ابن القيم في «حادي الأرواح» (ص٤٠٤).
وسنده ضعيف، فإن القاسم بن مطيب قال عنه ابن حبان: يستحق الترك، انظر: «الميزان» (٣/ ٣٨٠).

(٣) في «المسند» (٤/ ١٩٣ ـ ١٩٤ رقم ٣٥١٨ ـ كشف).
وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٤٢٢) وقال: رواه البزار وفيه القاسم بن مطيب، وهو متروك.

قال: فيخرُج غلمانُ الأنبياءِ بمنابرَ من نورٍ، ويخرُج غلمانُ المؤمنين بكراسيَّ من ياقوتٍ. قال: فإذا وُضعتْ لهم وأخذ القومُ مجالسَهم بعث الله تبارك وتعالىٰ ريحاً تدعى المُثيرةُ، تُثير عليهم آثارَ المسك الأبيضِ تُدخِله من تحت ثيابهم وتُخرِجه في وجوهِهم وأشعارِهم، فتلك الريحُ أعلمُ كيف تصنع بذلك المسكِ من امرأة أحدِكم لو دفَع إليها ذلك الطيبَ بإذن الله تعالىٰ.

قال: ثم يوحي اللّهُ سبحانه وتعالىٰ إلى حَمَلة العرشِ فيوضَع بين ظَهرانِي الجنَّة وبينه وبينهم الحجبُ، فيكون أولَ ما يسمعون منه أن يقول: أين عبادي الذين أطاعوني في الغيب ولم يَرَوْني وصدّقوا رسلي واتّبعوا أمري؟ فسلوني فهذا يومُ المزيد. قال: فيجتمعون على كلمة واحدة: ربَّنا رضِينا عنك فارضَ عنّا.

قال: فيرجِع اللّهُ تعالىٰ في قولهم أن يا أهل الجنّة لو لم أرضَ عنكم لما أسكنتُكم جنّتي، فهذا يومُ المزيد فسلوني، قال: فيجتمعون على كلمة واحدة: ربُّ وجهَك، ربُّ وجهَك، أرِنا ننظرْ إليه. قال: فيكشف اللّهُ تبارك وتعالىٰ الحجبَ ويتجلّى لهم فيغشاهم من نوره شيءٌ لولا أنّه قضى عليهم أن لا يحترقوا لاحترقوا مما غَشِيَهم من نوره. قال: ثم يقال: ارجِعوا إلى منازلكم، قال: فيرجعون إلى منازلهم وقد خَفُوا على أزواجهم وخَفِين عليهم ممّا غَشِيهم من نوره.

فإذا صاروا إلى منازلهم يزاد النور وأمكن، ويزاد وأمكن، حتى يرجِعوا إلى صورهم التي كانوا عليها. قال: فيقول لهم أزواجُهم: لقد خرجتم من عندنا على صورة ورجَعتم على غيرها، قال: فيقولون: ذلك بأنّ الله تجلّى لنا فنظرنا منه إلى ما خَفِينا به عليكنَ. قال: فلهم في كل سبعةِ أيام الضعفُ على ما كانوا فيه. قال: وذلك قوله عز وجلّ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧]».

ولابن مهدي عنه[1] رضي الله عنه في قوله عزّ وجلّ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾

---

(١) أخرجه اللالكائي رقم (٧٨٣)، وابن أبي عاصم في «السنة» رقم (٤٧٣)، وابن خزيمة في «التوحيد» (ص١٨٣)، والدارقطني في «الرؤية» رقم (٢٢٤ و٢٢٦)، والآجري في «الشريعة» (ص٢٥٧)، والطبري في «جامع البيان» (١١/ ١٠٤ ـ ١٠٥).

وقال الألباني في «ظلال الجنة» (١/ ٢٠٦): «حديث موقوف صحيح. . . ولكن يشهد له=

[يونس: ٢٦]، قال: النظرُ إلى وجه اللَّهِ عزّ وجلّ. قال الحاكم[١] رحمه الله تعالىٰ: وتفسيرُ الصحابيِّ عندنا في حكم المرفوعِ.

ولابن خزيمةَ[٢] عن أبي نَضْرَة قال: خطبَنا ابنُ عباس رضي الله عنه فقال: قال رسولُ الله ﷺ: **«ما من نبيٍّ إلاّ وله دعوةٌ تعجَّلَها في الدنيا، وإني اختبأتُ دعوتي شفاعةً لأمَّتي يوم القيامة، فآتي بابَ الجنة فآخُذ بحلقة البابِ فأقرع البابَ، فيقال: من أنت؟ فأقول: أنا محمّدٌ. فآتي ربي وهو على كرسيّه ـ أو على سريره ـ فيتجلّى لي ربي فأخِرّ له ساجداً»**.

ولأبي بكر بنِ أبي داودَ عن ابن عباس[٣] رضي الله عنهما أيضاً عن النبيّ ﷺ قال: **«إنَّ أهلَ الجنةِ يَرَوْن ربَّهم تبارك وتعالىٰ في كل جمعةٍ في رمال الكافور، وأقربُهم منه مجلساً أسرعُهم إليه يوم الجمعة وأبكرُهم غُدوّاً»**.

= الحديث المرفوع قبله ـ وهو حديث صهيب الذي أخرجه مسلم رقم (١٨١) وغيره، وهو حديث صحيح ـ.

(١) في «معرفة علوم الحديث» (ص٢٠):
«هذا الحديث وأشباهه مسندة عن آخرها وليست بموقوفة، فإن الصحابي الذي شهد الوحي والتنزيل، فأخبر عن آية من القرآن أنها نزلت في كذا وكذا، فإنه حديث مسند» اهـ.

(٢) لم أعثر عليه عند ابن خزيمة، وقد عزاه إليه ابن القيم في «حادي الأرواح» (ص٤٠٦)، وأخرجه أحمد في «المسند» (١/ ٢٨١ ـ ٢٨٢) مطوّلاً بألفاظ متقاربة. وفي سنده علي بن زيد بن جدعان وهو ضعيف. وقد اضطرب فيه فمرّة رواه عن ابن عباس، ومرّة عن أبي موسى.
والحديث قد ورد في الصحيحين من حديث أنس وأبي هريرة.
وخلاصة القول: أن الحديث حسن لغيره.

(٣) * أخرجه الآجري في «الشريعة» (٣/ ٣١ رقم ٦٥٣/ ٣٠٤) من حديث ابن عباس بسند ضعيف، الحسن البصري: مدلس وقد عنعن.
* وأخرجه ابن ماجه رقم (١٠٩٤) مرفوعاً من حديث ابن مسعود: «إن الناس يجلسون من الله يوم القيامة على قدر رواحهم إلى الجمعات. . .» بسند ضعيف. والأعمش: مدلس وقد عنعن.
* وأخرج الطبراني في «المعجم الكبير» (٩/ ٢٧٣ رقم ٩١٦٩) بنحو حديث ابن عباس موقوفاً من قول ابن مسعود.
وفيه أبو عبيدة بن عبد الله: لم يسمع من أبيه، قاله الهيثمي في «مجمع الزوائد» «٢/ ١٧٨»، أي فالسند منقطع. وما ورد موقوفاً في حكم المرفوع عن ابن مسعود، ولكن لهذا الحديث ما يشهد له.
وخلاصة القول أن الحديث حسن لغيره، والله أعلم.

وللصغاني عن عبد الله بن عَمْرو بنِ العاص[1] رضي الله عنهما قال: خلق اللّهُ الملائكةَ لعبادته أصنافاً، فإن منهم لَمَلائكةً قياماً صافين من يوم خلقَهم إلى يوم القيامة، وملائكةً ركوعاً خشوعاً من يوم خلقَهم إلى يوم القيامة، وملائكةً سجوداً منذ خلقَهم إلى يوم القيامة، فإذا كان يومُ القيامة وتجلّى لهم تعالىٰ ونظروا إلى وجهه الكريم قالوا: «سبحانك ما عبدناك حقَّ عبادتِك».

وللدارمي[2] عن أبي الدرداءِ رضي الله عنه أن فضالةَ ـ يعني ابنَ عُبيد رضي الله عنه ـ كان يقول: اللّهمّ إني أسألك الرّضا بعد القضاء، وبَرْدَ العيشِ بعد الموت، ولذةَ النظرِ إلى وجهك، والشوقَ إلى لقائك في غير ضرّاءَ مضرّةٍ ولا فتنةٍ مُضلّة.

وللإمام أحمدَ[3] عن عُبادةَ بن الصامت رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ أنّه قال: «**قد حدّثتُكم عن الدجّال حتى خَشِيتُ أن لا تعقِلوا، إن المسيحَ الدجالَ رجلٌ قصيرٌ أفحجُ، جعدٌ أعورُ، مطموسُ العينِ ليست بناتئة ولا حَجْراءَ، فإن التبس عليكم فاعلموا أن ربّكم ليس بأعورَ، وإنكم لن ترَوْا ربّكم حتى تموتوا**».

وقال الصغاني: حدثنا روحُ بنُ عبادة حدثنا عبّادُ بن منصور قال: سمعتُ عديَّ بنَ أرطاةَ يخطُب على المنبر بالمدائن، فجعل يعِظ حتى بكى وأبكى ثم قال: كونوا كرجل قال لابنه وهو يعظه: يا بنيَّ أوصيك أن لا تصلّيَ صلاةً إلاّ ظننتَ أنك لا تصلّي بعدها غيرَها حتى تموتَ، وتعالى يا بنيّ نعمل عملَ رجلين كأنّهما قد وقفا على النار ثم سألا الكرةَ، ولقد سمعتُ فلاناً ـ نسيَ عبّادٌ اسمه ـ ما بيني

---

(١) أخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» (١/ ٢/ ٨).

(٢) أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٨/ ٣١٩ رقم ٨٢٥)، وفي الأوسط رقم (٦٠٩١)، وفي الدعاء رقم (١٤٢٣).
وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٧٧) وقال: رواه الطبراني في الكبير والأوسط ورجالهما ثقات.
وأخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» رقم (٤٢٧)، والدارقطني في «الرؤية» رقم (٢٢٩)، **بسند صحيح**.

(٣) في «المسند» (٥/ ٣٢٤) فيه بقية مدلس، ولكنه صرّح بالتحديث عند أحمد، وشيخه شامي.
قلت: وأخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» رقم (٤٢٨)، وأبو داود في «السنن» مختصراً (٤٣٢٠)، والآجري في «الشريعة» (٣/ ١٩٨ رقم ٩٣٦/ ٥٣٢) وللحديث شواهد.
وخلاصة القول: أن الحديث صحيح، والله أعلم.

وبين رسولِ الله ﷺ غيرُه، فقال: إنّ رسولَ الله ﷺ قال: «**إنّ لله ملائكةً ترعُد فرائصُهم من مخافته، ما منهم مَلَكٌ تقطُر دمعتُه من عينه إلاّ وقعت مَلَكاً يسبّح اللّهَ تعالىٰ. قال: وملائكةٌ سجودٌ منذ خلق السمٰواتِ والأرضَ لم يرفعوا رؤوسَهم ولا يرفعونها إلى يوم القيامة، وصفوفٌ لم ينصرفوا عن مَصافّهم ولا ينصرفون إلى يوم القيامة، فإذا كان يومُ القيامة وتجلّى لهم ربُّهم فنظروا إليه قالوا: سبحانك ما عبدناك كما ينبغي لنا أن نعبُدَك**»[1].

فثبت بهذه الأحاديثِ المتواترةِ الصحيحة الصريحةِ أن اللّهَ عزّ وجلّ يُرى في الآخرة كما يشاء، وأن الشهداءَ بعد موتِهم يَرَونه، وأن الملائكةَ يرونه، وأن النبيَّ ﷺ يراه عند استئذانهِ في الشفاعة، وأن أمةَ محمّدٍ ﷺ بَرَّهم وفاجرَهم يرَوْنه في عَرَصات القيامة، وهي للفاجر والمنافقِ ابتلاءٌ وامتحانٌ ونوعٌ من العقوبة، وأما رؤيةُ الفرحُ والسرورِ والتلذّذ بالنظر إلى وجه اللّهِ عزّ وجلّ، فهي خاصّة لأوليائه المؤمنين يُؤْذَن لهم في السجود ويُعطَوْن النورَ التامَّ على الصراط فيتبعونه. ثم يتجلّى لهم في الجنة فيرَوْنه كما يشاء، وهي الزيادةُ في يوم المزيدِ كما في الآيات السابقة وما في معناها من الأحاديث التي سردناها، وقد جاءت أحاديثُ صحيحةٌ في تفسير الزيادةِ بالنظر إلى وجه الله عزّ وجلّ، منها حديثُ أبي موسى وحديثُ أنسٍ وحديثُ حذيفةَ وحديثُ صُهيب، وقد تقدّم ذكرُها قريباً.

وللدارقطني[2] عن أُبيّ بن كعبٍ رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ في قوله تعالىٰ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٌۖ﴾ [يونس: ٢٦]، قال: النظرُ إلى وجه الله عزّ وجلّ.

---

(١) أخرجه الخطيب في «تاريخ بغداد» (١٢/٣٠٦ ـ ٣٠٧) من طريق الصاغاني عنه به. وأشار إلى خطبة عدي بن أرطاة ابن حجر في «تهذيب التهذيب» (٣/٨٥)، وكذلك الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (٥/٥٣).

(٢) في «الرؤية» رقم (٢٠٠).

قلت: وأخرجه اللالكائي رقم (٨٤٩) بسند الدارقطني، وفيه مجاهيل.

وأخرجه اللالكائي رقم (٧٨٠) من طريق آخر عن أبي العالية. . . به، **بسند ضعيف لجهالة الراوي عن أبي العالية.**

ولابن جرير[1] عنه رضي الله عنه قال: سألتُ رسولَ الله ﷺ عن «الزيادة» في كتابِ الله عزّ وجلّ، قوله تعالىٰ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، قال ﷺ: **«الحُسنى: الجنّةُ، والزيادةُ: النظرُ إلى الله عزّ وجلّ»**.

ولابن جرير[2] عن كعب بن عُجْرَة رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ في قوله تعالىٰ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، قال: **«الزيادةُ النظرُ إلى وجه الرحمٰنِ عزّ وجلّ جلالُه»**.

ورواهُ ابنُ حميدٍ[3] عنه بلفظ: **«الزيادةُ النظرُ إلى وجه الله تبارك وتعالىٰ»**.

وللحسن بنِ عَرفةَ[4] عن أنس رضي الله عنه قال: سُئل رسولُ الله ﷺ عن هذه الآية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، قال: **«للذين أحسنوا العملَ في الدنيا، والحسنى وهي الجنةُ، والزيادةُ وهي النظرُ إلى وجه الله عزّ وجلّ»**.

وقد رُوي تفسيرُ «الزيادة» بالنظر إلى وجه الله عزّ وجلّ عن أبي بكر رضي الله عنه، وعليِّ بنِ أبي طالب، وحُذيفةَ بنِ اليمانِ، وعبدِ الله بنِ عباسٍ، وأبي موسى، وعن عُبادةَ بنِ الصامت، وغيرِهم من الصحابة رضي الله عنهم[5]، وعن التابعين عن سعيد بنِ المسيّب، وعبدِ الرحمٰنِ بن أبي ليلى، وعبدِ الرحمٰن بنِ السابط، ومجاهدٍ، وعِكْرِمَةَ، وعامرِ بن سعدٍ، وعطاءٍ، والضحاكِ، والحسنِ، وقَتادةَ، والسُّدّيِّ، ومحمدِ بنِ إسحاقَ، ومقاتلٍ وغيرِهم[6]، رحمهم الله من السلف والخلف، ولولا خشيةُ الإطالةِ لنقلنا أقوالَهم بأسانيدها، وفيما ذكرنا من المرفوع كفايةٌ، وبالله التوفيق.

---

(١) في «جامع البيان» (١٥/ ٦٩ رقم ١٧٦٣٣ ـ شاكر) بسند ضعيف لجهالة الراوي عن أبي العالية.

(٢) في «جامع البيان» (١٥/ ٦٨ رقم ١٧٦٣١ ـ شاكر) بسند ضعيف لضعف إبراهيم بن المختار؛ ولأنه من مرسل عطاء عن كعب بن عجرة قاله الشيخ أحمد شاكر.
قلت: وأخرجه اللالكائي رقم (٧٨١).

(٣) لم أجده عند ابن حميد، وانظر الذي قبله.

(٤) في جزئه رقم (٢٣).
قلت: وأخرجه اللالكائي رقم (٧٧٩) بسند ضعيف، سلم بن سالم البلخي ضعيف، ونوح بن أبي مريم: منكر الحديث، قاله البخاري.
قلت: إن الأحاديث المتقدمة يقوّي بعضها بعضاً، فتكون صحيحة لغيرها إن شاء الله.

(٥) سيأتي تخريج هذه الآثار قريباً، عند ذكر المنقول عن أصحاب رسول الله ﷺ في هذا الباب.

(٦) سيأتي تخريج هذه الآثار قريباً، عند ذكر أقوال التابعين رحمهم الله تعالىٰ في ذلك.

ذكرُ المنقولِ عن أصحاب رسولِ الله ﷺ في هذا البابِ

قال أبو بكر[1] رضي الله عنه وقرأ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، فقالوا: ما الزيادةُ يا خليفةَ رسولِ الله ﷺ؟ قال: النظرُ إلى وجه الله تبارك وتعالىٰ.

وقال عليّ[2] رضي الله عنه: من تمام النعمةِ دخولُ الجنة والنظرُ إلى وجه الله تبارك وتعالىٰ في جنّته.

وقال حذيفةُ[3] رضي الله عنه: الزيادةُ النظرُ إلى وجه الله تبارك وتعالىٰ.

---

(١) أخرجه ابن أبي عاصم رقم (٤٧٣)، وعبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» رقم (٤٧٠ و٤٧١)، واللالكائي رقم (٧٨٣، ٧٨٤)، والطبري في «جامع البيان» (١١/ ١٠٤)، وابن منده في «الرد على الجهمية» رقم (٨٤)، وابن خزيمة في «التوحيد» (٢/ ٤٥٠ رقم ٢٦٤)، والدارقطني في «الرؤية» رقم (٢٢١ و٢٢٢)، والآجري في «الشريعة» (٣/ ٦٣٠، ٦٣١، ٦٣٢، [٣٤٧، ٣٤٨، ٣٤٩]) ـ والدارمي في «الرد على الجهمية» (ص٦٠ ـ ٦١)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» رقم (٦٦٦) وفي «الاعتقاد» (ص٦٢).
وزاد السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٣٠٦) نسبته لابن أبي شيبة، وابن المنذر، وأبي الشيخ، وابن مردويه.
وعلّته تدليس أبي إسحاق السبيعي وقد عنعنه.
ومسلم بن نذير: لا بأس به، تابعي روى عنه جماعة، وذكره ابن حبان في «الثقات»، وقال عنه أبو حاتم: «لا بأس به».
وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١١/ ١٠٥) بإسناده إلى شعبة، عن أبي إسحاق عن عامر بن سعد موقوفاً عليه، وهو على شرط مسلم.
وقال أبو الأشبال في «جامع البيان» (١٥/ ٦٣): رواه الآجري في «الشريعة» مرسلاً، وقال عن الأثر: في إسناده نظر.
وقال المحدث الألباني في «ظلال الجنّة» (١/ ٢٠٦): حديث موقوف صحيح... ويشهد له الحديث المرفوع قبله ـ وهو حديث صهيب الذي أخرجه مسلم رقم (١٨١) وغيره وهو حديث صحيح.
وخلاصة القول: أن أثر أبي بكر رجاله ثقات وفي إسناده انقطاع، وهو صحيح لغيره.

(٢) أخرجه اللالكائي رقم (٨٥٩)، وابن أبي حاتم ـ كما في «حادي الأرواح» (ص٤٠٩) ـ وسنده ضعيف: عمارة بن عبد قال عنه الحافظ في «التقريب» رقم (٤٨٥٣): مقبول.
وصالح بن أبي خالد ذكره في «الجرح والتعديل» وسكت عنه.
والأثر صحيح لغيره.

(٣) أخرجه عبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» رقم (٤٧٣)، والآجري في «الشريعة» (٢/ ١٤) رقم ٣٤٩/٦٣٢، وابن أبي عاصم في «السنة» رقم (٤٧٣)، والطبري في «جامع =

وقال عبدُ الله بنُ مسعودٍ[1] رضي الله عنه: والله ما منكم من إنسان إلاّ أن ربَّه سيخلو به يومَ القيامة كما يخلو أحدُكم بالقمر ليلةَ البدر، قال: فيقول: ما غرّكَ بي يا ابنَ آدمَ (ثلاث مرات)، ماذا أجبتَ المرسلين (ثلاث مرات)، ماذا عَمِلتَ فيما عَلِمْتَ؟

وقال رضي الله عنه[2]: الزيادةُ النظرُ إلى وجه الله عزّ وجلّ.

وقيل لابن عباسٍ[3] رضي الله عنهما: كلُّ من دخل الجنّةَ يرى ربَّه عزّ وجلّ؟ قال: نعم.

وقال معاذُ بنُ جبل[4] رضي الله عنه: يُحشر الناسُ يوم القيامةِ في صعيدٍ واحد، فينادَى: أين المتّقون؟ فيقومون في كنفٍ واحدٍ من الرحمٰن تعالىٰ، لا يحتجب اللّٰهُ منهم ولا يَسْتتر. قال أبو عفيفٍ ـ وهو الراوي عنه ـ: مَن المتّقون؟ قال: قومٌ اتّقَوا الشِّركَ وعبادةَ الأوثانِ وأخلصوا لله في العبادة، فيمرّون إلى الجنّة.

وكان أبو هريرة[5] رضي الله عنه يقول: لن تَرَوْا ربَّكم حتى تذوقوا الموتَ.

= البيان» (١١/ ١٠٥)، والدارمي في «الرد على الجهمية» (ص٦١)، واللالكائي رقم (٧٨٣، ٧٨٤)، وابن خزيمة (٢/ ٤٥٢ رقم ٩/ ٢٦٥)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» رقم (٦٦٦) بسند ضعيف، فيه عنعنة أبي إسحاق. وانظر الكلام على أثر أبي بكر الصديق المتقدم آنفاً **وهو أثر صحيح لغيره.**

(١) أخرجه اللالكائي رقم (٨٦٠).
وأبو عوانة ـ كما في «حادي الأرواح» (ص٤١٠) **بسند صحيح.**

(٢) أخرجه اللالكائي رقم (٧٨٧).
وأخرجه أبو بكر بن أبي داود ـ كما في «حادي الأرواح» (ص٤١٠) **بسند ضعيف وهو أثر صحيح لغيره.**

(٣) أخرجه الآجري في «الشريعة» (٢/ ١٣ رقم ٦٢٩/ ٣٤٦) بسند ضعيف.
إبراهيم بن الحكم بن أبان العَدَنيُّ: ضعفه الحافظ في «التقريب» (١٦٦)، **وأثر ابن عباس حسن لغيره.**

(٤) أخرجه اللالكائي رقم (٨٦٤).
وابن أبي حاتم ـ كما في «حادي الأرواح» (ص٤١٠)، **بسند ضعيف.**
ميمون (أبو حمزة): ضعيف، قاله الحافظ في «التقريب» رقم (٧٠٥٧).
وأبو عفيف: لا يعرف.

(٥) أخرجه اللالكائي رقم (٨٦٥) **بسند ضعيف.**
وهو حديث صحيح لغيره.

وقال ابنُ عمرَ[1] رضي الله عنهما: إن أدنى أهلِ الجنّةِ منزلةً من ينظرُ إلى ملكه ألفي عام يرى أقصاه كما يَرَى أدناه، وإن أفضلَهم منزلةً لَمن ينظرُ إلى وجه الله جلّ جلالُه في كل يوم مرّتين. وكان فَضالةُ بنُ عبيدٍ[2] رضي الله عنه يقول: اللّهمّ إني أسألك الرّضا بعد القضاء، وبَرْدَ العيشِ بعد الموتِ، ولذةَ النظرِ إلى وجهك. وقد تقدم هذا الدعاءُ عنه، وتقدّم مرفوعاً من حديث زيدِ بن ثابتٍ وعُبادةَ بنِ الصامتِ رضي الله عنهما.

وقال أبو موسى[3] رضي الله عنه: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، قال: الجنّة، و«الزيادة» هي النظرُ إلى وجه الله عزّ وجلّ. وكان رضي الله عنه[4] يحدّث الناسَ فشخَصوا بأبصارهم، فقال: ما صرف أبصارَكم عني؟ قالوا: الهلالُ. قال: فكيف بكم إذا رأيتم وجهَ اللّهِ تعالىٰ جهرةً؟

وقال أنسُ بنُ مالكٍ[5] رضي الله عنه في قوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: ٣٥]،

---

(١) أخرجه اللالكائي رقم (٨٦٦) بسند ضعيف.
ثوير بن أبي فاختة: ضعيف.
وقد أخرجه اللالكائي مرفوعاً وموقوفاً رقم (٨٤٠، ٨٤١).
كما تقدم تخريج الحديث المرفوع في كتابنا هذا.

(٢) تقدم تخريجه قريباً.

(٣) أخرجه اللالكائي رقم (٧٨٦)، والدارمي في «الرد على الجهمية» (ص٦١)، والطبري في «جامع البيان» (١١/١٠٥)، وابن خزيمة في «التوحيد» (٢/٤٥٦ رقم ١٠/٢٦٧)، والدارقطني في «الرؤية» رقم (٥٦).
ومدار الأثر عند الجميع على أبي بكر الهذلي، وهو ضعيف. ولكن الأثر ثبت من طرق صحيحة فهو بها حسن، والله أعلم.

(٤) أخرجه اللالكائي رقم (٨٦٢)، وعبد الله ابن الإمام أحمد في «السنة» رقم (٤٦٥)، والدارمي في «الرد على الجهمية» (ص٦١)، وابن خزيمة (٢/٤٤٢ رقم ٥/٢٥٧) كلهم موقوفاً على أبي موسى.
وأخرجه الآجري في «الشريعة» (٢/٢٦ رقم ٦٥١/٣٠٢)، وابن خزيمة (٢/٤٤١ رقم ٤/٢٥٦) مرفوعاً.
ورجح ابن خزيمة الوقف بقوله: «ذكر النبيّ ﷺ في هذا الخبر بهذا الإسناد علمي وهم، هذا من قبل أبي موسى الأشعري، في هذا الإسناد لا من قول النبيّ ﷺ».
قلت: على كل الأحوال إن هذا الموقوف له حكم الرفع.
وهو صحيح لغيره، والله أعلم.

(٥) أخرجه الدارمي في «الرد على الجهمية» (ص٦٢) بسند ضعيف جداً، وانظر الكلام على الأثر الآتي.

يظهر لهم الربُّ تبارك وتعالىٰ يوم القيامة[1].

وعن جابر[2] رضي الله عنه قال: إذا دخل أهلُ الجنةِ الجنةَ وأُديمَ عليهم بالكرامة جاءَتْهم خيولٌ من ياقوت أحمرَ لا تبول ولا تَرُوث، لها أجنحةٌ، فيقعُدون عليها ثم يأتون الجبارَ جلّ وعلا، فإذا تجلّى لهم خرّوا له سُجّداً فيقول: يا أهلَ الجنةِ ارفعوا رؤوسَكم، فقد رَضِيتُ عنكم رضاءً لا سخَطَ بعده.

ذكرُ أقوالِ التابعين رحمهم الله تعالىٰ في ذلك

قال سعيدُ بنُ المسيِّب[2] والحسنُ[3] وعبدُ الرحمٰنِ بنُ أبي ليلى[4] وعبدُ الرحمٰنِ بنُ سابطٍ[5] وعِكرِمةُ[6] ومجاهدٌ[7] وقَتادةُ[8] والسُّدي[9] وكعبٌ[10] رحمهم الله تعالىٰ: (الزيادةُ النظرُ إلى وجه الله عزّ وجلّ).

وكتب عمرُ بنُ عبدِ العزيز[11] رحمه الله إلى بعض عُمّالِهِ: (أما بعدُ، فإني أوصيك بتقوى الله عزّ وجلّ ولزومِ طاعتهِ، والتمسكِ بأمرِهِ، والمعاهدةِ على ما حمّلك الله من دينه واستحفظك من كتابه، فإن بتقوى الله عزّ وجلّ ولزوم طاعتهِ

(١) أخرجه الآجري في «الشريعة» (٢/ ٣٥،٣٦ رقم ٦٥٨، ٦٥٩ [٣٠٩، ٣١٠]) **بإسناد ضعيف جداً.**
الحكم بن أبي خالد هو ابن ظهير: «متروك الحديث» كما قال النسائي وابن حجر وغيرهما، وقال البخاري عنه: منكر الحديث. [الميزان (١/ ٥٧١)، والكامل (٢/ ٦٢٦)]، والحسن مدلس وقد عنعن.

(٢) أخرجه اللالكائي رقم (٧٨٩).

(٣) أخرجه اللالكائي رقم (٧٩٠) وفي سنده: أبو بشر الحلبي. قال ابن حجر في «التقريب» (٢/ ٣٩٥): مجهول.

(٤) أخرجه الدارقطني في «الرؤية» رقم (٢٣٥ و٢٣٦).

(٥) أخرجه الدارقطني في «الرؤية» رقم (٢٤٥)، واللالكائي رقم (٧٩٥).

(٦) أخرجه اللالكائي رقم (٧٩٦).

(٧) أخرجه اللالكائي رقم (٧٩٧).

(٨) أخرجه اللالكائي (٧٩٨)، وأخرجه ابن خزيمة بسند آخر، ولفظ مقارب في «التوحيد» (ص١٢١)، وكذلك الطبري في «جامع البيان» (١١/ ١٠٦).

(٩) أخرجه الدارقطني في «الرؤية» رقم (٢٤٠)، **بسند ضعيف.**

(١٠) لم أعثر على مخرجه.

(١١) أخرجه الدارمي في «الرد على الجهمية» (ص٦٢).

نجا أولياؤُه من سخطه، وبها وافقوا أنبياءَه، وبها نُضّرت وجوهُهم ونظروا إلى خالقهم، وهي عصمةٌ في الدنيا من الفتن ومن كُرَب يومِ القيامة).

وقال الحسنُ[1] رحمه الله تعالىٰ: (لو علم العابدون في الدين أنهم لا يَرون ربَّهم في الآخرة لذابت أنفسُهم في الدنيا).

وقال الأعمشُ وسعيدُ بن جبيرٍ[2] رحمهما الله: إن أشرفَ أهلِ الجنةِ لَمن ينظُر إلى الله تبارك وتعالىٰ غُدوةً وعشيّة.

وقال كعبٌ[3] رحمه الله تعالىٰ: ما نظر الله عزّ وجلّ إلى الجنة قطُّ إلاّ قال طِيبي لأهلك، فزادت ضعفاً على ما كانت، حتى يأتيَها أهلُها. وما من يومٍ كان لهم عيداً في الدنيا إلاّ ويخرُجون في مقداره في رياض الجنّة، فيبرُز لهم الربُّ تبارك وتعالىٰ فينظُرون إليه وتَسْفي عليهم الريحُ المِسْكَ، ولا يسألون الربَّ تبارك وتعالىٰ شيئاً إلاّ أعطاهم حتى يرجعوا وقد ازدادوا على ما كانوا من الحُسن والجمالِ سبعين ضعفاً، ثم يرجِعون إلى أزواجهم وقد ازدَدْن مثلَ ذلك.

وقال هشامُ بنُ حسان[4]: إن الله سبحانه وتعالىٰ يتجلّى لأهل الجنةِ، فإذا رآهُ أهلُ الجنة نَسُوا نعيمَ الجنّة.

وقال طاوسُ[5]: (أصحابُ المِراء والمقاييسِ لا يزال بهم المِراءُ والمقاييسُ حتى يجحَدوا الرؤيةَ ويخالفوا أهلَ السنّة).

وقال شَريكٌ عن أبي إسحاقَ السُّبيعيّ[6]: الزيادةُ: النظرُ إلى وجه الرحمٰنِ تبارك وتعالىٰ.

---

(1) أخرجه اللالكائي رقم (٨٦٩).

(2) ذكره ابن القيم في «حادي الأرواح» (ص٤١٣).

(3) أخرجه الآجري في «الشريعة» رقم (٣٣١/٦١٤) بسند ضعيف، ولعلّه من الإسرائيليات.

(4) أخرجه الآجري في «الشريعة» رقم (٣٣٠/٦١٣).

(5) أخرجه اللالكائي رقم (٨٦٨).

(6) أخرجه اللالكائي رقم (٧٩٤)، والطبري في «جامع البيان» (١٠٥/١١)، والدارقطني في «الرؤية» رقم (٢٤٧).

وعن عبد الرحمٰن بن أبي ليلى[1] أنه تلا هذه الآية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، قال: (إذا دخل أهلُ الجنة الجنةَ أُعطوا فيها ما سألوا وما شاءوا، فيقول الله عزّ وجلّ لهم: إنه قد بقيَ من حقكم شيءٌ لم تُعطَوه، فيتجلّى لهم تبارك وتعالىٰ فلا يكون ما أُعطُوه عند ذلك بشيء، فالحسنى الجنةُ، والزيادةُ النظرُ إلى وجه ربِّهم تبارك وتعالىٰ: ﴿وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، بعد نظرِهم إلى ربِّهم تبارك وتعالىٰ).

وقال عليُّ بنُ المديني: سألت عبدَ الله بنَ المبارك[2] عن قوله تعالىٰ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ [الكهف: ١١٠]، قال عبد الله: (من أراد النظرَ إلى وجه الله خالقِه فليعمل عملاً صالحاً ولا يُخبر به أحداً).

وقال نعيمُ بن حمّاد: سمعتُ ابنَ المبارك[3] يقول: (ما حجب الله عزّ وجلّ أحداً عنه إلاّ عذّبه)، ثم قرأ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾﴾ [المطففين]، قال: (بالرؤية).

وقال عبادُ بنُ العوام[4]: قدِم علينا شريكُ بنُ عبد الله منذ خمسين سنةً فقلت: يا أبا عبد الله، إن عندنا قوماً من المعتزلة يُنكرون هذه الأحاديثَ: «**إن الله ينزل إلى سماء الدنيا**»، و«**إن أهلَ الجنة يرَوْن ربهم**»، فحدَّثني بنحو عشرةِ أحاديثَ في هذا، وقال: (أما نحن، فقد أخذنا دينَنا هذا عن التابعين عن أصحاب رسولِ الله ﷺ، فهم عمّن أخذوا؟).

وقال عُقبةُ بن قُبيصةَ[5]: أتينا أبا نعيم[6] يوماً فنزل إلينا من الدرجة التي في داره فجلس وسطَها كأنه مُغضَبٌ فقال: حدّثنا سفيانُ بنُ سعيدٍ ومنذرٌ الثوريُّ وزهيرُ بن معاويةَ، وحدثنا حسنُ بنُ صالحِ بنِ حيّ، وحدثنا شريكُ بنُ عبد الله النخعي، هؤلاء أبناءُ المهاجرين يحدّثوننا عن رسول الله ﷺ أن الله تبارك وتعالىٰ

---

(١) أخرجه الدارقطني في «الرؤية» رقم (٢٣٢).
(٢) أخرجه اللالكائي رقم (٨٩٥).
(٣) أخرجه اللالكائي رقم (٨٩٤).
(٤) أخرجه اللالكائي رقم (٨٧٩)، والآجري في «الشريعة» رقم (٧٣٩/٣٦٩) **بسند صحيح**.
(٥) أخرجه اللالكائي رقم (٨٨٧).
(٦) وهو الفضل بن دكين.

يُرى في الآخرة، حتى جاء ابنُ يهوديٍّ صباغٍ يزعمُ أن الله تعالىٰ لا يُرى (يعني بشر المريسي[1] قبّحه الله).

ذكرُ أقوالِ الأئمةِ الأربعةِ وطبقاتِهم ومشايخِهم رحمهم الله تعالىٰ

قال مالكُ بنُ أنس[2] الإمام رحمه الله تعالىٰ: (الناسُ ينظُرون إلى ربّهم عز وجلّ يوم القيامة بأعينهم).

وسئل رحمه الله[3] عن قوله عزّ وجلّ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة]، أتنظُر إلى الله عزّ وجلّ؟ قال: نعم. قال أشهب: فقلت إن أقواماً يقولون تنظُر ما عنده. قال: بل تنظُر إليه نظراً، وقد قال موسى: ﴿رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى﴾ [الأعراف: ١٤٣]. وقال تعالىٰ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥].

---

(١) هو بشر بن غياث المريسي، مبتدع ضال، لا يبغي أن يروى عنه ولا كرامة. تفقّه على أبي يوسف، فبرع وأتقن علم الكلام ثم جرّد القول بخلق القرآن، وناظر عليه، ولم يدرك الجهم بن صفوان، إنما أخذ مقالته واحتجّ لها ودعا إليها، . . .
وقال أبو النضر هاشم بن القاسم: كان والد بشر المريسي يهودياً قصاراً صباغاً في سويقة النضر بن مالك.
وقال قتيبة بن سعد: بشر المريسي كافر، مات سنة ثمان عشرة ومائتين.
وقال الخطيب حكى عنه أقوال شنيعة أساء أهل العلم قولهم فيه وكفّره أكثرهم لأجلها، وأسند من الحديث شيئاً يسيراً.
وأسند عبد الله بن أحمد في كتاب «السنة» عن هارون الرشيد أنّه قال: بلغني أن بشراً يقول: القرآن مخلوق، عليّ إن أظفرني الله به أن أقتله. ونقل عنه أنه كان ينكر عذاب القبر وسؤال الملكين والصراط والميزان.
[لسان الميزان (٢/ ٢٩ ـ ٣١)].

(٢) أخرجه اللالكائي رقم (٧٨٠)، وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٣٢٦)، والآجري في «الشريعة» (ص٢٥٤) بسند صحيح.
وذكره الذهبي في «السير» (٨/ ٩٩).

(٣) أي الإمام مالك رحمه الله.
ذكره القاضي عياض في «ترتيب المدارك» (٢/ ٤٢)، والذهبي في «السير» (٨/ ١٠٢)، وابن عبد الهادي في «إرشاد السالك» (ص٥١).

وذكر الطبري وغيره[1] أنه قيل لمالك: إنهم يزعُمون أن الله لا يُرى، فقال مالك: (السيفَ السيفَ).

وقال أبو صالح كاتبُ الليث: أملى عليَّ عبدُ العزيز بنُ أبي سلمةَ الماجُشون[2]، وسألتُه عما جحدت الجهمية؟ فقال: (لم يزل يُملي لهم الشيطانُ حتى جحدوا قولَه تعالىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة]، فقالوا: لا يراه أحدٌ يوم القيامة، فجحدوا والله أفضلَ كرامةِ الله التي أكرم بها أولياءَه يوم القيامة من النظر إلى وجههِ ونُضرتِه إياهم: ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القمر: ٥٥]، فوربِّ السماءِ والأرض ليجعلَنّ رؤيتَه يوم القيامة للمخلِصين له ثواباً لِيُنضِّر بها وجوهَهم دون المجرمين وتُفلجَ بها حجّتُهم على الجاحدين وهم ﴿عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]، لا يرونَه، كما يزعُمون أنه لا يُرى، ولا يكلّمهم ولا ينظر إليهم ولهم عذابٌ أليم).

وقال الأوزاعيُّ[3] رحمه الله تعالىٰ: (إني لأرجو أن يحجُبَ الله عزّ وجلّ جهماً وأصحابَه عن أفضل ثوابِه الذي وعده الله أولياءَه حين يقول: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة]، فجحد جهمٌ وأصحابُه أفضلَ ثوابِه الذي وعده الله تعالىٰ أولياءَه).

وقال الوليدُ بنُ مسلم: سألتُ الأوزاعيَّ وسفيانَ الثوريَّ ومالكَ بنَ أنسٍ والليثَ بنَ سعد عن هذه الأحاديثِ التي فيها الرؤيةُ، فقالوا: تُمرُّ بلا كيف.

وقال سفيانُ بنُ عيينةَ: من لم يقل إن القرآنَ كلامُ الله، وأن الله يُرى في الجنّة فهو جهميٌّ، ذكره الطبري[4].

وذكر عنه ابنُ أبي حاتم[5] أنّه قال: لا يُصلّى خلفَ الجهمي، والجهميُّ الذي يقول لا يَرى ربَّه يوم القيامة.

---

(١) أخرجه اللالكائي رقم (٨٧٢).

(٢) أخرجه اللالكائي رقم (٨٧٣). أبو صالح كاتب الليث: ضعيف.

(٣) أخرجه اللالكائي رقم (٨٧٤).

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم كما في «حادي الأرواح» (ص٤١٥).

(٥) كما في «حادي الأرواح» (ص٤١٦).

وذكر ابنُ أبي حاتم عن جرير بنِ عبدِ الحميدِ[1] أنه ذكر حديثَ ابن سابطٍ في الزيادة أنها النظرُ إلى وجه الله عزّ وجلّ، فأنكره رجلٌ، فصاح به وأخرجه من مجلسه.

وذكرَ أيضاً عن ابن المباركِ[2] أن رجلاً من الجهمية قال له: يا أبا عبدِ الرحمٰن: «خُدا را بآن جهان جون بيند»[3]، ومعناه: كيف يُرى الله يوم القيامة؟ فقال: بالعين.

وقال وكيعُ بنُ الجراح[4] رحمه الله: (يراه تبارك وتعالىٰ المؤمنون في الجنّة ولا يراه إلاّ المؤمنون).

وقال قتيبةُ بنُ سعيد[5] رحمه الله تعالىٰ: قولُ الأئمّة المأخوذُ به في الإسلام والسنّة: الإيمانُ بالرؤية، والتصديقُ بالأحاديث التي جاءت عن رسول الله ﷺ في الرؤية.

وقال أبو عبيد القاسمُ بنُ سلاّم[6]، وقد ذُكرت عنده هذه الأحاديثُ التي في الرؤية: (هي عندنا حقٌّ، رواها الثقاتُ عن الثقات إلى أن صارت إلينا. إلاّ أنّا إذا قيل لنا فسّروها لنا، قلنا: لا نفسّر منها شيئاً ولكن نُمضيها كما جاءت).

وقال عبدُ الوهاب الورّاق[7]: سألتُ أسودَ بنَ سالمٍ[8] عن أحاديث الرؤيةِ فقال: أحلِف عليها أنها حقٌّ.

وقال محمد بنُ إدريسَ الشافعيُّ[9] رحمه الله تعالىٰ وقد جاءته رقعةٌ من

---

(١) أخرجه اللالكائي رقم (٨٨٠).
(٢) أخرجه اللالكائي رقم (٨٨١).
(٣) هذه لغة فارسية.
(٤) أخرجه اللالكائي رقم (٨٨٢).
(٥) أخرجه اللالكائي رقم (٨٨٦).
(٦) ذكره ابن بطة وغيره كما في «حادي الأرواح» (ص٤١٦)، وأخرجه الآجري في «الشريعة» رقم (٦٢٢/٣٣٩) **بسند صحيح.**
(٧) أخرجه الآجري في «الشريعة» رقم (٦١٦/٣٣٣) **بسند صحيح.**
(٨) شيخ الإمام أحمد.
(٩) أخرجه ابن كثير في «مناقب الشافعي» (ص١٩٠ ـ ١٩١ رقم ٢١٥)، والبيهقي في «مناقب الشافعي» (١/ ٤٢٠)، وأحكام القرآن (١/ ٤٠)، واللالكائي رقم (٨٨٣).

الصعيد فيها: ما تقول في قول الله عزّ وجلّ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]؟، فقال الشافعيُّ رحمه الله تعالىٰ: لما أنْ حُجب هؤلاء في السُّخط كان في هذا دليلٌ على أن أولياءَه يرَوْنه في الرّضا. قال الربيع فقلت: يا أبا عبد الله وبه تقول؟ قال: نعم، وبه أدينُ الله عزّ وجلّ، ولو لم يوقن محمدُ بنُ إدريس أنه يرى الله لما عبدَ الله عزّ وجلّ، رواه الحاكم عن الربيع عنه.

وروى الطبرانيُّ وغيرُه[1] عن المُزَني قال: سمعتُ الشافعيَّ رحمه الله تعالىٰ يقول في قوله عزّ وجلّ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]: فيها دليلٌ على أن أولياءَ الله يرَوْن ربَّهم تبارك وتعالىٰ يوم القيامة.

وقال محمدُ بنُ عبدِ الله بنِ الحَكَم[2]: سئل الشافعيُّ رحمه الله تعالىٰ عن الرؤية، فقال: يقول الله تعالىٰ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]، ففي هذا دليلٌ على أن المؤمنين لا يُحجبون عن الله عزّ وجلّ. رواه أبو زُرعةَ الرازيُّ.

ولابن بطّةَ عنه[3] رحمه الله تعالىٰ قال: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥] دلالةٌ على أن أولياءَ الله يرَوْنه يوم القيامة بأبصارهم ووجوهِهم.

وقال إسحاقُ بنُ منصورٍ[4] قلت لأحمَد: أليس ربّنا تبارك وتعالىٰ يراه أهلُ الجنّة؟ أليس تقول بهذه الأحاديثِ؟ قال أحمدُ: صحيحٌ.

وقال الفضلُ بن زياد[5]: سمعتُ أبا عبد الله ـ وقيل له: تقول بالرؤية ـ فقال: من لم يقل بالرؤية فهو جهميٌّ.

وقال: سمعتُ أبا عبد الله وبلَغه عن رجل أنّه قال: إن اللّهَ لا يُرى في الآخرة، فغضِب غضباً شديداً ثم قال: من قال إن اللّهَ لا يُرى في الآخرة فقد كفر، عليه لعنةُ الله وغضبُه من كان من الناس، أليس يقول الله عزّ وجلّ: ﴿وُجُوهٌ

---

(١) أخرجه اللالكائي رقم (٨٠٩).
(٢) أخرجه اللالكائي رقم (٨١٠).
(٣) عزاه إليه ابن القيم في «حادي الأرواح» (ص٤١٧).
(٤) ذكره ابن القيم في «حادي الأرواح» (ص٤١٧).
(٥) أخرجه الآجري في «الشريعة» رقم (٦١٨/ ٣٣٥) بسند صحيح.

﴿يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝﴾ [القيامة]، وقال: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥].

وقال أبو داود[١]: سمعتُ أحمدَ رحمه الله تعالىٰ وذُكر له عن رجل شيءٌ في الرؤية فغضب، وقال: (من قال إن الله لا يُرى فهو كافر).

وقال أيضاً[٢]: سمعتُ أحمدَ بنَ حنبل رحمه الله تعالىٰ، وقيل له في رجل يحدّث بحديث عن رجل عن أبي العَطوفِ أن الله لا يُرى في الآخرة، فقال: (لعن الله من يحدّث بهذا الحديثِ اليوم، ثم قال: أخزى الله هذا).

وقال أبو بكر المَرْوَزي[٣]: قيل لأبي عبد الله: تعرِفُ عن يزيدَ بنِ هارونَ عن أبي العطوفِ عن أبي الزبير عن جابر: إن استقرّ الجبلُ فسوف تراني وإن لم يستقرَّ فلا تراني في الدنيا ولا في الآخرة؟ فغضِب أبو عبد الله غضباً شديداً حتى تبيّن في وجهه، وكان قاعداً والناسُ حوله فأخذ نعلَه وانتعل وقال: أخزى الله هذا، هذا لا ينبغي أن يُكْتَب. ودفع أن يكون يزيدُ بنُ هارونَ رواه أو حدّث به وقال: هذا جهميٌّ كافرٌ خالف ما قال الله عزّ وجلّ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝﴾ [القيامة]، وقال: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]، أخزى الله هذا الخبيثَ.

قال أبو عبد الله[٤]: ومن زعم أن الله لا يُرى في الآخرة فقد كفر.

وقال أبو طالب[٥]: قال أبو عبد الله: قولُ الله عزّ وجلّ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [البقرة: ٢١٠]، وقوله: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢]، فمن قال إن الله لا يُرى فقد كفر.

وقال إسحاقُ بن إبراهيمَ بنِ هانئ[٦]: سمعت أبا عبدِ الله يقول: من لم يؤمن بالرؤية فهو جهميٌّ، والجهميُّ كافرٌ.

---

(١) أخرجه الآجري في «الشريعة» رقم (٦٢١/٣٣٨) بسند صحيح.
(٢) أخرجه الآجري في «الشريعة» رقم (٦٧١/ ٣٥١) بسند صحيح.
(٣) ذكره ابن القيم في «حادي الأرواح» (ص٤١٧ ـ ٤١٨).
(٤) ذكره ابن القيم في «حادي الأرواح» (ص٤١٨).
(٥) ذكره ابن القيم في «حادي الأرواح» (ص٤١٨).
(٦) ذكره ابن القيم في «حادي الأرواح» (ص٤١٨).

وقال يوسفُ بنُ موسى بنِ محمدٍ القطّانُ[1]: قيل لأبي عبد الله: أهلُ الجنة ينظرون إلى ربّهم تبارك وتعالىٰ ويكلّمونه ويكلّمهم؟ قال: نعم، ينظر إليهم وينظرون إليه ويكلّمهم ويكلّمونه كيف شاءوا إذا شاءوا.

وقال حنبلُ بنُ إسحاق[2]: سمعتُ أبا عبد الله يقول: القومُ يرجِعون إلى التعطيل في أقوالهم، يُنكرون الرؤيةَ والآثارَ كلَّها، وما ظننتُهم على هذا حتى سمعت مقالاتِهم.

قال حنبلٌ: وسمعتُ أبا عبدِ الله يقول: من زعم أن الله لا يُرى في الآخرة فهو جهميٌّ، فقد كفر وردَّ على الله وعلى الرّسول. ومن زعم أن الله لم يتّخذ إبراهيمَ خليلاً فقد كفر وردَّ على الله قوله.

قال أبو عبد الله: فنحن نؤمن بهذه الأحاديثِ ونُقرُّ بها ونُمِرُّها كما جاءت.

وقال الأثرمُ[3]: سمعتُ أبا عبد الله رحمه الله يقول: فأمّا من يقول: إن الله لا يُرى في الآخرة فهو جهميٌّ.

قال أبو عبد الله: وإنما تكلّم مَن تكلم في رؤية الدنيا.

وقال إبراهيمُ بنُ زيادٍ الصائغُ[4]: سمعت أحمدَ بنَ حنبلٍ يقول: الرؤيةُ: من كذَّب بها فهو زنديقٌ.

وقال حنبلٌ: سمعتُ أبا عبد الله يقول: أدركْنا الناسَ وما يُنكرون من هذه الأحاديثِ شيئاً، أحاديثِ الرؤية، وكانوا يحدّثون بها على الجملة، يُمِرّونها على حالها غيرَ مُنكِرين لذلك ولا مُرتابين.

وقال أبو عبد الله رحمه الله تعالىٰ: قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾ [الشورى: ٥١]، وكلّم الله موسى من وراء حجابٍ، فقال: ﴿رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ

(١) ذكره ابن القيم في «حادي الأرواح» (ص٤١٨).
(٢) ذكره ابن القيم في «حادي الأرواح» (ص٤١٨).
(٣) ذكره ابن القيم في «حادي الأرواح» (ص٤١٨).
(٤) ذكره ابن القيم في «حادي الأرواح» (ص٤١٨).

﴿ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، فأخبر الله عزّ وجلّ أن موسى يراه في الآخرة، وقال: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]، ولا يكون حجابٌ إلاّ لرؤية، أخبر الله سبحانه وتعالىٰ أن مَن شاء الله ومن أراد يراه، والكفارَ لا يرونه.

قال حنبلٌ: وسمعتُ أبا عبد الله يقول: قال الله تعالىٰ: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ٢٣﴾ [القيامة: ٢٢ ـ ٢٣]، والأحاديثُ التي تروى في النظر إلى الله تعالىٰ حديثُ جابرِ بنِ عبدِ الله(١) ....

---

(١) الصحيح الذي أخرجه مسلم في صحيحه (١/ ١٧٧ ـ ١٧٨ رقم ٣١٦/ ١٩١) عن جابر أنه سئل عن الورود، فقال: «**نجيءُ يوم القيامة على كوم، فتُدعى الأُمَمُ بأوثانِها وما كانت تَعبُدُ، الأولُ فالأولُ، ثم يأتينا ربُّنا بعدَ ذلكَ فيقولُ: من تنظرون؟ فيقولونَ: ننظر ربَّنا. فيقول: أنا ربكم. فيقولُون: حتى ننظُرَ إليكَ فيتجلّى لهم يضحكُ...**» الحديث.

* أما الأحاديث الآتية عن جابر فهي موضوعة:

١) أخرج ابن ماجه رقم (١٨٤)، واللالكائي رقم (٨٣٦)، والعقيلي في «الضعفاء الكبير» (٢/ ٢٧٤ ـ ٢٧٥)، وابن عدي في «الكامل» (٦/ ٢٠٣٩ ـ ٢٠٤٠)، وابن الجوزي في «الموضوعات» (٣/ ٢٦٠ ـ ٢٦١)، والآجري في «التصديق بالنظر إلى الله في الآخرة» رقم (٤٨)، وفي «الشريعة» رقم (٦٥٧/ ٣٠٨)، وأبو القاسم الأصبهاني في «الحجة في بيان المحجة» (٢/ ٢٤١ رقم ٢١٦)، وأبو نعيم في «صفة الجنة» رقم (٩١)، وفي «الحلية» (٦/ ٢٠٨)، والبيهقي في «البعث والنشور» رقم (٤٤٨)، والدارقطني في «الرؤية» رقم (٦١) كلّهم من طريق أبي عاصم عُبيد الله بن عبد الله العَبَّاداني، عن الفضل الرقاشي، عن محمد بن المنكدر عن جابر، قال النبيّ ﷺ: «**بينا أهلُ الجنةِ في نعيمِهم إذا طلعَ لهم نورٌ فرفعوا رؤوسَهم، فإذا الربُّ تبارك وتعالىٰ قد أشرف عليهم من فوقهم، فقال: السلامُ عليكم يا أهل الجنةِ، فذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿سلام قولاً من رب رحيم﴾ [يسٓ: ٥٨]، قال: فينظر إليهم، وينظرون إليه، فلا يلتفتونَ إلى شيءٍ من النَّعيم ما داموا ينظرونَ إليهِ حتى يحتجبَ عنهم تبارك وتعالىٰ، ويبقى نورهُ وبركتُهُ عليهم وفي ديارهم**»، بسند ضعيف جداً.

فيه أبو عاصم العَبَّاداني: قال عنه الحافظ في «التقريب» (٢/ ٤٤٣): ليّن الحديث، وقال العقيلي: منكر الحديث.

وفيه الفضل الرقاشي، وهو ابن عيسى بن أبان قال عنه الحافظ في «التقريب»: منكر الحديث. وعدّ ابن عدي الحديث من مناكير الفضل الرقاشي هذا.

وخلاصة القول: أن الحديث موضوع.

٢) أخرج الآجري في «التصديق بالنظر إلى الله في الآخرة» رقم (٤٩)، وفي «الشريعة» رقم (٦٥٨/ ٣٠٩): =

وغيرُه[1]: «تنظرون إلى ربكم» أحاديثُ صحاحٌ.

وقال تعالىٰ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، النظرُ إلى وجه الله عزّ وجلّ.

قال أبو عبد الله: نؤمن بها ونعلم أنّها حقٌّ أحاديثَ الرؤية، ونؤمن بأن الله يُرى، نرى ربَّنا يوم القيامة لا نشكّ فيه ولا نرتاب.

قال: وسمعت أبا عبد الله يقول: من زعم أن الله لا يُرى في الآخرة فقد كفر بالله وكذّب بالقرآن، ورد على الله أمرَه، يُستتاب فإن تاب وإلاّ قُتل.

قال حنبلٌ: قلت لأبي عبد الله في أحاديث الرؤية، قال: هذه صحاحٌ نؤمن بها ونُقِرّ بها، وكلُّ ما رُوي عن النبيّ ﷺ أقرَرْنا به.

= من طريق سويد بن سعيد، عن مروان بن معاوية، عن الحكم بن أبي خالد، عن الحسن عن جابر بن عبد الله، عن النبيّ ﷺ قال: **«إذا دخلَ أهلُ الجنةِ الجنةَ، جاءتهم خيولٌ من ياقوتٍ أحمر لها أجنحةٌ، لا تروث ولا تبول، فيقعدونَ عليها، ثم طارت بهم في الجنة، فيتجلّى لهم الجبَّارِ عزّ وجلّ، فإذا رأوه خرّوا سُجّداً فيقول لهم الجبار عزّ وجلّ: ارفعوا رؤوسكم ليس هذا يوم عملٍ، إنما هو يوم نعيم وكرامةٍ، فيرفعونَ رؤوسهم، فيمطر الله عزّ وجلّ عليهم طِيباً، فيرجعونَ إلى أهليهم، فيمرّوَنَ بكثبان المسكِ، فيبعث الله عزّ وجلّ على تلك الكثبان ريحاً فتهيجها حتى أنهم ليرجعون إلى أهليهم، وأنهم شعثٌ غبرٌ من المسك»**، بسند ضعيف جداً.

فيه الحكم بن أبي خالد وهو ابن ظهير: متروك الحديث، قاله النسائي وابن حجر وغيرهما.
وقال عنه البخاري: «منكر الحديث»، انظر: الميزان (١/ ٥٧١)، والكامل (٢/ ٦٢٦).
وفيه عنعنة الحسن.
وخلاصة القول: أن الحديث موضوع.

٣) أخرج الآجري في «التصديق بالنظر إلى الله في الآخرة» رقم (٥٠)، وفي «الشريعة» رقم (٦٥٩/ ٣١٠).

من طريق الحسين بن الحسن المروزي، عن مروان بن معاوية، عن الحكم بن أبي خالد، عن الحسن عن جابر بن عبد الله قال: **«إذا دخل أهل الجنةِ الجنةَ، وأديم عليهم بالكرامةِ جاءتهم خيولٌ من ياقوتٍ أحمر...»**، الحديث بسند ضعيف جداً.

والكلام على سند هذا الحديث كسابقه، إلاّ أن «سويد بن سعيد»، قد تابعه هنا «الحسين بن الحسن المروزي» وهو ثقة.
وخلاصة القول: أن الحديث موضوع.

(١) كحديث صهيب رضي الله عنه الذي أخرجه مسلم (١/ ١٦٣ رقم ٢٩٧/ ١٨١) وغيره.

قال أبو عبد الله: إذا لم نُقِرَّ بما جاء عن النبيّ ﷺ ودفعناه رَدَدْنا على الله أمرَه، قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[1] [الحشر: ٧].

وقال عبدُ الله بنُ طاهرٍ أميرُ خُراسانَ لإسحاقَ بنِ راهُويَهْ: يا أبا يعقوبَ، هذه الأحاديثُ التي يروونها في النزول والرؤيةِ ما هنّ؟ فقال: رواها مَن روى الطهارةَ والغسلَ والصلاةَ والأحكام ـ وذكر أشياءَ ـ فإن يكونوا في هذه عُدولاً وإلاّ فقد ارتفعت الأحكامُ وبطَل الشرعُ. فقال: شفاك الله كما شفيتَني، أو كما قال. ذكره الحاكم[2].

وقال إمامُ الأئمّةِ محمدُ بنُ إسحاقَ بنِ خُزيمةَ في كتابه[3]: «إن المؤمنين لم يختلفوا أن المؤمنين يرَوْن خالقَهم يوم القيامة، ومن أنكر ذلك فليس بمؤمن عند المؤمنين».

وقال نعيم بنُ حمّادٍ للمزني[4]: (ما تقول في القرآن؟ فقال: أقول إنه كلامُ الله. فقال: غيرُ مخلوق؟ فقال: غيرُ مخلوق. قال: وتقول إن الله يُرى يوم القيامة؟ قال: نعم. فلما افترق الناسُ قام إليه المزني فقال: يا أبا عبدِ الله شهرتَني على رؤوس الناسِ. فقال: إن الناسَ قد أكثروا فيك، فأردتُ أن أُبرِّئَك).

وقال أبو العباس أحمدُ بنُ يحيى ثعلبُ[5] في قوله تعالىٰ: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ۝٤٣ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ﴾ [الأحزاب: ٤٣ ـ ٤٤]، أجمع أهلُ اللغة على أن

---

(١) انظر هذه الأقوال في «حادي الأرواح» (ص٤١٩).

(٢) قال ذلك ابن القيم في «حادي الأرواح» (ص٤١٩).

(٣) في «التوحيد» (٢/٥٤٨).

(٤) أخرجه اللالكائي رقم (٨٩١).

(٥) هو أحمد بن يحيى بن يسار الشيباني مولاهم الإمام البغدادي، أبو العباس ثعلب، إمام الكوفيين في النحو واللغة ولد سنة (٢٠٠هـ)، وابتدأ النظر في العربية والشعر واللغة سنة ست وعشرة، وحفظ كتب الفرّاء فلم يشذ منها حرف، وعني بالنحو أكثر من غيره، فلما أتقنه أكبّ على الشعر والمعاني والغريب. صنّف: المصون في النحو، واختلاف النحويين، ومعاني القرآن... وغيرها. وثقل سمعه بأخره، ثم صُمّ. وتوفي يوم السبت لعشر خلون من جمادى الأولى سنة (٢٩١هـ).
[بغية الوعاة: للسيوطي (١/٣٩٦ رقم ٧٨٧)].

اللقاءَ هٰهنا لا يكون إلاّ معاينةً ونظراً بالأبصار[1]. قلت: واللقاءُ ثابتٌ بنصّ القرآنِ هذه الآيةِ وغيرِها، وبالتواتر عن النبيّ ﷺ، وكلُّ أحاديثِ اللقاءِ صحيحةٌ:

كحديث أنس[2] في قصة بئر مَعونةَ: **«إنّا قد لَقِينا ربَّنا فرضِيَ عنا وأرضانا»**.

وحديثِ عُبادةَ[3] وعائشةَ[4] وأبي هريرةَ[5] وابنِ مسعودٍ[6] رضي الله عنهم: **«من أحبَّ لقاءَ الله أحب الله لقاءَه»**.

وحديثِ أنس[7]: **«إنكم ستلقَون بعدي أثرةً، فاصبِروا حتى تلقَوا الله تعالىٰ ورسولَه ﷺ»**.

وحديثِ أبي ذر[8] رضي الله عنه: **«لو لَقِيتَني بقُراب الأرضِ خطايا ثم لقيتَني لا تُشركُ بي شيئاً لأتيتُك بقُرابها مغفرةً»**.

وحديثِ أبي موسى[9]: **«من لقيَ الله لا يشرك به شيئاً دخَل الجنّة»**، وغيرُ ذلك من أحاديث اللقاءِ التي اطّردت كلُّها بلفظ واحد.

فهذا كتابُ الله عزّ وجلّ وسنّةُ رسولِ الله ﷺ الصحيحةُ الصريحةُ، وهذه

---

(١) ذكر ذلك ابن القيم في «حادي الأرواح» (ص٤٢٠).
(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٣/ ١٥١١ رقم ١٤٧/ ٦٧٧) من حديث أنس.
(٣) أخرجه البخاري (١١/ ٣٥٧ رقم ٦٥٠٧)، ومسلم (٤/ ٢٠٦٥ ـ رقم ٢٦٨٣) من حديث عبادة بن الصامت.
(٤) أخرجه البخاري (١١/ ٣٥٧ رقم ٦٥٠٩)، ومسلم (٤/ ٢٠٦٥ ـ ٢٠٦٦ رقم ٢٦٨٤) من حديث عائشة.
(٥) أخرجه البخاري (١٣/ ٤٦٦ رقم ٧٥٠٤)، ومسلم (٤/ ٢٠٦٦ رقم ٢٦٨٥) من حديث أبي هريرة.
(٦) لم أجده بهذا اللفظ من حديث ابن مسعود.
(٧) أخرجه البخاري (٧/ ١١٧ رقم ٣٧٩٣)، ومسلم (٣/ ١٤٧٤ رقم ٤٨/ ١٨٤٥) من حديث أنس.
(٨) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٦٨ رقم ٢٢/ ٢٦٨٧).
(٩) أخرجه الطبراني كما في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٣٦٩) من حديث أبي موسى، وقال الهيثمي: رجاله ثقات.
* وأخرج مسلم في صحيحه (١/ ٩٤ رقم ١٥١/ ٩٣) عن جابر، قال: أتى النبيّ ﷺ رجُلٌ فقال: يا رسولَ الله ما الموجبتان؟ فقال: **«من مات لا يشركُ بالله شيئاً دخلَ الجنةَ، ومن لقيَهُ يشرِكُ به دخل النّارَ»**.

أقوالُ الصحابة والتابعين فمن بعدهم من أئمّة الهدى، كلُّها مجتمعةٌ على أن المؤمنين يرَوْن ربَّهم تبارك وتعالىٰ في الجنّة، ويتلذّذون بالنظر إلى وجهه الكريم، وذلك غايةُ النعيم وأعلى الكراماتِ وأفضلُ فضيلةٍ، ولذا يَذهَلون بالنظر إليه عن كلِّ ما هم فيه من النعيم.

فنحن نؤمن بذلك كلِّه ونُشهِد الله تعالىٰ وملائكتَه وأنبياءَه ورسلَه والمؤمنين على ذلك، ونضرَع إلى الله تعالىٰ وندعوه بأسمائه الحسنى أن يرزُقَنا لذّةَ النظرِ إلى وجهه تعالىٰ في جنّة عدْن، وأن لا يحجُبَنا عنه، فنكونَ من الذين أخبر عنهم أنهم عنه يومئذ لمحجوبون، نعوذ بالله من ذلك.

ومن جحد الرؤية فهو كاذبٌ على الله تعالىٰ مكذّبٌ بالصدق إذْ جاءه، رادٌّ لكتاب الله وسنّةِ رسولِه ﷺ مخالفٌ لجماعة المؤمنين، كافرٌ بلقاء الله عزّ وجلّ متّبعٌ غيرَ سبيل المؤمنين، وسيوليه الله ما تولّى ويُصليه جهنّمَ إن مات مُصِرّاً على جحوده، أليس في جهنمَ مثوى للكافرين؟ وقد وعد الله عزّ وجلّ أن المكذبين محجوبون عنه يوم القيامة، فقال تعالىٰ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝١٥ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ ۝١٦ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ۝١٧﴾ [المطففين]، وتقدم تفسيرُ ابنِ المبارك قولَه: «تكذبون» بالرؤية.

وقد ورد حديثٌ في وعيد مُنكري اللقاء وهو متناولٌ مُنكِرَ الرؤية بلا شكٍّ ولا مِرية.

روى مسلمٌ في صحيحه[1] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «**إن ناساً قالوا: يا رسولَ الله هل نرى ربَّنا يوم القيامة؟ قال: هل تُضارّون في رؤية الشمسِ في الظهيرة ليست فيها سحابةٌ؟ قالوا: لا، قال: هل تضارّون في رؤية القمر ليلةَ البدر ليس فيه سحابة؟ قالوا: لا، قال: فوالذي نفسُ محمدٍ بيده لا تُضارّون في رؤية ربِّكم إلاّ كما تُضارّون في رؤية أحدِهما، فيلقى العبدَ فيقول: أي فُل ألم أكرمك وأسوِّدْك وأزوِّجْك وأسخر لك الخيلَ والإبلَ، وأذَرْك ترأسُ وترفع؟ فيقول: بلى، فيقول: أفظننتَ أنك مُلاقِيَّ؟ فيقول: لا، فيقول: فإني أنساك كما نَسِيتني. ثم يلقى الثانيَ**

(١) (٤/٢٢٧٩ رقم ٢٩٦٨).

فيقول: أي فُل ألم أكرمْك وأسوّدْك وأزوِّجْك وأسخرْ لك الخيلَ والإبلَ وأذَرْك ترأس وترفع؟ فيقول: بلى أيْ ربِّ، فيقول: أفظننت أنك ملاقيَّ؟ فيقول: لا، فيقول: إني أنساك كما نَسِيتَني. ثم يلقى الثالثَ فيقول له مثلَ ذلك فيقول: يا ربِّ آمنتُ بك وبكتابك ورسلِك وصلّيتُ وصُمْتُ وتصدّقتُ ويثني بخير ما استطاع. فيقول: ها هنا إذاً، ثم يقال: الآن نبعث شاهداً عليك. فيتفكّر في نفسه مَن الذي يشهد عليّ، فيُختم على فيه ويقال لفخذه انطِقي فينطق فخذُه ولحمُه وعظامُه بعمله، وذلك لِيُعذَرَ من نفسه، وذلك المنافقُ وذلك الذي يسخط الله عليه».

ومن تراجم أئمّة السنّة على هذا الحديثِ: بابُ وعيدِ مُنكري الرؤية[1]، والدلالةُ منه واضحةٌ منطوقاً ومفهوماً ولله الحمد. ولا خلاف في ثبوت رؤيةِ المؤمنين ربَّهم تبارك وتعالىٰ في دار الآخرة، وكذا لا خلاف بينهم في أنّه لا يراه أحدٌ قبل الموت، وإنما وقع الخلافُ بين الصحابة والتابعين فمن بعدهم في ثبوت رؤيةِ النبيِّ ﷺ ربَّه ليلةَ المِعراج، كما سيأتي إن شاء الله بحثُ ذلك في موضعه، وبالله التوفيق.

[الإيمان بالصفات الواردة في القرآن والسنة الصحيحة وإقرارها كما جاءت]

(وكلُّ ما له من الصفاتِ	أثبتَها في مُحكم الآياتِ)
(أو صحّ فيما قاله الرسولُ	فحقُّه التسليمُ والقبولُ)

(**وكلُّ ما**) ثبت (**له**) أي لله عزّ وجلّ (**من الصّفات**) الثابتةِ التي (**أثبتها**) هو سبحانه وتعالىٰ لنفسه وأخبرنا باتّصافه بها (**في محكم الآياتِ**) من كتابه العزيزِ مما ذكرناه فيما تقدم ومما لم نذكُر؛ كقوله تعالىٰ: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥]، وقوله: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨]، وقوله تعالىٰ: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمٰن]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ﴾ [الروم: ٣٩]، وقوله: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾

---

(١) كالعلامة ابن قيم الجوزية في كتابه «حادي الأرواح» (ص٤٢١)..

﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٢٠﴾ [الليل]، وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسان: ٩]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الكهف: ٢٨]، وقوله تبارك وتعالىٰ: ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى﴾ [طه: ٤١]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [آل عمران: ٢٨]، وقوله عن عيسى عليه السلام: ﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١١٦]، وكقوله تعالىٰ: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ﴾ [طه: ٣٩].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ۝١٣ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا﴾ [القمر: ١٣ ـ ١٤]، وقوله تعالىٰ: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ [ص: ٧٥]، وقوله تعالىٰ: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ [الأعراف: ١٤٥]، وكقوله تعالىٰ: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤]، وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٧]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥، المائدة: ١٣]، ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصف: ٤].

وقوله: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٠]، ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾ [البقرة: ٢٠٥]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [لقمان: ١٨]، وكقوله تعالىٰ: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الفتح: ١٨]، ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [البينة: ٨]، وقوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [التوبة: ٩٦]، ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾ [الزمر: ٧]، وكقوله تعالىٰ: ﴿سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [المائدة: ٨٠]، وكقوله: ﴿كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٦]، وقوله في اليهود: ﴿غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [الممتحنة: ١٣]، وفي قاتل النفس المحرمة: ﴿فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ﴾ [النساء: ٩٣]، وقوله: ﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ﴾ [طه: ٨١]، وكقوله تعالىٰ: ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، وكقوله: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ

كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر: ٧]، وكقوله: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤]، وقوله: ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [يونس: ١٠٧، الأحقاف: ٨]. وقوله: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وكقوله: ﴿وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ [الشورى: ١٩]، وقوله عن إبليس: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: ٨٢].

وقوله: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ۝ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝﴾ [الصافات]، وكقوله: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [النور: ٣٥] الآية. وكقوله: ﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انتِقَامٍ﴾ [المائدة: ٩٥]، وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ [السجدة: ٢٢]، وقوله: ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ [الزخرف: ٥٥]، وقوله تعالىٰ: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الحشر: ٢٣]، وقوله تعالىٰ: ﴿مَلِكِ النَّاسِ﴾ [الناس: ٢]، وقوله: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ ۖ بِيَدِكَ الْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝﴾ [آل عمران]، وقوله تعالىٰ: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً ۖ قُلِ اللَّهُ ۖ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام: ١٩].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾ [هود: ٧]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ۖ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ۝ رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ۝﴾ [مريم]، وقوله تعالىٰ: ﴿۞ نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۝ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ۝﴾ [الحجر]، وقوله: ﴿غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ [غافر: ٣]، وقوله: ﴿وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ﴾ [البقرة: ٢٤٥]، وقوله: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الأنعام: ١١٠]، وقوله: ﴿وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾ [الرعد: ١٣]، وغيرِ ذلك من آيات الأسماءِ والصفاتِ، صفاتِ ذاتِه تعالىٰ وأفعالِه عزّ وجلّ

(أو صحَّ فيما قاله الرسولُ) من الأحاديث النبويّةِ الصحيحةِ؛ كقوله ﷺ عن

ربّه عزّ وجلّ: «**يقول الله تعالىٰ: (أنا مع عبدي حين يذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرتُه في نفسي، وإن ذكرني في ملإٍ ذكرته في ملإٍ خيرٍ منهم)**»، متفق عليه(١) من حديث أبي هريرة.

وقوله ﷺ: «**سبحان الله العظيم وبحمده عددَ خلقِه ورضاءَ نفسهِ وزِنةَ عرشِه**»، رواه مسلم(٢) والأربعةُ(٣) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

وقوله ﷺ: «**لما قضى الله الخلقَ كتب في كتابه علىٰ نفسه فهو موضوعٌ عنده على العرش: إن رحمتي تغلِب غضبي**»، متفق عليه(٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وعن جابر رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه الآيةُ: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾ [الأنعام: ٦٥]، قال النبيّ ﷺ: «**أعوذ بوجهك**»، قال: ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ [الأنعام: ٦٥]، فقال النبيُّ ﷺ: «**أعوذ بوجهك**»، قال: ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا﴾ [الأنعام: ٦٥]، فقال النبيُّ ﷺ: «**هذا أيسر**»، رواه البخاري(٥) وغيرُه(٦).

وقولِه ﷺ: «**أعوذ بنور وجهِك الذي أشرقتْ له الظلماتُ، وصلح عليه أمرُ الدنيا والآخرة، أن يحِلَّ بي غضبُك أو ينزِلَ بي سَخطُك، لك العُتبى حتى ترضى، ولا حولَ لا قوّةَ إلاّ بك**»، رواه محمد بنُ إسحاقَ في سيرته(٧).

---

(١) البخاري (١٣/ ٣٨٤ رقم ٧٤٠٥)، ومسلم (٤/ ٢٠٦١ رقم ٢٦٧٥).
(٢) في صحيحه (٤/ ٢٠٩٠ رقم ٢٧٢٦).
(٣) أبو داود (٢/ ١٧١ رقم ١٥٠٣)، والترمذي (٥/ ٥٥٦ رقم ٣٥٥٥)، والنسائي (٢/ ٧٧)، وابن ماجه (٢/ ١٢٥١ رقم ٣٨٠٨)، **وهو حديث صحيح**.
(٤) البخاري (٦/ ٢٨٧ رقم ٣١٩٤)، ومسلم (٤/ ٢١٠٧ رقم ٢٧٥١).
(٥) في صحيحه (٨/ ٢٩١ رقم ٤٦٢٨).
(٦) كالترمذي في السنن (٥/ ٢٦١ ـ ٢٦٢ رقم ٢٠٦٧).
(٧) حديث ذهاب النبيّ ﷺ إلى الطائف وفيها الدعاء المذكور.
أخرجه ابن إسحاق (١/ ٢٦٠ ـ ٢٦٢) بسند صحيح عن محمد بن كعب القرظي مرسلاً، لكن قوله: «**إن أبيتم فاكتموا عليّ ذلك**»، وقوله: «**اللّهمّ إليك أشكو. . .**» الخ الدعاء، ذكرهما بدون سند، وكذلك رواه ابن جرير (٢/ ٨٠ ـ ٨١) من طريق ابن إسحاق، قاله الألباني في تخريج فقه السيرة للغزالي (ص١٢٦).
وأخرجه ابن سعد في «الطبقات» (١/ ٢١١ ـ ٢١٢) باختصار، وفي سنده الواقدي وهو ضعيف.
وأخرجه الطبري في «تاريخه» (٢/ ٣٤٤ ـ ٣٤٦) ط. دار المعارف، من طريق ابن إسحاق. =

وقولِه ﷺ: «**وأسألك لذّة النظرِ إلى وجهك**»[1] الحديث تقدم في الرؤية.

وقولِه ﷺ: «**مثلُ المجاهدِ في سبيل الله ابتغاءَ وجهِ الله مثَلُ القائمِ المصلّي حتى يرجِع المجاهدُ**»، متفق عليه[2] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وقولِه ﷺ: «**من استعاذ بالله فأعيذوه، ومن سألكم بالله فأعطُوه**»، رواهُ أحمدُ[3] وأبو داودَ[4] وابنُ خزيمةَ[5] من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

وقولِه ﷺ لسعدِ بنِ أبي وقّاصٍ: «**إنك لن تخلفَ بعدي فتعملَ عملاً تريد وجهَ الله تعالىٰ إلاّ ازددتَ به رفعةً ودرجةً**»، رواه البخاري[6] وغيرُه[7] من حديثه.

وقوله ﷺ: «**وإذا قمتم إلى الصلاة فلا تلتفتوا، فإن الله يُقبل بوجهه إلى وجه**

= وأخرجه الطبراني كما في «مجمع الزوائد» (٦/ ٣٥) باختصار، وفيه ابن إسحاق وهو مدلس ثقة، وبقية رجاله ثقات، قاله الهيثمي في «المجمع».
وأخرجه البيهقي في «دلائل النبوّة» (٢/ ٤١٥ ـ ٤١٧) من غير طريق ابن إسحاق بالسماع مرسلاً عن الزهري.
وخلاصة القول: أن الحديث ضعيف، والله أعلم.

(١) تقدم تخريجه.
(٢) البخاري (٦/ ٦ رقم ٢٧٨٧)، ومسلم (٣/ ١٤٩٨ رقم ١٨٧٨).
(٣) في المسند (١/ ٢٤٩ ـ ٢٥٠).
(٤) في «السنن» (٥/ ٣٣٤ رقم ٥١٠٨).
(٥) في «التوحيد» (١/ ٣١ رقم ١٤).
قلت: وأخرجه الخطيب في «تاريخه» (٤/ ٢٥٨)، كلّهم من حديث ابن عباس بسند حسن.
ولحديث ابن عباس شاهد من حديث ابن عمر.
أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» رقم (٢١٦)، وأبو داود (٥/ ٣٣٤ ـ ٣٣٥ رقم ٥١٠٩)، والنسائي (٥/ ٨٢ رقم ٢٥٦٧)، وابن حبان (رقم ٢٠٧١ ـ موارد)، والحاكم (١/ ٤١٢)، والبيهقي (٤/ ١٩٩)، وأحمد (٢/ ٦٨، ٩٩)، وأبو نعيم في «الحلية» (٩/ ٥٦) من طرق...
قال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، ووافقهما الألباني في «الصحيحة» رقم (٢٥٤).
وخلاصة القول: أن حديث ابن عباس صحيح لغيره، والله أعلم.
(٦) في صحيحه (٣/ ١٦٤ رقم ١٢٩٥).
(٧) كمسلم (٣/ ١٢٥٠ رقم ١٦٢٨).

عبده»، رواه ابنُ خزيمةَ[١] والبيهقيُّ[٢] من حديث الحارثِ الأشعري.

وقوله ﷺ في صفة الدجالِ: **«ألا إنّه أعورُ، وإن ربّكم ليس بأعور»**، الحديثُ متفقٌ عليه من حديث أنسٍ[٣] وابنِ عمرَ[٤] وغيرِهما.

وقولِه ﷺ في حديث الشفاعة: **«يقول الناسُ لآدم: أنت آدمُ أبو الناس، خلقك الله بيده»**، الحديثُ متفقٌ عليه[٥] عن أنس رضي الله عنه.

وقولِه ﷺ: **«يدُ الله مَلأى لا تَغيضها نفقةٌ، سحاءُ الليلَ والنهارَ، وقال: أرأيتم ما أنفق منذ خلق السمٰوات والأرضَ فإنه لم يَغِضْ ما في يمينه. قال: وعرشُه على الماء وبيده الأخرى الميزانُ يخفِضُ ويرفع»**، متفقٌ عليه[٦] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وقولِه ﷺ: **«إن الله تعالىٰ يقبِض يوم القيامة الأرضَ وتكون السمٰوات بيمينه، ثم يقول: أنا المَلِكُ»**، متفقٌ عليه[٧] من حديث ابنِ عمرَ رضي الله عنهما واللفظُ للبخاري.
وتصديقه ﷺ اليهودي الذي قال له: يا محمدُ إن الله تعالىٰ يمسك السمواتِ على إصبَع والأرضين على إصبَع والجبالَ على إصبعٍ والشجرَ على إصبع والخلائقَ على إصبع، ثم يقول: أنا الملك، فضحك رسولُ الله ﷺ تعجّباً وتصديقاً له، متفق عليه[٨] من حديث ابنِ مسعود رضي الله عنه.

---

(١) في «التوحيد» (١/ ٣٦ ـ ٣٧ رقم ١٠)، وفي صحيحه (٢/ ٦٤).
(٢) في «الأسماء والصفات» رقم (٦٥٤)، وفي «السنن الكبرى» (٨/ ١٥٧).
قلت: وأخرجه الحاكم في «المستدرك» (١/ ٢٣٦)، والطبراني في «الكبير» (٣/ ٢٨٧ رقم ٣٤٣٠) وغيرهم.
وانظر كلام الأخ عبد الله الحاشدي عليه في تخريج الأسماء والصفات للبيهقي.
والخلاصة: أن الحديث صحيح، والله أعلم.
(٣) البخاري (١٣/ ٩١ رقم ٧١٣١)، ومسلم (٤/ ٢٢٤٨ رقم ٢٩٣٣).
(٤) البخاري (١٣/ ٩٠ رقم ٧١٢٧)، ومسلم (٤/ ٢٢٤٧ رقم ١٦٩).
(٥) تقدم تخريجه.
(٦) تقدم تخريجه.
(٧) تقدم تخريجه.
(٨) البخاري (١٣/ ٣٩٣ رقم ٧٤١٤)، ومسلم (٤/ ٢١٧٤ رقم ٢٧٨٦).

وقولِه ﷺ: «**لما خلق الله الخلقَ كتب بيده على نفسه: إن رحمتي تغلِب غضبي**»، متفقٌ عليه[1] من حديث أبي هريرة.

وقولِه ﷺ: «**إن الله تعالىٰ يفتح أبوابَ السماءِ في ثلث الليل الباقي فيبسُط يديه فيقول: ألا عبدٌ يسألني فأُعطِيَه**»، الحديث تقدّمت ألفاظُه في إثبات النزولِ[2].

وقوله ﷺ: «**من تصدّق بعِدْل تمرةٍ من كسب طيّب ـ ولا يصعد إلى الله إلاَّ الطيبُ ـ فإن الله يتقبّلها بيمينه ثم يربّيها لصاحبه كما يربي أحدُكم فلُوَّه حتى تكون مثلَ الجبل**»، متفق عليه[3] من حديث أبي هريرة.

وقولِه ﷺ في حديث احتجاجِ آدمَ وموسى: «**فقال آدمُ: يا موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك التوراةَ بيده**»، الحديثُ متفقٌ عليه[4] من حديث أبي هريرة.

وقولِه ﷺ: «**إن يدَ الله هي العليا، ويدُ المعطي التي تليها، ويدُ السائلِ أسفلُ من ذلك**»، رواه ابنُ خزيمةَ[5] من حديث حكيم بنِ حزامٍ وأصلُه في الصحيح[6].

وقولِه ﷺ في قصة خَلْق آدمَ: «**فقال الله تبارك وتعالىٰ ويداه مقبوضتان: اختر أيَّهما شِئت، قال: اخترت يمينَ ربي، وكلتا يدَيْ ربي يمينٌ مباركةٌ، ثم بسطها فإذا فيها آدمُ وذريّتُه**»، الحديث أخرجه ابن خُزيمةَ[7] والبيهقيُّ[8] من حديث أبي هريرة.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه وبيان ألفاظه.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) سيأتي بطوله.

(٥) في «التوحيد» (١/ ١٥٤ ـ ١٥٥ رقم ١/ ٨٥) بسند صحيح.

(٦) البخاري (٣/ ٣٣٥ رقم ١٤٧٢)، ومسلم (٢/ ٧١٧ رقم ٩٦/ ١٠٣٥).

(٧) في «التوحيد» (١/ ١٦٠ ـ ١٦١ رقم ١/ ٨٩).

(٨) في «الأسماء والصفات» (ص٣٢٤ ـ ٣٢٥).
قلت: وأخرجه ابن حبان (رقم ٢٠٨٢ ـ موارد)، وابن أبي عاصم في «السنة» رقم (٢٠٦)، والترمذي رقم (٣٣٦٨) وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه. وأخرجه الحاكم (١/ ٦٤) وقال: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي. ثم قال الحاكم: وله شاهد صحيح، ثم ساقه من طريق أبي خالد الأحمر عن داود بن أبي هند عن الشعبي عن أبي هريرة عن النبيّ ﷺ نحوه.
قال الألباني في «ظلال الجنّة» (١/ ٩١) عقبه: وهذا إسناد حسن، وهو الثالث عن أبي هريرة. وله رابع من طريق هشام بن سعد عن زيد بن أسلم عن أبي صالح عنه به. أخرجه ابن=

وقولِه ﷺ في قصة سؤالِ موسى عليه السلام ربَّه عزّ وجلّ عن منازل أهلِ الجنّة: «**قال: يا ربِّ فأخبرني بأعلاهم منزلةً، قال: هذا أردت فسوف أخبرك، قال: غرستُ كرامتَهم بيدي وختمت عليها**»، الحديث رواه البيهقي[1] وابنُ خزيمةَ[2] من حديث المغيرةِ بن شعبةَ.

وقولِه ﷺ: «**تكون الأرضُ يوم القيامة خبزةً واحدةً يكفأها الجبارُ بيده**»، الحديث متفق عليه[3] من حديث أبي سعيد رضي الله عنه.

وقولِه ﷺ: «**إن الله عزّ وجلّ يبسُط يدَه بالليل ليتوبَ مُسيءُ النهار، ويبسُط يدَه بالنهار ليتوبَ مسيءُ الليل حتى تطلُعَ الشمسُ من مغربها**»، رواه مسلمٌ[4] من حديث أبي موسى رضي الله عنه.

وقولِه ﷺ: «**ولا يزال عبدي يتقرّب إليّ بالنوافل حتى أُحِبَّه، فإذا أحببتُه كنت سمعَه الذي يسمع به، وبصَرَه الذي يُبصِر به**»، الحديث أخرجه البخاريُّ[5] عن أبي هريرةَ رضي الله عنه.

وقولِه ﷺ: «**إذا أحب الله العبدَ نادى جبريلَ: إن الله يحب فلاناً فأحِبَّه فيُحِبه جبريلُ، فينادي جبريلُ في أهل السماء: إن الله يحب فلاناً فأحِبّوه**»، الحديثُ في البخاري[6] عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وقولِه ﷺ: «**وما أحدٌ أصبرُ على أذىً يسمعه من الله، يدّعون له الولدَ ثم يعافيهم ويرزُقُهم**»، رواه البخاريُّ[7] عن أبي موسى رضي الله عنه.

= سعد في «الطبقات» (١/ ٢٧ ـ ٢٨)، والترمذي رقم (٣٠٧٦)، والحاكم (٢/ ٣٢٥) وقال: صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي. وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.
وخلاصة القول أن الحديث صحيح، والله أعلم.

(١) في «الأسماء والصفات» رقم (٦٩٠).
(٢) في «التوحيد» (١/ ١٦٤ ـ ١٦٥ رقم ١/ ٩١).
قلت: وأخرجه مسلم رقم (١٨٩)، والترمذي رقم (٣١٩٨)، وقال الترمذي: «حسن صحيح، وروى بعضهم هذا الحديث عن الشعبي عن المغيرة، ولم يرفعه والمرفوع أصح» اهـ.
وخلاصة القول أن الحديث صحيح.
(٣) البخاري (١١/ ٣٧٢ رقم ٦٥٢٠)، ومسلم (٤/ ٢١٥١ رقم ٢٧٩٢).
(٤) في صحيحه (٤/ ٢١١٣ رقم ٢٧٦٩).
(٥) تقدم تخريجه.
(٦) تقدم تخريجه.
(٧) في صحيحه (١٣/ ٣٦٠ رقم ٨٣٧٨).

وقولِه ﷺ: **«عجب ربُّنا من قنوط عبادِه وقُربِ خيرِه»**[1]، الحديث.

وقولِه ﷺ: **«عجب ربُّنا من قوم يُقادون إلى الجنّة بالسلاسل»**، رواه أحمدُ[2] والبخاريُّ[3] من حديث ابن مسعودٍ.

وقولِه ﷺ: **«يضحك الله إلى رجلين يقتُل أحدُهما الآخرَ كلاهما يدخُل الجنّةَ»**، متفقٌ عليه[4] من حديث أبي هريرة.

وقولِه ﷺ في حديث الشفاعةِ: **«إن ربي قد غضبَ اليوم غضباً لم يغضب قبلَه مثلَه ولا بعده مثلَه»**[5].

وقولِه ﷺ: **«من أعان على خصومة في باطل فقد باء بغضب من الله»**، رواه أبو داود[6] بسندٍ صحيحٍ عن ابن عمرَ رضي الله عنهما، وفي رواية[7]: **«من خاصم في باطل لم يزلْ في سخط الله حتى ينزِعَ»**.

= قلت: وأخرجه مسلم (٤/ ٢١٦٠ رقم ٢٨٠٤).

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٤/ ١١)، والدارقطني في «النزول» رقم (٣٠)، وابن ماجه رقم (١٨١)، بسند ضعيف لأن وكيع بن عدس مقبول، ولم يتابع.
وقد أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» رقم (٥٥٤) بسند ضعيف، قاله الألباني.
وخلاصة القول أن الحديث ضعيف، والله أعلم.

(٢) في «المسند» (٢/ ٣٠٢، ٤٠٦، ٤٤٨، ٤٥٧).

(٣) في صحيحه (٦/ ١٤٥ رقم ٣٠١٠).
قلت: وأخرجه أبو داود (٣/ ١٢٧ رقم ٢٦٧٧)، وابن حبان في الإحسان (١/ ٣٤٣ رقم ١٣٤)، والنسائي في «الكبرى» كما في «تحفة الأشراف» (١٠/ ٩١) كلّهم من حديث أبي هريرة.
ولم أجده من حديث ابن مسعود، والله أعلم.

(٤) البخاري (٦/ ٣٩ رقم ٢٨٢٦)، ومسلم (٣/ ١٥٠٤ رقم ١٨٩٠).

(٥) تقدم تخريجه.

(٦) في «السنن» (٤/ ٢٣ رقم ٣٥٩٨) من طريق المثنى بن يزيد، عن مطر الوراق عنه.
وفيه مطر الوراق: ضعيف. والمثنى بن يزيد: مجهول، لكن تابع المثنى بن يزيد، حسين المعلم عن مطر الوراق به عند ابن ماجه (٢/ ٧٧٨ رقم ٢٣٢٠). وحسين المعلم ثقة، فالعلّة في ضعف مطر الورّاق.
وانظر: «الإرواء» (٧/ ٣٥٠).
والخلاصة أن الحديث ضعيف.

(٧) لأبي داود في السنن (٤/ ٢٣ رقم ٣٥٩٧)، ولأحمد (٢/ ٧٠) من حديث ابن عمر، وانظر: الإرواء (٧/ ٣٤٩). =

وقولِه ﷺ: «والذي نفسي بيده ما من رجل يدعو امرأتَه إلى فراشه فتأبى عليه إلاّ كان الذي في السماء ساخطاً عليها حتى يرضى عنها زوجُها»[1].

وقولِه ﷺ: «وإذا أبغض عبداً دعا جبرائيلَ فيقول: إني أبغض فلاناً فأبغِضه، قال: فيُبغضه جبريلُ. ثم ينادي جبريلُ في أهل السماء: إن الله يبغض فلاناً فأبغضوه، قال: فيُبغضونه، ثم يوضع له البغضاءُ في الأرض»، رواه مسلم[2].

وقولِه ﷺ: «إن الله ليرضى عن العبد يأكل الأكْلةَ فيحمَدُه عليها ويشرب الشَّرْبَةَ فيحمَده عليها»، رواه مسلمٌ[3] عن أنس رضي الله عنه.

وقولِه ﷺ في قصة أصحاب بئرِ مَعونةَ: «بلّغوا قومَنا عنّا أنا قد لَقِينا ربَّنا فرضي عنا وأرضانا»، وهو في الصحيح[4] من حديث أنسٍ رضي الله عنه، وهو من التنزيل المنسوخِ تلاوةً.

وقولِه ﷺ في قصة سَبْي هَوازِنَ: «الله أرحمُ بعباده من هذه بولدها»، أخرجاه[5] من حديث عمرَ رضي الله عنه.

وقولِه ﷺ: «جعل الله الرحمةَ مائةَ جزءٍ، فأمسك عنده تسعةً وتسعين جزءاً ونزّل في الأرض جزءاً واحداً، فمن ذلك الجزء تتراحم الخلائقُ حتى ترفعُ الدابةُ حافرَها عن ولدها خشيةَ أن تُصيبَه»، أخرجاه[6] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

ولمسلم[7] معناه من حديث سلمانَ رضي الله عنه، وفيه: «كلُّ رحمةٍ طباقُ ما بين السماء والأرض، فإذا كان يومُ القيامة كمّلها بهذه الرحمةِ».

وقولِه ﷺ: «أعوذ بعزّتك الذي لا إله إلاّ أنت الذي لا يموت والجنُّ والإنسُ

= وهو حديث صحيح.

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) تقدم تخريجه.

(٥) البخاري (١٠/ ٤٢٦ ـ ٤٢٧ رقم ٥٩٩٩)، ومسلم (٤/ ٢١٠٩ رقم ٢٧٥٤).

(٦) البخاري (١٠/ ٤٣١ رقم ٦٠٠٠)، ومسلم (٤/ ٢١٠٨ رقم ٢٧٥٢).

(٧) في صحيحه (٤/ ٢١٠٩ رقم ٢٧٥٣).

يموتون»، أخرجه البخاري[1] من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

وقوله ﷺ عن أيّوب عليه السلام: «**وعِزّتك لا غِنىً بي عن بركتك**»، أخرجه البخاريُّ[2] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وقولِه ﷺ: «**اللّهمّ لك الحمدُ أنت نورُ السمٰواتِ والأرضِ ومن فيهن**»، أخرجاه[3] من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

وقولِه ﷺ: «**اللّهمّ إني أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وبك منك**»، لمسلم[4] والأربعةِ[5] عن عائشةَ.

وقولِه: «**إن الله لَيُملي للظالم حتى إذا أخذه لم يُفلِتْه**»، قال ثم قرأ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ﴾ [هـود: ١٠٢]، أخرجاه[6] من حديث أبي موسى رضي الله عنه.

وقولِه ﷺ: «**فإن الله لم يكُ لينسى شيئاً، وما كان ربُّك نسيّاً**»، رواه البزار[7] وابنُ أبي حاتم[8] والطبرانيُّ[9] من حديث أبي الدرداءِ رضي الله عنه.

وقولِه ﷺ في حلفه: «**لا ومُقلِّبِ القلوب**»، أخرجاه[10] من حديث عبدِ الله بنِ عمر رضي الله عنهما.

---

(١) البخاري (١٣/ ٣٦٨ ـ ٣٦٩ رقم ٧٣٨٣)، ومسلم (٤/ ٢٠٨٦ رقم ٢٧١٧).

(٢) في صحيحه (١٣/ ٤٦٤ رقم ٧٤٩٣).

(٣) البخاري (١٣/ ٤٦٥ رقم ٧٤٩٩)، ومسلم (١/ ٥٣٢ ـ ٥٣٣ رقم ٧٦٩).

(٤) في صحيحه (١/ ٣٥٢ رقم ٤٨٦).

(٥) أبو داود (١/ ٥٤٧ رقم ٨٧٩)، والترمذي (٥/ ٥٢٤ رقم ٣٤٩٣)، والنسائي (٢/ ٢٢٣، ٢٢٥)، وابن ماجه (٢/ ١٢٦٢ ـ ١٢٦٣ رقم ٣٨٤١).
وهو حديث صحيح.

(٦) البخاري (٨/ ٣٥٤ رقم ٤٦٨٦)، ومسلم (٤/ ١٩٩٧ ـ ١٩٩٨ رقم ٢٥٨٣).

(٧) في مسنده (٣/ ٥٨ رقم ٢٢٣١ ـ كشف).
وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٥٥) وقال: «رواه البزار رجاله ثقات» اهـ.

(٨)و(٩) عزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٥٣١) ط. دار الفكر، إليهما.
وزاد نسبته إلى ابن المنذر، وابن مردويه والبيهقي في «سننه» (١٠/ ١٢) ـ والحاكم ـ (٢/ ٣٧٥) ـ وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(١٠) تقدم تخريجه.

وقولِه ﷺ: «**ما من قلب إلاّ وهو بين إصبَعين من أصابع الرحمٰن، فإذا شاء أن يُقيمه أقامه، وإذا شاء أن يُزيغَه أزاغه**». رواه أحمدُ والشيخان وغيرُهما[1] من حديث عائشةَ رضي الله عنها، وفي صدره: «**يا مقلّبَ القلوبِ ثبِّتْ قلبي على دينك**».

وقولِه ﷺ في صفة الجنّةِ والنارِ: «**لا يزال يُلقى فيها ـ يعني النارَ ـ وتقول: هل من مزيد؟ حتى يضعَ فيها ربُّ العالمين قدمَه فينزوي بعضُها إلى بعض، وتقول: قدِ قدِ بعزّتك وكرمِك**».

وفي رواية: «**قطِ قطِ**» بالطاء، أخرجاه[2] من حديث أنس.

وقولِه ﷺ: «**لا شَخْصَ أغيرُ من الله**»، علقها البخاريُّ[3] بلفظ الترجمةِ ووصلها الدارميُّ في مسنده.

وقولِه ﷺ: «**أتعجبون من غَيرة سعدِ، والله لأنا أغيرُ منه، والله أغيرُ مني، ومن أجل غَيرةِ الله حرّم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ولا أحدَ أحبُّ إليه العذرُ من الله، ومن أجل ذلك بعث المبشرين والمنذرين، ولا أحدَ أحبُّ إليه المدحُ من الله، ومن أجل ذلك وعدَ الجنّة**»، رواه البخاريُّ[4] من حديث المُغيرةِ بن شُعبةَ في الترجمة السابقة. والآياتُ والأحاديثُ في هذا الباب كثيرةٌ جداً، يحتاج استقصاؤها إلى بسطِ طويلِ وفيما ذكرنا كفايةٌ، وما أشبهه فسبيلُه سبيلُه.

(**فحقّه التسليمُ**) له (**والقَبولُ**) الفاءُ واقعةٌ في جواب «كلُّ ما»، فنقول في ذلك: ما ذكره الله تعالىٰ عن الراسخين في العلم؛ حيث قال: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ

---

(١) تقدم تخريجه.
(٢) البخاري (١١/٥٤٥ رقم ٦٦٦١)، ومسلم (٤/٢١٨٧ رقم ٢٨٤٨).
(٣) (١٣/٣٩٩) رقم الباب (٢٠).
وأخرجه البخاري موصولاً (٩/٣١٩ رقم ٥٢٢٠)، ومسلم (٤/٢١١٣ رقم ٢٧٦٠) من حديث عبد الله بن مسعود.
(٤) في صحيحه (١٣/٣٩٩ رقم ٧٤١٦).
قلت: وأخرجه مسلم (٢/١١٣٦ رقم ١٤٩٩).

﴿يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ۞ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ۞﴾ [آل عمران]، ولا نضربُ كتابَ الله بعضَه ببعض فنتبع ما تشابه منه ابتغاءَ الفتنة وابتغاءَ تأويلِه كما يفعله الذين في قلوبهم زيغٌ، أعاذنا الله وعصمنا من ذلك بمنِّه وكرمِهِ وفضلِهِ، إنه سميعٌ مجيب.

[اجتناب التحريف والتعطيل والتكييف والتمثيل في آيات الأسماء والصفات وأحاديثها]

(نُـمِـرُّهـا صـريـحـةً كـمـا أتَـتْ	مـع اعـتـقـادِنـا لِـمـا لـه اقـتـضـت)
(مـن غـيـر تـحـريـفٍ ولا تـعـطـيـل	وغـيـرِ تـكـيـيـفٍ ولا تـمـثـيـل)
(بـل قـولُـنـا قـولُ أئـمَّـةِ الـهـدى	طـوبـى لـمـن بـهـديـهـم قـد اهـتـدى)

أي جميعُ آياتِ الأسماءِ والصفاتِ وأحاديثِها **(نُمِرُّها صريحةً)** أي على ظواهرها **(كما أتت)** عن الله تعالىٰ وعن رسوله ﷺ، بنقل العدلِ عن العدلِ متّصلاً إلينا كالشمس في وقتِ الظهيرةِ صحواً ليس دونها سحابٌ، **(مع اعتقادنا)** إيماناً وتسليماً **(لما له اقتضت)** من أسماءِ ربِّنا تبارك وتعالىٰ وصفاتِ كمالِهِ ونعوتِ جلالِهِ كما يليق بعظمته، وعلى الوجه الذي ذكره وأراده، **(من غير تحريف)** لألفاظها؛ كمن قال في قوله تعالىٰ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]، أن التكليمَ من موسى، وأن لفظَ الجلالةِ منصوبٌ على المفعولية فراراً من إثبات الكلام كما فعله بعضُ الجهمية والمعتزلة، وقد عُرِض ذلك على أبي بكر بنِ عيّاشٍ، فقال أبو بكر: ما قرأ هذا إلاّ كافرٌ، قرأتُ على الأعمش وقرأ الأعمش على يحيى بنِ وثّابٍ، وقرأ يحيى بنُ وثابٍ على أبي عبد الرحمٰن السُّلَميُّ، وقرأ أبو عبد الرحمٰن السّلمي على عليِّ بنِ أبي طالبٍ، وقرأ عليُّ بنُ أبي طالب على رسول الله ﷺ: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]، يعني برفع لفظِ الجلالةِ على الفاعلية، وهو مُجمعٌ عليه بين القرّاء، روى ذلك ابنُ مردَوَيْه[1] عن عبد الجبار بن عبد الله عن ابن عيّاشٍ رحمه الله تعالىٰ.

---

(١) عزاه إليه ابن كثير في تفسيره (١/ ٦٠١).

وروى ابنُ كثير[1] أن بعضَ المعتزلة قرأ على بعض المشايخ (وَكَلَّمَ اللَّهَ مُوسَى تكليماً)، فقال له: يا ابنَ اللخْناءِ كيف تصنع بقوله تعالىٰ: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، يعني أن هذا لا يقبل التحريفَ ولا التأويلَ.

وكما قال جهمُ بنُ صفوان[2] لعنه الله في قوله تعالىٰ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]، حيث قال: لو وجدتُ سبيلاً إلى حكِّها لحككْتُها ولأبدلتُها استولى. وله في ذلك سلفُ اليهودِ في تحريف الكَلم عن مواضعه، حيث قال الله تعالىٰ لهم: ﴿وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ﴾ [البقرة: ٥٨]، فدخلوا يزحفون على

---

(١) في تفسيره (١/ ٦٠١).

* اللخن: النتن.

* قال أبو حيان في «البحر المحيط في التفسير» (٤/ ١٣٩): ﴿وكلم الله موسى تكليماً﴾ هذا إخبار بأن الله شرف موسى بكلامه، وأكّد بالمصدر دلالة على وقوع الفعل على حقيقته لا على مجازه، هذا هو الغالب. وقد جاء التأكيد بالمصدر في المجاز، إلاّ أنه قليل، فمن ذلك قول (هند بنت النعمان بن بشير الأنصاري):

بكى الخز من عوف وأنكر جلده — وعجت عجيجاً من جذام المطارف

وقال ثعلب: لولا التأكيد بالمصدر لجاز أن تقول: قد كلمت لك فلاناً بمعنى كتبت إليه رقعة وبعثت إليه رسولاً، فلما قال «تكليماً» لم يكن إلاّ كلاماً مسموعاً من الله»اهـ.

* وقال النحاس في إعراب القرآن (١/ ٥٠٧): «﴿وكلم الله موسى تكليماً﴾ مصدر مؤكد، وأجمع النحويون على أنك إذا أكّدتَ الفعل بالمصدر لم يكن مجازاً، وأنه لا يجوز في قول الشاعر: **امتلأ الحوضُ وقال قَطنِي**

أن يقول: قال قولاً، فكذا لمّا قال: تكليماً وجب أن يكون كلاماً على الحقيقة من الكلام الذي يعقل»اهـ.

وانظر أيضاً: «معاني القرآن الكريم» للنحاس (٢/ ٢٤٠).

(٢) جهم بن صفوان الضال المبتدع، تلميذ الجعد بن درهم أوّل من صدر عنه القول بخلق القرآن.

قال عبد القاهر البغدادي في كتابه «الفرق بين الفرق» (ص٢١١)، عن جهم هذا: «الذي قال بالإجبار والاضطرار إلى الأعمال وأنكر الاستطاعات كلّها، وزعم أن الجنّة والنار تبيدَانِ وتفنيانِ، وزعم أيضاً أن الإيمان هو المعرفة بالله تعالىٰ فقط، وأن الكفر هو الجهل به فقط، وقال: لا فِعْلَ ولا عمل لأحدٍ غير الله تعالىٰ، وإنما تنسب الأعمال إلى المخلوقين على المجاز...»اهـ.

أستاهم، وقالوا «حنطة»[1]، فخالفوا ما أمرهم الله به من الدخول سجداً وبدّلوا قولاً غيرَ الذي قيل لهم، فكان جزاؤهم ما ذكره الله تعالىٰ حيث يقول: ﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ﴾ [البقرة: ٥٩]، وجعلهم الله عبرةً لمن بعدهم، فمن فعل كما فعلوا فسبيلُه سبيلُهم كما مضت سنّةُ الله بذلك: ﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُوْلَٰٓئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِى ٱلزُّبُرِ﴾ [القمر: ٤٣].

و(**من غير تحريف**) لمعانيها كما فعله الزنادقةُ أيضاً كتأويلهم «نفسَه» تعالىٰ بالغير، وأن إضافَتها إليه كإضافة بيتِ الله وناقةَ الله، فعلى هذا التأويلِ يكون قولُه تعالىٰ: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [آل عمران: ٢٨]، أي غيرَه، وقولُه: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤]، أي على غيره، ويكون قولُه تعالىٰ عن عيسى: ﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ﴾ [المائدة: ١١٦]، أي: ولا أعلم ما في غيرك، ويكون قولُه تعالىٰ لموسى: ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى﴾ [طه: ٤١]، أراد واصطنعتك لغيري، وهذا لا يقوله عاقلٌ، بل ولا يتوهّمه ولا يقولُه إلاّ كافرٌ، وكتأويلهم «وجهه» تعالىٰ بالنفس مع جحودهم لها كما تقدم، فانظر لتناقضهم البيِّن، وهذا يكفي حكايتُه عن ردِّه.

أمّا من أثبت النفسَ وأوّل الوجهَ بذلك، فيقال له: إن الله تعالىٰ قال: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمٰن: ٢٧]، فذكر الوجهَ مرفوعاً على الفاعلية، ولفظُ (رب) مجروراً بالإضافة، وذكر ذو مرفوعاً بالتبعية نعتاً لوجه، فلو كان الوجهُ هو الذاتَ لكانت القراءة: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذِي ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ فخفضه بالياء لا بالواو؛ كما قال تعالىٰ: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾ [الرحمٰن: ٧٨]، فخفَضه لما كان صفةً للرب، فلما كانت القراءةُ في الآية الأولى بالرفع إجماعاً تبيّن أن الوجهَ صفةٌ للذات ليس هو الذات، ولما رأى آخرون منهم فسادَ تأويلِهم بالذات أو

---

(١) أخرجه ابن إسحاق كما في تفسير ابن كثير (١/١٠٣) بسند ضعيف؛ لأنه من طريق صالح مولى التوأمة، وهو صالح بن نبهان مختلط، والطريقة الثانية فيها مبهم.
لكن الحديث أخرجه البخاري في صحيحه (٨/ ١٦٤ رقم ٤٤٧٩) من حديث أبي هريرة، عن النبيّ ﷺ قال: **«قيل لبني إسرائيل ﴿وادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة﴾ [البقرة: ٥٨]، فدخلوا يزحفون على أستاهم، فبدَّلوا، وقالوا: حِطَّة حَبَّةٌ في شَعرة»**.

الغيرِ لجأوا إلى طاغوت المجازِ، فعدلوا إلى أن تأويلَه به أولى، وأنه كما يقال «وجهُ الكلام» و«وجهُ الدار» و«وجهُ الثوب» ونحو ذلك، فتكلّفوا الكذبَ على الله تعالىٰ وعلى رسوله ﷺ كلَّ التكلّفِ ثم نُكِسوا على رؤوسهم فوقعوا فيما فرُّوا منه، فيقال لهم: أليس الثوبُ والدارُ والكلامُ مخلوقاتٍ كلُّها وقد شبّهتم وجهَ الله تعالىٰ بذلك؟ فأين الفِكاكُ والخلاصُ ولاتَ حين مناص: ﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [فصلت: ٢٣].

وكما أوّلوا اليدَ بالنعمة واستشهدوا بقول العرب: «لك يد عندي» أي نعمةٌ، فعلى هذا التأويلِ يكون قولُه تعالىٰ: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]، يعني: نعمتاه فلم يثبتوا لله إلاّ نعمتين والله تعالىٰ يقول: ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان: ٢٠]، ويكون قوله تعالىٰ: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ [صَ: ٧٥]، أراد بنعمتيّ، فأيُّ فضيلةٍ لآدمَ على غيره على هذا التأويل، وهل من أحد لم يخلقه الله بنعمته؟ ويكون قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧]، أراد مطوياتٌ بنعمته فهل يقول هذا عاقل؟

وقال آخرون منهم «بقوته» استشهاداً بقوله تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْي۟دٍ﴾ [الذاريات: ٤٧]، أي بقوة، فيقال لهم: أليس كلُّ مخلوقٍ خلقه الله بقوة؟ فعلى هذا ما معنى قولِه عزّ وجلّ: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ [صَ: ٧٥]، وأيُّ فضلٍ لآدمَ على إبليسَ إذ كلٌّ منهما خلقه الله بقوّته؟ وما معنى قولِه تعالىٰ للملائكة: لا أجعلُ صالحَ ذريةِ مَن خلقتُ بيديّ كمن قلتُ له: كن فكان، أفلم يخلُق الملائكةَ بقوّته؟ وأيُّ فضلٍ لآدمَ عليهم إن لم يكن خلقه الله بيده التي هي صفتُه، نبّئوني بعلم إن كنتم صادقين. وكما تأوّلوا الاستواءَ بالاستيلاء واستشهدوا ببيت مجهولٍ مرويٍّ على خلاف وجهِه وهو ما يُنسب إلى الأخطل النصرانيّ:

قد استوى بشرٌ على العراقِ — من غير سيفٍ ودمٍ مُهراقِ

[عدول أهل التأويل عن ألف دليل وتمسّكهم بما ينسب إلى الأخطل النصراني في الاستواء]

فعدَلوا عن أكثرَ من ألف دليل من التنزيل إلى بيت ينسب إلى بعض العُلوج

ليس على دين الإسلام ولا على لغة العربِ، فطفِق أهلُ الأهواءِ يفسّرون به كلام اللّهِ عزّ وجلّ ويحمِلونه عليه، مع إنكار عامةِ أهلِ اللغةِ لذلك، وأن الاستواءَ لا يكون بمعنى الاستيلاءِ بوجهٍ من الوجوه البتّة.

وقد سُئِل ابنُ الأعرابيِّ وهو إمامُ أهلِ اللغة في زمانه، فقال: «العربُ لا تقول للرجل استولى على الشيء حتى يكون له فيه مُضادّ، فأيُّهما غلب قيل استولى، والله سبحانه وتعالىٰ لا مغالِبَ له»[1] اهـ.

وقد فسَّر السلفُ الاستواءَ بعدة معانٍ بحسب أداتِه المقترنةِ به، وبحسب تجريدِه عن الأداة، ولم يذكر أحدٌ منهم أنه يأتي بمعنى الاستيلاء حتى انتحل ذلك أهلُ الأهواءِ والبِدع، لا باشتقاقٍ صغيرٍ ولا كبير، بل باستنباطٍ مختلَقٍ وافق الهوى المتَّبَع.

وقد بسط القولَ في ردِّ ذلك ابنُ قيِّمِ الجوزيّةِ رحمه الله في كتابه الصواعق[2]، وبيَّن بُطلانَه من نيِّف وأربعين وجهاً، فليراجع. وكما أوَّلوا أحاديثَ النزولِ إلى سماء الدنيا بأنه ينزل أمرُه، فيقال لهم: أليس أمرُ الله تعالىٰ نازلاً في كل وقتٍ وحين؟ فماذا يخصّ السحَرَ بذلك؟ وقال آخرون: ينزل ملكٌ بأمره، فنَسبَ النزولَ إليه تعالىٰ مجازاً. فيقال لهم: فهل يجوز على الله تعالىٰ أن يُرسلَ من يدّعي

---

(١) أخرج اللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (رقم ٦٦٦)، والذهبي في «العلوّ» (ص١٣٣)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٥/ ٢٨٤) عن أبي عبد الله نفطويه قال: حدّثني أبو سليمان داود بن علي قال: كنّا عند ابن الأعرابي فأتاه رجل فقال له: ما معنى قول الله عزّ وجلّ: ﴿الرحمٰن على العرش استوى﴾ فقال: هو على عرشه كما أخبر عزّ وجلّ.
فقال: يا أبا عبد الله ليس هذا معناه، إنما معناه استولى. قال: اسكت ما أنت، وهذا لا يقال: استولى على الشيء إلاّ أن يكون له مضاد فإذا غلب أحدهما قيل: استولى.
أما سمعت النابغة:

إلاّ لِمِثْلِكَ أو مَنْ أنت سابِقهُ ... سبقَ الجواد إذا استولى على الأمد

وأورده الحافظ ابن حجر في «الفتح» (١٣/ ٤٠٦)، وعزاه إلى الهروي في كتابه «الفاروق»، **وإسناده صحيح.**
وانظر ما قاله ابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/ ٣١٣).

(٢) في «مختصر الصواعق» (٢/ ١٢٦ ـ ١٥٢) فقد أجاد وأفاد.

ربوبيتّه؟ وهل يمكن للملك أن يقول: «لا أسأل عن عبادي غيري، من ذا الذي يسألني فأُعطِيَه، من ذا الذي يستغفرني فأغفرَ له»[1]، وهل قصرت عبارةُ النبيِّ ﷺ عن أن يقول ينزِل ملكٌ بأمر الله فيقول: إن الله تعالىٰ يقول لكم كذا، أو أمرني أن أقولَ لكم كذا حتى جاء بلفظ مُجملٍ يوهم بزعمكم ربوبيةَ الملَك، لقد ظننتم بالله تعالىٰ ورسولِه ﷺ ظنَّ السَّوء وكنتم قوماً بوراً.

وكما أوّلوا المجيء لفصل القضاءِ بالمجاز، فقالوا: يجيء أمرُه واستدلّوا بقوله تعالىٰ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ أَمْرُ رَبِّكَ﴾ [النحل: ٣٣]، فقالوا في قوله تعالىٰ: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢١٠]، فقالوا: هو من مجاز الحذفِ، والتقديرُ يأتي أمرُ الله. فيقال لهم: أليس قد اتّضح ذلك غايةَ الاتضاحِ أن مجيءَ ربِّنا عزّ وجلّ غيرُ مجيءِ أمرِه وملائكتِه، وأنه يجيء حقيقةً، ومجيءُ أمرِه حقيقةٌ، ومجيءُ ملائكتِه حقيقةٌ، وقد فصَّل تعالىٰ ذلك وقسمه ونوّعه تنويعاً يمتنع معه الحملَ على المجاز، فذكر تعالىٰ في آية البقرة مجيئَه ومجيءَ الملائكةِ، وكذا في آية الفجر، وذكر في النحل مجيءَ ملائكتِهِ ومجيءَ أمره، وذكر في آية الأنعامِ إتيانَه وإتيانَ ملائكتِهِ وإتيانَ بعضِ آياتِه التي هي من أمره، ثم يقال: ما الذي يخصّ إتيانَ أمرِه بيوم القيامة؟ أليس أمرُه آتياً في كل وقت، متنزّلاً بين السماءِ والأرضِ بتدبير أمورِ خلقِهِ في كل نفسٍ ولحظة: ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾ [الرحمٰن: ٢٩].

وتأوّلوا النظرَ إلى الله عزّ وجلّ في الدار الآخرة بالانتظار، قالوا: إنه كقوله: ﴿ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ [الحديد: ١٣]، فيقال لهم: أليس إذا كان بمعنى الانتظارِ تعدّى بنفسه لا يحتاج إلى أداة كما في قوله: ﴿ٱنظُرُونَا﴾، ألم يُضِف الله تعالىٰ النظرَ إلى الوجوه التي فيها الإبصارُ، ويُعَدِّه بإلى التي تُفيد المعاينةَ بالبصر عند جميع أهلِ اللغة، ﴿قُلْ ءَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ١٤٠]، أوَ لم يفسّره النبيّ ﷺ بالرؤية الجليةِ عِياناً بالأبصار في أكثرَ من خمسين حديثاً صحيحاً، حتى شبَّه تلك الرؤيةَ برؤيتنا الشمسَ صحواً ليسَ دونها سحابٌ، تشبيهاً للرؤية بالرؤية، لا للمَرئيّ بالمَرئي، ولم

(١) تقدم تخريجه وبيان رواياته.

يزل الصحابةُ مؤمنين بذلك، ويحدّثون به مَن بعدهم من التابعين، وينقُله التابعون إلى مَن بعدَهم وهلُمّ جَرّا، فنحن أخذنا دينَنا عن حملةِ الشريعةِ، عن الصحابة، عن النبيّ ﷺ، فأنتم عمّن أخذتم؟

ومِن شُبُهاتهم في نفي الرؤيةِ استدلالُهم بقوله عزّ وجلّ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، وهذه الآيةُ فيها عن الصحابة تفسيران:

(أوّلهما): لا يُرى في الدنيا، وهو مَرويٌ عن عائشةَ[(١)] ﵂، وبذلك نفت أن يكون رسولُ الله ﷺ رأى ربَّه ليلةَ المِعراج.

---

(١) أخرج البخاري (٨/٦٠٦ رقم ٤٨٥٥).

عن مسروق قال: قلتُ لعائشة رضي الله عنها: يا أُمَّتاهُ، هل رأى محمدٌ ﷺ ربَّه؟ فقالت: لقد قفَّ شعري مما قُلتَ، أينَ أنت من ثلاثٍ من حدَّثكهنَّ فقد كذَب: من حدَّثك أنَّ محمداً ﷺ رأى ربَّه فقد كذب، ثم قرأت: ﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير﴾ [الأنعام: ١٠٣]، ﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب﴾ [الشورى: ٥١].

ومن حدَّثك أنَّهُ يعلم ما في غدٍ فقد كذَب، ثم قرأت: ﴿وما تدري نفس ماذا تكسب غداً﴾ [لقمان: ٣٤].

ومن حدثك أنَّه كَتَمَ فقد كذَب، ثم قرأت: ﴿يأيها الرسول بلِّغ ما أنزل إليك من ربك﴾ [المائدة: ٦٧].

ولكن رأى جبريلَ عليه السلام في صورته مرتين.

* وأخرج مسلم (١/١٥٩ رقم ٢٨٧/١٧٧): من طريق داود بن أبي هند، عن الشعبي عن مسروق، قال: كنتُ متّكئاً عندَ عائشةَ فقالت: يا أبا عائِشَة! ثلاثٌ من تكلَّمَ بواحدةٍ منهنَّ فقد أعظمَ على الله الفرية. قلت: ما هُنَّ؟ قالتْ: من زعمَ أن محمداً ﷺ رأى ربَّهُ فقد أعظم على الله الفرية. قالَ: وكنتُ متكئاً فجلستُ، فقلت: يا أمَّ المؤمنين أنْظِريني، ولا تعجليني، ألم يَقُلِ الله عزّ وجلَّ: ﴿ولقد رآه بالأفق المبين﴾ [التكوير: ٢٣]، ﴿ولقد رآه نزلة أخرى﴾ [النجم: ١٣]، فقالت: أنا أوَّلُ هذه الأمَّة سألَ عن ذلكَ رسولَ الله ﷺ، فقال: «**إنما هو جبريلُ، لم أرَهُ على صورتِهِ التي خُلِقَ عليها غيرَ هاتين المرتين، رأيتُهُ منهبطاً من السماءِ، ساداً عِظَمُ خلقِه ما بين السماءِ إلى الأرض**»، فقالت: أوَلَمْ تسمع أن الله يقولُ: ﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير﴾ [الأنعام: ١٠٣]، أوَ لم تسمع أن الله يقول: ﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلاّ وحياً أو مِن وراءِ حجابٍ أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء إنه علي حكيم﴾ [الشورى: ٥١].

قالت: ومن زعَم أن رسولَ الله ﷺ كتم شيئاً من كتاب الله فقد أعظمَ على الله الفرية، والله يقول: ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته﴾ =

(ثانيهما): تفسيرُ ابنِ عباس[1] رضي الله عنهما: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ﴾ أي لا تُحيط به، فالنفيُ

= [المائدة: ٦٧]. قالت: ومن زعمَ أنه يخبرُ بما يكونُ في غدٍ فقد أعظمَ على الله الفرية، واللَّهُ يقول: ﴿قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلاّ الله﴾ [النمل: ٦٥].

قال ابن حجر في «فتح الباري» (٨/ ٦٠٧ ـ ٦٠٨): «. . . قال النووي ـ في شرح مسلم (٣/ ٥) ـ تبعاً لغيره: «لم تنف عائشة وقوع الرؤية بحديث مرفوع ولو كان معها لذكرته، وإنما اعتمدت الاستنباط على ما ذكرته من ظاهر الآية، وقد خالفها غيرها من الصحابة، والصحابي إذا قال قولاً وخالفه غيره منهم لم يكن ذلك القول حجّة اتفاقاً. والمراد بالإدراك في الآية الإحاطة، وذلك لا ينافي الرؤية» اهـ.

وجزمه بأن عائشة لم تنف الرؤية بحديث مرفوع تبع فيه ابن خزيمة، فإنه قال في كتاب «التوحيد» (٢/ ٥٥٦/ ٥٥٧): «النفي لا يوجب علماً، ولم تحك عائشة أن النبيّ ﷺ أخبرها أنه لم يرَ ربه، وإنما تأوّلت الآية» اهـ.

وهو عجيب، فقد ثبت ذلك عنها في صحيح مسلم الذي شرحه الشيخ ـ أي النووي ـ فعنده من طريق داود بن أبي هند عن الشعبي عن مسروق ـ وقد تقدم آنفاً ـ. . . وقال عياض: «رؤية الله سبحانه وتعالىٰ جائزة عقلاً، وثبتت الأخبار الصحيحة المشهورة بوقوعها للمؤمنين في الآخرة»، وأمّا في الدنيا فقال مالك: «إنما لم ير سبحانه في الدنيا لأنه باق، والباقي لا يرى بالفاني، فإذا كان في الآخرة ورزقوا أبصاراً باقية رأوا الباقي بالباقي».

قال عياض: «وليس في هذا الكلام استحالة الرؤية إلاّ من حيث القدرة، فإذا قدر الله من شاء من عباده عليها لم يمتنع».

قلت: ووقع في صحيح مسلم ما يؤيّد هذه التفرقة في حديث مرفوع فيه: «واعلموا أنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا»، وأخرجه ابن خزيمة أيضاً من حديث أبي أمامة، ومن حديث عبادة بن الصامت، فإن جازت الرؤية في الدنيا عقلاً فقد امتنعت سمعاً» انتهى.

(١) * أخرج الترمذي (٥/ ٣٩٥ رقم ٣٢٧٩)، وابن أبي عاصم في «السنة» (١/ ١٩٠ رقم ٤٣٧) عن ابن عباس قال: رأى محمدٌ ربّه قلتُ: «أليس الله يقول: ﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار﴾ [الأنعام: ١٠٣] قال: ويحكَ ذاكَ إذا تجلّى بنورِه الذي هو نورُهُ وقالَ أُريَهُ مرتين».

قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.

وقال ابن أبي عاصم: وفيه كلام.

قلت: الحكم بن أبان فيه ضعف من قبل حفظه.

وخلاصة القول: أن الحديث ضعيف، والله أعلم.

* وأخرج ابن حبان رقم (٣٨ ـ موارد) وابن خزيمة في «التوحيد» (ص٢٠٠)، والترمذي (٥/ ٣٩٥ رقم ٣٢٨٠)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص٤٤٢ ـ ٤٤٣)، والطبري في «جامع البيان» (١٣/ ج٢٧/ ٥٢)، وابن أبي عاصم في «السنة» رقم (٤٣٩) عن ابن عباس في قول الله: ﴿ولقد رآه نزلة أخرى * عند سدرة المنتهى﴾ [النجم: ١٣ ـ ١٤]، ﴿فأوحى=

للإحاطة لا للرؤية، وهذا عامٌّ في الدنيا والآخرة. ولم يُنقل عن أحد من الصحابة من طريق صحيحٍ ولا ضعيفٍ أنه أراد بذلك نفيَ الرؤيةِ في الآخرة، فهذا تفسيرُ الراسخين في العلم الذين يعلمون تأويلَ الكتاب هل بينهم مِن أحد فسّر الآيةَ بما افتريتموه؟

ومن إفكهم ادّعاؤهم معنى التأبيدِ في نفي ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ حتى كذبوا على رسول الله ﷺ حديثاً مختلَفاً لفظُه: (لن تراني في الدنيا ولا في الآخرة)[1]، وهو موضوعٌ مكذوبٌ على النبيّ ﷺ باتفاق أئمّة الحديثِ والسنةِ، ولم يَقل أحدٌ من أئمّة اللغةِ العربيةِ أن نفيَ «لن» للتأبيد مطلقاً إلاّ الزمخشريُّ من المتأخّرين[2]، قال ذلك ترويجاً لمذهبه في الاعتزال، وجحودِ صفاتِ الخالق جلّ وعلا، وقد ردّه عليه أئمّةُ التفسيرِ كابن كثير[3] وغيرِه، وردّه ابنُ مالك في الكافية حيث قال:

ومن يرى النفيَ بلن مؤبّدا ... فقولَه اردُدْ وسِواه فاعضُدا

= إلى عبده ما أوحى﴾ [النجم: ١٠]، ﴿فكان قاب قوسين أو أدنى﴾ [النجم: ٩]، قال ابن عباس: «قد رآهُ»، قال الترمذي: هذا حديث حسن.

وقال الألباني في «ظلال الجنة» (١/ ١٩١): «إسناده حسن موقوف، رجاله ثقات رجال الشيخين، إلاّ أنهما لم يحتجا بمحمد بن عمرو، وإنما أخرجا له متابعة» اهـ.

وخلاصة القول أن الحديث حسن كما قال الترمذي، والله أعلم.

قال المحدث الألباني في «ظلال الجنة» (١/ ١٩١): «وبالجملة فتفسير الآية من ابن عباس برؤية الله تبارك وتعالىٰ ثابت عنه، لكن الأخذ بالتفسير الذي ذكرناه عنه ﷺ ـ من حديث عائشة المتقدم ـ مرفوعاً أولى منه. والأخذ واجب دون الموقوف، لا سيما وقد اضطرب الرواة عنه في هذه الرؤية، فمنهم من أطلقها كما في حديث الترجمة وغيره. ومنهم من قيّدها بالفؤاد، كما في رواية مسلم (١/ ١٥٨ رقم ٢٨٤/ ١٧٦) عن ابن عباس؛ قال: «رآه بقلبه» و(١/ ١٥٨ رقم ٢٨٥/ ١٧٦) عن ابن عباس قال: ﴿ما كذب الفؤاد ما رأى﴾ [النجم: ١١]، ﴿ولقد رآه نزلة أخرى﴾ [النجم: ١٣]، قال: «رآهُ بفؤادِهِ مرتين»، وهي أصح الروايات عنه، والله أعلم» اهـ.

(١) **وهو حديث موضوع.**

(٢) قال ابن هشام في «مغني اللبيب عن كتب الأعاريب» (١/ ٢٨٤): «... ولا تفيد لن توكيدَ النفي خلافاً للزمخشري في كشافه «ولا تأبيدَه خلافاً له في «أنموذجه» وكلاهما دعوى بلا دليل، قيل: ولو كانت للتأبيد لم يقيد منفيها باليوم في ﴿فلن أكلم اليوم إنسياً﴾، ولكان ذكر الأبد في ﴿ولن يتمنوه أبداً﴾ تكراراً، والأصل عدمه...» اهـ.

(٣) في تفسيره (٢/ ٢٥٤) ومعالم التنزيل للبغوي (٣/ ٢٧٥)...

والقائلُ لموسى ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ [الأعراف: ١٤٣]، هو المتجلُ للجبل حتى اندكّ، وهو الذي وعد المؤمنين ﴿الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، وهو الذي قال: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة]، فاتّضح بذلك أن قولَه لموسى ﷺ ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ [الأعراف: ١٤٣] إنما أراد عدمَ استطاعتهِ رؤيةَ الله تعالىٰ في هذه الدار لضَعف القُوى البشريةِ فيها عن ذلك؛ كما قرّر تعالىٰ ذلك بقوله جلّ جلاله: ﴿وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَىٰنِي ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ﴾ [الأعراف: ١٤٣] الآية، فإذا لم يَثْبُت الجبلُ لتجلّي الله تعالىٰ، فكيف يثبُت موسى لذلك وهو بشرٌ خُلق من ضَعف؟ وأمّا في الآخرة فيخلُق الله تعالىٰ في أوليائه قوّةً مستعدّةً للنظر إلى وجهه عزّ وجلّ، وبهذا تجتمع نصوصُ الكتابِ والسنةِ وتأتلف كما هو مذهبُ أهلِ السنّةِ والجماعةِ.

وأمّا من اتّبع هواه بغير هدىً من الله، ونصَب الخِصامَ أو الجدالَ والمعارضةَ بين نصوصِ الكتاب والسنّة، واتّبع ما تشابه منه ابتغاءَ الفتنةِ وابتغاءَ تأويلِه، وما يعلم تأويلَه إلا الله، وضربَ كتابَ الله بعضَه ببعض، وآمن ببعض وكفر ببعض، وشاقّ الرسولَ من بعد ما تبيّن له الهدى، واتّبع غيرَ سبيلِ المؤمنين، وأضلّه الله على علم وختم على سمعه وقلبِه وجعل على بصره غِشاوةً، فمن يهديه من بعد الله؟ أعاذنا الله وجميعَ المؤمنين من ذلك.

ولا يأتي لأحد من أهل التأويلِ مرادُه ولا يستقيم له تأويلُه إلاّ بدفع النصوصِ بعضِها ببعض لا محالة ولا بدّ، فإنّ كتابَ الله تعالىٰ يصدّق بعضُه بعضاً لا يكذبه كما هو مصدِّقٌ لما بين يديه من الكتاب ومهيمِنٌ عليه. وكذلك سنّةُ النبيِّ ﷺ، تبيِّن الكتابَ وتوضّحه وتفسّره وتدلّ عليه وتُرشِد إليه، ولا يشكّ في ذلك ولا يرتاب فيه إلاّ من اتّخذ إلٰهه هواه، وأدلى بشُبهاته لغرض شهواتِه: ﴿بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَاللَّهُ مِن وَرَائِهِم مُّحِيطٌ ﴿٢٠﴾﴾ [البروج]، وهذا دأبُهم في جميع نصوصِ الأسماءِ والصفات. وإنما ذكرنا هذه الجملةَ مثالاً وتنبيهاً على ما وراء ذلك، فمن عُوفيَ فليحمَد الله، فالحمدُ لله الذي هدانا لهذا وما كنّا لنهتديَ لولا أن هدانا الله.

(ولا تعطيل) أي للنصوص بنَفْيِ ما اقتضتْه من صفات كمالِ الله تعالىٰ ونعوتِ جلالِهِ، فإن نفيَ ذلك من لازمه نَفْيُ الذاتِ ووصفُه بالعدم المَحْض، إذ ما

لا يوصف بصفة هو العدمُ، تعالىٰ الله عمّا يقول الظالمون والجاحدون علوّاً كبيراً.

ولهذا قال السلفُ الصالحُ رحمهم الله تعالىٰ في الجهمية: إنهم يحاولون أن يقولوا ليس في السماء إلٰهٌ يُعبد، وذلك لجحودهم صفاتِ كمالِهِ ونعوتِ جلالِهِ التي وصف بها نفسَه ووصفه بها رسولُه ﷺ، وذلك يتضمّن التكذيبَ بالكتاب والسنّة، والافتراءَ على الله كذباً: ﴿۞ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَـٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الزمر].

- **(وغير تكييف)** تفسيرٌ لكُنه شيءٍ من صفات ربِّنا تعالىٰ، كأن يقال استوى على هيئة كذا، أو ينزلَ إلى السماء بصفة كذا، أو تكلّم بالقرآن على كيفية كذا، ونحوِ ذلك من الغلوّ في الدين والافتراءِ على الله عزّ وجلّ واعتقادِ ما لم يأذن به الله ولا يليق بجلاله وعظمتِه ولم ينطِقْ به كتابٌ ولا سنّةٌ، ولو كان لك مطلوباً من العباد في الشريعة لبيّنه الله تعالىٰ ورسولُه ﷺ، ولم يدَعْ ما بالمسلمين إليه حاجةٌ إلاّ بيَّنه ووضحه، والعبادُ لا يعلمون عن الله تعالىٰ إلاّ ما علّمهم؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقال تعالىٰ: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠]، فليُؤمِن العبدُ بما علمه الله تعالىٰ وليقِفْ معه كهذه الصفاتِ الثابتةِ في الكتاب والسنّة، وليُمْسِكْ عما جهله، ولْيَكِلْ معناه إلى عالمه ككيفيتها: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧].

(ولا تمثيلٍ) أي ومن غير تشبيهٍ لشيء من صفات الله بصفات خلقهِ، فكما أنّا نُثبت له ذاتاً لا تُشبه الذواتِ، فكذلك نثبت له ما أثبتَ لنفسه من الأسماء والصفاتِ ونعتقد تنزُّهه وتقدُّسَه عن مماثلة المخلوقاتِ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، وإذا كان القولُ على الله بلا علم في أحكام الشريعةِ هو أقبحَ المحرماتِ؛ كما قال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَـٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣].

فكيف بالقول على الله بلا علم في إلٰهيته وربوبيتِهِ وأسمائِه وصفاتِه من تشبيه

خلقِهِ به أو تشبيهِهِ بخلقه في اتخاذ الأندادِ معه وصرفِ العبادة لهم، وإن اعتقادَ تصرُّفهم في شيء من ملكوته تشبيهٌ للمخلوق بالخالق، كما أن تمثيلَ صفاتِه تعالىٰ بصفات خلقِهِ تشبيهٌ للخالق بالمخلوق، وكلا التشبيهين كفرٌ بالله عزّ وجلّ أقبحُ الكفر، وقد نزّه الله تعالىٰ نفسَه عن ذلك كلِّه في كتابه؛ كما قال تعالىٰ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌ ۝٤﴾ [سورة الإخلاص]، وقال تعالىٰ: ﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]، وقال تعالىٰ: ﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا ۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، وقال تعالىٰ: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [النحل: ٦٠]، وقال تعالىٰ: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا۟ لِلَّهِ ٱلْأَمْثَالَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٧٤]، وغيرُ ذلك من الآيات، بل جميعُ القرآن من أوّله إلى خاتمته في هذا المعنى، بل لم يُرسل الله تعالىٰ رسلَه ولم ينزل كتبَه إلاّ بذلك: ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ﴾ [الأحزاب: ٤].

[القول الصحيح قول أئمة الهدى من الصحابة والتابعين]

(بل قولُنا) الذي نقول ونعتقده ونَدينُ الله به هو **(قولُ أئمة الهدى)** من الصحابة والتابعين فمن بعدهم من الأئمّة، كأبي حنيفةَ ومالكٍ والأوزاعيِّ والثوريِّ وابنِ عُيَيْنةَ والليثِ بن سعدٍ وحمّادِ بنِ زيدٍ وحمادِ بن سلَمة والشافعيِّ وأحمدَ وإسحاقَ بن راهويه وأصحابِ الأمهاتِ الستِّ وغيرِهم من أئمّة المسلمين قديماً وحديثاً الذين قضَوْا بالحقّ وبه كانوا يعدِلون، وهو إمرارُها كما جاءت من غير تكييفٍ ولا تشبيهٍ ولا تعطيل. والظاهرُ المتبادرُ إلى أذهان المشبّهين منفيٌّ عن الله عزّ وجلّ، فإن الله تعالىٰ لا يُشبهه شيءٌ من خلقه وليس كمثله شيءٌ وهو السميعُ البصير، بل الأمرُ كما قال الأئمة: تفسيرُها قراءتُها.

وقال نعيم بنُ حمادِ الخزاعيُّ شيخُ البخاريِّ رحمهما الله تعالىٰ[1]: (من شبّه

---

(١) انظر: «مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية» (٥/١٩٦)، و«العلو» للذهبي (ص١٢٦)، =

الله بخلقه فقد كفر، ومن جحدَ ما وصف الله به نفسَه فقد كفر، وليس فيما وصف الله به نفسَه ولا رسولُه تشبيهٌ، فمن أثبت لله تعالىٰ ما أثبته لنفسه مما وردت به الآياتُ الصريحةُ ووصفه به رسولُه ﷺ مما ورد في الأخبار الصحيحةِ على الوجهِ الذي يليق بجلال الله وعظمتِهِ، ونفَى عن الله النقائصَ فقد سلك سبيلَ الهدى).

وقال الإمام الشافعي[1] رحمه الله تعالىٰ: (آمنّا بالله وبما جاء عن الله على مراد الله، وآمنّا برسول الله وبما جاء عن رسول الله على مراد رسولِ الله ﷺ).

وقال أيضاً رحمه الله[1]: (لله تعالىٰ أسماءٌ وصفاتٌ جاء بها كتابهُ وأخبر بها نبيُّه ﷺ أمتَه لا يسع أحداً من خلق الله قامت عليه الحجةُ ردُّها، لأن القرآنَ نزل بها وصحّ عن رسول الله ﷺ القولُ بها فيما روى عنه العدولُ، فإن خالف ذلك بعد ثبوت الحجةِ عليه فهو كافرٌ، أما قبل ثبوتِ الحجةِ عليه فمعذورٌ بالجهل؛ لأن علمَ ذلك لا يُدرك بالعقل ولا بالرؤية والفِكرِ، ولا يُكفّر بالجهل بها أحدٌ إلاّ بعد انتهاء الخبرِ إليه بها، وتُثْبَتُ هذه الصفاتُ ويُنفي عنها التشبيهُ كما نفى التشبيهَ عن نفسه تعالىٰ، فقال سبحانه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]).

وقال الإمامُ أحمدُ رحمه الله[2]: (ليس كمثله شيءٌ في ذاته كما وصف نفسَه، قد أجمل الله الصفةَ فحدّ لنفسه صفةً: ليس يُشبهه شيء، وصفاتُه غيرُ محدودةٍ ولا معلومةٍ إلاّ بما وصف به نفسَه. قال: فهو سميعٌ بصيرٌ بلا حدّ ولا تقدير، ولا يبلُغ الواصفون صفتَه، ولا نتعدّى القرآنَ والحديثَ، فنقول كما قال ونصفه بما وصف به نفسَه ولا نتعدّى ذلك، ولا يبلُغ صفتَه الواصفون، نؤمن بالقرآن كلِّه مُحْكَمِه ومُتشابهِه، ولا نُزيل عنه صفةً من صفاته بشناعة شنَعتْ، وما وصف به نفسه من كلامٍ ونزولٍ وخَلوةٍ بعبده يوم القيامة ووضعِه كنفَه عليه، فهذا كُلُّه يدلّ على أن الله سبحانه وتعالىٰ يُرى في الآخرة، والتحديدُ في هذا كلِّه بدعةٌ، والتسليمُ فيه بغير صفةٍ ولا حدّ إلاّ ما وصف به نفسه: سميع، بصير، لم يزل

= و«اجتماع الجيوش الإسلامية» (ص٢٢١).

(١) انظر: «اجتماع الجيوش الإسلامية» (ص١٦٥).

(٢) انظر: «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» للالكائي (١/ ١٧٥ ـ ١٨٥)، وطبقات الحنابلة (١/ ٢٤١ ـ ٢٤٦).

متكلماً، عالماً، غفوراً، عالمُ الغيب والشهادة، علاّمُ الغيوب. فهذه صفاتٌ وصف بها نفسَه لا تُدفع ولا تُرد، وهو على العرش بلا حدّ؛ كما قال تعالىٰ: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الفرقان: ٥٩] كيف شاء، المشيئةُ إليه والاستطاعةُ إليه ليس كمثله شيءٌ وهو خالقُ كل شيءٍ وهو سميعٌ بصير بلا حدٌ ولا تقدير، لا نتعدّى القرآنَ والحديثَ، تعالىٰ الله عمّا يقول الجهميةُ والمشبّهة. قلت له: والمشبّهُ ما يقول؟ قال: من قال بصرٌ كبصري، ويدٌ كيدي، وقدمٌ كقدمي فقد شبَّه الله تعالىٰ بخلقه) انتهى.

وكلامُ أئمّةِ السنّة في هذا الباب يطول، وقد تقدم كثيرٌ منه في الاستواء والكلامِ والنزولِ والرؤيةِ وغير ذلك.

(طوبى لمن بهديهم قد اهتدى)، إذ هم خيرُ القرون وأعلمُ الأمةِ بشريعةِ الإسلامِ وأولاهم باتّباع الكتابِ والسنّة واقتفاءِ آثار رسولِ الله ﷺ، وبهم حفِظ الله الدين على من بعدهم، فرحمهم الله ورضيَ عنهم وأرضاهم وألحقَنا بهم سالمين غيرَ مفتونين إنه سميعُ الدعاء.

[توحيد الإثبات]

(وسمْ ذا النوعَ من التوحيد — توحيدَ إثباتٍ بلا ترديد)

(قد أفصح الوحيُ المبينُ عنه — فالتمس الهدى المنيرَ منه)

(وسم ذا النوع) والإشارةُ بذا إلى يوم ما تقدم من قوله «إثباتُ ذاتِ الربّ» إلى هنا وما يدخل في ذلك من معاني الربوبيةِ والأسماءِ والصفات **(من)** نوعي **(التوحيد)** المشار إليهما بقول: وهو نوعان **(توحيدَ إثبات)** لاشتماله على إثبات ما أثبته الله تعالىٰ لنفسه في كتابه وأثبته له رسولُه ﷺ ومن قبله من الأنبياء والمرسلين من معاني ربوبيّتِه ومقتضى أسمائِه وصفاتِه ونَفْي ما يناقض ذلك، كما نفاه عن نفسه تبارك وتعالىٰ، فيؤمن بالله تعالىٰ وبما أخبر به عن نفسه سبحانه على ألسنةِ رُسُلِه من صفات كمالِه ونعوتِ جلالِه بلا تكييفٍ ولا تمثيل، وننفي عنه ما نفاه عن نفسه مما لا يليق بجلاله وعظمتِه، فإنه أعلمُ بنفسه وبغيره وأصدقُ قيلاً وأبينُ دليلاً من غيره، وقد عكسَ الزنادقةُ الأمرَ فنفَوْا عنه ما أثبته تعالىٰ لنفسه من الأسماء الحسنى والصفاتُ العُلى، وأثبتوا له ما نزّه نفسَه عنه من أضداد ما تقتضي أسماؤه وصفاتُه،

وكذّبوه بالكتاب وبما أرسل الله به رسلَه، وبدّلوا قولاً غيرَ الذي قيل لهم فبعداً لقوم لا يؤمنون.

(فائدة)
[زيادة المتأخرين على الصفات «أن ظاهرها غير مراد»]

قال الحافظُ الذهبيُّ رحمه الله تعالىٰ: (المتأخّرون من أهل النظر قالوا مقالةً مولّدةً ما علمْتُ أحداً سبقهم بها، قالوا: هذه الصفاتُ تُمرُّ كما جاءت ولا تُؤوَّل مع اعتقاد أن ظاهرَها غيرُ مرادٍ، فتفرَّع من هذا أن الظاهرَ يُعنى به أمران:

أحدُهما: أنه لا تأويلَ لها غيرَ دلالةِ الخطاب، كما قال السلف الصالح: الاستواءُ معلومٌ[1]، وكما قال سفيانُ[2] وغيرُه: قراءتُها تفسيرُها، يعني أنها بينةٌ واضحةٌ في اللغة لا يُبتغى بها مضايقُ التأويلِ والتحريف، وهذا هو مذهبُ السلفِ، مع اتفاقِهم أيضاً أنها لا تشبه صفاتِ البشر بوجهٍ، إذ الباري لا مثلَ له لا في ذاته ولا في صفاته.

الثاني: أن ظاهرَها هو الذي يتشكّل في الخيال من الصفة كما يتشكّل في الذهن من وصف البشر، فهذا غيرُ مرادٍ، فإن الله تعالىٰ فردٌ صمَدٌ ليس له نظيرٌ، وإن تعدّدت صفاتُه فإنها حقٌّ، ولكن ما لها مِثلٌ ولا نظير، فمن ذا الذي عايَنه ونعتَه لنا، ومن ذا الذي يستطيع أن ينعَتَ لنا كيف سمع موسى كلامَه؟ والله إنا لعاجزون كالّون حائرون باهتون في حدّ الروحِ التي فينا وكيف تعرُج كلَّ ليلةٍ إلى بارئها، وكيف يُرسِلها، وكيف تستقل بعد الموتِ، وكيف حياةُ الشهيدِ المرزوقِ عند ربه بعد قتلِه، وكيف حياةُ النبيين الآن، وكيف شاهد النبيُّ ﷺ أخاه موسى يصلّي في قبره قائماً[3]، ثم رآه في السماء السادسة وحاوره وأشار إليه بمراجعة ربِّ

---

(١) كما صح عن الإمام مالك وربيعة الرأي وغيره. أخرج هذه الآثار البيهقي في «الأسماء والصفات» رقم (٨٦٦ و٨٦٧) عن مالك، ورقم (٨٦٨) عن ربيعة الرأي، وقد تقدم ذلك.

(٢) أخرج أثر سفيان بن عيينة البيهقي في «الأسماء والصفات» رقم (٨٦٩)، وهو أثر صحيح.

(٣) يشير المؤلف رحمه الله إلى الحديث الذي أخرجه مسلم (٤/ ١٨٤٥ رقم ٢٣٧٥) من حديث أنس.

العالمين وطلب التخفيفَ منه على أمّته[1]، وكيف ناظر موسى أباه آدم وحجّهُ آدمُ بالقدَر السابقِ، وبأن اللَّومَ بعد التوبةَ وقبولِها لا فائدةَ فيه[2]، وكذلك نعجز عن وصف هيئتِنا في الجنة ووصفِ الحُورِ العِينِ، فكيف بنا إذا انتقلنا إلى الملائكة وذواتِهم وكيفيَّتِها وأن بعضَهم يمكنه أن يلتقمَ الدنيا في لقمة، مع رونقهم وحُسْنِهم وصفاءِ جوهرهم النورانيِّ، فالله أعلى وأعظمُ، وله المثلُ الأعلى والكمالُ المطلقُ ولا مثْلَ له أصلاً ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٥٢])، انتهى كلامُه بحروفه.

قلت: قولُه من ذا الذي عاينه فنعَته؟ هذا لا معنى له، فإن المؤمنين يَرَوْنه تعالىٰ في الجنّة عِياناً بأبصارهم ولا يستطيع أحدٌ منهم نعتَه تعالىٰ: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠]، وكان حقُّه أن يقول: من ذا الذي أحاط به علماً فنعتَه، وقولُه الثاني أن ظاهرَها الذي يتشكّل في الخيال. . . الخ، قد قدّمنا أن هذا التصوّرَ الفاسدَ هو الذي يعمل جهلَةُ النُّفاةِ على ما صنعوا من النفي حين لم يفهموا من ظاهرها إلاّ ما يقوم بالمخلوق ولم يتدبروا مَنْ هو الموصوفُ فأساءوا الظنَّ بالوحي، ثم قاسوا وشبّهوا بعد أن فكروا وقدّروا ثم نفَوا وعطلوا، فسُحقاً لأصحاب السعير.

(**قد أفصح الوحيُ المبينُ**) من الكتابِ والسنةِ وكذلك الصحفُ الأولى (**عنه**) غايةَ الإفصاحِ، وشرحه الله تبارك وتعالىٰ أكثرَ من شرح بقيةِ الأحكامِ لعِظَم شأن مُتعلَّقهِ، (**فالتمس**) اطلب (**الهديَ المنيرَ منه**) أي من الوحي المبين؛ لأنه لا سبيلَ إلى معرفة ذلك إلاّ منه، ومن خرج عن الوحي مثقال ذرةٍ ضلّ وغوى ولا بد، فإنّا لا نعلم من علم الله سبحانه إلاّ ما علِمنا هو، فنصدّق بما أخبر به عن نفسه وأخبرت به رسلُه عنه كما ننقاد ونسلّم ونمتثل لِما أمرَ، ونجتنب ما نهى عنه وزجرَ، بل إن تأويلَ الأمرِ والنهيِ أخفُّ جرماً من تأويل معاني الربوبيةِ والأسماءِ والصفاتِ، والتكذيبُ بالبعث والنشورِ والوعدِ والوعيدِ دون التكذيب بما أخبر اللَّهُ به عن نفسه من الأسماء الحسنى والصفاتِ العُلى وأخبرتْ عنه به رسلُه من ذلك

(١) يشير المؤلف رحمه الله إلى الحديث الذي أخرجه البخاري في صحيحه (١/٤٥٨ ـ ٤٥٩ رقم ٣٤٩)، ومسلم (١/١٤٨ ـ ١٤٩ رقم ١٦٣) من حديث أنس.

(٢) سيأتي بتمامه في هذا الكتاب، وهو متفق عليه.

مع أن جُرمَ كلٍّ منهما عظيم. أعاذنا الله وجميعَ المسلمين من الزيغ والضلال، آمنا بالله واشهد بأنّا مسلمون.

[وجوب مخالفة أقوال كل مارد مضل زنديق]

(لا تتّبع أقوالَ كلِّ ماردِ غاوٍ مُضلٍّ مارقٍ معاند)
(فليس بعد ردِّ ذا التّبيانِ مثقالُ ذرةٍ من الإيمان)

(لا تتبع) أيها العبدُ **(أقوالَ كلِّ مارد)** على بدعته وزندقته واتّباعِ هواه، **(غاوٍ)** زائغ في دينه مفتونٍ في عقيدته **(مُضل)** لغيره **(مارق)** من الإسلام **(معاند)** لنصوص الكتابِ والسنة وما دلّت عليه، مكذّبٍ بالكتاب وبما أرسل إليه به رسله، **(فليس)** يبقى **(بعد ردِّ ذا التبيانِ)** الذي جاء في الكتاب والسنةِ من الآيات المحكمةِ الصريحةِ والأحاديثِ الثابتةِ الصحيحةِ **(مثقالُ ذرة من الإيمان)** في قلب مَن ردّ ذلك؛ لأن الله تعالىٰ هو الحقُّ وقولُه الحقُّ ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَٰلُ﴾ [يونس: ٣٢]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَيُجَٰدِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوا ءَايَٰتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا﴾ [الكهف: ٥٦]، وقال تعالىٰ: ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِي ءَايَٰتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي الْبِلَٰدِ﴾ [غافر: ٤]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا﴾ [فصلت: ٤٠]، وقال تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَٰتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [النمل].

وهذه الآياتُ يدخل فيها كلُّ مكذبٍ بأي شيءٍ من الكتاب، فكيف إذا كذب بصفات مُنزّل الكتاب، بل جحد أن يكون اللّهُ تعالىٰ تكلم بالكتاب، ألا لعنةُ الله على الظالمين.

فصل

والملاحدةُ في توحيد المعرفةِ والإثباتِ فرقٌ كثيرة وأشياع متفرقةٌ، ولكن رؤوسَهم خمسُ طوائفَ:

(الأولى): سلبيةٌ محضاً يُثبتون إثباتاً هو عينُ النفي، ويصفون الباري تعالىٰ

بصفات العدمِ المحضِ الذي ليس هو بشيء البتةَ، وليس له عندهم حقيقةٌ غيرَ أنهم يقولون هو موجودٌ لا داخلَ العالمِ ولا خارجاً عنه ولا مُبايناً له ولا محايثاً، وليس على العرش ولا غيره، ولا يُثبتون له ذاتاً ولا اسماً ولا صفةً ولا فعلاً، بل ذلك عندهم هو عينُ الشِّرْك، وهذا هو الذي صرّح به غلاةُ الجهمية[1]، وقد كان قدماؤهم يتحاشَون عنه ويتستّرون منه، وكان السلفُ من أئمة الحديثِ يتفرّسون فيهم ذلك، وأنهم يُبْطنونه ولا يبوحون به، وقد قدمنا عن جماعة من السلف قولَهم في الجهمية: إنما يحاولون أن يقولوا ليس في السماء إلٰهٌ يُعبد، ويقول بعضُهم: إنهم يزعُمون أن إلٰهك الذي في السماء ليس بشيء، ولكنه لم يصرح بذلك ويُظْهره إلاّ ابنُ سينا[2] صاحبُ «الإشارات» تلميذُ الفارابي[3]، وهو منسوبٌ إلى أرسطو اليوناني[4]، وهو يرجِع إلى مذهب الدهرية الطبائعية في المعنى، وهو الذي نصره الملحدُ الكبيرُ نصيرُ الشركِ الطُوسيُّ[5] وأشباهُه، قبّحهم الله تعالىٰ.

(الطائفة الثانية): الحُلولية[6] الذين يزعُمون أن معبودَهم في كل مكان بذاته

---

(١) تقدم في هذا الجزء ترجمة مستفيضة للجهمية، فانظره فإنه مفيد.

(٢) هو أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا الحكيم المشهور، ولد سنة (٣٧٠هـ)، اشتغل بالعلوم وحصّل الفنون، وبدأ حياة الإنتاج في سن مبكرة، فترك التصانيف في «الطب» و«المنطق» و«الطبيعيات» و«الإلٰهيات»، وأشهر كتبه «القانون» في الطب، ومن مصنفاته: «الشفاء» في الحكمة، و«النجاة» و«الإشارات». . . توفي سنة (٤٢٨هـ).
قلت: عامله الله بما يستحق.
[وفيات الأعيان (٢/ ١٥٧ ـ ١٦٢)].

(٣) هو أبو نصر الفارابي، محمد بن محمد بن طرخان بن أوزلغ، ولد في فاراب، وانتقل إلى بغداد فنشأ فيها، وألّف بها أكثر كتبه، رحل إلى مصر والشام واتّصل بسيف الدولة، وكان يحسن اللغات الشرقية المعروفة في عصره، ومن كتبه: «الفصوص» و«إحصاء العلوم». . . توفي سنة (٣٣٩هـ).
قلت: عامله الله بما يستحق.
[وفيات الأعيان (٥/ ١٥٣ ـ ١٥٧)].

(٤) أرسطوطاليس: هو أوّل واضع لعلم المنطق كله تقريباً، ويعتبر أكبر فيلسوف يوناني دهري طبائعي.

(٥) إمام أهل الرفض وزير التتار، مدمر بغداد وقاتل المسلمين، عامله الله بما يستحق.

(٦) الحلولية في الجملة عَشْرُ فرقٍ كلُّها كانت في دولة الإسلام، وغرضُ جميعها القصد إلى إفساد القول بتوحيد الله، وتفصيلُ فرقها في الأكثر يرجع إلى غُلاةَ الروافض. . .»، انظر: «الفَرْقُ بين الفِرَق» تأليف: عبد القاهر بن طاهر البغدادي (ص٢٢٨ ـ ٢٣٩).

وينزّهونه عن استوائه على عرش وعُلوّه على خلقه، ولم يصونوه عن أقبح الأماكن وأقذرِها، وهؤلاء هم قدماءُ الجهميةِ الذين تصدّى للرد عليهم أئمّةُ الحديثِ كأحمدَ بن حنبل وغيرِه، ولهذا قال جهمُ بنُ صفوان[(١)] لما ناظره السمنية[(٢)] في ربّه، وحار في ذلك ففكّر وقدّر فقُتل كيف قدَّر ثم قتل كيف قدَّر، فقال: هو هذا الهواءُ الذي هو في كل مكان، وكذلك كان يقول كثيرٌ من أتباعه، ولم يكن هو ولا هُم يريدون ذلك، وإنما كانوا يتوسّلون به إلى السلب المحضِ والتعطيلِ الصِّرْفِ كما فهمه منهم أئمةُ الإسلام رحمهم الله كلما أفصحوا به من نفي أسماءِ الباري وصفاتِه وكلامِه ورؤيتِه في الدنيا والآخرة، وأفعالِه وحكمته وغيرِ ذلك كما تقدم حكايتُه عنهم قريباً وردُّ شبهاتِهم الداحضة.

(الطائفة الثالثة): الاتحاديةُ[(٣)]، وهم القائلون: إن الوجودَ بأسره هو الحقُّ، وأن الكثرةَ وهمٌ، بل جميعُ الأضدادِ المتقابلةِ والأشياءِ المتعارضةِ الكلُّ شيءٌ واحدٌ هو معبودُهم في زعمهم، وهم طائفةُ ابنِ عربيٍّ الطائيّ[(٤)] صاحبِ الفتوحاتِ المكيةِ

---

(١) تقدمت ترجمته.

(٢) تقدم التعريف بها.

(٣) وحدة الوجود عقيدة إلحادية تأتي بعد التشبّع بفكرة الحلول في بعض الموجودات ومفادها أنه لا شيء إلاّ الله وكل ما في الوجود يمثل الله عزّ وجلّ، لا انفصال بين الخالق والمخلوق، وأن وجود الكائنات هو عين وجود الله تعالىٰ ليس وجودها غيره، ولا شيء سواه البتّة، وهي فكرة هندية بوذية مجوسية.
[انظر: «فرق معاصرة» للدكتور: غالب بن علي عواجي (٢/ ٦٨٢ ـ وما بعدها)].

(٤) هو أبو بكر محيي الدين: محمد بن علي بن محمد الحاتمي الطائي الأندلسي، ولد في (مرسية) سنة (٥٦٠هـ)، ونشأ فيها ثم ارتحل وطاف البلدان فجاء بلاد الشام والروم والمشرق ودخل بغداد، وكان يكتب الإنشاء لبعض الملوك في المغرب، اختلف الناس في شأنه فذهبت طائفة إلى أنه زنديق، وقال آخرون: إنه ولي، ولكن يحرم النظر في كتبه. والصحيح أنه اتحادي خبيث، ولم يشتهر أمره وكتبه إلاّ بعد موته لأنه كان منقطعاً عن الناس، إنما يجتمع به آحاد الاتحادية، ولهذا تمادى في أمره ثم فضح وهتك. توفي سنة (٦٣٨هـ).
[انظر: «شذرات الذهب» (٥/ ١٩٠ ـ ٢٠٢)، و«الميزان» (٣/ ٦٥٩ ـ ٦٦٠)، و«طبقات المفسّرين» للداوودي (٢/ ٢٠٤ ـ ٢١٠)، و«نفح الطيب» (٢/ ١٦١ ـ ١٨٤)، و«طبقات المفسرين» للسيوطي (ص٩٨ ـ ٩٩)].

وفصوصِ الحِكَم وغيرهما مما حرّف فيه الكَلم عن مواضعه وتلاعب فيه بمعاني الآياتِ وأتى بكفر لا يُشبه كفرَ اليهودِ الذين قالوا عزيرٌ ابنُ الله، ولا النصارى الذين قالوا المسيحُ ابنُ الله، وقالوا هو الله وقالوا ثالثُ ثلاثةٍ، فإن النصارى وأشباهَهم خصوا الحلولَ والاتحادَ بشخص معين، وهؤلاء جعلوا الوجودَ بأسره على اختلاف أنواعِه وتقابُلِ أضدادِه مما لا يسوِّغُ التلفظُ بحكايته هو المعبودَ، فلم يكفرُ هذا الكفرَ أحدٌ من الناس، وكان هذا المذهبُ الذي انتحله ابنُ عربيٍّ ونظمه ابنُ الفارضِ[1] في تائيته[2] (نظم السلوك)، وأصلُ هذا المذهبِ الملعونِ انتحله ابنُ سبعين[3] عبدُ الحقِّ بنُ إبراهيمَ بنِ محمد بن نصر بنِ محمدِ بنِ نصرِ بنِ محمدِ بنِ قُطبِ الدين أبو محمدٍ المقدسيُّ الرقوطيُّ نسبةً إلى رقوطةَ بلدة قريبةٌ من مُرسيةَ، ولد سنةَ أربعَ عشرةَ وستمائة، واشتغل بعلم الأوائلِ والفلسفةِ فتولد له الإلحادُ من ذلك وصنّف فيه، وكان يعرف السيمياءَ ويلبّس بذلك على الأغبياء من الأمراء والأغنياء، ويزعُم أنه حالٌ من أحوال القوم. وله من المصنفات كتابُ البدو، وكتابُ اللهو.

وقد أقام بمكةَ واستحوذ على عقل صاحبها أبي نُميّ، وجاور في بعض الأوقات بغار حِراءَ يرتجي فيه الوَحْيَ أن ينزِل عليه كما أتى النبيَّ ﷺ، بناءً على ما يعتقده من العقيدة الفاسدةِ من أن النبوّةَ مكتسبةٌ وأنها فيضٌ يفيض على العقل إذا صفا، فما حصل له إلاّ الخزيُ في الدنيا والآخرةِ إن كان مات على ذلك، وكان

---

(١) هو عمر بن علي المعروف بابن الفارض، حدَّث عن القاسم بن عساكر، ينعق بالاتحاد الصريح في شعره، وهذه بلية عظيمة فتدبّر نظمه ولا تستعجل. ولد سنة (٥٧٦هـ)، وتوفي سنة (٦٣٢هـ).
وله ديوان شعر، وأشهر قصائده (التائية) التي تدور حول نظرية وحدة الوجود الإلحادية التي كان يعتنقها.
[الميزان (٣/ ٢١٤ رقم ٦١٧٣)، و«معجم المؤلفين» (٧/ ٣٠١ ـ ٣٠٢)، و«شذرات الذهب» (٥/ ١٤٩ ـ ١٥٤)، و«لسان الميزان» (٤// ٣١٧ ـ ٣١٩).

(٢) هذه التائية تدور حول نظرية وحدة الوجود الإلحادية التي كان يعتنقها ابن الفارض، وانظر الكلام عليها في «كتب ليست من الإسلام» لمحمود مهدي الإستانبولي (ص٦٧ ـ ٧١).

(٣) انظر ترجمته في: «لسان الميزان» (٣/ ٣٩٢)، و«معجم المؤلفين» (٥/ ٩٠ ـ ٩١)، و«شذرات الذهب» (٥/ ٣٢٩ ـ ٣٣٠).

إذا رأى الطائفين حولَ البيت يقول عنهم كأنهم الحميرُ حول المدارِ، وأنهم لو طافوا به كان أفضلَ من طوافهم بالبيت، فالله يحكم فيه وفي أمثاله، وقد نقلت عنه عظائمُ من الأقوال والأفعال. توفي يوم ثمانيةٍ وعشرين من شوالٍ سنة تسعٍ وستين وستمائة.

(الطائفة الرابعة): نُفاة القدر، وهم فِرقتان[١]: فِرقةٌ نفت تقديرَ الخيرِ والشر بالكلية، وجعلت العبادَ هم الخالقين لأفعالهم خيرِها وشرِّها، ولازمُ هذا القولِ أنهم هم الخالقون لأنفسهم؛ لأن في قولهم نَفْيَ تصرّفِ الله في عباده، وإخراجَ أفعالِهم عن خلقه وتقديرِهِ، فيكون تكونُهم من التراب ثم من نطفة ثم من علقةٍ ثم من مضغة إلى آخر أطوار التخليقِ هم بأنفسهم تطوّروا، وبطبيعتهم تخلّقوا، وهذا راجعٌ إلى مذهب الطبائعيةِ الدهريةِ الذين لم يُثبتوا خالقاً أصلاً كما قدمنا مناظرةَ أبي حنيفةَ لبعضهم فأسلموا على يديه.

وفرقة نفت تقديرَ الشرِّ دون الخيرِ، فجعلوا الخيرَ من الله وجعلوا الشرَّ من العبد.

ثم منهم من ينفي تقديرَ الشرِّ من أعمال العبادِ دون تقديرِه في المصائب، ومنهم من غلا فنفى تقديرَ الشرِّ من المصائب والمعايب. وعلى كل حال فقد أثبتوا مع الله تعالىٰ خالقاً، بل جعلوا العبادَ معه خالقين كلَّهم، ونفَوْا أن يكون الله هو المتفردُ بالتصرّف في ملكوته، وهذا راجعٌ إلى مذهب المجوسِ الثّنَويةِ الذين أثبتوا خالقين: خالقاً للخير وخالقاً للشر، قبّحهم الله تعالىٰ.

(الطائفة الخامسة): الجبرية[٢]، الذين يعتقدون أن العبدَ مجبورٌ على أفعاله قسراً ولا فعلَ له أصلاً بل إثباتُ الفعلِ للعبد هو عينُ الشرك عندهم، بل هو كالهاوي من أعلى إلى أسفلَ، وكالسَّعْفة تحرّكها الريحُ، لم يعمل باختياره طاعةً ولا معصية، ولم يكلفه الله وسْعَه، بل حَمّله ما لا طاقةَ له به، ولم يخلُق فيه

---

(١) وهم من المعتزلة، انظر: «فرق معاصرة» (٢/ ٨٢٤)، و«المذاهب الإسلامية» لأبي زهرة (ص١١١ ـ ١١٧)، و«مجموع فتاوى شيخ الإسلام» (٨/ ٢٥٦ ـ ٢٦٢).

(٢) انظر: «الملل والنحل» للشهرستاني (١/ ٩٧) وقد تقدم الكلام عليهم أيضاً في تعريف الجهمية في أوّل هذا الجزء.

اختياراً لأفعاله ولا قدرةَ له عليها، بل الطاعةُ والعصيانُ من الأقوال والأعمالِ هي عندهم عينُ فعلِ الله عزّ وجلّ، فرفعوا اللومَ عن كل كافرٍ وفاسقٍ وعاصٍ، وأنه يعذبهم على نفس فعلِه لا على أعمالهم القبيحة، ثم اعتقدوا أن المعاصيَ التي نهى الله عنها في كتبه وعلى ألسنة رسلِه إذا عَمِلوها صارت طاعاتٍ لأنهم يقولون أطعنا مشيئةَ الله الكونيةَ فينا، بل لم يُثبتوا الإرادةَ الشرعية البتّة، ومن يُثبتُها منهم يقول في الطاعات أطَعْنا الإرادةَ الشرعيةَ، وفي المعاصي التي سماها الله معاصيَ أطعنا الإرادةَ الكونية، وأما هم فلم يُثبتوا معصيةً أصلاً بل أفعالُهم جميعُها حَسَنُها وقبيحُها كلُّها عندهم طاعاتٌ على أصلهم هذا الفاسدِ، وفي ذلك ردٌّ منهم على الله تعالىٰ أمرَه ونَهْيَه ووعدَه ووعيدَه وفرضَه على عباده جهادَ الكفارِ وإقامةَ الحدود، بل في إرساله الرسلَ وإنزاله الكتبَ، فيجب عندهم تعطيلُ الشرائع بالكلية والاحتجاجُ على نفيها بالقدر الكونيّ، ومحاربتُها به وإثباتُ الحجةِ على الله لكل كافرٍ وفاسقٍ وعاصٍ، وهذا كفرٌ لم يسبِقْهم إليه غيرُ إمامِهم إبليسَ اللعينِ؛ إذ يحتج على الله تعالىٰ بحجّتهم هذه فقال: ﴿فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي﴾ [الأعراف: ١٦].

والعجبُ أن هذا المذهبَ المخذولَ موروثٌ عن جهمِ بنِ صفوانَ[(١)] مع تناقضه في إثبات أفعالِ الله عزّ وجلّ، فإنه لا يُثْبت لله تعالىٰ فعلاً يقوم بذاته أصلاً، بل أفعالُه خارجةٌ عنه، قائمةٌ بغيره من المخلوقات، ثم ينقض ذلك بجعله أفعالَ العبادِ أفعالَ الله، وهذا تناقضٌ بيِّنٌ لكل عاقل، فإن الفعلَ إنما يضاف إلى مَن قام به، والقولَ إلى من قاله، وكذا السمعُ والبصرُ والقدرةُ وغيرُها مُحالٌ أن تضافَ إلى غير مَن قامت به، ومحالٌ أن يسمى فاعلاً بدون فعلٍ يقوم به، ولو ذهبنا نعدّ تشعُّبَ الفِرَق من هذه الطوائفِ ولوازمَ كل قولٍ مما انتحلوه لاحتاج إلى كتاب مفرد، وقد أفرد ذلك بالتصنيف غيرُ واحدٍ من الأئمة، وقد قدمنا البعضَ من ذلك وذكرنا أمثلةً من تحريفهم النصوصَ، وسيأتي الكلامُ على الدهرية في الإيمان بالبعث، وعلى نُفاة القدر والغلاةِ فيه في باب القدر، والكلامُ على الخوارج والمُرْجئة والمعتزلة وأشباهِهم في باب الإيمانِ والدين، والكلامُ على الروافض والنواصبِ في باب ذكر الصحابة.

---

(١) تقدم التعريف بهذا الضال مراراً.

وهذه الطوائفُ التي خالفت في توحيد المعرفة والإثباتِ مرجعُها إلى ثلاث: فالحلوليةُ والاتّحاديةُ والسلبيةُ ومَن في معناهم مرجعُهم إلى الطبائعية الدهرية، والقدَريةُ النفاةُ بجميع فِرَقِهم مرجعُهم إلى المجوسِ الثنوية، والجبريةُ الغلاةُ مرجعُهم إلى النزعة الجهميةِ الإبليسية، وقد قدمنا قولَ المؤمنين أتباعِ الرسلِ مبسوطاً بما فيه كفاية.

(فصل) والمخالفون لأهل السنةِ في القرآن سبعُ طوائفَ ذكرهم شيخُ الإسلام ابنُ تيميةَ في المنهاج[1]، وابنُ القيم في الصواعق[2]، وهذا نصُّه، قال رحمه الله تعالىٰ:

(فصل) اختلف أهلُ الأرض في كلام الله تعالىٰ، فذهب **(الاتحادية)** القائلون بوحدة الوجود، أن كلَّ كلامٍ في الوجود كلامُ الله نظمُه ونثرُه وحقُّه وباطلُه سحرُه وكفرُه، والسبُّ والشتمُ والهُجْرُ والفُحْشُ وأضدادُه، كلُّه عينُ كلامِ الله تعالىٰ القائمِ به؛ كما قال عارفُهم:

وكلُّ كلامٍ في الوجود كلامُه ... سواءٌ علينا نثرُه ونِظامُه

وهذا المذهبُ مبنيٌّ على أصلهم الذي أصَّلوه، وهو أن الله سبحانه هو عينُ هذا الوجودِ، فصفاتُه هي صفاتُ الله وكلامُه هو كلامُ الله، وأصلُ هذا المذهبِ إنكارُ مسألةِ المباينة والعلوِّ، فإنهم لما أصَّلوا أن الله تعالىٰ غيرُ مباينٍ لهذا العالمِ المحسوس صاروا بين أمرين لا ثالثَ لهما إلاّ المكابرةَ.

(أحدُهما): أنه معدومٌ لا وجودَ له، إذ لو كان موجوداً لكان إما داخلَ العالم وإما خارجاً عنه، وهذ معلومٌ بالضرورة، فإنه إذا كان قائماً بنفسه فإمّا أن يكون مبايناً للعالم أو محايثاً له، إما داخلاً فيه وإما خارجاً عنه.

(الأمر الثاني): أن يكون هو عينَ هذا العالم، فإنه يصح أن يُقالَ فيه حينئذ أنه لا داخل العالم ولا خارجَه ولا مبايناً له ولا حالاً فيه، إذ هو عينُه، والشيءُ لا يباين نفسَه ولا يحايثُها، فرأَوْا أن هذا خيرٌ من إنكار وجودِه والحكمِ عليه بأنه

---

(١) في «منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية».

(٢) في «مختصر الصواعق» (٢/ ٢٨٦ ـ ٢٩٣).

معدوم، ورأَوْا أن الفِرارَ من هذا إلى إثبات موجودٍ قائمٍ بنفسه لا داخلَ العالم ولا خارجَه ولا متّصلٍ به ولا منفصلٍ عنه ولا مباينٍ له ولاَ محايثٍ ولا فوقه ولا عن يمينه ولا عن يساره ولا خلفه ولا أمامَه، فراراً إلى ما لا يُسيغه عقلٌ ولا تقبله فِطرة ولا تأتي به شريعة. ولا يمكن أن يُقرَّ بربٍّ هذا شأنُه إلاَّ على أحد وجهين لا ثالثَ لهما.

(أحدُهما): أن يكون سارياً فيه حالاً فيه، فهو في كل مكان بذاته، وهو قولُ جميعِ الجهْميةِ الأقدَمين.

(الوجهُ الثاني): أن يكون وجودُه في الذهن لا في الخارج فيكون وجودُه سبحانه وجوداً عقلياً إذ لو كان موجوداً في الأعيان لكان إما عينَ هذا العالمِ أو غيرَه، ولو كان غيرَه لكان إما بائناً عنه أو حالاً فيه وكلاهما باطلٌ، فثبت أنه عينُ هذا العالمِ فله حينئذٍ كلُّ اسمِ حسنٍ وقبيحٍ، وكلُّ صفةِ كمالٍ ونقص، وكلُّ كلامِ حقٍّ وباطلٍ، نعوذ بالله من ذلك.

المذهب الثاني مذهبُ (الفلاسفة) المتأخرين أتباعِ أرسطو، وهم الذين يحكي ابنُ سينا والفارابي والطوسيُّ[1] قولَهم: إن كلامَ الله فيضٌ فاض من العقل الفعّالِ على النفوس الفاضلةِ الزكيةِ بحسب استعدادِها، فأوجب لها ذلك الفيضُ تصوّراتٍ وتصديقاتٍ بحسب ما قبِلَته منه. ولهذه النفوسِ عندهم ثلاثُ قُوىً: قوةُ التصور، وقوةُ التخيل، وقوةُ التعبير. فتُدرك بقوة تصوّرِها من المعاني ما يعجَز عنه غيرُها، وتُدرك بقوة تخيلها شكلَ المعقولِ في صورة المحسوسِ، فتتصوّر المعقولَ صوراً نورانيةً تخاطبها وتكلمها بكلام تسمعه الآذانُ، وهو عندهم كلامُ الله، ولا حقيقةَ له في الخارج، وإنما ذلك كلُّه من القوة الخياليةِ الوهميةِ. قالوا: وربما قَوِيَتْ هذه القوةُ على إسماع ذلك الخطابِ لغيرها، وتشكيلِ تلك الصورِ العقلية لعين الرائي، فيرى الملائكةَ ويسمع خطابَهم، وكلُّ ذلك من الوهم والخيالِ لا في الخارج. فهذا أصلُ هؤلاء في إثبات كلامِ الربِّ وملائكتهِ ورسلِه وأنبيائِه، والأصلُ الذي قادهم إلى هذا عدمُ الإقرارِ بالربِّ الذي عرّفتْ به الرسلُ ودعتْ إليه وهو القائمُ بنفسه

---

(١) تقدم التعريف بهم قريباً.

المباينُ لخلقه العالي فوق سمواتِه فوق عرشِه، الفعّال لما يريد بقُدرته ومشيئتِهِ، العالمُ بجميع المعلوماتِ، القادرُ على كل شيء، فهم أنكروا ذلك كلَّه.

المذهب الثالث: مذهبُ **(الجهمية)** النُفاةِ لصفات الربِّ تعالىٰ القائلين: إن كلامَه مخلوقٌ ومن بعض مخلوقاتِه فلم يقُم بذاته سبحانه، فاتفقوا على هذا الأصلِ واختلفوا في فروعه.

قال الأشعريُّ في كتاب المقالات[1]: اختلفت المعتزلةُ في كلام الله تعالىٰ هل هو جسمٌ أو ليس بجسم، وفي خلقه، على ستة أقاويلَ:

فالفِرْقةُ الأولى منهم يزعُمون أن كلامَ الله جسمٌ وأنه مخلوقٌ وأنه لا شيءَ إلاّ جسمٌ.

والفرقةُ الثانيةُ زعموا أن كلامَ الخلق عرَضٌ وهو حركةٌ لأنه لا عرَضَ عندهم إلاّ الحركةُ، وأن كلامَ الخالِق جسمٌ وأن ذلك الجسمَ صوتٌ منقطعٌ مؤلفٌ مسموعٌ، وهو فعلُ الله وخلقُه وهذا قول أبي الهذيل وأصحابِه. وأحال النظّامُ أن يكون كلامُ الله في أماكنَ كثيرةٍ أو مكانين في وقت واحد وزعم أنه في المكان الذي خُلق فيه.

والفرقة الثالثة من المعتزلة تزعُم أن القرآنَ مخلوقٌ لله وأنه عرَضٌ وأنه يوجد في أماكنَ كثيرةٍ في وقت واحدٍ إذا تلاه تالٍ فهو يوجد مع تلاوته، وإذا كتبه وُجد مع كتابته، وإذا حَفِظه وُجد مع حِفظه، وهو يوجد في الأماكن بالتلاوة والحفظِ والكتابةِ ولا يجوز عليه الانتقالُ والزوال.

والفرقةُ الرابعةُ يزعمون أن كلامَ الله عزّ وجلّ عرَضٌ وأنه مخلوق، وأحالوا أن يوجد في مكانين في وقتٍ واحدٍ، وزعموا أن المكانَ الذي خلقه الله تعالىٰ فيه مُحالٌ انتقالُه وزوالُه منه ووجودُه في غيره، وهذا قولُ جعفرِ بنِ حربٍ وأكثرِ البغداديين.

الفرقةُ الخامسة أصحابُ مَعْمر[2]، يزعُمون أن القرآنَ عرَضٌ، والأعراضُ

---

(١) مقالات الإسلاميين واختلاف المصلّين؛ لأبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري (ص١٩١ ـ ١٩٣) وما بعدها.

(٢) هو معمر بن عباد السلمي أبو عمرو، وعدّه أحمد بن يحيى بن المرتضى في كتابه «طبقات المعتزلة» (ص٥٤) من الطبقة السادسة.

عندهم قسمان: قسمٌ منهما يفعله الأحياءُ، وقسم منهما يفعله الأموات، ومُحالٌ أن يكون ما يفعله الأمواتُ فعلاً للأحياء. والقرآنُ مفعولٌ وهو عرَضٌ، ومُحالٌ أن يكون الله فعله في الحقيقة؛ لأنهم يُحيلون أن تكون الأعراضُ فعلاً لله، وزعموا أن القرآنَ فعلٌ للمحلّ الذي يُسمع منه، إذا سُمع من الشجرة فهو فعلٌ لها، وحيث سُمع فهو فعلُ المحلِّ الذي حلّ فيه.

الفرقةُ السادسةُ يزعمُون أن كلامَ الله عرَضٌ مخلوقٌ وأنه يوجد في أماكنَ كثيرةٍ في وقت واحد، وهذا قولُ الإسكافي[١].

واختلفت المعتزلةُ في كلام الله هل يبقى؟ فقالت فِرقةٌ منهم: يبقى بعد خلْقِه، وقالت فرقةٌ أخرى: لا يبقى، وإنما يوجد في الوقت الذي خلقه الله ثم يُعدم بعد ذلك. وهذا المذهبُ هو من فروع ذلك الأصلِ الباطلِ المخالفِ لجميع كتبِ الله ورسلِه ولصريح المعقولِ والفِطَر من جَحْدِ صفاتِ الربِّ وتعطيلِ حقائقِ أسمائهِ وصفاتِه ونَفْي قيامِ الأفعالِ به، فلما أصَّلوا أنه لا يقوم به وصفٌ ولا فعلٌ كان من فروع هذا الأصلِ أنه لم يتكلم بالقرآن ولا بغيره، وأن القرآنَ مخلوقٌ، وطَرْدُ ذلك إنكارُ ربوبيتِهِ، وإلٰهيّته، فإن ربوبيتَه سبحانه إنما تتحقّق بكونه فعالاً مدبّراً متصرّفاً في خلقه، يعلم ويقرّر ويريد ويسمع ويبصر، فإذا انتفت عنه صفةُ الكلامِ انتفى الأمرُ والنهيُ ولوازمُهما، وذلك ينفي حقيقةَ الإلٰهية، فطَرْدُ ما أصّلوه أن الله سبحانه ليس بربّ العالمين ولا إلٰهٍ، فضلاً عن أن يكون لا ربَّ غيرُه ولا إلٰه سواه.

المذهب الرابع: مذهبُ (الكُلاّبية): أتباعُ عبدِ الله بنِ سعيدِ بنِ كُلاّب[٢]، أن القرآن معنىً قائمٌ بالنفس لا يتعلق بالقُدرة والمشيئة، وأنه لازمٌ لذات الربِّ كلزوم

---

(١) هو محمد بن عبد الله الإسكافي أبو جعفر، أحد المتكلمين من معتزلة البغداديين، له تصانيف معروفة... ومات سنة أربعين ومائتين، «الأنساب للسمعاني» (١/ ١٥٠).

(٢) عبد الله بن سعيد بن كُلاّب، الفقيه أبو محمد البصري، كان يرد على المعتزلة وربما وافقهم.
روى أبو طاهر الذُهلي أنَّ داود بن علي الأصبهاني أخذ الجدل والكلام عنه، وهو وأصحابه كُلاّبيّة لأنه يَجُرّ الخصوم إلى نفسه بفضل بيانه كالكُلاّب.
توفي في حدود الأربعين ومائتين.
[«الوافي بالوفيات» (١٧/ ١٩٨)، و«لسان الميزان» (٣/ ٢٩٠ ـ ٢٩١)].

الحياةِ والعلمِ، وأنه لا يُسمع على الحقيقة، والحروفُ والأصواتُ حكايةٌ له دالّةٌ عليه، وهي مخلوقةٌ، وهو أربعةُ معانيَ في نفسه: الأمرُ، والنهيُ، والخبرُ، والاستفهامُ، فهي أنواعٌ لذلك المعنى القديم الذي لا يُسمع، وذلك المعنى هو المتلوُّ والمقروءُ، وهو غيرُ مخلوقٍ، والأصواتُ والحروفُ هي تلاوةُ العبادِ وهي مخلوقةٌ، وهذا المذهبُ أولُ من يُعرف أنه قال به ابنُ كلّاب وبناه على أن الكلامَ لا بدّ أن يقوم بالمتكلّم، والحروفُ والأصواتُ حادثةٌ فلا يمكن أن تقومَ بذات الربِّ تعالىٰ؛ لأنه ليس محلاً للحوادث، فهي مخلوقةٌ منفصلةٌ عن الربِّ، والقرآنُ اسم لذلك المعنى وهو غيرُ مخلوق.

المذهب الخامس: مذهبُ (الأشعري) ومن وافقه أنه معنىً واحدٌ قائمٌ بذات الربِّ تعالىٰ، لأنه ليس بحرفٍ ولا صوتٍ، ولا ينقسم، ولا له أبعاضٌ، ولا له أجزاءٌ، وهو عينُ الأمر وعينُ النهي وعينُ الخبر وعينُ الاستخبار، الكلُّ واحدٌ، وهو عينُ التوراةِ وعينُ الإنجيلِ والقرآنِ والزبورِ، وكونُه أمراً ونهياً وخبراً واستخباراً صفاتٌ لذلك المعنى الواحدِ لا أنواعَ له، فإنه لا ينقسم بنوع ولا جُزء، وكونُه قرآناً وتوراةً وإنجيلاً تقسيمٌ للعبارات عنه لا لذاته، بل إذا عبر عن ذلك المعنى بالعربية كان قرآناً، وإذا عبّر عنه بالعبرانية كان توراةً، وإن عبّر عنه بالسريانية كان إنجيلاً، والمعنى واحدٌ، وهذه الألفاظُ عبارةٌ عنه ولا يسمّيها حكايةً، وهي خلقٌ من المخلوقات، وعنده لم يتكلم الله بهذا الكلامِ العربيِّ ولا سُمع من الله، وعنده ذلك المعنى سُمع من الله حقيقةً، ويجوز أن يُرى ويُشَم ويُذاقَ ويُلْمَسَ ويُدْرَكَ بالحواس الخمسِ، إذ المصحِّحُ عنده لإدراك الحواسِّ هو الوجودُ، فكلُّ وجودٍ يصح تعلقُ الإدراكاتِ كلِّها به كما قرّره في مسألة رؤيةِ مَن ليس في جهة الرائي، وأنه يُرى حقيقةً، وليس مقابلاً للرائي، هذا قولُهم في الرؤية وذلك قولُهم في الكلام.

والبليةُ العظمى نسبةُ ذلك إلى الرسول ﷺ، وأنه جاء بهذا ودعا إليه الأمة، وأنهم أهلُ الحقِّ ومن عداهم أهلُ الباطل. وجمهورُ العقلاءِ يقولون: إن تصوّرَ هذا المذهبِ كافٍ في الجزم ببطلانه، وهو لا يُتصوّر إلاّ كما تُتصوَّرُ المستحيلاتُ الممتنِعاتُ. وهذا المذهبُ مبنيٌّ على مسألة إنكارِ قيامِ الأفعالِ والأمورِ الاختياريةِ بالربّ تعالىٰ، ويسمّونها مسألةَ حلولِ الحوادثِ، وحقيقتُها إنكارُ أفعالِه وربوبيتِهِ وإرادتِه ومشيئتِهِ.

[التنبيه على أن الأشعري غير الأشعرية]

وأقول ـ والحقُّ يقال ـ لا نشكّ أن ابنَ القيمِ هذا وشيخَه ابنَ تيميةَ رحمهما الله تعالىٰ مِن أعلم من صنف في المقالات والمِلل والنِّحَل، وأدراهم بمواردها ومصادرِها، وأبصرِهم بردِّ الباطِلِ منها وإدحاضِه، وأوفاهم تقريراً لمذهب السلفِ أهلِ السنة والجماعة، وأشدِّهم تمسكاً به ونُصرةً له، وأكملِهم تحريراً لبراهينه عقلاً ونقلاً، وأكثرهم اشتغالاً بهذا البابِ، وتنقيباً عن عامل البِدَعِ فيه، واجتثاثاً لأصولها، ولكن هذا الذي ذكره رحمه الله تعالىٰ عن الأشعري في مسألة القرآنِ، هو الذي وجدناه عمّن ينتسب إلى الأشعري، ويسمّون أنفسَهم أهلَ الحق، ويُقرّون ذلك ويكرّرونه في كتبهم ويناظرون عليه.

وأما أبو الحسنِ الأشعريُّ نفسُه رحمه الله تعالىٰ، فالذي قرّره في كتابه (الإبانة)[1] الذي هو من آخر ما صَنف، هو قولُ أهلِ الحديث، ساقه بحروفه، وجاء به برُمّته، واحتجّ فيه ببراهينهم العقليةِ والنقلية، ثم نقل أقوالَ الأئمة في ذلك كأحمدَ بنِ حنبل، ومالكِ بن أنسٍ، والشافعيِّ وأصحابِه، والحمّادَين والسفيانين، وعبدِ العزيز بنِ الماجشون، والليثِ بن سعدٍ، وهشام، وعيسى بن يونسَ وحفْص بنِ غيّاث، وسعدِ بن عامرٍ، وعبدِ الرحمٰنِ بنِ مهدي، وأبي بكرِ بنِ عياش، ووكيع وأبي عاصمِ النبيلِ، ويَعلى بنِ عُبيد، ومحمدَ بنِ يوسفَ، وبِشْر بنِ المفضل، وعبدِ الله بنِ داود، وسلامِ بن أبي مُطيع، وابنِ المبارك، وعليِّ بن عاصمٍ، وأحمدَ بنِ يونسَ، وأبي نعيم، وقبيصةَ بن عُقبةَ، وسليمانَ بن داودَ، وأبي عبيدِ القاسمِ بنِ سلّام وغيرِهم، ولولا خوفُ الإطالة لسُقنا فصولَ كلامِه بحروفه، فإنه وإن أخطأ في تأويل بعضِ الآياتِ، وأجمل في بعض المواضِع، فكلامُه يدل على أنه مخالفٌ للمنتسبين إليه من المتكلمين في مسألة القرآنِ كما هو مخالفٌ لهم في إثباته الاستواءَ والنزولَ والرؤيةَ، والوجهَ واليدين، والغضبَ والرِّضا وغير ذلك، وقد صرّح في مقالاته بأنه قائلٌ بما قال الإمامُ أحمدُ بن حنبلٍ وأئمةُ الحديث معتقدٌ ما هم عليه، مُثبتٌ لما أثبتوه، مُحرِّم ما أحدث المتكلّمون من تحريف الكَلِمِ عن

---

(١) الإبانة عن أصول الديانة، حققه وخرَّج أحاديثه: العلامة عبد القادر الأرنؤوط.

مواضعه، وصَرْفِ اللفظِ عن ظاهره وإخراجِه عن حقيقته، وبالجملة فبينه وبين المنتسبين إليه بونٌ بعيد. بل هو بريءٌ منهم، وهم منه بَراءٌ، والموعدُ الله وكفى بالله حسيباً، وهو حسبُنا ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله[1].

قال ابنُ القيم رحمه الله تعالىٰ:

المذهبُ السادسُ: مذهبُ (الكرّامية): وهو أنه متعلقٌ بالمشيئة والقدرة، قائمٌ بذات الربِّ تعالىٰ، وهو حروفٌ وأصواتٌ مسموعةٌ، وهو حادثٌ بعد أن لم يكن، فهو عندهم متكلمٌ بقدرته ومشيئتهِ بعد أن لم يكن متكلماً، كما يقول سائرُ فِرَقِ المتكلمين أنه فعلٌ بقدرته ومشيئتهِ بعد أن لم يكن فاعلاً، كما ألزموا به الكرامية في مسألة الكلام، فهو لازمٌ لهم في مسألة الفعل، والكراميةُ أقربُ إلى الصواب منهم، فإنهم أثبتوا كلاماً وفعلاً حقيقةً قائمين بذات المتكلمِ الفاعل، وجعلوا لها أولاً فِراراً من القول بحوادثَ لا أوّلَ لها، ومُنازِعوهم أبطلوا حقيقةَ الكلامِ والفعل، وقالوا لم يقم به فعلٌ ولا كلامٌ البتّة، وأمّا من أثبت منهم معنى قائماً بنفسه سبحانه، فلو كان ما أثبته مفعولاً لكان من جنس الإرادة، والعلمُ لم يكن شيئاً خارجاً عنهما، فهم لم يُثبتوا لله كلاماً ولا فعلاً، وأما الكراميةُ فإنهم جعلوه متكلّماً بعد أن لم يكن متكلماً، كما فعله خصومُهم فاعلاً بعد أن لم يكن فاعلاً.

---

(١) المعروف من حياة أبي الحسن الأشعري أنه مرّت به ثلاثة أدوار:
(الأول) أنه كان مع المعتزلة في البصرة.
(الثاني): يقظته لفساد مذهبهم، لكنه دخل معهم في جدل طويل بأساليبهم وأقيستهم، وقد استمر على ذلك نحو عشرين سنة ألف فيها أكثر كتبه. ومن هذا الجدل مع المعتزلة ومن هذه الكتب نشأ المذهب المنسوب إليه، وهو الذي اضطر شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم إلى إدحاضه والتنبيه على ما يخالف منه مذهب السلف.
(أما الدور الثالث) من حياة الأشعري فهو الذي ختم الله به حياته بالحسنى بعد انتقاله من البصرة إلى بغداد واتّصاله بأهل الحديث وأتباع الإمام أحمد. وفي هذه الحقبة ألف (مقالات الإسلاميين) و(الإبانة)، ولا شكّ أن (الإبانة) من آخر مصنّفاته إن لم تكن آخرها كما نصّ عليه مترجموه. ففي هذين الكتابين مذهبه الذي أراد أن يلقى الله عليه. والذي كان عليه في البصرة هو الذي اشتهر عنه وبقي منسوباً إليه وهو بريء منه كبراءته من الاعتزال الذي كان من رجاله في صدر حياته. (محب الدين الخطيب).
قلت: وانظر مزيداً من ذلك البيان في ترجمته المتقدمة في هذا الجزء.

المذهب السابع: مذهب (السالمية) ومن وافقهم من أتباع الأئمةِ الأربعة وأهلِ الحديث أنه صفةٌ قديمةٌ قائمة بذات الربِّ تعالىٰ، لم يزل ولا يزال لا يتعلق بقدرته ومشيئتهِ، ومع ذلك هو حروفٌ وأصواتٌ وسورٌ وآياتٌ، سمعه جبريلُ منه، وسمعه موسى بلا واسطة، ويُسمِعه سبحانه من يشاء.

وإسماعُه نوعان: بواسطة وبلا واسطة، ومع ذلك فحروفُه وكلماتُه لا يسبِق بعضُها بعضاً، بل هي مقترنةٌ الباءُ مع السين مع الميم في آن واحد، ثم لم تكن معدومةً في وقت من الأوقات، ولا تُعدم، بل لم تزل قائمةً بذاته سبحانه قيامَ صفةِ الحياةِ والسمعِ والبصرِ، وجمهورُ العقلاءِ قالوا إن تصورَ هذا المذهبِ كان في الجزم ببطلانه، والبراهينُ العَقلية والأدلةُ القطعيةُ شاهدةٌ ببطلان هذه المذاهبِ كلها، وأنها مخالفةٌ لصريح العقلِ والنقل.

والعجبُ أنها هي الدائرةُ بين فُضَلاء العالم، لا يكادون يعرفون غيرَها». ثم ذكر رحمه الله تعالىٰ قولَ أتباعِ الرسلِ وأطال على ذلك. ثم مسألةَ تكلُّم العبادِ بالقرآن، وساق فيه كثيراً من كلام البخاري رحمه الله تعالىٰ في (صحيحه)، وفي كتاب (خلق أفعالِ العباد) لأنه من أحسن الأئمةِ توضيحاً وتفصيلاً في هذه المسألةِ لما جرى عليه من المحنة في شأنها. ثم ذكر الكلامَ على حروف المُعجمِ، وساقَ فيه أقوالَ الأئمة، ثم ذكر اللفظيةَ في أثناء ذلك والواقفة. ثم ذكر فصلاً في الكتابة له في الرق وغيرِه، ثم فصلاً في السماع، ثم فصلاً من كلام شيخ الإسلام ابنِ تيميةَ في أول مَن أظهر إنكارَ أن الله سبحانه يتكلم بصوت في أثناء المئة الثالثة ابنُ كلّاب وأنكر عليه ذلك أئمةُ الحديثِ كأحمدَ والبخاريِّ وغيرِهما. وفي غضون هذه الفصولِ أبحاثٌ نفيسةٌ لا يُستغنى عنها، فلتراجَع منه[1].

ثم قال رحمه الله تعالىٰ: «فصل. منشأُ النزاعِ بين الطوائف أن الربَّ تعالىٰ هل يتكلم بمشيئته أم كلامُه بغير مشيئته؟ على قولين، فقالت طائفةٌ كلامُه بغير مشيئتِه واختياره. ثم انقسم هؤلاء أربعَ فِرَقٍ:

قالت فِرقةٌ: هو فيضٌ فاض منه بواسطة العقلِ الفعّال على نفسٍ شريفة، فتكلمت به كما يقول ابنُ سينا وأتباعُه وينسُبونه إلى أرسطو.

---

(١) «مختصر الصواعق» (٢/٢٩٣ ـ ٣٢٩).

وفِرقةٌ قالت: بل هو معنىً قائمٌ بذات الربِّ تعالىٰ هو به متكلمٌ وهو قول الكلاّبية ومن تبعهم. وانقسم هؤلاء فرقتين: فرقةٌ قالت هو معانٍ متعددةٌ في أنفسها أمرٌ ونهيٌ وخبرٌ واستخبار، ومعنىً جامعٌ لهذه الأربعة، وفِرقةٌ قالت بل هو معنىً واحدٌ بالعين لا ينقسم ولا يتبعّض.

وفرقةٌ قالت كلامُه هو هذه الحروفُ والأصواتُ خلقها خارجةً عن ذاته فصار بها متكلماً، وهذا قولُ المعتزلة، وهو في الأصل قولُ الجهميةِ تلقّاه عنهم أهلُ الاعتزالِ، فنُسب إليهم.

وفرقةٌ قالت يتكلم بقدرته ومشيئتِه كلاماً قائماً بذاته سبحانه كما يقوم به سائرُ أفعالِه لكنه حادثُ النوعِ، وعندهم أنه صار متكلماً بعد أن لم يكن متكلماً كما قاله من لم نَصِفْهم من المتكلمين أنه صار فاعلاً بعد أن لم يكن فاعلاً. فقولُ هؤلاء في الفعل المتصلِ كقول أولئك في الفعل المنفصل، وهذا قولُ الكرامية.

وفرقةٌ قالت: يتكلم بمشيئته، وكلامُه سبحانه هو الذي يتكلم به الناسُ كلّه حقُّه وباطلِه وصدقِه وكَذِبه؛ كما يقوله طوائفُ الاتحادية.

وقال أهلُ الحديثِ والسنة أنه لم يزل سبحانه متكلماً إذا شاء يتكلم بمشيئته، ولم تتجدد له هذه الصفةُ، بل كونُه متكلماً بمشيئته هو من لوازم ذاتِه المقدسة، وهو بائنٌ عن خلقه بذاته وصفاتِه، وكلامُه ليس متّحداً بهم ولا حالاً فيهم.

واختلفت الفِرقُ هل يُسمع كلامُ الله على الحقيقة؟ فقالت فرقةٌ: لا يُسمع كلامُه على الحقيقة إنما تسمع حكايتُه والعبارةُ عنه، وهذا قولُ الكلاّبية ومن تَبِعهم، وقالت بقيةُ الطوائفِ بل يُسمع كلامُه حقيقةً.

ثم اختلفوا، فقالت فرقةٌ: يسمعه كلُّ أحدٍ من الله تعالىٰ، وهذا قولُ الاتحادية. وقالت فرقةٌ: بل لا يُسمع إلا من غيره، وعندهم أن موسى لم يسمع كلامَ الله منه، فهذا قولُ الجهمية والمعتزلة.

وقال أهلُ السنةِ والحديثِ: يُسمع كلامُه سبحانه منه تارةً بلا واسطةٍ كما سَمِعه موسى وجبريلُ وغيرُهما وكما يكلم عبادَه يوم القيامة، ويكلِّم أهلَ الجنة، ويكلِّم الأنبياءَ في الموقف، ويُسمع مِن المبلِّغ عنه كما سمع الأنبياءُ الوَحْيَ من جبريلَ تبليغاً عنه، وكما سمع الصحابةُ القرآنَ من الرسول ﷺ عن الله فسمعوا

كلامَ الله بواسطة المبلغ، وكذلك نسمع نحن بواسطة التالي.

فإذا قيل المسموعُ مخلوقٌ أو غير مخلوق؟ قيل: إن أردت المسموعَ عن الله تعالىٰ فهو كلامُه غيرُ مخلوق، وإن أردت المسموعَ من المبلغ ففيه تفصيلٌ إن سألت عن الصوت الذي رُوِيَ به كلامُ الله فهو مخلوق. وإن سألت عن الكلام المؤدّى بذلك الصوتِ فهو غيرُ مخلوق.

والذين قالوا إن الله يتكلم بصوت أربعُ فِرَق: فرقةٌ قالت يتكلم بصوت مخلوقٍ منفصلٍ عنه وهم المعتزلة. وفرقةٌ قالت: يتكلّم بصوت قديم لم يزل ولا يزال وهم السالميةُ والاقترانية. وفرقةٌ قالت يتكلم بصوت حادثٍ في ذاته بعد أن لم يكن وهم الكرّامية.

وقال أهلُ السنة والحديثِ لم يزل الله تعالىٰ متكلماً بصوت إذا شاء. والذين قالوا لا يتكلم بصوت فرقتان: أصحابُ الفيض، والقائلون إن الكلامَ معنىً قائمٌ بالنفس»[1]. انتهى ما أردنا إيرادَه من كلامه رحمه الله تعالىٰ، وقد أودع هذه الأقوالَ وغيرَها في مسألة القرآنِ وغيرِها في نونيّته الشافية الكافية.

وأمّا مذهبُ أتباعِ الرسلِ، فقد قدمنا فيه الشفاءَ الكافيَ من نصوص الكتابِ والسنةِ وأقوالِ سلفِ الأمة بما لا يُحتاج معه إلى غيره، وبالله التوفيق.

تم الجزء الأول ولله الحمد
من كتاب معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول
ويليه الجزء الثاني وأوله
[الفصل الثاني في بيان النوع الثاني من نوعي التوحيد
وهو توحيد الطلب والقصد، وأنه معنى لا إله إلا الله]

---

(١) «مختصر الصواعق» (٢/ ٣٢٩ ـ ٣٣١).

[ال] فصلُ: [الثاني]

في بيان النَّوع الثاني من نوعي التوحيد

وهو توحيدُ الطَّلب والقَصْدِ، وأنه معنى لا إلٰه إلّا الله



(هـذا وثـانـي نـوعَـيِ الـتـوحـيـدِ إفـرادُ ربِّ الـعـرشِ عـن نـديـد)
(أن تَـعـبُـدَ الـلّـهَ إلـهـاً واحـداً مـعـتـرِفـاً بـحـقّـه لا جـاحـداً)

(هذا) أي الأمرُ والإشارةُ إلى ما تقدم من تحقيق النوعِ الأولِ من نوعَي التوحيد[1] (وثاني نوعي التوحيد) هو (إفرادُ ربِّ العرش عن نديد) شريكٍ مساوٍ، وتفسيرُ ذلك هو (أن تعبدَ الله) سبحانه وتعالىٰ (إلهاً) حالٌ من لفظ الجلالةِ (واحداً) **لا شريكَ له في إلٰهيته كما لا شريكَ له في ربوبيته وأسمائِه وصفاتِه**، فإن توحيدَ الإثباتِ هو أعظمُ حجةً على توحيد الطلبِ والقصدِ الذي هو توحيدُ الإلٰهيّة، وبه احتج الله تعالىٰ في كتابه في غير موضعٍ على وجوب إفرادِه تعالىٰ بالإلٰهية لتلازُم التوحيدين، فإنه لا يكون إلهاً مستحِقاً للعبادة إلاّ مَن كان خالقاً رازقاً مالكاً متصرِّفاً مدبّراً لجميع الأمور، حياً قيّوماً سميعاً بصيراً عليماً حكيماً موصوفاً بكل كمالٍ منزَّهاً عن كل نقص، غنياً عمّا سواه، مفتقراً إليه كلُّ ما عداه، فاعلاً مختاراً لا مُعقّبَ لحكمه ولا رادَّ لقضائه، ولا يُعْجِزُه شيءٌ في السماوات ولا في الأرض، ولا يعزُب عنه مثقالُ ذرةٍ في السماوات ولا في الأرض، ولا تخفى عليه خافية، وهذه صفاتُ الله عزّ وجلّ، لا تنبغي إلاّ له، ولا يُشرِكُه فيها غيرُه.

فكذلك لا يستحق العبادةَ إلاّ هو ولا تجوز لغيره، فحيث كان متفرّداً بالخلق والإنشاءِ والبدءِ والإعادةِ لا يُشركه في ذلك أحدٌ وجب إفرادُه بالعبادة دون من سواه، لا يُشرَك معه في عبادته أحدٌ؛ كما قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة]، وقال تبارك وتعالىٰ: ﴿قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ

(١) تقدم النوع الأول في الجزء الأول.

﴿فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٣٢﴾﴾ إلى قوله: ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [يونس].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾﴾ [يونس].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤].

وقال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰٓ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِندَهُۥ ثُمَّ أَنتُمْ تَمْتَرُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾﴾ [الأنعام].

وقال تعالى: ﴿۞ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [الأنعام].

وقال تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ ۚ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ ﴿١٦٥﴾﴾ [الأنعام: ١٦٤ ـ ١٦٥] إلى آخرها.

وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾﴾ [الرعد].

وقال تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾ يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٤﴾﴾ إلى قوله: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾﴾ [النحل] إلى آخر السورة.

وقال تعالى: ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَٰمَكُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلنُّهَىٰ ﴿٥٤﴾﴾ [طه]، وقال تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الأنعام].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [يونس: ١٢]، وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ ۙ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾

﴿فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم ۖ مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [يونس]، وقال تعالىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنبياء].

وقال تبارك وتعالىٰ: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ بَلْ أَتَيْنَٰهُم بِٱلْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [المؤمنون].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٣﴾ يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٤﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ ۚ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾﴾ [النور].

وقال تعالىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَمْ أَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩﴾﴾ [الشعراء]، وقال تعالىٰ: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾﴾ إلى قوله: ﴿أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [النمل: ٦٤]. وقال تعالىٰ: ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [العنكبوت].

وقال تعالىٰ: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [العنكبوت: ٦٥]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾﴾ إلى قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾﴾ [لقمان] إلى آخر السورة.

وقال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾﴾ [الحج].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ ﴿١٧﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْءَاكِلِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ

﴿لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [المؤمنون].

وقال تعالىٰ: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ [السجدة: ٤] إلى آخر الآيات. وقال تعالىٰ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١﴾ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾ [سبأ]، وقال تعالىٰ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ مَّا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾ [فاطر].

وقال تعالىٰ: ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [الروم] إلى آخر الآيات. وقال تعالىٰ: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَٰلِكَ النُّشُورُ ﴿٩﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ إلى قوله: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ﴾ [فاطر] إلى آخر الآيات، بل إلى آخر السورة.

وقال تعالىٰ: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الروم: ٤٠]، وقال تعالىٰ: ﴿۞ وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ

أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ﴾ [الزمر: ٨]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الزمر: ٣٨]، وقال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾ كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [غافر] إلى آخر الآيات.

وقال تعالىٰ: ﴿۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾﴾ [فصلت].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠﴾ وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾ وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا۟ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾﴾ [الزخرف] الآيات.

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [الزخرف: ٨٧]، وغير ذلك من الآيات التي يقرّر الله تعالىٰ فيها ربوبيّته ويمتنُّ بنعمه وتفرّده بأنواع التصرفات.

وعُبّادُ الأوثانِ يُقِرّون بها لله عزّ وجلّ، ويُقِرّون بأن أوثانَهم التي يدعون من دونه مخلوقةٌ لا تملك لأنفسها ولا لعابديها ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياة ولا نُشوراً، ولا تَسمع ولا تُبصر ولا تُغني عنهم شيئاً، ويُقِرّون أن الله هو المتفرّدُ بالخلق والرزقِ والضُرِّ والنفع والتقدير والتدبير وأنواع التصرفات، ليس إليهم ولا

إلى أوثانهم من ذلك شيءٌ، بل هو الخالقُ وما عداه مخلوقٌ، وهو الربُّ وما عداه مربوبٌ، غير أنهم جعلوا له من خلقه شركاءَ سوّوْهم به في استحقاق العبادةِ وأنكروا أن يكون تفرّدَ بها، وقالوا لمن قال لهم قولوا لا إلٰه إلاّ الله: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾ [صَ: ٥]، فألزمهم الله تعالىٰ بما أقرّوا به من التفرّد بالربوبية أن يعملوا بمقتضى ذلك ويلتزموا لازمَه من توحيدْ الإلٰهية، وأن يكفُروا بما اتخذوا من دونه، كما أقرّوا بعجزهم وعدمِ اتّصافِهم بشيء يستحقون به العبادةَ. بل هم أقلُّ وأذلُّ وأحقرُ وأعجزُ عن أن يخلُقوا ذباباً أو أن يستنقذوا منه شيئاً سَلَبه.

ومن تدبّر هذه الآياتِ التي ذكرنا وما في معناها حقَّ التدبرِ علم يقيناً أن عُبّادَ الأوثانِ مُقِرّون بتوحيد الربوبيةِ وشاهدون بتفرد الله بذلك، وأنهم إنما أشركوا بالله تعالىٰ في الإلٰهية حيث عبدوا معه غيرَه، هذا في الظاهر وإلاّ فأنواعُ التوحيد متلازمةٌ، من أشركَ غيرَ الله معه في شيء منها فقد أشركَ فيما عداه كما سيأتي إن شاء الله تعالىٰ بيانه في بيان الشركِ.

ومما يقدّر ذلك غايةَ التقديرِ حديثُ عِمرانَ بنِ حُصينٍ[1] رضي الله عنهما أن النبيَّ ﷺ قال لأبيه حصينٍ قبل إسلامِه: «**كم تعبُد اليوم من إله؟**»، قال: سبعةَ آلهةَ، ستةً في الأرض وواحداً في السماء. قال ﷺ: «**فمن تُعِدّ لرغبتك ورهبتِك**»؟ قال: الذي في السماء. وتقدم أيضاً في هذه الآية أنهم إنما كان شركُهم بالله في إلٰهيّته في حالة الرخاء.

وأمّا في الشدة، فكانوا يُخْلِصون الدينَ لله لعلمهم أنه لا يقدر على كشف ما هم فيه غيرُه، وأن آلهتَهم لا تضرُّ ولا تنفع ولا تستطيع شيئاً؛ كما قال تعالىٰ: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا۟ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾﴾ [العنكبوت].

وما في معانيها من الآيات مما ذكرنا، ومما لم نذكر.

---

(١) **وهو حديث ضعيف.**
أخرجه الترمذي (٥/٥١٩ رقم ٣٤٨٣).
قال الترمذي: هذا حديث غريب، وقد روي هذا الحديث عن عمران بن حُصين من غير هذا الوجه.
وأورده الذهبي في «العلو» (ص٢٤) وقال: **شبيب ضعيف**، وضعّفه الألباني.

والمقصودُ أن الربوبيةَ والإلٰهية متلازمان لا ينفكّ نوعٌ منهما عن الآخر، وأن توحيدَ الربوبيةِ لم يُنكره أحدٌ إلاّ مكابرةً كفرعونَ ونمرودَ، والثَّنويةُ الذين اعتقدوا للوجود خالقين اثنين، تعالىٰ الله عمّا يقول الظالمون والجاحدون علوّاً كبيراً.

(معترفاً) حال من فاعلِ تعبُدَ **(بحقّه)** تعالىٰ عليك وعلى جميع عبادِه **(لا جاحداً)** وحقّهُ عليك أن تعبدَه لا تُشرك به شيئاً؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَٱعْبُدُوا ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ [النساء: ٣٦]، وقال: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣]، وقال تعالىٰ: ﴿أَنِ ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [المؤمنون: ٣٢]، وغيرُها من الآيات سنذكر ما تيسّر منها قريباً إن شاء الله تعالىٰ.

وفي الصحيحين[١] عن معاذ بن جبلٍ رضي الله عنه قال: كنت رديفَ النبيِّ ﷺ على حمار، فقال لي: «**يا معاذ، أتدري ما حقُّ الله تعالىٰ على العباد، وما حقُّ العبادِ على الله؟**»، قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «**حق الله على العباد أن يعبُدوه ولا يُشركوا به شيئاً، وحقُّ العبادِ على الله أن لا يعذبَ من لا يشركُ به شيئاً**»، الحديث.

[توحيد الإلٰهية أرسل الله به الرسل]

(وهو الذي به الإلٰهُ أرسلا ... رُسُلَه يَدعون إليه أولا)

(وأنزل الكتابَ والتِّبيانا ... من أجله وفَرقَ الفُرقانا)

(وهو) أي توحيدُ الإلٰهيّة **(الذي به الإلٰهُ)** عزّ وجلّ **(أرسلا رسلَه)** من أولهم إلى آخرهم **(يدعون إليه أوّلاً)** قبلَ كلِّ أمرٍ، فلم يدعوا إلى شيءٍ قبله، فهم وإن اختلفت شرائعُهم في تحديد بعضِ العباداتِ والحلالِ والحرامِ لم يختلفوا في الأصل الذي هو إفرادُ الله سبحانه بتلك العباداتِ افترقتْ أو اتّفقت، لا يُشرَك معه فيها غيرُه؛ كما قال ﷺ: «**نحن معاشرَ الأنبياءِ أولادُ عَلاّتٍ، دينُنا واحدٌ**»[٢]، وقد

---

(١) البخاري (١٣/٣٤٧ رقم ٧٣٧٣)، ومسلم (١/٥٨ رقم ٣٠).

(٢) البخاري (٦/٤٧٧ رقم ٣٤٤٢)، ومسلم (٤/١٨٣٧ رقم ٢٣٦٥) من حديث أبي هريرة.

* أولاد علات: قال العلماء: أولاد العلاّت هم الإخوة لأب من أمّهات شتى.

وأما الإخوة من الأبوين فيقال لهم: أولاد الأعيان.

قال جمهور العلماء: معنى الحديث: أصل إيمانهم واحد وشرائعهم مختلفة، فإنهم متفقون في أصول التوحيد، وأما فروع الشرائع فوقع فيها الاختلاف. =

أخبر الله عزّ وجلّ عن اتفاق دعوةِ رسلِه إجمالاً وتفصيلاً، فقال تعالىٰ: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ﴾ [الشورى: ١٣]، وهؤلاء هم أولو العزم من الرسل: نوحٌ وإبراهيم وموسى وعيسى ونبيُّنا محمدٌ ﷺ، وكذلك بقية الرسل.

وقال تعالىٰ: ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ [الزخرف: ٤٥]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾، [الأنبياء: ٢٥]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ﴾ [النحل: ٣٦].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّۦنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴿١٦٣﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴿١٦٤﴾ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾﴾ [النساء].

وفي الصحيح(١) عن المغيرة رضي الله عنه قال: قال سعدُ بنُ عُبادةَ رضي الله عنه: لو رأيتُ رجلاً مع امرأتي لضربتهُ بالسيف غير مُصْفَح، فبلغ ذلك النبيَّ ﷺ، فقال: «**تعجبون من غيرة سعدٍ، والله لأنا أغيرُ منه، والله أغيرُ مني، ومن أجل غيرة الله حرم الفواحشَ ما ظهر منها وما بطن. ولا أحدَ أحبُّ إليه العذرُ من الله، ومن أجل ذلك بعث المبشرين والمنذرين. ولا أحدَ أحبُّ إليه المدحةُ من الله، ومن أجل ذلك وعدَ الله الجنّة**».

وأمّا في مقامات التفصيل، فقال تعالىٰ: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: ٥٩] إلى آخر الآيات، وقال تعالىٰ: ﴿۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ٦٥] إلى آخر الآيات، وقال تعالىٰ: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ

= ❊ ديننا واحد: المراد به أصول التوحيد، وأصل طاعة الله تعالىٰ وإن اختلفت صفتها، وأصول التوحيد والطاعة جميعاً.

(١) تقدم تخريجه.

أَخَاهُمْ صَٰلِحًاۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ [الأعراف: ٧٣] إلى آخر الآيات، وقال تعالىٰ: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًاۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ﴾ [الأعراف: ٨٥] إلى آخر الآيات.

وقال تعالىٰ: ﴿۞ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّىۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّىۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [الأنعام].

وهذا في مقام مناظرته (عليه الصلاة والسلام) لعُبَّاد الكواكبِ على سبيل الاستدراج أوِ التوبيخ ليبينَ لهم سخافتَهم وجهلَهم وضعْفَ عقولِهم في عبادتهم هذه الكواكبَ المخلوقةَ لحكمة الله عزّ وجلّ، المسخَّرةَ بقدرته، وغفْلَتهم عن خالقها ومُسخِّرِها والمتصرِّفِ فيها، وترْكِهم عبادتَه، أو إشراكهم معه فيها غيرَه عزّ وجلّ، فلما أقام عليهم الحجةَ: ﴿قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾ إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔاۗ وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًاۗ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًاۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام]، أي: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ يعني صدّقوا ووحّدوا ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ أي شِرك؛ إذ هو الظلمُ الذي لا يغفره الله عزّ وجلّ.

وفي الصحيح[(١)] عن عبد الله بن مسعودٍ ﷺ قال: لما نزلت: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢]، قال أصحابُ رسول الله ﷺ: أيُّنا لم يظلم نفسَه؟ فأنزل الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾

---

(١) البخاري (١/ ٨٧ رقم ٣٢)، ومسلم (١/ ١١٤ ـ ١١٥ رقم ١٢٤).

[لقمان: ١٣]، فالذين آمنوا الإيمانَ التامَّ الذي لم تَشُبْه شوائبُ الشِّركِ الأكبرِ المنافي لجميعه، ولا الشركُ الأصغرُ المنافي لكماله، ولا معاصي الله المُحبطةُ لثمراته من الطاعات، فأولئك لهم الأمنُ التامُّ من خِزْي الدنيا وعذاب الآخرة، والاهتداء التامُّ في الدنيا والآخرة.

وبحسب ما ينقُص من الإيمان ينقص من الأمن والاهتداءِ، فباجتناب الشركِ الأكبرِ والأصغرِ يحصُل مطلقُ الأمنِ والاهتداء، وباجتناب المعاصي يحصل تمامُهما.

ثم قال تعالىٰ: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ٨٣]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا۟ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَتَٱللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَٰمَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾ قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا۟ فَأْتُوا۟ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوٓا۟ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَجَعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ نُكِسُوا۟ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الأنبياء] إلى آخر الآيات.

وقال تعالىٰ: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا۟ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَفَرَءَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمُ ٱلْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾﴾ [الشعراء].

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا۟ عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوٓا۟ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾﴾ [الصافات] إلى آخر الآيات.

وقال تعالىٰ: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾﴾ [مريم]، فبيّن لأبيه أن آلهته لا تسمع ولا تُبصر ولا تضرُّ ولا تنفع ولا تقدِر على جلب خيرٍ ولا دفعِ شرٍّ، ولا تُغني عنه شيئاً.

فتبيّن بذلك أن عبادةَ مثلِ هذا جهلٌ وضلالٌ، ثم بيَّن له أن عنده دواءَ ذلك الداءِ، والهدى من ذلك الضلال فقال تعالىٰ: ﴿إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا﴾ [مريم: ٤٣]، وبيَّن أن فعلَه ذلك عبادةٌ للشيطان، موجبٌ لعذاب الرحمٰنِ وولاية الشيطان، عياذاً بالله من ذلك. وقال تعالىٰ: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾﴾ [العنكبوت] إلى آخر الآيات.

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾، [الزخرف].

وقال تعالىٰ عن يوسف عليه السلام: ﴿إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا

تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ [يوسف] الآيات وغيرها.

وكذلك قصّ الله تعالىٰ علينا عن جميع الرسلِ من نوح إلى محمد ﷺ، فقال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرَدُّوٓا۟ أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓا۟ إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴿٩﴾ ۞ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [إبراهيم]، الآيات.

ولو ذهبنا نذكر قصصَ الرسلِ ومحاورتَهم مع قومهم وعواقبَ ذلك لطال الفصلُ.

وأما نبيُّنا محمد ﷺ وسيرتُه في قومه وصبرُه على أذاهم وما جرى له معهم فأجلى من الشمس في نحر الظهيرة، والقرآنُ كلُّه من فاتحته إلى خاتمته في شأن ذلك.

[من أجل توحيد الإلٰهية أنزل الله الكتب]

(وأنزل) الله عزّ وجلّ **(الكتاب)** اسمُ جنسٍ لكل كتابٍ أنزله الله عزّ وجلّ على رسله وأشهرُها الأربعةُ، وهي:

التوراة: على موسى موعظةً وتفصيلاً لكل شيء.

والإنجيل: على عيسى فيه هدىً ونورٌ ومصدّقاً لما بين يديه من التوراة وهدىً وموعظةً للمتقين.

والزَّبورُ: على داود الذي كان إذا قرأه أوَّبتْ معه الجبالُ والطيرُ.

والقرآنُ: المنزّلُ على نبيّنا محمدٍ ﷺ بالحقّ مصدّقاً لما بين يديه من الكتاب ومُهيمناً عليه.

(والتبيانا) من عطف التفسيرِ الذي هو أعمُّ من المفسَّر، لأن التبيانَ منه المتعبَّدُ بتلاوته والعملُ به وهو الكتابُ. ومنه المتعبَّدُ بالعمل به فقط وهو السنةُ وما في معناها.

(من أجله) أي من أجل التوحيدِ (وفَرَق الفرقانا)؛ إذ يقول تعالىٰ: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾ [الإسراء: ١٠٦]، الآيات.

وسنذكر إن شاء الله تعالىٰ أصلَ عبادةِ الأصنام وغيرِها في فصل بيانِ ضدِّ التوحيدِ الذي هو الشركُ، وبالله التوفيق.

[أمر الله رسوله بقتال من تولى عنه وأبى]

(وكلفَ اللَّهُ الرسولَ المجتبى	قتالَ مَن عنه تولى وأبى)
(حتى يكونَ الدينُ خالصاً له	سراً وجهراً دِقُّه وجِلُّه)
(وهكذا أمّتُه قد كُلّفوا	بذا وفي نص الكتابِ وُصِفوا)

(وكلف الله) تعالىٰ أي أمرَ أمْرَ افتراضٍ (الرسول المجتبى) نبيَّنا محمداً ﷺ (قتالَ) مفعولُ كلف الثاني (من عنه) عن التوحيد (تولّى وأبى) أي أعرض وامتنع (حتى) غايةٌ للقتال (يكونَ الدينُ خالصاً له) أي الله عزّ وجلّ (سراً وجهراً) لا معارضَ له ولا مُشاقَّ (دقُّه وجلُّه) أي قليلُ العبادة وكثيرُها وصغيرُها وكبيرُها.

قال الله تبارك وتعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ٧٣] الآية. وقال تعالىٰ: ﴿فَقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَٱللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا﴾ [النساء: ٨٤]، وقال تعالىٰ: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ١٩٣].

وقال تعالىٰ: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُوا۟ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٤٠﴾﴾ [الأنفال]، وقال تعالىٰ: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن

تَابُوا﴾ [التوبة: ٥]، يعني رجعوا عن الشرك إلى التوحيد، ﴿وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا الزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ٥]، وغيرُ ذلك من الآيات في البقرة وآلِ عمرانَ والنساء والأنفالِ والتوبة والقتالِ والحديدِ والصف وغيرها.

وقال ﷺ: «**أُمرتُ أن أقاتلَ الناسَ حتى يشهدوا أن لا إلٰه إلاّ الله وأني رسولُ الله، ويُقيموا الصلاةَ ويؤتوا الزكاةَ، فإذا فعلوا ذلك عصَموا مني دماءَهم وأموالَهم إلاّ بحق الإسلام وحسابُهم على الله عزّ وجلّ**»، الحديث في الصحيح[1].

ولو ذهبنا نذكر آياتِ الجهاد وأحاديثَه لطال الفصلُ، وليس هذا موضعَ بسطِها.

(**وهكذا**) كما كُلِّف ﷺ بجهاد الكفارِ (**أمتُه**) المستجيبون له (**قد كُلفوا بذا**) أي الذي كُلّف به (**وفي نصّ الكتاب**) القرآنِ (**وُصِفوا**) أي بذلك؛ كما قال تعالىٰ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾ [الفتح:

---

(١) **وهو حديث متواتر له طرق عن أبي هريرة رضي الله عنه.**
١ ـ سعيد بن المسيب عنه،
أخرجه مسلم (١/ ٥٢ رقم ٢٣/ ٢١)، والنسائي (٦/ ٤ ـ ٥، ٦، ٧)، وابن حبان (١/ ٢٢٠ رقم ٢١٨)، والطبراني في «الأوسط» (٢/ ١٥٨ رقم ١٢٩٤)، والطحاوي في «شرح المعاني» (٣/ ٢١٣)، وابن منده في «الإيمان» (١/ ١٦٢ رقم ٢٣) و(١/ ٣٥٩ رقم ١٩٩) و(١/ ٣٦٠ رقم ٢٠٠) من طريق الزهري عنه.
قال ابن منده (١/ ١٦٣): «هذا حديث غريب من حديث الزهري، عن سعيد، عن أبي هريرة، رواه جماعة عنه غير يونس، فيهم مقال».
٢ ـ عبيدُ اللَّهِ بنُ عبد الله بن عتبة، عنه:
أخرجه البخاري (٣/ ٢٦٢ رقم ١٣٩٩) و(١٢/ ٢٧٥ رقم ٦٩٢٤) و(١٣/ ٢٥٠ رقم ٧٢٨٤ و٧٢٨٥)، ومسلم (١/ ٥١ رقم ٣٢/ ٢٠)، وأبو داود (٢/ ١٩٨ رقم ١٥٥٦)، والنسائي (٥/ ١٤ ـ ١٥) و(٦/ ٥)، والترمذي (٥/ ٣ رقم ٢٦٠٧)، **وقال: حديث حسن صحيح.**
وأحمد (٢/ ٤٢٣، ٥٢٨)، وأبو عبيد في «الأموال» (ص٢٣ رقم ٤٤، ٤٦)، والطبراني في «الأوسط» (١/ ٥١٢ رقم ٩٤٥)، وابن منده في «الإيمان» (١/ ١٦٤ رقم ٢٤) و(١/ ٣٨٠ رقم ٢١٥) و(١/ ٣٨٢ رقم ٢١٦) من طريق الزهري عنه.
قال ابن منده: (١/ ١٦٥): «هذا إسناد مجمع على صحته، من حديث الزهري، وعنه مشهور».
وانظر باقي الطرق في تخريج «إرشاد النقاد إلى تيسير الاجتهاد» للصنعاني (ص٦٦ ـ ٦٨ بتحقيقنا).

٢٩] الآية، وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ﴾ [المائدة: ٥٤]، والآيات قبلها وبعدها.

ولو لم يكن في ذلك إلاّ قول ربّي عزّ وجلّ: ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١١١]، لكانت هذه الآيةُ كافيةً في نعش القلوب وتهييج النفوسِ وتشويقِها وحَمْلِها على تلك البَيْعةِ الرابحة التي لا خطرَ لها ولا يُحاط بعِظَم فَضْلِها، والله المستعان.

[فضل شهادة أن لا إله إلاّ الله]

(وقد حَوَتْه لفظةُ الشهادَةْ	فَهْيَ سبيلُ الفوزِ والسعادَةْ)
(من قالها معتقِداً معناها	وكان عاملاً بمقتضاها)
(في القول والفعلِ ومات مؤمنا	يُبعث يومَ الحشرِ ناجٍ آمنا)

(وقد حَوَتْه) أي جمعَتْه واشتملت عليه (لفظةُ الشهادة) أي شهادةِ أن لا إلٰهَ إلاّ الله (فهي) أي هذه الكلمةُ (سبيلُ الفوز) بدخول الجنةِ والنجاةِ من النار، قال الله عزّ وجلّ: ﴿فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَۗ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

(و) هي سبيلُ (السعادة) في الدارين أي طريقُهما لا وصولَ إليهما إلاّ بهذه الكلمةِ، فهي الكلمةُ التي أرسل الله بها رسلَه وأنزل بها كتبَه، ولأجلها خُلقت الدنيا والآخرةُ والجنةُ والنار، وفي شأنها تكون الشقاوةُ والسعادةُ، وبها تُؤخذ الكتبُ باليمين أو الشمال، ويَثْقل الميزانُ أو يخِفُّ، وبها النجاةُ من النار بعد الورودِ، وبعدم التزامها البقاءُ في النار وبها أخذ الله الميثاقَ، وعليها الجزاءُ والمحاسبة وعنها السؤالُ يوم التلاقِ؛ إذ يقول تعالىٰ: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسۡـَٔلَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ٩٢ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٩٣﴾ [الحجر]، وقال تعالىٰ: ﴿فَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرۡسِلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَنَسۡـَٔلَنَّ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ [الأعراف: ٦].

فأمّا سؤالُه تعالىٰ الذين أُرسل إليهم ـ يوم القيامة ـ فمنه قولُه تعالىٰ: ﴿وَيَوۡمَ

﴿يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: ٦٥]، والآياتُ قبلها وبعدها وغيرُ ذلك.

وأمّا سؤالُه المرسلين، فمنه قولُه تعالىٰ: ﴿۞ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١٠٩]، وغيرُ ذلك من الآيات.

وهي أعظمُ نعمةٍ أنعم الله عزّ وجلّ بها على عباده أنْ هداهم إليها، ولهذا ذكرها في سورة النحلِ التي هي سورةُ النِّعَم، فقدمها أولاً قبل كلِّ نعمةٍ، فقال تعالىٰ: ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓا۟ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ﴾ [النحل: ٢].

وهي كلمةُ الشهادة ومفتاحُ دارِ السعادة، وهي أصلُ الدينِ وأساسُه ورأسُ أمرِه وساقُ شجرتِه وعَمودُ فُسطاطِه وبقيةُ أركانِ الدين وفرائضِه متفرِّعةٌ عنها، مُتشعِّبةٌ منها، مُكمّلاتٌ لها، مقيَّدةٌ بالتزام معناها والعملِ بمقتضاها، فهي العُروةُ الوثقى التي قال الله عزّ وجلّ: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾ [البقرة: ٢٥٦].

قاله سعيدُ بنُ جبيرٍ[(١)] والضحاك[(٢)]، وهي العهدُ الذي ذكر الله عزّ وجلّ؛ إذ يقول: ﴿لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾ [مريم: ٨٧]، قال ذلك عبدُ الله بنُ عباس[(٣)] رضي الله عنهما قال: هو شهادةُ أن لا إله إلاّ الله، والبراءةُ من الحول والقوةِ إلاّ بالله، وأنْ لا يرجوَ إلاّ الله عزّ وجلّ. وهي الحسنى التي قال الله عزّ وجلّ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧﴾ [الليل] الآيات.

---

(١) أخرجه ابن جرير الطبري في «جامع البيان» (٥/ ٤٢١ رقم ٥٨٥٠ و٥٨٥١) شاكر.
وأبو السوداء، هو «عمرو بن عمران النهدي» ثقة.

(٢) أخرجه ابن جرير الطبري في «جامع البيان» (٥/ ٤٢٢ رقم ٥٨٥٢) شاكر.

(٣) أخرجه ابن جرير الطبري في «جامع البيان» (٩/ج١٦/ ١٢٨) من رواية علي بن أبي طلحة عنه، وروايته عنه منقطعة. انظر تفسير ابن كثير (٣/ ١٤٥).

قاله أبو عبدِ الرحمٰن السّلميُّ[1] والضحاك[2]، ورواه عطيةُ عن ابن عباس[3] وهي كلمةُ الحقِّ التي ذكر الله عزّ وجلّ؛ إذ يقول تعالى: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف: ٨٦]، قال ذلك البغويّ[4]. وهي كلمةُ التقوى التي ذكر الله عزّ وجلّ؛ إذ يقول: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾ [الفتح: ٢٦].

روى ذلك ابنُ جرير[5] وعبد الله بنُ أحمد[6] والترمِذيُّ[7] بأسانيدهم إلى أُبيّ بنِ كعبٍ رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ، وهي القولُ الثابتُ الذي ذكر الله عزّ وجلّ؛ إذ يقول تعالىٰ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

أخرجاه في الصحيحين[8] عن البراء بن عازبٍ رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ.

وهي الكلمةُ الطيبةُ المضروبةُ مثلاً قبل ذلك؛ إذ يقول تعالىٰ: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ﴾ [إبراهيم: ٢٤]، قاله

---

(١) أخرجه ابن جرير الطبري في «جامع البيان» (١٥/ج٣٠/ ٢٢٠)، وانظر تفسير ابن كثير (٤/ ٥٥٣).

(٢) أخرجه ابن جرير الطبري في «جامع البيان» (١٥/ج٣٠/ ٢٢٠)، وانظر تفسير ابن كثير (٤/ ٥٥٣).

(٣) أخرجه ابن جرير الطبري في «جامع البيان» (١٥/ج٣٠/ ٢٢٠).
وقال البغوي في «معالم التنزيل» (٨/ ٤٤٥): «وصدق بالحسنى» قال أبو عبد الرحمٰن والضحاك: وصدق بلا إلٰه إلاّ الله، وهي رواية عطية ـ العوفي ـ عن ابن عباس» اهـ.
قلت: عطية العوفي: ضعيف، انظر: «المجروحين» (٢/ ١٧٦)، و«الجرح والتعديل» (٦/ ٣٨٢)، و«التقريب» (٢/ ٢٤)، و«لسان الميزان» (٧/ ٣٠٦).

(٤) في «معالم التنزيل» (٧/ ٢٢٤).

(٥) في «جامع البيان» (١٣/ج٢٦/ ١٠٤).

(٦) في «زوائد المسند» (٥/ ١٣٨).

(٧) في «السنن» (٥/ ٣٨٦ رقم ٣٢٦٥) وفي سنده: ثوير بن أبي فاختة، وهو ضعيف. قال الترمذي: «هذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعاً إلاّ من حديث الحسن بن قَزَعَة. قال: وسألتُ أبا زُرعة عن هذا الحديث فلم يعرفه مرفوعاً إلاّ من هذا الوجه» اهـ.
وقال الألباني في «صحيح الترمذي» عنه: صحيح.

(٨) البخاري (٨/ ٣٧٨ رقم ٤٦٩٩)، ومسلم (٤/ ٢٢٠١ رقم ٢٨٧١).

عليُّ بنُ طلحةَ عن ابن عباس[1]، أصلُها ثابتٌ في قلب المؤمنِ، وفرعُها العملُ الصالحُ في السماء صاعدٌ إلى الله عزّ وجلّ.

وكذا قال الضحاكُ وسعيدُ بنُ جبير وعِكرمة ومجاهدٌ وغيرُ واحد[2]، وهي الحسنةُ التي ذكر الله عزّ وجلّ؛ إذ يقول: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠]، وقال تعالىٰ: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ﴾ [النمل: ٨٩].

قال ذلك زينُ العابدين وإبراهيمُ النخعيُّ، وعن أبي ذر[3] مرفوعاً: «هي أحسنُ الحسنات، وهي تمحو الذنوبَ والخطايا»، وهي المثلُ الأعلى الذي ذكر الله عزّ وجلّ إذ يقول: ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الروم: ٢٧]، قال ذلك قَتادةُ[4] ومحمدُ بنُ جريرٍ[5]، ورواه مالكٌ عن محمد بنِ المنكدرِ[6].

وهي سببُ النجاة كما في صحيح مسلم[7] أن النبيَّ ﷺ سَمِع مؤذناً يقول: «أشهد أن لا إلٰه إلاّ الله»، فقال ﷺ: **«خرجتَ من النار»**. وفيه[8] عن عُبادةَ بنِ الصامتِ رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: **«من شهد أن لا إلٰه إلاّ الله وأن محمداً رسول الله حرم الله عليه النار»**.

وفي حديث الشفاعةِ الآتي[9] إن شاء الله تعالىٰ: **«أخرِجوا من النار من قال لا إلٰه إلاّ الله، وكان في قلبه مثقالُ ذرةٍ من إيمان»**.

---

(١) أورده ابن كثير في تفسيره (٢/ ٥٤٩) من رواية علي بن أبي طلحة عنه، وروايته عنه منقطعة.

(٢) ذكر ذلك ابن كثير في تفسيره (٢/ ٥٤٩) عنهم.

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٥/ ج٨/ ١١٠) بسند ضعيف، وأورده السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٤٠٤)، وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه.

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١١/ ج٢١/ ٣٨) عنه.

(٥) في «جامع البيان» (١١/ ج٢١/ ٣٨).

(٦) ذكره ابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٤٤١) فقال: «وعن مالك في تفسيره المروي عنه عن محمد بن المنكدر في قوله تعالىٰ: ﴿وله المثل الأعلى﴾ قال: لا إلٰه إلاّ الله».
قلت: وإسناده صحيح.

(٧) (١/ ٢٨٨ رقم ٣٨٢) من حديث أنس.

(٨) أي في صحيح مسلم (١/ ٥٧ ـ ٥٨ رقم ٢٩).

(٩) سيأتي تخريجه.

وهي سببُ دخولِ الجنةِ كما في الصحيحين[1] عن عُبادةَ بن الصامتِ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«من قال أشهد أن لا إله إلاّ الله وحدَه لا شريكَ له، وأن محمداً عبدُه ورسولُه، وأن عيسى عبدُ الله وابنُ أمتِه وكلمتُه ألقاها إلى مريمَ ورُوحٌ منه، وأن الجنةَ حقٌّ وأن النارَ حقٌّ، أدخله الله الجنةَ من أي أبوابِ الجنةِ الثمانيةِ شاء»**، وفي رواية: **«أدخله الله الجنةَ على ما كان من عمل»**.

وهي أفضلُ ما ذُكر الله عزّ وجلّ به، وأثقلُ شيءٍ في ميزان العبدِ يوم القيامةِ كما في المسند[2] عن عبد الله بن عَمْرو رضي الله عنهما عن النبيّ ﷺ: **«أن نوحاً عليه السلام قال لابنه عند موتِه: آمُرك بلا إله إلاّ الله، فإن السمٰواتِ السبعَ والأرضين السبعَ لو وُضِعْن في كِفّة ووُضِعَتْ لا إله إلاّ الله في كِفة لرجَحتْ بهنّ لا إله إلاّ الله، ولو أن السمٰوات السبعَ والأرضينَ السبعَ كلٌّ حلقةٌ مبهمةٌ لفصَمَتْهنّ لا إله إلاّ الله»**.

وفيه[3] عنه أيضاً عن النبيّ ﷺ: **«أن موسى عليه الصّلاة والسّلام قال: يا ربِّ علّمني شيئاً أذكرُك وأدعوك به، قال: يا موسى قل لا إله إلاّ الله. قال موسى: يا ربّ كلُّ عبادِك يقولون هذا، قال: يا موسى قل: لا إله إلاّ الله، قال: لا إله إلاّ الله، إنما أُريد شيئاً تخصّني به. قال: يا موسى لو أن السمواتِ السبعَ والأرضينَ السبعَ وعامرُهن غيري في كِفة ولا إله إلاّ الله في كِفّة مالتْ بهن لا إله إلاّ الله»**.

وفي التِّرمذي[4] والنّسائيّ في المسند[5] عن عبد الله بنِ عمروِ بنِ العاصِ رضي الله عنهما قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: **«إن الله سيُخلّص رجلاً من أمتي على رؤوس**

---

(١) البخاري (٦/ ٤٧٤ رقم ٣٤٣٥)، ومسلم (١/ ٥٧ رقم ٢٨).

(٢) في المسند (٢/ ٢٢٥) **بسند صحيح**.

(٣) أي في مسند أحمد، ولكنني لم أجده فيه. ولم يعزه الهيثمي في «المجمع» لأحمد، بل عزاه لأبي يعلى فقط. وقد أخرجه أبو يعلى في «المسند» (٢/ ٥٢٨ رقم ٤٢٠/ ١٣٩٣) **بسند ضعيف**.
وأورده الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ٨٢) وقال: «رواه أبو يعلى، ورجاله وثقوا، وفيهم ضعف».

(٤) في السنن (٥/ ٢٤ ـ ٢٥ رقم ٢٦٣٩) قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

(٥) لم أعثر عليه.
قلت: وأخرجه ابن ماجه (٢/ ١٤٣٧ رقم ٤٣٠٠)، والحاكم (١/ ٦، ٥٢٩)، وأحمد (٢/ ٢١٣).

=

الخلائقِ يومَ القيامة فينشُر عليه تسعةً وتسعين سِجِلاً كل سِجلٍ مثلُ مدِّ البصرِ ثم يقول: أتُنكِر مِن هذا شيئاً، أظلمَك كَتَبتي الحافظون؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: أفلك عذرٌ؟ فيقول: لا يا رب. فيقول: بلى إن لك عندنا حسنةً، وإنه لا ظُلمَ عليك اليوم، فَيُخرَجُ بطاقةٌ فيها أشهد أن لا إله إلاّ الله، وأشهد أن محمداً عبدُه ورسولُه، فيقول: احضُرْ وزنَك، فيقول: يا ربِّ ما هذه البطاقةُ مع هذه السِّجلاتِ؟ فقال: فإنك لا تُظلَم، قال: فتوضع السِّجلاتُ في كِفة والبِطاقةُ في كفة، فطاشتْ السجلاتُ وثَقُلت البِطاقةُ، ولا يثقُل مع اسم الله تعالىٰ شيءٌ».

قال التِّرمذي: هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ.

وهي التي لا يحجبُها شيءٌ دون الله عزّ وجلّ كما في الترمذي[1] عن عبد الله بن عمرٍو رضي الله عنهما قال: «لا إله إلاّ الله ليس لها دون الله حجابٌ حتى تصلَ إليه»، وفيه[2] أيضاً عن أبي هريرةَ رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ أنه قال: **«ما من عبد قال لا إله إلاّ الله مخلصاً إلاّ فُتحتْ لها أبوابُ السماءِ حتى تُفضِيَ إلى العرش»**.

وهي الأمانُ من وَحشة القُبور وهَولِ الحشرِ كما في المسند[3] وغيرِه[4] عن

= قال الحاكم: صحيح الإسناد على شرط مسلم. ووافقه الذهبي، وهو كما قالا.
وخلاصة القول أن الحديث صحيح، والله أعلم.

(١) أي في سنن الترمذي (٥/ ٥٣٦ رقم ٣٥١٨)، وقال الترمذي: «هذا حديث غريب من هذا الوجه وليس إسناده بالقوي» اهـ.
وهو حديث ضعيف، وقد ضعّفه الألباني في ضعيف الترمذي رقم (٧٠٠)، وضعيف الجامع رقم (٢٥٠٩).

(٢) أي في «سنن الترمذي» (٥/ ٥٧٥ رقم ٣٥٩٠) وقال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه» اهـ.
وهو حديث حسن، وقد حسّنه الألباني في صحيح الترمذي رقم (٢٨٣٩).

(٣) لم أعثر عليه في المسند.

(٤) أخرجه الطبراني في «الأوسط» رقم (٩٤٨٧)، وفي «الدعاء» (٣/ ١٤٩١)، وابن عدي في «الكامل» (٤/ ١٥٨٢) من طريق يحيى الحماني ـ به.
وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٨٢ ـ ٨٣) وفيه يحيى الحماني، وهو ضعيف.
وأخرجه الطبراني في «الأوسط» رقم (٩٤٤٥) من طريق مجاشع بن عمرو ـ به.
وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٨٣) وفيه مجاشع بن عمرو وهو ضعيف.
قلت: بل هو متروك.

النبيّ ﷺ، قال: «ليس على أهل لا إلٰه إلاّ الله وحشةٌ في قبورهم ولا في نشورهم، وكأني بأهل لا إلٰه إلاّ الله وقد قاموا ينفُضون الترابَ عن رؤوسهم يقولون: الحمدُ لله الذي أذهب عنا الحَزَن».

واعلم أن النصوصَ الواردةَ في فضل هذه الشهادةِ كثيرةٌ لا يُحاط بها، وفيما ذكرنا كفايةٌ، وسنذكر إن شاء الله تعالىٰ عند ذكر شروطِها ما تيسّر من نصوص الكتاب والسنة، ويكفيك في فضل لا إلٰه إلاّ الله إخبارُ النبيِّ ﷺ أنها أعلى جميعِ شُعَبِ الإيمان، كما في الصحيحين[1] عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «الإيمانُ بضعٌ وسبعون ـ أو بضعٌ وستون ـ شُعبةً فأفضلُها قول لا إلٰه إلاّ الله، وأدناها إماطةُ الأذى عن الطريق» الحديث، وهذا لفظ مسلم.

[حسن عاقبة من قالها معتقداً معناها وكان عاملاً بمقتضاها]

(من قالها) أي قال هذه الكلمةَ حال كونهِ (معتقداً) أي عالماً ومُتيقّناً (معناها) الذي دلّت عليه نفياً وإثباتاً (وكان) مع ذلك (عاملاً بمقتضاها) على وَفْق ما عَلِمَه منها وتيقّنه فإن ثمرةَ العلمِ العملُ به (في القول) أي قولِ القلبِ واللسانِ (والفعل) أي عملِ القلبِ واللسانِ والجوارحِ، قال الله عزّ وجلّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴿٣﴾﴾ [الصف].

(ومات مؤمناً) أي على ذلك، وهذا شرطٌ لا بدّ منه، فإنما الأعمال بالخواتيم، قال ﷺ: «ما من عبدٍ قال لا إلٰه إلاّ الله ثم مات على ذلك إلاّ دخل الجنةَ»، الحديثُ في الصحيحين[2] عن أبي ذرّ بطوله.

(يُبعث يوم الحشر) أي يوم الجَمْع (ناجٍ) من النار (آمناً) مِن فزع يوم القيامة؛ كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنۡهَا مُبۡعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسۡمَعُونَ حَسِيسَهَاۖ وَهُمۡ فِي مَا ٱشۡتَهَتۡ أَنفُسُهُمۡ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحۡزُنُهُمُ ٱلۡفَزَعُ

---

(١) البخاري (١/ ٥١ رقم ٩)، ومسلم (١/ ٦٣ رقم ٣٥).

(٢) البخاري (١٠/ ٢٨٣ رقم ٥٨٢٧)، ومسلم (١/ ٩٥ رقم ١٥٤).

ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنبياء]، وقال تعالىٰ: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ﴾ [النمل: ٨٩].

[معنى شهادة أن لا إلٰه إلاّ الله]

(فإن معناها الذي عليه	دلّتْ يقيناً وهدتْ إليه)
(أنْ ليس بالحقِّ إلٰهٌ يُعبدُ	إلاّ الإلٰهُ الواحدُ المنفردُ)
(بالخلق والرزقِ وبالتدبيرِ	جلّ عن الشريك والنظيرِ)

(فإن معناها) أي معنى هذه الكلمةِ **(الذي عليه)** متعلّقٌ بقوله **(دلت)** بصريح لفظِها **(وهدت)** أي أرشدت **(إليه)** هو **(أنْ ليس بالحق)** متعلقٌ بيُعْبَد **(إلٰه)** هو اسمُ ليس ومَنْفيُّها، والنكرةُ في سياق النفي تعُمّ، والحكمُ المَنْفيُّ **(يعبد)** الذي هو متعلّقٌ بالحق والاستحقاق فيخرُج ما عُبد بباطل، ولذا سمّاه المشركون إلٰهاً، فتسميتُه بذلك باطلةٌ فلا يستحق أن يُعْبَد.

فمعنى لا إلٰه إلاّ الله: لا معبودَ بحقٍّ إلاّ الله، لا إلٰهَ ـ نافياً جميعَ ما يُعبد من دون الله فلا يستحق أن يعبد، إلاّ الله ـ مثبتاً العبادةَ لله فهو الإلٰهُ الحقُّ المستحِقُّ للعبادة، فتقديرُ خبرِ لا المحذوفِ بحق هو الذي جاءت به نصوصُ الكتاب والسنة كما سنوردها إن شاء الله، وأما تقديرُه بموجود فيفهم منه الاتحادُ، فإن الإلٰهَ هو المعبودُ، فإذا قيل لا معبودَ موجودٌ إلاّ الله، لزم منه أن كلَّ معبودٍ عُبِد بحق أو باطل هو الله، فيكون ما عبده المشركون من الشمس والقمرِ والنجومِ والأشجارِ والأحجارِ والملائكةِ والأنبياءِ والأولياءِ وغيرِ ذلك هي الله، فيكون ذلك كلُّه توحيداً، فما عُبد على هذا التقديرِ إلاّ الله إذ هي هو، وهذا والعياذُ بالله أعظمُ الكفرِ وأقبحُه على الإطلاق، وفيه إبطالٌ لرسالات جميعِ الرسلِ، وكفرٌ بجميع الكتب وجحودٌ لجميع الشرائع، وتكذيبٌ بكل ذلك، وتزكيةٌ لكل كافرٍ من أن يكون كافراً، إذ كلُّ ما عبده من المخلوقات هو الله فلم يكن عندهم مشركاً بل موحداً، تعالى الله عمّا يقول الظالمون والجاحدون علوّاً كبيراً.

فإذا فهِمنا هذا، فلا يجوز تقديرُ الخبرِ موجودٌ، إلاّ أن يُنْعَتَ اسمُ لا (بحق) فلا بأس، ويكون التقديرُ لا إلٰهَ حقاً موجودٌ إلاّ الله، فبقيد الاستحقاقِ ينتفي المحذورُ الذي ذكرنا.

(إلا الإلٰهُ الواحدُ المنفردُ. بالخلق والرزق وبالتدبير. الخ)، وهو الله سبحانه وتعالىٰ، أي هو الإلٰهُ الحقُّ، فكما تفرَّد تعالىٰ بالخلق والرزقِ والإحياءِ والإماتةِ والإيجاد والإعدامِ والنفعِ والضُّر والإعزازِ والإذلالِ والهدايةِ والإضلالِ وغيرِ ذلك من معاني ربوبيتِهِ ولم يُشركه أحدٌ في خلق المخلوقاتِ ولا في التصرّف في شيء منها، وتفرّد بالأسماء الحسنى والصفاتِ العُلى ولم يتّصف بها غيرُه ولم يُشْبِهْه شيءٌ فيها، فكذلك تفرّد سبحانه بالإلٰهية حقاً فلا شريكَ له فيها: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [لقمان: ٣٠]، ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [المؤمنون]، ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوٓا۟ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأنبياء].

﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء].

﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ۘ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۚ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا۟ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٧٣]، ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ٦٢]، ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤].

﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الزمر: ٣٨]، ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ ۚ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا﴾ [فاطر: ٤٠].

﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ۖ

ٱئۡتُونِي بِكِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ هَٰذَآ أَوۡ أَثَٰرَةٖ مِّنۡ عِلۡمٍ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [الأحقاف: ٤]، ﴿قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ قُلِ ٱللَّهُۚ قُلۡ أَفَٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ لَا يَمۡلِكُونَ لِأَنفُسِهِمۡ نَفۡعٗا وَلَا ضَرّٗاۚ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ أَمۡ هَلۡ تَسۡتَوِي ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُۗ أَمۡ جَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُواْ كَخَلۡقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلۡخَلۡقُ عَلَيۡهِمۡۚ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّٰرُ﴾ [الرعد: ١٦]، ﴿قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٞۖ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفَّٰرُ ﴿٦٦﴾﴾ [ص].

[سبعة شروط يتوقف عليها الانتفاع بالشهادة]

(وبشروط سبعةٍ قد قُيِّدتْ ... وفي نصوصِ الوَحْيِ حقاً وردت)

(فإنه لم ينتفعْ قائلُها ... بالنُّطق إلاّ حيث يستكملها)

(وبشروط سبعة) متعلّقٌ بقيدت **(قد قيدت)** أي قُيِّد بها انتفاعُ قائِلها بها في الدنيا والآخرة من الدخول في الإسلام والفوزِ بالجنّة والنجاةِ من النار.

(وفي نصوص الوحي) من الكتاب والسنةِ **(حقاً وردت)** صريحةً صحيحةً **(فإنه)** أي الشأنَ وذلك علةُ تقييدِها بهذه الشروطِ السبعة **(لم ينتفع قائلُها)** أي قائلُ لا إله إلاّ الله **(بالنطق)** أي بنطقه بها مجرّداً **(إلاّ حيث يستكملها)** أي هذه الشروطَ السبعةَ، ومعنى استكمالها اجتماعُها في العبد والتزامُه إياها بدون مناقضةٍ منه لشيء منها، وليس المرادُ من ذلك عدَّ ألفاظِها وحِفظها، فكم من عامي اجتمعتْ فيه والتزَمَها ولو قيل له اعدُدْها لم يُحسن ذلك. وكم من حافظٍ لألفاظها يجري فيها كالسهم وتراه يقع كثيراً فيما يناقضها، والتوفيقُ بيد الله، والله المستعان.

(العلمُ واليقينُ والقبولُ ... والانقيادُ فادرِ ما أقولُ)

(والصدقُ والإخلاصُ والمحبّة ... وفّقك اللّهُ لما أحبّهْ)

هذا تفصيلُ الشروطِ السبعةِ السابقِ ذكرُها التي قُيّدت بها هذه الشهادةُ، فأصْغِ سمعَك وأحضِرْ قلبَك لإملاء أدلّتِها وتفهُّمِها وتعلقها، ثم اعمَلْ على وَفق ذلك، تفُزْ بسعادة الدنيا والآخِرة إن شاء الله عزّ وجلّ، كما وعد الله تعالىٰ ذلك أنه لا يخلف الميعاد.

[١ ـ العلم بمعناها نفياً وإثباتاً]

الأولُ **(العلمُ)** بمعناها المرادِ منها نفياً وإثباتاً المنافي للجهل بذلك، قال الله

عزّ وجلّ: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]، وقال تعالىٰ: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ﴾ [الزخرف: ٨٦]، أي بلا إلٰه إلاّ الله، ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف: ٨٦]، بقلوبهم معنى ما نطَقوا به بألسنتهم.

وقال تعالىٰ: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ۚ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨]، وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر: ٩]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨]، وقال تعالىٰ: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣].

وفي الصحيح[١] عن عثمانَ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«مَنْ ماتَ وهو يعلمُ أنَّهُ لا إلٰه إلاّ الله دخل الجنة»**.

[٢ ـ اليقين المنافي للشك]

(واليقين) أي والثاني اليقينُ المنافي للشك بأن يكون قائلُها مستيقِناً بمدلول هذه الكلمةِ يقيناً جازماً، فإن الإيمانَ لا يُغني فيه إلاّ علمُ اليقين لا علم الظنِّ، فكيف إذا دخله الشكُّ؛ قال الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحجرات: ١٥].

فاشترط في صِدق إيمانهم بالله ورسولِه كونَهم لم يرتابوا، أي لم يشكّوا، فأمّا المرتاب فهو من المنافقين ـ والعياذ بالله ـ الذين قال الله تعالىٰ فيهم: ﴿إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾ [التوبة: ٤٥].

وفي الصحيح[٢] من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«أشهد أن لا إلٰه إلاّ الله وأني رسولُ الله، لا يَلقى الله بهما عبدٌ غيرُ شاكٍّ فيهما إلاّ دخل الجنة»**.

---

(١) في صحيح مسلم (١/ ٥٥ رقم ٤٣/ ٢٦).
(٢) في صحيح مسلم (١/ ٥٥ ـ ٥٦ رقم ٤٤/ ٢٧).

وفي رواية[1]: «**لا يلقى الله بهما عبدٌ غيرُ شاكٍّ فيهما فيُحجَبُ عن الجنّة**».

وفيه[2] عنه رضي الله عنه من حديث طويل أن النبيَّ ﷺ بعثه بنعليه، فقال: «**مَن لَقِيت مِن وراء هذا الحائطِ يشهد أن لا إله إلاّ الله مستيقِناً بها قلبه فبشّره بالجنّة**» الحديث، فاشترط في دخول قائلِها الجنةَ أن يكون مستيقِناً بها قلبُه، غير شاكٍّ فيها، وإذا انتفى الشرطُ انتفى المشروط.

[٣ ـ قَبول مقتضاها بالقلب والإقرار به باللسان]

(و) الثالث (**القَبولُ**) لما اقتضتْه هذه الكلمةُ بقلبه ولسانِه، وقد قصّ الله عزّ وجلّ علينا من أنباء ما قد سبق من إنجاء من قَبِلها وانتقامِه ممن ردّها وأباها؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ ۞ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾﴾ [الزخرف]، قال تعالىٰ: ﴿ثُمَّ نُنَجِّى رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ١٠٣]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧].

وكذلك أخبرنا بما وعد به القابلين لها من الثواب، وما أعدّه لمن ردّها من العذاب؛ كما قال تعالىٰ: ﴿۞ ٱحْشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُواْ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الصافات] إلى قوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾﴾ [الصافات].

فجعل الله تعالىٰ عِلّةَ تعذيبِهم وسبَبه هو استكبارُهم عن قول لا إله إلاّ الله، وتكذيبُهم مَن جاء بها، فلم ينفُوا ما نَفَتْه ولم يُثبتوا ما أثبتتْه، بل قالوا إنكاراً واستكباراً: ﴿أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُواْ وَٱصْبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْـَٔاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ ﴿٧﴾﴾ [صٓ]، وقالوا

---

(١) في صحيح مسلم (١/ ٥٦ ـ ٥٧ رقم ٤٥/ ٢٧).

(٢) أي في صحيح مسلم (١/ ٥٩ ـ ٦٠ رقم ٥٢/ ٣١).

هٰهنا: ﴿أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾ [الصافات: ٣٦]، فكذّبهم الله عزّ وجلّ وردّ ذلك عليهم عن رسوله ﷺ فقال: ﴿بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات: ٣٧] إلى آخر الآيات، ثم قال في شأن من قبلها: ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ۝٤٠ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ۝٤١ فَوَٰكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ ۝٤٢ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝٤٣﴾ [الصافات] إلى آخر الآيات، وقال تعالىٰ: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ﴾ [النمل: ٨٩].

وفي الصحيح[١] عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ قال: «**مثلُ ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثلِ الغيثِ الكثيرِ أصاب أرضاً فكان منها نقيةٌ قبلت الماءَ فأنبتت الكلأ والعُشبَ الكثيرَ، وكانت منها أجادبُ أمسكت الماءَ فنفع الله بها الناسَ فشَرِبوا وسقَوْا وزرعوا، وأصاب منها طائفةً أخرى إنما هي قِيعانٌ لا تُمسِك ماءً ولا تُنبت كلأً، فذلك مَثَلُ من فَقُه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعلم وعلّم، ومثلُ من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أُرسلتُ به**».

[٤ ـ الانقياد لما دلّت عليه]

(و) الرابع (الانقياد) لما دلّت عليه، المنافي لترك ذلك، قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ﴾ [الزمر: ٥٤]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [النساء: ١٢٥]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [لقمان: ٢٢]، أي: بلا إلٰه إلاّ الله ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ [لقمان: ٢٢].

ومعنى يسلم وجهَه أي ينقاد، وهو محسنٌ موحد، ومن لم يسلم وجهَه إلى الله ولم يكُ محسناً فإنه لم يستمسك بالعروة الوثقى، وهو المعنيُّ بقوله عزّ وجلّ بعد ذلك: ﴿وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝٢٣ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ۝٢٤﴾ [لقمان].

وفي حديث صحيح[٢] أن رسولَ الله ﷺ قال: «**لا يؤمن أحدُكم حتى يكونَ هواه تبعاً لما جئتُ به**»، وهذا هو تمامُ الانقيادِ وغايتُه.

---

(١) البخاري (١/ ١٧٥ رقم ٧٩)، ومسلم (٤/ ١٧٨٧ رقم ٢٢٨٢).

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» رقم (١٥)، والبيهقي في «المدخل» (ص١٨٨)، وابن=

[٥ ـ الصدق المنافي للكذب]

(و) الخامسُ (**الصِّدقُ**) فيها، المنافي للكَذِب، وهو أن يقولَها صدقاً من قلبه يواطئ قلبُه لسانَه، قال الله عزّ وجلّ: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ۝٣﴾ [العنكبوت]، إلى آخر الآيات.

وقال تعالىٰ في شأن المنافقين الذين قالوها كذباً: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ ۝٨ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ۝٩ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ ۝١٠﴾ [البقرة].

وكم ذكر الله تعالىٰ من شأنهم وأبدى وأعاد وكشف أستارَهم وهتكها وأبدى فضائحَهم في غير ما موضعٍ من كتابه كالبقرة وآلِ عمرانَ والنساءَ والأنفالِ والتوبةِ وسورة كاملةٍ في شأنهم وغيرِ ذلك.

= بطة في «الإبانة» (١/ ٣٨٧)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (٤/ ٣٦٩)، والبغوي في «شرح السنة» (١/ ٢١٢ ـ ٢١٣ رقم ١٠٤)، وابن الجوزي في «ذم الهوى» (ص١٨)، والحسن بن سفيان النَّسوي في «الأربعين» له رقم (٩).

كلهم عن نعيم بن حماد، وهو ضعيف لكثرة خطئه وقد اتهمه بعضهم.

وقال ابن رجب في «جامع العلوم والحكم» (٢/ ٣٩٤): «تصحيح هذا الحديث بعيدٌ جداً من وجوه: (منها): أنه حديث يتفرّد به نُعيمُ بن حماد المروزي، ونعيم هذا وإن كان وثقه جماعة من الأئمة، وخرَّج له البخاري، فإن أئمة الحديث كانوا يحسنون به الظنَّ، لِصلابته في السنة، وتشدُّده في الرَّدِّ على أهل الأهواء، وكانوا ينسبونه إلى أنه يَهِمُ ويُشبَّه عليه في بعض الأحاديث، فلما كثرَ عثورُهم على مناكيره، حكموا عليه بالضَّعف...

(ومنها): أنه قد اختلف على نُعيم في إسناده، فروي عنه، عن الثقفي، عن هشام، ورُوي عنه عن الثقفي، حدَّثنا بعضُ مشيختنا هشام أو غيره، وعلى هذه الرواية، فيكون شيخ الثقفي غير معروف عينه، ورُوي عنه، عن الثقفي، حدَّثنا بعض مشيختنا حدثنا هشام أو غيره، فعلى هذه الرواية، فالثقفي رواه عن شيخ مجهولٍ، وشيخه رواه عن غير مُعَيَّن، فتزدادُ الجهالةُ في إسناده.

(ومنها): أن في إسناده (عُقْبة بن أوس السدوسي البصري) ويقال فيه يعقوب بن أوس أيضاً، وقد خرَّج له أبو داود والنسائي وابن ماجه حديثاً عن عبد الله بن عمرو ويقال: عبد الله بن عمرو، وقد اضطرب في إسناده، وقد وثقه العجلي، وابن سعد، وابن حبان، وقال ابن خزيمة: روى عنه ابن سيرين مع جلالته، وقال ابن عبد البر: هو مجهول...

وخلاصة القول أن الحديث ضعيف، والله أعلم.

وفي الصحيحين[1] عن معاذ بن جبلٍ ﷺ عن النبيِّ ﷺ: **«ما من أحد يشهد أن لا إلٰهَ إلاّ الله وأن محمداً عبدُه ورسولُه صِدْقاً من قلبه إلاّ حرمّه الله على النار»**، فاشترط في إنجاء مَن قال هذه الكلمةَ من النار ـ أن يقولَها صدقاً من قلبه، فلا ينفعه مجردُ التلفظِ بدون مواطأةِ القلب.

وفيهما[2] أيضاً من حديث أنس بن مالكٍ[3] وطلحةَ بن عبيد الله[4] ﷺ من قصة الأعرابيِّ وهو ضِمامُ بنُ ثعلبةَ وافدُ بني سعدِ بنِ بكرٍ لما سأل رسولَ الله ﷺ عن شرائع الإسلامِ فأخبره، قال: هل عليَّ غيرُها؟ قال: **«لا، إلاّ أن تَطوَّع»**، قال: والله لا أزيد عليها ولا أنقُص منها، فقال رسولُ الله ﷺ: **«أفلح إن صدق»**، وفي بعض الرواياتِ[5]: **«إن صدق ليدخُلنّ الجنة»**، فاشترط في فلاحه ودخولِ الجنةِ أن يكون صادقاً.

[٦ ـ الإخلاص وتصفية العمل بصالح النية عن شوائب الشرك]

(و) السادس **(الإخلاصُ)** وهو تصفيةُ العملِ بصالح النيةِ عن جميع شوائبِ الشِّرك، قال تبارك وتعالىٰ: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٣]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة: ٥] الآية، وقال تعالىٰ: ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ [الزمر: ٢]، وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ [الزمر: ١١]، ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى﴾ [الزمر: ١٤]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَٱعْتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَسَوْفَ يُؤْتِ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾﴾ [النساء]، وغيرُ ذلك من الآيات.

وفي الصحيح[6] عن أبي هريرةَ عن النبيِّ ﷺ: **«أسعدُ الناسِ بشفاعتي من قال لا إلٰه إلاّ الله خالصاً من قلبه أو نفسِه»**.

---

(١) البخاري (١/٢٢٦ رقم ٢٨)، ومسلم (١/٦١ رقم ٣٢).
(٢) أي في الصحيحين.
(٣) أخرجه البخاري (١/١٤٨ ـ ١٤٩ رقم ٦٣)، ومسلم (١/٤١ ـ ٤٢ رقم ١٢).
(٤) أخرجه مسلم في صحيحه (١/٤٠ ـ ٤١ رقم ١١).
(٥) أخرجها مسلم رقم (١٢) من حديث أنس.
(٦) البخاري (١/١٩٣ رقم ٩٩) و(١١/٤١٨ رقم ٦٥٧٠).

وفي الصحيح(١) عن عتبانَ بنِ مالكٍ رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ قال: **«إن الله حرم على النار من قال لا إلٰه إلاّ الله يبتغي بذلك وجهَ الله عزّ وجلّ»**.

وفي جامع الترمذي(٢) عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«ما قال عبدٌ قطُّ لا إلٰه إلاّ الله مخلصاً إلاّ فُتحت له أبوابُ السماء حتى تُفْضِي إلى العرشِ ما اجتُنبت الكبائرُ»**، قال الترمذي: هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ من هذا الوجه.

وللنّسائي في اليوم والليلة(٣) من حديث رجلين من الصحابة عن النبيّ ﷺ: **«من قال لا إلٰه إلاّ الله وحده لا شريكَ له، له الملك وله الحمدُ وهو على كل شيء قديرٌ، مخلِصاً بها قلبُه يُصدِّق بها لسانُه إلاّ فَتق الله لها السماءَ فتقاً حتى ينظُرَ إلى قائلها من أهل الأرض، وحُقَّ لعبدٍ نظر الله إليه أن يُعطِيَه سُؤْلَه»**.

[٧ ـ محبة هذه الكلمة وما اقتضته ودلّت عليه ومحبة أهلها العاملين بها]

(و) السابع (**المحبةُ**) لهذه الكلمةِ ولما اقتضتْه ودلّتْ عليه ولأهلها العاملين بها الملتزمين لشروطها، وبُغضُ ما ناقض ذلك، قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]، وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾ [المائدة: ٥٤].

فأخبرنا الله عزّ وجلّ أن عبادَه المؤمنين أشدُّ حباً له، وذلك لأنهم لم يُشركوا معه في محبّته أحداً كما فعل مُدَّعو محبتِه من المشركين الذين اتخذوا من دونه أنداداً يحبونه كحبه، وعلامةُ حبِّ العبدِ ربَّه تقديمُ مَحابِّه وإن خالفت هواه، وبغضُ ما يُبغض ربُّه وإن مال إليه هواه، وموالاةُ من والى الله ورسولَه ومعاداةُ من عاداه، واتباعُ رسولِهِ ﷺ واقتفاءُ أثرِه وقَبولُ هداه.

---

(١) البخاري (١/ ٥١٩ رقم ٤٢٥)، ومسلم (١/ ٤٥٥ ـ ٤٥٦ رقم ٢٦٣/ ٣٣).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) ص١٥٠ رقم ٢٨ **بسند ضعيف** فيه: محمد بن عبد الله بن ميمون بن مُسَيْكة. قال عنه ابن حجر في «التقريب» رقم (٦٠٥١): مقبول.
وفيه أيضاً: يعقوب بن عاصم، قال عنه ابن حجر في «التقريب» رقم (٧٨٢٠): مقبول.

وكلُّ هذه العلاماتِ شروطٌ في المحبة لا يُتصوَّر وجودُ المحبةِ مع عدم شرطٍ منها، قال الله تبارك وتعالىٰ: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٣] الآيات، وقال تعالىٰ: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ﴾ [الجاثية: ٢٣].

فكلُّ من عبدَ مع الله غيرَه فهو في الحقيقة عبدٌ لهواه، بل كلُّ ما عُصيَ الله به من الذنوب فسببُه تقديمُ العبدِ هواه على أوامر الله عزّ وجلّ ونواهيه، وقال تعالىٰ في شأن الموالاة والمعاداةِ فيه: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: ٤] الآياتُ، وقال تعالىٰ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ﴾ [المجادلة: ٢٢] الآية.

وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١] الآيات، وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [التوبة] الآيتين. وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ [الممتحنة: ١] إلى آخر السورة، وغير ذلك من الآيات.

وقال تعالىٰ في اشتراط اتباع رسوله ﷺ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [آل عمران].

وقال رسولُ الله ﷺ: **«ثلاثٌ من كنَّ فيه وجد بهن حلاوةَ الإيمان: أن يكون الله ورسولُه أحبَّ إليه مما سواهما، وأن يُحبَّ المرءَ لا يحبه إلاّ لله، وأن يكرَهَ أن يعودَ في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يُقذَفَ في النار»**، أخرجاه[1] من حديث أنسٍ رضي الله عنه.

وفيهما[2] عنه وعن أبي هريرةَ رضي الله عنهما قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«لا يؤمن**

---

(١) البخاري (١/ ٧٢ رقم ٢١)، ومسلم (١/ ٦٦ رقم ٦٨/ ٤٣).

(٢) البخاري (١/ ٥٨ رقم ١٥)، ومسلم (١/ ٦٧ رقم ٧٠/ ٤٤) من حديث أنس. =

أحدُكم حتى أكونَ أحبَّ إليه من ولده ووالدِه والناسِ أجمعين».

وفي كتاب الحجة[1] بسند صحيح عن عبد الله بن عمرٍو بنِ العاص رضي الله عنهما قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**لا يؤمن أحدُكم حتى يكونَ هواه تبعاً لما جئتُ به**»، وذلك الذي جاء به الرسولُ ﷺ هو الخبرُ عن الله، والأمرُ بما يحبه الله ويرضاه، والنهيُ عما يكرهه ويأباه، فإذا امتثل العبدُ ما أمره الله به واجتنب ما نهى الله عنه، وإن كان ذلك مخالفاً لهواه كان مؤمناً حقاً، فكيف إذا كان لا يهوَى سوى ذلك، وفي الحديث: «**أوثقُ عُرى الإيمانِ الحبُّ في الله والبغضُ فيه**»[2].

وقال ابن عباس[3] رضي الله عنهما: (من أحبَّ في الله وأبغض في الله، ووالى في الله وعادى في الله، فإنما تُنال ولايةُ الله بذلك).

وقد أصبح غالبُ مواخاةِ الناسِ اليوم على أمر الدنيا، وذلك لا يُجدي على أهله شيئاً.

وقال الحسن البصري[4] وغيرُه من السلف: (ادعى قومٌ محبةَ الله عزّ وجلّ فابتلاهُم الله بهذه الآية: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ

= * البخاري (١/ ٥٨ رقم ١٤) من حديث أبي هريرة.

(١) كتاب «الحجة» لأبي الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي الفقيه الزاهد نزيل دمشق، وكتابه هذا هو كتاب «الحجة على تارك المحجة» يتضمن أصول الدين على قواعد أهل الحديث والسنة. انظر «جامع العلوم والحكم» (٢/ ٣٩٣) لابن رجب.
وقد تقدم تخريج الحديث قريباً وهو حديث ضعيف، والله أعلم.

(٢) أخرجه الطبراني في «الصغير» (١/ ٢٢٣ ـ ٢٢٤)، و«الأوسط» رقم (٤٤٧٩) و«الكبير» رقم (١٠٥٣١)، و«الطيالسي» (١/ ٢٣ ـ منحة المعبود) ومن طريقه البيهقي في «الآداب» رقم (٢٢٨) من طريق الصعق بن حزن، عن عقيل بن الجعدي، عن أبي إسحاق الهمداني، عن سويد بن غفلة، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.
وأورده الهيثمي في «المجمع» (١/ ٩٠) وقال: «رواه الطبراني في «الصغير»، وفيه عقيل بن الجعد، قال البخاري: منكر الحديث» اهـ.
قلت: وقال العقيلي في «الضعفاء» (٣/ ٤٠٨): «حديثه غير محفوظ، ولا يعرف إلاّ به»، ثم أورد ما قاله البخاري.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٣/ ٣٦٨ رقم ١٦٦١٩) وأخرجه ابن المبارك في الزهد (ص١٢٠) من طريق سفيان عن ليث.

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» رقم (٦٨٤٥) و(٦٨٤٦) عنه وهو مرسل.

﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [آل عمران].

وقال البخاري[1] رحمه الله تعالىٰ: حدّثنا محمدُ بنُ سِنان قال: حدثنا فُلَيْحٌ قال: حدّثنا هلالُ بنُ عليٍّ عن عطاء بن يسارٍ عن أبي هريرة ﷺ أن رسولَ الله ﷺ قال: «**كلُّ أمتي يدخُلون الجنةَ إلاّ من أبى**»، قالوا: يا رسولَ الله ومن يأبى؟ قال: «**من أطاعني دخل الجنةَ، ومن عصاني فقد أبى**».

قال: حدّثنا محمدُ بنُ عبادةَ أخبرنا يزيدُ حدثنا سليمٌ ـ وأثنى عليه ـ حدثنا سعيدُ بنُ مِيناء حدثنا ـ أو سمعتُ ـ جابرُ بنُ عبد الله ﷺ يقول: جاءت ملائكةٌ إلى النبيّ ﷺ وهو نائمٌ فقال بعضُهم: إنه نائمٌ، وقال بعضهم: إن العينَ نائمةٌ والقلبَ يقظانُ. فقالوا: إن لصاحبكم هذا مثلاً فاضربوا له مثلاً، فقال بعضُهم: إنه نائمٌ، وقال بعضُهم: إن العينَ نائمةٌ والقلبَ يقظانُ، فقالوا: إن مثله كمثل رجلٍ بنى داراً وجعل فيها مأدبة وبعث داعياً، فمن أجاب الداعيَ دخل الدارَ وأكل من المأدُبة، ومن لم يُجب الداعيَ لم يدخل الدارَ ولم يأكل من المأدبة. فقالوا: أوِّلوها له يفقَهْها، فقال بعضهم: إنه نائم، وقال بعضُهم: إن العينَ نائمةٌ والقلبَ يقظانُ. فقالوا: فالدارُ الجنةُ والداعي محمدٌ ﷺ، فمن أطاع محمداً ﷺ فقد أطاع الله، ومن عصى محمّداً ﷺ فقد عصى الله، ومحمدٌ ﷺ فَرْقٌ بين الناس[2].

ومن هنا يُعلم أنه لا تتمّ شهادةُ أن لا إلٰه إلاّ الله إلا بشهادة أن محمداً رسولُ الله ﷺ، فإذا عُلم أنه لا تتم محبةُ الله عزّ وجلّ إلاّ بمحبّةَ ما يحبه وكراهةِ ما يكرهه، فلا طريقَ إلى معرفة ما يحبه تعالىٰ وما يرضاه، وما يكرهه ويأباه إلاّ باتّباع ما أمر به رسولُ الله ﷺ واجتنابِ ما نهى عنه، فصارت محبتُه مستلزمةً لمحبة

---

(١) في صحيحه (١٣/٢٤٩ رقم ٧٢٨٠).
ووهم الحاكم فاستدركه (١/٥٥) وقال: على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٢) أخرجه البخاري (١٣/٢٤٩ رقم ٧٢٨١).
فرَّق: بتشديد الراء فعلاً ماضياً.
وفرْق: بسكون الراء والتنوين، وكلاهما متجه. قاله ابن حجر في «الفتح» (١٣/٢٥٦).
والمعنى: أي يفرق بين المؤمنين والكافرين بتصديقه وتكذيبه.

رسولِ الله وتصديقِه ومتابعتِه، ولهذا قرَن محبّتَه بمحبة رسولِ الله ﷺ في مواضعَ كثيرةٍ من القرآن؛ كقوله عزّ وجلّ: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤]، وغير ذلك من الآيات.

[أحاديث أن الشهادتين سبب دخول الجنة لا تنافي أحاديث الوعيد]

ثم اعلم أن الأحاديث الدالةَ على أن الشهادتين سببٌ لدخول الجنةِ والنجاةِ من النار لا تناقُضَ بينها وبين أحاديثِ الوعيدِ التي فيها: من فعل ذنبَ كذا فالجنةُ عليه حرامٌ، أو لا يدخل الجنةَ من فعل كذا، لإمكان الجمعِ بين النصوصِ بأنها جنانٌ كثيرةٌ كما أخبر النبيُّ ﷺ، وبأن أهلَ الجنةِ أيضاً متفاوتون في دخولِ الجنةِ في السَّبْقِ وارتفاعِ المنازل، فيكون فاعلُ هذا الذنبِ لا يدخل الجنةَ التي أُعِدَّتْ لمن لم يرتكبْه، أو لا يدخُلها في الوقت الذي يدخل فيه من لم يرتكب ذلك الذنبَ، وهذا واضحٌ مفهومٌ للعارف بلغة العرب.

وكذلك لا تناقُضَ بين الأحاديث التي فيها تحريمُ أهلِ هاتين الشهادتين على النار، وبين الأحاديثِ التي فيها إخراجُهم منها بعد أن صاروا حُمَماً، لإمكان الجمعِ بأن تحريمَ من يدخلها بذنبه من أهل التوحيد بأن تحريمَه عليها يكون بعد خروجه منها برحمة الله ثم بشفاعة الشافعين، ثم يغتسلون في نهر الحياةِ ويدخُلون الجنة، فحينئذ قد حُرّموا عليها فلا تَمَسُّهم بعد ذلك، أو أن يكون المرادُ أنهم يحرمون مطلقاً على النار التي أُعِدّت للكافرين التي لا يَخرُج منها من دخلها، وهي ما عدا الطبقةَ العليا من النار التي يدخلها بعضُ عصاةِ أهل التوحيدِ ممن شاء الله تعالىٰ عقابَه وتطهيرَه بها على قدْر ذنبِه، ثم يخرجون فلا يبقى فيها أحد. وهذه إشارةٌ كافيةٌ في هذا الموضع، وسنذكر إن شاء الله تعالىٰ بسطَ ذلك في موضعه عند ذكرِ الشفاعات، ونذكر الأحاديثَ التي فيها هذا وهذا، والأحاديثَ التي يكون بها الجمعُ بين ذلك.

وقد ذكر الحافظُ ابنُ رجب رحمه الله تعالىٰ في هذا الباب كلاماً حسناً بعد

سياقِه حديثَ معاذٍ وحديثَ عَتبانَ وحديثَ أبي ذر وحديثَ عُبادةَ، وقد تقدمت مع غيرها من الأحاديث.

قال: وأحاديثُ هذا البابِ نوعان: أحدُهما ما فيه أن من أتى بالشهادتين دخل الجنةَ ولم يُحْجَب عنها، وهذا ظاهرٌ، فإن النارَ لا يخلّد فيها أحدٌ من أهل التوحيدِ الخالصِ، بل يدخل الجنةَ ولا يُحجب عنها إذا طَهُر من ذنوبه بالنار، وقد يعفو الله عنه فيدخله الجنةَ بلا عقابٍ قبلُ.

وحديثُ أبي ذرٍّ معناه أن الزنا والسرقةَ لا يمنعانِ دخولَ الجنةِ مع التوحيد، وهذا حقٌّ لا مِرْية فيه، وليس فيه أن لا يُعذَّبَ عليها مع التوحيد، وفي مسند البزارِ[1] عن أبي هريرةَ ﷺ مرفوعاً: **«من قال لا إلٰه إلاّ الله نفعتْه يوماً من الدهر يُصيبه قبل ذلك ما أصابه»**.

الثاني: فيه أن يُحرَّم على النار، وقد حمله بعضُهم على الخلود فيها أو على ما يُخلَّد فيها أهلُها، وهي ما عدا الدرْكَ الأعلى من النار، فإن الدركَ الأعلى يدخله كثيرٌ من عصاة الموحِّدين بذنوبهم ثم يخرجون بشفاعة الشافعين وبرحمة أرحم الراحمين.

وفي الصحيحين[2]: **«أن الله تعالىٰ يقول: وعزتي وجلالي لأُخرِجَنَّ من النار من قال لا إلٰه إلاّ الله»**.

---

(١) (١/ ١٠ رقم ٣)، وقال البزار. وهذا لا نعلمه يروى عن النبيّ ﷺ إلاّ بهذا الإسناد، ورواه عيسى بن يونس عن الثوري عن منصور أيضاً، وقد روي عن أبي هريرة موقوفاً ورفعه أصح.
وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ١٧) وقال: رواه البزار، والطبراني في «الأوسط» ـ رقم (٤و٥ مجمع البحرين) والصغير ـ (١/ ١٤٠) ـ ورجاله رجال الصحيح.
وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٥/ ٤٦)، والخطيب في «الموضح» (٢/ ٢٠٥) من طريق سفيان، عن منصور، عن هلال بن يساف عن الأغرّ، عن أبي هريرة مرفوعاً به.
وذكره السيوطي في جامعه (٦/ ١٨٨) ورمز لحسنه، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٦٤٣٤)، وأورده في «الصحيحة» رقم (١٩٣٢).
وخلاصة القول أن الحديث صحيح، والله أعلم.

(٢) البخاري (١٣/ ٤٧٣ ـ ٤٧٤ رقم ٧٥١٠)، ومسلم (١/ ١٨٢ ـ ١٨٤ رقم ١٩٣).
من حديث أنس الطويل في الشفاعة، وقد ذكر في عدة مواطن من هذا الكتاب.

وقالت طائفةٌ من العلماء[1]: المرادُ من هذه الأحاديثِ أن لا إلٰه إلاّ الله سببٌ لدخول الجنةِ والنجاةِ من النار ومقتضٍ لذلك، ولكن المقتضيَ لا يعمل عملَه إلاّ باستجماع شروطِه وانتفاءِ موانعِه، فقد يتخلف عنه مقتضاه لفوات شرطٍ من شروطه أو لوجود مانعٍ، وهذا قولُ الحسنِ ووهبِ بنِ منبه وهو أظهرُ.

وقال الحسنُ للفَرَزْدق وهو يدفِن امرأتَه: ما أعددتَ لهذا اليوم؟ قال: شهادةَ أن لا إلٰه إلاّ الله منذ سبعين سنةً. قال الحسن: نِعْمَ العِدّةُ، لكنّ للا إلٰه إلاّ الله شروطاً، فإياك وقذفَ المحصَنات.

وقيل للحسن[2]: «إن ناساً يقولون: من قال لا إلٰه إلاّ الله دخل الجنّة، فقال: من قال لا إلٰه إلاّ الله فأدّى حقّها وفرضَها دخل الجنّة».

وقال وهبُ بن منبّه[3] لمن سأله: «أليس مفتاحُ الجنةِ لا إلٰه إلاّ الله؟ قال: بلى، ولكن ما من مفتاح إلاّ له أسنانٌ، فإن أتيتَ بمفتاح له أسنانٌ فُتح لك، وإلاّ لم يُفتحْ لك».

وهذا الحديثُ: «**إن مفتاحَ الجنة لا إلٰه إلاّ الله**»، أخرجه الإمام أحمدُ[4]

---

(١) انظر: «جامع العلوم والحكم» (١/ ٥٢٢).

(٢) أخرج الطبراني في «الكبير» رقم (٥٠٧٤)، وأبو نعيم في «الحلية» (٩/ ٢٥٤) من حديث زيد بن أرقم مرفوعاً: «**من قال لا إلٰه إلاّ الله مخلصاً دخلَ الجنّة**»، قال: وقال رسول الله ﷺ: «**إخلاصُهُ أن يحجزَهُ عمّا حَرَّم الله عليه**».
وفي إسناده أبو داود نفيع متروك وقد كذّبه ابن معين.
والهيثم بن جماز: ضعيف.
وأخرج الطبراني في «الأوسط» رقم (١٢٣٥) من طريق آخر وفيه عبد الرحمٰن بن غزوان، قال الهيثمي في «المجمع» (١/ ١٨)) «وهو وضاع» اهـ.

(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه» معلقاً (٣/ ١٠٩)، وقد وصله البخاري في «التاريخ» (١/ ٩٥)، وأبو نعيم في «الحلية» (٤/ ٦٦).

(٤) لم أجده في المسند بهذا اللفظ.
بل وجدته في المسند (٥/ ٢٤٢)، والبزار (١/ ٩ رقم ٢ ـ كشف)، وأبو نعيم في «صفة الجنة» رقم (١٨٩)، وابن عدي في «الكامل» (٤/ ١٣٥٦) من حديث معاذ بن جبل مرفوعاً بلفظ: «**مفاتيح الجنة شهادة أن لا إلٰه إلاّ الله**» **بسند منقطع ضعيف**.
شهر بن حوشب لم يسمع من معاذ.
وإسماعيل بن عياش روايته عن أهل الحجاز ضعيفة وهذا منها.

بإسناد منقطع عن معاذ رضي الله عنه قال: قال لي رسولُ الله ﷺ: **«إذا سألك أهلُ اليمنِ عن مفتاح الجَنةِ فقل لا إلٰه إلاّ الله»**.

ويدلّ على هذا كونُ النبيّ ﷺ رتّب دخولَ الجنةِ على الأعمال الصالحةِ في كثير من النصوص، كما في الصحيحين[1] عن أبي أيوبَ أن رجلاً، قال: يا رسول الله، أخبِرني بعملٍ يُدخلني الجنة، قال: **«تعبد الله لا تُشرك به شيئاً، وتقيم الصلاةَ وتؤتي الزكاةَ وتصِل الرحِم»**.

وفي صحيح مسلم[2] عن أبي هريرةَ رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله، دُلّني على عمل إذا عَمِلْتُه دخلتُ الجنة، قال: **«تعبد الله لا تُشرِك به شيئاً، وتقيم الصلاة المكتوبةَ، وتؤدّي الزكاةَ المفروضةَ، وتصوم رمضان»**، فقال الرجل: والذي نفسي بيده لا أَزيدُ على هذا شيئاً ولا أنقُص منه، فقال النبيُّ ﷺ: **«من سرّه أن ينظُرَ إلى رجل من أهل الجنةِ فلينظُر إلى هذا»**.

وفي المسند[3] عن بشير بنِ الخصاصيةِ، قال: أتيتُ النبيَّ ﷺ لأُبايعَه، فاشترط عليَّ شهادةَ أن لا إلٰه إلاّ الله وأن محمداً رسول الله، وأن أقيم الصلاةَ وأن أُوتيَ الزكاةَ وأحُجَّ حَجةَ الإسلام وأن أصومَ رمضان وأن أجاهدَ في سبيل الله، فقلت: يا رسول الله، أما اثنتين فوالله ما أُطيقُهما، الجهادُ والصدقة. فقبض رسولُ الله ﷺ ثم حركها وقال: **«فلا جهاد، ولا صدقة! فبِمَ يدخُل الجنةَ إذاً؟»** قلت: أبايِعُك، فبايعتُه عليهن كلِّهنّ.

ففي الحديث أن الجهادَ والصدقةَ شرطٌ في دخول الجنةِ مع حصولِ التوحيد والصلاةِ والصيامِ والحج.

ونظيرُ هذا أن النبيَّ ﷺ قال: **«أُمِرت أن أقاتلَ الناسَ حتى يشهدوا أن لا إلٰه**

---

(١) البخاري (١٠/ ٤١٤ رقم ٥٩٨٣)، ومسلم (١/ ٤٢ ـ ٤٣ رقم ١٣).

(٢) في صحيحه (١/ ٤٤ رقم ١٤). قلت: وأخرجه البخاري (٣/ ٢٦١ رقم ١٣٩٧).

(٣) أي في مسند أحمد (٥/ ٢٢٤) بسند حسن.

وفيه أبو المثنى العبدي واسمه (مؤثر بن عفارة العبدي الكوفي) لم يجرحه أبو حاتم، ووثقه ابن حبان. وقال الحافظ في «التقريب»: مقبول.

إلاّ الله وأن محمداً رسولُ الله ﷺ»[1]، ففهم عمرُ وجماعةٌ من الصحابة أن من أتى بالشهادتين امتنع من عقوبة الدنيا بمجرّد ذلك، فتوقفوا في قتال مانعي الزكاةِ، وفهِم الصديقُ رضي الله عنه أنه لا يمتنع قتالُه إلاّ بأداء حقوقِها لقوله ﷺ: «**فإذا فعلوا ذلك منعوا مني دماءَهم وأموالهم إلاّ بحقِّها وحسابُهم على الله**»، وقال: الزكاةُ حقُّ المال. وهذا الذي فهمه الصديقُ رضي الله عنه قد رواه عن النبيّ ﷺ صريحاً غيرُ واحدٍ من الصحابة منهم ابنُ عمرَ وأنسٌ وغيرُهما[2] رضي الله عنهما، وأنه قال: «**أُمرت أن أقاتلَ الناسَ حتى يشهدوا أن لا إلٰه إلاّ الله وأن محمداً رسولُ الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة**»، ودلّ على ذلك قولُه تعالىٰ: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [التوبة: ٥] الآية، ولا تثبُت إلاّ بأداء الفرائضِ مع التوحيد، ولما قرّر أبو بكر رضي الله عنه هذا للصحابة رجَعوا إلى قوله ورأَوْه صواباً، فإذا عُلم أن عقوبةَ الدنيا لا ترتفع عمن أدى الشهادتين مطلقاً، بل يعاقَب بإخلاله بحقٍّ من حقوق الإسلام، فكذلك عقوبةُ الآخرة.

وقد ذهبت طائفةٌ إلى أن هذه الأحاديثَ المذكورةَ أولاً وما في معناها كانت قبل نزولِ الفرائضِ والحدود، منهم الزهريُّ والثوريُّ وغيرُهما، وهذا بعيدٌ جداً، فإن كثيراً منها كانت بالمدينة بعد نزولِ الفرائضِ والحدود، وفي بعضها أنه كان في غزوةَ تبوكَ وهي في آخر حياةِ النبيِّ ﷺ، وهؤلاء منهم من يقول: هذه الأحاديثُ منسوخةٌ، ومنهم من يقول هي محكمةٌ ولكن ضُمّ إليها شرائطُ، ويلتفت هذا إلى أن زيادةَ النصِّ هل هي نسخٌ أم لا؟ والخلاف في ذلك بين الأصوليين مشهورٌ، وقد صرح الثوريُّ بأنها منسوخةٌ، وأنه نسخَتْها الفرائضُ والحدود.

وقد يكون مرادُهم بالنسخ البيانَ والإيضاحَ، فإن السلفَ كانوا يطلقون النسخَ على مثل ذلك كثيراً ويكون مرادُهم أن آياتِ الفرائضِ والحدودِ تبين توقفَ دخولِ أهلِ الجنة والنجاةِ من النار على فعل الفرائضِ واجتنابِ المحارمِ، فصارت

---

(١) أخرجه البخاري (١/ ٧٥ رقم ٢٥)، ومسلم (١/ ٥٣ رقم ٢٢) من حديث ابن عمر.
* وأخرجه البخاري (١/ ٤٩٧ رقم ٣٩٢) من حديث أنس.
* وقد تقدم حديث أبي هريرة قريباً مع بيان طرقه.

(٢) تقدم تخريجها آنفاً.

النصوصُ منسوخةً أي مبينةً مفسرةً، ونصوصُ الحدودِ والفرائضِ ناسخةً أي مفسرةً لمعنى تلك النصوصِ موضحةً لها.

وقالت طائفةٌ: تلك النصوصِ المطلقةِ قد جاءت مقيدةً في أحاديثَ أُخَرَ، ففي بعضها: «**من قال لا إله إلا الله مخلصاً دخل الجنّة**»[1]، وفي بعضها: «**مستيقناً**»[2]، وفي بعضها: «**مصدقاً بها قلبُه لسانَه**»[3]، وفي بعضها: «**يقولها من قلبه**»[4]، وفي بعضها: «**قد ذلّ بها لسانه واطمأنّ بها قلبُه**»[5].

وهذا كلّه إشارةٌ إلى عملِ القلبِ وتحقّقِه بمعنى الشهادتين، فتحقّقُه بمعنى شهادةِ أن لا إله إلاّ الله أن لا يَأْلَهَ قلبُه غيرَ اللّهِ حباً ورجاءً وخوفاً وطمعاً وتوكّلاً واستعانةً وخضوعاً وإنابةً وطلباً.

وتحقُّقه بشهادة أن محمداً رسولُ الله ﷺ أن لا يُعْبَدَ بغير ما شرعه على لسان نبيِّه محمدٍ ﷺ، وهذا المعنى جاء مرفوعاً إلى النبيّ ﷺ أنّه قال: «**من قال لا إله إلاّ الله مخلصاً دخل الجنّة**»، قيل: ما إخلاصها يا رسولَ الله؟ قال: «**أن تحجُزَك عما حرّم الله عليك**»، وهذا يُروى من حديث أنسِ بن مالكٍ[6] وزيدِ بنِ أرقم[7]، ولكنْ إسنادُهما لا يصح.

وجاء أيضاً من مراسيلِ الحسنِ نحوُه، وتحقيقُ هذا المعنى وإيضاحُه أن قولَ العبد «لا إله إلاّ الله» يقتضي أن لا إلَهَ غيرُ الله، والإلٰهُ الذي يطاع ولا يُعصى هيبةً وإجلالاً ومحبةً وخوفاً ورجاءً وتوكّلاً عليه وسؤالاً منه ودعاءً له، ولا يصلح ذلك

---

(١) تقدم تخريجه.
(٢) تقدم تخريجه.
(٣) تقدم تخريجه.
(٤) تقدم تخريجه.
(٥) أخرجه الطبراني في «الأوسط» رقم (١٣٦٤)، وأورده الهيثمي في «المجمع» (١/ ٢١)، وقال: رواه الطبراني في «الأوسط» وفيه عبد الرحمٰن بن زيد بن أسلم والأكثر على تضعيفه.
(٦) أخرجه الخطيب في «تاريخ بغداد» (١٢/ ٦٤) وفي سنده محمد بن عبد الرحمٰن بن غزوان كان يضع الحديث، **فهو حديث موضوع**.
(٧) تقدم تخريجه قريباً.

كلُّه لغير الله عزّ وجلّ، فمن أشرك مخلوقاً في شيء من هذه الأمورِ التي هي من خصائص الإلٰهيةِ كان ذلك قدحاً في إخلاصه في قوله لا إلٰه إلاّ الله ونقصاً في توحيده، وكان فيه من عبودية المخلوقِ بحسب ما فيه من ذلك، وهذا كلُّه من فروع الشركِ، ولهذا ورد إطلاقُ الكفر والشركِ على كثير من المعاصي التي منشأها من طاعة غيرِ الله عزّ وجلّ أو خوفِه أو رجائِه أو التوكّل عليه أو العمل، كما ورد إطلاقُ الكفرِ والشركِ على الرّبا، وعلى الحِلِف بغير الله عزّ وجلّ، وعلى التوكّل على غير الله والاعتمادِ عليه، وعلى من سوّى بين الله وبين المخلوق في المشيئة مثلُ أن يقول: ما شاء الله وشاء فلان، وكذا قوله: ما لي إلاّ الله وأنت، وكذلك ما يقدح في التوحيد وتفرُّدِ الله بالنفع والضرِّ كالطِيَرة[1] والرُّقى المكروهة[2] وإتيان الكُهّان وتصديقِهم بما يقولون[3].

---

(١) الطِّيَرة: بكسر المهملة وفتح التحتانية، وقد تسكن ـ هي: التشاؤم بالشين ـ وهو مصدر تطير مثل تحيَّر حِيَرة. قال بعض أهل اللغة: لم يجئ من المصادر هكذا غير هاتين. [فتح الباري: (١٠/ ٢١٢)].

وقال ابن عبد البر في «التمهيد» (١/ ٢٧٨): «الشؤم في كلام العرب النحس، وكذلك قال أهل العلم بتأويل القرآن، في قوله عزّ وجلّ: ﴿في أيام نحسات﴾ [فصلت: ١٦] قالوا: مشائيم.

قال أبو عبيدة: نحسات ذوات نحوس مشائيم، انتهى.

(٢) (منها): الرقى التي فيها الاستعاذة بغير الله، والاستغاثة بالجن ونحوها. والاستعانة بالروحانيات مما يُضاد العقيدة، ويؤدّي بالإنسان إلى الشرك.

(ومنها): الرقى التي يعتمد عليها بعض الناس اعتماداً كلياً، ويظن أنها مؤثرة بذاتها، ولم يقف بها عند مرحلة السببية التي لا تؤثر إلاّ بقدرة الله ومشيئته.

(ومنها): الرقى التي يعتقد بها بعض الناس أنها هي الشافية، وهذا معارض للعقيدة الصحيحة التي ذكرها الله في كتابه وعلى ألسنة رسله.

(٣) «الكهانة ـ بفتح الكاف ويجوز كسرها ـ ادّعاء علم الغيب كالإخبار بما سيقع في الأرض مع الاستناد إلى سبب، والأصل فيه استراق الجني السمع من كلام الملائكة، فيلقيه في أذن الكاهن. والكاهن لفظ يطلق على العراف، والذي يضرب بالحصى، والمنجم: ويطلق على من يقوم بأمر آخر ويسعى في قضاء حوائجه. وقال في «المحكم»: الكاهن القاضي بالغيب. وقال في «الجامع»: العرب تسمي كل من أذن بشيء قبل وقوعه كاهناً. وقال الخطابي: الكهنة قوم لهم أذهان حادة ونفوس شريرة وطباع نارية، فألفتهم الشياطين لما بينهم من التناسب في هذه الأمور، ومساعدتهم بكل ما تصل قدرتهم إليه. =

وكذلك اتباعُ هوى النفسِ فيما نهى الله عنه قادحٌ في تمام التوحيد وكمالِه، ولهذا أطلق الشرعُ على كثير من الذنوب التي منشأها من هوى النفسِ أنها كفرٌ وشركٌ كقتال المسلمِ ومن أتى حائضاً أو امرأة في دُبُرها، ومن شرب الخمرَ في المرة الرابعة، وإن كان ذلك لا يخرجه من الملّة بالكلية، ولهذا قال السلف: كفرٌ دون كفر، وشِركٌ دون شركٍ، وقد ورد إطلاقُ الإلٰه على الهوى المتبَّعِ، قال تعالىٰ: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الفرقان: ٤٣].

قال الحسنُ[1] رحمه الله: هو الذي لا يهوى شيئاً إلاّ رَكِبه.

وقال قتادة[2]: هو الذي كلما هوِيَ شيئاً ركبه، وكلما اشتهى شيئاً أتاه لا يحجُزه عن ذلك ورَعٌ.

ورُوي من حديث أبي أُمامةَ مرفوعاً بإسناد ضعيف: **«ما تحت ظلِّ السماءِ إلهٌ يعبد أعظمُ عند الله من هوىً مُتّبع»**[3].

وفي حديث آخرَ: **«لا تزال لا إلٰه إلاّ الله تدفع عن أصحابها حتى يُؤْثروا دنياهم على دينهم، فإذا فعلوا ذلك رُدّت عليهم ويقال لهم كذبتم»**[4].

= وكانت الكهانة في الجاهلية فاشية خصوصاً في العرب لانقطاع النبوّة فيهم...» اهـ. (فتح الباري ١٠/٢١٦ ـ ٢١٧).

(١) أخرجه ابن أبي شيبة، وابن المنذر، وابن أبي حاتم ـ كما في «الدر المنثور» (٦/ ٢٦٠).

(٢) أخرجه عبد بن حميد، وابن أبي حاتم، كما في «الدر المنثور» (٦/ ٢٦٠).

(٣) أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» رقم (٣) بإسناد مسلسل بالمتروكين.
عيسى بن إبراهيم وهو ابن طهمان الهاشمي، وابن دينار وهو الحسن بن دينار أبو سعيد التميمي، والخصيب وهو ابن جحدر، وهذا أو الذي قبله كذبهما جماعة.
قال ذلك الألباني في «ظلال الجنة» (١/ ٨).
وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ١٨٨) وقال: «رواه الطبراني في الكبير، وفيه الحسن بن دينار، وهو متروك الحديث».
وأخرجه ابن الجوزي في «الموضوعات» (٣/ ١٣٩) وقال: «هذا حديث موضوع على رسول الله ﷺ، وفيه جماعة ضعاف، والحسن بن دينار والخصيب كذابان عند علماء النقل» اهـ.
وانظر: الآلئ المصنوعة (٢/ ٣٢٢)، وتنزيه الشريعة (٢/ ٣٠٣).

(٤) أخرجه أبو يعلى في «مسنده» (٧/ ٩٥ رقم ٤٠٣٤/١٢٧٩) من حديث أنس بن مالك **بسند ضعيف جداً.** =

ويشهد لهذا الحديثِ الصحيحِ[1] عن النبيِّ ﷺ: **«تَعِسَ عبدُ الدينار، تَعِس عبدُ الدرهم، تعس عبدُ القَطيفة، تَعِس عبد الخميصة، تَعِس وانتكَس وإذا شيك فلا انتَقَشَ»**، فدلّ هذا على أن من أحبّ شيئاً وأطاعه، وكان من غاية قصدِه ومطلوبِه، ووالى لأجله وعادى لأجله، فهو عبدَه، وكان ذلك الشيءُ معبودَه وإلٰهه.

ويدلّ عليه أيضاً أن الله تعالىٰ سمى طاعة الشيطان في معصيته عبادةً للشيطان؛ كما قال تعالىٰ: ﴿۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [يس: ٦٠].

وقال تعالىٰ حاكياً عن خليله إبراهيمَ عليه السلام لأبيه: ﴿يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا﴾ [مريم: ٤٤]، فمن لم يتحقق بعبودية الرحمٰن وطاعته فإنه يعبد الشيطان بطاعته، ولم يخلُصْ من عبادة الشيطان إلاّ من أخلص عبوديةَ الرحمٰنِ وهم الذين قال فيهم: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ [الحجر: ٤٢]، فهم الذين حقّقوا قولَ لا إلٰه إلاّ الله وأخلصوا في قولها وصدّقوا قولَهم بفعلهم فلم يلتفتوا إلى غير الله محبةً ورجاءً وخشيةً وطاعةً وتوكّلاً، وهم الذين صدقوا في قول لا إلٰه إلاّ الله، وهم عبادُ الله حقاً. فأمّا من قال لا إلٰه إلاّ الله بلسانه ثم أطاع الشيطان وهواه في معصيةِ الله ومخالفتهِ فقد كذَّب قولَه فعلُه، ونقص من كمال توحيدِه بقدر معصيةِ الله في طاعة الشيطان والهوى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [القصص: ٥٠]، ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [صٓ: ٢٦].

ثم قال رحمه الله: فيا هذا كُنْ عبداً لله لا عبداً للهوى، فإن الهوى يهوي بصاحبه في النار. ﴿ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ [يوسف: ٣٩].

«تَعِسَ عبدُ الدرهم، تَعِس عبد الدينار»[2]، والله لا ينجو غداً من عذاب الله إلاّ من حقق عبوديةَ الله وحده، ولم يلتفت إلى شيء من الأغيار، من علم أن إلٰهه ومعبودَه فردٌ فليُفْرِدْه بالعبودية ولا يشركْ بعبادة ربّه أحداً، انتهى كلامه رحمه الله تعالىٰ.

= وأورده الحافظ ابن حجر في «المطالب العالية» (٣/ ٢٠٨، ٢٤٦ رقم ٣٢٧٤، ٣٣٩٦) وعزاه إلى أبي يعلى.

وقال البوصيري: «رواه أبو يعلى بسند ضعيف لضعف عمر بن حمزة».

(١) أخرجه البخاري (٦/ ٨١ رقم ٢٨٨٦) من حديث أبي هريرة.

(٢) وهو حديث صحيح، وقد تقدم آنفاً.

[ال] فصل: [الثالث]

في تعريف العِبَادة: وذكرِ بَعض أنواعِهَا
وأن مَن صرَف منها شيئاً لغير الله فقد أشرَك



[تمهيد]

قد عرفت مما قدَّمنا في معنى لا إله إلاّ الله أن الإلٰه هو المألوهُ الذي تألَهه القلوبُ، أي تعبُده محبةً وتذلّلاً وخوفاً ورجاءً ورغباً ورهَباً وتوكّلاً عليه واطّراحاً بين يديه، واستعانةً به، والتجاءً إليه، وافتقاراً إليه. وذلك لا ينبغي إلاّ لله عزّ وجلّ خالقِ كلِّ شيء ومُصوِّره ومُصرِّفه ومُدبّره، مُبْدي الخلقِ ومعيدهِ، ومُحْييه ومُبيدهِ، الفعالُ لما يريد، الذي هو على كل شيءٍ شهيد، الذي لا ملجأ ولا مَنجى منه إلاّ إليه، ولا حولَ ولا قوةَ إلاّ بالله.

﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ﴾ [يونس: ١٠٧]، ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ [فاطر: ٢]، ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ۝١٥ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ۝١٦ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ ۝١٧﴾ [فاطر].

والعبدُ إن أُريد به المُعبَّدُ أي المُذلّلُ المسخّرُ دخل فيه جميعُ المخلوقات من جميع العالم العلويّ والسُّفليّ من عاقل وغيره ومن رطب ويابسٍ ومتحركٍ وساكنٍ وظاهرٍ وكامنٍ ومؤمنٍ وكافرٍ وبرّ وفاجر، وغيرُ ذلك، الكلُّ مخلوقٌ لله عزّ وجلّ مسخّرٌ بتسخيره مدبرٌ بتدبيره، ولكل منها رسمٌ يقف عليه وحَدّ ينتهي إليه: ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ﴾ [يسٓ: ٤٠]، كلٌّ يجري لأجل مسمًّى لا يتجاوزه مثقالَ ذرةَ، ذلك تقديرُ العليم، وتدبير العدل الحكيم.

وإن أريد به العابدُ خُصَّ ذلك بالمؤمنين، وإن كان أكثرُ المشركين يعبدون الله عزّ وجلّ ويتقرّبون إليه بكثير من العبادات، لكن لمَّا عبدوا مع الله غيرَه وأشركوه معه في إلٰهيته كانت أعمالُهم هباءً منثوراً: ﴿كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾ [إبراهيم: ١٨]، و﴿كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا﴾ [البقرة: ٢٦٤]، و﴿كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا﴾ [النور: ٣٩]، ﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ۚ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ

اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠]، ذلك بأنهم: ﴿اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ [الأعراف: ٣٠]، و﴿اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد: ٢٨]، وتولّوا الطاغوتَ فأخرجوهم من النور إلى الظلمات، وعبدوا الشيطانَ وقد عَهِد الله إليهم أن لا يعبُدوه، وبيّن لهم عداوتَه، وقال: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٦]، وقال: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٠].

فخالفوا أمرَ الله وتولَّوا أعداءَه وكذّبوا رسلَه وأنبياءَه وحاربوا حزبه وأولياءَه. وأرادوا تشييدَ الكفرِ وإعلاءَه وردَّ الحقِّ وإباءَه، فأبى الله عزّ وجلّ إلاّ أن يُتمَّ نورَه ويُظهِرَ دينَه ويُعليَ كلمتَه وينصُرَ أولياءَه ويُحقَّ الحقَّ بكلماته ويقطعَ دابرَ الكافرين، ويجعل حزبَه هم الغالبين، ويجعلَ العاقبةَ للمتقين، ولا عدوانَ إلاّ على الظالمين.

لكنْ المؤمنون هم عبادُه حقاً، الذين أفردوه بإلٰهيته وربوبيتِهِ، وأسمائِه وصفاتِه ولم يُشبِّهوه بشيء من خلقه، ولم يسوُّوا شيئاً من خلقه به. أولئك الذين تُضاعف لهم الحسنةُ بعشر أمثالِها إلى سَبعِمائةِ ضعفٍ إلى أضعاف كثيرة؛ كما قال تعالىٰ في الأولى: ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠].

وقال في الثانية: ﴿مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١].

وقال في الثالثة: ﴿مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٥].

تولَّوا الله فأخرجهم من الظلمات إلى النور، أخرجهم من ظلمات الكفرِ إلى نور الإيمان، ومن ظلمات الضلالِ إلى نور الهدى، ومن ظلمات الجهلِ إلى نور العلم، ومن ظلمات الغيِّ إلى نور الرشاد.

﴿وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٦]، ملأ الله قلوبَهم بنورِ معرفتِهِ ومحبّتِه والشوقِ إلى لقائه، فلم تتّسع لغيره، دنا الشيطانُ من قلوبهم فاحترق بنور إيمانِهم فنكص على عقِبه خاسئاً حسيراً، وأيِسَ منهم أن يُطيعوه فانقلب مذموماً مدحوراً، فعند ذلك عزّى نفسَه اللعينُ وقال: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ [الحجر: ٤٠].

وقال عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ [الحجر: ٤٢]، حفِظوا الله فحفِظَهم وصدَقوا ما عاهدوا الله عليه فلم ينكُثوا أيمانَهم، تعرّفوا إلى الله في الرخاء بالعبادة فعرَفهم في الشدّة بالفرج، صدّقوا رسلَه وآمنوا بكتابه وانقادوا لأمره، وانكفّوا عما نهى عنه، ثم تجرّدوا لنُصْرة دينِه، وجاهدوا بأموالهم وأنفسِهم في سبيله، ودخل الناسُ بذلك في دين الله أفواجاً طوعاً وكرهاً، وقادوهم إلى الجنّة بالسلاسل، نصروا الله فنصرهم، وشكروه فشكرهم، وذكروه فذكرهم. عرَفوا ما خُلقوا له فأقبلوا عليه، ورأوا ما سواه مما لا يَغْنيهم فلم يلتفتوا إليه، وآثروا ما يبقَى على ما يفْنى، وتعلقت أرواحُهم بالرفيق الأعلى، أولئك هم خاصّةُ الله من خلقه والمُصْطَفون من عباده، أولئك هم أولياؤُه المتقون وحزبُه الغالبون، الذين لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون، ليُوفِّيهم أجورَهم ويزيدَهم من فضله إنه غفورٌ شكور.

[معنى العبادة]

(ثم العبادة) التي خلق الله لها الخلقَ، وأخذ بها عليهم الميثاقَ، وأرسل بها رسلَه وأنزل كتبَه، ولأجلها خُلقت الدنيا والآخرةُ والجنةُ والنار.

(هي اسمٌ جامعٌ لكل ما) يُحب و**(يرضَى)** مبنيٌّ للمعروف، فاعلُه **(الإلٰه السامعُ)** وهو الله عزّ وجلّ، من الأقوال والأعمال الظاهرةِ والباطنة، فالظاهرةُ كالتلفّظ بالشهادتين، وإقامِ الصلاة وإيتاءِ الزكاةِ، والصومِ والحجِّ، والجهادِ في سبيل الله، والأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عن المنكر، وإغاثةِ الملهوف، ونصر المظلومِ، وتعليم الناسِ الخيرَ، والدعوةِ إلى الله عزّ وجلّ وغيرِ ذلك.

والباطنةُ كالإيمان بالله وملائكتهِ وكتبِه ورسلِه واليومِ الآخر والقدرَ خيرِه وشرّه، وخشيةِ الله وخوفِه ورجائِه والتوكّلِ عليه والرغبةِ والرهبةِ إليه، والاستعانةِ به، والحبِّ والبغضِ في الله والموالاةِ والمعاداةِ فيه، وغيرِ ذلك.

ثم اعلم أنها لا تُقبل الأعمالُ الظاهرةُ ما لم يساعدها عملُ القلب. ومناطُ العبادةِ هي غايةُ الحبِّ مع غاية الذلّ، ولا تنفع عبادةٌ بواحد من هذين دون الآخر، ولذا قال من قال من السلف: «من عبد الله بالحب وحدَه فهو زِنْديقٌ، ومن عبده بالرجاء وحده فهو مُرْجئٌ، ومن عبده بالخوف وحده فهو حَروريٌّ، ومن عبده

بالحب والخوفِ والرجاء فهو مؤمنٌ موحد»[1] اهـ.

قلت: وبيانُ كلامِهم هذا أن دعوى الحبِّ لله بلا تذلّل ولا خوفٍ ولا رجاءٍ ولا خشيةٍ ولا رهبةٍ ولا خضوعٍ دعوَى كاذبةٌ. ولذا ترى من يدَّعي ذلك كثيراً ما يقع في معاصي الله عزّ وجلّ ويرتكبها ولا يبالي، ويحتج في ذلك بالإرادة الكونيةِ وأنه مطيعٌ لها، وهذا شأنُ المشركين الذين قالوا: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا﴾ [الأنعام: ١٤٨]، وقالوا: ﴿وَقَالُواْ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُمۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍۖ﴾ [الزخرف: ٢٠]، وغير ذلك. وإمامُهم في ذلك الاحتجاجِ هو إبليسُ؛ إذ قال ﴿رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي﴾ [الحجر: ٣٩]. وإنما المحبةُ نفسُ وِفاقِ العبدِ ربَّه: فيحب ما يحبه ويرضاه، ويبغض ما يكرهه ويأباه.

وإنما تتلقى معرفة محابِّ الله ومعاصيه من طريق الشرعِ، وإنما تحصُل بمتابعة الشارع. ولذا قال الحسن رحمه الله تعالىٰ: ادَّعى قومٌ محبةَ الله فابتلاهم الله بهذه الآية: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران؛ ٣١]، فمن ادّعى محبةَ الله ولم يكُ متبعاً رسولَه فهو كاذبٌ.

وقال الشافعيُّ[2] رحمه الله تعالىٰ: (إذا رأيتم الرجلَ يمشي على الماء أو يطير في الهواء فلا تصدِّقوه حتى تعلموا متابعتَه لرسول الله ﷺ).

وكذلك الرجاءُ وحده إذا استرسل فيه العبدُ تجرأ على معاصي الله وأمِنَ مَكْرَ الله، وقد قال تعالىٰ: ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩]، وكذلك الخوفُ وحده إذا استرسل فيه العبدُ ساء ظنُّه بربه وقَنِط من رحمته ويَئِس من رَوْحه، وقد قال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧]، وقال ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ [الحجر: ٥٦]، فالأمنُ من مكرِ الله خُسرانٌ، واليأسُ من رَوحه كفرانٌ، والقنوطُ من رحمة الله ضلالٌ وطُغيان، وعبادةُ الله عزّ وجلّ بالحب والخوفِ والرجاءِ توحيدٌ وإيمانٌ، فالعبدُ المؤمنُ بين الخوف والرجاء؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ [الإسراء: ٥٧]، وقال تعالىٰ: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦۗ﴾

---

(١) انظر كتاب «العبودية» لابن تيمية (ص٣٨ ـ ٥٦).

(٢) مناقب الشافعي للبيهقي «١/ ٤٥٣»، و«آداب الشافعي» (ص١٨٤).

[الزمر: ٩]، وبيّن الرغبةِ والرهبة، كما قال تعالىٰ في آل زكرياءَ عليهم السلام: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠]، فتارةً يمُدّه الرجاءُ والرغبةُ فيكاد أن يطيرَ شوقاً إلى الله، وطوراً يقبِضه الخوفُ والرهبةُ فيكاد أن يذوبَ من خشية الله تعالىٰ، فهو دائبٌ في طلب مرضاةِ ربِّه، مقبلٌ عليه، خائفٌ من عقوباته ملتجئٌ منه إليه، عائذٌ به منه، راغبٌ فيما لديه.

وكذلك هو في صفات الله عزّ وجلّ لا نافٍ ولا مُشبِّهٌ، وفي أفعال العبادِ لا جَبْريٌّ ولا قدَريٌّ، وفي أصحاب رسولِ الله ﷺ وأهلِ بيته ليس بذي النصْبِ ولا التشيّع، وفي الوعد والوعيد ليس بخارجيّ ولا مُرجئ.

فدينُ الله بين الغُلوّ والجفاء، والتفريطِ والإفراط، وخير الأمور الأوساط.

وللعبادة ركنان لا قِوامَ لها إلاّ بهما وهما: الإخلاصُ والصدق، وحقيقةُ الإخلاصِ أن يكون قصدُ العبدِ وجهَ الله عزّ وجلّ والدارَ الآخرة؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ﴿١٧﴾ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ ﴿١٩﴾ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾﴾ [الليل]، وقال تعالىٰ: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾﴾ [الإسراء].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلًا ۗ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا ۚ وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٥]، وقال تعالىٰ: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾ [الشورى: ٢٠].

وقال تعالىٰ: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [هود]، وقال تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۖ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦٤﴾ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا

﴿ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾﴾ [البقرة].

وفي الصحيحين[1] عن عمرَ بنِ الخطاب ﷺ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**إنما الأعمالُ بالنّيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرتُه إلى الله ورسولِه فهِجرته إلى الله ورسولِه، ومن كانت هجرتُه لدنيا يُصيبُها أو امرأةٍ ينكِحها فهجرتُه إلى ما هاجر إليه**».

وفي صحيح مسلم[2] عن أبي هريرةَ ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إن الله لا ينظُر إلى أجسامكم ولَا إلى صوركم، ولكن ينظُر إلى قلوبكم**».

وعن أبي موسى ﷺ قال: سُئل رسولُ الله ﷺ عن الرجل يقاتل شجاعةً، ويقاتل حَميّةً، ويقاتل رياءً، أيُّ ذلك في سبيل الله؟ فقال ﷺ: «**من قاتل لتكونَ كلمةُ الله هي العليا فهو في سبيل الله**»، متفق عليه[3].

ولو ذهبنا نذكر أحاديثَ الإخلاصِ لطال الفصلُ.

وأما الصدقُ فهو بذلُ العبد جهدَه في امتثال ما أمر الله به، واجتنابِ ما نهى الله عنه، والاستعدادُ للقاء الله، وتركُ العَجْزِ، وتركُ التكاسلِ عن طاعة الله، وإمساكُ النفسِ بلجام التقوى عن محارم الله، وطردُ الشيطان عنه بالمداومة على ذكر الله، والاستقامة على ذلك كلّه ما استطاع.

قال الله تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩]، وقال تعالىٰ: ﴿مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٢٣] الآية، وقال تبارك وتعالىٰ: ﴿الم ﴿١﴾ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴿٣﴾﴾ إلى قوله: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾ وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ ﴿١١﴾﴾ [العنكبوت].

---

(١) البخاري (١/ ٩ رقم ١)، ومسلم (٣/ ١٥١٥ رقم ١٩٠٧).

(٢) في صحيحه (٤/ ١٩٨٧ رقم ٢٥٦٤).

(٣) البخاري (٦/ ٢٧ رقم ٢٨١٠)، ومسلم (٣/ ١٥١٢ رقم ١٩٠٤).

وقال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا﴾ [البقرة: ٢١٤] الآية.

وقال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٢﴾﴾ إلى قوله عزّ وجلّ: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٦﴾﴾ [آل عمران] إلى آخر الآيات.

وقال تعالى: ﴿لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

وفي الصحيح[(١)] عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«المؤمنُ القويُّ خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خيرٌ. احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجِزْ، وإن أصابك شيء فلا تقل: لو أني فعلتُ كذا وكذا، ولكن قل: قدَّر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عملَ الشيطان»**.

وفي الحديث الآخرِ: **«الكيِّسُ من دانَ نفسَه وعَمِلَ لما بعدَ الموتِ، والعاجزُ من أتبعَ نفسَهُ هواها وتمنَّى على الله»**[(٢)].

---

(١) في صحيح مسلم (٤/ ٢٠٥٢ رقم ٢٦٦٤).

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» (٤/ ١٢٤)، والترمذي (٤/ ٦٣٨ رقم ٢٤٥٩) وقال: **حديث حسن**.

وابن ماجه (٢/ ١٤٢٣ رقم ٤٢٦٠)، والبغوي في «شرح السنة» (١٤/ ٣٠٨ رقم ٤١١٧)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٣/ ٣٦٩)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٥٧) وقال: صحيح على شرط البخاري.

وتعقبه الذهبي بقوله: لا والله أبو بكر واه

والطبراني في «الكبير» (٧/ ٢٨٤ رقم ٧١٤٣)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ٢٦٧) و(٨/ ١٧٤)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (١٢/ ٥٠)، وابن المبارك في «الزهد» (ص٥٥ ـ ٥٦ رقم ١٧١)، وابن عدي في «الكامل» (٢/ ٤٧٢) كلهم من حديث شداد بن أوس.

وهو حديث ضعيف؛ لأن مداره على أبي بكر بن عبد الله بن أبي مريم الغساني الحمصي وهو ضعيف جداً.

وإذا اجتمعت النيةُ الصالحةُ والعزيمةُ الصادقةُ في هذا العبدِ قام بعبادة الله عزّ وجلّ.

ثم اعلم أنه لا يُقبل منه ذلك إلاّ بمتابعته الرسولَ ﷺ فيعبد الله بوَفْق ما شرَع، وهو دين الإسلام الذي لا يقبل الله تعالىٰ من أحد سواه؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

وفي الصحيحين[١] عن عائشةَ ﵂ قالت: قال رسولُ الله ﷺ: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رَدٌّ**»، وفي رواية لمسلم[٢]: «**من عَمِلَ عملاً ليس عليه أمرُنا فهو ردٌّ**».

فهذه الثلاثةُ الأركانُ شروطٌ في العبادة لا قِوامَ لها إلاّ بها، فالعزيمةُ الصادقةُ شرطٌ في صدورها، والنيةُ الخالصةُ وموافقةُ السنة شرطٌ في قبولها، فلا تكون عبادةً مقبولةً إلاّ باجتماعها، فإخلاصُ النية بدون صدقِ العزيمة هوَسٌ وتطويلُ أملٍ وتَمنٍّ على الله وتسويفٌ في العمل وتفريطٌ فيه، وصدقُ العزيمة بدون إخلاصٍ فيه يكون شِركاً أكبرَ أو أصغرَ بحسب ما نقص من الإخلاص.

فإن كان الباعث على العمل من أصله هو إرادةَ غيرِ الله فنفاقٌ، وإن كان دخَل الرياءُ في تزيين العمل، وكان الباعثُ عليه أولاً إرادةَ الله والدارِ الآخرةِ كان شِركاً أصغرَ بحسبه، حتى إذا غلب عليه التحَقَ بالأكبر.

وإخلاصُ النّية مع صدق العزيمةِ إن لم يكن العملُ على وَفق السنةِ كان بدعةً وحدَثاً في الدِّين وشَرْعَ ما لم يأذن الله به، فيكون ردّاً على صاحبه ووبالاً عليه والعياذ بالله، فلا يصدر العملُ من العبد إلاّ بصدق العزيمة، ولا يُقبل منه ذلك إلاّ بإخلاص النيةِ واتباعِ السنة، ولذا قال الفضيلُ بنُ عياضٍ في قوله تعالىٰ: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢].

قال: أخلصُه وأصوبُه[٣]، يعني خالصاً من شوائب الشِّرك، موافقاً للسنّة.

---

(١) البخاري (٥/٣٠١ رقم ٢٦٩٧)، ومسلم (٣/١٣٤٣ رقم ١٧/١٧١٨).

(٢) في صحيحه (٣/١٣٤٣ رقم ١٨/١٧١٨).

(٣) وتمامه: «قيل له: يا أبا علي أما أخلصه؟ وأصوبه؟ قال: إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل، حتى يكون خالصاً=

[الدعاء مخ العبادة]

(وفي الحديث مُخُّها الدعاءُ ... خوفٌ توكلٌ كذا الرجاءُ)

(ورغبةٌ ورهبةٌ خشوعُ ... وخشيةٌ إنابةٌ خضوعُ)

(والاستعاذةُ والاستعانهْ ... كذا استغاثةٌ به سبحانه)

(والذبحُ والنذرُ وغيرُ ذلكْ ... فافهم هُديتَ أوضحَ المسالك)

(وصرفُ بعضِها لغير اللَّهِ ... شِركٌ وذاك أقبحُ المناهي)

(و) ثبت (**في الحديث**) الذي في السنن كما سنذكره (**مُخها**) أي مُخُّ العبادة ولُبُّها (**الدعاء**)، قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]، وقال تعالىٰ: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًاۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [الأعراف].

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦]، وغير ذلك من الآيات.

وفي جامع التِّرمذي[(١)] عن أبي هريرةَ ﷺ عن النبيّ ﷺ قال: «**ليس شيء أكرمَ على الله من الدعاء**».

وفيه[(٢)] عن أنس بنِ مالكٍ ﷺ عن النبيّ ﷺ قال: «**الدعاءُ مخُّ العبادة**»،

= صواباً. والخالص أن يكون لله، والصواب أن يكون على السنة» اهـ.
كما في «مجموع فتاوى ابن تيمية» (١١/ ٦٠٠).

(١) (٥/ ٤٥٥ رقم ٣٣٧٠).
قلت: وأخرجه البخاري في «الأدب المفرد» رقم (٧١٢)، والطيالسي (١/ ٢٥٣ ـ منحة المعبود)، وأحمد (٢/ ٣٦٢)، وابن ماجه رقم (٣٨٢٩)، وصححه الحاكم (١/ ٤٩٠) ووافقه الذهبي.
وصححه ابن حبان رقم (٨٧٠).
وهو حديث حسن، والله أعلم.

(٢) أي في سنن الترمذي (٥/ ٤٥٦ رقم ٣٣٧١) قال الترمذي: غريب من هذا الوجه لا نعرفه إلاّ من حديث ابن لهيعة.
وهو حديث ضعيف، والله أعلم.

وقال غريبٌ من هذا الوجهِ لا نعرِفه إلاّ من حديث ابنِ لَهيعةَ، ومعنى «مخ العبادة» أي خالصها.

وفيه[1] عن النُّعمان بنِ بشير رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ قال: «**الدعاءُ هو العبادة**»، ثم قرأ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

وقال الترمذي: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

وفيه[2] عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إنه من لم يسأل الله يغضبْ عليه**».

وفيه[3] من حديث ابن عباس مرفوعاً: «**إذا سألت فاسأل الله**»، وهو حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

---

(١) أي في سنن الترمذي (٥/ ٣٧٤ رقم ٣٢٤٧)، قال الترمذي: **حسن صحيح**.
قلت: وأخرجه أحمد (٤/٢٦٧)، والحاكم (١/ ٤٩٠، ٤٩١) وصححه ووافقه الذهبي.
والبغوي في «شرح السنة» رقم (١٣٨٤) من طريق سفيان عن منصور، عن ذر، عن يُسيع الحضرمي عن النعمان بن بشير.
* وأخرجه الطيالسي رقم (٨٠١)، وأبو داود رقم (١٤٧٩)، والبخاري في «الأدب المفرد» رقم (٧١٤) من طريق شعبة عن منصور به.
وصححه الحاكم (١/ ٤٩١) ووافقه الذهبي.
* وأخرجه ابن أبي شيبة (١٠/ ٢٠٠)، وأحمد (٤/٢٦٧، ٢٧١، ٢٧٦)، والترمذي رقم (٣٣٧٢)، وابن ماجه رقم (٣٨٢٨)، والطبري في «جامع البيان» (٢٤/ ٧٨)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٩/ ٣٠) كما في «تحفة الأشراف»، وأبو نعيم في «الحلية» (٨/ ١٢٠) من طرق عن الأعمش، عن ذرّ، به.
وخلاصة القول أن الحديث صحيح، والله أعلم.

(٢) أي في سنن الترمذي (٥/ ٤٥٦ رقم ٣٣٧٣).
قلت: وأخرجه البخاري في «الأدب المفرد» رقم (٦٥٨)، وابن ماجه رقم (٣٨٢٧)، والحاكم (١/ ٤٩١)، وأحمد (٢/ ٤٤٢ و٤٧٧)، وابن أبي شيبة (١٠/ ٢٠٠)، وابن عدي في «الكامل» (٧/ ٢٩٥)، والطبراني في «الدعاء» (٢/ ٧٩٦ رقم ٢٣) من طرق كثيرة.
وهو حديث حسن، والله أعلم.
وانظر: «الصحيحة» للمحدث الألباني رقم (٢٦٥٤).

(٣) أي في السنن (٤/ ٦٦٧ رقم ٢٥١٦)، قال الترمذي: **هذا حديث حسن صحيح**.
قلت: وأخرجه أحمد (١/ ٢٩٣)، وأبو يعلى (٤/ ٤٣٠ رقم ٢٢٩/ ٢٥٥٦)، **وهو حديث صحيح**.

[من أنواع العبادة الخوف من الله]

(خوف) أي ومن أنواع العبادةِ الخوفُ من الله عزّ وجلّ، قال الله تعالىٰ: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥]، وقال سبحانه: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمٰن: ٤٦]، وقال تبارك وتعالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٠]، وقال عزّ وجلّ: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ [الإسراء: ٥٧]، وقال تبارك اسمُه: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ﴾ [الزمر: ٩] الآية، وغيرُها من الآيات.

وقال النبيّ ﷺ: «**والذي نفسي بيده لو تعلمون ما أعلم لضحِكتم قليلاً ولَبَكَيتم كثيراً، وما تلذَّذتم بالنساء على الفرُشات، ولخرجتم إلى الصُّعدات تجأرون**»، رواه أحمد(١) وابنُ ماجه(٢) والترمذي(٣) عن أبي ذرّ وحسنه الترمذي.

وفي البخاري(٤) عن أم العلاءِ الأنصارية رضي الله عنها قالت: قال رسولُ الله ﷺ: «**والله لا أدري، والله لا أدري ـ وأنا رسولُ الله ﷺ ـ ما يُفعل بي ولا بكم**».

وفي الترمذي(٥) عن أبي هريرة قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**ما رأيتُ مثلَ النارِ نام هاربُها، ولا مثلَ الجنةِ نام طالبُها**».

---

(١) في المسند (٥/ ١٧٣).

(٢) في السنن (٢/ ١٤٠٢ رقم ٤١٩٠).

(٣) في السنن (٤/ ٥٥٦ رقم ٢٣١٢)، وقال: **هذا حديث حسن غريب.**
وهو حديث حسن. وانظر: «الصحيحة» رقم (١٧٢٢).

(٤) في صحيحه (٣/ ١١٤ رقم ١٢٤٣).

(٥) في السنن (٤/ ٧١٥ رقم ٢٦٠١) وقال الترمذي: «**هذا حديث إنما نعرفه من حديث يحيى بن عبيد الله، وهو ضعيف عند أكثر أهل الحديث**».
قلت: وأخرجه ابن المبارك في «الزهد» رقم (٢٧)، وأبو نعيم في «الحلية» (٨/ ١٧٨)، والقضاعي في «مسند الشهاب» رقم (٧٩١ و٧٩٢)، وابن عدي في «الكامل» (٧/ ٢٦٦٠).
وقال أبو نعيم: «لم يروه عن عبد الله بن موهب إلاّ ابنه يحيى».
قلت: وهو متروك، وأبوه مجهول.
وللحديث شاهدين مرفوعين يتقوى بهما:
(الأول): عن عمر بن الخطاب مرفوعاً به.
أخرجه ابن عدي في «الكامل» (٥/ ٢٥٧ ـ ٢٥٨)، والسهمي في «تاريخ جرجان» (ص٣٠٢ وص٣٣٥)، بسند لا بأس به في الشواهد.
(والثاني): عن أنس مرفوعاً به. =

وفيه[1] عنه ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزِلَ، ألا إن سلعة الله غاليةٌ، ألا إن سلعةَ الله الجنة»**.

وله[2] عن أنس ﷺ عن النبيّ ﷺ قال: **«يقولُ الله جلّ ذكرُه: أخرجوا مَن ذكرني يوماً أو خافني في مقامي»**.

= أخرجه الطبراني في «الأوسط» كما في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٤١٢) وقال: «وفيه محمد بن مصعب القرقساني، وهو ضعيف بغير كذب»، وحسن الهيثمي إسناده في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢٣٠)، وانظر: «الصحيحة» رقم (٩٥٣).

والخلاصة إن الحديث بمجموع الطريقين حسن إن شاء الله.

(١) أي الترمذي في «السنن» (٤/ ٦٣٣ رقم ٢٤٥٠)، وقال: **هذا حديث حسن غريب** لا نعرفه إلاّ من حديث أبي النَّضر.

قلت: وفي سنده أبو فروة يزيد بن سنان التميمي الرهاوي وهو ضعيف.

وبكير بن فيروز لم يوثقه غير ابن حبان.

ولكن للحديث شاهد عن أبي نعيم في «الحلية» (٨/ ٣٧٧) عن وكيع.

والحاكم (٤/ ٣٠٨) من طريق عبد الله بن الوليد العدني؛ كلاهما عن سفيان عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن الطفيل بن أبي كعب عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: **«من خاف أدلجَ، ومن أدلجَ بلغَ المنزلَ، ألا إن سلعةَ الله تعالىٰ غاليةٌ، إلا إن سلعة الله الجنةُ، جاءتِ الراجفةُ تتبعُها الرادفةُ، جاء الموت بما فيه»**.

قال أبو نعيم: «غريب تفرد به وكيع عن الثوري بهذا اللفظ».

قلت: كلا؛ فقد تابعه العدني كما سبق.

وتابعه أيضاً قبيصة عن سفيان به دون الإدلاج والسلعة.

وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (١/ ٢٥٦)، والحاكم (٢/ ٤٢١، ٥١٣) من طريق قبيصة.

قال الحاكم: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي.

قلت: وإنما هو حسن الإسناد فقط للخلاف المعروف في ابن عقيل، وانظر: الصحيحة رقم (٩٥٤).

وخلاصة القول أن الحديث صحيح لغيره، والله أعلم.

(٢) أي وللترمذي في «السنن» (٤/ ٧١٢ رقم ٢٥٩٤) وقال: **هذا حديث حسن غريب**.

وأخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» رقم (٨٣٣)، والحاكم (١/ ٧٠) وابن خزيمة.

وقال الألباني في «ظلال الجنة» (٢/ ٤٠٠ ـ ٤٠١) **«حديث ضعيف ورجاله ثقات»**، غير أن مبارك بن فضالة مدلس وقد عنعنه، لكنه قد صرح بالتحديث في بعض الروايات...

قال الحاكم: صحيح الإسناد ووافقه الذهبي.

وأقول: إنما هو حسن فقط للكلام الذي في المبارك بن فضالة علاوة على كونه مدلساً.

وقد صرَّح بالتحديث في هذه الرواية، ولكن المؤمل وهو ابن إسماعيل البصري سيء=

وله[1] هو وابنُ ماجه[2] عن عائشةَ ﵂ قالت: سألتُ رسولَ الله ﷺ عن هذه الآية: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ [المؤمنون: ٦٠]، هم الذين يشربون الخمرَ ويسرقون؟ قال: «**لا يا ابنةَ الصّدّيق، ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدّقون وهم يخافون أن لا يُقبل منهم**»، ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [المؤمنون: ٦١].

وفيه[3] من حديث أبي جُحيفةَ قال: قالوا: يا رسولَ الله قد شِبتَ قال: «شيّبَتْني هودُ وأخواتُها».

= الحفظ كما قال الحافظ، فلا يحتج بزيادته التحديث لا سيما مع مخالفته لأبي داود الطيالسي وهو من الحفاظ، وقد تابعه الخصيب بن ناصح عند ابن خزيمة» اهـ.

وخلاصة القول أن الحديث ضعيف، والله أعلم.

(١) أي وللترمذي في «السنن» (٥/ ٣٢٧ ـ ٣٢٨ رقم ٣١٧٥).

(٢) في «السنن» (٢/ ١٤٠٤ رقم ٤١٩٨).

قلت: وأخرجه الحاكم (٢/ ٣٩٣ ـ ٣٩٤)، وأحمد (٦/ ١٥٩ و٢٠٥)، والبغوي في تفسيره (٥/ ٤٢١)، وابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ج١٨/ ٣٤).

قال الترمذي: «وقد روي هذا الحدث عن عبد الرحمٰن بن سعيد عن أبي حازم عن أبي هريرة عن النبيّ ﷺ نحو هذا».

قال الحاكم: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي.

قلت: بل إسناده منقطع بين عبد الرحمٰن وعائشة، فإنه لم يدركها، كما في «جامع التحصيل» رقم (٤٢٩).

قال الألباني في «الصحيحة» (١/ ٣٠٥ ـ ٣٠٦) ط. المعارف: «لكن يقوّيه حديث أبي هريرة الذي أشار إليه الترمذي فإنه موصول، وقد وصله ابن جرير ـ (١٠/ج١٨/ ٣٣) ـ حدثنا ابن حميد، قال: ثنا الحكم بن بشير قال: ثنا عمر بن قيس عن عبد الرحمٰن بن سعيد بن وهب الهمداني عن أبي حازم عن أبي هريرة قال: قالت عائشة: الحديث نحوه.

وهذا سند رجاله ثقات، غير ابن حميد، وهو محمد بن حميد بن حيان الرازي وهو ضعيف مع حفظه.

لكن لعله توبع، فقد أخرج الحديث ابن أبي الدنيا، وابن الأنباري في «المصاحف»، وابن مردويه، كما في «الدر المنثور» (٥/ ١١)، وابن أبي الدنيا في «طبقة شيوخ ابن جرير»، فأستبعد أن يكون رواه عن شيخه هذا، والله أعلم.

وله طريق آخر عند ابن جرير (١٠/ج١٨/ ٣٤) عن ليث وهشيم عن العوام بن حوشب جميعاً عن عائشة.

وخلاصة القول أن الحديث حسن، والله أعلم.

(٣) أي في سنن الترمذي. =

ومن حديث أبي بكر[1] رضي الله عنه: «**شيّبتني هودُ والواقعةُ والمرسلاتُ وعمّ يتساءلون وإذا الشمسُ كُوّرت**»، وغيرُ ذلك من الأحاديث.

[من أنواع العبادة التوكل على الله]

(**توكلٌ**) أي ومن أنواع العبادةِ التوكلُ على الله عزّ وجلّ، وهو اعتماد القلب

= قلت: لم أجده عنده بهذا اللفظ.
وأخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٧/ ٢٨٦ رقم ٧٩٠) من طريق أبي الخير عن عقبة بن عامر مرفوعاً به.
وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٣٦) وقال: ورجاله رجال الصحيح.
وقال الألباني في «الصحيحة» (٢/ ٦٤١): «وسنده جيد، ورجاله كلهم ثقات رجال الشيخين؛ غير شيخ الطبراني: محمد بن محمد التمار البصري؛ ذكره ابن حبان في «الثقات» (٩/ ١٥٣) وقال: «ربما أخطأ».
وأقرّه الحافظ في «اللسان» (٥/ ٣٥٨ ـ ٣٥٩) وقال: «أرّخ ابن المنادي وفاته سنة (٢٨٩)».
وقد روى له الطبراني في «الأوسط» نحو ستين حديثاً (٦٠٤١ ـ ٦١٠٠)، ولذا قال الهيثمي (٧/ ٣٧): «ورجاله رجال الصحيح» يعني باستثناء شيخ الطبراني كما هي عادته، فاعلمه.
وأخرجه أيضاً من حديث سهل بن سعد مرفوعاً به وزاد:
«الواقعة»، و«الحاقة»، و«إذا الشمس كورت» اهـ.
قلت: وأخرجه ابن سعد في «الطبقات» (١/ ٤٣٥،٤٣٥ ـ ٤٣٦)، عن قتادة مرفوعاً مختصراً بلفظ: «**شيئبتني هود وأخواتها**»، **وإسناده صحيح لولا أنه مرسل**.

(١) أخرجه الترمذي (٥/ ٤٠٢ رقم ٣٢٩٧)، وفي «الشمائل» رقم (٤١) ورجال إسناده ثقات غير معاوية بن هشام القصار فهو صدوق له أوهام، شيبان هو ابن عبد الرحمٰن النحوي، وأبو إسحاق هو عمرو بن عبد الله السبيعي، وقد اختلط وهو أيضاً مدلس وقد عنعن.
وفيه علة أخرى وهي الاختلاف على أبي إسحاق، والاختلاف في إرساله ووصله.
وقد قال المصنف في «السنن»: «**هذا حديث حسن غريب** لا نعرفه من حديث ابن عباس إلاّ من هذا الوجه، وروى علي بن صالح هذا الحديث عن أبي إسحاق عن أبي جحيفة نحو هذا، وروى عن أبي إسحاق عن أبي ميسرة شيء من هذا مرسلاً...».
قلت: رواية علي بن صالح أخرجها الترمذي في «الشمائل» رقم (٤٢) وقد ذكره ابن أبي حاتم في «العلل» (٢/ ١١٠ رقم ١٨٢٦) و(٢/ ١٣٤ رقم ١٨٩٤) وصوّب أبو حاتم الإرسال.
وقد أخرجه ابن سعد في «طبقاته» (١/ ٤٣٥)، والمروزي في مسند أبي بكر رقم (٣٠)، وأبو نعيم في «الحلية» (٤/ ٣٥٠)، والحاكم (٢/ ٣٤٣) وصححه على شرط البخاري ووافقه الذهبي ووافقهما الألباني في «الصحيحة» (٢/ ٦٣٩).
وللحديث شواهد، فهو صحيح بشواهده.

عليه وثقته به وأنه كافيه، قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣]، فجعله تعالىٰ شرطاً في الإيمان كما وصف المؤمنين أنهم أهلُه؛ إذ قال تعالىٰ: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٠، المائدة: ١١، التوبة: ٥١، إبراهيم: ١١، المجادلة: ١٠، التغابن: ١٣].

وقال موسى لقومه: ﴿إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ﴾ [يونس: ٨٤] الآيات.

وقال تعالىٰ عن رسله إذ قالوا لقومهم: ﴿وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [إبراهيم]، وقال تعالىٰ عن نبيّه هودٍ عليه السلام: ﴿إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ﴾ [هود: ٥٦] الآية.

وكذلك عن نبيّه نوح عليه السلام؛ إذ قال لقومه: ﴿يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً﴾ [يونس: ٧١] الآية.

وقال تعالىٰ عن شعيبٍ: ﴿وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨].

وقال تعالىٰ لنبيّنا محمّدٍ ﷺ: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ﴾ [النمل: ٧٩].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ﴾ [هود: ١٢٣]، وقال تعالىٰ: ﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ [المزمل: ٩].

وقال تعالىٰ: ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [التوبة: ١٢٩].

وقال تعالىٰ في مدح عبادِه المؤمنين: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣].

وقال تعالىٰ فيهم: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢].

وقال تبارك وتعالىٰ: ﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الشورى: ٣٦]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣]، أي كافيه، وقال تعالىٰ: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ [الزمر: ٣٦]، الجواب: بلى، والآياتُ في هذا البابِ كثيرةٌ.

وقال ابنُ عباس[1] رضي الله عنهما في هذه الآية: ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣]، قالها إبراهيمُ عليه السلام حين أُلقيَ في النار، وقالها محمّد ﷺ وأصحابُه حين: ﴿قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣].

وفي الصحيح[2] عنه رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«يدخل الجنةَ من أمتي سبعون ألفاً بلا حساب، هم الذين لا يَسْترقون ولا يتطيّرون وعلى ربّهم يتوكّلون»**.

وفي السنن[3]: (**«الطِّيَرةُ شِركٌ، الطيرةُ شرك»**. قال ابن مسعود: وما مِنّا إلاّ[4] ولكن الله يُذْهِبه بالتوكّل).

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» (٨/ ٢٢٩ رقم ٤٥٦٣) عنه.

(٢) البخاري (١١/ ٣٠٥ رقم ٦٤٧٢)، ومسلم (١/ ١٩٨ رقم ٢١٨).

(٣) أخرجه ابن حبان رقم (٦١٢٢)، وأبو داود رقم (٣٩١٠)، والطحاوي في «مشكل الآثار» (١/ ٣٥٨) و(٢/ ٣٠٤) من طريق محمد بن كثير العبدي، قال: أخبرنا سفيان الثوري، عن سلمة بن كُهيلٍ، عن عيسى بن عاصم الأسدي، عن زرّ بن حُبيشٍ، عن ابن مسعود، فذكر الحديث.
وأخرجه أحمد (١/ ٣٨٩، ٤٤٠)، والبخاري في «الأدب المفرد» رقم (٩٠٩)، والترمذي رقم (١٦١٤)، وفي «العلل الكبير» رقم (٤٨٥)، وابن ماجه رقم (٣٥٣٨)، والبيهقي في «السنن الكبرى (٨/ ١٣٩)» من طرق عن الثوري، به.
قال الترمذي: **هذا حديث حسن صحيح**، لا نعرفه إلاّ من حديث سلمة بن كهيل.
وأخرجه أحمد (١/ ٤٣٨) والطحاوي في «مشكل الآثار» (١/ ٣٥٨) و(٢/ ٣٠٤)، وفي «شرح معاني الآثار» (٤/ ٣١٢)، والطيالسي في «المسند» رقم (٣٥٦)، والبغوي رقم (٣٢٥٧)، والبيهقي (٨/ ١٣٩)، والحاكم (١/ ١٧ ـ ١٨، ١٨) من طرق عن شعبة، عن سلمة بن كُهيل به.
قال الحاكم: **هذا حديث صحيح سنده، ثقات رواته، ولم يخرجاه.**
وخلاصة القول: إن الحديث صحيح، والله أعلم.

(٤) قال ابن الأثير في «جامع الأصول» (٧/ ٦٣٠): «وما مِنّا إلاّ» في هذا الكلام محذوف، =

وفي جامع الترمذيِّ[1] وغيرِه[2] من حديث عمرَ بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**لو أنكم تَوكّلون على الله حقَّ توكُّلِه لرزقكم كما يرزُق الطيرَ، تغدو خِماصاً وتروح بِطاناً**».

وفي حديث الإيمان بالقدر: «**واعلم أن ما أصابك لم يكن لِيُخْطِئَك، وما أخطأكَ لم يكن لِيُصيبَك**»[3].

وفي مسند أحمدَ[4] وسننِ ابنِ ماجه[5] والدرامي[6] عن أبي ذرٍّ رضي الله عنه أن رسولَ الله ﷺ قال: «**إني لأعلم آيةً في كتاب الله عزّ وجلّ لو أخذ الناسُ بها لكفتْهم: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ**

= تقديره: وما منا إلاّ ويعتريه التَّطيُّرُ، ويسبق إلى قلبه الكراهة له، فحذف ذلك اختصاراً واعتماداً على فهم السامع، وقد جاء في «كتاب الترمذي» (٤/ ١٦١): أن هذا من كلام ابن مسعود، وليس من الحديث، والله أعلم .اهـ.
قلت: وانظر كلام الحافظ في «فتح الباري» (١٠/ ٢١٣).

(١) (٤/ ٥٧٣ رقم ٢٣٤٤)، وقال: **هذا حديث حسن صحيح**.

(٢) كابن ماجه (٢/ ١٣٩٤ رقم ٤١٦٤)، وابن حبان في صحيحه (رقم ٢٥٤٨ ـ موارد)، والحاكم (٤/ ٣١٨)، وأحمد (١/ ٣٠، ٥٢)، وأبو نعيم في «الحلية» (١٠/ ٦٩)، والبغوي في «شرح السنة» رقم (٤١٠٨)، والقضاعي في «مسند الشهاب» رقم (١٤٤٤ و١٤٤٥)، وابن المبارك في «الزهد» رقم (٥٥٩).
قال الحاكم: صحيح الإسناد، وأقرّه الذهبي.
وقال الألباني في «الصحيحة» رقم (٣١٠): «وأقول: **بل هو صحيح على شرط مسلم**، فإن رجاله رجال الشيخين غير ابن هبيرة وأبي تميم؛ فمن رجال مسلم وحده».
وخلاصة القول إن الحديث صحيح، والله أعلم.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) في «المسند» (٥/ ١٧٨ ـ ١٧٩).

(٥) في السنن (٢/ ١٤١١ رقم ٤٢٢٠).

(٦) في السنن (٢/ ٣٠٣).
قلت: وأخرجه النسائي في «التفسير» رقم (٦٢٣)، وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ١٦٦) كلّهم من حديث كَهمس عن أبي السَّلِيل عن أبي ذر ـ به.
بسند رجاله ثقات إلاّ أنه منقطع، فإن أبا السليل ضريب بن نفير ـ ثقة ـ لم يسمع من أبي ذر كما في «تهذيب التهذيب» (٢/ ٢٢٨).
وخلاصة القول أن الحديث ضعيف، والله أعلم.

﴿فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ۝٣﴾» [الطلاق].

ولابن ماجه[1] عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إن قلبَ ابنِ آدمَ لكل وادٍ شُعبةٌ، فمن أتبع قلبَه الشُّعَبَ كلَّها لم يبالِ الله بأيِّ وادٍ هلك، ومن توكل على الله كفاه الشُّعَب**»، وغيرُ ذلك من الآيات والأحاديث.

(من أنواع العبادة رجاء الله ولقائه)

(كذا الرجاء) أي ومن أنواع العبادةِ الرجاءُ، قال الله عزّ وجلّ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠]، وقال تعالىٰ: ﴿مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَءَاتٍ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [العنكبوت: ٥]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ۝٧ أُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ۝٨﴾ [يونس]، وغيرُ ذلك من الآيات.

وفي الحديث: «**أنا عند ظنِّ عبدي بي فليظُنَّ بي ما شاء**»[2].

وفي صحيح البخاريِّ[3] من حديث أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**إن الله تعالىٰ خلق الرحمةَ يوم خلقها مائةَ رحمةٍ فأمسك عنده تسعاً وتسعين رحمةً وأرسل في خلقه كلِّهم رحمةً واحدة، فلو يعلم الكافرُ بكل الذي عند الله من الرحمة لم ييأس من الجنة، ولو يعلم المؤمنُ بكل الذي عند الله من العذاب لم يأمن النارَ**».

وقال ﷺ في دعاء المكروب: «**اللّهمّ رَحمتك أرجو فلا تَكِلْني إلى نفسي ولا إلى أحد من خلقك طرفةَ عينٍ**»، الحديث رواه أبو داود[4] عن أبي بكر.

---

(١) في السنن (٢/ ١٣٩٥ رقم ٤١٦٦).
قال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (٣/ ٢٨٥ رقم ١٤٧٨/ ٤١٦٦): «هذا إسناد ضعيف، صالح بن زريق ليس له إلا هذا الحديث». قال في الميزان: «حديثه منكر».
والخلاصة أن الحديث ضعيف، والله أعلم.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) في صحيحه (١١/ ٣٠١ رقم ٦٤٦٩).

(٤) في السنن (٥/ ٣٢٥ رقم ٥٠٩٠).

[من أنواع العبادة الرغبة إلى الله والرهبة منه والخشوع له]

(ورغبةٌ ورهبةٌ خشوعُ) أي ومن أنواع العبادةِ الرغبةُ فيما عند الله عزّ وجلّ من الثواب، وهي راجعةٌ إلى معنى الرجاءِ، والرهبةُ مما عند الله من العقاب، وهي راجعةٌ إلى معنى الخوف.

والخشوعُ هو التذلُّلُ لله عزّ وجلّ، قال تعالىٰ في آل زكريا عليهم السلام: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠]، وقال تعالىٰ: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء: ١٠٩]، وقال تعالىٰ: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴿٤٥﴾ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [البقرة]، وقال تعالىٰ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾﴾ [المؤمنون: ١ ـ ٢]، وقال تعالىٰ: ﴿وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ [البقرة: ٤٠]، وقال تعالىٰ: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ ﴿٨﴾﴾ [الشرح: ٧ ـ ٨]، وغيرُ ذلك من الآيات.

وفي حديث الدعاءِ عند النوم: «**اللّهمّ إني أسلمتُ نفسي إليك، ووجهت وجهي إليك، وألجأت ظهري إليك، وفوّضت أمري إليك، رغبة ورهبة إليك**»، الحديث في الصحيحين[(١)].

ولابن أبي حاتم[(٢)] في خطبة أبي بكر ﵁: أما بعدُ، فإني أوصيكم بتقوى الله عزّ وجلّ، وتُثْنوا عليه بما هو أهلُه، وتخلِطوا الرغبةَ بالرهبة، وتجمعوا الإلحافَ بالمسألة، فإن الله عزّ وجلّ أثنى على زكريا وأهلِ بيتهِ، فقال تعالىٰ:

= قلت: وأخرجه أحمد (٥/ ٤٢).
في إسناده عبد الجليل هو ابن عطية القيسي أبو صالح البصري، وجعفر بن ميمون هو التميمي وكلاهما صالحان لكن لهما أوهام وأخطاء، **فسند الحديث حسن، والله أعلم**.

(١) البخاري (١٣/ ٤٦٢ رقم ٧٤٨٨)، ومسلم (١٤/ ٢٠٨١ رقم ٢٧١٠) من حديث البراء بن عازب.

(٢) في تفسيره ـ كما في تفسير ابن كثير (٣/ ٢٠٣) بسند ضعيف.
قلت: وأخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٣٨٣ ـ ٣٨٤)، وقال: **صحيح الإسناد**.
وعارضه الذهبي بقوله: «عبد الرحمٰن بن إسحاق كوفي ضعيف».
وخلاصة القول إن الحديث ضعيف، والله أعلم.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

وفي الصحيح[1] من حديث دعاءِ النبيِّ ﷺ في الركوع والسجود: «**خشع لك سمعي وبصري ومُخّي وعظمي وعصبي**»، وغيرُ ذلك من الأحاديث.

[من أنواع العبادة خشية الله]

(**وخشيةٌ**) أي ومن أنواع العبادةِ الخشيةُ، وهي مرادفةٌ للخوف. قال الله عزّ وجلّ: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى﴾ [البقرة: ١٥٠]، وقال تعالىٰ في مدح عباده المؤمنين: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٧] الآيات، وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ﴾ [المعارج: ٢٧] الآيات، وقال تعالىٰ في شأن كتابه العزيز: ﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ۙ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِىٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾ [الأنعام: ٥١] الآيات. وقال تعالىٰ: ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝٢ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ۝٣﴾ [طه]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ ۖ﴾ [يس: ١١] الآية.

وقال تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [الزمر: ٢٣] الآية، وقال تعالىٰ: ﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ۝٣٢ مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ۝٣٣﴾ [قٓ] الآيات.

وقال تعالىٰ في شأن الساعة: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا﴾ [النازعات: ٤٥]، وقال تعالىٰ: ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ۝٩ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ۝١٠﴾ [الأعلى] وغيرُ ذلك من الآيات. وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ﴾ [لقمان: ٣٣] الآية.

وفي جامع الترمذيِّ[2] من حديث أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: قال

---

(١) صحيح مسلم (١/ ٥٣٤ رقم ٧٧١) من حديث علي بن أبي طالب.

(٢) في السنن (٤/ ١٧١ رقم ١٦٣٣) وقال: **حديث حسن صحيح**، وهو كما قال.

قلت: وأخرجه النسائي (٦/ ١٢)، وأحمد (٢/ ٥٠٥)، والحاكم (٤/ ٢٦٠) وقال: **حديث**=

رسولُ الله ﷺ: «**لا يلِج النارَ رجلٌ بكَى من خشية الله تعالىٰ حتى يعودَ اللبَنُ في الضَّرْع**».

وفيه[1] عن أبي أُمامةَ رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ قال: «**ليس شيءٌ أحبَّ إلى الله من قطرتين وأثَرين: قطرة دموعٍ من خشية الله، وقطرةِ دمٍ تُهراقُ في سبيل الله. وأما الأثرانِ فأثرٌ في سبيل الله، وأثرُ فريضةٍ من فرائض الله تعالىٰ**». وقال: حديث حسن.

وفي الصحيح[2]: «**إن أخشاكم وأتقاكم لله أنا**» الحديث، وغيرُ ذلك من الأحاديث.

[من أنواع العبادة الإنابة إلى الله]

(**إنابةٌ**) أي ومن أنواع العبادةِ الإنابةُ وهي التوبةُ النَّصوحُ، والرجوعُ إلى الله تعالىٰ، قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ﴾ [الزمر: ٥٤].

وقال تعالىٰ في ذكر شعيبٍ: ﴿وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [الشورى: ١٠].

وقال تعالىٰ عن إبراهيم والذين معه: ﴿رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [الممتحنة: ٤].

وقال تعالىٰ في شأن عبادِه المؤمنين: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾ [الزمر: ١٧].

= **صحيح الإسناد**، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.
وخلاصة القول أن الحديث صحيح، والله أعلم.

(١) أي في سنن الترمذي (٤/ ١٩٠ رقم ١٦٦٩) وقال: **هذا حديث حسن غريب.**
وقال الألباني: **وهو حديث حسن.**

(٢) البخاري (٩/ ١٠٤ رقم ٥٠٦)، ومسلم (٢/ ٧٧٩ رقم ١١٠٨) من حديث أنس بن مالك.

وقال عن عبده داود عليه السلام: ﴿فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ [ص: ٢٤]، وفي ذلك آياتٌ كثيرةٌ سنذكر إن شاء الله ما تيسّر منها في بابه.

[من أنواع العبادة الخضوع لله]

(خضوع) أي ومن أنواع العبادة الخضوعُ، وهو والخشوعُ والتذلّلُ بمعنى، وتقدمت الآياتُ والأحاديثُ فيه.

(والاستعاذة) أي ومن أنواع العبادة الاستعاذةُ، وهي الامتناعُ بالله عزّ وجلّ والالتجاءُ إليه، قال عزّ وجلّ: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨]، وقال تعالىٰ: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾﴾ [المؤمنون].

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ٢٠٠]، وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾﴾ [الفلق] السورة. وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾﴾ [الناس] السورة.

وقال عن كليمه موسى عليه السلام: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ [غافر: ٢٧]. وقال تعالىٰ عنه عليه السلام: ﴿وَإِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ﴾ [الدخان: ٢٠].

وقال النبيُّ ﷺ: **«أعوذ بالله العظيم، وبوجهه الكريمِ، وبسلطانه القديمِ، من الشيطان الرجيم، من هَمْزه ونفخِه ونَفْثِه»**[(١)].

---

(١) الحديث مركب من حديثين:
(الأول): أخرجه أبو داود (١/٣١٨ رقم ٤٦٦)، ولفظه: **«أعوذ بالله العظيم بوجهه الكريم، وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم»**.
قال النووي في «الأذكار» رقم (٨٧/ ٦٩) حديث حسن رواه أبو داود بإسناد جيد.
وقال الألباني: حديث صحيح.
(والثاني): أخرجه أبو داود (١/٤٨٦ رقم ٧٦٤) ولفظه: «أعوذ بالله من الشيطان، من=

وقال: «أعوذ بكلمات اللَّهِ التامّاتِ من شرّ ما خلق»[1].

وقال: «اللّهمّ إني أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك، وبك منك»[2].

وقال: «تعوّذوا بالله من الفِتن»[3].

واستعاذ ﷺ من الهمّ والحزَنِ والعَجْزِ والكَسَلِ والبُخْلِ والجُبن وضَلَع الدين وغَلَبة الرجال[4]، ومن الردّ إلى أرذل العُمُر[5]، ومن المأثم والمغرَم، ومن فتنة القبرِ وعذابِ القبر، ومن فتنة النارِ وعذابِ النار، ومن شرِّ فتنةِ الغِنى، ومن شرِّ فتنةِ الفقرِ، ومن فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيحِ الدجال[6]، وغيرُ ذلك.

[من أنواع العبادة الاستعانة بالله وحده]

(والاستعانة) أي ومن أنواع العبادة الاستعانةُ، وهي طلبُ العونِ من الله عزّ

= نفخِه ونَفْثِه وهَمْزه».
قال الألباني: حديث ضعيف، انظر: «الإرواء» (٣٤٢).

(١) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٨٠ رقم ٢٧٠٨)، والترمذي (٥/ ٤٦٢ رقم ٣٤٣٧) وقال: **حديث حسن صحيح غريب**، وابن خزيمة في «صحيحه» (٤/ ١٥٠ رقم ٥٠٨)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٥/ ٢٥٣)، والطبراني في «الدعاء» (٢/ ١١٨٦، ١١٨٧، رقم ٨٣٠، ٨٣١، ٨٣٢، ٨٣٣) من طرق، **وهو حديث صحيح**.

(٢) أخرجه مسلم (١/ ٣٥٢ رقم ٤٨٦) من حديث عائشة.

(٣) أخرجه مسلم (٤/ ٢١٩٩ ـ ٢٢٠٠ رقم ٢٨٦٧) من حديث أبي سعيد الخدري.

(٤) أخرج البخاري رقم (٢٧٣٦ ـ البغا) من حديث أنس مرفوعاً بلفظ:
«اللّهمّ إني أعوذُ بكَ من الهَمِّ والحَزَنِ، والعجزِ والكسلِ، والبخْلِ والجُبنِ، وضلَعِ الدّينِ، وغلبةِ الرِّجالِ».

(٥) أخرج البخاري (١١/ ١٩٢ رقم ٦٣٩٠) عن مصعب بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال: كان النبيّ ﷺ يُعلمنا هؤلاء الكلمات كما نُعلِّم الكتابة:
«اللّهمّ إني أعوذُ بكَ من البخلِ، وأعوذ بك من الجبن، وأعوذ بك من أن نُردَّ إلى أرذلِ العمرِ، وأعوذ بك من فتنةِ الدنيا وعذابِ القبر».

(٦) أخرج البخاري (١١/ ١٨١ رقم ٦٣٧٥).
عن عائشة أن النبيّ ﷺ كان يقول: **«اللّهمّ إني أعوذ بك من الكسل والهرَم، والمغرَم والمأثم، اللّهمّ إني أعوذ بك من عذابِ النار وفتنة النار، وفتنة القبر وعذاب القبر، وشرِّ فتنة الغنى، وشرّ فتنة الفقر، ومن شرّ فتنة المسيح الدجال...».**

وجلّ، قال الله تعالىٰ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥].

أي لا نعبدُ إلاّ إياك ولا نستعين إلاّ بك، ونبرأُ من كل معبودٍ دونك ومن عابديه، ونبرَأ من الحولِ والقوةِ إلاّ بك، فلا حولَ لأحد عن معصيتك، ولا قوةَ على طاعتك إلاّ بتوفيقك ومعونتِك.

وقال عن نبيّه يعقوبَ عليه السلام: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ١٨].

وقال لنبيّه محمّد ﷺ: ﴿قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ وَرَبُّنَا ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ١١٢].

وفي الترمذي[١] من حديث وصيّةِ النبيِّ ﷺ لابن عباسٍ رضي الله عنهما: «**إذا سألتَ فاسأل الله، وإذا استعنتَ فاستعن بالله**» الحديث، وقال فيه: حسنٌ صحيح.

وفي صحيح مسلم[٢] من حديث أبي هريرةَ رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ الحديث وفيه: «**احرِص على ما ينفَعُك، واستعن بالله**».

وفيِ الترمذي[٣] من حديث معاذِ بنِ جبلٍ رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ: «**اللّهمّ أعِنّي على ذكرك وشكرِك وحُسْنِ عِبادتِك**»، وغير ذلك من الأحاديث.

[من أنواع العبادة الاستغاثة بالله]

(كذا استغاثة به سبحانة) أي ومن أنواع العبادةِ الاستغاثةُ بالله عزّ وجلّ، وهي طلب الغوثِ منه تعالىٰ من جلب خيرٍ أو دفع شرٍّ، قال الله عزّ وجلّ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال: ٩]،

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) في صحيحه (٤/ ٢٠٥٢ رقم ٢٦٦٤).

(٣) لم يخرجه الترمذي.

بل أخرجه أبو داود (٢/ ١٨٠ رقم ١٥٢٢)، والنسائي (٣/ ٥٣)، وأحمد (١٦/ ٢٠٤ رقم ٢٢٠١٨)، والحاكم (١/ ٢٧٣) وقال: **هذا حديث صحيح على شرط الشيخين**، ووافقه الذهبي.

وهو حديث صحيح.

وقال تعالىٰ: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾ [النمل: ٦٢] الآية، وقال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ﴾ [الشورى: ٢٨] الآية.

ومن دعاء النبيِّ ﷺ: «**يا حيُّ يا قيومُ، يا ذا الجلال والإكرام، يا بديعَ السمواتِ والأرض، برحمتك أستغيث**»[١].

وفي الطبراني[٢] بإسناده من حديث ثابتِ بنِ الضحاكِ أنه كان في زمن النبيِّ ﷺ منافقٌ يؤذي المؤمنين، فقال بعضُهم: قوموا بنا نستغيث برسول الله ﷺ من هذا المنافق، فقال ﷺ: «**إنه لا يُستغاث بي، وإنما يُستغاث بالله**».

وفي الصحيح[٣] من حديث أنسِ بن مالكٍ رضي الله عنه في الاستسقاء: فرفع رسولُ الله ﷺ يديه ثم قال: «**اللّهمّ أغِثْنا، اللّهمّ أغِثْنا، اللّهمّ أغِثْنا**»، وغيرُ ذلك من الأحاديث.

---

(١) أخرج الحاكم في «المستدرك» (١/٥٠٩) عن ابن مسعود قال: كان رسول الله ﷺ إذا نزل به همٌّ أو غمٌّ قال: «**يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث**».
قال الحاكم: **صحيح الإسناد** ولم يخرجاه.
واعترض عليه الذهبي في «التلخيص» بقوله: «عبد الرحمٰن لم يسمع من أبيه، وعبد الرحمٰن ومن بعده ليسوا حجة».
وأورده السيوطي في «الجامع الصغير» (٥/١٦٣ رقم ٦٨٠٩) وعزاه للحاكم ورمز لصحته.
واعترض عليه المناوي في «فيض القدير» وذكر كلام الذهبي السابق.
قلت: الراجح سماع عبد الرحمٰن من أبيه. انظر: «تهذيب التهذيب» (٦/ ١٩٥ ـ ١٩٦)
وقد قال الحافظ في «التقريب» (١/٤٨٨): ثقة، وقد سمع من أبيه، لكن شيئاً يسيراً.
وأمّا قول الذهبي عبد الرحمٰن ومن بعده ليسوا حجة فهو كما قال.
فعبد الرحمٰن بن إسحاق بن الحارث فهو ضعيف، والنضر بن إسماعيل ليس بالقوي، ووضاح بن يحيى النهشلي ضعيف.
وأورد الحديث الألباني في «صحيح الجامع» (رقم ٤٧٩١) وقال: **حديث حسن**.
ولحديث ابن مسعود شاهد من حديث أنس أخرجه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» رقم (٣٣٧) لكن فيه يزيد بن أبان الرقاشي وهو ضعيف.
وخلاصة القول أن حديث ابن مسعود حسن لغيره، والله أعلم.

(٢) في «الكبير» كما في «مجمع الزوائد» (١٠/١٥٩) من حديث عبادة بن الصامت.
وقال الهيثمي: ورجاله رجال الصحيح غير ابن لهيعة **وهو حسن الحديث**.

(٣) تقدم تخريجه.

[من أنواع العبادة الذبح نسكاً لله]

(والذبح) أي ومن أنواع العبادةِ الذبحُ نُسكاً لله تعالىٰ من هَدْيٍ وأُضحيةٍ وعَقيقة وغير ذلك، قال الله عزّ وجلّ: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ [الكوثر: ٢]، وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ﴾ [الأنعام: ١٦٢ ـ ١٦٣] الآيات. وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا﴾ [الحج: ٣٦] الآيات.

وفي صحيح مسلم[١] عن عليٍّ ﷺ قال: حدّثني رسولُ الله ﷺ بأربع كلماتٍ: «**لعن الله من ذبح لغير الله**»، الحديث.

وفي مسند الإمام أحمد[٢] رحمه الله عن طارق بن شهابٍ[٣] ﷺ أن رسولَ الله ﷺ قال: «**دخل الجنةَ رجلٌ في ذُباب، ودخل النار رجلٌ في ذباب**»، قالوا: وكيف ذلك يا رسولَ الله؟ قال: «**مرّ رجلان على قوم لهم صنمٌ لا يجاوزه أحدٌ حتى يقرِّبَ له شيئاً، فقالوا لأحدهما: قرِّبْ. قال: ليس عندي شيءٌ أقرِّبُ. فقالوا له: قرِّبْ ولو ذباباً، فقرّب ذباباً فخلَّوا سبيلَه فدخل النار. فقالوا للآخر: قرِّب. قال: ما كنت لأقربَ لأحد شيئاً دون الله عزّ وجلّ، فضربوا عنقَه فدخل الجنّة**».

[من أنواع العبادة النذر لله دون غيره]

(والنَّذْرُ) أي ومن أنواع العبادةِ النَّذْرُ لله عزّ وجلّ، قال الله تبارك وتعالىٰ:

---

(١) (٣/ ١٥٦٧ رقم ١٩٧٨).

(٢) عزاه إليه ابن القيم كما في «فتح المجيد» (ص١٥٩).
قلت: وأخرجه أحمد في «الزهد» رقم (٨٤) عن طارق بن شهاب عن سلمان الفارسي، **وهو موقوف صحيح**.
* في كتاب «الزهد» «سليمان» بدل «سلمان» وهو خطأ.

(٣) طارق بن شهاب: هو البَجَلي الأحمسي، أبو عبد الله، رأى النبيّ ﷺ وهو رجل.
قال البغوي: نزل الكوفة، وقال أبو داود: رأى النبيّ ﷺ ولم يسمع منه شيئاً.
قال الحافظ: إذا ثبت أنه لقي النبيّ ﷺ فهو صحابي، وإذا ثبت أنه لم يسمع منه، فروايته عنه مرسل صحابي، وهو مقبول على الراجح، وكانت وفاته ـ على ما جزم به ابن حبان ـ سنة ثلاث وثمانين. (فتح المجيد ص١٥٩).

﴿ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ﴾ [الحج: ٢٩]، وقال تعالىٰ: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا﴾ [الإنسان: ٧]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ﴾ [البقرة: ٢٧٠] الآية.

وعن عائشة رضي الله عنها عن النبيّ ﷺ قال: «**من نذر أن يُطيعَ الله فليُطِعْه، ومن نذر أن يعصيَ الله فلا يَعْصِه**»، رواه الجماعة إلاّ مُسلماً[١].

وعن عمرَ رضي الله عنه قال: نذرت نذراً في الجاهلية، فسألت النبيَّ ﷺ بعد ما أسلمت، فأمرني أن أُوفيَ بنذري، رواه ابن ماجه[٢].

وقال البخاري رحمه الله تعالىٰ: بابُ إثمِ من لا يفي بالنذر[٣]، وذكر حديثَ عِمرانَ بنِ حُصينٍ[٤] رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ قال: «**خيرُكم قَرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم**». قال عمرانُ: لا أدري ذكر اثنتين أو ثلاثاً بعد قَرنِهِ، «**ثم يجيء قومٌ ينذِرون ولا يوفون، ويخونون ولا يُؤتمنون، ويشهَدون ولا يستشهدون، ويظهر فيهم السِّمَنُ**».

وعن ابن عمرَ رضي الله عنهما أن عمرَ قال: يا رسولَ الله، إني نذَرت في الجاهلية أن أعتكفَ ليلةً في المسجد الحرام، قال: «**أَوْفِ بنذرك**»، وهو في الصحيح[٥] أيضاً.

ولعلّه هو النذرُ الذي في رواية ابن ماجه مُبْهماً فسّرتْه روايةُ الصحيح، وفي حديث الرجل الذي سأل النبيَّ ﷺ فقال له: إن أختي نذرت أن تحُجَّ وإنها ماتت، فقال النبيّ ﷺ: «**لو كان عليها دينٌ أكنت قاضِيَهُ؟**» قال: نعم، قال: «**فاقضِ الله،**

---

(١) البخاري (١١/ ٥٨١ رقم ٦٦٩٦)، وأبو داود (٣/ ٥٩٣ رقم ٣٢٨٩)، والترمذي (٤/ ١٠٤ رقم ١٥٢٦)، والنسائي (٧/ ١٧)، وابن ماجه (١/ ٦٨٧ رقم ٢١٢٦).

(٢) في السنن (١/ ٦٨٧ رقم ٢١٢٩).
قلت: وأخرجه البخاري (٤/ ٢٧٤ رقم ٢٠٣٢)، ومسلم (٣/ ١٢٧٧ رقم ١٦٥٦)، وأبو داود (٣/ ٦١٦ رقم ٣٣٢٥)، والترمذي (٤/ ١١٢ رقم ١٥٣٩)، والنسائي (٧/ ٢١ ـ ٢٢)، وأحمد (١/ ٣٧، ٤١٩)، والحميدي (٢/ ٣٠٤ رقم ٦٩١)، والبيهقي (٤/ ٣١٨) و(١٠/ ٧٦، ٨٣، ٨٤)، والدارمي (٢/ ١٨٣).

(٣) البخاري (١١/ ٥٨٠) رقم الباب (٢٧).

(٤) أخرجه البخاري (١١/ ٥٨٠ ـ ٥٨١ رقم ٦٦٩٥).

(٥) البخاري (٤/ ٢٧٤ رقم ٢٠٣٢)، ومسلم (٣/ ١٢٧٧ رقم ١٦٥٦) وقد تقدم آنفاً.

فاللَّهُ أحقُّ بالقضاء»[1]، وغيرُ ذلك من أحاديث الأمرِ بوفاء النذرِ عن النبيّ ﷺ.

[شروط النذر لله]

ومن شرطِ النذرِ لله تعالىٰ أن يكون طاعةً، وأن يكون مما يُطيقه العبدُ، وأن يكون فيما يملك، وأن لا يكون في موضع كان يُعبد فيه غيرُ الله تعالىٰ، أو ذريعةً إلى عبادة غيرِ الله تعالىٰ، ولمن كان معلّقاً بحصول شيءٍ، فلا يعتقد الناذرُ تأثيرَ النذرِ في حصوله.

أما الأولُ، فلقوله ﷺ: «**لا نذرَ في معصية الله ولا في قطيعة رَحِم**»، الحديث رواه أبو داود[2]، وكذا حديثُ عائشةَ السابقُ وغيرُه.

وأما الثاني، فلحديثُ عُقبةَ بنِ عامرٍ رضي الله عنه قال: نذرت أختي أن تمشيَ إلى بيت الله، فأمرتني أن أستفتيَ لها رسولَ الله ﷺ، فاستفتيته، فقال: «**لتمشِ ولتركَبْ**» متفقٌ عليه[3].

وعن ابن عباس[4] رضي الله عنهما قال: بينما النبيُّ ﷺ يخطُب إذ هو برجل قائم، فسأل عنه فقالوا أبو إسرائيلَ نذر أن يقومَ فلا يقعُد ولا يستظلَّ ولا يتكلمَ ويصومَ، فقال النبيّ ﷺ: «**مُرْه فليتكلم وليستظِلَّ وليقعُد وليُتِمَّ صومه**»، فأمر ﷺ بترك ما لم

---

(١) أخرجه البخاري (١١/ ٥٨٤ رقم ٦٦٩٩).

(٢) في «السنن» (٣/ ٥٨٢ رقم ٣٢٧٤).
قلت: وأخرجه النسائي (٧/ ١٢).
قال المنذري في «المختصر» (٤/ ٣٦٦): «وأخرجه النسائي، وقد تقدم الكلام على اختلاف الأئمة في الاحتجاج بحديث عمرو بن شعيب، وذكر أبو بكر البيهقي: أن حديث عمرو ـ هذا ـ لم يثبت».
وحديث أبي هريرة: «فليأت الذي هو خير، فهو كفارة» لم يثبت.
قال أبو داود: الأحاديث كلها عن النبيّ ﷺ «وليكفّر عن يمينه» إلاّ ما لا يُعبأ به اهـ.
وقال المحدث الألباني في ضعيف أبي داود: «**حسن ـ إلاّ قوله ومن حلف...» فهو منكر**. الضعيفة رقم (١٣٦٥)»اهـ.

(٣) البخاري (٤/ ٧٨ رقم ١٨٦٦)، ومسلم (٣/ ١٢٦٤ رقم ١٦٤٤).

(٤) أخرجه البخاري (١١/ ٥٨٦ رقم ٦٧٠٤)، وأبو داود (٣/ ٥٩٩ رقم ٣٣٠٠)، وابن ماجه (١/ ٦٩٠ رقم ٢١٣٦)، وابن الجارود رقم (٩٣٨)، والدارقطني (٤/ ١٦٠ رقم ٧)، والبيهقي (١٠/ ٧٥)، والبغوي في «شرح السنة» (١٠/ ٢٤) وغيرهم.

يكن مُطيقَه ولم يكن مشروعاً، وأمره بإتمام الصومِ لكونه يُطيقه ولكونه مشروعاً.

وأما الثالثُ، فلقوله ﷺ: «**لا وفاءَ لنذر في معصية الله، ولا فيما لا يملِك ابنُ آدم**»، رواه أبو داود[١] وغيرُه[٢] وإسنادُه صحيحٌ.

وأمّا الرابعُ، فلحديث ثابتِ بنِ الضحاك أن رجلاً أتى النبيَّ ﷺ فقال: إني نذرتُ أن أنْحَرَ إبلاً ببُوانةَ[٣]، فقال: «**كان فيها وثَنٌ من أوثان الجاهلية يعبد**»؟ فقالوا: لا، قال: «**فهل كان فيها عيدٌ من أعيادهم؟**» قالوا: لا، قال: «**أوفِ بنذرك، فإنه لا وفاءَ لنذر في معصية الله، ولا فيما لا يملِك ابنُ آدم**»، رواه أبو داود[٤].

وفي سدِّ الذرائعِ إلى ذلك حديثُ النهي عن اتخاذ القبورِ مساجدَ، ولَعْنِ من فعل ذلك كما سيأتي إن شاء الله تعالىٰ.

وأمّا الخامس، فعن ابن عمرَ رضي الله عنهما أن النبيَّ ﷺ قال: «**إن النذرَ لا يقدم شيئاً ولا يؤخِّره، وإنما يستخرج بالنذر من البخيل**»، وهو في الصحيح[٥].

وفيه[٦] في رواية عنه نَهى النبيُّ ﷺ عن النذر، وقال: «**إنه لا يردُّ شيئاً، ولكنه يستخرج به البخيل**».

وفيه[٧] عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: قال النبيُّ ﷺ: «**لا يأتي ابنَ آدمَ النذرُ بشيء، ولكن يُلقيه النذرُ إلى القدر قد قُدِّر له، فيَستخرج الله به من البخيل فيؤتى عليه ما لم يكن يؤتى عليه من قبل**»، وغيرُ ذلك من الأحاديث، وفيما ذكرنا كفايةٌ إن شاء الله تعالىٰ.

---

(١) في «السنن» (٣/ ٦٠٩ رقم ٣٣١٦) **بسند صحيح.**

(٢) كمسلم في «صحيحه» (٣/ ١٢٦٢ رقم ١٦٤١)، والنسائي (٧/ ٢٨) من حديث عمران بن حصين.

وهو حديث صحيح.

(٣) ببوانة: اسم موضع بأسفل مكة، أو وراء ينبع أو موضع بين الشام وديار بكر.

(٤) في «السنن» (٣/ ٦٠٧ رقم ٣٣١٣) **بسند صحيح.**

(٥) البخاري (١١/ ٥٧٥ رقم ٦٦٩٢)، ومسلم (٣/ ١٢٦١ رقم ٣/ ١٦٣٩).

(٦) البخاري (١١/ ٤٩٩ رقم ٦٦٠٨)، ومسلم (٣/ ١٢٦٠ رقم ٢/ ١٦٣٩).

(٧) البخاري (١١/ ٤٩٩ رقم ٦٦٠٩)، ومسلم (٣/ ١٢٦٢ رقم ٧/ ١٦٤٠).

[أنواع أخرى من العبادات الظاهرة والباطنة]

(وغير ذلك) أي من العبادات الظاهرةِ والباطنةِ والتسبيحِ والتحميدِ والتمجيد والتهليلِ والتكبير، وتلاوةِ القرآنِ وتدبّرهِ وتعلّمهِ وتعليمه، وسائرِ الأذكارِ المشروعة ومحبةِ الله ورسولِه والمؤمنين، والحبُّ في الله والبغضِ فيه، والموالاة والمعاداة لأجله، وغيرُ ذلك من العبادات التي لا تخرج عن تعريفنا السابق بأن العبادةَ اسمٌ جامعٌ لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمالِ الباطنةِ والظاهرة، وأن مناطَها الذي لا قِوامَ لها إلاّ به هو كمالُ الحبِّ وغايتُه مع غاية الذلّ، ولا تسمّى عبادةً إلاّ مع ذلك كلِّه.

فالمحبةُ وحدها التي لم يكن معها خوفٌ ولا تذلّلٌ كمحبة المطعم والمشربِ والأهلِ والمال والولد وغيرُ ذلك ليست بعبادة.

وكذلك الخوفُ بدون محبةٍ للمخوف منه، كالخوف من عدوٍّ أو غرقٍ أو حرقٍ ونحو ذلك لم يكن عبادةً، فإذا اجتمعا في العمل كان عبادةً، إن كانت لله فهو التوحيدُ الذي هو أشرفُ المطالب، وإن كانت لغيره فالشركُ الأكبرُ المخلدُ صاحبَه في النار والعياذُ بالله.

ولذا قلنا **(وصرفُ بعضِها)** أيَّ شيءٍ منها قلَّ أو كَثُر **(لغير الله)** كائناً من كان من ملَك أو نبيٍّ أو ولي أو قبرٍ أو جنيّ أو شجر أو حجر أو غيرِه، كلُّ ذلك **(شرك)** أكبرُ، **(وذاك)** إشارةٌ إلى الشرك هو **(أقبح المناهي)** على الإطلاق، قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَـٰفِلُونَ﴾ [الأحقاف: ٥] الآيات، أي لا أحدَ أضلُّ منه، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧]، وقال الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].

فالشركُ أعظمُ الظلم، لأن الظلمَ هو وضعُ الشيءِ في غير موضعِه، ولا أعظم ظلماً من شكاية العبدِ ربَّه ـ الذي هو أرحمُ الراحمين فيما أصابه من ضُرٍّ أو فاته من خير ـ إلى من لا يرحمه ولا يَسمعه ولا يُبصره ولا يعْلمه، ولا يملِك لنفسه ولا لداعيه من ضرٍّ ولا نفعٍ ولا موتٍ ولا حياةٍ ولا نشور، ولا يغني عنه مثقالَ ذرّة، وعُدولِه عمّن بيده ملكوتُ كل شيءٍ وهو يجير ولا يجار عليه، ويفزَع

في قضاءِ حوائجه إلى من لا قدرَة له على شيء البتّة: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ۝١٣ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ۝١٤﴾ [فاطر].

وصرْفِه عبادَة خالقِه ـ الذي خلقه لعبادته وتوحيدِه، ورباه بنعمه الظاهرة والباطنةِ وحَفِظَه وكَلأه بالليل والنهار وحماه من جميع المخاوفِ والأخطار ـ لمخلوق مثلِه خلقه الله بقدرته ولم يكُ من قبل شيئاً، بل هو مسخّرٌ مدبرٌ مربوبٌ متصرّفٌ فيه الله تعالىٰ بما شاء من أنواع التصرفِ، لا يُبدي حَراكاً ولا ينفكّ من قبضة الله عزّ وجلّ، بل هو خَلْقُه ومُلْكُه، مخلوقٌ لعبادته فيرفعه من درجة العبوديةِ والتألّه إلى جَعْله مألوهاً معبوداً: ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ﴾ [الروم: ٢٨] الآية.

هذا واللّهِ أظلمُ الظلم وأقبحُ الجهل وأكبرُ الكبائر، ولذا لم تدعُ الرسلُ إلى شيء قبل التوحيد، ولم تَنْه عن شيء قبلَ التنديد، ولم يتوعد الله على ذنب أكبرَ مما جاء على الشرك من الوعيد الشديد.

وفي الصحيح[1] عن ابن مسعود رضي الله عنه: قلت: يا رسولَ الله أيُّ الذنبِ أعظمُ؟ قال: **«أن تجعل لله نِدّاً وهو خلقَك»**.

وسنذكر إن شاء الله من الآيات والأحاديثِ قريباً ما تَقَرُّ به أعينُ الموحدين، وتدحض شُبهة المعاندين، ويدمَغُ باطلَ الملحدين.

والله المستعانُ وبه التوفيقُ.

---

(١) البخاري (٨/ ١٦٣ رقم ٤٤٧٧)، ومسلم (١/ ٩٠ رقم ٨٦).



[ال] فَصْل: [الرابع]:

في بيان ضد التوحيد، وهو الشركُ وكونِه ينقسم إلى قسمين: أكبر وأصغر، وبيان كل منهما



قد قدَّمنا انقسامَ التوحيد إلى قسمين: توحيدِ المعرفة والإثباتِ، وهو توحيدُ الربوبيةِ والأسماءِ والصفات، وتوحيدُ الطلب والقصد، وهو توحيدُ الإلٰهية والعبادة.

ولكنْ من هذه الأنواعِ ضدٌّ يُفهم من تعريفه، فإذا عرفتَ أن توحيدَ الربوبيةِ هو الإقرارُ بأن الله تعالىٰ هو الخالقُ الرازقُ المحيي المميتُ المدبّرُ لجميع الأمورِ المتصرفُ في كل مخلوقاتهِ لا شريكَ له في ملكه، فضِدُّ ذلك هو اعتقادُ العبدِ وجود متصرّفٍ مع الله غيرِه فيما لا يقدر عليه إلاّ الله عزّ وجلّ.

وإذا عرفتَ أن توحيدَ الأسماءِ والصفات هو أن يُدعَى الله تعالىٰ بما سمّى به نفسَه، ويوصَفَ بما وصف به نفسَه ووصفه به رسولُه محمدٌ ﷺ، وينفي عنه التشبيهَ والتمثيلَ، فضِدُّ ذلك شيئان ويعُمّهما اسمُ الإلحادِ:

(أحدهما): نفيُ ذلك عنَ الله عزّ وجلّ وتعطيلُه عن صفات كمالِه ونعوتِ جلاله الثابتةِ بالكتاب والسنة.

(ثانيهما): تشبيهُ صفات الله تعالىٰ بصفات خلقِه، وقد قال تعالىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، وقال تعالىٰ: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠].

وإذا عرفتَ أن توحيدَ الإلهيةِ هو إفرادُ الله تعالىٰ بجميع أنواعِ العبادةِ ونفيُ العبادةِ عن كلِّ ما سوى الله تبارك وتعالىٰ، فضدُّ ذلك هو صرفُ شيءٍ من أنواع العبادةِ لغير الله عزّ وجلّ، وهذا هو الغالبُ على عامة المشركين، وفيه الخصومةُ بين جميعِ الرسلِ وأممِها.

[أول ما ظهر من الشرك في قوم نوح]

وأولُ ما ظهر الشركُ في قوم نوحٍ على المشهور، وقد كان بنو آدمَ على ملّة أبيهم عليه السلام نحوَ عشرةِ قرونٍ كما قدمنا، وبه قال ابنُ عباس[1] وغيره في

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» رقم (٤٠٤٨)، والحاكم (٢/٥٤٦ ـ ٥٤٧) وقال=

تفسير قولِهِ عزّ وجلّ: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ٢١٣].

وذلك لأن الشيطانَ لعنه الله لم يزل دائباً جاداً مشمِّراً في عداوة بني آدمَ عليه السلام منذ كان أبوهم طيناً، فلما نفخ الله فيه الروحَ وعلّمه الأسماءَ كلَّها، وأمر الملائكةَ بالسجود له فسجدوا كلُّهم إلاّ إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين، وقال: ﴿ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ [الإسراء: ٦١]، وقال تعالىٰ: ﴿لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُۥ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ [الحجر: ٣٣].

فلما سأله الله عزّ وجلّ عن سبب امتناعِه من السجود واستكباره عن أمر ربِّه ـ والله تعالى أعلمُ به ـ فقال سبحانه له: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ﴾ [الأعراف: ١٢]، فأجاب الخبيثُ مفتخراً بأصله، طاعناً على ربّه تعالىٰ في حكمته وعدلهِ: ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ [الأعراف: ١٢]، فعامله الجبارُ بنقيض ما قصده، وأذاقه وبالَ حسَدِه، وأثمر له استكبارُه الذلَّ الأبديَّ الذي لا عزَّ بعده: ﴿قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٣]، وقال: ﴿ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ۖ﴾ [الأعراف: ١٨] الآية، وقال: ﴿فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٣٥﴾﴾ [الحجر].

فطلب الإنظارَ ليأخُذَ بزعمه من آدمَ وذريتِهِ بالثأر، ولا يعلم أنه بذلك إنما يزداد من غضب الجبار، وقد علم أنه لا سبيلَ له إلاّ على حزبه وتابعيه من الكفار، الذين هو إمامُهم في الخروج عن طاعة الله والاستكبارِ: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾﴾ [صٓ]، أجابه الله تعالىٰ إلى طلبته ليمتحنَ عبادَه اختباراً وابتلاءً: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ﴾ [الملك: ٢].

فقابل النعمةَ بالكفران، وجدّد صفقةَ الخسران، وأقسم ليستعمِلَنّ مُدّته

= الحاكم: حديث صحيح على شرط البخاري، ووافقه الذهبي.

قلت: الأثر صحيح عن ابن عباس، ولا يقبل مثل هذا إلاّ من كتاب أو سنّة.

وليستغرقَنّ حياتَه في إغواء ذريةِ آدمَ، الذين كان طردُه وأبعادُه بسببهم إذ لم يسجدُ لأبيهم، ولا رأى أن ذلك باستكباره عن أمر ربِّه، بل قدّس نفسَه اللئيمةَ، وأسند الإغواء إلى ربه مخاصمةً ومحادَّة ومشاقةً: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الأعراف].

ولم يقل اللعينُ «من فوقهم» لعلمه أن الله تعالىٰ من فوقهم، قال الله سبحانه: ﴿هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَىَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ [الحجر: ٤١ ـ ٤٢].

وقد علم الرجيمُ ذلك فقال آيساً منهم: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [الحجر: ٤٠]، ثم لما سعى إلى آدمَ وحواءَ وزوجِه في الجنة ودلّهما على تلك الشجرةِ التي نهاهم الله عزّ وجلّ عنها أن يَقْربوها، وأباح لهم ما سواها من الجنّة، فاستدرجهم اللعينُ بخِداعه وحيلتِه البائرة، وغرّهم بتلك اليمينِ الفاجرة: ﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ [الأعراف: ٢١].

فنفذ قضاءُ الله تعالىٰ وقدرُه بأكلهما منها: ﴿لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ [الأنفال: ٤٢].

وظنّ اللعينُ أنه قد أخذ بثأره من آدمَ، وأنه قد أهلكه معه، ولم يعلم بفضل الله عزّ وجلّ وسِعَةَ رحمتِه، الذي لا يقدر أحدٌ على شيء منه: ﴿وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢٩]، فلما عاتبهما الله تبارك وتعالىٰ على ذلك بقوله: ﴿أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [الأعراف: ٢٢].

لم يعترضا على قضاء اللهِ وقدَرِه ولم يحتجّا بذلك على ارتكاب ما نهى اللّهُ عنه، ولم يخاصِما به؛ كما قال اللعينُ مواجهاً ربَّه بقوله: ﴿فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي﴾ [الأعراف: ١٦].

بل اعترفا بقُدرة الله عليهما وأقرّا بظُلمهما لأنفسهما، وصرّحا بافتقارهما إلى ربِّهما وبكمال غِناه عنهما: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣].

وهذه هي الكلماتُ التي قال الله عزّ وجلّ: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٣٧].

ثم أراد الله سبحانه أن يُهبطهم إلى دار أخرى هي دارُ الامتحان والابتلاءِ ليتبيّن حزبَه الذين يتبعون رسلَه ويقاتلون أعداءَه، ويغرِسَ لهم بصالح الأعمالِ ما لا عينٌ رأت ولا أُذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، ويتبيّنَ حزبَ عدوِّه الذين اتّبعوه وأطاعوه وصاروا من خَيله ورَجِلِه وقد أعدّ لهم جهنّمَ وساءت مصيراً، وألقى العداوةَ ونصَب الحربَ بين هذين الحزبينِ في هذه الدار: ﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ﴾ [الأنفال: ٣٧]، فقال تعالىٰ: ﴿وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ [البقرة: ٣٦]، وقال: ﴿قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [البقرة].

ثم كان من كيد الشيطان مما قصّ الله عزّ وجلّ من إلقائه الفتنةَ بين ابنَي آدمَ، وقَتْلِ أحدِهما الآخرَ كما في سورة المائدةَ[1].

ولما مات آدمُ عليه السلام كان وصيُّه شَيثاً عليه السلام، ومضت تلك المدةُ التي ذكرنا والناسُ كلُّهم على شريعة من الحق؛ كما قال ابنُ جرير[2] رحمه الله تعالىٰ.

حدثنا محمدُ بنُ بشارٍ حدثنا أبو داودَ أخبرنا همامٌ عن قَتادةَ عن عِكرمةَ عن ابن عباس ﵄ قال: كان بين نوحٍ وآدمَ عشرةُ قرونٍ كلُّهم على شريعة من الحق فاختلفوا، فبعث الله النبيّين مبشرين ومنذرين، وزيَّن الشيطانُ لعنه الله لقوم نوحٍ عبادةَ الأصنامِ وكان أولَ ذلك أن زيَّن لهم تعظيمَ القبورِ والعُكوف عليها، وبيانُ ذلك ما روى البخاري[3] رحمه الله تعالىٰ عن ابن عباس قال في ودٍّ وسُواعٍ ويَغوثَ ويَعوقَ ونَسرٍ: (**هذه أسماء رجالٍ صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطانُ إلى قومهم أنِ انصِبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلِسون أنصاباً وسمُّوها بأسمائهم، ففعلوا ولم تُعبد، حتى إذا هلك أولئك وتُنوسِيَ العلمُ عُبدت**) اهـ.

---

(١) الآية (٢٧ ـ ٣١).

(٢) أثر صحيح تقدم تخريجه قريباً.

(٣) في صحيحه (٨/ ٦٦٧ رقم ٤٩٢٠).

فلو جاءهم اللعينُ وأمرهم من أول مرةٍ بعبادتهم لم يقبلوا ولم يُطيعوه، بل أمر الأوّلين بنصب الصورِ لتكون ذريعةً للصلاة عندها ممن بعدهم، ثم تكون عبادةُ الله عندها ذريعةً إلى عبادتها ممن يخلُفهم.

فلما أرسل الله سبحانه إليهم نوحاً عليه السلام فلبِث فيهم ما لبث يدعوهم إلى الله تعالىٰ وهم مستكبرون عن الحق حتى أهلكهم الله تعالىٰ بالطوفان.

ثم بعدهم عادٌ عبدوا آلهةً مع الله منها هدا وصدى وصمودا، فأرسل الله عزّ وجلّ إليهم هوداً عليه السلام فلبث فيهم ما لَبِث يدعوهم إلى توحيد الله عزّ وجلّ، فلما حقَّ عليهم العذابُ أهلكهم الله تعالىٰ بالرّيح.

ثم ثمودُ كذلك، وأرسل الله إليهم صالحاً عليه السلام فكذّبوه فأُهْلِكوا بالصيحة.

ثم قومُ إبراهيمَ، وعبدوا الشمسَ والقمرَ والنجومَ وعبدوا الأصنامَ وغيرَ ذلك، وقد قصّ الله تعالىٰ في كتابه كلَّ ذلك مفصّلاً عن الأُمم ورسلِهم. وعبد أولُ بني إسرائيلَ العجلَ وآخِرُهم عبدوا عُزيراً، وعبدت النصارى المسيحَ، وعبدت المجوسُ النارَ، وعبد قومٌ الماءَ، وعبد كلُّ قوم ما زيّنه الشيطانُ لهم على قَدْر عقولِهم، هذا في الأمم الأولى، وكلٌّ منها له وارثٌ من الأمم المتأخرة، فالأصنامُ التي في قوم نوحٍ قد انتقلت إلى العرب في زمن عمرِو بنِ لُحيٍّ قبحه الله تعالىٰ، كما ذكره ابنُ عباسٍ فيما رواه البخاريُّ[1] عنه ﷺ قال: أما وَدٌّ فكانت لكلْب بدُومة الجندل، وسُواعٌ كانت لهُذيل، وأما يَغوثُ فكانت لمراد، ثم لبني غُطيفٍ بالجَوف عند سَبأ، وأما يعوقُ فكانت لهمدانَ، وأما نسرٌ فكانت لحِمْير لآل ذي الكُلاع، انتهى.

[دخول الوثنية بلاد العرب على يد: عمرو بن لحي الخزاعي]

وتفسيرُ ذلك ما ذكره الكلبيُّ حيث قال: وكان عمرُو بنُ لُحي كاهناً وله رِئْيٌ من الجنِّ، فقال له: عجل السيرَ والظعنَ من تِهامة، بالسعد والسلامة، ائتِ جُدّة، تجد فيها أصناماً مُعَدة، فأورِدْها تهامةَ ولا تهبْ، ثم ادعُ العربَ إلى عبادتها تُجَب.

---

(١) في صحيحه (٨/٦٦٧ رقم ٤٩٢٠).

فأتى نهر جُدّة فاستثارها ثم حملها حتى ورد تِهامة وحضر الحجَّ فدعا العربَ إلى عبادتها قاطبةً، فأجابه عوفُ بنُ عدن بنِ زيدِ اللاتِ فدفع إليه وَداً فحمله، فكان بوادي القُرى بدُومة الجندلِ وسمى ابنَه عبدَ وَد، فهو أولُ من سُمّي به، وجعل عوفٌ ابنَه عامراً سادناً له فلم يزل بنوه يسدنونه حتى جاء الله بالإسلام.

قال الكلبي: فحدّثني مالكُ بنُ حارثةَ أنه رأى وَداً. قال: وكان أبي يبعثني باللبن إليه فيقول: اسقِه إلَهك فأشربه. قال: ثم رأيت خالدَ بنَ الوليد ﷺ كسّره فجعله جُذاذاً، وكان رسولُ الله ﷺ بعثَ خالدَ بنَ الوليد لهَدْمه فحالت بينه وبين هدمِه بنو عُذرةَ وبنو عامرٍ فقاتلهم فقتلهم وهدمه وكسّره.

قال الكلبي: فقلتُ لمالك بنِ حارثةَ: صف لي وَدّاً كأني أنظرُ إليه، قال: كان تمثالَ رجلٍ كأعظمِ ما يكون من الرجال، قد دَبر ـ أي نُقش ـ عليه حُلّتان، متّزرٌ بحُلّة، مُرتدٍ بأخرى، عليه سيفٌ قد تقلّده وقد تنكّب قوساً وبين يديه حَربةٌ فيها لواءٌ وقبضةٌ فيها نَبْلٌ بغير جُعبة. وأجابت عَمرو بنَ لُحيّ مُضرُ بنُ نزار، فدفع إلى رجل من هُذيل ـ يقال له الحارثُ بنُ تَمِيم بنِ سعدِ بنِ هُذَيلِ بنِ مُدركَةَ بنِ إلياس بنِ مُضَرَ ـ سُواعاً ـ فكان بأرض يقال لها وهاط من بطن نخلة يعبده من يليه من مضر، وفي ذلك يقول رجلٌ من العرب:

تراهم حولَ قِبلتِهم عُكوفاً كما عكَفتْ هذيلُ على سُواع

وأجابته مَذحِجُ فدفع إلى أنعمَ بنِ عمرٍو المُراديِّ يغوثَ، وكان بأكمة باليمن تعبده مذحج ومن والاها، وأجابته هَمْدانُ فدفع إلى مالكِ بنِ زيدِ بنِ جُشَمَ يعوق، فكان بقرية يقال لها خيوان فعبدته همدانُ ومن والاها من اليمن، وأجابته حِميرُ فدفع إلى رجل من ذي رُعَيْن يقال له مَعْدِي كَربُ نسراً، فكان بموضع من أرض سَبأ يقال له بَلْخعُ تعبُده حِميرٌ ومن والاها، فلم يزل يعبدونه حتى هوَّدهم ذو نُواس، فلم تزل هذه الأصنامُ تُعبد حتى بعث الله النبيَّ ﷺ فهدمها وكسرها.

وفي صحيح البخاريّ[1] عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ:

---

(١) في صحيحه رقم (٣٣٣٣ ـ البغا).
قلت: وأخرجه مسلم (٤/٢١٩١ رقم ٢٨٥٦).

«رأيتُ عَمْرو بنَ لُحَيٍّ الخزاعيَّ يجُرُّ قُصْبَه في النار، وكان أول من سيَّب السوائبَ»، وفي لفظ: **«وغيَّر دينَ إبراهيم»**[1].

وروى ابنُ إسحاقَ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول لأكثمَ بنِ الجوفِ الخزاعيِّ: **«يا أكثمُ، رأيت عمرَو بنَ لُحيٍّ بنِ قُمعةَ بن خِنْدِفٍ يجُرُّ قُصْبَه في النار، فما رأيتُ رجلاً أشبهَ برجل منك به ولا بك منه»**، فقال أكثم: عسى أن يضُرَّني شَبَهُه يا رسولَ الله، قال: **«لا، إنك مؤمنٌ وهو كافر، إنه كان أولَ من غيَّر دينَ إسماعيلَ، فنصب الأوثانَ وبحر البحيرةَ وسيّب السائبةَ وحمّى الحاميَ»**[2].

قال ابن هشام[3]: (حدثني بعضُ أهلِ العلم أن عَمْرو بنَ لُحيٍّ خرج من مكةَ إلى الشام في بعض أمورِه، فلما قدم مآبَ من أرض البلقاءِ ـ وبها يومئذ العماليقُ، وهم ولدُ عِملاقَ ويقال عَمليقُ بنُ لاوذَ بنِ سامِ بنِ نوحٍ ـ رآهم يعبدون الأصنامَ، فقال لهم: ما هذه الأصنامُ التي أراكم تعبدونَ؟ قالوا له: هذه الأصنامُ نعبُدها فنستمطِرُها فتُمطِرنا، ونستنصِرُها فتنصُرُنا. فقال لهم: أفلا تعطونني منها صنماً فأسير به إلى أرض العربِ فيعبدونه، فأعطَوْه صنماً يقال له هُبَلٌ، فقدِم به مكّةَ فنصبَه وأمر الناسَ بعبادته وتعظيمِه).

وقال ابنُ إسحاقَ[4]: (واتخذوا إسَافاً ونائلةَ على موضع زمزمَ ينحَرون عندهما، وكان إسافُ ونائلةُ رجلاً وامرأةً من جُرْهُم، هو إسافُ بنُ بغي ونائلةُ بنتُ ديك، فوقع إسافُ على نائلةَ في الكعبة فمسخهما الله حَجَرين... قال: وقال أبو طالب:

وحيث يُنيخ الأشعرون رِكابَهم ... بمُفْضِي السيولِ من إسافٍ ونائلِ

---

(1) لم أجده في الصحيحين ولا في أحدهما.
ومعناه عند أحمد (٣/٣٥٣) من حديث جابر.

(2) السيرة النبوية لابن هشام (١/١٢١) بسند صحيح وابن إسحاق صرّح بالتحديث.
وأخرجه أحمد في «المسند» (٣/٣٥٣ و٥/١٣٧) من حديث جابر.

(3) في السيرة النبوية (١/١٢١).

(4) ابن إسحاق بسند صحيح (١/٨٢ ـ ٨٣) عن عائشة موقوفاً.
وذكره ابن هشام في السيرة (١/١٢٧).

واتخذوا حول الكعبةِ نحوَ ثلاثمائةٍ وستين صنماً).

قال ابنُ إسحاق[1]: (وكان لخولانَ صنمٌ يقال له «عم أنس»[2] بأرض خَولانَ، يقسِمون له من أموالهم من أنعامهم وحروثِهم قسماً بينه وبين الله بزعمهم، فما دخل في حق «عم أنس»[2] من حق الله تعالىٰ الذي سمَّوْه له تركوه له، وما دخل في حق الله تعالىٰ من حق «عم أنس»[2] ردُّوه عليه، وهم بطنٌ من خولانَ يقال لهم الأديم، وفيهم أنزل الله تبارك وتعالىٰ فيما يذكُرون: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا فَقَالُوا۟ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾) [الأنعام: ١٣٦].

قال[3]: (وكان لبني مِلْكان بنِ كِنانةَ بنِ خُزيمةَ بنِ مُدرِكَةَ بنِ إلياسَ بنِ مُضَرَ صنمٌ يقال له سعد: صخرةٌ بفلاة من أرضهم طويلةٌ، فأقبل رجلٌ من بني ملكان بإبلٍ له مُؤبّلة لِيقِفَها عليه التماسَ بركتِه فيما يزعُم، فلما رأتْه الإبلُ ـ وكانت مَرْعيةً لا تُركب، وكان يُهرَاقُ عليه الدماءُ ـ نفرت منه فذهبت في كل وجه، وغَضِب ربُّها الملكاني فأخذ حجراً فرماه به وقال: لا بارك الله فيك، نفَّرت عليَّ إبلي. ثم خرج في طلبها حتى جمعها، فلما اجتمعت له قال:

أَتَينا إلى سَعْدٍ ليجمعَ شَملَنا فشتّتنا سعدٌ فلا نحن من سَعْدِ

وهل سعدُ إلاّ صخرةٌ بَتنوفةٍ[4] من الأرض لا تدعو لغيٍّ ولا رُشْدِ

وكان لِدَوسٍ صنمٌ لعَمْرِو بنِ حُمَمة الدَّوسيِّ).

قال[5]: (وكان لقريشٍ وبني كِنانةَ العُزَّى بنخلةَ وكانت سدنتُها وحجّابُها بنو شيبانَ من سُليم حلفاءُ أبي طالب).

---

(١) في السيرة النبوية (١/ ١٢٥).

(٢) في السيرة النبوية: «عُمْيَانِس».

(٣) في السيرة النبوية (١/ ١٢٦).

(٤) التنوفة: القفر الذي لا ينبت شيئاً.

(٥) في السيرة النبوية (١/ ١٢٨).

قلت: فبعث إليها رسولُ الله ﷺ خالدَ بن الوليد رضي الله عنه فهدمها[١].

قال[٢]: (وكانت اللاتُ لثقيفٍ بالطائف، وكان سدنتُها وحُجابُها بني مُعَتِّب من ثقيف).

قال[٣]: (وكان مَناةُ للأوس والخزرج ومن دان بدينهم من أهل يثرِبَ على ساحل البحر من ناحية المشلّل بقديد).

وقال ابن هشام[٤]: (فبعث رسولُ الله ﷺ إليها أبا سفيان بنَ حَرْبٍ رضي الله عنه فهدمها، ويقال عليّ بنُ أبي طالب رضي الله عنه).

قال ابن إسحاق[٥]: (وكان ذو الخَلَصة لدَوسٍ وخَثْعَم وبَجيلةَ ومن كان ببلادهم من العرب بِتَبالةَ، فبعث إليها رسولُ الله ﷺ جريرَ بنَ عبدِ الله البَجَليَّ رضي الله عنه فهدمها. قال: وكانت فَلْسُ لطَيءٍ ومن يليها بجَبَلَيْ طيِّء بين سَلْمى وأجأ).

قال ابنُ هشام[٦]: (فحدّثني بعضُ أهلِ العلم أن رسولَ الله ﷺ بعث إليها عليَّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه فهدمها فوجد فيها سيفين يقال لأحدهما الرسوب وللآخر المخذم فوهبهما له، فهما سيفا عليّ رضي الله عنه).

قال[٧]: (وكان لحِمْيَرَ وأهلِ اليمن بيتٌ بصنعاء يقال له رِئام).

قال[٨]: (وكانت رُضاءُ بيتاً لبني ربيعةَ بنِ كعبٍ وفيها يقول المستوغرُ بنُ ربيعةَ حين هدمها في الإسلام:

---

(١) أوردها ابن القيم في «إغاثة اللهفان» (٢/ ٢٥٧ ـ ٢٥٨) من رواية أبي صالح عن ابن عباس وهو ضعيف يرسل.

(٢) قاله ابن إسحاق كما في السيرة النبوية (١/ ١٢٩).

(٣) قاله ابن إسحاق كما في السيرة النبوية (١/ ١٢٩).

(٤) في السيرة النبوية (١/ ١٣٠).

(٥) كما في سيرة ابن هشام (١/ ١٣٠).

(٦) في السيرة (١/ ١٣١) وقد أبهم من حدثه.
وأخرجه ابن سعد في «الطبقات» (٢/ ١٦٤) معلقاً.
والواقدي في «المغازي» (٣/ ٩٨٥ ـ ٩٨٨) مرسلاً.
وخلاصة القول أن الحديث ضعيف.

(٧) قاله ابن إسحاق كما في السيرة النبوية (١/ ١٣١).

(٨) قاله ابن إسحاق كما في السيرة النبوية (١/ ١٣١).

ولقد شددتُ على رُضاءِ شدّةً فتركتُها قَفراً بقاعٍ[1] أسحما[2])

(وكان ذو الكَعباتِ لبكرٍ وتغلِبَ ابني وائلٍ وإيادٍ بِسَنْداد، وله يقول أعشى بني قيس:

بينَ الخَوَرْنَقِ[3] والسُّدَيرِ[4] وبارق[5] والبيتِ ذي الشُّرفاتِ من سنداد[6])[7]

قال ابنُ إسحاق[8]: (وكان عمرُو بنُ الجَموحِ سيّداً من سادات بني سلمة وشريفاً من أشرافهم، وكان قد اتّخذ في داره صنماً من خشب يقال له مَناةُ، فلما أسلم فتيانُ بني سلمةَ ـ معاذُ بنُ جبلٍ، وابنُه معاذُ بنُ عمرِو بنِ الجَموحِ، وغيرُهم ـ ممن أسلم وشهد العقبةَ، وكانوا يُدلجون بالليل على صنم عمروٍ ذلك فيحمِلونه فيطرحونه في بعض حُفرِ بني سلمةَ وفيها عَذِراتُ الناسِ مُنكّساً على رأسه، فإذا أصبح عمرو قال: ويلكم مَن عدا على آلهتنا هذه الليلةَ؟ قال: ثم يغدو يلتمسه حتى إذا وجده غسله وطهّره وطيّبه ثم قال: والله لو أعلم من فعل بك هذا لأُخزِيَنّه. فإذا أمسى ونام غَدَوا ففعلوا بصنمه مثلَ ذلك، فيغدوا يلتمسه فيجد به مثلَ ما كان فيه من الأذى فيغسله ويطهّره ويطيبه، فيغدون عليه إذا أمسى فيفعلون به ذلك، فلما طال عليه استخرجه من حيث ألقَوه فغسله وطهّره وطيّبه ثم جاء بسيفه فعلّقه عليه، ثم قال له: والله لا أعلم من يصنع بك ما ترى، فإن كان فيك خيرٌ فامتنع فهذا السيفُ معك. فلما أمسى ونام غدوا عليه فأخذوا السيف من

---

(١) القاع: المنخفض من الأرض.

(٢) الأسحم: الأسود.

(٣) الخورنق: قصر بالكوفة بناه النعمان بن المنذر في ستين سنة. [مراصد الاطلاع (١/ ٤٨٩)].

(٤) السُّدَيْر: قاع بين البصرة والكوفة، وموضع في ديار غطفان. [معجم البلدان (٣/ ٢٠٢)].

(٥) بارق: ماء بالعراق، وهو الحدّ بين القادسية والبصرة، وهو من أعمال الكوفة. [معجم البلدان (١/ ٣١٩)].

(٦) سنداد: قصر بالعذيب. وقيل: نهر، وقيل: هو أسفل سواد الكوفة. [معجم البلدان (٣/ ٢٦٥ ـ ٢٦٦)].

(٧) سيرة ابن هشام (١/ ١٣٢).

(٨) كما في «البداية والنهاية» للحافظ ابن كثير (٣/ ١٦٣ ـ ١٦٤)، و«إغاثة اللهفان» لابن قيم الجوزية (٢/ ٢٦٠ ـ ٢٦١).

عنقه، ثم أخذوا كلباً ميتاً فقرَنوه به بحبل ثم ألقَوه في بئر من آبار بني سلمةَ فيها عُذَرُ الناسِ، وغدا عمرٌو فلم يجده في مكانه الذي كان به، فخرج يتبعه حتى وجده في تلك البئر منكساً مقروناً بكلب ميت. فلما رآه أبصر شأنه، وكلّمه من أسلم من قومه فأسلم وحَسُن إسلامُه، فقال حين أسلم وعرف من الله ما عرف، وهو يذكر صنمه ذلك وما أبصر من أمره وشكر الله إذ أنقذه مما كان فيه من العمى والضلالة:

والـلّـهِ لـو كـنـتَ إلـهـاً لـم تـكـن ... أنـت وكـلـبٌ وسْـطَ بـئـرٍ فـي قَـرَنْ[1]
أُفٍّ لـمُـلـقـاكَ إلـهـاً مُـسْـتـدن ... تُـهـان أو تـسـأل عـن سـوء الـغَـبَـن[2]
الـحـمـدُ لـلّـه الـعـلـيِّ ذي الـمـنـنْ ... الـواهـبِ الـرازقِ ديّـان الـدِّيَـنْ
هـو الـذي أنـقـذنـي مـن قـبـل أن ... أكـونَ فـي ظـلـمـة قـبـرٍ مُـرتـهَـنْ)

قال ابنُ إسحاق[3]: (واتّخذ أهلُ كل دارٍ في دارهم صنماً يعبدونه، فإذا أراد رجل منهم سَفَراً تمسَّح به، فيكون آخرَ عهدِه وأولَ عهده، فلما بعث الله محمداً ﷺ بالتوحيد، قالت قريش: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾ [صٓ: ٥].

وكانت العربُ قد اتّخذت مع الكعبة طواغيتَ، وهي بيوتٌ تعظّمها كتعظيم الكعبة، لها سَدَنةٌ[4] وحُجّابٌ ويُهدى لها كما يُهدى للكعبة، ويطاف بها كما يطاف بالكعبة، ويُنْحَر عندها كما ينحر عند الكعبة).

(وكان الرجلُ إذا سافر فنزل منزلاً أخذ أربعةَ أحجارٍ فنظر إلى أحسنها فاتّخذه رباً وجعل الثلاثةَ أثافيَّ لقِدْره، فإذا ارتحل تركه، فإذا نزل منزلاً آخر فعل مثلَ ذلك)[5].

وقال أبو رجاءٍ العُطاردي[6]: (لما بُعث النبيُّ ﷺ فسمعنا به سمعنا بمُسَيْلِمةَ

---

(١) القَرَن: الحبل الذي يشدّ به الأسير.
(٢) الغَبَن: الخديعة.
(٣) كما في السيرة النبوية (١/ ١٢٨).
(٤) السَّدنة: الخَدَمة الذين يخدمونها.
(٥) ذكره ابن قيم الجوزية في «إغاثة اللهفان» (٢/ ٢٦١).
(٦) أبو رجاء العُطَاردي: عِمران بن مِلْحان التميمي البصري، من كبار المخضرمين، أدرك الجاهلية، وأسلم بعد فتح مكة، ولم ير النبيّ ﷺ.
[«سير أعلام النبلاء» (٤/ ٢٥٣ ـ ٢٥٧ رقم ٩٣)، و«الحلية» (٢/ ٣٠٤)].

الكذاب فلحِقنا بالنار، قال: وكنا نعبد الحجرَ في الجاهلية، فإذا وجدنا حجراً هو أحسنُ منه نُلقي ذاك ونأخذه، فإذا لم نجد حجراً جمعنا حَثْيةً من تراب ثم جئنا بغنم فحلبناها عليه ثم طُفْنا به، قال: وكنّا نعمِد إلى الرمل فنجمعُه ونحلِب عليه فنعبده، وكنا نعمِد إلى الحجر الأبيضِ فنعبده زماناً ثم نُلقيه)[1].

وقال أبو عثمانَ النهديُّ: (كنّا في الجاهلية نعبد حجراً، فسمعنا منادياً ينادي يا أهلَ الرِّحال إن ربَّكم قد هلك فالتمسوا ربًّا، قال: فخرجنا على كل صَعْبٍ وذَلول، فبينما نحن كذلك نطلبُه إذا نحن بمنادٍ ينادي: إنا قد وجدنا ربَّكم أو شِبْهه، فإذا حجرٌ فنحَرْنا عليه الجَزورَ)[2].

وقال عمرُو بنُ عبسةَ: (كنت ممن يعبد الحجارةَ فينزل الحيُّ ليس معهم إلٰهٌ، فيخرج الرجلُ منهم فيأتي بأربعة أحجارٍ فينصُب ثلاثةً لقِدره، ويجعل أحسنَها إلٰهاً يعبده، ثم لعله يجد ما هو أحسنُ منه قبل أن يرتحلَ فيتركُه ويأخذ غيره)[3].

(ولما فتح رسولُ الله ﷺ مكةَ وجد حول البيتِ ثلٰثمائةٍ وستين صنماً، فجعل يطعن بنَشَبة قوسِه في وجوهها وعيونِها ويقول: ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ﴾ [الإسراء: ٨١]، وهي تتساقط على وجوهها ثم أمر بها فأخرجت من المسجد وحُرّقت)[4].

وقال ابن القيم رحمه الله تعالىٰ في خاتمة كتابِه الإغاثة[5]:

[أسباب تلاعب الشيطان بالمشركين في عبادة الأصنام]

(فصل): (وتلاعبُ الشيطانِ بالمشركين في عبادة الأصنام له أسبابٌ عديدة، تلاعَبَ بكل قومٍ على قدر عقولِهم.

فطائفةٌ دعاهم إلى عبادتها من جهة تعظيمِ الموتى الذين صوّروا تلك الأصنامَ على صورهم كما تقدم عن قوم نوحٍ عليه السلام، ولهذا لعن النبيُّ ﷺ المتّخذين

---

(١) أورده ابن القيم في «إغاثة اللهفان» (٢/ ٢٦٢) مسنداً من طريق حنبل **وسنده صحيح**.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٣/ ٥٩ رقم ١٥٧٦١)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (١٠/ ٢٠٤) من طريق ابن أبي شيبة، **بسند حسن**.

(٣) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (٤/ ٢١٧) **بسند ضعيف**.

(٤) ذكره ابن قيم الجوزية في «إغاثة اللهفان» (٢/ ٢٦٢).

(٥) (٢/ ٢٦٣ ـ ٢٦٥).

على القبورِ المساجدَ والسُّرُجَ[1]، ونهى عن الصلاة إلى القبور[2]، وسأل ربَّه سبحانه أن لا يجعل قبرَه وثناً يُعبد[3]، ونهى أمتَه أن يتّخذوا قبرَه عيداً[4]، وقال: «**اشتد غضبُ الله على قوم اتّخذوا قبورَ أنبيائهم مساجدَ**»[5]، وأمر بتسوية القبورِ وطَمْسِ التماثيل[6].

قلت: وسنذكر الأحاديثَ المسندةَ في ذلك قريباً إن شاء الله تعالىٰ.

قال: فأبى المشركون إلاّ خلافَه في ذلك كلِّه إمّا جهلاً وإمّا عناداً لأهل

---

(١) يشير المؤلف رحمه الله إلى الحديث الذي أخرجه أبو داود (٣/٥٥٨ رقم ٣٢٣٦)، والترمذي (٢/١٣٦ رقم ٣٢٠)، وقال: **حديث حسن**.
والنسائي (٤/٩٤ رقم ٢٠٤٣)، وابن ماجه (١/٥٠٢ رقم ١٥٧٥) عن ابن عباس مرفوعاً بلفظ: «لعن رسول الله زائرات القبور والمتّخذين عليها المساجدَ والسُّرُج».
انظر: «الإرواء» (٣/٢١٣)، و«الضعيفة» رقم (٢٢٥).
وهو حديث حسن بشواهده ما عدا لفظ: «السُّرُج».

(٢) أخرج مسلم في صحيحه (٢/٦٦٨ رقم ٩٧٢) عن أبي مَرْثَد الغُنَوي أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تجلسوا على القبور ولا تصلّوا إليها**».

(٣) أخرجه مالك في «الموطأ» (١/١٨٥ - ١٨٦ - تنوير الحوالك) مرسلاً.
وأخرجه ابن سعد في «الطبقات» (٢/٢٤٠ - ٢٤١) من طريق عطاء بن يسار **مرسلاً بسند صحيح**.
وأخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (١/٤٠٦ رقم ١٥٨٧) عن زيد بن أسلم **مرسلاً**.
وأخرجه ابن أبي شيبة (٣/٣٤٥) عن زيد بن أسلم **مرسلاً بسند صحيح**.
وأخرجه أحمد في «المسند» موصولاً (٢/٢٤٦)، والحميدي (٢/٤٤٥ رقم ١٠٢٥)، وأبو نعيم في «الحلية» (٦/٢٨٣ و٧/٣١٧) عن أبي هريرة **بسند حسن**.
وخلاصة القول أن الحديث صحيح، والله أعلم.

(٤) أخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» (٢/١٨٦ رقم ٢١٤٠) عن علي بن حسين.

(٥) تقدم تخريجه آنفاً وهو **حديث صحيح**.

(٦) يشير المؤلف رحمه الله إلى الحديث الذي أخرجه مسلم (٢/٦٦٦ رقم ٩٣/٩٦٩)، وأبو داود (٣/٥٤٨ رقم ٣٢١٨)، والترمذي (٣/٣٦٦ رقم ١٠٤٩)، والنسائي (٤/٨٨ رقم ٢٠٣١)، وأحمد (١/٨٩).
عن أبي الهياج الأسدي قال: قال لي عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه: «ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ؟ أن لا أدع تمثالاً إلاّ طمسته ولا قبراً مشرفاً إلاّ سوّيته».
* وأخرج مسلم (٢/٦٦٦ رقم ٩٢/٩٦٨)، وأبو داود (٣/٥٤٩ رقم ٣٢١٩)، والنسائي (٤/٨٨ رقم ٢٠٣٠)، وأحمد (٦/١٨) عن ثُمَامَةَ بنَ شُفَي نحو ذلك.

التوحيد، ولم يضُرَّهم ذلك شيئاً، وهذا السببُ هو الغالبُ على عوامّ المشركين، وأما خواصُّهم فإنهم اتّخذوها بزعمهم على صور الكواكبِ المؤثّرة في العالم عندهم، وجعلوا لها بيوتاً وسَدَنَةً وحُجّاباً وحَجّاً وقُرباناً، ولم يزل هذا في الدنيا قديماً وحديثاً، فمنها بيتٌ على رأس جبلٍ بأصبهانَ، كانت به أصنامٌ أخرجها بعضُ ملوكِ المَجوسِ وجعله بيتَ نار.

ومنها بيتٌ ثانٍ وثالثٌ ورابعٌ بصنعاءَ، بناه بعض المشركين على اسم الزُّهْرة، فخرّبه عثمان رضي الله عنه.

ومنها بيتٌ بناه قابوسُ الملكُ على اسم الشمسِ بمدينة فَرغانَةَ فخرّبه المعتصم، وأشدُّ الأممِ في هذا النوع من الشرك الهندُ.

قال يحيى بنُ بِشرٍ: إن شريعةَ الهندِ وضعها لهم رجلٌ يقال بَرْهَمَنْ ووضع لهم أصناماً وجعل أعظمَ بيوتِها بيتاً بمدينة من مدائنِ السِّنْدِ، وجعل فيه صَنمهم الأعظمَ، وزعم أنه بصورة الهَيولى الأكبر، وفُتحت هذه المدينةُ في أيام الحجاجِ واسمُها المَلْتان.

إلى أن قال رحمه الله: وأصلُ هذا المذهبِ من مشركي الصابئةِ[١] وهم قومُ إبراهيمَ عليه السلام الذين ناظرهم في بطلان الشركِ وكسَر حجّتَهم بعلمه، وآلهتَهم بيده، فطلبوا تحريقَه[٢].

وهو مذهبٌ قديمٌ في العالم، وأهلُه طوائفُ شتّى، فمنهم عُبادُ الشمس،

---

(١) **الصابئة**: الصبوة في مقابلة الحنيفية، وفي اللغة صبا الرجل إذا مال وزاغ. وبحكم ميل هؤلاء عن سنن الحق وزيغهم عن نهج الأنبياء قيل لهم الصابئة.
وكانوا في مبدأ أمرهم يسجدون للكواكب، لكن لما كانت الشمس تغيب أو تختفي وراء الغيوم لذلك اخترعوا صوراً للكواكب وسمّوها بأسماء الكواكب. . .
وقيل: إن الصابئة من ولد صابئ بن لامك أخي نوح، وهؤلاء الصابئة هم الذين بعث إليهم إبراهيم عليه السلام حتى جرت بينه وبين ملكهم النمرود القصة المشهورة والتي وردت في القرآن، وفيها تكسير إبراهيم للأصنام.
انظر: «اعتقادات فرق المسلمين والمشركين» فخر الدين الرازي (ص١٤٣ ـ ١٤٤)، ط.مكتبة الكليات الأزهرية.

(٢) انظر الآيات (٤١ ـ ٤٩) من سورة مريم، والآيات (٦١ ـ ٧٠) من سورة الأنبياء.

زعموا أنها ملَكٌ من الملائكة لها نَفْسٌ وعقلٌ، وهي أصلُ نورِ القمرِ والكواكبِ، وتكوُّنُ الموجوداتِ السُّفليةِ كلِّها عندهم منها، وهي عندهم مَلَكُ الفَلَكِ يستحق التعظيمَ والسجودَ والدعاءَ.

ومن شريعتهم في عبادتها أنهم اتّخذوا لها صنماً بيده جوهرٌ على نوع النار، وله بيتٌ خاصٌ قد بنَوه باسمه وجعلوا له الوقوفَ الكثيرةَ من القُرى والضِّياع، وله سَدَنَةٌ وقُوَّامٌ وحَجبةٌ يأتون البيتَ، ويصلّون فيه لها ثلاثَ كرّاتٍ في اليوم، ويأتيه أصحابُ العاهاتِ فيصومون لذلك الصنمِ ويصلّون ويدعون ويستسقون به، وهم إذا طلعت الشمسُ سجدوا كلُّهم وإذا غرَبت، وإذا توسطت الفلَكَ.

ولهذا يقارفها الشيطانُ في هذه الأوقات الثلاثةِ لتقع عبادتُهم وسجودُهم له[1]، ولهذا نهى النبيُّ ﷺ عن تحرّي الصلاةِ في هذه الأوقات[2] قطعاً لمشابهة الكفارِ ظاهراً وسدّاً لذريعة الشركِ وعبادةِ الأصنام)اهـ.

قلت: وقد ذكر الله عزّ وجلّ عبادةَ الشمسِ عن أهل سبأَ من أرض اليمن في عهد بَلْقِيسَ، كما حكى قولَ الهُدهدِ حيث قال: ﴿وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [النمل: ٢٤] إلى آخر الآيات، وهداها الله تعالىٰ إلى الإسلام على يد نبيِّه سليمانَ عليه السلام حيث قالت: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [النمل: ٤٤]، ثم قال ابنُ القيّم[3] رحمه الله تعالىٰ:

---

(١) يشير المؤلف رحمه الله إلى الحديث الذي أخرجه مسلم رقم (٨٣٢) عن عمرو بن عبسة ـ في حديث طويل ـ قال فيه للنبيّ ﷺ: أخبرني عن الصلاة؟ قال: **«صلِّ صلاة الصبح، ثم أقصر عن الصلاةِ حتى تَطْلُعَ الشمس حتى ترتفعَ، فإنها تطلُع بين قرني شيطان، وحينئذٍ يسجُدُ لها الكفّار، ثُمَّ صَلِّ، فإنَّ الصلاة مشهودةٌ محضورةٌ حتى يستقلَّ الظلُّ بالرُّمح، ثم اقصر عن الصلاةِ، فإنَّ حينئذٍ تُسْجَرُ جهنَّم، فإذا أقبَلَ الفيءُ فصَلِّ، فإن الصلاةَ مشهودةٌ محضورةٌ حتى تُصلّي العصر، ثم أقصر عن الصلاةِ حتى تغرُبَ الشمسُ فإنها تغرُبُ بينَ قرني شيطانٍ، وحينئذٍ يسجُدُ لها الكفارُ»**.

(٢) أخرج البخاري (٦/ ٣٣٥ رقم ٣٢٧٢)، ومسلم (١/ ٥٦٨ رقم ٢٩١ رقم ٨٢٩) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«إذا طَلَعَ حاجبُ الشمسِ فدَعوا الصلاة حتى تبرز، وإذا غاب حاجبُ الشمس فدعوا الصلاة حتى تغيب»**.

(٣) في «إغاثة اللهفان» (٢/ ٢٦٦ ـ ٢٦٨).

[طائفة اتّخذت للقمر صنماً]

(فصل): وطائفةٌ أخرى اتّخذت للقمر صنماً وزعَموا أنه يستحق التعظيمَ والعبادةَ وإليه تدبيرُ هذا العالم السُّفليِّ، ومن شريعة عُبادِه أنّهم اتّخذوا لهم صنماً على شكل عِجْل ويجرّه أربعة، وبيد الصنم جوهرةٌ، ويعبدونه ويسجُدون له ويصومون له أياماً معلومةً من كل شهر، ثم يأتون إليه بالطعام والشرابِ والفرحِ والسرورِ، فإذا فرَغوا من الأكل أخذوا في الرقص والغناءِ وأصواتِ المعازفِ بين يديه.

[طائفة اتّخذت على صورة الكواكب أصناماً]

ومنهم من يعبد أصناماً اتّخذوها على صور الكواكبِ وروحانياتها بزعمهم، وبنَوْا لها هياكلَ، ومُتعبَّدات لكل كوكب منها هيكلٌ يخصّه وصنمٌ يخصّه وعبادةٌ تخصّه، ومتى أردت الوقوفَ على هذا فانظر في كتاب «السر المكتوم في مخاطبة النجوم» المنسوب لابن خطيب الريّ[1] تعرِفْ عبادةَ الأصنامِ وكيفيةَ تلك العبادةِ

---

(١) هو محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين بن علي التيمي، البكري... المعروف بالفخر الرازي وبابن خطيب الري، (أبو عبد الله، فخر الدين، أبو المعالي)، مفسّر، متكلّم، فقيه، أصولي، حكيم، أديب، شاعر، طبيب، مشارك في كثير من العلوم الشرعية والعربية والحكمية والرياضية... ولد بالري من أعمال فارس، ورحل إلى خوارزم وما وراء النهر وخراسان، وأخذ عنه خلق كثير وكان ينال من «الكرامية» وينالون منه سباً وتكفيراً حتى قيل: إنهم سمّوه، وتوفي بهراة وخلف تركة ضخمة.
من تصانيفه الكثيرة: «مفاتيح الغيب في تفسير القرآن» و «السر المكتوم في مخاطبة النجوم» وغيرهما...
[معجم المؤلفين (٣/٥٥٨ ـ ٥٥٩)].
وقال الحافظ ابن حجر في «لسان الميزان» (٤/٤٢٦): «الفخر بن الخطيب صاحب التصانيف، رأس في الذكاء والعقليات، لكنه عري من الآثار وله تشكيكات على مسائل من دعائم الدين تورث حيرة نسأل الله أن يثبت الإيمان في قلوبنا.
وله كتاب «السر المكتوم في مخاطبة النجوم» سحر صريح، فلعله تاب من تأليفه إن شاء الله» اهـ.
وقال الشيخ «محمد شريف الدين» في تعليقه على اللسان «عند قول الحافظ عن كتاب «السر المكتوم»... «أنه سحر صريح ما نصه»... فلم يصح أنه له، وقيل: إنه مختلق عليه وبتقدير نسبته إليه ليس بسحر فليتأمل من يحسن السحر. وعليه ردّ للشيخ «زين الدين=

وشرائطَها، وكلُّ هؤلاءِ مرجعُهم إلى عبادة الأصنام، فإنهم لا تستمر لهم طريقٌ إلاّ بشخص خاصٍّ على شكل خاص ينظرون إليه ويعكُفون عليه، ومن هنا اتّخذ أصحابُ الروحانياتِ والكواكبِ أصناماً زعَموا أنها على صورها، فوضعُ الصنمِ إنما كان في الأصل على شكل معبودٍ غائبٍ، فجعلوا الصنمَ على شكله وهيأتِه وصورتِه ليكون نائباً مَنابَه وقائماً مقامَه، وإلاَّ فمن المعلوم أن عاقلاً لا ينحت خشبةً أو حجراً بيده ثم يعتقد أنه إلٰهه ومعبودُه.

ومن أسباب عبادتِها أيضاً أن الشياطينَ تدخُل فيها وتخاطبهم منها وتخبرهم ببعض المغيباتِ عنهم، وتدلّهم على بعض ما يخفى عليهم، وهم لا يشاهدون الشيطانَ، فجَهلُتهم وسَقَطُهم يظنّون أن الصنمَ نفسَه هو المتكلّمُ المخاطِب، وعُقلاؤُهم يقولون إن تلك روحانياتُ الأصنامِ، وبعضُهم يقول إنها الملائكة، وبعضُهم يقول إنها هي العقولُ المجرّدة، وبعضُهم يقول هي روحانياتُ الأجرام العلوية، وكثيرٌ منهم لا يسأل عما عهِد، بل إذا سمع الخطابَ من الصنم اتّخذه إلٰهاً ولا يسأل عمّا وراءَ ذلك.

وبالجملة فأكثرُ أهلِ الأرضِ مفتونون بعبادة الأصنامِ والأوثانِ، ولم يتخلّص منها إلاّ الحنفاءُ أتباعُ ملةِ إبراهيمَ عليه السلام، وعبادتُها في الأرض من قَبل نوحٍ عليه السلام كما تقدم، وهياكلُها ووقوفُها وسَدَنتُها وحُجّابُها والكتبُ المصنفةُ في شرائع عبادتِها طبق الأرض.

قال إمامُ الحنفاء: ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [إبراهيم: ٣٥ ـ ٣٦].

والأممُ التي أهلكها الله تعالىٰ بأنواع الهلاكِ كلُّهم يعبدون الأصنامَ، كما قصّ الله عزّ وجلّ ذلك عنهم في القرآن وأنجى الرسلَ وأتباعَهم من الموحدين.

ويكفي في معرفة كثرتِهم وأنهم أكثر أهلِ الأرض، ما صحّ عن النبيِّ ﷺ:

= الملطي» المتوفى سنة (٧٨٨هـ) وسماه «انقضاض البازي في القصاص الرازي».
وفي «الفوائد البهية» أن «السر المكتوم...» ليس من مؤلفاته وإنما هو من وضع بعض الملاحدة نسبه إليه ليروّجه بين الناس.
وقد تبرأ الرازي نفسه من هذا الكتاب في بعض مصنفاته، فالظاهر أنه نسب إليه وهو حي» اهـ.

«أن بَعْثَ النارِ من كل ألفٍ تسعُمائة وتسعَةٌ وتسعون»[1].

وقد قال الله تعالىٰ: ﴿فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ [الإسراء: ٨٩]، وقال تعالىٰ: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: ١١٦]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف: ١٠٣]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ﴾ [الأعراف: ١٠٢].

ولو لم تكن الفتنةُ بعبادة الأصنامِ عظيمةً لما أقدم عُبّادُها على بذل نفوسِهم وأموالِهم وأبنائِهم دونها، فهم يشاهدون مصارِعَ إخوانِهم وما حلَّ بهم، ولا يزيدهم ذلك إلاّ حباً لها وتعظيماً، ويوصي بعضُهم بعضاً بالصّبر عليها، وتحمُّل أنواعِ المكارِهِ في نُصرتها وعبادتِها، وهم يسمعون أخبارَ الأمم التي فُتِنت بعبادتها وما حلَّ بهم من عاجل العقوبات، ولا يَثنيهم ذلك عن عبادتها، ففتنةُ عبادةِ الأصنام أشدُّ من فتنة عشقِ الصُوَر وفتنةِ الفجور بها، والعاشقُ لا يَثنيهِ عن مُراده خشيةُ عقوبةٍ في الدنيا ولا في الآخرة، وهو يشاهد ما يحِلُّ بأصحاب ذلك من الآلام والعقوباتِ والضربِ والحبسِ والنَّكالِ والفقر، غيرَ ما أعد الله له في الآخرة وفي البرزخ، ولا يزيده ذلك إلاّ إقداماً وحرصاً على الوصول والظفر بحاجته.

فهكذا الفتنةُ بعبادةِ الأصنام وأشدُّ، فإن تألُّه القلوبِ لها أعظمُ من تألُّهِها للصور التي يريد منها الفاحشةَ بكثير، والقرآنُ بل وسائرُ الكتبِ الإلٰهيةِ من أوّلها إلى آخرها مصرِّحةٌ ببطلان هذا الدين وكُفرِ أهلِه، وأنهم أعداءُ الله وأعداءُ رسلِه، وأنهم أولياءُ الشيطانِ وعبّادُه، وأنهم هم أهلُ النارِ الذين لا يخرُجون منها، وهم الذين حلّت بهم المَثُلاتُ، ونزلت بهم العقوبات، وأن الله سبحانه بريءٌ منهم هو وجميعُ رسلِه وملائكتِه، وأنه سبحانه لا يغفِر لهم ولا يقبل لهم عملاً، وهذا معلومٌ بالضرورة من الدين الحنيفِ، وقد أباح الله عزّ وجلّ لرسوله وأتباعِه من الحنفاء دماءَ هؤلاء وأموالهم ونساءَهم وأبناءَهم، وأمرهم بتطهير الأرضِ منهم حيث وُجدوا، وذمّهم بسائر أنواعِ الذمِّ، وتوعّدهم بأعظم أنواعِ العقوبة.

فهؤلاء في شِقٍّ ورسلُ الله في شق. ثم قال رحمه الله تعالىٰ[2]:

---

(١) أخرجه البخاري (٦/ ٣٨٢ رقم ٣٣٤٨) من حديث أبي سعيد الخدري.

(٢) أي ابن قيم الجوزية في «إغاثة اللهفان» (٢/ ٢٦٩).

«(فصل): **ومن أسباب عبادةِ الأصنامِ الغلوُّ في المخلوق، وإعطاؤه فوق منزلتِه حتى جعلوا فيه حظاً من الإلٰهية وشبَّهوه بالله تعالىٰ**، وهذا هو التشبيهُ الواقعُ في الأمم الذي أبطله الله سبحانه، وبعث رسلَه وأنزل كُتبَه بإنكاره والردِّ على أهله، فهو سبحانه ينفي وينهى أن يُجعلَ غيرُه مِثْلاً له ونِداً وشَبَهاً له، لا أن يُشبَّهَ هو بغيره إذ ليس في الأمم أمةٌ جعلته سبحانه مِثْلاً لشيء من مخلوقاته، فجعلت المخلوقَ أصلاً وشبّهت به الخالقَ، فهذا لا يُعرف في طائفة من طوائف بني آدمَ، وإنما الأولُ هو المعروفُ في طوائفِ أهلِ الشِّرك غلوّاً فيمن يُعظمونه ويحبونه حتى شبّهوه بالخالق وأعطَوه خصائصَ الإلٰهية، بل صرّحوا أنه إلٰهٌ وأنكروا جَعْلَ الآلهةِ إلهاً واحداً، وقالوا: اصْبِروا على آلهتكم، وصرَّحوا بأنه إلهٌ معبودٌ يُرجى ويخاف ويُعظم ويُسجَد له ويُحْلَف باسمه ويقرَّب له القرابينُ، إلى غير ذلك من خصائص العبادةِ التي لا تنبغي إلاّ لله تعالىٰ»اهـ.

ثم ذكر رحمه الله تعالىٰ في ذلك بحثاً نفيساً فأجاد وأفاد، ثم ذكر باقي طوائفِ المشركين من عبّاد النارِ والماءِ والحيواناتِ والملائكةِ وغيرِهم من الثَّنْوية والدهريةِ والفلاسفة، وذكر من أوضاع شرائِعهم الباطلةِ وأصولِها وكيفيةِ عبادتِهم لما ألّهوه، ونقض ذلك عليهم أتمَّ نقْضٍ[1]، تغمّده الله برحمته.

[أكثر شرك الأمم في الإلهية، لا بجحود الصانع]

والمقصودُ أن أكثرَ شركِ الأممِ التي بعث الله إليها رسلَه وأنزل كتبَه غالبهُم إنما أشرك في الإلٰهية، ولم يُذكر جحودُ الصانعِ إلاّ عن الدهرية[2] والثَّنْوية[3]، وأما

(١) انظر ذلك في كتابه «إغاثة اللهفان» (٢/٢٦٩ ـ . . . إلى آخر الجزء الثاني).

(٢) **الدهرية**: هم الذين ينفون الربوبية، ويحيلون الأمر والنهي، والرسالة من الله تعالىٰ، ويقولون: هذا مستحيل في العقول، ويقولون: بقدم العالم، وينكرون الثواب والعقاب ولا يفرقون بين الحلال والحرام، وينفون أن يكون في العالم دليل يدلّ على صانع ومصنوع وخالق ومخلوق، وينسبون النوازل التي تنزل بهم إلى الدهر.
انظر: «البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان» عباس بن منصور السكسكي، تحقيق: أحمد إبراهيم الحاج (ص٥٢)، ط. دار التراث العربي طبعة أولى (١٤٠٠هـ).
و«الفصل في الملل والأهواء والنحل» (١/٩ وما بعدها)، ط. دار المعرفة طبعة ثانية (١٣٩٥هـ).

(٣) **الثَّنوية**: هم الذين أثبتوا أصلين اثنين مدبِّرين قديمين يقتسمان الخير والشر والنفع والضر=

غيرُهم ممن جحدها عِناداً كفرعونَ ونمرودَ وأضرابِهم فهم مُقِرُّون بالربوبية باطناً كما قدمنا، وقال الله عزّ وجلّ عنهم: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا﴾ [النمل: ١٤]، وبقيةُ المشركين يُقِرُّون بالربوبية باطناً وظاهراً؛ كما صرّح بذلك القرآن فيما قدمنا من الآيات وغيرها، مع أن الشركَ في الربوبية لازمٌ لهم من جهة إشراكِهم في الإلٰهية، وكذا في الأسماء والصفاتِ، إذْ أنواعُ التوحيد متلازمةٌ لا ينفكّ نوعٌ منها عن الآخر، وهكذا أضدادُها فمن ضادَّ نوعاً من أنواع التوحيدِ بشيء من الشرك فقد أشرك في الباقي، مثالُ ذلك في هذا الزمن عُبّاد القبور إذا قال أحدُهم يا شيخُ فلان ـ لذلك المقبورِ ـ أغثني أو افعل لي كذا ونحوَ ذلك يناديه من مسافة بعيدة، وهو مع ذلك تحت الترابِ وقد صار تراباً، فدعاؤُه إياه عبادةٌ صَرَفها له من دون الله؛ لأن الدعاءَ مُخُّ العبادة، فهذا شركٌ في الإلٰهية. وسؤاله إيّاه تلك الحاجةَ من جلب خيرٍ، أو دفع ضُرٍّ، أو ردِّ غائبٍ أو شفاءِ مريضٍ، أو نحو ذلك مما لا يقدر عليه إلاّ الله معتقداً أنه قادرٌ على ذلك هذا شركٌ في الربوبية حيث اعتقد أنه متصرِّفٌ مع الله تعالىٰ في ملكوته.

ثم إنه لم يَدْعُه هذا الدعاءَ إلاّ مع اعتقاده أنه يسمعه على البعد والقرب، في أيِّ وقتٍ كان، وفي أي مكان، ويصرِّحون بذلك، وهذا شركٌ في الأسماء والصفاتِ، حيث أثبت له سمعاً محيطاً بجميع المسموعاتِ لا يحجبُه قربٌ ولا بُعْدٌ، فاستلزم هذا الشِّركُ في الإلٰهية الشركَ في الربوبية والأسماءِ والصفات.

[الكلام على الشرك الأكبر]

(والشركُ نوعان: فشركٌ أكبر   بِه خلودُ النار إذ لا يُغفر)
(وهو اتخاذُ العبدِ غيرَ اللَّهِ   نِدّاً بِه مسوِّياً مُضاهي)

(والشرك) الذي هو ضدُّ التوحيد **(نوعان)** أي ينقسم إلى نوعين **(فشرك أكبر)** ينافي التوحيدَ بالكلية ويخرج صاحبُه من الإسلام **(به خلودُ)** فاعلِه في **(النار)** أبداً

= والصلاح والفساد، يسمون أحدهما: النور، والثاني: الظلمة. ويزعمون أن الظلمة والنور يختلفان في الجوهر والطبع والعقل والحيز والمكان والأجناس والأبدان والأرواح.
المجوس: أثبتوا أصلين أيضاً إلاّ أنهم قالوا: بحدوث الظلام.
انظر «الملل والنحل» للشهرستاني على هامش الفصل (٢/ ٧٢ ـ ٧٤) ط. دار المعرفة.

(إذ) تعليلٌ لأبدية الخلودِ أي لكونه (لا يغفر) قال الله تبارك وتعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١١٦].

وقال تعالىٰ: ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۖ إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢]، وقال تعالىٰ: ﴿فَٱجْتَنِبُواْ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُواْ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾﴾ [الحج].

وقال لصفوة خلقِه وهم الرسل عليهم الصلاة والسلام بعد أن أثنى عليهم: ﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨].

وقال لخاتمهم محمد ﷺ: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الزمر].

فالشّركُ أعظمُ ذنبٍ عُصِيَ الله به، ولهذا أخبرنا سبحانه أنه لا يغفره وأنه لا أضلَّ من فاعله، وأنه مخلدٌ في النار أبداً لا نصيرَ له ولا حميمَ ولا شفيعَ يطاع، وأنه لو قام لله تعالىٰ قيامَ الساريةِ ليلاً ونهاراً، ثم أشرك مع الله تعالىٰ غيرَه لحظةً من اللحظات ومات على ذلك فقد حَبط عملُه كلُّه بتلك اللحظةِ التي أشرك فيها ولو كان نبياً رسولاً، ولو كان محمداً ﷺ، وهذا من تقدير وقوعِ المُحالِ وهو كثيرٌ في اللغة العربية، أي لو قُدِّرَ وقوعُ ذلك من ملك أو رسولٍ لكان كغيره من المشركين في حبوط عملِه وحلولِ غضبِ الله عليه، وإلاّ فلم يُرسل الله تعالىٰ رسولاً إلاّ معصوماً من جميع المعاصي فضلاً عن الشرك: ﴿ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ﴾ [الأنعام: ١٢٤].

والآياتُ في بيان عِظَم الشركِ ووعيدِ فاعله أكثرُ من أن يُحيطَ بها هذا

المختصرُ، وفي معناها من الأحاديث ما لا يحصى، ولنذكر من ذلك ما تيسّر فنقول وبالله التوفيق:

في الصحيح[1] عن عبد الله بن مسعودٍ ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من مات يشركُ بالله شيئاً دخل النارَ**»، وقلت أنا: ومن مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنّة.

وفيه[2] عن جابر بن عبد الله ﷺ قال: أتى النبيَّ ﷺ رجلٌ فقال: يا رسولَ الله ما الموجبتانِ؟ فقال: «**من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنّة، ومن مات يشرك بالله شيئاً دخل النار**».

وفيه[3] عنه ﷺ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**من لقيَ الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنّة، ومن لقيَ الله يشرك به شيئاً دخل النار**».

وفيه[4] من حديث أبي ذرٍّ ﷺ عن النبيّ ﷺ قال: «**أتاني جبريلُ عليه السلام فبشّرني أنه من مات من أمّتك لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنّة، قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: وإن زنى وإن سرق**».

وفيه[5] عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: سألتُ رسولَ الله ﷺ: أيُّ الذنب أعظمُ عند الله؟ قال: «**أن تجعلَ لله نِدّاً وهو خلقك**»، الحديث.

وفيه[6] عن أبي بكرةَ ﷺ قال: كنّا عند رسولِ الله ﷺ فقال: «**ألا أنبئُكم بأكبرِ الكبائر (ثلاثاً): الإشراكُ بالله، وعقوقُ الوالدين، وشهادةُ الزور**»، الحديث.

وروى أحمد[7] عن عائشة ﷺ قالت: قال رسولُ الله ﷺ: «**الدواوينُ**

---

(١) البخاري (٣/ ١١٠ رقم ١٢٣٨)، ومسلم (١/ ٩٤ رقم ٩٢).
(٢) في صحيح مسلم (١/ ٩٤ رقم ١٥١/ ٩٣).
(٣) في صحيح مسلم (١/ ٩٤ رقم ١٥٢/ ٩٣).
(٤) البخاري (٣/ ١١٠ رقم ١٢٣٧)، ومسلم (١/ ٩٤ رقم ٩٤).
(٥) تقدم تخريجه.
(٦) البخاري (٥/ ٢٦١ رقم ٢٦٥٤)، ومسلم (١/ ٩١ رقم ٨٧).
(٧) في المسند (٦/ ٢٤٠).
قلت: وأخرجه أبو نعيم في «أخبار أصبهان» (٢/ ٢)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٥٧٥ - ٥٧٦). =

عند الله ثلاثة: ديوانٌ لا يعبأ الله به شيئاً، وديوانٌ لا يترك الله منه شيئاً، وديوان لا يغفره الله. فأما الديوانُ الذي لا يغفره الله فالشركُ بالله، قال الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨، ١١٦]، وقال: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ﴾ [المائدة: ٧٢].

= قال الحاكم: صحيح، واعترض عليه الذهبي بقوله: «فيه صدقة بن موسى ضعَّفوه، ويزيد بن بابَنوس فيه جهالة».

قلت: صدقة بن موسى ضعيف، كما قال الذهبي.

أما يزيد بن بابَنوس بالراجح أنه لا بأس به، انظر كتاب: «تهذيب التهذيب» (١١/ ٢٧٦ رقم ٥٠٨).

وللحديث شواهد من حديث سلمان، وأنس، وأبي هريرة رضي الله عنهما.

* أما حديث سلمان فقد أخرجه الطبراني في «الكبير» (٦/ ٣١٠ رقم ٦١٣٣)، و«الصغير» (١/ ٤٠)، وابن حبان في «المجروحين» (٣/ ١٠٢) عن سلمان قال: قال رسول الله ﷺ: **«ذنب لا يغفر، وذنب لا يترك، وذنب يغفر. فأما الذي لا يغفر فالشرك بالله، وأما الذي يغفر فذنب العبد بينه وبين الله عزّ وجلّ، وأما الذي يترك، فظلم العباد بعضهم بعضاً».**

وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٣٤٨) وقال: «فيه يزيد بن سفيان بن عبد الله بن رواحة، وهو ضعيف، تكلم فيه ابن حبان، وبقية رجاله ثقات».

* وأما حديث أنس فأخرجه البزار في «مسنده» (٤/ ١٥٨ - ١٥٩ رقم ٣٤٣٩) عن أنس عن النبيّ ﷺ قال: **«الظلم ثلاثة: فظلم لا يغفره الله، وظلم يغفره، وظلم لا يتركه، فأما الظلم الذي لا يغفره، فالشرك. قال الله: ﴿إن الشرك لظلم عظيم﴾» [لقمان: ١٣].**

وأما الظلم الذي يغفره الله: فظلم العباد لأنفسهم، فيما بينهم وبين ربهم، وأما الظلم الذي لا يتركه الله: فظلم العباد بعضهم بعضاً، حتى يدين لبعضهم من بعض».

وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٣٤٨) وقال: «رواه البزار عن شيخه أحمد بن مالك القشيري ولم أعرفه، وبقية رجاله قد وثقوا على ضعفهم» اهـ.

قلت: حديث أنس ضعيف جداً.

* وأما حديث أبي هريرة فقد أخرجه الطبراني في «الأوسط» رقم (٧٥٩٥) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«ذنبٌ يغفرُ، وذنبٌ لا يغفرُ، وذنبٌ يجازي بهِ، فأما الذنب الذي لا يغفر فالشرك بالله، وأما الذنبُ الذي يغفر فعملكُ فيما بينك وبين ربّكَ، وأما الذي تُجازى به فظُلمكَ أخاك».**

وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٣٤٨) وقال: رواه الطبراني في «الأوسط» وفيه طلحة بن عمرو، وهو متروك.

قلت: فحديث أبي هريرة ضعيف جداً.

أما حديث أنس وأبي هريرة لا يصلحان للاستشهاد.

وخلاصة القول: أن حديث عائشة يرتقي بحديث سلمان إلى الحسن لغيره، والله أعلم.

وأما الديوانُ الذي لا يعبأ الله به شيئاً، فظلمُ العبدِ نفسه فيما بينه وبين الله من صوم يومٍ تركَه أو صلاة، فإن الله تعالىٰ يغفر ذلك ويتجاوزه إن شاء، وأما الديوانُ الذي لا يَترك الله منه شيئاً فظلمُ العباد بعضَهم بعضاً، القصاص لا محالة»، تفرّد به أحمدُ.

وله[1] عن معاويةَ رضي الله عنه قال: سمعت رسولَ الله ﷺ يقول: «كلُّ ذنبٍ عسى الله أن يغفِرَه، إلاّ الرجلَ يموت كافراً، أو الرجلَ يقتل مؤمناً متعمّداً»، رواه النسائي[2] أيضاً.

ولأحمد[3] عن أبي ذر رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «إن الله تعالىٰ يقول: يا عبدي، ما عبدْتَني ورجَوتني فإني غافرٌ لك على ما كان منك، يا عبدي إنك إن لقيتَني بقُراب الأرضِ خطايا ثم لقِيتَني لا تشرك بي شيئاً لَقِيتُك بقُرابها مغفرةً».

وللترمذي[4] وقال حسنٌ صحيح عن أنس رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ

---

(١) أي لأحمد في «المسند» (٤/ ٩٩).
قلت: وأخرجه الحاكم في «المستدرك» (٤/ ٣٥١) وقال: **صحيح الإسناد**، ووافقه الذهبي.
وقال الألباني في «الصحيحة» رقم (٥١١): أبو عون هذا لم يوثقه غير ابن حبان، وقد ترجمه ابن أبي حاتم (٤/ ٤١٤ ـ ٤١٥) ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً.

(٢) في «السنن» (٧/ ٨١ رقم ٣٩٨٤).
وله شاهد من حديث أبي الدرداء أخرجه أبو داود رقم (٤٢٧٠) وابن حبان رقم (٥١ ـ موارد)، والحاكم (٤/ ٣٥١)، وأبو نعيم في «الحلية» (٥/ ١٥٣).
قال الحاكم: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي. ووافقهما الألباني في «الصحيحة» رقم (٥١١).
وخلاصة القول: أن حديث معاوية صحيح لغيره، والله أعلم.

(٣) في «المسند» (٥/ ١٧٢).
قلت: وأخرجه الدارمي (٢/ ٣٢٢) كليهما من طريق شهر بن حوشب عن عمرو بن معدي كرب عن أبي ذر.
وفيه شهر بن حوشب: صدوق كثير الإرسال والأوهام قاله ابن حجر في «التقريب» رقم (٢٨٣٠).
وله شاهد من حديث أبي ذر عند الحاكم (٤/ ٢٤١) وأحمد (٥/ ١٠٨)، قال الحاكم: **صحيح الإسناد**، ووافقه الذهبي. وانظر: «الصحيحة» رقم (١٢٨).
والخلاصة فالحديث حسن لغيره، والله أعلم.

(٤) في «السنن» (٥/ ٥٤٨ رقم ٣٥٤٠) وقال: **حديث حسن غريب لا نعرفه إلاّ من هذا الوجه.** =

يقول: «**قال الله تعالىٰ: يا ابنَ آدمَ، إنك ما دعَوتني ورجَوتني غفرتُ لك على ما كان منك ولا أبالي. يا ابنَ آدمَ، لو بلغتْ ذنوبُك عِنانَ السماء ثم استغفرتني غفرتُ لك. يا ابنَ آدم، لو أتيتَني بقُراب الأرضِ خطايا ثم لقِيتَني لا تشرك بي شيئاً لأتيتُك بقُرابها مغفرة**».

ولابن أبي حاتم[1] عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**ما من نفس تموتُ لا تُشرك بالله شيئاً إلاّ حلَّت لها المغفرةُ، إن شاء الله عذّبها وإن شاء غَفر لها**»: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤٨، ١١٦].

ولأبي يعلى[2] عنه رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ قال: «**لا تزال المغفرةُ على العبد ما لم يقع الحجابُ**». قيل: يا نبيَّ الله وما الحجابُ؟ قال: «**الإشراك بالله**»، قال: «**ما من نفس تلقى الله لا تشرك به شيئاً إلاّ حلَّت لها المغفرةُ من الله تعالىٰ، إن شاء أن يعذبَها وإن شاء أن يغفرَ لها**»، ثم قرأ النبيُّ ﷺ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء: ٤٨، ١١٦].

ولأحمدَ[3] عن أبي سعيدٍ الخدريِّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة**».

= قلت: وفيه كثير بن فائد. قال عنه الحافظ في «التقريب» رقم (٥٦٢٠): مقبول. ويشهد له حديث أبي ذر المتقدم آنفاً. وانظر: «الصحيحة» رقم (١٢٧).
وخلاصة القول أن الحديث حسن.

(١) **كما في تفسير ابن كثير (١/ ٥٢٢) بسند ضعيف منقطع.**
فموسى بن عبيدة الربذي ضعيف، وعبد الله بن عبيدة لم يسمع من جابر.
قاله ابن معين، كما في «تهذيب التهذيب» (٢/ ٣٨٠) ط. الرسالة.
وهو حديث ضعيف بهذا السند، ولكنه حسن بشواهده.

(٢) لم أجده في المسند المطبوع.
وعزاه إلى أبي يعلى في «مسنده» الحافظ ابن كثير في «تفسيره» (١/ ٥٢٢) وسنده كالذي قبله من ضعف وانقطاع.
وهو حديث ضعيف بهذا السند، ولكنه حسن بشواهده.

(٣) في «المسند» (٣/ ٧٩) **بسند ضعيف.**
فيه عطية العوفي: ضعيف.
والحديث ضعيف بهذا السند، ولكنه حسن بشواهده.

ولابن أبي حاتم[1] عن أبي أيوبَ ﷺ قال: جاء رجل إلى النبيّ ﷺ فقال: إن لي ابنَ أخٍ لا ينتهي عن الحرام، قال: «**وما دينُه**»؟ قال: يصلي ويوحّد الله، قال: «**استوهِبْ منه دينه، فإن أبى فابتَعْه منه**». فطلب الرجلُ ذاك منه فأبى عليه، فأتى النبيَّ ﷺ فأخبره، فقال: وجدتُه شحيحاً على دينه، قال: فنزلت: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨، ١١٦].

وللطبراني[2] عن ابن عباس ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: «**قال الله عزّ وجلّ: من عَلِم أني ذو قُدرةٍ على مغفرة الذنوبِ غفرتُ له ولا أبالي، ما لم يشرك بي شيئاً**».

ولابن مردويه[3] عن عِمرانَ بن حُصينٍ ﷺ أن رسولَ الله ﷺ قال: «**أخبركم**

---

(١) كما في تفسير ابن كثير (١/ ٥٢٢).
قلت: وأخرجه الطبراني في الكبير (٤/ ١٧٧ رقم ٤٠٦٣).
فيه واصل بن السائب: قال البخاري وأبو حاتم منكر الحديث. وقال النسائي: متروك الحديث. انظر: «التاريخ الكبير» (٨/ ١٧٣) و«الجرح والتعديل» (٩/ ٣٠ - ٣١).
وأبو سورة: قال البخاري: منكر الحديث يروي عن أبي أيوب أحاديث لا يتابع عليه.
وانظر: «تهذيب التهذيب» (٤/ ٥٣٥) ط. الرسالة.
والخلاصة أن الحديث ضعيف جداً.

(٢) في «الكبير» (١١/ ٢٤١ رقم ١١٦١٥).
قلت: وأخرجه البغوي في «شرح السنة» (١٤/ ٣٨٨ رقم ٤١٩١).
كلاهما من طريق إبراهيم بن الحكم بن أبان، عن أبيه، عن عكرمة، عن ابن عباس.
وإبراهيم بن الحكم هذا: ضعيف. انظر: «الكامل» (١/ ٢٤١ - ٢٤٢)، و«التقريب» (١/ ٣٤ رقم ١٩٠).
وأخرج الحديث الحاكم (٤/ ٢٦٢) من طريق حفص بن عمر العدني، عن الحكم بن أبان، عن عكرمة، عن ابن عباس.
وحفص بن عمر العدني هذا ضعيف. انظر: «الكامل» (٢/ ٧٩٢ - ٧٩٤) و«التقريب» (١/ ١٨٨ رقم ٤٥٨).
أما الحكم بن أبان العدني: أبو عيسى ثقة صاحب سنة كما في «الكاشف» (١/ ٢٤٤ رقم ١١٨١).
وخلاصة القول أن الحديث حسن لغيره، والله أعلم.

(٣) عزاه إليه ابن كثير في تفسيره (١/ ٥٢٣) مسنداً.
فيه سعيد بن بشير: ضعيف. كما في «التقريب» رقم (٢٢٧٦). =

بأكبرِ الكبائر: الإشراك بالله، ثم قرأ: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨]، **«وعقوق الوالدين»** ثم قرأ: ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾ [لقمان: ١٤].

وللإمام أحمد[(١)] عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: ٨٢]، شقّ ذلك على الناس فقالوا: يا رسولَ الله أيُّنا لا يظلِم نفسَه؟ قال: **«إنه ليس الذي تَعنون، ألم تسمعوا ما قال العبدُ الصالحُ: ﴿يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]»** الحديث في الصحيحين[(٢)].

ولابن مردويه[(٣)] من حديث عُبادةَ وأبي الدرداءِ رضي الله عنهما: **«لا تشركوا بالله شيئاً وإن قُطّعتم أو صُلّبتم أو حُرّقتم»**.

= والحسن لم يسمع من عمران بن حصين كما في «المراسل» لابن أبي حاتم (ص٣٨ رقم ١٢٣)، وقال في (ص٤٥ رقم ١٥٢): «وسمع من عمران بن حصين شيئاً». ولكن العلائي في «جامع التحصيل» (ص١٩٥) نفى سماعه من عمران بن حصين، وهو الأقوى، والله أعلم.

وخلاصة القول أن الحديث ضعيف بهذا السند ولكنه حسن بشواهده.

(١) في «المسند» (٣/ ٥٠١ رقم ٣٥٨٩ ـ شاكر) **وإسناده صحيح.**

(٢) البخاري (١/ ٨٧ رقم ٣٢)، ومسلم (١/ ١١٤ ـ ١١٥ رقم ١٢٤).

(٣) عزاه إليه ابن كثير في تفسيره (٢/ ١٩٥) **بدون سند.**

* وأخرجه ابن ماجه (٢/ ١٣٣٩ رقم ٤٠٣٤) من حديث أبي الدرداء.

قال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (٣/ ٢٥٠ رقم ١٤٢١/ ٤٠٣٤): «هذا إسناد حسن، شهر مختلف فيه...».

وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤/ ٢١٦ ـ ٢١٧) وقال: «رواه الطبراني وفيه شهر بن حوشب وحديثه حسن وبقية رجاله ثقات» اهـ.

وخلاصة القول أن حديث أبي الدرداء حسن، والله أعلم.

* وأخرجه الطبراني ـ كما في «مجمع الزوائد» (٤/ ٢١٦) ـ من حديث عبادة بن الصامت.

وقال الهيثمي: وفيه سلمة بن شريح.

قال الذهبي: لا يعرف، وبقية رجاله رجال الصحيح.

وخلاصة القول: أن حديث عبادة حسن لغيره.

* وأخرجه أحمد (٥/ ٢٣٨) والطبراني في الكبير ـ كما في «مجمع الزوائد» (٤/ ٢١٥) من حديث معاذ. =

ولابن أبي حاتم[1] عن عُبادةَ بن الصامتِ ﷺ قال: أوصانا رسولُ الله ﷺ بسبع خصالٍ: «**لا تشركوا بالله شيئاً وإن حُرّقتم وقُطعتم وصُلّبتم**».

وفي الصحيحين[2] عن معاذ بنِ جبلٍ ﷺ قال: كنتُ رديفَ النبيِّ ﷺ على حمار فقال لي: «**يا معاذُ، أتدري ما حقُّ الله على العبادِ، وما حقُّ العبادِ على الله عزّ وجلّ؟**»، قلت: الله ورسولُه أعلَمُ. قال: «**حقُّ الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وحقُّ العبادِ على الله أن لا يعذِّبَ من لا يشركُ به شيئاً**».

وللبخاريِّ[3] عن سعيد بنِ المسيِّبِ عن أبيه ﷺ قال: لما حضرت أبا طالبٍ الوفاةُ دخل عليه النبيُّ ﷺ وعنده أبو جهلٍ وعبدُ الله بنُ أبي أميةَ، فقال النبيُّ ﷺ: «**أيْ عمِّ، قل لا إلٰه إلاّ الله أُحاجُّ لك بها عند الله**»، فقال أبو جهل وعبدُ الله بنُ أبي أميةَ: يا أبا طالب أترغب عن ملّة عبدِ المطلب؟ وقال النبيُّ ﷺ: «**لأستغفرَنّ لك ما لم أُنهَ عنك**»، فنزلت: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾ [التوبة: ١١٣].

والأحاديثُ في عِظمِ ذنبِ الشركِ وشِدةِ وعيدِه أكثرُ من أن تُحصى، وقد قدَّمنا من أحاديثِ التوحيدِ جملةً وافيةً عند الكلامِ على لا إلٰه إلاّ الله وغيرَ ذلك.

والمقصودُ أن الشركَ أعظمُ ما نهى الله عنه، كما أن التوحيدَ أعظمُ ما أمر الله به، ولهذا كان أولُ دعوةِ الرسلِ كلِّهم إلى توحيد الله عزّ وجلّ ونَفْيِ الشركِ، فلم يأمروا بشيء قبل التوحيد ولم يُنْهَوا عن شيء قبل الشركِ كما قدمنا بَسْطَ ذلك. وما ذكر الله تعالىٰ التوحيدَ مع شيء من الأوامر إلاّ جعله أوّلَها، ولا ذكر الشركَ مع شيء من النواهي إلاّ جعله أولَها، كما في آية النساء: ﴿۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟

= وقال الهيثمي: «ورجال أحمد ثقات إلاّ أن عبد الرحمٰن بن جبير بن نفير لم يسمع من معاذ. وإسناد الطبراني متصل وفيه عمرو بن واقد القرشي وهو كذاب» اهـ.
وخلاصة القول أن حديث معاذ حسن لغيره، والله أعلم.

(١) عزاه إليه ابن كثير في «تفسيره» (٢/ ١٩٥) مسنداً.
فيه يزيد بن قوذر، مجهول. وسلمة بن شريح: مجهول.
وخلاصة القول أن الحديث ضعيف بهذا السند، ولكنه حسن بشواهده.

(٢) البخاري (١٣/ ٣٤٧ رقم ٧٣٧٣)، ومسلم (١/ ٥٨ رقم ٣٠) وقد تقدم.

(٣) البخاري (٧/ ١٩٣ رقم ٣٨٨٤)، ومسلم (١/ ٥٤ رقم ٢٤).

بِهِۦ شَيْـًٔاۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء: ٣٦].

وكما في آية الأنعام التي طلب النبيُّ ﷺ البَيْعة عليها، وهي قولُه تعالىٰ: ﴿۞ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔاۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥۖ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام]، وكما في آيات الإسراءِ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًاۚ﴾ - إلى قوله - ﴿ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِۗ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾﴾ [الإسراء: ٢٣ ـ ٣٩]، فابتدأ تلك الأوامرَ والنواهيَ بالأمر بالتوحيد والنَّهْي عن الشِّرك، وختمها بذلك.

وكما في آيات الفُرقان في الثناء على عباده المؤمنين في اجتنابهم الفواحشَ: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَۚ﴾ [الفرقان: ٦٨] الآيات، وغيرُ ذلك من الآيات.

وكذلك في أحاديث النبيِّ ﷺ الجامعةِ للأوامر والنواهي يبدأ في الأوامر بالتوحيد وفي المناهي بالشرك، كما في حديث الكبائرِ المتقدمِ، وكما في حديثِ مَن سأل النبيَّ ﷺ فقال: دُلَّني على عمل يقرّبني من الجنة ويباعدني عن النار، قال: **«لقد سألتَ عن عظيم، وإنه ليسيرٌ على من يسَّره الله عليه: تعبدُ الله ولا تشرك به شيئاً»**[1]، وذكر الحديث.

وكذا في أحاديث أركانِ الإسلام، كحديث جبريلَ المشهورِ[2]، وحديث ابنِ

(١) البخاري (٣/ ٢٦١ رقم ١٣٩٦)، ومسلم (١/ ٤٣ رقم ١٤/ ١٣) من حديث أبي أيوب.
(٢) البخاري (١/ ١١٤ رقم ٥٠)، ومسلم (١/ ٣٩ ـ ٤٠ رقم ٩ و١٠) من حديث أبي هريرة.

عمرَ[1]، وحديث وفدِ عبدِ القيس[2] وغيرِها يبدأ فيها بالشهادتين.

ومن تتبع القرآنَ والسنةَ وتدبّر نصوصَهما تبيّن له أنها لا تخرج عن الأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك وما يتعلق بذلك، ولم يخلق الله الخلقَ إلاّ لذلك.

[تعريف الشرك]

(وهو) أي الشركُ الذي تقدم ذكرُه في المتن وذِكرُ النصوصِ فيه في الشرح: **(اتخاذُ العبدِ غيرَ الله)** من نبي أو وليّ أو ملَكٍ أو قبرٍ أو جِنّيٍّ أو شجرٍ أو حجرٍ أو حيوان أو نار أو شمسٍ أو قمر أو كوكبٍ أو غيرِ ذلك، **(نِدّاً)** من دون الله **(مسوِّياً به)** الله، يحبّه كحب الله، ويخافه ويخشاه كخشية الله، ويتبعه على غير مرضاةِ الله ويطيعه في معصية الله ويُشركه في عبادة الله **(مضاهِي)** به الله، قال الله تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]. وحكَى عنهم في اختصامهم في النار: ﴿قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾﴾ [الشعراء].

وقد أخبرنا الله عزّ وجلّ أنهم لم يسوُّوهم به في خلق ولا رزقٍ ولا إحياء ولا إماتة، ولا في شيء من تدبير الملكوتِ بل أخبرنا أنهم مُقِرّون لله تعالىٰ بالرّبوبية: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الزخرف: ٩]، وغيرُ ذلك من الآيات والأحاديثِ التي تقدّمت، ولكنهم سوَّوْهم بالله تعالىٰ في حبّهم إياهم كحبّ الله ولم يجعلوا المحبةَ لله وحده في خوفهم منهم وخشيتِهم كخشية الله، ولم يجعلوا الخشيةَ لله والخوفَ من الله وحده، وأشركوهم في عبادة الله ولم يُفْرِدوا الله بالعبادة دون سواه، مع أنهم لم يعبدونهم استقلالاً بل زعموهم شفعاءَ لهم عند الله ليقرِّبوهم إلى الله زُلفى، ولكن اعتقدوا تلك الشفاعةَ والتقريبَ مِلْكاً للمخلوق ويطلبونه منه، وأن له أن يشفعَ بدونَ إذن الله، والله تعالىٰ يقول: ﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ﴾ [يونس: ٣]، ولهذا سمّى الله تعالىٰ استشفاعَهم ذلك شركاً؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا

---

(١) البخاري (١/ ٤٩ رقم ٨)، ومسلم (١/ ٤٥ رقم ١٦).

(٢) البخاري (١/ ١٢٩ رقم ٥٣)، ومسلم (١/ ٤٦ رقم ١٧) من حديث ابن عباس.

يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [يونس: ١٨]، فجمعوا في ذلك بين شركين:

(الأول): عبادتُهم إياهم من دون الله عزّ وجلّ.

(والثاني): جَعلهم شفعاءَ بدون إذنِ الله عزّ وجلّ.

وقال تعالىٰ: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُاْۚ﴾ [الأنعام: ٩٤].

وأيضاً فقد أخبرنا الله تعالىٰ أنهم إنما كانوا يعبدون معه غيرَه في الرخاء، وأمّا في الشدة فكانوا يخلصون العبادةَ لله، قال الله تعالىٰ: ﴿فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلْفُلْكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٥]، وقال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِي ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٞ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّۗ﴾ [يونس: ٢٢ ـ ٢٣]، وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعٗا وَخُفْيَةٗ لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٣﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٖ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [الأنعام].

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرّٞ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةٗ مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوٓاْ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادٗا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦۚ﴾ [الزمر: ٨]، وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرّٞ دَعَوْاْ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٞ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾ [الروم: ٣٣]، وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِي ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا﴾ [الإسراء: ٦٧] الآيات، وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ أَغَيْرَ ٱللَّهِ تَدْعُونَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾﴾ [الأنعام]، وغير ذلك من الآيات.

وفي حديث حُصينٍ[1] المتقدم لما قال له النبيّ ﷺ: «**كم تعبُدِ اليومَ من إله**»؟ قال: سبعةً ستةً في الأرض وواحداً في السماء. قال: «**فمن تُعِدُّ لرغبتك ورهبتِك**»؟ قال: الذي في السماء. ولما ركب بعضُ مشركي قريش[2] فارّاً من النبيّ ﷺ حين فتح مكةَ، فلما اضطرب البحر عليهم وشاهدوا من أمر الله ما شاهدوا، فقال بعضُهم لبعض: ادعوا الله فإنه لا ينجيكم مِن هذا إلاّ هو، فقال: والله إن كان لا ينفع في البحر إلاّ هو فإنه لا ينفع في البرّ إلاّ هو، لئن أخرجني الله من هذه لأذهبنّ إلى رسولِ الله ﷺ فلأضَعَنّ يدي في يده[3].

وهذا بخلاف مشركي زمانِنا اليوم من عُبّاد القبورِ وغيرِها، فإنهم يشركون في الشدة أضعافَ شركِهم في الرخاء، حتى إن كانوا يَنْذِرون لهذا الوليّ في الرخاء ببعير أو تَبيع أو شاةٍ أو دينارٍ أو درهمٍ أو نحو ذلك، فأصابتهم الشدةُ زادوا ضعفَ ذلك فجعلوا له بعيرين أو تبيعين أو شاتين أو دينارين أو درهمين أو غيرَ ذلك.

وأيضاً فإنهم يعتقدون فيهم من صفات الربوبيةِ وأنهم متصرِّفون فيما لا يقدر عليه إلاّ الله، وغلا بعضُهم حتى جعل منهم المتصرِّفَ في تدبير الكونِ على سبيل الاستقلالِ ويقولون فيه إنها لا تتحرك ذرةٌ ولا تسكُن إلاّ بإذن فلانٍ، تعالىٰ الله وتقدّس وجلّ وعلا عن أن يكون معه إلٰهٌ غيرُه أو يكون له شريكٌ في الملك أو وليٌّ من الذل: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢]، ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾﴾

---

(١) **وهو حديث ضعيف** أخرجه الترمذي (٥/ ٥١٩ رقم ٣٤٨٣) وقد تقدم.

(٢) وهو عكرمة بن أبي جهل، وقد أسلم. انظر: «الإصابة» رقم (٥٦٥٤)، و«الاستيعاب» رقم (١٨٥٧)، و«أسد الغابة» رقم (٣٧٤١).

(٣) أخرجه النسائي (٧/ ١٠٥ ـ ١٠٦ رقم ٤٠٦٧)، وأبو داود (٣/ ١٣٣ رقم ٢٦٨٣) و(٤/ ٥٢٧ رقم ٤٣٥٩)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٧/ ٤٠)، والبزار (٢/ ٣٤٣ رقم ١٨٢١ ـ كشف)، والحاكم في «المستدرك» (٣/ ٤٥) وصححه ووافقه الذهبي. وأبو يعلى في «المسند» رقم (٧٥٧) من حديث سعد بن أبي وقاص.
وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/ ١٦٨ ـ ١٦٩) وقال: «رواه أبو داود وغيره باختصار ورواه أبو يعلى والبزار... ورجالهما ثقات» اهـ.
وخلاصة القول أن الحديث صحيح.

[المؤمنون]، ﴿قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّٱبْتَغَوْا۟ إِلَىٰ ذِى ٱلْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾ [الإسراء]، وغيرُ ذلك من الآيات.

(يقصِدُه عند نزولِ الضُرّ	لجلب خيرٍ أو لدفع الشرّ)
(أو عند أيِّ غرضٍ لا يقدرُ	عليه إلا المالكُ المقتدرُ)
(مع جعله لذلك المدعوّ	أو المعظَّم أو المَرجُوّ)
(في الغيب سلطاناً به يطّلعُ	على ضمير مَن إليه يفزَعُ)

(يقصده) أي المتّخذُ ذلك الندَّ من دون الله يقصد نِدَّه **(عند نزول الضر)** به من خير فاته أو شرٍّ دَهَمه **(لجلب خير)** له **(أو لدفع الشر)** عنه **(أو عند)** احتياج **(أي غرض)** من الأغراض، والحالُ أنه **(لا يقدر عليه)** أي على ذلك الغرضِ **(إلا المالكُ المقتدر)** وهو الله سبحانه وتعالىٰ **(مع جعله)** أي العبدِ **(لذلك المدعوِّ أو المعظم أو المرجوّ)** من ملَك أو نبيٍّ أو وليٍّ أو قبرٍ أو شجرٍ أو حجر أو كوكب أو جِنيّ **(في الغيب سلطاناً)** أي يعتقد أن له سلطاناً غيبياً فوق طوق البشرِ **(به يطلع)** أي بذلك السلطانِ الذي اعتقده فيه **(على ضمير من إليه)** إلى ذلك الندِّ **(يفزع)** في قضاء أي حاجةٍ من شفاء مريضٍ أو ردِّ غائبٍ أو غيرِ ذلك، فيرى أنه يسمعه إذا دعاه، ويرى مكانَه ويعلم حاجتَه، ويقضيها بقدرةٍ اعتقدها فيه مع الله، والمقصودُ أنه يُثبت له من صفات الربوبيةِ ما يرفعه عن درجة العبوديةِ إلى درجة المعبودية، ويجعله مستحِقاً العبادةَ مع الله.

ومن هنا يتبيّن لك ما قدّمنا من أن الشركَ في الألوهيّة يستلزم الشركَ في الربوبية والأسماءِ والصفات ولا بد، ويتبيّن لك عِظَمُ ذنبِ الشركِ وأنه أقبح الذنوبِ وأظلَمُ الظلم وأكبرُ الكبائر، وأن الله تعالىٰ لا يغفِره ولا يقبل لأحد معه عملاً، وأنه لا أشدُّ هلَكةً منه، وما أرسل الله الرسلَ وأنزل الكتبَ إلاّ بالنذارة عن الشرك والدعوةِ إلى التوحيد، وما هلكت الأممُ الغابرةُ وأُعِدّت لهم النيرانُ في الآخرة إلاّ بالشرك والإباءِ عن التوحيد، ولا نجا الرسلُ وأتباعُهم من خزي الدنيا وعذابِ الآخرة إلا بالتزام التوحيدِ والبراءةِ من الشرك، فما هلك قومُ نوح بالطوفان، ولا

عادٌ بالريح العقيم، ولا ثمودُ بالصيحة، ولا أهلُ مَدْيَنَ بعذاب يوم الظُّلّة إلاّ بالشرك وعبادةِ الأصنام، وهكذا الأممُ مِن بعدِهم بأنواع العذاب، ولم يخرُج عصاةُ الموحِّدين من النار في الآخرة إلاّ بالتوحيد، ولم يخلد غيرهم فيها أبداً مؤبّداً إلاّ بالشرك.

ثم اعلم أن ما عُبد من دون الله إما عاقلٌ أو غيرُ عاقل، فالعاقلُ كالآدمي والملائكةِ والجنّ. وينقسمون إلى قسمين:

راضٍ بالعبادة له، وغيرُ راضٍ بها. فالأوّلُ كفرعونَ وإبليسَ وغيرِهما من الطواغيت، وهؤلاء في النار مع عابديهم؛ كما قال الله عزّ وجلّ: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴿١٦٧﴾﴾ [البقرة].

وقال تعالىٰ في شأن إبليس: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: ٨٥]، وقال في شأن فرعونَ: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ﴾ [هود: ٩٨]. وقال تعالىٰ: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ الْأَسْفَلِينَ﴾ [فصلت: ٢٩]. وقال تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الْإِنسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُم مِّنَ الْإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ﴾ [الأنعام: ١٢٨]، وغيرُ ذلك من الآيات.

والقسمُ الثاني وهو من كان مطيعاً لله وغيرَ راضٍ بالعبادة له من دون الله كعيسى ومريمَ وعُزيرٍ والملائكةِ وغيرِهم، فهم بُرآءُ ممن عبَدهم في الدنيا والآخرة؛ كما قال الله تعالىٰ عن عيسى عليه السلام: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١١٦] إلى آخر الآيات.

وقال تعالىٰ في شأن الملائكة: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَٰؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾ [سبأ].

وقال تعالىٰ في شأن كل من عُبد من دون الله تعالىٰ من الملائكة وعيسى وأمّه وعُزيرٍ وعيرِهم من أولياء الله مطلقاً إلى يوم القيامة: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ۝١٧ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَكَانُوا۟ قَوْمًۢا بُورًا ۝١٨ فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا﴾ [الفرقان: ١٧ ـ ١٩] الآية، وغيرها من الآيات.

وأمّا غيرُ العاقل من الأشجار والأحجارِ وغيرِها مما لا يعقِل، فيشملها قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ۝٩٨ لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝٩٩﴾ [الأنبياء]، ولكن الأحجارَ لا أرواحَ فيها، وإنما يُعذّب بها مَن عبدها من دون الله؛ كما قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ [التحريم: ٦]، الآية.

وكما يُعذَّب عبدُ الدينارِ والدرهمِ بهما؛ كما قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٣٤ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ۝٣٥﴾ [التوبة].

وفي الصحيح[1] من حديث أبي سعيدٍ في الشفاعة بطوله، وفيه: «**ينادي منادٍ: ليذهبْ كُلُّ قوم إلى ما كانوا يعبدون، فيذهب أصحابُ الصليبِ مع صليبهم، وأصحابُ الأوثانِ مع أوثانهم، وأصحابُ كلِّ آلهةٍ مع آلهتهم**».

وفيه[2] في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «**يجمع الله الناسَ يوم القيامة، فيقول: من كان يعبد شيئاً فليتبعْه، فيتبع من كان يعبد الشمسَ الشمسَ، ويتبع من كان يعبد القمرَ القمرَ، ويتبع من كان يعبد الطواغيتَ الطواغيتَ**» الحديث، وفي حديث الصُّوَر الطويل[3]: «**ألا لِيَلْحَقَ كلُّ قومٍ بما كانوا يعبُدون من دون الله، فلا يبقى**

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) سيأتي الحديث بطوله وكلام المحدثين عليه عند الكلام على «الإيمان بالنفخ في الصور».

أحدٌ عَبَد من دون الله إلاّ مُثلتْ له آلهتُه بين يديه، ويُجعل يومئذ ملكٌ من الملائكة على صورة عُزيرٍ ويُجعل ملكٌ من الملائكة على صورة عيسى ابنِ مريمَ، ثم يتبع هذا اليهودُ وهذا النصارى، ثم قادتهم آلهتُهم إلى النار»، وهو الذي يقول تعالىٰ: ﴿لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٩].

وفي حديث ابن مسعودٍ رضي الله عنه عند الدارَقُطنيِّ والطبرانيِّ وعبد الله بنِ أحمدَ وغيرِهم من المصنِّفين في السنّة عن رسولِ الله ﷺ الحديث بطوله[١]، وفيه: «**ثم ينادَى أيها الناسُ ألم ترضَوا من ربّكم الذي خلقكم ورزقكم وأمركم أن تعبدُوه ولا تشركوا به شيئاً أن يُوليَ كلَّ أناسٍ منكم ما كانوا يتولَّون ويعبدون في الدنيا، أليس ذلك عدلاً من ربّكم؟ قالوا: بلى، قال: فينطلق كلُّ قوم إلى ما كانوا يعبدون ويتولَّون في الدنيا. قال: فينطلقون ويُمثّل لهم أشباهُ ما كانُوا يعبدون، فمنهم من ينطلق إلى الشمس، ومنهم من ينطلق إلى القمر وإلى الأوثان من الحجارة وأشباهِ ما كانوا يعبدون، قال: ويُمثّل لمن كان يعبد عيسى شيطانُ عيسى، ويمثل لمن كان يعبد عزيراً شيطانُ عزيرٍ، ويبقى محمدٌ ﷺ وأمتُه**» الحديث.

قلت: وقوله: «**يمثل لهم أشباهُ ما كانوا يعبدون**» الخ، هذا في مثل عيسى وعزير. وأما عَبدةُ الطاغوتِ فتقودهم طواغيتُهم حقيقةً لا أشباهُها كما صرَّح به الكتابُ والسنةُ، والله أعلم.

[الكلام على الشرك الأصغر]

(والثانِ شركٌ أصغرٌ وهو الريا فسَّره به خِتامُ الأنبيا)

(و) النوع الثاني (**الثان**) من نوعي الشركِ (**شركٌ أصغر**) لا يُخرج من المِلّة، ولكنه يَنقُص ثوابَ العمل، وقد يُحبِطه إذا زاد وغلَب (**وهو الريا**) اليسيرُ في تحسين العمل (**فسَّره به**) أي فسَّر الشركَ الأصغرَ بالرياء (**ختامُ الأنبيا**) محمدٌ ﷺ في قوله: «**إن أخوف ما أخاف عليكم الشركُ الأصغرُ**»، قالوا: يا رسولَ الله وما الشركُ الأصغرُ؟ قال: «**الرياء**»[٢].

---

(١) سيأتي الحديث بطوله وكلام المحدثين عليه.

(٢) **وهو حديث حسن.** =

وبذلك فُسّر قولُ الله عزّ وجلّ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠].

وعن شهْر بنِ حَوشبٍ قال: جاء رجلٌ إلى عبادةَ بن الصامتِ فقال: (أنبئني عما أسألك عنه، أرأيتَ رجلاً يصلي يبتغي وجهَ الله ويحب أن يُحْمَدَ، ويصوم يبتغي وجهَ الله ويحب أن يُحمد، ويتصدّق ويبتغي وجهَ الله ويحب أن يُحمد، ويحجّ يبتغي وجهَ الله ويحب أن يحمد؟ فقال عُبادةُ: ليس له شيءٌ، إن الله تعالىٰ يقول: أنا خيرُ شريكٍ، فمن كان له معي شِرْكٌ فهو له كلُّهُ لا حاجةَ لي فيه)(١).

وعن أبي سعيد الخُدريِّ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«ألا أُخبرُكم بما هو أخوفُ عليكم من المسيح عندي؟»**، قال: قلنا: بلى، قال: **«الشِّرْكُ الخفيُّ أن يقوم الرجلُ يصلي لِمَقام الرجل»** رواه أحمد(٢).

وفيه رواية(٣): **«يقوم الرجلُ فيصلي فيزيِّن صلاتَه لما يرى من نظر رجلٍ إليه»**.

= أخرجه أحمد في «المسند» (٥/٤٢٨)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٥/٣٣٣ رقم ٦٨٣١)، والبغوي في «شرح السنة» (١٤/٣٢٣ رقم ٤١٣٥) من حديث محمود بن لبيد.
وأورده المنذري في «الترغيب والترهيب» رقم (٤٧) وعزاه لأحمد بإسناد جيد، وابن أبي الدنيا والبيهقي في «الزهد».
وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/١٠٢) وقال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح وقال العراقي في «تخريج أحاديث إحياء علوم الدين» رقم (٣١١١): «رواه أحمد والبيهقي في «شعب الإيمان» من حديث محمود بن لبيد، وله رواية ورجاله ثقات. ورواه الطبراني من رواية محمود بن لبيد عن رافع بن خديج» اهـ.

(١) أخرجه الطبري في «جامع البيان» (٩/ج١٦/٤٠)، وابن أبي حاتم في تفسيره كما في تفسير ابن كثير (٣/١١٤) **وهو حديث مرسل**.
وشهر بن حوشب: لا بأس به، قاله أبو زرعة. وقال ابن عدي: ليس بالقوي. انظر: «التاريخ الكبير» للبخاري (٤/٢٥٨)، و «الجرح والتعديل» (٤/٣٨٢)، و«التقريب» (١/٣٥٥) و«تهذيب التهذيب» (٤/٣٢٤) و«لسان الميزان» (٧/٢٤٤).

(٢)و(٣) أخرجه أحمد (٣/٣٠)، وابن ماجه (٢/١٤٠٦ رقم ٤٢٠٤، والبيهقي في «الشعب» رقم (٦٨٣٢).
وقال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (٣/٢٩٦ رقم ١٤٩٨/٤٢٠٤): «هذا إسناد حسن، كثير بن زيد وربيح بن عبد الرحمٰن مختلف فيهما...».
والخلاصة أن الحديث حسن، والله أعلم.

وله[1] عن شدّاد بنِ أوسٍ رضي الله عنه قال: إن أخوفَ ما أخاف عليكم أيها الناسُ لما سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**من الشهوة الخفيةِ والشرك**»، فقال عبادةُ بنُ الصامت وأبو الدرداءِ: اللّهمّ غفراً، ألم يكن رسولُ الله ﷺ قد حدّثنا أن الشيطانَ قد يئس أن يُعبدَ في جزيرة العرب.

أما الشهوةُ الخفيةُ فقد عرَفناها، هي شهواتُ الدنيا من نسائها وشهواتِها، فما هذا الشركُ الذي تخوفنا به يا شدادُ؟ فقال شدادُ: أرأيتَكم لو رأيتم رجلاً يصلِّي لرجل أو يصوم لرجل أو يتصدّق، أتَرَوْن أنه قد أشرك؟ قالوا: نعم والله، إن من صلّى لرجل أو صام أو تصدّق له لقد أشرك. فقال شدادُ: فإني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**من صلّى يرائي فقد أشرك، ومن صام يرائي فقد أشرك، ومن تصدّق يرائي فقد أشرك**».

قال عوفُ بنُ مالكٍ عند ذلك: أفلا يعمِدُ الله إلى ما ابتُغِي به وجهُه من ذلك العملِ كلِّه فيقبلَ ما خلَص منه، ويدعَ ما أشركَ به؟ فقال شدادُ عند ذلك: فإني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**إن الله تعالىٰ يقول: أنا خيرُ قسيم لمن أشرك بي ومن أشرك بي شيئاً، فإن عملَه قليلَه وكثيرَه لشريكه الذي أشرك به، أنا عنه غنيٌّ**».

وله[2] عنه رضي الله عنه أنه بكى فقيل: ما يُبكيك؟ قال: شيءٌ سمعتُه من رسولِ الله ﷺ فأبكاني، سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**أتخوّف على أمّتي الشركَ والشهوةَ الخفيةَ**»، قلت: يا رسولَ الله أتُشرك أمّتك من بعدك؟ قال: «**نعم، أما إنهم لا يعبُدون شمساً ولا قمراً ولا حجراً ولا وثناً، ولكن يراؤون بأعمالهم.**

---

(١) أي للإمام أحمد في «المسند» (٤/ ١٢٥ ـ ١٢٦) بسند رجاله ثقات، وشهر بن حوشب وإن تكلّم فيه بعضهم فقد وثّقه ابن معين والإمام أحمد، وقال يعقوب: شهر وإن قال ابن عون تركوه فهو ثقة. وقال ابن معين: ثبت. كذا في «الخلاصة».
وخلاصة القول أن الحديث حسن بشواهده، والله أعلم.

(٢) أي وللإمام أحمد في «المسند» (٤/ ١٢٤) من حديث شداد بن أوس، **بسند ضعيف**.
وفيه: عبد الواحد بن زيد: منكر الحديث قاله البخاري في «التاريخ الصغير» (٢/ ١٤٤).
وقال ابن معين: ليس بشيء، وقال النسائي: متروك الحديث.
انظر: «الميزان» (٢/ ٦٧٢)، و«الجرح والتعديل» (٦/ ٢٠) و«اللسان» (٤/ ٨٠) و «المجروحين» (٢/ ١٥٤) و«الكامل» (٥/ ١٩٣٥).

والشهوةُ الخفية أن يصبح أحدُهم صائماً فتعرِضُ له شهوةٌ من شهواته فيترك صومَه»، ورواه ابن ماجه[1].

وللبزار[2] عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله يوم القيامة: أنا خيرُ شريكٍ، من أشرك بي أحداً فهو له كلُّه».

ولأحمدَ[3] عنه ﷺ عن النبيّ ﷺ يرويه عن الله عزّ وجلّ أنّه قال: «أنا خيرُ الشركاءِ فمن عَمِل عملاً أشرك فيه غيري فأنا بريء منه، وهو للذي أشرك».

وله[4] عن محمودِ بنِ لَبيدٍ أن رسولَ الله ﷺ قال: «إن أخوفَ ما أخاف عليكم الشركُ الأصغرُ»، قالوا: وما الشركُ الأصغرُ يا رسول الله؟ قال: «الرياء، يقول الله يوم القيامة إذا جزى الناسَ بأعمالهم: اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤون في الدنيا، فانظُروا هل تجدون عندهم جزاءً».

وله[5] عن أبي سعيدِ بنِ أبي فَضالةَ الأنصاريِّ ـ وكان من الصحابة ـ أنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «إذا جمع الله الأوّلين والآخرين ليوم لا ريبَ فيه نادى منادٍ: من كان أشرك في عملٍ عمِله لله أحداً فليطلُبْ ثوابَه من عند غيرِ الله، فإن الله تعالىٰ أغنى الشركاءِ عن الشِّرك»، أخرجه التِّرمِذيُّ[6] وابنُ ماجه[7].

---

(١) في «السنن» (٢/١٤٠٦ رقم ٤٢٠٥).
وقال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (٣/٢٩٦ ـ ٢٩٧ رقم ١٤٩٩ ـ٤٢٠٥): «هذا إسناد فيه مقال، عامر بن عبد اللطيف لم أرَ من تكلّم فيه بجرح ولا غيره وباقي رجال الإسناد ثقات...» اهـ، وضعف الألباني الحديث.
وخلاص القول أن الحديث ضعيف، والله أعلم.

(٢) عزاه إليه ابن كثير في «تفسيره» (٣/١١٥).
وأخرج مسلم (٤/٢٢٨٩ رقم ٤٦/٢٩٨٥) عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله تعالىٰ: أنا أغنى الشركاءِ عن الشِّركِ، من عملَ عملاً أشركَ فيه غيري تركتُهُ وشركَهُ».

(٣) في «المسند» (٢/٣٠١) بسند صحيح.

(٤) تقدم تخريجه قريباً وهو حديث حسن.

(٥) أي لأحمد في «المسند» (٤/٢١٥) و (٣/٤٦٦).

(٦) في «السنن» (٥/٣١٤ رقم ٣١٥٤) وقال: وحديث غريب لا نعرفه إلاّ من حديث محمد بن بكر.

(٧) في «السنن» (٢/١٤٠٦ رقم ٤٢٠٣).
قلت: وأخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٥/٣٣٠ رقم ٦٨١٧)، وابن حبان في =

ولأحمدَ[1] عن أبي بكرةَ ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«من سمَّع سمَّع الله به، ومن راءى راءى الله به»**.

وله[2] عن أبي سعيد الخُدريِّ ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: **«من يراءِ يراءِ الله به، ومن يسمِّعْ يسمِّعِ اللَّهُ به»**.

وله[3] عن عبد الله بن عمرو ﷺ أنه سمع رسولَ الله ﷺ يقول: **«من سمَّع الناسَ بعلمه سمَّع الله به مسامعَ خلقِه وصغَّره وحقَّره»**، فذرفَت عينا عبدِ الله.

وللبزار[4] عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **«تُعرض أعمالُ بني آدمَ**

= «صحيحه» (١٦/ ٣٤٠ ـ ٣٤١ رقم ٧٣٤٥) و(٢/ ١٣٠ ـ ١٣١ رقم ٤٠٤)، وفي سنده زياد بن مينا: مقبول.

فالحديث حسن، والله أعلم.

(١) في «المسند» (٥/ ٤٥) **بسند صحيح.**

(٢) أي للإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٤٠).

قلت: وأخرجه ابن ماجه (٢/ ١٤٠٧ رقم ٤٢٠٦). وقال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (٣/ ٢٩٧ رقم ١٥٠٠/ ٤٢٠٦): «هذا إسناد ضعيف لضعف عطية العوفي ومحمد بن أبي ليلى. رواه أبو بكر بن أبي شيبة في مسنده هكذا. وله شاهد في الصحيحين من حديث جندب» اهـ.

وخلاصة القول أن الحديث حسن بشواهده، والله أعلم.

(٣) أي للإمام أحمد في «المسند» (٢/ ١٦٢ و٢/ ١٩٥) **بسند صحيح.**

وذكره الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ٢٢٢) وقال في أوّله: «عن عمرو بن مرة قال: حدثني شيخ يكنى أبا يزيد قال: كنت جالساً مع عبد الله بن عمرو وعبد الله بن عمر» فذكره بأطول مما في مسند أحمد، ثم قال: «رواه الطبراني في «الكبير»، واللفظ له، و«الأوسط» بنحوه».

ثم ذكر أنه رواه أحمد باختصار ثم قال: «وسمّى الطبراني الرجل وهو خيثمة بن عبد الرحمٰن، فبهذا الاعتبار رجال أحمد وأحد أسانيد الطبراني في «الكبير» رجال الصحيح».

(٤) عزاه إليه ابن كثير في «تفسيره» (٣/ ١١٦).

قلت: وأخرجه العقيلي في «الضعفاء» (١/ ٢١٨ ـ ٢١٩) في ترجمة «الحارث بن غسان المري»، وقال: وقد حدّث هذا الشيخ بمناكير.

وكذلك أخرجه الذهبي في «الميزان» (١/ ٤٤١ رقم ١٦٤١) في ترجمة الحارث هذا، وقال عنه: مجهول.

وخلاصة القول أن الحديث ضعيف جداً، والله أعلم.

بين يدي الله عزّ وجلّ يوم القيامةِ في صحف مختمةٍ، فيقول الله: ألقُوا هذا، واقبلوا هذا، فتقول الملائكة: يا رب، والله ما رأينا منه إلاّ خيراً، فيقول: إن عملَه كان لغير وجهي، ولا أقبلُ اليومَ من العمل إلاّ ما أُريد به وجهي».

ولوهْبِ عن عبد الله بنِ قيسٍ الخُزاعيِّ[1] أن رسولَ الله ﷺ قال: **«من قام رياءً وسُمعةً لم يزل في مقت الله حتى يجلِسَ».**

ولأبي يَعلى[2] عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«من أحسن الصلاةَ حيث يراه الناسُ وأساءها حيث يخلو، فتلك استهانةٌ استهان بها ربَّه عزّ وجلّ».**

[الكلام على الرياء والنفاق]

ثم اعلم أن الرياءَ قد أُطلق في كتاب الله كثيراً، ويراد به النفاقُ الذي هو أعظمُ الكفر، وصاحبُه في الدَّرْك الأسفل من النار؛ كما قال تعالىٰ: ﴿كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٦٤]، وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَـٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا﴾ [النساء: ٣٨]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ يُخَـٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَـٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢]، وغيرُ ذلك من الآيات النازلةِ في المنافقين بلفظ الرّياء.

---

(١) أخرجه الطبراني كما في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢٢٣) وقال الهيثمي: وفيه يزيد بن عياض وهو متروك.
وانظر تفسير ابن كثير (٣/ ١١٦).

(٢) في «المسند» (٩/ ٥٤ رقم ٥١١٧/١٥١) بسند ضعيف.
قلت: وأخرجه البيهقي (٢/ ٢٩٠) من طريق أبي يعلى.
وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢٢١) وقال: «رواه أبو يعلى، وفيه إبراهيم بن مسلم الهجري، وهو ضعيف» اهـ.
وأورده الحافظ في «المطالب العالية» (٣/ ١٨٣ رقم ٣٢٠٠) وعزاه إلى أبي يعلى وقال: **حديث حسن.**

ومنها ما يصرِّح بمعناه دون لفظه؛ كقوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ [البقرة: ١٤]، والآيات التي قبلها وبعدها وما في معناها.

والفرقُ بين هذا الرياءِ الذي هو النفاقُ الأكبرُ وبين الرياءِ الذي سمّاه النبيُّ ﷺ شركاً أصغرَ خفياً هو حديثُ «الأعمال بالنّيات»، وهو ما رواه الشيخانِ(١) عن عمرَ رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**إنما الأعمالُ بالنّيات، وإنما لكل امرئٍ ما نوى، فمن كانت هجرتُه إلى الله ورسولِه فهجرتُه إلى الله ورسولِه، ومن كانت هجرتُه لدنيا يُصيبها أو امرأةٍ ينكِحها فهِجرتُه إلى ما هاجر إليه**».

فالنّيةُ هي الفرقُ في العمل في تعيينه وفيما يراد به، وقد أُطلقت النيةُ في القرآن بلفظ الابتغاءِ وبلفظ الإرادة، فإن كان الباعثُ على العمل هو إرادةَ الله والدارِ الآخرةِ، وسَلِم من الرياء في فعله، وكان موافقاً للشرع فذلك العملُ الصالحُ المقبول، وإن كان الباعثُ على العمل هو إرادةَ غيرِ الله عزّ وجلّ فذلك النفاقُ الأكبرُ، سواءٌ في ذلك من يريد به جاهاً ورئاسةً وطلبَ دنيا، ومن يريد حَقْنَ دمِهِ وعصمةَ مالِه وغيرَ ذلك، فهذان ضدّان ينافي أحدُهما الآخر لا محالةَ. قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْءَاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا﴾ [آل عمران: ١٤٥]، وقال تعالىٰ: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾﴾ [الإسراء].

وقال تعالىٰ: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [هود]، وقال تعالىٰ: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾ [الشورى: ٢٠].

وقال تعالىٰ يُثني على عباده المخلصين: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا

---

(١) البخاري (١/ ٩ رقم ١)، ومسلم (٣/ ١٥١٥ رقم ١٩٠٧).

وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾﴾ [الإنسان]، وقال: ﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [الليل: ٢٠]، وغير ذلك من الآيات.

وإن كان الباعثُ على العمل هو إرادةَ الله عزّ وجلّ والدارَ الآخرةَ ولكن دخل عليه الرياءُ في تزيينه وتحسينه، فذلك هو الذي سمّاه النبيُّ ﷺ الشركَ الأصغرَ، وفسّره بالرياء العمَليّ، وزاده إيضاحاً بقوله: **«يقوم الرجلُ فيصلي فيزين صلاتَه لِما يرى من نظر رجلٍ إليه»**(١).

وهذا لا يُخرج من الملّة، ولكنه ينقُص من العمل بقدره، وقد يغلِب على العمل فيُحبطه كلَّه والعياذُ بالله.

اللّهمّ اجعل أعمالَنا كلَّها صالحةً واجعلها لوجهك خالصةً ولا تجعل لأحد فيها شيئاً.

وأما حديثُ أبي موسى رضي الله عنه في الصحيح(٢)، قال: جاء رجلٌ إلى النبيّ ﷺ فقال: الرجلُ يقاتل للمغنم، والرجلُ يقاتل للذِّكْر، والرجلُ يقاتل ليُرى مكانُه، فمن في سبيل الله؟ قال: **«من قاتل لتكونَ كلمةُ الله هي العليا فهو في سبيل الله»**.

فهذا الحديثُ يحتمل المعنيين، وتُعيِّنُه لأحدهما النيةُ، فإن كان أصلُ العمل لغير الله فهو النفاقُ، وإن كان أصلُه لله وأحبَّ مع ذلك أن يُذكَرَ ويُثنى عليه به فهو المعنى الذي سبق في حديث عُبادةَ(٣) رضي الله عنه في الرجل: **«يصلي يبتغي وجهَ الله ويحب أن يُحْمَد»** الحديث، وفي آخره قال: **«ليس له شيءٌ»**، والله تعالىٰ أعلمُ.

[الكلام على الحلف بغير الله]

(ومنه إقسامٌ بغير الباري كما أتى في محكم الأخبار)

أي ومن الشرك الأصغرِ الذي لا يُخرج من الملة **(إقسامٌ)** مصدرُ أقسم، أي الحِلْفُ **(بغير الباري)** كالحِلف بالآباء والأمّهاتِ والأبناءِ والأمانةِ وغيرِ ذلك، كما في الصحيح عن عبد الله بن عمرَ رضي الله عنهما أن رسولَ الله ﷺ أدركَ عمرَ بنَ الخطابِ

---

(١) تقدم تخريجه قريباً.
(٢) البخاري (٦/ ٢٧ رقم ٢٨١٠)، ومسلم (٣/ ١٥١٢ رقم ١٩٠٤).
(٣) تقدم تخريجه قريباً.

وهو يسير في رَكْب يحلِف بأبيه، فقال: «**ألا إن الله ينهاكم أن تحلِفوا بآبائكم، من كان حالفاً فليحلِف بالله أو ليصمُت**».

وفي رواية قال عمرُ: (فوالله ما حَلفتُ بها منذ سمعتُ النبيَّ ﷺ ذاكراً ولا آثِراً)، متفق عليه[1].

ولأبي داودَ[2] والنَّسائيِّ[3] عن أبي هريرةَ رضي الله عنه مرفوعاً: «**لا تحلفوا بآبائكم ولا بأمّهاتكم ولا بالأنداد، ولا تحلِفوا بالله إلاّ وأنتم صادقون**».

ولأحمدَ[4] ومسلم[5] والنسائيِّ[6] عن ابن عمرَ رضي الله عنهما قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**من كان حالفاً فلا يحلِف إلاّ بالله**».

وللنسائي[7] عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لا تحلِفوا إلاّ بالله، ولا تحلِفوا بالله إلاّ وأنتم صادقون».

وسمع ابن عمرَ رضي الله عنهما رجلاً يقول: لا والكعبةِ، فقال ابنُ عمرَ: لا تحلِف بغير الله، فإني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**من حلف بغير الله فقد كفرَ**» أو «**أشرك**»، أخرجه أبو داودَ[8] والترمذيُّ وحسنه[9]، والحاكمُ وصححه[10].

---

(١) البخاري (١١/ ٥٣٠ رقم ٦٦٤٦) و(١١/ ٥٣٠ رقم ٦٦٤٧)، ومسلم (٣/ ١٢٦٦ رقم ١٦٤٦).
(٢) في «السنن» (٣/ ٥٦٩ رقم ٣٢٤٨).
(٣) في «السنن» (٧/ ٥ رقم ٣٧٦٩).
قلت: وأخرجه ابن حبان (رقم ١١٧٦ ـ موارد)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (١٠/ ٢٩).
وهو حديث صحيح.
(٤) في «المسند» (٢/ ١١، ١٧، ١٤٢).
(٥) في صحيحه (٣/ ١٢٦٧ رقم ٣/ ١٦٤٦).
(٦) في «السنن» (٧/ ٥).
قلت: وأخرجه البخاري (١٠/ ٥١٦ رقم ٦١٠٨)، وأبو داود (٣/ ٥٦٩ رقم ٣٢٤٩)، والترمذي (٤/ ١١٠ رقم ١٥٣٤)، وابن ماجه (١/ ٦٧٧ رقم ٢٠٩٤)، والدارمي (٢/ ١٨٥)، والبيهقي (١٠/ ٢٩)، ومالك في «الموطأ» (٢/ ٤٨٠ رقم ١٤)، وأبو نعيم في «الحلية» (٩/ ١٦٠)، والبغوي في «شرح السنة» (١٠/ ٣)، والحميدي في «المسند» رقم (٦٨٦) كلّهم من طريق نافع عن ابن عمر.
(٧) **وهو حديث صحيح تقدم آنفاً من حديث أبي هريرة.**
(٨) في «السنن» (٣/ ٥٧٠ رقم ٣٢٥١).
(٩) في «السنن» (٤/ ١١٠ رقم ١٥٣٥) وقال: **حديث حسن.**
(١٠) في «المستدرك» (١/ ٥٢) وصححه.
=

وعن بُريدة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ليس منّا من حلف بالأمانة**»، رواه أبو داود[1].

وفي الطبراني[2] من حديث ابنِ عمرَ رضي الله عنهما أن النبيَّ ﷺ سمع رجلاً يحلِف بالأمانة، فقال: «**ألستَ الذي يحلِف بالأمانة**».

وعن قَتيلةَ بنتِ صفيٍّ أن يهودياً أتى النبيَّ ﷺ فقال: إنكم تُندّدون وإنكم تشركون، تقولون: ما شاء الله وشئتَ، وتقولون: والكعبة، فأمرهم النبيُّ ﷺ إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا «**وربِّ الكعبة**»، ويقول أحدُهم: «**ما شاء الله ثم شئت**»، رواه أحمدُ[3] والنَّسائيُّ[4] وصححه وابنُ ماجه[5].

= قلت: وأخرجه أحمد في «المسند» (٢/ ٣٤، ٦٧، ٦٩، ٨٦، ١٢٥) كلّهم من حديث سعد بن عبيدة عن ابن عمر، **وهو حديث صحيح**.

(١) في «السنن» (٣/ ٥٧١ رقم ٣٢٥٣).
وقال النووي في «رياض الصالحين» رقم (١٧١٨): «حديث صحيح رواه أبو داود بإسناد صحيح» اهـ.
قلت: وأخرجه الروياني في «مسنده» (١/ ٦٤ و٦٥ رقم ٧ و١١) من طريق ليث عن عثمان بن عمير عن سليمان بن بريدة عن أبيه.
وهذا سند صحيح.
وخلاصة القول أن الحديث صحيح، والله أعلم.

(٢) في «الأوسط» رقم (٣٦٥٧).
وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤/ ١٧٨) وقال: ورجاله ثقات.

(٣) في «المسند» (٦/ ٣٧١ ـ ٣٧٢) من طريق المسعودي عن سعيد بن خالد عن عبد الله بن يسار عن قتيلة.

(٤) في «السنن» (٧/ ٦ رقم ٣٧٧٣) من طريق مسعر عن معبد بن خالد عن عبد الله بن يسار عن قتيلة.

(٥) في «السنن» (١/ ٦٨٥ رقم ٢١١٨) من طريق ربعي بن حراش عن حذيفة بن اليمان.
قلت: وأخرجه الطحاوي في «المشكل» (١/ ٣٥٧)، والبيهقي (٣/ ٢١٦)، والحاكم (٤/ ٢٩٧) وأحمد من طريق المسعودي.
قال الحاكم: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي.
قلت: المسعودي كان اختلط، لكن تابعه مسعر... عند النسائي بإسناد صحيح.
وخلاصة القول أن الحديث صحيح، والله أعلم.

وقد ثبت في كفارة الحِلفِ بغير الله حديثُ الصحيحين[1] عن أبي هريرةَ ﷺ عن النبيّ ﷺ، قال: **«من حلف فقال في حِلفه باللات والعُزّى فليقل لا إله إلاّ الله»**.

ومن الشرك الأصغرِ قولُ ما شاء الله وشئتَ، كما روى النسائي[2] عن ابن عباسٍ ﷺ أن رجلاً قال للنبيّ ﷺ: ما شاء الله وشئتَ، فقال: **«أجعلْتَني لله نِدّاً؟ ما شاء الله وحده»**.

ولأبي داود[3] بسند صحيح عن حُذيفةَ ﷺ عن النبيّ ﷺ قال: **«لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا ما شاء الله ثم شاء فلان»**، وتقدم في ذلك حديثُ قتيلةَ، والفرقُ بين الواو وثم أنه إذا عطَف بالواو كان مضاهياً مشيئةَ الله بمشيئة العبد إذ قرَنَ بينهما، وإذا عطف بثم فقد جعل مشيئةَ العبدِ تابعةً لمشيئة الله عزّ وجلّ؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠]، ومثلُه

---

(١) البخاري (١١/ ٥٣٦ رقم ٦٦٥٠)، ومسلم (٣/ ١٢٦٧ رقم ٥/ ١٦٤٧).

(٢) في عمل اليوم والليلة رقم (٩٨٨).
قلت: وأخرجه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» رقم (٦٦٧)، وأحمد في «المسند» (١/ ٢١٤)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٣/ ٢١٧)، والبخاري في «الأدب المفرد» رقم (٧٨٣)، وابن ماجه رقم (٢١١٧) كلّهم من طريق الأجلح عن يزيد بن الأصم عن ابن عباس.
وقال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (٢/ ٥٠) رقم (٧٤٦/ ٢١١٧): «هذا إسناد فيه الأجلح بن عبد الله، مختلف فيه، ضعفه أحمد وأبو حاتم والنسائي وأبو داود وابن سعد.
ووثقه ابن معين والعجلي ويعقوب بن سفيان.
وباقي رجال الإسناد ثقات... وله شاهد من حديث قتيلة رواه الثلاثة» اهـ.
وخلاصة القول أن الحديث صحيح لغيره، والله أعلم.

(٣) في «السنن» (٥/ ٢٥٩ رقم ٤٩٨٠).
قلت: وأخرجه الطحاوي في «مشكل الآثار» رقم (٢٣٦)، والبيهقي (٣/ ٢١٦)، وأحمد (٥/ ٣٨٤، ٣٩٤، ٣٩٨) من طرق عن شعبة عن منصور بن المعتمر سمعت عبد الله بن يسار عن حذيفة به.
قال الألباني في «الصحيحة» (١/ ٢٦٤): «وهذا سند صحيح، رجال كلّهم ثقات، رجال الشيخين؛ غير عبد الله بن يسار وهو الجهني الكوفي، وهو ثقة، وثّقه النسائي وابن حبان».
وقال الذهبي في «مختصر البيهقي» (١/ ١٤٠/ ٢): «وإسناده صالح».
وخلاصة القول أن الحديث صحيح، والله أعلم.

قولُ: لولا الله وفلانٌ، هذا من الشرك الأصغرِ، ويجوز أن يقول: لولا الله ثم فلان، ذكره إبراهيمُ النخَعيُّ.

ولابن أبي حاتم[1] عن ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله عزّ وجلّ: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢]، قال: الأندادُ الشركُ أخفى من دبيب النملِ على صَفاةٍ سوداءَ في ظلمة الليل، وهو أن يقول والله وحياتِك يا فلان، وحياتي، ويقول: لولا كلبةُ هذا لأتانا اللصوصُ البارحةَ، ولولا البطُّ في الدار لأتى اللصوصُ، وقول الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئتَ، وقول الرجل: لولا الله وفلان، لا تجعل فيها فلاناً هذا كلُّه به شركٌ.

---

(١) عزاه إليه ابن كثير في «تفسيره» (١/ ٦١) مسنداً.
قلت: سنده حسن من أجل «شبيب بن بشر»، قال الحافظ في «التقريب» رقم (٢٧٣٨): صدوق يخطئ.



[ال] فَصْل: [الخامس]
في بَيان أمور يفعَلها العَامَّة
منها ما هوَ شركٌ، ومنها ما هوَ قريبٌ منه
وبيانِ المشروعِ من الرُّقى والممنوعِ منها،
وهل تجوز التمائم



هذه الأمورُ المذكورةُ التي يتعلق بها العامةُ غالبُها من الشِّرك الأصغر، لكن إذا اعتمد العبدُ عليها بحيث يثق بها ويُضيف النفعَ والضرَّ إليها كان ذلك شركاً أكبرَ والعياذ بالله، لأنه حينئذٍ صار متوكّلاً على سوى الله ملتجئاً إلى غيره.

[بيان أمور يفعلها العامة منها ما هو شرك، ومنها ما هو قريب منه]

(ومن يثقْ بوَدْعةٍ أو نابِ … أو حلقةٍ أو أعيُنِ الذئابِ)

(أو خيطٍ أو عُضوٍ من النسور … أو وَتَرٍ أو تُربة القبور)

(لأي أمْرٍ كائنٍ تَعلّقَهْ … وكَلَهُ اللّهُ إلى ما علّقهْ)

(ومن يثقْ) هذا الشرطُ جوابُه (وكله) الآتي. **(بودعة)** قال في النهاية[1]: هو شيءٌ أبيضُ يُجلب من البحر يعلق في حلوق الصبيانِ وغيرِهم، وإنما نُهي عنه لأنهم كانوا يعلّقونها مخافةَ العين.

(أو ناب) كما يفعله كثيرٌ من العامة يأخذون ناب الضبُع ويعلقونه من العين، **(أو حلقة)** وكثيراً ما يعلّقونها من العين، وسيأتي في الحديث أنهم يعلّقونها من الواهنة، وهو مرضُ العضدُ.

(أو أعين الذئاب) وكثيراً ما يعلّقونها يزعُمون أن الجنَّ تفِرّ منها، ومنهم من يقول أنه إذا وقع بصرُ الذئبِ على جنِّي لا يستطيع أن يفِرَّ منه حتى يأخذه، ولهذا يعلقون عينَه إذا مات على الصبيان ونحوِهم.

(أو خيط) وكثيراً ما يعلقونه على المحموم ويعقِدون فيه عُقَداً بحسب اصطلاحاتهم، وأكثرُهم يقرأ عليه سورة: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [الشرح: ١] إلى آخرها. ويعقِد عند كل كافٍ منها عُقدةً، فيجتمع في الخيط تسعُ عُقَدٍ بعدد الكافات، ثم يربِطونها بيد المحمومِ أو عنقِه.

---

(١) (١٦٨/٥) لابن الأثير.

(أو عضو من النسور) كالعظم ونحوِه يجعلونها خَرَزاً ويعلّقونها على الصبيان يزعمون أنها تدفع العين.

(أو وتر) وكانوا في الجاهلية إذا عتَق وترُ القوس أخذوه (وعلّقوه يزعُمون عن العين على الصبيان والدوابّ)[1].

(أو تربة القبور) وما أكثرَ من يستشفي بها لا شفاهم الله، واستعمالُهم لها على أنواع: فمنهم من يأخذها ويمسح بها جلدَه، ومنهم من يتمرّغُ على القبر تمرُّغَ الدابة، ومنهم من يغتسل بها مع الماء، ومنهم من يشربها وغيرُ ذلك.

وهذا كلُّه ناشئٌ عن اعتقادهم في صاحب ذلك القبرِ أنه ينفع ويضرّ، حتى عدَوا ذلك الاعتقادَ فيه إلى تربته، فزعموا أنها فيها شفاءٌ وبركةٌ لدفنه فيها، حتى إن منهم من يعتقد في تراب بقعةٍ لم يُدفن فيها ذلك الوليُّ بزعمه، بل قيل له إن جنازتَه قد وُضِعت في ذلك المكان.

وهذا وغيرُه من تلاعب الشيطانِ بأهل هذه العصورِ زيادةً على ما تلاعب بمن قبلهم، نسأل الله العافية.

(لأي أمر كائنٍ تعلّقة) الضميرُ عائدٌ إلى ما تقدم وغيرِه (وكله الله) أي تركه (إلى ما علقه) دعاءً عليه أي لا حفِظَه الله ولا كَلأَه، بل تركه إلى ما وثِق به واعتمد عليه دون الله عزّ وجلّ، قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦].

وعن عُقبةَ بنِ عامرٍ رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**من تعلّق تميمةً فلا أتمَّ الله له، ومن تعلق وَدْعةً فلا ودَعَ الله له**»، رواه أحمد[2].

---

(١) لعل العبارة: (وعلقوه على الصبيان والدواب يزعمون أنها تدفع العين).

(٢) في «المسند» (٤/ ١٥٤) بسند صحيح.
قلت: وأخرجه أبو يعلى (٣/ ٢٩٥ رقم ١٧٥٩/٢٦)، والطبراني في «الكبير» (١٧/ ٢٩٧ رقم ٨٢٠).
وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/ ١٠٣) وقال: «رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني ورجالهم ثقات» اهـ.
وصححه الحاكم في «المستدرك» (٤/ ٢١٦) ووافقه الذهبي.
قلت: فيه خالد بن عبيد المعافري: لم يوثقه إلاّ ابن حبان في «الثقات» (٦/ ٢٦٢)، ولكن=

وله(1) عن عمرانَ بنِ حُصينٍ رضي الله عنهما أن النبيَّ ﷺ رأى رجلاً في يده حلقةٌ من صُفْر فقال: «**ما هذا**»؟ قال: من الواهنة، فقال: «**انزِعْها، فإنها لا تَزيدُك إلاّ وَهْناً، فإنك لو متَّ وهي عليك ما أفلحْتَ أبداً**».

ولابن أبي حاتم(2) عن حُذيفةَ رضي الله عنه أنه رأى رجلاً في يده خيطٌ من الحمّى فقطّعه، وتلا قولَه تعالىٰ: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦].

وفي الصحيح(3) عن أبي بشير الأنصاريِّ رضي الله عنه أنه كان مع رسولِ الله ﷺ في بعض أسفارِه فأرسل رسولاً أنْ «**لا يَبقَيَنّ في رقبة بعيرٍ قِلادةٌ من وتر أو قلادةٌ إلا قُطّعتْ**».

وعن رُوَيفع رضي الله عنه قال: قال لي رسولُ الله ﷺ: «**يا رويفعُ لعلّ الحياةَ تطول بك، فأخبر الناسَ أن من عقد لحيتَه أو تقلّد وتراً أو استنجى برجيع دابةٍ أو عظْمٍ فإن محمداً بريءٌ منه**»، رواه أحمد(4).

وله(5) عن عبد الله بنِ عكيم مرفوعاً: «**من علق شيئاً وُكِل إليه**»، ورواه الترمذي(6).

= صح الحديث من حديث عقبة بن عامر بلفظ: «**من تعلّق تميمة فقد أشرك**».
أخرجه أحمد (٤/ ١٥٦)، والحاكم (٤/ ٢١٩).
وخلاصة القول أن الحديث صحيح لغيره، والله أعلم.

(1) أي لأحمد في «المسند» (٤/ ٤٤٥).
قلت: وأخرجه ابن ماجه (٢/ ١١٦٧ رقم ٣٥٣١)، والطبراني في «الكبير» (١٨/ ١٧٢ رقم ٣٩٢)، وابن حبان (١٣/ ٤٤٩ رقم ٦٠٨٥)، وفي سنده مبارك بن فضالة، صدوق لكنه يدلس وقد عنعن. والحسن - ابن أبي الحسن البصري - لم يصرح بسماعه من عمران.
وقال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (٣/ ١٤٠ رقم ١٢٣٢/ ٣٥٣١): «هذا إسناد حسن، مبارك هو ابن فضالة مختلف فيه...» اهـ.
وله شواهد عدة يرقى بها إلى الحسن لغيره، إن شاء الله.

(2) انظر تفسير ابن كثير (٢/ ٥١٢).

(3) البخاري (٦/ ١٤١ رقم ٣٠٠٥)، ومسلم (٣/ ١٦٧٢ رقم ٢١١٥).
قلت: وأخرجه أبو داود رقم (٢٥٥٢)، وأحمد (٥/ ٢١٦)، ومالك في «الموطأ» (٢/ ٩٣٧).

(4) في «المسند» (٤/ ١٠٨، ١٠٩).
قلت: وأخرجه أبو داود رقم (٣٦)، والنسائي (٨/ ١٣٥) **وهو حديث صحيح.**

(5) أي للإمام أحمد في «المسند» (٤/ ٢١١).

(6) في «السنن» (٤/ ٤٠٣ رقم ٢٠٧٣) وقال: حديث عبد الله بن عكيم إنما نعرفه من حديث=

وعن زينبَ امرأةِ عبد الله بن مسعودٍ ﷺ قالت: كان عبدُ الله إذا جاء من حاجة فانتهى إلى الباب تنحنح وبزَقَ كراهيةَ أن يهجُمَ منّا على أمر يكرهه، قالت: وإنه جاء ذاتَ يوم فتنحنح وعندي عجوزٌ ترقيني من الحمرة فأدخلتُها تحت السرير، قالت: فدخل فجلس إلى جانبي فرأى في عنقي خيطاً، فقال: ما هذا الخيطُ؟ قالت: قلت: خيطٌ رُقِيَ لي فيه، فأخذه فقطعه ثم قال: إن آلَ عبدِ الله لأغنياءُ عن الشِّرك، سمعت رسولَ الله ﷺ يقول: «**إن الرُّقى والتمائمَ والتِّوَلَةَ شركٌ**». قالت: قلت له: لِمَ تقولُ هذا، وقد كانت عيني تقذف فكنت أختلف إلى فلان اليهوديِّ يَرقيها، فكان إذا رقاها سكنت. فقال: إنما ذاك من الشيطان، كان ينخَسُها بيده، فإذا رقاها كفَّ عنها، إنما كان يكفيك أن تقولي كما قال النبيُّ ﷺ: «**أذهِبِ الباس ربّ الناس، اشْفِ أنت الشافي، لا شفاءَ إلاّ شفاؤُك، شفاءً لا يغادر سقماً**» رواه أحمد[1]، وروى جملةَ الدلالةِ منه على الباب أبو داودَ[2]، أعني الجملةَ المرفوعة إلى النبيّ ﷺ.

قال الشيخ محمد بنُ عبد الوهاب رحمه الله تعالىٰ في كتاب التوحيد[3]: (الرُّقَى هي التي تسمّى العزائمَ، وخصّ منه الدليلُ ما خلا من الشرك، فقد رخّص فيه رسولُ الله ﷺ من العين والحُمّة، والتمائمُ شيءٌ يُلْقونه على الأولاد عن العين، والتِّوَلةُ شيءٌ يصنعونه يزعُمون أنه يحبّب المرأةُ إلى زوجها والرجلَ إلى امرأته) اهـ.

وقولُه في الرقي: وخصّ منها الدليل ما خلا عن الشرك الخ، يشير إلى ما سنذكره بقولنا:

= محمد بن عبد الرحمٰن بن أبي ليلى.
قال الحافظ في «التقريب» رقم (٦٠٨١): «محمد بن عبد الرحمٰن بن أبي ليلى: صدوق سيء الحِفظ جداً» اهـ.
قلت: وفي الباب حديث عقبة بن عامر وقد تقدم.
والخلاصة أن الحديث صحيح لغيره، والله أعلم.

(١) في «المسند» (١/ ٣٨١).

(٢) في «السنن» (٤/ ٢١٢ رقم ٣٨٨٣).
قلت: وأخرجه ابن ماجه رقم (٣٥٣٠)، والحاكم (٤/ ٤١٨) وقال: **هذا حديث صحيح الإسناد على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي وهو كما قالا.**

(٣) (ص١٣٥ ـ فتح المجيد شرح كتاب التوحيد).

[الكلام على الرقى من حمَّة أو عين]

(ثم الرُّقى من حُمَةٍ أو عينِ فإن تكن من خالص الوَحيينِ)

(فذاك من هَدْيِ النبيّ وشِرعتِهْ وذاك لا اختلافَ في سُنّيتهْ)

(ثم الرقى) إذا فُعلت (من حُمَةٍ) وهي تُطلق على لَدْغِ ذواتِ السموم كالحية والعقرب وغيرِها، (أو عين) وهي من الإنس كالنَّفس من الجنّ، وهي حقٌّ ولها تأثيرٌ، لكن لا تأثيرَ لها إلاّ بإذن الله عزّ وجلّ، وقال الله تعالىٰ: ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ﴾ [القلم: ٥١] الآية.

فسّره بإصابة العينِ ابنُ عباس[١] ومجاهدٌ[٢] وغيرُهما، وفي تحقيقها أحاديثُ:

ففي صحيح مسلم[٣] عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبيّ ﷺ قال: «**العينُ حقٌّ، ولو كان شيءٌ سابقَ القدرِ سبقت العينُ، وإذا استغسلتم فاغسلوا**».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسولِ الله ﷺ قال: «**إن العينَ حقٌّ**»، أخرجاه[٤].

ولأحمدَ[٥] وابنِ ماجه[٦] عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**العينُ حقٌّ**».

ولأحمد[٧] عنه أيضاً رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**العينُ حقٌّ ويحضُرها الشيطانُ وحسَدُ ابنِ آدَم**».

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٤/٢٩ج/٤٦) عنه.
(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٤/٢٩ج/٤٦) عنه.
(٣) (٤/١٧١٩ رقم ٢١٨٨).
(٤) البخاري (١٠/٢٠٣ رقم ٥٧٤٠)، ومسلم (٤/١٧١٩ رقم ٢١٨٧).
(٥) في «المسند» (٢/٤٨٧).
(٦) في «السنن» (٢/١١٥٩ رقم ٣٥٠٧).
وهو حديث صحيح لغيره.
(٧) في «المسند» (٢/٢٣٩).
وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/١٠٧) وقال: «ـ في الصحيح منه: **العين حق** ـ رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح» اهـ.

وله[1] عنه رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: **«أصدقُ الطِّيَرةِ الفألُ، والعينُ حقٌّ»**.

وله[2] هو والتِّرمذيُّ[3] والنسائي[4] وابنِ ماجه[5] عن أسماءَ رضي الله عنها قالت: يا رسولَ الله، إن بني جعفرٍ تُصيبهم العين، أفأسترقي لهم؟ قال: **«نعم فلو كان يُسبق القدرُ لسبقَته العين»**.

ولأحمد[6] عن أبي هريرةَ رضي الله عنه أن رسولَ الله ﷺ قال: **«لا هامَ، والعينُ حقٌّ، وأصدقُ الطِّيرةِ الفألُ»**.

وله[7] عن أبي أُمامةَ بنِ سهل بنِ حنيفٍ أن أباه حدّثه أن رسولَ الله ﷺ خرج وساروا معه نحو مكةَ حتى إذا كانوا بشِعْب الحرار من الجُحْفةِ اغتسل سهلُ بنُ حنيف، وكان رجلاً أبيضَ حسنَ الجسمِ والجلدِ، فنظر إليه عامرُ بنُ ربيعةَ - أخو بني عديِّ بنِ كعب - وهو يغتسل فقال: ما رأيت كاليوم ولا جلدَ مُخبَّأة، فلِبطَ

---

(١) أي للإمام أحمد في «المسند» رقم (٧٨٧٠ - شاكر) وقال: **إسناده ضعيف**.
أبو معشر: «هو نجيح بن عبد الرحمٰن السندي، الفقيه صاحب المغازي وهو ضعيف...»اهـ.

(٢) أي للإمام أحمد في «المسند» (٦/ ٤٣٨).

(٣) في «السنن» (٤/ ٣٩٥ رقم ٢٠٥٩) وقال: **حديث حسن صحيح**.

(٤) في «الكبرى» كما في «تحفة الأشراف» (١١/ ٢٦٠ رقم ١٥٧٥٨).

(٥) في «السنن» (٢/ ١١٦٠ رقم ٣٥١٢٠).
قال الألباني في «الصحيحة» رقم (١٢٥٢) عقب قول الترمذي: **حسن صحيح**.
قلت: ورجاله ثقات مشهورون من رجال الشيخين غير عبيد بن رفاعة وهو ثقة، وغير عروة بن عامر، قال في «التقريب»: «مختلف في صحبته، له حديث في الطيرة - أخرجه أبو داود وابن السني - بلفظ: «أحسنها الفأل» ...- وذكره ابن حبان في ثقات التابعين».
وللحديث شاهد صحيح من رواية ابن عباس عند مسلم (٤/ ١٧١٩ رقم ٢١٨٨).
وخلاصة القول أن الحديث صحيح، والله أعلم.

(٦) في «المسند» رقم (١٠٢٧٠) **بسند صحيح**، وانظر رقم (٧٦٠٩ و٩٥٧٨).

(٧) أي للإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٤٨٦ - ٤٨٧) **بسند صحيح**.
قلت: وأخرجه الطبراني في «الكبير» (٦/ ٧٩ رقم ٥٥٧٥)، وابن ماجه (٢/ ١١٦٠ رقم ٣٥٠٩)، وعبد الرزاق في «المصنف» (١١/ ١٤ - ١٥ رقم ١٩٧٦٦).
وهو حديث صحيح.

سهلٌ، فأُتِيَ رسولُ الله ﷺ فقيل له: يا رسولَ الله هل لك في سهل، والله ما يرفع رأسَه ولا يُفيق؟ قال: «**هل تتهمون فيه من أحد**»؟ قالوا: نظر إليه عامرُ بنُ ربيعةَ، فدعا رسولُ الله ﷺ عامراً، فتغيّظَ عليه وقال: «**علام يقتُل أحدُكم أخاه؟ هلاّ إذا رأيتَ ما يعجبك برّكتَ**»، ثم قال له: «**اغتسل له**»، فغسل وجهَه ويديه ومِرْفَقَيه ورُكبتيه وأطرافَ رجليه وداخلةَ إزارِه في قَدَح، ثم صُبّ ذلك الماءَ عليه، فصبّه رجلٌ على رأسه وظهرِه من خلفه، ثم يكفأ القدحَ وراءه، ففعل ذلك فراح سهلٌ مع الناس ليس به بأسٌ.

وله[1] عن عبيد الله بنِ عامرِ بنِ ربيعةَ قال: انطلق عامرُ بنُ ربيعةَ وسهلُ بنُ حنيف يريدان الغسل، قال: فانطلقا يلتمسان الخَمر[2]، قال: فوضع عامرٌ جُبةً كانت عليه من صوف فنظرتُ إليه فأصبتُه بعيني، فنزل الماء يغتسل قال: فسمعت له في الماء فرقعةً فأتيتُه فناديتُه ثلاثاً فلم يُجبني، فأتيتُ النبيَّ ﷺ فأخبرتُه، قال: فجاء يمشي فخاض الماءَ فكأني أنظر إلى بياض ساقيه، قال: فضرب صدرَه بيده ثم قال: «**اللّهمّ اصرِف عنه حرَّها وبردَها ووصَبَها**»، قال: فقام، فقال رسولُ الله ﷺ: «**إذا رأى أحدُكم من أخيه أو من نفسه أو من مالِه ما يُعجبه، فليبرُكْ فإن العينَ حقٌّ**».

وله[3] عن عبد الله بنِ عمرٍو رضي الله عنهما قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**لا عَدْوى ولا**

---

(١) أي للإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٤٤٧) **بسند حسن**.
قلت: وأخرجه الحاكم (٤/ ٢١٥ ـ ٢١٦) وقال: هذا حديث **صحيح الإسناد**، ووافقه الذهبي.
قلت: في سنده أمية بن هند بن سهل: مقبول. قاله الحافظ في «التقريب» رقم (٥٦٠).
وأورده الهيثمي في «المجمع» (٥/ ١٠٨) وقال: «رواه الطبراني، وفيه أمية بن هند وهو مستور ولم يضعفه أحد، وبقية رجاله رجال الصحيح» اهـ.
وله شواهد، فالحديث صحيح لغيره، والله أعلم.
(٢) هو ما سترك من شجر أو بناء أو غيره.
(٣) أي للإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٢٢٢) **بسند ضعيف**.
وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/ ١٠١) وقال: «رواه أحمد، وفيه رشدين بن سعد وهو ضعيف، وقد وثق، وبقية رجاله ثقات» اهـ.
وقال الشيخ أحمد شاكر في تخريج الحديث رقم (٧٠٧٠): «... ومعناه صحيح، ورد في=

طِيَرَة ولا هامةَ ولا حسدَ، **والعينُ حقٌّ**»، وغيرُ ذلك من الأحاديث المصرّحةِ بأن العينَ حقٌّ، وسنذكر بعضَها أيضاً في شرعية الرُّقى منها، وغيرَها.

[الرقى بالقرآن والسنّة]

ولنرجِعْ إلى المقصود من شرح المتن: (**فإن تكن**) أي الرُّقى (**من خالص الوَحيين**) الكتابِ والسنة، وإضافةُ خالص إلى الوحيين من إضافة الصفةِ إلى الموصوف، والمعنى من الوحي الخالصِ، بأن لا يدخُلَ فيه غيرُه من شعوذة المُشَعْبِذين، ولا يكون بغير اللغةِ العربية، بل يتلو الآياتِ على وجهها، والأحاديثَ كما رُويت وعلى ما تُلِقِّيَت عن النبيِّ ﷺ بلا همزٍ ولا رمْزٍ، (**فذاك**) أي الرُّقى من الكتاب والسنّة هو (**من هدي النبيّ**) ﷺ الذي كان عليه هو وأصحابُه والتابعون بإحسان، (**و**) من (**شرعتِه**) التي جاء بها مؤدّياً عن الله عزّ وجلّ.

(**وذاك**) معطوفٌ على ذاك الأوّلِ، والمشارُ إليه بهما واحدٌ ولكن الخبرَ في الثاني غيرُ الخبر في الأوّل، فيكون من عطف الجملةِ على الجملة، والخبرُ (**لا اختلاف في سنيته**) بين أهلِ العلم، إذ قد ثبت ذلك من فعل النبيِّ ﷺ وقولِه وتقريرِه، فرقاه جبريلُ عليه السلام ورَقَى هو ﷺ أصحابَه وأمر بها وأقرّ عليها، ولنذكُر ما تيسّر من الأحاديث في ذلك، وبالله التوفيق.

قال البخاري[1] رحمه الله تعالىٰ: بابُ الرُّقى بالقرآن والمعوِّذات، وذكر فيه حديثَ عائشةَ[2] ﵂: «أن النبيَّ ﷺ كان ينفُث على نفسه ـ في المرض الذي مات فيه ـ بالمعوّذات، فلما ثقُل كنت أنفُثُ عليه بهن وأمسح بيد نفسِه لبركتها».

ثم قال[3]: بابُ الرقى بفاتحة الكتاب: ويذكر عن ابن عباس عن النبيِّ ﷺ،

= أحاديث كثيرة صحاح، معروفة في دواوين السنة. وانظر منها ما مضى: (١٥٠٢، ١٥٥٤، ٢٤٢٥، ٣٠٣٢، ٤١٩٨، ٤٧٧٥، ٦٤٠٥) وما سيأتي: (١٢٢٠٥، ١٢٣٥٠، ١٢٥٩١، ١٢٨٠٦) وغير ذلك كثير» اهـ.

وخلاصة القول أن الحديث حسن لغيره، والله أعلم.

(١) في صحيحه (١٠/ ١٩٥) رقم الباب (٣٢).

(٢) أخرجه البخاري (١٠/ ١٩٥ رقم ٥٧٣٥) ، ومسلم (٤/ ١٧٢٣ رقم ٢١٩٢).

(٣) أي البخاري في صحيحه (١٠/ ١٩٨) رقم الباب (٣٣).

ثم ذكر حديثَ أبي سعيدٍ الخدري[1] رضي الله عنه أن ناساً من أصحاب النبيِّ ﷺ أتَوْا على حيٍّ من أحياء العربِ فلم يَقْروهم، فبينما هم كذلك إذْ لُدِغ سيِّدُ أولئك فقالوا: هل معكم من دواء أو راقٍ؟ فقالوا: إنكم لم تَقْرونا، ولا نفعل حتى تجعلوا لنا جُعْلاً، فجعلوا لهم قطيعاً من الشاء، فجعلَ يقرأ بأُمِّ القرآن ويجمع بُزاقَهُ ويتفُل فبرَأ، فأتَوا بالشاء فقالوا: لا نأخُذه حتى نسألَ النبيَّ ﷺ فسألوه، فضحك وقال: «**وما أدراك أنها رُقيةٌ، خذوها واضربوا لي بسهم**».

ثم قال[2]: بابُ الشرطِ في الرُّقية بقطيعٍ من الغنم، وساق فيه بإسناده عن ابن عباسٍ[3] رضي الله عنهما أن نفراً من أصحاب النبيِّ ﷺ مرّوا بماء فيه لديغٌ أو سليم، فعرض لهم رجل من أهل الماء فقال: هل فيكم من راق؟ إن في الماء رجلاً لديغاً أو سليماً، فانطلق رجلٌ منهم فقرأ بفاتحة الكتابِ على شاء فبَرأ، فجاء بالشاء إلى أصحابه، فكرِهوا ذلك وقالوا: أخذتَ على كتاب الله أجراً، حتى قدِموا المدينة فقالوا: يا رسولَ الله، أخذ على كتاب الله أجراً، فقال رسولُ الله ﷺ: «**إن أحقَّ ما أخذتم عليه أجراً كتابُ الله**».

قلت: وهذا هو الذي علقه آنفاً عن ابن عباس، ثم قال[4] رحمه الله: بابُ رُقية العين، وذكر فيه حديثَ عائشةَ[5] رضي الله عنها قالت: أمرني رسولُ الله ﷺ، أو أمر أن يُسْترقَى من العين.

وحديثُ أُمِّ سلمةِ[6] رضي الله عنها أن النبيَّ ﷺ رأى في بيتها جاريةً في وجهها سَفعةٌ، فقال: «**استَرقوا لها، فإن بها النظرةَ**»، وذكر[7] باب «العينُ حقٌّ»، ثم قال[8]: بابُ

---

(١) أخرجه البخاري (١٠/ ١٩٨ رقم ٥٧٣٦)، ومسلم (٤/ ١٧٢٧ رقم ٢٢٠١).
(٢) أي البخاري في صحيحه (١٠/ ١٩٨) رقم الباب (٣٤).
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (١٠/ ١٩٨ ـ ١٩٩ رقم ٥٧٣٧).
(٤) أي البخاري في صحيحه (١٠/ ١٩٩) رقم الباب (٣٥).
(٥) أخرجه البخاري (١٠/ ١٩٩ رقم ٥٧٣٨)، ومسلم (٤/ ١٧٢٥ رقم ٢١٩٥).
(٦) أخرجه البخاري (١٠/ ١٩٩ رقم ٥٧٣٩)، ومسلم (٤/ ١٧٢٥ رقم ٢١٩٧).
(٧) أي البخاري في صحيحه (١٠/ ٢٠٣) رقم الباب (٣٦).
(٨) أي البخاري في صحيحه (١٠/ ٢٠٥) رقم الباب (٣٧).

رُقيةِ الحيةِ والعقرب، وذكر فيه حديثَ عبدِ الرحمٰنِ بنِ الأسودِ عن أبيه[1] قال: سألتُ عائشةَ عن الرّقية من الحُمّة فقالت: رخص النبيُّ ﷺ في الرّقية من كل ذي حُمّة.

ثم قال[2]: بابُ رقيةِ النبيِّ ﷺ، وذكر فيه حديثَ أنسِ بنِ مالكٍ[3] رضي الله عنه إذ قال لثابت: ألا أَرقيك برقية رسولِ الله ﷺ؟ قال: بلى، قال: «اللّهمّ ربَّ الناسِ مُذهبَ الباس، اشفِ أنت الشافي، لا شافيَ إلاّ أنت، شفاءً لا يغادر سقماً»، وحديثُ[4] عائشةَ رضي الله عنها أن النبيَّ ﷺ كان يعود بعضَ أهلِه يمسح بيده اليمنى، ويقول: **«اللّهمّ ربَّ الناسِ اذهبِ الباس، واشفِ أنت الشافي، لا شفاءَ إلاّ شفاؤُك، شفاءً لا يغادر سقماً»**.

وحديثُها[5] رضي الله عنها أن رسولَ الله ﷺ كان يَرقي يقول: **«امسحِ الباسَ ربَّ الناسِ، بيدك الشفاءُ، لا كاشفَ له إلاّ أنت»**.

وحديثُها[6] رضي الله عنها أن النبيَّ ﷺ كان يقول للمريض: **«بسم الله، تربةُ أرضِنا، بريقة بعضنا** ـ وفي رواية[7]: **وريقةِ بعضِنا** ـ **يُشفى سقيمُنا بإذن ربّنا»**.

وعن أنس رضي الله عنه قال: رخّص رسولُ الله ﷺ في الرّقية من العين والحُمّة والنملة، رواه أحمدُ[8] ومسلمٌ[9] والتِّرمذيّ[10] وابنُ ماجه[11].

قال أبو البركاتِ ابنُ تيمية: النملة قروحٌ تخرُج في الجنب[12].

---

(١) أخرجه البخاري (١٠/ ٢٠٥ رقم ٥٧٤١)، ومسلم (٤/ ١٧٢٤ رقم ٢١٩٣).
(٢) أي البخاري في صحيحه (١٠/ ٢٠٦) رقم الباب ٣٨.
(٣) أخرجه البخاري (١٠/ ٢٠٦ رقم ٥٧٤٢).
(٤) أخرجه البخاري (١٠/ ٢٠٦ رقم ٥٧٤٣)، ومسلم (٤/ ١٧٢١ رقم ٤٦/ ٢١٩١).
(٥) أخرجه البخاري (١٠/ ٢٠٦ رقم ٥٧٤٤)، ومسلم (٤/ ١٧٢٣ رقم ٤٩/ ٢١٩١).
(٦) أخرجه البخاري (١٠/ ٢٠٦ رقم ٥٧٤٥)، ومسلم (٤/ ١٧٢٤ رقم ٥٤/ ٢١٩٤).
(٧) أخرجه البخاري (١٠/ ٢٠٦ رقم ٥٧٤٦).
(٨) في «المسند» (٣/ ١١٨، ١١٩، ١٢٧).
(٩) في صحيحه (٤/ ١٧٢٥ رقم ٢١٩٦).
(١٠) في «السنن» (٤/ ٣٩٣ رقم ٢٠٥٦).
(١١) في «السنن» (٢/ ١١٦٢ رقم ٣٥١٦)، وهو حديث صحيح.
(١٢) وقال الخطابي في «معالم السنن» (٤/ ٢١٥): النملة: قروح تخرج في الجنبين، ويقال أنها تخرج أيضاً في غير الجنب...

وعن الشّفاء بنتِ عبد الله قالت: دخل عليَّ النبيُّ ﷺ وأنا عند حفصةَ، فقال: «**ألا تعلمين، هذه رُقية النملة**»، الحديث رواه أحمدُ[1] وأبو داودَ[2].

وعن عَوف بن مالكٍ قال: كنّا نرقي في الجاهلية، فقلنا: يا رسولَ الله كيف ترى في ذلك؟ فقال: «**اعرِضوا عليَّ رُقاكم، لا بأسَ بالرقى ما لم يكن فيه شِركٌ**»، رواه مسلم[3] وأبو داودَ[4].

وعن جابر ﷺ قال: نهى رسولُ الله ﷺ عن الرُّقى، فجاء آلُ عَمرِو بنِ حزم فقالوا: يا رسولَ الله إنها كانت عندنا رُقيةٌ نرقي بها من العقرب، وإنك نهيتَ عن الرُّقى. قال: «**فاعرضوها**»، فقال: «**ما أرى بأساً، من استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل**»، رواه مسلم[5].

وعن عائشةَ ﷺ قالت: كان رسولُ الله ﷺ سُحر حتى كان يرى أنه يأتي النساءَ ولا يأتيهن، قال سفيانُ: وهذا أشدُّ ما يكون من السِّحر إذا كان كذا، فقال: «**يا عائشة، أعلمتِ أن الله قد أفتاني فيما استفتيتُه فيه**»، الحديث رواه البخاريُّ[6] ومسلمٌ[7] بطوله في مواضعَ.

وعند ابن أبي شيبةَ[8] عن زيد بنِ أرقمَ قال: (سَحَر النبيَّ ﷺ رجلٌ من اليهود، قال: فاشتكى لذلك أياماً، قال: فأتاه جبريلُ فقال: **إن رجلاً من اليهود سحَرك وعقَد لك عُقداً**، فأرسل رسولُ الله ﷺ علياً فاستخرجها فجاء بها، فجعل

---

(١) في «المسند» (٦/ ٣٧٢).

(٢) في «السنن» (٤/ ٢١٥ رقم ٣٨٨٧).
قلت: وأخرجه النسائي في «الكبرى» كما في «تحفة الأشراف» (١١/ ٢٣٦ رقم ١٥٩٠٠) وهو حديث صحيح.
انظر «الصحيحة» رقم (١٧٨).

(٣) في صحيحه (٤/ ١٧٢٧ رقم ٢٢٠٠).

(٤) في «السنن» (٤/ ٢١٤ رقم ٣٨٨٦) وهو حديث صحيح.

(٥) في صحيحه (٤/ ١٧٢٦ ـ ١٧٢٧ رقم ٢١٩٩).

(٦) في صحيحه (١٠/ ٢٢١ رقم ٥٧٦٣) و(١٠/ ٢٣٢ رقم ٥٧٦٥).

(٧) في صحيحه (٤/ ١٧١٩ ـ ١٧٢٠ رقم ٢١٨٩).

(٨) في «المصنف» (٧/ ٣٨٧ ـ ٣٨٨ رقم ٣٥٦٩).
قلت: وأخرجه النسائي (٧/ ١١٢ ـ ١١٣ رقم ٤٠٨٠) بسند صحيح.

كلما حل عُقدةً وجد لذلك خِفّة، فقام رسولُ الله ﷺ كأنما نشِط من عِقال).

ولمسلم[1] عن أبي سعيد الخدريِّ أن جبريلَ عليه السلام أتى النبيَّ ﷺ فقال: «**يا محمد، اشتكيتَ؟** قال: **نعم**، قال: **بسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك ومن شرِّ كلِّ نفسٍ أو عينِ حاسدٍ، الله يشفيك**».

وعن بُريدةَ بنِ الحصيب رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**لا رُقيةَ إلاّ من عين أو حمَة**»، رواه ابنُ ماجه[2] هكذا مرفوعاً، ورواه مسلمٌ[3] وغيرُه موقوفاً.

[الرُّقى بألفاظ مجهولة المعاني]

(أما الرُّقى المجهولةُ المعاني ... فذاك وسواسٌ من الشيطان)

(وفيه قد جاء الحديثُ أنه ... شركٌ بلا مريةٍ فاحذَرَنْه)

(إذْ كل من يقوله لا يدري ... لعلّه يكون محضَ الكفر)

(أو هو من سحر اليهودِ مُقتبسْ ... على العوامِ لبّسوه فالتبسْ)

أي: أما الرُّقى التي ليست بعربية الألفاظِ ولا مفهومةِ المعاني، ولا مشهورةٍ ولا مأثورةٍ في الشَّرعِ البتةَ، فليست من الله في شيء، ولا من الكتاب والسنةِ في ظلٍّ ولا فَيْءٍ، بل هي وسواسٌ من الشيطان أوحاها إلىٰ أوليائه؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ﴾ [الأنعام: ١٢١].

وعليه يحمل قولُ النبيِّ ﷺ في حديث ابن مسعود[4]: «**إن الرُّقى والتمائمَ**

---

(١) في صحيحه (٤/١٧١٨ - ١٧١٩ رقم ٢١٨٦).

(٢) في «السنن» (٢/١١٦١ رقم ٣٥١٣).
وفي سنده أبو جعفر الرازي: صدوق سيء الحفظ، خصوصاً عن مُغيرة، قاله الحافظ ابن حجر في «التقريب» رقم (٨٠١٩).

(٣) في صحيحه (١/١٩٩ رقم ٣٧٤/٢٢٠).
وله شاهد من حديث عمران بن حصين أخرجه (٤/٢١٣ رقم ٣٨٨٤)، والترمذي (٤/٣٩٤ رقم ٢٠٥٧).
وخلاصة القول أن حديث بريدة صحيح لغيره، والله أعلم.

(٤) أخرجه أحمد (١/٣٨١)، وابن ماجه رقم (٣٥٣٠)، والبغوي في «شرح السنة» رقم (٣٢٤٠)، وأبو داود مختصراً رقم (٣٨٨٣)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٩/٣٥٠).
من طريقين عن الأعمش، عن عمرو بن مرّة، عن يحيى بن الجزار، عن ابن أخي زينب=

والتِّوَلَةَ شركٌ»، وذلك لأن المتكلمَ به لا يدري أهو من أسماء الله تعالىٰ أو من أسماء الملائكة أو من أسماء الشياطين، ولا يدري هل فيه كفرٌ أو إيمان، وهل هو حقٌّ أو باطل، أو فيه نفعٌ أو ضرٌّ أو رُقيةٌ أو سحر.

ولعمرُ الله لقد انهمك غالبُ الناس في هذه البلوى غايةَ الانهماك، واستعملوه على أضرُبٍ كثيرة وأنواعٍ مختلفةٍ.

فمنه ما يدَّعون أنه من القرآن أو من السنّة ومن أسماء الله المثبتة فيها، وأنهم ترجموه هم من عند أنفسهم بالسريانية أو العبرانية أو غيرِها، وأخرجوه عن اللغة العربية، ولا أدري إن صدّقناهم في دعواهم أهم يعتقدون أنه لا ينفع إذا كان باللغة العربية التي نزل بها القرآنُ وتكلّم بها النبيُّ ﷺ بالسنّة حتى يترجموه بالأعجمية، أو أنهم يعتقدون أنه بالأعجمية أنفعُ منه بالعربية، أو أنه ينفع بالعربية لشيء، وبالأعجمية لغيره، ولا تصلُح إحداهما فيما تصلُح فيه الأخرى، أم ماذا زين لهم الشيطانُ وسوّلت لهم أنفسُهم، أم ماذا كانوا يفترون؟ ومما يزعُمون أنه من أسماء الله تعالىٰ التي ليست في الكتاب ولا في السنّة، وأنهم علِموها من غيرهما.

فمنه ما يدّعون أنه دعا به آدمُ عليه السلام أو نوحٌ أو هودٌ أو غيرُهم من الأنبياء، ومنه ما يقولون إنه ليس إلاّ في أمّ الكتاب، ومنه ما يقولون هو مكتوبٌ في البيت المعمور.

= امرأة عبد الله بن مسعود، وقد وقع عند ابن ماجه (ابن أخت زينب) بدل (ابن أخي زينب).
وأشار الحافظ المنذري في «الترغيب والترهيب» (٤/ ٢٠٥) إلى أنه وقع في بعض نسخ ابن ماجه (ابن أخي)، وقال: وهو على كلا التقديرين مجهول.
وقال الحافظ في «التقريب» رقم (٨٤٩٦) كأنه صحابي، ولم أرَه مسمًّى.
ولكن تابعه عبد الله بن عتبة بن مسعود عند الحاكم (٤/ ٤١٧ ـ ٤١٨)، وصححه على شرط الشيخين ووافقه الذهبي.
كما أن للحديث طريقان آخران يتقوّى بهما، فقد أخرجه الحاكم (٤/ ٢١٧) من طريق إسرائيل، عن ميسرة بن حبيب، عن المنهال بن عمرو، عن قيس بن السكن الأسدي، قال: دخل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه على امرأة. . . فذكره.
وأخرجه الحاكم أيضاً (٤/ ٢١٦ ـ ٢١٧) من طريق أبي الضُّحى، عن أم ناجية، قالت: دخلت على زينب امرأة عبد الله أعوذها. . .
وخلاصة القول أن الحديث صحيح بطرقه، والله أعلم.

ومنه ما يقولون هو مكتوبٌ على جناح جبريلَ عليه السلام أو جناحِ ميكائيلَ أو جناحِ إسرافيلَ أو غيرِهم من الملائكة، أو على باب الجنّة أو غير ذلك.

وليت شعري متى طالعوا اللوحَ المحفوظَ فاستنسخوه منه، ومتى رَقُوا إلى البيت المعمورِ فقرأوه فيه، ومتى نشرت لهم الملائكةُ أجنحتَها فرأوه، ومتى اطّلعوا إلى باب الجنةِ فشاهدوه، كلّما شعوذ مشعبِذٌ وتحذلق متحذلقٌ وأراد الدجلَ على الناس والتحيُّل لأخذ أموالِهم طلب السُّبُلَ إلى وجه تلك الحيلةِ، ورام لها أصلاً ترجِع إليه، فإن وجد شُبهة تُروّج على ضعفاء العقولِ وأعمياءِ البصائرِ، وإلا كذَب لهم كَذِباً محضاً، وقاسمهم بالله إنه لهم لمن الناصحين، فيصدّقونه لحسن ظنِّهم به.

ومنه أسماءٌ يدّعونها، تارةً يدّعون أنها أسماءُ الملائكة، وتارة يزعُمون أنها من أسماء الشياطين، واعتقادُهم في هذه الأسماءِ أنها تخدُم هذه السورةَ أو هذه الآيةَ، أو هذا الاسمَ من أسماء الله تعالىٰ، فيقولون: يا خدّامَ سورةِ كذا أو آيةِ كذا أو اسمِ كذا، يا فلانُ ابنَ فلانٍ ويا فلانُ ابنَ فلانٍ أجيبوا أجيبوا، العجلَ العجلَ ونحوُ ذلك.

وما من سورة من القرآن ولا آيةٍ منه ولا اسمٍ من أسماء الله يعرِفونه إلاّ وقد انتحلوا له خُدّاماً ودعَوْهم له، ساء ما يفترون.

وتارة يكتبون السورةَ أو الآيةَ ويكرّرونها مراتٍ عديدةً بهيئات مختلفةٍ حتى يجعلون أولَها آخراً وآخِرَها أوّلاً، وأوسطَها أولاً في موضع وآخراً في آخَرَ.

وتارة يكتبونها بحروف مقطعةٍ كلُّ حرفٍ على حِدَته، ويزعُمون أن لها بهذه الهيأةِ خصوصيةً ليست لغيرها من الهيئات، ولا أدري من أين أخذوها وعمّن نقلوها، ما هي إلاّ وساوسُ شيطانيةٌ زخرفوها، وخُرافاتٌ مُضِلّة ألِفوها، وأكاذيبُ مختلَقةٌ لفّقوها، لم يُنزل الله بها من سلطان، ولا يُعرف لها أصلٌ في سنّة ولا قرآن، ولم تُنقل عن أحد من أهل الدين والإيمان، إنْ هؤلاء إلاّ كاذبون، أفّاكون مفترون، وسيُجزَون ما كانوا يعملون.

وتارة يكتبون رموزاً من الأعداد العربيةِ المعروفةِ من آحادٍ وعشراتٍ ومئاتٍ وألوف وغيرِها، ويزعُمون أنها رموزٌ إلى حروف آيةٍ أو سورةٍ أو اسمٍ أو شيءٍ مما قدمنا بحساب الحروفِ الأبجديةِ المعروفةِ عند العربِ، وغيرُ ذلك من الخرافات الباطلة، والأكاذيبِ المفتعلةِ المختلَقة، وغالبُها مأخوذٌ عن الأمة الغضَبية الذين

أخذوا السحرَ عن الشياطين وتعلّموه منهم، ثم أدخلوا ذلك على أهل الإسلام بصفة أنه من القرآن أو السنةِ أو أسماء الله تعالىٰ، وأنهم إنما غيّروا ألفاظَه وترجموها بغير العربيةِ لمقاصد لا تتِمّ بزعمهم إلاّ بذلك، ومنها ما هو من عُبّاد الملائكةِ والشياطينِ ونحوِهم، يأخذون أسماءَهم ويقولون للجهّال هي أسماءُ الله ليروِّجوا الشركَ بذلك عليهم فيدْعون غيرَ الله مِن دونه، وهذه مَكيدةٌ لم يقدِر عليها إبليسُ إلاّ بوساطة هؤلاءِ المُضلّين، وهو: ﴿إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٦]، والله تعالىٰ يقول: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [العنكبوت: ٥١]، ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠].

[ثلاثة شروط لجواز الرقى وكونها شرعية]

فتحصّل من هذا أن الرُّقى لا تجوزُ إلاّ باجتماع ثلاثةِ شروط، فإذا اجتمعت فيها كانت رُقيةً شرعية، وإن اختلّ منها شيءٌ كان بضدّ ذلك:

الأول: أن تكون من الكتاب والسنّة، فلا تجوز من غيرهما.

الشرطُ الثاني: أن تكون باللغة العربيةِ، محفوظةً ألفاظُها مفهومةً معانيها، فلا يجوز تغييرُها إلى لسان آخرَ.

الثالثُ: أن يُعتقد أنها سببٌ من الأسباب لا تأثيرَ لها إلاّ بإذنِ الله عزّ وجلّ، فلا يُعتقد النفعُ فيها لذاتها، بل فعلَ الراقي السببَ والله المسبِّبُ إذا شاء.

[الكلام على التمائم والحجب]

(وفي التمائم المعلّقاتِ إن تكُ آياتٍ مبيّناتِ)
(فالاختلافُ واقعٌ بين السلفْ فبعضُهم أجازها والبعضُ كفْ)

(وفي التمائم المعلقات) أي التي تُعلّق على الصبيان والدوابّ ونحوِها **(إن تك)** هي أي التمائم **(آياتٍ)** قرآنيةً **(مبينات)**، وكذلك إن كانت من السنن الصحيحةِ الواضحات **(فالاختلاف)** في جوازها **(واقعٌ بين السلف)** من الصحابة والتابعين فَمن بعدهم **(فبعضُهم)** أي بعضُ السلفِ **(أجازها)** يُروى ذلك عن عائشةَ[1] رضي الله عنها، وأبي

(١) أخرج البيهقي في «السنن الكبرى» (٩/ ٣٥٠)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٢١٧): عن=

جعفرٍ محمدِ بنِ علي، وغيرِهما من السلف[1]، (والبعضُ) منهم (كفَّ) أي منع ذلك وكرِهه ولم يرَه جائزاً، منهم عبدُ الله بنُ عكيم[2]، وعبد الله بن عمرو[3]، وعقبةُ بنُ عامرٍ[4]، وعبدُ الله بن مسعودٍ[5] وأصحابه كالأسود وعلقمة ومَن بعدهم كإبراهيمَ النخَعيّ[6] وغيرِهم رحمهم الله تعالىٰ.

ولا شكّ أن مَنْعَ ذلك أسدُّ لذريعة الاعتقادِ المحظورِ لا سيما في زماننا هذا، فإنه إذا كَرِهه أكثرُ الصحابة والتابعين في تلك العصورِ الشريفةِ المقدّسة والإيمانُ في قلوبهم أكبرُ من الجبال فلأَنْ يُكْرَهَ في وقتنا هذا وقتَ الفتنِ والمحن أولى وأجدرُ بذلك، كيف وهم قد توصّلوا بهذه الرّخَص إلى محض المحرماتِ وجعلوها حيلةً

= عائشة رضي الله عنها قالت: «ليس التميمة ما تعلق به بعد البلاء إنما التميمة ما تعلق به قبل البلاء».
قال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. ولعل متوهماً يتوهم أنها من الموقوفات على عائشة رضي الله عنها، وليس كذلك فإن رسول الله ﷺ قد ذكر التمائم في أخبار كثيرة، فإذا فسرت عائشة رضي الله عنها التميمة، فإنه حديث مسند.

(١) كما في «فتح المجيد شرح كتاب التوحيد» (ص١٣٦).

(٢) أخرج أحمد (٤/ ٢١٠)، والحاكم (٤/ ٢١٦)، والترمذي رقم (٢٠٧٢) عن عبد الله بن عُكيم مرفوعاً: **«من تعلق شيئاً وُكِلَ إليه»**.
وهو حديث حسن بشواهده.

(٣) أخرج أحمد رقم (٦٥٦٥ ـ شاكر) وأبو داود رقم (٣٨٦٩).
عن عبد الله بن عمرو مرفوعاً: **«ما أُبالي ما أتيتُ إن أنا شربتُ تِرياقاً أو تعلقتُ تَميمةً أو قلتُ الشِّعر من قِبَل نفسي»، وهو حديث حسن.**
* الترياق: أنواع، فإذا لم يكن فيه لحوم الأفاعي فلا بأس بتناوله، (الخطابي).

(٤) أخرج أحمد (٤/ ١٥٦)، والحاكم (٤/ ٢١٩).
عن عقبة بن عامر الجهني أن رسول الله ﷺ أقبل إليه رهط فبايع تسعة وأمسك عن واحد، فقالوا: يا رسول الله بايعت تسعة وتركت هذا، قال: **«إن عليه تميمة»**، فأدخل يده فقطعها فبايعه وقال: **«من علّق تميمة فقد أشرك»**.
وهو حديث صحيح، وانظر: «الصحيحة» رقم (٤٩٢).

(٥) **وهو حديث صحيح بطرقه**، وقد تقدم تخريجه.
قلت: وفي الباب حديث عمران بن حصين عند أحمد (٤/ ٤٤٥)، والحاكم (٤/ ٢١٦) وصححه ووافقه الذهبي، وابن ماجه رقم (٣٥٣١).
وهو حديث ضعيف لتدليس مبارك بن فضالة.

(٦) انظر: «موسوعة فقه إبراهيم النخعي» (١/ ٣٥٠): (تميمة).

ووسيلةً إليها، فمن ذلك أنهم يكتبون في التعاويذ آيةً أو سورةً أو بسملةً أو نحوَ ذلك، ثم يضعون تحتها من الطلاسم الشيطانيةِ ما لا يعرِفه إلاّ من اطلع على كتبهم، ومنها أنهم يصرِفون قلوبَ العامة عن التوكّل على الله عزّ وجلّ إلى أن تتعلق قلوبُهم بما كتبوه، بل أكثرُهم يُرجِفون بهم ولم يكن قد أصابهم شيءٌ.

فيأتي أحدُهم إلى من أراد أن يحتالَ على أخذ مالِه مع علمه أنه قد أُولع به، فيقول له: إنه سيصيبك في أهلك أو في مالك أو في نفسِك كذا وكذا، أو يقول له إن معك قريناً من الجنّ أو نحوَ ذلك، ويصف له أشياءَ ومقدماتٍ من الوسوسة الشيطانيةِ، موهماً أنه صادقُ الفراسةِ فيه، شديدُ الشفقةِ عليه، حريصٌ على جلب النفعِ إليه، فإذا امتلأ قلبُ الغبيّ الجاهلِ خوفاً مما وصف له حينئذ أعرض عن ربّه، وأقبل على ذلك الدجال بقلبه وقالِبه، والتجأ إليه وعوّل عليه دون الله عزّ وجلّ، وقال له: فما المخرجُ مما وصَفْتَ، وما الحيلةُ في دفعه؟ كأنما بيده الضرُّ والنفعُ، فعند ذلك يتحقّق فيه أملُه، ويعظُم طمعُه فيما عسى أن يبذُلَه له، فيقول له: إنك إن أعطيتَني كذا وكذا كتبتُ لك من ذلك حجاباً طولُه كذا وعَرضُه كذا، ويصف له ويزخرف له في القول، وهذا الحجابُ علِّقْه من كذا وكذا من الأمراض.

أتُرى هذا ـ مع هذا الاعتقادِ ـ من الشِّرك الأصغر؟ لا بل هو تألّهٌ لغير الله وتوكّلٌ على غيره والتجاءٌ إلى سواه، ورُكونٌ إلى أفعال المخلوقين وسلبٌ لهم من دينهم، فهل قدَر الشيطانُ على مثل هذه الحِيَل إلاّ بوساطة أخيه من شياطين الإنسِ: ﴿قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِۚ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ٤٢].

ثم إنه يكتب فيه مع طلاسمِه الشيطانيةِ شيئاً من القرآن ويتعلقه على غير طهارةٍ ويُحدث الحدثُ الأصغرَ والأكبرَ، وهو معه أبداً لا يقدسه عن شيء من الأشياء.

تاللّهِ ما استهان بكتاب اللّهِ تعالىٰ أحدٌ من أعدائه استهانةَ هؤلاء الزنادقة ـ المدّعين الإسلام ـ به. واللّهِ ما نزل القرآن إلاّ لتلاوته، والعملِ به، وامتثالِ أوامرِه واجتنابِ نواهيه، وتصديقِ خبرِه، والوقوفِ عند حدودِه، والاعتبارِ بأمثاله، والاتّعاظِ بقَصصه والإيمان به، كلٌّ من عند ربّنا، وهؤلاء قد عطلوا ذلك كلّه ونبذوه وراءَ ظهورِهم ولم يحفظوا إلاّ رسمَه كي يتأكّلوا به ويتكسبوا كسائر الأسباب التي يتوصّلون بها إلى الحرام لا الحلالِ، ولو أن ملِكاً أو أميراً كتب كتاباً إلى من

هو تحت ولايتِه أن افعل كذا، واترُك كذا، وأمُر مَن في جهتك بكذا وانْهَهم عن كذا، ونحوَ ذلك، فأخذ ذلك الكتابَ ولم يقرأه ولم يتدبّر أمرَه ونهيَه ولم يُبلّغْه إلى غيره ممن أُمر بتبليغه إليه، بل أخذه وعلّقه في عنقه أو عضُده، ولم يلتفت إلى شيء مما فيه البتّة، لعاقبه الملكُ على ذلك أشدَّ العقوبة ولسامه سوءَ العذاب.

فكيف بتنزيل جبارِ السمٰواتِ والأرضِ الذي له المثلُ الأعلى في السمواتِ والأرضِ، وله الحمدُ في الأولى والآخرةِ وإليه يرجع الأمرُ كلُّه، فاعبده وتوكّلْ عليه هو حسبي لا إلٰه إلاّ هو عليه توكّلتُ وهو ربُّ العرشِ العظيم.

[التمائم المحرمة والطلاسم]

(وإن تكن مما سوى الوَحْيينِ ... فإنها شركٌ بغير مَينِ)

(بل إنها قسيمةُ الأزلامِ ... في البعد عن سيما أولى الإسلام)

(وإن تكن) أي التمائمُ **(مما سوى الوحيين)** بل من طلاسم اليهودِ وعُبّادِ الهياكلِ والنجومِ والملائكةِ ومستخدمي الجنِّ ونحوِهم، أو من الخَرَز أو الأوتارِ أو الحَلَقِ من الحديد وغيرِه **(فإنها شرك)** أي تعلّقُها شركٌ **(بدون مين)** أي شك، إذ ليست هي من الأسباب المباحةِ والأدويةِ المعروفة، بل اعتقدوا فيها اعتقاداً محضاً أنها تدفع كذا وكذا من الآلام لذاتها الخصوصية زعموا فيها كاعتقاد أهلِ الأوثانِ في أوثانهم، **(بل إنها قسيمةٌ)** أي شبيهةُ **(الأزلامِ)** التي كان يستصحبها أهلُ الجاهليةِ في جاهليتّهم، ويستقسمون بها إذا أرادوا أمراً، وهي ثلاثةُ قِداحٍ، مكتوبٌ على أحدها: افعل، والثاني: لا تفعل، والثالث: غُفْلٌ، فإن خرج في يده الذي فيه افعل مضى لأمره، أو الذي فيه لا تفعل ترك ذلك، أو الغُفلُ أعاد استقسامَه.

وقد أبدلنا الله تعالىٰ ـ وله الحمدُ ـ خيراً من ذلك: صلاةَ الاستخارة ودعاءَها.

والمقصودُ أن هذه التمائمَ التي من غير القرآنِ والسنةِ شريكةٌ للأزلام وشبيهةٌ بها من حيث الاعتقادُ الفاسدُ والمخالفةُ للشرع **(في البعد عن سيما أولي الإسلام)** أي عن زيّ أهلِ الإسلام، فإن أهلَ التوحيدِ الخالصِ من أبعدِ ما يكون عن هذا وهذا، والإيمانُ في قلوبهم أعظمُ من أن يدخُلَ عليه مثلُ هذا، وهم أجلُّ شأناً وأقوى يقيناً من أن يتوكّلوا على غير الله أو يثِقوا بغيره، وبالله التوفيق.

[ال] فَصْل: [السادس]

مِنَ الشرك فِعلُ من يتبرّك بشجرةٍ أو حجرٍ أو بُقعةٍ أو قبرٍ أو نحوِها يتخذ ذلك المكانَ عيداً وبيانُ أن الزيارة تنقسم إلى سنيَّة وبِدعيَّة وشِركيَّة



[من الشرك التبرك بشجرٍ أو حجر أو قبر واتخاذها عيداً]

(هـذا ومـن أعـمـال أهـلِ الـشـركِ — مـن غـيـر مـا تـردُدٍ أو شـكّ)
(ما يقصد الجهّالُ من تعظيم ما — لـم يـأذن الـلَّـهُ بـأن يُـعـظَّـمـا
(كـمـن يـلُـذ بـبـقـعـة أو حـجـرِ — أو قـبـرِ مـيـتٍ أو بـبـعـض الـشـجـر)
(مـتـخـذاً لـذلـك الـمـكـانِ — عـيـداً كـفـعـل عـابـدي الأوثـانِ)

(هذا) أي الأمرُ والإشارة إلى ما تقدم **(ومن أعمال أهل الشرك)** التي لا يفعلها غيرُهم ولا تليق إلاّ بعقولهم السخيفة، وأفئدتِهم الضعيفة، وقلوبِهم المطبوعِ عليها، وأبصارِهم المغْشيِّ عليها **(ما)** أي الذي **(لم يأذن الله)** عزّ وجلّ في كتابه ولا سنةِ نبيِّه **(بأن يعظما)** بألف الإطلاق، وأنْ ومدخولُها في تأويل مصدر، أي لم يأذن الله بتعظيمه ذلك التعظيمَ الذي منحه إياه، من لم يفرق بين حقِّ الله تعالىٰ وحقوقِ عبادِه من النبيّين والأولياء وغيرِهم، بل لم يفرق بين أولياء الله وأعدائِه ولا بين طاعتِه ومعصيتِه، فيتّخذ من دون الله أنداداً وهو يرى أن ذلك الذي فعله قُربةٌ وطاعةٌ لله، وأن الله يحب ذلك ويرضاه، ويكذب الرسلَ ويدّعي أنه من أتباعهم، ويوالي أعداءَ الله وهو يظنّهم أولياءَه، كفعل اليهودِ والنصارى يجاهرون الله بالمعاصي، ويكذبون كتابَه ويغيّرونه ويبدلونه ويحرّفون الكَلم عن مواضعه، ويقتُلون الأنبياءَ بغير الحق، وينسُبون لله سبحانه وتعالىٰ الولدَ ويفعلون الأفاعيلَ، ويقولون نحن أبناءُ الله وأحبّاؤُه، وهم البُغَضاءُ إلى الله وأعداؤُه.

وسببُ هذا كلِّه ـ في الأمم الأولى والأخرى ـ هو الإعراضُ عن الشريعة وعدمُ الاهتمامِ لمعرفة ما احتوت عليه الكتبُ من البِشارة والنَّذارةِ والأمرِ والنهي والحلالِ والحرامِ والوعدِ والوعيدِ، ومعرفةِ ما يجب لله على عباده فعلُه وما يجب تركُه **(كمن يلذّ ببقعةٍ)** أي يعُوذ بها ويختلف إليها ويتبرّك بها ولو بعبادة الله تعالىٰ عندها، وتقدم تقييدُ ذلك بما لم يأذن به الله، فيخرج بهذا القيدِ ما أذن الله تعالىٰ بتعظيمه كتعظيم بيتِه الحرام بالحجّ إليه، وتعظيم شعائرِ الله من المشاعر والمواقِف

وغيرِها، فإن ذلك تعظيمٌ لله عزّ وجلّ الذي أمر بذلك لا لتلك البقعةِ ذاتِها.

كما قال عمرُ بن الخطاب[1] رضي الله عنه لما استلم الحجرَ الأسود: (أما والله إني لأعلم أنك حجرٌ لا تضرُّ ولا تنفع، ولولا أني رأيتُ رسولَ الله ﷺ يقبّلك ما قبلتُك).

وكذلك التعظيمُ أيضاً نفسُه إنما أردنا مَنْعَ تعظيم لم يأذن الله به لا المأذونَ فيه، فإن الله تعالىٰ قد أمر بتعظيم الرسلِ بأن يطاعوا فلا يُعصَوْا ويُحَبّوا ويُتّبعوا، وإن طاعةَ الرسولِ هي طاعةُ الله عزّ وجلّ ومعصيتَه معصيةُ الله عزّ وجلّ، فهذا تعظيم لا يتم الإيمانُ بالله إلاّ به؛ إذ هو عينُ تعظيمِ الله تعالىٰ، فإنهم إنما عُظّموا لأجل عظمةِ المرسِلِ سبحانه وتعالىٰ، وأحِبّوا لأجله واتُّبعوا على شرعه، فعاد ذلك إلى تعظيم الله عزّ وجلّ، فلو أن أحداً عظَّم رسولاً من الرسل بما لم يأذن الله به، ورفعه فوق منزلتِه التي أنزله الله عزّ وجلّ، وغلا فيه حتى اعتقد فيه شيئاً من الإلٰهية لانعكس الأمرُ وصار عينَ التنقُّصِ والاستهانةِ بالله وبرسله؛ كفعل اليهودِ والنصارى الذي ذكر الله عزّ وجلّ عنهم من غلوّهم في الأنبياء والصالحين كعيسى وعُزير، فكذّبوا بالكتاب وتنقّصوا الربَّ عزّ وجلّ بنسبةِ الولدِ إليه وغير ذلك، وكذّبوا الرسولَ في قوله: ﴿إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ [مريم: ٣٠]، فصار ذلك التعظيمُ في اعتقادهم هو عينَ التنقّص والشتم، سبحان الله عما يصفون، وسلامٌ على المرسلين.

(**أو حجر، أو قبرِ ميتٍ، أو ببعض الشجر**) أو غير ذلك من العيون ونحوِها ولو بعبادة الله عندها، فإن ذلك ذريعةٌ إلى عبادتِها ذاتِها كما فعل إبليسُ لعنه الله بقوم نوحٍ، حيث أشار عليهم بتصوير صالحيهم ثم بالعُكوف على قبورهم وصُورهم، وعبادةِ الله عندها، إلى أن أشار عليهم بعبادتها ذاتِها من دون الله تعالىٰ فعبدوها، (**متخذاً لذلك المكان**) من القبور والأشجارِ والعيونِ والبقاعِ وغيرِها (**عيداً**) أي ينتابها ويعتاد الاختلافَ إليها (**كفعل عابدي الأوثان**) في تعظيمهم أوثانِهم

---

(١) أخرجه البخاري (٣/ ٤٦٢ رقم ١٥٩٧) و(٣/ ٤٧٥ رقم ١٦١٠)، ومسلم (٢/ ٩٢٥ رقم ١٢٧٠).

واعتيادِهم إليها، ولذا سمّى النبيُّ ﷺ العكوفَ على الأشجار وتعليقَ الأسلحةِ بها على جهة التعظيم «تألّهاً»، كما في الترمذي[1] عن أبي واقدٍ الليثيِّ ﵁ قال: خرجنا مع رسولِ الله ﷺ إلى حُنين ونحن حُدثاءُ عهد بكفر، وللمشركين سِدرةٌ يعكفون عليها وينوطون بها أسلحتهم يقال لها «ذات أنواط»، فمررنا بسِدرة فقلنا: يا رسولَ الله اجعل لنا ذاتَ أنواط كما لهم ذاتُ أنواط، فقال رسولُ الله ﷺ: «**الله أكبر، إنها السَّنَنُ، قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيلَ لموسى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾** [الأعراف: ١٣٨]، **لتركَبُنّ سَنَنَ من قبلكم**».

ولقد عمّت البلوى بذلك، رطمّت في كل زمان ومكان حتى في هذه الأمةِ لا سيما زمانِنا هذا، ما من قبر ولا بُقعة يُذكر لها شيءٌ من الفضائل ولو كذباً إلاّ وقد اعتادوا الاختلافَ إليها والتبرّك بها حتى جعلوا لها أوقاتاً معلومةً يفوت عيدُهم بفواتها ويرَوْن من أعظم الخَساراتِ أن يفوت الرجلَ ذلك العيدُ المعلوم، وآل بهم الأمرُ إلى أن صنّفوا في أحكام حجِّهم إليها كتباً سمَّوها مناسك حجّ المشاهد[2].

ومن أخلّ بشيء منها فهو عندهم أعظمُ جُرماً ممن أخلّ بشيء من مناسك الحجِّ إلى بيت الله الحرام، وجعلوا لها طَوافاً معلوماً كالطواف بالبيت الحرام، وشرعوا تقبيلَها كما يقبَّل الحجرُ الأسودُ حتى قالوا إن زُحِمْتَ فاستلم بمِحْجَن أو أشِرْ إليه، قياساً على فعل النبيِّ ﷺ بالحجر الأسود، وشرعوا لها نذوراً من

---

(١) في «السنن» (٤/ ٤٧٥ رقم ٢١٨٠) وقال: **هذا حديث حسن صحيح**.
قلت: وأخرجه أحمد (٥/ ٢١٨)، والحميدي رقم (٨٤٨) والطيالسي رقم (١٣٤٦)، وأبو يعلى رقم (١٤٤١)، والطبراني في «الكبير» رقم (٣٢٩٠ و٣٢٩١ و٣٢٩٢ و٣٢٩٣ و٣٢٩٤)، وابن أبي عاصم في «السنة» رقم (٧٦)، وعبد الرزاق في «المصنف» (٢٠٧٦٣)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (١٥/ ١٠١) من طرق...
وهو حديث صحيح، والله أعلم.
* قال ابن الأثير في «النهاية» (٥/ ١٢٨): «اجعل لنا ذاتَ أنواط».
هي اسم شجرة بعينها كانت للمشركين ينوطون بها سلاحهم، أي يعلقونه بها، ويعكفون حولها، فسألوه أن يجعل لهم مثلها، فنهاهم عن ذلك.
وأنواط: جمع نَوْط، وهو مصدر سُمّي به المَنُوط.
(٢) انظر: «المنتقى من منهاج الاعتدال» (ص١٢ ـ ١٣ و٥١).

المواشي والنقود، ووقفوا عليها الوقوفَ من العقارات والحَرث وغيرِها، وغير ذلك من شرائعهم الشيطانيةِ، وقواعدِهم الوثنية.

وسيأتي إن شاء الله تعالىٰ ذكرُ النصوصِ النبويةِ في سدِّ ذرائعِ الشركِ في الفصل الآتي، وبالله التوفيق.

[الزيارة تنقسم إلى شرعية وبدعية وشركية]

(ثم الزيارةُ على أقسام ... ثلاثة يا أمةَ الإسلام)
(فإن نوى الزائرُ فيما أضمرهْ ... في نفسه تذكرةً بالآخرهْ)
(ثم الدعا له وللأموات ... بالعفو والصفحِ عن الزلّات)
(ولم يكن شدَّ الرحالَ نحوَها ... ولم يقل هُجْراً كقول السفها)
(فتلك سنةٌ أتت صريحهْ ... في السنن المثبتةِ الصحيحهْ)

(ثم الزيارة) أي زيارةُ القبور تأتي **(على أقسام ثلاثة)**: زيارةٌ سُنية، وزيارةٌ بِدْعية، وزيارةٌ شِركيةٌ فتفهّموها **(يا أولي الإسلام)**.

والبداءةُ بالشرعية لشرفها والندبِ إليها، ثم البدعيةِ لكونها أخفَّ جُرماً من الشركية، ثم هي بعد ذلك. **(فإن نوى الزائرُ)** للقبور **(فيما أضمره في نفسه)** كانت نيتُه بتلك الزيارةِ **(تذكرةً بالآخرة)** أي ليتّعظ بأهل القبورِ، ويعتبرَ بمصارعهم إذْ كانوا أحياءً مثلَه يؤملون الآمالَ ويُخوّلون الأموالَ، ويجولون في الأقطار بالأيام والليال، ويطمعون في البقاء ويستبعدون الارتحالَ، فبينما هم كذلك إذا بصارخ الموتِ قد نادى، فاستجابوا له على الرغم جماعاتٍ وفُرادى، وأبادهم ملوكاً ونُواباً وقُواداً وأجناداً، وقدِموا على ما قدَّموا غياً كان أو رشاداً، وصار لهم الترابُ لُحفاً ومِهاداً، بعد الغُرفِ العاليةِ التي كان عليها الحجابُ أرصاداً، تساوى فيها صغيرُهم وكبيرُهم، وغنيُّهم وفقيرُهم، وشريفُهم وحقيرُهم، ومأمورُهم وأميرُهم.

اتّفق ظاهرُ حالِهم واتّحد، ولا فرق للناظر إليهم يُميّزُ به أحداً من أحد.

وأما باطناً، فالله أكبر لو كُشف للناظرين الحجابُ، لرأوْا من الفروق العجبَ العُجاب، فهؤلاء لهم طوبى وحسنُ مآب، وأولئك في أسوإ حالةٍ وأشدِّ العذاب.

فليعلمْ الواقفُ عليهم الناظرُ إليهم، أنه بهم ملتحق، ولإحدى الحالتين مستحِق فليتأهّب لذلك، وليتُبْ إلى العزيز المالك، وليلتجئ إليه من شرٍّ كلِّ ما هنالك. **(ثم)** قصَد أيضاً **(الدعا)** أي دعاءَ الله عزّ وجلّ **(له)** أي لنفسه **(وللأموات)** من المسلمين **(بالعفو)** من الله عزّ وجلّ **(والصفحِ عن الزلاّت)** وكذا يدعو لسائر المسلمين بذلك **(و)** مع ذلك **(لم يكن شدَّ الرحالَ نحوها)** الضميرُ للقبور لما في الصحيحين[1] عن أبي سعيدِ الخُدريِّ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تُشدّ الرحالُ إلاّ إلى ثلاثة مساجدَ: المسجدِ الحرام، ومسجدي هذا، والمسجِد الأقصى**».

(ولم يقل هُجْراً) أي محظوراً شرعاً **(كقول)** بعض **(السفها)** لما في السنن[2] من حديث بُريدةَ قال فيه النبيُّ ﷺ: «**كنت نهيتُكم عن زيارة القُبور، فمن أراد أن يزورَ فليزُرْ ولا تقولوا هُجْراً**».

(فتلك) الإشارةُ إلى النوع المذكورِ من الزيارة **(سنةٌ)** طريقةٌ نبويةٌ **(أتت صريحة)** أي واضحةً ظاهرةً **(في السنن)** أي الأحاديث **(المثبتة)** في دواوين الإسلام **(الصحيحة)** سنداً ومتناً، (منها) حديثُ بريدةَ ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**قد كنتُ نهيتُكم عن زيارة القبور، فقد أُذِن لمحمد ﷺ في زيارة قبرِ أمّه فزوروها، فإنها تذكِّر الآخرة**»، رواه التِّرمِذيّ وصححه[3].

---

(١) البخاري (٣/ ٧٠ رقم ١١٩٧)، ومسلم (٢/ ٩٧٥ رقم ١٣٣٨).

(٢) أخرجه مسلم (٢/ ٦٧٢ رقم ٩٧٧)، وأبو داود (٣/ ٥٥٨ رقم ٢٢٣٥)، والبيهقي (٤/ ٧٧)، والنسائي (٤/ ٨٩ رقم ٢٠٣٢ و٢٠٣٣)، وأحمد (٥/ ٣٥٠، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٦١)، عن بريدة مرفوعاً: «**إني كنتُ نهيتكم عن زيارةِ القبورِ، فزوروها [فإنها تذكركم الآخرة]، [ولتزِدْكم زيارتُها خيراً]، [فمن أرادَ أن يزورَ فليزُر، ولا تقولوا هُجْراً]**».
الزيادة الأولى والثانية لأحمد، ولأبي داود الأولى بنحوها، وللنسائي الثانية والثالثة.
* الهُجْر: الكلامُ الباطلُ، وكان النهي أولاً لقربِ عهدهم من الجاهليةِ فربّما كانوا يتكلمون بكلام الجاهلية الباطل، فلما استقرّت قواعدُ الإسلام، وتمهّدت أحكامُهُ، واشتهرت معالمُه أُبيحَ لهم الزيارةُ، واحتاط ﷺ بقوله: «**ولا تقولُوا هجراً**».
قاله النووي في «المجموع» (٥/ ٢٨٥).

(٣) في «السنن» (٣/ ٣٧٠ رقم ١٠٥٤) قال الترمذي: **حديث حسن صحيح**.
وانظر الحديث المتقدم في «التعليقة السابقة».

وحديثُ أبي هريرةَ ﷺ قال: زار النبيُّ ﷺ قبرَ أمِّه فبكى وأبكى من حوله، فقال: «**استأذنتُ ربّي أن أستغفرَ لها فلم يأذَنْ لي، واستأذنتُه في أن أزورَها فأذِن لي، فزوروا القبورَ فإنها تذكر الموتَ**»، رواه الجماعة[1].

وعن أبي هريرةَ ﷺ أن النبيَّ ﷺ أتى المقبرةَ، فقال: «**السلامُ عليكم دارَ قومٍ مؤمنين، وإنا، إن شاء الله بكم لاحقون**»، رواه أحمد[2] ومسلم[3] والنسائي[4].

ولأحمدَ[5] من حديث عائشةَ ﷺ مثلُه، وزاد: «**اللّهمّ لا تحرِمنا أجرَهم ولا تفتنَّا بعدهم**».

وعن بريدةَ قال: كان رسولُ الله ﷺ يعلّمهم إذا خرجوا إلى المقابر أن يقولَ قائلُهم: «**السلام عليكم أهلَ الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، نسأل الله لنا ولكم العافية**»، رواه أحمد[6] ومسلمٌ[7] وابنُ ماجه[8]، زاد مسلمٌ في رواية[9]: «**يرحم الله المتقدمين منّا ومنكم والمتأخّرين**».

وعن ابن عباس ﷺ قال: مرّ رسولُ الله ﷺ بقبور المدينةِ، فأقبل عليهم

---

(١) أخرجه مسلم (٢/ ٦٧٢ رقم ٩٧٦)، وأبو داود (٣/ ٥٥٧ رقم ٣٢٣٤)، والنسائي (٤/ ٩٠ رقم ٢٠٣٤)، وابن ماجه (١/ ٥٠١ رقم ١٥٧٢)، وابن حبان رقم (٣١٦٩ - الإحسان)، وأحمد (٢/ ٤٤١)، والبيهقي (٤/ ٧٦)، والبغوي في «شرح السنة» رقم (١٥٥٤)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣/ ٣٤٣)، والحاكم (١/ ٣٧٥ - ٣٧٦) من طرق.
وهو حديث صحيح.

(٢) في «المسند» (٢/ ٣٠٠ و٤٠٨).

(٣) في صحيحه (١/ ٢١٨ رقم ٣٩/ ٢٤٩).

(٤) في «السنن» (١/ ٩٣ - ٩٤ رقم ١٥٠)، **وهو حديث صحيح.**

(٥) في «المسند» (٦/ ٧١، ٧٦، ١١١) **بإسناد حسن** لأجل شريك ولأجل عاصم بن عبيد الله.

(٦) في «المسند» (٥/ ٣٥٣، ٣٥٩، ٣٦٠).

(٧) في صحيحه (٢/ ٦٧١ رقم ٩٧٥).

(٨) في «السنن» (١/ ٤٩٤ رقم ١٥٤٧).
قلت: وأخرجه النسائي (٤/ ٩٤ رقم ٢٠٤٠)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٤/ ١٣٨)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» رقم (٥٨٩)، والبيهقي (٤/ ٧٩).

(٩) في صحيحه (٢/ ٦٦٩ - ٦٧١ رقم ٩٧٤) من حديث عائشة.

بوجهه فقال: **«السلام عليكم يا أهلَ القبور، يغفرُ الله لنا ولكم، أنتم سلفُنا ونحن بالأثر»**، رواه الترمذي[1]، وقال: حسنٌ. وكذلك الأحاديثُ في خروجه ﷺ إلى بقيع الغَرقدِ كثيراً يدعو لهم ويترحّم عليهم[2].

وكان الصحابةُ إذا أتوا قبرَه ﷺ صلَّوا وسلّموا عليه فحسب، كما كان ابنُ عمرَ رضي الله عنهما يقول: السلامُ عليك يا رسولَ الله، السلامُ عليك يا أبا بكر، السلامُ عليك يا أبتاه[3].

وكذا التابعون ومَن بعدهم من أعلام الهدى ومصابيحِ الدجى، لم يُذكر عنهم في زيارة القبورِ غيرُ العملِ بهذه الأحاديثِ النبويةِ وأفعالِ الصحابة، لم يعدِلوا عنها ولم يستبدلوا بها غيرَها بل وقفوا عندها، فهذه الزيارةُ الشرعيةُ المستفادةُ من الأحاديث النبويّة، وعليها درج الصحابةُ والتابعون وتابعوهم بإحسان، إنما فيها التذكرُ بالقبور، الاعتبارُ بأهلها والدعاءُ لهم والترحّمُ عليهم، وسؤالُ الله العفوَ عنهم، فمن ادّعى فيها غيرَ هذا طُولبَ بالبرهان، وأنّى له ذلك، ومن أين يطلُبه؟ بل كذب وافترى، وقَفا ما ليس له به علمٌ. بلى إن العلوم الشرعيةِ دالةٌ على ضلاله وجهلِه.

---

(١) في «السنن» (٣/ ٣٦٩ رقم ١٠٥٣) وقال: **حديث حسن غريب**.
في سنده (قابوس بن أبي ظَبْيان)، قال النسائي: «ليس بالقوي».
وقال ابن حبان: «رديء الحفظ، ينفردُ عن أبيه بما لا أصل له».
انظر: «الضعفاء» للنسائي (ص٢٠١ رقم ٥١٩)، و«المجروحين» (٢/ ٢١٥ ـ ٢١٦).
وقال الألباني في «أحكام الجنائز» (ص٢٥٠): «قلت: وهذا من روايتهِ عن أبيهِ، فلا يُحتجُّ به، ولعل تحسين الترمذي لحديثه هذا إنما هو باعتبار شواهده، فإنَّ معناه ثابتٌ في الأحاديث الصحيحة، وقد مضى قريباً ذكرُ قِسْم منها، إلاَّ أنَّ قولَه: «فأقبلَ عليهم بوجهه» منكرٌ لتفرُّدِ هذا الضعيفِ فيه» اهـ.
والخلاصة أن حديث ابن عباس حسن لشواهده ما عدا قوله: «فأقبل عليهم بوجهه» فإنها منكرة.

(٢) يشير المؤلف رحمه الله إلى الحديث الذي أخرجه أحمد في «المسند» (٦/ ٢٥٢) **بسند صحيح على شرط الشيخين**.
عن عائشة رضي الله عنها: أن النبيّ ﷺ كان يخرجُ إلى البقيعِ، فيدعو لهم، فسألَتْهُ عائشةُ عن ذلك؟ فقال: **«إني أُمرتُ أن أدعُوَ لهم»**.
قلت: ومعناه: عند مسلم (٢/ ٦٦٩ ـ ٦٧١ رقم ٩٧٤) وغيره من طريق أخرى مطوّلاً.

(٣) أخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» (٥/ ٢٤٥) **بسند صحيح**.
وأخرج بنحوه مالك في «الموطأ» (١/ ١٦٦) **بسند صحيح**.

[حكم الدعاء عند القبور والتوسل بأصحابها]

(أو قصد الدعاءَ والتوسّلا — بهم إلى الرحمٰن جلَّ وعلا)

(فبدعةٌ محدثةٌ ضلالهْ — بعيدةٌ عن هَدْي ذي الرسالهْ)

(أو قصَد الدعاء) من الصلاة وغيرِها أو الاعتكافَ عند قبورِهم أو نحوَ ذلك **(والتوسّلا)** بألف الإطلاق **(بهم)** أي بأهل القبور **(إلى الرحمٰن جلّ وعلا)** ائتفكه أهلُ الزيغِ والضلال **(فبدعة محدثة)** لم يأذن الله تعالىٰ بها **(ضلالة)** كما قال ﷺ: **«كلُّ بدعةٍ ضلالةٌ»**[١].

وقال ﷺ: **«من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌّ»**[٢].

وقال ﷺ في رواية[٣]: **«من عمل عملاً ليس عليه أمرُنا فهو ردٌّ»**.

وقال ﷺ: **«عليكم بسنّتي وسنةِ الخلفاءِ الراشدين من بعدي، تمسّكوا بها وعضُّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثاتِ الأمورِ، فإن كلَّ بدعةٍ ضلالة»**[٤]، وغير ذلك.

فإن من قال: اللّهمّ إني أسألُك بجاه فلان، وهو ميتٌ أو غائبٌ، وإن كان يرى أنه لم يَدْعُ إلاّ الله ولم يعبُد سواه فهو قد عبدَ الله بغير ما شرع، وابتدع في الدين ما ليس منه، واعتدى في دعائه ودعاءِ الله بغير ما أمره أن يدعُوَه به، فإن الله تعالىٰ إنما أمرنا أن ندعوَه بأسمائه الحسنى؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، ولم يشرَع لنا أن ندعُوَه بشيء من خلقه البتّةَ، بل قد نهانا رسولُ الله ﷺ عن أن نُقسِم بشيء من المخلوقات مطلقاً، فكيف بالإقسام بها على الله عزّ وجلّ.

---

(١) أخرجه مسلم (٢/ ٥٩٢ رقم ٨٦٧) من حديث جابر، وقد تقدم تخريجه في مقدمة المحقق.

(٢) أخرجه البخاري (٥/ ٣٠١ رقم ٢٦٩٧)، ومسلم (٣/ ١٣٤٣ رقم ١٧/ ١٧١٨)، وأبو داود (٥/ ١٢ رقم ٤٦٠٦)، وابن ماجه (١/ ٧ رقم ١٤) من حديث عائشة.

(٣) أخرجه البخاري (٤/ ٣٥٥) تعليقاً بصيغة الجزم.
ومسلم (٣/ ١٣٤٣ ـ ١٣٤٤ رقم ١٨/ ١٧١٨) من حديث عائشة.

(٤) **وهو حديث صحيح تقدم تخريجه.**

وأمّا حديثُ الأعمى الذي به يحتج المجوِّزون للتوسل بالمقبور فلا حجةَ لهم فيه بحمد الله لو فهِموا معناه ووضعوه موضعَه، ولكنهم أخطأوا في تأويله، ولم يوفّقوا لفهم مدلولِه، فإن هذا الحديثَ بجميع ألفاظِه هو بمعزل عن مدعاهم، وهذه ألفاظُه من الكتب التي خرِّج فيها، قال الترمذيُّ[1] رحمه الله تعالىٰ: حدثنا

(١) في «السنن» (٥/٥٦٩ رقم ٣٥٧٨) وقال الترمذي: **هذا حديث حسنٌ صحيحٌ غريبٌ** لا نعرفه إلاّ من هذا الوجه، من حديث أبي جعفر وهو الخَطْمِيُّ، وعثمانُ بنُ حنيفٍ هو أخو سهل بنِ حُنيفٍ» اهـ.
قلت: وأخرجه أحمد في «المسند» (٤/١٣٨)، والحاكم (١/٣١٣)، وابن ماجه (١/٤٤١ رقم ١٣٨٥)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٩/١٧ رقم ٨٣١١).
* **في هذا الحديث دليل على أن الأعمى توسل بدعاء النبيّ ﷺ لا بذاته، والأدلّة على ذلك في الحديث نفسه كثيرة. وأهمها:**
(أولاً): **أن الأعمى إنما جاء إلى النبيّ ﷺ ليدعو له،** وذلك قوله: «ادع الله أن يعافيني»، فهو قد توسل إلى الله تعالىٰ بدعائه ﷺ؛ لأنه يعلم أن دعاءه ﷺ أرجى للقبول عند الله بخلاف دعاء غيره، ولو كان قصد الأعمى التوسل بذات النبيّ ﷺ أو جاهه أو حقه لما كان ثمةُ حاجة به إلى أن يأتي النبيّ ﷺ، ويطلب منه الدعاء له، بل كان يقعد في بيته، ويدعو ربّه بأن يقول مثلاً: «اللّهمّ إني أسألك بجاه نبيك ومنزلته عندك أن تشفيني، وتجعلني بصيراً»، ولكنه لم يفعل، لماذا؟ لأنه عربي يفهم معنى التوسل في لغة العرب حق الفهم، ويعرف أنه ليس كلمةً يقولها صاحب الحاجة، يذكر فيها اسم المتوسَّل به، بل لا بدّ أن يشتمل على المجيء إلى من يعتقد فيه الصلاح والعلم بالكتاب والسنة، وطلب الدعاء منه له.
(ثانياً): **أن النبيّ ﷺ وعده بالدعاء مع نصحه له ببيان ما هو الأفضل له،** وهو قوله ﷺ: «**إن شئتَ دعوتُ، وإن شئتَ صبرتَ فهو خير لك**»، وهذا الأمر الثاني هو ما أشار إليه ﷺ في الحديث الذي رواه عن ربّه تبارك وتعالىٰ أنه قال: «**إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه ـ أي عينيه ـ فصبر، عوضته منهما الجنّة**» [أخرجه البخاري (١٠/١١٦ رقم ٥٦٥٣) من حديث أنس بن مالك].
(ثالثاً): **إصرار الأعمى على الدعاء،** وهو قوله: «فادع»، فهذا يقتضي أن الرسول ﷺ دعا له، لأنه ﷺ خير من وفى بما وعد، وقد وعده بالدعاء له إن شاء كما سبق فقد شاء الدعاء وأصرّ عليه، فإذن لا بدّ أنه ﷺ دعا له، فثبت المراد، وقد وجه النبيّ ﷺ بدافع من رحمته، ويحرص منه على أن يستجيب الله تعالىٰ دعاءه فيه، وجهه إلى النوع الثاني من التوسّل المشروع، وهو التوسل بالعمل الصالح، ليجمع له من أطرافه، فأمره أن يتوضأ ويصليّ ركعتين ثم يدعو لنفسه وهذه الأعمال طاعة لله سبحانه وتعالىٰ يقدمها بين يدي دعاء النبيّ ﷺ له، وهي تدخل في قوله تعالىٰ: ﴿وابتغوا إليه الوسيلة﴾ [المائدة: ٣٥].
وهكذا فلم يكتف الرسول ﷺ بدعائه للأعمى الذي وعده به، بل شغله بأعمال فيها طاعة لله =

محمودُ بنُ غيلانَ حدثنا عثمانُ بنُ عمرَ حدثنا شُعبةُ عن أبي جعفرٍ عن عِمارةِ ابنِ خُزيمةَ بنِ ثابتٍ عن عثمانَ بنِ حُنيفٍ أن رجلاً ضريرَ البصر أتى النبيّ ﷺ فقال: ادعُ الله أن يعافيَني، قال: «**إن شئتَ دعوتُ وإن شئتَ صبرتَ، فهو خيرٌ لك**». قال: فادعُه، قال: فأمره أن يتوضأ فيُحسِنَ وضوءَه ويدعوَ بهذا الدعاءِ: «اللّهمّ إني أسألُك وأتوجّهُ إليك بنبيّك محمدٍ ﷺ نبيِّ الرحمة، إني توجهتُ بك إلى ربّي في حاجتي هذه لتُقضى لي، اللّهمّ فشفّعه فيَّ».

هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ غريبٌ لا نعرِفه إلاّ من هذا الوجه من حديث أبي جعفرٍ، وهو غيرُ الخطمي اهـ.

قلت: الظاهرُ بالاستقراء أن أبا جعفرٍ هذا هو الرازيُّ التيمي مولاهم مشهورٌ بكنيته، وهو من رجال الأربعةِ واسمُه عيسى بنُ أبي عيسى[1] عبدُ الله بنُ ماهانَ، وأصلُه من مَرْوَ كان يتّجر إلى الري، روى عن عطاءٍ وعمرِو بن دينارٍ وقَتادةَ، وعنه أبو عُوانةَ وشُعبةَ كما في هذا الحديث.

قال ابنُ معينٍ: ثقةٌ، وقال ابنُ المديني: ثقةٌ يخلِط عن المغيرة، وقال الفلاّسُ: سيّئُ الحِفْظ، وقال أبو حاتم: ثقةٌ صدوقٌ صالحُ الحديث، وقال في

= سبحانه وتعالىٰ وقربه إليه، ليكون الأمر مكتملاً من جميع نواحيه، وأقرب إلى القَبول والرضا من الله سبحانه وتعالىٰ، وعلى هذا فالحادثة كلها تدور حول الدعاء ـ كما هو ظاهر ـ وليس فيها ذكر شيء مما يزعم المخالف.

(رابعاً): **أن في الدعاء الذي علمه رسول الله ﷺ إياه أن يقول: «اللّهمّ فشفعه فيّ، وهذا يستحيل حمله على التوسل بذاته ﷺ أو جاهه، أو حقه**، إذ أن المعنى: اللّهمّ اقبل شفاعته ﷺ فيَّ، أي اقبل دعاءه في أن ترد عليَّ بصري، والشفاعة لغة: الدعاء، وهو المراد بالشفاعة الثابتة له ﷺ ولغيره من الأنبياء والصالحين يوم القيامة.

[أخرجه البخاري (٦/ ٣٧١ رقم ٣٣٤٠)، ومسلم (١/ ١٨٤ رقم ٣٢٧/ ١٩٤) من حديث أبي هريرة].

(خامساً): **أن هذا الحديث ذكره العلماء في معجزات النبيّ ﷺ ودعائه المستجاب، وما أظهر الله ببركة دعائه في الخوارق والإبراء من العاهات...**

قلت: ومن رامَ التوسّع في حديث الضرير هذا فليرجع إلى ما كتبه المحدث الألباني في كتاب «التوسل أنواعه وأحكامه» (ص٦٩ ـ ٩٣) فقد أجاد وأفاد.

(١) انظر: «الميزان» (٣/٣١٩ ـ ٣٢٠ رقم ٦٥٩٥).

«التقريب»[1]: صدوقٌ سيِّئُ الحفظ خصوصاً عن المغيرة، من كبار السابعة، مات في حدود الستين ومائة.

والظاهرُ من عباراتهم أن تخليطَه عن المغيرة خاصةً، وهو ثبْتٌ فيمن سواه.

وبهذا يُجمع بين قولِ من يضعفه وقولِ من يوثقه، كيف ومن الموثقين له شيخا البخاري يحيى بن مَعينٍ وعليُّ بنُ المديني وهما هما، والله أعلم.

ورواه النسائي[2] عن عثمانَ بن حُنيفٍ، ولفظهُ أن رجلاً أعمى قال: يا رسولَ الله ادعُ الله أن يكشفَ لي عن بصري. قال: فانطلقَ فتوضأ ثم صلّى ركعتين، ثم قال: «اللّهمّ إني أسألك وأتوجّه إليك بنبيي محمدٍ ﷺ نبيِّ الرحمة، يا محمدُ إني أتوجّه بك إلى ربي أن يكشِفَ عن بصري، اللّهمّ فشفِّعْه فيَّ»، قال: فرجع وقد كشف الله بصرَه.

وقال أحمدُ رحمه الله تعالىٰ في مسنده[3]: حدثنا رَوحٌ حدثنا شعبةُ عن عُميرِ بنِ يزيدَ الخَطْمِيِّ المديني قال: سمعتُ عِمارةَ بنَ خُزيمةَ بنِ ثابتٍ يحدّث عن عثمانَ بنِ حُنيفٍ أن رجلاً ضريراً أتى النبيَّ ﷺ فقال: يا نبيَّ الله ادعُ الله أن يعافيَني، فقال: «**إن شئتَ أخّرت ذلك فهو أفضلُ لآخرتك، وإن شئتَ دعوتُ لك**»، قال: بل ادعُ الله لي، فأمره أن يتوضأ وأن يدعوَ بهذا الدعاء: «**اللّهمّ إني أسألك وأتوجّه إليك بنبيّك محمدٍ نبيِّ الرحمة، يا محمدُ إني أتوجّه بك إلى ربّي في حاجتي هذه فتقضى لي، اللّهمّ فشفِّعْني فيه وشفِّعه فيَّ**».

قلت: عميرُ بنُ يزيدَ الخطميُّ هذا هو أبو جعفرٍ الذي فرَّق التِّرمذيُّ بينه وبين أبي جعفرِ المذكورِ في روايته، وقد قلنا الظاهرُ أنه هو الرازيُّ التيميُّ، وكلاهما

---

(١) رقم الترجمة (٨٠١٩).

(٢) في «عمل اليوم والليلة» رقم (٦٦٠).
قلت: وأخرجه الحاكم في «المستدرك» (١/٥٢٦) وقال: على شرط البخاري وأقرّه الذهبي.
وهو حديث صحيح تقدم تخريجه.

(٣) (٤/١٣٨) **بسند صحيح**، وفي سنده (المديني) فقط.
وعند الطبراني في «الكبير» رقم (٨٣١١) (الخطمي المدني) وقد تقدم.
قلت: وهذا لا يضرّ الحديث شيئاً، وقد قدمنا أنه (الخطمي) فقط.

شيخٌ لشعبةَ، وكلاهما صَدوقٌ، فيحتمل أن كلاً منهما سمعه من عِمارة، وسمعه شعبةُ من كليهما وحدّث به مرةً عن هذا ومرةً عن هذا، فرواه عثمانُ بن عمرَ عن شعبةَ عن أبي جعفرٍ الرازيِّ التيمي، وسمعه روحٌ منه عن الخطمي فحدّث به كذلك، والله عزّ وجلّ أعلم.

والمقصود أن هذا الحديثَ إن جزمنا بصحته، فليس فيه لهم حجةٌ ولا دليلٌ على ما انتحلوه بأفكارهم الخاطئة، فإن هذا الأعمى إنما سأل من النبيّ ﷺ الدعاءَ له بكشف بصرِه، وهو حيٌّ حاضرٌ قادرٌ على ما سأله منه وهو الدعاء، وهو يؤمّن على ذلك ويقول: اللّهمّ شفّعه في، فسأل من النبيّ ﷺ الدعاءَ، وسأل قَبولَ دعائِه من الله عزّ وجلّ لعلمهم التامِّ بالإيمان بالله عزّ وجلّ، وأنه لا يشفع أحدٌ عنده إلاّ بإذنه، وبهذا أمره النبيُّ ﷺ أن يدعو الله تعالىٰ، فاجتمع الدعاءُ من الجهتين.

وهكذا كان الصحابةُ ﷺ كثيراً ما كانوا يسألون من النبيّ ﷺ أن يدعوَ لهم بالنصر وأن يستسقيَ لهم إذا أجدبوا[(١)]، وبتكثير الطعام[(٢)]، كما سأله منه عمرُ ﷺ في غزوة تبوكَ[(٣)]، وقالت له أمُّ أنس خُويدِمُك أنس ادعُ الله تعالىٰ له[(٤)]، وأمثالُ ذلك في حياته الدنيا ما لا يحصى، وكذلك في موقف القيامةِ يسأل الخلائقُ من أولي العزم أن يشفعوا لهم إلى ربّهم في فصلِ القضاءِ واحداً بعد واحد، حتى تنتهيَ إليه ﷺ، فيذهب ويسجد تحت العرشِ ويحمد الله تعالىٰ ويُثني عليه إلى أن يقول له: «**ارفع رأسكَ وقل يُسمَع وسَلْ تُعطَ واشفع تشفع**»، وذلك إذا أذِنَ الله عزّ وجلّ له في الشفاعة التي وعده إياها كما سيأتي تقريرُه[(٥)].

وقد قال ﷺ لعُمرَ وهو ذاهبٌ للعُمرة: «**لا تنسَنا من دعائك**»[(٦)].

---

(١) أخرج البخاري (٢/٥٠٨ رقم ١٠١٥)، ومسلم (٢/٦١٢ رقم ٨٩٧) عن أنس.

(٢) أخرجه البخاري (٥/١٢٨ رقم ٢٤٨٤) و(٦/١٢٩ رقم ٢٩٨٢)، ومسلم (٣/١٣٥٤ رقم ١٧٢٩) من حديث سلمة بن الأكوع.

(٣) أخرجه مسلم (١/٥٥ ـ ٥٦ رقم ٤٤).

(٤) أخرجه مسلم (١/٤٥٧ ـ ٤٥٨ رقم ٦٦٠).

(٥) في الشفاعة، وهو **حديث متفق عليه**، أخرجه البخاري رقم (٣٣٤٠ و٣٣٦١ و٤٧١٢)، ومسلم (١/١٨٤ ـ ١٨٦ رقم ١٩٤).

(٦) أخرجه أبو داود (٢/١٦٩ رقم ١٤٩٨)، والترمذي (٥/٥٥٩ رقم ٣٥٦٢)، وابن ماجه (٢/٩٦٦ رقم ٢٨٩٤)، والبيهقي (٥/٢٥١). =

وكذلك استسقى عمرُ رضي الله عنه بالعباس والصحابةُ متوافرون كما في صحيح البخاريّ[1]: «اللّهمّ إنا كنّا إذا أجدَبْنا نتوسّل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسّل إليك بعمّ نبيِّنا فاسقِنا». وكان من دعاء العباسِ يومئذ: «اللّهمّ إنه لا ينزِل بلاءٌ إلاّ بذنب ولا يُكشف إلاّ بتوبة، وقد توجّه بي القومُ إليك لمكاني من نبيّك، وهذه أيدينا إليك بالذنوب ونواصينا إليك بالتوبة، فاسقِنا الغيثَ» ذكره الزبيرُ بنُ بكّار، وكان ذلك الجدبُ عامَ الرمادة.

كذلك كان معاويةُ لما استسقى بيزيد بنِ الأسودِ الجُرَشيّ[2]، فقال: «اللّهمّ إنا نستشفع ـ أو نتوسل ـ إليك بخيارنا، يا يزيدُ ارفع يديك، فرفع يديه ودعا الناس حتى سُقوا»، فكان أفضلُ القرونِ يسألون الله عزّ وجلّ، ويلتمسون الصالحين منهم الحاضرين عندهم أن يسألوا الله عزّ وجلّ لهم ولهم، وتوسُّلُهم إنما كان بدعائهم لا بذواتهم، وهذا جائزٌ في كل زمانٍ ومكانٍ أن تسأل من عبد صالحٍ حاضرٍ عندك أن يدعوَ لك وتؤمّن أنت على دعائه أو تسأل من مسافر الدعاءَ بظهر الغيبِ، ونحو ذلك، كما ثبت عن النبيّ ﷺ ودرج عليه السلفُ الصالحُ رحمهم الله تعالىٰ.

= قال الترمذي: **حديث حسن صحيح.**

قلت: في سنده عاصم بن عبيد الله بن عاصم بن عمر بن الخطاب، وهو ضعيف.

وخلاصة القول أن الحديث ضعيف.

(١) (٢/ ٤٩٤ رقم ١٠١٠) من حديث أنس.

(٢) أخرجه الفسوي في «المعرفة والتاريخ» (٢/ ٣٨٠ ـ ٣٨١)، وابن سعد في «الطبقات» (٧/ ٤٤٤).

والحافظ ابن عساكر في «تاريخه» (١٨/ ١٥١/ ١) بسند صحيح قاله الألباني في «التوسل» (ص٤٢) وعزاه الحافظ العسقلاني في «الإصابة» (٣/ ٦٣٤) لأبي زرعة الدمشقي ويعقوب بن سفيان في «تاريخهما» **بسند صحيح عن سليم بن عامر.**

فهذا معاوية رضي الله عنه لا يتوسل بالنبيّ ﷺ، لما سبق بيانه، وإنما يتوسل بهذا الرجل الصالح: يزيد بن الأسود رحمه الله تعالىٰ، فيطلب منه أن يدعو الله تعالىٰ، ليسقيهم ويغيثهم، ويستجيب الله تبارك وتعالىٰ طلبه.

وحدث مثل هذا في ولاية الضحاك بن قيس كما أخرجها ابن عساكر في «تاريخه» أيضاً **بسند صحيح.**

[«التوسل أنواعه وأحكامه» (ص٤٢ ـ ٤٣) للألباني].

ولو كان ذلك عندهم جائزاً أعني التوسلَ بالذوات لم يحتج الأعمى أن يأتيَ إلى النبيّ ﷺ ويطلُبَ منه الدعاء، بل كان يتوسلُ به في محله أينما كان؛ إذ لا فائدةَ زائدةً في مجيئه إليه على هذا المعنى، وكذلك عمرُ والصحابةُ معه لم يكونوا ليعدِلوا عن ذاته ﷺ إلى ذات العباسِ لو كان التوسلُ بالذوات لا بالدعاء، وكذا معاويةُ وأصحابُه لم يكونوا ليعدلوا عن ذاته ﷺ إلى يزيدَ بنِ الأسود، ولم يطلبوا منه الدعاءَ، ولما أمر النبيُّ ﷺ عمرَ إذا وجد أويساً أن يطلُبَ منه الاستغفارَ[1]، بل كان يكفيه أن يقول: اللّهمّ بحق أويسٍ القَرنيِّ، ولم يُعرفْ هذا عن أحد من الصحابة ولا التابعين لهم بإحسان أنه فعلَ ذلك التوسلَ بالنبيّ ﷺ ولا بغيره من الأنبياء، ولا بأحد من أفاضلهم الأولياءِ بعد موتِه، ولو كانوا بالذوات يتوسّلون في حال حياتِهم لم يكن فرقٌ بين ذلك وبين مماتِهم، وهذا في التوسل بأهل القبورِ عامٌّ عند القبرِ وغيرِه، وأما عبادة الله عند القبورِ كالصلاة عندها والعكوفِ عليها فهو أشدُّ وأغلظُ، لأنه ذريعةٌ مُفْضية إلى عبادة المقبورِ نفسِه، كما قدمنا عن قوم نوحٍ من استدراج الشيطانِ لهم.

وكذلك فعلَ بغالب هذه الأمةِ والعياذُ بالله، ولذلك نهى النبيُّ ﷺ أن يُصلى على القبور أو إليها، وغلّظ في ذلك ودعا على فاعله باللعنة وشدةِ الغضب كما سيأتي في الفصل الآتي قريباً إن شاء الله تعالىٰ.

[الكلام على الزيارة الشركية]

(وإن دعا المقبورَ نفسَه فقد ... أشرك بالله العظيمِ وجحدْ)
(لن يقبلَ اللهُ تعالىٰ منه ... صِرفاً ولا عدلاً فيعفو عنه)
(إذْ كُل ذنبٍ موشكُ الغفرانِ ... إلا اتخاذَ النِّدِّ للرحمٰنِ)

(وإن دعا) الزائرُ **(المقبورَ نفسه)** من دون الله عزّ وجلّ وسأل منه ما لا يقدر عليه إلاّ الله عزّ وجلّ من جلب خيرٍ أو دفعِ ضرٍّ أو شفاءِ مريضٍ أو ردِّ غائبٍ أو نحوِ ذلك من قضاء الحوائج، **(فقد أشرك)** في فعله ذلك **(بالله العظيم)** المتعالي عن الأضداد والأندادِ والكُفؤ والوليِّ والشفيعِ بدون إذنِه **(وجحد)** حقَّ الله عزّ وجلّ على عباده وهو إفرادُه بالتوحيد، وعبادتُه وحده لا شريكَ له ونَفْيُ ضدِّ ذلك عنه،

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (١٩٦٨/٤ رقم ٢٥٤٢).

قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ﴾ [يونس: ١٠٦ ـ ١٠٧].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَـٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَـٰفِرِينَ ﴿٦﴾﴾ [الأحقاف]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ۖ فَٱدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٤] الآيات، وقال تعالىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ [الحج: ٧٣ ـ ٧٤] الآيات.

وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾﴾ [فاطر].

وقال تعالىٰ: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ [الإسراء: ٥٧]، الآيات وغيرُها ما لا يحصى.

يخبر الله تعالىٰ أن من دعا مع الله إلهاً آخرَ ولو لحظةً فقد كفر، وإن مات على ذلك فلا فلاحَ له أبداً، ولو فعل ذلك نبيُّه لكان من الظالمين، وأنه لا كاشفَ للضرّ غيرُه ولا جالبَ للخير سواه، وأنه لا أضلُّ ممن يدعو مَن دونه سواه، وأن من عُبِد من دون الله يكون عدواً لعابده يوم القيامة وكافراً بعبادته إياه مِن دون الله تعالىٰ، وأنهم كلُّهم عبادٌ مثلُ عابديهم، مخلوقون مربوبون مملوكون تحت تصرف الله وقهرِه لا يستجيبون لمن دعاهم ولا يقدِرون على خلق ذبابٍ فما فوقه ولو اجتمعوا بأسرهم على ذلك، ولا يقدرون على استنقاذ ما استلبه الذبابُ، فكيف يقدرون على قضاء شيءٍ من حوائج عابديهم؟

بل قد أخبرنا عزّ وجلّ أنهم لا يسمعون دعاءَ من دعاهم، ولو سَمِعوا دعاءَه ما استجابوا له، وأخبرنا أن مَن عبدوهم من الصالحين كالملائكة وعيسى وعُزير

وغيرهم أنهم لا يملِكون كشفَ ضرٍّ من دعاهم، ولا تحويلَه من حال إلى حال، بل هم يبتغون الوسيلةَ إلى ربِّهم والقربَ ويرجون رحمتَه ويخافون عذابَه، فينبغي للعباد الاقتداءُ بهم في ذلك الابتغاءِ والرجاءِ والخوفِ من الله عزّ وجلّ، لا دعاؤُهم دونه، تعالىٰ الله عمّا يشركون.

(**لن يقبلَ الله تعالىٰ منه**) أي من ذلك الداعي مع الله غيرَه، المتّخذِ من دونه أولياءَ، (**صِرفاً**) أي نافلة (**ولا عَدْلاً**) أي ولا فريضةً (**فيعفو عنه**) في ذلك، لأن الكافرَ عمله كَلا شيءٍ، قال الله تعالىٰ: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: ١٠٥]، وقال تعالىٰ: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣]، وقال تعالىٰ: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَـٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ﴾ [إبراهيم: ١٨].

وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَـٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا﴾ [النور: ٣٩] الآيات.

وقال تعالىٰ لصفوة خلقِه وهم الرسلُ عليهم الصلاة والسلام: ﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨].

وقال لسيِّدهم وخاتمِهم وأكرمِهم على ربّه تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [الزمر].

(**إذ**) حرفُ تعليلٍ (**كلُّ ذنبٍ**) لقيَ العبدُ ربَّه به (**موشكُ الغفران**) أي يُرجى ويُؤمَّل أن يُغفرَ ويُعفى عنه (**إلاّ اتخاذَ الندِّ للرحمٰن**) فإن ذلك لا يُغفر ولا يَخرُج صاحبُه من النار ولا يجد ريحَ الجنّة، قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٨]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١١٦]، وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّـٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١].

وقد قدّمنا في ذلك من الآيات والأحاديثِ ما فيه كفايةٌ في الدلالة على ما وراءه، ولله الحمد والمنّة.

[ال] فَصْل: [السابع]
في بيان ما وقعَ فيه العامَّةُ اليوم
مما يفعلونه عند القبورِ
وما يرتكبونه من الشّرك الصّريحِ
والغُلوِّ المُفْرِطِ في الأموات



هذا الفصلُ هو المقصودُ بالذات من ذكر ما قبله من تقسيم الزيارةِ إلى ثلاثة أقسام، وهي تمهيدٌ له، فإنما المقصودُ من ذكر ضلالِ الأممِ الأولى هو تحذيرُ الأحياءِ الموجودين لئلا يقعوا فيما وقعوا فيه، وزَجْرُ من وقع منهم عمّا وقع فيه لئلا يحِلَّ بهم ما حلّ بهم من النَّكال، كما أن الله سبحانه وتعالىٰ ما قصّ علينا من أخبارِ الأممِ الأولى إلاّ لنتّعِظَ بهم، ونعتبرَ بمصارعهم ولنعلمَ أسبابَ هلاكِهم فنتّقِيَه ونعلمَ سُبُلَ النجاةِ التي سلكها رسلُ الله وأولياؤه ففازوا بخيري الدنيا والآخرةِ، فنسلُكَها ونقفُوَ أثرَهم، ولهذا قال تعالىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ [الأعراف: ١٠٠] الآية، وقال تعالىٰ: ﴿وَسَكَنتُمْ فِى مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿٤٥﴾ وَقَدْ مَكَرُوا۟ مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ﴾ [إبراهيم: ٤٥ ـ ٤٦]، وقال تعالىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِى مَسَٰكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ ۖ أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾ [السجدة: ٢٦].

وقال تعالىٰ بعد أن قصّ علينا ما قصَّ في سورة هودٍ: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ ۖ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ۖ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴿١٠١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [هود] الآيات.

وقد قال رسولُ الله ﷺ: «**لا تدخلوا مساكنَ الذين ظلموا أنفسَهم إلاّ أن تكونوا باكين أن يُصيبَكم مثلُ ما أصابهم**»، وهو في الصحيح[1]، فإذا كان هذا الخطرُ على من دخل ديارَهم فما ظنُّك بمن عَمِل مثل عملِهم وزيادةً، فإنّا لله وإنّا إليه راجعون.

---

(١) البخاري (٦/٣٧٨ ـ ٣٧٩ رقم ٣٣٨٠)، ومسلم (٤/٢٢٨٦ رقم ٢٩٨٠) من حديث عبد الله بن عمر.

[حكم من أوقد سراجاً على القبر أو بنى على الضريح مسجداً]

(ومن على القبر سِراجاً أوقدا   أو ابتنى على الضريح مسجدا)
(فإنه مجدِّدٌ جِهاراً   لسُنن اليهودِ والنصارى)

(ومن على القبر) متعلقٌ بأوقد (سراجاً) مفعولٌ (أوقد) بألف الإطلاق، والمعنى ومن أوقد سراجاً على القبر (أو ابتنى) بمعنى بنا وزيدت التاءُ فيه لمعنى الاتخاذ، (على الضريح) أي على القبر، واشتقاقُه من الضَّرْح الذي هو الشَّقُّ (مسجداً) أو اتخذ القبرَ نفسَه مسجداً ولو لم يَبْنِ عليه (فإنه) أي فاعلُ ذلك (مجددٌ) بفعله ذلك (جهارا) أي تجديداً واضحاً مجاهِراً به الله ورسولَه وأولياءَه (لسنن) أي لطرائق (اليهود والنصارى) في اتّخاذهم قبورَ أنبيائِهم مساجدَ ويعكُفون عليها، وأعياداً لهم ينتابونها، ويتردّدون إليها، كيف وقد قال الرسولُ ﷺ للذين طلبوا منه ذاتَ أنواطٍ: «الله أكبر، إنها السَّننُ، قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيلَ لموسى: ﴿ٱجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٨]، لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ من كان قبلكم»(١).

وقال ﷺ: «لتتبعُنّ سَنَنَ من كان قبلكم شِبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو سلكوا جُحرَ ضَبٍّ لسلكتموه، قلنا: يا رسولَ الله اليهودُ والنصارى؟ قال: فمن؟»، أخرجاه(٢) من حديث أبي سعيدٍ ﷺ، وقد وقع الأمرُ والله كما أخبر ﷺ به، فالله المستعان.

[النهي عن رفع القبور والزيادة عليها]

(كم حذَّر المختارُ عن ذا ولعنْ   فاعلَه كما روى أهلُ السُّننْ)
(بل قد نهى عن ارتفاع القبرِ   وأنْ يُزادَ فيه فوق الشبرِ)
(وكلُّ قبرٍ مشرفٍ فقد أمرْ   بأن يُسوّى هكذا صحّ الخبرْ)

(كم) خبريةٌ للتكثير (حذَّر المختارُ) نبيُّنا محمدٌ ﷺ (عن ذا) الفعلِ من اتخاذ

---

(١) وهو حديث صحيح تقدم تخريجه قريباً من حديث أبي واقد الليثي.
(٢) البخاري (١٣/ ٣٠٠ رقم ٧٣٢٠)، ومسلم (٤/ ٢٠٥٤ رقم ٢٦٦٩).

القبورِ مساجدَ وأعياداً والبناءِ عليها وإيقادِ السُرُج عليها، كما في الصحيح[(١)] عن عائشة رضي الله عنها أن أمَّ سلمةَ ذكرت لرسولِ الله ﷺ كنيسةً رأتها بأرض الحبشةِ يقال لها ماريةُ، فذكرت له ما رأتْ فيها من الصُّوَر، فقال رسولُ الله ﷺ: «**أولئك قومٌ إذا مات فيهم العبدُ الصالحُ ـ أو الرجل الصالح ـ بَنوا على قبره مسجداً وصوّروا فيه تلك الصورَ، أولئك شرارُ الخلقِ عند الله**».

وفيه[(٢)] عنها هي وعبدُ الله بنُ عباس رضي الله عنهما قال: لما نزل برسولِ الله ﷺ طَفِق يطرح خميصةً له على وجهه، فإذا اغتمّ بها كشفها عن وجهه فقال وهو كذلك: «**لعنةُ الله على اليهود والنصارى، اتّخذوا قبورَ أنبيائهم مساجدَ**» يحذِّر ما صنعوا[(٣)].

وفيه[(٤)] عن أبي هريرةَ رضي الله عنه أن رسولَ الله ﷺ قال: «**قاتل الله اليهودَ والنصارى اتّخذوا قبورَ أنبيائِهم مساجدَ**».

وعن أبي مَرْثدٍ الغنويِّ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لا تصلوا إلى القبور ولا تجلِسوا عليها»، رواه الجماعةُ إلاّ البخاريَّ وابنَ ماجه[(٥)].

---

(١) البخاري (١/ ٥٢٣ ـ ٥٢٤ رقم ٤٢٧)، ومسلم (١/ ٣٧٥ ـ ٣٧٦ رقم ٥٢٨).

(٢) البخاري (٨/ ١٤٠ رقم ٤٤٤٣، ٤٤٤٤)، ومسلم (١/ ٣٧٧ رقم ٥٣١).

(٣) **قال الحافظ في «الفتح»** (١/ ٥٣٢ ـ ٥٣٣)، قوله: «يُحَذِّر ما صنعوا».
«جملة أخرى مستأنفة من كلام الراوي، كأنه سئل عن حكمة ذكر ذلك في ذلك الوقت فأجيب بذلك. وقد استشكل ذكر النصارى فيه لأن اليهود لهم أنبياء بخلاف النصارى فليس بين عيسى وبين نبيّنا ﷺ نبي غيره وليس له قبر، والجواب: أنه كان فيهم أنبياء أيضاً لكنهم غير مرسلين كالحواريين ومريم في قول، أو الجمع في قوله «أنبيائهم» بإزاء المجموع من اليهود والنصارى، والمراد الأنبياء وكبار أتباعهم فاكتفى بذكر الأنبياء، ويؤيّده قوله في رواية مسلم ـ (٥/ ١٣ ـ نووي) ـ من طريق جندب: «كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد».
ولهذا أفرد النصارى في الحديث الذي قبله قال: «إذا مات فيهم الرجل الصالح»، ولما أفرد اليهود في الحديث الذي بعده قال: «قبور أنبيائهم» أو المراد بالاتخاذ أعمّ من أن يكون ابتداعاً أو اتباعاً، فاليهود ابتدعت والنصارى اتبعت، ولا ريب أن النصارى تعظم قبور كثير من الأنبياء الذين تعظمهم اليهود» اهـ.

(٤) البخاري (١/ ٥٣٢ رقم ٤٣٧)، ومسلم (١/ ٣٧٦ رقم ٥٣٠).

(٥) أخرجه مسلم (٢/ ٦٦٨ رقم ٩٧٢)، وأبو داود (٣/ ٥٥٤ رقم ٣٢٢٩)، والترمذي (٣/ ٣٦٧ رقم ١٠٥٠)، والنسائي (٢/ ٦٧ رقم ٧٦٠)، وأحمد رقم (١٧١٤٩ ـ الزين)، وصححه الحاكم (٣/ ٢٢٠).

وعن ابن عمرَ رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «اجعلوا من صلاتكم في بيوتكم ولا تتخذوها قبوراً»، رواه الجماعةُ إلاّ ابنَ ماجه[1].

وعن جُندُب بنِ عبد الله البجَليِّ رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ قبل أن يموتَ بخمسٍ، وهو يقول: «**إن من كان قبلكم كانوا يتّخذون قبورَ أنبيائِهم وصالحيهم مساجدَ، ألاَ فلا تتّخذوا القبورَ مساجدَ، إني أنهاكم عن ذلك**»، رواه مسلم[2].

وعن جابر رضي الله عنه قال: نهى النبيُّ ﷺ أن يُجصّص القبرُ، وأن يُقعدَ عليه، وأن يُبنى عليه، رواه أحمدُ[3] ومسلمٌ[4] والثلاثةُ[5] وصححه التِّرمذيُّ ولفظُه: نهى أن تُجصّص القبورُ وأن يُكتبَ عليها وأن يبنى عليها وأن تُوطَأَ، وفي لفظ النسائي: نهى أن يُبنى على القبر أو يزادَ عليه أو يجصصَ أو يُكتبَ عليه، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لعن رسولُ الله ﷺ زائراتِ القبورِ والمتّخذين عليها المساجدَ والسُّرُجَ، رواه أهلُ السنن[6].

وللترمذي[7] وصحّحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لعن رسولُ الله ﷺ زَوّاراتِ القبور.

---

(1) البخاري (١/ ٥٢٨ ـ ٥٢٩ رقم ٤٣٢)، ومسلم (١/ ٥٣٨ رقم ٧٧٧)، وأبو داود (٢/ ١٤٥ ـ ١٤٦ رقم ١٤٤٨)، والترمذي (٢/ ٣١٣ رقم ٤٥١)، والنسائي (٣/ ١٩٧ رقم ١٥٩٨)، وأحمد رقم (٤٦٥٣ ـ شاكر).

(2) في صحيحه (١/ ٣٧٧ ـ ٣٧٨ رقم ٥٣٢).

(3) في «المسند» (٣/ ٣٣٩).

(4) في صحيحه (٢/ ٦٦٧ رقم ٩٧٠).

(5) أبو داود (٣/ ٥٥٢ رقم ٣٢٢٥)، والترمذي (٣/ ٣٦٨ رقم ١٠٥٢)، والنسائي (٤/ ٨٦ رقم ٢٠٢٧).
قال الترمذي: **حديث حسن صحيح**.

(6) أبو داود (٣/ ٥٥٨ رقم ٣٢٣٦)، والترمذي (٢/ ١٣٦ رقم ٣٢٠)، وقال: **حديث حسن**، والنسائي (٤/ ٩٤ رقم ٢٠٤٣)، وابن ماجه (١/ ٥٠٢ رقم ١٥٧٥).
وهو حديث حسن بشواهده ما عدا لفظ: «السرج»، انظر: الإرواء (٣/ ٢١٣)، والضعيفة رقم (٢٢٥).

(7) في «السنن» (٣/ ٣٧١ رقم ١٠٥٦) وقال: **حديث حسن صحيح**.
قلت: وأخرجه ابن ماجه (١/ ٥٠٢ رقم ١٥٧٦)، وأحمد (٢/ ٣٣٧).
ورجال إسناده ثقات رجال الشيخين غير عمر بن أبي سلمة بن عبد الرحمٰن بن عوف قال=

ولابن ماجه[1] مثلُه من حديث حسانَ رضي الله عنه.

ولأحمدَ[2] بسند جيدٍ عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً: **«إن من شرار الناسِ مَن تدركهم الساعةُ وهم أحياءٌ، والذين يتّخذون القبورَ مساجدَ»**، رواه أبو حاتمٍ[3] وابنُ حبانَ في صحيحه[4].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: **«لا تجعلوا بيوتكم قبوراً، ولا تجعلوا قبري عيداً، وصلُّوا عليَّ فإن صلاتَكم تبلُغني حيث كنتم»**، رواه أبو داودَ بإسناد حسنٍ ورواتُه ثقاتٌ[5].

= في «التقريب» رقم (٤٩١٠): «صدوق يخطئ».
وخلاصة القول أن الحديث حسن بشواهده، والله أعلم.

(١) في «السنن» (١/ ٥٠٢ رقم ١٥٧٤).
قلت: وأخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣/ ٣٤٥)، والحاكم (١/ ٣٧٤)، وأحمد (٣/ ٤٤٢)، وسكت عليه الحاكم والذهبي.
وقال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (١/ ٥١٦ رقم ٥٦٥/ ١٥٧٤): «هذا إسناد صحيح رجاله ثقات».
قلت: فيه «عبد الرحمٰن بن بهمان» قال الحافظ في «التقريب» رقم (٣٨١٧): مقبول.
وخلاصة القول أن الحديث حسن لغيره، والله أعلم.

(٢) في «المسند» (١/ ٤٠٥، ٤٣٥، ٤٥٤)،
قلت: وأخرجه الطبراني في الكبير رقم (١٠٤١٣)، والبزار رقم (٣٤٢٠، ٣٤٢١ ـ كشف)، وابن خزيمة في صحيحه رقم (٧٨٩)، وأبو نعيم في «أخبار أصبهان» (١/ ١٤٢) من طرق.
وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢/ ٢٧) وقال: «رواه الطبراني في الكبير، وإسناده حسن».
وأورده أيضاً في «المجمع» (٨/ ١٣) وقال: «رواه البزار بإسنادين في أحدهما عاصم بن بهدلة وهو ثقة وفيه ضعف، وبقية رجاله رجال الصحيح» اهـ.
وخلاصة القول أن الحديث حسن.

(٣) عزاه إليه ابن تيمية في «اقتضاء الصراط المستقيم» (٢/ ٦٧٤).

(٤) (رقم ٣٤٠ ـ موارد)، **وهو حديث حسن.**

(٥) في «السنن» (٢/ ٥٣٤ رقم ٢٠٤٢).
قال ابن تيمية في «اقتضاء الصراط المستقيم» (٢/ ٦٥٩ ـ ٦٦٠) عقب هذا الحديث: «هذا إسناد حسن، فإن رواته كلهم ثقات مشاهير، لكن عبد الله بن نافع الصائغ الفقيه المدني صاحب مالك فيه لين لا يقدح في حديثه. قال يحيى بن معين: هو ثقة. وحسبك بابن معين موثقاً. وقال أبو زرعة: لا بأس به. وقال أبو حاتم الرازي: ليس بالحافظ، وهو لين تعرف حفظه وتنكر. فإن هذه العبارات منهم تنزل حديثه من مرتبة الصحيح إلى مرتبة=

وعن عليِّ بنِ الحسينِ رضي الله عنهما أنه رأى رجلاً يجيء إلى فُرجة عند قبرِ النبيِّ ﷺ فيدخل فيدعو فيها، فقال: ألا أحدثكم حديثاً سمعتُه من أبي عن جدّي عن رسول الله ﷺ قال: «**لا تتّخذوا قبري عيداً، ولا بيوتَكم قبوراً، فإن تسليمَكم يبلُغني أينما كنتم**»، رواه في المختارة[1].

وقال سعيدُ بنُ منصورٍ في سننه[2]: حدثنا عبدُ العزيز بنُ محمدٍ أخبرني

= الحسن، إذ لا خلاف في عدالته وفقهه، وأن الغالب عليه الضبط، لكن قد يغلط أحياناً، ثم هذا الحديث مما يعرف من حفظه، ليس مما ينكر، لأنه سنة مدنية، وهو محتاج إليها في فقهه، ومثل هذا يضبطه الفقيه. وللحديث شواهد من غير طريقة، فإن هذا الحديث روي من جهات أخرى فما بقي منكراً. وكل جملة من هذا الحديث رويت عن النبيّ ﷺ بأسانيد معروفة» اهـ.

وخلاصة القول أن الحديث صحيح بشواهده.

(1) عزاه إليه ابن تيمية في «اقتضاء الصراط المستقيم» (١/٣٠١ - ٣٠٢).

وأشار الحافظ ابن حجر في «لسان الميزان» (٦/١٠٦ - ١٠٧) إلى هذا الحديث عند ترجمة «جعفر بن إبراهيم» وخرَّجه من أكثر من طريق.

وللحديث شاهد جيد يأتي تخريجه في التعليقة التالية مباشرة. كما أورده السيوطي في «الجامع الصغير» رقم (٥٠١٦) وعزاه للضياء ورمز لصحته، بلفظ: «**صلوا في بيوتكم، ولا تتخذوها قبوراً، ولا تتخذوا بيتي عيداً، وصلوا عليَّ وسلموا، فإنَّ صلاتكم تبلغني حيثما كنتم**».

كما أخرجه «الجهضمي» في «فضل الصلاة على النبيّ ﷺ» رقم (٢٠) بإسناد آخر، بلفظ: «**لا تجعلوا قبري عيداً، ولا تجعلوا بيوتكم قبوراً، وصلوا عليَّ وسلموا حيثما كنتم، فسيبلغني سلامكم وصلاتكم**».

وخلاصة القول أن الحديث صحيح بمجموع طرقه وشواهده.

(2) عزاه إليه ابن تيمية في «اقتضاء الصراط المستقيم» (١/٣٠٢ - ٣٠٣).

قلت: وأخرجه «الجهضمي» في «فضل الصلاة على النبيّ ﷺ» رقم (٣٠) مرسلاً. وأخرجه البزار في «مسنده» (٢/١٤٧ - ١٤٨ رقم ٥٠٩) عن علي بن أبي طالب قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تجعلوا قبري عيداً، ولا بيوتكم قبوراً، وصلوا عليّ وسلموا فإن صلاتكم تبلغني».

* قال البزار: «هذا الحديث لا نعلمه يروى عن عليّ إلاّ من هذا الوجه بهذا الإسناد. وقد روي بهذا الإسناد أحاديث صالحة فيها مناكير، فذكرنا هذا الحديث لأنه غير منكر: «**لا تجعلوا قبري عيداً، ولا بيوتكم قبوراً**»، **قد روي عن النبيّ ﷺ من غير هذا الوجه**» اهـ.

وخلاصة القول أن الحديث صحيح لشواهده.

سهيلُ بنُ أبي صالح قال: رآني الحسنُ بنِ الحسنِ بن عليِّ بنِ أبي طالبٍ رضي الله عنه عند القبرِ فناداني وهو في بيت فاطمةَ رضي الله عنها يتعشى فقال: هلُم إلى العشاء، فقلت: لا أريده، فقال: ما لي رأيتُك عند القبر؟ فقلت: سلمتُ على النبيّ ﷺ، فقال: إذا دخلتَ المسجدَ فسلّم، ثم قال: إن رسولَ الله ﷺ قال: «**لا تتّخذوا قبري عيداً، ولا تتخذوا بيوتَكم مقابرَ، وصلوا عليّ فإن صلاتَكم تبلُغني حيث كنتم. لعن الله اليهودَ والنصارى اتّخذوا قبورَ أنبيائِهم مساجدَ**» (ما أنتم ومن بالأندلس إلاّ سواءٌ)[1].

وروى مالكٌ في الموطأ[2] أن رسولَ الله ﷺ قال: «**اللّهمّ لا تجعل قبري وثناً يُعبد، اشتدّ غضبُ الله على قوم اتّخذوا قبورَ أنبيائِهم مساجدَ**»، وفي الباب أحاديث غيرُ ما ذكرنا.

(وقد نهى) النبيُّ ﷺ **(عن ارتفاع القبر)** بالبناء أو نحوِه، كما تقدم من النهي عن تجصيصها والبناءِ عليها، وكما سيأتي من الأمر بتسويتها **(وأن يزادَ فيه فوق الشبر)** كما في السنن[3] عن جابر رضي الله عنه قال: نهى النبيُّ ﷺ أن يُبنى على القبر أو يُزادَ عليه أو يُجصّص.

(وكل قبرِ مشرفٍ) يعني مرتفع **(فقد أمر)** النبيّ ﷺ **(بأن يسوّى)** بالأرض أو بما عداه من القبور التي لم تُجاوز الشرعَ في ارتفاعها، **(هكذا صحّ الخبر)** وهو ما رواه مسلمٌ[4] عن ثُمامةَ بنِ شفيّ قال: كنّا مع فَضالةَ بن عُبيد بأرض الرومِ

---

(١) هذا من كلام الحسن بن الحسن.

(٢) في «الموطأ» (١/ ١٨٥ - ١٨٦ - تنوير الحوالك) مرسلاً.
قلت: وأخرجه ابن سعد في «الطبقات» (٢/ ٢٤٠ - ٢٤١) من طريق عطاء بن يسار **مرسلاً بسند صحيح**.
وأخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (١/ ٤٠٦ رقم ١٥٨٧) عن زيد بن أسلم **مرسلاً**.
وأخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣/ ٣٤٥) عن زيد بن أسلم **مرسلاً بسند صحيح**.
وأخرجه أحمد موصولاً (٢/ ٢٤٦)، والحميدي (٢/ ٤٤٥ رقم ١٠٢٥)، وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٢٨٣) و(٧/ ٣١٧) عن أبي هريرة **بسند حسن**.
وخلاصة القول أن الحديث صحيح.

(٣) **وهو حديث صحيح تقدم تخريجه قريباً**.

(٤) في صحيحه (٢/ ٦٦٦ رقم ٩٦٨).

برودس، فتُوفي صاحبٌ لنا، فأمر فضالةُ بنُ عبيد بقبره فسُوّيَ ثم قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يأمر بتسويتها.

وله[1] عن أبي الهياجِ الأسديِّ، قال: قال لي عليُّ بنُ أبي طالب: ألا أبعثُك على ما بعثني عليه رسولُ الله ﷺ: **«ألا تدَعَ تِمثالاً إلاّ طمسْتَه، ولا قبراً مشرِفاً إلاّ سوّيتَه»**.

[تحذيرَ النبيِّ ﷺ الأمة عن إطرائه والغلوّ فيه]

(وحــذّر الأمــةَ عــن إطــرائــه	**فـغـرّهـم إبـلـيـسُ بـاسـتـجـرائـه)**
(فـخـالـفـوه جَـهـرةً وارتـكـبـوا	**مـا قـد نـهـى عـنـه ولـم يـجـتـنـبـوا)**

(وحذّر) النبيُّ ﷺ **(الأمةَ عن إطرائه)** أي الغلوُّ فيه، كما في الصحيحين[2] عن عمرَ رضي الله عنه أن رسولَ الله ﷺ قال: **«لا تُطروني كما أطرت النصارى ابنَ مريم، إنما أنا عبدٌ، فقولوا عبدُ الله ورسولُه»**.

وعن ابن عباس[3] رضي الله عنه أن رسولَ الله ﷺ قال: **«إيّاكم والغلوَّ في الدين، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلوُّ في الدين»**.

وعن أنس رضي الله عنه أن ناساً قالوا: يا رسولَ الله يا خيرَنا وابنَ خيرِنا وسيدَنا وابنَ سيدِنا، فقال: **«يا أيها الناسُ، قولوا بقولكم أو بعضَ قولكم، ولا يستهوينكم الشيطان، أنا محمدٌ عبدُ الله ورسولُه، ما أُحِبّ أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عزّ وجلّ»**، رواه النسائي[4] بسند جيد.

---

(١) أي لمسلم في صحيحه (٢/ ٦٦٦ رقم ٩٦٩).

(٢) البخاري (١٢/ ١٤٤ ـ ١٤٥ رقم ٦٨٣٠) في حديث طويل، ومسلم رقم (١٦٩١) دون ذكر هذه الجملة.

(٣) أخرجه أحمد في «المسند» (١/ ٢١٥، ٣٤٧)، والنسائي (٥/ ٢٦٨ رقم ٣٠٥٧)، وابن ماجه (٢/ ١٠٠٨ رقم ٣٠٢٩)، وابن حبان رقم (١٠١١ ـ موارد)، والبيهقي (٥/ ١٢٧)، والحاكم (١/ ٤٦٦).
قال الحاكم: **صحيح على شرط الشيخين**، ووافقه الذهبي وليس كذلك؛ فإن زيادة بن حصين لم يخرج له البخاري في صحيحه فهو على شرط مسلم فقط.
وخلاصة القول أن الحديث صحيح.

(٤) في «عمل اليوم والليلة» رقم (٢٤٨).
قلت: وأخرجه أحمد في «المسند» (٣/ ٢٤٩ و٣/ ٢٤١) **وإسناده جيد.**

وعن عبد الله بنِ الشِّخير[1] قال: انطلقتُ في وفد بني عامرٍ إلى النبيِّ ﷺ، فقلنا: أنت سيدُنا، فقال: «**السيدُ الله تعالىٰ**»، قلنا: وأفضلُنا فضلاً وأعظمُنا طَولاً، فقال: «**قولوا بقولكم أو بعضَ قولِكم، ولا يَسْتجرِينَّكم الشيطانُ**».

وهذا كلُّه من حماية النبيِّ ﷺ جنابَ التوحيد، وكما قال لمن قال: تعالَوا بنا نستغيثُ برسول الله ﷺ من هذا المنافقِ، قال: «**إنه لا يُستغاث بي، وإنما يستغاث بالله**»[2].

والله سبحانه وتعالىٰ قد بيَّن ما يجب اعتقادُه في حقِّ الرسلِ عليهم الصلاة والسلام، وأنه هو تصديقُ خبرِهم، وامتثالُ أمرِهم واجتنابُ نَهيِهم، واتباعُهم على شريعتهم، ومحبّتهم هم وأتباعُهم، وتوابعُ ذلك، وهذا هو الذي دعَوا إليه لم يدَّعِ أحدٌ منهم الربوبية، ولا دعَوا إلى عبادة أنفسِهم، ولا ينبغي لهم ذلك؛ كما قال تعالىٰ: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۦنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [آل عمران]، وقال تعالىٰ: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ ٱلْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٧٢] الآيات.

وقال: ﴿مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ﴾ [المائدة: ٧٥] الآية، وقال تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الزخرف: ٥٩]، وقال تعالىٰ: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٤/ ٢٤، ٢٥)، وأبو داود (٥/ ١٥٤ ـ ١٥٥ رقم ٤٨٠٦)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» رقم (٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٧)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» رقم (٣٨٧) **بسند صحيح على شرطهما**.
وهو حديث صحيح، صححه الألباني في تخريج «إصلاح المساجد» (ص١٣٩ رقم ١٠٣).

(٢) أخرجه الطبراني كما في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٥٩) من حديث عبادة بن الصامت. قال الهيثمي: «ورجاله رجال الصحيح غير ابن لهيعة وهو حسن الحديث».

إِن أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾،
وقال تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الأنبياء].

وقال تعالىٰ عن نوحٍ عليه السلام: ﴿لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ﴾ [الأنعام: ٥٠].

وقال لصفوة خلقِه وخاتمِ رسلِه وسيدِ ولدِ آدمَ أجمعين محمدٍ ﷺ: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ﴾ [الأعراف: ١٨٨]، وقال تعالىٰ له: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ﴾ [آل عمران: ١٢٨]، وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُوا۟ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ ۚ﴾ [الجن: ٢٠ ـ ٢٣] الآيات.

وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الأحقاف: ٩]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِي۟ن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ﴾ [آل عمران: ١٤٤] الآيات.

وقد تلاها أبو بكر رضي الله عنه يوم مات النبيُّ ﷺ وقال: أيّها الناسُ من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ﷺ، ومن كان يعبد الله فإن الله حيٌّ لا يموت، إلى آخر خُطبته رضي الله عنه(١).

وهذا بابٌ واسعٌ كثيرةٌ النصوصُ فيه، بل ليست النصوصُ إلاّ فيه وفي متعلّقاته ومُكمِلاته.

---

(١) أخرجها البخاري في صحيحه (٧/ ١٩ ـ ٢٠ رقم ٣٦٦٧ رقم ٣٦٦٨) من حديث عائشة رضي الله عنها.

[اغترار الأمة بإبليس ومخالفتهم نهي الرسول وتحذيره]

(**فغرّهم**) أي أكثرَ الأمةِ بعد ما سمعوا الزواجرَ والنواهيَ (**إبليسُ**) لعنه الله وأعاذنا منه (**باستجرائه**) أي باستهوائه إياهم، واستدراجِه لهم، وإدخالِهم في الهَلَكات شيئاً فشيئاً كما فعل بالأمم السالفةِ قومِ نوحٍ فمن بعدَهم، وأتاهم على ما يهوَوْن، إما بغُلوّ وإما بجفاء، لا يبالي ما أهلكَ العبدَ به، سواءٌ قصره على الصراط المستقيمِ وهوّن عليه أمرَه حتى لا يدخُلَه ولا يسلُكَه، أو جاوزه به حتى يتبع سبيلَ الضلالِ فتفرّقَ به عن سبيله، فالذين أبغضوا الرسلَ من الكفار وعادَوهم ونابذوهم بالمحاربة من أول مرةٍ زيّن لهم ذلك، وضرب لهم الأمثلةَ والمقاييسَ، وأنهم مثلُهم بشرٌ يأكلون ويشربون، وأنهم يريدون أن يصدّوهم عما كان يعبد آباؤهم، ويتنقصوا شيوخَهم بذلك، وتكونَ لهم الكبرياءُ في الأرض، وغيرُ ذلك.

والذين صدقوا الرسلَ واتبعوهم أتى الكثيرَ من خلوفهم وزيّن لهم الغُلوَّ فيهم بالكذب والقولِ عليهم بالبهتان، ورفعهم فوق منزلتِهم التي أنزلهم الله عزّ وجلّ، وأتاهم بذلك في صورة محبّتِهم وموالاتِهم حتى جعلهم مثلَه في البعد عن الله ورسلِه، ولم يسلَم من ذلك إلاّ عبادُ الله المخلِصون الذين هداهم الله صراطَه المستقيم، فلم يُقْصِروا عنه ولم يستبدلوا به غيرَه، بل استمسكوا به واعتصموا: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [آل عمران: ١٠١]، ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩].

(**فخالفوه**) أي الذين استهواهم الشيطانُ خالفوا النصَّ من الكتاب والسنة (**جهرة وارتكبوا، ما قد نهى عنه**) من الغلوّ والإطراءِ وما لم يأذن به الله (**ولم يجتنبوا**) ذلك ولا شيئاً، فنهى عن الحِلف بغير الله عزّ وجلّ وهؤلاء لا يحلفون إلاّ بغيره، وقد يحلفون بالله على الكذب، ولا يحلِفون بالندِّ فيَكذِبون.

ونهى أن تُقرَنَ مشيئةُ العبدِ بمشيئة الله تعالىٰ، وهؤلاء يُثبتون له ذلك على سبيل الاستقلال، ويهتفون باسمه في الغدوّ والآصال، ويسألون منهم قضاءَ الحوائجِ دون ذي الجلال، بل يعتقد فيهم الغلاةُ منهم أن بعضَ الأولياءِ هو المتصرفُ في الكون والمدبّرُ له في كل حال.

ودعا الرسولُ ﷺ إلى عبادةِ الله وحده ودعائِه وحده لا شريك له، فدعَوا مع الله غيرَه، حتى دعَوا الرسولَ الآتيَ بذلك نفسَه مع الله عزّ وجلّ.

ونهى عن اتّخاذ القبورِ مساجدَ وهؤلاء يعكُفون عليها، ويصلّون عليها وإليها، بل ولها من دون الله عزّ وجلّ، وكثيرٌ منهم يفضلون الصلاةَ فيها على مساجد الله عزّ وجلّ التي بُنيت لذلك.

ونهى أن تُجصَّصَ القبورُ أو يُبنى عليها، وهؤلاء قد ضربوا عليها القِبابَ وزخرفوها، وحبَسوا عليها العَقاراتِ وغيرَها وأوقفوها، وجعلوا لها النذورَ والقُرباتِ، وكم عبادةٍ إليها دون الله صرفوها.

ونهى عن بناء المساجدِ عليها ولعن من فعل ذلك ودعا عليه بالغضب وهؤلاء قد بَنوا عليها ورأوها من أكبر حسناتِهم، وما بينهم وبين بنائِهم عليها إلاّ موتُ أهلِها، أو حُلُمٌ يتمثّل الشيطانُ فيه أو خيالٌ أو سماعُ صوتٍ فيسارعون إلى ذلك أسرعَ من مسارعة أهلِ الدين إلى الكتاب السنة.

ونهى عن إيقاد السُّرجِ عليها، وهؤلاء يقفون الوقوفَ على تسريجها، ويجعلون عليها الشموع والقناديلِ ما لم يجعلوه في مساجد الله، وكأنما ندبهم الرسولُ ﷺ إلى ذلك بتلك اللعنةِ التي عنى بها من فعل ذلك.

وقال ﷺ: **«لا تُشدّ الرحالَ إلاّ إلى ثلاثة مساجدَ»**[1]، الحديث.

وهؤلاء يضربون أكبادَ الإبل إلى قبور الصالحين أو من يظنّونهم صالحين مسافةَ الأيامِ والأسابيعِ والشهورِ ويرَون ارتكابَ ذلك المنهيِّ من أعظم القُربات.

ونهى ﷺ عن اتّخاذها أعياداً، وهؤلاء قد اتّخذوها أعياداً ومعابدَ، لا بل معبوداتٍ من دون الله عزّ وجلّ، ووقّتوا لها المواقيتَ زماناً ومكاناً، وصنّفوا فيها مناسكَ حجِّ المشاهدِ، وحجّوا إليها أكثرَ مما يُحَج إلى بيت الله الحرام، بل رأوها أولى بالحج منه ورأوا من أخلّ بشيءٍ من مناسكها أعظمَ جُرماً ممن أخلّ بشيء من مناسك الحجّ حتى إن من كان منهم قد حج عشراتِ مراتٍ أو أكثرَ يبايع من شهد أحدَ المشاهد أن يعاوِضَه بجميع حِجَجِه بتلك الزيارة فيمتنع أشدَّ الامتناعِ، ويخشعون عندها أكثرَ مما يُخشع عند شعائر الله.

---

(١) تقدم تخريجه.

وقال ﷺ: «**لا تُطروني كما أطْرت النصارى ابنَ مريم**»[1]، وهؤلاء قد أطْرَوا مَن هو دونه من أمته بكثير بل قد أطْرَوا من لم يؤمن به ﷺ ساعةً من الدهر أعظمَ من إطراء النصارى ابنَ مريم، بل جعلوه هو الربَّ على سبيل الاستقلال.

وقال ﷺ: «**إنه لا يُستغاث بي وإنما يستغاث بالله**»[2]، وهؤلاء قد استغاثوا بغير الله سراً وجهراً وهتفوا باسم غيرِ الله في السرّاء والضرّاءِ والشدةِ والرخاءِ، وأخلصوا لهم الدعاءَ من دون الله عزّ وجلّ وصرَفوا إليهم جُلَّ العباداتِ من الصلاة والنُّذُر والنُّسكِ والطوافِ وغيرِ ذلك.

وقد أنكر ﷺ على من قال لولا الله وفلانٌ فكيف بمن يقول يا فلانُ ما لي سواك، ويقول: قد استغثت الله فلم يُغِثني حتى استغثتُ فلاناً فأغاثني، وإنه ليعصي الله في المسجد الحرام، ولا يقدر على مخالفته شيءٍ مما ينسبُونه إلى وليّه من الأكاذيب المختلقةِ والحكاياتِ الملفقة، وترى أكثرَ مساجدِ الله المبنيةِ للصلوات معطلةً حساً ومعنى، وفيها من الأزبال والكُناساتِ والأوساخِ ما لا يُعدّ ولا يُحصى، فإذا أتيتَ قِبابَ المقابرِ والمساجدِ المبنيةِ عليها رأيتَ بها من الزينة والزخارفِ والأعطارِ والزبْرقةِ والستورِ المنقشةِ المُغلَمةِ المرصّعة، والأبوابِ المفضّصة المُحْكمة، ولها من السَّدَنة والخدّام ما لم تجده في بيت الله الحرام، والداخلُ إليها والخارجُ منها من الزوّار ما لا تُحصيهم الأقلام، وعليها ـ من الأكسية والراياتِ والأعلامِ ـ ما لو قُسم لاستغنى به كثيرٌ من الفقراء والأراملِ والأيتامِ، فما ظنُّك بالوقوفَ المحبسةِ عليها، والأموالِ المجْبيّة إليها من الثمار والنقودِ والأنعام، فلا حولَ ولا قوّة إلاّ بالله العلي العظيم.

فأيُّ فاقرةٍ على الدين أصعبُ من هذه الأفعال، وهل جنى الأخابثُ على الدين أعظمَ من هذا الضّلال، وهل استطاع الأعداءُ من هدم قواعدِ الدينِ ما هدمه هؤلاء الضُّلّال، وهل تلاعب الشيطانُ بأحد ما تلاعب بهؤلاء الجُهّال، فأيُّ منافٍ للتوحيد وأيُّ مناقضٍ له أقبحُ من هذا الشركِ والتنديد، تالله ما قومُ نوحٍ ولا عادٌ ولا ثمودُ ولا أصحابُ الأيكةِ بأعظمَ شركاً ولا أشدَّ كفراً من هؤلاء الملاحيدِ،

---

(١) تقدم تخريجه قريباً.

(٢) تقدم تخريجه قريباً.

وليس أولئك بأحقَّ منهم بالعذاب الشديد، وليس هؤلاء المشركون خيراً من أولئك ولا براءةَ لهم من ذلك الوعيد، ولكنّ الله يُمهلِ ولا يُهمل وما بطشُه من الظالمين ببعيد، ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢].

[الغلوّ المفرط في الأموات وتعظيم قبورهم]

(فانظُر إليهم قد غلَوْا وزادوا ورفعوا بناءَها وشادوا)
(بالشيد والآجُرِّ والأحجارِ لا سيما في هذه الأعصار)

(فانظر) أيها المؤمنُ **(إليهم)** وإلى أعمالهم **(قد غلَوا)** في أهل القبورِ الغُلوَّ المُفرِطَ الذي نهاهم الله تعالىٰ ورسولُه ﷺ عنه **(وزادوا)** عما حذّرهم عنه الرسلُ **(ورفعوا بناءها)** أي بناءَ القبورِ المنهيَّ عن مجرّده قليلِه وكثيرِه **(وشادوا)** أي ضربوه **(بالشيد)** وهو الجصُّ **(والآجرّ)** اللبِنِ المُحرّقِ **(والأحجار)** المنقشة المزخرفة **(لا سيما)** بزيادة **(في هذه الأعصار)** القريبةِ بعد ظهورِ دولةِ العبيديين[1] الذين قال فيهم أهلُ العلم: ظاهرُهم الرفضُ وباطنُهم الكفرُ المحض، فاعتنَوا ببناء القبابِ على القبور وزخرفتِها وتشييدها وجعلِها مشاهدَ، وندَبوا الناسَ إلى زيارتها وأتَوْا بذلك باسم محبةِ أهلِ البيتِ.

وكلُّ من جاء بعدهم من الدول المبتدعةِ زاد فيها وأحدثَ أكثرَ مما أحدث مَن قبله حتى اتّخذوها مساجدَ ومعابدَ إلى أن عُبدت من دون الله، وسألوا منها

(١) نسبة إلى عبيد الله المهدي ـ وأضفوا على أنفسهم لقب الفاطمية نسبة إلى فاطمة بنت الرسول ﷺ وهي بريئة منهم ومن مفترياتهم. ولكنهم أرادوا ذلك تضليلاً على العامة، وسعياً وراء تحقيق مآربهم.
وعبيد الله المهدي هذا هو سعيد بن الحسين بن أحمد بن عبد الله بن ميمون بن ديصان القداح، والد الخلفاء الباطنية العبيدية الفاطمية، افترى أنه من ولد جعفر الصادق، وكان بسلمية ـ وهي بليدة في ناحية البرية من أعمال حماة ـ فبعث دعاته إلى اليمن والمغرب، واستولى على بلاد المغرب، وأنشأ فيها دولته، وامتدّت بضعاً وعشرين سنة، غير اسمه ونسبه وقال لأتباعه: أنا عبيد الله بن الحسين بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق، كان يظهر الرفض ويبطن الزندقة، توفي سنة (٣٢٢هـ) شهر ربيع الأول بالمهدية التي بناها. [انظر: «العبر في خبر من غبر» للذهبي (٢/١٦ ـ ١٧)].
وانظر: «الإسماعيلية المعاصرة» لمحمد بن أحمد الجوير (ص٤٠ ـ ٤٢).

ما لا يقدِر عليه إلاّ الله، وفعلوا بها ما يفعل أهلُ الأوثانِ بأوثانهم وزادوا كثيراً فضلّوا عن سواء السبيل، وأضلّوا من قَدَروا على إضلاله جيلاً بعد جيل، ولم يبق من الدين عندهم إلاّ اسمُه، ولا من الكتاب والسنةِ لديهم إلاّ لفظُه ورسمُه، ولكن الأرضَ لا تخلو من مجدّدٍ لمعالم الشريعةِ الحنيفيةِ، ومنبّهٍ على ما يُخلّ بها أو يناقضها من البِدَع الشيطانية، ولا تزال طائفةٌ من هذه الأمةِ أمةِ محمدٍ ﷺ على الحقّ ظاهرةً لا يضُرّهم من خالفهم أو خذلهم حتى يأتيَ أمرُ الله تبارك وتعالىٰ، والله سبحانه يقول: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

(وللقناديل عليها أوقدوا	**وكم لواءٍ فوقها قد عقَدوا)**
(ونصَبوا الأعلامَ والراياتِ	**وافتتنوا بالأعظُم الرُّفاتِ)**
(بل نحروا في سوحها النحائرْ	**فِعْلَ أولي التسييب والبحائرْ)**
(والتمسوا الحاجاتِ من موتاهم	**واتّخذوا إلٰههم هواهم)**

(وللقناديل) من الشموع وغيرِها **(عليها)** أي على القبور وفي قِبابها **(أوقدوا)** تعرضاً للعنة من رسولِ الله ﷺ لمن فعل ذلك؛ إذ يقول: «**لعن الله زَوّاراتِ القبورِ والمتّخذين عليها المساجدَ والسُّرج**»[1].

فأوقفوا لتسريجها الوقوفَ الكثيرةَ وجعلوا عليها سَدَنةً وخُدّاماً مُعَدّين لإيقادها، وويلٌ للسادن إن طفِئَ مصباحُ قبرِ الشيخ **(وكم لواء فوقها قد عقدوا)** تعظيماً لها وتألُّهاً ورغبةً ورهبة، **(ونصبوا)** عليها **(الأعلامَ والراياتِ)** لا سيما يومَ عيدِها لأنهم قد اتّخذوا لكل قبرٍ عيداً أي يوماً معتاداً يجتمعون فيه من أقاصي البلادِ وأدناها، كما أنَّ الحجَّ يومُ عرفة، مخالفةً منهم ومشاقّةً لله ورسولِه؛ إذ يقول ﷺ: «**لا تتخذوا قبري عيداً**»[2]، فقد اتّخذوا قبورَ من هو دونه أعياداً، ومن فاته يومُ ذلك العيدِ المعتادِ فقد فاته المشهدُ، وفاته خيرٌ كثير، وفي ذلك العيدِ تُنصب الزينةُ الباهرةُ وتُدقّ الطبولُ والأعوادُ، ويجتمع الرجالُ والنساءُ في ميدان واحدٍ لابسين

---

(١) وهو حديث حسن بشواهده ما عدا لفظ «السرج»وقد تقدم تخريجه قريباً .
(٢) وهو حديث صحيح بشواهده وقد تقدم تخريجه قريباً.

زينَتهم، قد تعطّر كلٌّ من الجنسين بأطيبِ ما يجد ولبس أطيبَ ما يجد، وتُجبى الأموالُ من الأوقاف والنذورِ وغيرِها على اختلاف أجناسها، من نقودٍ وثمارٍ وأنعامٍ وخَراجاتٍ وغيرِها مما علم الله تعالىٰ أنها لا يُبتغى بها وجهُه، ولم تُنفق في مرضاته بل في مساخطه **(وافتتنوا)** في دينهم **(بالأعظم الرفات)** النَّخِرَة فعبدوها من دون الله عزّ وجلّ دعاءً وتوكّلاً وخوفاً ورجاءً ونَذراً ونُسكاً وغيرَ ذلك.

(بل نحروا في سوحها) أي في أفنية القبورِ **(النحائر)** من الإبل والبقرِ والغنمِ إذا نابهم أمرٌ أو طلبوا حاجةً من شفاء مريضٍ أو ردِّ غائبٍ أو نحوِ ذلك، وأكثرُهم يَسِمُها للقبر من حينِ تولَد، ويربّيها له إلى أن تصلُح للقُربة في عرفهم، ولا يجوز عندهم تغييرُها ولا تبديلُها ولا خصْيُها ولا وِجاؤُها، لا يذهب شيءٌ من دمها إذ ذلك عندهم نقصٌ فيها وبخْسٌ، **(فِعلَ أولي التسييبِ والبحائر)** أي كفعل مشركي الجاهليةِ من العرب وغيرِهم في تسييبهم السوائبَ وتبحيرِ البحائرِ، وجعل الحامِ كما قدمنا عنهم ذلك مبسوطاً في موضعه، غير أن أولئك سمَّوْهم آلهةً وشفعاءَ وسمَّوا مثلَ هذا الفعلِ بهم عبادةً، وهؤلاء سمَّوهم سادةً وأولياءَ، وسمَّوا دعاءَهم إياهم تبرّكاً وتوسّلاً، وكلاهما مُشركٌ في فعله بالله عزّ وجلّ، وهؤلاء أعظمُ شركاً وأشدُّ لأنهم يشركون في الرخاء وفي الشدّة، بل هم في الشدة أكثرُ شِركاً وأشدُّ تعلّقاً بهم من حالة الرخاء، وأما مشركو الجاهليةِ الأولى فيشركون في الرخاء ويُخلصون لله في الشدّة، كما أخبرنا الله عنهم بقوله تعالىٰ: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٥]، وغيرُها من الآيات.

(والتمسوا الحاجاتِ) التي لا يقدِر عليها إلاّ الله عزّ وجلّ **(من موتاهم)** من جلب الخيرِ ودفعِ الشرِّ **(واتخذوا إلَهَهم هواهم)** وهذا هو السببُ في عبادة غيرِ الله بل في جميع معاصي الله، وهو الذي كلما هوِيَ أمراً أتاه، ولم يأتهم الشيطانُ من غير بابِ الهوى ولم يصطَد أحداً بغير شبكتِه، لأن الهوى يُعمي عن الحق، ويُضِلّ عن السبيل أتباعَه، وهو سببُ الشقاوةِ كما أن التزامَ الشريعةِ باطناً وظاهراً سببُ السعادة، فهما ضِدّان لا يجتمعان ولا يكون الحكمُ إلاّ لواحد منهما؛ لأن الشريعةَ تدلّ على مرضاة الله وتأمرُ بها، وتحذّر من مساخط الله وتنهى عنها، والهوَى بضدّ

ذلك، ولهذا قال ﷺ: **«حُفّت الجنةُ بالمكاره»**[1]، يعني لمخالفة أسبابِها من الأعمال الصالحة للهوى، **«وحفت النار بالشهوات»**[2] لموافقة أسبابِها من المعاصي للهوى.

فطوبى لمن كان هواه تَبعاً لما جاء به رسولُ الله محمدٌ ﷺ، وويلٌ لمن قدَّم هواه على ذلك لقد هلك.

(قد صادهم إبليسُ في فِخاخه بل بعضُهم قد صار من أفراخه)

(يدعو إلى عبادة الأوثانِ بالمال والنفسِ وباللسان)

(قد صادهم) من الاصطياد بل[3] من مطاوع اصطاد، لأن التاء التي قلبت طاءً هي لمعنى الطلب، وأما حذفُها فيدلّ على وصول الطالبِ إلى مطلوبه، **(إبليس في فخاخه)** التي نصبها لهم كما نصبها لمن قبلهم من تزيين المعاصي وتصويرِها في صورةِ الطاعات، فأولُ ما زيّن لقوم نوحٍ العكوفَ على صور صالحيهم ليتذكّروا عبادتهم الله تعالىٰ فيقتفوا أثرَهم فيها، ولم يزل بهم حتى عبدوها كما قدمنا.

وكذلك فعل بسفهاء هذه الأمةِ، أولُ ما أشار عليهم ببناء القبابِ على القبور باسم محبةِ الأولياءِ ثم بالعكوفِ عليها وعبادةِ الله عزّ وجلّ عندها تبرّكاً وتيمّناً بتلك البقاعِ التي فُضّلت بهم إذ دُفنوا فيها ثم بعبادتهم أنفسِهم دون الله عزّ وجلّ، ثم استرسلوا في تلك العبادةِ شيئاً فشيئاً إلى أن أثبتوا للمخلوق صفاتِ الربوبيةِ من التصرّف فيما لا يقدِر عليه إلاّ الله عزّ وجلّ، فصار الأمرُ كما ترى في جميع الأقطار، وفي كل القُرى والأمصار، وفي كل زمنٍ تشيُّعٍ وتزيُّدٌ وفي كل عصرٍ من الأعصار.

(بل بعضهم قد صار من أفراخه) المساعدين له الدّاعين إلى ما دعا إليه حزبَه ليكونوا من أصحاب السعير **(يدعو إلى عبادة الأوثان)** من القبور وغيرِها **(بالمال والنفس واللسان)**، فمن دعايتهم إلى ذلك أنّهم يجمعون أنواعاً من المطالب

---

(١)و(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٤/ ٢١٧٤ رقم ٢٨٢٣) من حديث أبي هريرة.
وأخرجه البخاري في صحيحه (١١/ ٣٢٠ رقم ٦٤٨٧) من حديث أبي هريرة أيضاً بلفظ: «حُجِبَتِ النارُ بالشهوات، وحُجِبَتِ الجنةُ بالمكاره».

(٣) الظاهر أن (بل) زائدة.

ويُدخلونها القبرَ إلى القبة المبنيةِ عليه في سراديبَ مُعَدة تحتها، فإذا أتى إليهم الجاهلُ المفتونُ ووقف على الحاجب، فإن لم يكن له مطلوبٌ معينٌ قال له: أدخل يدَكَ فما خرج فيها فهو البابُ الذي تُرزق منه لا تعدوه إلى غيره، فإن خرج في يده ترابٌ فحارِثٌ، وإن خرج قُطنٌ فحائِكٌ، وإن خرج فَحْمٌ أو نحوُه فحدّادٌ أو صائغ، وإن خرج آلةُ حجامة فحجّام، وإن خرج كذا فهو كذا، على قواعدهم يعرِفونها، ومَخرَقةٍ لهم يألفونها.

وإن كان له مطلوبٌ معينٌ قال له: ما تريد من الشيخ؟ قال: أريد كذا، فإن كان ذلك يوجد فيها أُدخِل القبرَ، وإلاّ قال: ارجِع الآن وموعدُك الوقت الفلاني فإن الشيخَ الآن مشغولٌ، أو نحوَ ذلك من الأعذار مع ما في قلبه من تعظيم الشيخ، فلا يكرّر الطلبَ أدباً معه، فلا يأتي في المرة الثانية إلاّ وقد استعدّ له بمطلوبه، فإذا جاء وأدخل يَده خرج فيها ذلك المطلوبُ فحينئذ خرج ينادي: شيء لله يا شيخ فلان، وكلما وجد أحداً أراه ذلك، وقال: هذا من كرامات الشيخ فلان وعطاياه، فيجمعون من أموال الناسِ بهذه الحِيَل والشعوذةِ ما لا يُحصى، ولكنهم لم يحتالوا لأخذ أموال الناسِ فحسْب، بل احتالوا لسلب دينِهم وأخرجوهم من دائرة الإسلامِ إلى دائرة الكفر، وليس هذا خاصّاً بقبور الصالحين الذين عُرفوا في الدنيا بالأمانة والديانة، بل أيِّ قبرٍ تمثل فيه الشيطانُ أو حُكيت له حكايةٌ أو رُئيَت له رؤيا صدقاً كانت أو كذباً فقد استحقّ عندهم أن يُبنى عليه القِبابُ ويُعكفَ عنده وينذَرَ له ويُذبح عليه ويُستشفى به المرضى ويُستنزَلَ به الغيثُ، ويستغاثَ به في الشدائد ويسألَ منه قضاءُ الحوائج، ويخافَ ويُرجى ويتخذَ نِدّاً من دون الله عزّ وجلّ وتقدّس وتنزّه عمّا يقول الظالمون والجاحدون والملحدون علوّاً كبيراً.

اللّه أكبرُ لو رأيتَ على القبو ... ر عُكوفهم صبحاً وبالإمساءِ
واللّهُ أكبرُ لو ترى أعيادَهم ... جَمْعَ الرجال معاً وجمعَ نساءِ
واللّه أكبر لو رأيت مساجداً ... بُنيت على الموتى بأي بناءِ
قد زُخرفت بحجارة منقوشة ... بالشِّيد قد ضُربت مع الإعلاء
ورؤوسُها قد زُيّنت بأهلّةٍ ... من أنفس المنقوشِ دون مراء
قد أُسرجت ولَكم على تسريجها ... وقَفوا الشموعَ لها بأي أداء

كم سادنٍ قد وكَّلوه بشأنها ... طيباً وتنظيفاً وشأنَ ضياءِ
ويلٌ له لو قد أخلّ ببعض ذا ... ماذا يقاسي من ضروب بلاء
ولكم عليها رايةٌ قد نُشِّرت ... ألوانُها سَلبت لقلب الرائي
وكرائمُ الأنعام تُنحر سوحها ... منذورةً يُؤتى بها لوفاء
لم يُفردوا ربَّ السماء بدعوة ... بل للقبور تجاوبوا بنداء
يدعونهم في كشف كلِّ مُلِمّةٍ ... في الجهر قد هتفوا وفي الإخفاء
ويعظّمونهمو بكل عبادةٍ ... يا صاحِ في السرّاء والضرّاء
وتراه بالرحمٰن يحلِف كاذباً ... وصفاتِه العُليا وبالأسماء
لكنه لا يستطيع الحَلْفَ بالـ ... ـقبور ذا إن لم يكن ببراء
زادوا على شرك الذين إليهمو ... بُعث الرسولُ بأصدق الأنباء
إذ يُخلِصون لدى الكروبِ وهؤلا ... ءِ فشركُهم في شدّة ورَخاء
بل في الشدائد شركُهم أضعافُ ما ... قد أشركوا في حالة السرّاء
فتراه يَنذِر في الرخاء ببَذْنةٍ ... وببذنتين لدى اشتدادِ بلاء
وجميعُ ما يأتيه في سرّائه ... فله به الأضعافُ في الضرّاء
تاللّه ما ظَفِر اللعينُ بمثلها ... من بعض أهلِ الشرعةِ الغرّاء
حتى إذا ما هيّأوا لعدوّهم ... سببَ الدخولِ وسُلَّمَ الإغواء
طمِع العدوُّ بهم لنيل مرادِه ... منهم فغرَّ القومَ باستجداء
لما أساءوا الظنَّ بالوحيينِ لـ ... ـكنْ أحسنوه بزُخرف الأعداء
لم يهتدوا بالنص قطُّ بل اقتفَو ... آراءَ مَن قد كان عنها نائي
نبذوا الكتابَ فلم يُقيموا نصَّه ... إذ كان ميلُهمو إلى الأهواء
وعبادةُ الأوثانِ قد صارت لهم ... ديناً تعالىٰ اللّهُ عن شركاء
وطرائقَ البِدعِ المُضِلّةِ صيّروا ... سبلاً مكانَ المِلّةِ السمحاء
يا ربِّ ثبِّتْنا على دين الهدى ... وعلى سلوك طريقِه البيضاء
واردُدْ بتوفيق إليها من نأى ... ممن قد استهوى أولو الإغواء
يا ربّنا فاكشِف غطاءَ قلوبِنا ... بالنور أخرِجنا من الظّلماء
واسلُك بنا نهجَ النجاةِ ونجّنا ... من حَيرةٍ وضلالةٍ عمياء
واجعل كتابَك يا كريمُ إمامَنا ... ورسولَك المِقدامَ للحنفاء

وانصُر على الأعداء حزبَك إنهم ... خَبَطَتْهمو فتنٌ من الأعداء
راموا بنا السُّوأى بسوء مكايدٍ ... فاقصِمْهمو يا ربِّ للأسواء
واردُد إلهي كيدهم في بَيْدهم ... وأبِذهمو بَيْداً عن البيداء
أظهر على الأديان دينَك جهرةً ... وشعارَه فارفع بدون خفاء
واجعل لوجهك خُلَّصاً أعمالَنا ... بعبادة وولايةٍ وبَراء[1]

---

(١) هذه الأبيات من شعر المؤلف ـ رحمه الله ـ وقد ورد بعض منها في قصيدته الطويلة (همزية الإصلاح) التي مطلعها:

حمداً بلا حد ولا إحصاء ... للّه مولى الحمد والنعماء

احتفظ بأصلها المخطوط بقلم ناظمها، أسأل الله أن يعين على نشرها قريباً. (أحمد بن حافظ الحكمي).

[ال] فَصْل: [الثامن]

في بيان حَقيقة السِّحر وحكم الساحر
وذكرِ عقوبةِ من صَدَّق كاهناً



أي ما عليه من العقوبة شرعاً، وأن منه أي من السحر علمَ التنجيم، وهو النظرُ في النجوم الآتي بيانُه، وذكرِ عقوبةِ من صدق كاهناً بقلبه، ويعني عقوبتَه الوعيدية.

والبحثُ في هذا الفصل في أمور:

(الأول): هل السحرُ حقيقةٌ وقوعُه ووجودُه أم لا؟

(الثاني): أنواعُه.

(الثالث): حكمُ متعلّمِه إن عَمِل به أو لم يعمل.

(الرابع): عقوبتُه شرعاً ووعيداً.

[بيان حقيقة السحر وتأثيره]

(والسحرُ حقٌّ وله تأثيرُ ... لكن بما قدّره القديرُ)

(أعني بذا التقديرِ ما قد قدّرهْ ... في الكون لا في الشِّرْعة المطهره)

هذا هو البحثُ الأولُ في حقيقته وتأثيرِه.

(والسحر حقٌّ) يعني متحققٌ وقوعُه ووجودُه، ولو لم يكن موجوداً حقيقةً لم تَرِد النواهي عنه في الشرع، والوعيدُ على فاعله، والعقوباتُ الدينيةُ والأخرويّةُ على متعاطيه والاستعاذةُ منه أمراً وخبراً.

وقد أخبر الله تعالىٰ أنه كان موجوداً في زمن فرعونَ وأنه أراد أن يعارضَ به معجزاتِ نبيِّ الله موسى عليه السلام في العصا بعد أن رماه هو وقومُه به بقولهم: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ﴾ ـ إلى قوله ـ ﴿يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ۝٣٧﴾ [الشعراء: ٣٤ ـ ٣٧]، وقال تعالىٰ عن السحرة: ﴿فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: ١١٦]، وقال تعالىٰ فيهم: ﴿فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ۝٦٧ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٦٨ وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓاْ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ۝٦٩﴾ [طه: ٦٦ ـ ٦٩].

يقال: إنهم كانوا سبعين ألفاً مع كل واحدٍ منهم حبلٌ وعصا، فأخذوا بأبصار الناسِ بسحرهم وألقوا تلك الحبالَ والعِصِيَّ فرآها الناسُ حياتٍ عِظاماً ضِخاماً؛ وذلك قوله تعالىٰ: ﴿سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: ١١٦]، وقوله: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ [طه: ٦٦]، قال الله تعالىٰ: ﴿فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ﴾ [طه].

يعني العصا ﴿تَلْقَفْ﴾ تبتلع ﴿مَا صَنَعُوٓاْ﴾ أي السحرةُ، أي ما اختلقوا وائتفكوا من الزُّور والتخييل، ولهذا قال تعالىٰ في الآية الأخرى: ﴿فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ [الأعراف: ١١٧]، وهوَّن الله أمرَهم على نبيّه موسى عليه السلام بقوله سبحانه: ﴿إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٍ﴾ [طه: ٦٩]، مكرُه وخِداعُه.

﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾ [طه: ٦٩]. ﴿فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُواْ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [الأعراف]، إلى آخر الآيات. وقد أخبر الله تعالىٰ عن قوم صالحٍ وكانوا قبل إبراهيمَ عليه السلام أنهم قالوا لنبيّهم عليه السلام: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ﴾ [الشعراء: ١٥٣].

وكذا قال قوم شعيب له عليه السلام: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ﴾ [الشعراء: ١٥٣].

وقالت قريشٌ لنبيّنا محمد ﷺ كما ذكر الله تعالىٰ ذلك عنهم في غير موضع، بل ذكر الله عزّ وجلّ أن ذلك القولَ تداوله كلُّ الكفارِ لرسلهم؛ فقال تعالىٰ: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْاْ بِهِۦ﴾ [الذاريات: ٥٢ ـ ٥٣] الآية.

وقال سبحانه في ذمّ اليهودِ: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ خَيْرٌ ۖ لَّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [البقرة]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ﴾ [الفلق:

٤]، والنفاثاتُ هنّ السواحرُ يعقِدْن وينفُثْن. والمقصودُ أنه قد ثبت بهذه النصوصِ وغيرِها مما سنذكر ومما لا نذكر أن السحرَ حقيقةٌ وجودُه.

(**وله تأثيرٌ**) فمنه ما يُمرض، ومنه ما يقتُل ومنه ما يأخذ بالعقول، ومنه ما يأخذ بالأبصار، ومنه ما يفرّق بين المرءِ وزوجِه، (**لكنْ**) تأثيرُه ذلك إنما هو (**بما قدّره القدير**) سبحانه وتعالىٰ، أي بما قضاه وقدّره وخلقه عندما يُلقي الساحرُ ما ألقى، ولذا قلنا (**أعني بذا التقديرِ**) في قوله بما قدّره القديرُ (**ما قد قدّره في الكون**) وشاءه (**لا**) أنه أمرَ به (**في الشرعة**) التي أرسل الله بها رسلَه وأنزل بها كتبَه (**المطهرة**)، من ذلك وغيرِه، كما تقدم أن القضاءَ والأمرَ والحكمَ والإرادةَ كلٌّ منها ينقسم على كوني وشرعي، فالكونيُّ يشمل ما يرضاه الله ويُحِبه شرعاً، وما لا يرضاه في الشرع ولا يحبه، والشرعيُّ يختصّ بمرضاته سبحانه وتعالىٰ ومَحابِّه، ولهذا قال تعالىٰ في الشرعي: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وقال الله عزّ وجلّ: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ﴾ [الزمر: ٧].

فأخبر تعالىٰ أنه يريد بعباده اليسرَ ولا يريد بهم العسرَ، وأنه يرضى لهم الشكرَ ولا يرضى لهم الكفرَ، مع كون كلٍّ من العسر واليسرِ والشكرِ والكفرِ واقعٌ بقضاء الله وقدرِه وخلقِه وتكوينِه ومشيئتِه، قال الله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر: ٦٢]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩].

والمقصودُ أن السحرَ ليس بمؤثر لذاته نفعاً ولا ضرّاً، وإنما يؤثر بقضاء الله تعالىٰ وقدره، وخلقِه وتكوينِه، لأنه تعالىٰ خالقُ الخيرِ والشر، والسحرُ من الشر، ولهذا قال تعالىٰ: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [البقرة: ١٠٢]، وهو القضاءُ الكونيُّ القدري، فإن الله تعالىٰ لم يأذن بذلك شرعاً.

وقد ثبت في الصحيحين[١] من طرق عن عائشةَ رضي الله عنها قالت: سُحر رسولُ الله ﷺ حتى إنه ليُخيّل إليه أنه يفعل الشيءَ وما فعله، حتى إذا كان ذات يوم وهو عندي دعا الله عزّ وجلّ ودعاه ثم قال: «**أشعَرتِ يا عائشةُ أن الله قد**

---

(١) البخاري رقم (٣٠٠٤، ٣٠٩٥، ٥٤٣٠، ٥٤٣٢، ٥٤٣٣، ٥٧١٦، ٦٠٢٨ ـ البغا)، ومسلم (١٧١٩/٤ رقم ٢١٨٩).

أفتاني فيما استفيتُه فيه»، قلت: وما ذاك يا رسولَ الله؟ قال: **«جاءَني رجلان فجلس أحدُهما عند رأسي والآخرُ عند رجلي، ثم قال أحدُهما لصاحبه: ما وجعُ الرجل؟ قال: مطبوبٌ. قال: ومن طبّه؟ قال: لبيدُ بنُ الأعصم اليهوديُّ من بني زُريق، قال: فيماذا؟ قال: في مُشط ومُشاطةٍ وجُفّ طَلعةِ ذكَرَ. قال: فأين؟ قال: في بئر ذي أرْوان**[1]»، قال: فذهب النبيُّ ﷺ في أناس من أصحابه إلى البئر فنظر إليها وعليها نخلٌ ثم رجع إلى عائشةَ فقال: **«والله لكأن ماءَها نُقاعةُ الحِنّاء، ولكأن نخلَها رؤوسُ الشياطين»**. قلت: يا رسولَ الله أفأخرجْتَه؟ قال: **«لا، أما أنا فقد عافاني الله عزّ وجلّ وشفاني وخَشِيتُ أن أثورَ على الناس منه شراً»**، وأمر بها فدُفنت.

وفي رواية قال: ومن طبّه؟ قال: لبيدُ بن الأعصم رجلٌ من بني زريق حليفٌ ليهودَ كان منافقاً، قال: وفيمَ؟ قال: في مُشط ومُشاقةٍ، قال: وأين؟ قال: في جُفّ طلعةِ ذكر تحت راعوفةٍ في بئر ذروانَ ـ وذكره ـ هذا لفظ البخاري[2].

المُشاطةُ ما يخرج من الشعر، والمُشط أسنانُ ما يُمشَط به، والمُشاقة من مشاقة الكَتان، وجُفّ طلعة غشاؤُها، وهو الوعاءُ الذي يكون فيه الطَّلْعُ، تحت راعوفةٍ هو حجرٌ يُترك في البئر عند الحفر، ثابتٌ لا يستطاع قلعُه، يقوم عليه المستقي، وقيل: حجرٌ على رأس البئر يستقي عليه المستقي، وقيل: حجرٌ بارزٌ من طيّها يقف عليه المستقي والناظرُ فيها، وقيل: في أسفل البئر يجلس عليه الذي ينظفها لا يمكن قلعُه لصلابته، والله سبحانه وتعالىٰ أعلم.

[ما نقله النووي عن المازري في إثبات السحر وحقيقته]

قال الإمامُ النوويُّ رحمه الله تعالىٰ في شرح مسلم[3]: «قال المازَريّ رحمه الله تعالىٰ: مذهب أهل السنةِ وجمهورِ علماءِ الأمةِ على إثبات السحرِ، وأن

---

(١) في بئر ذي أروان: هكذا هو في جميع نسخ مسلم: ذي أروان. وكذا وقع في بعض روايات البخاري ـ (رقم ٥٤٣٣ ـ البغا) ـ وفي معظمها: ذروان، وكلاهما صحيح. والأول أجود وأصح. وادّعى ابن قتيبة أنه الصواب، وهو قول الأصمعي. وهي بئر بالمدينة في بستان بني زريق.

(٢) في صحيحه رقم (٥٤٣٢ ـ البغا).

(٣) في شرح مسلم (١٤/ ١٧٤ ـ ١٧٥).

له حقيقةٌ كحقيقة غيره من الأشياء الثابتةِ خلافاً لمن أنكر ذلك ونفى حقيقتَه وأضاف ما يقع منه إلى خيالات باطلةٍ لا حقائقَ لها، وقد ذكره الله تعالىٰ في كتابه وذكر أنه مما يُتعلّم، وذكر ما فيه إشارةٌ إلى أنه مما يُكفر به، وأنه يفرق بين المرءِ وزوجِه، وهذا كلُّه لا يمكن فيما لا حقيقةَ له، وهذا الحديثُ أيضاً مصرّحٌ بإثباته وأنه أشياءُ دُفِنت وأُخرجت، وهذا كلُّه يُبطل ما قالوه، فإحالةُ كونِه من الحقائق مُحالٌ، ولا يُستنكر في العقل أن الله سبحانه وتعالىٰ يخرِق العادةَ عند النطق بكلام ملفّقٍ، أو تركيبِ أجسامٍ، أو المَزْجِ بين قُوى على ترتيب لا يعرِفه إلاّ الساحرُ، وإذا شاهد الإنسانُ بعضَ الأجسامِ منها قاتلةٌ كالسموم، ومنها مُسْقمة كالأدوية الحادّة، ومنها مُضِرّة كالأدوية المضادّة للمرض لم يستبعد عقلُه أن ينفرد الساحرُ بعلم قُوىً قتالةٍ أو كلام مهلكٍ أو مؤدّ إلى التفرقة. قال: وقد أنكر بعضُ المبتدعةِ هذا الحديثَ بسبب آخرَ فزعم أنه يُحطّ من منصِب النبوّة ويشكك فيها، وأن تجويزَه يمنع الثقة بالشرع، وهذا الذي ادعاه هؤلاء المبتدعةُ باطلٌ، لأن الدلائلَ القطعيةَ قد قامت على صدقه وصحتِه، وعصمتُه ﷺ فيما يتعلق بالتبليغ والمعجزةِ شاهدةٌ بذلك، وتجويزُ ما قام الدليلُ بخلافه باطلٌ.

فأمّا ما يتعلق ببعض أمورِ الدنيا التي لم يُبعث بسببها ولا كان مفضّلاً من أجلها ـ وهو مما يعرِض للبشر ـ فغيرُ بعيدٍ أن يخيل إليه من أمور الدنيا ما لا حقيقةَ له، وقد قيل إنه إنما كان يخيّل إليه أنه وطِئَ زوجاتِه وليس بواطئ، وقد يتخيّل الإنسانُ مثلَ هذا في المنام فلا يبعد تخيُّله في اليقظة ولا حقيقةَ له، وقيل: إنه يخيل إليه أنه فعلَه وما فعله، ولكن لا يَعتقد صِحةَ ما يتخيله فتكون اعتقاداتُه على السَّداد.

قال القاضي عياضٌ رحمه الله تعالىٰ: وقد جاءت رواياتُ هذا الحديثِ مبينةً أن السحرَ إنما تسلط على جسده وظواهرِ جوارحِه لا على عقله وقلبِه واعتقادِه، ويكون معنى قولِه في الحديث: حتى يظنّ أنه يأتي أهلَه ولا يأتيهن، ويروى يخيل إليه أي يظهر له من نشاطه ومتقدّمِ عادته القدرةُ عليهن، فإذا دنا منهن أخذتْه أخذةُ السحرِ فلم يأتهن، ولم يتمكن من ذلك كم يعتري المسحورَ.

وكلُّ ما جاء في الروايات من أنه يخيّل إليه فِعلُ شيءٍ لم يفعله ونحوُه

فمحمولٌ على التخيّل بالبصر لا كالخلل تطرّق إلى العقل، وليس في ذلك ما يُدخل لَبْساً على الرسالة، ولا طعناً لأهل الضلالة والله أعلم»اهـ.

قلت: قولُ المازَريّ خلافاً لمن أنكر ذلك، قال ابنُ هبيرةَ[1] رحمه الله تعالىٰ: «أجمعوا على أن السحرَ له حقيقةٌ، إلا أبا حنيفةَ فإنه قال: لا حقيقةَ له عنده، ثم ذكر الاختلافَ في حكم الساحرِ».

وقال القُرطبيُّ[2] رحمه الله تعالىٰ: «وعندنا أن السحرَ حقٌّ وله حقيقةٌ يخلق الله عنده ما يشاء، خلافاً للمعتزلة وأبي إسحاقَ الإسفرايينيِّ حيث قالوا إنه تمويهٌ وتخييل»اهـ.

قلت: قد ثبت وتقرّر من هذا وغيره تحققُ السحرِ وتأثيرُه بإذن الله بظواهر الآياتِ والأحاديثِ وأقوالِ عامةِ الصحابة، وجماهيرِ العلماءِ بعدهم روايةً ودراية، فأما القتلُ به والأمراضُ والتفرقةُ بين المرءِ وزوجهِ وأخذُه بالأبصار فحقيقةٌ لا مكابرةَ فيها، وأما قلبُ الأعيان: كقلب الجمادِ حيواناً وقلبِ الحيوانِ من شكل إلى آخر، فليس بمُحال في قدرة الله عزّ وجلّ ولا غير ممكن، فإنه هو الفاعلُ في الحقيقة وهو الفعّال لما يريد، فلا مانعَ من أن يحول الله ذلك عند ما يُلقي الساحر ما ألقى امتحاناً وابتلاءً وفتنةً لعباده، ولكن الذي أخبرنا الله تعالىٰ به في الواقعِ من سَحَرة فرعونَ في قصّتهم مع موسى إنما هو التخييلُ والأخذُ بالأبصار حتى رأوا الحبالَ والعِصِيَّ حيّاتٍ، فنؤمن بالخبر ونصدّقه ولا نتعدّاه ولا نبدل قولاً غيرَ الذي قيل لنا، ولا نقول على الله ما لا نعلم، وبالله التوفيق.

[بيان حكم الساحر وأنه كافر]

(واحكُم على الساحر بالتكفير ... وحدُّه القتلُ بلا نكير)
(كما أتى في السنة المصرحة ... مما رواه الترمذي وصححه)
(عن جُندُبٍ وهكذا في أثر ... أمرٌ بقتلهم رُوي عن عمرِ)
(وصح عن حفصةَ عند مالكِ ... ما فيه أقوى مرشدٍ للسالكِ)

---

(١) «الإفصاح» لابن هبيرة (٢/٢٢٦).

(٢) في «الجامع لأحكام القرآن» (٢/٤٦).

هذا هو الحكمُ الثاني، وهو حكمُ الساحرِ **(واحكم على الساحر)** تعلّمه أو علّمه، عَمِل به أو لم يعمَل **(بالتكفير)** أي بأنه كفر بهذا الذنبِ الذي هو السحرُ، وذلك واضحٌ صريحٌ في آية البقرة بأمور: منها سببُ عدولِ اليهودِ إليه وهو نبذُهم الكتابَ كتابَ الله وراءَ ظهورِهم: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ كِتَـٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠١].

سواءٌ أريد بالكتاب التوراةُ التي بأيديهم، أو القرآن الذي جاء به محمدٌ ﷺ، كلُّ ذلك نبذُه كفرٌ، وقد علم أن السحرَ لا يعمل إلاّ مع من كفر بالله، وهذا معلومٌ من سبب نزول الآية، كما قال الربيعُ بنُ أنسٍ[1] وغيرُه: إن اليهودَ سألوا محمداً ﷺ زماناً عن أمور من التوراة، لا يسألونه عن شيء من ذلك إلاّ أنزل الله سبحانه وتعالىٰ ما سألوه عنه فيخصِمهم، فلما رأوا ذلك قالوا: هذا أعلمُ بما أنزل الله إلينا منا، وأنهم سألوه عن السحر وخاصموه به فأنزل الله عزّ وجلّ: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ [البقرة: ١٠٢] الآيات.

(ومنها) قولُه: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينُ﴾ [البقرة: ١٠٢] تتقوّله وتُزوِّره ﴿عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ﴾ [البقرة: ١٠٢]، أي في ملكه وعهدِه، ومعلومٌ أن استبدالَ ما تتلوه الشياطينُ وتتقوّله والانقيادَ له العملَ به عوضاً عمّا أوحى الله تعالىٰ إلى رسوله ﷺ هذا من أعظمِ الكفر، وهو من عبادة الطاغوتِ التي هي أصلُ الكُفر، وقد سمّى الله تعالىٰ طاعةَ العلماءِ والأمراءِ في تحليل ما حرم الله أو تحريم ما أحله، سمى ذلك عبادةً وأنه اتخاذٌ لهم أرباباً من دون الله، فقال تعالىٰ: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَـٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١] اية.

قال عديُّ بنُ حاتمٍ رضي الله عنه حين سمع رسولَ الله ﷺ يتلوها: إنا لسنا نعبُدهم، قال: **«أليس يُحلون ما حرم الله فتُحِلّونه، ويُحرمون ما أحل الله فتحرِّمونه»**؟ قالوا:

---

(١) أثر مرسل مأخوذ عن أهل الكتاب أو عمّن أخذ عن أهل الكتاب، وهو من الآثار التي لا يعتمد عليها. (تفسير ابن كثير ١/ ١٤٠).

بلى، قال: «فتلك عبادتُكم إياهم»[(1)].

ولهذا قال تعالىٰ بعدها: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١]، فإذا كان هذا في طاعة الأحبارِ والرهبان، فكيف في طاعة الشيطانِ فيما ينافي الوَحْي، فهل فوق هذا الشركِ من كفر؟ ﴿سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [الطور: ٤٣، الحشر: ٢٣].

وعبادةُ الشيطان هي اتباعُه فيما أمر به من الكفر والضلالِ ودعا إليه، كما قال عزّ وجلّ فيه إنما يدعو حزبَه ليكونوا من أصحاب السعير، وكما يقول للمجرمين يوم القيامة: ﴿۞أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٦٠ وَأَنِ ٱعۡبُدُونِيۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ٦١ وَلَقَدۡ أَضَلَّ مِنكُمۡ جِبِلّٗا كَثِيرًاۖ أَفَلَمۡ تَكُونُواْ تَعۡقِلُونَ ٦٢﴾ [يسٓ].

(ومنها) قولُه تعالىٰ: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيۡمَٰنُ﴾ [البقرة: ١٠٢]، برَّأ الله سبحانه

---

(١) أخرجه الترمذي (٥/ ٢٧٨ رقم ٣٠٩٥) وقال: «هذا حديث غريب لا نعرفه إلاّ من حديث «عبد السلام بن حرب» و«غطيف بن أعين» ليس بمعروف في الحديث» اهـ.
قلت: عبد السلام هذا ثقة حافظ له مناكير كما ذكره ابن حجر في «التقريب» (١/ ٥٠٥ رقم ١١٨٦).
وأما غطيف هذا فضعفه ابن حجر في «التقريب» (٢/ ١٠٦ رقم ٢١)، والذهبي في «الميزان» (٣/ ٣٣٦)، ووثقه ابن حبان (٧/ ٣١١)، وذكره ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٧/ ٥٥ رقم ٣١٥) ولم يتكلم فيه بشيء، وكذلك البخاري في «التاريخ الكبير» (٧/ ١٠٦ رقم ٤٧١) مع إخراجه للحديث.
وأخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» (١٠/ ١١٦)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٧/ ٩٢)، وابن جرير في «جامع البيان» (٦/ج١٠/ ١١٤)، وابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (٢/ ١٠٩)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ١٧٤) وزاد نسبته لابن سعد، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ، وابن مردويه.
وللحديث شاهدان:
(الأول): من حديث حذيفة بن اليمان أخرجه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (٢/ ١٠٩)، والبيهقي (١٠/ ١١٦)، وابن جرير في «جامع البيان» (٦/ج١٠/ ١١٤).
وهو وإن كان موقوفاً فله حكم المرفوع كما هو مقرر في مصطلح الحديث.
(الثاني): من حديث أبي العالية عند ابن جرير في «جامع البيان» (٦/ج١٠/ ١١٥)، **وقد حسن الحديث الألباني في** «غاية المرام» رقم (٦) **وابن تيمية في** «الإيمان» (ص٦٤).
وهو كما قالا.

وتعالىٰ نبيَّه عليه السلام من الكفر، وهذا الكفرُ الذي برأه تعالىٰ منه هو علمُ الساحرِ وعملُه، وإن كان بريئاً من الكفر كله معصوماً مما دونه، لكن سياقَ الآيةِ في خصوص السحرِ وأنه بريءٌ منه ولو فُرض وجودُ عملِه به لكفر، لأنه شِركٌ، والشركُ أقبحُ الذنوبِ وأعظمُ المحبِطاتِ للأعمال، كما قال تعالىٰ في جميع رسلِه سليمانَ وغيرِه عليهم السلام بعد أن ذكرهم: ﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨].

وهذا معلومٌ من أصل القصةِ، فإن اليهود قاتلهم الله تلقَّوا السحرَ عن الشياطين ونسبوه إلى سليمانَ عليه السلام، فبرأه الله تعالىٰ من إفكهم بهذه الآية؛ كما قال مجاهدٌ[1] رحمه الله تعالىٰ في هذه الآية: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ﴾ [البقرة: ١٠٢].

قال: كانت الشياطينُ تستمع الوَحْيَ فما سمعوا من كلمة زادوا فيها مائتين مثلَها، فأرسل سليمانُ عليه السلام إلى ما كتبوا من ذلك، فلما تُوفي سليمانُ وجدتْه الشياطينُ وعلّمتْه الناسَ وهو السحر.

وقال سعيدُ بنُ جبيرٍ[2] رحمه الله تعالىٰ: كان سليمانُ عليه السلام يتبع ما في أيدي الشياطينِ من السحر فيأخذه منهم فيدفِنهُ تحت كرسيِّه في بيت خِزانتِه فلم تقدر الشياطينُ أن يصلوا إليه، فدنت إلى الإنس فقالوا لهم: أتدرون ما العلمُ الذي كان سليمانُ يسخّر به الشياطينَ والرياحَ وغيرَ ذلك؟ قالوا: نعم، قالوا: فإنه في بيت خِزانته وتحت كرسيِّه، فاستثار به الإنس واستخرجوه وعَمِلوا به، فقال أهل الحجاز - يعني اليهودَ من أهل الحجاز - كان سليمانُ يعمل بهذا وهذا سِحرٌ، فأنزل الله تعالىٰ على نبيّه محمد ﷺ براءةَ سليمانَ عليه السلام، فقال تعالىٰ: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١/ج١/٤٤٧) وفي سنده أبو حذيفة موسى بن مسعود النهدي، وهو سيء الحفظ.
وأورده ابن كثير في تفسيره (١/ ١٤٠) مرسلاً وهو من الآثار التي لا يعتمد عليها.

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١/ج١/٤٤٩) من طريق محمد بن حميد الرازي وهو ضعيف، واتّهمه بعضهم.
وأورده ابن كثير في تفسيره (١/ ١٤٠) مرسلاً.

﴿كَفَرُوا﴾ [البقرة: ١٠٢].

وقال محمدُ بنُ إسحاقَ بن يسارٍ[١]: عمَدت الشياطينُ حين عَرَفت موتَ سليمانَ بنِ داودَ عليهما السلامُ فكتبوا أصنافَ السحرِ، من كان يحب أن يبلُغَ كذا وكذا فليفعل كذا وكذا، حتى إذا صنّفوا أصنافَ السحرِ جعلوه في كتاب ثم ختموه بخاتم على نقش خاتمِ سليمانَ، وكتبوا في عنوانه: هذا ما كتب آصفُ بنُ برخيا الصديقُ للملك سليمانَ بنِ داودَ من ذخائر كنوزِ العلم. ثم دفنوه تحت كرسيِّه واستخرجته بعد ذلك بقايا بني إسرائيلَ حتى أحدثوا ما أحدثوا، فلما عثَروا عليه قالوا: والله ما كان ملكُ سليمان إلاّ بهذا، فأفشَوا السحرَ في الناس فتعلموه وعلّموه، فليس هو في أحد أكثرَ منه في اليهود لعنهم الله، فلما ذكرَ رسولُ الله ﷺ ـ فيما نزل عليه من الله سليمانَ بنَ داودَ وعدّه فيمن عدّ من المرسلين ـ قال من كان بالمدينة من اليهود: تعجبون من محمد يزعُم أن ابنَ داودَ كان نبياً، والله ما كان إلاّ ساحراً.

وأنزل الله تعالىٰ في ذلك: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ [البقرة: ١٠٢] الآية.

وروى ابنُ أبي حاتم[٢] عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان آصفُ كاتبَ سليمانَ، وكان يعلم الاسمَ الأعظمَ، وكان يكتب كلَّ شيءٍ بأمر سليمانَ ويدفِنه تحت كرسيِّه، فلما مات سليمانُ أخرجتْه الشياطينُ فكتبوا بين كلِّ سطرين سحراً وكفراً، وقالوا: هذا الذي كان سليمانُ يعمل به. قال: فأكْفرَه جُهّالُ الناس وسبُّوه، ووقف علماءُ الناس، فلم يزل جهالُ الناسِ يسبّونه حتى أنزل الله على محمد ﷺ: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ [البقرة: ١٠٢].

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١/ج١/٤٤٦) من طريق محمد بن حميد الرازي وهو ضعيف واتّهمه بعضهم.
وأورده ابن كثير في تفسيره (١/ ١٤٠) مرسلاً.

(٢) في تفسيره (١/ ٢٩٧ رقم ٩٨٨) في إسناده المنهال بن عمرو: صدوق ربما وهم وباقي رجاله ثقات.
والأثر أورده ابن كثير في تفسيره (١/ ١٣٩) سنداً ومتناً. ولعل ابن عباس تلقاه عن أهل الكتاب.

وتفاسيرُ السلفِ وآثارُهم في هذه الآيةِ كثيرةٌ جداً، وما كان منها إسرائيلياً فهو من القسم المقبولِ لموافقته ظاهرَ الآيةِ في أن اليهودَ تعلموا السحرَ من الشياطين ورمَوا به نبيَّ الله سليمانَ، وأكفروه به وسبُّوه، وخاصموا به محمداً رسولَ الله ﷺ ونبذوا كتابَ الله وراءَ ظهورهم، فبيّن الله تعالىٰ ما لبّسوه وهدم ما أسّسوه وبرأ نبيَّه سليمانَ عليه السلام مما ائتفكوه، وأقام الحجةَ عليهم في بُطلان ما انتحلوه، فللّه الحمد والمنة.

(ومنها) قولُه تعالىٰ: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحۡرَ﴾ [البقرة: ١٠٢]، أكذب الله تعالىٰ اليهودَ فيما نسبوه إلى نبيّه سليمانَ عليه السلام بقوله: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيۡمَٰنُ﴾ [البقرة: ١٠٢]، وهم إنما نسبوا السحرَ إليه، ولازِمُ ما نسبوه إليه هو الكفرُ لأن السحرَ كفرٌ، ولهذا أثبت كفرَ الشياطينِ بتعليمهم الناسَ السحرَ، فقال تعالىٰ: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحۡرَ﴾ [البقرة: ١٠٢].

وكذلك كلُّ من تعلم السحرَ أو علّمه أو عمِل به يكفُر ككفر الشياطينِ الذين علّموه الناسَ؛ إذ لا فرق بينه وبينهم، بل هو تلميذُ الشيطانِ وخِرّيجُه، عنه رَوى وبه تخرّج وإياه اتّبع، ولهذا قال تعالىٰ في الملكين: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنۡ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحۡنُ فِتۡنَةٞ فَلَا تَكۡفُرۡۖ﴾ [البقرة: ١٠٢]، فبيّن تعالىٰ أنه بمجرّد تعلّمِه يكفر سواءٌ عَمِل به وعلّمه أو لا.

وعن ابن عباس[(١)] رضي الله عنهما قال: فإذا أتاهما الآتي مريدُ السحرِ نَهياه أشدَّ النهي وقالا له: إنما نحن فتنةٌ فلا تكفر، وذلك أنهما علّما الخيرَ والشرّ والكفرَ والإيمانَ، فعرَفا أن السحرَ من الكفر، قال: فإذا أبى عليهما أمراه أن يأتيَ مكانَ

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١/٣٠٩ رقم ١٠١٧) وفيه أبو جعفر الرازي، وهو سيء الحفظ كما تقدم.
والأثر أورده ابن كثير في «تفسيره» (١/١٤٧) معلقاً عن أبي جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس عن قيس بن عباد عن ابن عباس.
وزاد في آخره: «فإذا أبى عليهما أمراه أن يأتي مكان كذا وكذا، فإذا أتاه عاين الشيطان فعلّمه، فإذا تعلم خرج منه النور، فنظر إليه ساطعاً في السماء فيقول: يا حسرتاه، يا ويله ماذا أصنع؟» اهـ.
وأورد ابن أبي حاتم هذه الزيادة في الأثر رقم (١٠٢٨).

كذا وكذا، فإذا أتى عاين الشيطانَ فعلّمه، فإذا تعلّمه خرج منه النورُ، فنظر إليه ساطعاً في السماء، فيقول: يا حسرتاه يا ويلَه ماذا صنع.

وروى ابن أبي حاتم[1] عن الحسن البصْريِّ أنه قال في تفسير هذه الآية: نعم أُنزل الملكانِ بالسحر ليعلما الناسَ البلاءَ الذي أراد الله تعالىٰ أن يبتليَ به الناسَ، فأخذ عليهما الميثاقَ أن لا يعلما أحداً حتى يقولا إنما نحن فتنةٌ فلا تكفر.

وقال قتادةُ[2]: كان أخذ عليهما أن لا يعلمان أحداً حتى يقولا: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾ أي بلاءٌ ابتلينا به ﴿فَلَا تَكْفُرْ﴾.

وقال السديّ[3]: إذا أتاهما إنسانٌ يريد السحرَ وعَظاه وقالا له: لا تكفر إنما نحن فتنة، فإذا أبى قالا له: ائتِ هذا الرمادَ فَبُلْ عليه فإذا بال عليه خرج منه نور فسطع حتى يدخُلَ السماءَ وذلك الإيمانُ، وأقبل شيءٌ أسودُ كهيئة الدخان حتى يدخُلَ في مسامعه وكلِّ شيء، وذلك غضبُ الله، فإذا أخبرهما بذلك علّماه السحرَ، فذلك قول الله تعالىٰ: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة: ١٠٢] الآية.

وعن ابن جُريجٍ[4] في هذه الآية: لا يجترئ على السحر إلاّ كافر، والفتنةُ هي المحنةُ والاختبار.

---

(١) في تفسيره (١/ ٣١٠ رقم ١٠١٨) **بسند ضعيف.**
ولكن أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١/ج١/ ٤٦١) **بسند رجاله ثقات** عن الحسن وقتادة جزءاً من هذا الأثر.
وأورد ابن كثير في تفسيره (١/ ١٤٧) **الأثر معلقاً عن الحسن.**

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١/ ٣١٠ رقم ١٠١٩) بسند فيه أبو جعفر سيء الحفظ.
لكن تابعه معمر عن قتادة عند ابن جرير في «جامع البيان» (١/ ٤٦٢) دون قوله: «أي بلاء ابتلينا به فلا تكفر»، **فيكون إسناده حسناً لغيره.**
وأورده ابن كثير في «تفسيره» (١/ ١٤٧ ـ ١٤٨) عن قتادة بدون سند، بل عزاه لابن أبي حاتم.

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١/ج١/ ٤٦١).
وأورده ابن كثير في «تفسيره» (١/ ١٤٨) **معلقاً عن السدي.**

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١/ج١/ ٤٦٢)، وأورده ابن كثير في تفسيره (١/ ١٤٨).

ومنها قوله تعالىٰ: ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾ [البقرة: ١٠٢]، يعني من حظ ولا نصيب، وهذا الوعيدُ لم يُطلق إلاّ فيما هو كفرٌ لا بقاءَ للإيمان معه، فإنه ما من مؤمن إلاّ ويدخل الجنّةَ، وكفى بدخول الجنةِ خلاقاً، ولا يدخل الجنةَ إلاّ نفسٌ مؤمنة؛ ثم قال تعالىٰ: ﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠٢].

ومنها قوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا﴾ أي بمحمد ﷺ والقرآن ﴿وَاتَّقَوْا﴾ السحرَ وسائرَ الذنوب ﴿لَمَثُوبَةٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠٣].

وهذا من أصرح الأدلةِ على كفر الساحرِ ونَفْيِ الإيمانِ عنه بالكلية، فإنه لا يقال للمؤمن المتقي: ولو أنه آمن واتّقى، وإنما قال تعالىٰ ذلك لمن كفر وفجَر، وعَمِل بالسحر، واتّبعه وخاصم به رسولَه، ورمى به نبيَّه، ونبذ الكتابَ وراء ظهرِه، وهذا ظاهرٌ لا غُبارَ عليه، والله أعلم.

وقد صرّح بذلك أئمةُ السلفِ من الصحابة والتابعين، وإنما اختلفوا في القَدْر، الذي يصير به كافراً، والصحيحُ أن الساحرَ المتعلّمَ من الشياطين كلُّه كفرٌ قليله وكثيرُه؛ كما هو ظاهرُ القرآن.

[الكلام على أن حدَّ الساحر القتل]

(وحدّه) أي حدُّ الساحر **(القتلُ)** ضربُه بالسيف **(بلا نكير)** بل هو ثابتٌ بالكتاب من عمومِ النصوصِ في الكفار المرتدّين وغيرِهم **(كما أتى)** ثابتاً **(في السنة المصرحة)** الثابتةِ عن النبيّ ﷺ **(مما رواه الترمذي)** محمدُ بنُ عيسى بنِ سَورة - بمهملتين - ابنِ موسى بن الضحاك السلَميُّ، أبو عيسى التِّرمِذيُّ[1] الحافظُ الضريرُ أحدُ الأعلام وصاحبُ الجامع والتفسير عن خلق مذكورين في تراجمهم من جامعه وغيرِه، وعنه محمدُ بنُ إسماعيلَ السمرقنديُّ وحمادُ بنُ شكر، وأبو العباس محمدُ بنُ أحمدَ المحبوبيُّ راوي الجامع، والهيثمُ بنُ كُليبٍ وخلقٌ من أهل سَمَرْقند ونَسَف وتلك الديار[2].

---

(١) انظر ترجمته في «تذكرة الحفاظ» (٢/ ٦٣٣ رقم ٦٥٨).

(٢) انظر الكلام على سنن الإمام الترمذي في «الفصل المبين على عقد الجوهر الثمين» وهو=

وقال ابن حبان: كان ممن جمع وصنّف، قال أبو العباس المستغفري: مات سنةَ تسعٍ وسبعين ومائتين ـ مرفوعاً ـ (وصححه) موقوفاً (عن جندب) هو ابنُ عبد الله بنِ سفيانَ البَجليُّ العلقميُّ، أو العلقي[1]، له ثلاثةٌ وأربعون حديثاً اتفقا على سبعة وانفرد مسلمٌ بخمسة.

روى عنه الحسنُ وابنُ سيرين وأبو مِجْلَز، مات بعد الستين، قال رحمه الله تعالىٰ: «بابُ ما جاء في حدِّ الساحرِ: حدثنا أحمدُ بنُ منيعٍ حدثنا أبو معاويةَ عن إسماعيلَ بنِ مسلم عن الحسن عن جُندُب قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«حدُّ الساحرِ ضَرْبَةٌ بالسيف»**[2]، هذا حديثٌ لا نعرِفه مرفوعاً إلاّ من هذا الوجه، وإسماعيلُ بنُ مسلم المكيُّ يُضعّف في الحديث من قِبل حِفظه، وإسماعيلُ بنُ مسلمٍ العبديُّ البصْريُّ قال وكيعٌ: هو ثقةٌ ويروي عن الحسن أيضاً، والصحيحُ عنْ جُندبٍ موقوفاً، والعملُ على هذا الحديثِ عند بعضِ أهلِ العلمِ من أصحاب النبيِّ ﷺ وغيرهم وهو قولُ مالكِ بنِ أنسٍ، وقال الشافعيُّ، إنما يُقتَل الساحرُ إذا كان يعملُ في سحرِهِ ما يبلُغ الكفرَ، فإذا عمِل عملاً دون الكفرِ فلم نَرَ عليه قتلاً»، ويعني بقوله: ما يبلغ الكفرَ، أي ما كان فيه اعتقادُ التصرفِ لغير الله، وصرفُ العبادةِ له كما يفعله عبّادُ هياكل النجوم من أهل بابلَ وغيرِهم، والله أعلم.

(وهكذا في أثرٍ، أمرٌ بقتلهم) يعني السحرةَ **(روى عن عمرٍ)** ابنِ الخطابِ بنِ

= شرح للأربعين العجلونية تأليف: الشيخ محمد جمال الدين القاسمي (ص ١٨٥ ـ ١٩١).
وانظر: «فضائل الكتاب الجامع لأبي عيسى الترمذي». تأليف الحافظ تقي الدين أبي القاسم عُبيد بن محمد الإسعردي، حققه وعلق عليه: السيد صبحي السامرائي.

(١) انظر ترجمته في «أسد الغابة» رقم (٨٠٤)، و«الإصابة» رقم (١٢٢٦)، و«الاستيعاب» رقم (٣٤٤)، و«خلاصة تهذيب الكمال» (١/ ١٧٣)، و«الوافي بالوفيات» (١١/ ١٩٣).

(٢) وهو حديث ضعيف.
أخرجه الترمذي في «السنن» (٤/ ٦٠ رقم ١٤٦٠)، والدارقطني (٣/ ١١٤ رقم ١١٢)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٨/ ١٣٦)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٣٦٠).
قلت: في سنده إسماعيل بن مسلم المكي: قال عنه أحمد وغيره، منكر الحديث.
وقال النسائي وغيره: متروك الحديث.
انظر «التاريخ الكبير» للبخاري (١/ ٣٧٢)، و«المجروحين» (١/ ١٢٠)، و«الميزان» (١/ ٢٤٨).

نُفيل بنِ عبد العُزّى العدَوي أبي حفصٍ المدني[1]، أحدِ فقهاءِ الصحابةِ، ثاني الخلفاء الراشدين، وأحد العشرةِ المشهودِ لهم بالجنة، وأوّل من سُمّي أميرَ المؤمنين، له خمسُمائةٍ وتسعةٌ وثلاثون حديثاً اتفقا على عشرة وانفرد البخاري بتسعة ومسلم بخمسةَ عشرَ، وعنه أبناؤه عبدُ الله وعاصمٌ وعُبيدُ الله، وعلقمةُ بنُ أبي وقاصٍ وغيرُهم، شهد بدراً والمشاهدَ والمواقف، ووليَ أمرَ الأمةِ بعد أبي بكر رضي الله عنهما وفُتح في أيامه عدةُ أمصارٍ، أسلم بعد أربعين رجلاً.

عن ابنِ عمرَ[2] رضي الله عنهما مرفوعاً: **«إن الله تعالىٰ جعل الحقَّ على لسان عمرَ وقلبِه»**، لما دُفن قال ابنُ مسعودٍ[3] رضي الله عنه: (ذُهب اليومَ بتسعة أعشارِ العلم). استُشهد في آخر سنةِ ثلاثٍ وعشرين، ودفن في أول سنةِ أربع وعشرين في الحجرة النبويةِ وهو ابنُ ثلاثٍ وستين وصلّى عليه صهيب، ومناقُبه جمّة قد أُفردت في مجلدات.

وهذا الأثرُ المشارُ إليه في الباب هو ما رواه الإمامان الجليلان أحمدُ بنُ حنبلٍ الشيباني[4] ومحمدُ بنُ إدريس الشافعيُّ[5] رحمهما الله تعالىٰ قالا: أخبرنا سفيانُ هو ابن عُيينةَ عن عَمْروِ بنِ دينارٍ أنه سمع بجالة بنَ عبدةَ يقول: كتب عمرُ بنُ الخطاب رضي الله عنه أن اقتلوا كلَّ ساحرٍ وساحرة، قال: فقتلنا ثلاثَ سواحِرَ.

---

(١) انظر ترجمته في «أسد الغابة» (٤/ ١٣٧ ـ ١٦٨ رقم ٣٨٣٠)، و«الإصابة» رقم (٥٧٥٢)، و«الاستيعاب» رقم (١٨٩٩).

(٢) **وهو حديث صحيح.**
أخرجه الترمذي (٥/ ٦١٧ رقم ٣٦٨٢)، وقال: **حديث حسن صحيح غريب.**
وفي الباب: عن الفضل بن عباس، وأبي ذر، وأبي هريرة.

(٣) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٩/ ١٧٩ رقم ٨٨٠٩)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/ ٦٩) رواه الطبراني بأسانيد ورجال هذا رجال الصحيح غير أسد بن موسى وهو ثقة.

(٤) في «المسند» (١/ ١٩٠ ـ ١٩١).

(٥) في «ترتيب المسند» (٢/ ٨٩ رقم ٢٩٠).
قلت: وأخرجه أبو داود في «السنن» رقم (٣٠٤٣)، وأبو عبيد في «الأموال» رقم (٧٧)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٨/ ١٣٦)، وعبد الرزاق في «المصنف» رقم (١٨٧٤٨)، وعبد الله بن أحمد في مسائل أبيه رقم (١٥٤٢) وسنده صحيح.
وخلاصة القول أن الحديث صحيح، والله أعلم.

(وصحَّ) نقلاً (عن حفصةَ) بنتِ عمرَ بنِ الخطابِ العدَويةِ أمِّ المؤمنين ﵄ (عند مالك) بنِ أنسِ بنِ مالكِ بنِ أبي عامرِ بنِ عمرو بن الحارثِ الأصبحي أبي عبدِ الله المدَنيِّ، أحدِ الأعلامِ في الإسلام وإمامِ دارِ الهجرة[1]، ولد سنةَ ثلاثٍ وتسعين وحُمِلَ به ثلاثَ سنين، ووفي سنةَ تسعٍ وسبعين ومائة ودفن بالبقيع رحمه الله تعالىٰ ورضي عنه.

(ما) أي الذي (فيه أقوى) دليلِ (مرشدٍ للسالك) وهو ما رواه في «موطئه»[2] في «باب ما جاء في الغِيلة والسحر من كتاب العقول: عن محمد بنِ عبد الرحمٰن بنِ سعدِ بنِ زُرارة أنه بلغه أن حفصةَ زوجَ النبيِّ ﷺ قتلتْ جاريةً لها سحرتها، وقد كانت دبّرتها فأمرتْ بها فقُتلت، قال مالك: الساحرُ الذي يعمل السحرَ، ولم يعمل ذلك له غيرُه، وهو مثلُ الذي قال الله تعالىٰ في كتابه: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾ [البقرة: ١٠٢]، فأرى أن يُقتلَ ذلك إذا عَمِل ذلك هو نفسُه»اهـ.

قال ابنُ كثيرٍ[3] رحمه الله تعالىٰ: وقد رُوي من طرقٍ متعددةٍ أن الوليدَ بنَ عُقبةَ كان عنده ساحرٌ يلعب بين يديه، فكان يضرِب رأسَ الرجل ثم يصيح به فيردّ إليه رأسَه، فقال الناس: سبحان الله يُحيي الموتى! ورآه رجلٌ من صالح المهاجرين فلما كان الغدُ جاء مشتملاً على سيفه، وذهب يلعب لَعِبَه ذلك، فاخترط الرجلُ سيفَه فضرب عُنقَ الساحر وقال: إن كان صادقاً فلْيُحيي نفسه، وتلا قوله تعالىٰ:

---

(١) انظر ترجمته في «تهذيب الأسماء واللغات» للنووي (٢/ ٧٥ ـ ٧٩)، و«وفيات الأعيان» (٤/ ١٣٥ ـ ١٣٩)، و«تذكرة الحفاظ» (١/ ٢٠٧ ـ ٢١٣)، و«طبقات القراء» (٢/ ٣٥)، و«طبقات الشيرازي» (٥٣)، و«الحلية» (٦/ ١٣٦).

(٢) (٢/ ٨٧١ رقم ٤٦) **بسند منقطع رجاله ثقات**، فمحمد بن عبد الرحمٰن لم يدرك حفصة. قلت: وأخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» (٨/ ١٣٦)، وعبد الرزاق في «المصنف» رقم (١٨٧٥٧)، وعبد الله بن أحمد في مسائل أبيه رقم (١٥٤٣).

(٣) في تفسيره (١/ ١٤٩).
وأورد بعضها البخاري في «التاريخ الكبير» (٢/ ٢٢٢) في ترجمة جندب بن كعب من طريق عبد الواحد وهو ابن زياد، عن عاصم وهو ابن سليمان الأحول، عن أبي عثمان، **وهذا سند صحيح**.
وأخرجها بطولها البيهقي في «السنن الكبرى» (٨/ ١٣٦) **بسند حسن**.

﴿أَفَتَأْتُونَ ٱلسِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ﴾ [الأنبياء: ٣]، فغضِب الوليدُ إذ لم يستأذنه في ذلك فسجنه ثم أطلقه، والله أعلم.

وقال الإمامُ أبو بكرٍ الخلّال: أخبرنا عبدُ الله بنُ أحمدَ بنِ حنبلٍ حدّثني أبي أخبرنا يحيى بنُ سعيدٍ حدّثني أبو إسحاق عن حارثةَ قال: كان عند بعض الأمراءِ رجلٌ يلعب فجاء جُندُبٌ مشتملاً على سيفه فقتله، قال: أراه كان ساحراً[١].

وحمل الشافعيُّ رحمه الله تعالىٰ قِصةَ عمرَ وحفصةَ على سحر يكون شركاً[٢]، والله أعلم.

[ما قرره أبو المظفر بن هبيرة فيمن يتعلم السحر ويستعمله]

وقال ابنُ كثيرٍ[٣] رحمه الله تعالىٰ: فصل. وقد ذكر الوزيرُ أبو المظفر يحيى بنُ محمدِ بن هُبيرةَ[٤] رحمه الله تعالىٰ فيمن يتعلم السحرَ ويستعمله، فقال أبو حنيفةَ ومالكٌ وأحمدُ: يكفر بذلك، ومن أصحاب أبي حنيفةَ من قال: إن تعلّمه ليتّقِيَه أو ليتجنّبه فلا يكفر، ومن تعلّمه معتقداً جوازَه أو أنه ينفعه كَفر، وكذا من اعتقد أن الشياطينَ تفعل له ما يشاء فهو كافرٌ.

وقال الشافعيُّ رحمه الله تعالىٰ: إذا تعلم السحرَ قلنا له صِف لنا سِحرَك، فإن وصف ما يوجب الكفرَ، مثل ما اعتقده أهلُ بابلَ من التقرّب إلى الكواكب

---

(١) أورده ابن كثير في «تفسيره» (١/ ١٤٩) مسنداً.
قلت: في السند سقط: فيحيى بن سعيد وهو القطان لم يسمع من أبي إسحاق وهو السبيعي إنما يروي عنه بواسطة زهير بن معاوية أو غيره.

(٢) ذكره ابن كثير في تفسيره (١/ ١٤٩).

(٣) في تفسيره (١/ ١٥٢)، وانظر الإفصاح عن معاني الصحاح (٢/ ٢٢٦ ـ ٢٢٧).

(٤) هو يحيى بن محمد بن هبيرة، ويكنى أبا المظفر، ويلقب بعون الدين، وينعت بالوزير العالم العادل. ولد في ربيع الثاني سنة تسع وتسعين وأربعمائة بقرية بني أوقر، وهي قرية قريبة من بغداد، مات أبوه وهو صغير ولم يخلّف له شيئاً، فلم يمنعه فقره عن طلب العلم ومتابعته، فدخل بغداد شاباً وحفظ القرآن الكريم وختمه بالقراءات والروايات، وكان ابن هبيرة عبداً لله تقياً. توفي سنة (٥٦٠هـ).
انظر: «ذيل طبقات الحنابلة» (٣/ ٢٥١ ـ ٢٨٩)، «شذرات الذهب» (٤/ ١٩١ ـ ١٩٧)، «المنهج» الأحمد في أصحاب الإمام أحمد (٢/ ٢٨٦ ـ ٣١٤).

السبعةِ، وأنها تفعل ما يُلتمس منها فهو كافر. وإن كان لا يوجب الكفرَ فإن اعتقد إباحتَه فهو كافرٌ.

قال ابنُ هُبيرة: وهل يُقتل بمجرد فعلِه واستعماله؟ فقال مالكٌ وأحمدُ: نعم، وقال الشافعيُّ وأبو حنيفةَ: لا، فأما إن قُتل بسحره إنسانٌ فإنهُ يُقتل عند مالكٍ والشافعيِّ وأحمدَ، وقال أبو حنيفةَ: لا يُقتل حتى يتكرَر منه ذلك، أو يُقِرَّ بذلك في حق شخصٍ معين، وإذاً فإنه يُقتل حداً عندهم، إلاّ الشافعيَّ فإنه قال يُقتل والحالةُ هذه قصاصاً.

قال: وهل إذا تاب الساحرُ تقبل توبتُه؟ فقال مالكٌ وأبو حنيفةَ وأحمدُ في المشهور عنه: لا تقبل، وقال الشافعيُّ وأحمدُ في الرواية: تقبل.

وأما ساحرُ أهل الكتابِ، فعند أبي حنيفةَ أنه يُقتل كما يقتل الساحرُ إذا كان مسلماً، وقال مالكٌ وأحمدُ والشافعيُّ: لا يُقتل، يُعفى لقصة لبيدِ بنِ الأعصم.

واختلفوا في المسلمة الساحرةِ، فعند أبي حنيفة أنها لا تُقتل ولكن تحبس، وقال الثلاثةُ: حكمُها حكمُ الرجلِ والله أعلم. وقال أبو بكرِ الخلّالُ: أخبرنا أبو بكرِ المَرْوزيُّ قال: قرأ على أبي عبد الله ـ يعني أحمدَ بنَ حنبلٍ ـ عمرُ بنُ هارونَ[1] أخبرنا يونسُ عن الزُّهري قال: يقتل ساحرُ المسلمين ولا يقتل ساحرُ المشركين لأن رسولَ الله ﷺ سحرتْه امرأةٌ من اليهود فلم يقتُلْها[2].

وقد نقل القُرطبيُّ[3] عن مالك رحمه الله تعالىٰ أنه قال في الذمي: يُقتل إن قَتل سحرُه، وحكى ابنُ خُويزَ مِنْداد عن مالكٍ روايتين في الذميّ إذا سحر أحداً:

الأولى: أنه يستتاب فإن أسلم وإلاّ قُتل.

والثانية: أنه يُقتل وإن أسلم.

وأمّا الساحر المسلمُ، فإن تضمّن سحرُه كفراً كفر عند الأئمةِ الأربعةِ وغيرِهم؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾ [البقرة: ١٠٢].

---

(١) عمر بن هارون هو البلخي قال فيه يحيى بن معين: كذاب خبيث، (الميزان ٣/ ٢٢٨).

(٢) متفق عليه من حديث أنس.

(٣) في «الجامع لأحكام القرآن» (٢/ ٤٩).

لكن قال مالكٌ: إذا ظهر عليه لم تُقبل توبتُه لأنه كالزنديق، فإن تاب قبل أن يظهر عليه وجاءنا تائباً قَبِلْناه، فإن قَتل بسحره قُتل، قال الشافعيُّ: فإن قال لم أتعمّد القتلَ فهو مخطئٌ عليه الدية[1].

[من أنواع السحر علم التنجيم]

(هـذا ومـن أنـواعـه وشُـعـبِـه علـمُ الـنـجـومِ فـادرِ هـذا وانـتـبـه)

هذا هو البحثُ الرابعُ وهو (**بيانُ أنواعِه**)، فمنها علمُ التنجيم، وهو أنواعٌ: أعظمُها ما يفعله عَبَدةُ النجومِ ويعتقدونه في السبعة السيارةِ وغيرِها، فقد بنَوا بيوتاً لأجلها وصوّروا فيها تماثيلَ سمَّوها بأسماء النجوم، وجعلوا لها مناسكَ وشرائعَ يعبدونها بكيفياتها، ويلبَسون لها لباساً خاصاً وحِليةً خاصة، وينحرون لها من الأنعام أجناساً خاصةً، لكل نجمٍ منها جنسٌ زعموا أنه يناسبه، وكل نجم جعلوا لعبادته أوقاتاً مخصوصة كأوقاتِ الصلوات عند المسلمين، واعتقدوا تصرُّفَها في الكون. وهذا هو المعروفُ عن قوم إبراهيمَ ببابلَ وغيرِها، وإياهم خاطب فيما حكى الله عنهم متحدّياً لهم مبيناً سخافةَ عقولِهم وضلالَ قلوبِهم، قال الله تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْأَفِلِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [الأنعام] إلى آخر الآيات.

(ومنها) ما يفعله مَن يكتب حروفَ أبي جاد، ويجعل لكل حرفٍ منها قدراً من العدد معلوماً، ويُجري على ذلك أسماءَ الآدميين والأزمنةِ والأمكنةِ وغيرِها، ويجمع جمعاً معروفاً عنده، ويطرح منه طرحاً خاصاً ويُثبت إثباتاً خاصاً، وينسُبه إلى الأبراج الاثني عشرَ المعروفةِ عند أهل الحساب، ثم يحكم على تلك القواعدِ بالسعود والنحوسِ وغيرِها مما يوحيه إليه الشيطانُ، وكثيرٌ منهم يغير الاسمَ لأجل ذلك، ويفرّق بين المرءِ وزوجِه بذلك، ويعتقد أنهم إنْ جمعهم بيتٌ لا يعيش أحدُهم. وقد يتحكم بذلك في الغيب فيدّعي أن هذا يولد له وهذا لا، وهذا الذكرُ

---

(١) تفسير ابن كثير (١/ ١٥٢ ـ ١٥٣).

وهذا الأنثى، وهذا يكون غنياً وهذا يكون فقيراً، وهذا يكون شريفاً وهذا وضيعاً، وهذا مُحبَّباً وهذا مبغضاً، كأنه هو الكاتبُ ذلك للجنين في بطن أُمِّه، لا والله لا يدريه المَلَكُ الذي يكتُب ذلك حتى يسأل ربَّه أذكرٌ أم أنثى؟ شقيٌّ أم سعيد؟ ما الرزقُ وما الأجلُ؟ فيقول له: فيكتب، وهذا الكاذبُ المفتري يدعي علمَ ما استأثر الله بعلمه، ويدّعي أنه يدركه بصناعة اخترعها، وأكاذيبَ اختلقها، وهذا من أعظم الشركِ في الربوبية، ومن صدّقه به واعتقده فيه كَفر والعياذُ بالله.

(ومنها) النظرُ في حركات الأفلاكِ ودورانِها وطلوعِها وغروبِها واقترانِها وافتراقِها، معتقدين أن لكل نجمٍ منها تأثيراتٍ في كل حركاتِه منفرداً، وله تأثيراتٌ أُخَرُ عند اقترانِه بغيره في غلاء الأسعار ورُخْصِها، وهبوبِ الرياحِ وسكونها، ووقوعِ الكوائنِ والحوادثِ، وقد ينسُبون ذلك إليها مطلقاً. ومن هذا القسم الاستسقاءُ بالأنواء، وسيأتي الحديثُ فيه عند ذكرِه في المتن إن شاء الله، وبه الثقةُ.

(ومنها) النظرُ في منازل القمرِ الثمانية والعشرين مع اعتقاد التأثيراتِ في اقتران القمرِ بكل منها ومفارقتِه، وأن في تلك سعوداً أو نحوساً، وتأليفاً وتفريقاً وغيرَ ذلك، وكلُّ هذه الأنواعِ اعتقادُ صدقِها مُحادّةٌ لله ورسولِه، وتكذيبٌ بشرعه وتنزيله، واتباعٌ لزخارف الشيطانِ، ما أنزل الله بذلك من سلطان، والنجمُ مخلوقٌ من المخلوقات مربوبٌ مسخَّرٌ مدبَّرٌ كائنٌ بعد أن لم يكن، مسبوقٌ بالعدم المَحْضِ مُتعقّبٌ به، ليس له تأثيرٌ في حركةٍ في الكون ولا سكونٍ، لا في نفسه ولا في غيره.

قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف: ٥٤]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فصلت: ٣٧].

وقال تعالىٰ: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [يسٓ].

وقال تبارك وتعالىٰ: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾﴾ [الفرقان].

وقال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ٩٧]، وقال تعالىٰ: ﴿وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [النحل: ١٦]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾﴾ [الصافات].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ﴾ [الملك: ٥]، وقال تعالىٰ: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [يونس: ٥]، وغيرُ ذلك من الآيات.

وقال تعالىٰ في ذهابها وفنائِها وعَودِها إلى العدم كما أُوجدتْ بعد العدم: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ ﴿٢﴾﴾ [التكوير]، وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ﴾ [الانفطار: ٢]، وقال سبحانه: ﴿وَخَسَفَ الْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴿٩﴾﴾ [القيامة].

وروى ابنُ أبي حاتم(١) رحمه الله تعالىٰ عن قتادةَ الإمامِ في التفسير وغيره. قال رحمه الله تعالىٰ: إنما جعل الله سبحانه هذه النجومَ لثلاث خصالٍ، جعلها زينةً للسماء، وجعلها يُهتدى بها، وجعلها رجوماً للشياطين، فمن تعاطى فيها غيرَ ذلك فقد قال برأيه وأخطأ حظَّه، وأضاع نصيبَه وتكلفَ ما لا عِلْمَ له به، وإن ناساً جهَلةً بأمر الله قد أحدثوا من هذه النجومِ كهانةً: مَن أعرس بنجم كذا وكذا كان كذا وكذا، ومن سافر بنجم كذا وكذا كانَ كذا وكذا، ومن وُلد بنجم كذا وكذا كان كذا وكذا. ولعَمري ما من نجم إلاّ يولد به الأحمرُ والأسودُ والقصيرُ والطويلُ والحسنُ والدميم، وما عَلم هذا النجمُ وهذه الدابةُ وهذا الطيرُ بشيء من الغيب، وقضى الله تعالىٰ أنه: ﴿لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النمل: ٦٥]، وهذا كلامٌ جليلٌ متين صحيح، وأصلُه في صحيح البخاريِّ تعليقاً(٢).

---

(١) عزاه إليه ابن كثير في تفسيره (٣/ ٣٨٤ ـ ٣٨٥).

(٢) في الباب (٣) في النجوم (٦/ ٢٩٥).

وقال أبو داود[1] رحمه الله تعالىٰ في كتاب الطبِّ من سننه: «باب في النجوم» حدثنا أبو بكرِ بنُ أبي شيبةَ ومُسدّدٌ المَعني، قالا: حدثنا يحيى بنُ عبيد الله بنِ الأخنسِ عن الوليد بن عبدِ الله عن يوسفَ بنِ ماهَكَ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«من اقتبسَ شعبةً من النجوم فقد اقتبس شُعبةً من السّحر زاد ما زاد»**، وذكر حديثَ النَّوءِ[2].

وروى عبدُ بنُ حميدٍ[3] عن رجاءِ بنِ حَيوةَ أن النبيَّ ﷺ قال: **«إنما أخاف على أمّتي التصديقَ بالنجوم، والتكذيبَ بالقدر، وحَيفَ الأئمة»**.

وروى ابنُ عساكرَ[4] وحسّنه عن أبي مِحْجَنٍ مرفوعاً: **«أخاف على أمتي ثلاثاً: حَيفَ الأئمةِ، وإيماناً بالنجوم، وتكذيباً بالقدر»**.

---

(١) في السنن (٤/ ٢٦٦ ـ ٢٢٧ رقم ٣٩٠٥).
قلت: وأخرجه أحمد (١/ ٢٢٧، ٣١١)، وابن ماجه (٢/ ١٢٢٨ رقم ٣٧٢٦)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٨/ ١٣٨ ـ ١٣٩)، والطبراني في «الكبير» (١١/ ١٣٥ ـ ١٣٦ رقم ١١٢٧٨) **بسند جيد رجاله كلهم ثقات.**
وصحّحه النووي في «الرياض» رقم (١٦٧٩)، والعراقي في «المغني» (٤/ ١١٧)، والألباني في «الصحيحة» رقم (٧٩٣).
وخلاصة القول أن الحديث صحيح، والله أعلم.

(٢) أي أخرج الحديث أبو داود في سننه (٤/ ٢٢٧ ـ ٢٢٨ رقم ٣٩٠٦).
قلت: وأخرجه البخاري (٢/ ٥٢٢ رقم ١٠٣٨)، ومسلم (١/ ٨٣ رقم ١٢٥/ ٧١).

(٣) لم أجده عنده عن رجاء بن حيوة.
وقد أخرج الطبراني في «الكبير» (٨/ ٣٤٨ رقم ٨١١٣) من حديث أبي أمامة مرفوعاً بلفظ: **«إن أخوف ما أتخوّفه على أمتي آخر الزمان ثلاثاً: إيماناً بالنجوم، وتكذيباً بالقدر، وحيف السلطان»**. وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٢٠٣): «رواه الطبراني وفيه ليث بن أبي سليم وهو لين وبقية رجاله وثقوا».
قلت: وعبد الرحمٰن بن سابط كان كثير الإرسال، ولم يسمع من أبي أمامة شيئاً كما قال يحيى بن معين. وميمون بن زيد ليّنه أبو حاتم الرازي.
وخلاصة القول أن هذا الإسناد ضعيف.

(٤) في «تاريخه» (١٦/ ٣٠٨) بسنده عن حسين بن أبي زيد الدباغ، حدثنا علي بن يزيد الصدائي، حدثنا أبو سعد البقال، عن أبي محجن مرفوعاً.
قلت: وأخرجه من الطريق نفسه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم» رقم (١٤٨٢) **وسنده ضعيف.** =

وروى أبو يعلى[1] وابن عديّ[2] عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً: «**أخاف على أمتي بعدي خَصلتين: تكذيباً بالقدر، وإيماناً بالنجوم**».

وروى الطبرانيُّ[3] عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً: «**ربَّ معلّمِ حروفَ أبي جادِ دارسٍ في النجوم ليس له عند الله خلاقٌ يوم القيامة**».

ورواه حميد بنُ زِنجوَيه[4] عنه بلفظ: «**ربَّ ناظرٍ في النجوم ومتعلّمٍ حروفَ أبي جاد ليس له عند الله خَلاق**».

ومن أنواع السحرِ زجرُ الطير والخطُّ بالأرض، قال أبو داود[5]: حدثنا مسدَّدٌ حدثنا يحيى حدثنا عَوفٌ حدثنا حيان ـ قال غيرُ مسدد: حيانُ بنُ العلاء ـ حدثنا قطن بنُ قُبيصةَ عن أبيه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**العيافةُ والطِّيرةُ والطَّرق من الجِبت**»، ورواه أحمدُ في مسنده[6].

= علي بن يزيد الصدائي فيه لين كما في «التقريب» رقم (٤٨١٦).
وأبو سعد البقال اسمه سعيد بن المرزبان، ضعيف مدلس، ولم يصرح بالسماع وبقية رجاله ثقات.

(١) في «المسند» رقم (٤١٣٥).

(٢) في «الكامل» (٤/ ١٣٥٠).
عن شهاب بن خراش عن يزيد الرقاشي، عن أنس مرفوعاً.
قال ابن عدي: «ولشهاب أحاديث ليس بكثيرة، وفي بعض رواياته ما ينكر عليه، ولا أعرف للمتقدمين فيه كلاماً فأذكره» اهـ.
قلت: بل وثقه جمع من الأئمة، وقال الحافظ في «التقريب» رقم (٢٨٢٥): «صدوق يخطئ».
وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٢٠٣): «رواه أبو يعلى مقتصراً على اثنتين من الخمس، وفيه يزيد الرقاشي: ضعيف».
وخلاصة القول أن حديث أنس حسن لغيره.

(٣) في الكبير (١١/ ٤١ رقم ١٠٩٨٠).
وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/ ١١٧): فيه خالد بن يزيد العمري كذاب.
وخلاصة القول أن الحديث موضوع.

(٤) عزاه المناوي في «فيض القدير» (٤/ ١٧ رقم ٤٤٠٨) إليه وهو كسابقه.
وأخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (١١/ ٢٦ رقم ١٩٨٠٥)، والبيهقي (٨/ ١٣٩) عن ابن عباس **بسند صحيح.**

(٥) في «السنن» (٤/ ٢٢٨ رقم ٣٩٠٧).

(٦) (٣/ ٤٧٧ و٥/ ٦٠). =

والجِبتُ هو السحرُ قاله عمرُ[1] رضي الله عنه، وكذلك قال ابن عباس وأبو العالية ومجاهدٌ[2] والحسنُ وغيرُهم[3].

وعن ابن عباس وغيره[3] أيضاً الجِبت الشيطانُ، ولا ينافي الأولَ لأن السحرَ من عمل الشيطان، وعنه[3] أيضاً الجبتُ الشِّرْكُ، وعنه[4] الجبتُ الأصنامُ، وعنه[5]

= قلت: وأخرجه عبد الرزاق في «المصنف» رقم (١٩٥٠٢)، وابن سعد في «الطبقات» (٧/ ٣٥)، والنسائي في «التفسير» رقم (١٢٨)، والدولابي في «الكنى» (١/ ٨٦)، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٤/ ٣١٢ ـ ٣١٣)، والطبراني في «الكبير» (١٨ رقم ٩٤١، ٩٤٢، ٩٤٣، ٩٤٥)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٨/ ١٣٩)، والبغوي في «شرح السنة» رقم (٣٢٥٦)، وأبو نعيم في «تاريخ أصبهان» (٢/ ١٥٨)، والخطيب في «التاريخ» (١٠/ ٤٢٥)، والمزي في «تهذيب الكمال» (٧/ ٤٧٥ ـ ٤٧٦)، وابن حبان في «الإحسان» رقم (٦١٣١) من طرق...

وقد اختلف الرواة في إسناده عن عوف وهو ابن أبي جميلة الأعرابي، فقال بعضهم: حيان، لم ينسبه. وقال بعضهم: حيان أبي العلاء. وقال بعضهم حيان بن عمير. وقال آخر: حيان بن مخارق.

قلت: فالاضطراب في اسمه مشعر بعدم الضبط الموجب لضعف الحديث.

وخلاصة القول أن الحديث ضعيف.

* العيافة: زجر الطير والتفاؤل بأسمائها وأصواتها وممرِّها.
* الطِّيَرة: بكسر الطاء وفتح الياء، وقد تسكن: هي التشاؤم بالشيء، وأصله فيما يقال: التّطيّر بالطير والظباء وغيرهما.
* الطرق: الضرب بالحصى وهو ضرب من التكهّن.
* الجِبت: كل ما عُبد من دون الله.

(١) أثر عمر أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٤٦٢ رقم ٩٧٦٦ ـ شاكر).
وفيه «حسان بن فائد» قال أبو حاتم: «شيخ». وقال البخاري يعدّ في الكوفيين.
وذكره ابن حبان في «ثقات التابعين».
قلت: يصلح حديثه في الشواهد والمتابعات.
انظر: «الجرح والتعديل» (١/ ٢/ ٢٣٣)، والبخاري في «الكبير» (٢/ ١/ ٢٨).
وهذا الأثر ساقه ابن كثير بتمامه في تفسيره (١/ ٥٢٤ ـ ٥٢٥).

(٢) أثر مجاهد أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٤٦٢ رقم ٩٧٦٨) ورقم (٩٧٧٠) ورقم (٩٧٧١).

(٣) أورد ذلك ابن كثير في «تفسيره» (١/ ٥٢٥).

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٤٦١ رقم ٩٧٦٥) بسند ضعيف، **لأنه مسلسل بالعوفيين وهم ضعفاء.**

(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٤٦٤ رقم ٩٧٨٢) وهو منقطع، **علي بن أبي**=

الجِبْتُ حُيَيُّ بنُ أخطبَ، وعن الشعبي[1] الجبتُ كاهنٌ.

وعن مجاهد[2] الجبتُ كعبُ بنُ الأشرفِ، ولا منافاةَ أيضاً فإن السحرَ من الشرك الذي يشمَلُه عبادةُ غيرِ الله، وحُيَيّ بن أخطبَ وكعبُ بنُ الأشرفِ ممن خاصم رسولَ الله ﷺ بالسحر، والكاهنُ عاملٌ بالسحر، وقال في القاموس[3]: الجبتُ بالكسر الصنمُ والكاهنُ والساحرُ والسحرُ، والذي لا خيرَ فيه، وكلُّ ما عُبد من دون الله عزّ وجلّ.

ومن أنواعه العَقدُ والنَّفْثُ فيه، قال الله تعالىٰ: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلْعُقَدِ﴾ [الفلق: ٤]، وقد تقدم حديث عائشةَ[4] في قصة لَبيدِ بنِ الأعصم، وقد ثبت في حديث نزولِ المعوّذتين ورُقية جبريلَ النبيّ ﷺ بهما أنه كان كلما قرأ آيةً انحلّت عُقدةٌ.

وقال النَّسائيُّ[5] رحمه الله تعالىٰ في كتاب تحريمِ الدمِ من سننه: «الحُكم في

= طلحة لم يسمع من ابن عباس. وشيخ الطبري «المثنى» لم توجد له ترجمة.

(١) أورده ابن كثير في تفسيره (١/ ٥٢٥).

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ ٤٦٥ رقم ٩٧٨٥).

(٣) الصحاح (١/ ٢٤٥).

(٤) تقدم تخريجه.

(٥) في «السنن» (٧/ ١١٢ رقم ٤٠٧٩) بسند ضعيف فيه عباد بن ميسرة المنقري وهو ضعيف، وعنعنة الحسن.

وخلاصة القول أن الحديث «ضعيف» لكن جملة: «ومن تعلق شيئاً وكل إليه»، ثبتت في حديث الترمذي (٤/ ٤٠٣ رقم ٢٠٧٢)، والحاكم (٤/ ٢١٦)، وأحمد (٤/ ٣٠١، ٣١١) عن عبد الله بن عكيم.

قال الترمذي: وحديث عبد الله بن عكيم إنما نعرفه من حديث محمد بن عبد الرحمٰن بن أبي ليلى، وعبد الله بن عكيم لم يسمع من النبيّ ﷺ وكان في زمن النبيّ ﷺ يقول: «كتب إلينا رسول الله ﷺ».

وقال الألباني في «غاية المرام» (ص١٨٢): «قلت: وابن أبي ليلى سيء الحفظ، وكأنه لذلك سكت عليه الحاكم والذهبي، وأشار المنذري في «الترغيب» (٤/ ١٥٧) إلى إعلاله بابن أبي ليلى.

لكن الحديث حسن عندي؛ فإن له شاهداً عن الحسن البصري مرسلاً أخرجه ابن وهب في «الجامع» (ص١١٣): أخبرني جرير بن حازم أنه سمع الحسن يقول: فذكره مرفوعاً. =

السَّحَرة» أخبرنا عَمرو بنُ عليٍّ قال: حدثنا أبو داودَ قال حدثنا عَبّادُ بنُ ميسرةَ المَنقريُّ عن الحسن عن أبي هريرة قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«من عقد عُقدةً ثم نفَث فيها فقد سَحر، ومن سحرَ فقد أشرك، ومن تعلق شيئاً وُكِل إليه»**.

وقد أُطلق السحرُ على ما فيه التخييلُ في قلب الأعيانِ وإن لم يكن السحر الحقيقيَّ، كما في الصحيحين[1] عن ابن عمرَ أن رسولَ الله ﷺ قال: **«إن من البيان لسحراً»**، يعني لتضمُّنه التخييلَ فيُخيل الباطلَ في صورة الحق، وإنما عنى به البيانَ في المفاخرة والخصوماتِ بالباطل ونحوِها كما يدلّ عليه أصلُ القصة في التميميَّين اللذَين تفاخرا عنده بأحسابهما وطعن أحدُهما في حسب الآخر ونسبِه، وكذلك قال ﷺ؛ **«إنكم تختصمون إليَّ ولعل بعضَكم أن يكون ألحنَ بحجّته من بعض فأحكُمَ له على نحو ما أسمع، فمن حكمتُ له من حق أخيه بشيء، فإنما هو قطعةٌ من النار»**.

أو كما قال، وهو في الصحيح[2]، وأما البيانُ بالحق لنُصرة الحقِّ فهو فريضةٌ على كل مسلمٍ ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، وهو من الجهاد في سبيل الله عزّ وجلّ.

= وهذا إسناد مرسل صحيح، وقد رواه بعض الضعفاء عن الحسن عن أبي هريرة مرفوعاً. وقد مضى برقم (٢٨٦)» اهـ.
وخلاصة القول أن حديث عبد الله بن عكيم حسن، والله أعلم.

(١) أخرجه البخاري (٩/ ٢٠١ رقم ٥١٤٦) و(١٠/ ٢٣٧ رقم ٥٧٦٧)، والترمذي (٤/ ٣٧٦ رقم ٢٠٢٨)، وقال: **حديث حسن صحيح**. وأحمد (٢/ ١٦، ٥٩، ٦٢، ٩٤) من حديث عبد الله بن عمر.
* وأخرجه مسلم (٢/ ٥٩٤ رقم ٤٧/ ٨٦٩)، وأحمد (٤/ ٢٦٣) من حديث عمّار.
* وأخرجه أحمد (١/ ٢٦٩، ٣٠٣، ٣٠٩، ٣١٣، ٣٢٧، ٣٣٢)، وأبو داود (٥/ ٢٧٧ - ٢٧٨ رقم ٥٠١١)، وابن حبان رقم (٢٠٠٩ - موارد)، والبخاري في «الأدب المفرد» رقم (٨٧٢) من حديث ابن عباس بلفظ: **«إنَّ مِنَ البيان سِحْراً، وإن من الشِّعْرِ حكماً»**.
وفي سنده سماك بن حرب بن أوس الذهلي، صدوق، روايته عن عكرمة خاصة مضطربة، وقد تغيّر بأخره، فكان ربما يلقّن. قاله ابن حجر في «التقريب» (١/ ٣٣٢)، وبقية رجاله رجال الصحيح.
قلت: ولشطره الأول شواهد في الصحيح كما تقدم.
وخلاصة القول أن حديث ابن عباس صحيح بشواهده.

(٢) البخاري (١٣/ ١٥٧ رقم ٧١٦٩)، ومسلم (٣/ ١٣٣٧ - ١٣٣٨ رقم ١٧١٣).

وقد سمى ﷺ ما يعمل عملَ السحر سحراً، وإن لم يكن سحراً؛ كقوله ﷺ: **«ألا أنبئُكم ما العضَة، هي النميمةُ، القالةُ بين الناس»**، روه مسلم[1] عن ابن مسعود رضي الله عنه.

والعضةُ في لغة قريشٍ السحرُ، ويقولون للساحر عاضِهٌ، فسمّى النميمةَ سحراً لأنها تعمل عملَ السحرِ في التفرقة بين المرءِ وزوجِهِ وغيرهما من المتحابّين، بل هي أعظمُ في الوشاية لأنها تُثير العداوةَ بين الأخوَين، وتسعّر الحربَ بين المتسالِمِينَ كما هو معروفٌ مشاهدٌ لا يُنكر.

وقد جاء الوعيدُ للقتّات في الآيات[2] والأحاديثِ[3] كثيراً جداً، ومع هذا فالخِداعُ للكفار للفتك بهم وإظهارِ المسلمين عليهم وكسرِ شوكتِهم وتفريقِ كلمتهم من أعظم الجهادِ وأنفعِه وأشدِّه نكايةً فيهم، كما فعله نُعيمُ بنُ مسعودٍ الغطَفاني رضي الله عنه في تفريقِ كلمةِ الأحزابِ[4] بإذن رسولِ الله ﷺ حتى فرّق بين قريشٍ وبينَ يهودِ بني قُريظةَ، ونقض الله بذلك ما أبرموه، ولله الحمدُ والمنّة.

[حكم حل السحر بالطرق المشروعة والممنوعة]

(وحَلُّه بالوحي نصاً يُشرع ... أما بسحرٍ مثلِه فيُمنع)

(وحلُّه) يعني حلَّ السحرِ عن المسحور **(بـ)** الرُّقى والتعاويذِ والأدعية من **(الوحي)** الكتابِ والسنة **(نصاً)** أي بالنص **(يشرع)** كما رقى جبريلُ النبيَّ ﷺ

---

(1) في صحيحه (٤/ ٢٠١٢ رقم ٢٦٠٦).

(2) منها: ﴿همّاز مشّاء بنميم﴾ [القلم: ١١].
ومنها: ﴿ويل لكل هُمزة لُمزة﴾ [الهُمزة: ١].

(3) أخرج البخاري (١٠/ ٤٧٢ رقم ٦٠٥٦)، ومسلم (١/ ١٠١ رقم ١٠٥) من حديث حذيفة مرفوعاً بلفظ: **«لا يدخل الجنّة قتّات»**.

(4) أخرج خبر نعيم بن مسعود، ابن إسحاق معلقاً ـ كما في السيرة النبوية (٣/ ٣١٩ ـ ٣٢٠)، وعبد الرزاق في «المصنف» (٥/ ٣٦٨ ـ ٣٦٩ رقم ٩٧٣٧) مرسلاً عن ابن المسيب.
وأخرجه الطبري في «تاريخه» (٢/ ٥٧٨ ـ ٥٧٩)، والواقدي في «المغازي» (٢/ ٤٨٠ ـ ٤٨٣)، والبيهقي في «دلائل النبوّة» (٣/ ٤٤٥ ـ ٤٤٦) من طريق ابن إسحاق.
وخلاصة القول أن الخبر ضعيف، والله أعلم.

بالمعوذتين، وكما يشمل ذلك أحاديثَ الرُّقى المتقدمةَ في بابها التي أمر بها الشارعُ ﷺ وندَب إليها، ومن أعظمها فاتحةُ الكتاب[1] وآيةُ الكرسيّ[2] والمعوّذتان[3] وآخرُ سورةِ الحشر[4]، فإن ضمّ إلى ذلك الآياتِ التي فيها التعوُّذُ من الشياطين مطلقاً، والآيات التي يتضمن لفظُها إبطالَ السحر؛ كقوله تعالىٰ: ﴿فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [الأعراف]، وقوله عزّ وجلّ: ﴿مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾

---

(١) تقدم تخريج الحديث في الرقى.

(٢) كحديث أبي هريرة رضي الله عنه مع الشيطان عندما وكّله رسول الله ﷺ على مال الصدقة.

أخرجه البخاري رقم (٢٣١١ و٣٢٧٥ و٥٠١٠)، والنَّسائي في «عمل اليوم والليلة» رقم (٩٥٨ و٩٥٩)، والبغوي في «شرح السنة» رقم (١١٩٦)، والبيهقي في «دلائل النبوّة» (٧/ ١٠٧ ـ ١٠٨).

* وحديث أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أخرجه الترمذي (٥/ ١٥٨ رقم ٢٨٨٠).
وقال: هذا حديث حسن غريب، وأبو نعيم في «دلائل النبوّة» (٢/ ٧٦٦).
قلت: وهو حديث حسن والله أعلم.

* وحديث أبي بن كعب رضي الله عنه أخرجه ابن حبان في «صحيحه» (٣/ ٦٣ ـ ٦٥ رقم ٧٨٤)، والبيهقي في «دلائل النبوّة» (٧/ ١٠٨ ـ ١٠٩)، والبغوي في «شرح السنة» رقم (١١٩٧)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» رقم (٩٦٠)، وأبو نعيم في «دلائل النبوة» (٢/ ٧٦٥) وغيرهم من طرق.

* وحديث معاذ بن جبل رضي الله عنه، أخرجه الطبراني في «الكبير» (٢٠/ ٥١، ١٠١، ١٦١ ـ ١٦٢)، وأبي نعيم في «دلائل النبوّة» (٢/ ٧٦٧).

* وحديث أبي أسيد الساعدي رضي الله عنه، أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٩/ ٢٦٣ ـ ٢٦٤).

(٣) تقدم تخريج الحديث.

(٤) أخرج الترمذي (٥/ ١٨٢ رقم ٢٩٢٢)، وأحمد في «المسند» (٥/ ٢٦).
قال الترمذي: هذا حديث غريب، لا نعرفُه إلاّ من هذا الوجه.
عن معقلِ بن يَسارٍ عن النبيِّ ﷺ قال: «**مَن قالَ حينَ يُصْبِحُ ثلاثَ مرّاتٍ: أعوذُ بالله السميعِ العليم مِنَ الشيطانِ الرجيم وقرأ ثلاثَ آياتٍ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الحشرِ وَكَّلَ اللَّهُ به سبعينَ ألفَ مَلَكٍ يصلُّون عليهِ حتى يُمْسيَ، وإن ماتَ في ذلك اليومِ ماتَ شهيداً، ومَن قالها حينَ يُمْسِي كانَ بتِلْك المنزلَة**».
وهو حديث ضعيف.

[يونس: ٨١]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ [طه: ٦٩]، ونحوَها كان ذلك حسناً، ومثلُ ذلك الأدعيةُ والتعاويذُ المأثورةُ عن النبيّ ﷺ الواردةُ في الأحاديثِ الصحيحةِ كما تقدم كثيرٌ منها في باب الرُّقى.

وكحديث: «**ربَّنا الله الذي في السماء، تبارك اسمُك، أمرُك في السماء والأرض، كما رحمتك في السماء، [فاجعل رحمتك في الأرض، اغفر لنا حُوبنا وخطايانا، أنت رب الطيبين]، أنزل رحمةً من رحمتك وشفاءً من شفائك على هذا الوجع، فيبرأ**»، رواه أبو داود[1].

وكحديث عثمانَ بنِ أبي العاص[2] أنه قال: أتاني رسولُ الله ﷺ وبي وجعٌ قد كاد يُهْلِكني، فقال رسولُ الله ﷺ: «**امسَح بيمينك سبعَ مراتٍ وقل: أعوذُ بعزة الله وقُدرتِهِ وسلطانِهِ من شرّ ما أجد**»، قال: ففعلتُ، فأذهب الله ما كان بي فلم أزل آمرُ به أهلي وغيرهم، قال الترمذي: هذا حديث حسنٌ صحيحٌ.

وكتبُ السنة من الأمّهات وغيرِها مشحوناتٌ بالأدعية والتعوّذات الكافيةِ الشافية بإذن الله عزّ وجلّ، فمن ابتغى ذلك وجده، والله الموفق.

(أما) حَلُّ السحرِ عن المسحور **(بسحر مثلِه فيحرم)**، فإنه معاوَنةٌ للساحر وإقرارٌ له على عمله، وتقرّبٌ إلى الشيطان بأنواع القُرَبِ ليُبطِلَ عملَه عن المسحور، ولهذا قال الحسن[3]: (لا يَحُلّ السحرَ إلاّ ساحر).

---

(١) في «السنن» (٤/ ٢١٨ رقم ٣٨٩٢) من حديث أبي الدرداء، وفي سنده زيادة بن محمد، وقد ضعفه البخاري في «التاريخ الكبير» (٢/ ٤٤٦): منكر الحديث، وقد تفرّد بهذا الحديث كما قال الذهبي.
ومن هذا الوجه أخرجه الحاكم في «المستدرك» (١/ ٣٤٤).
وخلاصة القول أن الحديث ضعيف.
* وما بين المعكوفتين من سنن أبي داود.

(٢) أخرجه مسلم (٤/ ١٧٢٨ رقم ٢٢٠٢)، والترمذي (٤/ ٤٠٨ رقم ٢٠٨٠).
وقال الترمذي: **هذا حديث حسن صحيح.**

(٣) ذكره ابن الجوزي في «جامع المسانيد» عن الحسن البصري.
قال الحافظ في «فتح الباري» (١٠/ ٢٣٣): «أخرجه الطبري في «التهذيب» من طريق يزيد بن زريع عن قتادة عن سعيد بن المسيب أنه كان لا يرى بأساً إذا كان بالرجل سحراً أن يمشي إلى من يطلق عنه، فقال: هو صلاح. =

ولما قيل للنبي ﷺ لو تَنشَّرتَ، فقال: **«أما أنا فقد شفاني الله وعافاني، وخشيت أن أُثيرَ على الناس شراً»**[1].

وقال أبو داودَ[2] في كتاب الطبِّ من سننه «باب في النُّشرة»[3]، حدثنا أحمدُ بنُ حنبل حدثنا عبد الرزاق حدثنا عقيلُ بنُ مَعْقِل قال: سمعتُ وَهْبَ بنَ منبّهٍ يحدث عن جابر بنِ عبد الله رضي الله عنهما قال: سُئل رسولُ الله ﷺ عن النُّشْرة فقال: **«هو من عمل الشيطان»**.

ولهذا ترى كثيراً من السحرة الفجَرةِ في الأزمان التي لا سيفَ فيها يردَعُهم يتعمد سحرَ الناسِ ممن يُحبه أو يبغضه لِيَضْطرَّه بذلك إلى سؤاله حلَّه ليتوصلَ بذلك إلى أموالِ الناسِ بالباطل فيستحوذ على أموالهم ودينِهم، نسأل الله تعالىٰ العافية.

[تصديق الكاهن كفر]

[ومن يصدّقْ كاهناً فقد كفرْ بما أتى به الرسولُ المعتبرْ]

(ومن يصدق كاهناً) يعتقد بقلبه صِدقَه فيما ادّعاه من علم المغيباتِ التي استأثر الله تعالىٰ بعلمها **(فقد كفر)** أي بلغ درجةَ الكفرِ بتصديقه الكاهنَ **(بما أتى به الرسول)** محمدٌ ﷺ عن الله عزّ وجلّ من الكتاب والسنةِ وبما أتى به غيرُه ﷺ من الرسل عليهم السلام.

ولْنَسُقْ الكلامَ أولاً في تعريف الكاهن من هو، ثم في بيان كَذِبه وكفرِه، ثم في كفر من صدّقه بما قال، والله المستعان.

= قال الحافظ: قال قتادة: وكان الحسن يكره ذلك، يقول: لا يعلم ذلك إلاّ ساحر، قال: فقال سعيد بن المسيب: إنما نهى الله عما يضرّ ولم ينه عمّا ينفع» اهـ.

(١) وهو جزء من حديث عائشة، وقد تقدم تخريجه.

(٢) في «السنن» (٤/ ٢٠١ رقم ٣٨٦٨) بسند حسن.
قلت: وأخرجه أحمد في «المسند» (٣/ ٢٩٤) وهو حديث صحيح.

(٣) النُّشْرة بالضم: ضربٌ من الرُّقْية والعِلاج، يُعالَج به مَن كان يُظَنُّ أنَّ به مَسّاً من الجِنّ، سميت نُشْرةً لأنه يُنْشَر بها عنه ما خامَره من الداء، أي يكشَف ويُزال، «النهاية» لابن الأثير (٥/ ٥٤).

فنقول: الكاهنُ في الأصل هو من يأتيه الرِّئيُ من الشياطين المُسترِقةِ السمعَ تتنزل عليهم؛ كما قال الله تعالىٰ: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَـٰطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ ٱلسَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَـٰذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾﴾ [الشعراء]، وهذه الآياتُ متعلقةٌ بما قبلها وهي قولُه عزّ وجلّ لما قال المشركون في رسوله محمدٍ ﷺ إنه كاهنٌ، وقالوا في القرآن كِهانةٌ، وأنه مما يُلقيه الشيطان، فنفى الله تعالىٰ ذلك وبرّأ رسولَه وكتابَه مما أفكوه وافترَوْه: ﴿وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [الشعراء]، إلى أن قال: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَـٰطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾﴾ [الشعراء].

فأثبت تعالىٰ أن القرآنَ كلامُه وتنزيلُه، وأن جبريلَ عليه السلام رسولٌ منه مُبلّغٌ كلامَه إلى الرسول البشريِّ محمدٍ ﷺ، وهو مبلغ له إلى الناس، ثم نفى ما افتراه المشركون عليه، فقال: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَـٰطِينُ ﴿٢١٠﴾﴾ [الشعراء]، وقرّر انتفاءَ ذلك بثلاثة أمور:

الأول: بُعْدُ الشياطينِ وأعمالِهم عن القرآن، وبُعده وبُعد مقاصده منهم، فقال تعالىٰ: ﴿وَمَا يَنۢبَغِى لَهُمْ﴾ [الشعراء: ٢١١]، لأن الشياطينَ مقاصدُها الفسادُ والكفرُ والمعاصي والبَغْيُ والعُتوُّ والتمرّدُ وغيرُ ذلك من القبائح، والقرآنُ آتٍ بصلاح الدنيا والآخرة، آمرٌ بأصول الإيمانِ وشرائِعِهِ مقرِّرٌ لها، مرغِّبٌ فيها زاجرٌ عن الكفر والمعاصي، ذامٌّ لها متوعِّدٌ عليها آمرٌ بالمعروف ناهٍ عن المنكر، ما من خير آجلٍ ولا عاجلٍ، إلاّ وفيه الدلالةُ عليه والدعوةُ إليه والبيانُ له، وما من شر عاجلٍ ولا آجلٍ إلاّ وفيه النهيُ عنه والتحذيرُ منه، فأين هذا من مقاصد الشياطين؟

الثاني: عجزُهم عنه، فقال تعالىٰ: ﴿وَمَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [الشعراء: ٢١١]، أي لو انبغى لهم ما استطاعوه، لأنه كلامُ ربِّ العالمين ليس يشبه كلامَ شيءٍ من المخلوقين، وليس في وُسعهم الإتيانُ به ولا بسورة من مثله: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨].

الثالث: عزلُهم عن السمع وطردُهم عن مقاعده التي كانوا يقعُدون من السماء قبل نزولِ القرآنِ، فقال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾ [الشعراء: ٢١٢]، فبيّن

تعالىٰ - مع كونه لا ينبغي لهم - أنه لو انبغى ما استطاعوا الإتيان به أو بمثله لا من عند أنفسهم ولا نقلاً عن غيرهم من الملائكة، نفى عنهم الأولَ بعدم الاستطاعة، والثانيَ بعزلهم عن السَّمع وطردِهم منه، قال الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، إلى قوله: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّـٰهَا لِلنَّـٰظِرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَـٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَـٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾﴾ [الحجر]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَـٰنٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾﴾ [الصافات].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَـٰبِيحَ وَجَعَلْنَـٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَـٰطِينِ﴾ [الملك: ٥]، وقال تعالىٰ عن مؤمني الجنّ ﷺ: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَـٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَـٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾ وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾﴾ [الجن].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: انطلقَ رسولُ الله ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عُكاظَ وقد حيل بين الشياطينِ وبين خبرِ السماءِ، وأُرسلت عليهم الشُّهبُ، فرَجعت الشياطينُ إلى قومهم فقالوا: ما لكم؟ قالوا: حيل بيننا وبينَ خبرِ السماءِ، وأرسلت علينا الشُّهبُ. قالوا: ما ذاك إلاّ من شيء حدَث، فاضرِبوا مشارقَ الأرضِ ومغاربَها فانظُروا ما الذي حال بيننا وبين خبرِ السماءِ. فانطلقوا يضربون مشارِقَ الأرضِ ومغارِبَها، فمرّ النفرُ الذين أخذوا نحوَ تِهامةَ وهو ﷺ بنَخْلٍ عامداً إلى سوق عُكاظَ وهو يصلّي بأصحابه صلاةَ الفجر، فلما سمعوا القرآنَ استمعوا له وقالوا: هذا الذي حال بيننا وبينَ خبرِ السماء، فرجعوا إلى قومهم: ﴿فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴿٢﴾﴾ [الجن]، فأنزل الله عزّ وجلّ على نبيّه محمدٍ ﷺ: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ [الجن: ١].

وهذا الحديثُ بطوله وطُرقه في الصحيحين[1] وغيرِهما، ثم قال تعالىٰ في

---

(١) البخاري (٨/ ٦٦٩ رقم ٤٩٢١)، ومسلم (١/ ٣٣١ رقم ٤٤٩).

جواب الكفار مبيناً لهم أولياءَ الشياطينِ الذين تنزّل عليهم، فقال تعالىٰ: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ ٱلشَّيَـٰطِينُ﴾ [الشعراء: ٢٢١] الآيات.

وفي صحيح البخاري[١] قالت عائشةُ رضي الله عنها: سأل ناسٌ النبيَّ ﷺ عن الكُهان، فقال: «**إنهم ليسوا بشيء**»، قالوا: يا رسولَ الله إنهم يحدّثون بالشيء يكون حقاً، فقال النبيُّ ﷺ: «**تلك الكلمةُ من الحق يخطَفُها الجنيُّ فيُقرقِرُها في أُذن وليّه كقرقرة الدَّجاج، فيخلِطون معها أكثر من مِائة كِذْبة**».

وله[٢] عن أبي هريرةَ رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ قال: «**إذا قضى الله الأمرَ في السماء ضرَبت الملائكةُ بأجنحتها خُضعاناً لقوله كأنه سِلسِلةٌ على صَفوان، فإذا فُزِّع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربُّكم، قالوا: الحقَّ وهو العليُّ الكبير، فيسمعها مُسترقو السمعِ ومسترقو السمع هكذا بعضُه فوق بعض** ـ وصفه سفيانُ بكفه فحَرفَها وبدّد بين أصابعه ـ **فيسمع الكلمةَ فيُلقيها إلى مَن تحتَه، ثم يُلقيها الآخرُ إلى مَن تحتَه، حتى يُلقيها على لسان الساحرِ أو الكاهنِ، فربما أدركه الشهابُ قبل أن يُلقِيَها وربما ألقاها قبل أن يُدركَه، فيكذِب معها مِائة كذبة، فيقال: أوَ ليس قد قال لنا يوم كذا وكذا، كذا كذا؟ فيُصدَّق بتلك الكلمةِ التي سُمعت من السماء**»، ولمسلم[٣] عن ابن عباسٍ نحوُه.

وللبخاري[٤] عن عائشةَ رضي الله عنها عن النبيّ ﷺ أنه قال: «**إن الملائكَةَ تحدّث في العَنان** ـ والعنانُ الغمامُ ـ **بالأمر في الأرض، فتسمع الشياطينُ الكلمةَ فتُقِرّها في أُذن الكاهنِ كما تَقِرّ القارورةُ، فيزيدون معها مِائةَ كِذْبةٍ**».

وقد بين الله تعالىٰ كَذِب الكاهنِ بقوله: ﴿أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ [الشعراء: ٢٢٢]، فسمّاه أفاكاً وذلك مبالغةٌ في وصفه بالكذب، وسمّاه أثيماً وذلك مبالغةٌ في وصفه بالفجور، وقولُه: ﴿وَأَكْثَرُهُمْ كَـٰذِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٣]، أي أكثر ما يقولونه الكذب

---

(١) البخاري (١٠/٢١٦ رقم ٥٧٦٢).
قلت: وأخرجه مسلم (٤/ ١٧٥٠ رقم ٢٢٢٨).
(٢) أي البخاري (٨/ ٥٣٧ رقم ٤٨٠٠).
(٣) في صحيحه (٤/ ١٧٥٠ رقم ٢٢٢٩).
(٤) في صحيحه (٦/ ٣٣٨ رقم ٣٢٨٨).

فلا يفهم منه أن فيهم صادقاً، يفسّره قولُ النبيّ ﷺ: «**فيكذب معها مائة كذبة**»، فلا يكون صِدْقاً إلاّ الكلمةُ التي سُمعت من السماء.

[أسباب كفر الكاهن]

وأما كفرُ الكاهن فمن وجوه، منها: كونُه ولياً للشيطان، فلم يوحِ إليه الشيطانُ إلاّ بعد أنْ تولاه، قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ﴾ [الأنعام: ١٢١]، والشيطان لا يتولى إلا الكفارَ ويتولّونه، قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ﴾ [البقرة: ٢٥٧]، وهذا وجهٌ ثانٍ.

والثالثُ: قولُه تعالىٰ: ﴿يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧]، أي نورِ الإيمانِ والهدى ﴿إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِۗ﴾ [البقرة: ٢٥٧]، أي ظلمات الكفرِ والضلالة. وقال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيۡطَٰنَ وَلِيّٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدۡ خَسِرَ خُسۡرَانٗا مُّبِينٗا﴾ [النساء: ١١٩]، وهذا وجهٌ رابع.

والخامسُ: تسميتُه طاغوتاً في قوله عزّ وجلّ: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦۖ وَيُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمۡ ضَلَٰلَۢا بَعِيدٗا﴾ [النساء: ٦٠]، نزلت في المتحاكمين في كاهنِ جُهينةَ[1]، وقوله: ﴿وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦۖ﴾ [النساء: ٦٠]، أي بالطاغوت، وهذا وجهٌ سادسٌ.

والسابع: أن من هداه الله للإيمان من الكُهّان كسوادِ بنِ قاربٍ رضي الله عنه لم يأتِه رِئيُه بعد أن دخل في الإسلام، فدلّ أنه لم يتنزّل عليه في الجاهلية إلاّ لكفره وتولّيه إياه، حتى إنه رضي الله عنه كان يغضب إذا سُئل عنه حتى قال له عمرُ رضي الله عنه: ما كنّا فيه من عبادةِ الأوثانِ أعظمُ.

الثامنُ وهو أعظمُها: تشبُّهه بالله عزّ وجلّ في صفاته ومنازعتُه له تعالىٰ في ربوبيته، فإن علمَ الغيبِ من صفاتِ الربوبيةِ التي استأثر الله تعالىٰ بها دون من سواه فلا سَمِيَّ له ولا مُضاهيَ ولا مشاركَ: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ﴾

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٤/ج٥/١٥٣) وهو مرسل صحيح الإسناد.

[الأنعام: ٥٩]، ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النمل: ٦٥]، ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾﴾ [الجن]، ﴿أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الطور: ٤١]، ﴿أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ﴾ [النجم: ٣٥]، ولسانُ حالِ الكاهن وقالِه يقول نعم.

التاسع: أن دعواه تلك تتضمن التكذيبَ بالكتاب وبما أرسل الله به رسلَه.

العاشرُ: النصوصُ في كفر مَن سأله عن شيء فصدّقه بما يقول، فكيف به هو نفسُه فيما ادّعاه، فقد روى الأربعةُ[1] والحاكمُ[2] وقال صحيح على شرطهما

---

(١) أبو داود (٤/ ٢٢٥ رقم ٣٩٠٤)، والترمذي (١/ ٢٤٢ ـ ٢٤٣ رقم ١٣٥)، وابن ماجه (١/ ٢٠٩ رقم ٦٣٩)، والنسائي في «عشرة النساء» رقم (١٣١).
قلت: وأخرجه الدارمي (١/ ٢٥٩)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٧/ ١٩٨)، وأحمد في «المسند» (٢/ ٤٠٨، ٤٧٦)، وابن الجارود رقم (١٠٧) من طرق عن حماد بن سلمة عن حكيم الأثرم عن أبي تميمة الهجيمي عن أبي هريرة به.
قال الترمذي: لا نعرفه إلاّ من حديث حكيم الأثرم عن أبي تميمة.
وقال البخاري في «التاريخ الكبير» (٣/ ١٧) عقب الحديث: «هذا حديث لا يتابع عليه، ولا يعرف لأبي تميمة سماع من أبي هريرة في البصريين» اهـ.
وقال ابن عدي في «الكامل» (٢/ ٦٣٧): «وحكيم الأثرم يعرف بهذا الحديث وليس له غيره إلاّ اليسير» اهـ.
قلت: علّلوا الحديث بأمرين:
الأول: ضعف حكيم بن الأثرم.
والثاني: الانقطاع بين أبي تميمة وأبي هريرة.
فالجواب عن الأول: أن حكيم وثّقه ابن المدني، وأبو داود، وابن حبان، وقال النسائي: «لا بأس به»، وقال الذهبي: «صدوق».
انظر: «تهذيب التهذيب» (١/ ٤٧٥ ـ ٤٧٦)، و«الكاشف» (١/ ١٨٦).
أما الجواب عن الثاني: فأبو تميمة اسمه طريف بن مجالد، قد توفي سنة (٩٧هـ)، وأبو هريرة توفي سنة (٥٨ أو ٥٩هـ)، والمعاصرة تكفي كما عليه الجمهور إن كان ثقة غير مدلس، وأبو تميمة كذلك.
وللحديث طرق أخرى عن أبي هريرة وشواهد. انظر: «الإرواء» (٧/ ٦٩ ـ ٧٠).
وخلاصة القول أن الحديث صحيح.

(٢) في «المستدرك» (١/ ٨).
وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين.
ووافقه الذهبي، وهو كما قالا.

عن أبي هريرةَ رضي الله عنه: «**من أتى عرّافاً أو كاهناً فصدّقه بما يقول فقد كفر بما أُنزل على محمد**» ﷺ.

وعن عِمران بنِ حُصينٍ[1] رضي الله عنه: «**ليس منّا من تطيّر أو تُطُيِّرَ له، أو تَكَهَّن أو تُكُهِّن له، أو سَحَر أو سُحِر له، ومن أتى كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد**» ﷺ.

ولمسلم[2] عن بعض أزواجِ النبيِّ ﷺ عن النبيّ ﷺ قال: «**من أتى عرافاً فسأله عن شيء لم تُقبل له صلاةٌ أربعين ليلةً**»، فهذا حكمُ من سأله مطلقاً، والأولُ حكمُ من سأله وصدّقه بما قال.

[الكاهن كل من ادّعى معرفة المغيبات]

ثم اعلم أن الكاهنَ وإن كان أصله ما ذكرنا فهو عامٌّ في كل من ادّعى معرفةَ المغيبات ولو بغيره، كالرمّال الذي يخُطّ بالأرض أو غيرِها، والمنجّمِ الذي قدمنا ذكرَه، أو الطارقِ بالحصى وغيرِهم ممن يتكلم في معرفة الأمورِ الغائبةِ، كالدلالة على المسروقِ ومكانِ الضالّة ونحوِها، أو المستقبلَة كمجيءِ المطرِ أو رجوعِ الغائبِ أو هبوبِ الرياحِ ونحوِ ذلك ممّا استأثر الله عزّ وجلّ بعلمه فلا يعلمه مَلَكٌ مقرَّبٌ ولا نبيٌّ مرسلٌ إلاّ من طريق الوَحْي؛ كما قال تعالىٰ: ﴿فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ

---

(1) ذكره المنذري في «الترغيب والترهيب» رقم (٤٤٦٧) من حديث عمران بن حصين وقال: «رواه البزار ـ رقم (٣٠٤٤ ـ كشف) ـ بإسناد جيد» اهـ.
وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/ ١١٧) وقال: «رواه البزار ورجاله رجال الصحيح، خلا إسحاق بن الربيع، وهو ثقة» اهـ.
وأخرجه الطبراني في «الكبير» (١٨/ ١٦٢ رقم ٣٥٥).
وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/ ١٠٣ ـ ١٠٤) وقال: «رواه الطبراني وفيه إسحاق بن الربيع العطار وثقه أبو حاتم، وضعفه عمرو بن علي، وبقية رجاله ثقات» اهـ.
* وأخرجه الطبراني في «الأوسط» رقم (٤٢٦٢)، والبزار رقم (٣٠٤٣ ـ كشف) من حديث ابن عباس.
وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/ ١١٧) وقال: «رواه البزار والطبراني في الأوسط، وفيه زمعة بن صالح وهو ضعيف» اهـ.
وخلاصة القول أن الحديث صحيح بشواهده.

(2) في صحيحه (٤/ ١٧٥١ رقم ٢٢٣٠).

أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا ﴿٢٧﴾﴾ [الجن]، ملائكةً يحفظونه من مسترقي السمعِ وغيرِهم: ﴿لِّيَعۡلَمَ أَن قَدۡ أَبۡلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمۡ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيۡهِمۡ وَأَحۡصَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ عَدَدَۢا﴾ [الجن: ٢٨]، فمن ذا الذي يدَّعي عِلْمَ ما استأثر الله بعلمه عن رسله من الملائكة والبشرِ؛ كما قال تعالىٰ عن نوح عليه السلام: ﴿لَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ﴾ [الأنعام: ٥٠] الآية، وقال تعالىٰ عن هودٍ عليه السلام: ﴿قَالَ إِنَّمَا ٱلۡعِلۡمُ عِندَ ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرۡسِلۡتُ بِهِۦ﴾ [الأحقاف: ٢٣].

وقال لنبيّه محمّدٍ ﷺ: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ﴾ [الأنعام: ٥٠] الآية، وقال تعالىٰ: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ﴾ [الأعراف: ١٨٨]، وقال تعالىٰ: ﴿قُلۡ مَا كُنتُ بِدۡعٗا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدۡرِي مَا يُفۡعَلُ بِي وَلَا بِكُمۡۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ [الأحقاف: ٩] الآية، وقال تعالىٰ عن الملائكة: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمۡ عَلَى ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسۡمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٣٢﴾﴾ [البقرة] الآيات.

ولم يعلم الرسولُ ﷺ مكان راحلتِه حتى أعلمه الله بذلك[(١)]، وقال في سؤال الحِبْرِ إياه فأجابه ﷺ وصدّقه الحبرُ، ثم انصرف فذهب، فقال رسولُ الله ﷺ: «**لقد سألني هذا عن الذي سألني عنه وما لي علمٌ بشيء منه حتى أتاني الله عزّ وجلّ به**» وهي في مسلم[(٢)]. وفيه قولُ عائشةَ[(٣)] رضي الله عنها لمسروق رحمه الله تعالىٰ: ومن زعم أن رسولَ الله ﷺ يُخبر بما يكون في غد فقد أعظمَ على الله الفِرْية، والله تعالىٰ يقول: ﴿قُل لَّا يَعۡلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلۡغَيۡبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ﴾ [النمل: ٦٥]، ولم يكن ﷺ يعلم شيئاً من الرسالة حتى أتاه الله عزّ وجلّ به؛ كما قال تعالىٰ: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ﴾ [الضحى: ٧].

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «دلائل النبوّة» رقم (٤٤٣) من حديث عروة، وفي سنده ابن لهيعة. وأخرجه البيهقي في «دلائل النبوّة» (٤/ ٥٩ ـ ٦٠) من حديث عروة وحديث موسى ابن عقبة.

(٢) في صحيح مسلم (١/ ٢٥٢ رقم ٣١٥).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه (١/ ١٥٩ رقم ١٧٧).

وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾ [الشورى: ٥٢]، وقال تعالى: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَاۖ﴾ [هود: ٤٩].

وقال تعالى: ﴿قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [يونس: ١٦].

وقال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣]، نسأل الله العظيمَ من فضله العظيم.

[ال] فَصْل [التاسع]

يجمعُ معنى حديثِ جبريلَ في تعليمنا الدِّينَ وأنه ينقسم إلى ثلاث مراتبَ: الإسلامُ والإيمانُ والإحسانُ وبيانُ كلٍّ منها



[تمهيد]

اعلم أنَّ هذا الفصلَ مهمٌّ جداً، جامعٌ لأصول الدينِ وشرائعِه ومراتبه وشُعَبِه القوليةِ والعملية، وهو معنى حديثِ جبريلَ في سؤاله النبيَّ ﷺ وجوابِه إياه، وهو حديثٌ عظيمُ الشأن، جليلٌ كبيرٌ جامعٌ نافعٌ، سمّى النبيُّ ﷺ ما احتوى عليه «الدين» فقال: **«هذا جبريلُ أتاكم يعلمكم دينَكم»**[1]، وهو حديثٌ مشهورٌ في كتب السنة عن جماعة من أصحاب رسولِ الله ﷺ منهم عمرُ بنُ الخطاب، وابنُه عبدُ الله، وأبو هريرةَ، وأبو ذرٍّ، وعبدُ الله بنُ عباسٍ، وأبو عامرٍ الأشعريُّ، وغيرُهم، رضي الله عنهم.

وها نحن نذكر أحاديثَهم بألفاظها مع بيان مخرّجيها من أئمة الحديث، ثم نتكلم على الخصال التي فيها عند مواضعِها من هذا المتنِ إن شاء الله تعالىٰ، وهو المستعانُ وبه الثقةُ وعليه التُّكلانُ، ولا حولَ ولا قوةَ إلاّ بالله العليِّ العظيم.

حديثُ جبريلَ ـ الحديث به عن عمرَ

فأما حديثُ عمرَ بنِ الخطابِ رضي الله عنه فأخرجه مسلمٌ في أول جامعِه[2]: حدثني أبو خيثمةَ زُهيرُ بنُ حربٍ حدثنا وكيعٌ عن كَهْمَسٍ عن عبد الله بنِ بُرَيْدَةَ عن يحيى بنِ يعمَرَ. ح. وحدثنا عبيدُ الله بنُ معاذٍ العنبريُّ وهذا حديثُه: حدثنا أبي حدثنا كَهْمَسٍ عن ابن بريدةَ عن يحيى بنِ يَعْمَرَ قال: كان أولَ من قال في القدَر بالبصرة معبدٌ الجُهنيُّ، فانطلقتُ أنا وحميدُ بنُ عبدِ الرحمٰن الحِمْيريُّ حاجَّين ـ أو معتمِرَيْن ـ فقلنا: لو لقِينا أحداً من أصحاب رسولِ الله ﷺ فسألناه عمّا يقول هؤلاء في القدر، فوُفِقَ لنا عبدُ الله بنُ عمر رضي الله عنهما داخلاً المسجد، فاكتنفتُه أنا وصاحبي، أحدُنا عن يمينه والآخرُ عن شماله، فظننت صاحبي سيكِل الكلامَ إليَّ، فقلت: أبا عبدِ الرحمٰن إنه قد ظهر قبلنا ناسٌ يقرأون القرآن ويتقَفّرون العلمَ، وذكر من شأنهم وأنهم يزعُمون أنْ لا قدَرَ وأن الأمرَ أُنفٌ. قال: فإذا لَقِيتَ أولئك فأخْبِرْهم أني

---

(١) جزء من حديث الفصل الذي سيأتي برواياته وتمامه.

(٢) (١/ ٣٦ ـ ٣٨ رقم ١/ ٨).

بريءٌ منهم وأنهم بُرآءُ مني، والذي يحلِف به عبدُ الله بن عمرَ لو أن لأحدهم مثلَ أُحُدٍ ذهباً فأنفقه في سبيل الله ما قَبِله الله منه حتى يؤمنَ بالقدر.

ثم قال: حدثني أبي عمرُ بنُ الخطاب ﷺ قال: بينما نحن عند رسولِ الله ﷺ ذاتَ يوم إذ طلعَ علينا رجلٌ شديدُ بياضِ الثيابِ شديدُ سوادِ الشعر، لا يُرى عليه أثرُ السفرِ ولا يعرِفه منّا أحد، حتى جلس إلى النبيّ ﷺ فأسند رُكبتيه إلى ركبتيه ووضع كفّيه على فَخِذيه وقال: يا محمدُ أخبرني عن الإسلام، فقال رسولُ الله ﷺ: «**الإسلامُ أن تشهدَ أن لا إله إلاّ الله وأن محمداً رسولُ الله وتقيمَ الصلاةَ وتؤتيَ الزكاةَ وتصومَ رمضانَ وتحُجَّ البيتَ إن استطعتَ إليه سبيلاً**»، قال: صدقتَ. فعجِبنا له يسأله ويصدِّقه. قال: فأخبرني عن الإيمان، قال: «**أن تؤمنَ بالله وملائكتِه وكتبِه ورسلِه واليومِ الآخر، وتؤمنَ بالقدر خيرِه وشرِّه**». قال: صدَقْتَ، فأخبرني عن الإحسان، قال: «**أن تعبُدَ الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**»، قال: فأخبرني عن الساعة، قال: «**ما المسؤول عنها بأعلمَ من السائل**»، قال: فأخبرني عن أماراتها، قال: «**أن تلدَ الأمةُ ربّتَها، وأن ترى الحُفاةَ العُراةَ العالةَ رِعاءَ الشاءِ يتطاولون في البنيان**». قال: ثم انطلق فلبثتُ ملياً ثم قال لي: «**يا عمرُ أتدري من السائل**»؟ قلت: الله ورسولُه أعلمُ. قال: «**فإنه جبريلُ أتاكم يعلّمُكم دينَكم**».

حدثني محمدُ بنُ عبيدِ الغُبَريُّ وأبو كاملِ الجَحْدريُّ وأحمدُ بنُ عبدةَ قالوا: حدثنا حمادُ بنُ زيدٍ عن مطَرِ الورّاقِ عن عبد الله بنِ بُريدة عن يحيى بنِ يعمَرَ قال: لما تكلّم معبدٌ بما تكلّم به في شأن القدَر أنكرنا ذلك. قال: فحججتُ أنا وحُميدُ بنُ عبدِ الرحمٰن الحِميريُّ حَجةً. وساقوا الحديثَ بمعنى حديثِ كَهْمَسٍ وإسنادِه. وفيه بعضُ زيادةٍ ونقصانُ أحرفٍ[1].

وحدثني محمدُ بنُ حاتمٍ حدثنا يحيى بنُ سعيدٍ القطانُ حدثنا عثمانُ بنُ غياثٍ حدثنا عبدُ الله بنُ بريدةَ عن يحيى بنِ يعمَرَ وحُميدِ بنِ عبدِ الرحمٰنِ قالا: لَقِينا عبدَ الله بنَ عمرَ ﷺ فذكرنا القدَرَ وما يقولون فيه، فاقتصّ الحديثَ كنحو حديثِهم عن عمرَ ﷺ عن النبيّ ﷺ، وفيه شيءٌ من زيادة وقد نقَص منه شيئاً[2].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (١/٣٨ رقم ٨/٢).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (١/٣٨ رقم ٨/٣).

وحدثني حجاجُ بنُ الشاعرِ حدثنا يونسُ بنِ محمدٍ حدثنا المعتمرُ عن أبيه عن يحيى بن يعمَرَ عن ابن عمرَ عن عمرَ عن النبيّ ﷺ بنحو حديثِهم[1].

هذه طرُقُه في مسلم بكمالها، ولم يخرّجْه البخاريُّ رحمه الله تعالىٰ.

ورواه أبو داودَ[2] من حديثِ كَهْمس فقال في كتاب السنةِ من سُننه: حدثنا عبيدُ الله بنُ معاذ حدثنا أبي حدثنا كَهمسٌ عن ابن بريدةَ فذكره، وفيه: لا يُرى عليه أثرُ السفر ولا نعرِفه. وفيه: فلبثْتُ ثلاثاً.

ومن حديث عثمانَ بنِ غِياثٍ فقال: حدثنا مسدّدٌ حدثنا يحيى عن عثمانَ بنِ غياثٍ قال: حدثني عبدُ الله بنُ بريدةَ. وفيه: فذكر نحوَه، وزاد: قال: وسأله رجلٌ من مُزَيْنَة أو جُهينَة فقال: يا رسولَ الله فيمَ نعمل، أفي شيءٍ قد خلا أو مضى، أو شيء يُستأنف الآن؟ قال: **«في شيء قد خلا ومضى»**. فقال الرجلُ أو بعضُ القوم: ففيم العملُ؟ قال: **«إن أهلَ الجنةِ يُيَسّرون لعمل أهلِ الجنّة، وإن أهلَ النار يُيسّرون لعمل أهلِ النار»**[3].

ومن حديث سليمانَ بنِ بريدةَ عن ابن يَعْمَرَ بهذا الحديثِ يزيد وينقُص: قال: فما الإسلام؟ قال: **«إقام الصلاة وإيتاءُ الزكاةِ وحجُّ البيتِ وصومُ رمضانَ والاغتسالُ من الجنابة»**[4].

ورواه النسائيُّ[5] في كتاب الإيمانِ وشرائِعه من مُجتبي سُننهِ فقال: بابُ نعتِ الإيمان، أخبرنا إسحاقُ بنُ إبراهيمَ قال: حدثنا النَّضْرُ بن شميل قال: أنبأنا كَهْمَسُ بنُ الحسنِ ـ فذكر حديثَ عمرَ بن الخطاب ـ كلفظ مسلم ـ ولم يذكر حُميداً، ولم يذكر كلامَ يحيى ابنِ يَعْمرَ ولا كلامَ ابنِ عمرَ قبلَه.

ورواه الترمذيُّ[6] في أبواب الإيمانِ فقال: بابُ ما وصَف جبريلُ للنبيّ ﷺ

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (١/٣٨ رقم ٨/٤).

(٢) في «السنن» (٥/٦٩ ـ ٧٣ رقم ٤٦٩٥)، وهو حديث صحيح.

(٣) أخرجه أبو داود في «السنن» (٥/٧٣ رقم ٤٦٩٦)، وهو حديث صحيح.

(٤) أخرجه أبو داود في «السنن» (٥/٧٤ رقم ٤٦٩٧) وهو حديث صحيح.

(٥) في «السنن» (٨/٩٧ رقم ٤٩٩٠)، وهو حديث صحيح.

(٦) في «السنن» (٥/٦ ـ ٧ رقم ٢٦١٠)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

الإيمانَ والإسلامَ: حدثنا أبو عمارٍ الحسينُ بنُ حُرَيْثٍ الخُزاعيُّ أخبرنا وكيعٌ عن كَهْمَسِ بنِ الحسنِ، فذكر بمعنى لفظِ مسلم، غيرَ أنه قال: فألزق ركبتيه بركبتيه، ثم قال: «يا محمدُ ما الإيمانُ»؟ ثم قال: «فما الإسلامُ؟» ثم قال: «فما الإحسانُ؟» وفيه كلُّ ذلك يقول له: «صدَقْتَ»، قال: فتعجّبنا منه يسأله ويصدّقه. قال: «فمتى الساعةُ؟» وقال: فما أمارتُها. وفي آخره: فلقِيَني النبيُّ ﷺ بثلاثٍ فقال: **«يا عمرُ هل تدري من السائلُ؟ ذاك جبريل أتاكم يعلّمكم أمرَ دينِكم»**. وفي نسخة: **«معالمَ دينِكم»**.

حدثنا أحمدُ بنُ محمدٍ أخبرنا ابنُ المبارَكِ أخبرنا كَهْمسُ بنُ الحسنِ بهذا الإسنادِ نحوَه بمعناه[(١)].

حدثنا محمدُ بنُ المثنى أخبرنا معاذُ بنُ هشام عن كَهمسٍ بهذا الإسنادِ نحوَه بمعناه[(٢)]، وفي الباب عن طلحةَ بنِ عبيد الله[(٣)]، وأنسِ بنِ مالكٍ[(٤)]، وأبي هريرةَ[(٥)]، هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ قد رُوي من غير وجهٍ نحوُ هذا.

وقد رُوي هذا الحديثُ عن ابن عمرَ عن النبيّ ﷺ، والصحيحُ هو عن ابن عمرَ عن النبيّ ﷺ.

ورواه ابنُ ماجهْ[(٦)] في باب الإيمان: حدثنا عليُّ بنُ محمدٍ حدثنا وكيعٌ عن كهمسٍ بنِ الحسنِ فذكره كلفظِ الترمذي، غيرَ أنه لم يذكر حُميداً ولا نفسَ القصةِ ولا كلامَ ابنِ عمرَ قبل الحديث، وفيه: قال وكيعٌ في قوله: **«أن تلِدَ الأمةُ ربَّتَها»**، يعني تلد العجمُ العربَ.

---

(١) في «السنن الترمذي» (٥/ ٧).

(٢) في «سنن الترمذي» (٥/ ٧).

(٣) أخرجه البخاري ومسلم ـ كما في «تحفة الأحوذي» (٧/ ٣٥٠).

(٤) أخرجه البزار رقم (٢٢)، والبخاري في «خلق أفعال العباد» وإسناده حسن كذا في «الفتح» (١/ ١١٦).

(٥) أخرجه البخاري (١/ ١١٤ رقم ٥٠) و(٨/ ٥١٣ رقم ٤٧٧٧)، ومسلم (١/ ٣٩ ـ ٤٠ رقم ٩ و١٠).

(٦) في «السنن» (١/ ٢٤ ـ ٢٥ رقم ٦٣)، **وهو حديث صحيح.**

ورواه عبدُ الله ابنُ الإمام أحمدَ[1]: حدثني أبي حدثنا محمدُ بن جعفرٍ حدثنا كَهمسٌ عن ابن بريدةَ. ويزيدُ بن هارونَ حدثنا كهمسٌ عن ابن بريدةَ عن يحيى بنِ يعمَرَ سمع ابنَ عمرَ قال: حدثني عمرُ بن الخطاب ﷺ قال: بينما نحن... الحديث.

والحاصلُ أن راويَه عن عمرَ ابنُه عبدُ الله، وعنه يحيى بنُ يَعْمرَ وحميدٌ الحِمْيري، وعن يحيى بنِ يعمرَ عبدُ الله بنُ بريدةَ وسليمانُ بنُ بريدةَ وسليمانُ بنُ طرخان.

وعن عبد الله بنِ بريدةَ كهمسٌ ومطَرٌ الورّاقُ وعثمانُ بنُ غياثٍ، وعن كهمسٍ وكيعٌ ومعاذٌ العنبريُّ والنضرُ بنُ شُميلٍ ومحمدُ بنُ جعفرٍ ويزيدِ بنُ هارون، ثم اشتهر عن كلِّ من هؤلاء، والله أعلم.

الحديثُ به عن ابن عمرَ

وأما حديثُ عبدِ الله بنِ عمرَ ﷺ فهو الذي أشار إليه التِّرمِذيُّ وقد رواه الإمامُ أحمدُ[2] من طرق عن يحيى بنِ يعمَرَ قال: قلتُ لابن عمرَ ﷺ إنا نسافر في الآفاق فنلقى قوماً يقولون لا قدَرٌ، فقال ابنُ عمر ﷺ: إذا لَقِيتموهم فأخبروهم أن عبدَ الله بنَ عمرَ منهم بريءٌ وأنهم منه بُرَآءُ (ثلاثاً)، ثم إنه أنشأ يحدِّث: بينما نحن عند رسولِ الله ﷺ فجاء رجلٌ فذكر من هيئته، فقال رسولُ الله ﷺ: **«ادْنُهْ فدنا، فقال: ادنُهْ فدنا، فقال: ادْنه فدنا حتى كاد ركبتاه تَمَسّان ركبتيه**، فقال: يا رسولَ الله أخبرني ما الإيمانُ أو عن الإيمان، قال: **تؤمن بالله وملائكتِه وكتبِهِ ورسلِه واليومِ الآخرِ وتؤمن بالقدر»**، قال سفيان: أراه قال: **«خيرِه وشرِّه»**، قال: **«فما الإسلامُ؟** قال: **إقامةُ الصلاة وإيتاءِ الزكاة وحجُّ البيتِ وصيامُ شهرِ رمضانَ وغُسلٌ من الجنابة**، كلّ ذلك قال: **صدقْتَ صدقت**، قال القومُ: ما رأينا رجلاً أشدَّ توقيراً لرسول الله ﷺ من هذا كأنه يعلم رسولِ الله ﷺ.

ثم قال: **«يا رسولَ الله أخبرني عن الإحسان**، قال: **أن تعبُدَ الله أو تعبُدَه**

---

(١) في «المسند» (١/ ٥١ ـ ٥٢) بإسناد صحيح.
(٢) في «المسند» (١/ ٥٢ ـ ٥٣) بإسناد صحيح.

كأنك تراه، فإلاَّ تراه فإنه يراك»، كل ذلك نقول ما رأينا رجلاً أشدَّ توقيراً لرسول الله ﷺ من هذا، فيقول: «**صدقْت صدقْتَ**»، قال: «**أخبرني عن الساعة**»، قال: «**ما المسؤول عنها بأعلم بها من السائل**»، قال: فقال: «**صدقت**»، قال ذلك مراراً، ما رأينا رجلاً أشدَّ توقيراً لرسول الله ﷺ من هذا، ثم ولَّى.

قال سفيانُ: فبلغني أن رسولَ الله ﷺ قال: التَمِسوه، فلم يجدوه. قال: «**هذا جبريلُ جاءكم يعلِّمُكم دينَكم**»، ما أتانا في صورة إلاّ عرفتُه غيرَ هذه الصورةِ، وإسنادُه: حدثنا عبدُ الله حدثني أبي حدثنا أبو نُعيم حدثنا سفيانُ عن علقمةَ بنِ مَرثَدٍ عن سليمانَ بنِ بُريدةَ عن يحيى بنِ يعمَرَ إلخ.

وفي رواية[1] قال: قلتُ لابن عمرَ إن عندنا رجالاً يزعُمون أن الأمرَ بأيديهم فإن شاءوا عَمِلوا وإن شاءوا لم يعملوا. فقال: أخبرهم أني منهم بريءٌ وأنهم منّا بُرَآءُ. ثم قال: جاء جبريلُ إلى النبيِّ ﷺ فقال: «**يا محمد ما الإسلامُ؟**» فقال: «**تعبدُ الله لا تشرك به شيئاً، وتقيمُ الصلاة، وتؤتي الزكاةَ، وتصوم رمضانَ، وتحجّ البيتَ**، قال: **فإذا فعلتُ ذلك فأنا مسلمٌ؟** قال: **نعم**. قال: **صدقْتَ**. قال: **فما الإحسانُ؟** قال: **تخشى الله كأنك تراه فإن لا تكُ تراه فإنه يراك**، قال: **فإذا فعلتُ ذلك فأنا مُحسن؟** قال: **نعم**، قال: **صدقْتَ**، قال: **فما الإيمانُ؟** قال: **تؤمن بالله وملائكتِه وكتبِه ورسلِه والبعثِ من بعد الموت والجنةِ والنارِ والقدرِ كلِّه**. قال: **فإذا فعلتُ ذلك فأنا مؤمنٌ؟** قال: **نعم**، قال: **صدقتَ**».

زاد في رواية[2]: وكان جبريلُ يأتي النبيَّ ﷺ في صورة دِحْيَة، وسندُ هذه

---

(١) لأحمد في «المسند» رقم (٥٨٥٦) **بإسناد صحيح**. وقال أحمد شاكر: «علي بن زيد، هو ابن جدعان.
والحديث من مراسيل الصحابة، فإن ابن عمر إنما رواه «عن أبيه عمر وقد سبق في «مسنده» بنحوه مطولاً (١٨٤ و٣٦٧ و٣٦٨)، وقد سبق في «مسند عمر» أيضاً (٣٧٤ و٣٧٥) معناه مطوّلاً، ولكنه جعله من حديث ابن عمر، أنه هو الذي شهد سؤالات جبريل.
وقد رجحنا هناك أنه من حديث عمر، وأن جعله من حديث ابن عمر وهم. وقد مضى معناه كذلك من حديث ابن عباس (٢٩٢٦م)، قوله: «**فإن لا تك تراه**»، في نسخة بهامش م«تكن»» اهـ.

(٢) لأحمد في «المسند» رقم (٥٨٥٧) **بإسناد صحيح**، وقال أحمد شاكر: =

الرواية: حدثنا عبدُ الله حدثني أبي حدثنا عفانُ حدثنا حمادُ بنُ سلمةَ أخبرنا عليُّ بنُ زيدٍ عن يحيى بنِ يَعْمَرَ، قلت لابن عمر... إلخ.

وفي أخرى[1] عن ابن عمرَ ﷺ أن جبريلَ قال للنبيِّ ﷺ: «**ما الإيمان؟** قال: **أن تؤمن بالله وملائكتِه وكتبِه ورسلِه واليومِ الآخرِ وبالقدرِ خيرِه وشره.** فقال له جبريلُ عليه السلام: **صدقتَ**. قال: فتعجَّبنا منه يسأله ويصدقه. قال: فقال النبيُّ ﷺ: «**ذاك جبريلُ أتاكم يعلمُكم معالمَ دينِكم**».

وسندُ هذه الروايةِ: حدثنا عبدُ الله حدثني أبي حدثنا وكيعٌ حدثنا كهمسٌ عن ابن بريدةَ عن يحيى بنِ يعمرَ إلخ.

وروايةٌ[2] عن يحيى بنِ يعمَرَ وحميدِ بنِ عبد الرحمٰن الحِمْيريِّ قال: لقِينا عبدَ الله بنَ عمرَ ﷺ فذكرنا القدَرَ وما يقولون فيه فقال لنا: إذا رجعتم إليهم فقولوا لهم إن ابنَ عمرَ منكم بريءٌ وأنتم منه بُرَآءُ (ثلاث مرار) ثم قال: أخبرني عمرُ بنُ الخطاب ﷺ أنهم بينما هم جلوسٌ أو قعودٌ عند النبيِّ ﷺ جاءه رجل يمشي حسنُ الوجهِ حسنُ الشعرِ عليه ثيابٌ بِيضٌ، فنظر القومُ بعضُهم إلى بعض ما نعرِف هذا وما هذا بصاحبِ سفَر. ثم قال: **يا رسولَ الله آتيك؟** قال: **نعم**. فجاء فوضع ركبتيه عند ركبتيه ويديه على فخذيه، وساق الحديث بنحو ما تقدم في الصحيح والسننِ، وزاد في آخره سؤالَ الرجلِ من جُهينةَ أو مُزينةَ كما تقدم في رواية أبي داود.

الحديثُ به عن أبي هريرة

وأما حديثُ أبي هريرةَ ﷺ فقال البخاريُّ[3] رحمه الله تعالىٰ: حدثنا مسدّدٌ

= «إسحاق بن سويد بن هبيرة العدوي: تابعي ثقة، روى عن ابن عمر، وابن الزبير، ولكنه روى هنا عن يحيى بن يعمر عن ابن عمر، وثّقه أحمد وابن سعد وغيرهم.
انظر: «التاريخ الكبير» (١/ ٣٨٩)، والحديث مطول ما قبله...» اهـ.

(١) لأحمد في «المسند» رقم (١٩١) **بإسناد صحيح**. وقال أحمد شاكر:
«وهو مختصر (١٨٤) ولكنه جعله هنا من حديث ابن عمر، ولعله سهو من الناسخين، فإن رواية كهمس قد أشرنا هناك إلى أنها في مسلم، وهي هناك من حديث ابن عمر عن أبيه» اهـ.

(٢) لأحمد في «المسند» رقم (١٨٤) **بإسناد صحيح**.

(٣) في صحيحه (١/ ١١٤ رقم ٥٠).

قال: حدثنا إسماعيلُ بنُ إبراهيمَ قال: أخبرنا أبو حيان التيميُّ عن أبي زُرعةَ عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: كان النبيُّ ﷺ بارزاً يوماً للناس فأتاه رجلٌ فقال: «**ما الإيمانُ؟ قال: الإيمانُ أن تؤمنَ بالله وملائكتِه وبلقائه ورسلِه وتؤمنَ بالبعث، قال: ما الإسلامُ؟ قال: الإسلامُ أن تعبدَ الله ولا تُشرِك به وتقيمَ الصلاةَ وتؤديَ الزكاةَ المفروضةَ وتصومَ رمضانَ، قال: ما الإحسانُ؟ قال: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك، قال: متى الساعةُ؟ قال: ما المسؤولُ عنها بأعلمَ من السائل، وسأُخبِرُك عن أشراطها: إذا ولَدت الأمةُ ربَّها، وإذا تطاول رُعاةُ الإبل البُهْمِ في البنيان، في خمس لا يعلمُهن إلاّ الله تعالىٰ**.

ثم تلا النبيُّ ﷺ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ [لقمان: ٣٤].

ثم أدبر فقال: «**رُدّوه فلم يرَوا شيئاً**»، فقال: «**هذا جبريلُ جاء يعلم الناسَ دينَهم**».

قال أبو عبد الله: جعل ذلك كلَّه من الإيمان. وترجم عليه[1]: بابُ سؤالِ جبريلَ النبيَّ ﷺ عن الإيمان والإسلامِ والإحسانِ وعلم الساعةِ، وبيانُ النبيِّ ﷺ له. ثم قال: «**جاء جبريلُ يعلمكم دينَكم**»، فجعل ذلك كلَّه ديناً.

وأخرجه في تفسير سورة لقمانَ[2]، فقال: بابُ قولِ الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ [لقمان: ٣٤].

حدثني إسحاقُ عن جريرٍ عن أبي حيانَ... الحديث.

وفيه: إذ أتاه رجلٌ يمشي فقال: «**يا رسولَ الله ما الإيمان؟**» وفيه: قال: «**يا رسولَ الله متى الساعة؟ قال: ما المسؤولُ عنها بأعلمَ من السائل، ولكن سأُحدِّثك عن أشراطها، إذا ولدت الأمةُ ربتَها فذاك من أشراطها، وإذا كان الحُفاةُ العراةُ رؤوسَ الناسِ فذاك من أشراطها، في خمس لا يعلمهنّ إلاّ الله، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ﴾ [لقمان: ٣٤]، ثم انصرف الرجل فقال: «**ردوا عليّ**»، فأخذوا ليردوا فلم يرَوا شيئاً، فقال: هذا جبريلُ جاء ليعلم الناسَ دينَهم.

---

(١) في صحيحه (١/ ١١٤ رقم الباب ٣٧).

(٢) وأخرجه البخاري في صحيحه (٨/ ٥١٣ رقم ٤٧٧٧).

ورواه مسلم[1] فقال: حدثنا أبو بكرِ بنُ أبي شيبةَ وزهيرُ بنُ حربٍ جميعاً عن ابنِ عُليَة قال زهير: حدثنا إسماعيلُ بنُ إبراهيمَ عن أبي حيانَ... الحديث، وزاد: **«وإذا تطاول رعاةُ البُهم في البنيان فذاك من أشراطها في خمس لا يعلمهنّ إلاّ الله»**، ثم تلا رسولُ الله ﷺ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ﴾ [لقمان: ٣٤]، قال: ثم أدبر... إلخ.

وقال[2] حدثنا محمدُ بنُ عبدِ الله بنِ نُمير حدثنا محمدُ بنُ بشرٍ حدثنا أبو حيان التَّيميُّ بهذا الإسنادِ مثلَه، غير أن في روايته: **«إذا ولدت الأَمةُ بعلَها»** يعني السراريَ.

وقال[3]: حدثني زهيرُ بنُ حربٍ حدثنا جريرٌ عن عُمارةَ وهو ابنُ القَعقاع عن أبي زُرْعَة عن أبي هريرة ؓ قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«سلوني»**. فهابوه أن يسألوه، فجاء رجلٌ فجلس عند ركبتيه فقال: **«يا رسولَ الله ما الإسلامُ؟ قال: لا تُشركُ بالله شيئاً وتقيمُ الصلاة وتؤتي الزكاةَ وتصومُ رمضان. قال: صدقتَ. قال: يا رسولَ الله ما الإيمانُ؟ قال: أن تؤمنَ بالله وملائكتِه وكتابِه ولقائِه ورسلِه وتؤمنَ بالبعث وتؤمنَ بالقدر كلِّه. قال: صدقت. قال: يا رسولَ الله ما الإحسان؟ قال: أن تخشى الله كأنك تراه، فإنك إلاّ تكنْ تراه فإنه يراك. قال: صدقت. قال: يا رسول لله متى تقومُ الساعةُ؟ قال: ما المسؤول عنها بأعلمَ من السائل، وسأُحدِّثك عن أشراطها: إذا رأيتَ الأمةَ تلد ربَّها فذاك من أشراطها، وإذا رأيتَ الحُفاةَ العُراةَ الصُمَّ البُكْمَ ملوكَ الأرضِ فذاك من أشراطها، وإذا رأيتَ رِعاءَ البُهم يتطاولون في البنيان فذاك من أشراطها في خمس من الغيب لا يعلمُهن إلاّ الله ثم قرأ:** ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ﴾ [لقمان: ٣٤]، قال: ثم قام الرجلُ فقال رسولُ الله ﷺ: **«رُدُّوه عليَّ»**، فالتُمِسَ فلم يجدوه، فقال رسولُ الله ﷺ: **«هذا جبريلُ أراد أن تَعلموا إذ لم تسألوا»**.

---

(١) في صحيحه (١/ ٣٩ رقم ٥/ ٩).
(٢) أي مسلم في صحيحه (١/ ٣٩ رقم ٦/ ٩).
(٣) أي مسلم في صحيحه (١/ ٣٩ رقم ٧/ ٩).

وأشار إليه التِّرمذيُّ[1] في باب حديث ابنِ عمرَ عن عمرَ. ورواه ابنُ ماجه[2] بإسناد مسلم، ولفظُه إلى آخرِ الآية. ورواه الإمامُ أحمدُ[3] عن إسماعيلَ حدثنا أبو حيانَ عن أبي زُرعةَ بنِ عمرَ بنِ جريرٍ عن أبي هريرةَ ﷺ إلخ، وفيه: «**وإذا كانت العُراةُ الحفاةُ الجفاةُ**».

الحديثُ به عنه وعن أبي ذرٍّ

وأما حديثُه مع أبي ذرٍّ ﷺ فقال النَّسائيُّ في كتاب الإيمان من مجتبَى سننِه[4]: صفةُ الإيمانِ والإسلام.

أخبرنا محمدُ بنُ قدامةَ عن جريرٍ عن أبي فروة عن أبي زُرعةَ عن أبي هريرة وأبي ذرٍّ ﷺ قالا: كان رسولُ الله ﷺ يجلِس بين ظَهرانِي أصحابِه فيجيء الغريبُ فلا يدري أيُّهم هو حتى يسأل، فطلبنا إلى رسول الله ﷺ أن نجعل له مجلِساً يعرِفه الغريبُ إذا أتاه، فبنينا له دكّاناً من طين كان يجلِس عليه، وإنا لجلوسٌ ورسولُ الله ﷺ في مجلسه إذ أقبل رجلٌ أحسنُ الناسِ وجهاً وأطيبُ الناسِ ريحاً كأن ثيابَه لم يَمَسَّها دنسٌ حتى سلّم في طرف البساط فقال: «**السلامُ عليك يا محمدُ**»، فردّ عليه السلام قال: «**أدنو يا محمد؟**» قال: «**ادْنُهْ**»، فما زال يقول أدنو مراراً ويقول له ادْنُ حتى وضع يده على ركبتي رسولِ الله ﷺ قال: **يا محمدُ أخبرني ما الإسلامُ**، قال: **الإسلامُ أن تعبُدَ الله ولا تُشْرِكَ به شيئاً وتقيمَ الصلاةَ وتؤتيَ الزكاةَ وتحجَّ البيتَ وتصومَ رمضانَ**، قال: **إذا فعلتُ ذلك فقد أسلمتُ؟** قال: **نعم**، قال: **صدقت**، فلما سَمِعْنا قولَ الرجل «**صدقت**» أنكرنا، قال: **يا محمدُ أخبرني ما الإيمانُ**، قال: **الإيمانُ بالله وملائكتِه والكتابِ والنبيين وتؤمن بالقدر**، قال: **فإذا فعلتُ ذلك فقد آمنْتُ؟** قال رسولُ الله ﷺ: **نعم**، قال: **صدقتَ**، قال: **يا محمدُ أخبرني ما الإحسان؟** قال: **أن تعبُدَ الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك**، قال: **صدقْتَ**، قال: **يا محمدُ أخبرني متى الساعةُ**، قال: فنكّس فلم يُجِبْه

---

(١) في «السنن» (٦/٥ - ٨ رقم ٢٦١٠).
(٢) في «السنن» (١/٢٥ رقم ٦٤) وهو حديث صحيح.
(٣) في «المسند» (٢/٤٢٦) بإسناد صحيح.
(٤) (٨/١٠١ رقم ٤٩٩١) وهو حديث صحيح.

شيئاً، ثم أعاد فلم يُجبه شيئاً، ثم أعاد فلم يُجبه شيئاً. ورفع رأسه فقال: **ما المسؤولُ عنها بأعلمَ من السائل، ولكن لها علاماتٌ تُعرف بها: إذا رأيت الرِّعاءَ البُهْمَ يتطاولون في البنيان، ورأيتَ الحُفاةَ العُراةَ ملوكَ الأرض، ورأيت الأمَةَ تلد ربَّها في خمس لا يعلمها إلاّ الله:** ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ﴾ [لقمان: ٣٤].

ثم قال: «**لا والذي بعث محمداً بالحق هادياً وبشيراً ما كنت بأعلمَ به من رجلٍ منكم، وإنه لجبريلُ نزل في صورة دِحْيَة الكلبيِّ** ﷺ».

وقال أبو داودَ في باب القدر من كتاب السنةِ من سننه[(١)]: حدثنا عثمانُ بنُ أبي شيبةَ حدثنا جريرٌ عن فروةَ عن أبي زُرعةَ بن عُمرَ بن جريرٍ عن أبي ذرٍّ وأبي هريرةَ قالا: كان رسولُ الله ﷺ. . . الحديث.

وفيه: فبنينا له دكاناً من طين فجلس عليه وكنا نجلِس بجنبتيه، وذكر نحوَ هذا الخبرِ فأقبل رجلٌ فذكر هيئتَه حتى سلّم من طَرَف السِّماط فقال: «**السلامُ عليك يا محمدُ**»، قال: فرد عليه النبيُّ ﷺ.

فحاصلُ طرقِ حديث أبي هريرةَ وحده، ومع أبي ذرٍّ ﷺ أبو زرعةَ عن أبي هريرةَ وعنه أبو حيانَ وأبو فروةَ وعُمارةُ بنُ القعقاع، وعن أبي حيانَ إسماعيلُ بنُ إبراهيمَ بنِ عُلَيَّةَ وجريرٌ ومحمدُ بنُ بشر، وعن إسماعيلَ مسدّدٌ وأبو بكر بنُ أبي شيبةَ وزهيرُ بنُ حربٍ وأحمدُ بنُ حنبلٍ، وعن جريرٍ إسحاقُ وزهيرُ بنُ حربٍ ومحمدُ بنُ قدامة وعثمانُ بنُ أبي شيبةَ، وعن محمدِ بنِ بشرٍ محمدُ بنُ نُمير، وعن كل من عُمارةَ وأبي فَروة وجريرٌ، والله أعلم.

الحديثُ به عن ابن عباس

وأما حديثُ ابن عباسٍ فقال الإمامُ أحمدُ[(٢)]: حدثنا أبو النَّضْرِ حدثنا

---

(١) (٥/ ٧٤ رقم ٤٦٩٨) وهو حديث صحيح.

(٢) في «المسند» (١/ ٣١٨ ـ ٣١٩) بسند حسن.

وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤/ ٢٧٠ ـ ٢٧١) وقال: «رواه أحمد، وأبو يعلى، والطبراني، وفيه شهر بن حوشب، وهو ثقة، وفيه كلام، وبقية رجاله ثقات» اهـ.

عبدُ الحميد حدثنا شهْرٌ حدثني عبدُ الله بنُ عباس رضي الله عنهما قال: جلس رسولُ الله ﷺ مجلِساً فجاء جبريلُ عليه السلام فجلس بين يدي رسولِ الله ﷺ واضعاً كفيه على ركبتي النبيّ ﷺ فقال: **يا رسولَ الله حدّثني ما الإسلامُ؟** قال رسولُ الله ﷺ: **«الإسلامُ أن تُسلِم وجهَك لله وتشهدَ أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريكَ له وأن محمداً عبدُه ورسولُه»**. قال: **إذا فعلتُ ذلك فأنا مسلم؟** قال: **«إذا فعلتَ ذلك فقد أسلمْتَ»**. قال: **يا رسولَ الله فحدِّثني ما الإيمانُ؟** قال: **«الإيمانُ أن تؤمنَ بالله واليومِ والآخرِ والملائكةِ والكتابِ والنبيّين، وتؤمنَ بالموت وبالحياة بعد الموتِ، وتؤمنَ بالجنّة والنار والحسابِ والميزانِ، وتؤمنَ بالقدر كلّه خيرِه وشرِّه»**. قال: **فإذا فعلتُ ذلك فقد آمَنتُ؟** قال: **«إذا فعلتَ ذلك فقد آمنتَ»**. قال: **يا رسولَ الله حدّثني ما الإحسانُ؟** قال رسولُ الله ﷺ: **«الإحسانُ أن تعملَ لله كأنك تراه، فإنك إن لم ترَه فإنه يراك»**. قال: **يا رسولَ الله فحدِّثني متى الساعةُ؟** قال رسولُ الله ﷺ: **«سبحان الله في خمس من الغيب لا يعلمهنّ إلاّ الله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ﴾** [لقمان: ٣٤].

ولكن إن شئتَ حدّثتُك بمعالمَ لها دون ذلك»، قال: **أجلْ يا رسولَ الله فحدِّثني**. قال رسولُ الله ﷺ: **«إذا رأيتَ الأمةَ ولدَتْ ربَّتَها أو ربَّها، ورأيتَ أصحابَ الشاءِ تطاولوا بالبنيان، ورأيتَ الحُفاةَ الجِياعَ العالةَ كانوا رؤوسَ الناس، فذلك من معالم الساعةِ وأشراطِها»**. قال: **يا رسولَ الله، ومَن أصحابُ الشاءِ والحفاةِ الجِياعُ العالةُ؟** قال: **العربُ»**، وحسّنه الحافظُ العَسْقلاني[١].

الحديث به عن أبي عامرٍ

وأما حديثُ أبي عامر فقال الإمامُ أحمدُ[٢] أيضاً: حدثنا أبو اليمانِ أخبرنا شعيبٌ قال: حدّثنا عبدُ الله بنُ أبي حسينٍ حدثنا شهرُ بنُ حَوْشبٍ عن عامرٍ أو أبي عامرٍ أو أبي مالكٍ رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ بينما هو جالسٌ في مجلس فيه أصحابُه جاءه

---

(١) في «الفتح» (١/ ١١٦).

(٢) في «المسند» (٤/ ١٢٩) بسند حسن، وفيه شهر بن حوشب، وقد تقدم الكلام عليه آنفاً.

جبريلُ عليه السلام في غير صورتِه يحسبه رجلاً من المسلمين فسلَّم عليه فردّ عليه السلام، ثم وضع جبريلُ يدَه على ركبتي النبيِّ ﷺ، فذكر الحديثَ بنحو حديثِ عمرَ بنِ الخطاب.

وفيه: فلما ولّى ـ أي السائلُ ـ فلما لم نرَ طريقَه بَعْدُ قال، أي النبيُّ ﷺ: **«سبحان الله ـ ثلاثاً ـ هذا جبريلُ جاء ليُعلّمَ الناسَ دينهم»**، وحسّنه الحافظ أيضاً[1]، وهو من مفردات أحمد رحمه الله تعالىٰ.

وأما الأحاديث التي قبله فقد خرّجها غيرُ مَن ذكرنا، وإنما اقتصرنا على روايات الأمّهاتِ لشُهرتها، وفي الباب عن جماعة من الصحابة غيرُ من ذُكر، منهم طلحةُ بنُ عبيد الله[2] وأنسُ بنُ مالكٍ[3] وجريرُ بنُ عبدِ الله البَجليُّ[4] ﵃، وسنذكر إن شاء الله تعالىٰ ما تيسّر من النصوص في كل مسألةٍ من مسائله عند ذكرها في المتن، فنقول وبالله التوفيق.

الإيمانُ قولٌ وعملٌ

(اعـلـمْ بـأن الـديـنَ قـولٌ وعـمـلْ فاحفَظْه وافهم ما عليه ذا اشتملْ)

(اعلم) يا أخي وفقني الله وإياكَ والمسلمين **(بأن الدينَ)** ـ الذي بعث الله به رسلَه وأنزل به كتبَه، ورضِيَه لأهل سمواتِه وأرضِه، وأمر أن لا يُعْبَدَ إلاّ به، ولا يقبَلُ من أحد سواه، ولا يرغَبُ عنه إلاّ من سَفِه نفسَه، ولا أحسنُ ديناً ممن التزمه واتبعه ـ هو **(قولٌ)** أي بالقلب واللسانِ **(وعملٌ)** أي بالقلب واللسانِ والجوارح، فهذه أربعةُ أشياءَ جامعةٌ لأمور دينِ الإسلام:

---

(١) في «الفتح» (١/ ١١٦).

(٢) أخرجه البخاري ومسلم ـ كما في «تحفة الأحوذي» (٧/ ٣٥٠).

(٣) أخرجه البزار (١/ ٢٠ ـ ٢١ رقم ٢٢ ـ كشف).
وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ٤٠) وقال: «رواه البزار وفيه الضحاك بن نبراس، قال البزار: ليس به بأس، وضعّفه الجمهور» اهـ.
ومع ذلك حسّن الحافظ إسناده في «الفتح» (١/ ١١٦).

(٤) أخرجه أبو عوانة في صحيحه.
وفي إسناده خالد بن يزيد العمري ولا يصلح للصحيح.
كما في «الفتح» (١/ ١١٦).

(الأولُ): قولُ القلب وهو تصديقُه وإيقانُه، قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ۝٣٣ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٣٤﴾ [الزمر].

وقال تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ﴾ [الأنعام: ٧٥]، وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟﴾ [الحجرات: ١٥]، صدّقوا ثم لم يشكُّوا.

وفي حديث الدرجات العُلى: «**بلى والذي نفسي بيده، رجالٌ آمنوا بالله وصدّقوا المرسلين**»[1]. وقال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ [البقرة: ٣].

وقال تعالىٰ: ﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ﴾ [البقرة: ١٣٦] الآيات. وقال تعالىٰ: ﴿وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَـٰبٍ﴾ [الشورى: ١٥]، وغيرُ ذلك من الآيات.

وفي حديث الشفاعةِ: «**يخرج من النار من قال لا إله إلاّ الله وفي قلبه من الخير ما يَزِن شعيرةً**»[2]، الحديث.

وفي الحديث الآخر: «**فيقال انطلِقْ فمن كان في قلبه مثقالُ حبةٍ من بُرّة أو شعيرةٍ من إيمان، ثم من كان في قلبه مثقال حبةٍ من خردل من إيمان، ثم من كان في قلبه أدنى أدنى من مثقال حبةٍ من خردل من إيمان**»[3].

وقال تعالىٰ في المكذّبين: ﴿ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يسٓ: ١٠]، وقال تعالىٰ في المرتابين الشاكّين: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٧]، وقال فيهم: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ

---

(١) أخرجه البخاري (٦/ ٣٢٠ رقم ٣٢٥٦)، ومسلم (٤/ ٢١٧٧ رقم ٢٨٣١) من حديث أبي سعيد الخدري.

(٢) أخرجه البخاري (١٣/ ٣٩٢ رقم ٧٤١٠)، ومسلم (١/ ١٧٧ - ١٧٨ رقم ١٩١) من حديث أنس.

(٣) أخرجه البخاري (١٣/ ٤٧٣ - ٤٧٤ رقم ٧٥١٠)، ومسلم (١/ ١٨٢ - ١٨٤ رقم ١٩٣) من حديث أنس.

﴿مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ﴾ [المائدة: ٤١]، وقال تعالى فيهم: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [المنافقون: ١]، أي في قولهم نشهد، أي كذبوا، إنهم لا يشهدون بذلك بقلوبهم، إنما هو بألسنتهم تَقِيةً ونفاقاً ومخادعةً.

(الثاني): قولُ اللسان وهو النطقُ بالشهادتين شهادةِ أن لا إله إلاّ الله وأن محمداً رسولُ الله والإقرارُ بلوازمهما.

قال الله: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا﴾ [البقرة: ١٣٦]. ﴿وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ [القصص: ٥٣]، ﴿وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ﴾ [الشورى: ١٥]، وقال تعالىٰ: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ﴾ [الزخرف: ٨٦]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأحقاف: ١٣]، وقال ﷺ: «**أُمرت أن أقاتلَ الناسَ حتى يشهدوا أن لا إله إلاّ الله وأني رسولُ الله**»[1]، وما في معناه مما سنذكر ومما لا نذكر.

(الثالث): عملُ القلبِ وهو النيةُ والإخلاصُ والمحبةُ والانقيادُ والإقبالُ على الله عزّ وجلّ والتوكّلُ عليه ولوازمُ ذلك وتوابعُه، قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الأنعام: ٥٢]. ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾﴾ [الليل]، ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ﴾ [الإنسان: ٩]، ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [الأنفال: ٢]، ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٠]. ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٣]، ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

وقال تعالىٰ: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٣]، ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥]، ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِي﴾ [الزمر: ١٤]، وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥]، ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤]. ﴿قُلْ إِن

---

(١) وهو حديث صحيح، وقد تقدم تخريجه.

﴿كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ﴾ [الحجرات: ٧].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ [النساء: ١٢٥]. ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [لقمان: ٢٢]. ﴿فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ﴾ [الحج: ٣٤]، ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

وقال النبيُّ ﷺ: **«إنما الأعمالُ بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرتُه إلى الله ورسولِه فهجرتُه إلى الله ورسولِه، ومن كانت هجرتُه لدنيا يُصيبها أو امرأة ينكِحُها فهِجرتُه إلى ما هاجر إليه»**[١].

وقال ﷺ: **«قال الله تعالىٰ أنا أغنى الشركاءِ عن الشرك، من عَمِل عملاً أشرك معي فيه غيري تركتُه وشِرْكَه»**[٢]. وقد تقدم جملةٌ من نصوص الإخلاصِ في الكلام على لا إلٰه إلاّ الله، وتقدم هناك بيانُه وما ينافيه من الشرك الأكبرِ، وما ينافي كمالَه من الشرك الأصغر.

وقال ﷺ: **«أحِبّوا الله من كل قلوبكم»**[٣].

وقال ﷺ: **«ثلاثٌ من كنّ فيه وجد بهنّ حلاوةَ الإيمان: أن يكون الله ورسولُه أحبَّ إليه مما سواهما»**[٤] الحديث.

وقال ﷺ: **«لا يؤمن أحدُكم حتى أكونَ أحبَّ إليه من ولده ووالده والناسِ أجمعين»**[٥].

---

(١) أخرجه البخاري (١/ ٩ رقم ١)، ومسلم (٣/ ١٥١٥ رقم ١٩٠٧) من حديث عمر بن الخطاب.

(٢) أخرجه مسلم (٤/ ٢٢٨٩ رقم ٢٩٨٥) من حديث أبي هريرة.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) أخرجه البخاري (١/ ٦٠ رقم ١٦)، ومسلم (١/ ٦٦ رقم ٤٣) من حديث أنس.

(٥) أخرجه البخاري (١/ ٥٨ رقم ١٥)، ومسلم (١/ ٦٧ رقم ٤٤) من حديث أنس.

وكان ﷺ يقول: «**اللّهمّ إني أسألك حبَّك وحبَّ من يحبك وحبَّ كلِّ عمل يقرِّبني إلى حبك**»[1].

وقال ﷺ: «**اللّهمّ حبِّبْ إلينا الإيمانَ وزيِّنه في قلوبنا، وكرِّه إلينا الكفرَ والفسوقَ والعِصيانَ واجعلنا من الراشدين**»[2].

وقال ﷺ: «**لا يؤمن أحدُكم حتى يكون هواه تَبعاً لما جئتُ به**»[3]، وهذا غايةُ الانقيادِ إذا لم يكن له هوىً غير ما جاء به الرسولُ ﷺ. وقد تقدمت النصوصُ في التوكّل والخوفِ والرجاءِ والخشيةِ والخضوعِ وغيرِ ذلك من أعمال القلوب.

(**الرابع**): عملُ اللسانِ والجوارحِ، فعملُ اللسانِ ما لا يؤدّى إلاّ به كتلاوة القرآنِ وسائرِ الأذكار من التسبيح والتحميدِ والتهليلِ والتكبير والدعاءِ والاستغفار وغيرِ ذلك، وعملُ الجوارحِ ما لا يؤدَّى إلاّ بها، مثلُ القيامِ والركوعِ والسجود والمَشْيِ في مرضاة الله كنقل الخُطا إلى المساجد وإلى الحجّ والجهاد في سبيل الله عزّ وجلّ والأمرِ بالمعروف والنهي عن المنكر وغيرِ ذلك مما يشمَله حديثُ شُعَب الإيمان. قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَـٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَـٰرَةً لَّن تَبُورَ﴾ [فاطر: ٢٩] الآيات، وقال تعالىٰ: ﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِهِۦ﴾ [الكهف: ٢٧].

وقال تعالىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ [الأحزاب]. وقال تعالىٰ: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ

---

(١) أخرجه الترمذي (٥/ ٥٢٢ رقم ٣٤٩٠)، والحاكم (٢/ ٤٣٣) من حديث أبي الدرداء.
قال الترمذي: حديث حسن غريب.
وقال الحاكم: «صحيح الإسناد».
وتعقبه الذهبي بقوله: «بل عبد الله هذا قال أحمد: أحاديثه موضوعة».
وخلاصة القول أن الحديث ضعيف.

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ٤٢٤)، والبزار (٢/ ٣٢٩ ـ ٣٣٠ رقم ١٨٠٠) من حديث عبيد بن رفاعة عن أبيه.
وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/ ١٢١) وقال: «رواه أحمد والبزار واقتصر على عبيد بن رفاعة عن أبيه وهو الصحيح. وقال: اللّهمّ قاتل كفرة أهل الكتاب، ورجال أحمد رجال الصحيح» اهـ.

(٣) تقدم تخريجه.

﴿ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠٥] الآيات. وقال تعالىٰ: ﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًۢا﴾ [الإسراء: ١١١].

وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا﴾ [الكهف: ٤٦]، وهي «**سبحان الله، والحمدُ لله، ولا إله إلاّ الله، والله أكبرُ، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم**»[1]، وقال تعالىٰ: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ﴾ [الأعراف: ٥٥] الآيات، وقال تعالىٰ: ﴿وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌۢ﴾ [المزمل: ٢٠]، وقال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٩١] الآيات، وقال تعالىٰ: ﴿وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨].

وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱرْكَعُوا۟ وَٱسْجُدُوا۟ وَٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُوا۟ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾ وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ﴾ [الحج: ٧٧ ـ ٧٨] الآيات، وقال تعالىٰ: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾﴾ [الفرقان] الآيات.

وقال تعالىٰ: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ﴾ [الزمر: ٩].

وقال تعالىٰ: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾ [التوبة].

والآياتُ والأحاديثُ في هذا الباب كثيرةٌ جداً ليس هذا موضع بسطها، وإنما المقصودُ تقريرُ هذه الأمورِ من أصول الدينِ، فإذا حَققْتَ هذه الأمورَ الأربعةَ تحقيقاً

(١) أخرجه أحمد (١/٣٨٣ رقم ٥١٣ ـ شاكر) من حديث عثمان بن عفان، **بإسناد صحيح**.

بالغاً وعرفتَ ما يراد بها معرفةً تامةً وفَهِمت فهماً واضحاً ثم أمعنتَ النظرَ في أضدادها ونواقِضها تبيّن لك أن أنواعَ الكفرِ لا تخرجُ عن أربعة:

كفرُ جهلٍ وتكذيب.

وكفرُ جحود.

وكفرُ عنادٍ واستكبار.

وكفرُ نفاق.

فأحدُهما يُخرِج من الملة بالكلية، وإن اجتمعت في شخص فظلماتٌ بعضُها فوق بعض والعياذ بالله من ذلك، لأنها إما أن تنتفيَ هذه الأمورُ كلُّها ـ قولُ القلبِ وعملُه وقولُ اللسان وعملُ الجوارح ـ أو ينتفيَ بعضُها، فإن انتفت كلُّها اجتمع أنواعُ الكفرِ غيرَ النفاق، قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٦ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۝٧﴾ [البقرة].

وإن انتفى تصديقُ القلبِ مع عدم العلم بالحق فكفرُ الجهلِ والتكذيب، قال تعالىٰ: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ﴾ [يونس: ٣٩]، وقال تعالىٰ: ﴿أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النمل: ٨٤]، وإن كتم الحقَّ مع العلم بصدقه فكفرُ الجحودِ والكتمان، قال الله تعالىٰ: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [النمل: ١٤].

وقال تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٨٩]، وقال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝١٤٦ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ۝١٤٧﴾ [البقرة].

وإن انتفى عملُ القلبِ من النيّة والإخلاصِ والمحبةِ والإذعانِ مع انقياد الجوارحِ الظاهرةِ فكفرُ نفاقٍ سواءٌ وُجد التصديقُ المطلقُ أو انتفى، وسواءٌ انتفى بتكذيب أو شك، قال الله تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝٨﴾ إلى قوله: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٨ ـ ٢٠].

وإن انتفى عملُ القلب وعملُ الجوارحِ مع المعرفة بالقلب والاعترافِ باللسان فكفرُ عنادٍ واستكبار، ككفر إبليسَ وكفرِ غالبِ اليهودِ الذين شَهِدوا أن الرسولَ حقٌّ ولم يتبعوه أمثالُ حُيَيِّ بنِ أخطبَ وكعبِ بنِ الأشرفِ وغيرِهم، وكفرِ مَن ترك الصلاةَ عناداً واستكباراً، ومُحالٌ أن ينتفيَ انقيادُ الجوارحِ بالأعمالِ الظاهرةِ مع ثبوتِ عملِ القلب، قال النبيّ ﷺ: «**إن في الجسد مضغةً إذا صلَحتْ صلح الجسدُ كلُّه، وإذا فسدت فسد الجسدُ كلّه، ألا وهي القلبُ**»(١).

ومن هنا يتبين لك أن من قال من أهل السنةِ في الإيمان: هو التصديقُ على ظاهرِ اللغةِ - أنهم إنما عنَوا التصديقَ الإذعانيَّ المستلزِمَ للانقياد ظاهراً وباطناً بلا شك، لم يعنُوا مجرّد التصديق، فإن إبليس لم يكذّبْ في أمر الله تعالىٰ له بالسجود، وإنما أبى عن الانقياد كفراً واستكباراً، واليهودُ كانوا يعتقدون صدقَ الرسول ﷺ ولم يتبعوه، وفرعونُ كان يعتقد صدقَ موسى ولم ينقُذْ بل جحد آياتِ الله ظلماً وعلوّاً فأين هذا من التصديق، مَن قال الله تعالىٰ فيه: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [الزمر: ٣٣] الآيات، وأين تصديقُ من قال الله تعالىٰ فيهم: ﴿قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ [البقرة: ٩٣]، ﴿قَالُوٓا۟ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِۦ عِندَ رَبِّكُمْ﴾ [البقرة: ٧٦]، مِن تصديق من قالوا: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، والله الموفق.

(كفاك ما قد قاله الرسولُ — إذْ جاءه يسأله جبريلُ)

(على مراتبِ ثلاثٍ فصّلة — جاءت على جميعه مشتملة)

(الإسلامِ والإيمانِ والإحسانِ — والكلُّ مبنيٌّ على أركانِ)

كفاك أيها الطالبُ الحقَّ **(ما قد قاله الرسول)** محمدٌ ﷺ **(إذ)** حينَ **(جاءه يسأله)** عن مراتبِ الدينِ وشرائِعه **(جبريلُ)** عليه السلام كما في الأحاديث السابقةِ عن جماعة من الصحابة **(على مراتب ثلاثٍ فصّله)** في تلك الأجوبةِ الصريحةِ **(جاءت)** أي الثلاثُ المراتب **(على جميعه)** أي على جميع الدين **(مشتملة)**،

---

(١) أخرجه البخاري (١/١٢٦ رقم ٥٢)، ومسلم (٣/١٢١٩ - ١٢٢١ رقم ١٠٧) من حديث النعمان بن بشير.

ولهذا سمى النبيُّ ﷺ تلك امورَ: «الدينَ» فقال: **«هذا جبريلُ أتاكم يعلمكم دينَكم»**[1].

[مرتبة الإسلام]

(الإسلام) بالخفضِ، بدلٌ مفصل من مُجملِ مراتبَ، ويقال له بدلُ بعضٍ من كل، وما بعده معطوفان عليه، **هذه هي المرتبة الأولى** في حديث عمرَ وما وافق لفظَه.

والإسلامُ لغةً: الانقيادُ والإذعانُ، **وأما في الشريعة فلإطلاقه حالتان:**

(الحالة الأولى): أن يُطلقَ على الأفراد غيرَ مقترنٍ بذكر الإيمان، فهو حينئذ يراد به الدينُ كلُّه أصولُه وفروعُه من اعتقاداته وأقوالِه وأفعالِه؛ كقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَـٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩]، وقوله: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، وقوله: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥]، وقوله تعالىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً﴾ [البقرة: ٢٠٨]، أي في كافة شرائعِه، ونحو ذلك من الآيات.

وكقوله ﷺ لما سأله معاويةُ بنُ حيدةَ: ما الإسلامُ؟ قال: **«أن تقول أسلمتُ وجهيَ لله وتخلّيت»**[2]، الحديث.

وفي حديث عمْرو بنِ عبسةَ رضي الله عنه قال: قال رجلٌ يا رسولَ الله ما الإسلامُ؟ قال: **«أن يُسلم قلبُك لله عزّ وجلّ، وأن يَسلَم المسلمون من لسانك ويدِك»**، قال: فأيُّ الإسلامِ أفضلُ؟ قال: **«الإيمان»**، قال: وما الإيمانُ؟ قال: **«تؤمن بالله وملائكتِه وكتبِه ورسلِه والبعثِ بعد الموتِ»**[3]، فجعل ﷺ الإيمانَ من الإسلام وهو أفضلُه.

---

(١) تقدم تخريجه وبيان طرقه في هذا الباب المخصّص له.

(٢) **وهو حديث حسن.**
أخرجه أحمد في «المسند» (٥/ ٤، ٥)، والنسائي (٥/ ٤ ـ ٥ رقم ٢٤٣٦) و(٥/ ٨٢ ـ ٨٣ رقم ٢٥٦٩) **وسنده حسن.**

(٣) أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (١١/ ١٢٧ رقم ٢٠١٠٧) ومن طريقه أخرجه أحمد في «المسند» (٤/ ١١٤) **بسند صحيح.**
وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ٥٩) وقال: «رواه أحمد، والطبراني في «الكبير» بنحوه، ورجاله ثقات» اهـ.

وقولِه ﷺ: «إذا أسلم العبدُ فحسُنَ إسلامُه كتب الله له كلَّ حسنةٍ كان أزلَفَها، ومُحيت عنه كلُّ سيئةٍ كان أزلَفها»[1]، الحديث.

فإن الانقياد ظاهراً بدون إيمانٍ لا يكون حُسْنَ إسلامٍ بل هو النفاق، فكيف تُكتب له حسناتٌ أو تُمحى عنه سيئاتٌ؟ ونحوُ ذلك من الأحاديث.

(الحالة الثانية): أن يُطلق مقترناً بالاعتقاد، فهو حينئذ يراد به الأعمالُ والأقوالُ الظاهرةُ؛ كقوله تعالىٰ: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ﴾ [الحجرات: ١٤] الآية.

وكقوله ﷺ لما قال له سعدٌ رضي الله عنه: ما لَكَ عن فلان، فوالله إني لأراه مؤمناً.

---

(١) **وهو حديث صحيح.**
أخرجه النسائي (٨/١٠٥ ـ ١٠٦ رقم ٤٩٩٨)، وعلّقه البخاري في صحيحه (١/٩٨ رقم ٤١) من حديث أبي سعيد الخدري.
قال الحافظ في «الفتح»: «هكذا ذكره معلقاً، ولم يوصله في موضع آخر من هذا الكتاب، وقد وصله أبو ذرّ الهروي في روايته للصحيح فقال عقبة: أخبرنا النضروي وهو العباس بن الفضل قال: حدّثنا الحسن بن إدريس، قال: حدّثنا هشام بن خالد، حدثنا الوليد بن مسلم عن مالك به.
وكذا وصله النسائي من رواية الوليد بن مسلم، حدثنا مالك، فذكره أتمّ مما هنا كما سيأتي.
وكذا وصله الحسن بن سفيان من طريق عبد الله بن نافع، والبزار من طريق إسحاق الفروي، والإسماعيلي من طريق عبد الله بن وهب.
والبيهقي في «الشعب» (١/٥٨ رقم ٢٤) من طريق إسماعيل بن أبي أويس كلهم عن مالك.
وأخرجه الدارقطني من طرق أخرى عن مالك، وذكر أن معن بن عيسى رواه عن مالك فقال: «عن أبي هريرة» بدل «أبي سعيد» وروايته شاذّة.
ورواه سفيان بن عيينة عن زيد بن أسلم عن عطاء مرسلاً.
وروِّيناه في «الخلعيات» ـ هي عشرون جزءاً في الحديث، تخريج القاضي أبي الحسين علي بن حسن الخلعي الموصلي المتوفى سنة (٤٤٨هـ) ـ وقد حفظ مالك الوصل فيه وهو أتقن لحديث أهل المدينة من غيره.
وقال الخطيب: هو حديث ثابت.
وذكر البزار أن مالكاً تفرّد بوصله» اهـ.

فقال ﷺ: «أوْ مسلمٌ»[1]، يعني أنك لم تطّلعْ على إيمانه، وإنما اطلعتَ على إسلامه من الأعمال الظاهرة.

وفي رواية النسائي[2]: «لا تقل مؤمنٌ وقل مسلمٌ»، وكحديث عمرَ هذا، وغيرِ ذلك من الآيات والأحاديث.

[مرتبة الإيمان]

(والإيمان) هذه المرتبةُ الثانيةُ في الحديث المذكورِ، والإيمانُ لغةً التصديقُ، قال إخوةُ يوسفَ لأبيهم ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾ [يوسف: ١٧] يقول بمُصدِّق، **وأما في الشريعة فلإطلاقه حالتان:**

(الحالة الأولى): أن يُطلق على الإفراد غيرَ مقترنٍ بذكر الإسلام، فحينئذ يراد به الدينُ كله، كقوله عزّ وجلّ: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧]، وقوله: ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٦٨]، وقوله تعالىٰ: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الحديد: ١٦]، وقوله: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [إبراهيم: ١١]، ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣].

وقوله ﷺ: «لا يدخل الجنةَ إلاّ نفسٌ مؤمنةٌ»[3].

ولهذا حصر الله الإيمانَ فيمن التزم الدينَ كلَّه باطناً وظاهراً في قوله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ

---

(١) أخرجه البخاري (١/ ٧٩ رقم ٢٧)، ومسلم (١/ ١٣٢ رقم ١٥٠).

(٢) في «السنن» (٨/ ١٠٣ ـ ١٠٤ رقم ٤٩٩٢) **وهو حديث صحيح.**

(٣) **وهو حديث صحيح.**

أخرجه النسائي (٥/ ٢٣٤ رقم ٢٩٥٨)، والدارمي (١/ ٣٣٢ ـ ٣٣٣) و(٢/ ٢٣٧)، وأحمد (٢/ ٢٩٩)، والحاكم (٢/ ٣٣١).

قال الحاكم: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي.

قلت: ورجاله ثقات رجال الشيخين غير المُحَرَّر بن أبي هريرة، وقد أورده ابن حبان في «الثقات» (٥/ ٤٦٠) وقال: «روى عنه الشعبي وأهل الكوفة» اهـ.

قلت: وروى عنه غيرهم من الكبار كالزهري وعطاء وعكرمة، فهو ثقة. فقول الحافظ في «التقريب» رقم (٦٥٠٠): «مقبول» غير مقبول.

وعليه، **فالإسناد صحيح، والله أعلم.**

إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال].

وقوله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحجرات: ١٥]، وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة].

وفسّرهم بمن اتّصف بذلك كلّه في قوله عزّ وجلّ: ﴿الم ﴿١﴾ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾﴾ [البقرة].

وفي قوله عزّ وجلّ: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾ [آل عمران].

وفي قوله عزّ وجلّ: ﴿۞ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [الأعراف].

وفي قوله عزّ وجلّ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ

حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾﴾ [المؤمنون].

وفي قوله عزّ وجلّ: ﴿طسٓ ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾﴾ [النمل]، وغيرِها من الآيات.

وقد فسّر الله تعالىٰ «الإيمان» بذلك كلِّه في قوله تعالىٰ: ﴿۞ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

وروى ابنُ أبي حاتم[١] أن أبا ذرّ سأل النبيَّ ﷺ: ما الإيمان؟ فتلا عليه رسولُ الله ﷺ: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾ [البقرة: ١٧٧]، إلى آخر الآية.

ثم سأله أيضاً، فتلاها عليه، ثم سأله فقال: «**إذا عَمِلْتَ حسنةً أحبها قلبُك، وإذا عمِلتَ سيئةً أبغضها قلبُك**»[٢]، رواه المسعوديُّ بنحوه.

---

(١) في تفسيره (١/ ٢٨٧ رقم ١٥٣٩) **بسند منقطع**.
وأورده ابن كثير في تفسيره (١/ ٢١٣) وقال عقبه: «وهذا منقطع فإن مجاهداً لم يدرك أبا ذر، فإنه مات قديماً» اهـ.

(٢) قال ابن كثير في «تفسيره» (١/ ٢١٣): «قال المسعودي: حدثنا القاسم بن عبد الرحمٰن قال: جاء رجل إلى أبي ذر فقال: ما الإيمان؟ فقرأ عليه هذه الآية:
﴿ليس البر أن تولوا وجوهكم﴾ [البقرة: ١٧٧]، حتى فرغ منها، فقال الرجل: ليس عن البر سألتك، فقال أبو ذر: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فسأله عمّا سألتني عليه فقرأ عليه هذه الآية، فأبى أن يرضى كما أبيت أن ترضى، فقال له رسول الله ﷺ وأشار بيده: «**المؤمن إذا عمل حسنة سرّته ورجا ثوابها، وإذا عمل سيئة أحزنته وخاف عقابها**»، رواه ابن مردويه، **وهذا أيضاً منقطع والله أعلم**» اهـ.

وفسّره النبيُّ ﷺ بذلك كلِّه في حديث وفْدِ عبدِ القيس في الصحيحين[1] وغيرهما، فقال: «**آمرُكم بالإيمان بالله وحدَه**»، قال: «**أتدرون ما الإيمانُ بالله وحدَهُ؟**»، قالوا: الله ورسولُه أعلمُ. قال: «**شهادةُ أنْ لا إلٰه إلاّ الله وأن محمداً رسولُ الله، وإقامُ الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيامُ رمضانَ وأن تؤدُّوا من المغنم الخُمسَ**».

وقد جعل ﷺ قيامَ رمضان إيماناً واحتساباً من الإيمان، وكذا قيامَ ليلةِ القدر، وكذا أداءَ الأمانة، وكذا الجهادُ والحجُّ واتّباع الجنائز، وغيرُ ذلك.

وفي الصحيحين[2]: «**الإيمان بِضعٌ وسبعون شُعبةً[3]، فأعلاها قولُ لا إلٰه إلاّ الله، وأدناها إماطةُ الأذى عن الطريق**»، وهذه الشعَبُ المذكورةُ في القرآن والسنةِ في مواضعَ متفرقةٍ، (منها) ما هو من قول القلبِ وعَملِه، (ومنها) ما هو من قول اللسان، (ومنها) ما هو من عمل الجوارحِ.

ولما كانت الصلاةُ جامعةً لقول القلبِ وعملِه، وقولِ اللسانِ وعملِه وعملِ الجوارحِ سماها الله تعالىٰ إيماناً في قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣]، يعني صلاتَكم كما يُعلم من سبب نزول الآية.

وروى سعيدُ بنُ منصورٍ[4] عن عبد الرحمٰن بن يزيدَ: كنا عند عبدِ الله بن

---

(١) البخاري (٨/ ٨٤ ـ ٨٥ رقم ٤٣٦٨)، ومسلم (١/ ٤٦ رقم ١٧).

(٢) البخاري (١/ ٥١ رقم ٩)، ومسلم (١/ ٦٣ رقم ٣٥).
قلت: وأخرجه أبو داود رقم (٤٦٧٦)، والترمذي رقم (٢٦١٧)، والنسائي (٨/ ١١٠)، وابن ماجه رقم (٥٧)، وأحمد في «المسند» (٢/ ٤٤٥) كلهم من حديث أبي هريرة.

(٣) الشُّعبة بضم الشين هي القطعة. والمراد منها في الحديث: الخصلة أو الجزء، أي إنَّ الإيمان ذو خصال متعدّدة. وقد لخَّصها الحافظ ابن حجر وأوردها في «الفتح» (١/ ٥٢ ـ ٥٣).
وقد صنّف العلماء في تعيين هذه الشعب كتباً كثيرة.
(منها): «المنهاج» لأبي عبد الله الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم البخاري الجرجاني الحَليمي المتوفى سنة (٤٠٣هـ).
ثم حذا حذوه وزاد عليه ورتّبه الإمام أبو بكر البيهقي، المتوفى سنة (٤٥٨هـ).
ثم اختصره أبو المعالي عمر بن عبد الرحمٰن القزويني، المتوفى سنة (٦٩٩هـ).

(٤) في «سننه» (٢/ ٥٤٤ رقم ١٨٠) بسند رجاله ثقات، إلاّ أن فيه الأعمش مدلس ولم يصرِّح بالسماع هنا. =

مسعودٍ فذكرنا أصحابَ محمدٍ ﷺ وما سبقونا به، فقال عبدُ الله: إن أمرَ محمدٍ ﷺ كان بيّناً لمن رآه، والذي لا إله غيرُه ما آمن أحدٌ قطُّ إيماناً أفضلَ من إيمانٍ بالغيب، ثم قرأ: ﴿الٓمٓ ۝ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ ـ إلى قوله ـ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [البقرة: ١ ـ ٥]، والآياتُ والأحاديثُ في هذا الباب يطول ذكرُها، وإنما أشرنا إلى طرف منها يدلّ على ما وراءه، وبالله التوفيق.

وهذا المعنى هو الذي قصده السلفُ الصالح بقولهم رحمهم الله تعالىٰ: إن الإيمانَ اعتقادٌ وقولٌ وعملٌ، وإن الأعمالَ كلَّها داخلةٌ في مسمى الإيمان.

وحكى الشافعي[١] على ذلك إجماعُ الصحابة والتابعين ومَن بعدهم ممن أدركهم. وأنكر السلف على من أخرج الأعمالَ عن الإيمان إنكاراً شديداً، وممن أنكر ذلك على قائله وجعله قولاً مُحْدَثاً ممن سُمّيَ لنا سعيدُ بنُ جُبير، وميمونُ بنُ مُهرانَ، وقتادةُ، وأيوبُ السَّخْتيانيُّ، والنَّخَعيُّ، والزُّهريُّ، وإبراهيمُ، ويحيى بنُ أبي كثير، والثوريُّ، والأوزاعيُّ، وعمرُ بنُ عبد العزيز وغيرُهم.

قال الثوري: هو رأيٌ مُحْدَثٌ، أدركْنا الناسَ على غيره. وقال الأوزاعيُّ: كان مَن مضى من السلف لا يفرقون بين العملِ والإيمان[٢].

وكتبَ عمرُ بنُ عبدِ العزيز إلى الأمصار: أما بعدُ، فإن الإيمانَ فرائضُ وشرائعُ فمن استكملها استكملَ الإيمانَ، ومن لم يَستكْملها لم يستكمل الإيمانَ[٣].

= وللحديث شاهد عند سعيد بن منصور رقم (١٨١) فهو به حسن لغيره.
قلت: وأخرج حديث عبد الله بن مسعود ابن أبي حاتم في تفسيره (١/ ٣٤ ـ ٣٥ رقم ٦٦)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٢٦٠).
وأحمد بن منيع كما في «المطالب العالية» (٣/ ٦٩ رقم ٢٨٩٩)، وابن منده في «الإيمان» (٢/ ٣٧١ رقم ٢٠٩).
قال الحاكم: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي.
وخلاصة القول: أن الحديث حسن لغيره، والله أعلم.

(١) قال ابن كثير في «مناقب الإمام الشافعي» (ص١٩٤ رقم ٢٢٣): «وقد نقل الطبري عن الإمام الشافعي أنه حكى الإجماع على ذلك، كما حكاه غيره من الأئمة».
(٢) ذكره ابن رجب الحنبلي في «جامع العلوم والحكم» (١/ ١٠٤).
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه تعليقاً (١/ ٤٥).
ووصله ابن أبي شيبة في «المصنف» (١١/ ٤٩)، وفي «الإيمان» رقم (١٣٥) **بسند صحيح.**

وهذا المعنى هو الذي أراد البخاريُّ إثباته في كتاب الإيمانِ[1]، وعليه بوَّب أبوابَه كلَّها فقال: «بابُ أمورِ الإيمان»[2] و«باب الصلاةُ من الإيمان»[3] و«بابُ الزكاةُ من الإيمان»[4]، و«بابُ الجهادُ من الإيمان»[5] و«بابُ حبُّ الرسول ﷺ من الإيمان»[6] و«بابُ الحياءُ من الإيمان»[7] و«باب قيامُ ليلة القدر من الإيمان»[8] و«باب قيامُ رمضانَ من الإيمان»[9] و«باب صومُ رمضان احتساباً من الإيمان»[10] و«باب اتّباعِ الجنائز من الإيمان»[11] و«باب أداءِ الخمس من الإيمان»[12] وسائرُ أبوابِه.

وكذلك صنع النَّسائيُّ في المجتبى[13]، وبوَّب التِّرمِذيُّ[14] على حديث وفد عبدِ القيس «باب ما جاء في إضافة الفرائضِ إلى الإيمان».

وكلامُ أئمةِ الحديثِ وتراجُمهم في كتبهم يطول ذكرُه وهو معلومٌ مشهور، ومما قصدوه بذلك الردُّ على أهلِ البدعِ ممن قال هو مجردُ التصديقِ فقط كابن الروانْديِّ[15] ومن وافقه من المعتزلة وغيرِهم، إذ على هذا القول يكون اليهودُ

---

(١) (١/ ٤٥ رقم الكتاب ٢).
(٢) (١/ ٥٠ رقم الباب ٣).
(٣) (١/ ٩٥ رقم الباب ٣٠).
(٤) (١/ ١٠٦ رقم الباب ٣٤).
(٥) (١/ ٩٢ رقم الباب ٢٦).
(٦) (١/ ٥٨ رقم الباب ٨).
(٧) (١/ ٧٤ رقم الباب ١٦).
(٨) (١/ ٩١ رقم الباب ٢٥).
(٩) (١/ ٩٢ رقم الباب ٢٧).
(١٠) (١/ ٩٢ رقم الباب ٢٨).
(١١) (١/ ١٠٨ رقم الباب ٣٥).
(١٢) (١/ ١٢٩ رقم الباب ٤٠).
(١٣) (٨/ ٩٣ ـ ١٢٦ رقم الأبواب من ١ ـ ٣٣).
(١٤) في «السنن» (٥/ ٨ ـ ٩ رقم ٢٦١١)، ورقم الباب (٥).
(١٥) هو أحمد بن يحيى بن إسحاق العالم ـ الملحد المشهور ـ من أهل مرو الروذ سكن بغداد، وكان من الفضلاء في عصره، ومن متكلمي المعتزلة، ثم فارقهم وصار ملحداً زنديقاً، له نحو من مائة وأربعة عشر كتاباً، وله مجالس ومناظرات مع جماعة من علماء الكلام وقد انفرد بمذاهب، وكان يلازم أهل الإلحاد، فإذا عوتب في ذلك، قال: إنما =

الذين أقرُّوا برسالة محمدٍ ﷺ واستيقنوها ولم يتبعوه مؤمنين بذلك، وقد نفى الله الإيمانَ عنهم.

وقال جهمُ بنُ صَفْوانَ وأتباعُه: هو المعرفةُ بالله فقط. وعلى هذا القول ليس على وجهِ الأرضِ كافرٌ بالكلية إذ لا يجهل الخالقَ سبحانه أحدٌ. وما أحسنَ ما قاله العلامةُ ابنُ القيِّم رحمه الله في نونيّته الكافيةِ الشافية[1]:

قـالـوا: وإقـرارُ الـعـبـادِ بـأنـه	خَـلاّقـهـم هـو مـنـتـهـى الإيـمـانِ
والـنـاسُ فـي الإيـمـان شـيءٌ واحـدٌ	كـالـمُـشـط عـنـد تـمـاثُـل الأسـنـان
فـاسـأل أبـا جـهـلٍ وشـيـعـتـه ومَـن	والاهـمُـو مـن عـابـدي الأوثـان
وسـل الـيـهـودَ وكـلَّ أقـلـفَ مـشـركٍ	عـبـدَ الـمـسـيـحَ مـقـبِّلِ الـصُّـلـبـان
واسـأل ثـمـودَ وعـادَ بـل سـل قـبـلـهـم	أعـداءَ نـوحٍ أمَّـةَ الـطـوفـان
واسـأل أبـا الـجـنِّ الـلـعـيـنَ أتـعـرف الـ	ـخـلاقَ أم أصـبـحـت ذا نُـكـران
واسـأل شـرارَ الـخـلـقِ أقـبـحَ أمـةٍ	لـوطـيـة هـم نـاكـحـو الـذُكـران
واسـأل كـذاك إمـامَ كـلِّ مـعـطِّـلٍ	فـرعـونَ مـع قـارونَ مـع هـامـان
هـل كـان فـيـهـم مـنـكـرٌ لـلـخـالـق	الـربِّ الـعـظـيـمِ مـكـوِّن الأكـوان
فـلـيـبـشُـروا مـا فـيـهِـمُـو مـن كـافـر	هـم عـنـد جَـهْـمٍ كـامـلـو الإيـمـان

وقالت المُرْجئة[2] والكرّامية[3]: الإيمانُ هو الإقرارُ باللسان دون عَقدِ القلب،

= أريد أن أعرف مذهبهم، ثم إنه كاشف وناظر.
وذكر الطبري أنه كان لا يستقر على مذهب ولا يثبت على حال، وقيل: إنه تاب عند موته مما كان منه وأظهر الندم، واختلف في زمان وفاته؛ قال ابن خلكان: سنة (٢٤٥هـ) وعمره أربعون سنة. وقال ابن النجار: سنة (٢٩٨هـ)، وفي «كشف الظنون»: سنة (٤٠١هـ). [(التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول) لصدِّيق حسن خان (ص٣٠٣)].

(١) انظر: «شرح القصيدة النونية» المسماة «الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية» شرحها وحققها: د. محمد خليل هراس (١/ ٢٨ ـ ٣٠).

(٢) **المرجئة**: من أوائل الفرق التي تنتسب إلى الإسلام في الظهور، وقد احتلّت مكاناً واسعاً في أذهان الناس، وفي إهتمام العلماء بأخبارهم وبيان معتقداتهم. [انظر «فرق معاصرة للعواجي» (٢/ ٧٤٣ ـ ٧٩٢)].

(٣) تقدم التعريف بها.

فيكون المنافقون على هذا مؤمنين، وقد قال تعالىٰ فيهم: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ - إلى قوله - وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾ [التوبة: ٨٤ - ٨٥]، وغيرُ ذلك من الآيات، وهم قد نطقوا بالشهادتين بألسنتهم فقط، وكذّبهم الله عزّ وجلّ في دعواهم في غير موضعٍ من القرآن. وقال آخرون: التصديقُ بالجَنان والإقرارُ باللسان. وهذا القولُ مُخرِجٌ لأركان الإسلامِ الظاهرةِ المذكورةِ في حديث جبريلَ، وهو ظاهرُ البطلان.

وذهب الخوارجُ[1] والعلافُ ومن وافقهم إلى أنه الطاعةُ بأسرها فرضاً كانت أو نفلاً، وهذا القولُ مصادم لتعليم النبيِّ ﷺ لوفود العربِ السائلين عن الإسلام والإيمان. وكلما يقول[2] له السائل في فريضة: هل عليَّ غيرها؟ قال: «**لا، إلاّ أن تطَّوَّع شيئاً**»[3].

وذهب الجبائيُّ[4] وأكثرُ المعتزلةِ البصْريةِ إلى أنه الطاعاتُ المفروضةُ من الأفعال والتروكِ دون النوافل. وهذا أيضاً يُدخل المنافقين في الإيمان وقد نفاه الله عنهم. وقال الباقون منهم: العملُ والنطقُ والاعتقادُ. والفرقُ بين هذا وبين قولِ السلفِ الصالح أن السلفَ لم يجعلوا كلَّ الأعمال شرطاً في الصحة، بل جعلوا

(١) **الخوارج**: فرقة خرجت على علي رضي الله عنه، ويلقب الخوارج بالحرورية والنواصب والمارقة والشراة والبغاة، وهم الذين يكفرون أصحاب الكبائر، ويقولون أنهم مخلدون في النار، ووجوب الخروج على أئمة الجور، وهم يكفرون عثمان وعلي وطلحة والزبير وعائشة رضي الله عنهم. انظر: «الفصل في الملل والأهواء والنحل» (٢/ ١٣٢)، و«اعتقادات فرق المسلمين والمشركين» (ص١٥٠)، و«المقالات» (١/ ٨٦)، و«فرق معاصرة» للعواجي (١/ ٦٣ - ١٢٣).

(٢) كذا في الأصل والأَوْلى: (قال).

(٣) أخرجه البخاري (١/ ١٠٦ رقم ٤٦)، ومسلم (١/ ٤٠ - ٤١ رقم ١١).

(٤) هو محمد بن عبد الوهاب بن سلام الجُبَّائي أبو علي، من أئمة المعتزلة، ورئيس علماء الكلام في عصره، وإليه نسبة الطائفة «الجبائية»، له مقالات وآراء انفرد بها في المذهب. نسبته إلى جبى (من قرى البصرة) اشتهر في البصرة، ودفن بجبى. له «تفسير» حافل مطول، ردَّ عليه الأشعري. ولد سنة خمس وثلاثين ومائتين، ومات سنة ثلاث وثلاثمائة.
[«الأعلام للزركلي» (٦/ ٢٥٦)، و«اللباب في تهذيب الأنساب» لابن الأثير (١/ ٢٥٥ - ٢٥٦)].

كثيراً منها شرطاً في الكمال كما قال عمرُ بنُ عبد العزيز[1] فيها: من استكملها استكمل الإيمانَ، ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمانَ. والمعتزلةُ جعلوها كلَّها شرطاً في الصحة، والله أعلم.

و(**الحالة الثانية**) أن يُطلق الإيمانُ مقروناً بالإسلام، وحينئذ يفسَّر بالاعتقادات الباطنةِ كما في حديث جبريلَ هذا وما في معناه، وكما في قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [النساء: ٥٧] في غير ما موضع من كتابه، وكما في قول النبيّ ﷺ في دعاء الجنازة: «**اللّهمّ من أحييتَه منا فأحْيِه على الإسلام، ومن توفَّيته منا فتوفَّه على الإيمان**»[2]، وذلك أن الأعمالَ بالجوارح، وإنما يتمكّن منها في الحياة فأما عند الموتِ، فلا يبقى غيرُ قول القلبِ وعملِه.

وكحديث أنسٍ عند أحمدَ[3] عن النبيّ ﷺ قال: «**الإسلامُ عَلانيةٌ، والإيمانُ في القلب**».

والحاصلُ أنه إذا أُفرد كلٌّ من الإسلام والإيمانِ بالذكر، فلا فرق بينهما حينئذ، بل كلٌّ منهما على انفراده يشمل الدينَ كلَّه، وإن فُرق بين الاسمين كان الفرقُ بينهما بما في هذا الحديثِ الجليل، والمجموعُ مع الإحسانِ هو الدين كما سمّى النبيُّ ﷺ ذلك كلَّه ديناً، وبهذا يحصُل الجمعُ بين هذا الحديثِ وبين الأحاديثِ التي فيها تفسيرُ الإيمانِ بالإسلام، والإسلامِ بالإيمان، وبذلك جمع بينه وبينها أهلُ العلم.

---

(١) تقدم تخريج الأثر قريباً.

(٢) **وهو حديث صحيح.**
أخرجه أحمد (٢/ ٣٦٨)، والترمذي (٣/ ٣٤٣ رقم ١٠٢٤)، وأبو داود (٣/ ٥٣٩ رقم ٣٢٠١)، وابن ماجه (١/ ٤٨٠ رقم ١٤٩٨)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» رقم (١٠٨٠)، وابن حبان رقم (٧٥٦ ـ موارد)، والحاكم (١/ ٣٥٨) من طرق.
قال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي، وهو كما قالا.

(٣) في «المسند» (٣/ ١٣٤ ـ ١٣٥).
قلت: وأخرجه البزار رقم (٢٠ ـ كشف)، وأبو يعلى في «المسند» (٥/ ٣٠١ ـ ٣٠٢ رقم ١٦٨/ ٢٩٢٣) وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ٥٢) وقال: «رواه أحمد، وأبو يعلى بتمامه، والبزار مختصراً، ورجاله رجال الصحيح ما خلا علي بن مسعدة، وقد وثقه ابن حبان، وأبو داود الطيالسي، وأبو حاتم، وابن معين، وضعَّفه آخرون» اهـ.
وخلاصة القول أن الحديث ضعيف، والله أعلم.

قال ابنُ رجبٍ[1] رحمه الله: «وأما وجهُ الجمعِ بين هذه النُّصوص وبين حديثِ سؤالِ جبريلَ عليه السَّلام عن الإسلام والإيمانِ، وتفريقِ النبيِّ ﷺ بينهما وإدخالِه الأعمالَ في مُسمَّى الإسلام دون الإيمان فإنه يتّضح بتقرير أصلٍ، وهو أن مِنَ الأسماءِ ما يكونُ شاملاً لمسمّياتٍ متعدّدة عند إفرادِه وإطلاقِه، فإذا قُرِن ذلك الاسم بغيره صار دالاً على بعض تلك المسمّياتِ، والاسمُ المقرونُ به دالاً على باقيها، وهذا كاسم الفقير والمسكينِ، فإذا أُفرد أحدُهما دخل فيه كلُّ مَن هو محتاجٌ، فإذا قُرن أحدُهما بالآخر دلّ أحدُ الاسمين على بعض أنواعِ ذوي الحاجاتِ والآخرُ على باقيها، فهكذا اسمُ الإسلامِ والإيمان إذا أُفرد أحدُهما دخل فيه الآخرُ، ودلّ بانفراده على ما يدلُّ عليه الآخَرُ بانفراده، فإذا قُرِنَ بينهما دلَّ أحدُهما على بعض ما يدلُّ عليه بانفرادِه ودلّ الآخرُ على الباقي».

قال: «وقد صرَّح بهذا المعنى جماعةٌ من الأئمةِ، قال أبو بكرٍ الإسماعيليُّ[2] في رسالته إلى أهل الجبل: قال كثيرٌ من أهلِ السنة والجماعةِ إن الإيمانَ قولٌ وعمل، والإسلامُ فعلُ ما فرض الله تعالىٰ على الإنسان أن يفعَله إذا ذكر كلُّ اسم على حِدَته مضموماً إلى الآخر، فقيل المؤمنون والمسلمون جميعاً مفردَيْنِ أريدَ بأحدهما معنىً لم يُرَد به الآخَرُ. وإذا ذُكر أحدُ الاسمين شمل الكلَّ وعمَّهم. وقد ذكر هذا المعنى أيضاً الخطابيُّ في كتابه (معالم السنن)[3] وتَبِعَهُ عليه جماعةٌ من العلماءِ من بعده».

قلت: كلامُ الخطابيِّ الذي أشار إليه ابنُ رجبٍ ذكره النوويُّ في شرح مسلم[4]، قال: قال الإمامُ أبو سليمانَ أحمدُ بنُ محمدِ بنِ إبراهيم الخطابيُّ البُسْتيُّ

---

(١) في كتابه: «جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم» (١/ ١٠٥ ـ ١٠٦).

(٢) هو الإمام الحافظ، أبو بكر أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن العباس الجرجاني الإسماعيلي، كان شيخ المحدثين في عصره، له عدة مصنفات منها: «المستخرج على الصحيحين»، توفي سنة (٣٧١هـ)».
[انظر ترجمته في: «سير أعلام النبلاء» (١٦/ ٢٩٢)].

(٣) (٥/ ٧١ ـ مع السنن).

(٤) في (١/ ١٤٤ ـ ١٤٥).

الفقيهُ الأديبُ الشافعيُّ المحققُ رحمه الله تعالىٰ في كتابه (معالم السنن): ما أكثرَ ما يغلَط الناسُ في هذه المسألةِ، فأما الزُّهريُّ فقال: الإسلامُ الكلمةُ، والإيمانُ العملُ. واحتجّ بالآية يعني قولَه عزّ وجلّ: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَـٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَـٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ﴾ [الحجرات: ١٤]، وذهب غيرُه إلى أن الإسلامَ والإيمانَ شيءٌ واحدٌ، واحتجّ بقوله تعالىٰ: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [الذاريات].

قال الخطابي: وقد تكلّم في هذا البابِ رجلان من كبراء أهلِ العلمِ، وصار كلُّ واحد منهما إلى قول من هذين، وردّ الآخرُ منهما على المتقدم وصنّف كتاباً يبلُغ عددُ أوراقِه المِئِينَ.

قال الخطابي: والصحيحُ من ذلك أن يقيد الكلامُ في هذا ولا يُطلق، وذلك أن المسلمَ قد يكون مؤمناً في بعض الأحوالِ ولا يكون مؤمناً في بعضها، والمؤمنُ مسلمٌ في جميع الأحوالِ، فكلُّ مؤمنٍ مسلمٌ وليس كلُّ مسلم مؤمناً.

وإذا حَمَلْتَ الأمرَ على هذا استقام لك تأويلُ الآياتِ واعتدل القولُ فيها ولم يختلف شيءٌ منها، وأصلُ الإيمانِ التصديقُ، وأصلُ الإسلام الاستسلام والانقيادُ، فقد يكون المرءُ مستسلماً في الظاهر غيرَ منقادٍ في الباطن، وقد يكون مصدّقاً في الباطن غيرَ منقادٍ في الظاهر.

قلت: ما رواه الخطابي عن الزهري أنه قال: الإسلامُ الكلمةُ، والإيمانُ العملُ، هذا عندي فيه نظرٌ فإنه غيرُ قيّمِ المبنى ولا واضحِ المعنى، والزهريُّ إمامٌ عظيمٌ من كبار حملةِ الشريعة لا يجهل مثلَ هذا، وليس هذه العبارةُ محفوظةً عنه من وجه يصح بهذه الحروفِ، فإن صحّ النقلُ عنه ففي الكلام تصحيفٌ وإسقاطٌ لعل الصوابَ فيه هكذا: الإسلامُ الكلمةُ والإيمانُ والعملُ، فسقطت الواو العاطفةُ للعمل على الإيمان، وهذا متعينٌ لموافقته قولِ أهل السنةِ قاطبة أن الإيمانَ اعتقادٌ وقولٌ وعملٌ.

والزهريُّ من أكبر أئمّتِهم وقد تقدم قولُه معهم فيما روى الشافعيُّ عنهم رحمهم الله تعالىٰ، ويكون عنى بالإسلام الدينَ كلَّه كما عنى غيرُه بالإيمان الدينَ

كلّه، ومما يدل على ذلك استدلالُه بالآية المذكورةِ فإنه لا يستقيم إلاّ على هذا ولا يستقيم على معنى الأوّلِ لإهمال الاعتقادِ فيه الموجودِ في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات: ١٤] الآية.

وأمّا قولُه: وذهب غيرُه إلى أن الإسلامَ والإيمان شيءٌ واحد، فهذا إن أراد بذلك الغيرَ من أهل السنة فهم لم يجعلوهما شيئاً واحداً إلاّ عند الانفرادِ وعدمِ الاقتران، لشمول أحدِهما معنى الآخر كما قدمنا، وأما عند اقترانِ أحدهما بالآخر ففرقوا بينهما بما فرق به الرسولُ ﷺ في حديث جبريلَ عليه السلام.

وإن أراد أهل البدعِ فإطلاقُ التسويةِ بينهما والاتحادِ في كل حالٍ من الأحوال هو رأيُ المعتزلة، وهم المحتجون على ذلك بآيتي الذاريات، وهو احتجاجٌ ضعيفٌ جداً، لأن هؤلاء كانوا قوماً مؤمنين، وعند أهل السنةِ أن كلَّ مؤمنٍ مسلمٌ ولا ينعكس، فاتّفق الاسمانِ هاهنا لخصوصية الحال، ولا يلزم ذلك في كل حالٍ، والله أعلم.

وقال الخطابيُّ[(١)] رحمه الله أيضاً في قول النبيِّ ﷺ: «**الإيمانُ بضعٌ وسبعون شُعبةً**»[(٢)]: في هذا الحديثِ بيانُ أن الإيمان الشرعيَّ اسمٌ لمعنىً ذي شُعَبٍ وأجزاءٍ، له أعلى وأدنى، والاسمُ يتعلق ببعضها كما يتعلق بكلّها، والحقيقةُ تقتضي جميعَ شُعبِه وتستوفي جملةَ أجزائِه، كالصلاة الشرعيةِ لها شُعَبٌ وأجزاءٌ والاسمُ يتعلق ببعضها، والحقيقةُ تقتضي جميعَ أجزائِها وتستوفيها، ويدلّ عليه قولُه ﷺ: «**الحياءُ شعبةٌ من الإيمان**»[(٣)]. وفيه إثباتُ التفاضلِ في الإيمان، وتباينُ المؤمنين في درجاته[(٤)]، انتهى.

وما أحسنَ ما قال الإمامُ أبو محمدٍ الحسينُ بنُ مسعودٍ البغَويُّ[(٥)] الشافعيُّ رحمه الله تعالىٰ في تفسير سورة البقرةِ لما ذكر هذا الحديث عند قولِه عزّ وجلّ:

---

(١) في «معالم السنن» (٥/٥٦ ـ مع السنن).
(٢) أخرجه البخاري (١/٥١ رقم ٩)، ومسلم (١/٦٣ رقم ٣٥) من حديث أبي هريرة.
(٣) وهو جزء من الحديث السابق.
(٤) في شرح مسلم للنووي (١/١٤٥).
(٥) في «معالم التنزيل» (١/٦٢).

﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ [البقرة: ٣] الآيات. قال: فالنبيُّ ﷺ جعلَ الإسلامَ في هذا الحديثِ اسماً لما ظهر من الأعمال، والإيمانَ اسماً لما بطَن من الاعتقاد، وليس ذلك لأن الأعمالَ ليست من الإيمان والتصديقَ بالقلب ليس من الإسلام، بل ذلك تفصيلٌ لجملة هي كلُّها شيءٌ واحد وجُماعُها الدينُ، ولذلك قال: «**ذاك جبريلُ أتاكم يعلمُكم دينكم**»، انتهى.

وقال الشيخُ أبو عَمْرو ابنُ الصلاحِ[1] رحمه الله تعالىٰ: قولُه ﷺ: «**الإسلامُ أن تشهد أنْ لا إلٰه إلاّ الله وأن محمداً رسولُ الله، وتقيمَ الصلاة، وتؤتيَ الزكاةَ، وتصومَ رمضانَ، وتحجَّ البيتَ إن استطعت إليه سبيلاً، والإيمانُ أن تؤمنَ بالله وملائِكته وكتبِه ورسلِه واليومِ الآخر، وتؤمنَ بالقدر خيرِه وشرِّه**».

قال: «هذا بيانٌ لأصل الإيمان وهو التصديقُ الباطنُ، وبيانٌ لأصل الإسلامِ وهو الاستسلام والانقيادُ الظاهرُ، وحكمُ الإسلامِ في الظاهر يَثبُت بالشهادتين، وإنما أضاف إليهما الصلاةَ والزكاةَ والصومَ والحجَّ لكونها أظهرَ شعائرِ الإسلام وأعظمَها، وبقيامه بها يتمّ استسلامُه، وتركُه لها يُشعِرُ بانحلال قيدِ انقيادِه أو اختلالِه.

ثم إن اسمَ الإيمانِ يتناول ما فُسِّر به الإسلامُ في هذا الحديثِ وسائرُ الطاعات لكونها ثمراتِ التصديق الباطنِ الذي هو أصلُ الإيمانِ ومقوِّياتِ ومُتمِّماتِ وحافظاتِ، ولهذا فَسَّر ﷺ الإيمانَ في حديث وفْدِ عبدِ القيسِ[2] بالشهادتين والصلاةِ والزكاةِ وصومِ رمضانَ وإعطاءِ الخُمسِ من المغنم، ولهذا لا يقع اسمُ المؤمنِ المُطلقِ على من ارتكب كبيرةً أو تركَ فريضةً لأن اسمَ الشيءِ مُطْلَقاً يقع على الكل منه، ولا يُستعمل في الناقص ظاهراً إلاَّ بقيد، ولذلك جاز إطلاقُ نَفْيِه عنه في قوله ﷺ: «**لا يسرِقُ السارقُ حين يسرِقُ وهو مؤمنٌ**»[3]، واسمُ الإسلامِ

---

(١) في كتابه «صيانة صحيح مسلم من الإخلالِ والغَلط وحمايته من الإسقاطِ والسَّقطِ» (ص١٣١ ـ ١٣٣)، وذكره النووي في شرحه لمسلم (١/ ١٤٧ ـ ١٤٨).

(٢) أخرجه البخاري (١/ ١٢٩ رقم ٥٣)، ومسلم (١/ ٤٦ رقم ١٧/٢٣) من حديث ابن عباس.

(٣) أخرجه البخاري (٥/ ١١٩ رقم ٢٤٧٥)، ومسلم (١/ ٧٦ رقم ٥٧) من حديث أبي هريرة.

يتناول أيضاً ما هو أصلُ الإيمانِ وهو التصديقُ الباطنُ، ويتناول أصلَ الطاعات، فإن ذلك كلَّه استسلامٌ. قال: فخرج مما ذكرناه وحققناه أن الإيمانَ والإسلامَ يجتمعان ويفترقان، وأن كلَّ مؤمنٍ مسلمٌ وليس كلُّ مسلمٍ مؤمناً.

قال: وهذا تحقيقٌ وافٍ بالتوفيق بين متفرِّقاتِ نصوصِ الكتابِ والسنةِ الواردةِ في الإيمان والإسلامِ التي طالما غَلِط فيها الخائضون، وما حققناه من ذلك موافقٌ لمذهب جماهيرِ العلماءِ من أهل الحديثِ وغيرِهم»، انتهى.

وقال ابنُ رجبِ الحنبليُّ[1] رحمه الله تعالىٰ في الكلام على هذا الحديثِ: «وقد تقدَّم أن الأعمالَ تدخُل في مسمى الإسلامِ ومسمَّى الإيمانِ أيضاً، وذكرنا ما يدخُل في ذلك من أعمال الجوارحِ الظاهرة، ويدخُل في مسمَّاها أيضاً أعمالُ الجوارحِ الباطنةِ.

فيدخلُ في أعمال الإسلامِ إخلاصُ الدينِ لله تعالىٰ، والنصحُ له ولعباده، وسلامةُ القلبِ لهم من الغِشِّ والحسَدِ والحقدِ، وتوابعُ ذلك من أنواع الأذى، ويدخُل في مسمَّى الإيمان وجَلُ القلوبِ من ذكر الله عزّ وجلّ، وخشوعُها عند سماعِ ذكرِه وكتابِه، وزيادةُ الإيمانِ بذلك وتحقيقُ التوكّلِ على الله عزّ وجلّ، وخوفُ الله سرّاً وعلانية، والرّضا بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ رسولاً، واختيارُ تلَفِ النفوسِ بأعظم أنواعِ الآلامِ على الكفر، واستشعارُ قُربِ الله من العبد ودوامُ استحضارِهِ، وإيثارُ محبةِ الله ورسولِه على محبة ما سواهما، والحبُّ في الله والبغضُ فيه والعطاءُ له والمنعُ له، وأن يكون جميعُ الحركاتِ والسكَناتِ له، وسماحةُ النفوسِ بالطاعة المالية والبدنية، والاستبشارُ بعمل الحسناتِ والفرَحُ بها، والمَساءةُ بعمل السيّئاتِ والحُزْنُ عليها، وإيثارُ المؤمنين لرسول اللّهِ ﷺ على أنفسهم وأموالِهم وكثرة الحياءِ وحسنُ الخلق، ومحبةُ ما يحبه لنفسه لإخوانه المؤمنين، ومواساةُ المؤمنين خصوصاً الجيرانَ، ومعاضدةُ المؤمنين ومناصرتُهم والحزنُ بما يُحزنهم».

ثم ساق من النصوص في ذلك جملةً وافيةً، قال: «والرّضا بربوبية الله تعالىٰ

---

(١) في كتابه «جامع العلوم والحكم» (١/١١٦، ١١٨ ـ ١١٩).

تتضمن الرضا بعبادته وحده لا شريكَ له، والرِّضا بتدبيره للعبد واختيارِه له، والرِّضا بالإسلام ديناً يتضمّن اختيارَه على سائر الأديان، والرِّضا بمحمد ﷺ رسولاً يتضمن الرّضا بجميع ما جاء به من عند الله وقبولَ ذلك بالتَّسليم والانشراح، كما قال تعالىٰ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥]»، انتهى.

ونصوصُ الكتابِ والسنةِ، وأقوالُ أئمةِ الدينِ ـ سلفاً وخلفاً ـ في هذا البابِ يطول ذكرُها.

ثم اعلم يا أخي أرشدنا الله وإياك أن التزامَ الدينِ الذي تكون به النجاةُ من خِزْي الدنيا وعذابِ الآخرة، وبه يفوز العبدُ بالجنّة ويُزحزَحُ عن النار إنّما هو ما كان على الحقيقة في كل ما ذكر في حديث جبريلَ وما في معناه من الآيات والأحاديث.

وما لم يكن منه على الحقيقة ولم يظهر منه ما يناقضه أُجْرِيَت عليه أحكامُ المسلمين في الدنيا ووُكِلَت سريرتُه إلى الله تعالىٰ. قال الله عزّ وجلّ: ﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا الزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾ [التوبة: ٥]،.

وفي الآية الأخرى: ﴿فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى الدِّينِ﴾ [التوبة: ١١]، وغيرها من الآيات.

وقال رسولُ الله ﷺ لأسامةَ في قتله الجُهَنيِّ بعد أن قال لا إلٰه إلاّ الله، فقال رسول الله ﷺ: **«أقال لا إلٰه إلاّ الله وقتلْتَه؟»** قال: قلتُ: يا رسولَ الله إنما قالها خوفاً من السلاح؟ قال: **«أفلا شققْتَ عن قلبه حتى تعلمَ أقالها أم لا؟»** الحديثُ بطوله في الصحيحين[١]، من طرق بألفاظ، وفي بعضها[٢]: فقال: يا رسولَ الله استغفرْ لي، قال: **«وكيف تصنع بلا إلٰه إلاّ الله إذا جاءت يوم القيامة»**.

---

(١) البخاري (٧/٥١٧ رقم ٤٢٦٩) و(١٢/١٩١ ـ ١٩٢ رقم ٦٨٧٢)، ومسلم (١/٩٦ ـ ٩٧ رقم ٩٦).
(٢) مسلم (١/٩٧ ـ ٩٨ رقم ٩٧).

ولما أنْ استأذنه عمرُ ﷺ في قتل الرجلِ الذي انتقد عليه حُكْمَه ﷺ في قَسمه الذُّهَيْبَةَ، قال: **«معاذ الله أن يتحدّث الناسُ أني أقتل أصحابي»**[1]، وقال له خالدُ بنُ الوليدِ ﷺ فيه: يا رسولَ الله ألا أضرب عنقَه؟ فقال: **«لعلّه أن يكون يصلي»**. قال خالد: وكم من مصلٍّ يقول بلسانه ما ليس في قلبه. فقال رسولُ الله ﷺ: **«إني لم أُؤمَرْ أن أنقبَ عن قلوب الناس ولا أشُقَّ بطونهم»**. الحديث في الصحيحين[2] أيضاً من طرق بألفاظ.

وفي صحيح البخاري[3] عن أنسِ بنِ مالكٍ ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«أُمِرْتُ أن أقاتلَ الناسَ حتى يقولوا لا إلَه إلاّ الله، فإذا قالوها وصلّوا صلاتَنا واستقبلوا قِبْلَتنا وذبحوا ذبيحتَنا فقد حرمت علينا دماؤُهم وأموالُهم إلاّ بحقها، وحسابُهم على الله عزّ وجلّ»**.

وفي رواية عن أنس نفسِه وله حكمُ المرفوع[4] - بل قد رفعه النَّسائي[5] كما سيأتي -: **«من شهد أن لا إله إلاّ الله واستقبل قِبْلَتنا وصلّى صلاتَنا وأكَلَ ذبيحتَنا فهو المسلم، له ما للمسلم وعليه ما على المسلم»**.

ورواه أبو داود[6] في الجهاد بلفظ: **«أُمِرت أن أقاتلَ الناسَ حتى يشهدوا أن لا إله إلاّ الله وأن محمداً عبدُه ورسولُه وأن يستقبلوا قِبْلَتنا وأن يأكلوا ذبيحتَنا وأن يصلوا صلاتَنا، فإذا فعلوا ذلك حَرُمَت علينا دماؤُهم وأموالُهم إلاّ بحقها، لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين»**.

وفي رواية[7]: **«أُمِرتُ أن أقاتل المشركين»** بمعناه، ورواه النسائي[8] في

---

(١) البخاري (٨/ ٦٤٨ رقم ٤٩٠٥)، ومسلم (٤/ ١٩٩٨ - ١٩٩٩ رقم ٢٥٨٤).
(٢) البخاري رقم (٤٠٩٤ - البغا)، ومسلم (٢/ ٧٤١ - ٧٤٢ رقم ١٠٦٤).
(٣) (١/ ٤٩٧ رقم ٣٩٢).
(٤) البخاري (١/ ٤٩٧ رقم ٣٩٣) موقوفاً.
(٥) في «السنن» (٧/ ٧٥ رقم ٣٩٦٦) و(٧/ ٧٦ رقم ٣٩٦٧) وهو حديث صحيح، و(٨/ ١٠٩ رقم ٥٠٠٣)، وهو حديث صحيح.
(٦) في «السنن» (٣/ ١٠١ رقم ٢٦٤١) وهو حديث صحيح.
(٧) أخرجها أبو داود (٣/ ١٠٢ رقم ٢٦٤٢) وهو حديث صحيح.
(٨) في «السنن» (٧/ ٧٥ - ٧٦ رقم ٣٩٦٦) وهو حديث صحيح.

تحريم الدم، ولفظُه قال: «**أمرت أن أقاتلَ الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلاّ الله وأن محمداً رسولُ الله، فإذا شهدوا أنْ لا إله إلاّ الله وأن محمداً رسولُ الله واستقبلوا قِبلتَنا وأكلوا ذبيحتَنا وصلوا صلاتَنا فقد حرُمت علينا دماؤهم وأموالُهم إلاّ بحقها، لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم**».

وفيه[1] قولُ ميمونَ بنِ سياه لأنس بنِ مالكٍ: يا أبا حمزةَ ما يُحرِّم دمَ المسلم ومالَه؟ فقال: من شهد أن لا إله إلاّ الله وأن محمداً رسولُ الله واستقبل قبلتَنا وصلّى صلاتَنا وأكل ذبيحتنا فهو مسلمٌ له ما للمسلمين وعليه ما على المسلمين.

ورفعه[2] في كتاب الإيمانِ عن أنس، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**من صلّى صلاتنا واستقبل قبلتَنا وأكل ذبيحتنا فذلكم المسلم**»، ورواه الترمذي أيضاً[3].

وفي الصحيحين وغيرِهما عن أبي هريرةَ[4] وعبدِ الله بنِ عمرَ[5] رضي الله عنهم: قال رسولُ الله ﷺ: «**أُمرتُ أن أقاتلَ الناسَ حتى يشهدوا أن لا إله إلاّ الله وأن محمداً رسولُ الله ويقيموا الصلاةَ ويؤتوا الزكاةَ، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءَهم وأموالَهم إلاّ بحق الإسلامِ وحسابُهم على الله عزّ وجلّ**».

وفي موطأ مالكٍ[6] ومسندِ أحمدَ[7] بسند جيد: عن عبيد الله بنِ عديٍّ بنِ الخيار: «أن رجلاً من الأنصار حدثه أنه أتى رسولَ الله ﷺ وهو في مجلس فسارَّه

---

(١) أي سنن النسائي (٧/ ٧٦ رقم ٣٩٦٨) موقوفاً.
(٢) أي النسائي في «السنن» (٨/ ١٠٩ رقم ٥٠٠٣) **وهو حديث صحيح**.
(٣) في «السنن» (٥/ ٤ رقم ٢٦٠٨) وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه.
قلت: وأخرجه البخاري مرفوعاً (١/ ٤٩٦ رقم ٣٩١).
(٤) أخرجه البخاري (٣/ ٢٦٢ رقم ١٣٩٩)، ومسلم (١/ ٥٢ رقم ٢١).
(٥) أخرجه البخاري (١/ ٧٥ رقم ٢٥)، ومسلم (١/ ٥٣ رقم ٢٢).
(٦) (١/ ١٧١ رقم ٨٤).
وقال الزرقاني في شرحه للموطأ (١/ ٣٥٠): «أرسله جميع رواة الموطأ إلاّ روح بن عبادة فرواه عن مالك موصولاً فقال: عن رجل من الأنصار، ورواه الليث وابن أخي الزهري عن الزهري، مثل رواية روح عن مالك سواء، ورواه صالح بن كيسان وأبو أويس عن الزهري عن عطاء عن عبيد الله عن عبد الله بن عدي الأنصاري فسمى الرجل المبهم، ذكره ابن عبد البر وأسند هذه الطرق كلّها» اهـ.
(٧) في «المسند» (٥/ ٤٣٣) **بسند صحيح**.

يستأذنه في قتل رجل من المنافقين فجهر رسولُ الله ﷺ فقال: **«أليس يشهد أن لا إلٰه إلاّ الله؟»**، فقال الأنصاريُّ: بلى يا رسول الله، ولا شهادة له. قال رسول الله ﷺ: **«أليس يشهد أن محمداً رسولُ الله؟»** قال: بلى يا رسولَ الله، قال: **«أليس يصلّي؟»**، قال: بلى يا رسولَ الله ولا صلاةَ له. فقال رسول الله ﷺ: **«أولئك الذين نهاني الله عن قتلهم»**.

وفي الباب عن جماعة من الصحابة أحاديثُ من الصحاح والحِسانِ وفيما ذكرنا كفاية.

وأمر الله رسولَه ﷺ في القرآن بالإعراض عن المنافقين في غير ما موضع مع إخباره بصفاتهم وتعريفِه بسيماهم وعلاماتِهِم، ولم يقتُل النبيُّ ﷺ أحداً منهم، وأَجْرى عليهم في الدنيا أحكامَ المسلمين الظاهرةَ، وكانوا يخرُجون معه للحجّ والجهادِ والصلاةِ وغيرِ ذلك ويُقيم الحدودَ عليهم، غير أنه نُهيَ عن الصلاة عليهم والاستغفارِ لهم، والله أعلم.

[مرتبة الإحسان]

(والإحسان) هذه المرتبةُ الثالثةُ من مراتب الدين في هذا الحديثِ. والإحسانُ لغةً إجادةُ العملِ وإتقانه وإخلاصُه. وفي الشريعة هو ما فسّره النبيُّ ﷺ بقوله: **«أن تعبُدَ الله كأنك تراه فإن لم تكُ تراه فإنه يراك»**[1]، وسيأتي إن شاء الله تعالىٰ بحثُه والنصوصُ فيه عند ذكرِه في آخر هذا الفصل.

والمقصودُ أنه ﷺ فسّر الإسلامَ هنا بالأقوال والأعمالِ الظاهرة، وفسّر الإيمانَ بالأقوال والأعمالِ الباطنة، والإحسانُ هو تحسينُ الظاهرِ والباطنِ، ومجموعُ ذلك هو الدينُ، والكلُّ من هذه المراتبِ **(مبنيٌّ على أركان)** لا قِوامَ له إلاّ بقيامها، وسنتكلم على كل منها إجمالاً وتفصيلاً، ونُحيل ما قُدّم بيانُه منها على موضعه إن شاء الله.

---

(١) سيأتي تخريجه قريباً.

[أركان الإسلام الخمسة، وهي على قسمين قولية، وعملية]

(فقد أتى: الإسلامُ «مبنيٌ على خمسٍ» فحقِّق وادرِ ما قد نُقِلا)
(أولُها الركنُ الأساسُ الأعظمُ وهو الصراطُ المستقيمُ الأقومُ)
(ركنُ الشهادتين فاثبُتْ واعتصمْ بالعروة الوثقى التي لا تنفصِمْ)
(وثانياً إقامةُ الصلاةِ وثالثاً تأديةُ الزكاةِ)
(والرابعُ الصيامُ فاسمعْ واتَّبعْ والخامسُ الحجُّ على من يستطعْ)

وهذه أركانُ المرتبة الأولى مرتبةِ الإسلام، وهي على قسمين: قوليةٌ وعمليةٌ.

فالقوليةُ الشهادتان، والعمليةُ الباقي. وهي ثلاثةُ أقسامٍ: بدنيةٌ وهي الصلاةُ والصومُ، وماليةٌ وهي الزكاةُ، وبدنيةٌ ماليةٌ وهو الحجُّ.

وقول القلبِ وعملُه شرطٌ في ذلك كلِّه كما تقدَّم. والنصوصُ في هذه الأمورِ الخمسةِ كثيرةٌ جداً، وهي على نوعين: قسمٌ شاملٌ لجميعها، وقسمٌ يَخُصُّ كلَّ خَصلةٍ منها.

فلنبدأْ بالقسم الأولِ ما تيسَّر منه على حِدَته، والقسمُ الثاني مع حلِّ ألفاظِ المتنِ إن شاء الله تعالى.

فمن ذلك حديثُ جبريلَ[(١)] السابقُ ذكرُه عن الجمّ الغفيرِ من الصحابة والتابعين فمن بعدهم.

ومنها حديثُ وفْدِ عبدِ القيس[(٢)] وقد تقدم أيضاً.

ومنها حديثُ ابنِ عمرَ ﵄ في الصحيحين[(٣)] وغيرِهما قال: سمعتُ رسولَ اللّهِ ﷺ يقول: «**بُنيَ الإسلامُ على خمس: شهادةِ أنْ لا إله إلا اللّهُ وأن محمداً رسولُ الله، وإقامِ الصلاة، وإيتاءِ الزكاة، وحجِّ البيت، وصوم رمضانَ**»، فقال له رجلٌ: والجهادُ في سبيل الله؟ فقال ابنُ عمرَ: الجهادُ حسنٌ. هكذا حدثنا رسولُ الله ﷺ.

---

(١) تقدم تخريجه وهو حديث صحيح.
(٢) تقدم تخريجه. وهو حديث صحيح.
(٣) البخاري (٤٩/١ رقم ٨)، ومسلم (٤٥/١ رقم ١٦).

ومنها حديثُ جريرِ بنِ عبدِ الله رضي الله عنه عند أحمدَ[1] وغيرِه قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«بُنيَ الإسلامُ على خمس: شهادةِ أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسولُ الله، وإقامِ الصلاة، وإيتاءِ الزكاة، وحجِّ البيت، وصومِ رمضانَ»**، وإسنادُه صحيحٌ.

ومن ذلك حديثُ أنسِ بنِ مالكٍ رضي الله عنه قال: «كنا نُهينا أن نسألَ رسولَ الله ﷺ عن شيء، فكان يُعجبنا أن يجيءَ الرجلُ من أهل الباديةِ العاقلُ فيسأله ونحن نسمع، فجاء رجلٌ من أهل البادية فقال: يا محمدُ، أتانا رسولُك فزعَم لنا أنك تزعُم أن اللَّهَ تعالى أرسلك، قال ﷺ: **«صدَق»**، قال: فمن خلق السماءَ؟ قال: **«اللَّهُ»**، قال: فمن خلق الأرضَ؟ قال: **«اللَّهُ»**، قال: فمن نصب هذه الجبالَ وجعل فيها ما جعل؟ قال: **«اللَّهُ»**، قال: فبالذي خلق السماءَ وخلق الأرضَ ونصب هذه الجبالَ آللَّهُ أرسلك؟ قال ﷺ: نعم.

قال: فزعم رسولُك أنَّ علينا خمسَ صلواتٍ في يومنا وليلتِنا، قال ﷺ: **«صدَق»**. قال: فبالذي أرسلك آللَّهُ أمرك بهذا؟ قال: **«نعم»**. قال: وزعَم رسولُك أن علينا صومَ شهرِ رمضانَ في سنتنا، قال ﷺ: **«نعم صدق»**. قال: فبالذي أرسلك آللَّهُ أمرك بهذا؟ قال ﷺ: **«نعم»**. قال: وزعم رسولُك أن علينا حجَّ البيتِ من استطاع إليه سبيلاً، قال ﷺ: **«صدَق»**، قال: ثم ولَّى فقال: والذي بعثك بالحق نبياً لا أَزيد عليهن شيئاً ولا أنقُص منهن شيئاً، فقال النبي ﷺ: **«لئن صدق ليدخُلَن الجنةَ»**، رواه الجماعة[2] وهذا لفظُ أحمدَ.

---

(١) في «المسند» (٤/ ٣٦٣) و (٤/ ٣٦٤).
قلت: وأخرجه الطبراني في «الكبير» رقم (٢٣٦٣)، وفي «الصغير» (٢/ ٨) **بسند صحيح**.
وأخرجه الطبراني في «الكبير» رقم (٢٣٦٨) ورقم (٢٣٦٤) وأبو يعلى في «المسند» (١٣/ ٤٩٠ رقم ٢/ ٧٥٠٣) **بسند ضعيف**.
وأورده الهيثمي في «المجمع» (١/ ٤٧): «رواه أحمد، وأبو يعلى، والطبراني في «الكبير» و «الصغير»، وإسناد أحمد صحيح» اهـ.
ويشهد له من حديث ابن عمر المتقدم.
وخلاصة القول أن الحديث صحيح لغيره، والله أعلم.

(٢) البخاري (١/ ١٤٨ ـ ١٤٩ رقم ٦٣) ومسلم (١/ ٤١ ـ ٤٢ رقم ١٢) وأبو داود (١/ ٣٢٦ رقم ٤٨٦) والنسائي (٤/ ١٢٢ ـ ١٢٣ رقم ٢٠٩٢) وابن ماجه (١/ ٤٤٩ رقم ١٤٠٢) وأحمد في المسند (٣/ ١٦٨).

وفي رواية[1] قال: «آمنتُ بما جئتَ به، وأنا رسولُ مَن ورائي من قومي»، قال: «وأنا ضمامُ بنُ ثَعلبةَ أخو بني سعدِ بنِ بكرٍ».

وفي الصحيحين[2] وغيرِهما عن طلحةَ بنِ عبيدِ الله: «أن أعرابياً جاء إلى رسول اللَّهِ ﷺ ثائرَ الرأسِ فقال: يا رسولَ الله أخبِرْني ماذا فرَض اللَّهُ عليَّ من الصلاة؟ فقال: «**الصلواتِ الخمسَ، إلا أن تطوَّع شيئاً**»، فقال: أخبرني ما فرض الله عليَّ من الصيام، فقال: «**شهرَ رمضانَ، إلا أن تَطوع شيئاً**»، فقال: أخبرني بما فرض اللَّهُ عليَّ من الزكاة، قال: فأخبره رسولُ الله ﷺ بشرائع الإسلام. قال: والذي أكرمك لا أتطَوَّعُ شيئاً ولا أنقُص مما فرض اللَّهُ عليَّ شيئاً. فقال رسولُ الله ﷺ: «**أفلح إنْ صدق. أو دخل الجنةَ إن صدق**»، هذا لفظُ البخاريِّ في كتاب الصوم.

وله[3] عن أبي أيوبَ ﷺ: «أن رجلاً قال للنبي ﷺ: أخبِرْني بعمل يُدخِلُني الجنةَ، قال: **مالَهُ مالَهُ**». وقال النبيُّ ﷺ: «**أرَبٌ مالَهُ، تعبُد اللَّهَ ولا تشركُ به شيئاً، وتقيمُ الصلاةَ، وتؤتي الزكاةَ، وتصِلُ الرحِمَ**»، ورواه مسلمٌ[4] وغيرُه.

ولهما[5] عن أبي هريرةَ ﷺ: «أن أعرابياً أتى النبيَّ ﷺ فقال: دُلَّني على عمل إذا عمِلْتُه دخلتُ الجنة، قال: **تعبُد اللَّهَ لا تشرك به شيئاً، وتقيمُ الصلاةَ المكتوبةَ، وتؤدّي الزكاةَ المفروضةَ، وتصومُ رمضان**». قال: والذي نفسي بيده لا أَزيد على هذا. فلمَّا ولَّى قال النبيُّ ﷺ: «**من سرَّه أن ينظُرَ إلى رجل من أهل الجنةِ فلينظُرْ إلى هذا**».

وفي حديث ابنِ المُنتفقِ ﷺ في وِفادته على رسول الله ﷺ قال: «قلتُ ثنتان أسألك عنهما: ما يُنجيني من النار، وما يُدخِلني الجنة؟ قال: فنظر رسولُ الله ﷺ إلى السماء ثم نكس رأسَه ثم أقبل عليَّ بوجهه قال: «**لئن كنتَ أوجزْتَ في المسألة**

---

(١) عند البخاري (١/١٤٨ رقم ٦٣).
(٢) البخاري (٤/١٠٢ رقم ١٨٩١)، ومسلم (١/٤٠ ـ ٤١ رقم ١١).
(٣) أي للبخاري: (٣/٢٦١ رقم ١٣٩٦).
(٤) في صحيحه (١/٤٢ ـ ٤٣ رقم ١٣).
(٥) البخاري (٣/٢٦١ رقم ١٣٩٧)، ومسلم (١/٤٤ رقم ١٤).

لقد أعظمتَ وأطْوَلْتَ، فاعقِلْ عني إذاً: اعبُدِ اللَّهِ لا تشرك به شيئاً، وأقم الصلاةَ المكتوبةَ، وأدِّ الزكاةَ المفروضةَ، وصُمْ رمضانَ، وما تُحب أن يفعلَه بك الناسُ فافعل بهم، وما تكره أن يأتيَ إليك الناسُ فذَرِ الناسَ منه»، رواه أحمدُ[١].

وفي رواية[٢]: «**لئن كنتَ قصَّرتَ في الخُطبة لقد أبلغتَ في المسألة، اتق اللَّهَ لا تشركْ بالله شيئاً، وتقيمُ الصلاةَ، وتؤدي الزكاةَ، وتحجُّ البيتَ، وتصومُ رمضانَ**».

ولعلَّ ابنَ المنتفق هذا هو الرجلُ المبهمُ في رواية أبي أيوبَ المتقدمةِ في الصحيح، فإن في مسلم أن ذلك الرجلَ أخذ بخِطام ناقةِ رسولِ الله ﷺ أو بزِمامها، وفي آخرها قولُ النبيِّ ﷺ: «**دَع الناقةَ**» بعد أن علّمه. وابنُ المنتفق قال: فأخذتُ بخِطام راحلةِ رسولِ الله ﷺ أو قال زمامها، وفي آخره قال ﷺ: «**خلِّ سبيلَ الراحلة**».

وفي الرواية الأخرى: «**خلِّ طريقَ الرِّكابِ**»، فيُشبه أن يكونَ هو صاحبَ القصةِ، وقد حفِظَ الصومَ والحجَّ زيادةً على ما في حديث أبي أيوبَ، ورجالُه رجالُ الصحيح[٣]، وهو السائلُ أعلمُ بجواب النبيِّ ﷺ وأوعى له وأحفظُ له وأضبطُ من غيره، واللَّهُ أعلم.

وعن رِبْعيِّ بن حِراش عن رجل من بني عامرٍ رضي الله عنه أنه استأذن على النبي ﷺ فقال: أَلِجُ؟ فقال النبيُّ ﷺ لخادمه: «**اخرجي إليه فإنه لا يُحسن الاستئذان، فقولي له فليقُل: السلامُ عليكم، أأدخُلُ**»؟ قال: فسمعتُه يقول ذلك فقلت: السلامُ عليكم أأدخُل؟ قال: فأذِنَ لي، أو قال: فدخلت فقلت: بمَ أتيتَنا به، قال: «**لم آتِكم إلا بخير، أتيتُكم بأن تعبُدوا اللَّهَ وحده لا شريكَ له**. قال شُعبةُ: وأحسَبُه قال: **وحده لا شريكَ له، وأن تَدَعوا اللاَّتَ والعُزَّى، وأن تصلُّوا بالليل والنهار خمسَ صلواتٍ، وأن تصوموا من السنة شهراً، وأن تحجُّوا البيتَ، وأن تأخذوا من مال أغنيائِكم فتردُّوها على فقرائكم**».

---

(١) في المسند (٦/ ٣٨٣) **بسند حسن**.
المغيرة بن عبد الله بن أبي عقيل اليشكري ثقة حديثه عند مسلم. وأبوه ليس بالمشهور، وإنما انفرد ابنه بالرواية عنه.

(٢) لأحمد في المسند (٣/ ٣٨٣ ـ ٣٨٤) **بسند حسن** وهو كسابقه.

(٣) انظر كلام الحافظ ابن حجر في: «فتح الباري» (٣/ ٢٦٣ ـ ٢٦٤) عن هذه المسألة.

قال فقال: فهل بقيَ من العلم شيءٌ لا تعلمه؟ قال: **«قد علمني الله عز وجل خيراً، وإن من العلم ما لا يعلمه إلا الله عز وجل:** ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ﴾ [لقمان: ٣٤]. رواه أحمدُ[١] ورجالُه ثقاتٌ أئمةٌ، وروى أبو داودَ[٢] طَرفاً منه.

وعن السدوسيِّ بنِ الخصاصية رضي الله عنه قال: أتيتُ رسولَ الله ﷺ لأبايعه، فاشترط عليَّ شهادةَ أنْ لا إله إلا اللّهُ وأن محمداً عبدُه ورسولُه، وأن أُقيم الصلاةَ، وأن أُؤدِّيَ الزكاةَ، وأن أَحُجَّ حَجّةَ الإسلام، وأن أصومَ شهرَ رمضانَ، وأن أجاهدَ في سبيل الله. فقلت: يا رسولَ الله، أما اثنتان فواللَّهِ ما أُطيقُهما: الجهادُ والصدقةُ، فإنهم زعَموا أن من ولَّى الدُّبُرَ فقد باء بغضب من الله؛ فأخاف إن حضَرتُ تلك جشعت نفسي وكرِهَت الموتَ، والصدقةُ، فوالله ما لي إلا غُنيمةٌ وعَشرُ ذَوْد، هُنّ رِسْلُ أهلي وحَمولتهُم. قال: فقبض رسولُ اللَّهِ ﷺ يدَه ثم حرك يده ثم قال: **«فلا جهاد ولا صدقة، فلمَ تدخُل الجنةَ إذاً؟»**، قال: قلت: يا رسولَ اللَّهِ أنا أبايعُك، قال: فبايعتُ عليهن كلِّهن»[٣].

وعن زياد بنِ نعيم الحضْرميِّ قال: قال رسول الله ﷺ: **«أربعٌ فرضهن الله في الإسلام، فمن جاء بثلاث لم يُغْنينَ عنه شيئاً حتى يأتيَ بهن جميعاً: الصلاة، والزكاةُ، وصيامُ شهرِ رمضانَ، وحجُّ البيت»**. رواه أحمد مرسلاً[٤] في الآياتِ الصريحةِ والأحاديثِ الصحيحةِ لا يخفى.

---

(١) في المسند (٥/ ٣٦٨ ـ ٣٦٩) **وإسناده صحيح.**
وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ٤٢ ـ ٤٣) وقال: «عند أبي داود طرف منه، وقد رواه أحمد ورجاله كلهم ثقات أئمة» اهـ.
قلت: وأخرجه البخاري في «الأدب المفرد» رقم (١٠٨٤) وابن السني في عمل اليوم والليلة» رقم (٦٦١) والنسائي في «عمل اليوم والليلة» رقم (٣١٦) **بسند صحيح.**

(٢) في السنن (٥/ ٣٦٩ رقم ٥١٧٧) **وهو حديث صحيح.**

(٣) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٢/ ٤٤ رقم ١٢٣٣) وفي «الأوسط» رقم (١١٢٦) وأحمد في «المسند» (٥/ ٢٢٤).
وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ٤٢) وقال: «رواه أحمد والطبراني في «الكبير» و «الأوسط»... ورجال أحمد موثقون».
وأخرجه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٧٩ ـ ٨٠) **وصحَّحه ووافقه الذهبي وهو كما قالا.**

(٤) في «المسند» (٤/ ٢٠٠ ـ ٢٠١) **بإسناد حسن.** لأجل ابن لهيعة. =

وعن جرير بنِ عبد الله ﷺ قال: خرجنا مع رسولِ الله ﷺ، فلما بَرزنا من المدينة إذا راكبٌ يوضع نحوَنا، فقال رسولُ الله ﷺ: **«كأن هذا الراكبَ إياكم يريد»**. قال: فانتهى الرجلُ إلينا فسلّم فردَدْنا عليه، فقال له النبيُّ ﷺ: **«من أين أقبلْتَ؟»**، قال: من أهلي وولدي وعشيرتي، قال: **«فأين تريد؟»**. قال: أريد رسولَ الله ﷺ، قال: **«فقد أصبتَه»**، قال: يا رسولَ الله علِّمني ما الإيمانُ؟ قال: **«تشهد أنْ لا إله إلا اللّهُ وأن محمداً رسولُ الله، وتقيمُ الصلاة، وتؤتي الزكاةَ، وتصومُ رمضان، وتحجُّ البيتَ»**. قال: قد أقررْتُ، قال: ثم إن بعيرَه دخلت يدُه في شبكة جُرذان فهوَى بعيرُه وهوى الرجلُ فوقع على هامته فمات، فقال رسولُ الله ﷺ: **«عليَّ بالرجل»**. فوثب إليه عمارُ بنُ ياسرٍ وحُذيفةُ فأقعداه فقالا: يا رسولَ الله قُبض الرجلُ. قال: فأعرض عنه رسولُ الله ﷺ ثم قال لهما رسولُ الله ﷺ: **«أما رأيتُما إعراضي عن الرجل، فإني رأيتُ ملكين يُدسّان في فيه من ثمار الجنة، فعلِمْتُ أنه مات جائعاً»**، ثم قال رسولُ اللّهِ ﷺ: **«هذا واللّهِ من الذين قال اللّهُ تعالى فيهم:** ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢].

ثم قال ﷺ: **«دونَكم أخاكم»**، قال: فاحتملناه إلى الماء فغسلناه وحنّطْناه وكفّناه وحملناه إلى القبر، فجاء رسولُ الله ﷺ. الحديث رواه أحمدُ[1]، وفي إسناده أبو جنابٍ[2]، مختلف فيه، والمتنُ صحيح. والأحاديثُ في هذا المعنى كثيرةٌ يطول استقصاؤها وفيما ذكرنا كفايةٌ.

= قلت: وأخرجه ابن الأثير في «أسد الغابة» (٢/ ٣٤٠ رقم ١٨١١) وقال: «أخرجه ابن منده وأبو نعيم، وقال ابن منده: ذكره ابن أبي خيثمة في الصحابة وهو تابعي قاله أبو سعيد بن يونس» اهـ.

وأورده ابن حجر في «الإصابة» (٢/ ٤٨٦) وقال: «تفرد به ابن لهيعة، وزياد بن نعيم الذي روى عنه الإفريقي تابعي باتفاق» اهـ.

وقال المنذري في «الترغيب والترهيب» (١/ ٣٨٤) بعد أن ذكر هذا الحديث: «رواه أحمد، وهو مرسل».

وخلاصة القول أن الحديث مرسل.

(١) في المسند (٣٥٩/٤) **بسند ضعيف.**

(٢) قال ابن حجر في «التقريب» رقم (٧٥٣٧): «ضَعَّفُوه لكثرةِ تدليسه» وقد عنعن في هذا الحديث. =

[الركن الأول: الشهادتان]

(أولها) أو أولُ هذه الأركانِ **(الركنُ الأساسُ الأعظمُ)**. الركنُ في اللغة: الجانبُ الأقوى، وهو بحسب ما يُطلق فيه كركن البناءِ ورُكن القوم ونحوِ ذلك، فمن الأركان ما لا يتم البناءُ إلا به، ومنها ما لا يقوم بالكلية إلا به.

وإنما قيل لهذه الخمسةِ الأمور أركانٌ ودعائمُ لقوله ﷺ: «**بُنيَ الإسلامُ على خمس**»، فشبّهه بالبنيان المركّبِ على خمس دعائمَ. وهذا الركنُ هو أصلُ الأركانِ الباقية، ولهذا قلنا **(الأساس)** الذي لا يقوم البناءُ إلا عليه، ولا يمكن إلا به ولا يحصلُ بدونه. **(الأعظم)** هذه الصيغةُ مُشعِرةٌ بتعظيم بقيةِ الأركانِ، وإنما هذا أعظمُها، فإنها كلُّها تابعةٌ له، ولا يدخُل العبدُ في شيء من الشريعة إلا به.

(وهو الصراط) الطريقُ الواضح **المستقيم)** الذي لا اعوجاجَ فيه ولا غبارَ عليه بل هو معتدلٌ جليٌّ نيّرٌ. «**الأقوم**» أي الأعدلُ، مَن سلكه أوصله إلى جنات النعيم، ومن انحرف عنه هوَى في قعر الجحيم. فإن من لم يثبُت عليه في الدنيا لم يثبُت على جسر جهنمَ يوم القيامة.

وذلك الركنُ المشارُ إليه هو **(ركن الشهادتين)** هذا من إضافة الشيءِ إلى نفسه، أي الركن الذي هو الشهادتان، وهما شهادةُ أن لا إله إلا اللَّهُ وأن محمداً رسولُ الله ﷺ، فلا يدخل العبدُ في الإسلام إلا بهما، ولا يخرج منه إلا بمناقضتهما، إما بجحودٍ لما دلّتا عليه أو باستكبار عما استلزمتاه، ولهذا لم يدعُ الرسولُ ﷺ إلى شيء قبلهما، ولم يقبل اللَّهُ تعالى ولا رسول الله ﷺ من أحد شيئاً دونهما، فبالشهادة الأولى يُعرف المعبودُ وما يجب له، وبالثانية يعرف كيف يعبُده وبأي طريقٍ يصل إليه، وكيف يؤمن بالعبادة أحدٌ قبل تعريفِه بالمعبود، وكيف يؤديها من لم يعرِف كيف أمر الله أن يُعبَد؟

ففي الشهادة الأولى توحيدُ المعبود الذي ما خلق الخلقَ إلا ليعبدوه وحده لا شريكَ له، وفي الشهادة الثانية توحيدُ الطريق الذي لا يوصَل إلى الله تعالى إلا

= وأخرجه الطبراني في «الكبير» (٢/ ٣١٩ رقم ٢٣٢٩) وفيه أبو اليقظان قال ابن معين: ليس بثقة، وأبو حمزة الثمالي هو ثابت بن أبي صفية ضعيف رافضي.

منه، ولا يقبل ديناً ممن ابتغى غيرَه ورغِب عنه، فإن عبادةَ الله تعالى التي خلق الخلقَ لها وقضى عليهم إفرادَه تعالى بها هي أمرٌ جامعٌ لكل ما يُحبه تعالى ويرضاه اعتقاداً وقولاً وعملاً، ومعرفةُ محابِّه تعالى ومرضاتِه لا تحصُل إلا من طريق الشرع الذي أرسل به رسولَه وأنزل به كتابَه: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١].

وقد قدمنا في النوع الثاني من أنواع التوحيدِ تحقيقَ الشهادتين وبيانَ تلازُمِهما وتوضيحَ نواقضِهما، وبسطنا الكلام هناك، وحرَّرنا من الأدلة ما يُغني عن الإعادة هنا.

(فاثبت) أيها العبدُ المريدُ نجاةَ نفسِه من النار، والفوزَ بالجنة، على هذا الصراط المستقيم النيِّرِ الواضحِ الجليّ، ولا تستوحشْ من قِلة السالكين، وإياك أن تنحرِف عنه فتهلِكَ مع الهالكين، فإن الله عز وجل ينادي يوم القيامة: يا آدم، فيقول: لبيك وسعديك، فيقول: أخرج بعْثَ النار، فيقول: مِن كم؟ فيقول: من كلّ ألفٍ تسعَمائة وتسعةً وتسعين، فالناجي حينئذٍ واحدٌ من ألف[1]، فاغتنم أن تكون من تلك الآحادِ، واحذرْ أن تغترَّ بجموع الضلالةِ فتكونَ من حطب جهنمَ وبئس المهاد.

(واعتصم) أي استمسك **(بالعروة)** أي بالعقد الأوثقِ في الدين، والسببِ الموصلِ إلى رب العالمين **(الوثقى)** تأنيثُ الأوثق **(التي لا تنفصم)** أي لا تنقطع، وقد تقدَّم في الكلام على لا إله إلا الله أنها هي العروةُ الوثقى، وذلك واضحٌ في قوله تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

وتقدَّم أن شهادةَ أن محمداً رسولُ اللّهِ ﷺ والإيمانَ به هو شرطٌ في الإيمان بالله، وما كان مِن شرط في الشهادة الأولى فهو شرطٌ في الثانية.

[الركن الثاني: الصلاة]

(وثانياً) من الأركان الخمسة **(إقامة الصلاة)** بجميع حقوقِها ولوازمِها. **(وثالثاً تأديةُ الزكاة)** إعطاؤها على الوجه المشروعِ، وقد تقرر اقترانُ هذين الركنينِ بالتوحيد

---

(١) يشير المؤلف رحمه الله إلى الحديث الذي أخرجه البخاري (١١/٣٨٨ رقم ٦٥٣٠) ومسلم (١/٢٠١ رقم ٢٢٢) من حديث أبي سعيد.

وتقديمُها بعده على غيرهما في غير موضع من القرآن أمراً وخبراً، قال الله تعالى: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣﴾ [البقرة]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٧].

وقال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [النور: ٥٦]. وقال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥]. وقال تعالى: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ٥].

وفي حديث معاذِ بنِ جبل[(١)] رضي الله عنه لمَّا بعثه النبيُّ ﷺ إلى اليمن قال له: **«إنك تأتي قوماً من أهلِ الكتاب فليكن أولُ ما تدعوهم إليه شهادةَ أن لا إله إلا اللَّهُ وأني رسولُ الله، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلِمْهم أن الله افترض عليهم خمسَ صلواتٍ في كل يومٍ وليلة، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن اللَّهَ افترض عليهم صدقةً تؤخذ من أغنيائهم فترُدّ في فقرائهم، فإن هم أطاعوا لذلك فإياك وكرائمَ أموالِهم، واتقِ دعوةَ المظلومِ فإنه ليس بينها وبين الله حجابٌ»**.

وفي رواية[(٢)]: **«فليكن أولُ ما تدعوهم إليه عبادةَ الله عز وجل، فإذا عرفوا اللَّهَ تعالى فأخبرهم»** الحديث. ولنذكرْ طرفاً من النصوص المتعلقةِ بالصلاة على انفرادها، ثم نذكر ما تيسَّر من نصوص الزكاة، والله المستعان.

[فضل الصلاة]

اعلم هدانا اللَّهُ وإياك أن الصلاةَ قد اشتملت على جُلّ أنواعِ العبادةِ: من الاعتقاد بالقلب، والانقيادِ، والإخلاصِ، والمحبةِ، والخشوعِ، والخضوع، والمشاهدةِ، والمراقبةِ، والإقبالِ على الله عز وجل، وإسلامِ الوجهِ له والصمود إليه، والاطّراحِ بين يديه.

---

(١) أخرجه البخاري (٣/ ٢٦١ رقم ١٣٩٥) و (٣/ ٣٥٧ رقم ١٤٩٦) و (١٣/ ٣٤٧ رقم ٧٣٧٢)، ومسلم (١/ ٥٠ ـ ٥١ رقم ٢٩، ٣٠/ ١٩).

(٢) أخرجها البخاري (٣/ ٣٢٢ رقم ١٤٥٨)، ومسلم (١/ ٥١ رقم ٣١/ ١٩).

وعلى أقوال اللسانِ وأعمالِه من الشهادتين، وتلاوةِ القرآنِ، والتسبيحِ، والتحميدِ، والتقديسِ، والتمجيدِ، والتهليل، والتكبير، والأدعيةِ، والتعوذِ، والاستغفار، والاستغاثةِ، والاستعانةِ، والافتقار إلى الله تعالى، والثناءِ عليه، والاعتذارِ من الذنب إليه، والإقرارِ بالنعم له، وسائرِ أنواعِ الذكر.

وعلى عمل الجوارحِ من الركوع والسجود والقيامِ والاعتدالِ والخفضِ والرفعِ وغير ذلك. هذا مع ما تضمنته من الشرائط والفضائل - منها الطهارةُ الحسية من الأحداث والأنجاسِ الحسية، والمعنوية من الإشراك والفحشاءِ والمنكرِ وسائرِ الأرجاس - وإسباغُ الوضوءِ على المكاره ونقلُ الخُطا إلى المساجد وانتظارُ الصلاة بعد الصلاة وغيرُ ذلك مما لم يجتمع في غيرها من العبادات.

ولهذا قال النبيُّ ﷺ: «**وجُعلت قُرَّةُ عيني في الصلاة**»[1]، ولاشتمالها على معاني الإيمان، سمَّاها اللَّهُ إيماناً في قوله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣].

وهي ثانيةُ أركانِ الإسلام في الفرْضية، فإنها فُرضَت في ليلة المعراجِ بعد عشرٍ من البعثة لم يدعُ الرسولُ ﷺ قبلها إلى شيء غير التوحيدِ الذي هو الركنُ الأول، ففُرِضت خمسين، ثم خفَّفها اللَّهُ عز وجل إلى خمس كما تواترت النصوصُ بذلك في الصحيحين[2] وغيرهما.

وهي ثانيةٌ في الذكر، فما ذكرت شرائعُ الإسلامِ في آية من الآيات أو حديثٍ من السنة إلا وبُدئ بها بعد التوحيدِ قبل غيرِها، كما في الآيات السابقة، وكما في حديث جبريلَ[3]، وحديثِ: «**بني الإسلام**»[4]، وحديثِ وفدِ عبدِ القيس[5]، وحديثِ

---

(١) **وهو حديث صحيح.**
أخرجه أحمد (٣/ ١٢٨، ١٩٩، ٢٨٥) والنسائي (٧/ ٦١ - ٦٢ رقم ٣٩٣٩ و ٣٩٤٠) والحاكم (٢/ ١٦٠) وقال: صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي. كلهم من حديث أنس.

(٢) البخاري (٧/ ٢٠١ - ٢٠٢ رقم ٣٨٨٧)، ومسلم (١/ ١٤٩ - ١٥١ رقم ١٦٤).

(٣) **وهو حديث صحيح تقدَّم تخريجه.**

(٤) **وهو حديث صحيح تقدَّم تخريجه.**

(٥) **وهو حديث صحيح تقدَّم تخريجه.**

معاذِ بن جبلٍ[1]، وحديث: «**أُمِرت أن أقاتلَ الناس**»[2]، وغيرُها مما لا يحصى.

وهي ثانيةٌ في آيات الأمر بالجهاد وفي آيات وعيدِ الكفار كما في قوله تعالى: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [التوبة: ٥] الآية، وقوله: ﴿كُلُواْ وَتَمَتَّعُواْ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُواْ لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [المرسلات].

وهي ثانيةٌ في مدح المؤمنين كما في قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾﴾ [المؤمنون].

وفي ذم الكفارِ بتركها كما في قوله عز وجل: ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ۩ ﴿٢١﴾﴾ [الانشقاق]، وقوله: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾﴾ [القيامة].

وكذا في ذم المنافقين بعدم اهتمامِهم لها كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢].

وهي ثانيةٌ في حساب العبدِ يوم القيامة كما في قوله ﷺ: «**أولُ ما يُسأل عنه العبدُ يوم القيامة صلاتُه، فإن تُقُبلتْ منه تُقُبل منه سائرُ عملِه، وإن رُدّت عليه رُدّ عليه سائرُ عملِه**»[3]. ومعنى قوله: «**أولُ ما يُسأل عنه العبدُ**» أي بعدَ التوحيد.

وهي ثانيةٌ فيما يُذكر المجرمون أنهم عوقبوا به كما في قوله تعالى: ﴿فِي جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُواْ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾﴾ [المدثر] الآيات.

---

(١) **وهو حديث صحيح تقدَّم تخريجه.**
(٢) **وهو حديث صحيح تقدَّم تخريجه.**
(٣) **وهو حديث صحيح.**
أخرجه أحمد (٥/ ٧٢، ٣٧٧) والترمذي (٢/ ٢٦٩ رقم ٤١٣) والنسائي (١/ ٢٣٢ رقم ٤٦٥) والحاكم (١/ ٢٦٣). كلهم من حديث أبي هريرة.
قال الترمذي: حديث حسن غريب من هذا الوجه. وقد رُويَ هذا الحديث من غير هذا الوجه عن أبي هريرة.
قلت: وله شاهد من حديث تميم الداري عند ابن أبي شيبة في «الإيمان» رقم (١١٢)، وابن ماجه رقم (١٤٢٦).

والنصوصُ في شأنها كثيرةٌ لا تُحصى وهي متنوعةٌ.

(فمنها): ما فيه الأمرُ بها كقوله: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، وقوله: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِۗ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُۗ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، وقوله: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء: ٧٨]، وما في معناها.

(ومنها): ما فيه بيانُ محلّها من الدين كالنصوص السابقة، وكقوله ﷺ لمعاذ: **«رأسُ الأمرِ الإسلامُ، وعمودُه الصلاةُ، وذُروةُ سنامِه الجهادُ في سبيل الله»**[1].

(ومنها): في ثواب أهلِها كقوله عز وجل: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝١١﴾ [المؤمنون].

(ومنها): ما فيه ذكرُ نجاتِهم من النار كقوله ﷺ في عُصاة الموحِّدين: **«فيعرِفونهم بآثار السجود، تأكلُ النارُ من ابن آدمَ إلا أثرَ السجود، حرَّم اللَّهُ على النار أن تأكلَ أثرَ السجود»**[2].

---

(١) **وهو حديث صحيح بطرقه.**
أخرجه أحمد (٥/ ٢٣١) والترمذي (٥/ ١١ ـ ١٢ رقم ٢٦١٦) وابن ماجه (٢/ ١٣١٤ رقم ٣٩٧٣) والنسائي في «الكبرى» كما في «التحفة» (٨/ ٣٩٩) وعبد الرزاق رقم (٢٠٣٠٣) وابن أبي شيبة في «الإيمان» رقم (١ و ٢) والبيهقي في «السنن الكبرى» (٩/ ٢٠) وهناد بن السري في الزهد رقم (١٠٩٠) والطيالسي في المسند رقم (٥٦٠) والحاكم (٢/ ٤١٢ ـ ٤١٣) والطبراني في «الكبير» (٢٠ رقم ٢٠٠ و ٢٩١ و ٢٩٤ و ٣٠٤ و ٣٠٥).
قال الترمذي: **حديث حسن صحيح.**
قلت: **وإسناده حسن.** لكن أعلّه الحافظ ابن رجب في «جامع العلوم والحكم» (٢/ ١٣٥): فقال بعد أن حكى تصحيح الترمذي: «وفيما قاله رحمه الله نظر من وجهين»:
(أحدهما): لم يثبت سماعُ أبي وائل من معاذ.
(والثاني): رواية شهر بن حوشب عن معاذ مرسلة.
قلت: رواية شهر المرسلة أخرجها أحمد (٥/ ٢٤٨): مختصراً.
وقد وصلها أحمد (٥/ ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٤٥ ـ ٢٤٦) من طرق عن شهر ثنا ابن غنم عن معاذ بن جبل به مختصراً ومطولاً.
وشهر ضعيف لسوء حفظه.
وانظر ما قاله المحدث الألباني في: «إرواء الغليل» رقم (٤١٣).

(٢) أخرجه البخاري (١٣/ ٤١٩ رقم ٧٤٣٧)، ومسلم (١/ ١٦٣ رقم ١٨٢).

(ومنها): ما فيه عقابُ تاركِها كقوله عز وجل: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ﴿٥﴾﴾ [الماعون]، وقوله تعالى: ﴿۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ﴾ [مريم: ٥٩ ـ ٦٠] الآية، وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [القلم].

(ومنها): ما فيه تكفيرُ تاركِها ونفيُ الإيمان عنه وإلحاقُه بإبليسَ، كقوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ [مريم: ٥٩ ـ ٦٠].

فإنه لو كان مضيِّعُ الصلاةِ مؤمناً لم يُشترط في توبته الإيمانُ، وقولِه: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ۗ﴾ [التوبة: ١١].

فعلّق أُخوّتَهم للمؤمنين بفعل الصلاة، فإذا لم يفعلوا لم يكونوا إخوةً للمؤمنين فلا يكونون مؤمنين، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [السجدة: ١٥]. وقوله تعالى: ﴿فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤].

وفي صحيح مسلم[(١)] عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إذا قرأ ابنُ آدمَ السجدةَ فسجد اعتزل الشيطانُ يبكي يقول: يا ويلَه** ـ وفي رواية: يا ويلي ـ **أُمر ابنُ آدمَ بالسجود فسجد فله الجنةُ، وأُمِرتُ بالسجود فأَبيتُ فليَ النار**».

وفيه[(٢)] عن جابر رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**إن بين الرجلِ وبين الشركِ والكفرِ تركَ الصلاةِ**»، ورواه الترمذي[(٣)] وقال: حسنٌ صحيح.

وله[(٤)] عن عبد الله بنِ بُريدةَ عن أبيه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**العهدُ الذي**

---

(١) (١/ ٨٧ رقم ١٣٣/ ٨١).

(٢) أي في صحيح مسلم (١/ ٨٨ رقم ١٣٤/ ٨٢).

(٣) في السنن (٥/ ١٣ رقم ٢٦١٨ و ٢٦١٩ و ٢٦٢٠).
قلت: وأخرجه أبو داود (٥/ ٥٨ رقم ٤٦٧٨) وابن ماجه (١/ ٣٤٢ رقم (١٠٧٨) **وهو حديث صحيح**.

(٤) أي للترمذي في «السنن» (٥/ ١٣ ـ ١٤ رقم ٢٦٢١) وقال: **هذا حديث حسن صحيح غريب**.
قلت: وأخرجه أحمد (٥/ ٣٤٦) والنسائي (١/ ٢٣١) وابن ماجه (١/ ٣٤٢ رقم (١٠٧٩)=

بيننا وبينهم الصلاةُ، فمن تركها فقد كفر»، قال[1] وفي الباب عن أنس ﷺ وابنِ عباسٍ، هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ غريب.

وروى الإمامُ أحمدُ[2] والنسائيُّ[3] عن مِحجَن بنِ الأدرَعِ الأسلميِّ: «أنه كان في مجلس مع النبي ﷺ فأُذِّن بالصلاة فقام النبيُّ ﷺ ثم رجع ومِحْجنٌ في مجلسه، فقال له: «**ما منعك أن تصلّيَ، ألستَ برجل مسلم؟**»، قال: بلى، ولكني صليتُ في أهلي، فقال له: «**إذا جئتَ فصلِّ مع الناس وإن كنت قد صليتَ**»، فجعل الفارقَ بين المسلم والكافرِ الصلاة. ولفظُ الحديثِ يتضمن أنك لو كنت مسلماً لصلّيتَ.

وفي المسند[4] والأربعِ السننِ[5] عن عبد الله بنِ عمْرِو بنِ العاص ﷺ عن النبي ﷺ أنه ذكر الصلاةَ يوماً فقال له: «**من حافظ عليها كانت له نوراً وبُرهاناً ونجاةً يوم القيامة، ومن لم يحافِظْ عليها لم يكن له نورٌ ولا برهانٌ ولا نجاة، وكان يوم القيامة مع قارونَ وفرعونَ وهامانَ وأُبيِّ بنِ خلَف**»، ورجالُ أحمدَ ثقاتٌ.

= والحاكم في «المستدرك» (١/ ٦ ـ ٧) وقال: **صحيح الإسناد** لا نعرف له علّة بوجه من الوجوه.
وأخرجه ابن أبي شيبة في «الإيمان» رقم (٤٦).
وهو حديث صحيح.

(١) أي الترمذي في «السنن» (٥/ ١٤).
(٢) في «المسند» (٤/ ٣٣٨) و (٥/ ٣١).
(٣) في «السنن» (٢/ ١١٢ رقم ٨٥٧).
قلت: وأخرجه مالك في «الموطأ» (١/ ١٣٢ رقم ٨) والحاكم (١/ ٢٤٤).
وهو حديث صحيح.
(٤) للإمام أحمد (٢/ ١٦٩) **بسند صحيح.**
(٥) لم يخرجه أحد من أهل السنن.
قلت: وأخرجه ابن حبان في «صحيحه» رقم (١٤٦٧) والدارمي (٢/ ٣٠١) والطحاوي في «مشكل الآثار» (٤/ ٢٢٩) **بسند صحيح.**
وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ٢٩٢) وقال: «رواه أحمد والطبراني في «الكبير» و «الأوسط» (رقم ١٧٦٧)، ورجال أحمد ثقات» اهـ.
وخلاصة القول أن الحديث صحيح، والله أعلم.

وتقدم الحديثُ الذي في البخاري[1] في صفة المسلم: «**من شهد أن لا إله إلا اللّهُ وأن محمداً رسولُ الله، واستقبل قبلَتنا، وصلَّى صلاتَنا**». الحديث.

[حكم تارك الصلاة]

وقال الترِمذيُّ[2] رحمه الله: حدثنا قُتيبةُ أخبرنا بشرُ بنُ المفضّل عن الجُريْرِيّ عن عبدِ اللّهِ بن شقيقِ العُقيليِّ قال: كان أصحابُ محمدٍ ﷺ لا يرَون شيئاً من الأعمال تركُه كفرٌ غيرَ الصلاة.

(ومنها): ما فيه التصريحُ بوجوب قتلِه، كقوله عز وجل: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [التوبة: ٥]. الآية.

وقوله ﷺ: «**أُمرتُ أن أقاتلَ الناسَ حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسولُ الله، ويقيموا الصلاةَ، ويؤتوا الزكاة**»[3]، الحديث. وغيرُ ذلك من الآيات والأحاديث.

وأما الآثار في شأنها عن الصحابة والتابعين ومَن بعدَهم فأكثرُ مِن أن تُحصَرَ، وقد أجمعوا على قتله كفراً إذا كان تركُه الصلاة عن جحود لفرضيتها أو استكبارٍ عنها وإن قال: لا إله إلا الله، لِما تقدم من الآيات والأحاديثِ السابقة، ولدخوله في التارك لدينه المفارِق للجماعة، وفي قوله ﷺ: «**من بدَّل دينَه فاقتُلوه**»[4]، فإنه بذلك يكون مرتداً مبدّلاً لدينه.

---

(١) جزء من حديث تقدَّم تخريجه.

(٢) في «السنن» (٥/ ١٤ رقم ٢٦٢٣) وقال: **هذا حديث حسن صحيح**.

قال الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١/ ٢٢٧ رقم التعليقة ٢): «ورواه الحاكم (١/ ٧) عن عبد الله بن شقسق عن أبي هريرة به. وصححه الحاكم. وقال الذهبي: **وإسناده صحيح**.

وأقول: فيه قيس بن أنيف، ولم أعرفه. وقد خالفه الترمذي فلم يذكر فيه أبا هريرة، وهو الصواب. لكني وجدت له شاهداً عن جابر بن عبد الله بنحوه.

أخرجه ابن نصر في «الصلاة» رقم (٩٤٧) **بسند حسن**».

وخلاصة القول أن الحديث صحيح، والله أعلم.

(٣) **وهو حديث صحيح تقدَّم تخريجه**.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (١٢/ ٢٦٧ رقم ٦٩٢٢).

وأما إن كان تركُه لها لا لجحود ولا لاستكبار بل لنوعِ تكاسلٍ وتهاوُنٍ كما هو حالُ كثيرٍ من الناس، فقال النوويُّ رحمه الله تعالى في شرح مسلم[1]: «قد اختلف العلماءُ فيه، فذهب مالكٌ والشافعيُّ رحمهما الله تعالى والجماهيرُ من السلف والخلَف إلى أنه لا يُكفَّر بل يُفَسّق ويستتاب، فإن تاب وإلا قتلناه حداً كالزاني المُحصَن ولكنه يُقتل بالسيف.

وذهب جماعةٌ من السلف إلى أنه يُكفَّر وهو مَرويٌّ عن عليٍّ بنِ أبي طالبٍ كرم اللّٰهُ وجهَه، وهي إحدى الروايتين عن أحمدَ بنَ حنبلٍ رحمه الله، وبه قال عبدُ الله بنُ المبارك وإسحاقُ بنُ راهُويهْ، وهو وجهُ لبعض أصحابِ الشافعيِّ رضوان الله عليه، وذهب أبو حنيفةَ وجماعة من أهل الكوفة والمُزنيُّ صاحبُ الشافعيِّ رحمهم الله تعالى إلى أنه لا يُكفر ولا يُقتل بل يُعزّر ويحبس حتى يصليَ».

قال رحمه الله[2]: «واحتج من قال بكفره بظاهر حديثِ جابرٍ: «**إن بين الرجل وبين الشركِ والكفرِ تركَ الصلاة**»[3]، وبالقياس على كلمة التوحيد.

واحتج من قال: لا يُقتل، بحديث: «**لا يحِلّ دمُ امرىءٍ مسلمٍ إلا بإحدى ثلاثٍ**»[4] وليس فيه الصلاة.

واحتج الجمهور على أنه لا يكفر بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨].

وبقوله ﷺ: «**من قال: لا إله إلا اللّٰهُ دخل الجنة، ومن مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنةَ، ولا يلقى اللّٰهَ عبدٌ بهما غيرَ شاكٍّ فيُحجب عن الجنة، وحرَّم اللّٰهُ على النار من قال: لا إله إلا الله**»[5] وغير ذلك، واحتجوا على قتله

---

(١) (٢/ ٧٠).
قلت: وانظر: «المجموع شرح المهذب» للنووي (٣/ ١٦ ـ ٢١).

(٢) أي النووي في «شرح مسلم» (٢/ ٧٠ ـ ٧١).

(٣) وهو حديث صحيح تقدَّم تخريجه.

(٤) أخرجه البخاري (١٢/ ٢٠١ رقم ٦٨٧٨) ومسلم (٣/ ١٣٠٢ رقم ١٦٧٦) من حديث عبد الله بن مسعود.

(٥) تقدَّم تخريجها جميعاً.

بقوله تعالى: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ﴾ [التوبة: ٥].

وقوله ﷺ: «**أُمرتُ أن أقاتلَ الناسَ حتى يقولوا: لا إله إلا الله ويقيموا الصلاةَ ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءَهم وأموالَهم**»[١]، وتأولوا قولَه ﷺ: «**بين العبد وبين الكفر تركُ الصلاة**»[٢] على أنه يستحق بترك الصلاةِ عقوبةَ الكافرِ وهي القتلُ، أو أنه محمولٌ على المُستحِلّ، أو على أنه قد يَؤُول به إلى الكفر، أو أن فِعلَه فِعلُ الكفارِ واللَّهُ أعلمُ». انتهى كلامه.

وقد قدمنا في شروط لا إله إلا الله وفي بيان مراتبِ الدينِ وفي بيانِ أنواعِ الكفرِ ما فيه غُنيةٌ، وذكرنا هنا ما تيسَّر من النصوص في شأنها.

وقد بسط الحافظُ ابنُ القيم في «كتاب «الصلاة»[٣] الكلام على هذه المسألةِ بسطاً حسناً فليُراجَع.

[الركن الثالث: الزكاة]

وأما الزكاةُ فقد ذكرها في نصوص الصلاةِ وغيرِها، ومما يتعلق بها على انفرادها قولُه عز وجل: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١٠٣].

وقولُه في صفات عبادِه المؤمنين: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ﴾ [المؤمنون: ٤]، وقولُه تعالى في ذم الكفار ووعيدِهم: ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝٦ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [فصلت: ٦ ـ ٧]. وإن كانت هذه الآيةُ في زكاة النفوسِ فهي عامةٌ لزكاة الأموالِ أيضاً وقد فُسّرتْ بها، وقولُه تعالى في وعيد مانعيها مطلقاً: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٣٤ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ۝٣٥﴾ [التوبة].

---

(١) **تقدَّم تخريجه وهو حديث صحيح.**

(٢) تقدَّم تخريجه.

(٣) عنوانه: «كتاب الصلاة وحكم تاركها، وسياق صلاة النبي ﷺ من حين كان يكبِّر إلى أن يفرغ منها» ط: دار الكتب العلمية. بدون تحقيق.

يوضح ذلك الحديثَ الذي فيه: «**ما أديتَ زكاتَه فليس بكنز**»[1].

وفي الصحيح[2] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**ما من صاحب ذهبٍ ولا فضة لا يؤدِّي منها حقَها إلا إذا كان يوم القيامة صُفحت له صفائحُ[3] من نار[4] فأُحميَ عليها في نار جهنمَ فيكوى بها جنبُه وجبينُه وظهرُه، كلما برَدت أُعيدت له في يوم كان مقدارُه خمسين ألفَ سنة، حتى يُقضى بين العباد فيُرى سَبيلَهُ إما إلى الجنة وإما إلى النار.**

قيل: يا رسول الله فالإبلُ؟ قال: «**ولا صاحبِ إبلٍ لا يؤدي منها حقَها، ومن حقها حلْبُها يوم وِرْدِها، إلا إذا كان يوم القيامة بُطح لها بقاعٍ قَرْقرٍ[5] أوفرَ ما كانت، لا يفقِد منها فصيلاً واحداً، تطَأُه بأخفافها وتعَضُّه بأفواهها، كلما مرّ عليه أُولاها أُعيد عليه أخراها[6]**

---

(١) أخرجه أبو داود في «السنن» (٢/ ٢١٢ - ٢١٣ رقم ١٥٦٤) من حديث أم سلمة بسند **ضعيف منقطع**. وفيه ثلاث علل:
الأولى: الانقطاع بين عطاء ابن أبي رباح وأم سلمة فإنه لم يسمع منها.
الثانية: ثابت بن عجلان مختلف فيه.
الثالثة: عتاب بن بشير صدوق يخطئ.
وللحديث شاهد أخرجه ابن ماجه (١/ ٥٦٩ رقم ١٧٨٧) والبيهقي في «السنن الكبرى» (٤/ ٨٢) وعلّقه البخاري (٣/ ٢٧١ رقم ١٤٠٤) مختصراً وإسناده صحيح وهو وإن كان موقوفاً فهو في حكم المرفوع، لأنه في أسباب النزول، وذلك لا يكون إلا بتوقيف من الرسول ﷺ. وانظر: «الصحيحة» رقم (٥٥٩).
وخلاصة القول أن حديث أم سلمة حسن بهذا الشاهد، والله أعلم.

(٢) في صحيح مسلم (٢/ ٦٨٠ رقم ٩٨٧).
قلت: وأخرجه البخاري (٣/ ٢٦٧ رقم ١٤٠٢) بلفظ مقارب.

(٣) الصفائح جمع صفيحة. وهي العريضة من حديد وغيره. أي جعلت كنوزه الذهبية والفضية كأمثال الألواح.

(٤) يعني: كأنها نار، لا أنها نار.

(٥) **بطح**: قال جماعة: معناه ألقي على وجهه. وقال القاضي: ليس من شرط البطح كونه على الوجه، وإنما في اللغة بمعنى البسط والمدّ. فقد يكون على وجهه، وقد يكون على ظهره، ومنه سميت بطحاء مكة لانبساطها.
والقاع: المستوي الواسع من الأرض، يعلوه ماء السماء فيمسكه. قال الهروي: وجمعه قيعة وقيعان. مثل جار وجيرة وجيران.
والقرقر: المستوي أيضاً من الأرض، الواسع.

(٦) هكذا في جميع الأصول، في هذا الموضع. =

في يوم كان مقدارُه خمسين ألفَ سنةٍ، حتى يُقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النارِ.

قيل: يا رسولَ الله فالبقرُ والغنمُ؟ قال: **ولا صاحبِ بقرٍ ولا غنمٍ لا يؤدي منها حقها، إلا إذا كان يوم القيامة بُطح لها بقاعٍ قرقرٍ لا يفقِد منها شيئاً، ليس فيها عقْصاءُ ولا جلْحاءُ ولا عضْباءُ**[1]**، تنطَحُه بقرونها وتطأه بأظلافها، كلما مرَّ عليه أُولاها رُدّ عليه أُخراها في يوم كان مقداره خمسينَ ألفَ سنةٍ، حتى يُقضىَ بين العباد فيرى سبيلَه إما إلى الجنة وإما إلى النار»** الحديث بطوله.

وفيه[2] عن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«ما من صاحب إبلٍ ولا بقرٍ ولا غنم لا يؤدي حقَها إلا أُقعد لها يومَ القيامة بقاعٍ قرقرٍ تطأه ذاتُ الظِلْف بظِلْفها وتنطَحه ذاتُ القَرْنِ بقَرنها، ليس فيها يومئذ جَمَّاء ولا مكسورةُ القَرن»** الحديث.

وفيه[3]: **«ولا من صَاحِب مالٍ لا يُؤدي زكاتَها إلا تحوّل يوم القيامة شِجاعاً أقْرَعَ يتبع صاحبَه حيثما ذهب وهو يفِرّ منه ويقال هذا مالكُ الذي كنت تبخل به. فإذا رأى أنه لا بد منه أدخل يده في فيه فجعل يقضَمُها كما يقضَم الفحلُ»**.

وفيه[4] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبيُّ ﷺ: **«ولا يأتي أحدُكم يوم القيامة بشاة يحمِلها على رقبته لها يَعارٌ، فيقول: يا محمد، فأقول: لا أملِك لك شيئاً قد بلّغت، ولا يأتي أحدُكم ببعير يحمله على رقبته له رُغاءٌ فيقول: يا محمد، فأقول: لا أملِك لك شيئاً قد بلّغتُ»**[5].

= قال القاضي عياض: قالوا: هو تغيير وتصحيف. وصوابه ما جاء بعده في الحديث الآخر **كلما رد عليه أخراها، رد عليه أولاها**. وبهذا ينتظم الكلام.

(١) قال أهل اللغة:
العقصاء: ملتوية القرنين.
والجلحاء: التي لا قرن لها.
والعضباء: التي انكسر قرنها الداخل.

(٢)(٣) أي في صحيح مسلم (٢/ ٦٥٨ رقم ٢٨/ ٩٨٨).

(٤) أي في الصحيح. أخرجه البخاري (٣/ ٢٦٧ رقم ١٤٠٢).

(٥) وهذا وإن كان وارداً في الغلول وعقوبته فهو في الزكاة كذلك إذ الجزاء من جنس العمل، والله تعالى أعلم. اهـ مؤلفه.

وفيه[1] عنه رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«من آتاه الله مالاً فلم يؤدِّ زكاتَه مُثِّل له يوم القيامة شُجاعاً أقرعَ له زَبيبتان[2] يُطوّقه يوم القيامة، ثم يأخذ بلِهْزِمَتَيه[3] - يعني شدْقيه - ثم يقول: أنا مالُك، أنا كنزُك.** ثم تلا: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾ [آل عمران: ١٨٠] الآية.

وفيه[4] عن خالدِ بنِ أسلَم قال: خرجنا مع عبد الله بنِ عمرَ رضي الله عنهما، فقال أعرابيٌّ: أخبرني عن قول الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة: ٣٤].

قال ابنُ عمر: مَن كنزها فلم يؤدِّ زكاتَها فويلٌ له، إنما كان هذا قبل أن تنزِلَ الزكاة، فلما أُنزلت جعلها اللَّهُ تعالى طُهرةً للأموال.

وقد ثبتت البَيعةُ عليها بعد الصلاة كما قال البخاريُّ رحمه الله تعالى[5]: «بابُ البيعةِ على إيتاء الزكاة[6]: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾ [التوبة: ١١].

حدثنا ابنُ نُميرٍ قال: حدثني أبي قال: حدثنا إسماعيلُ عن قيسٍ قال: قال جريرُ بنُ عبد الله رضي الله عنه: بايعتُ رسولَ الله ﷺ على إقامِ الصلاة وإيتاءِ الزكاة والنُصحِ لكل مسلم»[7]، والنصوصُ فيها كثيرةٌ، وفي ما تقدم كفايةٌ.

---

(١) أي في صحيح البخاري (٨/ ٢٣٠ رقم ٤٥٦٥) و (٣/ ٢٦٨ رقم ١٤٠٣).

(٢) الزبيبتان: هما الزبدتان في الشدقين. وقيل: هما النكتتان السوداوان فوق عينيه. والشُّجاع: بالضم والكسر: الحية.

(٣) اللَّهْزمة: عظم ناتئ في اللَّحْي، تحت الأُذن، وهما لهزمتان.

(٤) أي في صحيح البخاري (٣/ ٢٧١ رقم ١٤٠٤) **بسند صحيح.**
وقد أخرجه ابن ماجه (١/ ٥٦٩ رقم ١٧٨٧) والبيهقي في «السنن الكبرى» (٤/ ٨٢) موقوفاً.
قلت: وإن كان موقوفاً على ابن عمر فهو في حكم المرفوع لأنه في أسباب النزول. وذلك لا يكون إلا بتوقيف من الرسول ﷺ.
وقد تقدم الكلام عليه.

(٥) في صحيحه (٣/ ٢٦٧).

(٦) الباب رقم (٢).

(٧) أخرجه البخاري (٣/ ٢٦٧ رقم ١٤٠١)، ومسلم (١/ ٧٥ رقم ٥٦).

[حكم مانع الزكاة]

وأما حكمُ تاركِها فإن كان منعُه إنكاراً لوجوبها فكافرٌ بالإجماع بعد نصوصِ الكتابِ والسنة، وإن كان مُقِراً بوجوبها وكانوا جماعةً ولهم شوكةٌ قاتلهم الإمامُ لِما في الصحيحين[1] عن أبي هريرة ﷺ قال: لما تُوفيَ رسولُ الله ﷺ وكان أبو بكر ﷺ وكفَر من كفر من العرب فقال عمرُ: كيف تقاتل الناسَ وقد قال رسولُ الله ﷺ: «**أُمرتُ أن أقاتلَ الناسَ حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فمن قالها فقد عصم مني مالَه ونفسَه إلا بحقه وحسابُه على الله عز وجل**»؟ فقال: واللَّهِ لأقاتِلنَّ من فرَّق بين الصلاةِ والزكاة، فإن الزكاةَ حقُّ المال، ولو منعوني عَناقاً كانوا يؤدونها إلى رسول اللَّهِ ﷺ لقاتلتُهم على منعها، قال عمرُ ﷺ: فواللَّهِ ما هو إلا أن شرح اللَّهُ صدرَ أبي بكرٍ ﷺ فعرَفتُ أنه الحقُّ، ـ وفي رواية ـ: فوالله ما هو إلا أن رأيتُ اللَّهَ قد شرحَ صدرَ أبي بكرٍ للقتال، فعلِمتُ أنه الحقُّ.

وهذا الذي استنبطه أبو بكر ﷺ مصرَّحٌ به في منطوق الأحاديثِ الصحيحةِ المرفوعةِ، كحديث عبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ[2] ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**أُمرتُ أن أقاتلَ الناسَ حتى يشهدوا أن لا إله إلا اللَّهُ وأن محمداً رسولُ اللَّهِ ويُقيموا الصلاةَ ويُؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصَموا مني دماءَهم وأموالَهم إلا بحقِّها وحسابُهم على الله عز وجل**»، وغيره من الأحاديث.

وقد جهَّز النبيُّ ﷺ خالدَ بنَ الوليد لغزْوِ بني المُصطلِقِ حين بلغه أنهم منعوا الزكاةَ ولم يكن ما بلغه عنهم حقاً، فروى الإمامُ أحمدُ[3] قال: حدثنا محمدُ بنُ سابقٍ حدثنا عيسى بنُ دينارٍ حدثني أبي أنه سمع الحارثَ بنَ ضِرارٍ الخُزاعيَّ ﷺ يقول: قدِمتُ على رسولِ الله ﷺ فدعاني إلى الإسلام فدخلتُ فيه وأقرَرْتُ به،

---

(١) البخاري (١٣/ ٢٥٠ رقم ٧٢٨٤، ٧٢٨٥)، ومسلم (١/ ٥١ رقم ٣٢/ ٢٠).

(٢) أخرجه البخاري (١/ ٧٥ رقم ٢٥)، ومسلم (١/ ٥٣ رقم ٢٢).

(٣) في «المسند» (٤/ ٢٧٩) **بسند حسن**.

وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٠٨ ـ ١٠٩) وقال: «رواه أحمد، والطبراني إلا أنه قال: الحارث بن سرار بدل ضرار، ورجال أحمد ثقات» اهـ.

قلت: ترجم الحافظ في «الإصابة» رقم (١٤٣٢): الحارث بن أبي ضرار.

ودعاني إلى الزكاة فأقررتُ بها وقلت: يا رسول الله أرجِعُ إليهم فأدعوهم إلى الإسلام وأداء الزكاة، فمن استجاب لي جمعتُ زكاتَه، وتُرسلُ إليَّ يا رسولَ الله رسولاً إبّانَ كذا وكذا ليأتِيَك بما جمعتُ من الزكاة. فلما جمع الحارث الزكاةَ ممن استجاب له وبلَغ الإبّانَ الذي أرادَ رسولُ الله ﷺ أن يبعَثَ إليه احتبس عليه الرسولُ ولم يأتِه، وظن الحارثُ أنه قد حدَث فيه سَخطةٌ من الله تعالى ورسولِ الله ﷺ، فدعا بسَرَوات قومِه فقال لهم: إن رسولَ الله ﷺ كان وقّت لي وقتاً يُرسل إليَّ رسولَه ليقبِضَ ما كان عندي من الزكاة وليس من رسول اللّهِ ﷺ الخُلْفُ، ولا أرى حبْسَ رسوله إلا من سَخْطةٍ، فانطلِقوا نأتي رسولَ الله ﷺ.

وبعث رسولُ الله ﷺ الوليدَ بنَ عُقبةَ إلى الحارث ليقبِضَ ما كان عنده مما جمع من الزكاة، فلما أن سارَ الوليدُ حتى بلغ بعضَ الطريق فرِقَ - أي خاف - فرجع حتى أتى رسولَ الله ﷺ فقال: يا رسولَ الله إن الحارثَ قد منعني الزكاةَ وأراد قتلي، فغضِب رسولُ الله ﷺ وبعث البعثَ إلى الحارث رضي الله عنه وأقبلَ الحارثُ بأصحابه حتى إذا استقبل البعثَ وفصلَ عن المدينة لقِيَهم الحارثُ فقالوا: هذا الحارثُ فلما غشِيَهم قال لهم: إلى من بُعثتم؟ قالوا إليك. قال: ولم؟ قالوا: إن رسول الله ﷺ بعث إليك الوليدَ بنَ عقبةَ فزعم أنك منعتَه الزكاةَ وأردتَ قتلَه. قال رضي الله عنه: لا والذي بعث محمداً ﷺ بالحق ما رأيتُه بتةً ولا أتاني. فلما دخل الحارثُ على رسول اللّهِ ﷺ قال: منعتَ الزكاةَ وأردتَ قتلَ رسولي، قال رضي الله عنه: لا والذي بعثك بالحق ما رأيتُه ولا أتاني ولا أقبلتُ إلا حين احتبس عليَّ رسولُ رسولِ الله ﷺ، خشِيتُ أن يكون كانت سخطةً من الله تعالى ورسولِه ﷺ. قال: فنزلت الحُجرات: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ - إلى قوله - ﴿حَكِيمٌ﴾ [الحجرات: ٦ - ٨].

ورواه ابنُ أبي حاتم[١] عن المنذر بنِ شاذانَ التّمارِ عن محمد بنِ سابقٍ به.
ورواه الطبرانيُّ[٢] من حديث محمدِ بنِ سابق به.

---

(١) في تفسيره (١٠/ ٣٣٠٣ رقم ١٨٦٠٨).
وانظر تفسير ابن كثير: (٤/ ٢٢٣ - ٢٢٤).
(٢) في «المعجم الكبير» (٣/ ٢٧٤ - ٢٧٥ رقم ٣٣٩٥).

وقال ابنُ جرير[1] رحمه الله تعالى: حدثنا أبو كُريبٍ حدثنا جعفرُ بنُ عونٍ عن موسى بنِ عُبيدةَ عن ثابتٍ مولى أمِّ سلمةَ ﵂ قالت: بعث رسولُ الله ﷺ رجلًا في صدقات بني المصطلِقِ بعد الوقيعةِ، فسمع بذلك القومُ فتلقَّوه يعظمون أمرَ رسولِ اللَّهِ ﷺ، قالت: فحدثه الشيطانُ أنهم يريدون قتلَه، قالت: فرجع إلى رسول الله ﷺ فقال: إن بني المُصطلِق قد منعوني صدقاتِهم. فغضِب رسولُ الله ﷺ والمسلمون، قالت: فبلغ القومَ رجوعُه فأتَوا رسولَ اللَّهِ ﷺ فصفّوا له حين صلى الظهرَ فقالوا: نعوذ بالله من سَخَط اللَّهِ وسَخطِ رسولِه، بعثتَ إلينا رجلًا مصدِّقاً فسررنا بذلك وقرَّت به أعيُننا، ثم إنه رجع من بعض الطريقِ فخشِينا أن يكون ذلك غضباً من الله تعالى ومن رسوله ﷺ. فلم يزالوا يكلمونه حتى جاء بلالٌ فأذّن، بصلاة العصرِ، قالت: ونزلت: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦].

وروى ابنُ جريرٍ[2] عن ابن عباس ﵄ في هذه الآية قال: كان رسولُ الله ﷺ بعث الوليدَ بنَ عُقبةَ بن أبي مُعَيطٍ إلى بني المصطَلِق ليأخذ منهم الصدقات، وأنهم لما أتاهم الخبرُ فرِحوا وخرجوا يتلقَّونه رجع الوليدُ إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسولَ الله إن بني المُصطلِق قد منعوا الصدقة، فغضب رسولُ الله ﷺ من ذلك غضباً شديداً، فبينما هو يحدث نفسَه أن يغزُوَهم إذ أتاه الوفدُ فقالوا: يا رسولَ الله إنا حُدثنا أن رسولَك رجع من نصف الطريقِ، وإنا خشِينا أنما ردَّه كتابٌ جاء منك لغضب غضِبْتَه علينا، وإنا نعوذ بالله من غضبه وغضبِ رسولِه، وإن النبيَّ ﷺ استغشّهم وهمَّ بهم، فأنزل الله تبارك وتعالى عُذرَهم في الكتاب فقال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ ﴾ [الحجرات: ٦] إلى آخر الآية.

وقال مجاهدٌ وقتادةُ: أرسل رسولُ الله ﷺ الوليدَ بنَ عقبةَ إلى بني المصطلِقِ

---

(١) في «جامع البيان» (١٣/ج٢٦/١٢٣).
قلت: وأخرجه الطبراني في «الكبير» (٢٣/٤٠١ رقم ٩٦٠).
وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/١١١) وقال: **فيه موسى بن عبيدة وهو ضعيف.**

(٢) **في «جامع البيان» (١٣/١٢٣ ـ ١٢٤) وسنده مسلسل بالضعفاء. من محمد بن سعد العوفي إلى جده عطية.**

ليُصَدّقَهم فتلقّوه بالصدقة، فرجَع فقال: إن بني المصطلِقِ قد جمعتْ لك لتقاتِلك ـ زاد قتادةُ: وإنهم قد ارتدّوا عن الإسلام ـ فبعث رسولُ الله ﷺ خالدَ بنَ الوليدِ رضي الله عنه إليهم وأمره أن يتثبّتَ ولا يَعجَلَ، فانطلق حتى أتاهم ليلاً فبعث عيونَه، فلما جاءوا أخبروا خالداً رضي الله عنه أنهم مستمسكون بالإسلام وسمعوا أذانَهم وصلاتَهم، فلما أصبحوا أتاهم خالدٌ رضي الله عنه فرأى الذي يُعجبه، فرجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره الخبر، فأنزل الله تعالى هذه الآية اهـ. من تفسير الحجرات لابن كثيرٍ[1] رحمه الله تعالى.

وذكر البغويُّ[2] رحمه الله تعالى نحوَ حديثِ ابن عباسٍ وفيه: فغضب رسولُ الله ﷺ وهمَّ أن يغزُوَهم، فبلغ القومَ رجوعُه فأتَوا رسولَ الله ﷺ وقالوا: يا رسولَ الله سمِعنا برسولك فخرجنا نتلقاه ونُكرِمه ونؤدّي إليه ما قبِلْناه من حق الله تعالى فبدا له في الرجوع، فخشِينا أنه إنما رده من الطريق كتابٌ جاءه منك لغضب غضِبْته علينا، وإنا نعوذ بالله من غضبه وغضبِ رسولِه، فاتهمهم رسولُ الله ﷺ وبعثَ خالدَ بنَ الوليد إليهم خُفيةً في عسكر وأمره أن يخفيَ عليهم قدومَ قومِه وقال له: «**انظُر، فإن رأيتَ منهم ما يدل على إيمانهم فخذ منهم زكاةَ أموالِهم، وإن لم ترَ ذلك فاستعمل فيهم ما يُستعمل في الكفار**». ففعل ذلك خالدٌ. ووافاهم فسمِع منهم أذانَ صلاتي المغربِ والعشاء فأخذ منهم صدقاتِهم ولم يرَ منهم إلا الطاعةَ والخيرَ، فانصرفَ إلى رسول الله ﷺ وأخبره الخبرَ، فأنزل الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ [الحجرات: ٦] الآية.

وأما إن كان الممتنعُ عن أداء الزكاةِ فرداً من الأفراد فأجمعوا على أنها تؤخذ منه قهراً، واختلفوا من ذلك في مسائلَ:

---

(١) (٤/٢٢٤).
قلت: بعث خالد بن الوليد إليهم بعد الوليد. قال ابن حجر في «الكافي الشافي» (ص١٥٦ رقم ١٩): «لم أره».
قلت: بل روي بألفاظ عدة: فروي من حديث الحسن، رواه عبد بن حميد.
وعن قتادة رواه أيضاً عبد بن حميد وابن جرير، وعبد الرزاق في تفسيره. انظر: «الدر المنثور» (٦/٨٨). ط: دار المعرفة.
(٢) في تفسيره «معالم التنزيل» (٧/٣٣٩) وقد تقدم الكلام على هذه الرواية.

(إحداها): هل يكفر أم لا؟ فقال عبدُ الله بنُ شقيقٍ[1]: كان أصحابُ رسوله اللَّهِ ﷺ لا يرَون من الأعمال شيئاً تركُه كفرٌ إلا الصلاةَ.

وقال أبو أيوب السِخْتيانيُّ[2]: تركُ الصلاةِ كفرٌ لا يُختلَف فيه، وذهب إلى هذا القولِ جماعةٌ من السلف والخلف وهو قولُ ابنِ المباركِ[3] وأحمدَ[4] وإسحاقَ[5].

وحكى إسحاقُ عليها إجماعَ أهلِ العلم، وقال محمدُ بنُ نصرِ المَرْوَزيُّ[6]: «وهو قولُ جمهورِ أهلِ الحديث». وذهب طائفةٌ منهم إلى أن من تَرَكَ شيئاً من أركان الإسلام الخمسِ عمداً أنه كافرٌ.

ورُوي ذلك عن سعيدِ بنِ جبيرٍ ونافعٍ والحكم وهو روايةٌ عن الإمام أحمدَ اختارها طائفةٌ من أصحابه، وهو قولُ ابنُ حَبيبٍ من المالكية، وخرَّج الدارقطنيُّ[7]

---

(١) **وهو حديث صحيح تقدم تخريجه.**

(٢) أخرجه المروزي في «تعظيم قدر الصلاة» رقم (٩٧٨). وقال المنذري في «الترغيب والترهيب»: ورُوي عن حماد بن زيد عن أيوب قال: ترك الصلاة كفر، لا يختلف فيه». (صحيح الترغيب: ١/ ٢٣٠).

(٣) أخرجه المرزوي: في «تعظيم قدر الصلاة» رقم (٩٧٩) عنه بلفظ: «**من أخّرَ صلاةً حتى يفوت وقتها متعمداً من غير عذرٍ كفر**».
وانظر رقم (٩٨٠) و (٩٨١).

(٤) أخرجه المروزي في «تعظيم قدر الصلاة» رقم (٩٨٢) عنه بلفظ: «**لا يكفر أحد بذنب إلا تارك الصلاة عمداً، فإن ترك صلاة إلى أن يدخل وقت صلاة أخرى يستتاب ثلاثاً**.

(٥) أخرجه المروزي في «تعظيم قدر الصلاة» رقم (٩٩٠) عنه بلفظ: «قد صح عن رسول الله ﷺ أن تارك الصلاة كافر، وكذلك كان رأي أهل العلم من لدن النبي ﷺ إلى يومنا هذا: أن تارك الصلاة عمداً من غير عذر حتى يذهب وقتها كافر».
وزاد ابن عبد البر في «التمهيد» (٤/ ٢٢٦): عن إسحاق: «إذا أبى من قضائها وقال: لا أصلي. ثم قال: وذهاب الوقت إلى أن ذكر من قوله: إلى طلوع الفجر.

(٦) في كتابه «تعظيم قدر الصلاة» (٢/ ٩٣٦)،

(٧) في «السنن» (٢/ ٢٨٢ رقم ٢٠٦).
قلت: وأخرجه الطبري في «جامع البيان» (٥/ج ٧/ ٨٢) كلاهما من طريق إبراهيم ابن مسلم الهجري عن ابن عياض، عن أبي هريرة، به.
وإبراهيم بن مسلم الهجري ضعيف.
* وأخرجه الطبري في «جامع البيان» (٥/ج٧/ ٨٢ ـ ٨٣) أيضاً من طريق معاوية بن يحيى، =

وغيرُه من حديث أبي هريرةَ ﵁ قال: «قيل: يا رسولَ اللَّهِ، الحجُّ في كل عام؟ قال: «**لو قلتُ نعم لوجب عليكم، وما أطَقتموه، ولو تركتموه لكفرتم**».

وعن ابن مسعودٍ أن تاركَ الزكاةِ ليس بمسلم، وعن أحمدَ روايةٌ: أن تركَ الصلاةِ والزكاةِ كفرٌ دون الصيامِ والحجِّ.

وقال ابن عيينة: المُرْجئة سَمَّوا ترك الفرائضِ ذنباً بمنزلة ركوبِ المحارم، وليس سواءً، لأن ركوبَ المحارم متعمّداً من غير استحلالٍ معصيةٌ، وتركَ الفرائضِ من غير جهلٍ ولا عذرٍ كفرٌ.

وبيانُ ذلك في أمر إبليسَ وعلماءِ اليهودِ الذين أقروا ببعث النبيِّ ﷺ بلسانهم ولم يعملوا بشرائعه.

المسألة الثانية هل يُقتل أم لا؟

(الأولُ): هو المشهورُ عن أحمدَ رحمه الله تعالى، ويستدل له بحديث ابنِ عمرَ ﵄: «**أُمرت أن أقاتلَ الناسَ حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله**»[1] الحديث.

و **(الثانيَ)**: لا يقتل، وهو قولُ مالكٍ والشافعيِّ وروايةٌ عن أحمدَ رحمهم الله تعالى.

وروى اللالَكائيُّ[2] من طريق مؤمّلٍ قال: حدثنا حمادُ بنُ زيدٍ عن عمرَ بنِ

= عن صفوان بن عمرو، عن سليم بن عامر، عن أبي أمامة، به. **بسند ضعيف**.

* وأخرجه الطبري في «جامع البيان» (٥/ج٧/٨٣) من حديث ابن عباس **بسند ضعيف جداً**.

قلت: ويغني عنه ما أخرجه مسلم (٢/ ٩٧٥ رقم ٤١٢/١٣٣٧) من طريق الربيع ابن مسلم، عن محمد بن زياد، عن أبي هريرة: «خطبنا رسولُ الله ﷺ فقال: «**أيها الناس فرض الله عليكم الحج فحجُوا**، فقال رجل: أفي كل عام يا رسول الله؟ فسكت حتى قالها ثلاثاً. فقال: «**لو قلت: نعم، لوجبت ولما استطعتم**»، ثم قال: «**ذروني ما تركتكم فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، وإذا أمرتكم بشيء فائتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه**».

ومن أجل المزيد انظر: «تفسير أبي السعود» (٢/ ٥٥٢ ـ ٥٥٣) بتحقيقنا.

(١) تقدم تخريجه.

(٢) في كتابه «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٤/ ٩٢٧ رقم ١٥٧٦) **بسند ضعيف**. مؤمل بن إسماعيل سيء الحفظ. =

مالكٍ النُّكْرِيِّ عن أبي الجوزاءِ عن ابنِ عباس ـ ولا أحسَبُه إلا رفعه ـ قال: (عُرى الإسلامِ وقواعدُ الدينِ ثلاثةٌ عليهن أُسس الإسلام: شهادة أن لا إله إلا الله، والصلاةُ، وصومُ رمضانَ، من ترك منهن واحدةً فهو بها كافرٌ ويحِلُّ دمُه، وتجده كثيرَ المالِ لم يحجَّ فلا يزال بذلك كافراً ولا يحِلُّ بذلك دمُه، وتجده كثيرَ المال ولا يزكِّي فلا يزال بذلك كافراً ولا يحِلُّ دمُه).

ورواه قُتيبةُ بنُ سعيدٍ عن حمادِ بنِ زيدٍ مرفوعاً مختصراً، ورواه سعيدُ بنُ زيدٍ أخو حمادِ بنِ زيد عن عمرَ بنِ مالكٍ بهذا الإسنادِ مرفوعاً، وقال: «من ترك منهن واحدةً ـ يعني الثلاثَ الأُوَلَ ـ فهو بالله كافرٌ ولا يُقبل منه صَرفٌ ولا عدْلٌ وقد حلَّ دمُه ومالُه. ولم يذكر ما بعده».

المسألة الثالثة لمن لم يرَ قتلَه، هل ينكّل بأخذ شيءٍ من ماله مع الزكاة؟

وقد رُوي في خصوص المسألةِ حديثُ بهْزِ بنِ حكيمٍ عن أبيه عن جده رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**في كل سائمةِ إبلٍ في أربعين بنتُ لَبون، لا تُفرق إبلٌ عن حسابها، من أعطاها مؤتجراً بها فله أجرُها، ومن منعها فإنا آخذوها وشطرَ مالِه، عزمةٌ من عزَمات ربنا، لا يحِل لآل محمدٍ منها شيء**».

رواه أحمدُ[1] وأبو داودَ[2] والنسائيُّ[3] وصححها الحاكم[4]، وعلق الشافعيُّ

= وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ٤٧ ـ ٤٨) وقال: «رواه أبو يعلى ـ (٤/ ٢٣٦ رقم ٢٣٤٩/٢٢) ـ بتمامه. ورواه الطبراني في «الكبير» ـ (١٢/ ١٧٤ رقم ١٢٨٠٠) ـ بلفظ: «**بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، والصلاة وصيام رمضان، فمن ترك واحدة منهن كان كافراً حلال الدم**». فاقتصر على ثلاثة منها، ولم يذكر كلام ابن عباس الموقوف. **وإسناده حسن» اهـ.**

(١) في «المسند» (٥/ ٢، ٤).

(٢) في «السنن» (٢/ ٢٣٣ رقم ١٥٧٥).

(٣) في «السنن» (٥/ ٢٥ رقم ٢٤٤٩).

(٤) في «المستدرك» (١/ ٣٩٨).

وقال الذهبي: **صحيح**. وقال النووي في «المجموع» (٥/ ٣٠٤): «. . . وإسناده إلى بهز بن حكيم صحيح على شرط البخاري ومسلم. وأما بهز فاختلفوا فيه، فقال يحيى بن معين: «ثقة»، وسئل أيضاً عنه عن أبيه عن جده: «ثقة»، وقال أبو حاتم: يكتب حديثه ولا يحتج به؛ وقال أبو زرعة: «صالح»، وقال الحاكم: ثقة. . .» اهـ.

وخلاصة القول أن الحديث حسن.

القولَ به على ثبوته فإنه قال: لا يُثبته أهل العلمِ بالحديث، ولو ثبت لقلنا به[1].

[الركن الرابع: الصوم]

(والرابعُ الصيامُ فاسمَع واتّبغ والخامسُ الحجُّ على من يستطع)

الركنُ الرابعُ من أركان الإسلامِ الصيامُ، وهو في اللغة الإمساكُ، وفي الشرع إمساكٌ مخصوصٌ في زمن مخصوصٍ بشرائطَ مخصوصة.

وكان فرضُ صوم شهرِ رمضانَ في السنة الثانية من الهجرة هو والزكاةُ قبل بدر، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ ۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: ١٨٣ ـ ١٨٥] إلى آخر الآيات. وقد تقدمت الأحاديثُ فيه.

وقد ثبت بالكتاب والسنةِ والإجماعِ كفرُ من جحد فرضيتَه، وتقدم القولُ بقتل تاركِه مع الإقرار والاعتراف بوجوبه.

وقوله: **(فاسمع واتبع)** مأخوذٌ من قولِ اللّهِ عز وجل: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٨﴾﴾ [الزمر].

[الركن الخامس: الحج]

الركنُ الخامسُ الحجُّ، وهو **(على من يستطيع)** أي من استطاع إليه سبيلاً، قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧].

وقد ذكر الله تعالى تفصيلَه في سورة البقرة من قوله تعالى: ﴿وَأَتِمُّواْ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ ـ إلى قوله ـ ﴿إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [البقرة: ١٩٦ ـ ٢٠٣].

---

(١) قال النووي في «المجموع» (٥/ ٣٠٤): «وروى البيهقي ـ في «السنن الكبرى» (٤/ ١٠٥) ـ عن الشافعي رحمه الله أنه قال: هذا الحديث لا يثبته أهل العلم بالحديث، ولو ثبت قلنا به. . .» اهـ.
قلت: وقد تقدم أن الحديث حسن وقد قال به الشافعي في القديم وبه قال أحمد.

واشتراطُه الاستطاعةِ فيه مصرَّحٌ به في الآية وفي حديث جبريلَ وفي حديث معاذٍ وغيرِها، وفسَّره النبيُّ ﷺ بالزاد والراحلة[1].

ولا خلافَ في كفرِ من جحد فرْضيتَه. وتقدم الخلافُ في كفر تاركِه مع الإقرار بفرضيته.

وروى الإمامُ أحمدُ[2] عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: **«تعجّلوا الحجَّ** - يعني الفريضة - **فإن أحدَكم لا يدري ما يعرضُ له»**.

---

(١) يشير المؤلف رحمه الله إلى **الحديث الضعيف** الذي أخرجه الدارقطني في «السنن» (٢/ ٢١٦ رقم ٦، ٧) والحاكم (١/ ٤٤٢) والبيهقي (٤/ ٣٣٠) عن أنس في قوله: **﴿ولِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ البَيْتِ مِن اسْتَطَاعَ إليهِ سَبِيلاً﴾** [آل عمران: ٩٧].
قال: قيل: يا رسول الله ما السبيل؟ قال: **«الزاد والراحلة»**.
قال البيهقي: الصواب عن قتادة عن الحسن مرسلاً - يعني الذي خرَّجه الدارقطني **وسنده صحيح إلى الحسن - ولا أرى الموصول إلاَّ وهماً**.
وقد أخرجه الحاكم من حديث حماد بن سلمة عن قتادة عن أنس أيضاً، إلا أن الراوي عن حماد هو أبو قتادة: عبد الله بن واقد الحراني، وقد قال أبو حاتم: «هو منكر الحديث». . .
وقال أبو بكر بن المنذر: لا يثبت الحديث في ذلك مسنداً. والصحيح من الروايات رواية الحسن المرسلة.
انظر: «التلخيص الحبير» (٢/ ٢٢١ رقم ٩٥٤) و «إرواء الغليل» (٤/ ١٦٠ - ١٦١ رقم ٩٨٨).
وخلاصة القول أن الحديث ضعيف.

(٢) في «المسند» (١/ ٣١٤) ثم أخرجه أحمد من طرق أخرى (١/ ٢١٤، ٣٢٣، ٣٥٥).
قلت: وأخرجه ابن ماجه (٢/ ٩٦٢ رقم ٢٨٨٣) والخطيب في «الموضح» (١/ ٢٣٢) و (٤/ ٣٤٠). بلفظ: **«من أراد الحج فليتعجل، فإنه قد يمرض المريض، وتضل الضالة، وتعرض الحاجة»**.
قال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (٣/ ٣ رقم ١٠١٥/ ٢٨٨٣): «هذا إسناد فيه مقال: إسماعيل بن خليفة أبو إسرائيل الملاي، قال فيه ابن عدي: عامة ما يرويه يخالف الثقات، وقال النسائي: ضعيف. وقال الجوزجاني: مفتر زائغ.
قلت: لم ينفرد إسماعيل بإخراجه من هذا الوجه، فقد رواه أبو داود في سننه من طريق الحسن بن عمرو عن مهران بن عمران عن ابن عباس مرفوعاً بلفظ: **«من أراد الحج فليتعجل. . .»** اهـ.
قلت: وهو حديث حسن بالشاهد الآتي.

ورواه أبو داودَ[1] بلفظِ: **«من أراد الحجَّ فليتعجَّلْ»**.

وروى الإسماعيليُّ[2] بإسناد صحيحٍ عن عبد الرحمنِ بنِ غُنمٍ أنه سمع عمرَ بنَ الخطابِ ﷺ يقول: من أطاق الحجَّ فلم يحُجَّ فسواءٌ عليه ماتَ يهودياً أو نصرانياً.

وروى سعيدُ بنُ منصورٍ في سننه[3] عن الحسن البصْريِّ قال: قال عمرُ بنُ الخطابِ ﷺ: لقد هممتُ أن أبعثَ رجالاً إلى هذه الأمصارِ فينظروا إلى كل مَن كان عنده جِدَةٌ فلم يحجَّ فيضربوا عليه الجِزية، ما هم بمسلمين.

وروى البغويُّ[4] عن أبي أُمامةَ ﷺ أن النبيَّ ﷺ قال: **من لم تحبِسه حاجةٌ**

---

(١) في «السنن» (٢/ ٣٥٠ رقم ١٧٣٢).
قلت: وأخرجه الدارمي (٢/ ٢٨) والدولابي في «الكنى» (٢/ ١٢) والحاكم (١/ ٤٤٨) وأحمد (١/ ٢٢٥) والبيهقي في «السنن الكبرى» (٤/ ٣٣٩ ـ ٣٤٠).
قال الحاكم: «صحيح الإسناد. وأبو صفوان لا يعرف بالجرح» ووافقه الذهبي.
وقال الألباني في «الإرواء» (٤/ ١٦٩): «وهذا منهما عجب، ولا سيما الذهبي، فقد أورده في «الميزان قائلاً: «لا يدرى من هو. قال أبو زرعة: لا أعرفه إلا في هذا الحديث».
وقال الحافظ في «التقريب»: مجهول.
لكن لعله يتقوى حديثه بالطريق الأولى فيرتقي إلى درجة الحسن...» اهـ.
قلت: وخلاصة القول أن الحديث حسن بالشاهد السابق.

(٢) عزاه إليه ابن كثير في تفسيره (١/ ٣٩٤ ـ ٣٩٥)، وقال ابن كثير: **هذا إسناد صحيح إلى عمر.**

(٣) عزاه إليه ابن كثير في تفسيره (١/ ٣٩٥) **بسند منقطع لأن الحسن لم يسمع من عمر** ﷺ.

(٤) في تفسيره «معالم التنزيل» (٢/ ٧٤) **بسند ضعيف.**
ليث بن أبي سليم ضعيف. وشريك القاضي سيء الحفظ.
قلت: وأخرج حديث أبي أمامة ابن الجوزي في الموضوعات (٢/ ٢٠٩ ـ ٢١٠) من طريقين:
الطريق الأول: عن عمار بن مطر، عن شريك، عن منصور، عن سالم بن أبي الجعد عنه، به.
والطريق الثاني: عن المغيرة بن عبد الرحمن، عن يزيد بن هارون، عن شريك، عن ليث عن عبد الرحمن بن سابط، عنه، به.
ثم قال ابن الجوزي: في الطريق الأول: عمار بن مطر، قال العقيلي: يحدث عن الثقات بالمناكير، وقال ابن عدي: متروك الحديث.
وفي الطريق الثاني: المغيرة بن عبد الرحمن: قال يحيى: ليس بشيء. وليث: وقد ضعفه=

ظاهرةٌ أو مرضٌ حابسٌ أو سلطانٌ جائرٌ ولم يحُجَّ فليمُتْ إن شاء يهودياً أو نصرانياً».

وروى الإمام أحمدُ[١] عن أبي هريرةَ قال: خطبَنا رسولُ اللَّهِ ﷺ فقال: «**أيها الناسُ فُرِض عليكم الحجُّ فحجُّوا**». فقال رجل: أكلَّ عامٍ يا رسول الله؟ فسكت. حتى قالها ثلاثاً، فقال رسولُ الله ﷺ: «**لو قلتُ نعم لوجبَت، ولما استطعتم**»، ثم قال: «**ذروني ما تركتُكم، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالِهم واختلافِهم على أنبيائهم، وإذا أُمرتُم بشيء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتُكم عن شيء فدعوه**». رواه مسلمٌ[٢] بنحو هذا، والله أعلم.

وروى أحمدُ[٣] وأبو داودَ[٤] والنسائيُّ[٥] وابنُ ماجهْ[٦] والحاكمُ[٧] عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: خطبَنا رسولُ اللَّهِ ﷺ فقال: «**يا أيها الناسُ، إن الله تعالى كتب عليكم الحجَّ**. فقام الأقرعُ بنُ حابسٍ فقال: يا رسولَ الله أفي كل عامٍ؟ فقال: «**لو**

= ابن عيينة، وتركه يحيى القطان، ويحيى بن معين، وابن مهدي، وأحمد.
قلت: وفي الباب من حديث أبي هريرة، وحديث علي بن أبي طالب.
وانظر تخريجها في تحقيقنا لـ: «فتح القدير» للشوكاني.
وانظر: التلخيص الحبير» (٢/ ٢٢٢ ـ ٢٢٣) و «نصب الراية» (٤/ ٤١٠ ـ ٤١١).
وخلاصة القول أن لهذا الحديث أصلاً، ومحمله على من استحلَّ الترك. وعدُّه في الموضوعات خطأ.

(١) في «المسند» (٢/ ٥٠٨) **بسند صحيح.**
(٢) في صحيحه (٢/ ٩٧٥ رقم ١٣٣٧).
(٣) في «المسند» (١/ ٢٥٥، ٢٩٠، ٣٠٣، ٣٥٢، ٣٧٠، ٣٧١).
(٤) في «السنن» (٢/ ٣٤٤ رقم ١٧٢١).
(٥) في «السنن» (٥/ ١١١ رقم ٢٦٢٠).
(٦) في «السنن» (٢/ ٩٦٣ رقم ٢٨٨٦).
(٧) في «المستدرك» (١/ ٤٤١، ٤٧٠).
قال الحاكم: «هذا إسناد صحيح، وأبو سنان هذا هو الدؤلي ولم يخرجاه، فإنهما لم يخرجا سفيان بن حسين وهو من الثقات الذين يجمع حديثهم» وقال الذهبي: صحيح.
قلت: أبو سنان اسمه يزيد بن أمية. وهو ثقة. ومنهم من عده في الصحابة.
وله في مسند الطيالسي رقم (٢٦٦٨) وأحمد (١/ ٢٩٢، ٣٠١، ٣٢٣، ٣٢٥) متابع من طريق سماك عن عكرمة عن ابن عباس باختصار.
وخلاصة القول أن الحديث صحيح، والله أعلم.

قلتُها لوجبتْ، ولو وجبتْ لم يعملوا بها، ولن تستطيعوا أن تعملوا بها. الحجُّ مرةٌ فمن زاد فهو تطوُّعٌ».

ذكرُ أمورٍ تدخُل في مسمَّى الإيمانِ والإسلام من الأوامر والمناهي والأخبار

[الأدلة عليها من الكتاب]

قال الله عز وجل: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ﴾ [آل عمران: ١٣٣ ـ ١٣٦] الآيات.

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلِهِۦ مُسۡلِمِينَ ﴿٥٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡتَوۡنَ أَجۡرَهُم مَّرَّتَيۡنِ بِمَا صَبَرُواْ وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغۡوَ أَعۡرَضُواْ عَنۡهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ لَا نَبۡتَغِي ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [القصص].

وقال تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمۡ سُجَّدٗا وَقِيَٰمٗا ﴿٦٤﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصۡرِفۡ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ﴿٦٦﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ﴿٦٧﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامٗا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٧٠﴾ وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَإِنَّهُۥ يَتُوبُ إِلَى ٱللَّهِ مَتَابٗا ﴿٧١﴾ وَٱلَّذِينَ لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ مَرُّواْ كِرَامٗا ﴿٧٢﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ لَمۡ يَخِرُّواْ عَلَيۡهَا صُمّٗا وَعُمۡيَانٗا ﴿٧٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ

أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ﴿٧٥﴾ خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾﴾ [الفرقان].

وقال تعالى: ﴿۞ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾ [التوبة].

وقال تعالى: ﴿۞ إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَالَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٣٢﴾ وَالَّذِينَ هُم بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [المعارج].

وقال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ﴾ - إلى قوله - ﴿الْوَارِثُونَ﴾ [المؤمنون: ١ - ١٠] الآيات.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴿٦١﴾ وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [المؤمنون: ٥٧ - ٦٢].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾﴾ [الذاريات].

وقال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ

وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥].

وقال تعالى: ﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾﴾ - إلى قوله - ﴿وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ [الحج: ٢٧ - ٤١].

وقال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ ۖ﴾ [الحشر: ١٨] الآيات.

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ [الممتحنة: ١] إلى آخر السورة.

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ﴾ [الحجرات: ١] إلى آخر السورة.

وقال تعالى: ﴿۞ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿وَذَرُوا۟ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْسِبُونَ ٱلْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا۟ يَقْتَرِفُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٠].

وقال تعالى: ﴿۞ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا

﴿تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۖ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام].

وقال تعالى: ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ ۚ إِن تَكُونُوا۟ صَٰلِحِينَ فَإِنَّهُۥ كَانَ لِلْأَوَّٰبِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُۥ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰٓ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ ۗ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾﴾ [الإسراء].

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣].

وقال تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا

عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾﴾ [النحل] الآيات.

وقال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧].

وقال تعالى: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾ [الأعراف: ٣].

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١] الآيتين.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟﴾ [فصلت: ٣٠]، الآيات. وقال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠].

وآياتُ القرآنِ في هذا الباب كثيرةٌ وشهيرةٌ لا تخفى، بل القرآنُ كلهُ في تقرير الدينِ من فاتحته إلى خاتمته: دعوةً وبشارةً ونذارةً، وأمراً ونهياً وخبراً، كلُّه لا يخرج عن شأن الدين: إما دعوةٌ إليه، أو بشارةٌ لمن اتبعه برضاء اللَّهِ والجنةِ، أو نذارةٌ لمن أبى عنه من خزي الدنيا وعذابِ الآخرة، أو أمراً بشرائعه: أصولِها وفروعِها وآدابِها وأحكامِ كلٍ منها، أو نهياً عن نواقضه جميعِه أو نواقضِ شيءٍ منها أو ما يوجب أدنى خللٍ فيه أو في شيء من شرائعه، أو خبراً عن نصر من جاء به وصدّق به، وحِفْظِه وتأييدِه في الدنيا، أو خبراً عما أعد اللَّهُ لهم في الآخرة من الفوز والنعيم، والنجاةِ من عذاب الجحيم، أو خبراً عن إهلاك من استكبر عنه في الدنيا وما أحلَّه اللَّهُ بهم من غضبه عاجلاً من الخسف والمسخِ والقذْفِ وغير ذلك، وما أعدَّه لهم في الآخرة من العذاب والعقاب، وما فاتهم وحُرموه من الثواب وغيرِ ذلك.

[الأدلة عليها من السنة]

وأما الأحاديثُ (فمنها) قولُه ﷺ: **«الإيمانُ بضعٌ وسبعون شعبةً، فأعلاها قولُ لا إله إلا الله، وأدناها إماطةُ الأذى عن الطريق، والحياءُ شُعبةٌ من الإيمان»**(١).

وقولُه ﷺ: **«بايعوني على أن لا تُشركوا بالله شيئاً ولا تسرِقوا ولا تزنوا ولا**

---

(١) أخرجه البخاري (١/ ٥١ رقم ٩)، ومسلم (١/ ٦٣ رقم ٣٥) من حديث أبي هريرة.

تقتُلوا أولادَكم من إملاق ولا تأتوا ببُهتانٍ تفترونه بين أيديكم وأرجلِكم ولا تعصُوا في معروف، فمن وفى منكم فأجرُه على الله، ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب في الدنيا فهو كفارةٌ له، ومن أصاب من ذلك شيئاً فستره اللَّهُ فهو إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه»[1]، قال عُبادةُ بنُ الصامت: فبايعناه على ذلك.

وقولُه ﷺ: «من يبايعني على هذه الثلاثِ الآياتِ: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ [الأنعام: ١٥١]، الآيات»[2].

وقولُه ﷺ لمعاويةَ بنِ حَيدةَ لما قال له: «ما الذي بعثك اللَّهُ به؟ قال: الإسلام، قلت: وما الإسلامُ؟ قال: أن تُسْلم قلبَك لله تعالى، وأن توجِّهَ وجهَك لله، وأن تصليَ الصلاةَ المكتوبةَ وتؤدّيَ الزكاةَ المفروضة»[3].

وفي رواية[4] قال: «وما آيةُ الإسلام؟ قال: أن تقول أسلمتُ وجهيَ لله وتخلَّيتُ، وتُقيمَ الصلاةَ وتُؤتيَ الزكاةَ، وكلُّ المسلم على المسلم حرامٌ».

وقولُه ﷺ: «ثلاثٌ لا يغل عليهنَّ قلبُ مسلم: إخلاصُ العمل لله، ومناصحةُ ولاةِ الأمور، ولزومُ جماعةِ المسلمين، فإن دعوتَهم تحيط مَن ورائهم»[5].

---

(١) أخرجه البخاري (١/ ٦٤ رقم ١٨) ومسلم (٣/ ١٣٣٣ رقم ١٧٠٩) من حديث عبادة بن الصامت.

(٢) أخرجه الحاكم (٢/ ٣١٨) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي. وليس كما قالا: فإن الحديث ضعيف لسببين:
الأول: في سنده محمد بن مسلمة. قال الذهبي في الميزان (٤/ ٤١): أتى بخبرٍ باطل اتُّهم به. لكنه توبع.
الثاني: ضعف رواية سفيان بن حسين عن الزهري، فهي علة الحديث.
وخلاصة القول أن الحديث ضعيف.

(٣) أخرجه أحمد (٥/ ٤ ـ ٥) والنسائي (٥/ ٤ ـ ٥ رقم ٢٤٣٦) و (٥/ ٨٢ ـ ٨٣ رقم ٢٥٦٨) وابن ماجه (٢/ ٨٤٨ رقم ٢٥٣٧).
وهو حديث حسن.

(٤) أخرجه أحمد (٥/ ٤ ـ ٥)، والنسائي (٥/ ٨٢ ـ ٨٣ رقم ٢٥٦٨).
وهو حديث حسن.

(٥) أخرجه أحمد (٥/ ١٨٣) والدارمي (١/ ٧٥) وابن حبان في صحيحه رقم (٦٨٠) وأبو داود رقم (٣٦٦٠) والترمذي رقم (٢٦٥٦) وابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (١/ ٣٩) وابن أبي عاصم في «السنة» رقم (٩٤) والخطيب في «شرف أصحاب الحديث» رقم=

وقولُه ﷺ في جواب: أيُّ المسلمين أفضلُ؟ قال: **«مَن سلِم المسلمون من لسانه ويدِه»**[1].

وقولُه ﷺ: **«لا تحاسدوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبغ بعضُكم على بيع بعض، وكونوا عبادَ الله إخواناً. المسلمُ أخو المسلم: لا يظلِمُه، ولا يخذُله، ولا يحقره. التقوى ههنا** ـ وأشار إلى صدره ثلاثاً ـ **بِحسْب امرىءٍ من الشرِّ أن يحقِرَ أخاه المسلم»**[2].

وقولُه ﷺ: **«المسلم من سلِم المسلمون من لسانه ويدِه، والمهاجرُ من هجر ما نهى اللَّهُ عنه»**[3].

وقولُه ﷺ في جواب من قال: أيُّ الإسلام خيرٌ؟ قال: **«أن تُطعمَ الطعامَ، وتقرأ السلام على من عرفْتَ ومن لم تعرِف»**[4].

وقولُه ﷺ: **«من حُسن إسلامِ المرءِ تركُه ما لا يَعْنيه»**[5].

= (٢٤) والطحاوي في «مشكل الآثار» (٢/ ٢٣٢) والطبراني في «الكبير» رقم (٤٨٩٠) و (٤٨٩١) من طرق.

وفي الباب من حديث جبير بن مطعم عند الحاكم (١/ ٨٦، ٨٧) وصححه ووافقه الذهبي.

ومن حديث النعمان بن بشير عند الحاكم (١/ ٨٨) والرامهرمزي رقم (١١).

ومن حديث أبي سعيد الخدري عند الرامهرمزي رقم (٥) وأبي نعيم في «الحلية» (٥/ ١٠٥).

ومن حديث ابن عمر عند الخطيب في الكفاية ص١٩٠.

ومن حديث معاذ عند أبي نعيم في «الحلية» (٩/ ٣٠٨).

ومن حديث بشير بن سعد عند الطبراني في الكبير رقم (١٢٢٥).

ومن حديث أبي هريرة عند الخطيب في تاريخه (٤/ ٣٣٧). وغيرهم.

انظر: «مجمع الزوائد» (١/ ١٣٨).

(١) أخرجه مسلم (١/ ٦٥ رقم ٤٠) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص.

(٢) أخرجه مسلم (٤/ ١٩٨٦ رقم ٢٥٦٤) من حديث أبي هريرة.

(٣) أخرجه البخاري (١/ ٥٣ رقم ١٠) من حديث عبد الله بن عمرو.

(٤) أخرجه البخاري (١/ ٥٥ رقم ١٢) ومسلم (١/ ٦٥ رقم ٣٩) من حديث عبد الله بن عمرو.

(٥) أخرجه الترمذي (٤/ ٥٥٨ رقم ٢٣١٧) وابن ماجه (٢/ ١٣١٥ رقم ٣٩٧٦) من حديث أبي هريرة. =

وقولُه ﷺ في جواب من سأله: «قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً غيرَك، قال: «**قل آمنتُ بالله ثم استقم**»[1].

وقولُه ﷺ: «**ذاق طعمَ الإيمان من رضيَ بالله ربًا وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ ـ نبياً ـ رسولاً**»[2].

وقولُه ﷺ: «**ثلاثٌ من كنّ فيه وجد بهن حلاوةَ الإيمان: أن يكون اللّهُ ورسولُه أحبَّ إليه مما سواهما، وأن يُحبَّ المرءَ لا يُحبه إلا لله، وأن يكرَهَ أن يعودَ في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يُقذَفَ في النار**»[3].

وقولُه ﷺ: «**لا يؤمن أحدُكم حتى أكونَ أحبَّ إليه من ولده ووالدِه والناسِ أجمعين**»[4]، وفي رواية[5]: «**من أهله ومالِه**».

وفي حديث أبي رزينٍ[6] قال: قلتُ: يا رسول اللّهِ ما الإيمانُ؟ قال: «**أن تشهدَ أن لا إلهَ إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبدُه ورسولُه، وأن يكون اللّهُ**

= قال الترمذي: هذا حديث غريب.
وأخرجه مالك في الموطأ (٢/ ٩٠٣) والترمذي (٤/ ٥٥٨ رقم ٢٣١٨) مرسلاً من حديث علي بن حسين.
قال الترمذي: هذا عندنا أصح من حديث أبي سلمة عن أبي هريرة.
وعلي بن حسين لم يُدرك عليَّ بن أبي طالب.
وخلاصة القول أن الحديث حسن لغيره، والله أعلم.

(١) أخرجه مسلم (١/ ٦٥ رقم ٣٨) من حديث سفيان بن عبد الله الثقفي.
(٢) أخرجه مسلم (١/ ٦٢ رقم ٣٤) والترمذي (٥/ ١٤ رقم ٢٦٢٣) وقال حديث حسن صحيح. من حديث العباس.
(٣) أخرجه البخاري (١/ ٦٠ رقم ١٦)، ومسلم (١/ ٦٦ رقم ٤٣) من حديث أنس.
(٤) أخرجه البخاري (١/ ٥٨ رقم ١٥)، ومسلم (١/ ٦٧ رقم ٤٤) من حديث أنس.
(٥) أخرجها النسائي (٨/ ١١٥ رقم ٥٠١٤) من حديث أنس.
(٦) أخرجه أحمد في «المسند» (٤/ ١١ ـ ١٢) **بسند رجاله ثقات لكنه منقطع**.
وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ٥٣ ـ ٥٤) وقال: « رواه أحمد وفي إسناده سليمان بن موسى. وقد وثقه ابن معين وأبو حاتم، وضعفه آخرون».
وأخرجه نعيم بن حماد في زوائد الزهد لابن المبارك (ص٣٠ ـ ٣١ رقم ١٢١) مطولاً **بسند رجاله ثقات، ولكنه منقطع**. سليمان بن موسى لا نعرف له رواية عن أبي رزين لقيط العقيلي فيما نعلم.

ورسولُه أحبَّ إليك مما سواهما، وأن تحترقَ في النار أحبُّ إليك من أن تُشرك بالله شيئاً، وأن تحبَّ غيرَ ذي نسبٍ لا تُحبه إلا لله، فإذا كنت كذلك فقد دخل حبُّ الإيمانِ في قلبك كما دخل حبُّ الماءِ للظمآن في اليوم القائظ»، قلت: يا رسولَ الله كيف لي بأن أعلمَ أني مؤمنٌ؟ قال: **«ما من أمتي ـ أو قال هذه الأمة ـ عبدٌ يعمل حسنةً فيعلمُ أنها حسنةٌ وأن اللَّهَ مجازيه بها خيراً، ولا يعملُ سيئة فيعلمُ أنها سيئةٌ ويستغفرُ اللَّهَ منها ويعلم أنه لا يغفرها إلا اللَّهُ إلا وهو مؤمن»**.

وقولُه ﷺ: **«من سرَّتْه حسناتُه وساءتْه سيئاتُه فهو مؤمنٌ»**[1].

وقولُه ﷺ: **«صريحُ الإيمانِ إذا أسأتَ أو ظلمتَ عبدَك أو أمتَك أو أحداً من الناس صُمتَ أو تصدقتَ، وإذا أحسنتَ استبشرْتَ»**[2].

وقولُه ﷺ: **«المؤمنون في الدنيا على ثلاثة أجزاءٍ: الذين آمنوا بالله ورسولِه**

---

(١) **وهو حديث صحيح.**
أخرجه أحمد في المسند (رقم: ١١٤ ـ شاكر) من طريق عبد الله بن دينار، عن ابن عمر، عن عمر. وكذلك أخرجه الترمذي من الطريق نفسه (٤/ ٤٦٥ رقم ٢١٦٥) وقال: حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه. وكذلك الحاكم: (١/ ١١٤) وقال صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي.
وأخرجه أحمد أيضاً (رقم: ١٧٧ ـ شاكر) من طريق عبد الملك بن عمير، عن جابر بن سمرة، عن عمر. وكذلك أخرجه الطيالسي من الطريق نفسه (ص٧ رقم ٣٢). وأخرجه الحاكم (١/ ١١٤ ـ ١١٥) من طريق عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه عن عمر وقال: إسناده صحيح. ووافقه الذهبي.
وله شاهد من حديث أبي موسى عند الحاكم (١/ ١٣ ـ ١٤) ومن حديث أبي أمامة عند الحاكم أيضاً (١/ ١٤) بأسانيد صحيحة.
وصحح الحديث أحمد شاكر في تحقيقه لرسالة الشافعي (ص٤٧٣ ـ ٤٧٥ رقم ١٣١٥)
وقال المباركفوري في «تحفة الأحوذي» (٦/ ٣٨٥): «فالحديث بكماله إما صحيح أو حسن» اهـ.
وقال المحدث الألباني في «الصحيحة» (٣/ ١١٠): «وجملة القول أن الحديث صحيح بمجموع طرقه» اهـ.

(٢) لم أعثر عليه بهذا اللفظ.
وقد أخرج مسلم في صحيحه (١/ ١١٩ رقم ٢٠٩/ ١٣٢) عن أبي هريرة قال: جاءَ ناسٌ من أصحاب النبي ﷺ فسألُوهُ: إنا نجدُ في أنفسِنا ما يتعاظمُ أحدنا أن يتكلَّمَ بهِ. قال: **«وقَدْ وجدتموهُ؟»**، قالوا: نَعَمْ. قال: **«ذاكَ صريحُ الإيمان»**.

ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسِهم في سبيل الله، والذي يأمَنُه الناس على أموالهم وأنفسِهم، ثم الذي إذا أشرف على طمعٍ ترَكَه لله عز وجل»[1].

وفي حديث عمْرِو بنِ عبْسةَ «قلت: يا رسولَ الله ما الإسلامُ؟ **قال: طيّبُ الكلام، وإطعامُ الطعام.** فقلت: ما الإيمانُ؟ **قال: الصبرُ والسماحة.** قلت: أيُّ الإسلامِ أفضلُ؟ **قال: من سلم المسلمون من لسانه ويدِه.** قلت: أيُّ الإيمانِ أفضلُ؟ **قال: خلقٌ حسنٌ»**[2].

وقولُه ﷺ: **«أكملُ المؤمنين إيماناً أحسنهُم خُلُقاً»**[3].

وقولُه ﷺ: **«ثلاثٌ من فعلهن فقد طعِم طعْمَ الإيمان: من عبد الله وحده بأنه لا إله إلا هو، وأعطى زكاةَ مالِه طيِّبةً بها نفسُه في كل عام»** الحديث، وفي آخره: «فقال رجلٌ: فما تزكيةُ المرءِ نفسَه يا رسولَ الله؟ **قال: أن يعلمَ أن اللَّهَ معه حيثما كان»**[4].

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٣/٨) **بسند ضعيف** من حديث أبي سعيد الخدري.
رشدين ضعيف ويتقوّى بالمتابعات، لكن هنا لم يتابع. وكذلك أبو السمح دراج بن سمعان السهمي، أما أبو الهيثم سليمان بن عمرو بن عبيد فهو مقبول. والحديث تفرد به أحمد.
وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ٥٢، ٦٣) ولم يضعفه لأجل رشدين، وأهمل ذكر رشدين. وذكر الخلاف في أبي السمح.

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٤/ ٣٨٥) **بسند حسن** لأجل شهر بن حوشب.

(٣) **وهو حديث صحيح بطرقه.**
أخرجه أحمد (٢/ ٥٠، ٤٧٢، ٥٣٧ والترمذي (٣/ ٤٦٦ رقم ١١٦٢) وأبو داود (٥/ ٦٠ رقم ٤٦٨٢) والحاكم (١/ ٣) من حديث أبي هريرة.
قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.
وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم. ووافقه الذهبي.
قلت: محمد بن عمرو فيه ضعف يسير، وليس هو على شرط مسلم، فقد أخرج له مسلم متابعة. وانظر طرق وشواهد لهذا الحديث في «الصحيحة» رقم (٢٨٤).

(٤) **وهو حديث صحيح.**
أخرجه أبو داود (٢/ ٢٣٩ ـ ٢٤٠ رقم ١٥٨٢) من حديث عبد الله بن معاوية الغاضِري، قال المنذري في «المختصر» (٢/ ١٩٨ رقم ١٥٢٠): «أخرجه منقطعاً. وذكره أبو القاسم البغوي في «معجم الصحابة مسنداً، وذكره أيضاً أبو القاسم الطبراني وغيره مسنداً. وعبد الله بن معاوية هذا، له صحبة، وهو معدود في أهل حِمْص. وقيل: إنه روى عن النبي ﷺ حديثاً واحداً» اهـ. =

وقولُه ﷺ: «مثلُ المؤمنين في تراحُمهم وتوادِّهم وتعاطُفِهم كمثل الجسدِ الواحدِ إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائرُ الجسد بالحمّى والسهر»[1].

وفي رواية: «المؤمنون كرجل واحد إذا اشتكى عينَه اشتكى كلُّه، وإن اشتكى رأسَه اشتكى كلُّه»[2].

وقولُه ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضُه بعضاً - وشبّك بين أصابعِه»[3].

وقولُه ﷺ: «المؤمنُ في أهل الإيمانِ بمنزلة الرأسِ من الجسد، يألم المؤمنُ لأهل الإيمانِ كما يألم الجسدُ لما في الرأس»[4].

= وأخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» (٤/ ٩٥ - ٩٦).
وأخرجه الطبراني في «الصغير» (١/ ٢٠١):
وقال: «لا يروى هذا الحديث عن ابن معاوية إلا بهذا الإسناد، تفرد به الزبيدي، ولا نعرف لعبد الله بن معاوية الغاضري حديثاً مسنداً غير هذا» اهـ.
وقال الحافظ ابن حجر في «التلخيص الحبير» (٢/ ١٥٥): «ورواه الطبراني؛ وجوَّد إسناده، وسياقه أتم سنداً ومتناً». اهـ.

(١) أخرجه البخاري (١٠/ ٤٣٨ رقم ٦٠١١)، ومسلم (٤/ ١٩٩٩ رقم ٢٥٨٦) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٠٠ رقم ٢٥٨٦) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٥/ ٩٩ رقم ٢٤٤٦)، ومسلم (٤/ ١٩٩٩ رقم ٢٥٨٥) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

(٤) أخرجه أحمد في «المسند» (٥/ ٣٤٠) والطبراني في الكبير (٦/ ١٣١ رقم ٥٧٤٣).
وأورده الهيثمي في «المجمع» (٨/ ٨٧) وقال: «رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير سوار بن عمارة الرملي وهو ثقة».
قلت: رواه أحمد عن أحمد بن الحجاج به، وليس في الإسناد سوار بن عمارة، وإنما هو في سند الأوسط.
وأورده الهيثمي في «المجمع» (٨/ ١٨٧) وقال: «رواه أحمد والطبراني في الكبير والأوسط، ورجال أحمد رجال الصحيح» اهـ.
قلت: مصعب بن ثابت: لين الحديث وكان عابداً. «التقريب» رقم (٦٦٨٦)، وأخرجه القضاعي في «مسند الشهاب» رقم (١٣٦) وابن المبارك في «الزهد» رقم (٦٩٣).
وخلاصة القول أن الحديث ضعيف، والله أعلم.

وقولُه ﷺ: «**المؤمنُ مِرآةُ المؤمن، أخو المؤمن، يكُفّ عنه ضَيعتَه ويحوطه من ورائه**»[1].

وقولُه ﷺ: «**لا يؤمن أحدُكم حتى يُحِبَّ لأخيه ما يحب لنفسه**»[2].

وقولُه ﷺ: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمُت، ومن كان يؤمن بالله واليومِ الآخرِ فليُكرِمْ ضيفَه، ومن كان يؤمن بالله واليومِ الآخرِ فليُكرِمْ جارَه**»[3].

وقولُه ﷺ: «**واللّهِ لا يؤمنُ، والله لا يؤمن، والله لا يؤمن، قالوا: مَن ذلك يا رسولَ الله؟ قال: مَن لا يأمن جارُه بوائقَه**»[4].

وقولُه ﷺ: «**ليس المؤمنُ الذي يَشبعُ وجارُه جائعٌ**»[5].

---

(١) **وهو حديث حسن.**
أخرجه أبو داود (٥/ ٢١٧ رقم ٤٩١٨) والبخاري في «الأدب المفرد» رقم (٢٣٩) والترمذي (٤/ ٣٢٥ ـ ٣٢٦ رقم ١٩٢٩) من حديث أبي هريرة.
وابن وهب في «الجامع» رقم (٢٣٧) بإسناد حسن كما قال الحافظ العراقي في تخريج أحاديث الإحياء.
وأخرجه الطبراني في الأوسط رقم (٢١١٤) والبزار رقم (٣٢٩٧ ـ كشف) من حديث أنس بسند ضعيف.
وأورده الهيثمي في «المجمع» (٧/ ٢٦٤) وقال: «رواه البزار والطبراني في الأوسط وفيه عثمان بن محمد من ولد ربيعة بن أبي عبد الرحمن، قال ابن القطان: الغالب على حديثه الوهم، وبقية رجاله ثقات.

(٢) أخرجه البخاري (١/ ٥٦ رقم ١٣)، ومسلم (١/ ٦٧ رقم ٤٥) من حديث أنس.

(٣) أخرجه البخاري (١٠/ ٤٤٥ رقم ٦٠١٩)، ومسلم (١/ ٦٨ رقم ٤٧) من حديث أبي شريح العدوي.

(٤) أخرجه البخاري (١٠/ ٤٤٣ رقم ٦٠١٦) من حديث أبي شريح.

(٥) **وهو حديث صحيح بشواهده.**
أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» رقم (١١٢) والطبراني في الكبير (١٢/ ١٥٤ رقم ١٢٧٤١) والحاكم (٤/ ١٦٧) وأبو يعلى في المسند (٥/ ٩٢ رقم ٣٧٢/ ٢٦٩٩). وأورده الهيثمي في «المجمع» (٨/ ١٦٧) وقال: «رواه الطبراني، وأبو يعلى ورجاله ثقات» اهـ.
قلت: في إسناده عبد الله بن المساور وثقه ابن حبان، وجهله ابن المديني وتبعه الذهبي في الميزان، ولكن ابن حجر قال في «التقريب» رقم (٣٦١٢): مقبول.
وقال الحاكم: صحيح الإسناد. ووافقه الذهبي. =

وقولُه ﷺ: «**من أعطى لله، ومنع لله، وأحبَّ لله، وأبغض لله، فقد استكمل إيمانَه**»[1]، وسُئل ﷺ عن أفضل الإيمانِ فقال: «**أن تُحِبَّ لله وتُبغِضَ لله وتُعمِلَ لسانَك في ذكر الله**»، فقال: وماذا يا رسولَ الله؟ قال: «**أن تُحِبَّ للناس ما تحب لنفسك، وتكرَه لهم ما تكرَه لنفسك**»[2]، وفي رواية[3]: «**وأن تقولَ خيراً أو تصمُت**».

وقولُه ﷺ: «**لا يستحق العبدُ صريحَ الإيمانِ حتى يُحِبَّ لله ويُبغضَ لله، فإذا أحبَّ لله وأبغض لله فقد استحق الولاية من الله تعالى**»[4].

وقولُه ﷺ: «**أوثقُ عُرى الإيمانِ أن تحبَّ في الله وتُبغض في الله**»[5].

= وله شواهد من حديث أنس، وابن عباس، وعائشة.
وانظر تخريجها في «الصحيحة» رقم (١٤٩).

(١) **وهو حديث حسن.**
أخرجه أحمد (٣/ ٤٤٠) والترمذي (٤/ ٦٧٠ رقم ٢٥٢١) والحاكم (٢/ ١٦٤) من حديث معاذ بن أنس.
قال الترمذي: هذا حديث حسن.
وقال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.
قلت: فيه عبد الرحيم بن ميمون أبو مرحوم: لم يخرجا له. وسهل بن معاذ لم يرو له مسلم، وروى له البخاري في «الأدب المفرد» فقط.
وانظر الصحيحة (١/ ١١٣) ط: المكتب الإسلامي.

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» (٥/ ٢٤٧) من حديث معاذ بن جبل **بسند حسن**. لأجل رشدين بن سعد، وزبان، فيه كلام، إلا أنهم حمدوه وحمدوا ولايته على مصر.
وسهل بن معاذ هو ابن أنس وهو ثقة وأبوه صحابي.

(٣) أخرجه أحمد في المسند(٥/ ٢٤٧) عن معاذ بن جبل **بسند حسن**.
وانظر الكلام على الحديث المتقدم.

(٤) أخرجه أحمد في المسند (٣/ ٤٣٠) من حديث عمرو بن الجموح **بسند ضعيف**؛ لضعف رشدين بن سعد، وللانقطاع بين أبي منصور وعمرو بن الجموح، فقد قال البخاري: لم يسمع منه، وهو ثقة.
وأورده الهيثمي في «المجمع» (١/ ٨٩) وقال: «رواه أحمد وفيه رشدين بن سعد وهو منقطع ضعيف» اهـ.

(٥) أخرجه أحمد في المسند (٤/ ٢٨٦) من حديث البراء بن عازب بسند ضعيف لأجل ليث بن أبي سليم.
وأخرجه ابن أبي شيبة في «الإيمان» رقم (١١٠) والطيالسي (٢/ ٤٨ رقم ٢١١٠ -

وقولُه ﷺ لمعاذ بعد ما أخبره بأركان الإسلام قال: «**ألا أدلُك على أبواب الخير؟ الصومُ جُنَّةٌ، والصدَقةُ تطفئ الخطيئةَ كما يطفئ الماءُ النارَ، وصلاةُ الرجلِ في جوف الليل**» ثم تلا: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [السجدة: ١٦].

ثم قال: «**ألا أُخبرك برأس الأمرِ وعمودِه وذُروةِ سَنامه؟ رأسُ الأمرِ الإسلامُ، وعمودُه الصلاةُ، وذروةُ سنامِه الجهادُ في سبيل الله**»، ثم قال له: «**ألا أُخبرك بمِلاك ذلك كلِه؟ فأخذ بلسان نفسِه وقال: كُفَّ عليك هذا**»[1].

[شرح حديث شعب الإيمان]

ويناسب هنا أن ننقُلَ شرحَ حديثِ شعب الإيمانِ وكلامَ العلماءِ في إحصائها من (فتح الباري).

(**فتلك خمسةٌ وللإيمان** ... **ستةُ أركانٍ بلا نُكران**)

(**إيمانُنا بالله ذي الجلال** ... **وما له من صفة الكمالِ**)

(**وبالملائك الكرامِ البررَهْ** ... **وكُتْبِه المُنزلةِ المطهرَه**)

(**ورسلِه الهداةِ للأنام** ... **من غير تفريقٍ ولا إيهام**)

(**فتلك**) الأركانُ المتقدمةُ التي هي شهادةُ أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسولُ الله وإقامُ الصلاةِ وإيتاءُ الزكاةِ وصومُ رمضانَ وحجُّ البيتِ من استطاع إليه سبيلاً (**خمسة**) فسَّر النبيُّ ﷺ بها الإسلامَ، فاعلَمْها واحتفِظْ بها واعمَلْها وعلِّمْها، فسوف تُسأل عنها وتحاسب عليها، فأَعْدِدْ للسؤال جواباً، وإياكَ أن تُخِلَّ بشيء منها فتكون من الظالمين.

= منحة المعبود).
وأخرجه ابن أبي شيبة في «الإيمان» رقم (١١١) عن مجاهد موقوفاً بسند صحيح.
وخلاصة القول أن الحديث حسن لغيره، والله أعلم.

(١) **وهو حديث صحيح.**
أخرجه أحمد في المسند (٥/ ٢٣١) والترمذي (٥/ ١١ - ١٢ رقم ٢٦١٦)، وابن ماجه (٢/ ١٣١٥ رقم ٣٩٧٣) من حديث معاذ.
قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.
وقد تقدم الحديث.

[أركان الإيمان الستة]

(وللإيمان ستةُ أركان) فسَّره بها النبيُّ ﷺ في حديث جبريلَ[1] وغيرِه **(بلا نكران)** للنقل ولا تكذيب للخبر، ولا شكٍ في ذلك الاعتقاد ولا استكبارٍ عن الانقياد.

[الإيمان بالله]

الأولُ منها: (إيمانُنا بالله) بإلهيته وربوبيتِه لا شريكَ له في الملك ولا منازعَ له فيه، ولا إلهَ غيرُه ولا ربَّ سواه، واحدٌ أحدٌ فردٌ صمدٌ لم يتخذ صاحبةً ولا ولداً، ولا يُشركُ في حكمه أحداً، ولا ضِدَّ له ولا نِدَّ ولم يكن له كفُواً أحدٌ

(ذي الجلال) ذي العظمةِ والكبرياءِ، الذي هو أهلٌ أن يُجَلَّ فلا يُعصى، ويُذكرَ فلا يُنسى، ويُشكرَ فلا يُكْفر ويُوحَّدَ فلا يُشركُ معه غيرُه ولا يُوالي إلا هو: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ١٦٤]، ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ١٤]، ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا﴾ [الأنعام: ١١٤]، ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ﴾ [الزمر: ٦٤]، ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الأنعام: ١٠٢]، ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣].

(و) الإيمانُ بـ **(ما لَه)** تعالى **(من صفة الكمال)** مما وصف به نفسَه ووصفه به رسولُه ﷺ من الأسماء الحسنى والصفاتِ العُلى، وإمرارُها كما جاءت بلا تكييف ولا تمثيل ولا تحريفٍ ولا تعطيل، وأن كلَّ ما سمَّى اللَّهُ تعالى ووصف به نفسَه ووصفه به رسولُه ﷺ الكلُّ حقٌ على حقيقته على ما أراد اللَّهُ وأراد رسولُه وعلى ما يليق بجلال اللَّهِ وعظمتِه: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧].

وقد تقدم ما يسَّره اللَّهُ من تقرير الكلامِ في توحيد الإلهيةِ والربوبيةِ والأسماءِ والصفاتِ وأنواعِ الشركِ المضادّةِ له، فليراجع وبالله التوفيق.

[الإيمان بالملائكة]

(و) الثاني الإيمانُ **(بالملائكة)** الذين هم عبادُ الله المُكْرَمون، والسَّفَرةُ بينه تعالى

---

(١) تقدم تخريجه وهو حديث صحيح.

وبين رسلِه عليهم الصلاة والسلام (**الكرام**) خَلقاً وخُلقاً والكرامُ على الله تعالى (**البرَرَة**) الطاهرين ذاتاً وصفةً وأفعالاً، المطيعين لله عز وجل وهم عبادٌ من عبادِ اللّهِ عز وجل، خلقهم الله تعالى من النور لعبادته، ليسوا بناتِ لله عز وجل ولا أولاداً، ولا شركاءَ معه، ولا أنداداً، تعالى الله عمَّا يقول الظالمون والجاحدون والملحدون علوّاً كبيراً.

قال الله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَانَهُ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الأنبياء]. وقال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾﴾ - إلى قوله -: ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾﴾. [الصافات: ١٥١ - ١٦٦].

وقال تعالى: ﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا ۚ إِنَّ الْإِنسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُم بِالْبَنِينَ ﴿١٦﴾﴾ - إلى قوله -: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا ۚ أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الزخرف: ١٥ - ١٩]. الآيات.

وقال تعالى: ﴿لَّن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ ۚ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٧٢]. وقال تعالى: ﴿فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ﴾ [فصلت: ٣٨]. وقال تعالى: ﴿وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الأنبياء].

وقال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ ۚ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فاطر: ١]. وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾ الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ﴾ [الفرقان: ٢٥ - ٢٦]. وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ [الفرقان: ٢٢]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٦].

وقال تعالى: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ۖ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ

بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم: ٦٤].

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾ [سبأ]. وقال تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٩٨]. والآيات في ذكر الملائكة في القرآن كثيرةٌ.

[أقسام الملائكة وخصائصهم]

ثم هم بالنسبة إلى ما هيَّأهم الله تعالى له ووكّلهم به على أقسام: **فمنهم الموكَلُ بالوحي من الله تعالى إلى رسله** عليهم الصلاة والسلام، وهو الروحُ الأمينُ جبريلُ عليه السلام، قال الله تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٩٧].

وقال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِىٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾ [الشعراء].

وقال تعالى: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾ [النحل: ١٠٢].

وقال تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾﴾ [النجم].

وهذا في رؤية النبيِّ ﷺ له في الأبطح حين تجلَّى له على صورته التي خُلق عليها، له سِتُّمائةِ جناحٍ قد سد عِظَمُ خلقِه الأفقَ.

ثم رآه ليلةَ المعراج أيضاً في السماء(١). كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾﴾ [النجم].

ولم يره ﷺ في صورته إلا هاتين المرتين، وبقيةُ الأوقات في صورة رجلٍ، وغالباً في صورةِ دِحيةَ الكلْبيِّ(٢) رضي الله عنه.

وقال تعالى فيه: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾﴾ [التكوير] الآيات.

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٢/١٠٧) **بإسناد صحيح.**

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» (٢/١٠٧) **بإسناد صحيح.**

وقـــــال: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُواْ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [سبأ: ٢٣]. تقدم الحديث في معنى الآية.

وفيه قال النبيُّ ﷺ: «**فيكون أولُ من يرفع رأسَه جبريل، فيكلِّمه الله تعالى من وحيه بما أراد، ثم يمر جبريلُ بأهل السمواتِ كلَّما مر بسماء سأله ملائكتُها: ماذا قال ربُنا يا جبريلُ؟ فيقول جبريلُ عليه السلام: قال الحقَّ وهو العليُّ الكبير**»، فيقولون كلُّهم مثلَ ما قال جبريلُ. ثم ينتهي جبريلُ بالوحي إلى حيث أمره الله عز وجل. وهو في الصحيحين[(١)]، وسيأتي إن شاء الله تعالى ذكرُ بعضِ الأحاديثِ في بدء الوحي من الفصل الآتي.

ومنهم الموكلُ بالقَطْر وتصاريفِه إلى حيث أمره اللَّهُ عز وجل، وهو ميكائيلُ عليه السلام، وهو ذو مكانةٍ عليّةٍ ومنزلةٍ رفيعةٍ وشرَفٍ عند ربِّه عزَّ وجل، وله أعوانٌ يفعلون ما يأمرهم به بأمر ربِه، ويصرِّفون الرياحَ والسحابَ كما يشاء اللَّهُ عز وجل، وقد جاء في بعض الآثار: (ما من قطرةٍ تنزِل من السماء إلا ومعها ملكٌ يقرُّها في موضعها من الأرض)[(٢)].

وفي حديث ابن عباس عند الطبرانيِّ[(٣)] أنه ﷺ قال لجبريلَ: «**على أي شيءٍ ميكائيلُ؟ قال: «على النبات والقطْر**».

---

(١) أخرجه البخاري (٨/ ٥٣٧ رقم ٤٨٠٠) من حديث أبي هريرة.
وأخرجه مسلم (٤/ ١٧٥٠ رقم ٢٢٢٩) من حديث ابن عباس بلفظ: «أخبرني رجلٌ من أصحاب النبي ﷺ من الأنصار، أنهم بينما هم جلوسٌ ليلةً مع رسول الله ﷺ رُمِيَ بنجم فاستنارَ، فقال لهم رسولُ الله ﷺ: «**ماذا كنتم تقولون في الجاهلية إذا رُميَ بمثل هذا؟**» قالوا: الله ورسولُه أعلم. كُنا نقولُ وُلد الليلةَ رجلٌ عظيمٌ ومات رجلٌ عظيم. فقال رسول الله ﷺ: «**فإنها لا يُرمى بها لموتِ أحدٍ ولا لحياته. ولكن ربُنا تبارك وتعالى اسمُه، إذا قضى أمراً سبَّح حملةُ العرشِ، ثم سبَّح أهلُ السماءِ الذين يلونهم حتى يبلغ التسبيحُ أهل هذه السماء الدنيا، ثم قال الذين يلون حملة العرش لحملةِ العرشِ: ماذا قال ربكم؟ فيخبرونهم ماذا قال. قال: فيخبرُ بعضُ أهل السماواتِ بعضاً حتى يبلُغ الخبر هذِ السماءَ الدنيا. فتخطَفُ الجنُّ السمع فيقذفون إلى أوليائهم، ويُرمَون به، فما جاءوا به على وجههِ فهو حق، ولكنهم يَقْرِفونَ فيه ويزيدون**».
(٢) لم أعثر على قائله ولا من أخرجه.
(٣) في «الكبير» (١١/ ٣٧٩ رقم ١٢٠٦١). =

ولأحمدَ[1] عن أنس بنِ مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال لجبريلَ عليه السلام: «**ما لي لم أرَ ميكائيلَ ضاحكاً قط؟ فقال عليه السلام: ما ضحكَ ميكائيلُ منذ خُلقت النارُ**». عياذاً بالله منها.

ومنهم الموكّلُ بالصُّور، وهو إسرافيلُ عليه السلام، ينفُخ فيه ثلاثَ نَفَخاتٍ بأمر ربه عز وجل:

الأولى: نفخةُ الفزعِ.

والثانية: نفخةُ الصَّعْقِ.

والثالثة: نفخةُ القيامِ لرب العالمين، كما سيأتي إن شاء الله تعالى بسطُه في موضعه.

ولأحمدَ[2] والترمذيِّ[3] من حديث عطيَّة العوفيِّ عن أبي سعيدٍ الخُدريِّ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**كيف أَنعَمُ وصاحبُ القرنِ قد التقم القرنَ وحنى جبهتَه وانتظر أن يُؤذَنَ له**، قالوا: كيف نقول يا رسولَ الله؟ قال: **قولوا: حسبنا اللَّهُ ونعم الوكيل، على الله توكّلنا**». وهؤلاء الثلاثة من الملائكة هم الذين ذكرهم النبيُّ ﷺ

= وأورده الهيثمي في «المجمع» (٩/ ١٩) وقال: «وفيه محمد بن أبي ليلى وقد وثقه جماعة لكنه سيء الحفظ وبقية رجاله ثقات» اهـ.

قلت: وفيه محمد بن عمران مجهول لم يوثقه إلا ابن حبان.

(١) في «المسند» (٣/ ٢٢٤) **بسند ضعيف**.

(٢) في «المسند» (٣/ ٧، ٧٣).

(٣) في «السنن» (٤/ ٦٢٠ رقم ٢٤٣١) وقال: **هذا حديث حسن**.

قلت: أخرجه ابن المبارك في «الزهد» رقم (١٥٩٧) وابن ماجه رقم (٤٢٧٣) وأبو نعيم في «الحلية» (٥/ ١٠٥) و (٧/ ١٣٠، ٣١٢) من طرق عن أبي سعيد الخدري.

وفيه عطية العوفي، ضعيف، إلا أنه قد تابعه أبو صالح عن أبي سعيد به.

أخرجه ابن حبان (رقم: ٢٥٦٩ ـ موارد)، والحاكم (٤/ ٥٥٩).

وللحديث شواهد من حديث ابن عباس عند أحمد (١/ ٣٢٦) والحاكم عن مطرف عن عطية. وكذلك من حديث زيد بن أرقم عند أحمد (٤/ ٣٧٤).

وأيضاً من حديث البراء عند الخطيب في «تاريخه» (١١/ ٣٩) وفيه عبد الأعلى بن أبي المساور، قال الحافظ: متروك، وكذبه ابن معين.

وخلاصة القول أن حديث أبي سعيد حسن لغيره، والله أعلم.

في دعائه من صلاة الليلِ: «**اللهم ربَّ جبريلَ وميكائيلَ وإسرافيلَ، فاطرَ السمواتِ والأرض، عالمَ الغيبِ والشهادة، أنت تحكم بين عبادِك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدِني لما اختُلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم**»(١).

ومنهم الموكلُ بقبض الأرواح، وهو ملكُ الموتِ وأعوانُه، وقد جاء في بعض الآثار تسميتهُ عزرائيلَ(٢)، قال الله تعالى: ﴿۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [السجدة: ١١].

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾﴾ [الأنعام].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۙ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ [الأنفال: ٥٠].

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ﴾ ـ إلى قوله تعالى ـ: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [النحل: ٢٨ ـ ٣٢]، وغيرُها من الآيات.

وقد جاء في الأحاديث(٣) أن أعوانَه يأتون العبدَ بحسب عملِه، إن كان محسناً ففي أحسن هيئةٍ وأجملِ صورةٍ بأعظمِ بشارةٍ، وإن كان مسيئاً ففي أشنعِ هيئةٍ وأفظعِ منظرٍ بأغلظِ وعيدٍ، ثم يسوقون الروحَ حتى إذا بلغت الحلقومَ قبضها ملكُ الموتِ فلا يدعونها في يده بل يضعونها في أكفان وحَنوطٍ يليق بها كما قال تعالى: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّآ إِن كَانَ

---

(١) أخرجه مسلم (١/ ٥٣٤ رقم ٧٧٠) من حديث عائشة. وقد تقدم.

(٢) جاء في بعض الآثار تسمية ملك الموت باسم عزرائيل. ولا يوجد في القرآن ولا في الأحاديث الصحيحة تسميته بهذا الاسم. [البداية (١/ ٥٠)].

(٣) (منها): ما أخرجه الحاكم (١/ ٣٥٢ ـ ٣٥٣) وصححه وأقره الذهبي، وأخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ١٠٤) من حديث أبي هريرة. **وهو حديث صحيح**.
(ومنها) ما أخرجه مسلم رقم (٢٨٧٢) من حديث أبي هريرة.

مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾﴾ [الواقعة].
سبحان اللَّهِ وبحمده، سبحان اللَّهِ العظيم، نستغفر الله.

ومنهم الموكلُ بحفظ العبد في حلّه وارتحالِه، وفي نومه ويقظتِه، وفي كل حالاتِه، وهم المعقِّبات، قال الله تعالى: ﴿سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ﴾ [الرعد: ١٠ ـ ١١].

وقال تعالى: ﴿قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ۗ﴾ [الأنبياء: ٤٢].

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ [الأنعام: ٦١].

قال ابن عباس(١) رضي الله عنهما في الآية الأولى: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۗ﴾ [الرعد: ١١]: والمعقِّبات من الله هم الملائكةُ يحفظونه من بين يديه ومن خلفه، فإذا جاء قدرُ اللَّهِ تعالى خلّوا عنه.

وقال مجاهد(٢): ما من عبد إلا له ملَكٌ موكلٌ بحفظه في نومه ويقظِته من الجن والإنسِ والهوامِّ، فما منها شيءٌ يأتيه إلا قال له الملكُ وراءك، إلا شيءٌ أذِن اللَّهُ فيه فيُصيبُه.

وقال تعالى: ﴿قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ مِنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ۗ﴾ [الأنبياء: ٤٢]، قال ابنُ كثيرٍ(٣): أي بدلَ الرحمن، يمتنُّ سبحانه وتعالى بنعمته على عبيده وحِفظِه لهم بالليل والنهارِ وكَلاءَتِه وحراستِه لهم بعينه التي لا تنام. اهـ.

ومنهم الموكلُ بحفظ عملِ العبدِ من خير وشر، وهم الكرامُ الكاتبون، وهؤلاء يشملهم مع ما قبلهم قولُه عز وجل: ﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ [الأنعام: ٦١]، وقال تعالى فيهم: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ [الزخرف: ٨٠].

---

(١) أخرجه الطبري في «جامع البيان» (رقم: ٢٠٢١٦ ـ شاكر) عنه.
وأورده ابن كثير في تفسيره (٢/ ٥٢٢).
(٢) أخرجه الطبري في «جامع البيان» (رقم: ٢٠٢٢٤ ـ شاكر) عنه.
وأورده ابن كثير في تفسيره (٢/ ٥٢٢).
(٣) في تفسيره: (٣/ ١٨٨).

وقال تعالى: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ۝١٧ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ۝١٨﴾ [ق]. فالذي عن اليمين يكتب الحسناتِ، والذي عن الشمال يكتب السيئاتِ.

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝١٢﴾ [الانفطار].

عن علقمةَ عن بلالِ بنِ الحارثِ المُزنيِّ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إن الرجلَ ليتَكلم بالكلمةِ من رضوان اللّهِ تعالى ما يظن أن تبلُغَ ما بلغتْ، يكتبُ اللّهُ عز وجل له بها رضوانَه إلى يوم يلقاه. وإن الرجلَ لَيتكلّمُ بالكلمةِ من سَخط اللّهِ تعالى ما يظن أن تبلُغ ما بلغتْ، يكتبُ اللّهُ تعالى عليه بها سخطَه إلى يوم يلقاه**».

فكان علقمةُ يقول: كم من كلام قد مَنَعنيهِ حديثُ بلالِ بنِ الحارث.

رواه أحمدُ[1] والتِرمذيُّ[2] والنسائيُّ[3] وابنُ ماجه[4]. وقال الترمذي: حسنٌ صحيحٌ.

وروى البغويُّ[5] عن أبي أُمامةَ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «كاتبُ

---

(١) في «المسند» (٣/ ٤٦٩).

(٢) في «السنن» (٤/ ٥٥٩ رقم ٢٣١٩). وقال: **حديث حسن صحيح**.

(٣) في «الكبرى» كما في «تحفة الأشراف» (٢/ ٥٥٥).

(٤) في «السنن» (٢/ ١٣١٣ رقم ٣٩٦٩).

قلت: وأخرجه مالك (٢/ ٩٨٥ رقم ٥) وابن حبان (رقم: ١٥٧٦ ـ موارد) والحاكم (١/ ٤٥ ـ ٤٦) والحميدي رقم (٩١١).

وللحديث شاهد من حديث أبي هريرة مرفوعاً نحوه مختصراً، أخرجه البخاري ومسلم.

وخلاصة القول أن حديث بلال بن الحارث صحيح.

(٥) في «معالم التنزيل» (٧/ ٣٥٩) **بسند ضعيف**.

قلت: وأخرجه البيهقي في «الشعب» (٥/ ٣٩١ رقم ٧٠٥) والطبراني في «الكبير» (٨/ ٢١٧ ـ ٢١٨ رقم ٧٧٦٥) وأبو نعيم في «الحلية» (٦/ ١٢٤) كلهم من طريق عروة بن رويم.

وأخرجه البيهقي في «الشعب» (٥/ ٣٩٠ رقم ٥٠٤٩) والطبراني في «الكبير» (٨/ ٢٩٥ ـ ٢٩٦ رقم ٧٩٧١) من طريق جعفر بن الزبير.

وأخرجه الطبراني في «الكبير» (٨/ ٢٢٥ رقم ٧٧٨٧) من طريق ثور بن يزيد كلهم عن القاسم أبي عبد الرحمن عن أبي أمامة.

وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢٠٨) وقال: «رواه الطبراني بأسانيد ورجال=

الحسناتِ على يمين الرجل، وكاتبُ السيئات على يسار الرجل، وكاتب الحسناتِ أميرٌ على كاتب السيئات، فإذا عمِل حسنةً كتبها صاحبُ اليمين عشراً، وإن عمِل سيئةً قال صاحبُ اليمين لصاحب الشمال: دعه سبعَ ساعاتٍ لعله يسبّح أو يستغفر».

وفي الصحيح[1] عن أبي هريرةَ ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إن اللّهَ تعالى تجاوز لي عن أمتي ما حدَّثت به أنفسَها ما لم يتكلّموا أو يعملوا به».

وفي رواية[2]: «ما لم تعمل أو تَكَلَّمْ به».

وفيه[3] عنه ﷺ: قال رسولُ الله ﷺ: «قال الله عزَّ وجل: إذا همَّ عبدي بسيئة فلا تكتُبوها عليه، فإن عمِلها فاكتُبوها سيئةً. وإذا همَّ بحسنة فلم يعملها فاكتبُوها حسنة، فإن عمِلها فاكتُبوها عشراً».

وفي رواية[4]: «قال الله عز وجل: إذا همَّ عبدي بحسنة فلم يعملها كتبتُها له حسنةً، فإن عمِلها كتبتُها عشرَ حسنات إلى سبعمائة ضِعفٍ، وإذا همَّ بسيئة ولم يعملها لم أكتُبْها عليه، فإن عمِلها كتبتُها سيئةً واحدةً».

وفي أخرى[5]: قال الله عز وجل: إذا تحدَّث عبدي بأن يعملَ حسنةً فأنا أكتُبها له حسنةً ما لم يعمل، فإذا عمِلها فأنا أكتُبها بعشر أمثالِها. وإذا تحدَّث بأن يعملَ سيئةً فأنا أغفرُها له ما لم يعمَلها، فإذا عمِلها فأنا أكتُبها له بمثلها».

وقال رسول الله ﷺ: «قالت الملائكةُ: ربِّ ذاك عبدُك يريد أن يعملَ سيئةً ـ وهو تعالى أبصرُ به ـ فقال: ارقُبوه، فإن عمِلها فاكتُبوها له بمثلها، وإن تركها فاكتُبوها له حسنةً، إنما تركها من جرَّاي»[6].

= أحدها وثقوا». وقال في طريق جعفر بن الزبير: فيه جعفر بن الزبير وهو كذاب. وحسَّن الألباني الحديث في «الصحيحة» رقم (١٢٠٩).

(١) أخرجه البخاري (١١/٥٤٨ رقم ٦٦٦٤)، ومسلم (١/١١٦ رقم ١٢٧).

(٢) أخرجها البخاري (١١/٥٤٨ رقم ٦٦٦٤).

(٣) أخرجه البخاري (١٣/٤٦٥ رقم ٧٥٠١)، ومسلم (١/١١٧ رقم ٢٠٣/١٢٨).

(٤) أخرجه البخاري (١٣/٤٦٥ رقم ٧٥٠١)، ومسلم (١/١١٧ رقم ٢٠٤/١٢٨).

(٥) أخرجها مسلم (١/١١٧ رقم ٢٠٥/١٢٩) من حديث أبي هريرة.

(٦) تقدم تخريجه.

وقال رسولُ الله ﷺ: **«إذا أحسن أحدُكم إسلامَه فكلُّ حسنةٍ يعملها تُكتب بعشر أمثالِها إلى سبعمائة ضِعفٍ، وكلُ سيئةٍ يعملها تكتب بمثلها، حتى يَلقى اللَّهَ عز وجل»**[1].

وفيه[2] عن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل قال: **«إن اللَّهَ تبارك وتعالى كتب الحسناتِ والسيئاتِ ثم بيّن ذلك: فمن همَّ بحسنة فلم يعمَلها كتبها اللَّهُ عنده حسنةً كاملةً، وإن همَّ بها فعمِلها كتبها اللَّهُ عز وجل عنده عشرَ حسناتٍ إلى سبعمائة ضعفٍ إلى أضعافٍ كثيرة. وإن همَّ بسيئة فلم يعمَلها كتبها اللَّهُ عنده حسنةً كاملةً، وإن همَّ بها فعمِلها كتبها اللَّهُ سيئةً واحدة** - زاد في رواية[3] - **أو محاها الله، ولا يهلِكُ على الله إلا هالكٌ»**.

قال الحسنُ البَصريُّ[4] رحمه الله تعالى وتلا هذه الآية: ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ [ق: ١٧]: يا ابنَ آدمَ بُسطتْ لك صحيفةٌ، ووُكِّلَ بك ملكانِ كريمان أحدُهما عن يمينك والآخرُ عن شمالك، فأما الذي عن يمينك فيحفظ حسناتِك، وأما الذي عن يسارك فيحفظ سيئاتِك، فاعمَلْ ما شئت أقلِلْ أو أكثِرْ، حتى إذا متّ طُويتْ صحيفتُك وجُعلتْ في عنقك معك في قبرك حتى تخرُج يوم القيامة، فعند ذلك يقول الله تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾ [الإسراء].

ثم يقول: **«عدَل والله فيك مَن جعلك حسيبَ نفسِك»** اهـ.

ويناسب ذكرَ المعقباتِ والحفظةِ ما روى البخاريُّ[5] رحمه الله تعالى في (باب قولِ الله عز وجل تعرُج الملائكةُ والروحُ إليه)[6] قال: حدثنا إسماعيلُ حدثني مالكٌ عن أبي الزنادِ عن الأعرج عن أبي هريرةَ رضي الله عنه أن رسولَ الله ﷺ قال:

---

(١) تقدم تخريجه.
(٢) أخرجه البخاري (١١/ ٣٢٣ رقم ٦٤٩١)، ومسلم (١/ ١١٨ رقم ٢٠٧/ ١٣١).
(٣) أخرجها مسلم (١/ ١١٨ رقم ٢٠٨/ ١٣١).
(٤) ذكره ابن كثير في تفسيره (٤/ ٢٣٩ - ٢٤٠) عنه.
(٥) في صحيحه (١٣/ ٤١٥ رقم ٧٤٢٩) و (٢/ ٣٣ رقم ٥٥٥).
(٦) رقم الباب: (٢٣).

«يتعاقبون فيكم ملائكةٌ بالليل وملائكةٌ بالنهار، ويجتمعون في صلاة العصرِ وصلاة الفجرِ، ثم يعرُج الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم بهم فيقول: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلّون وأتيناهم وهم يصلّون». ورواه مسلم[(١)] أيضاً.

وفيهما[(٢)] عن أبي موسى رضي الله عنه قال: «قام فينا رسولُ الله ﷺ بأربع كلماتٍ فقال: إن اللّهَ لا ينام ولا ينبغي له أن ينامَ، يخفض القِسْطَ ويرفعُه، يُرفع إليه عملُ الليل قبل عمل النهارِ وعملُ النهارِ قبل عمل الليل»، الحديث تقدم في العلو. والأحاديث في ذكر الحفظة كثيرة.

ومنهم الموكلون بفتنةِ القبرِ وهم مُنكرٌ ونَكيرٌ، وسيأتي إن شاء الله تعالى ذكرُ النصوصِ في ذلك قريباً، نسأل الله تعالى الثباتَ والتوفيقَ

ومنهم خزَنةُ الجنة ومقدَّمُهم رَضوانُ عليهم السلام، قال الله تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣].

وقال تعالى: ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ [الرعد].

ومنهم المبشِّرون للمؤمنين عند وَفَياتِهم، وفي يوم القيامة. كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت].

وقال تعالى فيهم: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٣].

---

(١) في صحيحه (١/٤٣٩ رقم ٦٣٢).

(٢) أي البخاري ومسلم. ولكن الحديث لم يخرجه البخاري. بل أخرجه مسلم فقط في صحيحه (١/١٦١ رقم ١٧٩).

ومنهم خزنةُ جهنَّمَ عياذاً بالله منها، وهم الزبانيةُ، ورؤساؤهم تسعةَ عشرَ، ومقدمُهم مالكٌ عليهم السلام، قال الله تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَاۚ﴾ [الزمر: ٧١] الآيات.

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوٓاْ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِۖ قَالُواْ بَلَىٰۚ قَالُواْ فَٱدْعُواْۗ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿٥٠﴾﴾ [غافر].

وقال تعالى: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾﴾ [العلق].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦].

وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةًۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنًاۙ﴾ [المدثر: ٢٧ ـ ٣١].

وقال تعالى: ﴿وَنَادَوْاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾ [الزخرف: ٧٧].

وفي صحيحِ مسلم[(١)]: «يؤتى بجهنمَ يوم القيامة لها سبعون ألفَ زمامٍ، كلُّ زمام في يد سبعينَ ألفَ ملَكٍ يَجُرّونها».

ومنهم الموكلون بالنُّطفة في الرحِم كما في حديث ابنِ مسعودٍ[(٢)] رضي الله عنه قال: «حدثنا رسولُ الله ﷺ وهو الصادقُ المصدوقُ أن أحدَكم يُجمع خلقُه في بطن أمِّه أربعين يوماً نطفةً، ثم يكون علقةً مثلَ ذلك، ثم يكون مُضغةً مثلَ ذلك، ثم يُرسل إليه الملكُ فينفُخُ فيه الروحَ، ويؤمر بأربع كلماتٍ: يكتب رزقَه وأجلَه وعملَه وشقيٌّ أو سعيد» الحديث. وفي بابه من الأحاديث كثيرٌ.

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ٢١٨٤ رقم ٢٨٤٢) من حديث عبد الله بن مسعود، وهذا الحديث مما استدركه الدارقطني على مسلم.
وقال: رفعه وهم. رواه الثوري ومروان وغيرهما عن العلاء بن خالد موقوفاً.
قلت: وحفص ثقة، حافظ إمام، فزيادة الرفعِ مقبولة، كما سبق نقله عن الأكثرين والمحققين.

(٢) أخرجه البخاري (١١/ ٤٧٧ رقم ٦٥٩٤)، ومسلم (٤/ ٢٠٣٦ رقم ٢٦٤٣).

وفيها: أن الملَكَ يقول: يا ربّ مخلّقةٌ أو غيرَ مخلّقة؟ واحدٌ أو توأمٌ؟ ذكرٌ أم أنثى؟ شقيٌّ أو سعيد؟ ما الرزقُ وما الأجلُ؟ فيقضي الله تعالى ما يشاء. فيكتب الملكُ كما أمره اللّهُ عز وجل فلا يُغيَّر ولا يُبدّل»[1].

ومنهم حملةُ العرشِ والكروبيون، وهم الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ﴾ [غافر: ٧]، الآيات.

وقال تعالى: ﴿وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ﴾ [الحاقة: ١٧]. ومفهومُ هذه الآيةِ من قوله تعالى: ﴿يَوۡمَئِذٖ﴾ أن حملةَ العرشِ ليسوا اليومَ ثمانيةً، ويؤيد ذلك ما روى الإمامُ أحمدُ[2] عن ابن عباس ﵄ قال رسولُ الله ﷺ: «صدق أميةُ بنُ أبي الصَّلتِ[3] في شيء من شعره. فقال:

رجلٌ وثورٌ تحت رِجْلِ يمينه ... والنَّسرُ للأخرى وليثٌ مُرصدُ

فقال رسول الله ﷺ: «صدق». فقال:

والشمسُ تطلُع كلَّ آخِر ليلةٍ ... حمراء يصبح لونُها يتورّدُ

---

(١) أخرجه البخاري (١١/ ٤٧٧ رقم ٦٥٩٥)، ومسلم (٤/ ٢٠٣٨ رقم ٢٦٤٦) من حديث أنس بن مالك.

(٢) في «المسند» (١/ ٢٥٦).
قلت: وأخرجه الطبراني في «الكبير» (١١/ ٢٣٣ رقم ١١٥٩١)، وأبو يعلى في «المسند» (٤/ ٣٦٥ رقم ١٥٥/ ٢٤٨٢).
وأورده الهيثمي في «المجمع» (٨/ ١٢٧) وقال: «رواه أحمد، وأبو يعلى، والطبراني ورجاله ثقات إلا أن ابن إسحاق مدلس.
قلت: ولم يصرح بالتحديث عند الثلاثة.
وخلاصة القول أن الحديث ضعيف، والله أعلم.

(٣) أمية بن أبي الصلت الثقفي الشاعر المشهور، ذكره ابن السكن في «الصحابة»، وقال: لم يدركه الإسلام، وقد صدقه النبي ﷺ في بعض شعره، وقال: «قد كاد أمية أن يسلم».
انظر: «الإصابة» رقم (٥٥٢ز)، وانظر: الشعراء لابن قتيبة (ص٤٢٩ - ٤٣٣) بتحقيق الشيخ أحمد شاكر.
* والأبيات في ديوان أمية بن أبي الصلت (ص٣٦٦).

تأبى فما تطلع لنا في رِسْلها إلا معذبةً وإلا تُجلد

فقال رسول الله ﷺ: «**صدق**». وهذا إسنادُه جيدٌ[1].

لكن قد ورد ما يدل على أنهم في الدنيا أيضاً ثمانيةٌ، وهو حديثُ العَنانِ الذي رواه أبو داودَ وغيرُه[2] وقد تقدم في العلو، وفيه: «**ثم فوق السماءِ السابعةِ بحرٌ بين أسفلِه وأعلاه مثلُ ما بين سماء إلى سماء، ثم فوق ذلك ثمانيةُ أوعالٍ بين أظلافِهن ورُكَبِهنّ مثلُ ما بين سماء إلى سماء، ثم على ظهورهن العرشُ بين أسفلِه وأعلاهُ مثلُ ما بين سماء إلى سماء، ثم الله تبارك وتعالى فوق ذلك**».

وله[3] عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: «إن رسولَ الله ﷺ قال: «**أُذِنَ لي أن أحدِّثَ عن ملك من ملائكة اللّهِ تعالى من حَمَلة العرشِ أن ما بين شحمةِ أُذنه إلى عاتقه مسيرةُ سبعِمائةِ عام**». وقال ابنُ عباس[4] وسعيدُ بنُ جبيرٍ[5] والشعبيُّ[6] وعِكرِمةُ[6] والضحاكُ[7] وابنُ جُريجٍ[8]: ثمانيةُ صفوفٍ من الملائكة. وقال الضحاكُ[9] عن ابن عباس: الكروبيون ثمانيةُ أجزاء، كل جزء منهم بعدة الإنسِ والجنِّ والشياطينِ والملائكة.

وفي حديثِ الصُّورِ الطويلِ قال رسولُ الله ﷺ: «**فأرجع فأقف مع الناس، فبينما نحن وقوفٌ إذ سمعنا من السماء حسّاً شديداً فهالنا، فينزل أهلُ السماء الدنيا بمِثلَيْ من في الأرض من الجن والإنس، حتى إذا دنَوا من الأرض أشرقت الأرضُ**

---

(١) قاله ابن كثير في تفسيره (٤/٧٨). **وقد علمت أن الحديث ضعيف، ولم يكن سنده بالجيد**

(٢) تقدم تخريجه في «العلو».

(٣) أي لأبي داود في «السنن» (٥/٩٦ رقم ٤٧٢٧). **وهو حديث صحيح.**

(٤) أخرجه ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم من طرق عنه كما في «الدر المنثور» (٨/٢٦٩).

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» رقم (١٨٩٦٨) عنه.

(٦) ذكره ابن كثير في تفسيره (٤/٤٤٢).

(٧) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٤/ج٢٩/٥٨) عنه.
قلت: حديث الضحاك معضل لأنه لم يسمع من صغار الصحابة.

(٨) ذكره ابن كثير في تفسيره (٤/٤٤٢).

(٩) ذكره ابن كثير في تفسيره (٤/٤٤٢).

بنورهم وأخذوا مَصافّهم وقلنا لهم: أفيكم ربُّنا؟ قالوا: لا، وهو آتٍ، ثم ينزل أهلُ السماء الثانيةِ بمثلَيْ من نزل من الملائكة وبمثلَي من فيها من الجن والإنس، حتى إذا دنَوا من الأرض أشرقت الأرضُ بنورهم وأخذوا مَصافّهم وقلنا لهم: أفيكم ربُّنا؟ فيقولون: لا، وهو آتٍ. ثم ينزلون على قدْر ذلك من التضعيف، حتى ينزلَ الجبارُ عز وجل في ظُللٍ من الغمام والملائكةُ، فيحمل عرشَه يومئذ ثمانيةٌ، وهم اليومَ أربعةٌ، أقدامُهم في تخوم الأرضِ السُّفلى، والأرضُ والسمواتُ إلى حُجَزِهم والعرشُ على مناكبهم، لهم زَجَلٌ في تسبيحهم، يقولون سبحان ذي العزةِ والجبَروت، سبحان ذي المُلك والملكوتِ، سبحان الحيِّ الذي لا يموت، سبحان الذي يميت الخلائقَ ولا يموت. سُبُّوحٌ قدُّوسٌ قدُّوس قدُّوس. سبحان ربِّنا الأعلى ربِّ الملائكةِ والروح. سبحان ربِّنا الأعلى الذي يميت الخلائقَ ولا يموت»، الحديث رواه ابنُ جرير[1] والطبرانيّ[2] وغيرُهما.

ومنهم ملائكةٌ سيّاحون يتبعون مجالسَ الذكر، فإذا وجدوا قوماً يذكرون اللّهَ عز وجل تنادَوا: «هلُموا إلى حاجتكم، فيَحُفّونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا، فيسألهم ربُهم عز وجل وهو أعلمُ بهم منهم: ما يقول عبادي؟

(١) في «جامع البيان» (٢/ج٢/ ٣٣٠ ـ ٣٣١) و (١٠/ج١٧/ ١١٠ ـ ١١١) و (١٢/ج٢٤/ ٣٠) و (١٥/ج٣٠/ ١٨٦ ـ ١٨٧) مختصراً ومطولاً.

(٢) في «المطولات» في نهاية «المعجم الكبير» (٢٥/ ٢٢٥ ـ ٢٢٧ رقم ٢٠).
وفي «المعجم الكبير» رقم (٧٨٧٣).
وأورده الهيثمي في «المجمع» (٧/ ٣٢) وقال: «وفيه علي بن يزيد الألهاني وهو متروك» اهـ.
وقال ابن كثير في تفسيره (٢/ ١٥٤): «**هذا حديث مشهور وهو غريب جداً ولبعضه شواهد في الأحاديث المتفرقة وفي بعض ألفاظه نكارة**، تفرد به إسماعيل بن رافع قاضي أهل المدينة وقد اختلف فيه، فمنهم وثقه ومنهم من ضعفه ونص على نكارة حديثه غير واحد من الأئمة كأحمد بن حنبل وأبي حاتم الرازي وعمرو بن علي الفلاس، ومنهم من قال فيه هو متروك، وقال ابن عدي أحاديثه كلها فيها نظر إلا أنه يكتب حديثه في جملة الضعفاء.
قلت: وقد اختلف عليه في إسناد هذا الحديث على وجوه كثيرة قد أفردتها في جزء على حدة، وأما سياقه فغريب جداً ويقال: إنه جمعه من أحاديث كثيرة، وجعله سياقاً واحداً، فأنكر عليه بسبب ذلك وسمعت شيخنا الحافظ أبا الحجاج المزي يقول: إنه رأى للوليد بن مسلم مصنفاً قد جمعه كالشواهد لبعض مفردات هذا الحديث، فالله أعلم» اهـ.

قالوا: يسبّحونك ويكبّرونك ويَحمَدونك ويمجّدونك»[1]، الحديث تقدم في العلو.

وقال ﷺ: **«وما اجتمع قومٌ في بيت من بيوت الله يتلون كتابَ اللّهِ ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينةُ وغشِيتْهم الرحمةُ وحفتْهم الملائكةُ وذكرهم الله في من عنده»**، الحديث بطوله في الصحيح[2] عن أبي هريرة.

ومنهم الموكلُ بالجبال، وقد ثبت ذكرُه في حديث خروجِ النبيِّ ﷺ إلى بني عبد ياليلَ وعَودِه منهم، وفيه قولُ جبريلَ له ﷺ: **«إن اللّهَ قد سمع قولَ قومِك لك وما ردُّوه عليك»**. وفيه قولُ ملَكِ الجبال: **«إنْ شئتَ أن أُطبِقَ عليهم الأخشبين»** فقال ﷺ: **بل استأن بهم لعل الله أن يُخرجَ من أصلابهم من يعبُد اللّهَ لا يشركُ به شيئاً»**[3].

ومنهم زُوّارُ البيتِ المعمور الذي أقسم اللّهُ تعالى به في كتابه، ثبت ذلك في حديث المعراجِ، وهو بيتٌ في السماء السابعةِ بحيال الكعبةِ في الأرض لو سقط لوقع عليها، حُرمتُه في السماء كحرمة الكعبةِ في الأرض، يدخُله كلَّ يوم سبعون ألفَ ملكٍ ثم لا يعودون إليه آخِرَ ما عليهم»، يعني لا تحول نوبتهم لكثرتهم. والحديثُ بألفاظه في الصحيحين[4].

ومنهم ملائكةٌ صفوفٌ لا يفتُرون، وقِيامٌ لا يركعون، ورُكَّعٌ وسُجَّدٌ لا يرفعون، ومنهم غيرُ ذلك: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ﴾ [المدثر: ٣١].

---

(١) أخرجه البخاري (١١/٢٠٨ رقم ٦٤٠٨)، ومسلم (٤/٢٠٦٩ رقم ٢٦٨٩)، من حديث أبي هريرة.

(٢) في صحيح مسلم (٤/٢٠٧٤ رقم ٢٦٩٩).

(٣) أخرجه البخاري (٦/٣١٢ ـ ٣١٣ رقم ٣٢٣١)، ومسلم (٣/١٤٢٠ رقم ١٧٩٥)، من حديث عائشة.

(٤) البخاري (٦/٣٠٢ ـ ٣٠٣ رقم ٣٢٠٧) و (١/١٤٥ ـ ١٤٧ رقم ١٦٢)، من حديث أنس بن مالك.

روى الإمامُ أحمدُ[1] والترمذي[2] وابنُ ماجه[3] عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إني أرى ما لا ترَون، وأسمع ما لا تسمعون. أطّت السماءُ وحُقَّ لها أن تئِطَّ، ما فيها موضعُ أربعِ أصابعَ إلا عليه ملكٌ ساجدٌ، لو علمتم ما أعلم لضحِكتم قليلاً ولبكَيتم كثيراً ولما تلذذتم بالنساء على الفرُشات، ولخرجتم إلى الصُعُدات تجأرون إلى الله تعالى**». فقال أبو ذر: واللّهِ لَوَدِدْتُ أني شجرةٌ تُعضَد. وقال الترمذي: غريب.

ويروى عن أبي ذر موقوفاً. قلت: وله حكمُ الرفع، ومن أين لأبي ذر رضي الله عنه مثلُ هذا إلا عن توقيف، والله أعلم.

وعن حكيم بن حزام[4] قال: بينما رسولُ الله ﷺ مع أصحابه إذ قال لهم: «**هل تسمعون ما أسمع؟** قالوا: ما نسمع من شيء. فقال رسول الله ﷺ: «**أسمع أطيطَ السماء وما تُلامُ أن تَئِط، ما فيها موضعُ شبرٍ إلا وعليه ملكٌ راكعٌ أو ساجدٌ**».

وعن عائشة[5] رضي الله عنها قالت: قال رسولُ الله ﷺ: «**ما في السماء الدنيا موضعُ قدم إلا عليه ملكٌ ساجدٌ أو قائمٌ. وذلك قول الملائكة: وما منّا إلا له مقامٌ معلوم، وإنا لنحن الصافّون، وإنا لنحن المسبِّحون**».

---

(١) في «المسند» (٥/١٧٣).

(٢) في «السنن» (٤/٥٥٦ رقم ٢٣١٢) وقال: **هذا حديث حسن غريب**.

(٣) في «السنن» (٢/١٤٠٢ رقم ٤١٩٠).
قلت: وأخرجه الحاكم (٢/ ٥١٠) وقال: **صحيح الإسناد ولم يخرجاه**، وسكت عليه الذهبي.
وخلاصة القول أن الحديث حسن.

(٤) أخرجه ابن نصر في «تعظيم قدر الصلاة» (١/٢٥٨ رقم ٢٥٠) **بسند صحيح**.
رجاله كلهم ثقات. وله شواهد من حديث ابن مسعود وعائشة كما يأتي في التعليقة التالية.
انظر: «الصحيحة» رقم (١٠٦٠).
وخلاصة القول أن الحديث صحيح، والله أعلم.

(٥) أخرجه ابن نصر المروزي (١/٢٦٠ رقم ٢٥٣) **بإسناد حسن في الشواهد**. رجاله ثقات غير الفضل هذا، فقد ترجمه ابن أبي حاتم (٣/٢/٦١) من رواية ثقتين عنه، ولم يذكر فيه جرحاً ولا تعديلاً.
ثم ذكر الحديث الآتي برقم (٢٥٤) وقال: فذكره موقوفاً على ابن مسعود باختصار وهو في حكم المرفوع، وإسناده صحيح. «انظر: الصحيحة» رقم (١٠٥٩).
وخلاصة القول أن الحديث حسن، والله أعلم.

وعن العلاء بنِ سعدٍ[١] وقد شهدَ الفتحَ وما بعده أن النبيَّ ﷺ قال يوماً لجلسائه: «**هل تسمعون ما أسمع؟** قالوا: وما تسمع يا رسولَ الله؟ قال: «**أطّت السماءُ وحُقّ لها أن تئط**[٢]**، إنه ليس فيها موضعُ قدم إلا وعليه ملكٌ قائمٌ أو راكعٌ أو ساجد**. وقالت الملائكة: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾﴾ [الصافات]».

وعن رجلٍ[٣] صحِبَ رسولَ الله ﷺ عن رسول اللَّهِ ﷺ قال: «**إن لله تعالى ملائكةً ترعُد فرائصُهم من خيفته، ما منهم ملكٌ تقطر منه دمعةٌ من عينه إلا وقعت على ملك يُصلّي، وإن منهم ملائكةً سجوداً منذ خلق اللَّهُ السمواتِ والأرضَ لم يرفعوا رؤوسَهم ولا يرفعونها إلى يوم القيامة، وإن منهم ملائكةً ركوعاً لم يرفعوا رؤوسَهم منذ خلق اللَّهُ السمواتِ والأرضَ ولا يرفعونها إلى يوم القيامة، فإذا رفعوا رؤوسَهم نظروا إلى وجه اللَّهِ عز وجل فقالوا: سبحانك ما عبدناك حقَّ عبادتِك**».
وإسناده لا بأس به وهو والذي قبله أخرجهما محمدُ بنُ نصرِ المَرْوزيُّ.

وفي الصحيح[٤] عن جابر بنِ سَمُرة رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «**ألا**

---

(١) أخرجه محمد بن نصر المروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (١/ ٢٦١ ـ ٢٦٢ رقم ٢٥٥).
وقال الحافظ في «الإصابة» (٤/ ٤٤٧ رقم ٥٦٦٢): روى ابن منده من طريق عطاء بن يزيد بن مسعود، به عن سليمان بن عمر بن الربيع، حدثني عبد الرحمن بن العلاء بن سعد ـ من بني ساعدة ـ عن أبيه ـ وكان ممن بايع يوم الفتح ـ أن النبي ﷺ قال يوماً لجلسائه. الحديث. . . .
وأخرجه ابن عساكر في تاريخه في ترجمة محمد بن خالد، من طريق ابن منده بهذا الإسناد» اهـ.
وأورده ابن كثير في تفسيره (٤/ ٤٧٥) وقال: «**وهذا إسناد غريب جداً**».
قلت: ولكن لمتنه شواهد.

(٢) الأطيط: صوت الأقتاب، وأطيط الإبل: أصواتها وحنينها، أي إن كثرة ما فيها من الملائكة قد أثقلها حتى أطّت. وهذا مَثل وإيذان بكثرة الملائكة، وإن لم يكن ثم أطيط وإنما هو كلام تقريب أريد به تقرير عظمة الله تعالى. [النهاية: ١/ ٥٤].

(٣) أخرجه محمد بن نصر المروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (١/ ٢٦٧ ـ ٢٦٨ رقم ٢٦٠).
وأورده ابن كثيرة في تفسيره (٤/ ٤٧٥) وقال: إسناده لا بأس به.
قلت: فيه عدي بن أرطاة قال عنه الحافظ في «التقريب» (رقم: ٤٥٣٨): مقبول.

(٤) أي في صحيح مسلم (١/ ٣٢٢ رقم ٤٣٠).

تصفُّون كما تصُفُّ الملائكة عند ربِّها؟ فقلنا: يا رسولَ الله وكيف تصُف الملائكةُ عند ربِها؟ قال: «**يتِمّون الصفوفَ الأُوَلَ ويتراصّون في الصف**».

وفيه[1] عن عائشةَ رضي الله عنها قالت: قال رسولُ الله ﷺ: «**خُلقت الملائكةُ من نورِ العرشِ، وخلق الجانُّ من مارج من نار، وخُلق آدمُ مما وُصف لكم**».

[الركن الثالث: الإيمان بكتب الله المنزلة على رسله]

(و) الثالثُ الإيمانُ (**بكتبه المنزلةِ**) على رسله (**المطهّرة**) من الكذب والزُّورِ ومن كل باطلٍ ومن كل ما لا يليق بها، قال الله تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٦].

وقال تعالى: ﴿قُلۡ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ﴾ [آل عمران: ٨٤] إلى آخر الآية.

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦].

وقال تعالى: ﴿وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٖۖ وَأُمِرۡتُ لِأَعۡدِلَ بَيۡنَكُمُۖ﴾ [الشورى: ١٥].

وقال تعالى: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلۡنَاۚ﴾ [التغابن: ٨].

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِٱلۡكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرۡسَلۡنَا بِهِۦ رُسُلَنَاۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ﴾ [غافر: ٧٠]، الآيات.

وقال تعالى: ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِۖ﴾ [الحديد: ٢٥].

ومعنى الإيمان بالكتب التصديق الجازمُ بأن كلّها مُنزلٌ من عند الله عز وجل على رسله إلى عباده بالحق المبينِ والهدى المستبين، وأنها كلامُ الله عز وجل لا

---

(١) أي في صحيح مسلم (٤/٢٢٩٤ رقم ٢٩٩٦).

كلامُ غيرِهِ، وأن الله تعالى تكلم بها حقيقةً كما شاء وعلى الوجه الذي أراد، فمنها المسموعُ منه من وراء حجابٍ بدون واسطة، ومنها ما يُسمِعُه الرسولَ المَلكيَّ ويأمره بتبليغه منه إلى الرسول البشريِّ، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ [الشورى: ٥١].

وقال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤].

﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف: ١٤٣].

﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى﴾ [الأعراف: ١٤٤].

﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾ [النجم: ١٠].

﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ﴾ [الشورى: ٥٢].

﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ﴾ [النحل: ٢].

﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾ [الإسراء: ١٠٦].

منها ما خطَّه الله بيده عز وجل كما قال تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا ۚ﴾ [الأعراف: ١٤٥].

والإيمان بكل ما فيها من الشرائع، وأنه كان واجباً على الأمم الذين نزلت إليهم الصحفُ الأولى الانقيادُ لها والحكمُ بما فيها كما قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ - إلى قوله -: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾ وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ ٱلْإِنجِيلِ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فِيهِ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤٧﴾ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ۖ فَٱحْكُم بَيْنَهُم

بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [المائدة: ٤٤ ـ ٤٩].

وأن جميعَها يُصدّق بعضُها بعضاً لا يكذبه، كما قال تعالى في الإنجيل: ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ [المائدة: ٤٦]، وقال في القرآن: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨].

وأن كلَّ من كذب بشيء منها أو أبى عن الانقياد لها مع تعلُّق خطابه به يكفر بذلك كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠].

وأن نسْخَ الكتبِ الأولى بعضِها ببعض حقٌّ، كما نُسخ بعضُ شرائع التوراةِ بالإنجيل، قال الله تعالى في عيسى عليه السلام: ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾﴾ [آل عمران: ٤٨ ـ ٥٠].

وكما نُسخ كثيرٌ من شرائع التوراةِ والإنجيل والقرآن، كما قال تعالى: ﴿عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف] الآية.

وأن نسْخَ القرآنِ بعضَ آياته ببعض حقٌّ كما قال تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾ [البقرة: ١٠٦].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَآ ءَايَةً مَّكَانَ ءَايَةٍ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مُفْتَرٍۭ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ١٠١] الآيات.

وكما قال تعالى: ﴿ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِائَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [الأنفال: ٦٦]، بعد قوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَـٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِائَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [الأنفال: ٦٥].

والناسخُ والمنسوخُ آياتٌ مشهوراتٌ مذكوراتٌ في مواضعها من كتب التفسير وغيرِها. وأنه لا يأتي كتابٌ بعده ولا مغيّر ولا مبدّلَ لشيء من شرائعه بعده، وأنه ليس لأحد الخروجُ عن شيء من أحكامه، وأن من كذَّب بشيء منه من الأمم الأولى فقد كذب بكتابه، كما أن من كذب بما أخبر عنه القرآنُ من الكتب فقد كذب به، وأن من اتبع غيرَ سبيلِه ولم يقتفِ أثرَه ضلَّ، قال تعالى: ﴿الٓمٓصٓ ۝١ كِتَـٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝٢ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٣﴾ [الأعراف].

ثم الإيمانُ بكتب الله عز وجل يجب إجمالاً فيما أُجمل وتفصيلاً فيما فُصّل، فقد سمَّى الله تعالى من كتبه التوراةَ على موسى، والإنجيلَ على عيسى، والزَّبورَ على داودَ في قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ [النساء: ١٦٣]، والقرآنَ على محمد ﷺ، وذكر صحفَ إبراهيمَ وموسى.

وقد أخبر تعالى عن التنزيل على رسله مُجملاً في قوله: ﴿وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ﴾ [النساء: ١٣٦].

وقال تعالى: ﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ - إلى قوله -: ﴿وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ﴾ [البقرة: ١٣٦]. وقال: ﴿وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَـٰبٍ ۖ﴾ [الشورى: ١٥]. فنقول كما أمرنا ربُّنا عز وجل: آمنا بما أنزل اللّهُ من كتاب وما أرسل من رسول.

وقال تعالى في القرآن والسنة: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ﴾ [الحشر: ٧]، ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ﴾ [آل عمران: ٧].

فلا بد في الإيمان به من امتثال أوامرِه واجتنابِ مناهيه، وتحليلِ حلالِه وتحريمِ حرامِه، والاعتبارِ بأمثاله والاتعاظِ بقَصصه، والعمل بمُحكمه، والتسليم لمتشابهه، والوقوفِ عند حدودِه، وتلاوته آناءَ الليل والنهار، والذبُّ عنه لتحريف

الغالين وانتحالِ المبطِلين، والنصيحةِ له ظاهراً وباطناً بجميع معانيها. نسأل الله تعالى أن يرزُقَنا كلَّ ذلك ويوفقَنا له ويُعينَنا عليه ويُثبِّتَنا به وجميعَ إخوانِنا المسلمين، إنه وليُّ التوفيق.

[الركن الرابع: الإيمان برسل الله]

(و) الرابعُ الإيمانُ (برسله) وهم كلُّ من أُوحيَ إليه وأُمر بالتبليغ، أما من أوحي إليه ولم يؤمر بالتبليغ فهو نبيٌّ فقط وليس برسول، فكلُّ رسولٍ نبيٌّ ولا كلُّ نبيٍّ رسولٌ. (الهداةِ) جمعُ هادٍ، والمرادُ به هدايةُ الدعوةِ والدِّلالةِ والإرشادِ إلى سبيل الهدى كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌۖ وَلِكُلِّ قَوۡمٍ هَادٍ﴾ [الرعد: ٧]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۝٥٢ صِرَٰطِ ٱللَّهِ﴾ [الشورى: ٥٢ ـ ٥٣].

وأما هدايةُ التوفيقِ والتسديدِ والتثبيتِ فليست إلا بيد اللَّهِ عز وجل هو مقلِّبُ القلوبِ ومصرِّفُ الأمورِ، ليس لمَلَك مقرّبٍ ولا لنبي مرسلٍ تصريفٌ في شيء منهما فضلاً عمَّن دونهما، ولذا قال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿لَّيۡسَ عَلَيۡكَ هُدَىٰهُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۗ﴾ [البقرة: ٢٧٢].

وقال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾ [القصص: ٥٦].

والإيمانُ برسل الله عز وجل متلازمٌ، من كفر بواحد منهم فقد كفر بالله تعالى وبجميع الرسلِ عليهم السلام كما قال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ۝١٥٠ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ۝١٥١ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمۡ يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ أُوْلَٰٓئِكَ سَوۡفَ يُؤۡتِيهِمۡ أُجُورَهُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ۝١٥٢﴾ [النساء].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٩١].

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾﴾ [الصف].

وقال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى قَالُوٓا أَقْرَرْنَا قَالَ فَٱشْهَدُوا وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [آل عمران].

[معنى الإيمان بالرسل]

ومعنى الإيمانِ بالرسلِ هو التصديقُ الجازمُ بأن اللَّهَ تعالى بعث في كل أمةٍ رسولاً يدعوهم إلى عبادة اللَّهِ وحده لا شريكَ له والكفرِ بما يُعبد من دونه، وأن جميعَهم صادقون مصدَّقون بارُّون راشدون كرامٌ بررَةٌ أتقياءُ أُمناءُ هُداةٌ مهتدون، وبالبراهين الظاهرةِ والآياتِ الباهرة من ربهم مؤيَّدون، وأنهم بلَّغوا جميعَ ما أرسلهم الله به، لم يكتُموا منه حرفاً ولم يغيّروه ولم يزيدوا فيه من عند أنفسِهم حرفاً ولم يَنقُصوه: ﴿فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [النحل: ٣٥].

وأنهم كلُّهم كانوا على الحق المبين، والهدى المستبين، وأن اللَّهَ تعالى اتخذ إبراهيمَ خليلاً، واتخذ محمداً ﷺ خليلاً، وكلَّم موسى تكليماً، ورفع إدريسَ مكاناً علياً، وأن عيسى عبدُ الله ورسولُه وكلمتُه ألقاها إلى مريمَ ورُوحٌ منه، وأن اللَّهَ تعالى فضَّل بعضَهم على بعض ورفع بعضَهم على بعض درجات. وقد اتفقت دعوتُهم من أولهم إلى آخرهم في أصل الدينِ وهو توحيدُ اللَّهِ عز وجل بإلهيته وربوبيتِه وأسمائِه وصفاتِه، ونفيُ ما يُضادُّ ذلك أو ينافي كمالَه كما تقدم ذلك في تقرير توحيدِ الطلب والقصد.

وأما فروعُ الشرائع من الفرائض والحلالِ والحرام فقد تختلف، فيُفرض على

هؤلاء ما لا يُفرَض على هؤلاء، ويُخفف على هؤلاء ما شُدّد على أولئك، ويُحرَّم على أمة ما يَحِلّ للأخرى وبالعكس، لحكمةٍ بالغةٍ وغايةٍ محمودةٍ قضاها ربُّنا عز وجل ليبلوَكم فيما آتاكم، ليبلوَكم أيُّكم أحسنُ عملاً.

وقد ذكر الله تعالى في كتابه منهم آدمَ ونوحاً وإدريسَ وهوداً وصالحاً وإبراهيمَ وإسماعيلَ وإسحاقَ ويعقوبَ ويوسفَ ولوطاً وشعيباً ويونسَ وموسى وهارونَ وإلياسَ وزكريا ويحيى واليسعَ وذا الكفل وداودَ وسليمانَ وأيوب، وذكر الأسباطَ جملةً، وعيسى ومحمداً ﷺ، وقص علينا من أنبائهم ونبَّأنا من أخبارهم ما فيه كفايةٌ وعبرةٌ وموعظةٌ إجمالاً وتفصيلاً ثم قال: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ﴾ [غافر: ٧٨]. فنؤمن بجميعهم تفصيلاً فيما فُصّل، وإجمالاً فيما أُجمل.

[أول رسل الله نوح وآخرهم محمد]

(أولُهم نوحٌ بلا شكٍّ كما أن محمداً لهم قد ختما)

(**أولهم**) يعني أولَ الرسل عليهم السلام (**نوحٌ بلا شك**) وهو نوحُ بنُ لامك بنِ متوشلخ بنِ أخنوخ بنِ مهلاييل بنِ قاين بنِ أنوش بنِ شيثِ بنِ آدمَ عليه السلام.

والمعنى أن نوحاً أول الرسل والنبيين بعد الاختلاف، قال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّۦنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ [النساء: ١٦٣].

لأن أمتَه أولُ من اختلف وغيّر وبدّل وكذّب كما قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾ [غافر: ٥]. وإلا فآدمُ قبله كان نبياً رسولاً، وكان الناسُ أمةً واحدة على دينه ودينِ وصيّه شيثٍ عليه السلام كما قال ابن عباس[١] رضي الله عنهما وابنُ مسعود[٢] ....

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» رقم (٤٠٤٨ ـ شاكر)، والحاكم (٢/٥٤٦ ـ ٥٤٧). وقال صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي.

قلت: الحديث صحيح، لكنه موقوف على ابن عباس، ولا يقبل مثل هذا إلا من كتاب أو سنة. وقد تقدم.

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (رقم ٤٠٥٧ ـ شاكر).

وأُبيُّ بن كعب[1] وقَتادةُ[2] ومجاهدٌ[3] وغيرُهم رضي الله عنهم في قوله تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ [البقرة: ٢١٣] الآية. قالوا: كان بين نوحٍ وآدم عشرةُ قرونٍ كلُّهم على شريعة من الحق فاختلفوا فبعث اللَّهُ النبيين مبشِّرين ومنذرين، **(كما أن محمداً)** ﷺ **(لهم)** أي للرسل **(قد ختما)** فلا نبيَّ بعده، كما قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

وسيأتي إن شاء الله تعالى تقريرُ ذلك في موضعه من هذا المتن.

[أولي العزم من الرسل خمسة]

(وخمسةٌ منهم أولو العزمِ الأُولى ... في سورة الأحزابِ مع شورى تلا)

(وخمسة منهم) أي من الرسل **(أولو)** أي أصحابُ **(العزم)** يعني الحزمَ والجدَّ والصبرَ وكمالَ العقل، ولم يرسل اللَّهُ تعالى من رسول إلا وهذه الصفاتُ فيه مجتمعةٌ، غير أن هؤلاءِ الخمسةَ أصحابَ الشرائعِ المشهورةِ كانت هذه الصفاتُ فيهم أكملَ وأعظمَ من غيرهم، ولذا خُصُّوا بالذكر **(في سورة الأحزاب)** يعني قولَه تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾ [الأحزاب: ٧].

فذكر تعالى أخْذَه الميثاقَ على جميع النبيين جملةً، ونص منهم على هؤلاء الخمسةِ: محمدٍ ﷺ وهو خاتَمُهم، ونوحٌ وهو فاتحُهم، وإبراهيمُ وموسى وعيسى وهم بينهما. **(و)** كذا ذكَرهم على وجه التخصيص في سورة **(الشورى)** إذ يقول تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣].

وهؤلاء الخمسةُ هم الذين يتراجعون الشفاعةَ بعد أبيهم آدم عليه السلام حتى تنتهيَ إلى نبينا محمد ﷺ فيقول: **«أنا لها»** كما سيأتي بيانُ ذلك في موضعه إن شاء الله.

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (رقم ٤٠٥٣ ـ شاكر).

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (رقم ٤٠٤٩ ـ شاكر).

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (رقم ٤٠٥٢ ـ شاكر).

وروى ابنُ أبي حاتم[1] عن أبي هريرةَ ﷺ عن النبي ﷺ في قول اللَّهِ: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ﴾ [الأحزاب: ٧] الآية، قال النبيُّ ﷺ: «**كنت أولَ النبيين في الخلق وآخرَهم في البعث فبدأ بي قبلهم**»، وفيه ضعفٌ. ويُروى مرسلاً وموقوفاً على قَتادة.

وللبزار[2] عنه ﷺ موقوفاً عليه قال: «**خيارُ ولدِ آدمِ خمسةٌ: نوحٌ وإبراهيمُ وموسى وعيسى ومحمد**» ﷺ وعليهم أجمعين، وخيرُهم محمدٌ ﷺ.

والقولُ بأن أولي العزمِ هم هؤلاء الخمسةُ هو قولُ ابن عباسٍ[3] وقَتادةَ[4] ومن وافقهما، وهو الأشهر.

وقال الكلبي[5]: هم الذين أُمِروا بالجهاد وأظهروا المكاشفةَ مع أعداء الدين.

وقيل[6] هم ستةٌ: نوحٌ وهودٌ وصالحٌ ولوطٌ وشعيبٌ وموسى عليه السلام، وهم المذكورون على النسق في سورة الأعراف وهودٍ والشعراء.

وقال مقاتلٌ[7]: هم ستةٌ: نوحٌ صبر على أذى قومِه، وإبراهيمُ صبر على النار، وإسحاقُ صبر على الذبح، ويعقوبُ صبر على فقد ولدِه وذهابِ بصره، ويوسفُ صبر على البئر والسجن، وأيوبُ صبر على الضُرّ.

---

(١) في تفسيره (٩/ ٣١١٦ رقم ١٧٥٩٤) **بسند ضعيف**.
وقال ابن كثير (٣/ ٤٨٧) عقب الحديث: «سعيد بن بشير فيه ضعف، وقد رواه سعيد بن أبي عروبة عن قتادة به مرسلاً وهو أشبه، ورواه بعضهم عن قتادة موقوفاً، والله أعلم» اهـ.
قلت: ورواية الإرسال عند ابن سعد في «الطبقات» (١/ ١٤٩) عن قتادة. والرواية الموقوفة عن قتادة أخرجها ابن جرير في «جامع البيان» (١١/ج٢١/ ١٢٥).

(٢) في المسند (٣/ ١١٤ رقم ٢٣٦٨ ـ كشف) من حديث أبي هريرة.
وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ٢٥٤) وقال: رواه البزار، ورجاله رجال الصحيح.
وقال ابن كثير في تفسيره (٣/ ٤٧٨) عقب الحديث: «**موقوف، وحمزة فيه ضعف**».

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم وابن مردويه عنه كما في «الدر المنثور» (٧/ ٤٥٤).

(٤) أخرجه عبد الرزاق ـ (رقم: ٢٨٦٢) ـ وعبد بن حميد، وابن المنذر عن قتادة قال: أولو العزم: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى. كما في «الدر المنثور» (٧/ ٤٥٥).

(٥) ذكره البغوي في «معالم التنزيل» (٧/ ٢٧١).

(٦) ذكره البغوي في «معالم التنزيل» (٧/ ٢٧٢).

(٧) ذكره البغوي في «معالم التنزيل» (٧/ ٢٧٢).

قلت: وقولُه إسحاقَ صبر على الذبح هو قولٌ مرجوحٌ أو مردود، وإنما كان الذبيحَ إسماعيلُ عليه السلام كما في سورة الصافاتِ[1] وهود[2].

وقال ابن زيد[3]: كلُ الرسل كانوا أولي عزم، لم يبعث اللَّهُ نبياً إلا كان ذا عزمٍ وحزمٍ ورأيٍ وكمالِ عقلٍ، وإنما أُدخلت (مِن) للتجنيس لا للتبعيض كما يقال: اشتريت أكسية من الخز وأردية من البز، وقال قوم[4]: هم نجباءُ الرسل المذكورون في سورة الأنعام[5] وهم ثمانيةَ عشرَ لقوله تعالى بعد ذكرِهم: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾ [الأنعام: ٩٠].

وروى ابنُ أبي حاتم[6] بسنده عن مسروق قال: قالت عائشةُ رضي الله عنها: ظل رسولُ الله ﷺ صائماً ثم طوَاه، ثم ظل صائماً ثم طواه، ثم ظل صائماً ثم قال: **«يا عائشةُ إن الدنيا لا تنبغي لمحمد ولا لآل محمد. يا عائشةُ، إن الله تعالى لم يرضَ من أولي العزمِ من الرسل إلا بالصبر على مكروهها والصبرِ على محبوبها، ثم لم يرضَ مني إلا أن يُكلّفني ما كلَّفهم فقال: ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾** [الأحقاف: ٣٥]، **وإنّي والله لأصبِرَنَّ كما صبروا جَهْدي، ولا قوة إلا بالله»**.

[الخامس: الإيمان بالمعاد وقيام الساعة]

(وبالمعاد أيقِنْ بلا ترددِ ... ولا ادَّعا علمٍ بوقت الموعدِ)

---

(١) رقم الآية (١٠١ ـ ١٠٥).

(٢) رقم الآية (٧١ ـ ٧٣).

(٣) ذكره البغوي في «معالم التنزيل» (٧/ ٢٧١).

(٤) ذكره القرطبي في «الجامع لأحكام القرآن» (١٦/ ٢١٣) ط. دار الحديث.

(٥) راجع الآيات (٨٣ ـ ٨٦).

(٦) في تفسيره (١٠/ ٣٢٩٧ رقم ١٨٥٨٣). وذكره ابن كثير في تفسيره (٤/ ١٨٥) وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٤٥٤) للديلمي في مسند الفردوس، وفيه مجالد بن سعيد وهو ضعيف.
وأخرجه البغوي في «معالم التنزيل» (٧/ ٢٧٢) وفي «شرح السنة» (١٤/ ٢٤٨) وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط في تعليقه على شرح السنة: «هو في «أخلاق النبي» (ص٢٩٣) لأبي الشيخ، نقله من كتاب التفسير لشيخه ابن أبي حاتم، وإسناده ضعيف، لجهالة السري بن حيان وضعف مجالد بن سعيد».

(لكننا نؤمن من غير امترا | بكل ما قد صح عن خير الورى)
(من ذكر آياتٍ تكون قبلها | وهيَ علاماتٌ وأشراطٌ لها)

(وبالمعاد) وهو المرادُ إلى الله عز وجل والإيابُ إليه **(أيقن)** استيقن بذلك يقيناً جازماً **(بلا تردّد)**.

هذا هو الركنُ الخامسُ من أركان الإيمان، وهو الإيمانُ باليوم الآخر وما يدخل فيه، قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة: ٤].

وقال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ [البقرة: ١٧٧] الآية.

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ ۗ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٤].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُواْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٦٤].

وقال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١].

وقال تعالى: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ (٧) رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ (٨) رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ (٩)﴾ [آل عمران: ٧ ـ ٩].

وقال تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٢٥].

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۗ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا (٣٨) وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ۚ﴾ [النساء: ٣٨ ـ ٣٩] الآيات.

وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧].

وقال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ﴾ [الشورى: ٢٠]. الآية.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ﴾ [النمل: ٤].

وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ﴾ [الحجر: ٨٥].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾﴾ [طه].

قال تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ﴾ [الحج: ٧]، وقال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [يس: ٤٨].

وقال تعالى: ﴿قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ﴾ [النمل: ٧٢].

وقال تعالى في الآية الأخرى: ﴿قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ﴾ [سبأ: ٣٠]، ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٨﴾ قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِيمَٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَٱنتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [السجدة].

وقال تعالى ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ ٱلْءَاخِرَةِ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾﴾ [هود].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ [لقمان: ٣٣].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ [فاطر: ٥].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَءَاتٍ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ [الأنعام: ١٣٤].

وقال تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ [النحل: ١].

وقال تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْأَخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ﴾ [الزمر: ٩].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَأَتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [غافر: ٥٩].

وقال تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ۝٥ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ۝٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ۝٧﴾ [المعارج] الآيات.

وقال تعالى: ﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُواْ وَيَلْعَبُواْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ﴾ [الزخرف: ٨٣] الآيات، وقال: ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ﴾ [الواقعة: ١] إلخ السورة.

وقال تعالى: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا﴾ [الإنسان: ٧]، إلى آخر السورة.

وقال تعالى: ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرْوًا ۝١ فَٱلْحَٰمِلَٰتِ وِقْرًا ۝٢ فَٱلْجَٰرِيَٰتِ يُسْرًا ۝٣ فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا ۝٤ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ۝٥ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ ۝٦﴾ [الذاريات].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٌ ۝٧ فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ ۝٨ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ ۝٩ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ ۝١٠ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ ۝١١ لِأَىِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ۝١٢ لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ ۝١٣ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ۝١٤ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝١٥﴾ [المرسلات] إلى آخر السورةِ، والتي تليها والتي تليها والتي تليها والتي تليها والتي تليها والتي تليها، وغيرُها من الآيات بل وغيرُها من السور، وسيأتي إن شاء اللَّهُ مزيدُ نصوصٍ في اللقاء والبعثِ والنشور.

(و) بـ (**لا ادعا**) بالقصر، للوزن، وهو مصدر ادَّعى يدّعي ادعاءً (**علم بوقت الموعد**) متى هو، فإن ذلك من مفاتح الغيبِ التي لا يعلمها إلا اللَّهُ عز وجل، قال الله تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ٥٩] الآية.

وقال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٧]. والتي بعدها.

وقال تعالى: ﴿بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ [الأنبياء: ٤٠].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ﴾ [لقمان: ٣٤] الآية.

وقال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ۚ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ﴾ [فصلت: ٤٧] الآيات.

وقال تعالى: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ ۚ بَلَٰغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [الأحقاف: ٣٥].

وقال تعالى: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ [الأحزاب: ٦٣].

وقال: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ﴾ [الشورى: ١٧ ـ ١٨].

وقال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٦﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الملك].

وقال الله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾﴾ [النازعات]. وغيرُها من الآيات.

وتقدَّم في حديث جبريلَ المشهورِ قولُه عليه السلام للنبي ﷺ: **«أخبرني عن الساعة، قال: ما المسؤولُ عنها بأعلمَ من السائل»**[1] الحديث.

وروى الإمامُ أحمدُ في مسنده[2] عن بُريدةَ رضي الله عنه قال: سمعت رسولَ الله ﷺ يقول: **«خمسٌ لا يعلمها إلا الله عز وجل: إن اللَّهَ عنده علمُ الساعة، وينزِّل الغيثَ، ويعلم ما في الأرحام، وما تدري نفسٌ ماذا تكسب غداً، وما تدري نفسٌ بأي أرضٍ تموت، إن اللَّهَ عليمٌ خبير»**.

---

(١) تقدم تخريجه. وهو حديث صحيح.

(٢) (٣٥٣/٥) بسند صحيح.

وروى البخاري[1] عن عبد الله بنِ عمر رضي الله عنهما قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«مفاتحُ الغيب خمسٌ، ثم قرأ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾»**.

وفي الصحيحين[2] أن أعرابياً أتى النبيَّ ﷺ فناداه بصوت جَهْوريّ فقال: يا محمد، قال له رسولُ الله ﷺ: هاؤم - على نحوِ من صوته - قال: يا محمد، متى الساعة؟ فقال له رسول الله ﷺ: ويحك إن الساعةَ آتيةٌ فما أعددتَ لها؟ قال: ما أعددتُ لها كبيرَ صلاةٍ وصيامٍ، ولكني أُحب اللَّهَ ورسولَه. فقال له رسولُ الله: **«المرءُ معَ مَن أحب»**، فما فرِح المسلمون بشيء فرحَهم بهذا الحديثِ، ففيه أنه عليه الصلاة والسلام كان إذا سئل عن هذا الذي لا يحتاجون إلى علمه أرشدهم إلى ما هو الأهمُّ في حقهم، وهو الاستعدادُ لوقوع ذلك والتهيُّؤ له قبل نزولِه وإن لم يعرِفوا تعيينَ وقتِه.

ولمسلم[3] عن عائشةَ رضي الله عنها قالت: كانت الأعرابُ إذا قدِموا على رسول الله ﷺ سألوه عن الساعة متى الساعةُ، فينظر إلى أحدث إنسانٍ منهم فيقول: **«إن يعشْ هذا**

= قلت: وأخرجه البزار (٣/ ٦٥ رقم ٢٢٤٩ - كشف).

وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٨٩) وقال: «رواه أحمد والبزار، ورجال أحمد رجال الصحيح».

(١) في صحيحه رقم (٩٩٢ - البغا) من حديث ابن عمر، بلفظ: **«مفتاحُ الغيبِ خمسٌ لا يعلَمُها إلاَّ اللَّهُ: لا يعلَمُ أحَدٌ ما يكونُ في غَدٍ، ولا يعلَمُ أحَدٌ ما يكونُ في الأرحَامِ، ولا تعلَمُ نفسٌ ماذا تكسِبُ غَداً، وما تدري نفسٌ بأيِّ أرض تموتُ، وما يدري أحدٌ متى يجيءُ المطرُ»**.

(٢) وهم المؤلف رحمه في عزو الحديث للصحيحين، فما أخرجاه ولا أحدهما، والذي في الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود. البخاري رقم (٥٨١٧ - البغا)، ومسلم (رقم: ٢٦٤٠).

ومن حديث أبي موسى، البخاري رقم (٥٨١٨ - البغا)، ومسلم (رقم: ٢٦٤١). والحديث أخرجه ابن حبان في صحيحه (رقم: ١٨٦ - موارد) مع القصة.

وأخرج الطبراني في «الصغير» (١/ ٩١) والطيالسي في «المسند» (رقم: ١١٦٧) قوله: «المرء مع من أحب»، من حديث صفوان بن عسال.

وخلاصة القول أن الحديث حسن، والله أعلم.

(٣) في صحيحه (٤/ ٢٢٦٩ رقم ٢٩٥٢).

قلت: وأخرجه البخاري (١١/ ٣٦١ رقم ٦٥١١).

لم يُدركه الهرمُ قامت عليكم ساعتُكم»، يعني بذلك موتَهم الذي يُفضي بهم إلى الحصول في برزخ الدارِ الآخرة.

وله[1] عن أنسٍ ﷺ أن رجلاً سأل رسولَ الله ﷺ عن الساعة فقال رسولُ الله ﷺ: **«إن يعِشْ هذا الغلامُ فعسى أن لا يُدركه الهرمُ حتى تقومَ الساعة»**.

وفي رواية[2] أن رجلاً سأل النبيَّ ﷺ قال: متى الساعة؟ فسكت رسولُ الله ﷺ هنيهة، ثم نظر إلى غلام بين يديه من أزْد شَنُوءةَ فقال: **«إن عُمِّر هذا لم يدركْه الهرمُ حتى تقوم الساعة»**، قال أنس: ذلك الغلامُ من أترابي.

وفي رواية[3] عن أنس قال: مر غلامٌ للمغيرة بنِ شعبةَ وكان من أترابي، فقال النبيُّ ﷺ: **«إن يؤخَّر هذا لم يُدركْه الهرمُ حتى تقومَ الساعة»**.

وفي صحيح البخاريِّ[4] عن أنس ﷺ أن رجلاً من أهل الباديةِ أتى النبيَّ ﷺ فقال: يا رسولَ الله متى الساعةُ قائمةٌ؟ قال: **«ويلك وما أعددتَ لها؟ قال: ما أعددتُ لها إلا أني أُحبّ اللّهَ ورسولَه. قال: إنك مع من أحببْتَ. فقلنا: ونحن كذلك؟ قال: نعم. ففرِحْنا يومئذ فرحاً شديداً. فمر غلامٌ للمغيرة وكان من أقراني فقال: إن أُخِّر هذا فلن يُدركَه الهرمُ حتى تقومَ الساعة»**.

قال ابنُ كثير[5] رحمه الله تعالى: وهذا الإطلاقُ في هذه الرواياتِ محمولٌ على التقييد بـ(ساعتكم) في حديث عائشة ﷺ.

وقال ابن جرير: أخبرني أبو الزبيرِ أنه سمع جابرَ بنَ عبدِ الله يقول: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: قبل أن يموتَ بشهر: **«تسألون عن الساعة، وإنما علمُها عند الله، وأقسم بالله ما على وجه ظهرِ الأرض اليومَ من نفس مَنفوسةٍ تأتي عليها مائةُ سنة»**، رواه مسلم[6].

---

(١) أي لمسلم في صحيحه (٤/ ٢٢٦٩ رقم ٢٩٥٣).
(٢) لمسلم في صحيحه (٤/ ٢٢٧٠ رقم ٢٩٥٣).
(٣) لمسلم في صحيحه (٤/ ٢٢٧٠ رقم ٢٩٥٣).
(٤) (١٠/ ٥٥٣ رقم ٦١٦٧).
(٥) في تفسيره (٢/ ١٠٦).
(٦) في صحيحه (٤/ ١٩٦٦ رقم ٢٥٣٨).

وفي الصحيحين[1] عن ابن عمرَ مثلُه، قال ابنُ عمرَ: وإنما أراد رسولُ الله ﷺ انخرامَ ذلك القَرن.

وروى أحمدُ[2] عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«لقِيتُ ليلةَ أُسرِيَ بي إبراهيمَ وموسى وعيسى، فتذاكروا أمرَ الساعة، قال: فردّوا أمرَهم إلى إبراهيم عليه السلام، فقال: لا علمَ لي بها، فردّوا أمرَهم إلى موسى، فقال: لا عِلمَ لي بها، فردّوا أمرَهم إلى عيسى فقال عيسى: أما وجْبتُها فلم يعلمْ بها أحدٌ عز وجل، وفيما عهد إليّ ربي عز وجل أن الدجَّالَ خارجٌ، قال: ومعي قضيبان، فإذا رآني ذاب كما يذوب الرصاصُ، قال: فيُهلكه اللَّهُ عز وجل، ثم يرجع الناسُ إلى بلادهم وأوطانِهم، قال: فعند ذلك يخرج يأجوجُ ومأجوجُ وهم من كل حدَبٍ ينسِلون، فيطأون بلادَهم لا يأتون على شيء إلا أهلكوه، ولا يمرون على ماء إلا شربوه. قال: ثم يرجع الناسُ إليّ فيشكونهم، فأدعو الله عز وجل عليهم فيُهلِكُهم ويُميتهم، حتى تَجوَى[3] الأرضُ من نتْن ريحِهم. أي تُنتن. قال: فيُنزل اللَّهُ عز وجل المطرَ فيجترف أجسادَهم حتى يقذِفَهم في البحر»**.

قال الإمامُ أحمدُ: قال يزيدُ بنُ هارونَ: **«ثم تُنسف الجبالُ وتُمَدّ الأرضُ مدَّ الأديم»**، ثم رجع إلى حديث هُشيم قال: **«ففيما عهد إليَّ ربي عز وجل أن ذلك إذا كان كذلك فإن الساعةَ كالحامل المُتِمِّ لا يدري أهلُها متى تَفْجَأُهم بولادتها ليلاً أو نهاراً»**. ورواه ابنُ ماجه[4] بنحوه.

---

(١) البخاري (١/ ٢١١ رقم ١١٦)، ومسلم (٤/ ١٩٦٥ رقم ٢٥٣٧).

(٢) في المسند (١/ ٣٧٥) بسند صحيح.
قلت: وأخرجه ابن ماجه (٢/ ١٣٦٥ رقم ٤٠٨١).
وقال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (٣/ ٢٦١ رقم ١٤٤٠/ ٤٠٨١): «وهذا إسناد صحيح رجاله ثقات. مؤثر بن عفارة ذكره ابن حبان في الثقات، وباقي رجال الإسناد ثقات» اهـ.
وأخرجه الحاكم في المستدرك (٤/ ٤٨٨ ـ ٤٨٩، ٥٤٥ ـ ٥٤٦) وقال: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي.
وخلاصة القول أن حديث ابن مسعود ضعيف ـ وبعضه في مسلم ـ انظر: «الضعيفة» رقم (٤٣١٨).

(٣) تجوى: أي تنتن.

(٤) في السنن رقم (٤٠٨١) كما تقدم.

قال ابنُ كثير[1] رحمه الله تعالى: «هؤلاء أكابرُ أولي العزمِ من الرسل ليس عندهم علمٌ بوقت الساعةِ على التعيين، وإنما ردّوا الأمرَ إلى عيسى عليه السلام فتكلّم على أشراطها لأنه ينزِل في آخر هذه الأمةِ منفِّذاً لأحكام رسولِ الله ﷺ، ويقتل المسيحَ الدجالَ ويجعل اللَّهُ هلاكَ يأجوجُ ومأجوجَ ببركة دعائِه، فأخبر بما أعلمه اللَّهُ تعالى به».

وروى الإمامُ أحمدُ[2] عن حذيفةَ قال: سُئل رسولُ اللَّهِ ﷺ عن الساعة فقال: «**عِلمُها عند ربي لا يجلّيها لوقتها إلا هو. ولكن سأُخبركم بمشاريطها وما يكون بين يديها، إن بين يديها فتنةً وهَرْجاً. قالوا: يا رسولَ اللَّهِ: الفتنةُ قد عرَفناها فما الهرجُ؟ قال بلسان الحبشة: القتلُ. قال: ويُلقى بين الناسِ التناكرُ فلا يكاد أحدُهم يعرِف أحداً**».

وروى النسائيُ[3] عن طارق بنِ شهابٍ قال: كان رسولُ اللَّهِ ﷺ لا يزال يذكر من شأن الساعةِ حتى نزلت: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾ [النازعات: ٤٢] الآية». وإسنادُه جيدٌ قوي[4].

قال ابنُ كثير رحمه الله تعالى[5]: فهذا النبيُّ [ﷺ] الأميُّ سيدُ الرسل وخاتِمُهم محمدٌ صلواتُ اللَّهِ وسلامُه عليه نبيُّ الرحمةِ ونبيُّ التوبةِ ونبيُّ الملحمة والعاقبُ والمُقفِّي والحاشرُ الذي تُحشر الناسُ على قدميه مع قولِه فيما يثبت عنه في الصحيح[6] ومن حديث أنسٍ[6] وسهيلِ بنِ سعدٍ[7] رضي الله عنهما: «**بُعثتُ أنا والساعةُ كهاتين، وقرَن بين إصبَعَيه السبابةِ والتي تليها**». ومع هذا كلِه قد أمره اللَّهُ تعالى أن

---

(١) في تفسيره (٢/ ٢٨٤).
(٢) في المسند (٥/ ٣٨٩) **بسند صحيح**.
وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٣٠٩) وقال: «رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح» اهـ.
(٣) في الكبرى كما في «تحفة الأشراف» (٤/ ٢٠٨) وطارق رأى النبي ﷺ ولم يسمع منه.
(٤) قاله ابن كثير في تفسيره (٢/ ٢٨٤).
(٥) في تفسيره (٢/ ٢٨٤).
(٦) أخرجه البخاري (١١/ ٣٤٧ رقم ٦٥٠٤) ومسلم (٤/ ٢٢٦٨ رقم ١٣٣/ ٢٩٥١).
(٧) أخرجه البخاري (١١/ ٣٤٧ رقم ٦٥٠٣) ومسلم (٤/ ٢٢٦٨ رقم ١٣٢/ ٢٩٥٠).

يردَّ علمَ وقتِ الساعةِ إليه إذا سئل عنها فقال: ﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ﴾ إلى قوله: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٧]اهـ.

[الإيمان بكل ما صحَّ سنده عن رسول الله من أمارات وعلامات الساعة]

(لكننا نؤمنُ) ونصدق **(من غير امترا)** من غير شكٍ **(بكلِّ ما قد صح)** سندُه وصَرُح لفظُه **(عن خير الورى)** نبيِّنا محمدٍ ﷺ الذي لا ينطِق عن الهوى، إنْ هو إلا وحيٌ يوحى **(من ذكر آيات)** أمارات **(تكون)** تقع **(قبلها)** قبل الساعة **(وهي)** أي تلك الأماراتُ **(علاماتٌ)** لمجيء الساعةِ وقُربها ودُنوِّها **(وأشراطٌ لها)** أي لاقترابها. وقد أشار القرآنُ إلى قُربها ودنوِّها وكثيرٍ من علاماتها، قال الله تعالى: ﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ [النحل: ١]، وقال تعالى: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ١] الآيات.

وقد ذكر اللّهُ تعالى أن بعثةَ نبيِّنا ﷺ مِنْ أشراطها كما قال عز وجل: ﴿هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ النُّذُرِ الْأُولَىٰ ۝٥٦ أَزِفَتِ الْآزِفَةُ ۝٥٧ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ ۝٥٨﴾ [النجم].

وقال تعالى: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ﴾ [محمد: ١٨].

وقال تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾ [القمر: ١] الآيات. وانشقاقُ القمرِ من معجزات نبيِّنا بمكةَ من قبل أن يهاجرَ إلى المدينة.

وذكر تعالى من كبار أشراطِها الدخانَ ونزولَ عيسى لقتل الدجالِ، وخروجَ يأجوجَ ومأجوجَ، وطلوعَ الشمسِ من مغربها، وخروجَ دابةِ الأرضِ وغيرَها، كما قال تعالى: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ [الدخان: ١٠] الآيات.

وقال تعالى في شأن عيسى: ﴿بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ۝١٥٨ وَإِن مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ۝١٥٩﴾ [النساء].

وقال تعالى في شأن يأجوجَ ومأجوجَ: ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ۝٩٢ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ۝٩٣ قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ

مُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٨﴾ ۞ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾﴾ [الكهف].

وقال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ﴾ [الأنبياء: ٩٦ ـ ٩٧] الآيات.

وقال تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٨].

وقال تعالى: ﴿۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ [النمل: ٨٢].

وقال تعالى: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [يس: ٣٨].

وأما الأحاديثُ في أشراط الساعةِ فكثيرةٌ متواترةٌ، وقد تقرَّر في حديث جبريلَ[1] على اختلاف ألفاظِه وتبايُنِ طُرقِه ذكرُه ﷺ من أماراتها: أن تلدَ الأمةُ ربَّتَها، وأن ترى الحفاةَ العراةَ العالةَ رعاءَ الشاءِ يتطاولون في البنيان، وقد تقدم قولُه ﷺ: «**بُعثتُ أنا والساعةَ كهاتين**» وأشار بالسبابة والوسطى[2].

وفي صحيح مسلم[3] وغيرِه عن حذيفةَ رضي الله عنه قال: «**قام فينا رسولُ الله ﷺ مَقاماً ما ترك شيئاً يكون في مقامه ذلك إلى قيام الساعةِ إلا حدّث به، حفِظه من حفِظه ونسِيَه من نسيه، قد علِمه أصحابي هؤلاء، وإنه ليكون منه الشيءُ قد نسِيتُه فأراه فأذكرُه كما يذكر الرجلُ وجهَ الرجل إذا غاب عنه ثم إذا رآه عرَفه**».

---

(١) **تقدم تخريجه وهو حديث صحيح.**

(٢) تقدم تخريجه من حديث أنس وحديث سهيل بن سعد، وهما في الصحيحين.

(٣) (٤/٢٢١٧ رقم ٢٣/٢٨٩١).

قلت: وأخرجه البخاري (١١/٤٩٤ رقم ٦٦٠٤).

وفيه[1] عن أبي زيدٍ عمرو بنِ أخطبَ الأنصاريِّ رضي الله عنه قال: «**صلى بنا رسولُ الله ﷺ الفجرَ وصعِد المنبرَ فخطَبنا حتى حضرت الظهرُ، فنزل فصلى، ثم صعِد المنبر فخطَبنا حتى حضرت العصرُ، ثم نزل فصلى، ثم صعِد المنبرَ فخطَبنا حتى غرَبت الشمس، فأخبرنا بما كان وبما هو كائنٌ فأعلمُنا أحفظُنا**».

وفيه[2] عن أبي هريرةَ أن رسولَ الله ﷺ قال: «**لا تقوم الساعةُ حتى يُحسرَ الفراتُ عن جبلٍ من ذهب يقتتل الناسُ عليه، فيُقتل من كل مائةٍ تسعةٌ وتسعون، ويقول كلُ رجلٍ منهم لعلِّي أكون أنا الذي أنجو** ـ وفي رواية[3]: **فمن حضره فلا يأخذ منه شيئاً**».

وفي رواية[4] عنه رضي الله عنه أن رسولَ الله ﷺ قال: «**لا تقوم الساعة حتى ينزِلَ الرومُ بالأعماقِ ـ أو بدَابِقٍ[5] ـ فيخرج إليهم جيشٌ من المدينة من خيار أهلِ الأرضِ يومئذ، فإذا تصافُّوا قالت الروم: خلوا بيننا وبين الذين سَبَوا منا نقاتلهم، فيقول المسلمون: لا والله لا نخلي بينكم وبين إخوانِنا، فيقاتلونهم فينهزم ثلثٌ لا يتوب الله عليهم أبداً، ويُقتل ثلثٌ هم أفضلُ الشهداء عند الله، ويَفتتحُ الثلثُ لا يُفتنون أبداً فيفتتحون قُسطنطينيةَ، فبينما هم يقتسمون الغنائمَ قد علّقوا سيوفَهم بالزيتون إذ صاح فيهم الشيطانُ إن المسيحَ قد خلفكم في أهليكم، فيخرجون، وذلك باطل، فإذا جاءوا الشامَ خرج، فبينما هم يُعِدّون للقتال يسوّون الصفوفَ إذ أقيمت الصلاةُ، فينزل عيسى ابنُ مريمَ ﷺ فيؤمُّهم، فإذا رآه عدوُّ الله ذاب كما يذوب المِلْح في الماء، فلو تركه لانذاب حتى يَهلِك، ولكن يقتله اللّهُ بيده فيُريهم دمَه في حربته**».

والأعماقُ قال في القاموس[6]: بلد بين حلب وأنْطاكيةَ مَصَبُّ مِياهٍ كثيرَةٍ لا

---

(١) أي في صحيح مسلم (٤/٢٢١٧ رقم ٢٥/٢٨٩٢).
(٢) أي في صحيح مسلم (٤/٢٢١٩ رقم ٢٩/٢٨٩٤).
قلت: وأخرجه البخاري (١٣/٧٨ ـ ٧٩ رقم ٧١١٩).
(٣) لمسلم في صحيحه (٤/ ٢٢٢٠ رقم ٣١/ ٢٨٩٤).
(٤) لمسلم في صحيحه (٤/٢٢٢١ رقم ٣٤/٢٨٩٧).
(٥) بالأعماق أو بدابق: موضعان بالشام، بقرب حلب.
(٦) المحيط (ص١١٧٧).

تَجِفُّ إلا صَيْفاً، وهو العَمْقُ جُمِعَ بأجْزائِهِ اهـ. وقال أيضاً[1]: دابِقَ كصاحبِ وهاجَرَ قريةٌ بحلب، وفي الأصل: اسمُ نهرٍ، ودُويبقُ قريةٌ بقربها.

وفيه[2] عن يُسَيْرِ بنِ جابرٍ قال: هاجتْ ريحٌ حمراءُ بالكوفة فجاء رجلٌ ليس له هجِّيري[3] إلا «يا عبدَ الله بنَ مسعودٍ جاءت الساعة»، قال: فقعد وكان متكئاً فقال: إن الساعةَ لا تقوم حتى لا يُقسم ميراثٌ ولا يُفرَحَ بغنيمة، ثم قال بيده هكذا ونحاها نحوَ الشام فقال: عدوٌّ يجمعون لأهل الإسلام ويَجْمَعُ لهم أهلُ الإسلام. قلت: الرومَ تعني؟ قال: نعم، وتكون عند ذاكم القتالِ ردَّةٌ شديدةٌ فيشترطَ المسلمون شُرْطَةً للموت لا ترجع إلا غالبةً، فيقتتلون حتى يحجُزَ بينهم الليلُ، فيفيءُ هؤلاء وهؤلاء، كلٌّ غيرُ غالبٍ وتَفْنى الشُّرطَةُ، ثم يشترط المسلمون شُرْطةً للموت لا ترجع غالبةً، فيقتتلون حتى يحجُز بينهم الليلُ، فيفيء هؤلاء وهؤلاء كلٌّ غيرُ غالب وتفنى الشُرْطَةُ، ثم يشترط المسلمون شرطةً للموت لا ترجع إلا غالبة، فيقتتلون حتى يُمْسوا فيفيء هؤلاءِ وهؤلاءِ كلٌّ غيرُ غالب وتفنى الشرطةُ، فإذا كان اليومُ الرابع نَهَدَ إليهم بقيَّةُ أهلِ الإسلام فيجعل اللّهُ الدَّبْرَةَ عليهم فيُقتلون مقتلةً ـ إمّا قال لا يُرى مثلُها، وإما قال لم يُرَ مثلُها ـ حتى إنَّ الطائرَ ليمُرّ بجنباتهم فما يخلُفهم حتى يخِرَّ ميتاً، فيتعادُّ بنو الأبِ كانوا مائةً فلا يَجِدُونَهُ بقيَ منهم إلاَّ الرجلُ الواحدُ، فبأيِّ غنيمةٍ يفرح أو أيِّ ميراثٍ يقاسَمُ، فبينما هم كذلك إذ سمِعوا ببأس هو أكبرُ من ذلك، فجاءهم الصريخُ أن الدجالَ قد خلفهم في ذراريهم، فيرفضون ما في أيديهم ويُقبلون فيبعثون عشرةَ فوارسَ طليعةً، قال رسولُ الله ﷺ: إني لأعرِف أسماءَهم وأسماءَ آبائِهم وألوانَ خيولِهم، هم خيرُ فوارسَ على ظهر الأرض يومئذ ـ أو من خير فوارسَ على ظهر الأرض يومئذ».

وفيه[4] عن حذيفةَ بنِ أسيدٍ الغِفاريّ رضي الله عنه قال: «**طلع النبيُّ ﷺ علينا ونحن**

---

(١) أي الفيروز آبادي في «القاموس المحيط» (ص١١٣٨).
(٢) أي في صحيح مسلم (٤/٢٢٢٣ رقم ٢٨٩٩).
(٣) ليس له هجيري: أي شأنه ودأبه ذلك. والهجيري بمعنى الهجير.
(٤) أي في صحيح مسلم (٤/٢٢٢٥ رقم ٢٩٠١).

نتذاكر، فقال: ما تَذاكَرون؟ قالوا: نذكر الساعةَ. قال: إنها لن تقوم حتى ترَوا قبلها عشرَ آياتٍ. فذكر الدخانَ، والدجَّالَ، والدابةَ، وطلوعَ الشمسِ من مغربها، ونزولَ عيسى بنِ مريمَ ﷺ، ويأجوج ومأجوجَ، وثلاثةَ خسوفٍ: خسفٌ بالمشرق، وخسفٌ بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب. وآخرُ ذلك نارٌ تخرج من اليمن تطرُد الناسَ إلى محشرهم».

وفي رواية[1]: «ونار تخرج من قُعْرَةِ عَدنٍ تُرحلُ الناسَ»، زاد في أخرى[2]: «تَنزِل معهم إذا نزلوا وتَقيل معهم حيث قالوا».

وفيه[3] عن أبي هريرةَ ؓ أن رسولَ الله ﷺ قال: «بادِرُوا بالأعمالِ سِتاً: طُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، أَوْ الدُّخَانَ، أو الدَّجَّالَ، أو الدَّابَّةَ، أو خَاصَّةَ أحدِكُم، أو أَمْرَ العَامَّةِ.

وفي رواية[4]: «الدَّجَّالُ، والدُّخانُ، ودابةُ الأرضِ، وطلوعُ الشمس من مغربها، وأمرُ العامة، وخُوَيِّصة أحدِكُم».

وقال البخاريُّ[5] رحمه الله تعالى: «باب لا ينفع نفساً إيمانُها». حدثنا موسى بنُ إسماعيلَ، حدثنا عبد الواحد، حدثنا عُمارةُ، حدثنا أبو زُرعةَ، حدثنا أبو هريرة ؓ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لا تقوم الساعةُ حتى تطلُعَ الشمسُ من مغربها، فإذا رآها الناسُ آمن مَن عليها، فذاك حين لا ينفع نفساً إيمانُها لم تكن آمنت من قبلُ».

وقال أيضاً[6] رحمه الله تعالى في كتاب الفتن: «حدثنا أبو اليماني أخبرنا

---

(١) لمسلم (٤/٢٢٢٦ رقم ٤٠/٢٩٠١).
(٢) لمسلم (٤/٢٢٢٧) رقم ٤١/٢٩٠١).
(٣) أي مسلم في صحيحه (٤/٢٢٦٧ رقم ١٤٨/٢٩٤٧).
(٤) لمسلم (٤/٢٢٦٧ رقم ١٢٩/٢٩٤٧).
(٥) في صحيحه (٨/٢٩٧ رقم الباب ١٠).
والحديث أخرجه البخاري (٨/٢٩٧ رقم ٤٦٣٦) و (١١/٣٥٢ رقم ٦٥٠٦)، ومسلم (١/١٣٧ رقم ١٥٧).
(٦) أي البخاري في صحيحه (١٣/٨١ ـ ٨٢ رقم ٧١٢١).

شعيبٌ حدثنا أبو الزناد عن عبد الرحمن عن أبي هريرةَ رضي الله عنه أن رسولَ الله ﷺ قال: **لا تقوم الساعةُ حتى تقتتلَ فئتان عظيمتان يكون بينهما مقتلةٌ عظيمةٌ دعوتُهما واحدةٌ، وحتى يُبعثَ دجالون كذابون قريبٌ من ثلاثين كلُهم يزعم أنه رسولُ الله، وحتى يُقبضَ العلمُ، وتكثُرَ الزلازلُ، ويتقارب الزمانُ، وتظهرَ الفتنُ، ويكثر الهرجُ** ـ وهو القتل ـ **وحتى يكثُرَ فيكم المالُ فَيفيضُ حتى يهِمَ ربُّ المالِ: مَن يقبلُ صدقتَه، وحتى يعرِضَه فيقول الذي يعرضه عليه: لا أربَ به، وحتى يتطاولَ الناسُ في البنيان، وحتى يمرَّ الرجلُ بقبر الرجلِ فيقول: يا ليتني مكانه، وحتى تطلُعَ الشمسُ من مغربها فإذا طلعت ورآها الناسُ آمنوا أجمعون، فذلك حين لا ينفع نفساً إيمانُها لم تكن آمنت من قبلُ أو كسبت في إيمانها خيراً. ولتقومنَّ الساعةُ وقد نشر الرجلان ثوبَهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يَطويانه، ولتقومنَّ الساعةُ وقد انصرف الرجلُ بلبنِ لِقْحتِه فلا يَطعَمُه، ولتقومنَّ الساعة وهو يَليط حوضَه فلا يسقي فيه، ولتقومنَّ الساعة وقد رَفع أُكلتَه إلى فيه فلا يَطعَمُها»**.

وفي الصحيحين[1] عن إبراهيمَ التيميِّ عن أبيه عن أبي ذرٍ رضي الله عنه قال: قال النبيُّ ﷺ لأبي ذر حين غربت الشمسُ: «**أتدري أين تذهب؟ قلت: اللَّهُ ورسولهُ أعلمُ. قال: فإنها تذهب حتى تسجُدَ تحت العرشِ فتستأذِن فيؤذَنُ لها، ويوشك أن تسجُدَ فلا يُقبل منها، وتستأذنَ فلا يؤذنُ لها يقال لها: ارجِعي من حيث جئتِ فتطلُعُ من مغربها، فذلك قولُه تعالى:** ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ [يس: ٣٨].

وفي صحيح مسلم[2] عن أبي زُرعةَ عن عبد اللَّهِ بنِ عمروٍ قال: حفظتُ من رسول الله ﷺ حديثاً لم أنسَه بعد، سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**إن أولَ الآياتِ خروجاً طلوعُ الشمسِ من مغربها وخروجُ الدابةِ على الناس ضُحىً، وأيُهما ما كانت قبل صاحبتِها فالأخرى على أثرها قريباً**».

وفيه[3] عن فاطمةَ بنتِ قيسٍ ـ وكانت من المهاجرات الأُوَلِ رضي الله عنها ـ قالت:

---

(١) البخاري (٨/٥٤١ رقم ٤٨٠٢) و (٦/٢٩٧ رقم ٣١٩٩)، ومسلم (١/١٣٨ رقم ١٥٩).

(٢) (٤/٢٢٦٠ رقم ٢٩٤١).

(٣) أي في صحيح مسلم (٤/٢٢٦١ رقم ٢٩٤٢).

سمعتُ نداءَ المنادي منادي رسولِ اللّهِ ﷺ ينادي: الصلاةَ جامعةً، فخرجتُ إلى المسجد فصليتُ مع رسول اللّهِ ﷺ فكنت في صف النساءِ التي تلي ظهورَ القوم. فلما قضى رسولُ الله ﷺ صلاتَه جلس على المنبر وهو يضحك فقال: **«لِيلزَمْ كلُّ إنسان مصلاّه. ثم قال: أتدرون لمَ جمعتُكم؟** قالوا: اللّهُ ورسولُه أعلمُ. **قال: إني واللّهِ ما جمعتُكم لرغبة ولا لرهبة، ولكن جمعتُكم لأن تميماً الداريَّ كان رجلاً نصرانياً فجاء فبايع وأسلم، وحدثني حديثاً وافق الذي كنت أحدثُكم عن مَسِيحِ الدَّجَّالِ.**

حدثني: أنه ركب في سفينة بحرية مع ثلاثين رجلاً من لَخم وجُذَامَ، فلعِب بهم الموجُ شهراً في البحر، ثم أرفأوا إلى جزيرة في البحر حتى مغرِبِ الشمسِ فجلسوا في أقرب السفينة فدخلوا الجزيرة، فلقِيَتهم دابةٌ أهلبُ كثيرُ الشعر لا يدرون ما قُبُلَهُ من دُبره من كثرة الشعر، فقالوا: ويلك ما أنت؟ فقالت: أنا الجسّاسة. قالوا: وما الجسَّاسة؟ قالت: أيها القومُ انطلقوا إلى هذا الرجلِ في الدير فإنه إلى خبركم بالأشواق. قال: لما سمّتْ لنا رجلاً فرِقْنا منها أن تكون شيطانةً، قال: فانطلقنا سِراعاً حتى دخلنا الديرَ فإذا فيه أعظمُ إنسانٍ رأيناه قطُّ خلقاً وأشدُّه وَثاقاً، مجموعةٌ يداه إلى عنقه ما بين ركبتيه إلى كعبيه بالحديد. قلنا: ويلك ما أنت؟ قال: قد قدَرتم على خبري، فأخبروني ما أنتم؟ قالوا: نحن أناسٌ من العرب ركبنا في سفينة بحريةٍ فصادفْنا البحرَ حين اغتلم، فلعِب بنا الموجُ شهراً ثم أرفأنا[1] إلى جزيرتك هذه فجلسنا في أقربها، فدخلنا الجزيرةَ فلقِينا دابةً أهلبَ[2] كثيرةَ الشعرِ لا يُدرى ما قُبله من دُبره من كثرة الشعر، فقلنا: ويلك ما أنت؟ فقالت: أنا الجسّاسة. قلنا: وما الجسّاسة؟ قالت: اعمِدوا إلى هذا الرجلِ في الدير فإنه إلى خبركم بالأشواق. فأقبلنا إليك سِراعاً. وفزِعنا منها ولم نأمن أن تكون شيطانة. فقال: أخبروني عن نخلِ بَيْسانَ. قلنا: عن أي شأنها تستخبر؟ قال: أسألكم عن نخلها هل يُثمر؟ قلنا له: نعم. قال: أما إنه يوشك أن لا يُثمِرَ. قال: أخبروني عن بحيرة طبريةَ[3]. قالوا:

---

(١) أرفأنا: أي التجأنا.

(٢) أهلب: الأهلب: غليظ الشعر، كثيره.

(٣) بحيرة طبرية: هي بحر صغير معروف بالشام.

عن أي شأنها تستخبر؟ قال: هل فيها ماءٌ؟ قالوا: هي كثيرةُ الماء. قال: أما إن ماءَها يوشك أن يذهبَ. قال: أخبروني عن عينِ زُغَرَ[١]. قالوا: عن أي شأنها تستخبر؟ قال: هل فيها ماءٌ، وهل يزرع أهلُها بماء العين؟ قلنا له: نعم هي كثيرةُ الماء، وأهلُها يزرعون من مائها، قال: أخبروني عن نبيّ الأميين ما فعل؟ قالوا: قد خرج من مكةَ ونزل يثرِبَ. قال: أقاتلَه العربُ؟ قلنا: نعم. قال: كيف صنع بهم؟ فأخبرناه أنه قد ظهر على من يَليه من العرب وأطاعوه. قال لهم: قد كان ذلك؟ قلنا: نعم. قال: أما إنّ ذلك خيرٌ لهم أن يطيعوه. وإني مُخبرُكم عني، إني أنا المسيحُ، وإني أوشك أن يُؤذنَ لي في الخروج، فأخرُجَ فأسير في الأرض، فلا أدعُ قريةً إلا هبطتُها في أربعين ليلةً، غيرَ مكةَ وطيبةَ[٢] فهما محرَّمتان عليَّ كِلْتاهما، كلما أردتُ أن أدخُلَ واحدةً أو واحداً منهما استقبلني ملَكٌ بيده السيفُ صَلْتاً[٣] يصدُّني عنها، وإن على كل نقْبٍ منها ملائكةً يحرُسونها. قالت: قال رسولُ الله ﷺ وطعن بمخصرته في المنبر: هذه طَيبةُ، هذه طيبة، هذه طيبة. يعني المدينةَ. ألا هل كنت حدثتُكم ذلك؟ فقال الناسُ: نعم. قال: فإنه أعجبني حديثُ تميمٍ أنه وافق الذي كنت أحدثُكم عنه وعن المدينة ومكةَ، ألا إنه في بحر الشامِ أو بحرِ اليمنِ لا بل من قِبل المشرقِ ما هو من قبل المشرق، ما هو من قبل المشرق ما هو، وأومأ بيده إلى المشرِق. قالت: فحفِظْتُ هذا من رسول الله ﷺ».

قال النوويُّ[٤] رحمه الله تعالى: الأهلبُ الغليظُ الشعرِ كثيرُه، وسُمِّيت الجسَّاسةَ لتجسُّسها الأَخبارَ للدجال.

وجاء عن عبد الله بنِ عمرو بن العاص أنها دابةُ الأرضِ المذكورةِ في القرآن والله أعلم[٥].

وفيه[٦] عن ابن شهابٍ أخبرني عُروةُ بنُ الزبيرِ أن زينبَ بنتَ أبي سلمةَ

---

(١) عين زغر: هي بلدة معروفة في الجانب القبلي من الشام.

(٢) طيبة: هي المدينة. ويقال لها أيضاً: طابة.

(٣) صَلتاً: بفتح الصاد وضمها، أي: مسلولاً.

(٤) في شرحه لمسلم (١٨/ ٨١).

(٥) انظر: شرح النووي (١٨/ ٧٨)، والنهاية (١/ ٢٧٢).

(٦) أي في صحيح مسلم (٤/ ٢٢٠٨ رقم ٢/ ٢٨٨٠).

أخبرتْه أن أمَّ حبيبةَ بنتَ أبي سفيانَ أخبرتْها أن زينبَ بنتَ جحشٍ زوجَ النبيِّ ﷺ قالت: «**خرج رسولُ الله ﷺ يوماً فزِعاً محمرّاً وجهُه يقول: لا إله إلا الله، ويلٌ للعرب من شرٍّ قد اقترب، فُتح اليوم من رَدْم يأجوجَ ومأجوجَ مثلُ هذه** ـ وحلق بأُصبعه الإبهامِ والتي تليها ـ **قالت: فقلت: يا رسولَ الله أنهلِكُ وفينا الصالحون؟ قال: نعم إذا كَثُر الخبَثُ**».

وفيه[1] عن النوَّاس بنِ سَمعانَ قال: «**ذكر رسولُ الله ﷺ الدجالَ ذاتَ غداةٍ فخفَّضَ فيه ورفَّعَ حتى ظننَّاهُ في طائفة النخلِ، فلما رُحنا إليه عرَف ذلك فينا فقال: ما شأنُكم؟ قلنا: يا رسولَ الله ذكرتَ الدجال غداةَ، فخفَّضْتَ فيه ورفَّعْتَ حتى ظننَّاهُ في طائفة النَّخلِ، فقال: غيرُ الدَّجَّالِ أخوَفُني عليكُم، إنْ يخرُجْ وأنا فيكم فأنا حجِيجُه دونكُم، وإنْ يخرجْ ولستُ فيكم فامرؤٌ حجيجُ نفسِه، واللَّهُ خليفتي على كل مسلم. إنه شابٌّ قطَطٌ[2] عينُه طافئةٌ كأني أُشبِّهُهُ بعبد العزّى بنِ قَطَنٍ، فمن أدركَهُ منكم فليقرأْ عليه فواتحَ سورةِ الكهف[3]. إنه خارجٌ خَلَّةً بين الشامِ والعراقِ**

---

(١) أي في صحيح مسلم (٤/ ٢٢٥٠ ـ ٢٢٥٥ رقم ١١٠/ ٢٩٣٧).

(٢) قطط: أي شديد جعودة الشعر، مباعد للجعودة المحبوبة.

(٣) أخرج مسلم في صحيحه (١/ ٥٥٥ رقم ٢٥٧/ ٨٠٩).
عن أبي الدرداء، أن النبي ﷺ قال: «**من حفظ عَشرَ آياتٍ منْ أوَّلِ سورةِ الكهف، عُصِمَ من الدَّجَّال**».
وفي رواية لمسلم (١/ ٥٥٦ رقم .../ ٨٠٩): «**من آخر الكهف**».
وأخرجه أبو داود (٤/ ٤٩٧ ـ ٤٩٨ رقم ٤٣٢٣)، والنسائي في عمل اليوم والليلة رقم (٩٥١) عن أبي الدرداء مرفوعاً بلفظ: «**من حفظ عشرَ آياتٍ من أول سورة الكهف عصم من فتنة الدجال**».
وفي رواية لأبي داود: «**من حفظ من خواتيم سورة الكهف..**».
وأخرجه الترمذي (٥/ ١٦٢ رقم ٢٨٨٦) عن أبي الدرداء مرفوعاً بلفظ: «**مَنْ قَرَأَ ثلاثَ آياتٍ من أولِ الكهفِ عُصِمَ من فتنةِ الدَّجَّالِ**». وقال: هذا حديث حسن صحيح. وأشار المباركفوري إلى هذا الخلاف بين الروايات، ثم حاول دفعه فذكر أولاً ما قيل في الجمع بين رواية الترمذي: «**من قرأ ثلاث آيات**»، ورواية الآخرين: «**من حفظ عشر آيات...**» ونقل فيه قولين:
(أحدهما) دعوى النسخ. فقال بعضهم: إن حديث العشر متأخر، ومن عمل بالعشر فقد عمل بالثلاث، وقيل: حديث الثلاث متأخر، ومن عصم بثلاث فلا حاجة إلى العشر، =

فعاثَ يميناً وعاثَ شمالاً[1]، يا عبادَ اللَّهِ فاثبُتوا. قلنا: يا رسولَ الله وما لُبثُه في الأرض؟ قال: أربعونَ يوماً، يومٌ كسنةٍ، ويومٌ كشهر، ويومٌ كجمعة، وسائرُ أيامهِ كأيامِكم. قلنا: يا رسول الله فذلك اليومُ الذي كسنة أتكفينا فيه صلاةُ يوم؟ قال: لا، اقدِروا له قدْرَه. قلنا: يا رسولَ الله وما إسراعُه في الأرض؟ قال: كالغيثِ استدبرَتْه الريحُ، فيأتي على القومِ فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له، فيأمُرُ السماءَ فتُمطرُ، والأرضَ فتُنبتُ، فتروحُ عليهم سارحتُهم أطولَ ما كانت دراً وأسبغَه ضُروعاً وأمدَّه خواصرَ. ثم يأتي القومَ فيدعوهم فيردون عليه قولَه فينصرف عنهم فيصبحون مُمْحِلين[2] ليس بأيديهم شيءٌ من أموالهم. ويمرّ بالخربة فيقول لها: أخرِجي كنوزَكِ فتتبعه كنوزُها كيعاسيب النحلِ[3]. ثم يدعو رجلاً ممتلئاً شباباً فيضرِبُه بالسيف فيقطعه جَزْلتين[4] رميةَ الغرَض، ثم يدعوه فيقبل ويتهلَّل وجهُه يضحك.

= واعترض على القول بالنسخ، بأن مجرد الاحتمال لا يحكم به النسخ، وأيضاً أن النسخ لا يدخل في الأخبار.

(القول الثاني): حديث الثلاث في القراءة، وحديث العشر في الحفظ، فمن حفظ العشر وقرأ الثلاث كفى وعصم من فتنة الدجال.

ولكن ترد عليه رواية حجاج عند الإمام أحمد (٦/ ٤٤٦) وعند عثمان بن سعيد الداني في «السنن الواردة في الفتن وغوائلها والساعة وأشراطها» (٦/ ١١٨١ ـ ١١٨٢ رقم ٦٥٧) وفيها: **«من قرأ العشر الأواخر من سورة الكهف عصم من فتنة الدجال»**.

قلت: والأظهر فيما يبدو لي رواية الآخرين وهم أكثر، على رواية الترمذي وقد انفرد بها.

وأما الاختلاف الثاني فذكر نقلاً عن السيوطي أن ذلك ـ أي العصمة من الدجال ـ من خصائص السورة كلها. فقد روى الحاكم في المستدرك (٤/ ٥١١) موقوفاً على أبي سعيد الخدري بلفظ: **«من قرأ سورة الكهف كما أنزلت، ثم خرج إلى الدجال، لم يسلط عليه، أو لم يكن عليه سبيل»**. وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

وانظر شرح النووي لمسلم (٦/ ٩٣)، وتحفة الأحوذي (١٠/ ١٩٥ ـ ١٩٦).

(١) فعاث يميناً وعاث شمالاً: العيث الفساد، أو أشد الفساد والإسراع فيه. وحكى القاضي أنه رواه بعضهم: معاثٍ، اسم فاعل، وهو بمعنى الأول.

(٢) المحل، على وزن فحل. الجدب والقحط. والإمحال كون الأرض ذات جدب وقحط. يقال: أمحل البلد إذا أجدب.

(٣) هي ذكور النحل. هكذا فسره ابن قتيبة وآخرون. قال القاضي: المراد جماعة النحل لا ذكورها خاصة. لكنه كنى عن الجماعة باليعسوب، وهو أميرها.

(٤) أي قطعتين.

فبينما هو كذلك إذ بعث اللَّهُ المسيحَ بنَ مريمَ فينزل عند المنارةِ البيضاءِ شرقيَّ دمشقَ، بين مهرودتين[١]، واضعاً كفيه على أجنحةِ ملكينِ، إذا طأطأ رأسه قطَر، وإذا رفعه تحدّر منه جُمانٌ كجُمان اللؤلؤ، فلا يحل لكافر يجد ريحَ نَفسِه إلا مات، ونفَسُه ينتهي حيثُ ينتهي طرفُه. فيطلبه حتى يُدركه بباب لُدّ فيقتله، ثم يأتي عيسى بنَ مريم قومٌ قد عصمهم الله منه، فيمسح عن وجوههم ويحدّثهم بدرجاتهم في الجنة. فبينما هو كذلك إذ أوحى اللَّهُ إلى عيسى إني قد أخرجتُ عباداً لي لا يَدَانِ[٢] لأحَدٍ بقتالِهم فحرِّزْ عبادي إلى الطور. ويبعثُ الله يأجوجَ ومأجوجَ وهم من كل حدَبٍ ينسِلون، فيمر أوائلُهم على بحيرة طبريةَ فيشربون ما فيها، ويمر آخرُهم فيقول: لقد كان بهذه مرةً ماءٌ. وَيُحْصَرُ نبيُّ اللَّهِ عيسى وأصحابُه حتى يكون رأسُ الثورِ لأحدهم خيراً من مائة دينارٍ لأحدكم اليوم، فيرغب نبيُّ الله عيسى وأصحابُه، فيرسل الله عليهم النَّغَف[٣] في رقابهم فيصبحون فَرْسَى[٤] كموتِ نفسٍ واحدة.

ثم يهبِط نبيُّ الله عيسى وأصحابُه إلى الأرض فلا يجدون في الأرض موضعَ شبرٍ إلا ملأه زهمُهم ونَتَنُهم، فيرغب نبيُّ الله عيسى وأصحابُه إلى الله عز وجل، فيرسل اللَّهُ تعالى طيراً كأعناق البُخت فتحمِلهم فتطرحهم حيث شاء الله. ثم يرسل اللَّهُ مطراً لا يكنّ منه بيتُ مَدَرٍ ولا وَبَرٍ، فيغسِلُ الأرضَ حتى يترُكَها كالزَّلَقة[٥]، ثم يُقالُ للأرضِ:

---

(١) روي بالدال المهملة والذال المعجمة. والمهملة أكثر. والوجهان مشهوران للمتقدمين والمتأخرين من أهل اللغة والغريب وغيرهم. وأكثر ما يقع في النسخ بالمهملة، كما هو المشهور. ومعناه لابس مهرودتين أي ثوبين مصبوغين.

(٢) يدان: تثنية يد. قال العلماء: معناه لا قدرة ولا طاقة. يقال: ما لي بهذا الأمر يد، وما لي به يدان.

(٣) النغف: هو دود يكون في أنوف الإبل والغنم، الواحدة نغفة.

(٤) أي قتلى، واحدهم فريس، كقتيل وقتلى.

(٥) روي: الزَّلَقَة. وروي: الزُّلْفة. وروي: الزَّلَفَة. قال القاضي: وكلها صحيحة. واختلفوا في معناه. فقال ثعلب وأبو زيد وآخرون: معناه: كالمرآة. وحكى صاحب المشارق هذا عن ابن عباس أيضاً. شبهها بالمرآة في صفائها ونظافتها. وقيل: كمصانع الماء. أي أن الماء يستنقع فيها حتى تصير كالمصنع الذي يجتمع فيه الماء. وقال أبو عبيد: معناه كالإجانة الخضراء. وقيل: كالصفحة. وقيل: كالروضة.

أنبتي ثمرَكِ ورُدِّي بركتَكِ، فيومئذ تأكلُ العِصابةُ[1] من الرمانة ويستظِلون بقحفها، ويبارك في الرِّسْل حتى إن اللِّقْحَة[2] من الإبل لتكفي الفِئامَ[3] من الناس، واللقحة من البقر لتكفي القَبيلةَ من الناس، واللِّقْحة من الغنم لتكفي الفخِذَ من الناس، فبينما هم كذلِكَ إذ بعثَ اللَّهُ ريحاً طيبة فتأخذهُم تحتَ آباطِهِم فتقبِضُ روحَ كلِّ مؤمنٍ وكلِّ مسلم، ويبقى شرارُ الناس يتهارجون فيها تهارُجَ الحُمُر[4]، فعليهم تقوم الساعة».

زاد في رواية[5] بعد قوله: «لقد كان بهذه مرةً ماءٌ؛ «**ثم يسيرون حتى ينتهوا إلى جبل الخمر[6] وهو جبل بيت المقدسِ فيقولون: لقد قتلنا مَن في الأرض، هلم فلنقتُلْ مَن في السماء، فيرمون بنشَّابهم إلى السماء فيرد اللَّهُ عليهم نشابَهم مخضوبةً دماً**».

وفيه[7] عن ابن عمرَ ﵄: «**أن رسولَ الله ﷺ ذكرَ الدجَّالَ بين ظَهرانِي الناس فقال: إن الله تعالى ليس بأعورَ، ألا وإن المسيحَ الدجالَ أعورُ العينِ اليمنى كأن عينَه عنبةٌ طافية**».

وفيه[8] عن أنس بنِ مالكٍ ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من نبي إلا وقد أنذر**

---

(١) هي الجماعة.

(٢) بكسر اللام وفتحها لغتان مشهورتان، الكسر أشهر. وهي القريبة العهد بالولادة وجمعها لِقح كبركة وبرك. اللَّقوح ذات اللبن. وجمعها لِقاح.

(٣) هي الجماعة الكثيرة.

(٤) يتهارجون فيها تهارج الحمر: أي يجامع الرجال النساء علانية بحضرة الناس، كما يفعل الحمير، ولا يكترثون لذلك.
والهرْج، بإسكان الراء: الجماع. يقال: هرج زوجته، أي جامعها، يهرَجُها يهرُجُها يهرِجُها بفتح الراء وضمها وكسرها.

(٥) لمسلم في صحيحه (٤/ ٢٢٥٥ رقم ١١١/ ٢٩٣٧).

(٦) الخمر: هو الشجر الملتف الذي يستر من فيه. وقد فسَّره الحديث، بأنه جبل بيت المقدس، لكثرة شجره.

(٧) أي في صحيح مسلم (٤/ ٢٢٤٧ رقم ١٠٠/ ١٦٩).

(٨) أي في صحيح مسلم (٤/ ٢٢٤٨ رقم ١٠١/ ٢٩٣٣).
قلت: وأخرجه البخاري (١٣/ ٩١ رقم ٧١٣١).

أمتَه الأعورَ الكذابَ، ألا إنه أعورُ وإن ربكم ليس بأعورَ، مكتوب بين عينيه ك ف ر».

وفي رواية[1] قال رسولُ الله ﷺ: **«الدجالُ ممسوحُ العين مكتوبٌ بين عينيه كافر - ثم تهجّاها ك ف ر - يقرأه كلُ مسلم».**

وفيه[2] عن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله: **«لأنا أعلمُ بما مع الدجال منه، معه نهران يجريان، أحدُهما رأيَ العينِ ماءٌ أبيضُ، والآخرُ رأيَ العينِ نارٌ تَأجّجُ، فإما أدركَهما أحدٌ فليأتِ النهرَ الذي يراه ناراً وليُغمض ثم لِيُطأطِئ رأسَه فيشرب منه، فإنه ماءٌ باردٌ. وإن الدجالَ ممسوحُ العين عليها ظَفَرةٌ غليظةٌ مكتوبٌ بين عينيه: «كافر»، يقرأه كلُّ مؤمنٍ كاتبٍ وغيرِ كاتب».**

قال النووي[3]: ظَفَرة بفتح المُعجمةِ والفاء، وهي جِلدةٌ تغشى البصَرَ، وقال الأصمعيُّ: لَحمةٌ تنبُت عند المآقي.

وفيه[4] عن أبي سعيدِ الخُدريِّ، قال: **«حدثنا رسولُ الله ﷺ يوماً حديثاً طويلاً عن الدجال، فكان فيما حدثنا قال: يأتي وهو مُحرّمٌ عليه أن يدخُلَ نقابَ المدينةِ، فينتهي إلى بعض السِّباخ التي تلي المدينةَ فيخرج إليه يومئذ رجلٌ هو خيرُ الناس** - أو من خير الناس - **فيقول له: أشهد أنك الدجالُ الذي حدثنا رسولُ الله ﷺ، فيقول الدجال: أرأيتم إن قتلتُ هذا ثم أحييتُه أتشكّون في الأمر؟ فيقولون: لا، قال: فيقتُله ثم يُحييه، فيقول حين يحييه: واللّهِ ما كنتُ فيك قطُّ أشدَّ بصيرةً مني الآن. قال: فيريد الدجالُ أن يقتُلَه فلا يُسَلّط عليه».**

ورواية[5] قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«يخرج الدجالُ، فيتوجه قِبَلَهُ رجلٌ من**

---

(١) لمسلم في صحيحه (٤/٢٢٤٨ رقم ١٠٣/٢٩٣٣).

(٢) أي في صحيح مسلم (٤/٢٢٤٩ رقم ١٠٥/٢٩٣٤).

(٣) في شرحه لمسلم (١٨/٦١ - ٦٢).

(٤) أي في صحيح مسلم (٤/٢٢٥٦ رقم ١١٢/٢٩٣٨).
قلت: وأخرجه البخاري (١٣/١٠١ رقم ٧١٣٢).

(٥) لمسلم في صحيحه (٤/٢٢٥٦ - ٢٢٥٧ رقم ١١٣/٢٩٣٨).

المؤمنين، فتلقاه المسائحُ ـ مسائحُ الدجال ـ فيقولون له: أين تعمِد؟ فيقول: أعمِد إلى هذا الذي خرجَ، قال: فيقولُون له: أوَ ما تؤمنُ بربِّنا؟ فيقولُ: ما بربنا خَفاءٌ، فيقولون: اقتُلوه. فيقول بعضُهم لبعض: أليس قد نهاكم ربُكم أن تقتُلوا أحداً دونه؟ قال: فينطلقون به إلى الدجال فإذا رآه المؤمنُ قال: يا أيها الناسُ هذا الدجالُ الذي ذكره رسولُ الله ﷺ. قال: فيأمر الدجالُ به فيُشجّ فيقول: خذوه وشُجّوه، فيُوسِع ظهرَه وبطنَه ضرباً، قال فيقول: أوَ ما تؤمنُ بي؟ قال فيقول: أنت المسيحُ الكذابُ. قال: فيُؤمَر به فيؤشر بالمئشار من مَفرِقه حتى يفرَقَ بين رجليه، قال: ثم يمشي بين القطعتين ثم يقول: قم، فيستوي قائماً، قال: ثم يقول له: أتؤمن بي؟ فيقول: ما ازددتُ فيك إلا بصيرةً. قال ثم يقول: يا أيها الناسُ، إنه لا يفعل بعدي بأحد من الناس. قال: فيأخذه الدجالُ لِيذبحَه فيُجعلُ ما بين رقبته إلى تَرْقُوَته[1] نُحاساً فلا يستطيع إليه سبيلاً. قال: فيؤخَذ بيديه ورجليه فيُقذَفُ به، فيحسَبُ الناسُ أنما قذفه إلى النار، وإنما أُلقِيَ في الجنة؟ فقال رسولُ الله ﷺ: هذا أعظمُ الناسِ شهادةً عند ربِّ العالمين».

وفيه[2] عن النعمان بنِ سالم قال: سمعتُ يعقوبَ بنَ عاصمِ بنِ عُروةَ ابنِ مسعودٍ الثقفي يقول: سمعتُ عبدَ الله بنَ عمرٍو وجاءه رجلٌ فقال: ما هذا الحديثُ الذي تحدث به، تقول: إن الساعةَ تقوم إلى كذا وكذا؟ فقال: سبحان الله ـ أو: لا إله إلا الله، أو كلمةَ نحوَها ـ لقد هممتُ أن لا أحدِّثَ أحداً شيئاً أبداً، إنما قلت: إنكم ستَرون بعد قليلٍ أمراً عظيماً، يُحرق البيت ويكون ويكون. ثم قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«يخرجُ الدجالُ في أمتي فيمكث أربعين ـ لا أدري أربعين يوماً أو أربعين شهراً أو أربعين عاماً ـ فيبعثُ اللّهُ تعالى عيسى بنَ مريمَ كأنه عروةُ بنُ مسعودٍ فيطلُبه فيُهلِكهُ. ثم يمكث الناسُ سبعَ سنينَ ليس بين اثنين عداوةٌ، ثم يرسل اللّهُ عز وجل ريحاً باردةً من قِبَل الشامِ فلا يبقى على وجه الأرضِ أحدٌ في قلبه مثقالُ ذرةٍ من خير ـ أو إيمان ـ إلا قُبِضت حتى لو أن أحدَكم دخل في كَبد جبلٍ لدخَلَتْه عليه حتى تقبِضَه»**، قال: سمعتُها من رسول الله ﷺ. قال: **«فيبقى**

---

(١) هي العظم الذي بين ثغرة النحر والعاتق.

(٢) أي في صحيح مسلم ٤/٢٢٥٨ ـ ٢٢٥٩ رقم ١١٦/ ٢٩٤٠).

شرارُ الناس في خِفّة الطيرِ وأحلامِ السباعِ، لا يعرِفون معروفاً ولا يُنكرون منكراً، فيتمثل لهم الشيطانُ فيقول: ألا تستجيبون؟ فيقولون: فما تأمُرنا؟ فيأمرُهم بعبادة الأوثانِ وهم في ذلك دارٌّ رزقُهم، حسنٌ عيشُهم، ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحدٌ إلا أصْغَى لِيتاً ورفع لِيتاً[1]. قال: وأولُ من يسمعه رجلٌ يلُوط حوضَ إبلِه[2]، قال: فيُصعَقُ ويُصعق الناسُ، ثم يُرسل الله ـ أو قال: يُنزل الله ـ عز وجل مطراً كأنه الطَّلُّ أو الظِّلُّ (نعمان الشاك) فتُنبت منه أجسادُ الناس، ثمّ يُنْفخ فيه أخرى فإذا هم قيامٌ ينظرون، ثم يقال: يا أيها الناس هلُمَّ إلى ربكم، وقِفوهم إنهم مسؤولون، قال: ثم يقال: أخرجوا بعثَ النار، فيُقال مِن كم؟ فيقال من كل ألفٍ تسعَمائةٍ وتسعةً وتسعين، قال: فذاك يومُ يجعل الولدان شِيباً، وذلك يومُ يُكشف عن ساق».

وفيه[3] عن أنس بنِ مالكٍ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«ليس من بلد إلا سيَطأه الدجالُ، إلا مكةَ والمدينةَ، وليس نقَبٌ من أنقابها إلا عليه الملائكةُ صافّين تحرُسها، فينزل بالسَّبِخة، فترجُف المدينةُ ثلاثَ رجَفاتٍ يخرج إليه منها كلُّ كافر ومنافق».**

وفي رواية[4]: **«فيأتي سبخةَ الجُرْفِ فيَضرب رُواقَه، وقال: فيخرج إليه كلُ منافقٍ ومنافقة».**

قال النووي[5]: فيضرب رُواقه أي ينزل هناك ويضع ثِقَلَه. والجُرْف قال في القاموس[6]: موضعٌ بقرب المدينة وموضعٌ قربَ مكةَ وموضعٌ باليمن وموضعٌ باليمامة. والمقصود في الحديث هو الأولُ.

---

(١) أصغى ليتاً ورفع ليتاً: أصغى أمال. واللِّيت صفحة العنق، وهي جانبه.
(٢) يلوط حوض إبله: أي يطينه ويصلحه.
(٣) أي في صحيح مسلم (٤/ ٢٢٦٥ رقم ١٢٣/ ٢٩٤٣).
قلت: وأخرجه البخاري (٤/ ٩٥ رقم ١٨٨١) وأطرافه رقم (٧١٢٤، ٧١٣٤، ٧٤٧٣).
(٤) لمسلم في صحيحه (٤/ ٢٢٦٦ رقم .../ ٢٩٤٣).
(٥) في شرحه لمسلم (١٨/ ٨٥).
(٦) المحيط (ص١٠٢٩).

وفيه[1] عنه رضي الله عنه أن رسولَ الله ﷺ قال: «**يتبع الدجَّالَ من يهودِ أصبهانَ سبعون ألفاً عليهم الطيالِسةُ**».

وفيه[2] عن أم شريكٍ أنها سمعت النبيَّ ﷺ يقول: «**لَيفِرَّنَّ الناسُ من الدجال في الجبال. قالت أمُ شريك: يا رسولَ الله فأين العربُ يومئذ؟ قال: هم قليلٌ**».

وفيه[3] عن عمرانَ بنِ حُصينٍ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**ما بين خلقِ آدمَ إلى قيام الساعة خلقٌ أكبرُ من الدجال**».

والأحاديثُ في ذكر الدجالِ وصفتِه، والإنذارِ منه والتحذير عنه أكثرُ من أن تُحصى، وأعظمُ من أن تُستقصى. وكذا الأحاديثُ في الفتن والملاحمِ بين يدي القيامةِ وغيرِها من أشراط الساعة. وقد أمرنا رسولُ الله ﷺ بالاستعاذة من فتنة المحيا والمماتِ، ومن فتنة المسيح الدجال في كل صلاةٍ فريضةً أو نافلة[4].

وفي الترمذي[5] عن مُحرزِ بنِ هارونَ عن عبد الرحمنِ الأعرجِ عن أبي

---

(١) أي في صحيح مسلم (٤/ ٢٢٦٦ رقم ١٢٤/ ٢٩٤٤).

(٢) أي في صحيح مسلم (٤/ ٢٢٦٦ رقم ١٢٥/ ٢٩٤٥).

(٣) أي في صحيح مسلم (٤/ ٢٢٦٦ ـ ٢٢٦٧ رقم ١٢٦/ ٢٩٤٦).

(٤) يشير المؤلف رحمه الله إلى الحديث الذي أخرجه مسلم (١/ ٤١٢ رقم ١٢٨/ ٥٨٨) من حديث أبي هريرة مرفوعاً بلفظ: «**إذا تشهدَ أحدُكم فليستعذ بالله من أربع. يقولُ: اللهمَّ إني أعوذُ بك من عذابِ جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والمماتِ، ومن شر فتنة المسيح الدجال**».

(٥) في السنن (٤/ ٥٥٢ رقم ٢٣٠٦) وقال: هذا حديث غريب حسن.
قلت: وأخرجه العقيلي في «الضعفاء» (٤/ ٢٣٠) وابن عدي في «الكامل» (٦/ ٢٤٣٤).
عن محرز بن هارون قال: سمعت الأعرج يحدث عن أبي هريرة مرفوعاً. قال الحافظ في «التقريب» رقم (٦٤٩٩): محرز بن هارون: متروك.
وقال العقيلي: محرز بن هارون، قال البخاري: منكر الحديث. وقد رُوي هذا الحديث بغير هذا الإسناد من طريق أصلح من هذا» اهـ.
قلت: والطريق التي أشار إليها العقيلي أخرجها الحاكم في المستدرك (٤/ ٣٢١) من طريق عبد الله عن معمر عن سعيد المقبري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: «**ما ينتظر أحدكم إلا غنى مطغياً، أو فقراً منسياً، أو مرضاً مفسداً، أو هرماً مفنداً، أو موتاً مجهزاً، أو الدجال والدجال شر غائب ينتظر، أو الساعة والساعة أدهى وأمر**».
قال الحاكم: إن كان معمر بن راشد سمع من المقبري فالحديث صحيح على شرط =

هريرةَ ﷺ أن رسولَ الله ﷺ قال: «**بادروا بالأعمال سبعاً: هل تنتظرون إلا إلى فقر مُنسٍ، أو غِنىً مَطْغيٍّ، أو هرَم مفنّدٍ، أو الدجالِ فشرُّ غائبٍ يُنتظر، أو الساعةِ فالساعةُ أدهى وأمرُّ**»، ثم قال: هذا حديثٌ حسنٌ غريبٌ لا نعرفه من حديث الأعرج عن أبي هريرة إلا من حديث محرز بنِ هارون. وروى مَعمر[1] هذا الحديثَ عمن سمع سعيداً المَقْبُريَّ عن أبي هريرةَ ﷺ عن النبي ﷺ نحوَ هذا.

[الإيمان بالموت]

(ويدخل الإيمانُ بالموت وما   من بعده على العباد حُتما)

(ويدخل) في الإيمان باليوم الآخر **(الإيمانُ بالموت)** الذي هو المُفضي بالعبد إلى منازل الآخرة، وهو ساعةُ كلِّ إنسانٍ بخصوصه، ولهذا قال النبيُّ ﷺ في الحديث المتقدمِ: «**إن يعِشْ هذا لم يدركْه الهرمُ قامتْ عليكم ساعتُكم**»[2].

والإيمانُ بالموت يتناول أموراً:

منها تحتُّمُه على مَن كان في الدنيا من أهل السمواتِ والأرضِ من الإنس والجنِّ والملائكةِ وغيرهم من المخلوقات، قال الله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: ٨٨].

وقال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمن].

= الشيخين، ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي
وقال الألباني في «الضعيفة» (٤/١٦٣ ـ ١٦٤) عقب كلام الحاكم والذهبي: «وهو كما قالا في ظاهر السند، ولكني قد وجدت له علة خفية، فإن عبد الله الراوي له عن معمر هو عبد الله بن المبارك، وقد أخرجه في كتابه «الزهد» وعنه البغوي في «شرح السنة» بهذا الإسناد إلا أنه قال: «أخبرنا معمر بن راشد عمن سمع المقبري يحدث عن أبي هريرة...».
فهذا يبين أن الحديث ليس من رواية معمر عن المقبري، بل بينهما رجل لم يُسم. ويؤيد ذلك أنهم لم يذكروا في شيوخ معمر المقبريّ ولا في الرواة عن هذا معمراً، ولو كان ذلك معروفاً لذكروه لجلالة كل منهما، فهذا الرجل المجهول هو علة هذا السند. والله أعلم» اهـ.
وخلاصة القول أن الحديث ضعيف، والله أعلم.

(١) أخرجه الحاكم (٤/٣٢١) **وهو حديث ضعيف** تقدم الكلام عليه في التعليقة السابقة.

(٢) تقدم تخريجه.

وقال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

وقال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾﴾ [الزمر].

وقال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ۖ أَفَإِين مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَـٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأنبياء].

وقال تعالى: ﴿يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّـٰىَ فَٱعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۖ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [العنكبوت].

وقال تعالى: ﴿۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ [السجدة: ١١].

وفي الصحيح(١) عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبيَّ ﷺ كان يقول: **«أعوذُ بعزتك الذي لا إله إلا أنتَ الذي لا يموتُ، والجنُّ والإنسُ يموتون»**.

ومنها أن كلًّا له أجلٌ محدودٌ وأمدٌ ممدودٌ ينتهي إليه لا يتجاوزه ولا يُقْصِر عنه، وقد علم الله تعالى جميعَ ذلك بعلمه الذي هو صفتُه، وجرى به القلمُ بأمره يوم خلقه، ثم كتبه الملَكُ على كل أحدٍ في بطن أمِّه بأمر ربِه عز وجل عند تخليقِ النطفةِ في عينه في أي مكان يكون وفي أي زمان، فلا يزاد فيه ولا يُنقص منه، ولا يُغيّر ولا يبدل عما سبق به علمُ الله تعالى، وجرى به قضاؤه وقدرُه، وأن كلَّ إنسان مات أو قُتل أو حُرق أو غرق، أو بأي حتْفٍ هلك بأجَله لم يستأخرْ عنه ولم يستقدمْ طرفةَ عينٍ، وأن ذلك السببَ الذي كان فيه حتفُه هو الذي قدره اللَّهُ تعالى عليه وقضاه عليه وأمضاه فيه، ولم يكن له بدٌّ منه ولا محيصٌ عنه ولا مَفرَّ له ولا مهربَ ولا فِكاكَ ولا خلاص، وأنَّى وكيف وإلى أين ولاتَ حينَ مناص، قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَـٰبًا مُّؤَجَّلًا ۗ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْـَٔاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَا ۚ﴾ [آل عمران: ١٤٥]، الآية.

---

(١) أي في صحيح البخاري (١٣/٣٦٨ ـ ٣٦٩ رقم ٧٣٨٣).

قلت: وأخرجه مسلم (٤/٢٠٨٦ رقم ٦٧/٢٧١٧).

وقال تعالى: ﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٥٤]، الآيات.

وقال تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ [النساء: ٧٨].

وقال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ﴿٦٢﴾﴾ [الأنعام].

وقال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ۖ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤]. في مواضعَ من القرآنَ.

وقال تعالى: ﴿كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الرعد: ٢].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ [طه: ١٢٩].

وقال تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ [الرعد: ٨].

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجمعة: ٨].

وقال تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الزمر: ٤٢].

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٦٠]. وغيرُها من الآيات.

وروى مسلمُ بنُ الحجاج(١) رحمه الله تعالى في صحيحه عن المعرور بنِ سُويدٍ عن عبد الله بنِ مسعود قال: قالت أمُ حبيبةَ ﷺ: «اللهم متِّعني بزوجي رسولِ الله ﷺ، وبأبي أبي سفيانَ، وبأخي معاوية»، فقال لها رسول الله ﷺ: «**إنك سألت اللَّهَ تعالى لآجالٍ مضروبةٍ وآثارٍ موطوءةٍ وأرزاقٍ مقسومة لا يُعجِّل شيئاً منها قبل حِلّه ولا يؤخِرُ منها يوماً بعد حله، ولو سألت اللَّهَ تعالى أن يعافِيَك من عذاب في النار وعذابٍ في القبر لكان خيراً لك**».

---

(١) في صحيحه (٤/ ٢٠٥١ رقم ٣٣/ ٢٦٦٣).

وفي رواية[1]: «**قد سألتِ اللّهِ لآجال مضروبةٍ وأيام معدودة وأرزاقٍ مقسومة لن يعجّلَ شيئاً قبل حلّهِ أو يؤخّرَ شيئاً عن حله، ولو كُنت سألتِ اللّهَ تعالى أن يعيذَك من عذاب في النار أو عذابٍ في القبر كان خيراً وأفضلَ**».

وفي أخرى[2]: «**وآثار مبلوغة**».

وعن ابن عباس[3] رضي الله عنهما في قول الله تعالى: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنۡ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾ [فاطر: ١١]، يقول: ليس أحدٌ قضيتُ له بطول العمرِ والحياةِ إلا وهو بالغٌ ما قدرتُ له من العمر، وقد قضيتُ ذلك له فإنما ينتهي إلى الكتاب الذي كتبتُ له، فذلك قولُه تعالى: ﴿وَلَا يُنقَصُ مِنۡ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾ [فاطر: ١١]. يقول: كلُّ ذلك في كتاب عنده. وهكذا قال الضحاك بنُ مزاحمٍ.

وأما حديثُ أنسٍ في الصحيحين[4] وغيرِهما قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**من سرَّه أن يُبسَطَ له في رزقه ويُنْسأَ له في أثره فليصِلْ**»، فإنه مفسَّرٌ بحديث أبي الدرداءِ رضي الله عنه عند ابنِ أبي حاتم[5] رحمه الله تعالى قال: ذكَرنا عند رسولِ الله ﷺ الزيادةَ في العُمر فقال: «**إن الله تعالى لا يؤخِرُ نفساً إذا جاء أجلُها، وإنما زيادةُ العمرِ بالذرية الصالحةِ يُرزَقُها العبدُ فيدعون له مِن بعدِه فيلحَقُه دعاؤهم في قبره فذلك زيادةُ العمر**».

ومنها الإيمانُ بأن ذلك الأجلَ المحتومَ والحدَّ المرسومَ لانتهاء كلِّ عمرٍ إليه، لا اطلاعَ لنا عليه ولا علمَ لنا به، وأن ذلك من مفاتح الغيبِ التي استأثر اللّهُ تعالى بعلمها عن جميع خلقِه فلا يعلمها إلا هو، كما قال تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ لَا يَعۡلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ﴾ [الأنعام: ٥٩] الآية. وقال تعالى: ﴿وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ

---

(١) لمسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٥٠ ـ ٢٠٥١ رقم ٣٢/ ٢٦٦٣).
(٢) لمسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٥٢ رقم .../ ٢٦٦٣).
(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٢/ ج٢٢/ ١٢٢). وزاد السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ١١) نسبته إلى ابن المنذر وابن أبي حاتم.
(٤) البخاري (١٠/ ٤١٥ رقم ٥٩٨٦)، ومسلم (٤/ ١٩٨٢ رقم ٢٠/ ٢٥٥٧).
(٥) في تفسيره (٣/ ٥٥٨ ـ كما في تفسير ابن كثير) **بسند ضعيف**.

غَدًاۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُۚ﴾ [لقمان: ٣٤] الآية. وتقدَّمت الأحاديثُ في معناها.

وفي الحديث المشهورِ عند أحمدَ والتِرمذيِّ وغيرِهما عن جماعة من الصحابة[1] قال رسولُ الله ﷺ: **«إذا أراد الله تعالى قبضَ روحِ عبدٍ بأرض جعل له فيها ـ أو قال بها ـ حاجةً»**.

---

(١) منهم: أبي عزة الهذلي، ومطر بن عكامس السلمي، وجندب بن سفيان، وعبد الله بن مسعود.

* أما حديث أبي عزة الهذلي فقد أخرجه ابن عدي في «الكامل» (٤/ ١٦٣٤) والطبراني في «الكبير» (٢٢/ ٣٧٦ رقم ٧٠٦) وأبو نعيم في «الحلية» (٨/ ٣٧٤).

وفيه عبيد الله بن أبي حميد متروك الحديث قاله الحافظ في «التقريب» رقم (٤٢٨٥) لكن تابعه أيوب.

أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» رقم (١٢٨٢) وابن حبان (رقم: ١٨١٥ ـ موارد) والدولابي في «الكنى» (١/ ٤٤) وأحمد (٣/ ٤٢٩) وعنه الحاكم (١/ ٤٢).

قال الحاكم: «صحيح، ورواته عن آخرهم ثقات» ووافقه الذهبي، ووافقهما الألباني في «الصحيحة» (٣/ ٢٢١).

* وأما حديث مطر بن عكامس السلمي فقد أخرجه البخاري في «التاريخ الكبير» (٧/ ٤٠٠) والحاكم (١/ ٤٢).

قال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي. وقال الألباني في «الصحيحة» (٣/ ٢٢١) وهو كما قالا إن كان أبو إسحاق ـ وهو السبيعي ـ سمعه من مطر؛ فإنه كان يدلس.

* وأما حديث جندب بن سفيان فقد أخرجه الحاكم (١/ ٣٦٧) من طريق الحسن عنه. والحسن هو البصري وهو مدلس أيضاً.

* وأما حديث عبد الله بن مسعود فقد أخرجه ابن ماجه (٢/ ١٤٢٤ رقم ٤٢٦٣) وابن أبي عاصم في «السنة» رقم (٣٤٦) والطبراني في «الكبير» (١٠/ ٢٢٩ رقم ١٠٤٠٣) والحاكم (١/ ٤١ ـ ٤٢) بلفظ: **«إذا كان أجلُ أحدكم بأرضٍ، أثبت الله له إليها حاجة، فإذا بلغ أقصى أثره توفاه، فتقول الأرض يوم القيامة: يا ربِ هذا ما استودعتني»**.

قال الحاكم: احتج الشيخان برواة هذا الحديث عن آخرهم.

ووافقه الذهبي. ووافقهما الألباني في «الصحيحة» (٣/ ٢٢٢).

وقال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (٣/ ٣١١ رقم ١٥٢٦/ ٤٢٦٣) «هذا إسناد صحيح، رجاله ثقات».

وخلاصة القول أن الحديث صحيح، والله أعلم.

ومنها ذكرُ العبدِ الموتَ، وجعلُه على باله كما هو الردْمُ بينه وبين آمالِه، وهو المُفضي به إلى أعماله، وإلى الحسن والقبيحِ من أقواله وأفعالِه، وإلى الجزاء الأوفى مِن الحكَم العدْلِ في شرعه، وقدَرِه وقضائِه، ووعده ووعيدِه، فلا يعاقِب أحداً بذنب غيرِه، ولا يهضِمُه ذرّةً من حُسن أعمالِه.

وفي حديث أبي هريرةَ ﷺ عند الترمذيِّ[(١)] والنَّسائيِّ[(٢)] وابن حِبانَ[(٣)] وصححه قال: قال رسولُ الله: «**أكثِروا ذكرَ هادِمِ[(٤)] اللذَّات**» الموت.

وقال البخاريُّ[(٥)] رحمه الله تعالى في كتاب الرقاق من صحيحه: بابُ قولِ

---

(١) في السنن (٤/ ٥٥٣ رقم ٢٣٠٧) وقال: حديث حسن غريب.
(٢) في السنن (٤/ ٤ رقم ١٨٢٤).
(٣) في صحيحه (٧/ ٢٥٩ رقم ٢٩٩٢) **بإسناد حسن.**
قلت: وأخرجه ابن ماجه رقم (٤٢٥٨) ونعيم بن حماد في زيادات «الزهد» لابن المبارك رقم (١٤٦) والقضاعي في «مسند الشهاب» (٦٦٩) والخطيب في «تاريخ بغداد» (٢/ ٢٩٢ - ٢٩٣) و (١/ ٣٨٤) والحاكم (٤/ ٣٢١) من طرق.
قال الحاكم: صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي. وسقط من سند الحاكم «محمد بن إبراهيم». وله شواهد من حديث أنس بن مالك، وعبد الله بن عمر، وعمر بن الخطاب، وزيد بن أسلم، وأبي سعيد الخدري.
* أما حديث أنس بن مالك، فقد أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٩/ ٢٥٢) والخطيب في «تاريخ بغداد» (١٢/ ٧٢ - ٧٣) **وسنده صحيح.**
وصحَّحه الضياء المقدسي في المختارة (١/ ٥٢١).
* وأما حديث عبد الله بن عمر، فقد أخرجه القضاعي في «مسند الشهاب» رقم (٦٧١) وفيه القاسم بن محمد الأزدي لا يعرف بجرح ولا تعديل.
* وأما حديث عمر بن الخطاب، فقد أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٦/ ٣٥٥) **وفي سنده راوٍ مجهول.**
* وأما حديث زيد بن أسلم فقد أخرجه ابن المبارك في الزهد رقم (١٤٥) ومن طريقه البغوي رقم (١٤٤٧) **مرسلاً.**
* وأما حديث أبي سعيد الخدري فقد آخرجه الترمذي (٤/ ٦٣٩ - ٦٤٠ رقم ٢٤٦٠) وقال: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.
وخلاصة القول أن الحديث صحيح بشواهده، والله أعلم.
(٤) هاذم اللذات: هي بالذال المعجمة وبالدال المهملة. أي قاطعها، فإن الموت يقطع لذَّات الدنيا.
(٥) في صحيحه (١١/ ٢٣٣ رقم ٦٤١٦).

النبيِّ ﷺ: «**كن في الدنيا كأنك غريبٌ أو عابرُ سبيل**»، حدثنا عليُّ بنُ عبدِ الله حدثنا محمدُ بنُ عبدِ الرحمنِ أبو المنذر الطفاويُّ عن سليمانَ الأعمشِ، قال: حدثني مجاهدٌ عن عبد الله بنِ عمرَ رضي الله عنهما قال: أخذ رسولُ الله ﷺ بمنكبي فقال: «**كنْ في الدنيا كأنك غريبٌ أو عابرُ سبيلٍ**»، وكان ابنُ عمرَ رضي الله عنهما يقول: «إذا أمسيتَ فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحتَ فلا تنتظر المساءَ. وخذ من صحتك لمرضك ومن حياتك لموتك».

ثم قال[1]: بابٌ في الأمل وطولِه وقولِ اللَّهِ تعالى: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥] ـ بمزَحزحهِ بمباعِده ـ وقولِه تعالى: ﴿ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [الحجر: ٣].

وقال علي رضي الله عنه: «ارتحلتِ الدنيا مُدبرةً، وارتحلتِ الآخرةُ مُقبلةً، ولكلٍّ واحدةٍ منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليومَ عملٌ ولا حسابَ، وغداً حسابٌ ولا عملَ».

حدَّثنا صدَقةُ بنُ الفضلِ أخبرنا يحيى بنُ سعيدٍ عن سفيانَ قال: حدثني أبي عن منذر عن ربيع بن خيثم عن عبد اللَّهِ رضي الله عنه قال: خط النبيُّ ﷺ خطًّا مربعاً وخطَّ خطاً في الوسط خارجاً منه وخط خططاً صغاراً إلى هذا الذي في الوسط من جانبه الذي في الوسط وقال: «**هذا الإنسانُ، وهذا أجلُه محيطٌ به أو قد أحاط به. وهذا الذي هو خارجٌ أملُه، وهذه الخططُ الصغارُ الأغراضُ، فإن أخطأه هذا نهشَه هذا، وإن أخطأه هذا نهشه هذا**»[2].

حدثنا مسلمٌ حدثنا همامٌ عن إسحاقَ بنِ عبدِ الله بن أبي طلحةَ عن أنسٍ رضي الله عنه قال: خط النبيُّ ﷺ خطوطاً فقال: «**هذا الأملُ، وهذا أجلُه، فبينما هو كذلك إذ جاءه الخطُّ الأقربُ**»[3].

---

(١) أي البخاري في «صحيحه» [(١١/ ٢٣٥ رقم الباب ٤)] وأثر علي جاء عنه موقوفاً ومرفوعاً ولم يصح رفعه، انظر: «تغليق التعليق» (٥/ ١٥٨).
(٢) أخرجه البخاري (١١/ ٢٣٥ ـ ٢٣٦ رقم ٦٤١٧).
(٣) أخرجه البخاري (١١/ ٢٣٦ رقم ٦٤١٨).

ومنها ـ وهو المقصودُ الأعظمُ ـ التأهبُ له قبل نزولِه، والاستعدادُ لما بعده قبلَ حصولِه، والمبادرةُ بالعمل الصالحِ والسعْي النافعِ قبل دُهوم البلاءِ وحلولِه، إذ هو الفيصلُ بينَ هذه الدارِ وبين دار القرارِ، وهو الفصلُ بين ساعة العملِ والجزاءِ عليه، والحدُّ الفارقُ بين أوانِ تقديم الزادِ والقدومِ عليه، إذ ليس بعده لأحد من مُستَعْتَبٍ ولا اعتذار، ولا زيادةٍ في الحسنات ولا نقصٍ من السيئات، ولا حيلةٍ ولا افتداء، ولا درهمٍ ولا دينار، ولا مقعدٍ ولا منزلٍ إلا القبْرَ، وهو إما روضةٌ من رياض الجنةِ أو حفرةٌ من حفر النار إلى يوم البعثِ والجزاءِ وجمْع الأولين والآخِرين، وأهلِ السمواتِ والأرضين والموقفِ الطويلِ بين يدي القويِّ المتين، يوم يقوم الناسُ لرب العالمين، الحكيمِ العليمِ المُقسِطِ العدْل الحكيم، الذي لا يَحيفُ ولا يجور، ولا يَظلِم مثقالَ ذرةٍ، إن ربي على صراط مستقيم.

ثم إما نعيمٌ مقيمٌ في جنات النعيم، وإما عذابٌ أليمٌ في نار الجحيم، وإن لكل ظاعنٍ مَقراً، ولكل نبأ مستقرٌ وسوف تعلمون، قال الله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [المؤمنون] الآيات.

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ [الحشر: ١٨]، الآيات.

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنفِقُوا۟ مِن مَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾﴾ [المنافقون].

وقال تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ﴾ [الشورى: ٤٤]. وهذا سؤالُهم الرجعةَ عند الاحتضارِ، وكذلك يسألون الرجعةَ عند معاينة العذاب يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ ۗ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا۟ أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ﴾ [إبراهيم: ٤٤]. الآيات.

وكذلك يسألون الرجعةَ إذا وقفوا على النار ورأوا ما فيها من عظيم الأهوالِ

وشديدِ الأنكال، والمقامعِ والأغلال، والسلاسل الطِّوال، وما لا يصِفُه عقلٌ ولا يعبّر عنه مقال، ولا يغني بالخبر عنه ضربُ الأمثال، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الأنعام] الآيات.

وكذلك يسألون الرجعةَ إذا وقفوا على ربهم وعُرضوا عليه وهم ناكسوا رؤوسِهم بين يديه كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ١٢] الآيات.

وكذلك يسألون الرجعةَ وهم في غمرات الجحيم، وعذابها الأليم، كما قال تعالى: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ ۖ﴾ [فاطر: ٣٧] الآيات.

وقال تعالى: ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾ [غافر: ١١] وغيرُها من الآيات.

ويجمع كلَّ ذلك قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ [الأعراف: ٥٣] وغيرُها من الآيات.

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من أحد يموت إلا ندِم**»، قالوا: وما ندامتُه يا رسولَ الله؟ قال: «**إن كان محسِناً ندِم أنْ لا يكونَ ازداد، وإن كان مسيئاً ندِم أن لا يكونَ نزَع**»، رواه الترمذي[1] وغيره.

---

(١) في السنن (٤/٦٠٣ ـ ٦٠٤ رقم ٢٤٠٣) وقال: «هذا حديث إنما نعرفُه من هذا الوجه، ويحيى بن عُبيد اللَّهِ قد تكلم فيه شعبةُ، وهو يحيى بن عُبيد اللَّهِ بنِ مُوهِب مدنيٌّ».
قلت: وأخرجه ابن عدي في «الكامل» (٧/٢٦٦٠ ـ ٢٦٦١).
ويحيى بن عبيد بن موهب متروك. وأفحش الحاكم فرماه بالوضع. قاله الحافظ في «التقريب» رقم (٧٥٩٩).
وأورده المقدسي في «ذخيره الحفاظ» (٤/٢١٠٢ رقم ٤٨٦٥).
وضعف الألباني الحديث في ضعيف الجامع رقم (٥١٤٦)، وفي ضعيف الترمذي (٤٢٠)، وهو كما قال حفظه الله.

وله[1] عن ابن عباس ﷺ قال: من كان له مالٌ يُبلّغه حجَّ بيتِ ربه، أو تجبُ عليه فيه زكاةٌ فلم يفعلْ سأل الرجعةَ عند الموت. فقال رجل: يا ابنَ عباس اتق الله، فإنما يسأل الرجعةَ الكفارُ، فقال: سأتلو عليك بذلك قرآناً: ﴿وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا ۚ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾﴾ [المنافقون]، قال: فما يوجب الزكاةَ؟ قال: إذا بلغ المالُ مائتين فصاعداً، قال: فما يوجب الحجَّ؟ قال: الزادُ والبعيرُ».

وقال قَتادةُ[2] في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ﴾ [المؤمنون: ٩٩]، قال: كان العلاءُ بنُ زيادٍ يقول: لِيُنزِلْ أحدُكم نفسَه أنه قد حضره الموتُ فاستقال ربَّه فأقاله فليعمل بطاعة ربه تعالى.

وقال قتادةُ[3]: واللَّهِ ما تمنّى إلا أن يرجِعَ فيعملَ بطاعة الله، فانظُروا أُمنيةَ الكافِرِ المُفرّطِ فاعملوا بها، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وروى ابنُ أبي حاتم[4] عن أبي هريرة ﷺ قال: إذا وُضع - يعني الكافر - في قبره فيرى مقعدَه من النار قال فيقولُ: ربِّ ارجعونِ أتوب وأعملُ صالحاً، قال فيقال: قد عُمّرتَ ما كنت مُعمّراً. قال فيضيق عليه قبرُه ويلتئم فهو كالمنهوش ينام ويفزَع تهوي إليه هوامُّ الأرض وحيَّاتُها وعقاربُها.

وروى الإمامُ أحمدُ[5] والنسائيُّ[6] من حديث أبي بكرِ بن عياشٍ عن الأعمش

---

(١) أي للترمذي في السنن (٥/ ٤١٨ - ٤١٩ رقم ٣٣١٦) **بسند ضعيف، منقطع.**
أبو جَنَاب الكلبي ضعيف لكثرة تدليسه: «التقريب» رقم (٧٥٣٧) ورواية الضحاك عن ابن عباس منقطعة.
وخلاصة القول أن الحديث ضعيف، والله أعلم.

(٢) أورده ابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٢٦٦) عنه.

(٣) ذكره ابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٢٦٦) عنه.

(٤) كما في «الدر المنثور» (٦/ ١١٤) وابن كثير (٣/ ٢٦٦). وزاد السيوطي في الدر نسبته إلى ابن أبي الدنيا في «ذكر الموت».

(٥) في المسند (٢/ ٥١٢) **بسند صحيح.**

(٦) في الكبرى كما في «تحفة الأشراف» (٩/ ٣٧٤). =

عن أبي صالحٍ عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«كلُّ أهلِ النار يرى مقعدَه من الجنة فيقول: لو أن الله هداني، فتكونُ عليه حسرةً قال: وكلُّ أهل الجنة يرى مقعدَه من النار فيقول: لولا أن الله هداني، قال: فيكون لهم الشُّكر»**.

وقد تقدم حديث أبي هريرةَ رضي الله عنه عند مسلم[1]: **«بادروا بالأعمال ستاً: طلوع الشمس من مغربها»** الحديث، وحديثُه عند الترمذيِّ[2]: **«بادروا بالأعمال سبعاً، هل تنتظرون إلا إلى فقرٍ مُنسٍ»** الحديث.

وفي صحيح البخاريِّ[3] عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: **«نعمتان مغبونٌ فيهما كثيرٌ من الناس: الصحةُ والفراغ»**.

وللحاكم[4] عنه رضي الله عنه أن رسولَ الله ﷺ قال لرجل وهو يعِظه: **«اغتنم خمساً قبلَ خمس: شبابَك قبل هرمِك، وصِحتَك قبل سَقَمِك، وغناك قبل فقرِك، وفراغَك قبل شغلِك، وحياتَك قبل موتِك»**. يعني إن هذه الخمسَ أيامَ الشبابِ والصحةِ والغِني والفراغِ والحياةِ، هي أيامُ العملِ والتأهبِ والاستعدادِ والاستكثارِ من الزاد، فمن فاته العملُ فيها لم يدركْه عند مجيءِ أضدادِها، ولا ينفعه التمنِّي للأعمال، بعد التفريطِ منه والإهمال، في زمن الفرصةِ والإمهالِ، فإن بعد كلِّ شبابٍ هرماً،

= وقد أخرج البخاري (٦/٣١٧ رقم ٣٢٤٠) ومسلم (٤/٢١٩٩ رقم ٢٨٦٦) عن عبد اللَّهِ بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا مات أحدُكم فإنهُ يُعرَضُ عليه مقعدُهُ بالغداةِ والعشي، فإن كان من أهل الجنة فمن أهلِ الجنة، وإن كان من أهلِ النارِ فمن أهلِ النار»**.

(١) في صحيحه (٤/٢٢٦٦ رقم ٢٩٤٦). وقد تقدم.

(٢) في السنن (٤/٥٥٢ رقم ٢٣٠٦) وقد تقدم. وهو حديث ضعيف.

(٣) في صحيحه (١١/٢٢٩ رقم ٦٤١٢).

(٤) في المستدرك (٤/٣٠٦) وقال: صحيح على شرط الشيخين، وأقره الذهبي، **وهو كما قالا**.

وعزاه السيوطي في «الجامع الصغير» (٢/١٦ - مع الفيض) للبيهقي في «شعب الإيمان» وحسنه. كلاهما من حديث ابن عباس.

وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٤/١٩٨) والبغوي في شرح السنة (١٤/٢٢٣ رقم ٤٠٢١) والخطيب في «اقتضاء العلم العمل» رقم (١٧٠).

وعزاه السيوطي في «الجامع الصغير» (٢/١٦ - مع الفيض) لأحمد في الزهد، والبيهقي في شعب الإيمان، كلهم عن عمرو بن ميمون مرسلاً.

وقد صحح الألباني الحديث في «صحيح الجامع» (١/٢٤٣ رقم ١٠٧٧).

وبعد كلِّ صحةٍ سَقماً، وبعد كلِ غنىً فقراً، وبعد كلِّ فراغٍ شُغلاً، وبعد كلِّ حياةٍ موتاً، فمن فرّط في العمل أيامَ الشبابِ لم يدركْه في أيام الهرم، ومن فرّط فيه في أوقات الصحةِ لم يدركْه في أوقات السَقَم، ومن فرّط فيه في حالة الغنى فلم ينل القُرَبَ التي لم تُنل إلا بالغنى لم يدركه في حالة الفقر، ومن فرّط فيه ساعة الفراغِ لم يدركه عند مجيءِ الشواغل، ومن فرط في العمل في زمن الحياةِ لم يدركه بعد حيلولةِ الممات، فعند ذلك يتمنى الرجوعَ وقد فات، ويطلب الكَرّة وهيهاتَ، وحيل بينه وبين ذلك وعظُمتْ حسَراتُه حين لا مدفع للحسرات.

ولقد حثَّنا اللّهُ عز وجل أعظمَ الحثِّ وحضَّنا أشدَّ التحضيضِ، ودعانا إلى اغتنامِ الفُرَصِ في زمن المُهلة، وأخبرنا أن من فرط في ذلك تمناه وقد حيل بينه وبينه، إذ يقول تعالى في مُحكم كتابِه داعياً عبادَه إلى بابه يا من يسمع صريحَ خطابِه ويتأمل لطيفَ عتابِه: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾﴾ [الزمر] الآيات.

وقال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ﴾ [الروم: ٤٣] الآيات. وقال تعالى: ﴿ٱسْتَجِيبُواْ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۚ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ﴾ [الشورى: ٤٧] الآيات، وغيرُها.

[الإيمان بما بعد الموت]

ومنها الإيمان بـ **(ما)** الذي **(من بعده)** أي من بعد الموتِ **(على العباد حُتما)** من أحوال الإحضارِ إلى البعث والنشورِ، إلى أن يقضيَ اللّهُ بين عباده ويستقرَّ كلٌّ من الفريقين: فريقٌ في الجنة وفريق في السعير. ونذكر ما تيسَّر من التقدير على كل أمرِ منها في محله من هذه الأبياتِ الآتيةِ إن شاء الله تعالى، وهذ أولها:

[إثبات سؤال القبر وفتنته وعذابه ونعيمه]

(وإنّ كــلاًّ مُـقـعَـدٌ مـسـؤولُ: ما الـربُّ ما الـديـنُ وما الـرسـولُ)
(وعـنـد ذا يـثـبّـت الـمـهـيـمـنُ بـثـابـت الـقـولِ الـذيـن آمـنـوا)
(ويـوقـن الـمـرتـابُ عـنـد ذلـكْ بـأنّـمـا مَـوْرِدَهُ الـمـهـالـكْ)

في هذه الأبياتِ إثباتُ المسألةِ العظيمة، وهي إثباتُ سؤالِ القبرِ وفتنتِه وعذابِه ونعيمِه، وقد تظاهرت بذلك نصوصُ الشريعةِ كتاباً وسنةً، وأجمع على ذلك أئمةُ السنة من الصحابة والتابعين فمَن بعدَهم من أهل السنةِ والجماعة، وإن أنكر ذلك بِشْرٌ المريسيُّ[1] وأضرابُه وأتباعُهم من المعتزلة، وحملوا على فاسد فهمِهم قولَ اللَّهِ عز وجل: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الدخان: ٥٦]. وقولَه: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ﴾ [فاطر: ٢٢].

قالوا في الآية الأولى: لو صاروا أحياءً في القبور لذاقوا الموتَ مرتين لا موتةً واحدة. وقالوا في الآية الثانيةِ: إن الغرض من سياقها تشبيهُ الكفرة بأهل القبورِ في عدم الإسماع، ولو كان الميتُ حياً في قبره أو حاسّاً لم يستقم التشبيهُ.

قالوا: وأما من جهة العقلِ فإنا نرى شخصاً يُصلب ويبقى مصلوباً إلى أن تذهبَ أجزاؤه ولا نشاهد فيه إحياءً ومسألةً، والقولُ لهم بهما مع المشاهدة سفسطةٌ ظاهرةٌ، وأبلغُ منه من أكلتْه السباعُ والطيورُ وتفرقت أجزاؤُه في بطونها وحواصلِها، وأبلغُ منه من أُحرق حتى يُفتّتَ، وذُرِيَ أجزاؤه المتفتتةُ في الرياح العاصفةِ شِمالاً وجُنوباً وقَبولاً ودَبوراً، فإنا نعلم عدمَ إحيائِه ومسألتِه وعذابِه ضرورة.

هذه خلاصةُ شُبَهِهم الداحضة، ومحصَّلُ آرائِهم الكاسدة، وأفهامِهم الفاسدة، وأذهانِهم البائدة، ولا عجبَ ولا استغرابَ ممن ألحد في أسماء الله وصفاتِه، وجحد ما صرَّح به تعالى في محكم آياتِه، وردَّ ما صح عن الرسول ﷺ من أقواله وأفعالِه وتقريراتِه، وحكّم العقلَ في الشرع، وعارضَ الوحيَ الرحمانيَّ بالحدْسِ الشيطاني، وقدم الآراءَ السقيمةَ، على السنن المستقيمة، وآثرَ الأهواءَ الذميمة على المَحَجّة القويمة، فليس بعجيب ولا غريبٍ ممن هذا شأنُه أن ينكرَ

---

(١) تقدمت ترجمته.

عذابَ القبرِ وغيرَه من أنباء الغيبِ التي لا يشاهدها.

وما له لا يُنكر ذلك وهو لا يعرِف الإنسانَ إلا هذا الجسمَ الذي هو الجلدُ واللحمُ والعظمُ والعروقُ والأعصابُ والشرايينُ ونحوُها مما يمتلئ بكثرة الطعامِ والشرابِ فيه، ويخلو بقلّتهما عليه، وما له لا يُنكر ذلك وهو لا يُقِرّ بموجود إلا مسموعاً متكلماً به مُبصراً مشموماً ملموساً، وما له لا يُنكر ذلك وطريقتُه في النصوص أبداً تأويلُ الصريح وتضعيفُ الصحيح، وأنها آحادٌ ظنّيةٌ لا تفيد اليقينَ، وليست بأصل بزعمه عند المحققين.

ولا ذنبَ للنصوص وما نقَم منها إلا أنها خالفت هواه، وصرّحت بنقض دعواه، وسدّت عليه بابَ مغزاه، وأوجبت عليه نبذَ أقوالِ شيوخِه، وهدمتْ عليه ما قد بناه، وألزمتْه باطّراح كلِ قولٍ غيرَ ما قاله اللّهُ أو رسولُه ﷺ، ونادت عليه بأبلغِ صوت: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١].

والجوابُ عن الشبهة الأولى أن الآيةَ لا تدل على مدّعاهم بوجه، فإنها في صفة أهلِ الجنةِ وما لهم فيها من كمال النعيمِ والخُلد المقيم، وأنهم لا يذوقون فيها الموتَ بل ينعمون ولا يبأسون ويخلُدون فلا يموتون، وأين هذا من نفي عذابِ القبرِ الذي ادّعَوه، وقوله: ﴿إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الدخان: ٥٦] تأكيد لنفي الموت عنهم في الجنة، وما المانعُ من كون الروحِ تتصل بالجسد في البرزخ اتصالاً خاصاً ليتألّم الجسدُ بما يتألم به، من دون أن تكونَ حياتُه كالحياة الدنيوية.

بل ما المانعُ من كونها حياةً مستقرةً لا تُشبه الحياةَ الدنيا وهي أعظمُ منها، فحجَبَ اللّهُ تعالى رؤيةَ ذلك عن عباده رحمةً منه بهم، كما يدل عليه ما أخبر به ﷺ في الأحاديث الآتيةِ من الإقعادِ والمخاطبةِ والسؤالِ والجوابِ كِفاحاً، كما يشاء اللّهُ عز وجل، والفتحِ لباب الجنة للمؤمن وفَرْشِه منها، وفتحِ باب النارِ للمرتاب وقمعِه بالمطارق والمرازبِ، وغيرُ ذلك مما سيأتي إن شاء الله تعالى بسطُه.

وأيضاً فأهلُ الجنة المشارُ إليهم بقوله: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الدخان: ٥٦]، قد وردت فيها الأحاديثُ الصحيحة أن أرواحَهم تسرح في الجنة في حواصل طيورٍ خُضْرٍ، كما روى الإمامُ أحمدُ(١) عن الإمام محمدِ بنِ

---

(١) في المسند (١٢/٣٠٨ رقم ١٥٧١٧ ـ الزين) بسند صحيح. =

إدريسَ الشافعيِّ عن الإمام مالكِ بنِ أنسٍ عن الإمام محمدِ بنِ شهابٍ الزُهريِّ عن عبد الرحمنِ بنِ كعبِ بنِ مالكٍ عن أبيه عن رسول اللّهِ ﷺ قال: **«إنما نَسَمةُ المؤمنِ طائرٌ يعلّق في شجر الجنةِ حتى يُرجعَه اللّهُ تعالى إلى جسده يوم يَبعثُه»**.

وفيهم الشهداءُ الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١٥٤]. يقول الله تعالى لنبيه ﷺ وأصحابه ﴿وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١٥٤]، فهل شعَرتم بذلك يا معاشرَ الزنادقةِ دونهم؟

ويقول تعالى فيهم: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩] الآيات، وذلك بخلاف الذين كفروا فإنهم كما قال اللّهُ تعالى فيهم: ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾ [غافر: ١١].

والموتةُ الثانيةُ على أحد التفسيرين هي موتُهم بعد فتنةِ القبر، وتفسيرُ الجمهورِ لا ينافي ذلك، فإنهم حملوا الموتة الأولى على العدم الذي قبل وجودِهم، والثانيةَ على الخروج من الدنيا، ولم يعُدّوا نومتَهم بعد الفتنةِ في القبر موتةً مستقلةً لأن حالَ البرزخِ من الموتة الثانية وليس هو من دار الدنيا ولا دار الآخرةِ، بل هو حاجزٌ بينهما، والتفسيرُ الأولُ محمولٌ على موتتين بعد الوجودِ خلا حالةِ العدمِ المحضِ قبل إيجادهم.

وروى ابنُ أبي حاتمٍ[١] بسنده عن أبي هريرةَ قال: إذا وُضع ـ يعني الكافرَ ـ في قبره فيرى مقعدَه من النار، قال فيقول: ربِّ ارجعونِ أتوبُ وأعملُ صالحاً، قال فيقال: قد عُمِّرْتَ ما كنت معمَّراً، قال: فيضيق عليه قبرُه ويلتئم فهو كالمنهوش ينام ويفزَع، تهوي إليه هوامُّ الأرض وحيّاتُها وعقاربُها.

= قلت: وأخرجه النسائي (٤/ ١٠٨ رقم ٢٠٧٣) وابن ماجه (٢/ ١٤٢٨ رقم ٤٢٧١) ومالك (١/ ٢٤٠ رقم ٤٩) والطيالسي (١/ ١٥٤ رقم ٧٤٠ ـ منحة) والطبراني في «الكبير» (١٩/ ٦٤ رقم ١٢١) والحميدي في مسنده (٢/ ٣٨٥ رقم ٨٧٣) وأبو نعيم في «الحلية» (٩/ ١٥٦).

وخلاصة القول أن الحديث صحيح.

(١) ذكره ابن كثير في تفسيره (٣/ ٢٦٦) وقد تقدم.

وعن الشبهة الثانيةِ الجوابُ من وجهين:

(الأولُ): أن قوله: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ﴾ [فاطر: ٢٢]. نفيٌ لاستطاعة الرسول ﷺ أن يُسمِعَهم، وليس ذلك بمُحال في قدرة اللَّهِ أن يُسمِعَهم كما أسمع أهلَ القَليبِ تبْكيتَه ﷺ بقوله ﷺ: **«هل وجدتم ما وعد ربُكم حقًّا»**[١] الحديث سيأتي إن شاء الله، وهذا إذا حُمل على نفي مطلقِ السماعِ بالكلية.

(الوجهُ الثاني): أنه لم ينفِ مطلقَ السماعِ، وإنما نفيُ سماعِ الاستجابةِ، كما يدل عليه قولُه ﷺ في حديث القليبِ[٢]: **«ما أنتم بأسمعَ لما أقولَ منهم، ولكنهم لا يُجيبون»**. وبهذا يتضح تشبيهُ الكفارِ بهم، فإن الكفارَ كانوا يسمعون كلامَ النبيِّ ﷺ، ويسمعون منه كلامَ اللَّهِ تعالى وهو يتلوه عليهم ولكن ليس ذلك بسماع استجابة، ولهذا أثبت تعالى هذا السماعَ الظاهرَ لهم في قوله تعالى: ﴿يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا﴾ [الجاثية: ٨]، ولو كان الكفارُ لم يسمعوا مطلقاً، لا سماعَ استجابةٍ ولا مطلقاً لم يكن القرآنُ حجةً عليهم ولم يكن الرسولُ بلّغهم لأنهم ما سمِعوه منه، ولا أفسدَ من قول هذا لازمُه.

وأما شُبهتُهم العقليةُ فهي لا تليق إلا بعقولهم السخيفة، فإن الروحَ التي عليها العذابُ أو النعيمُ المتصلُ بالجسم ألمهُ ليس بمُدرَكٍ في الدنيا ولا يعلمه إلا اللَّهُ، فمن كان لا يدرك روحَ من يمشي معه ويكلّمُه ويأتمنُه ويعامله، فكيف يدركُه إذا صار من عالم الآخرةِ ليس من عالم الدنيا؟ وأيضاً فاحتجابُ ذلك عن أهل الدنيا من حكمة اللَّهِ تعالى البالغةِ ورحمتِه بهم.

وقد قال النبيُّ ﷺ: **«لولا أنْ لا تَدافَنوا لدعوتُ اللَّهَ عز وجل أن يُسمِعَكم من عذاب القبرِ الذي أسمع»**[٣].

وأيضاً فأكثرُ أمورِ الإيمانِ اعتقاداتٌ باطنةٌ منا لأمور غائبةٍ عنا، وهي أعلى صفاتِ أهل الإيمان ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ [البقرة: ٣]، وذلك غائبٌ عنا في الحياة

---

(١)(٢) سيأتي بتمامه وكذلك يأتي تخريجه.

(٣) أخرجه مسلم (٤/٢١٩٩ ـ ٢٢٠٠ رقم ٦٧/٢٨٦٧) من حديث زيد بن ثابت.
وأخرجه مسلم (٤/٢٢٠٠ رقم ٦٨/٢٨٦٨) من حديث أنس.

الدنيا، ونحن نعلمه عن الله علمَ اليقين، فإذا خرجنا من هذه الدارِ صار الغيبُ شهادةً، ورأينا ذلك عينَ اليقين: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [يونس: ٣٩]. والذي أُحرِقت أعضاؤه وتفرّقت أجزاؤه يجمعه الذي أبدأه من لا أجزاءٍ ولا أعضاء، وسيأتي الحديثُ فيه إن شاء الله.

ولا فرقَ بين من كذّب بجمع هذا، وبين من كذب بجمع الناسِ ليوم لا ريبَ فيه: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ۚ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ ۚ﴾ [الأعراف: ٥٣] الآية.

فيا أيها الطالبُ الحقَّ المتحرّي الإنصافَ، إليك نصوصَ الآياتِ المُحكمةِ والسننِ القائمة، فألقِ لها سمعَك وأحضِرْ قلبَك، وانظر بماذا عارضها الذين في قلوبهم زيغٌ، وكيف تتبعوا ما تشابه، وأعرَضوا عن المحكم ابتغاءَ الفتنةِ وابتغاءَ تأويلِه كما أخبر الله تعالى عنهم، فردوا المحكمَ بالمتشابه، ولم يردّوا علم ما غرَب عنهم علمُه إلى عالمه، واحمدِ الله تعالى إذ هداك لِما اختلفوا فيه، ووفّقك لِما انحرفوا عنه من الحق المبين، وقل كما قال الراسخون في العلم: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ﴾، ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨].

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾ [الأنعام: ٩٣] الآية.

قال أئمةُ التفسير: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ﴾ [الأنعام: ٩٣]، أي إليهم بالضرب والنّكال وأنواع العذابِ حتى تخرج أنفسُهم من أجسادهم، ولهذا يقولون لهم: ﴿أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ﴾ [الأنعام: ٩٣]، وذلك أن الكافر إذا احتُضِر بشّرته الملائكةُ بالعذاب والنكالِ والأغلالِ والسلاسلِ والجحيمِ والحميمِ وغضَب الرحمن الرحيم، فتَفرّقُ روحُه في جسده وتَعصي وتأبى الخروجَ، فتضربهم الملائكةُ حتى تخرجَ أرواحُهم من أجسادهم قائلين لهم: ﴿أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾ [الأنعام: ٩٣].

أي اليوم تُهانون غايةَ الإهانة كما كنتم تكذبون على الله وتستكبرون عن اتباع آياتِه والانقيادِ لرسله، وسيأتي فى الأحاديث كيفيةُ احتضارِ المؤمن والكافر قريباً إن شاء الله.

ووجهُ الدِلالةِ من هذه الآيةِ أنه إذا كان يُفعل به هذا وهو مُحتضَرٌ بين ظَهراني أهلِه صغِيرهم وكبيرِهم وذكرِهم وأنثاهم وهم لا يرَونَ شيئاً من ذلك ولا يسمعون شيئاً من ذلك التقريعِ والتوبيخِ، ولا يدرون بشيء من ذلك الضرب، غير أنهم يَروْن مجردَ احتضاره وسياقِ نفسِه، لا يعلمون بشيء مما يقاسون الشدائدَ، فَلأَنْ يُفعل به في قبره ذلك وأعظمُ منه ـ ولا يعلمه من كُشف عنه ـ أولى وأظهر، لأنهم لم يطّلعوا على ما يناله بين أظهُرهم، فكيف وقد انتقل إلى عالَم غيرِ عالَمِهم ودارِ غيرِ دارِهم، فلا بد للمخالف من أحد أمرين: إما أن يُقرَّ بما أخبر الله تعالى به في المحتَضَر فيلزمهم ما ورد في عذاب القبر، أو يجحَدَ هذا وهذا فيكفُرَ بتكذيبه الله، ورسولَه، فبشِّرْه بتأويل هذه الآيةِ إذا صار إلى ما صار إليه المكذِّبون.

وقـال: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧]. وهذه الآية نصُّها في عذاب القبرِ بصريح الأحاديثِ الآتيةِ وباتفاق أئمةِ التفسيرِ من الصحابة فالتابعين فمن بعدَهم، وأن المرادَ بالتثبيت هو عند السؤال في القبر حقيقةً، وأن من أنكر ذلك اعتماداً على كونه لا يراه ولا يسمعه فقد أنكر أن يكون اللّهُ يفعل ما يشاء.

وقـال تـعـالـى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّآ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [المؤمنون: ٩٩ ـ ١٠٠].

روى ابنُ أبي حاتمٍ بسنده[1] عن عائشةَ رضي الله عنها أنها قالت: ويلٌ لأهل المعاصي من أهل القبورِ، تدخُل عليهم في قبورهم حيّاتٌ سودٌ ـ أو دُهْمٌ ـ حيةٌ عند رأسه وحيةٌ عند رجليه يقرصانه حتى يلتقيا في وسطه، فذلك العذابُ في البرزخِ الذي قال اللّهُ تعالى: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٠].

وتقدَّم حديثُ أبي هريرةَ ﷺ في ذلك قريباً وسيأتي الأحاديثُ فيه.

---

(١) كما في «الدر المنثور» (٦/ ١١٤).
وأورده ابن كثير في تفسيره (٣/ ٢٦٦) مسنداً وفيه: **علي بن زيد بن جدعان: وهو ضعيف.** قاله الحافظ في «التقريب» رقم (٤٧٣٤).

وقال تعالى: ﴿قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾ [غافر: ١١]. ذكر العينيُّ[١] هذه الآيةَ في شرح هذا البابِ من صحيح البخاريِّ وقال: فإن الله تعالى ذكرَ الموتةَ مرتين، وهما لا تتحققان إلا أن يكون في القبر حياةٌ وموتٌ، حتى تكونَ إحدى الموتتين ما يتحصل عَقيبَ الحياةِ في الدنيا، والأخرى ما يتحصَّل عَقيبَ الحياةِ التي في القبر اهـ.

قلت: وهذا هو تفسيرُ السُّديِّ[٢] في هذه الآيةِ حيث قال: أُميتوا في الدنيا ثم أُحيوا في قبورهم، فخوطبوا، ثم أُميتوا فأُحْيُوا يوم القيامة اهـ. والآيةُ تحتمله، لكن المشهورَ عن ابن مسعودٍ[٣] وابن عباس[٤] والضحاكِ[٥] وقتادةَ[٦] وغيرِهم أن هذه الآيةَ كقوله عز وجل: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨].

وقد قدمنا الجمعَ بين هذين التفسيرينِ، ولله الحمد والمنَّة.

وقال تعالى: ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ﴾ [التوبة: ١٠١]. قال ابنُ مسعودٍ وأبو مالكٍ وابنُ جُريجٍ والحسنُ البصريُّ وسعيدٌ وقتادةُ وابنُ إسحاقَ ما حاصلُه[٧]: إن المرادَ

---

(١) لم أجد هذا الكلام في «عمدة القاري شرح صحيح البخاري» للعيني، في تفسير سورة المؤمن (١٥/ ٤١٣ ـ ٤١٦).

(٢) أخرجه الطبري في «جامع البيان» (١٢/ج٢٤/ ٤٨). وذكره البغوي في «معالم التنزيل» (٧/ ١٤٢).

(٣) **أخرجه الطبراني عن عبد الله بن محمد بن سعيد بن أبي مريم وهو ضعيف كما في** «مجمع الزوائد» (٧/ ١٠٢).
وأخرجه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٤٣٧) وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.
وأورده السيوطي في «الدر المنثور» وزاد نسبته للفريابي، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.

(٤) أخرجه ابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن مردويه ـ كما في «الدر المنثور» (٧/ ٢٧٨) عنه.

(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٢/ج٢٤/ ٤٦) عنه.

(٦) أخرجه عبد بن حميد، وابن المنذر ـ كما في «الدر المنثور» (٧/ ٢٧٨).

(٧) انظر: تفسير ابن كثير (٢/ ٣٩٩) فقد ذكر قول كل من: ابن جريج، والحسن البصري، ومحمد ابن إسحاق، وقتادة. =

بذلك عذابُ الدنيا وعذابُ القبر ثم يردُّون إلى عذاب عظيم هو عذابُ النار. وقال تعالى: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ﴾ [السجدة: ٢١]. قال البراءُ بنُ عازبٍ ومجاهدٌ وأبو عبيدةَ: يعني به عذابَ القبر[١].

وقال تعالى في قوم نوح: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا﴾ [نوح: ٢٥]، وقال تعالى: ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [غافر].

روى ابنُ أبي حاتم[٢] عن ابن مسعودٍ رضي الله عنه قال: إن أرواحَ الشهداءِ في أجواف طيورٍ خُضْرٍ تسرح بهم في الجنة حيث شاءوا، وإن أرواحَ وِلْدان المؤمنين في أجواف عصافيرَ تسرح في الجنة حيث شاءت فتأوي إلى قناديلَ معلَّقةٍ في العرش، وإن أرواحَ آلِ فرعونَ في أجواف طيورٍ سُودٍ تغدو على جهنمَ وتروح عليها، فذلك عَرضُها.

وفي حديث الإسراءِ الطويلِ الذي أخرجه البيهقيُّ[٣] وابنُ جريرٍ[٤] وابنُ أبي حاتمٍ من رواية أبي هارونَ العبديِّ عن أبي سعيد الخُدْريِّ رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال

= وقال الشوكاني في «فتح القدير» (٢/ ٤١٩): عقب قول قتادة: «وقد روي عن جماعة من السلف نحو هذا في تعيين العذابين...».

(١) ذكره ابن كثير في تفسيره (٣/ ٤٧١) عن الثلاثة.

(٢) كما في تفسير ابن كثير (٤/ ٨٨ ـ ٨٩) مسنداً. وفيه «ليث بن أبي سليم».
قال ابن حجر في «التقريب» (رقم: ٥٦٨٥): «صدوق اختلط جداً ولم يتميز حديثه فترك».
وذكر البغوي في «معالم التنزيل» (٧/ ١٥٠) والقرطبي في «الجامع لأحكام القرآن» (١٥/ ٣١٩) والماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ١٥٩) عن ابن مسعود: أن أرواح آل فرعون في أجواف طيور سود تغدو على جهنم وتروح عليها. فذلك عرضُها.

(٣) في «دلائل النبوة» (٢/ ٣٩٠ ـ ٣٩٣).

(٤) في «جامع البيان» (٩/ ١٥ج/ ١٣).
في سند البيهقي وابن جرير أبو هارون العبدي. واسمه: عمارة بن جوين، روى عن أبي سعيد الخدري، وابن عمر. ضعفه شعبة، وأبو زرعة، وأبو حاتم، وقال النسائي والحاكم: «متروك»، وقال الجوزجاني: «كذاب مفتر».
انظر: المجروحين (٢/ ١٧٧) والميزان (٣/ ١٧٣).
قلت: وفي الأحاديث الصحيحة غنية عن هذا الضعيف.

فيه: **«ثم انطلق بي إلى خلق كثيرٍ من خلق اللَّهِ عز وجل، رجالٌ كلُ رجلٍ منهم بطنُه مثلُ البيت الضخْمِ مصفّدون على سابلة آلِ فرعونَ، وآلُ فرعونَ يعرضون على النار غدوًا وعشياً، ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعونَ أشدَّ العذاب، وآلُ فرعونَ كالإبل المسوَّمةِ يخبِطون الحجارةَ والشجرَ ولا يعقِلون»**.

وفي حديث عائشةَ[1] في قصة اليهوديةِ التي قالت لها: وقاكِ اللَّهُ من عذاب القبر، فأنكرت عائشةُ ﵂ ذلك، فلما رأت النبيَّ ﷺ قالت له، فقال ﷺ: **«لا»**. قالت عائشةُ ﵂: ثم قال لنا رسولُ الله ﷺ بعد ذلك: **«وإنه أُوحيَ إليَّ أنكم تُفتنون في قُبوركم»**، وسيأتي إن شاء الله قريباً.

قال ابنُ كثيرٍ[2] رحمه الله تعالى: «فيقال: ما الجمعُ بين هذا وبين كونِ الآية مكيةً وفيها الدلالةُ على عذاب البرزخ؟ والجوابُ أن الآيةَ دلت على عَرْض الأرواحِ على النار غُدوّاً وعشياً في البرزخ، وليس فيها دِلالةٌ - يعني تامةً - على اتصال تألُّمِها بأجسادها في القبور، إذ قد يكون ذلك مختصّاً بالروح، فأما حصولُ ذلك للجسد في البرزخ، وتألُّمه بسببه فلم يدلّ عليه إلا السنةُ في الأحاديث المَرْضية... وقد يقال: إن هذه الآيةَ إنما دلت على عذاب الكفارِ في البرزخ، ولا يلزم من ذلك أن يعذبَ المؤمنُ في قبره بذنبه».

وهذا الجوابُ هو الراجحُ عندي لما يدل عليه قولُه ﷺ: **«إنما يُفتن يهودُ»**، وذلك قبل أن يوحى إليه أن أمتَه تُفتَن. والجوابُ الأولُ مرجوحٌ لأن الآياتِ أيضاً صريحةٌ في اتصال عذابِ القبرِ بالروح والجسد، وما ليس صريحاً منها فمحتملٌ يُحمل على الصريح إذ لم يجِئْ في آيةٍ تخصيصُه بالروح دون الجسدِ ونفيهُ عن الجسد».

وقال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍۭ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [النحل].

---

(١) أخرجه البخاري (٢/٥٣٨ رقم ١٠٤٩) وأطرافه رقم (١٠٥٥) و (١٢٧٢) و (٦٣٦٦). ومسلم (٢/ ٦٢١ - ٦٢٢ رقم ٩٠٣).

(٢) في تفسيره (٤/٨٨).

قال ابن كثير[1] رحمه الله تعالى: وهم يدخُلون جهنمَ من يوم مماتِهم بأرواحهم، وينال أجسادَهم في قبورها من حرّها وسَمومِها، فإذا كان يومُ القيامة سَلَكت أرواحُهم في أجسادهم وخلّدت في نار جهنم: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا﴾ [فاطر: ٣٦] الآية. وكذلك قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٣٢]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾﴾ [الفجر].

[نصوص من السنة في إثبات عذاب القبر]

(فصل) وأما نصوصُ السنة في إثبات عذابِ القبر فقد بلغت الأحاديثُ في ذلك مبلغَ التواتر، إذ رواها أئمةُ السنةِ وحملةُ الحديثِ ونُقادُه عن الجمّ الغفير والجمعِ الكثيرِ من أصحاب رسول الله ﷺ، منهم أنسُ بنُ مالكٍ وعبدُ الله بنُ عباسٍ والبراءُ بنُ عازبٍ وعمرُ بنُ الخطاب وابنُه عبدُ الله وعائشةُ أمُّ المؤمنين وأسماءُ بنتُ أبي بكر وأبو أيوبَ الأنصاريُّ وأمُّ خالد وأبو هريرةَ وأبو سعيد الخُدريُّ وسَمُرةُ بن جُندبٍ وعثمانُ وعليٌّ وزيدُ بنُ ثابتٍ وجابرُ بنُ عبدِ الله وسعدُ بنُ أبي وقاص وزيدُ ابنُ أرقمَ وأبو بكرةَ وعبدُ الرحمن بنُ سمرةَ وعبدُ الله بنُ عمرِو بنِ العاصِ وأبوه عمروٌ وأمُّ مبشر وأبو قَتادةَ وعبدُ الله بنُ مسعودٍ وأبو طلحةَ وأسماءُ أيضاً وعبدُ الرحمن بنُ حسنةَ وتميمٌ الداري وحُذيفةُ وأبو موسى والنعمانُ بنُ بشيرٍ وعوفُ بنُ مالكٍ.

فأما حديثُ أنسِ بنِ مالكٍ رضي الله عنه فقال البخاريُّ[2] رحمه الله تعالى: حدثنا عياشٌ حدثنا عبدُ الأعلى حدثنا سعيدٌ. قال: وقال لي خليفةُ: حدثنا ابنُ زُريع حدثنا سعيدٌ عن قتادةَ عن أنسٍ رضي الله عنه عن النبيّ ﷺ قال: «**العبدُ إذا وُضع في قبره وتولّى وذهب أصحابُه حتى إنه ليسمعُ قرعَ نعالِهم أتاه ملكان فأقعداه فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجلِ محمدٍ ﷺ؟ فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسولُه. فيقال: انظر إلى مقعدك من النار أبدلك اللهُ به مقعداً من الجنة**».

---

(١) انظر: (٤/ ٨٧ ـ ٨٨).

(٢) في صحيحه (٣/ ٢٠٥ رقم ١٣٣٨) وطرفه رقم (١٣٧٤).

قال النبيّ ﷺ: «**فيراهما جميعاً. وأما الكافرُ أو المنافقُ فيقول: لا أدري، كنت أقول ما يقول الناس، فيقال: لا دَرَيت ولا تَلَيت، ثم يُضرب بِمطرقة من حديد ضَرْبة بين أذنيه فيَصيح صيحةً يسمعها من يليه إلا الثقلين**». ورواه مسلم[1] من طرُق عن قَتادةَ بنحوه وزاد فيه: «**قال قتادة: وذُكر لنا أنه يُفسح له في قبره سبعون ذراعاً ـ يعني المؤمنَ ـ ويُملأ عليه خَضِراً إلى يوم يبعثون**».

ولهما[2] عنه رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «**وأعوذ بك من عذاب القبر**».

ولمسلم[3] عنه رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ قال: «**لولا أن لا تَدافَنوا لدعوتُ الله أن يُسمِعَكم من عذاب القبر الذي أسمع**».

وأما حديثُ عبد الله بنِ عباسٍ فقال البخاريُّ رحمه الله تعالى: حدثنا قتيبةُ حدثنا جريرٌ عن الأعمش عن مجاهدٍ عن طاووس، قال ابنُ عباس رضي الله عنهما: «**مرَّ النبيُّ ﷺ على قبرين فقال: إنهما ليعذَّبان، وما يعذَّبان في كبير**»، ثم قال: «**بلى، أما أحدهما فكان يسعى بالنميمة، وأما الآخرُ فكان لا يستتر من بوله**»، ثم قال: «**أخذ عوداً رطْباً فكسره باثنتين ثم غرز كلَّ واحدٍ منهما على قبر ثم قال: لعله يُخفَّف عنهما ما لم يَيْبَسا**»، رواه في مواضعَ من صحيحه[4]. ورواه مسلم[5] أيضاً وغيرهُ[6].

ولهما[7] وللنسائي[8] عنه رضي الله عنه أن رسولَ اللَّهِ ﷺ: «**كان يعلّمهم هذا الدعاء**

---

(١) في صحيحه (٤/ ٢٢٠٠ ـ ٢٢٠١ رقم ٢٨٧٠).
(٢) أي البخاري (١١/ ١٧٦ رقم ٦٣٦٧)، ومسلم (٤/ ٢٠٧٩ رقم ٢٧٠٦).
(٣) في صحيحه (٤/ ٢٢٠٠ رقم ٢٨٦٨).
(٤) البخاري (١/ ٣١٧ رقم ٢١٦) وأطرافه: (٢١٨، ١٣٦١، ١٣٧٨، ٦٠٥٢، ٦٠٥٥).
(٥) في صحيحه (١/ ٢٤٠ ـ ٢٤١ رقم ٢٩٢).
(٦) كأبي داود (١/ ٢٥ ـ ٢٦ رقم ٢٠) والترمذي (١/ ١٠٢ ـ ١٠٣ رقم ٧٠) وابن ماجه (١/ ١٢٥ رقم ٣٤٧)، والنسائي (١/ ٢٨ ـ ٣٠ رقم ٣١).
(٧) أي البخاري ومسلم.
قلت: لم يخرجه البخاري انظر: «تحفة الأشراف» (٥/ ٢٧ رقم ٥٧٥٠) بل أخرجه مسلم في صحيحه (١/ ٤١٣ رقم ٥٩٠) والنسائي (٨/ ٢٧٦ ـ ٢٧٧ رقم ٥٥١٢) والترمذي (٥/ ٥٢٤ رقم ٣٤٩٤) وابن ماجه (٢/ ١٢٦٢ رقم ٣٨٤٠) وأبو داود (١/ ٦٠١ ـ ٦٠٢ رقم ٩٨٤).
(٨) في السنن رقم (٥٥١٢) كما في التعليقة المتقدمة.

كما يعلم السورةَ من القرآن، قولوا: اللهمَّ إنا نعوذُ بكَ من عذابِ جهنمَ، وأعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذُ بك من فتنة المسيحِ الدجال، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات».

وأما حديثُ البراءِ بنِ عازبٍ فقال البخاريُّ رحمه الله تعالى: حدثنا حفصُ بنُ عمرَ حدثنا شُعبةُ عن علقمةَ بنِ مرثدٍ عن سعدِ بنِ عُبيدةَ عن البراءِ بنِ عازبٍ ﵁ عن النبي ﷺ قال: «**إذا أُقعِد المؤمنُ في قبره أُتِيَ ثم شَهِد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسولُ الله، فذلك قولُه**: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ﴾ [إبراهيم: ٢٧]. رواه في مواضعَ[(١)] ووافقه عليه مسلمٌ[(٢)] وغيرهُ.

وروى الإمامُ أحمدُ[(٣)] عنه ﵁ قال: خرجنا مع رسولِ الله ﷺ في جنازة

---

(١) أي البخاري (٣/ ٢٣١ ـ ٢٣٢ رقم ١٣٦٩) وطرفه رقم (٤٦٩٩).

(٢) في صحيحه (٤/ ٢٢٠١ رقم ٢٨٧١).

(٣) في المسند (٤/ ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٧).

وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣/ ٤٩ ـ ٥٠) وقال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

وقال الحافظ المنذري في «الترغيب والترهيب» (٤/ ٢٧٣): «هذا الحديث حديث حسن، رواته محتج بهم في الصحيح كما تقدم. وهو مشهور بالمنهال بن عمرو عن زاذان عن البراء، كذا قال أبو موسى الأصبهاني رحمه الله. والمنهال روى له البخاري حديثاً واحداً. وقال ابن معين: المنهال ثقة. وقال أحمد العجلي: كوفي ثقة. وقال أحمد بن حنبل: تركه شعبة على عمدٍ. قال عبد الرحمن بن أبي حاتم: لأنه سُمِع من داره صوت قراءة بالتطريب. وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل: سمعت أبي يقول: أبو بشر أحب إليَّ من المنهال.

وزاذان ثقة مشهور ألانه بعضهم. وروى له مسلم حديثين في صحيحه، ورواه البيهقي ـ في «عذاب القبر» رقم (٥٥) ـ من طريق المنهال بنحو رواية أحمد، ثم قال: وهذا حديث صحيح الإسناد، وقد رواه عيسى بن المسيب عن عدي بن ثابت عن البراء عن النبي ﷺ. . .» اهـ.

قلت: وأخرج الحديث الطيالسي في المسند رقم (٧٥٣) والآجري في «الشريعة» ص٣٦٧ ـ ٣٧٠، والحاكم (١/ ٣٧ ـ ٤٠) وقال الحاكم: «صحيح على شرط الشيخين»، وأقرَّه الذهبي، وأقرَّهما الألباني في «الجنائز» ص٢٠٢).

وصححه ابن القيم في «إعلام الموقعين» (١/ ٢١٤) و «تهذيب السنن» (٤/ ٣٣٧)، ونقل فيه تصحيحه عن أبي نُعيم وغيره.

وخلاصة القول أن الحديث صحيح، والله أعلم.

رجلٍ من الأنصار فانتهينا إلى القبر ولّما يُلحَد، فجلس رسولُ الله ﷺ وجلسنا حوله كأن على رؤوسنا الطيرَ، وفي يده عودٌ ينكث به في الأرضَ، فرفع رأسَه فقال: «استعيذوا بالله من عذاب القبر» ـ مرتين أو ثلاثاً ـ.

ثم قال: «إنَّ العبدَ المؤمنَ إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقْبالٍ إلى الآخرة نزل إليه ملائكةٌ من السماء بيضُ الوجوه كأن وجوهَهم الشمسُ، معهم كَفَنٌ من أكفان الجنةِ وحَنوطٌ من حنوط الجنة، حتى يجلسوا منه مدَّ البصَر، ثم يجيء ملكُ الموتِ حتى يجِلسَ عند رأسِهِ فيقول: أيتها النفسُ المطمئنةُ اخرُجي إلى مغفرة من الله ورضوانٍ ـ قال ـ فتخرجُ تسيل كما تسيل القطرةُ مِنْ فيِّ السقاء فيأخذها، فإذا أخذها لم يدَعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفنِ وفي ذلك الحنوطِ، ويخرج منها كأطيبِ نفحةِ مسكٍ وُجدت على وجه الأرض، فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذه الريحُ الطيبةُ؟ فيقولون: فلانُ ابنُ فلان، بأحسن أسمائه التي كانوا يسمّونه بها في الدنيا، حتى ينتهوا به إلى السماء الدنيا فيستفتحون له فيُفتح له، فيشيّعه مِن كل سماءٍ مقرّبوها إلى السماء التي تليها، حتى ينتهي بها إلى السماء السابعة، فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتابَ عبدي في علّيينَ وأعيدوه إلى الأرض، فإني منها خلقتُهم وفيها أعيدُهم ومنها أخرجهم تارة أخرى.

قال فتعاد روحُه، فيأتيه ملكان فيُجلسانه فيقولان له: مَن ربُّك؟ فيقول: ربيَ الله، فيقولان له: ما دينُك؟ فيقول ديني الإسلامُ. فيقولان له: ما هذا الرجلُ الذي بُعث فيكم؟ فيقول: هو رسولُ الله ﷺ. فيقولان له: وما علمُك؟ فيقول قرأتُ كتابَ الله تعالى فآمنتُ به وصدقتُ.

فينادي منادٍ من السماء أنْ صدَقَ عبدي، فأفرِشوه من الجنة، وألبِسوه من الجنة، وافتحوا له باباً إلى الجنة، فيأتيه من رَوحها وطيبها ويُفسح له في قبره مدَّ البصر.

قال ويأتيه رجلٌ حسنُ الوجهِ حسنُ الثيابِ طيبُ الريح فيقول: أبشرْ بالذي يسرُّك، هذا يومُك الذي كنت توعَد، فيقول له: من أنت فوجهُك الوجهُ الذي يجيء بالخير، فيقول أنا عملُك الصالحُ، فيقول: ربِّ أقمِ الساعة، ربِّ أقمِ الساعة، حتى أرجعَ إلى أهلي ومالي.

قال: ـ وإن العبدَ الكافرَ إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبالٍ إلى الآخرة نزلَ إليه من السماء ملائكةٌ سودُ الوجوهِ معهم المُسوحُ فيجلسون منه مدَّ البصر، ثم يجيء ملكُ الموتِ حتى يجلِسَ عند رأسِه فيقول: أيتها النفسُ الخبيثةُ اخرُجي إلى سخط من الله وغضب، قال فتفرّقُ في جسده فينتزِعُها كما يُنتزع السّفودُ من الصوف المبلولِ فيأخذها، فإذا أخذها لم يدَعوها في يده طرفةَ عين حتى يجعلوها في تلك المُسوحِ، ويخرج منها كأنتنِ ريحِ جيفةٍ وُجدت على وجه الأرض، فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذه الروحُ الخبيثةُ؟ فيقولون: فلانُ ابنُ فلان بأقبح أسمائِه التي كان يُسمَّى بها في الدنيا حتى يُنتهى بها إلى السماء الدنيا، فيُستفتح فلا يُفتح له.

ثم قرأ رسولُ الله ﷺ: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠]، فيقول اللَّهُ عز وجل: اكْتُبوا كتابَه في سِجّين في الأرضِ السفلى، فيُطرَح روحهُ طرحاً، ثم قرأ: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١].

فتُعاد روحُه في جسده، ويأتيه ملكان فيُجلسانه فيقولان له: مَن ربُّك؟ فيقول: هاه هاه، لا أدري. فيقولان: ما دينُك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري. فيقولان: ما هذا الرجلُ الذي بُعث فيكم؟ فيقول: هاه هاه لا أدري. فينادي منادٍ من السماء أن كذَب عبدي، فأفرِشوه من النار وافتحوا له باباً إلى النار، فيأتيه من حرِّها وسَمومِها، ويَضيقُ عليه قبرهُ حتى تختلف فيه أضلاعُه، ويأتيه رجلٌ قبيحُ الوجه قبيحُ الثياب مُنتنُ الريحِ فيقول: أبشرْ بالذي يسوؤُك. هذا يومُك الذي كنت توعَد. فيقول: من أنت؟ فوجهُكَ الوجهُ الذي يجيء بالشر. فيقول: أنا عملُك الخبيثُ. فيقول: ربِّ لا تُقم الساعة».

زاد في رواية في قصة المؤمن: «حتى إذا خرج روحه صلّى عليه كلُ ملكٍ بين السماءِ والأرض وكلُ ملكٍ في السماء، وفُتحت له أبوابُ السماء، وليس من أهل بابٍ إلا وهم يدعون الله عز وجل أن يُعرجَ بروحه مِن قِبَلهم».

وزاد في قصة الكافر: «ثم يقيِّضُ له أعمى أصمَّ أبكمَ في يده مرزبةٌ لو ضُرب بها جبلٌ كان تراباً، فيضربه ضربةً فيصير تراباً. ثم يعيده اللَّهُ عز وجل كما كان

فيضربه ضربةً أخرى فيصيح صيحةً يسمعها كلُ شيءٍ إلا الثقلين - قال البراء - ثم يُفتح له بابٌ من النار ويُمهد له فِراشٌ من النار». ورواه أبو داودَ[1] والنسائيُّ[2] وابنُ ماجه[3] بنحوه.

وأما حديثُ عمرَ بنِ الخطاب فرواه مسلمٌ[4] من طرق عنه رضي الله عنه قال: **«إن رسولَ الله ﷺ كان يُرينا مصارعَ أهلِ بدرٍ بالأمس، يقول: هذا مصرعُ فلانٍ غداً إن شاء الله تعالى»**، قال: فقال عمرُ: فوالذي بعثه بالحق ما أخطأوا الحدودَ التي حدَّ رسولُ الله ﷺ: **«قال فجُعلوا في بئر بعضُهم على بعض، وانطلق رسولُ الله ﷺ، حتى انتهى إليهم فقال: يا فلانُ ابنَ فلانٍ ويا فلانُ ابنَ فلانٍ، هل وجدتم ما وعدكم اللّهُ ورسولُه حقاً؟ فإني وجدتُ ما وعدني اللّهُ حقاً. قال عمرُ: يا رسولَ الله كيف تكلم أجساداً لا أرواحَ فيها؟ قال: ما أنتم بأسمعَ لما أقولُ منهم، غيرَ أنهم لا يستطيعون أن يردّوا عَلَيَّ شيئاً»**.

ولأبي داودَ[5] والنَّسائيِّ[6] وابنِ ماجَهْ[7] عنه رضي الله عنه: **«أن النبيَّ ﷺ كان يتعوذ من الجُبن والبُخلِ وعذابِ القبرِ وفتنةِ الصَدْر»**.

وأما حديثُ عبدِ الله بنِ عمرَ رضي الله عنهما فقال البخاري[8] رحمه الله تعالى: «باب الميت يُعرض عليه مقعدُه بالغداة والعشي»: حدثنا إسماعيلُ قال: حدثني مالكٌ عن

---

(١) في السنن (٥/ ١١٤ - ١١٦ رقم ٤٧٥٣).
(٢) في السنن، كما في تحفة الأشراف (٢/ ١٥ رقم ١٧٥٨).
(٣) في السنن (١/ ٤٩٤ رقم ١٥٤٨). وهو حديث صحيح.
(٤) في صحيحه (٤/ ٢٢٠٢ رقم ٢٨٧٣).
(٥) في السنن (٢/ ١٨٨ رقم ١٥٣٩.
(٦) في السنن (٨/ ٢٥٥ رقم ٥٤٤٣) وفي «عمل اليوم والليلة» رقم (١٣٤).
(٧) في السنن (٢/ ١٢٦٣ رقم ٣٨٤٤).
قلت: وأخرجه أحمد (١/ ٥٤) والبخاري في «الأدب المفرد» رقم (٦٧٠) والحاكم (١/ ٥٣٠) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي. وصححه ابن حبان (رقم: ٢٤٤٥ - موارد).
وهو حديث حسن. مع أن المحدث الألباني حكم عليه بالضعف، والله أعلم.
(٨) في صحيحه (٣/ ٢٤٣ رقم ١٣٧٩) وطرفاه: (٣٢٤٠) و (٦٥١٥).
قلت: وأخرجه مسلم (٤/ ٢١٩٩ رقم ٢٨٦٦) والترمذي رقم (١٠٧٢) والنسائي (٤/ ١٠٧ - ١٠٨) وابن ماجه رقم (٤٢٧٠) وأحمد (٢/ ٥١، ١١٣).

نافعٍ عن عبدِ الله بنِ عمرَ رضي الله عنهما أن رسولَ الله ﷺ قال: **«إن أحدَكم إذا ماتَ عُرِضَ عليه مقعدُه بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنةِ فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النارِ فمن أهل النار، فيقال: هذا مقعدُك حتى يبعثَك اللَّهُ يوم القيامة»**.

وله[1] عنه رضي الله عنه قال: **«اطلع النبيُ ﷺ على أهل القَليب فقال: وجدتم ما وعدَكم ربُكم حقاً؟ فقيل له: تدعو أمواتاً؟ فقال: ما أنتم بأسمعَ منهم ولكن لا يُجيبون»**.

وأما حديثُ عائشةَ أمِّ المؤمنين فقال البخاريُّ[2] رحمه الله تعالى: «بابُ التعوذِ من عذاب القبرِ في الكسوف»: حدثنا عبدُ الله بنُ مسلمةَ عن مالكٍ عن يحيى بنِ سعيدٍ عن عَمْرةَ بنتِ عبد الرحمن عن عائشةَ زوجِ النبيِّ ﷺ أن يهوديةً جاءت تسألها فقالت لها: أعاذك اللَّهُ من عذاب القبرِ، فسألت عائشةُ رضي الله عنها رسولَ الله ﷺ أيعذب الناسُ في قبورهم؟ فقال رسولُ الله ﷺ: **«عائذاً بالله من ذلك»** ـ ثم ذكر حديثَ الكسوفِ بطوله، وفي آخره: ـ ثم أمرهم أنْ يتعوَّذوا من عذاب القبرِ. ورواه مسلم[3] بنحوه.

وقال البخاري[4] أيضاً: «حدثنا عَبدانُ أخبرني أبي سمعتُ الأشعثَ عن أبيه عن مسروقٍ عن عائشة: رضي الله عنها: «أن يهوديةً دخلت عليها فذكرت عذابَ القبر، فسألت عائشةُ رسولَ الله ﷺ عن عذاب القبرِ فقال: **عذابُ القبر حقٌ** ـ قالت عائشةُ: فما رأيت رسولَ الله ﷺ بعدُ صلَّى صلاةً إلا تعوّذ من عذاب القبر»، ووافقه عليه مسلمٌ[5] وغيرهُ.

---

(١) أي للبخاري (٣/ ٢٣٢ رقم ١٣٧٠) وطرفاه (٣٩٨٠، ٤٠٢٦).
قلت: وأخرجه مسلم (٢/ ٦٤٣ رقم ٩٣٢).

(٢) في صحيحه (٢/ ٥٣٧ رقم الباب: ٧).
وأخرج البخاري الحديث في صحيحه (٢/ ٥٣٨ رقم ١٠٤٩) وأطرافه (١٠٥٥، ١٢٧٢، ٦٣٦٦).

(٣) في صحيحه (١/ ٤١٠ رقم ٥٨٤).

(٤) في صحيحه (٣/ ٢٣٢ رقم ١٣٧٢).

(٥) في صحيحه (١/ ٤١١ رقم ٥٨٦).

وقال مسلم[1] أيضاً: «حدثنا هارونُ بنُ سعيدٍ وحَرمَلةُ بنُ يحيى، قال هارونُ: حدثنا ـ وقال حرملةُ: أخبرنا ـ ابنُ وهبٍ، أخبرني يونسُ بنُ يزيدَ عن ابن شهابٍ قال: حدثني عُروةُ بنُ الزبيرِ: أن عائشةَ رضي الله عنها **قالت: دخل عليَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ وعندي امرأةٌ من اليهود وهي تقول: هل شعرتِ أنكم تُفتنون في القبور؟ قالت: فارتاع رسولُ الله ﷺ وقال: «إنما تُفتن يهودُ»**. قالت عائشةُ: فلبِثْنا لياليَ، ثم قال رسولُ الله ﷺ: **«هل شعرتِ أنه أوحيَ إليَّ أنكم تُفتنون في القبور»**. قالت عائشةُ رضي الله عنها: فسمعتُ رسول الله ﷺ بعدُ يستعيذ من عذاب القبر».

وقال[2] رحمه الله تعالى أيضاً: «حدثنا زهيرُ بنُ حربٍ وإسحاقُ بنُ إبراهيمَ كلاهما عن جريرٍ، قال زهيرٌ حدثنا جريرٌ عن منصور عن أبي وائلٍ عن مسروقٍ عن عائشة رضي الله عنها قالت: دخلتْ عليَّ عجوزان من عُجُز يهودِ المدينة فقالتا: إن أهلَ القبور يعذّبون في قبورهم. قالت: فكذبتُهما ولم أنعَم أن أُصدِّقهما، فخرجتا ودخل عليّ رسولُ الله ﷺ فقلت له: يا رسولَ اللَّهِ إن عجوزَين من عُجُز يهودِ المدينة دخلتا عليَّ فزعَمتا أن أهلَ القبور يعذبون في قبورهم، فقال: **«صدقتَا إنهم يعذبون عذاباً تسمعه البهائمُ»**، ثم قالت: فما رأيتهُ بعدُ في صلاة إلا يتعوَّذ من عذاب القبر».

ولهما[3] عنها رضي الله عنها أن النبيَّ ﷺ كان يقول: **«اللهم إني أعوذُ بك من الكسل والهرَمِ والمأثم والمَغرَم، ومن فتنة القبر وعذاب القبر، ومن فتنة النار وعذابِ النار، ومن شر فتنةِ الغنى، وأعوذ بك من فتنة الفقرِ، وأعوذ بك في فتنة المسيحِ الدجّال. اللهم اغسِل عني خطاياي بماء الثلْجِ والبَرد، ونقِّ قلبي من الخطايا كما نقّيتَ الثوبَ الأبيضَ من الدنس، وباعِدْ بيني وبين خطاياي كما باعدتَ بين المشرِق والمغرب»**.

ولمسلم[4] عنها من حديثها في الكسوف، وفيه قولُه ﷺ في خطبته: **«ولقد**

---

(١) في صحيحه (١/ ٤١٠ رقم ٥٨٤).
(٢) أي مسلم في صحيحه (١/ ٤١١ رقم ٥٨٦).
(٣) أي للبخاري (١١/ ١٧٦ رقم ٦٣٦٨)، ومسلم (١/ ٤١١ رقم ٥٨٩).
(٤) في صحيحه (٢/ ٦٢٢ رقم ٩٠٤).

رأيتُ جهنمَ يَحْطِم بعضُها بعضاً حين رأيتُموني تأخرتُ، ورأيتُ فيها ابنَ لُحيٍّ، وهو الذي سيَّب السوائب».

وأما حديثُ أسماءَ بنتِ أبي بكر رضي الله عنهما فقال البخاريُّ[1] رحمه الله تعالى: «حدثنا يحيى بنُ سليمانَ حدثنا ابنُ وهبٍ قال أخبرني يونسُ عن ابن شهابٍ أخبرني عُروةُ بنُ الزبير أنه سمع أسماءَ بنتَ أبي بكرٍ رضي الله عنهما تقول: **قام رسولُ الله ﷺ خطيباً فذكر فتنةَ القبرِ التي يُفتن فيها المرءُ، فلما ذكر ذلك ضجَّ المسلمون ضجّةً»**.

ولهما[2] عنها رضي الله عنها حديثُ الكسوفِ بطوله، وفيه: «**فلما انصرف رسولُ الله ﷺ حَمد الله وأثنى عليه ثم قال: ما من شيءٍ كنتُ لم أرَه إلا قد رأيتُه في مقامي هذا حتى الجنةَ والنارَ، لقد أُوحيَ إلي أنكم تُفتنون في القبور مثلَ ـ أو قريباً من ـ فتنةِ الدجال**». لا أدري أيّتهما قالت أسماءُ ـ «**يُؤتى أحدُكم فيقال: ما علمُك بهذا الرجلِ؟ فأما المؤمنُ ـ أو الموقن**، لا أدري أيَّ ذلك قالت أسماءُ ـ **فيقول: محمدٌ رسولُ الله ﷺ جاءنا بالبينات والهدى، فأجبْنا وآمنّا واتبعنا. فيقال له: نمْ صالحاً، فقد علِمْناك كنتَ لموقناً، وأما المنافقُ ـ أو المرتابُ**، لا أدري أيَّ ذلك قالت أسماء ـ **فيقول: لا أدري، سمعتُ الناسَ يقولون شيئاً فقلتُه**». قوله: «لا أدري أي ذلك إلخ» التردد فيه من فاطمةَ بنتِ المنذرِ الراويةِ عن أسماءَ رضي الله عنها.

وأما حديثُ أبي أيوبَ الأنصاريِّ فقال البخاريُّ[3] رحمه الله تعالى: حدثنا ابنُ المثنى حدثنا يحيى حدثنا شعبةُ قال: حدثني عَونُ بنُ أبي جُحيفةَ عن البراء بنِ عازبٍ عن أبي أيوب رضي الله عنه قال: «**خرج النبيُّ ﷺ وقد وجبت الشمسُ فسمع صوتاً، فقال: يهودُ تُعذّب في قبورها**»، رواه مسلمٌ[4] من طريق جماعة عن شعبة به.

وأما حديثُ أمِّ خالد، فقال البخاريُّ[5] رحمه الله تعالى: حدثنا مُعلّى حدثنا وَهيبٌ عن موسى بنِ عُقبةَ قال: «**حدثتني ابنةُ خالدِ بنِ سعيدِ بن العاص أنها سمعَتْ النبيَّ ﷺ وهو يتعوَّذ من عذاب القبر**».

---

(١) في صحيحه (٣/ ٢٣٢ رقم ١٣٧٣).
(٢) أي البخاري (١/ ٢٨٨ ـ ٢٨٩ رقم ١٨٤)، ومسلم (١/ ٦٢٤ رقم ٩٠٥).
(٣) في صحيحه (٣/ ٢٤١ رقم ١٣٧٥).
(٤) في صحيحه (٤/ ٢٢٠٠ رقم ٢٨٦٩).
(٥) في صحيحه (٣/ ٢٤١ رقم ١٣٧٦).

وقال[1] في كتاب الدعواتِ: حدثنا الحُميديُّ حدثنا سفيانُ حدثنا موسى بنُ عقبةَ به إلخ.

وأما حديثُ أبي هريرةَ فقال مسلمٌ[2] رحمه الله تعالى: حدثنا عُبيدُ الله بنُ عمرَ القواريريُّ حدثنا حمادُ بنُ زيدٍ حدثنا بُديلٌ عن عبد الله بنِ شقيقٍ عن أبي هريرةَ ﷺ قال: «**إذا خرجت روحُ المؤمنِ تلقّاها ملكان يُصعِدانِها**»، قال حمادٌ: فذكر من طيب رِيحها وذكرَ المِسكَ قال: «**ويقول أهلُ السماء: روحٌ طيبةٌ جاءت من قِبلَ الأرض، صلى اللّهُ عليكِ وعلى جسدٍ كنتِ تَعمُرينَه. فينطلق به إلى ربه عز وجل، ثم يقول: انطلقوا به إلى آخر الأجَل. قال: وإن الكافرَ إذا خرجت روحُه**» قال حمادٌ وذكَر من نَتْنها وذكر لعْناً «**ويقول أهلُ السماءِ: روحٌ خبيثةٌ جاءت من قِبَل الأرض. قال: فيقال انطلقوا به إلى آخر الأجل**». قال أبو هريرة: فردَّ رسولُ الله ﷺ رَيطةً كانت عليه على أنفه هكذا».

ولهما[3] عنه ﷺ قال: «**كان رسولُ اللّهِ ﷺ يدعو: اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبرِ، ومن عذاب النارِ، ومن فتنة المحيا والمماتِ، ومن فتنة المسيحِ الدجال**».

وقال الترمذي[4] رحمه الله تعالى: بابُ ما جاء في عذاب القبر. حدثنا أبو سلمةَ يحيى بنُ خلَفٍ البصريُّ أخبرنا بشرُ بن المفضّل عن عبد الرحمن بنِ إسحاقَ عن سعيدِ بنِ أبي سعيد المَقْبُريِّ عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا قُبر الميتُ ـ أو قال أحدُكم ـ أتاه ملكانِ أسودانِ أزرقان يقال لأحدهما المنكرُ**

(١) أي البخاري في صحيحه (١١/ ١٧٤ رقم ٦٣٦٤).
(٢) في صحيحه (٤/ ٢٢٠٢ رقم ٢٨٧٢).
(٣) أي للبخاري (٣/ ٢٤١ رقم ١٣٧٧)، ولمسلم (١/ ٤١٢ رقم ٥٨٨).
(٤) في السنن (٣/ ٣٨٣ رقم ١٠٧١). وقال الترمذي: حديثٌ حسن غريب.
قلت: وأخرجه الآجري في «الشريعة» (ص٣٦٥)، وابن أبي عاصم في «السنة» رقم (٨٦٤) وابن حبان (رقم: ٧٨٠ ـ موارد).
وأورده الألباني في الصحيحة رقم (١٣٩١): وقال: «إسناده جيد، رجاله كلهم ثقات رجال مسلم، وفي ابن إسحاق وهو العامري القرشي مولاهم كلام لا يضر» اهـ.
وخلاصة القول أن الحديث حسن، والله أعلم.

والآخرِ النكيرُ، فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجلِ؟ فيقول ما كان يقول، هو عبدُ الله ورسولهُ أشهد أن لا إله إلا اللّهُ وأن محمداً عبدُه ورسولهُ. فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول هذا. ثم يُفسح له في قبره سبعون ذراعاً في سبعين ثم ينوّر له فيه، ثم يقال له نم، فيقول أرجعُ إلى أهلي فأخبرُهم، فيقولان نَمْ كنومة العروسِ الذي لا يوقظه إلا أحبُّ أهلِه إليه حتى يبعثَه اللّهُ من مضجعه ذلك، وإن كان منافقاً قال سمعتُ الناسَ يقولون، فقلت مثلَه، لا أدري. فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول ذلك. فيقال للأرض التئِمي عليه فتلتئم عليه، فتختلف أضلاعُه، فلا يزال فيها معذباً حتى يبعثَه من مضجعه ذلك.

وقال الإمامُ أحمدُ[1] رحمه الله تعالى: حدثنا حسينُ بنُ محمدٍ عن ابن أبي ذِئبٍ عن محمد بنِ عمروِ بنِ عطاءٍ عن سعيدِ بنِ يسارٍ عن أبي هريرةَ ﷺ عن النبي ﷺ قال: «إن الميتَ يحضُره الملائكةُ، فإذا كان الرجلُ الصالحُ قالوا: اخرُجي أيتها النفسُ الطيبةُ كانت في الجسد الطيّب، اخرُجي حميدةً وأبشري برَوْحٍ ورَيحان، وربٍّ غيرِ غضبانَ. قال: فلا يُزال يقال لها ذلك حتى تخرُجَ ثم يُعرَج بها إلى السماء فيُستفتح لها فيقال: مَن هذا؟ فيقال فلان. فيقولون: مرحباً بالروح الطيبةِ كانت في الجسد الطيب، ادخُلي حميدةً وأبشري برَوْحٍ ورَيحان وربٌّ غيرِ غضبان، قال: فلا يزال يقال لها ذلك حتى يُنتهى بها إلى السماءِ التي فيها اللّهُ عز وجل.

وإذا كان الرجلُ السوءُ والعياذُ بالله قالوا: اخرُجي أيتها النفسُ الخبيثةُ كانت في الجسد الخبيث، اخرُجي ذميمةً وأبشري بجحيم وغسّاقٍ وآخرَ من شكْله أزواجٍ، فلا يُزال يقال لها ذلك حتى تخرُجَ ثم يُعرَج بها إلى السماء، فيُستفتح لها فيقال مَن هذا فيقال هذا فلان، فيقولون لا مرحباً بالنفس الخبيثةِ كانت في الجسد الخبيث، ارجِعي ذميمةً فإنه لا تفتح لك أبوابُ السماء، فيُرسل من السماء ثم يَصير إلى القبر».

---

(١) في المسند (٤/ ٣٦٤) بسند صحيح.
قلت: وأخرجه ابن ماجه (٢/ ١٤٢٦ رقم ٤٢٦٨).
وقال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (٣/ ٣١٣): «هذا إسناد صحيح، رواه النسائي في التفسير وفي الملائكة كما تقدم قبل هذا بحديث.
وله شاهد من حديث البراء بن عازب، رواه أبو داود في سننه» اهـ.
وخلاصة القول أن الحديث صحيح، والله أعلم.

وقال ابن حِبانَ في صحيحه[1]: حدثنا عمْرُو بنُ محمدِ الهمدانيُّ حدثنا زيدُ بنُ أخْزَمَ، حدثنا معاذُ بنُ هشام حدثني أبي عن قتادةَ عن قسام بنِ زهيرٍ عن أبي هريرةَ ﷺ عن رسول اللَّهِ ﷺ قال: «**إن المؤمنَ إذا قُبض أتَتْه ملائكةُ الرحمةِ بحريرةٍ بيضاءَ فيقولون: اخرُجي إلى رَوح الله، فتخرُج كأطيب ريحِ مِسكٍ، حتى إنه لَيناولُه بعضُهم بعضاً يشمّونه حتى يأتوا به بابَ السماءِ فيقال: ما هذه الريحُ الطيبةُ التي جاءت من قِبَل الأرض؟ ولا يأتون السماءَ إلا قالوا مثلَ ذلك حتى يأتوا به أرواحَ المؤمنين فلهم أشدُّ فرحاً به من أهل الغائبِ بغائبهم.**

فيقولون: ما فعل فلان؟ فيقولون: دعُوه حتى يستريحَ، فإنه كان في غم، فيقول: قد مات، أما أتاكم؟ فيقولون ذُهب به إلى أمّه الهاوية. وأما الكافرُ فيأتَيه ملائكةُ العذابِ بمِسْح فيقولون اخرُجي إلى غضب الله تعالى، فتخرج كأنتنِ ريحِ جيفةٍ فيذهب به إلى باب الأرض».

زاد في رواية[2]: «**وأما الكافرُ إذا قُبضت نفسهُ وذُهب بها إلى باب الأرضِ تقول خزَنةُ الأرض: ما وجدنا ريحاً أنتنَ من هذه فيبلغ الأرضَ السُفلى**».

وقال حمادُ بنُ سلمةَ عن محمد بنِ عمرَ عن أبي سلمةَ عن أبي هريرةَ ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

قال: «**ذلك إذا قيل له في القبر: مَن ربُّك، وما دينُك، ومن نبيُّك؟ فيقول: ربيَ اللَّهُ، ودِيني الإسلامُ ونبيّي محمدٌ ﷺ، جاءنا بالبينات من عند الله فآمنتُ به**

---

(١) رقم (٧٣٣ ـ موارد) بسند صحيح.
قلت: وأخرجه النسائي (٤/ ٨ ـ ٩ رقم ١٨٣٣) وفي الكبرى كما في «تحفة الأشراف» (١٠/ ٢٩٦ ـ ٢٩٧ رقم ١٤٢٩٠)، والحاكم (١/ ٣٥٣) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.
وأخرجه مسلم رقم (٢٨٧٢) بنحوه.
وخلاصة القول أن الحديث صحيح، والله أعلم.

(٢) أي ابن حبان في صحيحه رقم (٧٣١ ـ موارد) بسند صحيح.
قلت: وأخرجه الطيالسي في «المسند» رقم (٧٤١) والنسائي في «الكبرى» كما في «تحفة الأشراف» (٩/ ٣٠٠ ـ ٣٠١) والحاكم (١/ ٣٥١) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.
وخلاصة القول أن الحديث صحيح، والله أعلم.

وصدقتُ. فيقال له: صدقْتَ، على هذا عشتَ وعليه مُتَّ وعليه تُبعث»[1].

وقال ابنُ جريرٍ[2] رحمه الله تعالى: حدثنا مجاهدُ بنُ موسى والحسنُ بنُ محمدٍ قالا: حدثنا يزيدُ أخبرنا محمدُ بنُ عمْروٍ عن أبي سلمةَ عن أبي هريرةَ ﷺ عن النبي ﷺ قال: «والذي نفسي بيده، إن الميتَ ليسمَعُ خفْقَ نعالِكم حين تُولّون عنه مُدْبرين، فإن كان مؤمناً كانت الصلاةُ عند رأسِهِ، والزكاةُ عن يمينه والصومُ عن يساره، وكان فِعلُ الخيراتِ من الصدقة والصلةِ والمعروفِ والإحسانِ إلى الناس عند رجليه، فيُؤتى من قِبَلِ رأسه فتقول الصلاةُ: ما قِبَلي مدخلٌ، فيؤتى عن يمينه فتقول الزكاةُ: ما قِبَلي مدخلٌ، فيؤتى عن يساره فيقول الصيامُ: ما قِبلي مدخل، فيؤتى من رجليه فيقول فِعلُ الخيراتِ: ما قِبلي مدخل، فيقال له: اجلِس، فيجلِس قد مُثّلتْ له الشمسُ قد دنتْ للغروب فيقال: أخبرنا عما نسألك، فيقول: دعني حتى أُصليَ، فيقال له: إنك ستفعل فأخبرنا عما نسألك، فيقول: وعمَّ تسألوني؟ فيقال: أرأيتَ هذا الرجلَ الذي كان فيكم ماذا تقول فيه، وما تشهد به عليه؟ فيقول، أمحمدٌ؟ فيقال له: نعم، فيقول أشهد أنه رسولُ اللّهِ، وأنه جاءنا بالبينات من عند الله فصدّقناه، فيقال له: على ذلك حَيِيتَ، وعلى ذلك مُتّ وعليه تُبعث إن شاء الله تعالى. ثم يُفسح له في قبره سبعون ذراعاً، وينوّر له، ويفتح له بابٌ إلى الجنة فيقال له: انظرْ إلى ما أعد اللّهُ لك فيها، فيزداد غِبطةً وسروراً، ثم تُجعل نسمتُه في النسيم الطّيّب، وهي طيرٌ خُضْرٌ يعلق بشجر الجنة، ويُعاد الجسدُ إلى ما بدأ من التراب، وذلك قولُ الله عز وجل: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ج١٣/ ٢١٥) بسند حسن.

(٢) في «جامع البيان» (٨/ج١٣/ ٢١٥ ـ ٢١٦) بسند حسن.
قلت: وأخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣/ ٣٨٣ ـ ٣٨٤) وهناد في «الزهد» رقم (٣٣٨) وابن حبان (رقم: ٧٨١ ـ موارد) والحاكم في المستدرك (١/ ٣٧٩) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي. وأخرجه عبد الرزاق في «المصنف» رقم (٦٧٠٣).
وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣/ ٥١ ـ ٥٢) وقال: «رواه الطبراني في الأوسط وإسناده حسن».
وخلاصة القول أن الحديث حسن، والله أعلم.

ورواه ابنُ حبانَ[1] من طريق المُعتَمر بن سليمانَ عن محمد بنِ عمرٍو، وذكَر جوابَ الكافرِ وعذابَه.

وقال البزارُ[2] رحمه الله تعالى: حدثنا سعيدُ بنُ بحرٍ القراطيسيُّ، حدثنا الوليدُ بنُ القاسم حدثنا يزيدُ بنُ كيسانَ عن أبي حازمٍ عن أبي هريرةَ ـ أحسبَه رفعه ـ قال: **«إن المؤمنَ ينزل به الموتُ ويُعاين ما يعاين، فيودّ لو خرجتْ ـ يعني نفسَه ـ واللَّهُ يحبّ لقاءَه. وإن المؤمنَ يصعَد بروحه إلى السماء فتأتيه أرواحُ المؤمنين فتستخبره عن معارفهم من أهل الأرضِ، فإذا قال: تركتُ فلاناً في الأرض أعجبهم ذلك، وإذا قال: إن فلاناً قد مات قالوا: ما جيء به إلينا.**

وإن المؤمنَ يجلِس في قبره فيُسأل: مَن ربُّك؟ فيقول: ربيَ اللَّهُ عز وجل. ويُسأل: مَن نبيُّك؟ فيقول: محمدٌ ﷺ نبيي، فيقال: ما دينُك؟ قال: ديني الإسلامُ.

فيفتح له بابٌ في قبره فيقول أو يقال: انظر إلى مجلسك. ثم يرى القبرَ فكأنما كانت رقدةً. وإذا كان عدواً لله نزل به الموتُ وعاين ما عاين، فإنه لا يحب أن تُخرجَ روحُه أبداً واللَّهُ يبغض لقاءَه، فإذا جلس في قبره أو أُجلس فيقال له: من ربُك؟ فيقول: لا أدري، فيقال: لا دَريت، فيفتح له بابٌ إلى جهنم ثم يضرب ضربةً تسمعها كلُّ دابةٍ إلا الثقلين، ثم يقال له: نم كما ينام المنهوش»، قلت لأبي هريرةَ: ما المنهوشُ؟ قال: الذي تنهشه الدوابُّ والحياتُ، ثم يضيق عليه قبرهُ. ثم قال: لا نعلم رواه إلا الوليدُ بنُ مسلم، وفي بعض النسخ ابنُ قاسم.

---

(١) في صحيحه (رقم: ٧٨١ ـ موارد) وقد تقدم آنفاً.

(٢) في المسند (١/ ٤١٣ ـ ٤١٤ رقم ٨٧٤ ـ كشف).
وقال البزار: لا نعلم رواه عن يزيد هكذا إلاَّ الوليد.
وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣/ ٥٢ ـ ٥٣) وقال: «رواه البزار ورجاله ثقات خلا سعيد بن بحر القراطيسي فإني لم أعرفه» اهـ.
وقال الأعظمي عقب كلام الهيثمي: «قلت: في طبقته سعيد بن محمد القراطيسي ذكره السمعاني، وابن الأثير فليحرر» اهـ.
قلت: سعيد بن بحر القراطيسي ذكره الخطيب في «تاريخ بغداد» (٩/ ٩٣) ووثقه وليس من رواته الوليد بن مسلم بل هو الوليد بن قاسم كما في تفسير ابن كثير (٢/ ٥٥٣) وكشف الأستار.

وأما حديثُ أبي سعيدٍ وسلمانَ فقال البخاريُّ[1] رحمه الله تعالى: حدثنا عبدُ الله بنُ أبي الأسودِ حدثنا مُعتمرٌ سمعتُ أبي حدثنا قتادةُ عن عُقبةَ بنِ عبد الغافرِ عن أبي سعيدٍ عن النبي ﷺ: «**أنه ذكر رجلًا فيمن سلف وفيمن كان قبلكم ـ قال كلمة، يعني: أعطاه اللّهُ مالاً وولداً ـ فلما حضرتْهُ الوفاةُ قال لبنيه: أيَّ أبٍ كنتُ لكم؟ قالوا: خيرَ أبٍ. قال: فإنه لم يَبتئِرْ عند الله خيراً[2] وإنْ يقدرِ اللّهُ عليه يعذِّبه، فانظُروا إذا متّ فأحرِقوني حتى إذا صِرْت فحماً فاسحَقوني ـ أو قال فاسحكوني ـ فإذا كان يومُ ريحٍ عاصفٍ فاذْروني فيها. فقال نبيُّ اللّهِ ﷺ: فأخذ مواثيقَهم على ذلك وربي.**

ففعلوا ثم أذرَوْه في يوم عاصف، فقال الله عز وجل: كنْ، فإذا هو رجلٌ قائمٌ، قال الله: أيْ عبدي ما حملك على أنْ فعلتَ ما فعلتَ؟ قال: مخافتُك، أو فرَقٌ منك. قال: فما تلافاه أنْ رحِمه عندها»، وقال مرة أخرى: «**فما تلافاه**»، فحدثتُ به أبا عثمان فقال: سمعتُ هذا من سلمانَ، غيرَ أنه زاد فيه: «**اذروني في البحر**» أو كما حدَّث.

وفي رواية له[3] عن أبي سعيد قال: «**ففعلوا، فجمعه الله عز وجل فقال: ما حملك؟ قال: مخافتُك. فتلقّاه برحمة**».

وقال[4] رحمه الله تعالى: «بابُ كلام الميتِ على الجنازة»، حدثنا قتيبةُ حدثنا الليثُ عن سعيدِ بنِ أبي سعيدٍ عن أبيه أنه سمع أبا سعيدٍ الخُدريَّ ؓ يقول رسولُ اللّهِ ﷺ: «**إذا وضعت الجنازةُ فاحتمَلَها الرجالُ على أعناقهم، فإن كانت صالحةً قالت: قدِّموني قدِّموني، وإن كانت غيرَ صالحةٍ قالت: يا ويلَها، أين يذهبون بها؟ يسمع صوتَها كلُّ شيءٍ إلا الإنسانَ، ولو سمعها الإنسانُ لصَعِق**».

---

(١) في صحيحه (٦/ ٥١٤ ـ ٥١٥ رقم ٣٤٨١)، ومسلم (٤/ ٢١٠٩ رقم ٢٧٥٦).

(٢) أي لم يقدم لنفسه خبيئة خير. (د. أحمد الحكمي).

(٣) أي للبخاري (٦/ ٥١٤ رقم ٣٤٧٨).
قلت: وأخرجه مسلم (٤/ ٢١١١ رقم ٢٧٥٧).

(٤) أي البخاري في صحيحه (٣/ ٢٤٤ رقم ١٣٨٠) و (٣/ ١٨١ رقم ١٣١٤) و (٣/ ١٨٤ ـ ١٨٥ رقم ١٣١٦).

وقال الإمامُ أحمدُ[1]: حدثنا أبو عامرٍ حدثنا عبّادُ بنُ راشدٍ عن داودَ بن أبي هندٍ عن أبي نضرةَ عن أبي سعيدٍ ﷺ قال: **«شهدنا مع رسول الله ﷺ جنازةً، فقال رسولُ الله ﷺ: «يا أيها الناسُ، إن هذه الأمةَ تُبتلى في قبورها، فإذا الإنسانُ دُفن وتفرَّق عنه أصحابُه جاءه ملكٌ في يده مِطراقٌ من حديد فأقعده فقال: ما تقول في هذا الرجل؟ فإن كان مؤمناً قال: أشهد أن لا إله إلا اللّهُ وأشهد أن محمداً عبدهُ ورسولهُ، فيقول له: صدقْتَ. ثم يُفتح له بابٌ إلى النار فيقول كان هذا منزلكَ لو كفرْتَ بربِّك، فأما إذْ آمنتَ فهذا منزلُك، فيَفتحُ له باباً إلى الجنة، فيُريد أن ينهضَ إليه فيقول له: اسكُن اسكُن، ويُفسح له في قبره.**

وإن كان كافراً أو منافقاً يقول له: ما تقول في هذا الرجلِ؟ فيقول: لا أدري، سمعتُ الناسَ يقولون شيئاً، فيقول: لا دَريتَ ولا تليتَ ولا اهتديت. ثم يَفتح له باباً إلى الجنة فيقول: هذا منزلُك لو كنتَ آمنتَ بربك، فأما إذْ كفرتَ به فإن الله عز وجل أبدلك به هذا، فيَفتح له باباً إلى النار، ثم يَقمَعُه قمعةً بالمطراق فيَصيح صيَحةً يسمعها خلقُ اللّهِ عز وجل كلُّهم غير الثقلين». فقال بعضُ القوم: يا رسولَ الله، ما أحدٌ يقوم عليك ملَكٌ في يده مِطراقٌ إلا هِيلَ عند ذلك، فقال رسولُ الله ﷺ: **«يثبِّت الله الذين آمنوا بالقول الثابت»**.

ولابن مِردَويه[2] عنه ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: **﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾** [إبراهيم: ٢٧] **في القبر»**.

وأما حديثُ سَمُرةَ بنِ جُندبٍ ﷺ، فقال البخاريُّ[3] رحمه الله تعالى: حدثنا

---

(١) في المسند (٣/٣، ٢٣٣، ٣٤٦) **بسند صحيح.**
قلت: وأخرجه البزار (٢/ ٤١٢ رقم ٨٧٢ ـ كشف).
وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣/ ٤٨) وقال: «رواه أحمد والبزار ـ وزاد: في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء ـ ورجاله رجال الصحيح». اهـ.
وأخرجه ابن أبي عاصم في السنة (رقم: ٨٦٥) وابن جرير في «جامع البيان» (٨/ج٣/ ٢١٤).
وهو حديث صحيح، والله أعلم.

(٢) عزاه إليه السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٢٨) وقد تقدم له شواهد.

(٣) في صحيحه (٣/ ٢٥١ ـ ٢٥٢ رقم ١٣٨٦).

=

موسى بنُ إسماعيلَ حدثنا جريرُ بنُ حازمٍ حدثنا أبو رجاءٍ عن سمرةَ بنِ جُندبٍ رضي الله عنه قال: «**كان النبيُ ﷺ إذا صلى صلاةً أقبل علينا بوجهه فقال: من رأى منكم الليلةَ رؤيا؟ قال: فإن رأى أحدٌ قصّها، فيقول: ما شاء الله.**

فسألنا يوماً فقال: هل رأى أحدٌ منكم رؤيا؟ قلنا: لا. قال: لكني رأيتُ الليلةَ رجلين أتياني فأخرجاني إلى الأرض المقدسة، فإذا رجلٌ جالسٌ، ورجلٌ قائمٌ، بيده ـ قال بعضُ أصحابِنا عن موسى ـ **كلوبٌ من حديد يدخله في شِدقه حتى يبلُغَ قَفاه، ثم يفعل بشدقه الآخرِ مثل ذلك، ويلتئم شدقُه هذا، فيعود فيضع مثلَه.**

قلت: ما هذا؟ قالا: انطلقْ، فانطلقنا حتى أتينا على رجل مضطجعٍ على قفاه، ورجلٌ قائمٌ على رأسه بفِهرٍ ـ أو صخرة ـ فيشرخ به رأسَه، فإذا ضربه تدَهْده الحجرُ، فانطلق إليه ليأخُذَه فلا يرجِع إلى هذا حتى يلتئمَ رأسُه، وعاد رأسُه كما هو فعاد إليه.

قلت: مَن هذا؟ قالا انطلقْ. فانطلقنا إلى ثُقب مثلِ التنورِ، أعلاه ضيقٌ وأسفلُه واسعٌ يتوقد تحتَه ناراً، فإذا اقترب ارتفعوا حتى كاد أن يخرُجوا فإذا خمدت رجَعوا فيها، وفيها رجالٌ ونساءٌ عُراةٌ.

فقلت: من هذا؟ قالا: انطلِقْ، فانطلقنا حتى أتينا على نهر من دم فيه رجلٌ قائمٌ على وسط النهر ورجلٌ بين يديه حجارةٌ، فأقبل الرجلُ الذي في النهر فإذا أراد أن يخرُج رمى الرجلُ بحجر في فيه فردّه حيث كان، فجعل كلما جاء ليخرُجَ رمى في فيه بحجر فيرجع كما كان.

فقلت: ما هذا؟ قالا: انطلِقْ. فانطلقنا حتى انتهينا إلى روضة خضراءَ فيها شجرةٌ عظيمةٌ وفي أصلها شيخٌ وصِبيانٌ، وإذا رجلٌ قريبٌ من الشجرة بين يديه نارٌ يوقدها فصعِدا بي في الشجرة، أدخلاني داراً لم أرَ قطُّ أحسنَ منها، فيها رجالٌ شيوخٌ وشبابٌ ونساءٌ وصِبيانٌ، ثم أخرجاني منها فصعدا بي إلى الشجرة فأدخلاني داراً هي أحسنُ وأفضلُ، فيها شيوخٌ وشُبّان.

= وأطرافه: [رقم: ٨٤٥، ١١٤٣، ٢٠٨٥، ٢٧٩١، ٣٢٣٦، ٣٣٥٤، ٤٦٧٤، ٦٠٩٦، ٧٠٤٧].

قلت: وأخرجه مسلم (٤/ ١٧٨١ رقم ٢٢٧٥).

قلت: طوّفتماني الليلةَ فأخبراني عما رأيتُ. قالا: نعم، أما الذي رأيتَه يشق شِدقَه فكذابٌ يحدث بالكَذْبة فُتحملُ عنه حتى تبلُغَ الآفاق، فيُصنع به ما رأيتَ إلى يوم القيامة. والذي رأيتَه يشرخ رأسَه فرجلٌ علمه اللَّهُ القرآنَ فنام عنه بالليل ولم يعمل فيه بالنهار، يُفعل به إلى يوم القيامة. والذي رأيتَه في الثُقب فهم الزناةُ. والذي رأيتَه في النهر آكلوا الربا. والشيخُ في أصل الشجرة إبراهيمُ عليه السلام، والصبيانُ حوله فأولادُ الناس، والذي يوقد النارَ مالكٌ خازنُ النار، والدارُ الأولى التي دخلتَ دارُ عامةِ المؤمنين، وأما هذه الدارُ فدارُ الشهداء، وأنا جبريلُ وهذا ميكائيلُ، فارفع رأسَك، فرفعتُ رأسي فإذا فوقي مثلُ السحاب، قالا: ذاك منزلُك. قلت دعَاني أدخلُ منزلي، قالوا: إنه بقيَ لك عمرٌ لم تستكمله، فلو استكملتَ أتيتَ منزلك».

وأما حديثُ عثمانَ رضي الله عنه فقال أبو داودَ[1]: حدثنا إبراهيمُ بنُ موسى الرازيُّ حدثنا هشامُ هو ابنُ يوسفَ عن عبد الله بنِ بُجَيرِ عن هانئٍ مولى عثمانَ عن عثمانَ رضي الله عنه قال: «كان النبيُّ ﷺ إذا فرَغ من دفن الرجلِ وقف عليه وقال استغفِروا لأخيكم واسألوا له التثبيتَ فإنه الآن يُسأل». قال ابنُ حجرٍ: صحَّحه الحاكم.

وأما حديثُ عليِّ بن أبي طالبِ رضي الله عنه فقال التِّرمذيُّ[2] رحمه الله تعالى:

---

(1) في السنن (٣/ ٥٥٠ رقم ٣٢٢١).
قلت: وأخرجه الحاكم (١/ ٣٧٠) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي وهو كما قالا. وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٤/ ٥٦).
وقال النووي في «المجموع» (٥/ ٢٥٧) إسناده جيد.
وخلاصة القول أن الحديث صحيح، والله أعلم.

(2) في السنن (٥/ ٥٣٧ رقم ٣٥٢٠) وقال: «هذا حديث غريب من هذا الوجه، وليس إسناده بالقوي».
وأورده السيوطي في «الجامع الصغير» رقم (١٥٠٣) ورمز لضعفه.
وكذلك أورده الألباني في «ضعيف الجامع» رقم (١٣١٢) وضعفه.
قلت: في سنده: قيس بن الربيع «صدوق، تغير لما كبِرَ، وأدخل عليه ابنُه ما ليس من حديثه فحدَّث به»، قاله الحافظ في «التقريب» رقم (٥٥٧٣).
وعلي بن ثابت الجزري، «صدوق ربما أخطأ، وقد ضعفه الأزديُّ بلا حجة»، قاله الحافظ =

حدثنا محمدُ بنُ حاتمِ المؤدبُ أخبرنا عليُّ بنُ ثابتٍ حدثني قيسُ بنُ الربيعِ ـ وكان من بني أسدٍ ـ عن الأغر بنِ الصباحِ عن خليفةَ بنِ حُصينٍ عن عليِّ بنِ أبي طالبٍ رضي الله عنه قال: «**أكثرُ ما دعا به رسولُ الله ﷺ عشيةَ عرفةَ في الموقف: اللهم لك الحمدُ كالذي تقول وخيراً مما نقول. اللهم لك صلاتي ونسُكي ومحيايَ ومماتي، وإليك مآبي ولك ربِّ تراثي. اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبرِ ووسوسةِ الصدْرِ وشَتاتِ الأمر، اللهم إن أعوذ بك من شر ما تجيء به الريحُ**».

وأما حديثُ زيدِ بنِ ثابتٍ فقال مسلمٌ[١] رحمه الله تعالى: حدثنا يحيى بنُ أيوبَ وأبو بكرِ بنُ أبي شيبةَ جميعاً عن ابن عُلَيةَ. قال ابنُ أيوبَ: حدثنا ابنُ عُليّة قال: وأخبرني سعيدٌ الجَريريُّ عن أبي نَضْرةَ عن أبي سعيدٍ الخدريِّ عن زيد بنِ ثابتٍ قال أبو سعيد: «**ولم أشهدْه من النبي ﷺ في حائط لبني النجارِ على بغلة له ونحن معه إذ حادتْ به فكادت تُلْقيه، وإذا أَقبُرٌ ستةٌ أو خمسةٌ أو أربعة ـ قال: كذا كان يقول الجريريُّ ـ فقال: «مَن يعرفُ أصحابَ هذه الأقبُرِ؟» فقال رجلٌ: أنا. قال: «فمتى مات هؤلاء؟» قال: ماتوا في الإشراك. فقال: «إن هذا الأمةَ تُبتلى في قبورها، فلولا أن لا تَدافَنوا لدعوتُ الله أن يُسمِعَكم من عذاب القبرِ الذي أسمع منه». ثم أقبل علينا بوجهه فقال: «تعوَّذوا بالله من عذاب النار. قالوا: نعوذ بالله من عذاب النارِ». فقال: «تعوَّذوا بالله من عذاب القبر». قالوا: نعوذ بالله من عذاب القبر. قال: «تعوَّذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطَن». قالوا: نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطَن. قال: «تعوذوا بالله من فتنة الدجالِ». قالوا: نعوذ بالله من فتنة الدجال**».

وأما حديثُ جابرِ بنِ عبد اللَّهِ، فقال الإمامُ أحمدُ[٢] رحمه الله تعالى: حدثنا

= في «التقريب» رقم (٤٦٩٦).

وخلاصة القول أن الحديث ضعيف، والله أعلم.

(١) في صحيحه (٤/٢١٩٩ ـ ٢٢٠٠ رقم ٢٨٦٧).

(٢) في المسند (٣/٣٤٦).

قلت: وأخرجه الطبراني في «الأوسط» رقم (٩٠٧٦).

وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣/٤٨) وقال: «رواه أحمد، والطبراني في الأوسط، وفيه ابن لهيعة وفيه كلام، وبقية رجاله ثقات» اهـ. =

يحيى بنُ سعيد عن ابن جُريجٍ أخبرني أبو الزبيرِ أنه سأل جابرَ بنَ عبد اللّٰهِ عن فتّانَيْ القبرِ فقال: سمعتُ رسولَ اللّٰهِ ﷺ يقول: «إن هذه الأمةَ تُبتلى في قبورها، فإذا أُدخل المؤمنُ قبرَه وتولى عنه أصحابُه جاء ملكٌ شديدُ الانتهارِ فيقول له: ما كنتَ تقول في هذا الرجلِ؟ فأما المؤمنُ فيقول: إنه رسولُ الله وعبدهُ. فيقول له الملَكُ: انظُر إلى مقعدك الذي كان لك في النار قد أنجاك اللّٰهُ منه، وأبدلك بمقعدك الذي ترى من النار مقعدَك الذي ترى من الجنة. فيراهما كِلَيهما. فيقول المؤمنُ: دعوني أُبشّرْ أهلي، فيقال له: اسكُن.

وأما المنافقُ فيُقعَدُ إذا تولى عنه أهلُه فيقال له: ما كنتَ تقول في هذا الرجلِ؟ فيقول: لا أدري، أقول كما يقول الناسُ. فيقال له: لا درَيت، هذا مقعدُك الذي كان لك في الجنة أبدلك مكانه مقعدَك من النار».

قال جابر: فسمعتُ النبيَّ ﷺ يقول: «يُبعث كلُّ عبدٍ في القبر على ما مات، المؤمنُ على إيمانه، والمنافقُ على نفاقه».

ولمسلم[1] عنه من حديث الكسوفِ وفيه: «وعُرضت عليَّ النارُ، فرأيت فيها امرأةً من بني إسرائيلَ تُعذَّب في هرة لها ربطتها فلم تُطعِمْها ولم تدعْها تأكلُ من خَشاش الأرض، ورأيتُ أبا ثمامةَ عَمْرَو بنَ مالكٍ يجُرّ قُصْبَه في النار - وفي رواية[2] - لقد جيء بالنار، وذلكم حين رأيتموني تأخرتُ مخافةَ أن يُصيبَني من لفحها. وحتى رأيت فيها صاحبَ المحجَنِ يجرّ قُصبَه في النار، كان يسرِق الحاجَّ بمِحْجنه، فإذا فطِن له قال: إنما تعلق بمِحجَني، وإن غُفِلَ عنه ذَهب به. وحتى رأيتُ فيها صاحبةَ الهرةِ التي ربطتها فلم تُطعمها ولم تدعْها تأكلُ من خَشاش الأرض حتى ماتت جوعاً» الحديث.

وأما حديثُ سعدِ بن أبي وقاصٍ رضي الله عنه فرواه البخاريُّ[3] من عدة طرقٍ عن

= قلت: وأخرج مسلم (٤/٢٢٠٦ رقم ٢٨٧٨) الجزء الأخير قوله: «يُبعثُ كلُّ عبدٍ على ما ماتَ عليه».

(١) في صحيحه (٢/٦٢٢ رقم ٩/٩٠٤).

(٢) في صحيح مسلم (٢/٦٢٣ - ٦٢٤ رقم ١٠/٩٠٤).

(٣) في صحيحه (١١/١٧٨ رقم ٦٣٧٠).

مُصعبِ بنِ سعدِ بنِ أبي وقاصٍ عن أبيه ﷺ قال: «**كان النبيُّ ﷺ يعلِّمنا هؤلاءِ الكلماتِ كما تُعلَّم الكتابةُ: اللهم إني أعوذ بك من البخل، وأعوذ بك من الجُبن، وأعوذ بك من أن أُردَّ إلى أرذل العمُر، وأعوذ بك من فتنة الدنيا وعذاب القبر**».

وأما حديثُ زيدِ بنِ أرقمَ فقال مسلمُ بنُ الحجاجِ رحمه الله تعالى في صحيحه[1]: حدثنا أبو بكرِ بنُ أبي شيبةَ وإسحاقُ بنُ إبراهيمَ ومحمدُ بنُ نُمير، واللفظُ لابن نُمَير، قال إسحاقُ أخبرنا ـ وقال الآخران حدثنا ـ أبو معاويةَ عن عاصمٍ عن عبد اللَّهِ بنِ الحارث، وعن أبي عثمانَ النَّهْديِّ عن زيدِ بنِ أرقمَ ﷺ قال: «**لا أقول لكم إلا كما كان رسولُ الله ﷺ يقول، كان يقول: اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسلِ، والجُبن والبُخلِ والهرم، وعذابِ القبر، اللهم آتِ نفسي تقواها، وزكِّها أنت خيرُ من زكَّاها، أنت وليُّها ومولاها. اللهم إني أعوذ بك من علمٍ لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفسٍ لا تشبع، ومن دعوة لا يُستجاب لها**»، رواه النسائي[2].

وأما حديثُ أبي بكرةَ فأخرجه النسائيُّ[3] ﷺ عنه عن النبي ﷺ أنه كان يقول في أثر الصلاةِ: «**اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر وعذاب القبر**».

وأما حديثُ عبدِ الرحمن بنِ سَمُرةَ فقال أبو عبدِ الله الحكيمُ التِرمذِيُّ في كتابه (نوادرُ الأصولِ)[4]: حدثنا أبي حدثنا عبدُ الله بنُ نافعٍ عن ابن أبي فديك عن

---

(١) (٤/ ٢٠٨٨ رقم ٢٧٢٢).

(٢) في السنن (٨/ ٢٦٠ رقم ٥٤٥٨) **وهو حديث صحيح**.

(٣) في السنن (٨/ ٢٦٢ رقم ٥٤٦٥) **بسند صحيح**.
قلت: وأخرجه النسائي في «عمل اليوم والليلة» رقم (٢٢) ورقم (٥٧٢) وابن السني في «عمل اليوم والليلة» رقم (٦٩) وأحمد في المسند (٥/ ٤٢) وأبو داود رقم (٥٠٩٠) والحاكم في «المستدرك» (١/ ٢٥٢) وقال: حديث صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي.
وخلاصة القول أن الحديث حسن، والله أعلم.

(٤) (ص٣٢٤).
قلت: أخرجه الأصبهاني في «الترغيب» كما في شرح الصدور (ص١٨٢)، والطبراني كما في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٧٩) وقال الهيثمي: «رواه الطبراني بإسنادين في أحدهما سليمان بن أحمد الواسطي، وفي الآخر خالد بن عبد الرحمن المخزومي وكلاهما ضعيف» اهـ. =

عبد الرحمنِ بنِ عبدِ اللَّهِ عن سعيدِ بنِ المسيِّبِ عن عبد الرحمن بنِ سَمُرةَ قال: خرج علينا رسولُ الله ﷺ ذاتَ يوم ونحن في مسجد المدينةِ فقال: «**إني رأيت البارحةَ عجيباً، رأيت رجلاً من أمتي جاء ملكُ الموتِ ليقبِضَ روحَه، فجاء بِرُّه بوالديه فردَّ عنه.**

ورأيت رجلاً من أمتي قد بُسط عليه عذابُ القبر، فجاءه وُضوؤُه فاستنقذه من ذلك.

ورأيت رجلاً من أمتي قد احتَوَشَته الشياطينُ، فجاءه ذكرُ الله عز وجل فخلّصه من بينهم.

ورأيت رجلاً من أمتي قد احتوشته ملائكةُ العذابِ فجاءته صلاتُه. فاستنقذته من أيديهم. ورأيت رجلاً من أمتي يلتهب عطشاً، كلما ورد حوضاً مُنع منه، فجاءه صيامُه فسقاه وأرواه.

ورأيتُ رجلاً من أمتي من بين يديه ظُلمةٌ ومن خلفه ظلمةٌ، وعن يمينه ظلمةٌ وعن شماله ظلمةٌ، ومن فوقه ظلمةٌ ومن تحته ظلمة، وهو متحيِّرٌ فيها، فجاءته حَجّتُه وعُمرتُه فاستخرجاه من الظلمة وأدخلاه النور.

ورأيتُ رجلاً من أمتي يكلِّم المؤمنين فلا يكلّمونه، فجاءته صلةُ الرحِمِ فقالت: يا معشرَ المؤمنين كلِّموه، فكلَّموه.

ورأيت رجلاً من أمتي يتقي وهَجَ النارِ وشرَرَها بيده عن وجهه، فجاءته صدقتُه فصارت له سِتراً على وجهه وظِلّاً على رأسه.

ورأيت رجلاً من أمتي أخذتْه الزبانيةُ من كل مكان، فجاءه أمرُه بالمعروف ونهيُه عن المنكر فاستنقذاه من أيديهم وأدخلاه مع ملائكة الرحمة.

ورأيتُ رجلاً من أمتي جاثياً على ركبتيه، بينه وبني اللَّهِ حجابٌ، فجاءه حسنُ خُلقِه فأخذ بيده فأدخله على الله عز وجل.

= وقال العراقي في «المغني» رقم (٢٤٤٠): «رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق. بسند ضعيف» اهـ.

وخلاصة القول أن الحديث ضعيف.

ورأيتُ رجلاً من أمتي قد هوَتْ صحيفتُه من قِبَل شمالِه، فجاءه خوفُه، من الله تعالى فأخذ صحيفتَه فجعلها في يمينه.

ورأيت رجلاً من أمتي قد خفّ ميزانُه، فجاءته أفراطُه فثقّلوا ميزانَه.

ورأيت رجلاً من أمتي قائماً على شفير جهنمَ، فجاءه وجَلُه من الله فاستنقذه من ذلك ومضى.

ورأيت رجلاً من أمتي هوى في النار، فجاءته دموعُه التي بكت من خشية اللَّهِ في الدنيا فاستخرجْته من النار.

ورأيت رجلاً من أمتي قائماً على الصراط كما ترعُد السَّعفةُ، فجاء حسنُ ظنِه بالله فسَكّن رعْدتَه ومضى.

ورأيت رجلاً من أمتي على الصراط يزحَف أحياناً ويحبو أحياناً، فجاءته صلاتُه فأخذت بيده فأقامته ومضى على الصراط.

ورأيتُ رجلاً من أمتي انتهى إلى باب الجنةِ فغُلّقت الأبوابُ دونه، فجاءتْه شهادةُ أن لا إله إلا الله ففتحتْ له الأبوابَ وأدخلْته الجنة».

ورواه القُرطبيُّ رحمه الله في تذكرته[1] وقال: هذا حديثٌ عظيمٌ ذكرَ فيه أعمالاً خاصةً تنجي من أهوال خاصة.

وأما حديثُ عبدِ الله بنِ عمرِو بن العاص فرواه النسائيُّ[2] عن عمْرِو بنِ شُعَيب عن أبيه عن جده قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: **«اللهم إني أعوذ بك من الكسلِ والهَرم والمغرمِ والمأثم، وأعوذ بك من شر المسيحِ الدجال، وأعوذ بك من عذاب القبرِ وأعوذ بك من عذاب النار»**.

وللحكيم الترمذيِّ[3] عنه ﷺ: **«أن رسولَ الله ﷺ ذكر فتّاني القبر، فقال**

---

(١) (١/٤٦٨ ـ ٤٧٠ رقم ٧٦٦) وهو حديث ضعيف كما تقدم آنفاً.

(٢) في السنن (٨/٢٦٩ رقم ٥٤٩٠). بسند حسن.
وللحديث شواهد في الصحيحين عن عائشة وأنس. فهو بها صحيح إن شاء الله.

(٣) في «نوادر الأصول» (ص٤١) بدون سند.
قلت: أخرجه أحمد في المسند (٢/١٧٢) والآجري في «الشريعة» (ص٣٦٧).
وأورده الهيثمي في «المجمع» (٣/٤٧) وقال: «رواه أحمد والطبراني في الكبير، ورجال =

عمَر بنُ الخطابِ رضي الله عنه: أتُرَدُّ لنا عقولُنا يا رسولَ الله؟ قال: نعم كهيئتكم اليومَ. فقال عمر: في فيه الحجرُ».

وروى البغويُّ[1] عنه رضي الله عنه موقوفاً عليه: (إذا تُوفي العبدُ المؤمنُ أرسل اللَّهُ عز وجل ملكين، وأرسل إليه بتُحفة من الجنة فيقال لها: اخرُجي يا أيتها النفسُ المطمئنة، اخرُجي إلى رَوح وريحانٍ وربٍّ عنكِ راضٍ. فتخرج كأطيبِ ريحِ مسكٍ وجده أحدٌ في أنفه، والملائكةُ على أرجاء السماءِ يقولون: قد جاء من الأرض روحٌ طيبةٌ - أو نسمَةٌ طيبة - فلا تمرُّ بباب إلا فُتح لها، ولا بملكٍ إلاَّ صلّى عليها، حتى يُؤتى بها الرحمنُ عز وجل فتسجد، ثم يقال لميكائيلَ: اذهب بهذه فاجعلْها مع أنفُس المؤمنين.

ثم يؤمر فيُوسَعُ عليه قبرهُ، سبعون ذِراعاً عَرضُه، وسبعون ذراعاً طولُه، ويُنبذ له الرَّيحانُ، وإن كان معه شيءٌ من القرآن كفاه نورُه، وإن لم يكن جُعل له نورٌ مثلُ الشمس في قبره، ويكون مثَلُه مثَلُ العروس ينام فلا يوقظه إلا أحبُّ أهلِه.

وإذا تُوفي الكافرُ أرسل الله إليه ملكين وأرسل قطعةً من بِجادٍ أنتنَ وأخشنَ من كل خشِنٍ، فيقال: يا أيتها النفسُ الخبيثةُ، اخرُجي إلى جهنمَ وعذابٍ أليم، وربٌّ عليكِ غضبانَ).

وأما حديثُ أبيه عمْرو بنِ العاصِ فرواه مسلمٌ[2] في قصة وفاتِه مطوّلاً، وفيه: «**فإذا أنا متُّ فلا تصحَبْني نائحةٌ ولا نارٌ، فإذا دفنتموني فشنُّوا عليَّ الترابَ شنّاً، ثم أقيموا حولَ قبري قَدْرَ ما تُنحَر جزورٌ ويُقسَمُ لحمُها، حتى أستأنِسَ بكم وأنظُرَ ماذا أراجع به رُسلَ ربي عزَّ وجل**».

وأما حديثُ أمِّ مبشرٍ فأخرجه عنها ابنُ أبي شيبةَ في مصنفه[3] قالت: دخل

= أحمد رجال الصحيح» اهـ.

قلت: في سنده أحمد ابن لهيعة وفيه كلام، وحيي بن عبد الله المعافري: ليس من رجال الصحيح، وهو حسن الحديث.

(١) في «معالم التنزيل» (٨/ ٤٢٤) عن عبد الله بن عمرو. وقال الهيثمي في «المجمع» (٢/ ٣٢٨) رواه الطبراني في «الكبير» ورجاله ثقات».

(٢) في صحيحه (١/ ١١٢ رقم ١٢١).

(٣) (١٠/ ١٩٣ - ١٩٤ رقم ٩١٩٦). =

عليَّ النبيُّ ﷺ وأنا في حائط من حوائط بني النجارِ فيه قبورٌ، منهم قد ماتوا في الجاهلية، قالت: فخرج، فسمعتُه يقول: «**استعيذوا بالله من عذاب القبرِ**»، قلت: يا رسولَ الله! وللقبر عذابٌ؟ قال: «**إنهم ليُعذَّبون عذاباً في قبورهم تسمعُه البهائم**».

وأما حديثُ أبي قتادةَ رضي الله عنه فقال ابنُ أبي حاتم[1]: حدثنا أحمدُ بنُ عثمانَ بنِ حكيم الأَوْديُّ حدثنا شريحُ بنُ مَسلمةَ حدثنا إبراهيمُ بنُ يوسفَ عن أبيه عن أبي إسحاقَ عن عامرِ بنِ سعدِ البَجَليِّ عن أبي قتادةَ الأنصاريِّ رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧]. الآية.

قال: «**إن المؤمنَ إذا مات أُجلِس في قبره فيقال له: من ربُّك؟ فيقول: اللَّهُ عز وجل. فيقال له: من نبيُّك؟ فيقول: محمدُ بنُ عبدِ الله ﷺ. فيقال له ذلك مرَّاتٍ، ثم يفتح له بابٌ إلى النار فيقال له: انظر إلى منزلك من النار لو زُغْتَ، ثم يفتح له بابٌ إلى الجنة فيقال له: انظر إلى منزلك من الجنة إذْ ثبتَّ.**

وإذا مات الكافرُ أُجلس في قبره فيقال له: من ربُّك، من نبيُّك؟ فيقول: لا أدري، كنت أسمع الناسَ يقولون، فيقال له: لا دريت. ثم يفتح له بابٌ إلى الجنة فيقال: انظر إلى مجلسك من الجنة لو ثبتَّ. ثم يفتح له بابٌ إلى النار فيقال له: انظر إلى منزلك إذْ زُغت. فذلك قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧]».

= قلت: وأخرجه أحمد في «المسند» (٦/ ٣٦٣).
وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣/ ٥٦) وقال: «رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح» اهـ.

(١) في تفسيره (٧/ ٢٢٤٤ رقم ١٢٢٦٦)، وابن كثير في تفسيره (٢/ ٥٥٤) مسنداً.
قلت: وأخرجه الطبراني في «الأوسط» رقم (١٣٤٧).
وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٤٤) وقال: «رواه الطبراني في الأوسط عن شيخه أحمد بن محمد بن صدقة ولم أعرفه، وبقية رجاله رجال الصحيح» اهـ.
قلت: لقد عرف الهيثمي شيخه أحمد بن محمد بن صدقة في أحاديث كثيرة، وصحح أحاديثه. وانظر ترجمته في: «تاريخ بغداد» (٥/ ٤٠) و «التذكرة» للذهبي (٢/ ٧٤٥ ـ ٧٤٦ رقم ٧٤٥) و «بلغة القاصي الداني في تراجم شيوخ الطبراني» (١/ ٧٤ رقم ١٤١).
وخلاصة القول أن سنده صحيح.

وأما حديثُ عبدِ الله بنِ مسعود فقال مسلمٌ[1] رحمه الله تعالى: حدثنا عثمانُ بنُ أبي شيبةَ حدثنا جريرٌ عن الحسن بنِ عبيدِ الله عن إبراهيمَ بنِ سُويدٍ عن عبد الرحمنِ بنِ يزيدَ عن عبد الله ﷺ قال: كان نبيُّ اللَّهِ ﷺ إذا أمسى قال: «**أمسينا وأمسى الملكُ لله، والحمدُ لله لا إله إلا الله وحده لا شريكَ له**»، قال: أراه قال فيهن: «**له الملكُ وله الحمدُ وهو على كل شيء قدير. ربِّ أسألك خيرَ ما في هذه الليلةِ وخيرَ ما بعدها، وأعوذ بك من شر هذه الليلةِ وشرِّ ما بعدها. ربِّ أعوذ بك من الكسل وسوءِ الكِبَر، ربِّ أعوذ بك من عذابٍ في النار وعذاب في القبر**»، وإذا أصبح قال ذلك أيضاً: «**أصبحنا وأصبح الملك لله**».

حدثنا أبو بكرِ بنُ أبي شيبةَ حدثنا حسينُ بنُ عليٍّ عن زائدةَ عن الحسن بنِ عبيدِ الله إلخ بنحوه، وفيه «**اللهم إني أعوذ بك من الكسل والهَرمِ وسوءِ الكِبَرِ وفتنةِ الدنيا وعذابِ القبر**»[2].

وقال النسائيُّ[3]: أخبرنا محمدُ بنُ عبدِ العزيزِ قال: حدثنا الفضلُ بنُ موسى عن زكريا عن أبي إسحاقَ عن عمرِو بنِ ميمونَ عن ابن مسعودٍ ﷺ قال: «**كان النبيُّ ﷺ يتعوَّذ من خمس: من البخل، والجبنِ، وسوءِ العُمر، وفتنةِ الصدْر، وعذابِ القبر**».

وروى الطحاويُّ[4] عنه ﷺ عن النبي ﷺ: «**أمر بعبد من عباد اللَّهِ أن**

---

(١) في صحيحه (٤/ ٢٠٨٩ رقم ٧٥/ ٢٧٢٣).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٨٩ رقم ٧٦/ ٢٧٢٣).

(٣) في السنن (٢/ ٢٥٦ رقم ٥٤٤٦) وهو حديث صحيح.

(٤) في «مشكل الآثار» (٨/ ٢١٢ رقم ٣١٨٥) بسند حسن.

وأورده ابن عبد البر في «التمهيد» (٤/ ٢٣٩). والقرطبي في «التذكرة» (١/ ٢٧٠ رقم ٤٤٨).

* وأخرجه هناد في «الزهد» رقم (٣٦٢) وعبد الرزاق في «المصنف» رقم (٦٧٥٢) وأبو نعيم في «الحلية» (٤/ ١٤٤) من كلام عمر بن شرحبيل. ورجاله ثقات، ولكنه يرويه أبو إسحاق السبيعي معنعناً وهو مدلس.

* وأخرجه الطبراني في «الكبير» (١٢/ ٤٤٣ رقم ١٣٦١٠) من حديث عبد الله بن عمر. وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٢٦٨) وقال: «وفيه يحيى بن عبد الله البابلتي وهو ضعيف» اهـ.

=

يُضربَ في قبره مائةَ جلدةٍ، فلم يزل يسأل الله ويدعوه حتى صارت واحدةً فامتلأ عليه قبرُه ناراً». الحديث ذكره العينيُّ في شرح البخاريِّ واللّهُ أعلمُ بصحته. وعزاه في التبصِرة إلى أبي القاسمِ الحريري، وتقدم عنه قريباً حديثُ أمِّ حبيبةَ، وفيه الاستعاذةُ من عذاب القبر.

وأما حديثُ أبي طلحةَ فقال البخاريُّ[1] رحمه الله تعالى: حدثني عبدُ الله بنُ محمدٍ سمع رَوحَ بنَ عبادةَ حدثنا سعيدُ بنُ أبي عَروبةَ عن قتادةَ قال: ذكر لنا أنسُ بنُ مالكٍ عن أبي طلحةَ: «**إن نبيَّ اللّهِ ﷺ أمرَ يوم بدرٍ بأربعة وعشرين رجلاً من صناديد قريشٍ فقُذِفوا في طُوىً من أطواء بدْر خبيثٍ مُخبَثٍ، وكان إذا ظهر على قوم أقام بالعرَصة ثلاث ليال. فلما كان ببدر اليومَ الثالثَ أمر براحلته فشُدّ عليها رَحلُها، ثم مشى واتبعه أصحابُه وقالوا: ما نرى ينطلق إلا لبعض حاجة، حتى قام على شَفة الرُكِيِّ فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماءِ آبائِهم: يا فلانُ ابنَ فلانٍ، يا فلانُ ابنَ فلان، أيسُرّكم أنكم أطعتم الله ورسولَه، فإنا قد وجدْنا ما وعدنا رُبنا حقاً، فهل وجدتم ما وعدَكم ربُكم حقاً؟**

قال فقال عمرُ: يا رسولَ الله ما تُكلِّم من أجساد لا أرواحَ لها؟ قال رسولُ الله ﷺ: والذي نفسُ محمدٍ بيده ما أنتم بأسمعَ لِما أقولُ منهم». قال قَتادةُ: أحياهم اللّهُ تعالى حتى أسمَعهم قولَه توبيخاً وتصغيراً ونَقِمةً وحسرةً وندماً.

وأما حديثُ أسماءَ الآخرُ فقال الإمامُ أحمدُ[2] رحمه الله تعالى: حدثنا حجينُ بنُ المثنى حدثنا عبدُ العزيز بنُ أبي سَلَمةَ الماجَشونُ عن محمد بنِ المنكدرِ قال: كانت أسماءُ ـ يعني بنتَ الصدّيقِ رضي الله عنهما ـ تحدّث عن النبي ﷺ قالت: قال: «**إذا دخل الإنسانُ قبرَه فإن كان مؤمناً أحفّ به عملُه الصلاةُ والصيامُ، قال فيأتيه**

= قلت: ومثله أيوب بن نهيك.

وخلاصة القول أن حديث ابن مسعود ضعيف، والله أعلم.

(١) في صحيحه (٧/ ٣٠٠ ـ ٣٠١ رقم ٣٩٧٦).

قلت: وأخرجه مسلم (٤/ ٢٢٠٤ رقم ٢٨٧٥).

(٢) في المسند (٦/ ٢٥٢ ـ ٢٥٣) **بسند صحيح**.

قلت: وأخرجه الطبراني في «الكبير» (٢٤/ ٨٦ رقم ٢٣٠) و (٢٤/ ١٠٥ رقم ٢٨١) وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣/ ١٥١) وقال: رجال أحمد رجال الصحيح.

الملَكُ من نحو الصلاةِ فتردُّه، ومن نحو الصيام فيردّه، قال: فيناديه: اجلِس، فيجلِس، فيقول له: ماذا تقول في هذا الرجلِ؟ يعني النبيَّ ﷺ، قال: مَن؟ قال: محمدٌ. قال: أشهد أنه رسولُ الله. قال فيقول: على ذلك عشتَ وعليه متَّ وعليه تُبعث.

وإن كان فاجراً أو كافراً جاءه الملكُ ليس بينه وبينه شيءٌ يردّه فأجلسه فيقول له: ماذا تقول في هذا الرجلِ؟ قال: أيُّ رجل؟ قال: محمد. قال: يقول: واللَّهِ ما أدري، سمعتُ الناسَ يقولون شيئاً فقلتُه. قال له الملكُ: على ذلك عشتَ وعليه متَّ وعليه تُبعث. قال ويسلّط عليه دابةٌ في قبره معها سَوطٌ ثمرتُه جَمرةٌ مثلُ عُرفِ البعيرِ تضربه ما شاء الله، صماءُ لا تسمع صوتَه فترحَمَه». والأنسبُ لمكان هذا الحديثِ أن يُنقل عند حديثي أسماءِ الأولين.

وأما حديثُ عبدِ الرحمنِ بنِ حسنةَ فقال أبو داودَ[1]: حدثنا مسدّدٌ حدثنا عبدُ الواحد بنُ زيادٍ حدثنا الأعمشُ عن زيد بنِ وهبٍ عن عبد الرحمنِ بنِ حسنةَ قال: «**انطلقتُ أنا وعمرو بنُ العاص إلى النبي ﷺ، فخرج ومعه دَرَقةٌ، ثم استتر بها ثم بال فقلنا: انظروا إليه يبول كما تبولُ المرأةُ، فسمِع ذلك فقال: ألم تعلموا ما لقيَ صاحبُ بني إسرائيلَ، كانوا إذا أصابهم البولُ قطعوا ما أصابه البولُ منهم فنهاهم فعُذِّب في قبره**»، ورواه النسائيُّ[2] وابنُ ماجه[3].

أما حديثُ تميمِ الدّاري فرواه أبو يَعلى[4] الموصِلي بسنده عنه مطولاً بسياق

---

(١) في السنن (١/ ٢٦ رقم ٢٢).
(٢) في السنن (١/ ٢٦ ـ ٢٨ رقم ٣٠).
(٣) في السنن (١/ ١٢٤ رقم ٣٤٦).
وهو حديث صحيح.
(٤) لم أجده في مسند تميم الداري في مسند أبي يعلى المطبوع.
وقد أورده ابن كثير في تفسيره (٢/ ٥٥٥ ـ ٥٥٦) مسنداً.
وفيه يزيد الرقاشي وهو ضعيف. قاله الحافظ في «التقريب» رقم (٧٦٨٣) وبكر بن خنيس صدوق له أغلاط. قاله الحافظ في «التقريب» رقم (٧٣٩).
وضرار بن عمرو لم أجد له ترجمة.
وخلاصة القول أن الحديث ضعيف، والله أعلم.

عجيبٍ ومتينٍ غريب، وغالبُ معناه في الأحاديث الصحيحةِ فلا نطيل بسياقه استغناءً عنه بغيره، ولله الحمدُ والمنّة.

وأما حديثُ حذيفةَ فقال البخاريُّ[1] رحمه الله تعالى: حدثنا مسدّدٌ حدثنا أبو عَوانةَ عن عبد الملكِ بنِ عُميرٍ عن رُبيعيِّ بنِ حِراشٍ قال: قال عقبةُ لحذيفةَ: «**ألا تحدثنا ما سمعتَ من النبي ﷺ؟ قال: سمعتُه يقول: إن رجلاً حضره الموتُ لما يئس من الحياة أوصى أهلَه إذا متُّ فاجمعوا لي حطباً كثيراً ثم أوْرُوا ناراً حتى إذا أكلتْ لحمي وخلُصتْ إلى عظمي فخذوها فاطحَنوها فذَرُوني في اليم في يومٍ حارٍّ أو راحٍ، فجمعه اللّهُ فقال: لم فعلتَ؟ قال: خشيتُك. فغفر له**». قال عقبةُ: وأنا سمعتُه يقول: حدثنا موسى حدثنا أبو عوانةَ حدثنا عبدُ الملك وقال: «**في يوم راحٍ**» وقد تقدمت هذه القصةُ من حديث أبي سعيد الخُدريِّ[2].

وقد رواها البخاريُّ[3] رحمه الله تعالى أيضاً من حديث أبي هريرةَ فقال: حدثني عبدُ الله بنُ محمدٍ حدثنا هشامٌ أخبرنا مَعمرٌ عن الزُهريِّ عن حميد بنِ عبد الرحمنِ عن أبي هريرةَ رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**كان رجلٌ يسرف على نفسه، فلما حضَره الموتُ قال لبنيه: إذا أنا متُّ فأحرِقوني ثم اطحَنوني ثم ذرُوني في الريح، فواللّهِ لئن قدَر عليَّ ربي ليعذبنّي عذاباً ما عذبه أحداً. فلما مات فُعل به ذلك، فأمر اللّهُ تعالى الأرضَ فقال: اجمعي ما فيك منه، ففعلتْ، فإذا هو قائمٌ، فقال: ما حملك على ما صنعتَ؟ فقال: يا ربِّ خشيتُك حملتْني. فغُفر له**»، وقال غيره: «**مخافتُك يا رب**»، ومحلُّ هذا الحديثِ مع أحاديثِ أبي هريرةَ المتقدمةِ فلينقَلْ إلى هناك.

وأما حديثُ أبي موسى فرواه أحمدُ[4] والتِرمذيُّ[5] وحسنه والحاكمُ[6]

---

(١) في صحيحه (١١/ ٣١٢ رقم ٦٤٨٠).

(٢) البخاري في صحيحه (١١/ ٣١٢ ـ ٣١٣ رقم ٦٤٨١).

(٣) في صحيحه (٦/ ٥١٤ ـ ٥١٥ رقم ٣٤٨١) وطرفه: (٧٥٠٦).

(٤) في المسند (٤/ ٤١٤) بسند صحيح.

(٥) في السنن (٣/ ٣٢٦ رقم ١٠٠٣) وقال: هذا حديث حسن غريب.

(٦) في المستدرك (٢/ ٤٧١) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.
قلت: وأخرجه ابن ماجه (١/ ٥٠٨ رقم ١٥٩٤). =

وصحَّحه، وهذا لفظُ أحمدَ: عن أبي موسى رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ قال: **«الميتُ يعذب ببكاء الحيِّ، إذا قالت النائحةُ: واعضُداه، واناصِراه، واكاسِباه، جُبِذَ الميتُ وقيل: أنت عضُدُها، أنت ناصرُها، أنت كاسبُها؟»**. ولفظُ الترمذيِّ: **«ما من ميتٍ يموت فيقوم باكيه فيقول: واجَبلاه واسنداه أو نحو ذلك إلا وُكِّل به ملكانِ يلهَزانِه: أهكذا كنت؟»**.

وأما حديثُ النعمانِ بنِ بشيرٍ فرواه الشيخانِ البخاريُّ[1] ومسلمٌ[2] عنه رضي الله عنه قال: **«أُغميَ على عبد اللَّهِ بنِ رَواحةَ، فجعلت أختُه عَمْرةُ تبكي: واجَبلاه، واكذا واكذا تعدِّد عليه، فقال حين أفاق: ما قلتِ شيئاً إلا قيل لي: أنتَ كذلك؟ فلما مات لم تبكِ عليه رضي الله عنه»**.

وأما حديثُ عوفِ بنِ مالكٍ فقال مسلمٌ[3] رحمه الله تعالى: حدثني هارونُ بنُ سعيدٍ الأيْليُّ أخبرني ابنُ وهْب أخبرني معاويةُ بنُ صالحٍ عن حبيبِ بنِ عُبيدٍ عن جُبير بنِ نفيرٍ سمعه يقول: سمعتُ عَوفَ بنَ مالك يقول: **«صلَّى رسولُ الله ﷺ على جنازةٍ فحفِظتُ من دعائه وهو يقول: اللهم اغفِر له وارحمْه وعافِه واعفُ عنه وأكرمْ نزُلَه ووسِّع مُدخَله واغسِله بالماء والثلجِ والبَرد، ونقِّهِ من الخطايا كما نقَّيْتَ الثوبَ الأبيضَ من الدنس، وأبدِله داراً خيراً من داره وأهلاً خيراً من أهله وزوجاً خيراً من زوجه، وأدخلْه الجنةَ، وأعِذْه من عذابِ القبرِ ومن عذابِ النار»**، قال: حتى تمنَّيتُ أن أكونَ ذلك الميتَ.

وفي رواية[4]: **«وقِه فتنةَ القبر وعذابَ النار»**.

= وفيه موسى بن أبي موسى الأشعري: مقبول. قاله الحافظ في «التقريب» رقم (٧٠١٥) وللحديث شواهد تقدم بعضها، ومنها الذي يأتي.

وخلاصة القول أن الحديث حسن، والله أعلم.

(١) في صحيحه (٧/ ٥١٦ رقم ٤٢٦٧) وطرفه رقم (٤٢٦٨).

(٢) لم يخرجه مسلم، انظر: تحفة الأشراف (٩/ ٢٥ رقم ١١٦٢٩).

(٣) في صحيحه (٢/ ٦٦٢ ـ ٦٦٣ رقم ٨٥/ ٩٦٣).

(٤) لمسلم في صحيحه (٢/ ٦٦٣ رقم ٨٦/ ٩٦٣).

[الأدلة من الكتاب والسنة في لقاء الله في الآخرة]

(وبالـلـقـا والـبـعـثِ والـنـشـورِ وبـقـيـامـنـا مـن الـقـبـور)
(غُـرْلاً حُـفـاةً كـجـرادٍ مـنـتـشـرْ يـقـول ذو الـكُـفـرانِ: ذا يـومٌ عَـسِـرْ)

أي ويدخُل في الإيمان باليوم الآخرِ الإيمانُ بلقاء اللَّهِ عز وجل الحاصل فيه، قال الله تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَوٰةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴿٤٥﴾ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُوا رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [البقرة].

وقال تعالى: ﴿لَعَلَّهُم بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٤].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾ [الانشقاق: ٦].

وقال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ﴿٧﴾ أُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾﴾ [يونس].

وقال تعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا﴾ [الأنعام: ٣١].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ ۙ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَٰذَا أَوْ بَدِّلْهُ﴾ [يونس: ١٥].

وقال تعالى: ﴿مَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [العنكبوت: ٥].

وقال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلَاقُوهُ﴾ [البقرة: ٢٢٣].

وقال تعالى: ﴿قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو اللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾ [الفرقان: ٣٢].

وقال تعالى: ﴿فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [التوبة: ٧٧].

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾ [النبأ: ٢٧] وغيرُها من الآيات.

وفي الصحيح[١] عن عائشةَ رضي الله عنها قالت: قال رسولُ الله ﷺ: **«من أحبَّ لقاءَ اللَّهِ أحب اللَّهُ لقاءَه، ومن كره لقاءَ اللَّهِ كره اللَّهُ لقاءَه»**، فقلت: يا نبيَّ اللَّهِ أكراهيةَ الموتِ؟ فكلُّنا نكره الموتَ. فقال: **«ليس كذلك، ولكن المؤمنَ إذا بُشِّر برحمة اللَّهِ ورضوانِه وجنتِه أحبَّ لقاءَ اللَّهِ فأحب اللَّهُ لقاءَه، وإن الكافرَ إذا بُشِّر بعذاب اللَّهِ وسخطه كرِه لقاءَ الله وكره اللَّهُ لقاءَه** ـ وفي رواية[٢] ـ **والموتُ قبل لقاءِ الله»**.

وفيه[٣] عن شُريحِ بن هانىءٍ عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«من أحب لقاء اللَّهِ أحبَ اللَّهُ لقاءَه، ومن كره لقاءَ اللَّهِ كره الله لقاءَه»**، قال: فأتيتُ عائشةَ فقلت: يا أمَّ المؤمنين، سمعتُ أبا هريرةَ يذكر عن رسول اللَّهِ ﷺ حديثاً، إن كان كذلك فقد هلكْنا. فقالت: إن الهالكَ من هلك بقول رسولِ اللَّهِ ﷺ، وما ذاك؟ قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«من أحب لقاءَ اللَّهِ أحب اللَّهُ لقاءه، ومن كره لقاءَ الله كره اللَّهُ لقاءه»**، وليس من أحد إلا وهو يكره الموتَ. فقالت: قد قاله رسولُ الله ﷺ، وليس بالذي تذهب إليه، ولكن إذا شخَص البصرُ وحشْرجَ الصدْرُ واقشعرّ الجِلدُ وتشنجّت الأصابعُ فعند ذلك من أحب لقاءَ اللَّهِ أحب اللَّهُ لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءَه.

وفيه[٤] عن عبادةَ بنِ الصامتِ وأبي موسى الأشعريِّ[٥] عن النبي ﷺ، المرفوعُ من دون شرحِه.

وفيه[٦] عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: **«قالوا: يا رسولَ الله، هل نرى ربَّنا**

---

(١) في صحيح مسلم (٤/ ٢٠٦٥ ـ ٢٠٦٦ رقم ١٥/ ٢٦٨٤).
(٢) لمسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٦٦ رقم ١٦/ ٢٦٨٤).
(٣) أي في صحيح مسلم (٤/ ٢٠٦٦ رقم ١٧/ ٢٦٨٥).
(٤) في صحيح مسلم (٤/ ٢٠٦٥ رقم ١٤/ ٢٦٨٣).
قلت: وأخرجه البخاري (١١/ ٣٥٧ رقم ٦٥٠٧).
(٥) في صحيح مسلم (٤/ ٢٠٦٧ رقم ١٨/ ٢٦٨٦).
قلت: وأخرجه البخاري (١١/ ٣٥٧ رقم ٦٥٠٨).
(٦) أي في صحيح مسلم (٤/ ٢٢٧٩ رقم ١٦/ ٢٩٦٨).

يومَ القيامة؟ قال: هل تُضارّون في رؤية الشمسِ في الظهيرة ليست في سحابة؟ قالوا لا. قال: فهل تضارُّون في رؤية القمرِ ليلةَ البدر ليس في سحابة؟ قالوا: لا. قال: فوالذي نفسي بيده لا تضارّون في رؤية ربِكم إلا كما تضارّون في رؤية أحدِهما.

قال فيَلقى العبدَ فيقول أيْ: قل ألم أُكرِمْك وأسوِّدْك وأزوِّجْك وأسخِّرْ لك الخيلَ والإبلَ وأذَرْك ترأَسُ وتربَعْ؟ فيقول بلى. قال: فيقول: أفظننْتَ أنك مُلاقِيَّ؟، فيقول: لا، فإني أنساك كما نسِيتَني.

ثم يلقى الثانيَ، فيقول: أي قل، ألم أكرمْك وأسوّدك وأزوجك وأسخّر لك الخيلَ والإبلَ وأذَرْكَ ترأسُ وتربع؟ فيقول: بلى أي ربِّ، فيقول: أفظننتَ أنك ملاقيَّ؟ فيقول لا. فيقول: فإني أنساك كما نسِيتَني.

ثم يلقى الثالثَ فيقول له مثلَ ذلك فيقول: يا ربِّ آمنتُ بك وبكتابك وبرسلك وصلّيتُ وصُمتُ وتصدّقتُ، ويُثني بخير ما استطاع، فيقول: هاهنا إذاً. قال ثم يقال له: الآن نبعث شاهدَنا عليك. ويتفكر في نفسه مَن الذي يشهد عليّ؟ فيُختم على فيه ويقال لفخِذه ولحمِه وعظامِه: انطِقي، فتنطِق فخِذُه ولحمُه وعظامُه بعلمه، وذلك ليُعذَرَ من نفسه، وذلك المنافقُ، وذلك الذي يسخَط الله عليه».

وفي حديث القُرّاءِ أصحابِ بئرِ مَعُونةَ[1]: «بلِّغوا قومَنا عنا أنْ قد لَقِينا ربَّنا فرضِيَ عنا ورضِينا عنه».

ورُوي أنه كان قرآناً فُنسخت تلاوتُه. والآيات والأحاديثُ في إثبات لقاءِ الله عز وجل كثيرةٌ جداً، ومن كذَّب بذلك كفر.

[الإيمان بالبعث والنشور]

(والبعثِ والنشور) أي ويدخُل في الإيمان باليوم الآخِر - الإيمانُ بالبعث والنشور، قال الله تبارك وتعالى لبني إسرائيلَ: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [البقرة].

---

(١) أخرجه مسلم (١/ ٤٦٨ رقم ٦٧٧) من حديث أنس بن مالك.

وقال تعالى: ﴿فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْيِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٧٣].

وقال تعالى: ﴿۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَـٰهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٣].

وقال تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَـٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٨].

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٢٥٨﴾ أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَـٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِا۟ئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِا۟ئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَـٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾﴾ [البقرة].

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَـٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٥٧].

وقال تعالى: ﴿۞ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ۗ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَـٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾ [الرعد: ٥].

وقال تعالى: ﴿وَقَالُوٓا۟ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ أَلَيْسَ هَـٰذَا بِٱلْحَقِّ ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ ۖ﴾ [الأنعام] الآيات.

وقال تعالى: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِۦ رُسُلَهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ [إبراهيم: ٤٧ ـ ٤٨] الآيات.

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ ٱلْوَٰرِثُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا ٱلْمُسْتَـْٔخِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾﴾ [الحجر].

وقال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥].

وقال تعالى: ﴿وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٤٩﴾ ۞ قُل كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِّمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ ۚ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا ۖ قُلِ ٱلَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ﴿٥١﴾ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٥٢﴾﴾ [الإسراء].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ﴾ [الإسراء: ٩٧ ـ ٩٩].

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْـَٔاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾ [الإسراء: ١٠٤].

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا﴾ [الكهف: ١٢].

وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾ ـ إلى قوله ـ ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ﴾ [الكهف: ١٩ ـ ٢١].

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ ۚ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾﴾ [الكهف] الآيات.

وقال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا﴾ [الكهف: ٩٩]. الآيات.

وقال تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوَلَا يَذْكُرُ

ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴿٦٧﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾﴾ [مريم] الآيات إلى آخر السورة.

وقال تعالى: ﴿۞ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ [طه: ٥٥].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥ ۖ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾﴾ [طه] الآيات.

وقال تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ١].

وقال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٨﴾ لَوْ يَعْلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [الأنبياء].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ ﴿٣﴾ كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٧﴾﴾ [الحج].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى

قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾﴾ [المؤمنون].

وقال تعالى عن كفر عاد: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَـٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَـٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَـٰسِرُونَ ﴿٣٤﴾ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَـٰمًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ ۞ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٣٧﴾﴾ [المؤمنون] الآيات.

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَـٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ بَلْ قَالُوا۟ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوٓا۟ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَـٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَـٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّآ أَسَـٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [المؤمنون].

وقال تعالى: ﴿قَـٰلَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾ قَـٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَـٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَـٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾﴾ [المؤمنون].

وقال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ﴾ [النور: ٦٤].

وقال تعالى: ﴿وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا﴾ [الفرقان: ٣].

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ ۚ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ﴾ [يونس: ٤٥].

وقال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾ [يونس: ٣٤].

وقال تعالى: ﴿أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾﴾ - إلى قوله تعالى - ﴿بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ

فِي ٱلْأَخِرَةِۚ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَاۖ بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾﴾ ـ إلى قوله ـ ﴿قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾﴾ ـ إلى قوله ـ ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [النمل: ٦٤ ـ ٨٧] الآيات.

وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأَخِرَةَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُۖ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٢﴾﴾ [العنكبوت].

وقال تعالى: ﴿وَعْدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْأَخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّىۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآيِ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾﴾ ـ إلى قوله ـ ﴿ٱللَّهُ يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾﴾ [الروم: ٦ ـ ١١] الآيات ـ إلى قوله ـ ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِي يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾ [الروم: ٢٥ ـ ٢٧] الآيات.

وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْۖ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيْءٍۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الروم: ٤٠].

وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِي ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْيِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾ [الروم].

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيْرَ سَاعَةٍۚ كَذَٰلِكَ

كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ۖ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [الروم] الآيات. وقال تعالى: ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [لقمان: ٢٨].

وقال تعالى: ﴿وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ ۚ بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ ﴿١٠﴾ ۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾﴾ [السجدة: ١٠ ـ ١١].

وقال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ [الأحزاب: ٦٣].

وقال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [سبأ]. الآيات.

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ [سبأ: ٥١] الآيات.

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [سبأ: ٧].

وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ﴾ [فاطر: ٩].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: ١٢].

وقال تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾ [يس: ٣٣] الآيات.

وقال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ ۗ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [يس] الآيات.

وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ (٧٧) وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ ۖ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ (٧٨) قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ (٧٩) الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ (٨٠) أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ (٨١) إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ (٨٢) فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٨٣)﴾ [يس].

وقال تعالى: ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَا ۚ إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ (١١) بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ (١٢) وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ (١٣) وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ (١٤) وَقَالُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ (١٥) أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ (١٦) أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ (١٧) قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَاخِرُونَ (١٨) فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ (١٩) وَقَالُوا يَا وَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ الدِّينِ (٢٠) هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ (٢١) ۞ احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ (٢٢) مِن دُونِ اللَّهِ﴾ [الصافات: ١١ ـ ٢٣] الآيات.

وقال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ (٣٦) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ (٣٧) إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ (٣٨)﴾ [الحجر].

وقال تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ (٣٠) ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ (٣١)﴾ [الزمر].

وقال تعالى: ﴿لِيُنذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ (١٥) يَوْمَ هُم بَارِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ ۚ﴾ [غافر: ١٥ ـ ١٦] الآيات.

وقال تعالى عن مؤمن آل فرعون: ﴿وَيَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ (٣٢) يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۗ﴾ [غافر] الآيات.

وقال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ ۚ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فصلت: ٣٩].

وقال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِّن لِّقَاءِ رَبِّهِمْ ۗ أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ﴾ [فصلت: ٥٤].

وقال تعالى: ﴿وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ [الشورى: ٧].

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ [الزخرف: ١١].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴿٣٥﴾ فَأْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٦﴾ أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ أَهْلَكْنَٰهُمْ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الدخان] الآيات.

وقال تعالى: ﴿وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الجاثية: ٢٢].

وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [الجاثية] الآيات.

وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الأحقاف: ٣٣].

وقال تعالى: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿قٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ﴿١﴾ بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ﴿٣﴾ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ ﴿٤﴾﴾ [ق] إلى آخر السورة.

وقال تعالى: ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرْوًا﴾ - إلى قوله - ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴿٥﴾ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ ﴿٦﴾﴾ [الذاريات: ١ - ٦].

وقال تعالى: ﴿وَٱلطُّورِ ﴿١﴾ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ﴿٢﴾﴾ - إلى قوله - ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ﴿٧﴾ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ﴿٨﴾ يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ﴿٩﴾ وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا ﴿١٠﴾ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾﴾ [الطور: ١ - ١١] الآيات.

وقال تعالى: ﴿فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾ [الطور: ٤٥] الآيات.

وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝٤٢ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ۝٤٣ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ۝٤٤﴾ [النجم] الآيات.

وقال تعالى: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ ۝٦ خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ۝٧ مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ ۖ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ۝٨﴾ [القمر] الآيات.

وقوله تعالى: ﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ﴾ [القمر: ٤٦].

وقال تعالى: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾ [الرحمن: ٣١] إلى آخر السورة. **وسورة الواقعةِ بتمامها.**

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم﴾ [الحديد: ١٢] الآيات.

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۝٦﴾ - إلى قوله - ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٦ - ٧].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ﴾ [المجادلة: ١٨].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا۟ مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ﴾ [الممتحنة: ١٣].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ ۗ﴾ [التغابن: ٩] الآية.

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَعْتَذِرُوا۟ ٱلْيَوْمَ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٧ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٨﴾ [التحريم].

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ﴾ [الملك: ٢].

وقال تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [القلم: ٣٥]. الآيات. **وسورة الحاقة بكمالها.**

وقال تعالى: ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ﴾ [المعارج: ١] الآيات.

وقال تعالى: ﴿فَذَرۡهُمۡ يَخُوضُواْ وَيَلۡعَبُواْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوۡمَهُمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ ۝٤٢ يَوۡمَ يَخۡرُجُونَ مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ سِرَاعٗا كَأَنَّهُمۡ إِلَىٰ نُصُبٖ يُوفِضُونَ ۝٤٣ خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۚ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ۝٤٤﴾ [المعارج].

وقال تعالى: ﴿وَذَرۡنِي وَٱلۡمُكَذِّبِينَ أُوْلِي ٱلنَّعۡمَةِ وَمَهِّلۡهُمۡ قَلِيلًا﴾ [المزمل: ١١] الآيات.

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ۝٨ فَذَٰلِكَ يَوۡمَئِذٖ يَوۡمٌ عَسِيرٌ ۝٩ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ غَيۡرُ يَسِيرٖ ۝١٠﴾ [المدثر].

وقال تعالى: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ۝١ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢ أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجۡمَعَ عِظَامَهُۥ ۝٣ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ۝٤﴾ [القيامة] الآيات.

وقال تعالى: ﴿أَيَحۡسَبُ ٱلۡإِنسَٰنُ أَن يُتۡرَكَ سُدًى ۝٣٦ أَلَمۡ يَكُ نُطۡفَةٗ مِّن مَّنِيّٖ يُمۡنَىٰ ۝٣٧ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةٗ فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٣٨ فَجَعَلَ مِنۡهُ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ۝٣٩ أَلَيۡسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحۡـِۧيَ ٱلۡمَوۡتَىٰ ۝٤٠﴾ [القيامة].

وجاء جوابه في الحديث: «**بلى إنه على كل شيءٍ قدير**»(١).

---

(١) أخرج أحمد في «المسند» رقم (٧٣٨٥) وأبو داود (١/ ٥٥٠ ـ ٥٥١ رقم ٨٨٧) والترمذي (٥/ ٤٤٣ رقم ٣٣٤٧) والحاكم (٢/ ٥١٠).
عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قرأ: ﴿والمرسلات عرفاً﴾ فبلغ: ﴿فبأي حديث بعده يؤمنون﴾، فليقل آمنا بالله.**
ومن قرأ: ﴿والتين والزيتون﴾، فليقل: بلى وأنا على ذلك من الشاهدين.
ومن قرأ: ﴿أليس ذلك بقادر على أن يحيي الموتى﴾، فليقل: بلى.
قال إسماعيل: فذهبت أنظر هل حفظ؟ وكان أعرابياً، فقال: يا ابن أخي، أظننت أني لم أحفظه! لقد حججت ستين حجة ما منها سنة إلا أعرف البعير الذي حججت عليه!!».
قال أحمد شاكر: إسناده ضعيف لجهالة الراوي التابعي الذي لم يسم. اهـ.
وقال الترمذي: «هذا حديث إنما يُروى بهذا الإسناد عن هذا الأعرابي عن أبي هريرة ولا يسمى» اهـ.
وقال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وسكت عليه الذهبي.
وقال ابن كثير (٤/ ٤٨٢) وقد رواه شعبة عن إسماعيل بن أمية قال: قلت له: من حدثك؟ قال: رجل صدق عن أبي هريرة.
وحكم الألباني على الحديث بالضعف في ضعيف أبي داود رقم (١٨٨) وضعيف الترمذي رقم (٦٦٢) وغيرهما، **وهو كما قال حفظه الله.**

وقال تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾ [الإنسان: ١] الآياتُ، بل السورةُ بتمامها، وجميعُ السوَرِ التي بعدها: **المرسلاتِ، والنبأ، والنازعاتِ، وعبسَ، والتكويرُ، والانفطارُ، والمطففين، والانشقاقُ، والطارقِ، والغاشيةِ، والفجرِ، والبلدِ، وغيرُها من السور، بل القرآنُ كلُه** من فاتحته إلى خاتمته مملوءٌ بذكر أحوالِ اليومِ الآخرِ وتفاصيلِ ما فيه، وتقريرِ ذلك بأصدقِ الأخبارِ وضرب الأمثالِ للاعتبار والإرشادِ إلى دليل ذلك لكل امرئ بأن يعتبرَ في بدَنه ويستدلَّ به على إعادته، وكذلك إحياءُ الأرض بعد موتِها فيُحْييها تعالى بالمطر فتصبحُ مُخْضرَّةً تهتز بعد موتِها بالقَحط، وهمودِها وخمودِها واسودادِها، فإذا أنزل عليها الماءَ اهتزتْ وربتْ وأنبتتْ من كل زوج بهيج، ولهذا يذكُر إحياءَ الموتى بعد ذكر إحيائِه الأرضَ ليستدلَّ من له قلبٌ شهيدٌ على الآجل بالعاجل، وعلى الغيب بالشهادة، فيقول عز وجل: ﴿كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ﴾ [ق: ١١]، ﴿كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ﴾ [فاطر: ٩]، ﴿كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ [الزخرف: ١١]، ﴿كَذَٰلِكَ يُحْيِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٧٣].

وأما الأحاديثُ في هذا البابِ فكثيرةٌ جداً، وقد تقدم كثيرٌ منها في مواضعَ متفرِّقة، وقال البخاريُّ[1] رحمه الله تعالى: **«حدثنا أبو اليمانِ حدثنا شعيبُ حدثنا أبو الزنادِ عن الأعرج عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: «قال الله: كذبني ابنُ آدمَ ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك. فأما تكذيبُه إياي فقولُه لن يعيدَني كما بدأني، وليس أولُ الخلق بأهونَ عليَّ من إعادته. وأما شتمُه إيايَ فقولُه: اتخذ الله ولداً، وأنا الأحدُ الصمدُ لم ألدْ ولم أولدْ ولم يكن لي كفواً أحدٌ»**.

وقال الإمامُ أحمدُ رحمه الله تعالى في مسنده[2] **«حدثنا أبو المغيرةِ حدثنا حَريزٌ حدثني عبدُ الرحمن بنُ ميسرةَ عن جُبير بنِ نُفَيرٍ عن بشير بنِ جِحاشٍ قال: إن رسولَ الله ﷺ: «بصق يوماً في كفه فوضع عليها إصبعَه، قال رسولُ الله ﷺ:**

(١) في صحيحه (٨/ ٧٣٩ رقم ٤٩٧٤).

(٢) في المسند (٤/ ٢١٠) **بسند حسن** رجاله كلهم ثقات غير عبد الرحمن بن ميسرة، قال الحافظ في «تهذيب التهذيب» (٢/ ٥٥٨ ـ ٥٥٩) قال ابن المديني: «مجهول، لم يرو عنه غير حريز. وقال أبو داود: شيوخ حريز كلهم ثقات. وقال العجلي: شامي تابعي، ثقة» اهـ.

قال الله تعالى: بُنيَّ آدمَ أنَّى تُعجزني وقد خلقتُك مثلَ هذه، حتى إذا سويتُك وعدَلتُك مشيتَ بين بُردَيك وللأرض منك وئيدٌ، فجمعْتَ ومنعتَ، حتى إذا بلغَت التراقيَ قلتَ أتصدق، وأنى أوانُ الصدقة». ورواه ابنُ ماجه[1] عن أبي بكرِ ابنِ أبي شيبةَ عن يزيدَ بنِ هارونَ عن حَريزِ بن عثمان به.

وقال ابن أبي حاتم[2]: حدثنا عليُ بنُ الحسينِ بنِ الجُنيد حدثنا محمدُ بنُ العلاءِ حدثنا عثمانُ بنُ سعيدِ الزياتُ عن هشيم عن أبي بشرِ عن سعيدِ بنِ جُبيرِ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «**إن العاصَ بنَ وائلٍ أخذ عظماً من البطحاء ففتّه بيده ثم قال لرسول اللّهِ ﷺ: أيُحيي اللّهُ هذا بعد ما أرى؟ فقال رسول الله ﷺ: نعم، يُميتك الله ثم يحييك ثم يُدخلك جهنمَ**»، قال: ونزلت الآيات من آخر يسّ.

وروى مسلمٌ[3] من طريق مَعمرِ عن همّامِ بنِ مُنَبهِ قال: هذا ما حدثنا أبو هريرةَ عن رسول اللّهِ ﷺ، فذكر أحاديثَ، (منها): وقال رسولُ الله ﷺ: «**إنّ في الإنسان عظماً لا تأكلُه الأرضُ أبداً فيه يُركّب يوم القيامة. قالوا: أيُّ عظمٍ هو يا رسولَ الله؟ قال: عَجْبُ الذنب**».

وفيه[4] من طريق أبي الزنادِ عن الأعرج عن أبي هريرة أن رسولَ الله ﷺ

---

(١) في السنن (٢/ ٩٠٣ رقم ٢٧٠٧).
قال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (٢/ ٣٦٥ رقم ٩٦٠/ ٢٧٠٧)، «قلت: ليس لبسر عند ابن ماجه سوى هذا الحديث، وليس له رواية في شيء من الكتب الخمسة. وإسناد حديثه صحيح رجاله ثقات، رواه أحمد في مسنده من حديث بسر، وأصله في الصحيحين وغيرهما من حديث أبي هريرة» اهـ.
قلت: وأورده الألباني في «الصحيحة» رقم (١٠٩٩).
وخلاصة القول أن الحديث حسن، والله أعلم.

(٢) في تفسيره (١٠/ ٢٣٠٣ رقم ١٨١٢٦).
وفي سنده «عثمان الزيات» قال ابن حجر في «التقريب»: رقم (٤٤٧٣) لا بأس به.
قلت: لقد تابعه عمرو بن عون عند الحاكم في المستدرك (٢/ ٤٢٩) وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.
وخلاصة القول أن الحديث حسن، والله أعلم.

(٣) في صحيحه (٤/ ٢٢٧١ رقم ١٤٣/ ٢٩٥٥).

(٤) أي مسلم في صحيحه (٤/ ٢٢٧١ رقم ١٤٢/ ٢٩٥٥).

قال: **«كلُّ ابنِ آدمَ يأكلُه الترابُ إلا عجْبَ الذنب، منه خُلق وفيه يُرَكَّبُ»**.

وقال[1] رحمه الله تعالى: حدثنا أبو كُريبٍ محمدُ بنُ العلاء حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبي صالحٍ عن أبي هريرةَ قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: **«ما بين النفختينِ أربعون ـ قالوا: يا أبا هريرةَ أربعون يوماً؟ قال أبيت، قالوا: أربعون شهراً؟ قال: أبيت، قالوا: أربعون سنةً؟ قال أبيت. ثم يُنزل اللَّهُ من السماء ماءً فينبتُون كما ينبُت البقلُ، قال: وليس من الإنسان شيءٌ إلا يبلى، إلا عظماً واحداً وهو عَجْبُ الذنب، ومنه يُركب الخلقُ يوم القيامة»**.

ورواه البخاريُّ[2] عن عمرَ بن حفصٍ عن أبيه عن الأعمشِ بمعناه، دون قوله: **«ثم يُنزل الله تعالى من السماء ماءً»**.

وتقدم حديثُ عبدِ اللَّهِ بنِ عَمرٍو قريباً[3] وفيه: **«ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحدٌ إلا أصغى ليتاً ورفع ليتاً. قال: وأول من يسمعه رجلٌ يلوط حوضَ إبلِه، قال فيصعَقُ ويُصعق الناسُ، ثم يرسل اللَّهُ ـ أو قال يُنزل الله ـ مطراً كأنه الطَلُّ ـ أو الظِلّ ـ نعمانُ الشاكُّ ـ فتنبُت منه أجسادُ الناس، ثم يُنفخ فيه أخرى فإذا هم قيامٌ ينظرون. ثم يقال: يا أيها الناسُ، هلُموا إلى ربكم، وقِفوهم إنهم مسئولون، قال ثم يقال: أخرِجوا بعثَ النار، فيقول: مِن كم؟ فيقال: من كل ألفٍ تسعَمائةٍ وتسعةً وتسعين، قال: فذلك يومُ يجعل الوِلدان شِيباً، وذلك يوم يُكشف عن ساق»**.

وفي الصحيح[4] عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«إني أولُ من يرفع رأسَه بعد النفخةِ الآخرةِ، فإذا أنا بموسى متعلقٌ بالعرش، فلا أدري كذلك كان أم بعد النفخة»**.

وفي حديث الصورِ الآتي قريباً[5] إن شاء الله: **«ثم يُنزل الله عليهم ماءً من تحت العرش، ثم يأمر اللَّهُ السماءَ أن تُمطِرَ، فتُمطرُ أربعين يوماً حتى يكونَ الماءُ**

---

(١) أي مسلم في صحيحه (٤/ ٢٢٧٠ ـ ٢٢٧١ رقم ١٤١/ ٢٩٥٥).

(٢) في صحيحه (٨/ ٥٥١ ـ ٥٥٢ رقم ٤٨١٤) وطرفه: ٤٩٣٥.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) أي صحيح البخاري (٨/ ٥٥١ رقم ٤٨١٣).

(٥) سيأتي بكماله وتخريجه.

فوقهم اثني عشرَ ذراعاً، ثم يأمر اللّهُ الأجسادَ أن تنبُتَ، فتنبُتُ كنبات الطراثيتِ ـ أو كنبات البقْلِ ـ حتى إذا تكاملت أجسادُهم فكانت كما كانت، قال اللّهُ عز وجل: لِيَحْيَ حملةُ العرش، فيَحْيَون. ويأمر اللّهُ عز وجل إسرافيلَ فيأخذ الصورَ فيضعه على فيه ثم يقول: لِيَحْيَ جبريلُ وميكائيلُ، فيحْيَيان. ثم يدعو اللّهُ بالأرواح لِيُؤتى بها، تتوهَج أرواحُ المسلمين نوراً وأرواحُ الكافرين ظُلمةً، فيقبِضُها جميعاً ثم يُلْقيها في الصور، ثم يأمر اللّهُ تعالى إسرافيلَ أن ينفُخَ نفخةَ البعث، فينفخ نفخةَ البعثِ، فتخرج الأرواحُ كأنها النحلُ قد ملأت ما بين السماءَ والأرض، فيقول: وعزتي وجلالي ليرجِعنّ كلُ روح إلى جسده، فتدخُل الأرواحُ في الأرض إلى الأجساد فتدخُل في الخياشيم ثم تمشي في الإجساد كما يمشي السُمُّ في اللديغ، ثم تنشق الأرضُ عنهم، وأنا أولُ من تنشقّ الأرضُ عنه، فتخرجُون سِراعاً إلى ربكم تنسِلون» الحديث.

[حديث لقيط بن عامر الطويل عن علم الغيب]

وروى الإمامُ عبدُ الله بنُ الإمامِ أحمدَ في مسند أبيه[1] وفي كتاب السنة[2] له قال: كتب إليَّ إبراهيمُ بنُ حمزةَ بنِ محمد بنِ حمزةَ بنِ مُصعبِ بنِ الزُبيرِ الزُّبيريُّ: كتبتُ إليك بهذا الحديثِ وقد عرضتُه وسمعتُه على ما كتبتُ به إليك، فحدِّث بذلك عني، قال: حدثني عبدُ الرحمنِ بنُ المُغيرةِ الحزاميُّ قال: حدثنا

---

(١) (٤/ ١٣ ـ ١٤).

(٢) (٢/ ٤٨٥ ـ ٤٨٩ رقم ١١٢٠).

قلت: وأخرجه الطبراني في «الكبير» (١٩/ ٢١١ رقم ٤٧٧) وابن أبي عاصم في السنة (رقم: ٦٣٦).

وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٣٣٨ ـ ٣٤٠) وقال: «رواه عبد الله، والطبراني بنحوه، وأحد طريقي عبد الله إسنادها متصل، ورجالها ثقات. والإسناد الآخر وإسناد الطبراني مرسل عن عاصم بن لقيط أن لقيطاً» اهـ.

وقال الألباني في «ظلال الجنة» (١/ ٢٨٩): «**إسناده ضعيف**. وقد سبق الكلام عليه عندما ساقه المصنف ببعض متنه رقم (٥٢٤)» اهـ.

وقال الألباني أيضاً في المكان الذي أشار إليه: «**إسناده ضعيف**. دلهم بن الأسود وجده عبد الله بن حاجب، قال الذهبي: لا يعرفان. قلت: ومثلهما عبد الرحمن بن عياش الأنصاري وهو السمعي القبائي لم يوثقه غير ابن حبان. وفي «التقريب»: مقبول» اهـ.

عبدُ الرحمن بنُ عياشٍ الأنصاريُّ عن دَلْهم بنِ الأسودِ بن عبد الله بنِ حاجبِ بنِ عامرِ بنِ المُنتفقِ العقيليِّ عن أبيه عن عمه لقيطِ بنِ عامرٍ أنه خرج وافداً إلى رسول اللَّهِ ﷺ ومعه صاحبٌ له: نُهَيكُ بنُ عاصم بنِ مالكِ بنِ المنتفق، قال لقيطٌ: خرجتُ أنا وصاحبي حتى قدِمنا على رسول اللَّهِ ﷺ فوافيناه حين انصرف من صلاة الغداةِ، فقام في الناس خطيباً فقال: «**أيها الناسُ ألا إني قد خبأتُ لكم صوتي منذ أربعةِ أيام، ألا لتسمعوا اليومَ، ألا فهل امرئٌ بعثه قومُه فقالوا له: اعلم لنا ما يقول رسولُ اللَّهِ ﷺ؟ ألا ثَمَّ رجلٌ لعله يُلهيه حديثُ نفسِه أو حديثُ صاحبِه أو يلهيه ضالٌّ، ألا إني مسئولٌ، هل بلَّغتُ؟ ألا اسمعوا تعيشوا، ألا اجلِسوا. فجلس الناسُ، وقمتُ أنا وصاحبي حتى إذا فرَغ لنا فؤادُه ونظرُه قلت: يا رسولَ الله ما عندك من علم الغيبِ؟ فضحك فقال: ضنّ ربك بمفاتيحِ خمسٍ من الغيب لا يعلمها إلا اللَّهُ عز وجل، وأشار بيده، فقلت: ما هنّ يا رسولَ الله؟ قال: علمُ المنيّة، قد علم متى منيةُ أحدِكم ولا تعلمونه. وعلم المنيِّ حين يكون في الرحِم، قد علمه وما تعلمونه. وعلم ما في غدٍ، قد علم ما أنت صانعٌ ولا تعلمُه. وعلم يومَ الغيث، يشرف عليكم أزلين[1] مشفقين، فيظل يضحك قد علم أن غَوثَكم إلى قريب.**

قال لقيطٌ: فقلت لن نعدَم من رب يضحك خيراً يا رسولَ الله.

قال: وعلم يومَ الساعة. قلنا: يا رسولَ الله علِّمنا مما تعلِّم الناسَ وتَعْلَم، فإنا مِن قَبيل لا يُصدِّق تصديقَنا أحدٌ، من مذْحِجَ التي تدنو علينا، وخثْعمَ التي توالينا، وعشيرتنا التي نحن منها. قال: تَلْبَثون فيها ما لبِثتم، ثم يُتوفى نبيُّكم، ثم يُبعث الصيحةَ، فلَعَمرُ إلهِك ما تدع على ظهرها شيئاً إلا مات، والملائكةُ الذين مع ربك، فأصبح ربُك عز وجل يطوف في الأرض وخلت البلادُ، فأرسل ربُك السماءَ تهضِب من عند العرشِ، فلَعَمرُ إلهِك ما تدع على ظهرها من مصرَعِ قتيلٍ ولا مَدفِنِ ميتٍ إلا شَقّت القبرَ عنه حتى تُخْلِفَه من عند رأسِه، فيستوي جالساً، فيقول ربُك: مَهْيَم، لِما كان فيه، يقول: يا ربِّ أمسِ اليومَ ـ لعهده بالحياة يحسَبه حديثاً بأهله.

---

(١) الأزل: الشدة والضيق والجرب. (د. أحمد الحكمي).

فقلت: يا رسولَ الله فكيف يجمعنا بعد ما تمزّقنا الرياحُ والبلاءُ والسباع؟ قال: أُنبئك بمثل ذلك في آلاء اللَّهِ، الأرضُ أشرف عليها وهي في مَدَرة بالية، فقلتَ لا تحيا أبداً، ثم أرسل اللَّهُ عليها السماءَ فلم تلبث عليك إلا أياماً حتى أشرفت عليها وهي شَرَبَةٌ واحدةٌ، ولعَمرُ إلهِك لهو أقدرُ على أن يجمعَكم من الماء على أن يجمعَ نباتَ الأرضِ فتخرُجون من الأصواء[1] ومن مصارعكم، فتنظرون إليه وينظرُ إليكم.

قال قلت: يا رسولَ الله كيف ونحن ملءُ الأرض وهو شخصٌ واحدٌ ينظر إلينا وننظرُ إليه؟ قال: أُنبِئُك بمثل هذا في آلاء اللَّهِ، الشمسُ والقمرُ آيةٌ منه صغيرة وترَونها وترَيانِكم ساعةً واحدة ولا تُضامون في رؤيتهما.

قلت: فما يفعل بنا رُبنا إذا لقِيناه؟ قال: تُعرَضون عليه باديةً له صفحاتُكم لا تخفى عليه منكم خافيةٌ، فيأخذ ربُك عز وجل بيده غَرفةً من ماء فينضَح بها قِبلَكم، فلعمرُ إلهِك ما يُخطئ وجهَ أحدٍ منكم منها قطرةٌ، فأما المسلمُ فتدع وجَهه مثل الرَّيطةِ البيضاءِ، وأما الكافر فينضحه ـ أو قال فينطحه ـ تمثل الحميمَ الأسود، ألا ثم ينصرف نبيُكم ويتفرق على أثره الصالحون فيسلُكون جِسراً من النار يطأ أحدُكم الجمرةَ يقول حسن يقول ربك عز وجل أو إنّهْ، ألا فتطلُعون على حوض نبيُكم على أظمأِ واللَّهِ ناهلةٍ قطُّ ما رأيتَها، فلعمرُ إلهِك ما يبسُط أحدٌ منكم يَده إلا وقع عليها قدَحٌ يطهره من الطَوْف والبولِ والأذى، وتُحبس الشمسُ والقمر فلا ترَون منها واحداً.

قال قلت: يا رسولَ الله فيمَ نُبصر؟ قال: بمثل بصرِك ساعتَك هذه، وذلك مع طلوع الشمسِ في يوم أشرق الأرضُ وواجهت به الجبارَ. قال: قلت: يا رسول الله فبمَ نُجزي من حسناتنا وسيئاتِنا؟ قال ﷺ: الحسنةُ بعشر أمثالِها، والسيئةُ بمثلها إلا أن يعفوَ.

قال قلت: يا رسولَ الله ما الجنةُ وما النارُ؟ قال لعمر إلهِك إن النارَ لها سبعةُ أبوابٍ ما منها بابان إلا يسير الراكبُ بينهما سبعين عاماً. قلت: يا رسولَ الله فعلام

---

(١) الأصواء: القبور. أصلها من الصوى وهي الأعلام. (د. أحمد الحكمي).

نطلُع من الجنة؟ قال على أنهار من عسل مُصفى، وأنهارٍ من خمر ما بها صُداع ولا ندامةٌ، وأنهارٍ من لبن لم يتغيرً طعمهُ وماءٍ غيرِ آسِنٍ، وفاكهة، ولعَمرُ إلٰهك ما تعلمون وخيرٌ من مثله معه وأزواجٌ مطهرة. قلت: يا رسولَ الله أوَ لنا فيها أزواجٌ ومنهن المُصلَحاتُ؟ قال: المصلحاتُ للصالحين، وفي لفظ الصالحاتُ للصالحين تلَذّونهن ويلَذّونكم مثلَ لذّاتكم في الدنيا غيرَ أن لا تَوالُدَ، قال لَقيطٌ: فقلت يا رسولَ الله أقصى ما نحن بالغون ومنتهون إليه؟ فلم يُجبْه النبي ﷺ.

قال: قلت: يا رسولَ اللّهِ علامَ أبايُعك. فبسط النبيُ ﷺ يدَه وقال: على إقام الصلاةِ وإيتاء الزكاةِ وزيالِ المشرك وأنْ لا تُشركَ بالله إلهاً غيرَه.

قال: قلت: يا رسولَ اللّهِ وإن لنا ما بين المشرقِ والمغرب؟ فقبض رسولُ الله ﷺ يدَه وظن إني مشترطٌ ما لا يُعطينيهِ.

قال قلت: نحِلُ منها حيث شئنا ولا يَجني على امرئ إلا نفسُه.

فبسط يده وقال: لك ذلك تحِلّ حيث شئتَ ولا يجني عليك إلا نفسُك. قال فانصرفْنا عنه ثم قال: ها إنّ ذَينِ، ها إن ذين (مرتين)، من اتقى الناسَ في الأولى والآخرة. فقال له كعبُ بنُ الخِدارية أحدُ بني بكرِ بنِ كلابٍ: مَن هم يا رسول الله؟ قال: بنو المُنتِفق، بنو المنتفق أهلُ ذلك منهم قال: فانصرفنا.

وأقبلتُ عليه فقلت: يا رسولَ الله هل لأحد ممن مضى من خير في جاهليتهم؟ فقال رجلٌ من عُرْض قريشٍ: واللّهِ إن أباكَ المنتفقَ لفي النار. قال فكأنه وقع حرٌّ بين جلدِ وجهي ولحمِه مما قال لأبي على رؤوس الناسِ، فهمَمْتُ أن أقولَ: وأبوك يا رسولَ الله، ثم إذا الأخرى أجملُ فقلت: يا رسولَ اللّهِ وأهلُك؟ قال: وأهلي، لعَمرُ الله حيث ما أتيتَ على قبر (كافر) عامريٍّ أو قرشيٍّ أو دَوسي قل: أرسلني إليك محمد، فأبشِرْ بما يسوؤك، تُجرّ على وجهك وبطنِك في النار.

قال قلت: يا رسولَ الله وما فَعل بهم ذلك وقد كانوا على عمل لا يُحسنُون إلا إياه، وكانوا يحسبُون أنهم مصلحون؟ قال ﷺ: ذلك بأن الله بعث في آخر كلِّ سبعِ أممٍ نبياً فمن عصى نبيَّه كان من الضالّين، ومن أطاع نبيَّه كان من المهتدين».

ورواه إمامُ الأئمة محمدُ بنُ إسحاقَ بنِ خُزَيمةَ[1] قال: حدثنا محمدُ بنُ

---

(١) في «التوحيد» (ص١٨٦ ـ ١٩٠) وقد تقدم الكلام عليه آنفاً.

منصورِ الجوازُ أبو عبد الله قال: حدثنا يعقوبُ بنُ عيسى الزهريُّ قال: حدثنا عبدُ الرحمن بنُ المغيرةِ بنِ عبدِ الرحمن قال: حدثنا عبدُ الرحمنِ بنُ عياشٍ الأنصاريُّ ثم السَّمعيُّ عن دَلْهم بن الأسودِ بنِ عبدِ الله عن أبيه عن عمه لَقيطِ بنِ عامرٍ أنه خرج وافداً إلى رسول اللّهِ ﷺ ومعه نُهَيكُ بنُ عاصمِ بنِ مالكِ بنِ المنتفِقِ، قال: فقدِمنا المدينةَ لانسلاخ رجبٍ، فصلَّينا معه صلاةَ الغداةِ، فقام رسولُ الله ﷺ في الناس خطيباً، وذكر الحديثَ بنحو ما تقدم معَ مغايرةٍ في بعض الألفاظ.

[تعليق الحافظ ابن القيم على حديث لقيط بن عامر]

وقال الحافظُ ابنُ القيم بعد أن ساقه في الهدي(١) عن زوائد المسندِ: «هذا حديثٌ كبيرٌ جليلٌ تنادي جلالَتُه وفخامتُه وعظمتُه على أنه قد خرج من مشكاة النبوةِ لا يُعرف إلا من حديث عبدِ الرحمن بن المغيرةِ بنِ عبد الرحمن المدَنيِّ، رواه عنه إبراهيمُ بنُ حمزةَ الزُبيريُّ وهما من كبار علماءِ المدينةِ ثقتانِ محتَجٌّ بهما في الصحيح، احتج بهما إمامُ أهلِ الحديثِ محمدُ بنُ إسماعيلَ البخاريُّ، ورواه أئمةُ السنةِ في كتبهم وتلقَّوه بالقَبول وقابلوه بالتسليم والانقيادِ ولم يطعن أحدٌ منهم فيه ولا في أحد من رواته.

فممن رواه الإمامُ ابنُ الإمامِ أبو عبدِ الرحمنِ عبدُ الله بنُ أحمدَ بنِ حنبل في مسند أبيه، وفي كتاب السنة، وقال: كتب إليَّ إبراهيمُ بنُ حمزةَ بنِ مصعبِ بنِ الزبير الزُبيري: كتبتُ إليك بهذا الحديثِ وقد عرضتُه وسمعتُه على ما كتبتُ به إليك فحدّثْ به عني.

ومنهم الحافظُ الجليلُ أبو بكرٍ أحمدُ بنُ عمْرِو النبيلُ في كتاب «السنة» له.

ومنهم الحافظُ أبو أحمدَ محمدُ بنُ أحمدَ بنِ إبراهيمَ بنِ سليمانَ العسّالُ في كتاب «المعرفة».

ومنهم حافظُ زمانِه ومحدثُ أوانِه أبو القاسم سليمانُ بنُ أحمدَ الطبراني في كثير من كتبه.

---

(١) أي «زاد المعاد في هدي خير العباد» (٣/ ٦٧٧ ـ ٦٨٦).

ومنهم الحافظُ أبو محمدٍ عبدُ الله بنُ محمدِ بنِ حبانَ أبو الشيخ الأصبهانيُّ في كتاب «السنة».

ومنهم الحافظُ ابنُ الحافظِ أبو عبدِ الله محمدُ بنُ إسحاقَ بنِ محمدِ بنِ يحيى بنِ مِنْدَه حافظُ أصبهانَ.

ومنهم الحافظ أبو بكر أحمدُ بنُ موسى بنِ مِردَويهِ.

ومنهم حافظُ عصرِه أبو نُعيم أحمدُ بنُ عبدِ الله بنِ إسحاقَ الأصبْهاني وجماعةٌ من الحفاظ سواهم يطول ذكرُهم.

وقال ابنُ مِندَه: روى هذا الحديثَ محمدُ بنُ إسحاقَ الصنعانيُّ، وعبدُ الله بنُ أحمدَ بنِ حنبلٍ وغيرُهما. قد رواه بالعراق بمجمع العلماءِ وأهلِ الدين جماعةٌ من الأئمة منهم أبو زُرعةَ الرازيُّ وأبو حاتمٍ وأبو عبد اللّهِ محمدُ ابنُ إسماعيلَ ولم يُنكره أحدٌ ولم يتكلم في إسناده، بل روَوه عليه سبيل القَبولِ والتسليم، ولا ينكر هذا الحديثَ إلا جاهلٌ أو متجاهلٌ أو مخالفٌ للكتاب والسنة. هذا كلامٌ أبي عبد الله بنِ مندَه.

قلت: وقال ابنُ كثيرٍ[1] بعد إيرادِه في الوفود: «هذا حديثٌ غريبٌ جداً، وألفاظُه في بعضها نَكارةٌ، وقد أخرجه الحافظُ البيهقيُّ في كتاب «البعثِ والنشور»، وعبدُ الحقِّ الإشبيليُّ في «العاقبة»، والقُرطبيُّ في كتاب «التذكرةِ في أحوال الآخرة». انتهى.

[تفسير ابن القيم لغريب مفردات حديث لقيط بن عامر]

قلت: وقد تكلم ابنُ القيم عن غريب بعض مفرداتِه فقال رحمه الله تعالى: قولُه: «**تَهضِبُ**» أي تُمطر. و«**الأصواء**» القبورُ. و«**الشرَبَةُ**» بفتح الراءِ الحوضُ الذي يُجمع فيه الماء، [وبالسكون الحنْظة][2]، يريد أن الماءَ قد كثُر فمن حيث شئتَ

(١) في «البداية والنهاية» (٥/ ٧٤). وقال ابن كثير: «وسيأتي في كتاب البعث والنشور إن شاء الله تعالى» اهـ.

(٢) في «زاد المعاد» (٣/ ٦٧٨): [وبالسكون والياء: الحنظلة].

تشرب. وعلى رواية السكون يكون شبّه الأرضَ بخُضرتها بالنبات بخُضرة [الحِنطةِ][1] واستوائِها.

وقوله «**حس**» كلمةٌ يقولها الإنسانُ إذا أصابه على غفلة ما يحرقه أو يؤمله، قال الأصمعي: وهي مثلُ أوّه. وقوله: يقول عز وجل «أوْ إنَّهْ»، قال ابنُ قتيبةَ: فيه قولانِ أحدُهما أن يكون بمعنى نعم، والآخرُ أن يكون الخبرُ محذوفاً كأنه قال أنتم كذلك أو أنه على ما يقول: و«**الطّوف**» الغائط، وفي الحديث: «**لا يُصلِّ أحدُكم وهو يُدافعُ الطَّوْفَ والبوْلَ**»، و«**الجسر**» الصراط. وقولُه: فيقول ربُك «مَهْيم» أي ما شأنُك وما أمرُك وفيمَ كنت؟.

وقوله: «**يشرف عليكم أزْلين**» الأزلُ ـ بسكون الزاي ـ الشدة، والأزِلُ على وزن الكتِفِ هو الذي قد أصابه الأزْلُ واشتد به حتى كاد يقنَط. وقوله: «**فيظَلُّ يضحكُ**» هو في صفات أفعالِه سبحانه وتعالى التي لا يشبهه فيها شيءٌ من مخلوقاته كصفات ذاتِه. وقد وردت هذه القصةُ في أحاديثَ كثيرةٍ لا سبيلَ إلى ردها كما لا سبيلَ إلى تشبيهها وتحريفِها، وكذلك «فأصبح ربُك يطوف في الأرض» هو من صفات فعلِه كقوله: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ﴾ [الفجر: ٢٢] ـ ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ﴾ [الأنعام: ١٥٨] و«**ينزل ربُنا كلَّ ليلةٍ إلى سماء الدنيا**»[2] ـ «**ويدنو عشيةَ عرفةَ فيباهي بأهل الموقفِ الملائكةَ**»[3]. والكلامُ في الجميع صراطٌ واحدٌ مستقيمٌ: إثباتٌ بلا تمثيل، وتنزيهٌ بلا تحريفٍ ولا تعطيل.

وقوله: «**والملائكة الذين عند ربك**» لا أعلم موتَ الملائكةِ جاء في حديث صريحٍ إلا هذا وحديثَ إسماعيلَ بنِ رافعٍ الطويلِ في الصُّور، وقد يُستدل عليه بقولِه تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الزمر: ٦٨].

وقوله: «**فلعَمرُ إلٰهك**» هو قسمٌ بحياةِ الربِّ جل جلاله، وفيه دليلٌ على جواز الإقسام بصفاتِه وانعقادِ اليمينِ بها، وأنها قديمةٌ، وأنه يُطلق عليه منها أسماءُ

---

(١) في «زاد المعاد» (٣/ ٦٧٨): [الحنظلة].
(٢)(٣) تقدم تخريجهما في أحاديث النزول.

المصادرِ ويوُصف بها. وذلك قدرٌ زائدٌ على مجرد الأسماءِ وأن الأسماءَ الحسنى مشتقةٌ من هذه المصادرِ، دالةٌ عليها.

وقوله: «**ثم تجيء الصائحة**» هي صيحةُ البعثِ ونفختُه. وقوله: «**حتى يُخلِفَ من عند رأسه**» هو من أخلف الزرعُ إذا نبت بعد حصادِه، تشبيهُ النشئةِ الأخرى بعد الموتِ بخلاف الزرعِ بعد ما حُصد وتلك الخَلْفةِ من عند رأسه كما ينبُت الزرعُ. وقوله: «**فيستوي جالساً**» هذا عند تمامِ خِلقتِه وكمالِ حياتِه، ثم يقول بعد جلوسِه قائماً، ثم يساق إلى موقف القيامةِ إما راكباً وإما ماشياً.

وقوله: «**يقول يا رب أمس اليوم**» استقلالاً لمدة لُبْثِهِ في الأرض كأنه لبث فيها يوماً فقال أمسِ أو بعض، يوم فقال اليومَ يحسب أنه حديثُ عهدٍ بأهله، إنه إنما فارقهم أمسِ أو اليوم.

وقولُه: «**كيف يجمعنا بعد ما تمزقنا الرياحُ والبلاءُ والسباع**»؟ وإقرارُ رسولِ الله ﷺ له على هذا السؤالِ ردٌّ على مَن زعم أن القومَ لم يكونوا يخوضون في دقائق المسائل، ولم يكونوا يفهمون حقائقَ الإيمان، بل كانوا مشغولين بالعمليات، وأن أفراخَ الصابئةِ والمجوسِ من الجهْمية والمعتزلةِ والقدَرية أعرفُ منهم بالعمليات. وفيه دليلٌ أنهم كانوا يوردون على رسول الله ﷺ ما يُشكل عليهم من الأسئلة والشُبهات، فيُجيبهم عنها بما يُثلج صدورَهم وقد أورد عليه ﷺ الأسئلةَ أعداؤه وأصحابُه، أما أعداؤه فللتعنّت والمغالبة، وأما أصحابُه فلِلفَهم والبيانِ وزيادةِ الإيمان، وهو يجيب كلاًّ على سؤاله، إلا ما لا جوابَ عنه كسؤال عن وقت الساعة. وفي هذا السؤال دليلٌ على أنه سبحانه يجمع أجزاءَ العبدِ بعد ما فرّقها ويُنشِئُها نشأةً أخرى، أو يخلُقه خلقاً جديداً كما سموا في كتابه كذلك في موضعين منه.

وقوله: «**أنبئك بمثل ذلك في آلاء الله**» آلاؤُه نِعمُه وآياتُه التي تَعرّف بها إلى عباده.

وفيه إثباتُ القياس في أدلة التوحيدِ والمَعادِ، والقرآنُ مملوءٌ منه.

وفيه أن حُكمَ الشيءِ حكمُ نظيرِه، وأنه سبحانه إذا كان قادراً على شيء فكيف تعجزَ قدرتُه عن نظيره ومثلِه، فقد قرر اللّهُ سبحانه أدلةَ المعاد في كتابه

أحسنَ تقريرٍ وأبينَه وأبلغَه، وأوصله إلى العقول والفِطَر، فأبى أعداؤُه الجاحدون إلا تكذيباً له وتعجيزاً له وطعناً في حكمه، تعالى عما يقولون علوّاً كبيراً.

وقولُه في الأرض: «**أشرفتَ عليها وهي مَدَرةٌ بالية**» كقوله تعالى: ﴿وَيُحْيِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [الروم: ١٩]، وقوله: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ﴾ [فصلت: ٣٩].

﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ [الحج: ٥]، ونظائرهُ في القرآن كثيرةٌ.

وقولُه: «**فتنظرون إليه وينظر إليكم**» فيه إثباتُ صفةِ التجلّي لله عز وجل وإثباتُ النظرِ له وإثباتُ رؤيته في الآخرة ونظرِ المؤمنين إليه.

وقوله: «**كيف ونحن ملءُ الأرض وهو شخصٌ واحد**»، قد جاء هذا الحديثِ وفي قوله في حديث آخرَ: «**لا شخصَ أغيرُ من الله**»[(١)]، والمخاطبون بهذا قومٌ عربٌ يعلمون المرادَ منه ولا يقع في قلوبهم تشبيهُه سبحانه بالأشخاص، بل هم أشرفُ عقولاً وأصح أذهاناً وأسلمُ قلوباً من ذلك، وحقق ﷺ وقوعَ الرؤيةِ عِياناً برؤية الشمسِ والقمرِ تحقيقاً لها ونفياً لتوهم المجازِ الذي يظنه المعطّلون.

وقوله: «**فيأخذ ربُك بيده غَرفةً من الماء فينضَحُ بها قِبَلَكم**»، فيه إثباتُ صفة اليدِ لله عز وجل بقوله، وإثباتُ الفعل الذي هو النضْحُ. و«**الرَيْطة**» الملاءة. و«**الحُمم**» جمع حُمَمة وهي الفحمة.

وقوله: «**ثم ينصرف نبيكم**»، هذا انصرافٌ من موضع القيامة إلى الجنة.

وقوله: «**ويَفْرَق على أثره الصالحون**»، أي يفزعون ويمضون على أثره.

وقوله: «**فتطّلعون على حوض نبيِّكم**»، ظاهرُ هذا أن الحوضَ من وراء الجسرِ فكأنهم لا يصلون إليه حتى يقطعوا الجسرَ.

وقد روى البخاريُّ[(٢)] عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسولَ الله ﷺ قال: «**بينا أنا**

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (١١٣٦/٢ رقم ١٤٩٩) من حديث سعد بن عبادة. وعلقه البخاري (٣٩٩/٣ رقم الباب ٢٠) بصيغة الجزم.

(٢) في صحيحه (٤٦٥/١١ رقم ٦٥٨٧).

قائمٌ على الحوض إذا زُمرة، حتى إذا عرفتهُم خرج رجلٌ من بيني وبينهم فقال لهم: هلُم، فقلتُ: إلى أين؟ فقال: إلى النار واللّهِ. قلت: ما شأنهُم؟ قال: إنهم ارتدوا على أدبارهم فلا أراه يخلُص منهم إلا مثلُ هَمَلِ النَّعَم». قال فهذا الحديثُ مع صحته أدلُّ دليلٍ على أن الحوضَ يكون في الموقف قبل الصراط، لأن الصراطَ إنما هو جسرٌ ممدودٌ على جهنمَ فمن جازه سَلِم من النار.

قلت: وليس بين أحاديثِ رسولِ الله ﷺ تعارُضٌ ولا تناقضٌ ولا اختلاف، وحديثُه كلُه يُصدّق بعضه بعضاً، وأصحابُ هذا القولِ إن أرادوا أن الحوضَ لا يُرى ولا يوصل إليه إلا بعد قطع الصراطِ فحديثُ أبي هريرةَ هذا وغيرُه يردّ قولهم، وإن أرادوا أنَّ المؤمنين إذا جازوا الصراطَ وقطعوه بدا لهم الحوضُ فشربوا منه فهذا يدل عليه حديثُ لقيطٍ هذا وهو لا يناقض كونَه قبلَ الصراط، فإن قولَه: «طولُه شهرٌ وعَرضُه شهر»، فإذا كان بهذا الطوْلِ والسَّعةِ فما الذي يُحيل امتدادَه إلى وراء الجسرِ فيرِدُه المؤمنون قبلَ الصراطِ وبعده، فهذا في حيز الإمكانِ، ووقوعُه موقوفٌ على خبر الصادقِ، واللّهُ أعلم.

وقولُه: **«واللّهِ على أظمأ ناهلةٍ قطُّ»**، الناهلةُ العِطاشُ الواردون الماء، أي يرِدونه أظمأَ ما هم إليه، وهذا يناسب أن يكون بعد الصراطِ، فإنه جسرُ النار وقد وردوها كلُهم فلما قطعوه اشتدّ ظمأُهم إلى الماء فوَردوا حوضَه ﷺ كما وردوه في موقف القيامة.

وقولُه: **«تُحبس الشمسُ والقمر»**، أي تختفيان فتَحتبِسان ولا يُرَيانِ، والاحتباسُ التواري والاختفاء، ومنه قولُ أبي هريرةَ: «فانحبستُ».

وقولُه: **«ما بين البابين مسيرةُ سبعين عاماً»**، يحتمل أن يريدَ به ما بين الباب والبابِ هذا المقدارُ، ويحتمل أن يريد بالبابين المِصْراعين.

ولا يناقض هذا ما جاء من تقديره بأربعين عاماً لوجهين: أحدُهما: أنه لم يصرّحْ فيه راويه بالرفع بل قال: ولقد ذكر لنا أن ما بين المصراعين مسيرةَ أربعين عاماً، والثاني أن المسافةَ تختلف باختلاف سُرعةِ السيرِ فيها وبُطْئِه. واللّهُ أعلمُ.

وقولُه في خمر الجنة: **«ما بها صُداعٌ ولا ندامة»**، تعريضٌ بخمر الدنيا وما يلحق بها من صداع الرأس والندامة على ذهاب العقل والمالِ، وحصولِ الشرِّ الذي

يوجبه زوالُ العقل، و«ماءٍ غيرِ آسِن» هو الذي لم يتغير بطول مُكثِه.

وقوله في نساء الجنة: «**غيرَ أنْ لا توالُدَ**»، قد اختلف الناسُ هل تلد نساءُ أهلِ الجنة؟ على قولين: فقالت طائفةٌ: لا يكون فيها حَبلٌ ولا وِلادة، واحتجت هذه الطائفةُ بهذا الحديثِ، وبحديث آخرَ أظنه في المسند وفيه: «**غير أن لا مَنيَّ ولا منيّة**»[1].

وأثبتت طائفةٌ من السلف الوِلادةَ في الجنة واحتجت بما رواه الترمذيُّ في جامعه[2] من حديث أبي الصديقِ الناجي عن أبي سعيد قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**المؤمنُ إذا اشتهى الولدَ في الجنة كان حملُه ووضعُه وسِنُّه في ساعة كما يشتهي**» قال الترمذي: حسنٌ غريبٌ، ورواه ابنُ ماجه[3].

قالت الطائفةُ الأولى: هذا لا يدل على وقوع الولادةِ في الجنة فإنه علّقه بالشرط فقال إذا اشتهى، ولكنه لا يشتهي، وهذا تأويلُ إسحاقَ بنِ راهُويه حكاه البخاريُّ عنه، قالوا: والجنةُ دارُ جزاءٍ على الأعمال وهؤلاء ليسوا من أهل الجزاءِ، قالوا: والجنةُ دارُ خلودٍ ولا موتَ فيها، فلو توالد فيها أهلُها على الدوام والأوابدِ لما وسِعَتْهم، وإنما وسعتْهم الدنيا بالموت. وأجابت الطائفةُ الأخرى عن ذلك كلِه وقالت: «إذا» إنما تكون للمُحقَّق وقوعُه لا المشكوكِ فيه، وقد صح أنه سبحانه

---

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٨/ ١١٣ رقم ٧٤٧٩) من حديث أبي أمامة. أن رسول الله ﷺ سئل: أيجامع أهل الجنة؟ قال: «**دحاماً دحاماً ولكن لا مني ولا منية**».
قلت: في سنده «خالد بن يزيد بن عبد الرحمن بن أبي مالك» «ضعيف مع كونه كان فقيهاً، وقد اتهمه ابن معين» قاله: الحافظ في «التقريب» رقم (١٦٨٨).
وأخرجه الحسن بن سفيان في «مسنده» عن أبي أمامة أيضاً. وفي سنده: «علي بن يزيد الألهاني» ضعيف. «التقريب» رقم (٤٨١٧).
* وقوله: ولا مني ولا منية: أي: لا إنزال ولا موت.
وانظر: «زاد المعاد» (٣/ ٦٨٤ التعليقة رقم (١).
(٢) أي في سننه (٤/ ٦٩٥ رقم ٢٥٦٣) وقال: هذا حديث حسن غريب.
(٣) في السنن (٢/ ١٤٥٢رقم ٤٣٣٨).
قلت: وأخرجه أحمد (٣/ ٩، ٨٠) والدارمي (٢/ ٣٣٧) وابن حبان في (رقم: ٢٦٣٦ - موارد) وأبو الشيخ في «العظمة» (رقم: ٥٨٧).
قلت: للحديث شواهد ومتابعات.
وخلاصة القول أن الحديث حسن غريب كما قال الترمذي، والله أعلم.

يُنشئ في الجنة خلقاً ليُسكِنهم إياها بلا عمل، قالوا: وأطفالُ المسلمين أيضاً فيها بغير عملٍ، وأما من حيث سعتِها فلو رُزق كلُّ واحدٍ منهم عشرةُ آلافٍ من الولد وسِعتْهم، فإن أدناهم من ينظُر في ملكه مسيرةَ ألفيْ عامٍ.

وقوله: «**يا رسولَ الله أقصى ما نحن بالغون ومنتهون**»، لا جوابَ لهذه المسألة؛ لأنه إن أراد أقصى مدةِ الدنيا وانتهائِها فلا يعلمه إلا اللّهُ، وإن أراد أقصى ما نحن بالغون إليه بعد دخولِ الجنة والنار فلا تعلم نفسٌ أقصى ما يُنتهى إليه من ذلك، وإن كان الانتهاءُ إلى نعيم وجحيم؛ ولهذا لم يُجبْه النبيُّ ﷺ.

وقولُه في عقد البَيْعة: «**وزيال المشرك**» أي مفارقتَه ومعاداتَه فلا تجاورُه ولا تواليه، كما جاء في الحديث الذي في السنن: «**لا تُرى ناراهما**»[1] يعني المسلمين والمشركين.

وقوله: «**حيث ما مررتَ بقبر كافرٍ فقل: أرسلني إليك محمدٌ**»، هذا إرسالُ تقريعٍ وتوبيخٍ، لا تبليغِ أمرٍ ونهيٍ. وفيه دليلٌ على سماعِ أصحابِ القبورِ كلامَ الأحياء، وخطابِهم لهم، ودليلٌ على أن من مات مشركاً فهو في النار وإن مات قبل البِعثة، لأن المشركين كانوا قد غيّروا الحنيفية دين إبراهيمَ واستبدلوا بها الشِركَ وارتكبوه، وليس معهم حجةٌ من الله به، وقُبحُه والوعيدُ عليه بالنار لم يزل معلوماً من دين الرسلِ كلِّهم من أولهم إلى آخرهم، وأخبارُ عقوباتِ الله لأهله متداوَلةٌ بين الأمم قَرناً بعد قرْنٍ، فلله الحجةُ البالغةُ على المشركين في كل وقت، ولو لم يكن إلا ما فطَر عبادَه عليه من توحيد ربوبيتِه المستلزمِ لتوحيد إلٰهيَتِه وأنه يستحيل في كل فِطرةٍ وعقلٍ أن يكون معه إلهٌ آخرٌ، وإن كان سبحانه لا يعذب بمقتضى هذه الفطرةِ وحدها، فلم تزل دعوةُ الرسلِ إلى التوحيد في الأرض معلومةً لأهلها، فالمشركُ يستحق العذابَ بمخالفته دعوةَ الرسل. والله أعلم» اهـ.

---

(١) أخرجه أبو داود (٣/ ١٠٤ ـ ١٠٥ رقم ٢٦٤٥) والترمذي (٤/ ١٥٥ رقم ١٦٠٤) والنسائي (٨/ ٣٦ رقم ٤٧٨٠).

من حديث جرير بن عبد الله، أن رسول الله ﷺ قال: «**أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين**»، **قالوا: يا رسول الله، لم؟ قال: «لا تَرَاءى ناراهما»** بسند حسن.

وله طريق آخر بإسناد صحيح عند أحمد (٤/ ٣٦٥) والبيهقي (٩/ ١٣) بلفظ: «وتفارق المشرك».

وقال الألباني: حديث صحيح دون جملة «العقل».

فَصْل
[منكرو البعث على أربعة أصناف]

ثم مُنكرو البعثِ على أربعة أصنافٍ:

صنفٌ أنكروا المَبدأَ والمَعادَ، وزعَموا أن الأكوانَ تتصرف بطبيعتها فتُوجَد وتَعدَم بأنفسها، ليس لها ربٌ يتصرف فيها، إنما هي أرحامٌ تدْفَع وأرضٌ تبلع، وهؤلاء هم جمهورُ الفلاسفةِ الدهريةِ والطبائعية.

والصنفُ الثاني من الدهرية طائفةٌ يقال لهم الدَّوْريةُ، وهم منكرون للخالق أيضاً، ويعتقدون أن في كل سنةٍ وثلاثين ألفَ سنةٍ يعود كلُّ شيءٍ إلى ما كان عليه. وزعموا أن هذا قد تكرر مراتٍ لا تتناهى فكابروا في المعقول وكذَّبوا المنقول، قبّحهم اللّهُ تعالى. وهاتان الطائفتان يعُمُّهم قولُه عز وجل: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾ [الجاثية: ٢٤]، ولهذا عن السلف الصالحِ فيها تفسيران:

الأولُ: معنى قولِهم: ﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ أي يموت الآباءُ ويحيى الأبناءُ هكذا أبداً، وهو قولُ الطائفةِ الأولى.

والمعنى الثاني: أنهم عَنوا كونَهم يموتون ويحيون هم أنفسَهم، ويتكرر ذلك منهم أبداً ولا حسابَ ولا جزاءَ، بل ولا موجِدَ ولا مُعدِمَ ولا محاسب ولا مُجازِيَ، وهذا قولُ الدَّورية.

الصنف الثالث: الدهريةُ من مشركي العربِ ومن وافقهم، وهم مُقِرّون بالبَداءة وأن الله تعالى ربُّهم وخالقُهم ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [الزخرف: ٨٧]، ومع هذا قالوا: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ﴾ [الدخان: ٣٥]، فأقرّوا بالبَداءة والمُبْدِئ، وأنكروا البعثَ والمَعاد، وهم المذكورون في حديث أبي هريرةَ الصحيح: «**وأما تكذيبُه إياي فقولُه لن يُعيدَني كما بدأني، وليس أولُ الخلق بأهونَ عليّ من إعادته**»[1].

---

(١) تقدم تخريجه قريباً.

والصنفُ الرابعُ: ملاحدةُ الجهمية ومَن وافقهم، أقرّوا بمعاد ليس على ما في القرآن ولا فيما أخبرت به الرسلُ عن الله عز وجل، بل زعموا أن هذا العالَمَ يعدَمُ عدَماً مَحضاً، وليس المعادَ هو بل عالمٌ آخرُ غيرُه، فحينئذ تكون الأرضُ ـ التي تُحدّث أخبارَها، وتخبر بما عُمل عليها من خير وشر ـ ليست هي هذه، وتكون الأجسادُ التي تُعذَّب وتجازَى وتشهد على من عمِل بها المعاصيَ ليست هي التي أُعيدت بل هي غيرُها، والأبدانُ التي تنعم في الجنة وتُثاب ليست هي التي عمِلت الطاعةَ ولا أنها تحوّلت من حال إلى حال، بل هي غيرُها تبتدأ ابتداءً محضاً، فأنكروا معادَ الأبدانِ وزعَموا أن المعادَ بدَاءةٌ أُخرى!.

وما أحسن ما قاله ابنُ القيِّم رحمه اللَّهُ فيهم في كافيته[1]:

وقضى بأن اللَّهَ يجعل خلقَه	عدَماً ويقلِبُه وجوداً ثاني
العرشُ والكُرسيُّ والأرواحُ والـ	أملاكُ والأفلاكُ والقَمرانِ
والأرضُ والبحرُ المحيطُ وسائرُ الـ	أكوانِ من عَرضٍ ومن جُثمان
كلٌّ سيُفنيه الفناءُ المحضُ لا	يبقى له أثرٌ كظلٍ فانِ
ويُعيد ذا المعدومَ أيضاً ثانياً	محضُ الوجود إعادةً بزمان
هذا المَعادُ وذلك المَبدا لدى	جَهمٍ وقد نسَبوه للقرآن
هذا الذي قاد ابنَ سينا والأُلى	قالوا مقالتَه إلى الكفران
لم تقبل الأذهانُ ذا وتوهموا	أن الرسولَ عناه بالإيمان
هذا كتابُ الله أنَّى قال ذا	أو عبدُه المبعوثُ بالبرهان
أو صَحبُه من بعده أو تابعٌ	لهمو على الإيمان والإحسان
بل صرَّح الوحيُ المُبينُ بأنه	حقاً مُغيِّرُ هذه الأكوان
فيبدل اللَّهُ السماوات العُلى	والأرضَ أيضاً، ذانِ تبديلان
وهما كتبديل الجلودِ لساكني النـ	يرانِ عند النُضجِ من نيران
وكذاك يقبِضُ أرضَه وسماءَه	بيديه ما العَدَمانِ مقبوضان
وتحدِّث الأرضُ التي كُنّا بها	أخبارَها في الحشر للرحمن

---

(١) انظر: «شرح القصيدة النونية» المسماة «الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية»، شرحها وحققها: الدكتور: محمد خليل هراس (١/ ٣٣ ـ ٤٤).

وتظل تشهد وهي عدلٌ بالذي ... من فوقها قد أحدث الثقلان

أفيَشهدُ العدمُ الذي هو كاسمه ... لا شيءَ هذا، ليس في الإمكان

لكن تُسوَّى ثم تُبسط ثم تشـ ... ـهد تُبدَل وهي ذاتُ كيان

وتُمَدّ أيضاً مثلَ مدِّ أديمِنا ... من غير أوديةٍ ولا كُثبان

وتَقيءُ يوم العَرض من أكبادها ... كالأسطوان نفائسَ الأثمان

كلٌّ يراه بعينه وعِيانِه ... ما لامرئٍ بالأخذ منه يدان

وكذا الجبالُ تُفتّ فتًّا مُحكَما ... فتعودُ مثلَ الرملِ ذي الكُثبان

وتكون كالعِهن الذي ألوانه ... وصباغُه من سائر الألوان

وتُبَسّ بسّاً مثلَ ذاك فتنثني ... مثلَ الهَباءِ لناظر الإنسان

وكذا البحارُ فإنها مسجورةٌ ... قد فُجِّرت تفجيرَ ذي سلطانِ

وكذلك القمرانِ يأذَنُ ربُّنا ... لهما فيجتمعان يلتقيان

هذي مُكوَّرةٌ وهذا خاسفٌ ... وكلاهما في النار مطروحان

وكواكبُ الأفلاكِ تُنثَر كلُّها ... كلالئٍ نُثرت على ميدان

وكذا السماءُ تُشقّ شقًّا ظاهراً ... وتمور أيضاً أيّما مَوران

وتصير بعد الانشقاق كمثل هـ ... ـذا المُهل أو تكُ وردةً كدهان

والعرشُ والكرسيُّ لا يُفْنيهما ... أيضاً وإنهما لمخلوقان

والحورُ لا تفنى كذلك جنةُ ... المأوى وما فيها من الوِلدان

ولأجل هذا قال جهْمٌ إنها ... عدَمٌ ولم تُخلق إلى ذا الآنِ

والأنبياءُ فإنهم تحت الثرى ... أجسادُهم حُفظت من الديدان

ما لِلبلى بلحومهم وجسومِهم ... أبداً وهم تحت الترابِ يدان

وكذاك عَجْبُ الظهرِ لا يَبْلى، بلى ... منه تُركَّب خِلقةُ الإنسان

وكذلك الأرواحُ لا تَبلى كما ... تَبلى الجسومُ ولا بلى اللُّحمانِ

ولأجل ذلك لم يُقِرَّ الجهمُ ما ... الأرواحُ خارجةٌ عن الأبدان

لكنها من بعض أعراضٍ بها ... قامت وذا في غاية البُطلان

فالشأنُ للأرواح بعد فراقِها ... أبدانَها والله أعظمُ شان

إما عذابٌ أو نعيمٌ دائمٌ ... قد نعِمَتْ بالرَّوْح والريحان

وتصير طيراً سارحاً معَ شكلِها ... تجني الثمارَ بجنة الحَيَوان

وتـــظـــل واردةً لأنـــهـــارٍ بـــهـــا حـتـى تـعـودَ لـذلـك الـجُـثـمـانِ
لـكـنّ أرواحَ الـذيـن اسـتُـشـهـدوا فـي جـوف طـيـرٍ أخـضـرٍ ريّـان
فـلـهـم بـذاك مِـزيـةٌ فـي عـيـشـهـم ونـعـيـمِـهـم لـلـرُوح والأبـدان
بـذلـوا الـجـسـومَ لـربـهـم فـأعـاضـهـم أجـسـامَ تـلـك الـطـيـرِ بـالإحـسـان
ولـهـا قـنـاديلٌ إلـيـهـا تـنـتـهـي مـأوى لـهـا كـمـسـاكـن الإنـسـان
فـالـروحُ بـعـد الـموتِ أكـمـلُ حـالـةً مـنـهـا بـهـذي الـدارِ فـي جـثـمـان
وعـذابُ أشـقـاهـا أشـدُّ مـن الـذي قـد عـايـنـتْ أبـصـارُنـا بـعِـيـان
والـقـائـلـون بـأنـهـا عَـرَضٌ أبَـوا ذا كـلَّـه تـبًّـا لـذي نُـكـران
وإذا أراد الـلَّـهُ إخـراجَ الـورى بـعـد الـمـماتِ إلـى الـمَـعـاد الـثـانِ
ألقى على الأرض التي هم تحتها والـلَّـهُ مـقـتـدرٌ وذو سـلـطـان
مـطـراً غـلـيـظـاً أبـيـضـاً مـتـتـابـعـاً عَـشـراً وعـشـراً بـعـدهـا عَـشـران
فـتـظـل تـنـبُـت مـنـه أجـسـامُ الـورى ولـحـومُـهـم كـمـنـابـت الـريـحـان
حـتـى إذا مـا الأمُّ حـان ولادُهـا وتـمـخّـضـت فـنـفـاسُـهـا مُـتَـدان
أوحـى لـهـا ربّ الـسـمـا فـتـشـقّـقـتْ فـبـدا الـجـنـيـنُ كـأمـل الـشـبّـانِ
وتـخـلّـت الأمُّ الـوَلـود وأخـرجـت أثـقـالـهـا أنـثـى ومـن ذُكـران
والـلَّـهُ يُـنـشـئ خـلـقَـه فـي نـشـأةٍ أخـرى كـمـا قـد قـال فـي الـقـرآن
هـذا الـذي جـاء الـكـتـابُ وسـنـةُ الـهـ ـادي بـه فـاحـرصْ عـلـى الإيـمـان
مـا قـال إن الـلَّـهَ يُـعـدم خـلـقَـه طُـرّاً كـقـول الـجـاهـلِ الـحـيـران

[شرح أبيات ابن القيم المتقدمة]

قولُه: «هذا المعاد وذلك المبدا لدى جَهْمٍ» تقدم تقريرُه، وتقدم ترجمةُ جهْمٍ وبيانُ مذهبِه وعمن أخذه ومَن أخذ عنه[1].

وقوله: «وهو الذي قاد ابنَ سينا» هو أبو عليٍّ بنِ سينا[2]، واسمُه الحسنُ بنُ عبدِ الله، وهو رئيسُ الفلاسفةِ ومهذِّبُ مذهبِهم، له كتابُ (الإشارات) الذي هذَّب

(١) تقدم التعريف بجهم وبالجهمية وغير ذلك.
(٢) تقدم التعريف به.

فيه مذهبَ أرِسْطو[1] وقرّبه قليلاً إلى الأديان، وكان ـ فيما ذكر ابنُ القيم ـ يقول بقدم العالَم وإنكارِ المَعاد ونفي علمِ الربِّ تعالى وقدرتِه وخلقِه العالَم وبعثه مَن في القبور، وكان ابنُ سينا هذا تفقّه مذهبَ الفلاسفة من كتب الفارابيِّ[2] أبي نصرِ التركيِّ الفيلسوف، وكان الفارابيُّ هذا قبّحه اللَّهُ يقول بالمَعاد الرُوحاني لا الجثمانيِّ، ويخصص بالمعاد الأرواحَ العالِمةَ لا الجاهلة، وله مذاهبُ في ذلك يخالف المسلمين والفلاسفةَ مِن سلفه الأقدمين، وتحمل ذلك عنه ابنُ سينا ونصره.

وقد رد عليه الغزاليُّ[3] في (تهافت الفلاسفة) في عشرين مجلساً له، كفّره في ثلاث منها وهي قولُه بقدم العالم، وعدمِ المَعاد الجثماني، وقولُه: إن اللَّهَ لا يعلم الجُزئيات، وبدّعه في البواقي. قال ابنُ كثيرٍ: ويقال إنه تاب عند الموتِ، فاللَّهُ أعلمُ.

قوله رحمه الله: **«والألُى قالوا مقالتَه إلى الكفران»**، يعني بذلك أتباعَ ابنِ سينا وأنصارَ زندقتِه، ومن أكبرهم وأشهرِهم النصيرُ الطوسيُّ[4] واسمُه محمدُ بنُ عبدِ الله، ويقال له الخواجا نصير الدين، فإنه انتَدب لنصر مذهبِ ابنِ سينا والذبِّ عنه، وقام في ذلك وقعد، وشرح إشاراتِه وكان يسمّيها فيما يزعُمون قرآنَ الخاصة، ويسمي كتابَ الله تعالى قرآنَ العامة، وردَّ على الشهرستاني[5] في مصارعته ابنَ سينا بكتاب

---

(١) تقدم التعريف به.

(٢) تقدم التعريف به.

(٣) هو محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الشافعي، المعروف بالغزالي (زين الدين، حجة الإسلام أبو حامد) حكيم، متكلم، فقيه، أصولي، صوفي، من تصانيفه «تهافت الفلاسفة» و «الوجيز» في فروع الفقه الشافعي. و «المستصفى» في «أصول الفقه».
ولد سنة (٤٥١هـ) وتوفي سنة (٥٠٥هـ).
[النجوم الزاهرة (٥/٢٠٣) ومعجم المؤلفين (١١/٢٦٦ ـ ٢٦٩)].

(٤) يراجع لحقيقة النصير الطوسي التعليق على «المنتقى من ميزان الاعتدال» (ص٢٠) (د. أحمد الحكمي).

(٥) هو محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني، نسبة إلى بلدة «شهرستان، مسقط رأسه ومثوى رفاته.
=

سماه «مصارعة المصارع»، قال: وقفْنا على الكتابين، نص فيه أن اللّهَ تعالى لم يَخْلُق السمواتِ والأرضَ في ستة أيام، وأنه لا يعلم شيئاً، وأنه لا يفعل شيئاً بقدرته واختياره، ولا يبعث مَن في القبور. وذكر عنه أنه تعلم السِحرَ في آخر الأَمرِ فكان ساحراً يعبد الأصنامَ، إلى أن قال: وبالجملة فكان هذا الملحدُ هو وأتباعُه من الكافرين بالله وملائكتِه وكتبِه ورسلِه واليومِ الآخر.

قلت: وكان الطوسيُّ هذا فيما ذكر أهلُ التاريخ وزيراً لهولاكو خان وهو الذي بنى الرصْدَ بَمراغةَ ورتب فيه الحكماءَ من الفلاسفة والمتكلمين والأطباء وغيرهم، ونقل إليها أوقافَ المسلمين من النفقات والمكاتبِ وغيرِها.

قال ابنُ كثير[1] رحمه الله تعالى: «إنه عمِل الرصدَ بمدينة مَراغةَ سنة سبعٍ وخمسين وستمائة، فعمِل دارَ حكمةٍ ورتَّب فيها فلاسفةً ورتَّب لكل واحدٍ في اليوم والليلة ثلاثةَ دراهمَ. ودارَ طبٍّ فيها للطبيب في اليوم دِرهمانِ، ومدرسةً لكل فقيهٍ في اليوم درهم، ودارَ حديثٍ لكل محدّثٍ نصفُ درهمٍ في اليوم».

وقد أطال ابنُ القيم رحمه الله تعالى في الكلام عليه فليراجع. وأما هولاكو خان ملكُ التتارِ الذي كان الطوسيُّ وزيراً له فذكر ابنُ كثيرٍ[2] هلاكَه في سنة أربعٍ وستين وستمائة وقال: «كان ملكاً جباراً كفَّاراً لعنه الله تعالى، قتل من المسلمين شرقاً وغرباً ما لا يعلم عددَهم إلا الذي خلقهم، وسيجازيه على ذلك شرَّ الجزاء. كان لا يتقيد بدين من الأديان، وإنما كانت زوجتُه ظَفَر خاتونَ قد تنصّرت، وكانت

= ولد في الراجح سنة (٤٧٩هـ) وتوفي في شعبان سنة (٥٤٨هـ). وبذلك يكون قد عاش قرابة السبعين سنة.

والشهرستاني من حيث المذهب شافعي، ومن حيث الأصول أشعري، يذب عن آراء الفلاسفة، وقال فيه ابن السمعاني: «إنه كان متهماً بالميل إلى أهل القلاع ـ يعني الإسماعيلية ـ والدعوة إليهم، غال في التشيع».

من مؤلفاته: «الملل والنحل» و «مصارعة الفلاسفة» وغيرهما.

انظر: «وفيات الأعيان» لابن خلكان (٤/ ٢٧٣ ـ ٢٧٥) و «لسان الميزان» (٥/ ٢٦٣) و «الشذرات» (٤/ ١٤٩).

(١) في «البداية والنهاية» (١٣/ ٢٢٨).

(٢) في «البداية والنهاية» (١٣/ ٢٦٢).

تفضّل النصارى على سائر الخلق. وكان أهلُها من أفراخ الفلاسفةِ لهم عنده وجاهةٌ ومكانةٌ، وهو كان يترامى على محبة المعقولاتِ ولا يتصور منها شيئاً. وإنما كان هِمّتُه في تدبير المُلك وتملُّكِ البلاد شيئاً فشيئاً، حتى أباده اللَّهُ في هذه السنة، وقيل في سنة ثلاثٍ وستين ودفن في مدينة تلا، لا رحمه الله تبارك وتعالى».

وقولُ ابنِ القيّم رحمه الله:

بل صرّح الوحيُ المبينُ بأنَّه ... حقاً مغيِّرُ هذه الأكوانِ. إلخ

يشير بذلك إلى قول اللَّهِ عز وجل: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ [إبراهيم: ٤٨] الآيات، وإلى ما في الصحيحين[(١)] من حديث أبي حازمٍ عن سهل بنِ سعدٍ رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «**يحشر الناسُ يوم القيامة على أرضٍ بيضاءَ عفراءَ كقُرْصة النَقِيِّ ليس فيها مَعْلَمٌ لأحد**».

وفي صحيح البخاريِّ[(٢)] عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**تكون الأرضُ يوم القيامةِ خُبزةً واحدةً يتكفؤُها الجبارُ بيده كما يتكفأ أحدُكم خبزتَه في السفر نُزلاً لأهل الجنة**».

وفي صحيح مسلم[(٣)] عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: أنا أولُ الناسِ سأل رسولَ الله ﷺ عن هذه الآية: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ [إبراهيم: ٤٨]، **قالت: قلت: أين الناسُ يومئذ يا رسولَ الله؟ قال: «على الصراط»**.

وفيه[(٤)] من حديث اليهوديِّ الذي سأل رسولَ الله ﷺ: أين يكون الناسُ يوم تبدل الأرضُ غيرَ الأرضِ والسموات؟ فقال رسولُ الله ﷺ: «**هم في الظُلمة دون الجِسر**» الحديث.

---

(١) البخاري (١١/٣٧٢ رقم ٦٥٢١)، ومسلم (٤/٢١٥٠ رقم ٢٧٩٠).
* النَقِيِّ: بفتح النون وكسر القاف، أي الدقيق النقي من الغش والنخال. قاله الخطابي.
(٢) (١١/٣٧٢ رقم ٦٥٢٠).
قلت: وأخرجه مسلم (٤/٢١٥١ رقم ٢٧٩٢).
(٣) في صحيحه (٤/٢١٥٠ رقم ٢٧٩١).
(٤) أي في صحيح مسلم (١/٢٥٢ رقم ٣١٥).

ولابن جريرٍ الطبريِّ[1] رحمه الله تعالى عن أبي أيوبَ الأنصاريِّ رضي الله عنه أن حَبْراً من اليهود سأل النبيَّ ﷺ فقال: أرأيتَ إذ يقول الله تعالى في كتابه: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ [إبراهيم: ٤٨] فأين الخلقُ عند ذلك؟ فقال: «**أضيافُ الله، فلن يُعجِزَهم ما لديه**»، ورواه ابنُ أبي حاتم[2] أيضاً.

وفي حديث الصُّورِ الطويل[3] عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «**يبدِّل اللّهُ الأرضَ غيرَ الأرضِ والسمواتِ، فيبسُطُها ويَمُدُّها مدَّ الأديم العُكاظيِّ، لا ترى فيها عِوجاً ولا أمْتاً، ثم يزجُر اللّهُ الخلقَ زجْرةَ فإذا هم في هذه المُبَدَّلة**». وهذا هو الذي أشار رحمه الله تعالى إليه بقوله: وتُمد أيضاً مثلَ مدِّ أديمِنا إلخ البيت.

وقوله: **وهما كتبديل الجلودِ لساكني النيران إلخ**، يشير إلى قول اللّهِ تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ﴾ [النساء: ٥٦]. ووجهُ المشابهةِ بين التبديلين أن جلودَ الكفارِ كلما احترقت قيل لها عودي فعادت كما كانت، ومعنى قوله: «غيرَها» أي صارت غيرَها لِعَوْدها بعد ما نضِجت واحترقت، وإلا فهي هي التي عملت المعاصيَ في الدنيا، وبها تُجازَى في الآخرة.

وقال ابنُ عباس[4] رضي الله عنهما يُبدَّلون جلوداً بيضاً أمثالَ القراطيسِ، يعني تُجدَّد لهم الجلودُ التي نضِجت كذلك لِيتجدَّدَ لهم العذابُ أبداً والعياذُ بالله، وكذلك تبديلُ الأرضِ والسمواتِ، هو تغييرُها من حال إلى حال وإلا فهي هيَ. والله أعلم.

وقولُه رحمه الله تعالى: **وكذلك يقبِض أرضَه وسماءَه بيديه إلخ**. يشير إلى قول الله تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]. وقوله عز وجل: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧].

---

(١) في «جامع البيان» (٨/ج١٣/ ٢٥٣ ـ ٢٥٤).
(٢) في تفسيره (٧/ ٢٢٥٣ رقم ١٢٣١٢) **بسند ضعيف لضعف ابن أبي مريم**.
(٣) سيأتي تخريجه.
(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٤/ج٥/ ١٤٢) عن ابن عمر.
وأورده ابن كثير في تفسيره (١/ ٥٢٦) عن ابن عمر وعزاه لابن أبي حاتم.

وفي الصحيحين[1] عن ابن مسعود ﵁ قال: جاء رجلٌ من الأحبار إلى رسول اللَّهِ ﷺ فقال: يا محمدُ إنا نجد أن اللَّهَ عز وجل يجعل السمواتِ على إصبَع، والأرَضين على إصبع، والشجرَ على إصبع، والماءَ والثرى على إصبع، وسائرَ الخلق على إصبع، فيقول: أنا الملِكُ. فضحك رسولُ الله ﷺ حتى بدت نواجذُه تصديقاً لقول الحبر، ثم قرأ رسولُ الله ﷺ: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الزمر: ٦٧] الآية.

وللإمام أحمدَ[2] والترمذيِّ[3] رحمهما الله، عن ابن عباس ﵄ قال: مرّ يهوديٌ برسول الله ﷺ وهو جالسٌ فقال: كيف تقول يا أبا القاسم يومَ يجعل اللَّهُ سبحانه وتعالى السماءَ على ذِهِ؟ وأشار بالسبابة، والأرضَ على ذه، والجبالَ على ذِهِ، وسائرَ الخلق على ذه، كلُ ذلك ويشير بأصابعه، قال فأنزل الله عز وجل: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧] الآية.

وفي الصحيحين[4] أيضاً عن أبي هريرةَ ﵁ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: **«يقبِض اللَّهُ تعالى الأرضَ ويطوي السماءَ بيمينه ثم يقول: أنا الملكُ أين ملوكُ الأرض»**.

وفيهما[5] عن ابن عمرَ ﵄ عن رسول اللَّهِ ﷺ قال: **«إن اللَّهَ تبارك وتعالى يقبِض يومِ القيامة الأرَضينَ على إصبع وتكون السمواتُ بيمينه ثم يقول: أنا الملك»**.

---

(١) البخاري (٨/ ٥٥٠ ـ ٥٥١ رقم ٤٨١١)، ومسلم (٤/ ٢١٤٧ رقم ٢٧٨٦).

(٢) في «المسند» رقم (٢٢٦٧ ـ شاكر) وقال أحمد شاكر: إسناده ضعيف لضعف حسين بن حسن الأشقر.
قلت: تابعه محمد بن الصلت عند الترمذي.

(٣) في «السنن» (٥/ ٣٧١ رقم ٣٢٤٠). وقال: «هذا حديث حسن غريب صحيح، لا نعرفه من حديث ابن عباس إلاّ من هذا الوجه» اهـ.
وخلاصة القول أن الحديث صحيح، والله أعلم.

(٤) البخاري (٨/ ٥٥١ رقم ٤٨١٢)، ومسلم (٤/ ٢١٤٨ رقم ٢٧٨٧).

(٥) أي في البخاري (١٣/ ٣٩٣ رقم ٧٤١٢)، ومسلم (٤/ ٢١٤٨ رقم ٢٧٨٨).

وفي لفظ لمسلم[1]: «**يأخذ الله تبارك وتعالى سماواتِه وأرضه بيده ويقول: أنا الملك ـ ويقبِض أصابعَه ويبسُطُها ـ أنا الملك، حتى نظرتُ إلى المنبر يتحرك من أسفلِ شيءٍ منه حتى إني لأقولُ أساقطٌ هو برسول اللّهِ ﷺ**».

ولفظ أحمدَ[2] رحمه الله تعالى عن ابنِ عمرَ رضي الله عنهما قال: «إن رسولَ اللّهِ ﷺ قرأ هذه الآيةَ ذات يوم على المنبر: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧] ورسولُ الله ﷺ يقول هكذا بيده يحرّكها يُقبل بها ويُدبر: **يمجّد الربُّ نفسَه: أنا الجبارُ أنا المتكبرُ أنا الملكُ أنا العزيزُ أنا الكريم، فرجَف برسول اللّهِ ﷺ المِنبرُ حتى قلنا لَيخِرَّنَّ به**».

ولابن أبي حاتم[3] عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: يطوي اللّهُ السمواتِ السبعَ بما فيها من الخليقة، والأرضين السبعَ بما فيها من الخليقة، يطوي ذلك كلَّه بيمينه، يكون ذلك كلُه في يده بمنزلة خَرْدلة.

وقوله رحمه الله تعالى: «**وتحدّث الأرضُ التي كنا بها أخبارَها إلخ**»، يشير إلى قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝٥﴾ [الزلزلة].

وروى الإمامُ أحمدُ[4] والترمذيُّ[5] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قرأ رسولُ الله ﷺ

---

(١) في صحيحه (٤/ ٢١٤٨ رقم ٢٥/ ٢٧٨٨).

(٢) في المسند (٢/ ٧٢) بسند صحيح.

(٣) في تفسيره (١٠/ ٣٢٥٦ رقم ١٨٤١٠) وانظر: «الدر المنثور» (٧/ ٢٤٧ ـ ٢٤٨).

(٤) في المسند (٢/ ٣٧٤).

(٥) في السنن (٤/ ٦١٩ رقم ٢٤٢٩) و(٥/ ٤٤٦ رقم ٣٣٥٣).

قلت: وأخرجه النسائي في التفسير (رقم ٧١٣) وابن حبان (رقم: ٢٥٨٦ ـ موارد) والحاكم (٢/ ٢٥٦) و(٢/ ٥٣٢) وصححه، وسكت عنه الذهبي في الموضع الأول، وتعقبه في الموضع الثاني بقوله: «يحيى هذا منكر الحديث، قاله البخاري». وأخرجه البغوي في «معالم التنزيل» (٨/ ٥٠٢) وفي «شرح السنة» (١٥/ ١١٧ رقم ٤٣٠٨) كلهم من حديث سعيد بن أبي أيوب عن يحيى بن أبي سليمان، عن سعيد المقبِري عن أبي هريرة.

وله شاهد أخرجه الطبراني في «الكبير» (٥/ ٦٥ رقم ٤٥٩٦) من حديث ابن لهيعة عن الحارث بن يزيد سمع ربيعة الجرشي يقول: إن رسول الله ﷺ قال: «استقيموا ونعمًا إن استقمتم وحافظوا على الوضوء، فإن خير عملكم الصلاة، وتحفَّظوا من الأرض فإنها=

هذه الآية: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ [الزلزلة: ٤]، قال: **«أتدرون ما أخبارُها؟ قالوا: اللَّهُ ورسولُه أعلمُ. قال: فإن أخبارَها أن تشهَدَ على كل عبدٍ أو أَمةٍ بما عمِل على ظهرها، أن تقولَ عمِلَ كذا وكذا يومَ كذا وكذا. فهذا أخبارُها»**، ثم قال الترمِذي: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ غريب.

وفي معجم الطبَرانيّ[١] من حديث ابنِ لَهيعةَ، حدثني الحارثُ بنُ يزيدَ سمع ربيعةَ الجرشيّ أن رسولَ الله ﷺ قال: **«تحفَّظوا من الأرض فإنها أُمُّكم، وإنه ليس من أحد عاملٍ عليها خيراً أو شراً إلا وهي مُخبِرَةٌ»**.

وقال البخاريُّ[٢] رحمه الله تعالى: «أوحى لها وأوحى إليها، ووحَى لها ووحَى إليها واحد». وكذا قال ابنُ عباس.

وعنه[٣] رضي الله عنه قال: «قال لها ربُّها قولي فقالت».

وقال مجاهد[٤]: «أوحى لها أي أمرَها».

وقولُه رحمه الله تعالى:

وتَقيءُ يومَ العَرضِ من أكبادها ... كالأُسطوان نفائسَ الأثمان

كلٌّ يراه بعينه إلخ. يشير إلى قول اللَّهِ عز وجل: ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ [الزلزلة: ٢]، وإلى ما رواه مسلمٌ[٥] رحمه الله تعالى في صحيحه عن أبي هريرةَ

= أمكم، وإنه ليس من أحد عامل عليها خيراً أو شراً إلا وهي مخبرة».
وربيعة الجرشي هذا مختلف في صحبته ـ كما في «التقريب».
وقال الهيثمي في «المجمع» (١/ ٢٤١): «وفيه ابن لهيعة وهو ضعيف».
وانظر: «الكافي الشاف» (ص١٨٦ ـ ١٨٧ رقم ٣٥٠). و«الدر المنثور» (٨/ ٥٩٢).
وخلاصة القول أن الحديث حسن، والله أعلم.

(١) «الكبير» (٥/ ٦٥ رقم ٤٥٩٦) وفيه ابن لهيعة وهو ضعيف. وربيعة الجرشي مختلف في صحبته. وقد تقدم تخريجه والكلام عليه في التعليقة المتقدمة.
(٢) ذكره ابن كثير في تفسيره (٤/ ٥٧٦ ـ ٥٧٧).
(٣) أي عن ابن عباس أخرجه الطبري في «جامع البيان» (١٥/ج٣٠/ ٢٦٦).
(٤) أخرجه الطبري في «جامع البيان» (١٥/ج٣٠/ ٢٦٧).
(٥) في صحيحه (٢/ ٧٠١ رقم ١٠١٣).
* أمثال الأسطوان جمع أسطوانة، وهي السارية والعمود. وشبهه بالأسطوانة لعظمه.

رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**تُلقي الأرضُ أفلاذَ كبدِهَا أمثالَ الأُسطوانِ من الذهبِ والفضَّة، فيجيءُ القاتل فيقول: في هذا قتلت، ويجيء القاطع فيقول: في هذا قطعتُ رحمي، ويجيء السارقُ فيقول: في هذا قُطِعَتْ يَدي، ثم يدَعونَهُ فلا يأخذونَ منه شيئاً**».

وقولُه: «**وكذا الجبالُ تُفتّ فتاً مُحكماً إلخ**»، يشير إلى قول اللّهِ عز وجل: ﴿وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾﴾ [طه].

وقولِه عز وجل: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ [النمل: ٨٨]، الآية.

وقولِه عز وجل: ﴿وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴿٦﴾﴾ [الواقعة].

وقولِهِ عز وجل: ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ﴾ [المعارج: ٩].

وفي آية القارعة ﴿كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ﴾ [القارعة: ٥].

وقولِه عز وجل: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا﴾ [المزمل: ١٤].

وقوله عز وجل: ﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ﴾ [المرسلات: ١٠].

وقوله عز وجل: ﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾ [التكوير: ٣].

وقولِه عز وجل: ﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ [النبأ: ٢٠].

وقولِه عز وجل: ﴿وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً﴾ [الحاقة: ١٤].

وقولِه عز وجل: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ [الكهف: ٤٧]، وما في معانيها من الآيات.

قال ابنُ عباس[(١)] رضي الله عنهما: سأل رجلٌ من ثَقيفٍ رسولَ الله ﷺ: كيف تكون الجبالُ يوم القيامة؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ﴾ [طه: ١٠٥]، أي هل تبقى يوم القيامة أو تزول ﴿فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا﴾ [طه: ١٠٥]، أي يُذهبها عن أماكنها، ويُسيّرها تسييراً فيذرُها أي الأرضَ قاعاً صفصفاً أي بسطاً واحداً،

---

(١) ذكره البغوي في «معالم التنزيل» (٥/ ٢٩٤) و «روح المعاني» للألوسي (١٦/ ٢٦١).

والقاعُ هو المنبسطُ المستوي من الأرض، والصفصَفُ الأملسُ. ﴿لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا﴾ [طه: ١٠٧]: أي لا ترى في الأرض يومئذ وادياً ولا رابيةً ولا صَدْعاً ولا أكَمةً ولا مكاناً منخفضاً ولا مرتفعاً. كذا قال ابنُ عباس[١] وعِكرِمةُ[٢] ومجاهدٌ[٣] والحسنُ البصْريُّ والضحاك وقَتادةُ وغيرُ واحدٍ من السلف رحمهم اللّهُ تعالى»[٤].

وقولُه تعالى: ﴿تَحْسَبُهَا جَامِدَةً﴾ [النمل: ٨٨]، أي قائمةً وواقفةً ﴿وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ [النمل: ٨٨] أي تسير سيرَ السحابِ حتى تقعَ على الأرض.

قال البغوي[٥] رحمه الله تعالى: «وذلك أن كلَّ شيءٍ عظيم وكلَّ جمعٍ كثيرٍ يقصُر عنه البصرُ لكثرته وبُعدِ ما بين أطرافِه، فهو في حُسبان الناظر واقفٌ وهو سائرٌ، كذلك سيرُ الجبال لا يُرى يوم القيامةِ لعِظَمها، كما أن سيرَ السحابِ لا يُرى لِعظمه وهو سائرٌ».

وقال ابنُ عباس ومجاهدٌ وعِكرِمةُ وقَتادةُ وغيرُهم في قوله تعالى: ﴿وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا﴾ [الواقعة: ٥]: أي فُتِتَتْ فتّاً[٦].

---

(١) أخرجه الطبري في «جامع البيان» (٩/ج١٦/ ٢١٢) **بسند منقطع علي بن أبي طلحة لم يسمع من ابن عباس.**

(٢) أخرجه الطبري في «جامع البيان» (٩/ج١٦/ ٢١٢).

(٣) أخرجه الطبري في «جامع البيان» (٩/ج١٦/ ٢١٢).

(٤) ذكر ذلك ابن كثير في تفسيره (٣/ ١٧٤).
وقال الطبري (٩/ج١٦/ ٢١٣): «وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: عني بالعوج: الميل، وذلك أن ذلك هو المعروف من كلام العرب. فإن قال قائل: وهل في الأرض اليوم عوج؟ فيقال: لا ترى فيها يومئذٍ عوجاً. قيل: إن معنى ذلك: ليس فيها أودية وموانع تمنع الناظر أو السائر فيها عن الأخذ على الاستقامة كما يحتاج اليوم من أخذ في بعض سبلها إلى الأخذ يميناً، وأحياناً شمالاً، لما فيها من الجبال والأودية والبحار.
وأما الأمت فإنه عند العرب: الانثناء والضعف، مسموع منهم،... فالواجب إذا كان ذلك معنى «الأمت» عندهم أن يكون أصوب الأقوال في تأويله ولا ارتفاع ولا انخفاض...» اهـ.

(٥) في «معالم التنزيل» (٦/ ١٨٣).

(٦) ذكره ابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٣٠٣).
* وأخرج ابن جرير في «جامع البيان» (١٣/ج٢٧/ ١٦٨) **أثر ابن عباس بسند منقطع.**
* وأخرج ابن جرير في «جامع البيان» (١٣/ج٢٧/ ١٦٨) أثر مجاهد.
* وأخرج ابن جرير في «جامع البيان» (١٣/ج٢٧/ ١٦٨) أثر عكرمة.

وقال عطاءٌ ومجاهدٌ ومقاتلٌ: فصارت كالدقيق المبسوس، وهو المبلول[1].

قال سعيدُ بنُ المسيِّب والسُدّيُّ: كُسِرت كسراً.

وقال الكلْبيُّ: سُيِّرتْ على وجه الأرضِ تسييراً.

وقال الحسن: قُلعت من أصلها فذَهبتْ. ونظيرُها: ﴿فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا﴾ [طه: ١٠٥].

وقال ابنُ كَيسانَ: جُعلت كثيباً مهيلاً بعد أن كانت شامخةً طويلة، ﴿فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا﴾ [الواقعة: ٦] غباراً متفرّقاً كالذي يُرى في شعاع الشمسِ إذا دخل الكُوّةَ وهو الهَباءُ.

وقال أبو إسحاقَ عن الحارث عن عليٍّ[2] رضي الله عنه ﴿هَبَآءً مُّنۢبَثًّا﴾: كرهَج الغُبار يسطَع ثم يذهب فلا يبقى منه شيءٌ.

وقال العَوفي عن ابن عباس[3]: الهَباءُ يطير من النار إذا أضرمت، يطير منه الشررُ، فإذا وقع لم يكن شيئاً.

وقال عِكرِمةُ[4]: المنبثُّ الذي قد ذرَّتْه الريحُ وبثّته.

وقال قَتادةُ[5]: هباءً منبثاً، كيبيس الشجرِ الذي تذروه الرياحُ.

وقال مجاهدٌ وعِكرِمةُ وسعيدُ بنُ جبير والحسنُ وقتادةُ وعطاءٌ الخُراساني والضحّاك والسُدي: «العِهْنُ الصوفُ»[6].

وقال البغوي[7]: كالصوف المصبوغ، ولا يقال عِهنٌ إلا للمصبوغ.

---

(١) انظر: «جامع البيان» (١٣/ج٢٧/١٦٧).

(٢) ذكره ابن كثير في تفسيره (٤/٣٠٣) بسند ضعيف.
الحارث هو الأعور صاحب علي، كذّبه الشعبيُّ في رأيه، ورُمِيَ بالرَّفض، وفي حديثه ضعف، وليس له عند النسائي سوى حديثين. «التقريب» رقم (١٠٢٩).

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٣/ج٢٧/١٦٩) بسند ضعيف.

(٤) ذكره ابن كثير (٤/٣٠٣).

(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٣/ج٢٧/١٦٩).

(٦) ذكر ذلك ابن كثير في تفسيره (٤/ ٥٨٠).

(٧) في «معالم التنزيل» (٨/ ٥١٣).
وفيه: «كالصوف المندوف».

وقال الحسن: كالصوف الأحمرِ، وهو أضعفُ الصوف. وقال: المنفوشُ: المندوف.

وقال ابنُ كثير[1]: المنفوش الذي قد شرَع في الذهاب والتمزّق. وقال في قوله: ﴿كَثِيبًا مَّهِيلًا﴾ [المزمل: ١٤]: أي تصير ككُثبان الرملِ بعدما كانت حجارةً صمّاء[2].

وقال البغوي[3]: «رملاً سائلاً. قال الكلبيُّ: هو الرملُ الذي إذا أخذتَ منه شيئاً تبعك ما بعده، يقال: أهَلْتُ الرملَ أُهِيلُه هيلاً إذا حركتُ أسفلَه حتى انهال من أعلاه». وقال: ﴿نُسِفَتْ﴾ [المرسلات: ١٠] قُلعت من أماكنها[4].

وقال ابنُ كثير[5]: «ذُهب بها فلا يبقى لها عينٌ ولا أثرٌ». وقال[6] في: ﴿فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ [النبأ: ٢٠]: «أي يخيل إلى الناظر أنها شيءٌ، وليست بشيء، وبعد هذا تذهب بالكلية فلا عينٌ ولا أثر». وقال[7] في: ﴿وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ﴾ [الطور: ١٠]: «تذهب عن أماكنها وتزول» ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ [الكهف: ٤٧]: أي باديةً ظاهرةً ليس فيها مَعْلَمٌ لأحد، ولا مكانٌ يواري أحداً، بل الخلقُ كلُهم ضاحون لربهم لا تخفى عليه منهم خافيةٌ.

قال مجاهدٌ وقتادة: ﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ [الكهف: ٤٧]: لا حَجَر فيها ولا غيَابة. وقال قتادة أيضاً: «لا بناءَ ولا شجرَ»[8].

وقال البغوي[9]: ﴿فَدُكَّتَا﴾ كُسِرتا ﴿دَكَّةً﴾ كسْرةً ﴿وَٰحِدَةً﴾ [الحاقة: ١٤]. قال:

---

(١) في تفسيره (٤/ ٥٨٠).
(٢) ذكر ذلك ابن كثير في تفسيره (٤/ ٤٦٧).
(٣) في «معالم التنزيل» (٨/ ٢٥٦).
(٤) ذكره البغوي في «معالم التنزيل» (٨/ ٣٠٤).
(٥) في تفسيره (٤/ ٤٩٠).
(٦) أي ابن كثير في تفسيره (٤/ ٤٩٤).
(٧) أي ابن كثير في تفسيره (٣/ ٩٢).
(٨) ذكره ابن كثير في تفسيره (٣/ ٩٢).
* وأخرج ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ج١٥/ ٢٥٧) أثر مجاهد.
* وأخرج ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ج١٥/ ٢٥٧) أثر قتادة.
(٩) في «معالم التنزيل» (٨/ ٢٠٩).

وأونُ ما تتغير الجبالُ تصير رملاً مَهيلاً، ثم عِهْناً منفوشاً، ثم تصير هباءً منثوراً.

وقولُه رحمه الله تعالى: **وكذا البحارُ فإنها مسجورةٌ، قد فُجّرت إلخ**، يشير إلى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ [التكوير: ٦]. وقوله عز وجل: ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾ [الانفطار: ٣].

«قال عليُّ بنُ أبي طلحةَ عن ابن عباس: فجّر اللَّهُ تعالى بعضَها في بعض.

وقال الحسن: فجَّر اللَّهُ تعالى بعضَها في بعض فذهب ماؤُها.

وقال قتادة: اختلط عذْبُها بمالحها.

وقال الكلبي: مُلئت»[(١)].

وقوله تعالى: ﴿سُجِّرَتْ﴾ [التكوير: ٦]. قال ابن عباس: أُوقدتْ فصارت ناراً تضطرم.

وقال مجاهدٌ ومقاتلٌ: يعني فُجّر بعضُها في بعض، العذْبُ والمِلْحُ، فصارت كلُها بحراً واحداً.

وقال الكلبي: مُلئت.... وقيل: صارت مياهُها بحراً واحداً من الحميم لأهل النار.

وقال الحسن: يَبِست. وهو قولُ قتادةَ، قال: ذهب ماؤُها فلم يبق فيها قطرةٌ»[(٢)].

والمعنى المتحصّلُ من أقوالهم رحمهم الله أنها يُفجَّر بعضُها في بعض فتمتلئ، ثم تُسجَّر ناراً فيذهبُ ماؤُها، ولهذا جمع ابنُ القيمِ رحمه الله تعالى بينهما فقال: «مسجورةٌ قد فُجّرت»، واللَّهُ تعالى أعلم.

---

(١) ذكر ذلك ابن كثير في تفسيره (٤/ ٥١٣).
* أخرج أثر ابن عباس ابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ج٣٠/ ٨٥) **بسند منقطع**.
* أخرج أثر الحسن ابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ج٣٠/ ٨٥).
* أخرج أثر الكلبي ابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ج٣٠/ ٨٥).

(٢) ذكره البغوي في «معالم التنزيل» (٨/ ٣٤٦ ـ ٣٤٧). وانظر: «الدر المنثور» (٨/ ٤٢٩).
* أخرج ابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ج٣٠/ ٦٨) أثر الكلبي.
* أخرج ابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ج٣٠/ ٦٨) أثر الحسن.
* أخرج ابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ج٣٠/ ٦٨) أثر قتادة.

وقولُه رحمه الله تعالى: «**وكذلك القمرانِ يأذن ربُّنا لهما فيجتمعان**» **إلخ**، يشير إلى قول اللَّهِ عز وجل: ﴿وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ۝٨ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۝٩﴾ [القيامة]. وقولِه ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ [التكوير: ١]. خسَف: أظلم وذهب نورُه وضَوؤُه. ﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾ أي صارا أسودين مُكَوَّرَيْن كأنهما ثورانِ عَقيرِان.

وقال عليُّ بنُ أبي طلحةَ عن ابن عباسٍ[(١)] ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ [التكوير: ١]: أظلمت. وقال العَوفي[(٢)] عنه: ذهبت.

وقال مجاهدٌ[(٣)]: اضمحَلَّت وذهَبت: وكذا قال الضحاكُ[(٣)].

وقال قتادةُ[(٣)]: ذهب ضوؤُها.

وقال سعيدُ بنُ جبير[(٣)]: كُوِّرت غُوِّرت.

وقال ربيعُ بنُ خثيم[(٣)]: رُميَ بها.

وقال أبو صالح[(٣)]: أُلقِيَتْ. وعنه[(٣)] أيضاً: نُكِّست.

وقال زيدُ بنُ أسلمَ: تقع في الأرض.

وقال ابنُ جريرٍ[(٣)]: «والصوابُ عندنا من القول في ذلك أن التكويرَ جمعُ الشيءِ بعضِه على بعض، ومنه تكويرُ العِمامةِ، وجمعُ الثيابِ بعضُها على بعض، فمعنى قوله تعالى: ﴿كُوِّرَتْ﴾ جُمع بعضُها إلى بعض ثم لفَّتْ فرُميَ بها، وإذا فُعل بها ذلك ذهب ضوؤُها».

ولابن أبي حاتم[(٤)] عن أبي عباس ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ [التكوير: ١] قال: يكوِّر اللَّهُ الشمسَ والقمرَ والنجومَ يوم القيامة في البحر، ويبعث الله تعالى ريحاً دَبوراً فيُضرمها ناراً. وكذا قال عامرٌ الشعبيّ.

ولابن أبي حاتمٍ[(٥)] عن ابن يزيدَ بنِ أبي مريمَ عن أبيه أن رسولَ اللَّهِ قال في

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ج٣٠/ ٦٤) عنه **بسند منقطع**.
(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ج٣٠/ ٦٤) **بسند ضعيف**.
(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ج٣٠/ ٦٤).
(٤) عزاه إليه ابن كثير في تفسيره (٤/ ٥٠٧) مسنداً.
(٥) عزاه إليه ابن كثير في تفسيره (٤/ ٥٠٧) مسنداً.
قلت: **هذا الأثر مرسل** لأن «يزيد بن أبي مريم» تابعي انظر: «تهذيب التهذيب» (٤/ ٤٢٨ ـ ٤٢٩).

قول اللَّهِ تعالى: ﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ﴾ [التكوير: ١] قال: «كُوّرت في جهنَمَ».

وللبخاري[١] عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: **«الشمسُ والقمرُ يُكوَّران يوم القيامة»**.

وللبزار[٢] عنه أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: **«إن الشمسَ والقمرَ ثوران في النار عَقيرانِ يوم القيامة»**.

وقولُه رحمه الله تعالى: **«وكواكبُ الأفلاكِ تُنثر كلُها إلخ»**، يشير إلى قول اللَّهِ عز وجل: ﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ﴾ [التكوير: ٢]. وقولِه تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلۡكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتۡ﴾ [الانفطار: ٢]. وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتۡ﴾ [المرسلات: ٨]: أي مُحيَ نورُها وذهب ضَوؤُها. وانكدرت: «تناثرت من السماء وتساقطت على الأرض، يقال: انكدر الطائرُ إذا سقط عن عُشّه.

قال الكلبيُّ وعطاءٌ: تُمطر السماءُ يومئذ نجوماً فلا يبقى نجمٌ إلاّ وقع»[٣].

وقولُه رحمه الله تعالى: **«وكذا السماءُ تُشق شقاً ظاهراً وتمورُ» إلخ**، يشير إلى قوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ﴾ [الانشقاق: ١]، وقولِه تعالى: ﴿وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوۡمَئِذٖ وَاهِيَةٞ﴾ [الحاقة: ١٦]، وقولِه: ﴿وَيَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلۡغَمَٰمِ﴾ [الفرقان: ٢٥]، وقولِه عز وجل: ﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرُۢ بِهِۦ﴾ [المزمل: ١٨]، وقوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ﴾ [الانفطار: ١]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتۡ﴾ [التكوير: ١١]. وقوله عز وجل:

---

(١) في صحيحه (٦/ ٢٩٧ رقم ٣٢٠٠). وفيه «مُكوَّران» بدل «يُكوَّران».

(٢) لم أجده في «كشف الأستار» كما أن مسند أنس في البحر الزخار، المعروف: بمسند البزار لم يطبع حتى الآن.

وقد أخرجه أبو يعلى في المسند (٧/ ١٤٨ رقم ١٣٦١/ ٤١١٦) والطيالسي في المسند رقم (٢٢٨٨)، والطحاوي في «مشكل الآثار» رقم (١٨٤) وابن حبان في «المجروحين» (١/ ٢٩٣) من طرق عن درست بن زياد، عن يزيد الرقاشي عن أنس به **بإسناد ضعيف جداً لضعف يزيد الرقاشي**، انظر: «التقريب» رقم (٧٦٨٣). ودرست بن زياد كان منكر الحديث جداً، انظر: «المجروحين» (١/ ٢٩٣).

وللحديث شاهد من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: **«الشمس والقمر ثوران مكوران في النار يوم القيامة»**، أخرجه الطحاوي في «مشكل الآثار» رقم (١٨٣) **بسند صحيح**.

وخلاصة القول أن الحديث صحيح لغيره دون قوله «عقيران»، والله أعلم.

(٣) ذكر ذلك البغوي في «معالم التنزيل» (٨/ ٣٤٦).

﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ﴾ [المرسلات: ٩]، وقوله تعالى: ﴿وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا﴾ [النبأ: ١٩]، وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا﴾ [الطور: ٩]، وقوله عز وجل: ﴿يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ﴾ [المعارج: ٨]، وقوله: ﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ﴾ [الرحمن: ٣٧].

قولُه: ﴿ٱنشَقَّتِ﴾: أي صارت أبواباً لنزول الملائكة ﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً﴾ عن ابن عباس[١]: تغير لونُها، وعنه[٢] قال: كالفرَس الوَرْدِ. وقال أبو صالح[٣]: كالبِرْذَون الوَرْد.

وحكى البغويُّ[٤] وغيرُه: «أن الفرسَ الوردَ تكون في الربيع صفراءَ وفي الشتاء حمراءَ، فإذا اشتد البردُ اغبرَّ لونُها، فشبه السماءَ في تلوُّنها عند انشقاقِها بهذا الفرسِ في تلوُّنه».

﴿كَٱلدِّهَانِ﴾ «قال الضحاكُ ومجاهدٌ وقتادةُ والربيعُ[٥] هو جمعُ دُهن، شبه السماءَ في تلونها بلون الوردْ من الخيل، وشبه الوردةَ في اختلاف ألوانها بالدُهن واختلاف ألوانِه.

وقال عطاءُ بنُ أبي رباحٍ[٦]: كالدِّهان: كعصير الزيتِ يتلوّن في الساعة ألواناً.

وقال مقاتلٌ[٧]: كدُهن الوردِ الصافي.

وقال ابنُ جريج[٨]: تصير السماءُ كالدُّهن الذائبِ، وذلك حين يصيبها حرُّ جهنمَ.

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٣/ج٢٧/ ١٤١) **بسند ضعيف**.
(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٣/ج٢٧/ ١٤١).
(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٣/ج٢٧/ ١٤١).
(٤) في «معالم التنزيل» (٧/ ٤٤٩).
(٥) ذكر أقوالهم البغوي في «معالم التنزيل» (٧/ ٤٤٩).
(٦) ذكره البغوي في «معالم التنزيل» (٧/ ٤٤٩).
(٧) ذكره البغوي في «معالم التنزيل» (٧/ ٤٤٩).
(٨) ذكره البغوي في «معالم التنزيل» (٧/ ٤٤٩).

وقال ابن عباس[1] والكلبيُّ[2]: كالدِّهان أي كالأديم الأحمرِ، وجمعه دُهنة ودُهن.

وقال عطاءٌ الخراسانيُّ[3]: كلون الدُّهنِ في الصفرة.

وقال قتادةُ[4]: هي اليوم خضراءُ، ويومئذ لونُها إلى الحمرة يومٌ ذو ألوان.

وقال ابنُ كثير[5] رحمه الله: «تذوب كما يذوب الدُّرْديُّ والفِضةُ في السبْك، وتتلون كما تتلون الأصباغُ التي يُدهن بها، فتارةً حمراءُ وصفراءُ وزرقاءُ وخضراءُ، وذلك من شدة الأمرِ وهولِ يوم القيامةِ العظيم».

وللإمام أحمدَ[6] عن أنس بن مالكٍ قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«يُبعث الناسُ يوم القيامة والسماءُ تطِشّ عليهم»**.

قال الجوهري: الطَشُّ المطرُ الضعيف.

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا﴾ [الطور: ٩].

«قال ابنُ عباس وقَتادةُ: تتحرك تحريكاً، وعنه: هو تشقّقُها.

وقال مجاهد: تدور دوراً.

وقال الضحاك: استِدارتُها وتحرُّكها لأمر اللّهِ وموجُ بعضها في بعض، وهذا اختيارُ ابنِ جريرٍ أنه التحركُ في استدارة»[7].

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» كما في «الدر المنثور» (٧/ ٧٠٢).
(٢) ذكره البغوي في «معالم التنزيل» (٧/ ٤٤٩).
(٣) ذكره ابن كثير في تفسيره (٤/ ٢٩٥).
(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٣/ ج٢٧/ ١٤١).
(٥) في تفسيره (٤/ ٢٩٥).
(٦) في المسند (٣/ ٢٦٦ ـ ٢٦٧). **بسند ضعيف.**
قلت: وأخرجه أبو يعلى في مسنده (٧/ ٩٩ رقم ١٢٨٦/ ٤٠٤١).
وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٣٣٤ ـ ٣٣٥) وقال: «رواه أحمد، وأبو يعلى، وفيه عبد الرحمن بن أبي حاتم، ولم يذكر فيه جرحاً وبقية رجاله ثقات».
وخلاصة القول أن سند الحديث ضعيف، والله أعلم.
(٧) ذكره ابن كثير في تفسيره (٤/ ٢٥٨).
* أثر ابن عباس أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٣/ ج٢٧/ ٢١) **بسند منقطع.** =

وقال عطاءُ الخراساني[1]: تختلف أجزاؤها بعضُها في بعض، وقيل تضطرب.

وقال البغوي[2]: «تدور كدوَران الرَّحى وتتكفأ بأهلها تَكَفُّؤَ السفينة» قال: «والمورُ يجمع هذه المعانيَ كلَّها: فهو في اللغة الذهابُ والمجيء والتردّدُ والدورانُ والاضطراب».

وقال تعالى: ﴿وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ۝ وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَآ﴾ [الحاقة: ١٦] عن علي قال: تنشق السماءُ من المجرَّة، رواه ابنُ أبي حاتم[3]، «والملَك اسمُ جنسٍ ـ أي الملائكة ـ على أرجاء السماءِ.

قال ابنُ عباس: على ما لم يُرَ منها أي حافاتِها. وكذلك قال سعيدُ بنُ جبيرٍ والأوزاعيُّ.

وقال الضحاك: أي أطرافِها.

وقال الحسنُ البصْريُّ: أبوابِها.

وقال الربيعُ بنُ أنسٍ: على ما استرَقَّ من السماء ينظُرون إلى أهل الأرض»[4].

وقوله تعالى: ﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ﴾ [المزمل: ١٨]: متشقِّقٌ. «قال الحسنُ وقتادةُ أي بسببه من شدته وهولِه»[5].

= * أثر قتادة أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٣/ج٢٧/ ٢١).
* وأثر ابن عباس الثاني أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٣/ج٢٧/ ٢١).
* وأثر مجاهد أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٣/ج٢٧/ ٢١).
* وأثر الضحاك أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٣/ج٢٧/ ٢١).

(١) ذكره البغوي في «معالم التنزيل» (٧/ ٣٨٧).
(٢) في «معالم التنزيل» (٧/ ٣٨٧).
(٣) عزاه إليه ابن كثير في تفسيره (٤/ ٤٤١).
(٤) ذكره ابن كثير في تفسيره (٤/ ٤٤١).
* أثر ابن عباس أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٤/ج٢٩/ ٥٨).
* أثر سعيد بن جبير أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٤/ج٢٩/ ٥٨).
(٥) ذكره ابن كثير في تفسيره (٤/ ٤٦٧).

و﴿فُرِجَتۡ﴾ [المرسلات: ٩]، قال ابن كثيرٍ[1]: «أي انفطرت وانشقّت وتدلّتْ أرجاؤُها، ووهَتْ أطرافُها».

وقوله رحمه الله: «**والعرشُ والكرسيُّ لا يُفْنيهما إلخ**»، وكذا قولُه: «**والحُورُ لا تَفنى كذلك جنةُ المأوى إلخ**». يعني أن هذه الأشياءَ مخلوقةٌ للبقاء لا للفناء، والمخلوقُ للبقاء باق لا بنفسه بل بإبقاء اللّهِ إياه، وقد ذكر الله تعالى الجنةَ ونعيمَها ودوامَها وخلودَ أهلِها فيها، وذكرَ النارَ وجحيمَها ودوامَ عذابِها وخلودَ أهلِها فيها في مواضعَ كثيرةٍ من كتابه، وسيأتي ذكرُ ما تيسر منها.

وقد جاء في تفسير قوله: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ﴾ [الزمر: ٦٨].

أن المرادَ بذلك الشهداءُ والحورُ العِين ورَضْوانُ وزبانيةُ العذاب، وقد قال الإمامُ أحمدُ في ذلك: إنه هو اعتقادُ السلفِ الصالحِ. قال فإن احتجّ مبتدعٌ بقوله عز وجل: ﴿كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ﴾ [القصص: ٨٨]، و﴿كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا فَانٖ﴾ [الرحمن: ٢٦]، قيل إن المرادَ كلُ شيءٍ كُتب عليه الهلاكُ والفناءُ هالكٌ فانٍ. ويؤيد ذلك الاستثناءَ المذكور في سورة الزُمَر، وأيضاً فإن الجنةَ دارُ مقام وسرورٍ وسلامةٍ، والموتُ ضدُّ ذلك فكيف يُكتب على مَن فيها موتٌ. وكذا جاء في العرش أن اللّهَ يأمره أن يُأخذَ الصورَ من إسرافيلَ عليه السلام عند موتِه كما في حديث الصورِ الطويل.

وقولُه: «**ولأجل هذا قال جهمٌ إنها عدمٌ إلخ**»، يعني أن لِجَهْم إلحاداً في آيات اللّهِ جميعِها، فكما ألحد في آيات الأسماءِ والصفاتِ ألحد أيضاً في آيات الوعدِ والوعيدِ، وجحد وجودَ الجنةِ والنارِ الآن، وكذلك الآياتِ والأحاديثَ الواردةَ فيهما، وقضى أيضاً بفَنائهما وأنهما يَفنَيان ومَن فيهما، وذلك بخلاف النصوصِ القويمةِ والفِطَر المستقيمةِ كما سيأتي إن شاء الله.

وقولُه رحمه الله:

والأنبياءُ فإنهم تحت الثرى ... أجسادُهم حُفِظت من الديدان إلخ

(١) في تفسيره (٤/ ٤٩٠).

يشير إلى ما في السنن[1] وغيرها[2] وصححه ابنُ حبان[3] من حديث أوسِ بنِ أوسٍ رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: **«إن أفضلَ أيامِكم يومُ الجمعة، فيه خُلق آدمُ، وفيه قُبض، وفيه النفخةُ، وفيه الصعقةُ، فأكثروا عليَّ من الصلاة فيه، فإن صلاتَكم معروضةٌ عليَّ. قالوا: يا رسول اللَّهِ كيف تُعرض صلاتُنا عليك وقد أرِمْتَ؟ قال يقولون: بَلِيتَ. قال: إن الله حرم على الأرض أن تأكلَ أجسادَ الأنبياء»**.

وقال ابنُ وهبٍ: أخبرني عمْرو بنُ الحارثِ عن سعيد بنِ أبي هلالٍ عن زيد ابنِ أيمنَ عن عُبادةَ بنِ نَسيّ عن أبي الدرداءِ قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«أكثِروا عليَّ من الصلاة يوم الجمعة فإنه يوم مشهودٌ تشهده الملائكةُ، وإن أحداً لا يصلي عليَّ إلا عُرضَت عليَّ صلاتُه حتى يفرُغَ. قال: قلت وبعد الموتِ؟ قال: إن اللَّهَ حرَّم على الأرض أن تأكلَ أجسادَ الأنبياء»**، ورواه ابنُ ماجة[4] بإسناد جيد[5].

---

(١) أبو داود رقم (١٠٤٧) و(١٥٣١)، والنسائي (٣/ ٩١ - ٩٢) وابن ماجه رقم (١٠٨٥) و(١٦٠٦).

(٢) كأحمد في «المسند» (٤/ ٨) والدارمي (١/ ٣٦١) وابن أبي شيبة في «المصنف» (٢/ ٥١٦) والطبراني في «الكبير» رقم (٥٨٩) والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ٢٤٨) وإسماعيل القاضي رقم (٢٢) والحاكم (٢٧٨) وقال: «صحيح على شرط البخاري» ووافقه الذهبي.

قلت: هذا إسناد صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين، غير أبي الأشعث الصنعاني، وهو «شراحيل بن آدة» لم يخرج له البخاري في «صحيحه»، وإنما أخرج له في «الأدب المفرد».

(٣) في صحيحه (٣/ ١٩٠ - ١٩١ رقم ٩١٠).

قلت: وصححه ابن خزيمة رقم (١٧٣٣) وحسنه المنذري والحافظ ابن حجر وصححه النووي في «الأذكار».

وخلاصة القول أن الحديث صحيح، والله أعلم.

* أرَمْتَ: على وزن ضَرَبْتَ، أي بليت.

(٤) في السنن/١ ٥٢٤ رقم ١٦٣٧).

قال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (١/ ٥٤٥ رقم ٥٩٦/ ١٦٣٧): **«هذا إسناد رجاله ثقات إلا أنه منقطع في موضعين»**. عبادة بن نسي روايته عن أبي الدرداء مرسلة، قاله العلائي. وزيد بن أيمن عن عبادة بن نسي مرسلة، قاله البخاري» اهـ.

(٥) قاله المنذري في «الترغيب والترهيب» (٢/ ٥٠١ رقم ٢٤٨٦).

وخلاصة القول أن الحديث ضعيف، إلا أن لمتنه شواهد.

وفي رواية للطبراني[1]: **«ليس مِن عبدٍ يصلي عليَّ إلا بلغني صلاتُه. قلنا: وبعد وفاتِك؟ قال: وبعد وفاتي، إن اللَّهَ عز وجل حرَّم على الأرض أن تأكُلَ أجسادَ الأنبياء»**.

والأحاديثُ في بلوغ صلاتِنا إليه، وعَرْضِ أعمالِنا عليه كثيرةٌ جداً، وبعضُها في الصحيحين لكن بدون ذكرِ الأجساد[2].

وقد ثبت أيضاً في أجساد الشهداء أنها لا تَبْلَى فكيف بأجساد الأنبياء، كما قال البخاريُّ[3] رحمه الله تعالى: حدثنا مسدّدٌ حدثنا بشرُ بنُ المفضّل حدثنا حسينٌ المعلّمُ عن عطاءٍ عن جابرٍ قال: **«لما حضَر أُحدٌ دعاني أبي من الليل فقال لي: ما أُراني إلا مقتولاً في أول مَن يُقتل من أصحاب النبيِّ ﷺ، وإني لا أترُك بعدي أعزَّ عليَّ منك غيرَ نفسِ رسولِ الله ﷺ، وإن عليَّ دَيناً فاقضِ واستوصِ بأخَواتك خيراً. فأصبحنا وكان أولَ قتيل، فدفَنتُ معه آخرَ في قبره، ثم لم تطِبْ نفسي أن أترُكَه مع آخرَ، فاستخرجتُه بعد ستة أشهرٍ فإذا هو كَيومَ وضعتُه هيئة غيرَ أذنِه»**.

ولأصحاب السننِ[4] عنه رضي الله عنه من حديث طويل، وفيه: **«فبينا أنا في خلافة معاويةَ بنِ أبي سفيانَ إذ جاءني رجلٌ فقال: يا جابر بنَ عبدِ الله، واللَّهِ لقد أثار أباك عمّالُ معاويةَ، فبدا فخرج طائفةٌ منه. فأتيتُه فوجدتُه على النحو الذي دفنتُه، لم يتغير إلا ما لم يدَع القتلُ أو القتيل»**.

وللبيهقي[5] عنه رضي الله عنه قال: **«لما أجرى معاويةُ العينَ عند قتلى أحدٍ بعد**

---

(١) لم أعثر عليه عند الطبراني في الكبير المطبوع.

(٢) انظر: «فضل الصلاة على النبي ﷺ» لإسماعيل بن إسحاق الجهضمي. تحقيق: المحدث محمد ناصر الدين الألباني.
و«جلاء الأفهام في الصلاة والسلام على خير الأنام» لابن قيم الجوزية. تخريج وتعليق الشيخ شعيب الأرنوؤط والشيخ عبد القادر الأرنؤوط.

(٣) في صحيحه (٣/ ٢١٤ رقم ١٣٥١).

(٤) أبو داود (١/ ٥١٤ رقم ٣١٦٥) والترمذي (٤/ ٢١٥ رقم ١٧١٧) والنسائي (٤/ ٧٩) وابن ماجه (١/ ٤٨٦ رقم ١٥١٦) من حديث جابر مختصراً. وأخرجه مطولاً البيهقي في «دلائل النبوة» (٣/ ٢٩٢ ـ ٢٩٣). **وهو حديث حسن.**

(٥) في «دلائل النبوة» (٣/ ٢٩١) **بسند حسن، إلا أن فيه قول حماد: «وزادني صاحبٌ لي في الحديث: «فأصاب قدم حمزة فانبعث دماً»» من غير سند.**

أربعين سنةً استُصْرِخْنَاهم إليهم فأتيناهم فأخرجناهم، فأصابت المِسحاةُ قدمَ حمزةَ فانبعث دماً».

وفي رواية ابنِ إسحاقَ[1] عنه قال: «**فأخرجناهم كأنما دُفنوا بالأمس**».

وذكر الواقديُّ[2] أن معاويةَ لما أراد أن يُجرِيَ العينَ نادى مناديْهِ: من كان له قتيلٌ بأُحد فليشهدْ، قال جابرٌ: فحفرنا عنهم فوجدتُ أبي في قبره كأنما هو نائمٌ على هيئته، ووجدنا جارَه في قبره ـ عَمْرُو بنُ الجَموحِ ـ ويدُه على جُرحه، فأُزيلت عنه فانبعث جُرحه دماً. ويقال إنه فاح من قبورهم مثل ريحِ المِسك، ﷺ أجمعين، وذلك بعد ستٍ وأربعين سنةً من يوم دُفنوا. وفي ذلك آثارٌ كثيرة.

وقولُه رحمه الله تعالى: «**وكذلك عَجْبُ الظهر لا يبلى إلخ**»، يشير إلى حديث أبي هريرةَ المتقدمِ قريباً وفيه: «**وليس من الإنسان شيءٌ إلا سيَبْلى، إلا عظماً وهو عَجْبُ الذنب، ومنه يُركّب الخلقُ يوم القيامة**»[3].

وقولُه رحمه الله تعالى: «**وكذلك الأرواحُ لا تَبلى إلخ**»، يشير إلى ما تقدم ذكرُ بعضِه قريباً من الآيات الصريحةِ والأحاديثِ الصحيحةِ، من أن الأرواحَ ليست هي مطلقُ حياةِ الجسمِ العارضة، بل هي حقيقةٌ أخرى مستقلةٌ يُعمِّر الجسدُ بحلولها فيه ويَفسُد بخروجها منه، وهي النَسَمةُ التي يموت الإنسانُ بخروجها من جسده، وأنها لها حقيقةٌ، وأنها تُنفَخ وتُقبَض وتصعَد وتهبِط، وأنها بعد مفارقتِها الجسدَ إما أن تُنعّم أو تعذّب، وإما أن تُفْتَحَ لها أبوابُ السماء حتى يُنتهَى بها إلى الله، أو تُغلقَ دونها، فيُذهبُ بها إلى سِجِّين والعياذُ بالله كما قدمنا ذلك ولله الحمدُ، وأنها تُجمع في الصور وتطير بنفْخ إسرافيلَ إذا أمره اللّهُ، فتطير كلُ روحٍ إلى جسدها الذي كانت تُعمّرُه في الدنيا حتى تدخُلَه وتدِبَّ فيه دبيبَ السُمِّ في اللّديغ حتى يقومَ بشراً سوياً، وأنها بعد خروجِها من الجسد تُكلَّمُ وتتكلم وتسأل وتُجيب وتخبر كما ثبت ذلك بنصوص الكتابِ والسنة، وأما كيفيةُ الروحِ وكُنهها فليس لبشر العلمُ به

---

(١) عزاه إليه البيهقي في «دلائل النبوة» (٣/ ٢٩١) وقال محققه: نقله ابن كثير في «البداية والنهاية» (٤/ ٤٣) عن المصنف.

(٢) **في «المغازي» (١/ ٢٦٧ ـ ٢٦٨) وفيه مجاهيل مع ما في الواقدي من كلام.**

(٣) تقدم تخريجه قريباً.

ولا الاطلاعُ عليه، ولهذا لما سألت اليهودُ النبيَّ ﷺ عنه[1] أنزل الله تعالى جوابَهم: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥].

وقولُه رحمه الله تعالى:

«ولأجل ذلك لم يُقِرَّ الجهمُ ما الأرواحُ خارجةٌ من الأبدانِ
لكنها مِن بعض أعراضٍ بها إلخ»

يعني أن مذهبَ الجهمِ في الروح هو مذهبُ الفلاسفةِ الحائرين أن الروحَ ليس شيئاً يقوم بنفسه بل عَرَضٌ، والعرضُ في اصطلاحهم هو ما لا يستقِلّ ولا يستقِرّ، فمنزلةُ الروحِ عندهم من الجسد كمنزلة السمعِ من السامع والبصَرِ من المُبصِر، يذهب بذهابه، بل قد يذهب البصرُ والسمعُ والذاتُ التي يقوم بها موجودةٌ، فجحدوا أن لكون النفس التي هي الروحُ شيئاً قائماً بنفسه، وأنه يُنفخ في الجنين في بطن أمّه بعد الأربعين الثالثة، وأن ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الزمر: ٤٢]، وجحدوا كونَها شيئاً يُساق ويُنزَع عند الموتِ ويُعرج بها إلى الله عز وجل فيُفتَحُ لها أبوابُ السماء إن كانت محسنةً أو تُغلَقُ دونها إن كانت مسيئةً، وأنّ روحَ الأنبياءِ والمؤمنين في الرفيق الأعلى، وأرواحَ الكفارِ في سجّين، فكذبوا بالكتاب، وبما أرسلَ اللّهُ به رسلَه، فضلّوا من قبلُ وأضلوا كثيراً وضلّوا عن سواء السبيل.

وقولُه رحمه الله تعالى:

«فالشأنُ للأرواح عند فراقِها أبدانَها واللّهُ أعظمُ شانِ»

يعني أنه أعظمُ شأناً من الحياة الدنيا، وذلك لأنه يكون إذ ذاك الخبرُ عِياناً، والغيبُ شهادةً والمستورُ مكشوفاً، والمُخبأُ ظاهراً، فليس الخبرُ كالمعاينة، ولا علمُ اليقينِ كعين اليقين، فالمُصدّقُ يرى ويجد مِصداقَ ما جاء به النصُّ كما علِمَه

---

(١) أخرجه البخاري (١/ ٢٢٣ رقم ١٢٥) وأطرافه رقم (٤٧٢١) و(٧٢٩٧) و(٧٤٥٦) و(٧٤٦٢).
ومسلم (٤/ ٢١٥٢ رقم ٢٧٩٤) من حديث ابن مسعود.

وتيقّنه، فيزداد بُشرى وفرحاً وسروراً، والمكذّبُ يرى ويجد حَور تكذيبِه بذلك، وغِبّ ما جناه على نفسه ويذوق وبالَ أمرِه، وكلٌّ يُفضي إلى ما قدّم.

وقولُه: «**إما نعيم أو عذاب إلخ**»، يشير إلى قول الله عز وجل: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَـٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾﴾ [الواقعة].

سبحانَ اللَّهِ وبحمده سبحان اللَّهِ العظيم، وغيرُ ذلك مما في معناه من الآيات. وقدَّمنا منها جُملةً، وقدَّمنا من الأحاديث في أحوال الاحتضارِ والبرزخِ وما يتعلق بذلك ما يبلُغ حدَّ التواتر، فليُرجَع إليه، ولله الحمدُ والمنة.

وقولُه رحمه الله: «**وتصير طيراً سارحاً مع شكلها إلخ**»، يشير إلى حديث كعبِ بنِ مالك المسلسلِ بالأئمة: «**نسَمةُ المؤمنِ طائرٌ يعلقُ في شجر الجنة حتى يرجعَه اللَّهُ إلى جسده يوم يبعثُه**»[1].

وقولُه رحمه الله تعالى: «**لكنْ أرواحَ الذين استُشهدوا في جوف طيرٍ أخضرِ إلخ**» يشير إلى قول الله عز وجل: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩]. الآيات وما في معناها.

وفي الصحيح[2] من حديث الأعمشِ عن عبد اللَّهِ بنِ مُرَّةَ عن مسروقٍ قال:

---

(١) **وهو حديث صحيح.**
أخرجه مالك في «الموطأ» (١/ ٢٤٠) عن ابن شهاب، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه.
ومن طريق مالك أخرجه أحمد (٣/ ٤٥٥) والنسائي (٤/ ١٠٨) وابن ماجه رقم (٤٢٧١) والآجري في «الشريعة» (ص٣٩٢) وأبو نعيم في «الحلية» (٩/ ١٥٦) والبيهقي في «البعث والنشور» (٢٠٣) والطبراني في الكبير (١٩/رقم ١٢٠).
وأخرجه أحمد (٣/ ٤٥٥ ـ ٤٥٦ و ٤٦٠) والطبراني في الكبير (١٩/رقم ١١٩ و ١٢١ و ١٢٣ و ١٢٤) والبيهقي في «البعث والنشور» (٢٠٢) من طرق عن الزهري وانظر: «الصحيحة» رقم (٩٩٥).

(٢) في صحيح مسلم (٣/ ١٥٠٢ رقم ١٨٨٧).

سألنا عبدَ الله عن هذه الآية: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾.

قال إنا قد سألنا عن ذلك فقال: «**أرواحُهم في جوف طير خُضرٍ لها قناديلُ معلّقةٌ بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلى القناديل، فاطلع إليهم ربُّهم عز وجل اطلاعَة فقال: هل تشتهون شيئاً؟ قالوا: أيَّ شيءٍ نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا؟ ففعل ذلك بهم ثلاثَ مراتٍ، فلما رأوا أنهم لم يُتركوا من أن يَسألوا قالوا: يا ربِّ نريد أن تردَّ أرواحَنا في أجسادنا حتى نُقتلَ في سبيلك مرةَ أخرى. فلما رأى أن ليس لهم حاجةٌ تُركوا**»، وغيرُ ذلك من الأحاديث.

وقوله:

وإذا أراد اللّـهُ إخـراجَ الـورى	**بـعـد الـمـمـاتِ إلـى مـعـاد ثـانِ**
ألقى على الأرض التي هم تحتها	**مطَراً غليظاً أبيضاً متتابعاً ـ إلخ**

يشير إلى حديث عبدِ اللّهِ بنِ عمرَ[1] رضي الله عنهما بطوله وفيه: «**ثم يرسل اللّهُ ـ أو قال يُنزل الله ـ تعالى مطراً كأنه الطَّلُّ أو الظِلُّ، فتنبُت منه أجسادُ الناس**»، الحديث.

وفي حديث الصُّور الطويل[2]: «**ثم يُنزل اللّهُ عليهم ماءً من تحت العرش، ثم يأمر اللّهُ السماءَ أن تُمطِرَ أربعين يوماً حتى يكون الماءُ فوقهم اثني عشرَ ذراعاً، ثم يأمر اللّهُ الأجسادَ أن تنبُتَ فتنبُت كنبات الطراثيثِ أو كنبات البقْلِ**»، وهو الذي عناه بقوله: «عشراً وعشراً بعدها عشرانِ».

وقوله: «**أوحى لها ربُّ السما فتشققت إلخ**»، يشير إلى قول اللّهِ عز وجل: ﴿وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾ [الانفطار: ٤]، وقوله: ﴿۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ﴾ [العاديات: ٩].

قال ابن عباس[3]: بُحثت.

---

(١) أخرجه مسلم (٤/٢٥٥٨ رقم ٢٩٤٠).

(٢) تقدم تخريج الحديث.

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ج٣٠/ ٨٥) بسند منقطع.

وقال السدّي[1]: تُبعثر: تُحرَّك فيخرُجُ مَن فيها.

وقال البغوي[2]: «بُحثت وقُلب ترابُها وبُعث مَن فيها من الموتى أحياءً، يقال: بَعثرتُ الحوضَ وبحثرْتُه إذا قلبتُه فجعلتُ أسفلَه أعلاه». وقال[3] في الآية الأخرى ﴿إِذَا بُعْثِرَ﴾ أثير وأُخرج ﴿مَا فِي ٱلْقُبُورِ﴾ [العاديات: ٩] أي من الأموات.

وقوله: «وتخلّت الأم الولود إلخ»، يشير إلى قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾ [الانشقاق: ٤].

«قال مجاهدٌ وسعيدٌ وقَتادةُ: ألقتْ ما في بطنها من الأموات وتخلّت منهم»[4].

وقولُه: «وأخرجتْ أثقالَها إلخ»، يشير إلى قوله عز وجل: ﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴾ - إلى قوله - ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ [الزلزلة: ٢ - ٥].

قال ابنُ كثير[5] رحمه الله: يعني ألقت ما فيها من الموتى، قاله غيرُ واحدٍ من السلف. وقد تقدم تفسيرُها بإلقائها أفلاذَ كبِدِها أمثالَ الأسْطُوان.

وقال البغوي[6] رحمه الله: أثقالَها: موتاها وكنوزُها فتُلقيها على ظهرها.

وقولُه رحمه الله: «واللَّهُ ينشي خلْقَه» أي هم أنفسَهم لا غيرَهم بعد موتِهم «في نشأة أخرى إلخ»، يشير إلى قول اللَّهِ عز وجل: ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾﴾ [النجم]. فهذه هي النشأةُ الأولى، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ﴾ [النجم: ٤٧]، وهو البعثُ بعد الموتِ، قال تعالى: ﴿نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ

---

(١) ذكره ابن كثير في تفسيره (٤/ ٥١٣).
(٢) في «معالم التنزيل» (٨/ ٣٥٥).
(٣) أي البغوي في «معالم التنزيل» (٨/ ٥٠٩).
(٤) ذكره ابن كثير في تفسيره (٤/ ٥٢١).
* أخرج أثر مجاهد ابن جرير في «جامع البيان (١٥/ ج٣٠/ ١١٤).
* أخرج أثر قتادة ابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ ج٣٠/ ١١٤).
(٥) انظر تفسير ابن كثير (٤/ ٥٧٦).
(٦) في «معالم التنزيل» (٨/ ٥٠١).

فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [الواقعة]، وما في معنى ذلك من الآيات والأحاديث.

والمقصودُ أن الله سبحانه وتعالى يبعث الموتى أنفسَهم ويجمعهم بعد ما فرّقهم وينشُرهم بعد ما مزّقهم، ويُعيدهم كما خلقهم، وقد علم اللّهُ ما تنقُص الأرضُ منهم: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر: ٤٤].

وقوله: «ما قال إن الله يُعدِم خلقَه إلخ»، أي لم يقل اللّهُ تعالى ولا رسولُه ﷺ إنه يعدمهم العدمَ المحضَ ويأتي بغيرهم. ولا إن المُثابَ غيرُ من عمِل الطاعاتِ في الدنيا، ولا إن المعذبَ غيرُ مَن مَرَدَ على المعاصي ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [النساء: ٤٠]، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦]، ﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ﴾ [غافر: ٣١]، بل قال تعالى: ﴿۞ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ [طه: ٥٥].

فالذين خلقهم من الأرض هم الذين أعادهم فيها، وهم الذين يخرجهم منها، ليسوا غيرَهم كما يقوله الزنادقةُ قبّحهم اللّهُ تعالى. وقال رسول الله ﷺ: «**فتخرُجون من الأصواء ومن مَصارعكم**»، ولم يقل إنه غيرُكم الذي يخرجُ. والكلام في هذا البابِ يطول جداً، والنصوصُ فيها لا تحصى كثرةً، وإنما أشرنا إلى بعضٍ مِن كلّ، ودِقّ من جُلّ، وقطرةٍ من بحر، واللّهُ المستعان.

إلى آخر ما ذكرنا من التعليق على الأبيات التي سُقنا من نونية ابنِ القيم رحمه الله تعالى مع غاية الاختصارِ والإنجاز، ولله الحمدُ والمِنة. ولنرجعْ إلى شرح أبياتِ المتْن المذكور.

[الإيمان بالنفخ في الصور]

(وبقيامنا بنفخ الصورِ)[1]، أي وكما يدخُل في الإيمان باليوم الآخِر الموتُ وما بعده من فتنة القبرِ ونعيمِه أو عذابِه، وباللقاء والبعثِ والنشورِ والقيامِ من القبورِ كذلك يدخُل في ذلك الإيمانُ بالصور والنفخ فيه الذي جعله اللّه سببَ الفزَعِ والصَّعَقِ والقيامِ من القبور، وهو القَرنُ الذي وكّل اللّهُ تعالى به إسرافيلَ كما تقدم في ذكر الملائكة.

وقد ذكر اللّهُ عز وجل النفخَ فيه في مواضعَ من كتابه، كقوله عز وجل: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨] الآيات. وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ﴾ [النمل: ٨٧] الآيات. وقال تعالى: ﴿قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ ۚ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ ۚ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ٧٣].

[حديث الصُّور بطوله]

ولْنسُقْ ههنا حديثَ الصُّورِ بطوله لما فيه من المناسبة لهذه الآياتِ، ولِما اجتمع فيه مما تفرق في غيره من الأحاديث، وبالله التوفيق.

قال ابنُ كثير[2] رحمه الله تعالى عند هذه الآيةِ الأخرى: «وقد روينا حديثَ الصورِ بطوله من طريق الحافظِ أبي القاسمِ الطبرانيِّ في كتابه المطوّلات[3] قال: حدثنا أحمدُ بن الحسنِ المصريِّ الأيليِّ حدثنا أبو عاصمٍ النبيلُ حدثنا إسماعيلُ بنُ رافعٍ عن محمد بنِ زيادٍ عن محمد بنِ كعبٍ القُرظيِّ عن أبي هريرةَ ﷺ قال: حدثنا رسولُ الله ﷺ وهو في طائفة من أصحابه فقال: «**إن اللّهَ تعالى لما فرَغ مِن خلق السمواتِ والأرضِ خلق الصورَ فأعطاه إسرافيل فهو واضعُه على فيه شاخصاً بصرُه في العرش ينتظر متى يُؤمَر**».

قلت: يا رسولَ الله وما الصُّورُ؟ قال: «**القَرْنُ**».

---

(١) البيت كما تقدم في المنظومة:

وبـالـلـقـا والـبـعـث والـنـشـور وبـقـيـامـنـا مـن الـقـبـور

(د. أحمد الحكمي).

(٢) في تفسيره (٢/ ١٥١ ـ ١٥٤).

(٣) وهو في نهاية «المعجم الكبير» (٢٥/ ٢٢٦) بسند ضعيف وقد تقدم.

قلت: كيف هو؟ قال: «عظيم، والذي بعثني بالحق إن عِظَمَ دارةٍ فيه كعَرض السمواتِ والأرض، يُنفخ فيه ثلاثَ نَفخاتٍ: النفخةُ الأولى نفخةُ الفزَع، والثانية نفخةُ القيامِ لرب العالمين، يأمر اللّهُ تعالى إسرافيلَ بالنفخة الأولى فيقول انفُخ، فينفُخ نفخةَ الفزَعِ، فيفزَع أهلُ السمواتِ والأرض إلا من شاء الله، ويأمُره فيُطيلُها ويُديمُها ولا يفتُر، وهي كقول الله تعالى: ﴿وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ مَّا لَهَا مِن فَوَاقٖ﴾ [ص: ١٥]. فيُسيِّر اللّهُ الجبالَ فتمرُّ مرَّ السحابِ فتكون سَراباً، ثم ترتجّ الأرضُ بأهلها رجاً فتكون كالسفينة المَرْمِيّةِ في البحر تضرِبها الأمواجُ تَكَفّأُ بأهلها كالقنديل المعلّقِ في العرش ترُجرِجُه الرياحُ، وهو الذي يقول: ﴿يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتۡبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ۝٧ قُلُوبٞ يَوۡمَئِذٖ وَاجِفَةٌ ۝٨﴾ [النازعات].

فيَميدُ الناسُ على ظهرها، وتذهَلُ المراضعُ، وتضع الحواملُ، وتشيب الوِلدانُ، وتطير الشياطينُ هاربةً من الفزَع حتى تأتيَ الأقطارَ، فتأتيها الملائكةُ فتضرِبُ وجوهَها فترجِع، ويولي الناسُ مدْبرين ما لهم من أمر اللّهِ من عاصم، ينادي بعضُهم بعضاً»، وهو الذي يقول اللّهُ تعالى: ﴿يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ﴾ [غافر: ٣٢]. فبينما هم على ذلك إذْ تصدّعت الأرضُ من قُطر إلى قطر، فرَأوا أمراً عظيماً لم يَروا مثلَه، وأخذهم لذلك من الكرب والهولِ ما اللّهُ به عليمٌ.

ثم نظَروا إلى السماء فإذا هي كالمُهل، ثم انشقّت السماءُ فانتثرتْ نجومُها وانخسفت شمسُها وقَمرُها، قال رسولُ الله ﷺ: «الأمواتُ لا يعلمون بشيءٍ من ذلك».

قال أبو هريرة: يا رسولَ الله مَن استثنى اللّهُ عز وجل حين يقول: ﴿فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ [النمل: ٨٧]؟ قال: «أولئك الشهداء» وإنما يصل الفزعُ إلى الأحياء وهم أحياءٌ عند ربِّهم يُرزقون، وقاهم اللّهُ فزَعَ ذلك اليوم وآمنهم منه، وهو عذابُ اللّهِ يبعثه على شرار خلقِه». قال: «وهو الذي يقول الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ۝١ يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمۡلٍ حَمۡلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ ۝٢﴾ [الحج].

فيقومون في ذلك العذابِ ما شاء الله تعالى إلا أنه يطول، ثم يأمر اللّهُ إسرافيلَ بنفخة الصعق، فينفُخ نفخةَ الصعَق فيصعَقُ أهلُ السمواتِ والأرضِ إلا من شاء الله، فإذا هم قد خَمدوا، وجاء ملكُ الموتِ إلى الجبار عز وجل فيقول: يا

ربِّ قد مات أهلُ السمواتِ والأرضِ إلا مَن شئت.

فيقول اللّهُ تعالى وهو أعلمُ بمن بقي: فمَن بقيَ؟.

فيقول: يا ربِّ بقِيتَ أنت الحيُّ الذي لا تموت، وبقِيتْ حملةُ العرشِ وبقيَ جبريلُ وميكائيلُ وبقيتُ أنا.

فيقول اللّهُ عز وجل: لِيَمُتْ جبريلُ وميكائيلُ، فيُنطق اللّهُ تعالى العرشَ.

فيقول: يا رب يموتُ جبريلُ وميكائيلُ؟.

فيقول: اسكُتْ فإني كتبتُ الموتَ على كل من كان تحت عرشي، فيموتان.

ثم يأتي ملكُ الموتِ إلى الجبار فيقول: يا ربِّ قد مات جبريلُ وميكائيلُ.

فيقول الله عز وجل وهو أعلم بمن بقيَ: فمن بقيَ؟.

فيقول: بقِيتَ أنت الحيُّ الذي لا تموتُ وبقِيتْ حمَلةُ عرشِك وبقيتُ أنا.

فيقول الله تعالى: لِتمُتْ حَمَلةُ العرشِ. فتموت، ويأمر اللّهُ تعالى العرشَ فيقبِض الصورَ من إسرافيلَ.

ثم يأتي ملكُ الموتِ فيقول: يا رب قد مات حَملةُ عرشك.

فيقول اللّهُ وهو أعلمُ بمن بقيَ: فمن بقي؟.

فيقول: يا ربِّ، بقيتَ أنتَ الحيُّ الذي لا تموت وبقيتُ أنا.

فيقول الله تعالى: أنت خلقٌ من خلقي، خلقتُك لِما رأيتَ، فمُت. فيموت.

فإذا لم يبقَ إلا اللّهُ الواحدُ القهارُ الأحدُ الصمدُ الذي لم يلدْ ولم يولد كان آخِراً كما كان أولاً، طوى السمواتِ والأرضَ طيَّ السِّجِلِّ للكتب ثم دحاهما ثم يَلقَفُهما ثلاثَ مرات.

ثم يقول: أنا الجبارُ أنا الجبارُ (ثلاثاً)، ثم هتف بصوته: لمن الملكُ اليومَ (ثلاث مرات) فلا يجيبه أحدٌ.

ثم يقول لنفسه: لله الواحدِ القهارِ.

يقول الله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ [إبراهيم: ٤٨].

فيبسُطُهما ويَسطَحُهما ثم يمدهما مدَّ الأديمِ العُكاظيِّ لا ترى فيها عوجاً ولا أمتاً، ثم يزجرُ اللّهُ الخلقَ زجرةً واحدةً فإذا هم في هذه الأرضِ المُبدلةِ مثلَ ما كانوا فيها من الأولى، من كان في بطنها كان في بطنها، ومن كان على ظهرها كان على ظهرها.

ثم يُنزل اللّهُ تعالى عليهم ماءً من تحت العرشِ، ثم يأمر اللّهُ السماءَ أن تُمطِرَ، فُتمطرُ أربعين يوماً حتى يكون الماءُ فوقهم اثني عشرَ ذراعاً، ثم يأمر اللّهُ الأجسادَ أن تَنبُتَ فتنبُتُ كنبات الطراثيثِ أو كنبات البقْلِ، حتى إذا تكاملت أجسادُهم فكانت كما كانت، قال الله عز وجل: ليحيى حملة عرشي، فيَحيَوْن، ويأمر اللّهُ إسرافيلَ فيأخذ الصورَ فيضعه على فيه ثم يقول: ليحيى جبريلُ وميكائيلُ، فيَحْيَيَان.

ثم يدعو اللّهُ بالأرواح فيُؤتى بها تتوهج أرواحُ المؤمنين نوراً وأرواحُ الكافرين ظُلمةً، فيقبضها جميعاً ثم يُلقيها في الصور، ثم يأمر اللّهُ إسرافيلَ أن ينفُخَ نفخةَ البعثِ، فينفُخُ نفخةَ البعث، فتخرُج الأرواحُ كأنها النحلُ قد ملأت ما بين السماءِ والأرضِ فيقول: وعزتي وجلالي لَيرجِعنَّ كلُ روحٍ إلى جسده، فَتَدْخُلُ الأرواحُ في الأرض إلى الأجساد فتدخل في الخياشيم ثم تمشي في الأجساد كما يمشي السُمُّ في اللديغ، ثم تنشقّ الأرضُ عنهم، وأنا أولُ من تنشق الأرضُ عنه، فتخرُجون سِراعاً إلى ربكم تنسِلون ﴿مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِۖ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ﴾ [القمر: ٨]. حُفاةً عُراةً غُرْلاً، فتقِفون موقفاً واحداً مقدارُه سبعون عاماً لا يُنظَر إليكم ولا يُقضى بينكم، فتبكون حتى تنقطِعَ الدموعُ، ثم تدمَعون دماً وتعرَقون حتى يُلجِمَكم العَرقُ أو يبلُغَ الأذقان، وتقولون مَن يشفع لنا إلى ربنا فيقضيَ بيننا؟ فتقولون من أحقُّ بذلك من أبيكم آدمَ، خلقه اللّهُ بيده وَنَفَخَ فيه من روحه وكلّمه قُبُلاً، فيأتون آدمَ فيطلُبون ذلك إليه فيأبى ويقول: ما أنا بصاحبِ ذلك، فيستقرؤون الأنبياءَ نبياً نبياً كلما جاءوا نبياً أبى عليهم.

قال رسول الله ﷺ: حتى يأتوني، فأنطَلقُ إلى الفَحْص فأخِرُّ ساجداً».

قال أبو هريرةَ: يا رسولَ الله وما الفحصُ؟ قال: «قُدّامَ العرشِ، حتى يبعث اللّهُ إليّ ملَكاً فيأخذ بعضُدي ويرفعني فيقول لي: يا محمد.

فأقول: نعم يا رب.

فيقول عز وجل: ما شأنُك؟ وهو أعلمُ.

فأقول: يا ربِّ وعدتني الشفاعةَ فشفِّعني في خلقك فاقضِ بينهم.

قال الله: قد شفَعتُك، أنا آتيكم أقضي بينكم.

قال رسولُ الله ﷺ: فأرجع فأقفُ مع الناس، فبينما نحن وقوفٌ إذ سمِعنا من السَّماءِ حِسّاً شديداً فهالنا، فينزل أهلُ السماءِ الدنيا بمثلَيْ مَن في الأرض من الجن والإنس، حتى إذا دَنَوا من الأرض أشرقت الأرضُ بنورهم وأخذوا مَصافَّهم وقلنا لهم: أفيكم ربُّنا؟ قالوا: لا وهو آتٍ.

ثم ينزل أهلُ السماء الثانية بمثلَيْ من نزل من الملائكة وبمثلَيْ من فيها من الجن والإنس، حتى إذا دَنَوا من الأرض أشرقت الأرضُ بنورهم وأخذوا مَصافَّهم، وقلنا لهم: أفيكم ربُّنا؟ فيقولون: لا وهو آتٍ.

ثم ينزلون على قدْر ذلك من التضعيف، حتى ينزل الجبارُ عز وجل في ظُللٍ من الغمام والملائكةُ، فيحمل عرشَه يومئذٍ ثمانيةٌ وهم اليوم أربعةٌ، أقدامُهم في تخوم الأرضِ السُّفلى، والأرضُ والسمواتُ إلى حُجَزهم، والعرش على مناكبهم، لهم زَجَلٌ في تسبيحهم يقولون: سبحان ذي العزةِ والجَبروت، سبحان ذي المُلكِ والملَكوت، سبحان الحيِّ الذي لا يموت، سبحان الذي يُميت الخلائقَ ولا يموت، سُبُّوحٌ قُدّوسٌ قُدُّوس قدوسٌ، سبحان ربِّنا الأعلى ربِّ الملائكةِ والروُح، سبحان ربِّنا الأعلى الذي يُميت الخلائِقَ ولا يموت.

فيضع اللّهُ كرسيَّه حيث يشاء من أرضه، ثم يهتف بصوته فيقول: يا معشرَ الجنِّ والإنسِ إني قد أنصَتُّ لكم منذ خلقتُكم إلى يومكم هذا، أسمع قولَكم وأُبصِر أعمالَكم، فأنصِتوا إلي، فإنما أعمالُكم وصُحفُكم تُقرأ عليكم، فمن وجد خيراً فليحمد اللّهَ، ومن وجد غيرَ ذلك فلا يلومنَّ إلا نفسَه.

ثم يأمر اللّهُ جهنمَ فيَخرُج منها عُنقٌ ساطعٌ مُظلم، ثم يقول: ﴿۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [يس]، أو ﴿بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ شك أبو عاصم ﴿وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ [يس: ٥٩] فيميزُ اللّهُ الناسَ وتجثوا الأمم، يقول الله تعالى: ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية: ٢٨].

فيقضي اللّهُ عز وجل بين خلقِه إلا الثقلين الجنَّ والإنسَ فيقضي بين الوحوشِ والبهائم حتى إنه لَيقضي للجمّاء من ذات القَرن.

فإذا فرغ من ذلك فلم تبقَ تَبِعةٌ عند واحدة للأخرى قال الله لها: كوني تراباً، فعند ذلك يقول الكافرُ: يا ليتني كنت تراباً.

ثم يقضي اللّهُ تعالى بين العبادِ: فكان أولَ ما يقضي فيه الدماءُ، ويأتي كلُ قتيلٍ في سبيل الله، ويأمر اللّهُ عز وجل كلَّ من قُتل فيحمِلُ رأسَه تشخَب أوداجُه.

فيقول: يا ربِّ فيمَ قتلني هذا؟.

فيقول ـ وهو أعلمُ ـ فيمَ قتلتَهم؟.

فيقول: قتلتُهم لتكونَ العزةُ لك.

فيقول اللّهُ له: صدقْتَ، فيجعل اللّهُ وجهَه مثلَ نورِ الشمس، ثم تمر به الملائكة إلى الجنة.

ثم يأتي كلُّ من قُتل على غير ذلك يحمِل رأسَه وتشخَب أوداجُه فيقول: يا ربّ قتلني هذا؟

فيقول تعالى وهو أعلم: لم قتلتَهم؟.

فيقول: يا ربِّ قتلتهُم لتكونَ العزةُ لي.

فيقول: تعِسْتَ، ثم لا تبقى نفسٌ قتلها إلا قُتل بها ولا مَظلِمةٌ ظلمها إلا أُخذ بها، وكان في مشيئة اللّهِ إن شاء عذبه وإن شاء رحمه.

ثم يقضي اللّهُ تعالى بين من بقيَ من خلقه حتى لا تبقى مَظلِمةٌ لأحد عند أحدٍ إلا أخذها اللّهُ للمظلوم من الظالم حتى إنه ليُكلّفُ شائبَ اللبنَ بالماء ثم يبيعُه أن يُخلّصَ اللبنَ من الماء.

فإذا فرَغ اللّهُ تعالى من ذلك نادى منادٍ يُسمع الخلائقَ: ألا لِيلحقْ كلُ قومٍ بآلهتهم وما كانوا يعبدون من دون الله، فلا يبقى أحدٌ عَبد مِن دون اللّهِ إلا مُثلتْ له آلهتُه بين يديه، ويُجعل يومئذ ملكٌ من الملائكة على صورة عُزيرٍ، ويُجعل ملكٌ من الملائكة على صورة عيسى بنِ مريمَ، ثم يتبع هذا اليهودُ وهذا النصارى ثم قادتهم آلهتُهم إلى النار وهو الذي يقول: ﴿لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَاۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٩].

فإذا لم يبقَ إلا المؤمنون فيهم المنافقون جاءهم اللّهُ فيما شاء من هيئته فقال: يا أيها الناسُ ذَهَبَ الناسُ فالْحقوا بآلهتكم وما كُنتُمْ تعبدون.

فيقولون واللَّهِ واللَّهِ ما لنا إلهٌ إلا اللَّهُ، وما كنا نعبد غيرَه، فيكشف لهم عن ساقه ويتجلى لهم من عظمته ما يعرِفون أنه ربُّهم، فيخِرّون للأذقان سُجّداً على وجههم وَيَخِرُّ كلُّ منافقٍ على قَفاه، ويجعل اللَّهُ عز وجل أصلابَهم كصياصي البقر.

ثم يأذنُ اللَّهُ لهم فيرفعون، ويضربُ اللَّهُ الصراطَ بين ظَهرانِي جهنمَ كحدِّ الشفرةِ أو كحدِّ السيفِ عليه كلاليبُ وخطاطيفُ وحسَكٌ كحسك السَّعدانِ دونه جسرٌ دحْضٌ مَزَلّةٌ، فيمُرون كطرْف العينِ أو كلمح البرقِ أو كمر الريحِ أو كجياد الخيلِ أو كجياد الرِّكاب أو كجياد الرجالِ، فناجٍ سالمٌ، وناجٍ مخدوشٌ، ومكدوسٌ على وجهه في جهنم.

فإذا أفضى أهلُ الجنة إلى الجنة قالوا: من يشفعُ لنا إلى ربنا فندخُلَ الجنةَ؟ فيقولون: من أحقُّ بذلك من أبيكم آدمَ عليه السلام؟ خلقه اللَّهُ بيده ونفخ فيه من روحه وكلّمه قُبُلاً.

فيأتون آدمَ فيُطلب ذلك إليه فيذكرُ ذنباً ويقول: ما أنا بصاحب ذلك، ولكن عليكم بنوحٍ فإنه أولُ رسلِ الله.

فيؤتى نوحٌ فيُطلب ذلك إليه فيذكر ذنباً ويقول: ما أنا بصاحب ذلك، ويقول عليكم بإبراهيمَ فإن اللَّهَ تخيَره خليلاً.

فيؤتى إبراهيمُ فيُطلب ذلك إليه فيذكر ذنباً ويقول: ما أنا بصاحب ذلك، ويقول عليكم بموسى فإن اللَّهَ قرّبه نجياً وكلّمه وأنزل عليه التوراةَ.

فيؤتى موسى فيُطلب ذلك إليه فيذكر ذنباً ويقول: لست بصاحب ذلك ولكن عليكم بروح اللَّهِ وكلمتِه عيسى بنِ مريمَ.

فيؤتى عيسى بنُ مريمَ فيُطلب ذلك إليه فيقول: ما أنا بصاحبكم ولكن عليكم بمحمد.

قال رسولُ الله ﷺ فيأتوني ولي عند ربي ثلاثُ شفاعاتٍ وعَدَنيهنّ، فأَنطلقُ فآتي الجنةَ فآخُذ بحلقة البابِ فأستفتح فيُفتح لي فأُحَيّا ويرُحَّب بي، فإذا دخلتُ الجنةَ فنظرتُ إلى ربي خرَرْتُ له ساجداً فيأذن اللَّهُ لي من تحميده وتمجيدِه بشيء ما أذِن به لأحد من خلقه، ثم يقول: ارفع رأسَك يا محمدُ واشفَعْ تشفّع، وسَلْ تُعطَ، فإذا رفعتُ رأسي يقول اللَّهُ تعالى - وهو أعلمُ - ما شأنُك؟ فأقول: يا ربِّ وعدتَني الشفاعةَ فشفّعْني في أهل الجنةِ فيدخُلون الجنة.

فيقول الله: قد شفّعتُك، وقد أذِنتُ لهم في دخول الجنة».

وكان رسولُ الله ﷺ يقول: «والذي نفسي بيده ما أنتم في الدنيا بأعرفَ بأزواجكم ومساكنِكم من أهل الجنةِ بأزواجهم ومساكنِهم من أهل الجنةِ بأزواجهم ومساكنِهم».

فيدخُل كلُ رجلٍ منهم على اثنتين وسبعين زوجةً، سبعين ممَّا يُنشئ اللَّهُ عز وجل وثِنتين آدميتينِ من ولد آدمَ لهما فضلٌ على من أنشأ الله لعبادتهما اللَّه تعالى في الدنيا، فيدخل على الأولى في غُرفة من ياقوتةٍ على سرير من ذهب مُكلَّلٍ باللؤلؤ عليها سبعون زوجاً من سُندُسٍ وإستبرَقٍ، ثم إنه يضع يده بين كتِفيها ثم ينظر إلى يده من صدرها ومن وراء ثيابِها وجلدِها ولحمِها، وإنه لينظُر إلى مخ ساقِها كما ينظر أحدُكم إلى السِلْك في قصبة الياقوتِ، كبدُها له مرآةٌ وكِبدُه لها مرآةٌ، فبينا هو عندها لا يَملُّها ولا تملُّه ما يأتيها من مرة إلا وجدها عذراءَ ما يفتر ذكَرُه وما تشتكي قُبلَها.

فبينا هو كذلك إذ نودي: إنا قد عرَفنا أنك لا تَملُّ ولا تَملُّ، إلا أنه لا مَنِيَّ ولا مَنيةَ. إلا أن لك أزواجاً غيرَها، فيخرُج فيأتيهن واحدةَ واحدةً، كلما أتى واحدةً قالت له: واللَّهِ ما أرى في الجنة شيئاً أحسنَ منك ولا في الجنة شيءٌ أحبُ إليَّ منك.

وإذا وقع أهلُ النارِ في النار وقع فيها خلقٌ من خلق ربِك أوبقتْهم أعمالُهم، فمنهم من تأخذ النارُ قدميه ولا تجاوز ذلك، ومنهم من تأخذه إلى أنصاف ساقيه ومنهم من تأخُذه إلى ركبتيه ومنهم من تأخذه إلى حِقْويه، ومنهم من تأخذ جسدَه كلَّه إلا وجهَه حرم اللَّهُ صورتَه عليها.

قال رسول الله ﷺ: «فأقول يا ربِّ شفّعْني فيمن وقع في النار من أمتي، فيقول: أخرِجوا من عَرفتم، فيخرج أولئك حتى لا يبقى منهم أحدٌ.

ثم يأذن اللَّهُ تعالى في الشفاعة فلا يبقى نبيٌ ولا شهيدٌ إلا شفَع، فيقول الله تعالى: أخرجوا من وجدتم في قلبه زِنَةَ دينارٍ إيماناً، فيخرج أولئك حتى لا يبقى منهم أحدٌ.

ثم يشفع الله تعالى فيقول: أخرجوا من وجدتم في قلبه إيماناً ثُلثيْ دينار، ثم

يقول ثلثَ دينارٍ، ثم يقول ربعَ دينار، ثم يقول قيراط، ثم يقول حبةً من خَردل، فيخرج أولئك حتى لا يبقى منهم أحدٌ وحتى لا يبقى في النار من عمِل لله خيراً قط ولا يبقى أحدٌ له شفاعةٌ إلا شفَع، حتى إن إبليسَ يتطاول مما يرى من رحمة اللّهِ تعالى رجاءَ أن يُشفَع له.

ثم يقول: بقيتُ وأنا أرحم الراحمين فيُدخل يدَه في جهنمَ فيُخرِجُ منها ما لا يُحصيه غيرُه كأنهم حُممٌ فيُلقَون على نهر يقال له نهرُ الحَيوانِ فينبتُون كما تنبتُ الحِبَّةُ في حميل السيلِ، فما يلي الشمسَ منها أُخيضِرُ وما يلي الظلَّ منها أُصيفِرُ، فينبُتون كنبات الطراثيثِ حتى يكونوا أمثالَ الذرِّ، مكتوبٌ في رقابهم: الجهنميّون عُتقاءُ الرحمن، يعرِفهم أهلُ الجنةِ بذلك الكتابِ ما عمِلوا خيراً لله قطُّ، فيمكُثون في الجنة ما شاء الله وذلك الكتابُ في رقابهم، ثم يقولون: ربَّنا امحُ عنا هذا الكتابَ، فيمحوه الله عز وجل عنهم».

[تعليق ابن كثير على حديث الصُور المتقدم]

قال ابنُ كثير[1] ثم ذكره بطوله ثم قال: «هذا حديثٌ مشهورٌ، وهو غريبٌ جداً، ولبعضه شواهدٌ في الأحاديث المتفرقة، وفي بعض ألفاظه نَكارةٌ، تفرد به إسماعيلُ بنُ رافعٍ قاضي أهل المدينة، وقد اختُلف فيه: فمنهم مَن وثقه ومنهم من ضعّفه، ونص علَى نَكارة حديثه غيرُ واحدٍ من الأئمة كأحمدَ بنِ حنبلٍ[2] وأبي حاتمِ الرازيِّ[3] وعمْرو بن عليٍّ الفلاّسِ، ومنهم من قال فيه: هو متروكٌ.

وقال ابنُ عديٍّ[4]: أحاديثُه كلُها فيها نظرٌ إلا أنه يُكتب حديثُه في جملة الضعفاء.

قال رحمه الله تعالى: قلت وقد اختلف عليه في إسناد هذا الحديثِ على

---

(١) في تفسيره (٢/ ١٥٤).

(٢) انظر: «بحر الدم فيمن تكلم فيه الإمام أحمد بمدح أو ذم»، تأليف: يوسف بن حسن بن عبد الهادي. تحقيق وتعليق: د. أبو أسامة، وصي الله بن محمد بن عباس (ص٦٩ رقم ٧٦).

(٣) في «الجرح والتعديل» (١/ ١/ ١٦٨ ـ ١٦٩).

(٤) في «الكامل» (١/ ٢٧٩).

وجوه كثيرةٍ قد أفردتُها في جزء على حِدة، وأما سياقُه فغريبٌ جداً، ويقال إنه جمعه من أحاديثَ كثيرةٍ وجعله سياقاً واحداً فأنكر عليه بسبب ذلك. وسمعتُ شيخَنا الحافظَ أبا الحجاجِ المَزّيَّ يقول: إنه رأى للوليد بنِ مسلم مصنفاً قد جمعه كالشواهد لبعض مفرداتِ هذا الحديثِ، فاللَّهُ أعلمُ». انتهى كلامُه رحمه الله تعالى.

وروى الإمامُ أحمدُ[1] عن عبد الله بنِ عمرِو بنِ العاصِ قال: «**جاء أعرابيٌ إلى النبي ﷺ فقال: ما الصُّورُ؟ فقال قَرْنٌ ينفخ فيه**».

وفي حديث أبي سعيد الخُدريِّ[2] ﷺ أن النبي ﷺ قال: «**كيف أنعم وصاحبُ الصورِ قد التقمه وأصغى سمعَه وحنى جبهتَه ينتظر متى يُؤمَر، فقالوا: يا رسولَ اللَّهِ وما تأمُرنا؟ قال: قولوا حسبُنا اللَّهُ ونعم الوكيل**».

---

(١) في «المسند» (٢/ ١٦٢، ١٩٢) بسند صحيح.
قلت: وأخرجه الحاكم (٤/ ٥٦٠) وقال: «حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.
وأخرجه أبو داود (٥/ ١٠٧ رقم ٤٧٤٢) والترمذي (٤/ ٦٢٠ رقم ٢٤٣٠) وقال الترمذي: «هذا حديث حسن...».
وخلاصة القول أن الحديث صحيح، والله أعلم.

(٢) أخرجه الترمذي (٤/ ٦٢٠ رقم ٢٤٣١) وابن ماجه (٢/ ١٤٢٨ رقم ٤٢٧٣) وابن المبارك في «الزهد» رقم (١٥٩٧) وأحمد (٣/ ٧، ٧٣) وأبو نعيم في الحلية (٥/ ١٠٥، ٧/ ١٣٠، ٣١٢) من طرق عن عطية العوفي، عن أبي سعيد.
قال الترمذي: حديث حسن. أي لغيره، فإن عطية العوفي، ضعيف، إلا أنه توبع.
وقد تابعه أبو صالح عن أبي سعيد به.
أخرجه أبو يعلى (٢/ ٣٣٩ ـ ٣٤٠ رقم ١١٠/ ١٠٨٤) وابن حبان (رقم: ٢٥٦٩ ـ موارد) والحاكم (٤/ ٥٥٩) من طريقين عن الأعمش عن أبي صالح به.
قال الحاكم: «ولولا أن أبا يحيى التيمي على الطريق لحكمت للحديث بالصحة، على شرط الشيخين».
وقال الألباني في «الصحيحة» (٣/ ٦٧): «قلت: قد تابعه جرير عن الأعمش عند أبي يعلى وابن حبان، فالسند صحيح على شرطهما» اهـ.
وفي الباب من حديث ابن عباس، وزيد بن أرقم وأنس بن مالك، وجابر بن عبد الله، والبراء بن عازب.
انظر تخريجها في: «الصحيحة» رقم (١٠٧٩).
وخلاصة القول أن الحديث صحيح بشواهده، والله أعلم.

(غُرْلاً حُفاةً) الأغرلُ: الأقلفُ، حفاةً غيرَ منتعلِين **(كجراد منتشر)** شُبّهوا بالجراد المنتشرِ لكثرته ولكونه ليس له وِجهةٌ يقصِدها بل يختلف ويموج بعضُه في بعض وهم كذلك. قال الله تعالى: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ ۝٦ خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ۝٧ مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ۝٨﴾ [القمر].

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِى ٱلنَّاقُورِ ۝٨ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ۝٩ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ۝١٠﴾ [المدثر].

وفي الصحيحين[(١)] عن أبي هريرةَ ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**يحشر الناسُ على ثلاث طرائقَ: راغبين راهبين، واثنان على بعير، وثلاثةٌ على بعير، وأربعةٌ على بعير، وعشَرةٌ على بعير، ويَحشرُ بقيتَهم النارُ تَقيلُ معهم حيث قالوا، وتَبيت معهم حيث باتوا، وتُصبح معهم حيث أصبحوا، وتُمسي معهم حيث أمسَوا**».

وفيهما[(٢)] عن ابن عباس ﷺ قال: قام فينا رسولُ الله ﷺ يخطُب فقال: «**إنكم محشورون حفاةً عراةً غُرْلاً** ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾ [الأنبياء: ١٠٤] الآية. **إن أولَ الخلائقِ يُكسَى يوم القيامة إبراهيمُ وإنه سيُجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذاتَ الشمال فأقول: يا ربِّ أُصيحابي، فيقول الله عز وجل: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول كما قال العبدُ الصالحُ:** ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۝١١٧ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١١٨﴾ [المائدة].

قال: فيقال: إنهم لم يزالوا مرتدّين على أعقابهم».

وفي رواية[(٣)]: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**إنكم ملاقوا اللّه حفاةً عراة مُشاةً غُرْلاً**».

وفي أخرى[(٤)] قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يخطب على المنبر.

---

(١) البخاري (١١/ ٣٧٧ رقم ٦٥٢٢)، ومسلم (٤/ ٢١٩٥ رقم ٢٨٦١).
(٢) البخاري (١١/ ٣٧٧ رقم ٦٥٢٦)، ومسلم (٤/ ٢١٩٤ رقم ٢٨٦٠).
(٣) البخاري (١١/ ٣٧٧ رقم ٦٥٢٤).
(٤) البخاري (١١/ ٣٧٧ رقم ٦٥٢٥).

وفيهما[1] عن عائشةَ رضي الله عنها قالت: قال رسولُ الله ﷺ: **«تحشرون حفاةً عُراةً غُرلاً. قالت عائشةُ فقلت: يا رسولَ الله الرجالُ والنساءُ ينظر بعضُهم إلى بعض؟ فقال: الأمرُ أشدُّ من أن يُهِمَّهم ذلك»**.

وفي رواية النسائي[2]: **«فقالت عائشةُ: يا رسول الله فكيف بالعورات؟ فقال: لكل امرئٍ منهم يومئذ شأنٌ يغنيه»**.

وروى هو[3] وابن أبي حاتم[4] عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«تحشرون حفاةً عراة مشاةً غُرلاً. قال فقالت زوجتُه: يا رسولَ الله ينظر - أو يرى - بعضُنا عورةَ بعض؟ قال: لكل امرئٍ منهم يومئذ شأنٌ يغنيه»** أو قال: **«ما أشغَلَهم عن النظر»** رواه الترمِذيُّ[5] بنحوه وقال حسنٌ صحيح.

وروى ابن أبي حاتم[6] عن أنس رضي الله عنه قال: **«سألت عائشةُ رضي الله عنها رسولَ الله ﷺ فقالت: يا رسولَ الله بأبي أنت وأمي إني سائلتُك عن حديث فتخبِرُني أنت به. قال: إن كان عندي منه علمٌ. قالت: يا نبيَّ الله كيف يُحشر الرجالُ؟ قال: حفاةً عراةً. قالت: واسوأتاه من يوم القيامة. قال: وعن أي ذلك تسألين؟ إنه قد نزل عليَّ آيةٌ لا يضُرك كان عليك ثيابٌ أو لا يكون. قالت: أيةُ آيةٍ يا نبيَّ الله؟ قال: ﴿لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾** [عبس: ٣٧].

وروى البغويُّ[7] بإسناد الثعلبيِّ عن سَودةَ زوجِ النبيِّ ﷺ قالت: قال

---

(١) البخاري (١١/ ٣٧٧ - ٣٧٨ رقم ٦٥٢٧)، ومسلم (٤/ ٢١٩٤ رقم ٢٨٥٩).
(٢) في السنن (٤/ ١١٤ رقم ٢٠٨٣).
(٣) أي النسائي (٤/ ١١٤).
(٤) في تفسيره (١٠/ ٣٤٠٠ رقم ١٩١٢٩).
(٥) في السنن (٥/ ٤٣٢ رقم ٣٣٣٢) بسند حسن.
قلت: وأخرجه الحاكم (٢/ ٢٥١) وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.
(٦) في تفسيره (١٠/ ٣٤٠٠ رقم ١٩١٣٠) بسند ضعيف.
(٧) في تفسيره (٨/ ٣٤٠).
قلت: وأخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٥١٤ - ٥١٥) وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم.
وزاد السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٤٢٣) عزوه للطبراني وابن مردويه والبيهقي. =

رسولُ الله ﷺ: «يُبعث الناسُ حفاةً عراة غزلاً، قد ألجمهم العرَق وبلغ شحومَ الآذانِ. فقلت: يا رسولَ الله واسوأتاه، ينظر بعضُنا إلى بعض؟ فقال: قد شُغل الناسُ، لكل امرئ منهم يومئذ شأنٌ يغنيه».

وفي الصحيحين[(١)] عن قتادةَ عن أنس بنِ مالكٍ رضي الله عنه: «أن رجلاً قال: يا نبيَّ الله كيف يُحشر الكافرُ على وجهه؟ قال: أليس الذي أمشاه على الرجلين في الدنيا قادراً على أن يُمشِيَه على وجهه يوم القيامة»؟.

قال قتادة: بلى وعزةِ ربنا، قلت: وذلك قولُ الله عز وجل: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا﴾ [الإسراء: ٩٧] الآيات.

فشتَّان ما بين الفريقين، وفَرقانَ ما بين الطريقين. أولئك يفِدون رَكْباً إلى جنات النعيم، ورحمةِ الرحمن الرحيم، وزيارةِ الربِّ العظيم، وهؤلاء يُسحبون سحباً إلى نار الجحيم، ونَكالِها الأليم، وعذابها المقيم: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾﴾ [مريم].

قال ابن عباس[(٢)]: وفداً رُكباناً.

وقال أبو هريرةَ[(٣)]: على الإبل.

وقال ابن جُريج[(٤)]: على النجائب.

وقال الثوري[(٤)]: على الإبل النُوق.

وقال قتادةُ[(٤)]: إلى الجنة.

وقال عليُّ بنُ أبي طالب رضي الله عنه: ما يُحشرون واللّهِ على أرجلهم، ولكن على نوق رحالُها الذهبُ، ونجائبَ سُرُجها يواقيتُ، إن همّوا بها سارتْ وإن همّوا بها طارت.

= وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٣٣٣): «رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن عياش وهو ثقة» اهـ.

(١) البخاري (١١/ ٣٧٧ رقم ٦٥٢٣)، ومسلم (٤/ ٢١٦١ رقم ٢٨٠٦).

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ج١٦/ ١٢٧) بسند منقطع.

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ج١٦/ ١٢٧) بسند مجهول.

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ج١٦/ ١٢٧).

وروى عبدُ الله ابنُ الإمام أحمدَ في مسند أبيه[1] عن النعمان بنِ سُويد قال: كنا عند عليّ رضي الله عنه فقرأ هذه الآيَةَ ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾ [مريم: ٨٥].

قال: لا واللّهِ ما على أرجلهم يُحشَرون، ولا يُحشر الوفدُ على أرجلهم ولكن بنوق لم يرَ الخلائقُ مثلَها، عليها رحائلُ من ذهب فيركبون عليها حتى يضربوا أبوابَ الجنة.

ورواه ابنُ أبي حاتم[2] وزاد: عليها رحائلُ الذهبِ وأزِمَّتُها الزَّبَرْجَدُ.

ولابن أبي حاتم[3] عنه رضي الله عنه كان ذات يوم عند رسولِ الله ﷺ فقرأ هذه الآية: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾ [مريم: ٨٥]، فقال: ما أظن الوفدَ إلا الركبَ يا رسول الله، فقال النبيُّ ﷺ: **«والذي نفسي بيده إنهم إذا خرجوا من قبورهم يُستقبَلون ـ أو يُؤتَون ـ بنوق بِيضٍ لها أجنحةٌ وعليها رحالُ الذهب، شرَكُ نعالِهم نورٌ يتلألأ، كلُّ خُطوةٍ منها مدُّ البَصرِ فينتهون إلى شجرة ينبُع من أصلها عينانِ فيشربون من إحداهما فتغسل ما في بطونهم من دنَس، ويغتسلون من الأخرى فلا تشعَثُ أبشارُهم ولا أشعارُهم بعدها أبداً، وتجري عليهم نَضرةُ النعيم فينتهون ـ أو فيأتون ـ بابَ الجنة، فإذا حلقةٌ من ياقوتة حمراءَ على صفائِح الذهبِ فيضرِبون بالحلْقة على الصفحة فيُسمع لها طَنينٌ»**، وذكر الحديثَ مطولاً والصحيحُ وقفُه.

﴿وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ [مريم: ٨٦]، أي عِطاشاً قد تقطعت أعناقُهم من العطش، والوِرْدُ الجماعةُ يرِدون الماءَ، ولا يرد أحدٌ الماءَ إلا بعد عطَش.

قلت: ولكنهم ورَدوا لا إلى ماء بل إلى جهنَم وجحيمِها، ومُهْلِها وحَميمِها.

وفي حديث الشفاعة الطويل[4]: **«فيُقال لهم: ماذا تشتهون؟ فيقولون:**

---

(١) (١/ ١٥٥) **بسند ضعيف.**

قلت: وأخرجه الحاكم (٢/ ٣٧٧) وقال: صحيح على شرط مسلم. قال الذهبي: بل عبد الرحمن ـ ابن إسحاق القرشي ـ هذا لم يرو له مسلم، ولا لخاله النعمان ـ بن سعيد ـ وضعفوه.

وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ج١٦/ ١٢٦) **بسند ضعيف.**

(٢) كما في تفسير ابن كثير (٣/ ١٤٥) **بسند ضعيف.**

(٣) كما في تفسير ابن كثير (٣/ ١٤٥) **بسند ضعيف.**

(٤) تقدم تخريجه.

عطِشنا. فيُشار لهم إلى جهنمَ كأنها سرابٌ يحطِم بعضُها بعضَها، فيقال لهم: ألا ترِدون» الحديث.

فسبحان اللَّهِ وبحمده، اللَّهُ أكبر، كانوا في الدنيا على السواء يُرزَقون ويسيرون ويذهبون ويجيئون، يُؤتاها من يحبه اللَّهُ ومن لا يُحب، فلما جاءهم الموتُ عرَف كلٌ منهم سبيلَه، واتضح له مَقيلُه.

فلما كانوا في البرزخ خلا كلٌ منهم بعمله، وأفضى إلى ما قدم قبل أجلِه، فبينما هم كذلك إذ صرخ بهم الصارخُ، وصاح بهم الصائحُ، فخرجوا من الأجداث مسرعين، إلى الداعي مهطعين، هذا على النجائب، وهذا على الركائب، وهذا على قدميه، وهذا على وجهه.

هؤلاء في النور ينظُرون، وأولئك في ظلمات لا يُبصرون. هؤلاء إلى الرحمن يفِدون، وأولئك إلى النار يَرِدون. هؤلاء حُلّوا أساورَ من فضة وسقاهم ربُهم شراباً طهوراً، وأولئك غُلّوا بالسلاسل وعلَتْهم الزبانيةُ بالمقامع، يضرِبون بطوناً منهم وظهوراً.

هؤلاء وقاهم اللَّهُ شرّ ذلك اليوم ولقّاهم نضرةً وسروراً، وجزاهم بما صبروا جنةً وحريراً، متكئين فيها على الأرائك لا يرَون فيها شمساً ولا زمهريراً. وأولئك أعدَّ اللَّهُ لهم سعيراً، إذا رأتهم من مكان بعيد سمِعوا لها تغيُّظاً وزفيراً، وإذا أُلقوا منها مكاناً ضيقاً مقرَّنين دَعَوا هنالك ثبوراً، لا تدْعوا اليوم ثبوراً واحداً وادعوا ثبوراً كثيراً.

هؤلاء عليهم حُللُ السُندسِ والإستبرقِ وسائرِ الألوان، وأولئك مقرَّنون في الأصفاد سرابيلُهم من قطِران. هؤلاء إلى زيارة ربهم يَرْكبون، وأولئك إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون. هؤلاء ينظُرون إلى ربهم بُكرةً وعشياً، وأولئك تُركوا في جهنمَ جِثيّا.

هؤلاء يقول لهم ربُهم سلامٌ عليكم بما صبرتم فنعِمَ عُقبى الدار، وأولئك يقول لهم اخسَأوا فيها ولا تكلِّمون، وما هم بخارجين من النار. هؤلاء يُقرُّون بذنوبهم فيغفِرها لهم ربُّ العالمين، وأولئك ينادى بهم على رءوس الأشهادِ: هؤلاء الذين كذَبوا على ربهم ألا لعنةُ الله على الظالمين.

فحينئذ ظهرَ الفُرقانُ، وافترق الطريقان، وامتاز الفريقان، وصار الغيبُ شهادةً والسرُّ علانيةً، والمستورُ مكشوفاً، والمُخبأُ ظاهراً: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ [ص: ٢٨]، ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الجاثية: ٢١].

كم كاسٍ في الدنيا طال يومئذ عُرْيُه، كما طاعمٍ في الدنيا عظُم يومئذ جوعُه، كم ريّانَ في الدنيا اشتد يومئذ عطشُه، كم ناعمٍ في الدنيا حَقَّ به يومئذ بؤسُه: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ (٨٣) مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٨٤)﴾ [القصص].

[الاجتماع ليوم الفصل]

(ويُجمع الخلقُ ليوم الفصلِ ... جميعُهم عُلويُّهم والسُّفْلي)
(في موقف يجِلُّ فيه الخطبُ ... ويعظُم الهولُ به والكرب)

(ويجمع الخلق) أولُهم وآخرُهم **(ليوم الفصل)** يومَ يفصل الرحمنُ بين الخلائق، سمّاه الله تعالى يومَ الفصلِ لذلك، وسمّاه يومَ التغابُن لكثرة المغبونين يومئذ، وسمّاه يومَ الجمعِ لأنه يَجمع فيه الأولين والآخِرين في صعيد واحد، يُسمعُهم الداعي ويَنفُذهم البصرُ، وسمّاه يومَ التلاقِ لأنه يلقى فيه العبدُ ربَّه، ويلقى فيه العاملُ عملَه، ويلتقي فيه الأولون بالآخرين، ويلتقي فيه أهلُ السمواتِ والأرضين، وسمّاه يومَ القيامة لأن فيه قيامَ الخلائقِ من القبور، وسماه يومَ التنادِ، لتنادي العبادِ بعضِهم بعضاً، ولمناداة اللّهِ عز وجل عبادَه فيه، وبندائهم لِيتّبعَ كلُّ قوم ما كانوا يعبدون، ولتنادي أصحابِ الجنةِ وأصحابِ النار، ولمناداة أصحابِ الأعرافِ كلاً من الفريقين، وللمناداة على كل عامل بعمله وغير ذلك، قال الله عز وجل: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [النساء: ٨٧].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾ [التغابن: ٩].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ﴾ [المائدة: ١٠٩].

وقال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَجَمَعۡنَٰهُمۡ جَمۡعٗا﴾ [الكهف: ٩٩].

وقال تعالى: ﴿وَحَشَرۡنَٰهُمۡ فَلَمۡ نُغَادِرۡ مِنۡهُمۡ أَحَدٗا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفّٗا لَّقَدۡ جِئۡتُمُونَا كَمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةِۭۚ﴾ [الكهف: ٤٧ ـ ٤٨].

وقال تعالى: ﴿لِأَيِّ يَوۡمٍ أُجِّلَتۡ ﴿١٢﴾ لِيَوۡمِ ٱلۡفَصۡلِ ﴿١٣﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ﴿١٤﴾ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾﴾ [المرسلات].

وقال تعالى: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلۡعَرۡشِ يُلۡقِي ٱلرُّوحَ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوۡمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوۡمَ هُم بَٰرِزُونَۖ لَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنۡهُمۡ شَيۡءٞۚ﴾ [غافر: ١٥ ـ ١٦].

وقال تعالى: ﴿فَأَعۡقَبَهُمۡ نِفَاقٗا فِي قُلُوبِهِمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ يَلۡقَوۡنَهُۥ﴾ [التوبة: ٧٧].

وقال تعالى: ﴿يَوۡمَئِذٖ يَصۡدُرُ ٱلنَّاسُ أَشۡتَاتٗا لِّيُرَوۡاْ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴿٦﴾ فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة].

وقال تعالى: ﴿يَوۡمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ صَفّٗاۖ﴾ [النبأ: ٣٨].

﴿وَيَوۡمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلۡغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٥]، وقبل ذلك: ﴿يَوۡمَ يَرَوۡنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشۡرَىٰ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُجۡرِمِينَ﴾ [الفرقان: ٢٢].

وقال في السعداء: ﴿لَا يَحۡزُنُهُمُ ٱلۡفَزَعُ ٱلۡأَكۡبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [الأنبياء: ١٠٣].

وقال تعالى عن مؤمن آلِ فرعون: ﴿وَيَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوۡمَ تُوَلُّونَ مُدۡبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۗ﴾ [غافر: ٣٢ ـ ٣٣].

وقال تعالى: ﴿وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ فَيَقُولُ أَيۡنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ ﴿٦٢﴾﴾ ـ إلى قوله ـ ﴿وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبۡتُمُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [القصص: ٦٢ ـ ٦٥].

وقال تعالى في مناداة المنافقين المؤمنين: ﴿يُنَادُونَهُمۡ أَلَمۡ نَكُن مَّعَكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمۡ فَتَنتُمۡ أَنفُسَكُمۡ﴾ [الحديد: ١٤] الآيات.

وقال تعالى: ﴿وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾﴾ ـ إلى قوله في أصحاب الأعراف ـ ﴿وَنَادَوۡاْ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۚ﴾ ـ إلى قوله ـ ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٗا يَعۡرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمۡ﴾ ـ إلى قوله ـ ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ

ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾﴾ [الأعراف: ٤٣ ـ ٥٠].

وقال تعالى: ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُعۡرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمۡ وَيَقُولُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ﴾ [هود: ١٨]، وغيرُها من الآيات.

(جميعُهم علويُّهم) وهم عوالمُ السمواتِ **(والسفليّ)** وهم عوالمُ الأرضين، وقد تقدم في حديث الصورِ كيفيةُ صفوفِهم وتضعيفُهم وإحاطةُ بعضِها ببعض. **(في موقف)** عظيم **(يجلّ)** يشتدّ **(فيه الخطبُ)** الشأنُ والأمرُ **(ويعظُم الهولُ)** الأمرُ الفظيعُ الهائلُ **(به)** أي فيه **(والكربُ)** الحزنُ الآخذُ بالنفس والهمُّ والغمُّ.

وقد وصف تعالى موقفَ القيامةِ بشدةِ ذلك كله كما قال: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿٥﴾ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾﴾ [المطففين].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعۡمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمۡ لِيَوۡمٖ تَشۡخَصُ فِيهِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهۡطِعِينَ مُقۡنِعِي رُءُوسِهِمۡ لَا يَرۡتَدُّ إِلَيۡهِمۡ طَرۡفُهُمۡۖ وَأَفۡـِٔدَتُهُمۡ هَوَآءٞ ﴿٤٣﴾﴾ [إبراهيم].

وقال تعالى: ﴿وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡأٓزِفَةِ إِذِ ٱلۡقُلُوبُ لَدَى ٱلۡحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَۚ﴾ [غافر: ١٨].

وقال تعالى: ﴿فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ﴾ ـ إلى قوله ـ ﴿وَلَا يَسۡـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمٗا ﴿١٠﴾ يُبَصَّرُونَهُمۡۚ يَوَدُّ ٱلۡمُجۡرِمُ لَوۡ يَفۡتَدِي مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِئِذِۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِي تُـٔۡوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾﴾ [المعارج: ٤ ـ ١٤].

وقال تعالى: ﴿فَذَٰلِكَ يَوۡمَئِذٖ يَوۡمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ غَيۡرُ يَسِيرٖ ﴿١٠﴾﴾ [المدثر].

وقال تعالى: ﴿وَيَخَافُونَ يَوۡمٗا كَانَ شَرُّهُۥ مُسۡتَطِيرٗا﴾ ـ إلى قوله ـ ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوۡمًا عَبُوسٗا قَمۡطَرِيرٗا ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمِ﴾ [الإنسان: ٧ ـ ١١].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمۡ يَوۡمٗا ثَقِيلٗا﴾ [الإنسان: ٢٧].

وفي الصحيحين[1] عن عائشةَ ﵂ أن النبيَّ ﷺ قال: «**يقوم الناسُ لربِّ العالمين حتى يغيبَ أحدُهم في رشحه إلى أنصاف أذنيه**».

---

(١) البخاري (١١/ ٣٩٢ رقم ٦٥٣١)، ومسلم (٤/ ٢١٩٥ رقم ٢٨٦٢) من حديث ابن عمر.

ورواه أحمدُ[1] بلفظ: **«يوم يقوم الناسُ لرب العالمين لعظمة الرحمنِ عز وجل يومَ القيامة، حتى إن العرقَ ليُلْجِمُ الرجالَ إلى أنصاف آذانهم»**.

وله[2] عن المقداد بنِ الأسودِ الكِنْديِّ رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: **«إذا كان يومُ القيامة أُدنيت الشمسُ من العباد حتى تكونَ قدْرَ ميل أو ميلين، قال: فتصهَرُهم الشمسُ فيكونون في العرق كقدْر أعمالِهم، ومنهم من يأخذه إلى ركبتيه، ومنهم من يأخذه إلى حِقويه، ومنهم من يُلجمه إلجاماً»**، رواه مسلم[3] والتِرمِذيُّ[4].

وروى أحمدُ[5] أيضاً عن أبي أُمامةَ رضي الله عنه أن رسولَ اللّهِ ﷺ قال: **«تدنو الشمسُ يوم القيامة على قدْر ميلٍ ويزاد في حَرّها كذا وكذا، تغلي منها الهوامُّ كما تغلي القدور، يعرقون فيها على قدر خطاياهم: منهم من يبلُغَ إلى كعبيه، ومنهم من يبلُغ إلى ساقيه، ومنهم من يبلُغ إلى وسطه، ومنهم من يُلجمه العرقُ»**.

وفيه[6] عن عقبةَ بنِ عامرٍ رضي الله عنه قال: قال سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: **«تدنو الشمسُ من الأرض فيعرَقُ الناسُ: فمن الناسِ من يبلُغ عرقُه كعبيه، ومنهم من يبلُغ إلى نصف الساق، ومنهم من يبلُغ إلى ركبتيه، ومنهم من يبلُغ الحُجُزَ، ومنهم من يبلغ الخاصرة، ومنهم من يبلغ مَنكِبيه، ومنهم من يبلغ وسطَ فيه ـ وأشار بيده فألجمها فاه، رأيتُ رسول الله ﷺ يشير بيديه هكذا ـ ومنهم من يغطيه عرقُه، وضرب بيده إشارةً»**.

---

(١) في المسند (٢/ ١٣، ١٩، ٦٤، ٧٠، ١٠٥، ١١٢، ١٢٥، ١٢٦).
(٢) أي لأحمد في المسند (٦/ ٣).
(٣) في صحيحه (٤/ ٢١٩٦ رقم ٢٨٦٤).
(٤) في السنن (٤/ ٦١٤ رقم ٢٤٢١) وقال: هذا حديث حسن صحيح
(٥) في المسند (٥/ ٢٥٤).
قلت: وأخرجه الطبراني في الكبير (٨/ ٢٢٢ رقم ٧٧٧٩).
وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٣٣٥) وقال: «رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد رجال الصحيح غير القاسم بن عبد الرحمن وقد وثقه غير واحد».
(٦) أي في مسند أحمد (٤/ ١٥٧).
قلت: وأخرجه الطبراني في «الكبير» (١٧/ ٣٠٦ رقم ٨٤٤) وفي سنده ابن لهيعة. ولكن تابعه عند الطبراني في «الكبير» عمرو بن الحارث (١٧/ ٣٠٢ رقم ٨٣٤) وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٣٣٥) عنه: وإسناده جيد.

وفي الصحيح[1] من حديث أبي هريرةَ رضي الله عنه أن رسولَ اللّهِ ﷺ قال: «**يعرَق الناسُ يوم القيامة حتى يذهبَ عرقُهم في الأرض سبعين ذراعاً ويُلجمهم حتى يبلُغَ آذانَهم**».

ولابن أبي حاتم[2] عنه رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ لبشيرِ الغِفاري: «**كيف أنت صانعٌ في يومٍ يقومِ الناسُ فيه ثلثمَائةِ سنةٍ لرب العالمين من أيام الدنيا لا يأتيهم فيه خبرٌ من السماء ولا يؤمَر فيهم بأمر**»، قال بشير: المستعانُ الله. قال: «**فإذا أويتَ إلى فراشك فتعوذ بالله من كَرْب يوم القيامة وسوءِ الحساب**».

وفي السنن[3] عن عائشةَ رضي الله عنها أن رسولَ الله ﷺ كان يتعوّذ بالله من ضيق المقامِ يومَ القيامة.

وقوله تعالى: ﴿مُهْطِعِينَ﴾ [إبراهيم: ٤٣]، قال قَتادةُ[4]: مسرعين.

وقال مجاهدٌ[5]: مُديمي النظرِ.

ومعنى الإهْطاع أنهم لا يلتفتون يميناً ولا شمالاً ولا يعرِفون مواطنَ أقدامِهم.

﴿مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ﴾ [إبراهيم: ٤٣].

قال القُتيبي[6]: المُقْنعُ الذي يرفع رأسَه، ويُقبل ببصره على ما بين يديه.

وقال الحسنُ[7]: وجوهُ الناس يومئذ إلى السماء لا ينظر أحدٌ إلى أحد.

﴿لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾ [إبراهيم: ٤٣]، لا ترجِع إليهم أبصارُهم من شدة النظر وهي شاخصةٌ، قد شغلهم ما بين أيديهم.

---

(١) في صحيح البخاري (١١/ ٣٩٢ رقم ٦٥٣٢)، وأخرجه مسلم (٤/ ٢١٩٦ رقم ٢٨٦٣).
(٢) في تفسيره (١٠/ ٣٤١٠ رقم ١٩١٨٩).
قلت: وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ج٣٠/ ٩٣) **بسند ضعيف**.
(٣) أبو داود (١/ ٤٨٦ رقم ٧٦٦) والنسائي (٣/ ٢٠٨ رقم ١٦١٧) وابن ماجه (١/ ٤٣١ رقم ١٣٥٦) **بسند حسن**.
(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ج١٣/ ٢٣٧).
(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ج١٣/ ٢٣٧).
(٦) ذكره البغوي في «معالم التنزيل» (٤/ ٣٥٩).
(٧) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ج١٣/ ٢٣٩).

﴿وَأَفۡـِٔدَتُهُمۡ هَوَآءٞ﴾ [إبراهيم: ٤٣]، أي هي خاليةٌ.

قال قتادةُ[١]: خرجت قلوبُهم عن صدورهم فصارت في حناجرهم لا تخرُج من أفواههم ولا تعود إلى أماكنها، فأفئدتُهم هواءٌ لا شيءَ فيها، ومنه سُمّيَ ما بين السماءِ والأرضِ هواءً لخُلوّه، وقيل: خاليةٌ لا تعي شيئاً ولا تعقِل من الخوف.

وقال سعيدُ بنُ جبير[٢]: متردّدةٌ تمور في أجوافهم ليس لها مكانٌ تستقر فيه.

قال البغوي[٣] رحمه الله تعالى: «وحقيقةُ المعنى أن القلوبَ زائلةٌ عن أماكنها، والأبصارُ شاخصةٌ من هول ذلك اليوم» اهـ.

وهذا معنى قولِه عز وجل: ﴿إِذِ ٱلۡقُلُوبُ لَدَى ٱلۡحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَۚ﴾ [غافر: ١٨].

قال قتادةُ[٤]: وقفت القلوبُ في الحناجر من الخوف فلا تخرج ولا تعود إلى أماكنها. وكذا قال عِكرِمةُ والسُّديُّ[٤] وغير واحد.

ومعنى كاظمين: أي ساكتين لا يتكلم أحدٌ إلا بإذنه.

﴿يَوۡمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ صَفّٗاۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَقَالَ صَوَابٗا﴾ [النبأ: ٣٨].

وقال ابنُ جُريج[٥]: باكين.

وقال البغوي[٦]: «مكروبين ممتلئين خوفاً وجزَعاً، والكظْمُ تردّدُ الغيظِ والخوفِ والحزنِ في القلب حتى يضيقَ به».

﴿كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ﴾ [المعارج: ٤].

في الصحيحين[٧] من حديث أبي هريرة ﷺ في الزكاة وفيه: «**من كانت له إبلٌ لا يُعطِي فيها حقَّها في نَجدتها ورِسْلها. قلنا: يا رسول الله، ما نَجْدتُها**

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ج١٣/ ٢٤١).
(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ج١٣/ ٢٤٠).
(٣) في: معالم التنزيل» (٤/ ٣٥٩).
(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٢/ج٢٤/ ٥٢).
(٥) ذكره ابن كثير في تفسير (٤/ ٨٢).
(٦) في «معالم التنزيل» (٧/ ١٤٤).
(٧) البخاري (٣/ ٢٦٧ رقم ١٤٠٢)، ومسلم (٢/ ٦٨٠ رقم ٩٨٧).

ورِسلُها؟ قال في عُسرها ويُسرها. فإنها تأتي يوم القيامة كأغذ ما كانت وأكثرِه وأسمنِه وآشرِه حتى يُبطَح لها بقاع قَرقرٍ، فتطأهُ بأخفافها، فإذا جاوزت أُخراها أُعيدت عليه أولاها ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [المعارج: ٤]. **حتى يُقضى بين الناسِ فيرى سبيلَه: إما إلى الجنة، وإما إلى النار»**، الحديث.

﴿وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾ يُبَصَّرُونَهُمْ﴾ [المعارج: ١٠ ـ ١١]. لا يسأل القريبُ قريبَه عن حاله وهو يراه في أسوأ الأحوالِ فتشغله نفسُه عن غيره.

قال العَوفي عن ابن عباس[1]: يعرِف بعضُهم بعضاً ويتعارفون بينهم، ثم يفِرّ بعضُهم من بعض بعد ذلك يقول الله تعالى: ﴿لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٧].

وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ [لقمان: ٣٣].

وقولِه تعالى: ﴿وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَىْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ﴾ [فاطر: ١٨].

قال عِكرمةُ[2]: هو الجارُ يتعلق بجاره يوم القيامة فيقول: يا ربِّ سَلْ هذا لَمَ كان يُغلق بابَه دوني؟ وإن الكافرَ ليتعلّق بالمؤمن يومَ القيامة فيقول: يا مؤمنُ إن لي عندك يداً قد عرفتَ كيف كنتُ لك في الدنيا وقد احتجْتُ إليك اليوم، فلا يزال المؤمنُ يشفع له عند ربِه حتى يرُدَّه إلى منزل دون منزلِه وهو النار، وإن الوالدَ ليتعلق بولده يوم القيامة فيقول: يا بنيَّ أيَّ والدٍ كنتُ لك؟ فيُثني خيراً، فيقول: يا بنيَّ إني قد احتجتُ إلى مثقال ذرةٍ من حسناتك أنجو بها مما ترى، فيقول ولده: يا أبتِ ما أيسرَ ما طلبْتَ، ولكني أتخوف مثلَ ما تتخوّف فلا أستطيع أن أُعطِيَك شيئاً.

ثم يتعلق بزوجته فيقول: يا فلانةُ، أو يا هذه، أيَّ زوج كنتُ لك؟ فتثني خيراً، فيقول لها: إني أطلب إليك حسنةً واحدةً تَهَبِينَها إليّ لَعلّي أنجو بها مما تَرَين.

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٤/ج٢٩/ ٧٣ ـ ٧٤) بسند ضعيف.
(٢) انظر: ابن كثير (٣/٥٥٩) وتفسير ابن أبي حاتم (١٠/٣١٧٨).

قال فتقول: ما أيسرَ ما طلبتَ، ولكني لا أُطيق أن أُعطِيَك شيئاً، إني أتخوف مثلَ الذي تتخوَّف.

يقول الله تعالى: ﴿وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا﴾ [فاطر: ١٨] الآية.

ويقول تبارك وتعالى: ﴿لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا﴾ [لقمان: ٣٣].

ويقول تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾﴾ [عبس]. ﴿فَإِذَا نُقِرَ﴾ نُفخ، ﴿فِي النَّاقُورِ﴾ [المدثر: ٨] الصور.

روى ابنُ أبي حاتم[١] عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**كيف أنتم وصاحبُ القَرنِ قد التقم القرْنَ وحنى جبهته ينتظر متى يؤمَرُ فينفُخ**.

فقال أصحابُ رسولِ الله ﷺ: فما تأمرنا يا رسولَ الله.

قال: قولوا: حسبُنا الله ونعم الوكيل على الله توكلْنا». رواه الإمامُ أحمدُ[٢] وابنُ جريرٍ[٣].

﴿فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾ [المدثر: ٩]، شديدٌ ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ [المدثر: ١٠] عليهم.

ورُوي عن زُرارةَ بنِ أوفى قاضي البصرةِ رحمه الله تعالى أنه قرأ في صلاة الصبح بالمدثر فلما بلغ هذه الآية: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ ﴿٨﴾ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴿١٠﴾﴾ [المدثر] شهق شهقةً فمات[٤]، أولئك قومٌ قرأوا القرآنَ بقلوب حاضرةٍ وآذانٍ واعية وبصائرَ نافذةٍ، وأفهام جلّيةٍ ونفوسٍ عليّة، مستحضرين تأويلَ معانيه حين وقوعِها وأوانَ وعيدِها، شاهدين ببصائرهم من تكلم به فأنزله، فأثمر ذلك في قلوبهم خشيةَ اللّهِ عز وجل فذابوا خوفاً وحياءً من ربهم وشوقاً إليه ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨]، وقال تعالى فيهم: ﴿وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا﴾ [الإنسان: ٧].

---

(١)(٢)(٣) تقدم تخريجه وهو حديث صحيح.

(٤) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٥٠٦) وفي سنده عتاب بن المثنى القشيري. قال عنه الحافظ في «التقريب رقم (٤٤٢٣) مقبول.
وفي المستدرك وقع خطأ وهو «غياث» بدل «عتاب» كما في طبقات ابن سعد (٧/ ١٥٠).

قال ابن عباس[1]: فاشياً.

وقال قتادة[2]: استطار واللّهِ شرُّ ذلك اليومِ حتى ملأ السمواتِ والأرضَ.

وقال مقاتل[3]: كان شرُّه فاشياً في السموات، فانشقت وتناثرتْ الكواكبُ وكُوّرت الشمسُ والقمرُ وفزِعَت الملائكة، وفي الأرض نُسفت الجبالُ وغارت المياهُ وتكسّر كلُ شيءٍ على الأرض من جبل وبناءٍ.

قال ابنُ جرير[4]: ومنه قولُهم استطار الصَّدْعُ في الزجاجة واستطال.

ومنه قول الأعشى[5]:

فبانتْ وقد أثأَرت في الفُؤا د صَدْعاً على نأيها مستطيرا

يعني ممتداً فاشياً.

وقولُه: ﴿عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾، قال ابن عباس[6]: ضيقاً طويلاً. وعنه[7] قال: «يعبِسُ الكافرُ يومئذ حتى يسيلَ من بين عينيه عرَقٌ مثلُ القَطِران».

وقال مجاهد[8]: ﴿عَبُوسًا﴾ العابسُ الشفتين ﴿قَمْطَرِيرًا﴾ تقبُّضُ الوجهِ بالسُّيور.

وقال سعيد بنُ جبير[8] وقتادةُ[8]: تعبِسُ فيه الوجوهُ من الهول ﴿قَمْطَرِيرًا﴾ تقليصُ الجبين وما بين العينين من الهول.

---

(١) ذكره ابن كثير في تفسيره (٤/ ٤٨٤).

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٤/ج٢٩/ ٢٠٩).

(٣) ذكره ابن كثير في تفسيره (٤/ ٤٨٥).

(٤) في «جامع البيان» (١٤/ج٢٩/ ٢٠٩).

(٥) البيت للأعشى في ديوانه (ص٨٥) ط: صادر.
والرواية فيه (أوْرَثَتْ) في موضع (أثارت) ويبدو أن رواية ابن جرير محرفة عن (أسأرت) بالسين لا بالثاء، لأنه لا معنى للإثار هنا.
والصدع: الشق. والمستطير كما في «اللسان» المنتشر. وفي «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢١٦) ط: عالم الكتب.
«﴿وَيَخافُونَ يوماً كانَ شرُّهُ مستطيراً﴾ [الإنسان: ٧] ممتد البلاء، والعرب تقول: استطار الصدع في القارورة وشبهها، واستطال» اهـ.

(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٤/ج٢٩/ ٢١٢) **بسند منقطع**.

(٧) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٤/ج٢٩/ ٢١١).

(٨) ذكره ابن كثير في تفسيره (٤/ ٤٨٥).

وقال ابنُ زيدٍ[1]: العبُوس الشرُّ، والقمطريرُ الشديد.

وقال ابن جرير[2]: والقمطريرُ هو الشديد، يقال: هو يومٌ قمطريرٌ ويوم قُماطِرٌ ويوم عصيبٌ وعصَبْصَبٌ، وقد اقمطَرّ اليومُ يقمطِرّ اقمِطْراراً، وذلك أشدُّ الأيامِ وأطولُها في البلاء والشدةِ، ومنه قولُ بعضِهم:

بني عمِّنا هل تذكُرون بلاءَنا عليكم إذا ما كان يوم قُماطِرُ[3]

[حشر الخلائق للعرض ومعنى العرض]

(وأُحضِروا للعَرض والحسابِ وانقطعت علائقُ الأنسابِ)

(وارتكمت سحائبُ الأهوالِ وانعجم البليغُ في المقالِ)

(وأُحضروا للعرض) العرضُ له معنيان: معنىً عامٌ وهو عَرضُ الخلائقِ كلِّهم على ربهم عز وجل باديةً له صفَحاتُهم لا تخفى عليه منهم خافيةٌ. وهذا يدخُل فيه من يناقَش الحسابَ ومَن لا يحاسب.

والمعنى الثاني عَرضُ معاصي المؤمنين عليهم وتقريرُهم بها وسترُها عليهم ومغفرتُها لهم، والحسابُ المناقشة.

وقد ذكر اللّهُ تعالى في كتابه العزيز في غير ما موضعٍ إجمالاً وتفصيلاً كما قال: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٨]. الآيات.

وقال تعالى: ﴿وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الكهف: ٤٨] الآيات.

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوا قَالَ أَكَذَّبْتُم بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [النمل].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٤/ج٢٩/ ٢١٢).

(٢) في «جامع البيان» (١٤/ج٢٩/ ٢١١).

(٣) البيت في «اللسان»: قمطر. ولم ينسبه. وفي «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي (١٩/ ١٣٣) والفراء في «معاني القرآن» (٣/ ٢١٦).

مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة].

وقال تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الحجر].

وقال تعالى: ﴿وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ﴾ [الصافات: ٢٤].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾ [الغاشية]، وغير ذلك من الآيات.

وروى ابنُ أبي الدنيا[1] عن عمرَ رضي الله عنه قال: حاسبوا أنفسَكم قبل أن تُحاسبوا، وزِنوا أعمالَكم قبل أن توزَنوا، فإنه أخفُّ عليكم في الحساب غداً أن تحاسبوا أنفسَكم اليوم، وتزيّنوا للعَرض الأكبر ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ [الحاقة: ١٨].

وروى أحمدُ[2] وابنُ ماجه[3] عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«يُعرض الناسُ يوم القيامة ثلاثَ عرضات: فأما عَرْضتان فجِدالٌ ومعاذيرُ، وأما الثالثةُ فعند ذلك تطيرُ الصحفُ في الأيدي، فآخذٌ كتابَه بيمينه وآخذٌ كتابَه بشماله»**.

وللتِرمِذيّ[4] عن أبي هريرةَ رضي الله عنه نحوَه.

---

(١) في «محاسبة النفس والإزراء عليها» (ص٢٢ رقم ٢).
قلت: وأخرجه الترمذي في السنن (٤/٦٣٨) وابن المبارك في الزهد (ص١٠٣ رقم ٣٠٦) وأحمد في الزهد (ص١٤٩) وأبو نعيم في الحلية (١/٥٢).
وهو أثر موقوف على عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(٢) في المسند (٤/٤١٤).

(٣) في السنن (٢/١٤٣٠ رقم ٤٢٧٧).
وقال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (٣/٣١٥ رقم ١٥٣٢/٤٢٧٧): «هذا إسناد رجاله ثقات إلا أنّه منقطع. الحسن لم يسمع من أبي موسى قاله علي بن المديني وأبو حاتم وأبو زرعة».
رواه أبو بكر بن أبي شيبة في مسنده بإسناده ومتنه.
وله شاهد من حديث الحسن عن أبي هريرة رواه الترمذي وقال: لم يسمع الحسن من أبي هريرة».
وخلاصة القول أن الحديث ضعيف، والله أعلم.

(٤) في السنن (٤/٦١٧ رقم ٢٤٢٥) وقال: «ولا يصح هذا الحديث من قبل أنَّ الحسن لم =

وروى ابنُ جريرٍ[1] عن عبد الله بنِ مسعودٍ نحوَه موقوفاً.

وفي الصحيحين[2]: سئل رسولُ اللَّهِ ﷺ عن الحُمُر فقال: «**ما أنزل اللَّهُ فيها إلا هذه الآيةَ الفاذَّةَ الجامعةَ**: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾ [الزلزلة].

وروى الإمامُ أحمدُ[3] عن صَعصَعةَ بنِ معاويةَ عمِّ الفَرزدق أنه أتى النبيَّ ﷺ فقرأ عليه: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾ [الزلزلة].

قال: حسبي، لا أبالي أن لا أسمَعَ غيرَها.

وروى ابنُ جريرٍ[4] وابنُ أبي حاتمٍ[5] عن أنس قال: كان أبو بكر يأكل مع النبي ﷺ فنزلت هذه الآيةُ: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾ [الزلزلة].

فرفع أبو بكر يدَه وقال: يا رسولَ الله أُجزَى بما عمِلتُ من مثقال ذرة من

= يسمع من أبي هريرة، وقد رواه بعضهم عن علي الرُّفاعي عن الحسن عن أبي موسى عن النبي ﷺ» ـ وقد تقدم ـ.

(١) في «جامع البيان» (١٤/ج٢٩/٥٩).

(٢) البخاري في صحيحه (٨/ ٧٢٧ رقم ٤١٦٣) ومسلم في صحيحه (٢/ ٦٨٠ ـ ٦٨٢ رقم ٢٤/ ٩٨٧).

(٣) في المسند (٥/ ٥٩).
قلت: وأخرجه الطبراني في الكبير (٨/ ٩٠ رقم ٧٤١١) وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٤١): رواه أحمد والطبراني مرسلاً ومتصلاً ورجال الجميع رجال الصحيح.
والنسائي كما في تحفة الأشراف (٤/ ١٨٧ رقم ٤٩٤٢).

(٤) في «جامع البيان» (١٥/ج٣٠/ ٢٦٨ ـ ٢٦٩).

(٥) في «تفسير القرآن العظيم» (١٠/ ٣٤٥٥ ـ ٣٤٥٦ رقم ١٩٤٣٧ و ١٩٤٣٨).
قلت: وأخرجه الطبراني في الأوسط رقم ٨٤٠٧) وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ١٤٢) وشيخه موسى بن سهل، والظاهر أنه الوشاء، وهو ضعيف.
قلت: هو ليس بالوشاء. بل شيخه موسى بن سهل بن عبد الحميد أبو عمران الجوني البصري. ثقة.
انظر: «بلغة القاصي والداني في تراجم شيوخ الطبراني» (١/ ٣٣٢ رقم ٦٥٨).

شر؟ **«فقال: يا أبا بكر ما رأيتَ في الدنيا ممَّا تكره فبمثاقيلِ ذرِّ الشر، ويدّخِر اللَّهُ لك مثاقيلَ ذرِّ الخيرِ حتى تُوَفّاه يومَ القيامة»**.

وعن أبي العالية[1] في قوله: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الحجر].

قال: «يُسأل العبادُ كلُّهم عن خَلّتين يوم القيامة، عمّا كانوا يعبُدون وعمَّاذا أجابوا المرسلين».

وروى الإمامُ أحمدُ[2] عن ابن مسعودٍ قال: «والذي لا إلهَ غيرُه، ما منكم من أحد إلا سيخلو اللَّهُ به يومَ القيامة كما يخلو أحدُكم بالقمر ليلةَ البدر، فيقول: ابنَ آدمَ ماذا غرَّك مني بي، ابنَ آدمَ ماذا عمِلتَ فيما علِمْتَ، ابنَ آدمَ ماذا أجبتَ المرسلين».

ولابن أبي حاتم[3] عن معاذ بنِ جبل ﷺ قال: قال لي رسولُ الله ﷺ: **«يا معاذُ إن المرءَ يُسأل يوم القيامة عن جميع سعْيه حتى كُحلِ عينيه، وعن فُتات الطينةِ بأصبعيه، فلا أُلفِينّك يوم القيامةِ وأجدُ غيرَك أسعدَ بما آتاك الله منك»**.

وعن ابن عباس[4] ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [الحجر]، قال: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ﴾ [الرحمن: ٣٩].

قال: لا يسألُهم هل عمِلتم كذا لأنه أعلمُ بذلك منهم، ولكن يقول: لم عمِلتم كذا وكذا؟.

وفي الصحيح[5] عن عائشة ﵂ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: **«ليس أحدٌ يحاسب**

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ج١٤/٦٧) وذكره ابن كثير في تفسيره (٢/٥٧٩).

(٢) لم يخرجه أحمد في مسنده.
بل أخرجه الطبراني في الكبير (٩/٢٠٣ ـ ٢٠٤ رقم ٨٨٩٩ و ٨٩٠٠) على ابن مسعود موقوفاً.
أما الأول فسنده صحيح.
والثاني: رجاله رجال الصحيح غير شريك بن عبد الله وهو ثقة وفيه ضعف.

(٣) في تفسيره (٧/ ٢٢٧٣ رقم ١٢٤٥٠).

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢٢٧٤ رقم ١٢٤٥٣).

(٥) أي في صحيح مسلم (٤/ ٢٢٠٤ رقم ٧٩/ ٢٨٧٦).
قلت: وأخرجه البخاري في صحيحه (١/ ١٩٦ ـ ١٩٧ رقم ١٠٣) بنحوه.

يوم القيامة إلا هلك»، فقلت: يا رسولَ الله أليس قد قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾﴾ [الانشقاق]، فقال رسولُ الله ﷺ: «إنما ذلك العَرضُ، وليس أحدٌ يناقَش الحسابَ يوم القيامة إلا عُذِّب».

وفيه[1] عن أنس بنِ مالكٍ رضي الله عنه أن نبيَّ اللّهِ ﷺ كان يقول: «يُجاء بالكافر يومَ القيامة فيقال له: أرأيتَ لو كان لك ملءُ الأرضِ ذهباً أكنتَ تفتدي به؟ فيقول: نعم. فيقال له: قد كنت سُئلتَ ما هو أيسرُ من ذلكَ».

وفيه[2] عن عديٍّ بنِ حاتمٍ قال: قال النبيُّ ﷺ: «ما منكم من أحد إلا وسيكلِّمه اللّهُ يوم القيامة ليس بينَ اللّهِ وبينه تَرجُمان، فينظر أيمنَ منه فلا يرى إلا ما قدّم من عمله، وينظر أشأمَ منه فلا يرى إلا ما قدم، وينظر بين يديه فلا يرى إلا النارَ تِلقاءَ وجْهِه، فاتقوا النارَ ولو بشق تمرة».

وفيه[3] عن صفوانَ بنِ مُحرِزٍ قال: بينما ابنُ عمرَ يطوف إذ عرَض رجلٌ فقال: يا أبا عبدِ الرحمن - أو قال يا ابنَ عمرَ - هل سمعت النبيَّ ﷺ في النجوى؟ فقال: سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول: «يدنو المؤمنُ من ربه حتى يضع عليه كنِفَه فيقرره بذنوبه: تعرف ذنبَ كذا؟ يقول أعرفُ، يقول: ربِّ أَعرِفُ، مرتين، فيقول: أنا سترتُها في الدنيا وأغفِرها لك اليوم، ثم تُطوى صحيفةُ حسناتِه. وأما الآخرون الكفارُ فينادي على رؤوس الأشهادِ: هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنةُ الله على الظالمين».

وفي التِرمِذي[4] عن أبي برزةَ الأسلميِّ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لا تزول قدما عبدٍ حتى يُسأل عن عمُره فيما أفناه، وعن علمه فيما عمِل فيه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه، وعن جسمه فيما أبلاه»، وقال: حسن[4] صحيح.

---

(١) أي عند مسلم في صحيحه (٤/ ٢١٦١ رقم ٥٢/ ٢٨٠٥).

(٢) عند مسلم في صحيحه (٢/ ٧٠٣ - ٧٠٤ رقم ٦٧/ ١٠١٦).
قلت: وأخرجه البخاري في صحيحه (١٣/ ٤٢٣ رقم ٧٤٤٣) بلفظ: قال رسول الله ﷺ: «ما منكم من أحدٍ إلا سيُكلمُه ربُه ليس بينه وبينَه تُرجُمان ولا حجاب يحجُبُه».

(٣) عند مسلم (٤/ ٢١٢٠ رقم ٥٢/ ٢٧٦٨).
قلت: وأخرجه البخاري في صحيحه (٥/ ٩٦ رقم ٢٤٤١).

(٤) في السنن (٤/ ٦١٢ رقم ٢٤١٧) وقال: هذا حديث حسن صحيح.
قلت: وأخرجه الدارمي (١/ ١٣٥)، وأبو يعلى (١٣/ ٤٢٨ رقم ١٥/ ٧٤٣٤) والخطيب في=

[براءة الناس يومئذ بعضهم من بعض]

(وانقطعت علائقُ الأنساب) كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١]، وقال تعالى: ﴿وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾ [المعارج: ١٠] الآيات، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾ [عبس: ٣٤] الآيات، وقال تعالى عن الكافرين: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [الشعراء].

قال ابنُ مسعود رضي الله عنه: إذا كان يومُ القيامةِ جمع اللَّهُ الأولين والآخرين ثم نادى منادٍ: ألا من كان له مظلِمةٌ فليجيء فليأخذ حقَّه، قال: فيفرحُ المرءُ أن يكون له الحقُ على والده أو ولدِه أو زوجتِه وإن كان صغيراً.

ومصداقُ ذلك في كتاب الله: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١]. رواه ابن أبي حاتم[1].

وروى البغويُّ[2] بإسناد الثعلبيِّ عن جابر بنِ عبدِ اللَّهِ رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: **«إن الرجلَ ليقول في الجنة: ما فُعل بصديقي فلان؟ وصديقُه في الجحيم، فيقول اللَّهُ تعالى: أخرجوا له صديقَه إلى الجنة. فيقول مَن بقيَ: فما لنا من شافعين ولا صديقٍ حميم»**.

= «اقتضاء العلم العمل» رقم (١).
وفي الباب عن ابن مسعودٍ أخرجه الترمذي رقم (٢٤١٦) والخطيب في تاريخ بغداد (١٢/ ٤٤٠) والطبراني في الصغير (١/ ٢٦٩) وأبو يعلى في المسند (٩/ ١٧٨ رقم ٣٠٥/ ٥٢٧١) بسند ضعيف.
وقال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه من حديث ابن مسعود عن النبيِّ ﷺ إلا من حديث الحسين بن قيس، وحسين بنَ قيس يُضعَّفُ في الحديث مِنْ قبل حفظه.
وكذلك عن معاذ أخرجه الخطيب في «الاقتضاء» رقم (٢) وفي تاريخ بغداد (١١/ ٤٤١) بسند لا بأس به في الشواهد.
وخلاصة القول أن الحديث صحيح بشواهده.

(١) ذكره ابن كثير في تفسيره (٣/ ٢٦٦ ـ ٢٦٧).
(٢) في «معالم التنزيل» (٦/ ١٢٠) بإسناده من طريق الثعلبي وفيه جهالة من سمع أبا الزبير. وذكره القرطبي في «الجامع لأحكام القرآن» (١٣/ ١١٨) ولم يخرجه أحد من أصحاب الكتب الستة وغيرها.

قال الحسنُ[1] رحمه الله تعالى: استكثروا من الأصدقاء المؤمنين، فإن لهم شفاعة يوم القيامة.

وعن قتادةَ[2] في قول اللّهِ عز وجل: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾﴾ [عبس].

قال: يفِرُّ هابيلُ من قابيلَ. ويفِر النبيُّ ﷺ من أمه، وإبراهيمُ عليه السلام من أبيه، ولوطٌ عليه السلام من صاحبته، ونوح عليه السلام من ابنه ﴿لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٧] يشغَلُه عن شأن غيره.

وفي الحديث الصحيح[3] في أمر الشفاعةِ: «**إنه إذا طُلب إلى كلٍّ من أولي العزمِ أن يشفعَ عند اللّهِ في الخلائق يقول: نفسي نفسي لا أسألك إلا نفسي، حتى إن عيسى بنَ مريمَ يقول: لا أسأله اليومَ إلا نفسي، لا أسأله مريمَ التي ولدتْني**».

[تجتمع الأهوال في ذلك اليوم، وتنعجم الألسنة، وتخشع الأصوات للرحمن]

(وارتكمت سحائبُ الأهوالِ　　　وانعجم البليغُ في المقال)
(وعنت الوجوهُ للقيومِ　　　واقتُصَّ من ذي الظلمِ للمظلوم)

(وارتكمت) اجتمعت **(سحائبُ الأهوال)** جمعُ هولٍ وهو الأمرُ الشديدُ الهائلُ المُفْظع **(وانعجم)** سكَت فلم يتكلم **(البليغُ)** الذي كان في الدنيا مقتدراً على البلاغة والفصاحةِ **(في مقال)**.

قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [هود: ١٠٥] وقال تعالى: ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ [طه: ١٠٨]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ [النبأ: ٣٨].

قال ابنُ عباس[4]: ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ [طه: ١٠٨] سكنتْ ﴿فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ [طه: ١٠٨].

---

(١) ذكره البغوي في «معالم التنزيل» (٦/ ١٢٠).
(٢) ذكره البغوي في «معالم التنزيل» (٨/ ٣٤٠).
(٣) أخرجه البخاري (٦/٣٧١ رقم ٣٣٤٠ و ٣٣٦١ و ٤٧١٢)، ومسلم في صحيحه (١/ ١٨٤ - ١٨٦ رقم ١٩٤).
(٤) ذكره البغوي في «معالم التنزيل» (٥/ ٢٩٥).

قال: تحريكُ الشفاهِ من غير منطِق.

وعنه[1]: الهمسُ الصوتُ الخفيُّ.

وعنه[2] هو وعِكرِمةُ ومجاهدٌ والضحاكُ والربيعُ بنُ أنسٍ وقتادة وابنُ زيدٍ وغيرُهم[2]: الهمسُ نقلُ الأقدام إلى المحشَر كأخفاف[3] الإبل.

وقال سعيدُ بنُ جبيرٍ[4]: همساً: سرَّ الحديثِ ووطءَ الأقدام فجمع بين القولين.

وفي حديث[5] الشفاعة: «**ولا يتكلم يومئذ إلا الرسلُ**»، الحديث.

﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ﴾ [طه: ١١١]: ذلّت وخضعتْ.

ومنه قيل للأسير: عانٍ[6]، ﴿ٱلْقَيُّومِ﴾ تضمين لمعنى قولِه عز وجل: ﴿وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ﴾ [طه: ١١١].

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ج١٦/ ٢١٤) وابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢٤٣٥ رقم ١٣٥٣٢) وأورده السيوطي في «الدر المنثور»: (٥/ ٥٩٩) وزاد نسبته إلى ابن المنذر.

(٢) ذكر ذلك ابن كثير في تفسيره (٣/ ١٧٤).

* وقد أخرج ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ج١٦/ ٢١٤ ـ ٢١٥) «أثر ابن عباس، وعكرمة وقتادة ومجاهد».

* وقد أخرج ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/ ٢٤٣٥ رقم ١٣٥٣٣) أثر ابن عباس.

* وذكر السيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٦٠٠) أثر ابن عباس والضحاك، ومجاهد وعكرمة.

(٣) همس: الهَمْس: الخفي من صوت والوطء والأكل وقال الفراء: يقال إنه نَقْل الأقدام إلى المحشر: ويقال: إنه الصوت الخفيّ، وروي عن ابن عباس أنه تمثّل فأنشد: «وهُنَّ يمشين بنا هَمِيسَا» قال: وهو صوت نقل أخفاف الإبل.

انظر: لسان العرب (١٥/ ١٣٢ ـ ١٣٣).

وقال الفيروز آبادي في «القاموس المحيط» (٧٥٠): الهَمِيسُ: صوت نَقْلِ أخفافِ الإبل.

(٤) ذكره ابن كثير في تفسيره (٣/ ١٧٤) والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٦٠٠).

(٥) تقدم تخريجه.

(٦) وقال ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ج١٦/٢١٦): «وأصل العنو الذلّ يقال منه: عنا وجهه لربه يعنو عتواً، يعني خضع له وذلّ، وكذلك قيل للأسير: عان لذلة الأسر.

فأما قولهم: أخذت الشيء عنوة، فإنه يكون وإن كان معناه يئول إلى هذا أن يكون أخذه=

قال ابنُ عباس[1] وغيرُ واحدٍ: خضعت وذلّت واستسلمت الخلائقُ لجبَّارها الحيِّ الذي لا يموت، القيومِ الذي لا ينام، وهو قيِّمٌ على كل شيء يديرُه ويحفَظه، فهو الكاملُ في نفسه الذي كلُّ شيءٍ فقيرٌ إليه لا قِوامَ له إلا به.

﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ [طه: ١١١].

قال ابنُ عباسٍ[2]: خسِر من أشرك بالله، والظلمُ هو الشركُ.

وقيل[3]: المرادُ بالظلم هنا العمومُ، فيتناول الشركَ وغيرَه من ظلم العبدِ نفسَه وظلمِ العبادِ بعضَهم بعضاً، فإن اللّهَ سيؤدّي كلَّ حقٍ إلى صاحبه حتى يَقتصَّ للشاة الجمَّاءِ من الشاة القَرْناء.

وفي بعض الأحاديثِ: «**يقول الله عز وجل: وعزتي وجلالي لا يجاورني اليوم ظلمُ ظالمٍ**»[4].

وفي الصحيحين[5]: «**إياكم والظلمَ، فإن الظلمَ ظلماتٌ يوم القيامة**»، فعلى

= غلبة، ويكون أخذه عن تسليم وطاعة كما قال الشاعر:

هل أنتَ مُطِيعي أيُها القَلْبُ عَنْوَةً ... وكمْ تَلخ نَفسٌ لم تلم في اختِيالها

وانظر: «معالم التنزيل» (٥/ ٢٩٦).

(١) ذكره ابن كثير في تفسيره (٣/ ١٧٤).

(٢) ذكره البغوي في «معالم التنزيل» (٥/ ٢٩٦).

(٣) ذكره ابن كثير في تفسير (٣/ ١٧٤ ـ ١٧٥).

(٤) وهو جزء من حديث حسن سيأتي تخريجه من هذا الجزء (ص٣٧٨ ـ ٣٧٩).

(٥) أخرجه البخاري (٥/ ١٠٠ رقم ٢٤٤٧) ومسلم (٤/ ١٩٦٩ رقم ٥٧/ ٢٥٧٩) من حديث ابن عمر مرفوعاً بلفظ: «**إنَّ الظلمَ ظلمات يوم القيامة...**».

* وأخرج مسلم في صحيحه (٤/ ١٩٩٦ رقم ٥٦/ ٢٥٧٨) من حديث جابر مرفوعاً بلفظ: «**اتقوا الظلمَ فإن الظلم ظلمات يوم القيامة...**».

* وأخرج الطيالسي رقم (٢٢٧٢) وأحمد (٢/ ١٩٥) والحاكم (١/ ١١) والبيهقي (١٠/ ٢٤٣) وابن حبان رقم (٥١٧٦) من حديث عبد الله بن عمرٍو مرفوعاً بلفظ: «**إياكم والظلم فإن الظلم، ظلمات يوم القيامة...**».

* وأخرج الحاكم (١/ ١٢) والبخاري في الأدب المفرد رقم (٤٧٠) و (٤٨٧) وأحمد في المسند (٢/ ٤٣١) والبيهقي في الآداب رقم (٩٧) وابن حبان في صحيحه رقم (٦٢٤٨) من طرق مرفوعاً عن أبي هريرة بلفظ: «**إياكم والظلم فإن الظلم هو الظلمات عند الله يوم القيامة...**».

هذا المعنى ظلمٌ دون ظلم وخيبةٌ دون خيبةٍ، والخيبةُ كلُّ الخيبةِ لمن لقيَ اللَّهَ وهو به مشركٌ، فإن اللَّهَ تعالى يقول: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].

وقد تقدم حديثُ عائشةَ عند أحمدَ[١]: «**الدواوينُ ثلاثةٌ: ديوانٌ لا يغفِرُه الله، وديوان لا يعبأُ اللَّهُ به، وديوانٌ لا يترك اللَّهُ منه شيئاً**» الحديث.

(**واقتص من ذي الظلم**) أي اقتُضيَ من الظالم (**للمظلوم**)، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا﴾ [النساء: ٤٠]، وقال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٧﴾﴾ - إلى قوله - ﴿وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ﴾ [غافر: ١٧ - ٢٠]. وقال تعالى: ﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٦٩]، ﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الزمر: ٧٥]، وقال تعالى: ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ [الزمر: ٧٠] وغيرُها من الآيات.

وقال البخاريُّ[٢] رحمه الله تعالى: «بابُ القصاصِ يوم القيامة، وهي الحاقةُ لأن فيها الثوابَ وحواقَّ الأمورِ الحقّة والحاقة واحد، والقارعة والغاشية والصارخة والتغابنُ غبنُ أهلِ الجنةِ أهل النار».

ثم ساق بسنده حديثَ ابنِ مسعودٍ[٣] قال النبيُّ ﷺ: «**أولُ ما يُقضى بين الناسِ بالدماء**».

وحديثَ أبي هريرةَ[٤] رضي الله عنه أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «**من كانت عنده مظلِمةٌ لأخيه فلْيتحَلَّله منها، فإنه ليس ثَمَّ دينارٌ ولا دِرهمٌ، من قبل أن يؤخَذَ لأخيه من حسناته، فإن لم يكن له حسناتٌ أُخذ من سيئات أخيه فطُرحت عليه**».

وحديثَ أبي سعيدٍ[٥] الخُدريِّ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**يخلص**

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) في صحيحه (١١/ ٣٩٥).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (١١/ ٣٩٥ رقم ٦٥٣٣)، ومسلم في صحيحه (٣/ ١٣٠٤ رقم ١٦٧٨).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (١١/ ٣٩٥ رقم ٦٥٣٤).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه (١١/ ٣٩٥ رقم ٦٥٣٥).

المؤمنون من النار، فيُحبَسون على قنطرة بين الجنةِ والنار، فيُقَصّ لبعضهم من بعض مظالمُ كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا هُذبوا ونَقُوا أُذِن لهم في دخول الجنةِ، فوالذي نفسُ محمدٍ بيده لأحدُهم أهدى بمنزله في الجنة منه بمنزله كان في الدنيا».

وللترمذي[1] عن أبي هريرةَ ﷺ أن رسولَ الله ﷺ قال: **«أتدرون من المفلسُ؟ قالوا: المفلسُ فينا يا رسولَ الله من لا دِرهمَ له ولا متاعَ.**

قال رسولُ الله ﷺ: المفلسُ من أمتي من يأتي يومَ القيامة بصلاة وصيامٍ وزكاةٍ، ويأتي قد شتم هذا وقذَفَ هذا وأكل مالَ هذا وسفكَ دمَ هذا وضرَبَ هذا، فيقعد فيَقتصّ هذا من حسناته وهذا من حسناته. فإن فنِيَتْ حسناتُه قبل أن يُقتَصَّ ما عليه من الخطايا أُخذ من خطاياهم فطُرح عليه ثم طُرح في النار». هذا حديثٌ حسنٌ[2] صحيحٌ.

وله[3] عنه ﷺ أن رسولَ الله ﷺ قال: **«لَتُؤَدُّنَّ الحقوقَ إلى أهلها حتى تُقادُ الشاةُ الجلحاءُ من الشاة القرناءِ»**.

قال[4]: وفي الباب عن أبي داودَ وعبدِ اللَّهِ بنِ أُنيسٍ: حديثُ أبي هريرةَ حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

وروى الإمامُ أحمدُ[5] عن جابر بنِ عبدِ الله ﷺ قال: بلغني حديثٌ عن

---

(1) في السنن (٤/ ٦١٣ رقم ٢٤١٨).

(2) قاله الترمذي في السنن (٤/ ٦١٣).
قلت: وأخرجه مسلم رقم (٢٥٨١) وأحمد (٢/ ٣٠٣ و ٣٣٤) و (٢/ ٣٧١ - ٣٧٢) والبيهقي (٦/ ٩٣) والبغوي رقم (٤١٦٤) وابن حبان في صحيحه رقم (٤٤١٢). **وهو حديث صحيح.**

(3) أي للترمذي في السنن (٤/ ٦١٤ رقم ٢٤٢٠) وقال: حديث أبي هريرة حديث حسن صحيح.
قلت: وأخرجه البخاري في الأدب المفرد رقم (١٨٣) ومسلم رقم (٢٥٨٢) وأحمد (٢/ ٣٢٣ و٣٧٢ و ٤١١) وابن حبان في صحيحه رقم (٧٣٦٣). **وهو حديث صحيح.**
* الجلحاء: هي الجماء التي لا قرن لها.

(4) أي الترمذي في السنن (٤/ ٦١٤).

(5) في المسند (٣/ ٤٩٥).
قلت: وأخرجه الحاكم في المستدرك (٢/ ٤٣٧ - ٤٣٨) والبيهقي في الأسماء والصفات =

رجل سمعه من النبي ﷺ، فاشتريتُ بعيراً ثم شددتُ عليه رحْلاً فسِرت عليه شهراً حتى قدِمتُ عليه الشامَ، فإذا عبدُ اللَّهِ بنُ أنيسٍ، فقلت للبواب: قل له جابرٌ على الباب. فقال: ابنُ عبدِ الله؟ قلت نعم. فخرج يطأ ثوبَه فاعتنقَني واعتنقتُه.

فقلت: حديثٌ بلغني عنك أنك سمعتَه من رسول الله ﷺ في القصاص فخشِيتُ أن تموتَ وأموتَ قبل أن أسمعَه، فقال: سمعتُ رسولَ الله يقول: **«يحشرُ اللَّهُ عز وجل الناسَ يوم القيامة ـ أو قال العبادَ ـ عُراةً غُرْلاً بُهماً.**

قلت: وما بُهماً؟

قال: ليس معهم شيء.

ثم يناديهم بصوت يَسمعُه مَن بَعُد كما يسمعه مَن قَرُب: أنا الملكُ، أنا الديّانُ، لا ينبغي لأحد من أهل النارِ أنَ يدخُلَ النارَ وله عند أحدٍ من أهل الجنةِ حقٌ حتى أَقضيَه منه، ولا ينبغي لأحدٍ من أهل الجنةِ أن يدخُلَ الجنةَ وله عند رجلٍ من أهل النارِ حقٌ حتى أَقضيَه منه، حتى اللطمةُ.

قال: قلنا: كيف وإنما نأتي اللَّهَ عز وجل حُفاةً عُراةً غُرلاً بُهماً؟.

قال: بالحسنات والسيئات».

وقد أشار البخاريُ[1] إلى هذا الحديثِ في مواضعَ من صحيحه تعليقاً، ووصلَه في كتاب خلقِ أفعالِ العباد[2].

وروى عبدُ الله[3] ابنُ الإمامِ أحمدَ عن عثمانَ بنِ عفانَ رضي الله عنه أن رسولَ الله ﷺ قال: **«إن الجمّاءَ لتقتصُّ من القَرناء يوم القيامة»**.

= (ص٧٨ ـ ٧٩) والبخاري في «الأدب المفرد» رقم (٩٧٠).
قال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وسكت عليه الذهبي. وعلقه البخاري في صحيحه (١/ ١٧٣) بصيغة الجزم. وفي صحيحه (١٣/ ٤٥٣) بصيغة التمريض.
وذكر له الحافظ ابن حجر في «الفتح» (١/ ١٧٤) وفي «تغليق التعليق» (٥/ ٣٥٦) طريقين آخرين عن جابر يرتقي بهما إلى مرتبة الحسن.
وخلاصة القول أن الحديث حسن، والله أعلم.

(١) كما تقدم في التعليقة المتقدمة.

(٢) (ص١٣٧ رقم ٣٦٥).

(٣) في المسند (١/ ٧٢) بسند ضعيف،

وروى[1] رحمه الله عن أبي هريرةَ ﷺ قال: «رأى رسولُ الله ﷺ شاتين ينتطِحان فقال: أتدري فيما ينتطحان يا أبا هريرة؟ قلت: لا، قال: لكن اللَّهَ يدري وسيحكُم بينهما».

[يتساوى الناس في الموقف وهوله وكربه العظماء منهم والرعية]

(وساوت الملوكُ للأجناد) وجيءَ بالكتاب والأشهادِ)
(وشهِدَ الأعضاءُ والجوارحُ) وبدت السَّوآتُ والفضائحُ)
(وابتُليتْ هنالك السرائرْ) وانكشف المخفيُّ في الضمائرْ)

(وساوت الملوكُ) العظماءُ الرؤساءُ الكبراءُ **(للأجناد)** الرعايا، أي صاروا سواءً في ذلك الموقف، مشتركين في هوله الفظيعِ وكربِه الشديدِ إلا من رحم الله، وليس لأحد منهم مَقالٌ، ولا يملِك لنفسه ولا لغيره نفعاً ولا ضراً، كلُ امرئٍ بما كسب رَهينٌ، قال الله تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤]، وقال تعالى: ﴿ٱلۡمُلۡكُ

= قلت: وأخرجه البزار (٤/ ١٦٢ رقم ٣٤٤٩ ـ كشف) والعقيلي في الضعفاء (١/ ٢٨٥) والدارقطني في العلل (٣/ ٦٤ ـ س٢٨٧) وابن عدي في الكامل (٢/ ٦٤٩) وأورده الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ٣٥٢) وقال: «رواه الطبراني في الكبير، والبزار، وعبد الله بن أحمد، وفيه الحجاج بن نصير وقد وثق على ضعفه، وبقية رجال البزار رجال الصحيح غير العوام بن مزاحم وهو ثقة».
قلت: وللحديث شواهد من حديث أبي ذرٍّ وأبي هريرة وسلمان...
* أما حديث أبي ذرٍّ فقد أخرجه أحمد (٥/ ١٧٣) والبزار (٤/ ١٦٣ ـ كشف) وأورده الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ٣٥٢) وقال: «وفيه ليث بن أبي سليم وهو مدلس، وبقية رجال أحمد رجال الصحيح غير شيخه ابن عائشة وهو ثقة.
* وأما حديث أبي هريرة فقد تقدم تخريجه. وهو حديث صحيح.
* وأما حديث سلمان فأخرجه ابن عدي في «الكامل» (٢/ ٦٥٠) والرافعي في «التدوين في أخبار قزوين» (٢/ ٨٠) موقوفاً.
وخلاصة القول أن حديث عثمان صحيح لغيره.

(١) بل عن أبي ذر أخرجه أحمد في المسند (٥/ ١٦٢) والبزار (٤/ ١٦٣ رقم ٣٤٥١ ـ كشف) بنحوه.
وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٣٥٢): رجاله رجال الصحيح وفيه راوٍ لم يُسَمَّ.

﴿يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ [الحج: ٥٦]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ هُم بَارِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾ [الانفطار: ١٩]، وغير ذلك من الآيات.

قال ابنُ عباسٍ[(١)] وغيرُه من الصحابة والتابعين: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤]: يقول لا يملك أحدٌ معه في ذلك اليومِ حكماً كملكهم في الدنيا.

قال[(٢)]: ويومُ الدين يومُ الحسابِ للخلائق وهو يومُ القيامة، يَدينهُم بأعمالهم: إن خيراً فخيرٌ وإن شراً فشرٌ، إلا من عفا عنه.

وقال البغويُّ[(٣)] في قوله عز وجل: ﴿الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ [الفرقان: ٢٦]: أي الملكُ الذي هو الملكُ الحقُّ الرحمنِ يوم القيامة.

وقال ابنُ عباس[(٤)] رضي الله عنه: يريد أن يومَ القيامة لا ملِكَ يقضي غيرَه.

وفي الحديث الصحيح[(٥)] المتقدم: «**يقبِضُ الله تعالى الأرض ويطوي السماءَ بيمينه ثم يقول: أنا الملكُ أين ملوكُ الأرضِ**».

وفي لفظ[(٦)]: «**أين الجبارون أين المتكبرون**»؟

وقال قَتادةُ[(٧)]: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾ [الانفطار: ١٩]: والأمرُ واللَّهِ اليومَ لله، ولكنه لا ينازعه فيه يومئذ أحدٌ.

وقال البغوي[(٨)]: يوم لا يُملِّك اللَّهُ في ذلك اليومِ أحداً من خلقه شيئاً كما ملّكهم في الدنيا.

(وجيء بالكتاب والأشهاد)، قال الله تعالى: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١/ ٢٩ رقم ٢٤).
(٢) ذكره ابن جرير في «جامع البيان» (١/ج١/ ٦٨).
(٣) في «معالم التنزيل» (٦/ ٨٠).
(٤) ذكره البغوي في «معالم التنزيل» (٦/ ٨٠).
(٥) تقدم تخريجه.
(٦) تقدم تخريجه.
(٧) أخرجه الطبري في «جامع البيان» (١٥/ ج٣٠/ ٩٠).
(٨) في «معالم التنزيل» (٨/ ٣٥٨).

﴿مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا﴾ [الكهف: ٤٩].

وقال تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِا۟ىٓءَ بِٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلشُّهَدَآءِ﴾ [الزمر: ٦٩].

وقال تعالى: ﴿لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

وقال تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١].

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٨٤﴾﴾ - إلى قوله - ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [النحل: ٨٤ - ٨٩].

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ﴾ [القصص: ٧٤ - ٧٥]. الآية.

وقال تعالى: ﴿وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ [ق: ٢١]. وغير ذلك من الآيات.

وقال البخاريُّ[(١)] رحمه الله تعالى: حدثنا يوسفُ بنُ راشدٍ حدثنا جريرٌ وأبو أسامةَ - واللفظُ لجريرٍ - عن الأعمش عن أبي صالح.

وقال أبو أسامةَ: حدثنا أبو صالح عن أبي سعيد الخدريِّ قال: قال رسول الله ﷺ: **«يُدعى نوحٌ يوم القيامة فيقول: لبّيك وسعدَيك يا ربّ، فيقول: هل بلّغت؟ فيقول: نعم. فيقال لأمته: هل بلّغكم؟ فيقولون: ما أتانا من نذير. فيقول: من يشهد لك؟ فيقول: محمدٌ ﷺ وأمتُه. فتشهدون أنه بلّغ، ويكون الرسولُ عليكم شهيداً، فذلك قولُه جل ذكره: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾** [البقرة: ١٤٣].

---

(١) في صحيحه (٦/ ٣٧١ رقم ٣٣٣٩) و (٤٤٨٧) و (٧٣٤٩).

والوسَطُ: العدْلُ. ورواه أحمد[1] وأصحابُ السُنن[2].

ورواه الإمامُ أحمدُ[3] أيضاً بلفظ: «**يجيء النبيُّ يوم القيامة ومعه الرجلانِ وأكثرُ من ذلك، فيُدعى قومُه فيُقال لهم: هل بلّغكم هذا؟ فيقولون: لا. فيقال له: هل بلّغتَ قومَك؟ فيقول: نعم. فيقال: من يشهد لك؟ فيقول: محمدٌ وأمتُه، فيدعى محمدٌ ﷺ وأمتُه فيقال لهم: هل بلّغ هذا قومَه؟ فيقولون: نعم. فيقال: وما علمُكم؟ فيقولون: جاءنا نبيُّنا ﷺ فأخبرنا أن الرسلَ قد بلّغوا**».

فذلك قولُه عز وجل: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣] قال: عدْلاً ﴿لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

وفي الصحيحين[4] عن ابن مسعودٍ ﷺ قال: «**قال لي رسولُ الله ﷺ: اقرأْ عليَّ.**

فقلت: يا رسولَ الله أقرأُ عليك وعليك أُنزل؟

قال: نعم، إني أُحب أن أسمعَه من غيري.

فقرأتُ سورةَ النساءِ حتى أتيتُ إلى هذه الآيةِ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١].

فقال: حسبُك الآن. فإذا عيناه تذرِفان».

قال ابنُ كثيرٍ[5] رحمه الله تعالى: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ أي كتابُ الأعمالِ الذي فيه الجليلُ والحقيرُ، والفتيلُ والقِطْميرُ، والصغيرُ والكبير، ﴿فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ

---

(١) في المسند (٣/ ٣٢، ٥٨).

(٢) وهم الترمذي في السنن (٥/ ٢٠٧ رقم ٢٩٦١) وقال: هذا حديث حسن صحيح. وابن ماجه (٢/ ١٤٣٢ رقم ٤٢٨٤) والنسائي كما في تحفة الأشراف (٣/ ٣٤٥ رقم ٤٠٠٣).
قلت: وأخرجه أبو يعلى (٢/ ٣٩٧ رقم ١٩٩/ ١١٧٣) والبيهقي في «الأسماء والصفات» رقم (٤٦٤) **وهو حديث صحيح**.

(٣) في المسند (٣/ ٥٨) **بسند صحيح**.

(٤) البخاري في صحيحه (٩/ ٩٨ رقم ٥٠٥٥)، ومسلم في صحيحه (١/ ٥٥١ رقم ٢٤٧/ ٨٠٠).

(٥) في تفسيره (٣/ ٩٢).

﴿مِمَّا فِيهِ﴾ [الكهف: ٤٩] أي من أعمالهم السيئةِ وأفعالِهم القبيحةِ ﴿وَيَقُولُونَ يَٰوَيۡلَتَنَا﴾ [الكهف: ٤٩] أي: يا حسرتَنا وويلَنا على ما فرّطنا في أعمالنا.

﴿مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَاۚ﴾ [الكهف: ٤٩]، أي لا يترك ذنباً صغيراً ولا كبيراً ولا عملاً وإن صغُر إلا أحصاها أي ضبطها وحفِظها.

وروى الطبرانيُّ[1] بإسناده عن سعدِ بنِ جُنادةَ قال: لما فرغ رسولُ الله ﷺ من غزوة حُنينٍ نزلنا قَفْراً من الأرض ليس فيه شيءٌ فقال النبيُّ ﷺ: **«اجمعوا، من وجد عوداً فليأتِ به، ومن وجد حطباً أو شيئاً فليأتِ به»**.

قال فما كان إلا ساعةٌ حتى جعلناه رُكاماً، فقال النبي ﷺ: **«أترون هذا؟ فكذلك تُجمع الذنوبُ على الرجل منكم كما جمعتم هذا، فليتق اللَّهَ رجلٌ ولا يُذنبْ صغيرةً ولا كبيرةً فإنها مُحصاةٌ عليه»**.

وروى البغويُّ[2] بإسناده عن سهل بنِ سعدٍ قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«إياكم ومُحقّراتِ الذنوبِ، فإنما مَثَلُ مُحقراتِ الذنوبِ مثلُ قومٍ نزلوا بطْنَ وادٍ فجاء هذا بعود وجاء هذا بعود وجاء هذا بعود فأنضجوا خُبزتهم، وإن مَحقراتِ الذنوبِ لَموبقاتٌ»**.

---

(١) في المعجم الكبير (٦/ ٥٢ رقم ٥٤٨٥/ ١) وأورده الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ١٩٠) وقال: رواه الطبراني وفيه نفيع أبو داود وهو ضعيف.
قلت: فيه يونس بن نفيع وليس نفيع أبو داود والحسين بن الحسن وهو ضعيف له ترجمة في اللسان. وفي والد محمد بن سعد كلام انظره في اللسان.

(٢) في «معالم التنزيل» (٥/ ١٧٧).
قلت: وأخرجه أحمد في المسند (١/ ٤٠٢ و ٥/ ٣٣١) والطبراني في الكبير (٦/ ١٦٥ - ١٦٦ رقم ٥٨٧٢) والأوسط (٣/ ٢١٩ - ٢٢٠ رقم ٧٣٢٣).
وأورده الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ١٩٠) وقال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح. ورواه الطبراني في الثلاثة من طريقين ورجال إحداهما رجال الصحيح غير عبد الوهاب بن عبد الحكم وهو ثقة.
وأخرجه الروياني في مسنده (٢/ ٢١٦ رقم ١٠٦٥) والبغوي في «شرح السنة (١٤/ ٣٩٩ رقم ٤٢٠٣).
وله شاهد من حديث ابن مسعود عند أحمد رقم (٣٨١٨) شاكر. **بسند صحيح**.
وآخر من حديث عائشة عند أحمد (٦/ ٧٠، ١٥١) وابن ماجه رقم (٤٢٤٣) وصححه ابن حبان رقم (٢٤٩٧ - موارد).
وخلاصة القول أن حديث سهل بن سعد صحيح، والله أعلم.

وقوله: ﴿وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًا﴾ [الكهف: ٤٩] كقوله عز وجل: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ﴾ [آل عمران: ٣٠]، وقوله عز وجل: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ﴾ [التكوير: ١٤]، وقوله تعالى: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ [الانفطار: ٥]، وقوله تعالى: ﴿يُنَبَّؤُاْ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ [القيامة: ١٣] وغيرُها من الآيات.

وقوله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ [القصص: ٧٥].

قال البغويُّ[١]: يعني رسولَهم الذي أُرسل إليهم وهو قولُ مجاهد.

وروى ابنُ جرير[٢] عن عثمانَ بنَ عفانَ أنه خطب فقرأ هذه الآيةَ: ﴿وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ [ق: ٢١]. فقال: سائقٌ يسوقها إلى الله تعالى وشاهدٌ يشهد عليها بما عمِلت، وكذا قال مجاهدٌ وقتادةُ وابنُ زيد[٣].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: السائقُ: الملكُ، والشهيدُ: العملُ. وكذا قال الضحاك[٤] والسُّدي[٥].

وقال ابن عباس[٦] رضي الله عنهما: السائقُ: من الملائكة، والشهيدُ: الإنسانُ يشهد على نفسه.

وقولُه تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ [الزمر: ٦٩] أضاءت ﴿بِنُورِ رَبِّهَا﴾ [الزمر:

---

(١) في «معالم التنزيل» (٦/ ٢١٩).

(٢) في «جامع البيان» (١٣/ج٢٦/ ١٦١).

قلت: وأخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ١٩٢ - ١٩٣ رقم ٢٩٥٤) وابن أبي حاتم في تفسيره (١٠/ ٣٣٠٨ رقم ١٨٦٣٤). والسيوطي في الدر المنثور (٧/ ٥٩٩) وزاد نسبته للفريابي وسعيد بن منصور وابن أبي شيبة وابن المنذر والحاكم في الكنى وابن مردويه والبيهقي في البعث والنشور وابن عساكر.

(٣) * أخرج أثر مجاهد ابن جرير في جامع البيان» (١٣/ ٢٦/ ١٦١).

* أخرج أثر قتادة ابن جرير في «جامع البيان» (١٣/ج٢٦/ ١٦٢).

* أخرج أثر ابن زيد ابن جرير في «جامع البيان»(١٣/ج٢٦/ ١٦٢).

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٣/ج٢٦/ ١٦٢) وذكره ابن كثير في تفسيره (٤/ ٢٤١).

(٥) ذكره ابن كثير في تفسيره (٤/ ٢٤١).

(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٣/ج٢٦/ ١٦١).

٦٩] بنور خالِقها، ذلك حين يتجلى الربُّ لفصل القضاءِ بين خلقِه، فما يتضارُّون في نوره كما لا يتضارُّون في الشمس في اليوم الصحْو، قاله البغوي[١].

والحديث: «لا يتضارُّون في رؤيته»[٢].

﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ قال قتادةُ[٣]: كتابُ الأعمال.

﴿وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ قال ابن عباس[٤] رضي الله عنهما: يشهدون على الأمم بأنهم بلّغوهم رسالاتِ اللّهِ إليهم.

﴿وَٱلشُّهَدَآءِ﴾ أي من الملائكة الحفَظةِ على أعمال العبادِ، قال ذلك عطاء[٥]، ويدل عليه قوله تعالى: ﴿وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ [ق: ٢١].

قال ابنُ عباس[٦]: يعني الذين يشهدون للرسل بتبليغ الرسالةِ وهم أمةُ محمدٍ ﷺ، ويدل على ذلك قولُه تعالى: ﴿لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣].

وقال مجاهدٌ[٧] في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾ [غافر: ٥١]، يعني الملائكةَ.

قال البغوي[٨]: يشهدون للرسل بالتبليغ وعلى الكفار بالتكذيب.

[تشهد على كل جاحد أعضاؤه وجوارحه]

(وشهد) على كل جاحدٍ **(الأعضاءُ)** أعضاؤه **(والجوارح)** عطفُ تفسير، قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [يس: ٦٥] الآيات.

---

(١) في «معالم التنزيل» (٧/ ١٣٢).
(٢) تقدم تخريجه.
(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ج١٥/ ٢٥٨).
(٤) ذكره البغوي في «معالم التنزيل» (٧/ ١٣٢).
(٥) ذكره البغوي في «معالم التنزيل» (٧/ ١٣٢).
(٦) ذكره البغوي في «معالم التنزيل» (٧/ ١٣٢).
(٧) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٢/ج٢٤/ ٧٥) وذكره ابن كثير في تفسيره (٤/ ٩١).
(٨) في «معالم التنزيل» (٧/ ١٥٢).

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ۝١٩ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝٢٠ وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٢١ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ۝٢٢ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ۝٢٣﴾ [فصلت] الآيات وغيرُها.

وروى مسلمٌ[١] والنسائيُّ[٢] وابنُ أبي حاتم[٣] عن أنس بنِ مالك رضي الله عنه قال: **«كنا عند النبيِّ ﷺ فضحِك حتى بدت نواجذُه، ثم قال رسولُ اللّهِ ﷺ: أتدرون مِمَّ أضحَكُ؟ قلنا: اللّهُ ورسولُه أعلم.**

قال ﷺ: من مجادلة العبدِ ربَّه يوم القيامة، يقول: ربِّ ألم تُجِرني من الظلم؟ فيقول: بلى. فيقول: لا أُجيز عليَّ شاهداً من نفسي. فيقول: كفى بنفسك اليومَ عليك حسيباً، وبالكرامِ الكُتّاب شهوداً، فيُختم على فيه ويقال لأركانه: انطِقي، فتنطِق بعمله، ثم يُخلَّى بينه وبين الكلامِ فيقول: بُعداً وسُحقاً فعنكنّ كنتُ أُناضل».

وروى عبدُ الرزاق[٤] أخبرنا مَعمرٌ عن بهز بنِ حكيم عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ قال: **«إنكم تُدْعَون مُفدَّماً على أفواهكم بالفِدام، فأولُ ما يسأل عن أحدكم فخِذُه وكتِفُه».**

ورواه النسائيُّ[٥] عن محمد بنِ رافع عن عبد الرزاق به، وله هو ومسلمٌ وأبو داودَ عن أبي هريرةَ رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ في حديث القيامةِ[٦] الطويلِ قال فيه: **«ثم يلقى الثالثَ فيقول: ما أنت فيقول: أنا عبدُك، آمنتُ بك وبنبيك وبكتابك، وصُمْتُ وصليتُ وتصدقت، ويثني بخير ما استطاع.**

---

(١) في صحيحه (٤/ ٢٢٨٠ رقم ٢٩٦٩).
(٢) كما في تحفة الأشراف (١/ ٢٤٩ رقم ٩٣٨).
(٣) في تفسيره (١٠/ ٣٢٧١ رقم ١٨٤٥٤).
(٤) في تفسيره (٢/ ١٥١ رقم ٢٦٩٩).
(٥) في تفسيره (٢/ ٢٦٠ رقم ٤٨٩).
(٦) أخرجه مسلم (٤/ ٢٢٧٩ ـ ٢٢٨٠ رقم ١٦/ ٢٩٦٨) وقد تقدم تخريجه.

قال: فيقال له ألا نبعثُ عليك شاهدَنا؟

قال: فيفكر في نفسه مَن الذي يشهد عليه؟ فيُختم على فيه ويقال لفخِذه: انطِقي، قال: فتنطِق فخذُه ولحمُه وعظامُه بما كان يعمل، وذلك المنافقُ، وذلك ليُعذَرَ من نفسه، وذلك الذي يسخط اللَّهُ تعالى عليه».

وهذا الحديثُ تقدّم قريباً بطوله ولله الحمدُ، وهذا والله أعلم يتضمن بيانَ قولِ الله تعالى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ﴾ [المجادلة: ١٨] الآية.

وروى ابنُ جريرٍ(١) وابنُ أبي حاتمٍ(٢) وأحمدُ(٣) رحمهم الله تعالى عن عُقبةَ بنِ عامرٍ رضي الله عنه أنه سمع رسولَ الله ﷺ يقول: **«إن أولَ عظمٍ من الإنسان يتكلم يوم يُختم على الأفواه فخِذُه من الرجل اليسرى»**.

وفي رواية(٤) أحمدَ: **«من الرجل الشمال»**.

وروى ابنُ جريرٍ(٥) عن حميد بنِ هلالٍ قال: قال أبو بُرْدةَ قال أبو موسى الأشعريُّ رضي الله عنه: **«يُدعى المؤمن للحساب يوم القيامة، فيعرِضُ عليه ربُّه عملَه فيما بينه وبينه فيعترِف فيقول: نعم أيْ ربِّ، عمِلتُ عملت عملت، قال: فيغفر اللَّهُ له ذنوبَه ويستُره منها، قال: فما على الأرض خليقةٌ ترى من تلك الذنوبِ شيئاً، وتبدو حسناتُه فودَّ أن الناسَ كلَّهم يرَونها. ويدعى الكافرُ والمنافقُ للحساب فيعرِض عليه ربُه عملَه فيجحد ويقول: أي ربِّ وعزتِك لقد كتب عليَّ هذا الملكُ ما لم أعمل.**

فيقول له الملَكُ: أما عمِلتَ كذا في يوم كذا في مكان كذا؟ فيقول: لا وعزتِك أي ربِّ ما عمِلتُه.

---

(١) في «جامع البيان» (١٢/ج٢٣/ ٢٤).

(٢) في تفسيره (١٠/ ٣١٩٨ رقم ١٨٠٩٦).

(٣) في المسند (٤/ ١٥١) بسند ضعيف لجهالة الراوي عن عقبة.
وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٣٥١): «رواه أحمد والطبراني ـ في «الكبير» (١٧/ ٣٣٣ رقم ٩٢١) ـ وإسنادهما جيد».

(٤) في «المسند» (٤/ ١٥١) بسند ضعيف.

(٥) في «جامع البيان» (١٢/ج٢٣/ ٢٤).

فإذا فعل ذلك خَتم اللَّهُ تعالى على فيه. قال أبو موسى[1] الأشعري رضي الله عنه: فأنا أحسَب أولَ ما ينطِق منه فخِذُه اليمنى» ثم تلا: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [يس: ٦٥].

وروى أبو يعلى[2] عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إذا كان يومُ القيامة عَرَّف الكافرَ بعمله فجحَد وخاصم، فيقول: هؤلاء جيرانُك يشهدون عليك، فيقول: كذَبوا، فيقول: أهلُك وعشيرتُك، فيقول: كذبوا، فيقول: احلِفوا فيحلِفون، ثم يُصمتُهم الله تعالى، وتشهد عليهم ألسنتهُم ويُدخلهم النارَ**».

وروى ابنُ أبي حاتم[3] عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال لابن الأزرقِ: إن يومَ القيامة على الناس منه حين لا ينطِقون ولا يعتذرون ولا يتكلمون حتى يؤذنَ لهم، ثم يؤذنُ لهم فيختصمون فيجحد الجاحدُ بشركه بالله تعالى فيحلفون له كما يحلِفون لكم، فيبعث اللَّهُ تعالى عليهم حين يجحدون شهداءَ من أنفسهم: جلودَهم وأبصارَهم وأيديَهم وأرجلَهم، ويختم على أفواههم ثم يفتح لهم الأفواهَ فتخاصم الجوارحَ فتقول: ﴿أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [فصلت: ٢١]، فتُقِر الألسنةُ بعد الجحود.

ورُوي[4] أيضاً عن رافعِ أبي الحسنِ قال وصَف رجلاً جحَد، قال: فيشيرُ اللَّهُ تعالى إلى لسانه فيربُو في فمِه حتى يملأَه فلا يستطيع أن ينطِقَ بكلمة، ثم يقولُ لآرابه: تكلّمي واشهدي عليه، فيشهدُ عليه سمعُه وبصرُه وجِلدهُ وفرجُه ويداه ورجلاه: صنَعْنا، عمِلنا، فعلْنا.

وله[5] أيضاً عن جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ رضي الله عنهما، قال: لما رجعتُ إلى رسول الله ﷺ

---

(١) ذكره ابن جرير في «جامع البيان» (١٢/ج٢٣/ ٢٤).

(٢) في مسنده (٢/ ٥٢٧ رقم ١٣٩٢).
وأورده الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ٨٢) وقال: «رواه أبو يعلى، ورجاله وثقوا، **وفيهم ضعف**».

(٣) في تفسيره (١٠/ ٣٢٧١ رقم ١٨٤٥٣) ورقم (١٨٤٥٦).
قلت: وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٣١٩) وابن كثير في تفسيره (٤/ ١٠٤).

(٤) ذكره ابن كثير في تفسيره (٤/ ١٠٤).

(٥) أي ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠/ ٣٢٧٢ رقم ١٨٤٥٧) وذكره ابن كثير في تفسيره (٤/ ١٠٤). وتقدم تخريجه في العلو.

مُهاجرةُ البحرِ قال: «**ألا تحدّثون بأعاجيبِ ما رأيتم بأرض الحبشة**».

فقال فتيةٌ منهم: بلى يا رسولَ الله، بينما نحن جلوسٌ إذ مرت علينا عجوزٌ من عجائز رهابينِهم تحمِل على رأسها قُلّةً من ماء، فمرتْ بفتىً منهم، فجعل إحدى يديه بين كتِفيها ثم دفعها فخرّت على ركبتيها فانكسرتْ قُلّتُها، فلما ارتفعتْ التفتت إليه فقالت: سوف تعلم يا غُدَرُ إذا وضع اللّهُ الكرسيَّ وجمعَ الأولين والآخِرين وتكلّمت الأيدي والأرجلُ بما كانوا يكسِبون، فسوف تعلم كيف أمري وأمرُك عنده غداً.

قال: يقول رسولُ الله ﷺ: «**صدقتْ صدقتْ، كيف يقدّس اللّهُ تعالى قوماً لا يُؤخَذ لضعيفهم من شديدهم**». ورواه ابنُ أبي الدنيا(١).

وقال البخاريُّ(٢) رحمه الله تعالى: حدثنا الصَّلْتُ بنُ محمدٍ حدثنا يزيدُ بن زريع عن رَوح بنِ القاسم عن منصورٍ عن مجاهدٍ عن أبي مَعمرٍ عن ابن مسعودٍ ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ﴾ [فصلت: ٢٢] الآية: كان رجلان من قريش وخَتَنٌ لهما من ثقيفٍ، أو رجلان من ثقيفٍ وخَتَنٌ لهما من قريش في بيت، فقال بعضُهم لبعض: أترَون أن اللّهَ يسمع حديثَنا؟ قال بعضُه: يسمع بعضَه. وقال بعضُه: لئن كان يسمع بعضَه لقد يسمع كلَّه فأنزلت: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ﴾ [فصلت: ٢٢].

الحديثُ تقدم لفظُه في إثبات السمعِ والبصرِ، ولله الحمدُ.

[تبلى السرائر وتظهر الخفايا]

(**وابتُليتْ**) أي اختُبرت (**هنالك**) الإشارةُ إلى موقف القيامةِ العظيم، وهولِه الجسيم (**السرائرُ**) جمعُ سريرةٍ وهي ضدُّ العلانية (**وانكشف المخفيُّ**) المستورُ (**في الضمائر**) إشارةٌ إلى قول اللّهِ عز وجل ﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ﴾ [الطارق: ٩].

قال البغويُّ(٣) رحمه الله تعالى: وذلك يومُ القيامةِ تُبلى السرائرُ: تُظهر الخفايا.

---

(١) تقدم تخريجه في العلو.

(٢) في صحيحه (٨/ ٥٦١ رقم ٤٨١٦) وطرفاه رقم (٤٨١٧، ٧٥٢١)، ومسلم في صحيحه (٤/ ٢١٤١ رقم ٥/ ٢٧٧٥).

(٣) في «معالم التنزيل» (٨/ ٣٩٤).

قال قَتادةُ[1] ومُقاتلٌ[2]: تختبر.

قال عطاءُ بنُ أبي رباحٍ[3]: السرائرُ فرائضُ الأعمالِ كالصوم والصلاةِ والوضوءِ والاغتسالِ من الجنابة، فإنها سرائرُ بين اللَّهِ تعالى وبين العبد، فلو شاء العبدُ لقال صُمتُ ولم يصُم وصليتُ ولم يصلِّ واغتسلتُ ولم يغتسلْ، فيُختبرُ حتى يظهَرَ من أدّاها ممن ضيّعها.

قال ابنُ عمرَ[4] رضي الله عنهما: يُبدي اللَّهُ عز وجل يومَ القيامة كلَّ سرٍّ، فيكون زَيناً في وجوهٍ وشيناً في وجوه، يعني من أدّاها كان وجهُه مشرقاً ومن ضيّعها كان وجهُه أغبرَ.

وفي الصحيح[5] عن ابن عمرَ رضي الله عنهما أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «**يُرفع لكل غادرٍ لواءٌ عند استِه يقال: هذه غَدرةُ فلانِ ابنِ فلان**»، عياذاً بالله من ذلك.

[تنشر صحائف الأعمال وتؤخذ باليمين وبالشمال]

(ونُشرت صحائفُ الأعمالِ تؤخَذُ باليمين والشمالِ)

طوبى لمن يأخذ باليمين كتابَه بُشرى بحورٍ عِينِ)

(والويلُ للآخِذ بالشمال وراءَ ظهرِ للجحيم صالِ)

(**ونشرت صحائفُ**) كتبُ (**الأعمال**) من حسنات وسيئاتٍ، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾ [التكوير: ١٠].

(**تؤخذ باليمين**) للمؤمن (**والشمال**) للكافر (**طوبى**) أطيبُ شيءٍ، واسمُ شجرة

---

(١) ذكره البغوي في «معالم التنزيل» (٨/ ٣٩٤).

(٢) ذكره البغوي في «معالم التنزيل» (٨/ ٣٩٤).
وأخرج أثر «قتادة، ومقاتل، وعطاء بن أبي رباح» ابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ج٣٠/ ١٤٦ ـ ١٤٧).

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ج٣٠/١٤٦ ـ ١٤٧)، والسيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٤٧٦) وقال: أخرجه ابن المنذر.

(٤) ذكره البغوي في «معالم التنزيل» (٨/ ٣٩٤ ـ ٣٩٥).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه (١٣/ ٦٨ رقم ٧١١١)، ومسلم في صحيحه (٣/ ١٣٥٩ رقم ٩/ ١٧٣٥).

في الجنة يسير الراكبُ في ظلها مائة عامٍ لا يقطعها **(لمن يأخذ باليمين كتابه، بُشرى)** أعظمُ بشارةٍ **(بحور)** جمعُ حَوراءَ، صفةٌ لهن مِن حَوَرِ العَينِ، وهو شدةُ سوادِ العينين في شدة بياضِهما **(عين)** حسانُ الأعين.

(والويلُ) كلمةُ عذابٍ، ووادٍ في جهنمَ **(للآخذ بالشمال)** كتابَه **(وراء ظهر للجحيم صال)** اسمُ فاعل من صَلِيَ يَصْلَى: عُمر فيها، وقد ذكر اللّهُ تعالى تطايرَ الصحفِ ونشْرَها، وتناوُلَها في غير موضع من كتابه مع بيانِ منازلِ أهلِها كما قال تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾ [الإسراء].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ ۖ فَمَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧١﴾ وَمَن كَانَ فِى هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾﴾ [الإسراء].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ۜ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الحاقة].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ﴿١٥﴾﴾ [الانشقاق].

وقال تعالى: ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية: ٢٩].

قال ابنُ عباسٍ[1] ومجاهدٌ وغيرُهما[2]: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ﴾ [الإسراء: ١٣]. طائرُه هو ما طار عنه من عمله من خير وشرٍ، ويُلزَم به ويجازى عليه: ﴿وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا﴾ [الإسراء: ١٣].

قال مَعمرٌ[3]: وتلا الحسنُ البصْريُّ ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ [ق: ١٧]: يا ابنَ آدمَ بسطْتُ لك صحيفتَك، ووُكّل بك ملكان كريمان أحدُهما عن يمينك والآخرُ عن شمالك، فأما الذي عن يمينك فيحفَظ حسناتِك، وأما الذي عن شمالك فيحفظ سيئاتِك، فاعمَلْ ما شئت أقلِلْ أو أكثِر، حتى إذا مُتَّ طُويت صحيفتُك فجُعلتْ في عنقك معك في قبرك حتى تخرُجَ يومَ القيامة كتاباً تلقاه منشوراً ﴿ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ﴾ الآية. فقد عَدل واللّهِ مَن جعلك حسيبَ نفسِك.

وروى البزَّار[4] عن أبي هريرةَ ﷺ عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ﴾ [الإسراء: ٧١].

قال: **«يدعى أحدُهم فيعطى كتابَه بيمينه ويُمَدُّ له في جسمه ويُبيَّضُ وجهُه، ويُجعل على رأسه تاجٌ من لؤلؤة يتلألأ فينطلق إلى أصحابه فيَرونه من بعيد فيقولون: اللهم آتِنا بهذا، وباركْ لنا في هذا. فيأتيهم فيقول لهم: أبشروا فإن لكل رجلٍ منكم مثلَ هذا.**

وأما الكافرُ فيُسوَّدَ وجهُه ويُمد له في جِسمه ويراه أصحابُه فيقولون: نعوذ بالله من هذا أو من شر هذا، اللهم لا تأتينا به. فيأتيهم فيقولون: اللهم أخزِه، فيقول: أبعدكم اللّهُ، فإن لكل رجل منكم مثلَ هذا». حديثٌ غريبٌ حسّنه التِرْمِذي[5].

---

(١)(٢) ذكره البغوي في «معالم التنزيل» (٥/ ٨٢) والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/ ٢٥٠).

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٣/ج٢٦/١٥٩) وابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير (٤/ ٢٣٩ ـ ٢٤٠).

(٤) لم أجده في كشف الأَستار ولا في الأَجزاء المطبوعة من مسند البزار.

(٥) في السنن (٥/ ٣٠٢ رقم ٣١٣٦) وقال: **هذا حديث حسن غريب**.
قلت: وأخرجه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٢٤٢ ـ ٢٤٣) وقال: **هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه**.
وابن حبان في الإحسان (١٦/ ٣٤٦ رقم ٧٣٤٩) **وهو حديث ضعيف**.

وفي السنن[1] عن عائشة ﵂ أنها **«ذكرت النارَ فبكَتْ، فقال رسولُ الله ﷺ: ما يُبكيكِ؟ قالت: ذكرتُ النارَ فبكَيتُ، فهل تذكرُون أهليكم يومَ القيامة؟ فقال رسولُ الله ﷺ: أما في ثلاثة مواطنَ فلا يذكر أحدٌ أحداً: عند الميزانِ حتى يعلمَ أيخِفُّ ميزانُه أو يَثقل، وعند الكتابِ حين يقول** ﴿هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ﴾ [الحاقة: ١٩] **حتى يعلمَ أين يقعُ كتابَه أفي يمينه أم في شماله أم من وراء ظهره، وعند الصراطِ إذا وُضع بين ظهرَيْ جهنمَ».**

وروى ابنُ أبي حاتم[2] عن أبي عثمانَ قال: «المؤمنُ يُعطى كتابَه بيمينه في ستر من الله فيقرأ سيئاتِه، فكلما قرأ سيئاتِه تغير لونُه حتى يمُرَّ بحسناته، فيقرَؤُها فيرجِعُ إليه لونُه، ثم ينظرُ فإذا سيئاتُه قد بُدّلتْ حسناتٍ، قال: فعند ذلك يقول: هاؤُم اقرؤا كتابيه».

وله[3] عن عبد الله بنِ عبد اللّهِ بنِ حنظلةَ غسيلِ الملائكة قال: «إن اللّهَ يوقفُ عبدَه يوم القيامة فيُبدي ـ أي يُظهر ـ سيئاتِه في ظهر صحيفتِه فيقول له: أنت عمِلتَ هذا؟ فيقول: نعم أيْ ربِّ، فيقول له: إني لم أفضَحْك به، وإني قد غفرْتُ لك. فيقول عند ذلك: ﴿هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ ۝١٩ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهۡ ۝٢٠﴾ [الحاقة]. حين نجا من فضيحته يوم القيامة».

وقد تقدم حديثُ ابنِ عمرَ[4] الصحيحُ في النجوى وفيه في المؤمن: **«ثم يُعطى كتابَ حسناتِه بيمينه، وأما الكَافرُ والمنافقُ فيقول الأشهادُ: هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنةُ اللّهِ على الظالمين».**

---

(١) أخرجه أبو داود في السنن (٥/ ١١٦ ـ ١١٧ رقم ٤٧٥٥) والترمذي في السنن رقم (٢٢٣٥). والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٥٧٨) وقال: هذا حديث صحيح إسناده على شرح الشيخين لولا إرسال فيه بين الحسن وعائشة على أنه قد صحت الرواياتُ أن الحسن كان يدخل وهو صبي منزل عائشة ﵂ وأم سلمة. ووافقه الذهبي.
وخلاصة القول أن الحديث ضعيف.

(٢) ذكره ابن كثير عنه في تفسيره (٤/ ٤٤٣) مسنداً.
وأورده السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٢٧١) وعزاه لابن المبارك في الزهد وعبد بن حميد وابن المنذر والخطيب.

(٣) لابن أبي حاتم في تفسيره (١٠/ ٣٣٧١ رقم ١٢٩٧٤).

(٤) تقدم تخريجه.

وعن ابن السائبِ[1] في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ﴾ [الحاقة: ٢٥].

قال ابنُ السائب[1]: تُلوَى يدُه اليسرى خلفَ ظهرِه، ثم يُعطى كتابَه.

وقيل: تُنزع يدُه اليسرى من صدره إلى خلف ظهرِه ثم يعطى كتابَه.

وقال مجاهد[2]: تُخلع يدُه اليسرى من وراء ظهره.

وقال البغوي[3]: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ﴾ [الانشقاق: ١٠].

قال: فتُغلُّ يدُه اليمنى إلى عنقه وتُجعل يدُه الشمالُ وراء ظهرِه فيُؤتى كتابَه بشماله من وراء ظهرِه.

فصلٌ ـ فيما جاء في الميزان

(والوزنُ بالقسط فلا ظلمَ ولا يُؤخذ العبدُ بسوى ما عمِلا)

(فبينَ ناجٍ راجحٍ ميزانُه ومُقرِفٍ أوبقه عدوانُه)

(والوزن) لأعمال العبادِ **(بالقسط)** العدْل **(فلا ظلمَ)** على أحد يومئذ، لأن الحاكم فيه هو العدْلُ الحكيمُ، الذي حرَّم الظلمَ على نفسِه وجعله على عبادِه محرَّماً فلا يُهضَم أحدٌ من حسناتِه.

(ولا يؤخذ عبد بسوى ما عمِلا) الألفُ للإطلاق، قال الله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ﴾ [غافر: ١٧].

وقال تعالى: ﴿فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [يس: ٥٤].

وقال تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

وقال تعالى عن لقمانَ: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ١٦].

---

(١) ذكره البغوي في «معالم التنزيل» (٨/ ٢١٢).

(٢) أخرجه ابن المنذر كما في «الدر المنثور» (٨/ ٤٥٧).

(٣) في «معالم التنزيل» (٨/ ٣٧٤).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا﴾ [النساء: ٤٠].

(فبين ناج راجح ميزانه) إلخ، قال الله تعالى: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾﴾ [الأعراف].

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [المؤمنون]. الآيات.

وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴿١١﴾﴾ [القارعة].

وقال تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: ١٠٥].

وفي الترمذي[١] عن النضر بنِ أنسِ بن مالكٍ عن أبيه قال: سألتُ النبيَّ ﷺ أن يشفَع لي يوم القيامةِ، فقال: «**أنا فاعل**» - يعني إن شاء الله - قلت: يا رسولَ الله فأين أطلبُك؟ قال: «**اطلُبني أول ما تطلُبني على الصراط**». قلت: فإن لم ألقكَ على الصراط؟ قال: «**فاطلبني عند الميزان**». قلت: فإن لم ألقكَ عند الميزان؟ قال: «**فاطلُبني عند الحوضِ فإني لا أُخطِئ هذه الثلاثَ المواطنَ**». هذا حديث حسنٌ غريب[٢].

وفي سنن أبي داودَ[٣] وغيرِه حديثُ عائشةَ المتقدم وفيه: «**وعند الميزانِ حتى يُثقلَ أو يخِفّ**» الحديث.

---

(١) في «السنن» (٤/ ٦٢١ - ٦٢٢ رقم ٢٤٣٣).
قلت: وأخرجه أحمد في «المسند» (٣/ ١٧٨).
وهو حديث صحيح.

(٢) قاله في «السنن» (٤/ ٦٢٢).

(٣) تقدم تخريجه.

والقول في الموزون على ثلاثةِ أوجهٍ:

(الأولُ): أنه الأعمالُ نفسُها هي التي توزن، وأن أفعالَ العبادِ تجسّم فتُوضع في الميزان. ويدل لذلك حديثُ أبي هريرةَ ﷺ في الصحيح[1] قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**كلمتان حبيبتانِ إلى الرحمن، خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده سبحانَ اللّهِ العظيم**».

وفي الصحيح[2] عن أبي أُمامةَ الباهليِّ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**اقرأوا القرآنَ، فإنه يأتي يومَ القيامة شفيعاً لأصحابِه. اقرأوا الزَّهراوينِ البقرةَ وسورةِ آل عمرانَ، فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان، أو كأنهما غَيابتان، أو كأنهما فِرْقان من طير صَوافَّ تُحاجّانِ عن أصحابِهما، اقرأوا سورةَ البقرةِ فإن أخْذَها بركةٌ وتركَها حسرةٌ ولا تستطيعها البَطَلةُ**». قال معاوية: بلغني أن البطلَةَ السحَرةُ. ومعاويةُ هو ابنُ سلام.

وفيه[3] عن النَّوَّاس بنِ سمعانَ الكِلابيِّ قال: سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول: «**يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهلِه الذين كانوا يعملون به تقدَّمُه سورةُ البقرة وآل عمران**».

وضرب لهما رسولُ الله ﷺ ثلاثةَ أمثالٍ ما نسيتُهن بعد قال: «**كأنهما غمامتان أو ظُلَّتان سوداوانِ بينهما شرق، أو كأنهما فِرقان من طير صوافَّ تحاجّان عن صاحبهما**».

وقال التِرمِذي[4] رحمه الله تعالى: معنى هذا الحديثِ عند أهلِ العلمِ أنه يجيء ثوابُ قراءتِه. كذا فسَّر بعضُ أهلِ العلمِ هذا الحديثَ وما يشبه هذا من الأحاديث أنه يجيء ثوابُ قراءةِ القرآنِ.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (١١/ ٢٠٦ رقم ٦٤٠٦) وطرفاه رقم (٦٦٨٢) و (٧٥٦٣). ومسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٧٢ رقم ٣١/ ٢٦٩٤).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (١/ ٥٥٣ رقم ٢٥٢/ ٨٠٤).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه (١/ ٥٥٤ رقم ٢٥٣/ ٨٠٥).
قلت: وأخرجه الترمذي في «السنن» (٥/ ١٦٠ رقم ٢٨٨٣).
وقال الترمذي : «**هذا حديث غريبٌ من هذا الوجه**».

(٤) في «السنن» (٥/ ١٦٠).

وفي حديث النواسِ بنِ سمعانَ[1] عن النبيِّ ﷺ ما يدل على ما فسَّروا إذ قال النبيُّ ﷺ: **«وأهلُه الذين يعملون به في الدنيا»**.

ففي هذا دلالةٌ أنه يجيءُ ثوابُ العمل. اهـ.

قلت: ولا مانِعَ من كونِ الآتي هو العملَ نفسَه كما هو ظاهرُ الحديثِ: فأما أن يقالَ إن الآتيَ هو كلامُ اللَّهِ نفسُه فحاشا وكلا ومعاذَ الله، لأن كلامَ الله تعالى صفتُه ليس بمخلوق، والذي يوضع في الميزان هو فعلُ العبدِ وعملُه: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦].

وروى الإمامُ أحمدُ[2] عن عبد اللَّهِ بنِ بُريدةَ عن أبيه قال: كنتُ جالساً عند النبيِّ ﷺ فسمعتُه يقول: **«تعلموا سورةَ البقرةِ فإن أَخْذَها بركةٌ وتركَها حسرةٌ ولا تستطيعُها البَطَلَةُ»**.

قال: ثم سكت ساعةً ثم قال: **«تعلموا سورةَ البقرةِ وآلِ عِمرانَ فإنهما الزهراوان، يُظِلَّلانِ صاحِبَهما يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غَيابتان أو فِرقان من طير صوافٍّ، وإن القرآنَ يلقى صاحبَه يوم القيامة حين ينشق عنه قبرُه كالرجل الشاحب فيقول له: هل تعرِفني؟ فيقول: ما أعرِفك، فيقول: أنا صاحبُك القرآنُ الذي أظمأتُك في الهواجر وأسهرتُ مُقلتَك، وإن كلَّ تاجرٍ من وراء تجارتِك، وإنك اليوم وراء كلِّ تجارةٍ. فيُعطى المُلكَ بيمينه والخُلْدَ بشماله، ويوضع على رأسِه تاجُ من الوقار ويُكسى والداه حُلّتان لا يقوّم لهما أهلُ الدنيا فيقولان: بما كُسينا هذا؟ فيقالُ: بأخذِ ولدِكُما القرآنَ، ثم يقال: اقرأ واصعَدْ في درَجِ الجنةِ وغُرَفِها، فهو في صعود، ما دام يقرأ هذًا كان أو ترتيلًا»** وإسنادُه حسنٌ.

والقولُ بأن الأعمالَ هي ذاتُها التي تُوزن، ذكره البغوي[3] عن ابن عباس رضي الله عنه.

(والقولُ الثاني): أن صحائفَ الأعمالِ هي التي تُوزن، ويدل على ذلك ما

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) في «المسند» (٥/ ٣٦١).

قلت: وأخرجه الحاكم في «المستدرك» (١/ ١٤٠) وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وهو كما قالا.

(٣) في «معالم التنزيل» (٣/ ٢١٥).

روى الإمامُ أحمدُ[1] عن عبد الله بنِ عمْرِو بنِ العاصِ رضي الله عنهما قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: **«إن اللَّهَ عز وجل يستخلص رجلاً من أمتي على رُؤوس الخلائق يومَ القيامة فينشُر له تسعةً وتسعونَ سِجلًّا، كلُ سجلٍ مدُّ البصر، ثم يقول: أتُنكر من هذا شيئاً، أظلَمَك كتبتي الحافظون؟ قال: لا يا رب، قال أفلك عذرٌ أو حسنةٌ؟ قال: فبُهتَ الرجلُ فيقول: لا يا رب.**

فيقول: بلى إن لك عندنا حسنةً واحدةً لا ظلْمَ عليك اليومَ، فيَخرُج له بطاقةٌ فيها أشهدُ أنَ لا إله إلا اللَّهُ وأشهدُ أن محمداً رسولُ الله ـ ﷺ ـ فيقول: أحضرِوهُ، فيقول: يا ربِّ ما هذه البطاقةُ مع هذه السِجلاّتِ، فيقول: إنك لا تُظلم، قال فتوضع السِّجلاتُ في كِفة والبطاقةُ في كِفة، قال فطاشت السجلاتُ وثقُلت البِطاقةُ.

قال: ولا يثقل شيءٌ مع بسمِ اللَّهِ الرحمنِ الرحيم»، ورواه الترمذيُّ[2] وابنُ ماجه[3] وقال الترمذيُّ: حسنٌ غريب.

(والثالثُ): أن الموزونَ ثوابُ العمل، وهو اطّرادُ ما نقله التِرمذيُّ في معنى حديث النواس.

(والرابع): أن الموزونَ هو العاملُ نفسُه، ويدل لذلك ما روى أحمدُ[4] عن

---

(١) في «المسند» (٢/ ٢١٣).

(٢) في «السنن» (٥/ ٢٤ ـ ٢٥ رقم ٢٦٣٩).

(٣) في «السنن» (٢/ ١٤٣٧ رقم ٤٣٠٠).
وهو حديث صحيح.

(٤) في «المسند» (١/ ١١٤).
قلت: وأخرجه أبو نعيم في الحلية (١/ ١٢٧)، وأبو يعلى في «المسند» (١/ ٤٠٩ ـ ٤١٠ رقم ٢٧٩/ ٥٣٩).
وأورده الهيثمي في «المجمع» (٩/ ٢٨٨) وقال: رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني ورجاله رجال الصحيح غير أم موسى وهي ثقة.
وللحديث شواهد:
(منها): عن ابن مسعود عند أحمد (١/ ٤٢١ ـ ٤٢٢) وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ١١٧) وأبو يعلى (٩/ ٢٠٩ رقم ٣٤٤/ ٥٣١٠).
وأورده الهيثمي في «المجمع» (٩/ ٢٨٩) وقال: رواه أحمد وأبو يعلى والبزار والطبراني من طرق أمثلها طريق عاصم ابن أبي النجود، **وهو حسن الحديث.**
وانظر باقي الشواهد في «مجمع الزوائد» (٩/ ٢٨٩). =

عليٍّ ﷺ أن ابنَ مسعودٍ ﷺ صعِدَ شجرةً يجتني الكَباثَ[1]، فجعل الناسُ يعجِبون من دِقّة ساقيه، فقال رسولُ الله ﷺ: **«والذي نفسي بيده هما في الميزان أثقلُ من أُحدٍ»**.

وروى البخاريُّ في صحيحه[2] عن أبي هريرةَ ﷺ عن رسولِ الله ﷺ قال: **«إنه ليأتي الرجلُ العظيمُ السمينُ يوم القيامة لا يزن عند الله جناحَ بعوضةٍ»**، وقال اقرأوا: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: ١٠٥].

ولابن أبي حاتم[3] عنه ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«يؤتى بالرجل الأكولِ الشَّروبِ العظيم فيوزن بحبة فلا يزِنها»**، قال وقرأ: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا﴾، رواه ابنُ جريرٍ[4].

وروى البزارُ[5] عن عبد الله بنِ بُريدةَ عن أبيه قال: كنا عند رسولِ الله ﷺ، فأقبل رجلٌ من قريش يخطُر في حُلّة له، فلما قام على النبيِّ قال: **«يا بُريدةُ هذا ممن لا يقيم اللَّهُ له يوم القيامة وزناً»**.

قلت: والذي استظهر من النصوص ـ واللَّهُ أعلم ـ أن العاملَ وعملَه وصحيفةَ عملِه كلُّ ذلك يوزن، لأن الأحاديثَ التي في بيانِ القرآنِ قد وردتْ بكل من ذلك ولا منافاةَ بينها.

= **وخلاصة القول أن الحديث حسن.**

(١) الكَباثَ، بالفتح، نضيجُ ثمر الآراك! وقيل هو ما لم يَنْضَجْ منه. «لسان العرب» (١٢/ ١٠).

(٢) في صحيحه (٨/ ٤٢٦ رقم ٤٧٢٩).
ومسلم في صحيحه (٤/ ٢١٤٧ رقم ١٨/ ٢٧٨٥).

(٣) في تفسيره (٧/ ٢٣٩٣ رقم ١٣٠٠٢).

(٤) في «جامع البيان» (٩/ج١٦/ ٣٥).

(٥) في «المسند» (٣/ ٣٦٥ رقم ٢٩٥٦ ـ كشف).
وقال البزار: لا نعلمُ رواه عن ابن بريدة إلا واصل، وهو مولى أبي عُيَيْنة بصري مشهور، وعون لم يكن بالحافظ، ولم يتابع على هذا.
وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/ ١٢٥) وقال: رواه البزار، وفيه عون بن عمارة، **وهو ضعيف.**

ويدل لذلك ما رواه أحمدُ[1] رحمه الله تعالى عن عبدِ اللَّهِ بنِ عمرٍو في قصةِ صاحبِ البِطاقةِ بلفظ: قال قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: **«توضع الموازينُ يوم القيامة، فيُؤتى بالرجل فيوضع في كِفة ويوضع ما أُحصيَ عليه فيُمايلُ به الميزانُ، قال فيُبعث به إلى النار. قال فإذا أدبرَ إذا صائحٌ من عند الرحمنِ عز وجل يقول: لا تعجَلوا فإنه قد بقيَ له، فيُؤتى ببطاقة فيها لا إله إلا الله فتوضع مع الرجل في كِفة حتى يميلَ به الميزانُ»**. فهذا الحديثُ يدل على أن العبدَ يوضع هو وحسناتُه وصحيفتُها في كِفة وسيئاتُه مع صحيفتِها في الكِفة الأخرى، وهذا غايةُ الجمعِ بين ما تفرق ذكرُه في سائر أحاديثِ الوزْن، ولله الحمد والمنة.

وروى أحمدُ[2] عن عائشةَ رضي الله عنها أن رجلًا من أصحابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ جلس بين يديه فقال: يا رسولَ اللَّهِ إن لي مملوكِين يكذبونني ويخونونني ويعصونني وأضرِبُهم وأشتِمُهم فكيف أنا منهم؟ فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: **«يُحسبُ ما خانوك وعصَوكَ وكذبوكَ وعقابُك إياهم، فإن كان عقابك إياهم بقدر ذنوبِهم كان كَفافاً لا لك ولا عليك، وإن كان عقابُك إياهم دون ذنوبِهم كان فضلًا لك، وإن كان عقابُك إياهم فوق ذنوبِهم اقتُصَّ لهم منك الفضلُ الذي بقيَ قِبَلك»**. فجعل الرجلُ يبكي بين يدي رسولِ اللَّهِ ﷺ ويهتِف، فقال رسولُ الله ﷺ: **«ما له لا يقرأ كتابَ الله»**: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧]. فقال الرجل: يا رسولَ اللَّهِ ما أجدُ شيئاً خيراً من فراق هؤلاء - يعني عبيدَه - إني أُشهِدُك أنهم أحرارٌ كلُّهم.



فصلٌ - فيما جاء في الصراط

(وينصبُ الجسرُ بلا امتراءِ   كما أتى في محكم الأنباءِ)

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) في «المسند» (٦/ ٢٨٠).
قلت: وأخرجه الترمذي في «السنن» (٥/ ٣٢٠ - ٣٢١ رقم ٣١٦٥).
وقال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد الرحمن بن غزوان وقد روى ابن حنبل عن عبد الرحمن بن غزوان هذا الحديث وهو ثقة. **وهو حديث صحيح.**

(يجوزه الناسُ على أحوال بقدر كسبهم من الأعمال)
(فبين مجتازٍ إلى الجنانِ ومسرفٍ يُكَبّ في النيران)

(وينصب الجسر) وهو الصراطُ على متن جهنمَ **(بلا امتراء)** بلا شكٍّ **(كما أتى في محكم الأنباء)** من الآيات والأحاديثِ **(يجوزه)** يمر عليه الناسُ **(على أحوال)** متفاوتةٍ **(بقدر كسبهم)** في الحياةِ الدنيا **(من الأعمال)** من إحسان أو إساءةٍ أو تخليطٍ **(فـ)** ـهم **(بين مجتاز)** عليه **(إلى الجنان)** وهم المؤمنون على تفاوت درجاتِهم ومراتِبهم في البُطء والإسراعِ، **(ومسرف)** على نفسه **(يُكَبّ في النيران)** فلا ينجو، ومنهم من تلفَحُه وتَمَسُّه النارُ بقدْر ذنبِه ثم يُخرج منها.

قال اللّٰهُ تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾ [مريم].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ۚ مَأْوَاكُمُ النَّارُ ۖ هِيَ مَوْلَاكُمْ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾ [الحديد].

وروى الإمامُ أحمدُ[1] عن كثير بنِ زيادٍ البرساني عن أبي سُميةَ قال: اختلفنا في الورود، فقال بعضُنا: لا يدخلها مؤمنٌ، وقال بعضُنا: يدخُلونها جميعاً ثم ينجي اللّٰهُ الذين اتقوا، فلقِيتُ جابِرَ بنَ عبدِ اللّٰهِ فقلت له: إنا اختلفنا في الورود، فقال: يردونها جميعاً.

وقال سليمانُ بنُ مرّةَ: يدخلُونها جميعاً، وأهوى بأصبعيه إلى أذنيه وقال: صُمّتا إن لم أكن سمعتُ رسولَ اللّٰهِ ﷺ يقول: **«لا يبقى برٌّ ولا فاجرٌ إلا دخلَها،**

---

(١) في «المسند» (٣/ ٣٢٨ ـ ٣٢٩).
وأورده الهيثمي في «المجمع» (٧/ ٥٥ و ١٠/ ٣٦٠) وقال: رواه أحمد ورجاله ثقات.

فتكون على المؤمن برداً وسلاماً كما كانت على إبراهيمَ حتى إن للنار ضجيجاً من بَرْدهم، ثم ينجي اللَّهُ الذين اتقَوا ويذر الظالمين فيها جثياً».

وروى الحسنُ بنُ عرفةَ[1] عن خالدَ بنِ معْدانَ قال: قال أهلُ الجنةِ بعدما دخلوا الجنةَ: ألم يعِدْنا ربُنا الورودَ على النار؟ قال: قد مررتُم عليها وهي خامدةٌ.

وروى عبدُ الرزاقِ[2] عن قيس بنِ حازمٍ قال: كان عبدُ اللَّهِ بنُ رَواحةَ واضعاً رأسَه في حِجْرِ امرأتِه فبكى فبكت امرأتُه، فقال: ما يُبكيك؟ قالت: رأيتُك تبكي فبكيتُ، قال: إني ذكرتُ قولَ اللَّهِ عز وجل: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَاۚ﴾ [مريم: ٧١]. فلا أدري أأنجو منها أم لا.

وله[3] عن ابن عباس في قصة مخاصمتِه نافعَ بنَ الأزرقِ، فقال ابنُ عباس: الورودُ الدخولُ. فقال نافعٌ: لا. فقرأ ابنُ عباس: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٨]. ورَدوا أم لا؟ وقال: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَۖ﴾ [هود: ٩٨]. أورَدوها أم لا؟ أما أنا وأنت فسندخُلها، فانظر هل نخرج منها أم لا، وما أرى اللَّهَ تعالى مُخرِجُك منها بتكذيبِك، فضحِك نافعٌ.

وروى ابنُ جريرٍ[4] عن مجاهد قال: كنتُ عند ابن عباسٍ فأتاه رجلٌ يقال له أبو راشدٍ وهو نافعُ بنُ الأزرقِ فقال له: يا ابن عباسٍ أرأيتَ قولَ اللَّهِ تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم: ٧١]. قال: أما أنا وأنت يا أبا راشد فسنرِدُها، فانظر هل نصدُرُ عنها أم لا.

وعنه[5] رضي الله عنه في: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَاۚ﴾ [مريم: ٧١]. قال: البرُّ والفاجرُ،

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ج١٦/١٠٩) وابن كثير في تفسيره (٣/١٣٩).
(٢) في تفسيره (٢/١١ رقم ١٧٧٩).
قلت: وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ج١٦/ ١١٠).
(٣) لعبد الرزاق في تفسيره (٢/ ١١ رقم ١٧٨٠).
وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ج١٦/ ١١١).
(٤) في «جامع البيان» (٩/ج١٦/ ١١١).
(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ج١٦/١٠٩).

ألا تسمع إلى قولِ اللّهِ تعالى لفرعونَ: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ﴾ [هود: ٩٨] الآية، ﴿وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ [مريم: ٨٦]. فسمَّى الورودَ على النار دخولاً وليس بصادر.

وروى الإمامُ أحمدُ(١) رحمه الله عن عبدِ اللّهِ هو ابنِ مسعودٍ رضي الله عنه: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ قال رسولُ الله ﷺ: «**يرد الناسُ كلُهم ثم يصدرون عنها بأعمالهم**». ورواه الترمذيُّ(٢) هكذا مرفوعاً.

وقد رواه ابنُ أبي حاتم(٣) عنه موقوفاً قال: «**يرد الناسُ جميعاً الصراطَ، ورودُهم قيامُهم حولَ النار، ثم يصدرون عن الصراطِ بأعمالهم: فمنهم من يمُرُّ مثلَ البرقِ، ومنهم من يمرُّ مثل الريح، ومنهم من يمر مثل الطيرِ، ومنهم من يمر كأجودِ الخيلِ، ومنهم كأجودِ الإبلِ، ومنهم من يمر كعدْو الرجلِ، حتى إن آخرَهم مرًّا رجلٌ نورُه على موضع إبهاميْ قدميه، يمر فيتكفأُ به الصراطُ، والصراطُ دحْضٌ مزَلّةٌ، عليه حسَكٌ كحسك القَتادِ، حافّتاه ملائكةٌ معهم كلاليبُ من نار يختطفون بها الناسَ**»، الحديثَ.

وروى ابنُ جريرٍ(٤) عنه في: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١]. قال: الصراطُ على جهنم مثلُ حدِّ السيفِ، فتمر الطبقةُ الأولى كالبرق، والثانيةُ كالريح، والثالثةُ كأجود الخيل، والرابعةُ كأجودِ البهائم، ثم يمرون والملائكةُ يقولون اللهم سلِّم سلِّم.

وقال قتادةُ(٥): قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ قال: هو الممرُّ عليها.

---

(١) في «المسند» (١/ ٤٣٥).
(٢) في «السنن» (٥/ ٣١٧ رقم ٣١٦٠).
قال شعبة: وقد سمعتُه من السدِّي مرفوعاً ولكنّي عمداً أدعُهُ.
وقال الألباني في صحيح الترمذي رقم (٢٥٢٧) **صحيح موقوف، وهو في حكم المرفوع**».
(٣) ذكره ابن كثير في تفسيره (٣/ ١٣٩ ـ ١٤٠) وقال: لهذا شواهد في الصحيحين وغيرهما من رواية أنس وأبي سعيد وأبي هريرةَ وجابر وغيرهم من الصحابة رضوان الله عليهم.
(٤) في «جامع البيان» (٩/ج١٦/ ١١٠) وقد تقدم عند ابن كثير (٣/ ١٤٠).
(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان (٩/ج١٦/ ١١٠).

وقال عبدُ الرحمن بنُ زيدِ بنِ أسلمَ[1]: ورودُ المسلمين المرورُ على الجسر بين ظَهرانيها، وورود المشركين أن يدخلوها.

وفي الصحيحين[2] من حديث أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثةٌ فتمَسُّه النارُ إلا تَحِلّةَ القَسَم»**. قال الزهريُّ[3]: كأنه يريد هذه الآيةَ: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم: ٧١]. قال ابن مسعود: قَسَماً واجباً.

وفيهما[4] عن أبي هريرة رضي الله عنه أيضاً مرفوعاً من حديثه الطويل في الرؤيةِ والشفاعةِ وفيه: «**ويضرب الصراطُ بين ظهري جهنمَ فأكون أنا وأمتي أولَ من يجيزُها، ولا يتكلم يومئذ إلا الرسلُ، ودعوى الرسلِ يومئذ اللهم سلِّمْ سلِّم.**

وفي جهنم كلاليبُ مثلُ شوكِ السَّعدانِ هل رأيتُم السعْدان؟ قالوا: نعم يا رسولَ الله، قال: **فإنها مثلُ شوك السعدانِ، غيرَ أنه لا يعلم ما قدْرُ عِظَمِها إلا اللّهُ عز وجل، تخطَف الناسَ بأعمالهم، فمنهم الموبَقُ بعمله، والمُوثق بعملِه ومنهم المُخردَلُ أو المجازى أو نحوُه**» الحديث.

وفيهما[5] من حديث أبي سعيد الخدريِّ رضي الله عنه من حديثه الطويل في ذلك مرفوعاً وفيه: «**ثم يؤتى بالجسر فيُجعل بين ظهريْ جهنمَ**. قلنا: يا رسولَ اللّهِ وما الجسرُ؟ قال: **مدْحضَةٌ مزَلّةٌ، عليه خطاطيفُ وكلاليبُ وحَسكةٌ مُفلطحةٌ لها شوكة عقيفاءُ تكون بنجد يقال لها السعدانُ، يمر المؤمنُ عليها كالطرف وكالبرق وكالريح وكأجاويد الخيلِ والرِّكاب، فناجٍ مُسلَّمٌ وناجٍ مخدوشٌ ومكدوسٌ في نار جهنمَ، حتى يمرَّ آخرُهم يسحبُ سحباً**» الحديث.

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٩/ج١٦/١١١).
(٢) أخرجه البخاري (٣/١١٨ رقم ١٢٥١).
ومسلم في صحيحه (٤/٢٠٢٨ رقم ٢٦٣٢).
(٣) ذكره الحافظ في «الفتح» (٣/١١٩).
(٤) البخاري (١٣/٤١٩ رقم ٧٤٣٧).
ومسلم في صحيحه (١/١٦٣ ـ ١٦٦ رقم ٢٩٩/١٨٢).
(٥) البخاري (١٣/٤٢٠ ـ ٤٢١ رقم ٧٤٣٩).
ومسلم في صحيحه (١/١٦٧ ـ ١٧١ رقم ٣٠٢/١٨٣).

ولمسلم[1] عن أنس ابن مسعودٍ ﵄ أن رسولِ اللَّهِ ﷺ قال: «**آخِرُ من يدخُل الجنةِ رجلٌ، فهو يمشي مرةً ويكبو مرةً وتسفَعه النارُ مرةً ـ فإذا ما جاوزها التفت إليها فقال: تبارك الذي نجاني منك، لقد أعطاني الله شيئاً ما أعطاه أحداً أبداً من الأولين والآخرين**»، الحديث. وفي رواية[2] عن ابن مسعود: «**رجل يخرج من النار حبواً**».

وفيه[3] عن أبي هريرةَ وحُذيفةَ ﵄ في حديث استفتاحِ الجنةِ عن النبي ﷺ مطوّلاً.

وفيه: «**وترسل الأمانةُ والرحِمُ فتقومان جنبتي الصراطِ يميناً وشمالاً، فيمرُ أوَلُكم كالبرقِ**، قال: قلتُ بأبي أنت وأمي أيُ شيء كمرِّ البرقِ؟ قال: **ألم ترَوا إلى البرقِ كيف يمر ويرجع في طرفة عين، ثم كمر الريح، ثم كمر الطير، وتشد الرجالُ تجري بهم أعمالُهم**، قال: **ونبيُكم** ﷺ **قائمٌ على الصراطِ يقول: ربِّ سلِّم سلِّم، حتى تعجز أعمال العبادِ، حتى يجيء الرجلُ فلا يستطيع السيرَ إلا زحافاً**».

قال: «**وفي حافتي الصراط كلاليبُ معلقةٌ مأمورةٌ بأخذ من أُمرت به، فمخدوشٌ ناجٍ ومكدوسٌ في النار**. والذي نفسُ أبي هريرة بيده إن قعْرَ جهنمَ لسبعون خريفاً».

وفيه[4] أيضاً في بعض طرُقِ حديثِ أبي سعيدِ المتقدمِ قال أبو سعيد: «**بلغني أن الجسرَ أدقُّ من الشعرةِ وأحدُّ من السيف**».

وفيه[5] عن أبي الزبير أنه سمعَ جابرَ بنَ عبدِ اللَّهِ ﵄ يسأل عن الورود. الحديث.

وفيه رؤيةُ اللَّهِ تعالى: «**فيتجلَّى لهم يضحَك**، قال: **فينطلِق بهم ويتبعونَه، ويعطى كلُّ إنسان ـ منافقٍ أو مؤمن ـ نوراً ثم يتبعونه، وعلى جسر جهنمَ كلاليبُ وحسَكٌ تأخذ من شاء الله تعالى، ثم يُطفأُ نورُ المنافقين ثم ينجو المؤمنون فتنجون،**

---

(١) في صحيحه (١/ ١٧٤ ـ ١٧٥ رقم ٣١٠/ ١٨٧).
(٢) لمسلم في صحيحه (١/ ١٧٣ رقم ٣٠٨/ ١٨٦).
(٣) أخرجه مسلم في صحيحه (١/ ١٨٦ ـ ١٨٧ رقم ٣٢٩/ ١٩٥).
(٤) أي مسلم في صحيحه (١/ ١٧١) وقد تقدم.
(٥) في صحيح مسلم (١/ ١٧٧ ـ ١٧٨ رقم ٣١٦/ ١٩١).

أولَ زمرةٍ وجوهُهم كالقمر ليلةَ البدر، سبعون ألفاً لا يحاسبون»، وذكر الحديث.

وقال عبدُ اللَّهِ بن مسعودٍ[1] في قولِ اللَّهِ تعالى: ﴿يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الحديد: ١٢]. قال: «على قدر أعمالهم يمرُّون على الصراط، منهم مَن نورُه مثلُ الجبلِ، ومنهم من نوره مثلُ النخلة، ومنهم من نورُه مثلُ الرجلِ القائم، وأدناهم نوراً مَن نورُه في إبهامه يتّقد مرةً ويطفأ مرةً». رواه ابنُ أبي حاتم وابنُ جرير.

وقال قتادةُ[2] ذُكر لنا أن نبيَّ اللَّهِ ﷺ كان يقول: «**مِن المؤمنين مَن يضيءُ نورُه من المدينةِ إلى عدنِ أبينَ وصنعاءَ فدون ذلك، حتى إن من المؤمنين من يُضيءُ نورُه موضعَ قدميه**».

وروى الطبراني[3] عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إن الله تعالى يدعو الناسَ يوم القيامةِ بأسمائهم سَتراً منه على عباده، وأما عند الصراطِ فإن الله تعالى يعطي كلَّ مؤمنٍ نوراً وكلَّ منافقٍ نوراً، فإذا استووا على الصراطِ سلبَ اللَّهُ تعالى نورَ المنافقين والمنافقاتِ، فقال المنافقون: انظرونا نقتبس من نوركم، وقال المؤمنون: ربَّنا أتممْ لنا نورنا فلا يذكُر عند ذلك أحدٌ أحداً**».

قلت: وذلك من تأويلُ قول الله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التحريم: ٨].

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٣/ج٢٧/ ٢٢٣).
وذكره ابن كثير في تفسيره (٤/ ٣٣٠) والسيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٥٢) وزاد نسبته إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن مردويه.
وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠/ ٣٣٣٦ رقم ١٨٨١٦) والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٤٧٨) وقال: «**هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه**».
وقال الذهبي: **على شرط البخاري**.

(٢) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ٢٢٢ رقم ٣١٥٧).
وابن جرير في «جامع البيان» (١٣/ج٢٧/ ٢٢٢) والسيوطي في «الدر» (٨/ ٥٢) وزاد نسبته إلى عبد بن حميد وابن أبي حاتم وابن المنذر.

(٣) في «الكبير» (١١/ ١٢٢ رقم ١١٢٤٢).
وأورده الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ٣٥٩) وفيه إسحاق بن بشر أبو حذيفة وهو متروك.
وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٥٣ ـ ٥٤) وزاد نسبته إلى ابن مردويه.

وروى ابنُ أبي حاتم[1] عن أبي الدرداء وأبي ذر ﵄ عن النبي ﷺ قال: «**أنا أولُ من يُؤذن له يومَ القيامة بالسجودِ، وأولُ من يؤذنُ له برفع رأسِه، فأنظُر من بين يديَّ ومن خلفي وعن يميني وعن شمالي، فأعرف أمتي من بين الأمم**.

فقال له رجل: يا نبيَّ الله كيف تعرِف أمتَك من بين الأمم ما بين نوحٍ إلى أمتك؟ فقال: **أعرفهم، محجّلونَ من أثرِ الوضوء، ولا يكون لأحد من الأمم غيرِهم، وأعرِفهم يُؤتَون كتُبَهم بأيمانِهم، وأعرِفهم بسيماهم في وجوههم، وأعرفهم بنورهم يسعى بين أيديهم**».

وقال الضحَّاك[2]: ليس أحدٌ إلا يُعطى نوراً يوم القيامة فإذا انتهوا إلى الصراطِ طفِئ نورُ المنافقين، فلما رأى المؤمنون أشفقوا أن يُطفأ نورُهم كما طُفئ نورُ المنافقين فقالوا: ربنا أتممْ لنا نورنا.

وقال الحسنُ[3] رحمه الله: ﴿يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الحديد: ١٢]. قال: على الصراط اهـ.

وقد أنكرَ الصراطَ والمرورَ عليه أهلُ البدعةِ والهوى من الخوارج[4] ومن تابعهم من المعتزلة[4]، وتأوّلوا الورودَ برؤيةِ النارِ لا أنه الدخولُ والمرورُ على ظهرها، وذلك لاعتقادِهم أن من دخل النارَ لا يخرج منها ولو بالإصرار على صغيرة، فخالفوا الكتابَ والسنةَ والجماعةَ وردّوا الآياتِ والأحاديثَ الواردةَ في الورودِ والمقامِ المحمودِ والشفاعةِ، ولذا قال ابنُ عباس ﵄: فيما روى ابنُ عُيينةَ عن عمرِو بنِ دينارٍ أن نافعَ بنَ الأزرقِ مارَى ابنَ عباس ﵄ في الورودِ، فقال ابنُ عباس ﵄: هو الدخولُ.

---

(١) في تفسيره (١٠/٣٣٣٦ رقم ١٨٨٢٠).
قلت: وذكره ابن كثير في تفسيره (٤/ ٣٣٠).
والسيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٥٢ ـ ٥٣) وزاد نسبته إلى ابن حاتم وابن مردويه.
وأخرجه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٤٧٨) وقال: **هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه**.
(٢) ذكره ابن كثير في تفسيره (٤/ ٣٣٠).
(٣) ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٥٢) وعزاه إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر.
(٤) تقدم التعريف بهما.

وقال نافعٌ: «ليس الورودُ الدخولَ، فتلا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قولَه تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٨]. أدخلها هؤلاء أم لا؟ ثم قال: يا نافعُ أما واللَّهِ أنت وأنا سنرِدها، وأنا أرجو أن يخرجني الله منها، وما أرى اللَّهَ عز وجل أن يُخرجك منها بتكذيبك»[١].

فصل ـ فيما ورد في الجنة والنار

(والنارُ والجنةُ حقٌ وهما موجودتانِ لا فناءَ لهما)

أي ومن الإيمانِ باليوم الآخر بالجنة والنارِ، **والبحث فيه ينحصر في ثلاثةِ أمورٍ:**

(الأول): كونُهما حقاً لا ريبَ فيهما ولا شك، وأن النارَ دارُ أعداءِ اللَّهِ، والجنةَ دارُ أوليائِه. وهذا هو المُشارُ إليه بقولنا: حقٌ، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَعْتَذِرُوا۟ ٱلْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [التحريم: ٦ ـ ٨]. الآيات.

وقال تعالى: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [البقرة: ٢٤ ـ ٢٥]. الآية.

وقال تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾ ۞ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [آل عمران]. الآيات.

وقال تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ﴿٥٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾﴾ [النساء].

---

(١) تقدم تخريجه.

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَٱطۡمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنۡ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ۝٧ أُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ۝٨ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝٩ دَعۡوَىٰهُمۡ فِيهَا سُبۡحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٞۚ وَءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝١٠﴾ [يونس].

وقال تعالى في أولياء الشيطان: ﴿يَعِدُهُمۡ وَيُمَنِّيهِمۡۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ۝١٢٠ أُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنۡهَا مَحِيصٗا ۝١٢١ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا ۝١٢٢﴾ [النساء].

قال تعالى لإبليس: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ۝٤٢ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوۡعِدُهُمۡ أَجۡمَعِينَ ۝٤٣ لَهَا سَبۡعَةُ أَبۡوَٰبٖ لِّكُلِّ بَابٖ مِّنۡهُمۡ جُزۡءٞ مَّقۡسُومٌ ۝٤٤ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ ۝٤٥ ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ۝٤٦﴾ [الحجر]. الآيات.

وغيرُها كثيرةٌ في القرآن شهيرةٌ، كلما يذكُر الجنةَ عطفَ عليها بذكر النار، وكلما يذكر أهلَ النار عطَف عليهم بذكر أهلِ الجنةِ، فتارةً يعِدُ ويتوعد، وتارةً يُرغِّب في الجنةِ ويدعو إليها ويرهِّب من النار ويحذّر منها، وتارةً يُخبر عما أعدّ في الجنة من النعيمِ المُقيمِ لأوليائِه، ويخبر عما أرصد في النار من العذابِ الأليمِ لأعدائِه وغيرُ ذلك.

فمن رامَ استقصاءَه فليقرأ القرآنَ من فاتحته إلى خاتمتِه بتدبرٍ وقلبٍ شهيد، والله الموفق.

وقال البخاريُّ(1) رحمه الله تعالى: حدثنا صدقةُ بنُ الفضلِ حدثنا الوليدُ عن الأوزاعي قال: حدثني عُمير بنُ هانيءٍ قال: حدثنا جُنادةُ بنُ أميةَ عن عُبادةَ ﷺ عن النبي ﷺ قال: **«من شهد أن لا إله إلا اللّهُ وحده لا شريكَ له وأن محمداً عبدُه ورسولُه، وأن عيسى عبدُ الله ورسولُه وكلمتُه ألقاها إلى مريمَ ورُوحٌ منه، والجنةَ**

---

(1) في صحيحه (٦/٤٧٤ رقم ٣٤٣٥).

حقٌّ والنارُ حقٌّ، **أدخله الجنةَ على ما كان من العمل**»، زاد في رواية[1]: «**من أبواب الجنةِ الثمانيةِ أيُّها شاء**». ووافقه على إخراجِه مسلمٌ[2] وغيره[3].

ولهما[4] عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبيُّ ﷺ إذا قام من الليل يتهجَّد قال: «**اللهم لك الحمدُ، أنت قيّمُ السمواتِ والأرضِ ومن فيهن، ولك الحمدُ لك ملكُ السمواتِ والأرضِ ومن فيهن، ولك الحمدُ أنتَ نورُ السمواتِ والأرضِ، ولك الحمدُ أنت ملِكُ السمواتِ والأرضِ، ولك الحمدُ أنت الحقُ ووعدُك الحقُ، ولقاؤُك حقٌ وقولُك حقٌ والجنةُ حقٌ والنارَ حقٌّ والنبيون حقٌ ومحمدٌ ﷺ حقٌ والساعةُ حقٌ.**

اللهم لك أسلمتُ وبك آمنتُ وعليك توكلتُ وإليك أنبْتُ وبك خاصمتُ وإليك حاكمتُ، فاغفِرْ لي ما قدَّمتُ وما أخَّرتُ، وما أسررْتُ وما أعلنتُ، أنت المقدمُ وأنت المؤخِّرُ لا إله إلا أنت ـ أو لا إله غيرُك ـ ». زاد في رواية[5]: «**ولا حول ولا قوةَ إلا بالله**».

هذا لفظُ البخاريُّ في باب التهجد، وقد روَياه من طرق[6] كثيرةٍ بألفاظ متقاربة، وفيه أن النبيَّ ﷺ قرنَ الشهادةَ بحقّية الجنةِ والنارِ مع الشهادةِ بحقّيةِ اللّهِ وحقِّيةِ رسلِه عليهم السلام وحقّيةِ وعدِه الصادِق، وهما أي الجنةُ والنارُ من وعده الصادق الذي أقسم على صدقه وحقيته ووقوعه في غير ما موضع من كتابه.

وفي حديث عبادةَ هذا أنه ﷺ علّق دخولَ الجنةَ والنجاةَ من النار بالتصديق بهما والشهادةِ بذلك، ولهذا يقول الله عز وجل يوم القيامة لأهل النار: ﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [يس].

---

(١) أي البخاري في صحيحه (٦/ ٤٧٤).

(٢) في صحيحه (١/ ٥٧ رقم ٤٦/ ٢٨).

(٣) كأبي عُوانة (١/ ٦) وابن منده في الإيمان (٤٥ و ٤٠٤) والنسائي في «عمل اليوم والليلة» رقم (١١٣٠).

(٤) البخاري في صحيحه (٣/ ٣ رقم ١١٢٠).
ومسلم في صحيحه (١/ ٥٣٢ ـ ٥٣٣ رقم ١٩٩/ ٧٦٩).

(٥) أي البخاري في صحيحه (٣/ ٣ رقم ١١٢٠).

(٦) البخاري في صحيحه رقم (١٢٠) و (٦٣١٧) و (٧٣٨٥ و ٧٤٤٢ و ٧٤٩٩).
ومسلم في صحيحه (١/ ٥٣٢ ـ ٥٣٤ رقم ٧٦٩).

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾ أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ﴾ [الطور: ١٣ ـ ١٥]. الآياتُ وغيرُها.

وتقدم في بعض ألفاظِ حديثِ جبريلَ من روايةِ ابن عباسٍ[١] عند أحمدَ: **«قال: فحدِّثني ما الإيمانُ؟ قال: الإيمانُ أن تؤمنَ باللَّهِ واليومِ الآخرِ والملائكةِ والكتابِ والنبيين وتؤمنَ بالموتِ وبالحياةِ بعد الموت، وتؤمنَ بالجنة والنار والحسابِ والميزانِ»** الحديث، وغيرُ ذلك من الأحاديث.

(البحث الثاني): اعتقادُ وجودِهما الآن، قال الله تعالى في الجنة: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، ﴿أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ [الحديد: ٢١]، ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧]، وقال تعالى: ﴿عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾﴾ [النجم]، وغيرُها من الآيات يخبر تعالى أنها مُعَدّةٌ قد أوجدت، وأنها مَخْفيةٌ لأولياء اللَّهِ تعالى مُدَخّرةٌ لهم، وأنها في السماء، وأن النبيَّ ﷺ أتاها ليلةَ المعراجِ ورآها.

وقال تعالى في النار: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٣١]، وقال: ﴿وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾ [الفرقان: ١١]، ﴿وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًۢا﴾ [الإنسان: ٣١]، ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾﴾ [النبأ]. فهي أيضاً مُعدّةٌ لأعداء اللَّهِ تعالى مُرْصَدةٌ لهم.

وقال البخاريُّ[٢] في صحيحه: «بابُ ما جاء في صفةِ الجنةِ وأنها مخلوقة» ثم ذكر فيه حديثَ ابنِ عمرَ رضي الله عنهما قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: **«إذا مات أحدُكم فإنه يُعرض عليه مَقعدُه بالغداة والعشيِّ، فإن كان من أهل الجنةِ فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النارِ فمن أهل النار».**

وحديثَ عِمرانَ بنِ حُصين[٣] عن النبيِّ ﷺ قال: **«اطلعتُ في الجنة فرأيتُ**

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) في صحيحه (٦/ ٣١٧ رقم ٣٢٤٠).
ومسلم في صحيحه (٤/ ٢١٩٩ رقم ٦٥/ ٢٨٦٦).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (١١/ ٢٧٣ رقم ٦٤٤٩).
ومسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٩٦ رقم ٩٤/ ٢٧٣٧).

أكثرَ أهلِها الفقراءَ، واطلعتُ في النار فرأيتُ أكثر أهلِها النساءَ».

وحديثَ أبي هريرةَ[1] رضي الله عنه قال: «بينما نحن عند رسولِ الله ﷺ إذ قال: **بينما أنا نائمٌ رأيتُني في الجنة، فإذا امرأةٌ تتوضأ إلى جانب قصر، فقلتُ: لمن هذا القصرُ؟ فقالوا: لعمرَ بنِ الخطاب، فذكرتُ غيرتَه فولّيتُ مُدْبِراً. فبكى عمرُ وقال: عليك أغار يا رسولَ الله؟».**

وحديثه[2] رضي الله عنه أيضاً قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: **«قال الله تعالى: أعددتُ لعبادي الصالحين ما لا عينٌ رأتْ ولا أُذنٌ سمعت ولا خطرَ على قلب بشر، فاقرأوا إن شئتم: فلا تعلم نفسٌ ما أخفيَ لهم من قرة أعينٍ جزاءً بما كانوا يعملون».**

ثم ساق الأحاديث في صفتها ثم قال: «بابُ صفةِ النارِ وأنها مخلوقةٌ»، ثم ذكر فيه حديث أبي ذرٍ[3] وأبي سعيدٍ[4] رضي الله عنهما قال النبيُّ ﷺ: **«أبرِدوا بالصلاة فإن شدةَ الحرِّ من فيح جهنمَ».**

وحديثَ أبي هريرة[5] رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«اشتكت النارُ إلى ربها فقالت: ربِّ أكل بعضي بعضاً. فأذن لها بنفَسَين نفسٌ في الشتاء ونفسٌ في الصيف، فأشدُّ ما تجدون في الحرِّ وأشدُّ ما تجدون في الزمْهرير».**

وحديثَ ابن عباسٍ[6] ورافعِ بنِ خُديجٍ[7] وعائشةَ[8] وابنِ عمرَ[9] رضي الله عنهم قال رسولُ الله ﷺ: **«الحُمّى من فيح جهنمَ فأبرِدوها بالماء».**

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٩/ ٣٢٠ رقم ٥٢٢٧).
ومسلم في صحيحه (٤/ ١٨٦٤ رقم ٢١/ ٢٣٩٥).
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (١٣/ ٤٦٥ رقم ٨٤٩٨).
ومسلم في صحيحه (٤/ ٢١٧٤ رقم ٢/ ٢٨٢٤).
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٦/ ٣٢٩ ـ ٣٣٠ رقم ٣٢٥٨).
(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (٦/ ٣٣٠ رقم ٣٢٥٩).
(٥) أخرجه البخاري في صحيحه (٦/ ٣٣٠ رقم ٣٢٦٠).
(٦) أخرجه البخاري في صحيحه (٦/ ٣٣٠ رقم ٣٢٦١).
(٧) أخرجه البخاري في صحيحه (٦/ ٣٣٠ رقم ٣٢٦٢).
(٨) أخرجه البخاري في صحيحه (٦/ ٣٣٠ رقم ٣٢٦٣).
(٩) أخرجه البخاري في صحيحه (٦/ ٣٣٠ رقم ٣٢٦٤).

وحديثَ أبي هريرةَ[1] ﷺ أن رسولَ الله ﷺ قال: «**ناركُم جزءٌ من سبعين جُزءاً من نار جهنمَ**». قيل: يا رسولَ اللَّهِ إن كانت لكافيةً، قال: «**فضَلت عليها بتسعة وستين جزءاً كلُهن مثلُ حرّها**».

وفيه[2] من حديث أنسِ بنِ مالكٍ في المعراج: «**ثم انطلق بي حتى انتهى إلى سدرةِ المنتهى وغشِيَها ألوانٌ لا أدري ما هي، ثم أُدخلتُ الجنةَ فإذا فيها حبائل اللؤلؤِ، وإذا ترابها المِسكُ**».

وفيه[3] من حديث مالكِ بن صعصعةَ في ذلك وفيه: «**ثم رُفعتُ إلى سدرة المنتهى فإذا نَبْقُها مثلُ قلالِ هَجَرَ، وإذا ورقُها مثلُ آذانِ الفِيَلةِ قال: هذه سدرةُ المنتهى، وإذا أربعةُ أنهار: نهران باطنان ونهرانِ ظاهرانِ، فقلتُ: ما هذان يا جبريلُ؟ قال: أما الباطنان فنهرانِ في الجنةِ، وأما الظاهرانِ فالنيلُ والفراتُ**». الحديث.

وفيهما[4] من حديث صلاةِ الكسوفِ وخطبتِه ﷺ فيها وأنه عُرضت عليه الجنةُ والنارُ، وأنه ﷺ أراد أن يتناولَ من الجنةِ عُنقوداً فقُصرتْ يدُه عنه، وأنه لو أخذ لأكلوا منه ما بقيت الدنيا، وأنه رأى النارَ ورأى فيها صاحبَ المِحْجَنِ الذي كان يسرق الحاجَّ، ورأى فيها عمْرَو بنَ لُحَيٍّ يجُرّ قُصْبَه في النار، ورأى المرأةَ التي تُعذَّب في هرة حبَسَتْها، وقال ﷺ: «**لم أرَ منظراً كاليوم أفظعَ**».

وفي صحيح مسلمٍ[5] والسننِ[6] والمسندِ[7] من حديث أبي هريرةَ ﷺ أن

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه (٦/ ٣٣٠ رقم ٣٢٦٥).

(2) البخاري في صحيحه (١/ ٤٥٨ ـ ٤٥٩ رقم ٣٤٩).
ومسلم في صحيحه (١/ ١٤٥ ـ ١٤٧ رقم ٢٥٩/ ١٦٢).

(3) البخاري في صحيحه (٦/ ٣٠٢ ـ ٣٠٣ رقم ٣٢٠٧).
ومسلم في صحيحه (١/ ١٤٥ ـ ١٤٧ رقم ٢٥٩/ ١٦٢).

(4) تقدم تخريجه.

(5) لم يخرجه في الصحيح. انظر: «تحفة الأشراف» (١١/ ٤ رقم ١٥٠١٥).

(6) أخرجه أبو داود في «السنن» رقم (٤٧٤٤). والترمذي رقم (٢٥٦٠) والنسائي (٧/ ٣ ـ ٤).

(7) عند أحمد (٢/ ٣٣٢ ـ ٣٣٣) و (٢/ ٣٧٣).
قلت: وأخرجه الحاكم في «المستدرك» (١/ ٢٦ ـ ٢٧) وقال: **هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه**.
=

رسولَ اللّهِ ﷺ قال: «**لما خلق اللّهُ الجنةَ والنارَ أرسل جبرائيلَ إلى الجنةِ فقال: اذهب فانظُر إليها وإلى ما أعددتُ لأهلها فيها. فذهب فنظر إليها وإلى ما أعدّ اللّهُ لأهلها فيها، فرجَع فقال: وعزّتِك لا يسمع بها أحدٌ إلا دخلها. فأمر بالجنة فحُفَّت بالمكاره، فقال: ارجِعْ فانظر إليها وإلى ما أعددتُ لأهلها فيها، قال: فنظر إليها ثم رجع فقال: وعزّتِك لقد خشيتُ ألا يدخلها أحدٌ.**

قال: ثم أرسله إلى النار قال: اذهب فانظُر إليها وإلى ما أعددتُ لأهلها فيها قال: فنظَر إليها فإذا هي يركب بعضُها بعضاً، ثم رجع فقال: وعزتك لا يدخُلها أحدٌ سمعَ بها. فأمر بها فحُفّت بالشهوات، ثم قال: اذهب فانظُر إلى ما أعددتُ لأهلها فيها، فذهب فنظر إليها فرجع فقال: وعزتِك لقد خشيتُ أن لا ينجو منها أحدٌ إلا دخلها».

وقد تقدم في أحاديث عذابِ القبرِ وأحوالِ البرزخ ذكرُ الجنةِ والنارِ ورؤيةُ كلٍّ منزِلَه فيها، وعَرضُ مقعدِه عليه، وفَتْحُ باب إحداهما إليه، وأن أرواحَ المؤمنين في عِلّيين، وأرواح الفُجّارِ في سِجِّينٍ، وغيرُ ما ذكرنا من الآياتِ الصريحةِ والأحاديثِ الصحيحةِ ما لا يُحصى، وإلى هذه المسألةِ الإشارةُ بقولنا (**موجودتانِ**).

(البحث الثالث): في دوامهما وبقائِهما بإبقاء اللّهِ لهما، وأنهما لا تفنَيانِ أبداً ولا يفنى من فيهما.

وإلى هذه المسألةِ الإشارةُ بقولنا (**لا فناء لهما**) قال اللّهُ تعالى في الجنةِ: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

وقال تعالى: ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر: ٤٨].

وقال تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود: ١٠٨].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ﴾ [ص: ٥٤].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾﴾ - إلى قوله تعالى - ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾﴾ [الدخان: ٥٦ - ٥٧].

= وابن حبان رقم (٧٣٩٤). وهو حديث حسن.

وقال تعالى: ﴿لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ [الواقعة: ٣٣]. وغيرُ ذلك من الآيات، فأخبر تعالى بأبديَّتِها بقوله: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [الأحزاب: ٦٥]، ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ﴾ [ص: ٥٤]. وأبديةِ أهلِها: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الدخان: ٥٦]. وعدمِ انقطاعِها عنهم بقوله: ﴿لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ [الواقعة: ٣٣]، ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود: ١٠٨]. وبعدم خروجهم بقوله: ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر: ٤٨]. وكذلك النارُ.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَظَلَمُوا۟ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [النساء: ١٦٨].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾﴾ [الأحزاب].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [الجن: ٢٣].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾﴾ [الفرقان].

وقال تعالى: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [التوبة: ٦٨].

وقال تعالى: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٧].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [الزخرف] والآيات.

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾﴾ [فاطر].

وقال تعالى: ﴿قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾﴾ [المؤمنون].

وقال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ﴾ [الشورى: ٤٥].

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ [طه: ٧٤].

وقال تعالى: ﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ﴿١١﴾ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾﴾ [الأعلى: ١٠ ـ ١٣].

وقال تعالى: ﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾﴾ ـ إلى قوله ـ ﴿فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾ [النبأ: ٢٣ ـ ٣٠]. وغيرُ ذلك في القرآن كثيرٌ.

فأخبرنا تعالى في هذه الآياتِ وأمثالِها أن أهلَ النارِ الذين هم أهلُها خُلقتْ لهم وخُلقوا لها وأنهم خالدون فيها أبدَ الآبدين ودهرَ الداهرين، لا فِكاك لهم منها ولا خلاصَ، ولاتَ حينَ مناصٍ. فأخبر تعالى عن أبديتهم فيها بقوله: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [الأحزاب: ٦٥]. ونفى تعالى خروجهم منها بقوله تعالى: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٧]. ونفى تعالى انقطاعَها عنهم بقوله عز وجل: ﴿وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا﴾ [فاطر: ٣٦]. وقوله تعالى: ﴿لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ﴾ [الزخرف: ٧٥]. ونفى فناءَهم فيها بقوله عز وجل: ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾ [الأعلى: ١٣]. وقولِه: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ﴾ [النساء: ٥٦].

وقال البخاريُّ[1] رحمه الله تعالى في قول الله عز وجل: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ [مريم: ٣٩]: حدثنا عمرُ بنُ حفصِ بنِ غياثٍ حدثنا أبي الأعمشُ حدثنا أبو صالح عن أبي سعيد الخدريِّ رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللّهِ ﷺ: «**يؤتى بالموتِ كهيئةِ كبشٍ أملحَ، فينادي منادٍ يا أهلَ الجنةِ، فيشرئبّون وينظرون فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، هذا الموتُ، وكلُهم قد رآه، ثم ينادي: يا أهلَ النارِ، فيشرئبّون وينظُرونَ، فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، هذا الموتُ وكلُهم قد رآه، فيُذبحُ ثم يقول: يا أهلَ الجنةِ خلودٌ فلا موتَ، ويا أهلَ النارِ خلودٌ فلا موت، ثم قرأ:** ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ﴾ [مريم: ٣٩]. **وهؤلاء في غفلة أهلِ الدنيا وهم لا يؤمنون**».

---

(١) في صحيحه (٨/ ٤٢٨ رقم ٤٧٣٠).

ووافقه على إخراجه مسلمٌ[1] من حديث أبي سعيدٍ هذا، وأخرجاه[2] أيضاً من حديث عبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ رضي الله عنهما قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «**إذا صار أهلُ الجنةِ إلى الجنة، وأهلُ النارِ إلى النارِ، جيء بالموتِ حتى يُجعل بين الجنةِ والنارِ ثم يذبح، ثم ينادي منادٍ: يا أهلَ الجنةِ لا موتَ، ويا أهلَ النارِ لا موتَ، فيزداد أهلُ الجنةِ فرحاً إلى فرحِهم ويزداد أهلُ النارِ حزناً إلى حزنهم**».

وفي رواية لمسلم[3] عن عبد اللَّهِ ـ هو ابنُ عمرَ رضي الله عنهما ـ قال: إن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «**يدخلُ اللَّهُ أهلَ الجنةِ الجنةَ وأهلَ النارِ النارَ، ثم يقوم مؤذنٌ بينهم فيقول: يا أهلَ الجنةِ لا موتَ، ويا أهلَ النارِ لا موتَ، كلٌ خالدٌ فيما هو فيه**». ورواه البخاري[4] دون قوله كلٌ خالدٌ إلخ.

وله[5] عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: قال النبيُّ ﷺ: «**يقول لأهل الجنةِ: خلودٌ لا موت، ولأهلِ النارِ: يا أهلَ النارِ خلودٌ لا موتَ**».

وقال مسلمٌ[6] رحمه الله تعالى: حدثنا نصرُ بنُ عليٍّ الجَهْضميُّ حدثنا بشرٌ يعني ابنَ المفضّلِ عن أبي مسلمةَ عن أبي نَضرةَ عن أبي سعيدٍ رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «**أما أهلُ النارِ الذين هم أهلُها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيَوْن، ولكن ناسٌ أصابتْهم النارُ بذنوبِهم** ـ أو قال بخطاياهم ـ **فأماتهم إماتةً حتى إذا كانوا فحماً أذِنَ بالشفاعةِ فجيء بهم ضبائرَ ضبائرَ فبُثّوا على أنهارِ الجنةِ ثم قيل: يا أهلَ الجنةِ أفيضوا عليهم، فينبُتون نبات الحِبّةَ تكون في حَميل السيلِ**».

فقال رجلٌ من القوم: «كأن رسولَ اللَّهِ ﷺ قد كان بالبادية».

ورواه الإمامُ أحمدُ[7] من طرق بألفاظ متقاربة نحو هذا اللفظ، وفي الباب

---

(١) في صحيحه (٤/ ٢١٨٨ رقم ٤٠/ ٢٨٤٩).

(٢) البخاري في صحيحه (١١/ ٤١٥ رقم ٦٥٤٨).
ومسلم في صحيحه (٤/ ٢١٨٩ رقم ٤٣/ ٢٨٥٠).

(٣) في صحيحه (٤/ ٢١٨٩ رقم ٤٢/ ٢٨٥٠).

(٤) في صحيحه (١١/ ٤١٥ رقم ٦٥٤٨).

(٥) للبخاري في صحيحه (١١/ ٤٠٦ رقم ٦٥٤٥).

(٦) في صحيحه (١/ ١٧٢ ـ ١٧٣ رقم ٣٠٦/ ١٨٥).

(٧) (منها): حديث أبي هريرة في «المسند» (٢٤/ ٢٠٤ رقم ٥٠٩ ـ الفتح الرباني) بسند جيد. =

آيات وأحاديثُ كثيرةٌ غيرَ ما ذكرنا، وفي هذا القدرِ كفايةٌ وبالله التوفيق.

[إخراج عصاة الموحدين من النار]

نعم جاءت الأحاديثُ الصريحةُ بإخراجِ عُصاةِ الموحدينَ الذين تمسُّهم النارُ بقدر جِنايتِهم وأنهم يخرُجون منها برحمةِ اللّهِ تعالى ثم بشفاعةِ الشافعين كما سيأتي إن شاء الله قريباً.

وأن هؤلاء العُصاةَ يسكنون الطبقةَ العليا من النارِ على تفاوتِهم في مقدار ما تأخذ منهم. وجاء فيها آثارٌ أن هذه الطبقةَ تفنى بعدَهم إذا أُخرجوا منها وأُدخلوا الجنةَ، **«وأنها ليأتينَ عليها يوم وهي تُصفق في أبوابِها ليس بها أحدٌ»**[1].

وعلى ذلك حمل جمهورُ المفسرّينَ الاستثناءَ في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ [هود: ١٠٧]. الآية. وعلى ذلك يُحمل ما ورد من آثار الصحابة.

وما أحسنَ ما قاله ابنُ القَيِّم رحمه الله تعالى في كتابِه (الوابلُ الصيِّبُ)[2]، قال رحمه الله تعالى: ولما كانَ الناسُ ثلاثَ طبقاتٍ: طيِّبٌ لا يشوبه خَبَثٌ، وخبيثٌ لا طيّبَ فيه، وآخرونَ فيهم خبثٌ وطيبٌ ـ كانت دورهم ثلاثةً: دارُ الطيبِ المحْضِ، ودارُ الخبيثِ المحْضِ ـ وهاتان الداران لا تفنيانِ ـ ودارٌ لمن معه خبثٌ وطيِّبٌ، وهي الدارُ التي تفنى وهي دارُ العُصاةِ، فإنه لا يبقى في جهنمَ من عُصاةِ الموحّدينَ أحدٌ، فإنهم إذا عُذّبوا بقدْرِ جزائِهم أُخرجوا من النارِ فأُدخلوا الجنةَ ولا

= (ومنها): حديث ابن عمر في «المسند» (٢٤/ ٢٠٥ رقم ٥١١ ـ الفتح الرباني). **وهو حديث صحيح.**
(ومنها): حديث أبي سعيد الخدري (٢٤/ ٢٠٤ ـ ٢٠٥ رقم ٥١٠ ـ الفتح الرباني). **وهو حديث صحيح.**
(ومنها): حديث أبي سعيد وأبي هريرة (٢٤/ ٢٠٥ رقم ٥١٣ ـ الفتح الرباني). **وهو حديث صحيح.**

(١) الحديث: **«ليأتينّ على جهنم يومٌ تصفق أبوابها، ما فيها من أمةِ محمدٍ أحدٌ».**
أخرجه ابن عدي في «الكامل» (٥/ ١٨٦٣) بإسناد فيه العلاء بن زيدل وهو وضاع.
وله شاهد مثله من حديث أبي أمامة ذكره ابن الجوزي في الموضوعات (٣/ ٢٦٨)
فالحديث موضوع. والله أعلم.

(٢) (ص٢٤).

يبقى إلا دارُ الطيِّبِ المحْضِ ودارُ الخبيث المحْضِ، انتهى كلامُه رحمه الله تعالى.

[ما قالته اليهودُ في النار]

(فصل) قالت اليهودُ[1] قبّحهم الله: إن النارَ يدخلها قومٌ من الكفار ويخرجونَ منها بعد أيام ثم يخلُفهم آخرونَ كما قصَّ الله تعالى ذلك عنهم في سورةِ البقرةِ إذ يقول تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعۡدُودَةً﴾ [البقرة: ٨٠].

ثم رد ذلك عليهم بقوله تعالى: ﴿قُلۡ أَتَّخَذۡتُمۡ عِندَ ٱللَّهِ عَهۡدًا فَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ عَهۡدَهُۥٓۖ أَمۡ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَىٰۚ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [البقرة: ٨٠ ـ ٨٢]، وقال تعالى في آل عمران: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعۡدُودَٰتٍۖ وَغَرَّهُمۡ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا۟ يَفۡتَرُونَ ﴿٢٤﴾ فَكَيۡفَ إِذَا جَمَعۡنَٰهُمۡ لِيَوۡمٍ لَّا رَيۡبَ فِيهِ وَوُفِّيَتۡ كُلُّ نَفۡسٍ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [آل عمران].

وقال البخاريُّ[2] رحمه الله تعالى: حدثنا قُتيبةُ حدثنا الليثُ عن سعيد بنِ أبي سعيد عن أبي هريرةَ ﵁ أنه قال: «لما فُتحت خيبرُ أُهديت لرسولِ اللَّهِ ﷺ شاةٌ فيها سمٌّ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «**اجمعوا لي من كان هَهنا من اليهودِ**»، فجمعوا له، فقال لهم رسولُ اللَّهِ ﷺ: «**إني سائلُكم عن شيءٍ فهل أنتم صادقيَّ عنه؟**» فقالوا: نعم يا أبا القاسم.

فقال لهم رسولُ اللَّهِ ﷺ: «**من أبوكم**»؟ قالوا: أبونا فلان. فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «**كذبتم**» بل أبوكم فلان، فقالوا: صدقْتَ وبررْتَ. فقال ﷺ: «**هل أنتم صادقيَّ عن شيءٍ إن سألتُكم عنه**»؟ فقالوا: نعم يا أبا القاسم، وإن كذبناك عرفتَ كذِبَنا كما عرفتَه لأبينا.

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١/١٥٦ رقم ٨١٥) عن عكرمةَ في قوله تعالى: **﴿وقالوا لن تمسنا النار إلا أيامًا معدودة﴾** [البقرة: ٨٠].
وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (١/٢٠٧) وزاد نسبته إلى ابن المنذر وعبد بن حميد.
وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١/ج١/٣٨٢).

(٢) في صحيحه (٦/٢٧٢ رقم ٣١٦٩) وطرفاه رقم (٤٢٤٩ و ٥٧٧٧).

قال لهم رسولُ اللَّهِ ﷺ: «**من أهلُ النارِ؟**» فقالوا: نكون فيها يسيراً ثم تخلُفونا فيها. فقال لهم رسولُ اللَّهِ ﷺ: «**اخسَئوا فيها، واللَّهِ لا نُخلفكم فيها أبداً**». ثم قال لهم: «**فهل أنتم صادقيَّ عن شيء إن سألتُكم عنه؟**» قالوا: نعم. فقال: «**هل جعلتم في هذه الشاةِ سُمّاً؟**». فقالوا: نعم. فقال: «**ما حملكم على ذلك؟**» فقالوا: أردنا إن كنت كذاباً نستريح، وإن كنت نبيًا لم يضرُّك».

وقال ابنُ عربيُّ[1] إمامُ الاتحادية مُحيي الزندقةِ والإلحادِ في آياتِ اللَّهِ تعالى: إن أهلها يعذبون فيها ثم تنقلب طبيعتهم وتبقى طبيعة النارية يتلذذون بها لموافقتها طبعَهم.

وقال الجهْمُ[2] وشيعته: إن الجنةَ والنارَ تفنَيانِ كلاهما لأنهما حادثتان، وما ثبت حدوثُه استحال بقاؤه، بناءً على أصله الفاسدِ في منع تسلسل الحوادثِ وبقائِها بإبقاء الله تعالى لها.

وقال طائفةٌ من المعتزلةِ والقدريةِ[3]: لم يكونا الآن موجودتين بل يُنشئهما الله تعالى يوم القيامة. وحملهم على ذلك أصلُهم الفاسدُ الذي وضعوا به شريعةً لما يفعله الله وأنه ينبغي أن يفَعَل كذا، ولا ينبغي له أن يفعلَ كذا، قياساً لله تعالى على خلقه في أفعالهم، فهم مُشبِّهةٌ في الأفعال، ودخل التجسيمُ فيهم فصاروا مع ذلك معطِّلة، وقالوا خلقُ الجنةِ والنارِ قبل الجزاءِ عبثٌ لأنها تصير معطلةً مدداً متطاولة.

فردوا من نصوصِ الكتابِ والسنةِ ما خالف هذه الشريعةَ الباطلةَ التي وضعوها للرب تعالى، وحرّفوا النصوصَ عن مواضعها وضلّلوا وبدّعوا من خالف شريعتَهم قبحهم الله تعالى.

وقال أبو الهذيلِ العلاّفُ: تُفنى حركاتُ أهلِ الجنةِ والنار ويصيرون جماداً لا يُحِسّون بنعيم ولا ألم.

وكل هذه الأقوالُ مخالفةٌ لصحيح المعقولِ وصريحِ المنقول، ومحادّةٌ

---

(١) انظر: «الملل والنحل» (١/ ٨٨).
(٢) انظر: «فرق معاصرة» (٢/ ٨١٤ ـ ٨١٥).
(٣) انظر: «فرق معاصرة» (٢/ ٨١٥ ـ ٨١٦).

ومشاقّةٌ لله تعالى وللرسول ﷺ، وتقديم للعقول السخيفةِ وزبالةِ الأذهانِ البعيدةِ والقلوبِ الشقيةِ الطريدةِ، وزخارف فاسدي السِيرةِ والسريرةِ والظاهرِ والباطنِ والعملِ والعقيدةِ.

وما أحسنَ ما قاله ابن القيِّم رحمه الله تعالى في نونيته[1] الكافيةِ الشافيةِ في أثناء حكايتِه عقيدةَ جهْم وشيعتِه دمّرهم الله تعالى:

وقضى بأن الله كان معطّلاً	والفعلُ ممتنعٌ بلا إمكانِ
ثم استحال وصار مقدوراً له	من غير أمرٍ قام بالدّيّان
بل حالُه سبحانُه في ذاته	قبلَ الحدوثِ وبعده سِيانِ
وقضى بأن النارَ لم تُخلَقْ ولا	جناتُ عدنٍ بل هما عدَمان
فإذا هما خُلقا ليوم مَعادِنا	فهما على الأوقاتِ فانيتان
وتلطّف العلاّفُ من أتباعه	فأتى بضِحكةِ جاهلٍ مجّان
قال الفناءُ يكون في الحركات لا	في الذات واعجباً لذا الهذَيانِ
أيصير أهلُ الخلدِ في جنّاتِهم	وجحيمِهم كحجارةِ البُنيان
ما حالُ من قد كان يغشى أهلَه	عند انقضاءِ تحرُّكِ الحيَوان
وكذاك ما حالُ الذي رَفعتْ يدا	ه أكلةً من صَحْفةٍ وخُوَانِ
فتناهت الحركاتُ قبل وصولها	للفمّ عند تفتُّحِ الأسنانِ
وكذاك ما حالُ الذي امتدت يدٌ	منه إلى قِنْوٍ من القنوان
فتناهت الحركاتُ قبل الأخذِ هل	يبقى كذلك سائرَ الأزمان
تباً لهاتيك العقولِ فإنها	واللّهِ قد مُسخت على الأبدانِ
تباً لمن أضحى يُقدّمها على ال	آثار والأخبارِ والقُرآن

فصلٌ ـ فيما جاء في الحوض والكوثرِ

(وحوضُ خيرِ الخلقِ حقٌّ وبه	يشرَبُ في الأخرى جميعُ حِزبِه)

(وحوضُ خيرِ الخلقِ) نبيِّنا محمدٍ ﷺ، وهو الكوثرُ الذي أعطاه ربُّه عز وجل (حقٌّ) لا مِرْيةَ فيه (وبه) بالحوض (يشرب) أي يرَوَى، ولذا عُدِّيَ بالباء دون مِن

---

(١) (١/ ٣٠ ـ ٣٣).

لتضمُّن الشربِ ههنا معنى الرّيِّ **(في الأخرى)** أي الدار الآخرةِ **(جميعُ حِزبِه)** وهم أمةُ الإجابةِ الذين آمنوا به وصدّقوه واتبعوا النورَ الذي أُنزل معه، قال الله تبارك وتعالى: بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾ [الكوثر].

وروى البخاريُّ[1] بسنده إلى أبي بشرٍ عن سعيد بنِ جبيرٍ عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في الكوثر: هو الخيرُ الذي أعطاه اللَّهُ إياه.

قال أبو بشر: قلتُ لسعيد بنِ جبيرٍ: فإن الناسَ يزعُمونَ أنه نهرٌ في الجنةِ. فقال سعيدٌ: النهرُ في الجنةِ من الخير الذي أعطاه اللَّهُ إياه اهـ.

وقد ورد في ذكر الحوضِ وتفسيرِ الكوثرِ به وإثباتِه وصفتِه من طرق جماعةِ من الصحابة عن النبيِّ ﷺ، واشتهر واستفاض بل تواترَ في كتب السنةِ من الصحاح والحِسانِ والمسانيدِ والسُنن، فممن روى ذلك عنه من الصحابة: أنسُ بنُ مالكٍ، وعبدُ الله بنُ عمرَ، وحارثةُ بنُ وهْب، وجُندُبُ بنُ عبدِ الله، وسهلُ بنُ سعد، وعائشةُ، وعقبةُ بنُ عامر، وعبدُ اللَّهِ بنُ مسعودٍ، وأبو هريرةَ، وعبدُ اللَّهِ بنُ عمرٍو، وابنُ عباس، وأسماءُ بنتُ أبي بكر، وثَوبانَ، وأبو ذرٍّ، وأم سلمةَ، وجابرُ بنُ سمُرةَ، وزيدُ بنُ أرقمَ، وسمُرةَ بنُ جُندبٍ، وحذيفةُ، وأبو برْزَةَ الأسلميُّ، والمُستورِدُ بنُ شدادٍ، وأبو سعيدٍ الخُدريِّ، وعبدُ اللَّهِ بنُ زيدٍ، وأسامةُ بنُ زيد.

فأما عن أنس بنِ مالكٍ فقال البخاريُّ[2] رحمه الله تعالى: حدثنا آدمُ حدثنا شَيبانُ حدثنا قتادةُ عن أنس رضي الله عنه قال: «لما عُرج بالنبيِّ ﷺ إلى السماء قال: **أتيتُ على نهرٍ حافتاهُ قبابُ اللؤلؤِ المجوَّفِ، فقلت: ما هذا يا جبريلُ؟ قال: هذا الكوثرُ**».

وقال[3] رحمه الله تعالى: حدثنا أبو الوليدِ حدثنا همامٌ عن قتادةَ عن أنس عن النبيِّ ﷺ. وحدثنا هُدبةُ بنُ خالدٍ حدثنا همامٌ حدثنا قتادةُ حدثنا أنس بنِ مالكٍ عن النبيِّ ﷺ قال: «**بينما أنا أسيرُ في الجنةِ إذْ أنا بنهرٍ حافتاه قِبابُ الدرِّ المجوَّفِ،**

---

(١) في صحيحه (٨/ ٧٣١ رقم ٤٩٦٦).
(٢) في صحيحه (٨/ ٧٣١ رقم ٤٩٦٤).
(٣) في صحيحه (١١/ ٤٦٤ رقم ٦٥٨١).

قلت: ما هذا يا جبريلُ؟ قال: هذا الكوثرُ الذي أعطاكَ ربُّك، فإذا طِينُه ـ أو طِيبُه ـ مِسكُ أَذْفر» شك شعبةُ.

وقال[1] رحمه الله تعالى: حدثنا سعيدُ بنُ عُفير قال: حدثني ابنُ وهْب عن يونسَ قال ابنُ شهاب: حدثنا أنسُ بنُ مالك ﷺ أن رسولَ الله ﷺ قال: «إن قَدْرَ حَوضي كما بين أيلةَ وصنعاءَ من اليمن، وإن فيه من الأباريق بعدد نجوم السماءِ» ووافقه على إخراجه مسلمٌ[2] بهذا اللفظ، وبلفظ[3]: «ما بين ناحيتي حَوضي كما بين صنعاءَ والمدينة»، وبلفظ[4]: «تُرى فيه أباريقُ الذهبِ والفضةِ كعدد نجومِ السماء».

وقال البخاريُّ[5] رحمه الله تعالى: حدثنا مسلمُ بنُ إبراهيمَ حدثنا وُهيبٌ حدثنا عبد العزيز عن أنس ﷺ عن النبي ﷺ قال: «لَيرِدَنَّ عليَّ ناسٌ من أصحابي الحوضَ حتى عرَفتهم اختلجوا دوني، فأقول: أصحابي، فيقول: لا تدري ما أحدثوا بعدك».

ورواه مسلمٌ[6] بلفظ: «إن النبي ﷺ قال: ليرِدن عليَّ الحوضَ رجالٌ ممن صاحبني حتى إذا رأيتُهم ورُفعوا إليَّ اختلجوا دوني، فلأقولنَّ: أي ربِّ أصحابي، فلَيُقالَنّ لي: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك».

وأما عن ابن عمرَ فقال البخاريُّ[7] رحمه الله تعالى: حدثنا مُسدَّدٌ حدثنا يحيى عن عُبيد اللَّهِ حدثني نافعٍ عن ابن عمرَ ﷺ عن النبيِّ ﷺ قال: «أمامَكم حوضٌ كما بين جَرباءَ وأذرُحَ».

ورواه مسلمٌ[8] بلفظ: «ما بين ناحيتيه كما بين جَرباءَ وأذرُحَ»، وزاد في

---

(١) في صحيحه (١١/ ٤٦٣ ـ ٤٦٤ رقم ٦٥٨٠).
(٢) في صحيحه (١/ ١٨٠٠ رقم ٣٩/ ٢٣٠٣).
(٣) في صحيح مسلم (١/ ١٨٠١ رقم ٤١/ ٢٣٠٣).
(٤) عند مسلم في صحيحه (١/ ١٨٠١ رقم ٤٣/ ٢٣٠٣).
(٥) في صحيحه (١١/ ٤٦٤ رقم ٥٦٨٢).
(٦) في صحيحه (٤/ ١٨٠٠ رقم ٤٠/ ٢٣٠٤).
(٧) في صحيحه (١١/ ٤٦٣ رقم ٦٥٧٧).
(٨) في صحيحه (٤/ ١٧٩٧ رقم ٣٤/ ٢٢٩٩).

رواية[1]: «**فيه أباريقُ كنجوم السماء، من ورَده فشرِبَ منه لا يظمأ بعدها أبداً**»، زاد في أخرى[2]: قال عبيد الله: «فسألته فقال: قريتين بالشام بينهما مسيرةُ ثلاثِ ليال».

وأما عن حارثةَ بنِ وهْبٍ فقال البخاريُّ[3] رحمه الله تعالى: حدثنا عليُّ بنُ عبدِ الله حدثنا حَرَميُّ بنُ عُمارةَ حدثنا شعبةُ عن معبدِ بنِ خالدٍ أنه سمع حارثةَ بنَ وهْب ﷺ يقول: «سمعتُ النبيَّ ﷺ وذكر الحوضَ فقال: «**كما بين المدينةِ وصنعاءَ**».

وزاد[4] ابنُ أبي عديّ عن شعبةَ عن معبدَ بنِ خالدٍ عن حارثةَ سمع النبيَّ ﷺ قولَه: «**حوضُه ما بين صنعاءَ والمدينةِ**»، فقال له المستورد: «ألم تسمعه قال الأواني؟ قال لا. قال المستورد: تُرى فيه الآنيةُ مثلَ الكواكبِ» ورواه مسلم[5] بهذا اللفظ.

وأما عن جُندب بنِ عبدِ اللّهِ فقال البخاريُّ[6] رحمه الله تعالى: حدثنا عُبدانُ أخبرني أبي عن شعبةَ عن عبد الملك قال: سمعتُ جُندباً قال: سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول: «**أنا فرَطَكم على الحوضِ**»، رواه مسلم[7] هكذا.

وأما عن سهل بنِ سعدٍ فقال البخاريُّ[8] رحمه الله تعالى: حدثنا سعيدُ بنُ أبي مريمَ حدثنا محمدُ بنُ مُطرِّفٍ حدثني أبو حازمٍ عن سهل بنِ سعدٍ قال: قال النبيُّ ﷺ: «**إني فرَطُكم على الحوضِ، من مرّ علَيّ شرب ومن شرب لم يظمأ أبداً. ليرِدَنّ عليَّ أقوامٌ أعرِفهم ويعرفوني ثم يُحال بيني وبينهم**».

قال أبو حازم[9] فسمعني النُعمانُ بنُ أبي عياشٍ فقال: هكذا سمعتُ من

---

(١) مسلم في صحيحه (٤/١٧٩٨ رقم ٢٢٩٩/٣٥).
(٢) مسلم في صحيحه (٤/١٧٩٨ رقم .../٢٢٩٩).
(٣) في صحيحه (١١/ ٤٦٥ رقم ٦٥٩١).
(٤) أي البخاري في صحيحه (١١/ ٤٦٥ رقم ٦٥٩٢).
(٥) في صحيحه (٤/١٧٩٧ رقم ٢٢٩٨/٣٣).
(٦) في صحيحه (١١/ ٤٦٥ رقم ٦٥٨٩).
(٧) في صحيحه (٤/ ١٧٩٢ رقم ٢٢٨٩/٢٥).
(٨) في صحيحه (١١/ ٤٦٤ رقم ٦٥٨٣).
(٩) أخرجه البخاري في صحيحه (١١/ ٤٦٤ رقم ٦٥٨٤).

سهل؟ فقلت: نعم. فقال: أشهدُ على أبي سعيدٍ الخدريِّ لسَمعتُه وهو يزيدُ فيها: **«فأقول إنهم مني، فيُقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول: سُحقاً سُحقاً لمن غيّر بعدي»**. ورواه مسلمٌ[1] وفيه: **«لمن بدّل بعدي»**.

وأما عن عائشةَ، فقال البخاريُّ[2] رحمه الله تعالى: حدثنا خالدُ بنُ يزيدَ الكاهليُّ حدثنا إسرائيلُ عن أبي إسحاقَ عن أبي عُبيدةَ عن عائشةَ ﵂ قال: سألتها عن قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ [الكوثر: ١].

قالت: «نهرٌ أُعطيه نبيُّكم ﷺ شاطئاه عليه درٌّ مجوّفٌ، آنيتُه كعدد النجوم».

وقال مسلمٌ[3] رحمه الله تعالى: حدثنا ابنُ أبي عمرَ حدثنا يحيى بنُ سليمٍ عن ابن خثيم عن عبدِ اللَّهِ بنِ عبيدِ اللَّهِ بنِ أبي مُليكةَ أنه سمع عائشةَ ﵂ تقول: سمعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقول وهو بين ظهراني أصحابِه: **«إني على الحوض أنتظر مَن يرِد عليّ منكم، فواللهِ لَيُقتَطعَنّ دوني رجالٌ فلأقولنّ أيْ ربِّ مني ومن أمتي، فيقول: إنك لا تدري ما عمِلوا بعدك ما زالوا يرجعون على أعقابهم»**.

وأما عن عقبةَ بنِ عامرٍ، فقال البخاريُّ[4] رحمه الله تعالى: حدثنا عَمْرُو بنُ خالدٍ حدثنا الليثُ عن يزيدَ عن أبي الخيرِ عن عُقبةَ ﵁ أن النبيَّ ﷺ خرج يوماً فصلى على أهلِ أُحدٍ صلاتَه على الميتِ، ثم انصرف على المنبر فقال: **«إني فرَطٌ لكم وأنا شهيدٌ عليكم، وإني واللَّهِ لأنظُر إلى حوضي الآنَ وإني أُعطيتُ مفاتيحَ خزائنِ الأرضِ - أو مفاتيحَ الأرضِ - وإني واللَّهِ ما أخاف أم تُشركوا بعدي، ولكن أخافُ عليكم أن تنافَسوا فيها»**.

ورواه مسلمٌ[5] بهذا اللفظ، وبلفظ[6]: «صلّى رسولُ اللَّهِ ﷺ على قتْلى أُحدٍ، ثم صعِدَ المنبرَ كالمودِّع للأحياءِ والأمواتِ فقال: **إني فرَطُكم على الحوضِ،**

---

(١) في صحيحه (٤/ ١٧٩٣ رقم ٢٦/ ٢٢٩٠).
(٢) في صحيحه (٨/ ٧٣١ رقم ٤٩٦٥).
(٣) في صحيحه ٤/ ١٧٩٤ رقم ٢٨/ ٢٢٩٤).
(٤) في صحيحه (١١/ ٤٦٥ رقم ٦٥٩٠).
(٥) في صحيحه (٤/ ١٧٩٥ رقم ٣٠/ ٢٢٩٦).
(٦) عند مسلم في صحيحه (٤/ ١٧٩٦ رقم ٣١/ ٢٢٩٦).

وإن عرْضَه كما بين أيْلةَ إلى الجَحفةَ. إني لستُ أخشى عليكم أن تُشركوا بعدي، ولكني أخشى عليكم الدنيا أن تَنافَسوا فيها وتقتتلوا فتَهلِكوا كما هلك مَن كان قبلكم. قال عقبةُ: وكانت آخرُ ما رأيتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ على المنبر.

وأما عن عبدِ اللَّهِ بنِ مسعودٍ، فقال البخاريُّ[1] رحمه الله تعالى: حدثنا يحيى بنُ حمادٍ حدثنا أبو عوانةَ عن سليمانَ عن شقيقٍ عن عبدِ اللَّهِ ﷺ عن النبيِّ ﷺ: «**أنا فرَطُكم على الحوضِ**».

وحدثني عَمرُو بنُ عليٍّ حدثنا محمدُ بنُ جعفرٍ حدثنا شعبةُ عن المغيرة قال: سمعتُ أبا وائلٍ عن عبدِ اللَّهِ ﷺ أن النبيَّ ﷺ قال: «**أنا فرَطُكم على الحوضِ، وليُرفَعُنَّ رجالٌ منكم ثم ليُختلَجُنّ دوني فأقول يا ربِّ: أصحابي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك**»[2]، تابعه عاصمٌ عن أبي وائلٍ، وقال: حُصينٌ عن أبي وائلٍ عن حذيفةَ عن النبيِّ ﷺ.

وروى مسلمٌ[3] حديثَ ابنِ مسعودٍ بلفظ قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «**أنا فرَطُكم على الحوض ولأنازِعنّ أقواماً ثم لأُغلَبنّ عليهم فأقول: يا ربِّ أصحابي أصحابي فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك**». وأشار[4] إلى حديث حذيفةَ بنحو روايةِ الأعمشِ ومُغيرةَ.

وأما عن أبي هريرةَ فقال البخاريُّ[5] رحمه الله تعالى: حدثنا إبراهيمُ بنُ المنذر الحُزاميُّ حدثنا محمدُ بنُ فُليحٍ حدثنا أبي قال حدثنا هلالٌ عن عطاءِ بنِ يسارٍ عن أبي هريرةَ ﷺ عن النبيِّ ﷺ قال: «**بينا أنا قائمٌ فإذا زُمرةٌ حتى إذا عرَفتهم خرج رجلٌ من بيني وبينهم فقال: هلُمّ، فقلت: إلى أين؟ قال: إلى النارِ والله، قلتُ: وما شأنُهم، قال: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارِهم القَهقَرى، ثم إذا زُمرةٌ حتى إذا عرَفتُهم خرج رجلٌ من بيني وبينهم قال هلُمّ قلت: إلى أين؟ قال:**

---

(١) في صحيحه (١١/ ٤٦٣ رقم ٦٥٧٥).
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٦٥٧٦).
(٣) في صحيحه (٤/ ١٧٩٦ رقم ٣٢/ ٢٢٩٧).
(٤) مسلم في صحيحه (٤/ ١٧٩٦ رقم .../ ٢٢٩٧).
(٥) في صحيحه (١١/ ٤٦٥ رقم ٦٥٨٧) وقد تقدم.

إلى النارِ واللَّهِ، قلت: ما شأنهم، قال: إنهم ارتدوا بعدك على أدبارِهم القهقرى، فلا أراه يخلُص منهم إلاّ مثلُ هَمَل النَّعم».

وله[1] عنه أنه كان يحدث أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «**يرِدُ عليَّ يوم القيامةِ رهطٌ من أصحابي فيُحَلَّؤُن عن الحوضِ فأقول: يا ربِّ أصحابي، فيقول إنك لا علمَ لك بما أحدثوا بعدك إنهم ارتدوا على أدبارِهم القهقَرى**».

وله[2] عنه أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «**ما بين بيتي ومِنبري روضةٌ من رياض الجنةِ، ومنبري على حوضي**».

وقال مسلمٌ[3] رحمه الله تعالى: حدثنا عبدُ الرحمنِ بنُ سلام الجُمحيّ حدثنا الربيعُ يعني ابنَ مسلم عن محمدِ بنِ زيادٍ عن أبي هريرةَ ؓ أن النبيَّ ﷺ قال: «**لأَذودَنّ عن حوضي رِجالاً كما تُذادُ الغريبةُ من الإبل**».

وله[4] عن أبي حازم عنه ؓ أن رسولَ اللَّهَ ﷺ قال: «**إن حوضي أبعدُ من أيلةَ من عدن، لهو أشدُّ بياضاً من الثلج وأحلى من العسل باللبن، ولآنيتُه أكثرُ من عدد النجوم، وإني لأَصُدُّ الناسَ عنه كما يصُدّ الرجلُ إبل الناسِ عن حوضِه**».

قالوا: يا رسولَ اللَّهِ أتعرِفُنا يومئذ. قال: «**نعم، لكم سِيما ليست لأحدٍ من الأمم، ترِدون عليَّ غُرًّا مُحجّلينَ من أثر الوضوء**».

وأما عن عبدِ الله بنِ عمْرو بنِ العاصِ فقال البخاريُّ[5] رحمه الله تعالى: حدثنا سعيدُ بنُ أبي مريمَ حدثنا نافعُ بنُ عمرَ عن ابن أبي مُليكةَ قال: قال عبدُ اللَّهِ بنُ عمْرو قال النبيُّ ﷺ: «**حَوضي مسيرةُ شهرٍ ماؤُه أبيضُ من اللبن وريُحه أطيبُ من المِسك، وكِيزانُه كنجوم السماء، من شرب منها فلا يظمأ أبداً**».

ورواه مسلم[6] بلفظ: «**حوضي مسيرةُ شهرٍ وزواياه سواءٌ، وماؤُه أبيضُ من**

---

(١) أي للبخاري في صحيحه (١١/ ٤٦٤ ـ ٤٦٥ رقم ٦٥٨٦).
(٢) أي للبخاري في صحيحه (١١/ ٤٦٥ رقم ٦٥٨٨).
(٣) في صحيحه (٤/ ١٨٠٠ رقم ٣٨/ ٢٣٠٢).
(٤) لمسلم في صحيحه (١/ ٢١٧ رقم ٣٦/ ٢٤٧).
(٥) في صحيحه (١١/ ٤٦٣ رقم ٦٥٧٩).
(٦) في صحيحه (٤/ ١٧٩٣ ـ ١٧٩٤ رقم ٢٧/ ٢٢٩٢).

الورِقِ، وريحُه أطيبُ من المِسكِ وكيزانُه كنجومِ السماء، فمن شرِبَ منه فلا يظمأ بعده أبداً».

وأما عن ابن عباس فهو ما تقدم في أول الباب، وروى ابنُ جريرٍ[1] عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ عنه رضي الله عنه قال: «الكوثرُ نهرٌ في الجنةِ حافّتاه ذهبٌ وفضةٌ يجري على الياقوتِ والدرِّ، ماؤه أبيضُ من الثلجِ وأحلى من العسلِ.

وله[2] عن عطاء بن السائبِ قال: قال لي مُحاربُ بنُ دِثارٍ: ما قال سعيدُ بنُ جُبير في الكوثر؟ قلت: حدثنا عن ابن عباس: أنه الخيرُ الكثيرُ، فقال: صدقَ واللَّهِ إنه لَلْخيرُ الكثير.

ولكن حدثنا ابنُ عمرَ قال[3]: لما نزلت: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر: ١]، قال رسولُ الله ﷺ: **«الكوثرُ نهرٌ في الجنةِ حافّتاه من ذهب، ويجري على الدرِّ والياقوت».**

وأما عن أسماءَ، فقال البخاريُّ[4] رحمه الله تعالى: حدثنا سعيدُ بنُ أبي مريمَ عن نافعِ بنِ عمرَ، قال حدثني ابنُ أبي مُليكةَ عن أسماءَ بنتِ أبي بكرٍ رضي الله عنهما قالت: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: **«إني على الحوض حتى أنظُر من يرِدُ عليَّ منكم وسيُؤخذُ ناسٌ دوني فأقول: يا ربِّ مني ومن أمتي، فيقال: هل شعَرتَ ما عمِلوا بعدك، واللَّهِ ما برِحوا يرجِعونَ على أعقابِهم».**

وكان ابنُ أبي مُليكةَ يقول: «اللهم إنا نعوذ بك أن نرجِع على أعقابِنا أو نُفتَنَ

---

(١) في «جامع البيان» (١٥/ج٣٠/ ٣٢٠).
(٢) أي لابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ج٣٠/ ٣٢٠).
(٣) ابن جرير في «جامع البيان» (١٥/ج٣٠/ ٣٢٠).
قلت: وأخرجه أحمد (٢/ ٦٧ و ١٥٨) و (٣/ ١٠٢). والترمذي في «السنن» (٥/ ٤٤٩ - ٤٥٠ رقم ٣٣٦١). وقال: **هذا حديث حسن صحيح.**
وابن ماجه (٢/ ١٤٥٠ رقم ٤٣٣٤).
وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٦٤٨) وقال: أخرجه ابن أبي شيبة وابن المنذر وابن مردويه.
وخلاصة القول أن الحديث صحيح، والله أعلم.
(٤) في صحيحه(١١/ ٤٦٦ رقم ٦٥٩٣).

عن ديننا»، ورواه مسلمٌ[1] بسند حديثِ عبدِ اللَّهِ بنِ عمرٍو متصلاً بمتْنه، ولفظُه كلفظ البخاري.

وأما عن ثوبانَ، فقال مسلمٌ[2] رحمه الله تعالى: حدثنا أبو غسانَ المِسْمَعيُّ ومحمدُ بنُ المثنّى وابنُ بشارٍ وألفاظُهم متقاربةٌ قالوا: حدثنا مُعاذُ وهو ابنُ هشام حدثني أبي عن قتادةَ عن سالمِ بنِ أبي الجعْدِ عن مَعْدانَ بنِ أبي طلحةَ اليَعمُريِّ عن ثوبانَ رضي الله عنه أن نبيَّ اللَّهِ ﷺ قال: «**إني لبعقْرِ حوضي أذودُ الناسَ لأهلِ اليمنِ أضرِب بعضَهم بعصاي حتى يرفض عليهم، فسُئل عن عرضه فقال: من مقامي إلى عَمَّان**».

وسُئلَ عن شرابِه فقال: «**أشدُّ بياضاً من اللبن وأحلى من العسل، يغتُّ فيه ميزابان يُمِدّانه من الجنةِ، أحدُهما من ذهب والآخرُ من ورِق**».

وقال الترمذيُّ[3] رحمه الله تعالى: حدثنا محمدُ بنُ إسماعيلَ أنبأنا يحيى بنُ صالحٍ أنبأنا محمدُ بنُ مهاجرٍ عن العباسِ عن أبي سلامِ الحبشي قال: بَعثَ إليّ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ فحُملتُ على البريدِ، فلما دخلَ عليه قال: يا أميرَ المؤمنين لقد شقَّ على مركبي البريدُ. فقال يا أبا سلام ما أردتُ أن أشقَّ عليك، ولكن بلغني عنك حديثٌ تحدّثه عن ثوبانَ عن النبيِّ ﷺ في الحوض فأحببتُ أن تشافِهني به، قال أبو سلام: حدثني ثوبانُ رضي الله عنه عن رسولِ اللَّهِ ﷺ قال: «**حوضي من عدنَ إلى عَمَّانِ البلقاء، ماؤه أشدُ بياضاً من اللبن وأحلى من العسل، وأكوابه عددَ نجومِ السماء، من شرِبَ منه لم يظمأ بعدها أبداً، أولُ الناسِ وروداً عليه فقراءُ المهاجرينَ الشُّعثُ رؤوساً الدُنسُ ثياباً، الذين لا ينكِحون المتنعّمات، ولا تُفتح لهم السُّدد**».

قال عمرُ: لكني نكَحتُ المتنعّماتِ وفُتحت لي السدد، نكحت فاطمةَ بنتَ عبدِ الملكِ، لا جرم أني لا أغسل رأسي حتى يشعَث، ولا أغسل ثوبي الذي يلي جسدي حتى يتّسِخَ.

---

(١) في صحيحه (٤/ ١٧٩٤ رقم ٢٢٩٣).

(٢) في صحيحه (٤/١٧٩٩ رقم ٢٣٠١/٣٧).

(٣) في «السنن» (٤/ ٦٢٩ ـ ٦٤٠ رقم ٢٤٤٤) وقال: **هذا حديث غريب من هذا الوجه.**
وقد روى هذا الحديث عن معدان بن أبي طلحة عن ثوبان عن النبي ﷺ، وأبو سلام الحبشي اسمه ممطورٌ وهو شاميٌّ ثقة.

ورواه ابنُ ماجه[1] بلفظ: «**إن حوضي ما بين عدن إلى أيلةَ أشدُّ بياضاً من اللبن وأحلى من العسلِ، أكاويبُه كعدد نجومِ السماءِ، من شرِبَ منه شَرْبَةً لم يظمأ بعدها أبداً**». الحديث. وفيه قال: فبكى عمرُ حتى اخضلّت لحيتُه. وفيه: «**ولا أدهنُ رأسي حتى يشعَث**».

وأما عن أبي ذر، فقال مسلمٌ[2] رحمه الله تعالى: حدثنا أبو بكر بنِ أبي شيبةَ وإسحاقُ بنُ إبراهيمَ واللفظُ لابن أبي شيبةَ، قال إسحاقُ أخبرنا ـ وقال الآخران حدثنا ـ عبدُ العزيز بنُ عبدِ الصمدِ العمي عن أبي عِمرانَ الجَونيِّ عن عبدِ الله بنِ الصامتِ عن أبي ذرٍ قال: «قلتُ يا رسولَ اللَّهِ ما آنيةُ الحوضِ؟ قال: **والذي نفسُ محمدٍ بيده لآنيتُه أكثرُ من عدد نجوم السماء وكواكبِها ألا في الليلةِ المُظْلِمةِ المُصْحية. آنيةُ الجنة من شربَ منها لم يظمأ، آخر ما عليه، يشخبُ في ميزابان من الجنة من شرب منه لم يظمأ، عَرضُه مثلُ طولِه ما بين عمّان إلى أيلةَ، ماؤُه أشدُّ بياضاً من اللبن وأحلى من العسل**». رواه التِرمذيُّ[3] بهذا اللفظ وقال: حسنٌ صحيحٌ غريبٌ.

وأما عن أم سلمةَ ﵂، فقال مسلمُ بنُ الحجاجِ[4]: حدثني يونسُ بنُ عبدِ الأعلى الصدفي أخبرني عبدُ الله بنُ وهْبٍ أخبرني عمرُو وهو ابنُ الحارث أن بَكيراً حدثه عن القاسم بنِ عباسٍ الهاشميِّ عن عبدِ الله بنِ رافعٍ مولى أمِّ سلمةَ عن أم سلمةَ زوجِ النبيِّ ﷺ أنها قالتْ: «كنتُ أسمعُ الناسَ يذكرونَ الحوضَ ولم أسمعَ ذلك من رسولِ اللَّهِ ﷺ، فلما كان يوماً من ذلك والجاريةُ تمشُطُني فسمعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقول: «**أيها الناسُ**» فقلت للجارية: استأخري عني. قالت: إنما دعا الرجالَ ولم يدْعُ النساءَ. فقلتُ: إني من الناس. فقال رسولُ الله ﷺ: «**إني لكم فرَطٌ على الحوضِ، فإياي لا يأتينّ أحدُكم فيُذَبُّ عني كما يُذّبُ البعيرُ الضالُّ، فأقول: فيمَ هذا؟ فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك فأقول سُحقاً**».

---

(١) في «السنن» (١٤٣٨/٢ رقم ٤٣٠٣).
وهو حديث صحيح، المرفوع منه كما قال الألباني في صحيح الترمذي رقم (١٩٨٩).
(٢) في صحيحه (١٧٩٨/٤ ـ ١٧٩٩ رقم ٣٦/ ٢٣٠٠).
(٣) في «السنن» (٤/ ٦٣٠ رقم ٢٤٤٥).
(٤) (١٧٩٥/٤ رقم ٢٩/ ٢٢٩٥).

وأما عن جابر بنِ سَمُرةَ، فقال مسلمٌ[1] رحمه الله تعالى: حدثني الوليدُ بنُ شجاع بنِ الوليدِ السّكوني حدثني أبي رحمه الله تعالى حدثني زيادُ بنُ خيثمةَ عن سِماكِ بنِ حرْبٍ عن جابر بنِ سَمُرةَ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ قال: «**ألا إني فرَطٌ لكم على الحوض، وإن بَعُدَ ما بين طرفيه كما بين صنعاءَ وأيلةَ، كأن الأباريقَ فيه النجوم**».

وأما عن زيد بنِ أرقَمَ، فقال أبو داودَ[2] رحمه الله تعالى: حدثنا حفصُ بنُ عمرَ النَّمريُّ حدثنا شُعبةُ عن عَمرو بنِ مُرَّةَ عن أبي حمزةَ عن زيدِ بنِ أرقمَ قال: «كنا مع رسولِ اللَّهِ ﷺ فنزلنا منزلاً فقال: **ما أنتم بجزء من مائةِ ألفِ جزءٍ ممن يردُ عليَّ الحوضَ**». قال قلت: كم كنتم يومئذ؟ قال: «سبعمائةٍ أو ثمانمائة».

وأما عن سَمُرةَ بنِ جُندبٍ، فقال الترمذيُّ[3] رحمه الله تعالى: حدثنا أحمدُ بنُ نَيزَك البغدادي أنبأنا محمدٌ بكارٌ الدمشقيُّ أنبأنا سعيدُ بنُ بشير عن قتادةَ عن الحسن

---

(١) في صحيحه (٤/ ١٨٠١ رقم ٤٤/ ٢٣٠٥).

(٢) في «السنن» (٥/ ١١٠ رقم ٤٧٤٦).
قلت: وأخرجه أحمد في «المسند» (٤/ ٣٦٧ و ٣٦٩ و ٣٧١ و ٣٧٢.
والحاكم في «المستدرك» (١/ ٧٦ ـ ٧٧) وقال: أبو حمزة الأنصاري هذا هو طلحةُ ابن يزيد وقد احتج به البخاري.
وأخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (٢/ ٣٤١ رقم ٧٣٣) إسناده صحيح على شرط الشيخين.
وخلاصة القول أن الحديث صحيح.

(٣) في «السنن» (٤/ ٦٢٨ رقم ٢٤٤٣) وقال: **هذا حديث غريب.**
قلت: وأخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (٢/ ٣٤١ ـ ٣٤٢ رقم ٧٣٤) والطبراني في «الكبير» (٧/ ٢١٢ رقم ٦٨٨١) والبخاري في «التاريخ» (١/ ٤٤).
وقال الألباني في «الصحيحة» (٤/ ١١٨) وفيه ثلاث علل:
الأولى: الإرسال الذي ذكره الترمذي ورجحه.
الثانية: عنعنةُ البصري، فإنَّه كان مدلس لا سيما عن سَمُرةَ.
الثالثة: سعيد بن بشير وهو الأزدي، مولاهم، وهو ضعيف كما في «التقريب» وللحديث شاهدانِ موصولان وثالث مرسل.
انظر تخريجهما في «الصحيحة» (٤/ ١١٩ ـ ١٢٠).
وخلاصة القول أنَّ الحديث حسن لغيره. والله أعلم.

عن سَمُرةَ قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «**إن لكل نبيٍّ حوضاً وإنهم يتباهونَ أيُّهم أكثرُ واردةً، وإني لأرجو أن أكون أكثرَهم واردةً**»، هذا حديث حسنٌ غريب.

وقد روى الأشعثُ بنُ عبدِ الملكِ[1] هذا الحديث عن الحسن عن النبي ﷺ مرسلاً ولم يذكر فيه عن سَمُرةَ وهو أصحُّ. اهـ.

وأما عن حذيفةَ، فتقدمت الإشارةُ إليه عند الشيخين بعد روايتِهما حديثَ ابنِ مسعودٍ.

وقال ابنُ ماجة[2] رحمه الله تعالى: حدثنا عثمانُ بنُ أبي شيبةَ حدثنا عليُّ بنُ مُسْهِرٍ عن أبي مالكٍ سعدِ بنِ طارقٍ عن رِبعيٍّ عن حُذيفةَ قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «**إن حوضي لأبعدُ من أيلةَ إلى عدنَ، والذي نفسي بيده لآنيتُه أكثرُ من عدد النجوم، ولهو أشدُّ بياضاً من اللبن وأحلى من العسل، والذي نفسي بيده إني لأذودُ عنه الرجالَ كما يذودُ الرجلُ الإبلَ الغريبةَ عن حوضه**».

قيل: يا رسولَ اللَّهِ أتعرِفنا؟ قال: «**نعم تردونَ عليَّ غُرًّا مُحجّلينَ من أثر الوضوء، ليست لأحد غيرِكم**». ورواه مسلمٌ[3] في الطهارة بهذا اللفظِ وبهذا السندِ.

وأما عن أبي برزةَ، فقال أبو داودَ[4] رحمه الله تعالى: حدثنا مسلمٌ بنُ إبراهيمَ حدثنا عبدُ السلامِ بنُ أبي حازمٍ أبو طالوتَ قال: شهِدتُ أبا برزةَ دخلَ على عُبيد اللَّهِ بنِ زيادٍ فحدثني فلانٌ ـ سماه مسلمٌ ـ وكان في السِّماط، فلما رآه عبيد اللَّهِ قال: إن محمديكم هذا لدَحْداحٌ[5]، ففهمها الشيخُ فقال: ما كنتُ أحسَبُ أني أبقى في قوم يعيّروني بصحبة محمدٍ ﷺ.

---

(١) قاله الترمذي في «السنن» (٤/٦٢٩).

(٢) في «السنن» (٢/١٤٣٨ رقم ٤٣٠٢) وهو حديث صحيح.

(٣) في صحيحه (١/٢١٧ ـ ٢١٨ رقم ٣٨/٢٤٨).

(٤) «في السنن» (٥/١١١ ـ ١١٢ رقم ٤٧٤٩) وهو حديث صحيح.
قلت وأخرجه أحمد (٤/٤٢١) وابن أبي عاصم في «السنة» رقم (٧٠٢ و ٧٢٠) وله شاهد من حديث أبي برزة عند أحمد (٤/٤٢٤) وابن أبي عاصم في «السنة» رقم (٧٢٢). وهو حديث حسن.

(٥) هو القصير السمين.

فقال له عُبيدُ الله: إن صحبةَ محمدٍ ﷺ لك زينٌ غير شينٍ، ثم قال: إنما بَعَثْتُ إليك لأسألكَ عن الحوض، سمعتَ رسولَ الله ﷺ يذكُر فيه شيئاً؟ فقال أبو برزةَ: نعم لا مرةً ولا اثنتين ولا ثلاثاً ولا أربعاً ولا خمساً، فمن كذّب به فلا سقاه اللَّهُ منه، ثم خرج مغضباً.

وأما عن المُستورد، فتقدم في المتفق عليه[1] من حديث حارثةَ بنِ وهْب.

وأما حديثُ أبي سعيدٍ الخُدريِّ، فقال ابنُ ماجه[2] رحمه الله تعالى: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبةَ حدثنا محمدُ بنُ بشرٍ حدثنا زكريا حدثنا عطيةُ عن أبي سعيدٍ الخُدريِّ أن النبيَّ ﷺ قال: «**إن لي حوضاً ما بين الكعبةِ وبيتِ المقدسِ، أبيضُ من اللبن آنيتُه عددَ النجومِ، وإني لأكثرُ الأنبياء تبعاً يوم القيامة**».

وأما عن عبدِ اللَّهِ بنِ زيدٍ، فرواه البخاريُّ[3] ومسلمٌ[4] مطولاً في قصةِ قَسْمِ غنائمِ حُنينٍ، وفي آخرِه قولُه ﷺ للأنصار ﷺ: «**إنكم ستلقونَ بعدي أثَرةً، فاصبِروا حتى تلقَوني على الحوض**».

وأما عن أسامةَ بنِ زيدٍ، فقال ابنُ جرير[5] رحمه الله تعالى: حدثني البَرْنيُّ حدثنا ابنُ أبي مريمَ حدثنا محمدُ بنُ جعفرِ بنِ أبي كثيرٍ أخبرني حَرامُ بنُ عثمانَ عن عبدِ الرحمنِ الأعرجِ عن أسامةَ بنِ زيدٍ: «أن رسولَ اللَّهِ ﷺ أتى حمزةَ بنَ عبدَ المطلبِ فلم يجدْه فسأل عنه امرأته وكانت من بني النجارِ فقالت: خرج يا

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) في «السنن» (٢/١٤٣٨ رقم ٤٣٠١).
وقال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (٢/ ٣٢٠ رقم ١٥٤١/٤٣٠١) **هذا الإسناد فيه عطية وهو ضعيف**.
قلت: وأخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» رقم (٧٢٣) وقال الألباني: **حديث صحيح، وإسناده ضعيف**، من أجل عطية العوفي فإنه ضعيف مدلس، وإنما صححه لشواهده منها ما تقدم ومنها ما سيأتي.

(٣) في صحيحه (١٣/ ٥ رقم ٧٠٥٢).

(٤) في صحيحه (٢/ ٧٣٣ ـ ٧٣٤ رقم ١٣٢/ ١٠٥٩).

(٥) في «جامع البيان» (١٥/ج٣٠ رقم ٣٢٥).
وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٦٤٩) وزاد نسبته إلى ابن مردويه.
وذكره ابن كثير في تفسيره (٤/ ٥٩٧).

نبيَّ اللَّهِ عامداً نحوك، فأظنُّه أخطأك في بعض أزِقَّةِ بني النجارِ. أوَلا تدخل يا رسولَ الله؟ فدخل، فقدمت له حيساً فأكل منه، فقالت: يا رسولَ الله هنيئاً لك ومريئاً، لقد جئتُ وأنا أريد أن آتيك لأُهنيك وأُمريكَ.

أخبرني أبو عُمارةَ أنك أُعطيتَ نهراً في الجنة يدعى الكوثرَ. فقال: «**أجل وعَرضُه** - يعني أرضه - **ياقوتٌ ومَرجانٌ وزَبَرجَدٌ ولؤلؤٌ**».

قال ابنُ كثير[1] رحمه الله تعالى: حَرامُ بنُ عثمانَ ضعيفٌ، ولكنْ هذا سياقٌ حسنٌ، وقد صح أصلُ هذا، بل قد تواتر من طرق تفيد القطعَ عند كثيرٍ من أئمة الحديث اهـ.

قلت: وقد ذكرنا منها ما تيسَّر. وفي الباب عدةُ أحاديثَ غيرُ ما ذكرنا. ولمن ذكرنا من الصحابة[2] أحاديثُ أُخَرُ لم نذكرها، ولهم رواياتٌ في الأصول التي عَزونا إليها غيرُ ما سُقنا، وإنما أشرنا إشارةً إلى بعضها لتعرِفَ شهرةَ هذا البابِ واستفاضتِه وتواترِه مع الإيجاز والاختصارِ. ولله الحمدُ والمنة.

❁ ❁ ❁

فصل - في الأحاديث الواردة عن لواء الحمدِ

(كذا له لواءُ حَمْدٍ يُنشرُ   وتحته الرسلُ جميعاً تُحشر)

قال الترمذيُّ[3] رحمه الله تعالى: حدثنا الحُسينُ بنُ يزيدَ الكوفيُّ حدثنا

---

(١) في تفسيره (٤/ ٥٩٧).
قلت: حرام بن عثمان: ترك الناسُ حديثَه قاله أحمد.
وقال ابن حبان: كان غالياً في التشيع يقلب الأسانيد ويرفع المراسيل.
«الميزان» (٢/ ٢٠٩ رقم ١٧٦٩/ ٢٣٦٧).

(٢) انظر أحاديث الحوض في «مرويات الصحابة» ﷺ في الحوض والكوثر.
وتشتمل على:
١ - ما روي في الحوض والكوثر. جمعها الإمام بقيِّ بن مخلد القرطبي.
٢ - الذيل على جزء بقي بن مخلد في الحوض والكوثر. للحافظ أبي القاسم ابن بشكوال.
٣ - المستدرك في أحاديث الحوض والكوثر. جمعها عبد القادر بن محمد عطا صوفي.

(٣) في «السنن» (٥/ ٥٨٥ رقم ٣٦١٠) وقال: هذا حديث حسن غريب.
قلت: سنده ضعيف لضعف ليث بن أبي سليم، **فهو حديث ضعيف**.

عبدُ السلام بنُ حربٍ عن ليثٍ عن الربيع بنِ أنسٍ عن أنس بنِ مالكٍ ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«أنا أولُ الناسِ خروجاً إذا بُعثوا، وأنا خطيبُهم إذا وفَدوا، وأنا مُبشِّرُهم إذا يئِسوا، لواءُ الحمدِ يومئذ بيدي، وأنا أكرمُ على ربي ولا فخرَ»**. هذا حديث حسنٌ غريب.

وقال[1] رحمه الله تعالى: حدثنا محمدُ بنُ بشارٍ أنبأنا أبو عامرٍ العقديُّ أنبأنا زهيرُ بنُ محمدٍ عن عبد اللَّهِ بنِ محمدِ بنِ عقيلٍ عن الطفيل بن أُبيِّ بنِ كعبٍ عن أبيه أن رسولَ الله ﷺ قال: **«مَثَلي في النبيين كمثل رجلٍ بنى داراً فأحسنَها وأكملَها وأجملها وترك منها موضعَ لبنةٍ فجعل الناسُ يطوفون بالبناء ويعجَبون منه ويقولون: لو تم وضع تلك اللبنة، وأنا في النبيين موضعُ تلك اللبنة»**.

وبهذا الإسنادِ عن النبي ﷺ قال: **«إذا كان يومُ القيامةِ كنتُ إمامَ النبيين وخطيبَهم وصاحبَ شفاعتِهم غيرَ فخرٍ»**، هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ غريب[2].

حدثنا ابنُ أبي عمرَ أنبأنا سفيانُ عن ابن جدعانَ عن أبي نضْرةَ عن أبي سعيدٍ ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«أنا سيدُ ولدِ آدمَ يوم القيامة ولا فخرَ، وما من نبيّ يومئذ آدمَ فمن سواه إلا تحت لوائي، وأنا أولُ من تنشق عنه الأرضُ ولا فخر»**[2]. وفي الحديث قصةٌ[3]. هذا حديثٌ حسن.

---

(١) أي الترمذي في «السنن» (٥/٥٨٦ رقم ٣٦١٣) وقال: **هذا حديث حسن.**
قلت: وأخرجه أحمد رقم (٢١١٤١) **بسند حسن.**
وأخرج الحديث البخاري (٦/٥٥٨ رقم ٣٥٣٤)، ومسلم (٤/ ١٧٩١ رقم ٢٢٨٧) من حديث جابر.
وأخرجه البخاري (٦/ ٥٥٨ رقم ٣٥٣٥)، ومسلم (٤/ ١٧٩٠ رقم ٢٢٨٦). من حديث أبي هريرة.
وخلاصة القول أن حديث أبي بن كعب صحيح لغيره.

(٢) أخرجه الترمذي في «السنن» (٥/٥٨٧ رقم ٣٦١٥) وقال: **وفي الحديث قصة وهذا حديث حسن صحيح.**
وقد روى بهذا الإسناد عن أبي نضرة عن ابن عباس عن النبي ﷺ.
قلت: وأخرجه أحمد في «المسند» رقم (١٠٩٢٩) **بإسناد حسن.**

(٣) عند الترمذي في «السنن» (٥/٣٠٨ ـ ٣٠٩ رقم ٣١٤٨) وقال: **هذا حديث حسن صحيح.**

وقال[١] رحمه الله تعالى: حدثنا عليُّ بنُ نصرِ بنِ عليٍّ الجَهْضَميُّ أنبأنا عبيدُ اللَّهِ بنُ عبدِ المجيدِ أنبأنا زُمْعَةُ بنُ صالحٍ عن مسلمةَ بنِ وهرامَ عن عِكرمةَ عن ابن عباس قال: جلس ناسٌ من أصحاب رسولِ الله ﷺ ينتظرونَه، قال: فخرج حتى إذا دنا منهم سمعهم يتذاكرونَ، فسمع حديثهم، فقال بعضُهم: عجباً إن اللَّهَ اتخذ من خلقه خليلاً: اتخذ إبراهيمَ خليلاً، وقال آخرُ: ماذا يُعجبُ من كلام موسى كلمه تكليماً، وقال آخرُ: فعيسى كلمةُ اللَّهِ وروحُه، وقال آخرُ: آدمُ اصطفاه الله، فخرج عليهم فسلَّم وقال: «**قد سمعتُ كلامَكم وعجَبكم، إن إبراهيمَ خليلُ اللَّهِ وهو كذلك، وموسى نجيُّ الله وهو كذلك، وعيسى روحُه وكلمتُه وهو كذلك، وآدمُ اصطفاهُ الله تعالى وهو كذلك، ألا وأنا حبيبُ اللَّهِ ولا فخرَ، وأنا حاملُ لواء الحمدِ يومَ القيامةِ ولا فخر، وأنا أولُ شافعٍ وأولُ مُشفَّعٍ يوم القيامة ولا فخر، وأنا أولُ من يحرك حَلَقَ الجنةِ فيَفتح اللَّهُ لي فيُدخِلُنيها ومعي فقراءُ المؤمنينَ ولا فخرَ، وأنا أكرمُ الأولينَ والآخِرينَ ولا فخرَ**». هذا حديثٌ غريب.

قلت: ومعناه ثابتٌ في الآياتِ الصريحةِ والأحاديثِ الصحيحةِ كما جاء وكما سيأتي وكما هو معلومٌ عند من له خِبرةٌ بالعلم.

❁ ❁ ❁

فصل ـ في آيات الشفاعةِ وأحاديثِها والمقامِ المحمودِ

(كذا له الشفاعةُ العظمى كما ... قد خصَّه اللَّهُ بها تكرُّما)
(مِن بعد إذن اللَّهِ لا كما يرى ... كلُّ قُبوريٍّ على الله افترى)

(كذا له) لنبينا ﷺ **(الشفاعةُ العظمى)** يوم القيامة، وهو المقامُ المحمودُ الذي قال الله تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩]. ولذا قلنا: **(قد خصّه الله بها)** بالشفاعة **(تكرُّماً)** منه عز وجل عليه ﷺ وعلى أمته به كما في الصحيح[٢] عن جابر بنِ عبدِ اللَّهِ رضي الله عنهما أن النبيَّ ﷺ قال: «**أُعطيتُ خمساً لم يُعطَهُنَّ**

(١) أي الترمذي في «السنن» (٥/ ٥٨٧ ـ ٥٨٨ رقم ٣٦١٦) وقال: **هذا حديث غريبٌ**.
قلت: وهو حديث ضعيف لضعف زمعة بن صالح.

(٢) أخرجه البخاري (١/ ٤٣٥ ـ ٤٣٦ رقم ٣٣٥) وطرفاه رقم (٤٣٨، ٣١٢٢). =

أحدٌ قبلي: نُصرتُ بالرعب مسيرةَ شهرٍ، وجُعلت لي الأرضُ مسجداً وطهوراً، فأيُّما رجلٍ من أمتي أدركَته الصلاةُ فليُصلِّ، وأُحلتْ ليَ الغنائمُ ولم تحِلَّ لأحد قبلي، وأُعطيتُ الشفاعةَ، وكان النبيُّ يبعث إلى قومه خاصةً وبُعثتُ إلى الناسِ عامةً».

وفيه[1] عنه رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «لكل نبيٍّ دعوةٌ قد دعا بها في أمته، وخبأتُ دعوتي شفاعةً لأمتي يوم القيامة».

وفيه[2] عن أنس رضي الله عنه أن نبيَّ الله ﷺ قال: «لكل نبيٍّ دعوةٌ دعاها لأمته، وإني اختبأتُ دعوتي شفاعةً لأمتي يوم القيامة».

وفيه[3] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللّهِ ﷺ: «لكل نبيٍّ دعوةٌ مستجابةٌ، فتعجّل كلُّ نبيٍّ دعوته، وإني اختبأتُ دعوتي شفاعةً لأمتي يوم القيامة فهي نائلةٌ إن شاء الله تعالى من مات من أمتي لا يشركُ بالله شيئاً».

وفيه[4] عن عبدِ اللّهِ بنِ عمْرو رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ تلا قولَ الله عز وجل في إبراهيمَ: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ فَمَن تَبِعَنِى فَإِنَّهُۥ مِنِّى وَمَنْ عَصَانِى فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [إبراهيم: ٣٦]. وقال عيسى عليه السلام: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨].

فرفع يديه وقال: اللهم أمتي، وبكى، فقال الله عز وجل: يا جبريلُ اذهب إلى محمدٍ ـ وربُك أعلم ـ فسلْه: ما يبكيك. فأتاه جبريلُ فسأله، فأخبره رسولُ اللّهِ ﷺ بما قال ـ وهو أعلم ـ فقال اللّهُ تعالى: يا جبريلُ اذهب إلى محمد فقل: إنا سنرضيكَ في أمتك ولا نسوؤُك».

وفيه[5] عنه رضي الله عنه أنه سمعَ النبيَّ ﷺ يقول: «إذا سمعتم المؤذّن فقولوا مثلَ ما

= ومسلم في صحيحه (١/ ٣٧٠ ـ ٣٧١ رقم ٣/ ٥٢١).

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (١/ ١٩٠ رقم ٣٤٥/ ٢٠١).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (١١/ ٩٦ رقم ٦٣٠٥).
ومسلم في صحيحه (١/ ١٩٠ رقم ٣٤١/ ٢٠٠).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (١١/ ٩٦ رقم ٦٣٠٤) وطرفه رقم (٧٤٧٤).
ومسلم في صحيحه (١/ ١٨٨ رقم ٣٣٤/ ١٩٨).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه (١/ ١٩١ رقم ٣٤٦/ ٢٠٢).

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه (١/ ٢٨٨ رقم ٣٨٤).

يقول، ثم صلّوا عليَّ فإنه من صلى عليَّ صلاةً صلى الله عليه بها عشراً، ثم سلوا الله لي الوسيلةَ فإنها منزلةٌ في الجنةِ لا تنبغي إلا لعبد من عبادِ اللَّهِ، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل اللَّهَ لي الوسيلةَ حلّت له الشفاعةُ».

وفيه[1] عن جابر بن عبدِ الله رضي الله عنهما أن رسولَ الله ﷺ قال: «**من قال حين يسمع النداء: اللهمّ ربَّ هذه الدعوةِ التامة، والصلاةِ القائمةِ، آتِ محمداً الوسيلةَ والفضيلةَ، وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدْتَه، حلّت له شفاعتي يوم القيامة»**.

وتلك الشفاعةُ لا تكون إلا من بعد إذنِ اللَّهِ عز وجل، سواءٌ في ذلك شفاعةُ نبيِّنا ﷺ وشفاعةُ مَن دونَه، وذلك الإذنُ يتعلق بالشافع والمشفوعِ فيه وبوقت الشفاعةِ، فليس يشفع إلا مَن أذِن اللَّهُ له في الشفاعة، وليس له أن يشفَعَ إلا بعد أن يأذَنَ الله له، وليس له أن يشفَعَ إلا فيمن أذِن اللَّهُ تعالى له أن يشفَع فيه، كما قال تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ﴾ [يونس: ٣]. ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ: ٢٢ ـ ٢٣].

﴿۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ﴾ [النجم: ٢٦]، ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٤٤].

﴿وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف: ٨٦]، ﴿لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾ [مريم: ٨٧].

﴿لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾ [النبأ: ٣٨]، ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا﴾ [طه: ١٠٩]. ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٨].

وقال تعالى في الكفار: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨]، ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨]، وقال عنهم: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [الشعراء].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٢/ ٩٤ رقم ٦١٤).

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَٰعَةٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٤].

وسيأتي في ذكر الأحاديثِ مراجعةُ الرسلِ الشفاعةَ بينهم إلى نبينا ﷺ وأنه يأتي فيستأذِنُ ربَّه عز وجل، ثم يسجد ويحمَدُه بمحامدَ يُعلّمه تعالى إياها، ولم يزل كذلك حتى يؤذن له ويقال: ارفعْ رأسك وقل يُسْمع وسَلْ تُعطَ واشفع تُشفَّعْ، وأنه يَحُدّ له حدًّا حتى يُدخلُهم الجنةَ ثم يرجع كذلك، وفي كل مرة يستأذن ويدعو حتى يؤذنَ له ويُحدُّ له حدًّا حتى ينجُو جميعُ الموحدينَ، وهكذا كلُ شافعٍ بعده يسأله الشفاعةَ من مالِكها حتى يؤذَن له. إلى أن يقولَ الشفعاءُ: لم يبقَ إلّا من حبسه القرآنُ وحقَّ عليه الخلودُ.

والمقصودُ أن الشفاعةَ مِلكٌ لله عز وجل ولا تُسأل إلا منه، كما لا تكون إلا بإذنه للشافع في المشفوع حتى يأذَن في الشفاعة.

(لا كما يرى كل قبوري) نسبةٌ إلى القبور لعبادته أهلَها **(على الله افترى)** في ما ينسِبه إلى أهل القبورِ ويُضيفُه إليهم من التصرفات التي هي ملكٌ لله عز وجل لا يقدِر عليها غيرُه تعالى ولا شريكَ له فيها، ورتَّبوا على ذلك صَرْفَ العباداتِ إلى الأمواتِ ودعاءَهم إياهم والذبحَ والنذْرَ لهم دون جبّارِ الأرضِ والسمواتِ، وسؤالَهم منهم قضاءَ الحاجاتِ ودفَع المُلِّماتِ، وكشفَ الكُرُباتِ والمكروهاتِ، معتقدينَ فيهم أنهم يسمعون دعاءَهم ويستطيعون إجابتَهم. وقد تقدم كشفُ عُوارِهم وهتْكُ أستارِهم بما يشفي ويكفي ولله الحمدُ والمنّة.

(يشفعُ أولاً إلى الرحمنِ في	**فصل القضاء بين أهلِ الموقفِ)**
(من بعد أن يطلُبَها الناسُ إلى	**كل أولي العزمِ الهداةِ الفُضلا)**

هذه الشفاعةُ الأولى لنبينا محمدٍ ﷺ، وهي أعظمُ الشفاعاتِ، وهي المقامُ المحمودُ الذي ذكر اللّهُ عز وجل له ووعده إياه، وأمرنا رسولُ اللّهِ ﷺ أن نسأل اللّهَ إياه له ﷺ بعد كلِّ أذانٍ.

وقال البخاريُّ[1] رحمه الله تعالى: بابُ قولِه تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ

(١) في صحيحه (٣٩٩/٨ رقم ٤٧١٨).

مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩]. حدثنا إسماعيلُ بنُ أَبانَ حدثنا أبو الأحوص عن آدمَ بنِ عليٍّ قال: سمعتُ ابنَ عمرَ رضي الله عنهما يقول: «إن الناسَ يصيرونَ يوم القيامة جُثاً، كلُ أمةٍ تتبع نبيَّها يقولون: يا فلانُ اشفَعْ، حتى تنتهي الشفاعةُ إلى النبيِّ ﷺ، فذلكَ يومَ يبعثه المقامَ المحمودَ».

وقال مسلم[1] رحمه الله تعالى: حدثنا أبو بكرِ بنُ أبي شيبةَ ومحمدُ بنُ عبد الله بنِ نُميرٍ واتفقا في سياق الحديثِ إلا ما يزيد أحدُهما من الحرفِ بعد الحرفِ، قال: حدثنا محمدُ بنُ بشرٍ حدثنا أبو حيانَ عن أبي زُرعةَ عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: أُتيَ رسولُ اللَّهِ ﷺ يوماً بلحم فرُفع إليه الذراعُ وكانت تُعجبُه فنهسَ منها نهْسةً فقال: **«أنا سيدُ الناسِ يوم القيامةِ، وهل تدرون بمَ ذاك؟ يجمعُ اللَّهُ يوم القيامةِ الأولين والآخرين في صعيدٍ واحدٍ فيُسمعُهم الداعي وينفُذهم البصَرَ وتدنو الشمسُ فيبلُغ الناسَ من الغمّ والكرْب ما لا يُطيقون وما لا يحتملون، فيقول بعضُ الناسَ لبعض: ألا ترونَ ما أنتم فيه، ألا ترونَ ما قد بلغكم، ألا تنظرونَ من يشفع لكم إلى ربكم؟ فيقول بعضُ الناسِ لبعضٍ: ائتوا آدمَ.**

فيأتون آدمَ فيقولون: يا آدمُ أنتَ أبو البشرِ خلقك اللَّهُ بيده ونفخ فيك من روحِه وأمر الملائكةَ فسجدوا لك، اشفَع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه، ألا ترى ما قد بلَغنا؟ فيقول آدمُ: إن ربي غضِبَ اليوم غضباً لم يغْضَب قبلَه مثلَه ولن يغضبَ بعدَه مثلَه، وإنه نهاني عن الشجرةِ فعصيتُه، نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى نوح.

فيأتونَ نوحاً عليه السلام فيقولون: يا نوحُ أنت أولُ الرسلِ إلى الأرضِ وسمّاك اللَّهُ عبداً شكوراً، اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه، ألا ترى ما قد

---

(١) في صحيحه (١/ ١٨٤ ـ ١٨٦ رقم ٣٢٧/ ١٩٤).
قلت: وأخرجه البخاري في صحيحه (٦/ ٣٧١ رقم ٣٣٤٠) ورقم (٣٣٦١ و ٤٧١٢). والترمذي رقم (٢٤٣٤) وأحمد (٢/ ٤٣٥ ـ ٤٣٦) وابن أبي عاصم في «السنة» (٨١١) وابن خزيمةَ في «التوحيد» (ص٢٤٢ ـ ٢٤٤) وابن منده (٨٧٩) و (٨٨٠) و (٨٨١) وأبو عوانة (١/ ١٧٠ ـ ١٧٣ و ١٧٣ ـ ١٧٤). والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص٣١٥) والبغوي رقم (٤٣٣٢).

بلَغنا؟ فيقول لهم: إن ربي قد غَضِبَ اليوم غضباً لم يغضب قبلَه مثلَه ولن يغضَبَ بعده مثلَه، وإنه قد كانت دعوةٌ دعوتُ بها على قومي، نفسي نفسي، اذهبوا إلى إبراهيم.

فيأتون إبراهيمَ فيقولون: أنت نبيُّ اللَّهِ وخليلُه من أهل الأرضِ، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه، ألا ترى إلى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم إبراهيمُ ﷺ: إن ربي قد غضِبَ اليوم غضباً لم يغضبَ قبلَه مثله ولن يغضبَ بعده مثلَه، وذكرَ كَذباتِهِ، نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى موسى.

فيأتون موسى ﷺ فيقولون: يا موسى أنت رسولُ اللَّهِ فضّلك الله برسالاته وبتكليمه على الناس، اشفَع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه، ألا ترى ما قد بلَغنا؟ فيقول لهم موسى ﷺ: إن ربي قد عضِبَ اليوم غضباً لم يغْضَب قبله مثلَه ولن يغضبَ بعده مثلَه، وإني قتلتُ نفساً لم أُومر بقتلها، نفسي نفسي، اذهبوا إلى عيسى ﷺ.

فيأتون عيسى فيقولون: يا عيسى أنت رسولُ اللَّهِ وكلَّمتَ الناسَ في المهدِ وكلمةٌ منه ألقاها إلى مريمَ وروحٌ منه، فاشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه، ألا ترى ما قد بلَغنا؟ فيقول لهم عيسى ﷺ: إن ربي قد غضِب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثلَه ولن يغضَب بعده مثلَه، ولم يذكر له ذنباً، نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى محمد ﷺ.

فيأتوني فيقولون: يا محمدُ أنت رسولُ الله وخاتمُ الأنبياءِ وغفر اللَّهَ لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه، ألا ترى إلى ما قد بلَغنا؟ فأنطلِقُ فآتي تحت العرشِ فأقع ساجداً لربي، ثم يفتح اللَّهُ عليَّ ويُلهمني من محامده وحُسنِ الثناءِ عليه شيئاً لم يفتح لأحدٍ من قبلي.

ثم قال: يا محمدُ ارفع رأسَك سَل تُعطَه اشفَع تُشفَّع، فأرفَعُ رأسي فأقول: يا ربِّ أمتي أمتي. فيقال: يا محمدُ أدخل الجنةَ من أمتك مَن لا حسابَ عليه من البابِ الأيمنِ من أبواب الجنة، وهم شركاءُ الناسِ فيما سوى ذلك من الأبوابِ، والذي نفسُ محمدٍ بيده إن ما بين المِصْراعين من مصاريع الجنةِ لكما بين مكةَ وهجَرَ أو كما بين مكةَ وبُصْرى».

قال(١) وحدثني زُهيرُ بنُ حربٍ حدثنا جريرٌ عن عُمارةَ بنِ القعقاعِ عن أبي زُرعةَ عن أبي هريرةَ قال: «وُضعتْ بين يدي رسولِ اللَّهِ ﷺ قصعة من ثريدٍ ولَحم، فتناول الذراعَ وكانت أحبُّ الشاةِ إليه، فنهسَ نهْسةً فقال: «**أنا سيدُ الناسِ يوم القيامةِ**»، ثم نهسَ أخرى فقال: «**أنا سيدُ الناسِ يومَ القيامةِ**». فلما رأى أصحابَه لا يسألونَه قال: «**ألا تقولون كيف؟**»، قالوا: كيفَ يا رسولَ اللَّهِ؟ قال: «**يقوم الناسُ لرب العالمين**». وساق الحديث بمعنى حديث أبي حيانَ عن أبي زرعةَ.

وزاد في قصة إبراهيمَ فقال: «**وذكرَ قولَه في الكوكب: هذا ربي، وقوله لآلهتهم: بل فعله كبيرُهم هذا، وقولَه إني سقيم**». قال: «**والذي نفسُ محمد بيده إن ما بين المِصْراعين من مصاريع الجنة إلى عَضادَتي الباب لكما بين مكةَ وهجَرَ أو هجَرَ ومكةَ**»، قال: لا أدري أيَّ ذلك قال.

وروى الإمام أحمدُ(٢) عن كعب بنِ مالكٍ أن رسولَ الله ﷺ قال: «**يُبعث الناسُ يوم القيامة فأكون أنا وأمتي على تلٍّ، ويكسوني ربي عز وجل حُلّةً خضراءَ، ثم يؤذنُ لي فأقول ما شاء اللَّهُ تعالى أن أقولَ، فذلك المقامَ المحمودُ**».

وسيأتي إن شاءَ اللَّهُ تعالى في حديث أنسٍ(٣) رضي الله عنه قوله ﷺ: «**يجمع اللَّهُ الناسَ يومَ القيامة فيهتمون لذلك ـ وفي لفظة فيُلهمونَ لذلك ـ فيقولون لو استشفعنا إلى ربنا حتى يُريحَنا من مكاننا هذا، قال فيأتون آدمَ**» الحديث.

وتقدم في حديث الصورِ(٤) قولُه ﷺ: «**فتقِفون موقفاً واحداً مقدارُه سبعون**

---

(١) أي مسلم في صحيحه (١/١٨٦ رقم ٣٢٨/١٩٤).

(٢) في «المسند» (٣/٤٥٦) وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/٥١): رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح. ثم ذكره في (١٠/٣٧٧) ونسبه إلى الطبراني في «الكبير» و «الأوسط» وقال: وأحد إسنادي الكبير رجاله رجال الصحيح.
قلت: وأخرجه الطبري في «جامع البيان» (٩/ج١٥/١٤٧). والطبراني في «الكبير» (١٩/١٤٢).
والحاكم في «المستدرك» (٢/٣٦٣). وقال: **هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي.**

(٣) سيأتي تخريجه.

(٤) تقدم تخريجه.

عاماً لا ينظُر إليكم ولا يقضى بينكم فتبكون حتى تنقطع الدموعُ، ثم تدمعونَ دماً، وتَعرقونَ حتى يُلْجمَكم العرقُ، ويبلُغ الأذقانَ، وتقولونَ من يشفَعُ لنا إلى ربنا فيقضيَ بيننا؟ فتقولون من أحقُّ بذلك من أبيكم آدمَ، خلقه الله تعالى، ونفخ فيه من روحِه وكلّمه قُبلاً.

فيأتونَ آدمَ فيطلبونَ ذلك إليه، فيأبي ويقول: ما أنا بصاحب ذلك. فيستقرئونَ الأنبياءَ نبياً نبياً كلما جاؤا نبياً أبى عليهم. قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: حتى يأتوني فأنطلقُ إلى الفَحْص فأخِرُّ ساجداً».

قال أبو هريرةَ: يا رسولَ الله وما الفَحْصُ؟ قال: «قُدَّامُ العرشِ، حتى يبعثَ الله إليَّ ملكاً فيأخُذ بعضدي ويرفعُني فيقول لي: يا محمدُ فأقول: نعم يا ربِّ، فيقول اللَّهُ عز وجل: ما شأنك؟ وهو أعلمُ. فأقول: يا ربِّ وعدتني الشفاعةَ فشفِّعني في خلقك فاقضِ بينهم. قال الله تعالى: قد شفّعتُك، أنا آتيكُم أقضي بينكم» الحديث.

وروى الإمامُ أحمدُ[1] عن أنسٍ ﵁ قال: حدثني نبيُّ اللَّهِ ﷺ قال: «إني لقائمٌ أنتظرُ أمتي تعبُر على الصراط، إذ جاءني عيسى فقال: هذه الأنبياء قد جاءتْك يا محمدُ يسألون ـ أو قال: يجتمعون ـ ويدعونَ اللَّهَ أن يفرق بين جميع الأممِ إلى حيث يشاء اللَّهُ لِغَمِّ ما هم فيه، فالخلقُ مُلْجَمون بالعرق، فأما المؤمنُ فهو عليه كالزكمة، وأما الكافرُ فيغشاهُ الموتُ، فقال: انتظر حتى أرجِع إليك، فذهب نبيُّ الله ﷺ فقام تحت العرشِ فلقيَ ما لم يلقَ ملَكٌ مصطفىً، ولا نبيٌّ مرسلٌ، فأوحى اللَّهُ عز وجل إلى جبريلَ أن اذهب إلى محمد وقل له: ارفَع رأسكَ سَلْ تعطَ واشفَع تُشفّع» الحديث.

وعند مسلمٍ[2] وغيرِه[3] من حديث نزولِ القرآنِ على سبعةِ أحرفٍ: «فلك

---

(١) في «المسند» (٣/ ١٧٨)
قلت: وأورده الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ٣٧٣) وقال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

(٢) في صحيحه (١/ ٥٦١ ـ ٥٦٢ رقم ٢٧٣/ ٨٢٠).

(٣) كأحمد (٥/ ١٢٧) بسند صحيح.

=

بكل رَدَّةٍ رددْتُكها مسألةٌ تسألنيها. فقلت: اللهم اغفِرْ لأمتي، اللهم اغفِرْ لأمتي، وأخرّتُ الثالثةَ ليومٍ يرغب إليَّ الخلقُ كلُهم حتى إبراهيمُ ﷺ».

❁ ❁ ❁

فصل ـ اختصاصُه ﷺ باستفتاحِ بابِ الجنة

(وثانياً يشفع في استفتاحِ — دارِ النعيمِ لأُولي الفلاح)

(هذا، وهاتان الشفاعتان — قد خُصّتا به بلا نُكران)

هذه الشفاعةُ الثانيةُ في استفتاحِ بابِ الجنةِ، وقد جاء في الأحاديثِ أنها أيضاً من المقامِ المحمودِ.

وقال مسلمٌ[1] رحمه الله تعالى: حدثنا قُتيبةُ بنُ سعيدٍ وإسحاقُ بنُ إبراهيمَ. قال قتيبةُ: حدثنا جريرٌ عن المختارِ بنِ فُلفلٍ عن أنسِ بنِ مالكٍ قال: قال رسولُ اللّهِ ﷺ: **«أنا أولُ الناسِ يشفع في الجنة، وأنا أكثرُ الأنبياء تبَعاً»**.

وحدثنا[2] أبو كُريبٍ محمدُ بنُ العلاءِ حدثنا معاويةُ بنُ هشامٍ عن سفيانَ عن المختارِ بنُ فُلفلٍ عن أنسِ بنِ مالكٍ قال: قال رسولُ اللّهِ ﷺ: **«أنا أكثرُ الأنبياء تبَعاً يوم القيامة، وأنا أول من يقرَع بابَ الجنة»**.

وحدثنا[3] أبو بكر بنُ أبي شيبةَ حدثنا حُسينُ بنُ عليٍّ عن زائدةَ عن المختارِ بن فُلفل قال: قال أنسُ بنُ مالك قال النبيُّ ﷺ: **«أنا أولُ شفيعٍ في الجنة، لم يُصدَّق نبيٌّ من الأنبياء ما صُدِّقتُ، وإن من الأنبياء نبياً ما يُصدِّقُه من أمته إلا رجلٌ واحدٌ»**.

= وابن أبي شيبة (٧/٥١٦) والبغوي في «شرح السنة» رقم (١٢٢٧) وابن حبان رقم (٧٤٠).

(١) في صحيحه ١/١٨٨ رقم ٣٣٠/١٩٦).
قلت: وأخرجه الدارمي في سننه (١/٣١ رقم ٥١)، وأحمد في «المسند» (١٠/٤٥١ رقم ١٢٣٥٩) **بإسناد صحيح**.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (١/١٨٨ رقم ٣٣١/١٩٦).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه (١/١٨٨ رقم ٣٣٢/١٩٦).

وحدثني عَمْرُو الناقدُ وزُهيرُ بنُ حرْبٍ قالا: حدثنا هاشمُ بنُ القاسم حدثنا سليمانُ بنُ المُغيرةِ عن ثابتٍ عن أنس بنِ مالكٍ[1] قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «**آتي بابَ الجنةِ يوم القيامةِ فأستفتِحُ، فيقول الخازنُ: من أنتَ؟ فأقول: محمدٌ، فيقول: بك أُمِرتُ لا أفتح لأحد قبلك**».

قال: حدثنا محمدُ بنُ طريفِ بنِ خليفةَ البَجَليُّ حدثنا محمدُ بنُ فُضيلٍ حدثنا أبو مالكٍ الأشجعيُّ عن أبي حازمٍ عن أبي هريرةَ، وأبو مالكٍ عن رِبْعيٍّ عن حذيفةَ رضي الله عنه قالا: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «**يجمعُ اللَّهُ تبارك وتعالى الناسَ، فيقومُ المؤمنونَ حتى تُزْلَفَ لهم الجنةُ، فيأتون آدمَ فيقولون: يا أبانا استفتحْ لنا الجنةَ، فيقول: وهل أخرجَكم من الجنةِ إلا خطيئةُ أبيكم آدمَ؟ لست بصاحب ذلك، اذهبوا إلى ابني إبراهيمَ خليلِ اللَّهِ عز وجل. قال فيقول إبراهيمُ: لستُ بصاحب ذلك، وإنما كنت خليلاً من وراءَ وراءَ، اعمدوا إلى موسى الذي كلمه الله تعالى تكليماً.**

فيأتون موسى ﷺ فيقول: لست بصاحب ذلك، اذهبوا إلى عيسى كلمةِ الله تعالى وروحه، فيقول عيسى ﷺ: لستُ بصاحب ذلك.

فيأتون محمداً ﷺ فيقوم فيُؤذنُ له، وتُرسل الأمانةُ والرحمُ فتقومانِ جنبتي الصِراطِ فيمُرّ أوّلُكم كالبرق»[2]. الحديث ـ تقدَّم باقيه في الصراط.

وقال البخاريُّ[3] رحمه الله تعالى: حدثنا يحيى بنُ بَكيرٍ حدثنا الليثُ عن عبيدِ اللَّهِ بنِ أبي جعفرٍ قال: سمعتُ حمزةَ بنَ عبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ قال: سمعتُ عبد اللَّهِ بن عمرَ رضي الله عنهما قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «**ما يزالُ الرجلُ يسأل الناسَ حتى يأتيَ يوم القيامة ليس في وجهه مُزْعةُ لَحم، وقال: إن الشمس تدنو يوم القيامةِ حتى يبلُغ العرق نصفَ الأُذنِ فبينما هم كذلك استغاثوا بآدمَ ثم بموسى ثم بمحمد ﷺ**».

وزادَ[4] عبدُ الله: حدثني الليثُ قال: حدثني ابنُ أبي جعفرٍ: «**فيشفَعُ لِيُقضى**

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (١/ ١٨٨ رقم ٣٣٣/ ١٩٧).
(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (١/ ١٨٦ ـ ١٨٧ رقم ٣٢٩/ ١٩٥).
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٣/ ٣٣٨ رقم ١٤٧٤).
ومسلم في صحيحه (٢/ ٧٢٠ رقم ١٠٤/ ١٠٤٠).
(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (٣/ ٣٣٨ رقم ١٤٧٥) وطرفه رقم (٤٧١٨).

بين الخلق، فيمشي حتى يأخُذ بحلقةِ البابِ فيومئذ يبعثه الله مقاماً محموداً يحمَده أهلُ الجمعِ كلهم».

ففي هذا الحديثِ الجمعُ بين ذكر الشفاعتين: الأولى في فصل القضاءِ، والثانيةُ في استفتاح بابِ الجنةِ، وسُمّيَ ذلك كلُّه المقامَ المحمودَ.

(هذا) أي ما ذُكر **(وهاتان الشفاعتان)** المذكورتان اللتانِ هما المقامُ المحمودُ **(قد خُصتا)** أي جعلهما اللّهُ تعالى خاصّتين **(به)** أي بنبينا محمدٍ ﷺ وليستا لأحدٍ غيرِه **(بلا نُكران)** بين أهلِ السنةِ والجماعةِ، بل ولم يُنكرْهما المعتزلةُ الذين أنكروا الشفاعةَ الثالثةَ في إخراج عصاةِ الموحِّدين من النار، وهي المشارُ إليها بقولنا:

[شفاعته ﷺ في أقوام ماتوا على الإسلام ودخلوا النار لكثرة آثامهم]

(وثالثاً يشفع في أقوامِ ... ماتوا على دين الهدى الإسلامِ)

(وأوبقتهم كثرةُ الآثامِ ... فأُدخلوا النارَ بذا الإجرامِ)

(أن يخرُجوا منها إلى الجِنانِ ... بفضل ربِّ العرشِ ذي الإحسانِ)

فهذه الشفاعةُ حقٌّ يؤمنُ بها أهلُ السنةِ والجماعةِ كما آمنَ بها الصحابةُ رضوانُ اللّهِ تعالى عليهم، ودرجَ على الإيمانِ بذلك التابعون لهم بإحسان ﵃ ورضُوا عنه، وأنكرها في آخر عصر الصحابةِ الخوارجُ، وأنكرها في عصرِ التابعين المعتزلةُ.

وقالوا بخلودِ من دخل النارَ من عصاةِ الموحِّدين الذين يشهدون أن لا إله إلا اللّهُ وحده لا شريكَ له ويشهدون أن محمداً عبدُه ورسولُه ﷺ، ويُقيمون الصلاةَ، ويؤتون الزكاةَ، ويصومون رمضانَ، ويحجّون البيتَ الحرامَ، ويسألون اللّهَ الجنةَ، ويستعيذونَ به من النار في كل صلاةٍ ودعاءٍ، غيرَ أنهم ماتوا مُصرِّينَ على معصية عمليةٍ عالمين بتحريمها مُعتقدينَه، مؤمنين بما جاء فيه الوعيد الشديدِ، فقضوا بتخليدهم في جهنمَ مع فرعونَ وهامانَ وقارونَ، فجحدوا قولَ الله عز وجل: ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾ [ص: ٢٨]، وقولَه عز وجل: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ

﴿كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الجاثية: ٢١]. وقولَه تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [القلم]، ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾﴾ [الصافات]، وغيرُها من الآياتِ وسائرِ الأحاديثِ الواردة.

وقال البخاريُّ[1] رحمه الله تعالى: وقال حجاجُ بنُ منهال حدثنا همامُ بنُ يحيى حدثنا قتادةُ عن أنس رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ قال: **«يُحبسُ المؤمنون يوم القيامة حتى يُهَمّوا بذلك فيقولون: لو استشفعنا إلى ربنا فيُريحَنا من مكاننا فيأتون آدمَ فيقولون: أنت أبو الناسِ خلقك اللّهُ بيده، وأسكنك جنتَه، وأسجدَ لك ملائكتَه، وعلّمك أسماءَ كلِّ شيءٍ، لِتشفَعْ لنا عند ربِّك حتى يُريحنا من مكاننا هذا، قال فيقول: لستُ هناكم.**

قال ويذكر خطيئتَه التي أصابَ أكلَه من الشجرة وقد نُهِيَ عنها، ولكن ائتوا نوحاً أولَ نبيٍّ بعثه الله تعالى إلى أهلِ الأرضِ، فيأتون نوحاً فيقول: لستُ هناكم ويذكر خطيئَته التي أصاب سؤالَه ربَّه بغير علم، ولكن ائتوا إبراهيمَ خليلَ الرحمنِ.

قال فيأتون إبراهيمَ فيقول: إني لستُ هناكم، ويذكر ثلاثَ كلماتٍ كذَبَهن، ولكن ائتوا موسى عبداً آتاهُ اللّهُ التوراةَ وكلّمه وقرَّبه نجياً.

قال فيأتون موسى فيقول: إني لستُ هناكم، ويذكر خطيئته التي أصابَ قتلَه النفسَ، ولكن ائتوا عيسى عبدَ اللّهِ ورسولَه وروحَ الله تعالى وكلمتَه، قال: فيأتون عيسى فيقول: لستُ هناكم، ولكن ائتوا محمداً ﷺ عبداً غفر اللّهُ له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فيأتون فأستأذنُ على ربي في داره فيؤذَنُ لي، فإذا رأيتُه وقعتُ ساجداً، فيدعني ما شاء اللّهُ تعالى أن يدَعَني فيقول: ارفع محمدُ وقل يُسمع واشفَع تُشفَع وسل تُعطَ.

قال: فأرفع رأسي فأُثني على ربي بثناء وتحميدٍ يُعلِّمُنيه، ثم أشفَعُ فيَحُدّ لي حداً فأُخرجُ فأُدخِلُهم الجنةَ».

قال قتادةُ: وسمعتُه أيضاً يقول: **«فأخرجُ فأُخرِجُهم من النار وأُدخِلُهم الجنة،**

---

(١) في صحيحه (١٣/٤٢٢ رقم ٧٤٤٠).

ثم أعود فأستأذن على ربي في داره فيؤذن لي عليه، فإذا رأيتُه وقعتُ ساجداً فيدعُني ما شاء اللَّهُ أن يدَعني، ثم يقول: ارفعْ محمدُ وقل يُسمع واشفَع تشفَّعْ وسلْ تُعْطَ. قال: فأرفع رأسي فأثني على ربي بثناء وتحميدٍ يعلِّمنيه، قال: ثم أشفع فيُحدّ لي حدًّا فأَخرُجُ فأُدخِلُهم الجنةَ».

قال قتادةُ: وسمعتُه يقول: «**فأخرُج فأُخرِجُهم من النار وأُدخِلُهم الجنةَ، ثم أعودُ الثالثةَ فأستأذن على ربي في داره فيؤذن لي عليه، فإذا رأيتُه وقعتُ ساجداً فيدعني ما شاء اللَّهُ أن يدَعني ثم يقول: ارفع محمدُ وقل يُسمع واشفَعْ تُشفَع وسَلْ تُعطَ، قال: فأرفع رأسي فأُثني على ربي بثناء وتحميدٍ يُعلّمنيه، قال: ثم أشفَع فيَحُدّ لي حدًّا فأخرج فأدخلهم الجنةَ**».

قال قتادةُ: وقد سمعتُه يقول: «**فأخرُج فأُخرِجُهم من النار وأُدخِلُهم الجنةَ حتى ما يبقى في النارِ إلا من حبَسه القرآن**». أي وجب عليه الخلود.

قال ثم تلا هذه الآية: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩]. قال: وهذا المقامُ المحمودُ الذي وعده نبيُكم ﷺ.

وقال أيضاً[1]: حدثنا مسدّدٌ حدثنا أبو عَوانةَ عن قتادةَ عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «**يجمع الله الناسَ يوم القيامة فيقولون: لو استشفعنا إلى ربنا حتى يُريحنا من مكاننا** ـ وذكره مختصراً وقال في الثالثة أو الرابعة ـ **حتى ما بقيَ في النار إلا من حبَسه القرآنُ**».

وكان قتادةُ يقول عند هذا: أي وجب عليه الخلود.

ورواه مسلم[2] من طرُق بنحوه وقال رحمه الله تعالى: حدثنا أبو الربيعِ العتكي حدثنا حمادُ بنُ زيدٍ حدثنا معبدُ بنُ هلالِ العَنَزيّ. ح.

وحدثنا سعيد بن منصور ـ واللفظ له ـ حدثنا حمادُ بن زيد حدثنا معبدُ بنُ هلالِ العَنَزيُّ قال: انطلقنا إلى أنسِ بنِ مالكٍ وتشفّعنا بثابت فانتهينا إليه وهو يصلي الضحى، فاستأذن لنا ثابتٌ فدخلنا عليه وأجلس ثابتاً معه على سريره فقال: يا أبا

---

(١) أي مسلم في صحيحه (١١/٤١٧ ـ ٤١٨ رقم ٦٥٦٥).

(٢) في صحيحه (١/١٨٢ ـ ١٨٤ رقم ٣٢٦/١٩٣).

حمزةَ إن إخوانك من أهل البصرةِ يسألونك أن تُحدِّثَهم حديثَ الشفاعة.

قال: حدثنا محمدٌ ﷺ قال: «إذا كان يوم القيامةِ ماجَ الناسُ بعضُهم إلى بعض، فيأتون آدمَ فيقول له: اشفَعْ لذريتك. فيقول لستُ لها ولكن عليكم بإبراهيمَ عليه السلام فإنه خليلُ الله.

فيأتون إبراهيمَ فيقول: لستُ لها ولكن عليكم بموسى عليه السلام فإنه كليمُ اللّهِ؛ فيُؤتى موسى فيقول: لستُ لها ولكن عليكم بعيسى عليه السلام فإنه روحُ اللّهِ وكلمتُه.

فيؤتى عيسى فيقول: لست لها ولكن عليكم بمحمد ﷺ فأوتى فأقول: أنا لها، فأنطلق فأستأذن على ربي فيُؤذن لي، فأقومُ بين يديه فأحمَدُه بمحامدَ لا أقدِرُ عليه الآنَ يُلهِمُنيه اللّهُ، ثم أخِرُّ ساجداً فيقال لي: يا محمدُ ارفع رأسك وقل يُسمعْ لك، وسَلْ تُعطَ، واشفَعْ تُشفَع. فأقول: ربِّ أمتي أمتي، فيقال: انطلِق فمن كان في قلبه مثقالُ حبةٍ من بُرَّةٍ أو شعيرةٍ من إيمان فأخرِجْه منها.

فأنطلِقُ فأفعَلُ، ثم أرجِعُ إلى ربي فأحمَدُه بتلك المحامِدَ، ثم أخِرُّ له ساجداً، فيقال لي: يا محمدُ ارفع رأسَك وقل يُسمع لك وسلْ تُعطَ واشفَعْ تُشفَع، فأقول: أمتي أمتي، فيقال لي: انطلِقْ فمن كان في قلبه مثقالُ حبةٍ من خردَلٍ من إيمان فأخرِجْه منها، فأنطلِق فأفعلُ، ثم أعودُ إلى ربي عز وجل فأحَمده بتلك المحامدِ ثم أخِرُّ له ساجداً فيقال لي: يا محمدُ ارفعْ رأسَك وقل يُسمع لك وسلْ تُعطَه واشفَع تُشفَّع.

فأقول: يا ربِّ أمتي، فيقال لي: انطلِقْ فمن كان في قلبه أدنى أدنى أدنى من مثقال حبةٍ من خردلٍ من إيمان فأخرِجْه من النار، فأنطلِق فأفعلُ».

هذا حديثُ أنسٍ الذي أنبأنا به، فخرجنا من عنده فلما كنا بظهر الجبان: قلنا لو مِلْنا إلى الحسن فسلّمنا عليه وهو مستخفٍ في دارِ أبي خليفةَ. قال: فدخلنا عليه فسلّمنا عليه وقلنا: يا أبا سعيدٍ جئنا من عند أخيك أبي حمزةَ فلم نسمع مثلَ حديثٍ حدثناهَ في الشفاعة. قال: هيه. فحدثناه الحديثَ. فقال: هيه. قلنا: ما زادنا. قال: قد حدّثنا به منذ عشرينَ سنةً وهو يومئذ جميعٌ.

ولقد ترك شيئاً ما أدري أنسِيَ الشيخُ أو كره أن يُحدِّثكم فتتكلوا، قلنا له:

حدَّثنا. فضحِكَ وقال: خلق الإنسانُ من عجَلٍ، ما ذكرتُ لكم هذا إلا وأنا أُريدُ أن أُحدِّثكموه: «**ثم أرجِعُ إلى ربي في الرابعةِ فأحمَده بتلك المحامدِ ثم أخِرُّ له ساجداً، فيقال لي: يا محمدُ ارفع رأسك وقل يُسمع لك وسل تُعطَ واشفَعْ تُشفَع. فأقول: يا رب ائذَنْ لي فيمن قال لا إله إلا اللَّهُ. قال: ليس ذاك لك ـ أو قال ليس ذاك إليك ـ ولكن وعزتي وكبريائي وعَظَمتي وجِبريائي لأُخرِجنّ من قال لا إله إلا الله**».

قال: فأشهدُ على الحسن أنه حدثنا به أنه سمع أنس بنَ مالكٍ ﷺ أراه قال: قبل عشرينَ سنةً وهو يومئذ جميعٌ.

وقال أيضاً[١]: حدثنا محمدُ بنُ منهالٍ الضريرُ حدثنا يزيدُ بنُ زُريعٍ حدثنا سعيدُ بنُ أبي عروبةَ وهشامٌ صاحبُ الدَّستُواء عن قتادة عن أنس بنِ مالكٍ قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ. ح.

وحدثني أبو غسان المِسْمَعيُّ ومحمدُ بنُ المثنى قالا حدثنا معاذٌ وهو ابن هشام قال: حدثني أبي عَن قتادةَ حدثنا أنسُ بنُ مالكٍ أن النبيَّ ﷺ قال: «**يخرُج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخيرِ ما يزِن شعيرةً، ثم يخرُج من النارِ من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخيرِ ما يزِنُ بُرَّةً، ثم يخرُج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخيرِ ما يزِنُ ذرّةً**».

زاد ابنُ منهال في روايتِه: قال يزيدُ: فلقِيتُ شُعبةَ فحدثته بالحديث فقال شعبةُ: حدثنا به قتادةُ عن أنس بنِ مالكٍ عن النبي ﷺ بالحديث، إلا أن شعبةَ جعل مكانَ الذَّرَّةِ ذُرةً، قال يزيدُ: صحّف فيها أبو بسطام.

وقال[٢] رحمه الله تعالى: حدثنا حجاجُ بنُ الشاعرِ حدثنا الفضلُ بنُ دُكينٍ حدثنا أبو عاصمٍ يعني محمدَ بنَ أيوبَ قال حدثني يزيدُ الفقيرُ قال: كنت قد شغفني رأيٌ من رأي الخوارج، فخرجنا في عِصابة ذوي عددٍ نريدُ أن نُحجَّ ثم نخرج على الناسِ، قال: فمرزْنا على المدينةِ، فإذا جابرُ بنُ عبدِ اللَّهِ ﷺ يحدث القومَ، جالسٌ إلى سارية عن رسولِ الله ﷺ.

---

(١) أي مسلم في صحيحه (١/ ١٨٢ رقم ٣٢٥/ ١٩٣).

(٢) أي مسلم في صحيحه (١/ ١٧٩ ـ ١٨٠ رقم ٣٢٠/ ١٩١).

قال: فإذا هو قد ذكر الجهنّميين قال فقلت له: يا صاحِبَ رسولِ اللَّهِ ﷺ ما هذا الذي تحدثون واللَّهُ تعالى يقول: ﴿إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٩٢]، و ﴿كُلَّمَآ أَرَادُوٓاْ أَن يَخْرُجُواْ مِنْهَآ أُعِيدُواْ فِيهَا﴾ [السجدة: ٢٠].

فما هذا الذي تقولون؟ قال فقال: أتقرأ القرآنَ؟ قلت: نعم. قال: فهل سمعتَ بمقامِ محمدٍ ﷺ يعني الذي يبعثه اللَّهُ فيه؟ قلت: نعم. قال: فإنه مقامُ محمدٍ ﷺ المحمودُ الذي يُخرِجُ اللَّهُ به من يُخرج.

قال: ثم نعت وضعَ الصراطِ ومرَّ الناسِ عليه، قال: وأخاف أن لا يكونَ أحفظُ ذاك، قال: غير أنه قد زعم أن قوماً يخرُجون من النار بعد أن يكونوا فيها. قال: يعني فيُخرجونَ كأنهم عيدانُ السماسِم.

قال: فيُدخلونَ نهراً من أنهارِ الجنةِ فيغتسلونَ فيه فيخرجون كأنهم القراطيسُ، فرجعنا قلنا: ويحَكم أترون الشيخَ يكذِب على رسولِ اللَّهِ ﷺ، فرَجعنا فلا واللَّهِ ما خرج منا غيرُ رجلٍ واحدٍ، أو كما قال أبو نعيمٍ.

وقال[١] رحمه الله تعالى: حدثنا أبو بكرِ بنُ أبي شيبةَ حدثنا سفيانُ بنُ عُيينةَ عن عَمرٍو سمِع جابراً رضي الله عنه يقول سمِعه من النبي ﷺ بإذنه يقول: «**إن اللَّهَ يخرج ناساً من النار فيُدخلهم الجنةَ**».

وفي رواية له[٢] عن حمادَ بنِ زيد قال: قلت لعمرو بنِ دينارٍ: «سمعتُ جابرَ بنَ عبدِ اللَّهِ رضي الله عنهما يحدث عن رسولِ اللَّهِ ﷺ أن اللَّهَ يخرج قوماً من النار بالشفاعة؟ قال: نعم». ورواه البخاريُّ[٣].

وفي رواية له[٤] أن النبيَّ ﷺ قال: «**يخرج قومٌ من النار بالشفاعة كأنهم الثعارير**»، قال: الضغابيس، وكأنْ قد سقط فمُه.

وقال[٥]: حدثنا هُدبةُ بنُ خالدٍ حدثنا همامُ عن قتادةَ حدثنا أنسُ بنُ مالكٍ عن

---

(١) أي مسلم في صحيحه (١/١٧٨ رقم ٣١٧/ ١٩١).
(٢) لمسلم في صحيحه (١/١٧٨ رقم ٣١٨/ ١٩١).
(٣) في صحيحه (١١/٤١٦ رقم ٦٥٥٨).
(٤) أي للبخاري في صحيحه (١١/٤١٦ رقم ٦٥٥٨).
(٥) أي البخاري في صحيحه (١١/٤١٦ رقم ٦٥٥٩) وطرفه رقم (٧٤٥٠).

النبيّ ﷺ قال: «**يخرج قومٌ من النار بعد ما مسّهم منها سَفْعٌ، فيدخلون الجنةَ، فيسمّيهم أهلُ الجنةِ الجهنمّيين**».

قال[1] رحمه الله تعالى: حدثنا قتيبةُ بنُ سعيدٍ حدثنا إسماعيلُ بنُ جعفرٍ عن عمرٍو عن سعيد بنِ أبي سعيدٍ المَقبُري عن أبي هريرةَ رضي الله عنه أنه قال: قلت: يا رسولَ اللَّهِ من أسعدُ الناسِ بشفاعتك يوم القيامة؟ فقال: «**لقد ظننتُ يا أبا هريرةَ أن لا يسألني عن هذا الحديثِ أحدٌ أولَ منك لِما رأيتُ من حرصك على الحديث، أسعدُ الناسِ بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه**».

وهذه الشفاعةُ الثالثةُ قد فسّرَ بها المقامَ المحمودَ أيضاً حديثُ أنس[2] وحديثُ جابر[2] رضي الله عنهما، فيكون المقامُ المحمودُ عاماً لجميع الشفاعاتِ كما في التي أتيها محمدٌ ﷺ.

لكنّ جمهورَ المفسّرينَ فسَّروه بالشفاعتين الأُولَيين لاختصاصه ﷺ بهما دون غيرِه من عبادِ اللَّهِ المُكْرمين، وأما هذه الشفاعةُ الثالثةُ فهي وإن كانت من المقامِ المحمودِ الذي وعدَه فليست خاصةً به ﷺ، بل يؤتاها كثيرٌ من عبادِ الله المخلصين، ولكن هو ﷺ المقدّم فيها، ولم يُشفَّع أحدٌ من خلق الله في مثل ما يُشفّع فيه رسولُ اللَّهِ ﷺ ولا يدانيه في ذلك ملَكٌ مُقرّبٌ ولا نبيٌّ مرسلٌ.

ثم بعده يشفع من أذِن اللَّهُ تعالى له من الملائكةِ المقرّبينَ والأنبياءِ والمُرسلينَ والصّدّيقين والشهداءِ والصالحينَ وسائرِ أولياءِ اللَّهِ تعالى من المؤمنين المتقين، ويشفع الأفراطُ كلٌّ منهم يكرمه الله تعالى على قدر ما هو له أهلٌ، ثم يخرُج اللَّهُ تعالى من النار برحمته أقواماً بدون شفاعةِ الشافعين، ولذا قلنا في ذلك:

(وبعده يشفع كلُ مرسلِ ... وكلُ عبدٍ ذي صلاحٍ وولي)

(ويخرج الله من النيران ... جميعَ من مات على الإيمان)

(في نهر الحياةِ يُطرحونا ... فحماً فيَحيَونَ وينبُتونا)

(كأنما ينبُتُ في هيئاتِه ... حبُّ حميلِ السيلِ في حافاته)

---

(١) أي البخاري في صحيحه (١١/٤١٨ رقم ٦٥٧٠).

(٢) تقدم تخريجهما قريباً.

تقدم في حديث أبي هريرةَ[1] المتفقِ عليه في طريق الرؤيةِ قولُ النبيِّ ﷺ: «حتى إذا فرَغ الله تعالى من فصل القضاء بين العبادِ وأرادَ أن يُخرج برحمته من أراد من أهلِ النارِ أمر الملائكةَ أن يخرُجوا من النار من كان لا يشرك بالله شيئاً ممن أرادَ الله تعالى أن يرحَمه ممن يشهد أن لا إله إلا اللَّهُ فيعرِفونهم في النارِ بأثر السجودِ، تأكلُ النارُ من ابن آدمَ إلا أثرَ السجود، حرَّمَ اللَّهُ على النارِ أن تأكلَ أثرَ السجود.

فيخرجون من النارِ قد امتحشوا، فيُصبُّ عليهم ماءُ الحياةِ فينبُتون تحته كما تنبُت الحِبةُ في حَميل السيل، ثم يفرُغ الله تعالى من القضاء بين العبادِ ويبقى رجلٌ مقبلٌ بوجهه على النار هو آخِرُ أهلِ النارِ دخولاً الجنةَ»، الحديث تقدم بطوله.

ـ وتقدم حديث أبي سعيدٍ[2] المتفق عليه أيضاً بطوله ـ وفيه في نعت المرورِ على الصراطِ: «حتى يمرَّ آخرُهم يُسحبُ سحباً، فما أنتم بأشدَّ لي مناشدةً في الحق ـ قد تبين لكم ـ من المؤمن يومئذ للجبار إذا رأَوا أنهم قد نجَوا في إخوانِهم يقولون: ربنا إخوانُنا كانوا يُصلون معنا ويصومون معنا ويعملون معنا، فيقول الله تعالى: اذهبوا فمن وِجدتم في قلبه مثقالَ دينارٍ من إيمان فأخرِجوه، ويحرّم اللَّهُ تعالى صورَهم على النار، فيأتونهم وبعضُهم قد غار في النار إلى قدمه وإلى أنصاف ساقيه فيُخرجون من عرَفوا.

ثم يعودون فيقول: اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقالَ نصفَ دينارٍ فأخرجوه، فيُخرجون من عرَفوا. ثم يعودون فيقول: اذهبوا فمن وجدتم في قلبه مثقالَ ذرةٍ من إيمان فأخرجوه، فيُخرجون من عرفوا ـ قال أبو سعيد: فإن لم تصدّقوني فاقرأوا: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا﴾ [النساء: ٤٠]. ـ

فيشفع النبيون والملائكةُ والمؤمنون، فيقول الجبارُ: بقِيتْ شفاعتي، فيقبض قبضةً من النار فيُخرج أقواماً قد امتحشوا فيُلقون في نهر بأفواه الجنةِ يقال له: ماءُ الحياة، فينبُتون في حافتيه كما تنبُت الحِبّةُ في حَميل السيلِ قد رأيتموها إلى جانب

(١) أخرجه البخاري (٢/ ٢٩٢ ـ ٢٩٣ رقم ٨٠٦).
ومسلم (١/ ١٦٣ ـ ١٦٦ رقم ١٦٦/ ١٨٢) وقد تقدم.

(٢) تقدم تخريجه.

الصخرةِ إلى جانب الشجرةِ، فما كان منها إلى الشمس كان أخضرَ وما كان إلى الظل كان أبيضَ، فيخرجون كأنهم اللؤلؤُ، فيُجعل في رقابهم الخواتيمُ فيدخلون الجنةَ، فيقولُ أهلُ الجنةِ: هؤلاء عُتقاءُ الرحمن أدخلهم الجنةَ بغير عمل عمِلوه ولا خيرٍ قدّموه، فيقال لهم: لكم ما رأيتُم ومثلَه معه».

وفي لفظ مسلم[1]: «حتى إذا خلص المؤمنون من النار فوالذي نفسي بيده ما منكم من أحدٍ بأشدَّ مناشدةً لله في استقصاء الحقِّ من المؤمنين لله يوم القيامةِ لإخوانِهم الذين في النار، يقولون: ربنا كانوا يصومون معنا ويصلّون معنا ويحجّون، فيُقال لهم: أخرِجوا من عرَفتم، فتُحرَّم صورَهم على النار، فيُخرجون خلقاً كثيراً قد أَخذت النار إلى نصفِ ساقيه وإلى ركبتيه، ثم يقولون: ربنا ما بقيَ فيها أحدٌ ممن أمرتنا به، فيقول: ارجِعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينارٍ من خير فأخرجوه، فيُخرجون خلقاً كثيراً.

ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها أحداً ممن أمرتَنا بهم. يقول: ارجِعوا فمن وجدتم في قلبه مثقالَ نصفَ دينارٍ من خيرٍ فأخرِجوه، فيُخرجون خلقاً كثيراً. ثم يقولون: ربنا لم نذْر فيها ممن أمرتَنا أحداً.

ثم يقول: ارجِعوا فمن وجدتم في قلبه مثقالَ ذرةٍ من خير فأخرِجوه، فيُخرجون كثيراً. ثم يقولون: ربنا لم نذرْ فيها خيراً».

وكان أبو سعيدٍ الخدريِّ رضي الله عنه يقول: إن لم تصدِّقوني بهذا الحديث فاقرأوا إن شئتم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾ [النساء: ٤٠].

فيقول الله عز وجل: شفعت الملائكةُ وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحمُ الراحمين، فيقبض قبضةً من النار فيُخرج منها قوماً لم يعملوا خيراً قطُّ قد عادوا حُمماً، فيُلقيهم في نهر في أفواه الجنةِ يقال له: نهرُ الحياةِ فيخرجون كما تخرُج الحِبةُ في حَميل السيلِ، ألا ترَونها تكون إلى الحجر أو إلى الشجرِ، ما يكون منها إلى الشمس أُصيفرَ وأُخيضِرَ، وما يكون منها إلى الظل يكون أبيضَ».

(١) في صحيحه (١/ ١٦٧ ـ ١٧١ رقم ٣٠٢/ ١٨٣).

فقالوا: يا رسولَ الله كأنك كنت ترعى بالبادية، قال: «**فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتمُ، يعرِفهم أهلُ الجنةِ هؤلاءِ عُتقاءُ اللّهِ الذين أدخلَهم اللّهُ الجنةَ بغير عملٍ عملوه ولا خيرٍ قدّموه.**

ثم يقول: ادخُلوا الجنةَ فما رأيتموه فهو لكم، فيقولون: ربنا أعطيتَنا ما لم تُعْطِ أحداً من العالمين. فيقول: لكم عندي أفضلُ من هذا. فيقولون: ربنا أيُّ شيءٍ أفضلُ من هذا؟ فيقول: رضايَ فلا أسخطُ عليكم بعده أبداً».

وفيهما[1] من حديثه أيضاً أن رسولَ الله ﷺ قال: «**يُدخل اللّهُ أهلَ الجنةِ الجنةَ يدخل من يشاء في رحمته، ويدخل أهلَ النارِ النارَ. ثم يقول: انظُروا من وجدتم في قلبه مثقالَ حبةٍ من خردل من إيمان فأخرِجوه، فيُخرجون منها حُمماً قد امتحشوا فيُلقوَن في نهر الحياة أو الحيا فيُنبتون فيه كما تنبُت الحِبّةُ إلى جانب السيل، ألم ترَوها كيف تخرج صفراءَ مُلتويةً**.

وفي رواية لمسلم[2]: «**كما تنبُت الغُثاءةُ في جانب السيل**».

وله[3] عنه رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**أما أهلُ النارِ الذين هم أهلُها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيَونَ، ولكن ناسٌ أصابَتهم النارُ بذنوبِهم - أو قال بخطاياهم - فأماتهم إماتةً حتى إذا كانوا فحماً أُذن بالشفاعة فجيء بهم ضبائرَ ضبائرَ فبُثوا على أنهارِ الجنةِ ثم قيل: يا أهلَ الجنةِ أفيضوا عليهم، فينبُتون نباتَ الحِبةِ تكون في حميل السيل**.

فقال رجلٌ من القوم: كأن رسولَ اللّهَ ﷺ قد كان بالبادية».

وللترمذي[4] عن أبي أُمامةَ رضي الله عنه يقول: سمعت رسولَ الله ﷺ يقول:

---

(١) البخاري في صحيحه (١/ ٧٢ رقم ٢٢).
ومسلم في صحيحه (١/ ١٧٢ رقم ٣٠٤/ ١٨٤).

(٢) في صحيحه (١/ ١٧٢ رقم ٣٠٥/ ١٨٤).

(٣) أي لمسلم في صحيحه (١/ ١٧٢ رقم ٣٠٦/ ١٨٥).

(٤) في «السنن» (٤/ ٦٢٦ رقم ٢٤٣٧) وقال: **حديث حسنٌ غريب**.
وتعقبه الألباني في «الصحيحة» (٥/ ٢١٢): «قلت: وإسناده شامي صحيح» اهـ.
وأخرجه ابن ماجه (٢/ ١٤٣٣ رقم ٤٢٨٦) وأحمد في «المسند» (٥/ ٢٥٠) **بسند صحيح**.
وللحدبث شواهد من حديث حذيفةَ بن اليمان، وأبي أيوب الأنصاري، وأبي هريرة وثوبان. =

«وعدني ربي أن يُدخل الجنةَ من أمتي سبعين ألفاً لا حسابَ عليهم ولا عذاب، مع كل ألفٍ سبعون ألفاً وثلاثَ حثياتٍ من حثيات ربي»، هذا حديثٌ حسنٌ غريب.

وله[1] عن عبدِ الله بنِ شقيقٍ قال: كنتُ مع رهْط بإيلياءَ فقال رجلٌ منهم: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: **«يدخل الجنةَ بشفاعة رجلٍ من أمتي أكثرُ من بني تميم**، قيل: يا رسولَ اللّهِ سواك؟ قال؛ **سواي»**. فلما قام قلتُ: من هذا؟ قالوا: هذا ابنُ أبي الجذعاء. هذا حديثٌ حسنٌ غريب، وابنُ أبي الجذعاءِ هو عبدُ الله، وإنما يُعرف له هذا الحديثُ الواحدُ. ورواه ابنُ ماجه[2].

وللتِرمذي[3] أيضاً عن أبي سعيد ﷺ أن رسولَ الله ﷺ قال: **«إن من أمتي من يشفع للفِئام من الناس، منهم من يشفع للقبيلة، ومنهم من يشفع للعُصبة، ومنهم من يشفع للرجل، حتى يدخُلوا الجنة»**، هذا حديثٌ حسنٌ.

وروى أبو داودَ[4] عن عِمرانَ بنِ حُصينٍ ﷺ عن النبيِّ ﷺ قال: **«يخرُج قومٌ**

= * أما حديث حذيفة فقد أخرجه أحمد (٥/ ٣٩٣) وفيه ابن لهيعة.
* وأما حديث أبي أيوب الأنصاري، فقد أخرجه أحمد (٥/ ٤١٣) وفيه ابن لهيعة أيضاً.
* وأما حديث أبي هريرة، فقد أخرجه أحمد (٢/ ٣٥٩) **بسند لا بأس به في الشواهد.**
* وأما حديث ثوبان، فقد أخرجه أحمد (٥/ ٢٨٠ ـ ٢٨١) **بسند جيد.**
وانظر «الصحيحة» رقم (٢١٧٩).
وخلاصة القول أن الحديث صحيح، والله أعلم.

(١) أي الترمذي في «السنن» (٤/ ٦٢٦ رقم ٢٤٣٨) وقال: **هذا حديث حسن صحيح غريب.**
قلت: وأخرجه أحمد (٣/ ٤٦٩ و ٤٧٠) (٥/ ٣٦٦). والدارمي (٢/ ٣٢٨) وابن حبان (رقم ٢٥٩٨ ـ موارد) والبخاري في «التاريخ الكبير» (٥/ ٢٦) والحاكم (١/ ٧٠ و٧١) من طرق **بسند صحيح وصحح الحاكم ووافقه الذهبي.**
والخلاصة أن الحديث صحيح، والله أعلم.

(٢) في «السنن» (٢/ ١٤٤٣ ـ ١٤٤٤ رقم ٤٣١٦).

(٣) في «السنن» (٤/ ٦٢٧ رقم ٢٤٤٠) وقال: **حديث حسن.**
قلت: وأخرجه أحمد (٣/ ٢٠ و ٦٣).
وهو حديث ضعيف.

(٤) في «السنن» (٥/ ١٠٦ ـ ١٠٧ رقم ٤٧٤٠).
قلت: وأخرجه البخاري في صحيحه (١١/ ٤١٨ رقم ٦٥٦٦).
والترمذي (٤/ ٧١٥ رقم ٢٦٠٠) وقال: **هذا حديث حسن صحيح.**
وهو حديث صحيح.

من النار بشفاعة محمدٍ فيدخلون الجنةَ ويُسمّون الجهنّميين». ورواه ابنُ ماجه[1].

وله[2] عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«خُيِّرتُ بين الشفاعةِ وبين أن يدخُل نصفُ أمتي الجنةَ فاخترتُ الشفاعةَ لأنها أعمُّ وأكفى، تَرونها للمتقين، لا ولكنها للمذنبين الخطّائين المُتلوّثين»**.

وله[3] عن عَوف بنِ مالكٍ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«أتدرون ما خيّرني ربي الليلةَ؟»**، قلنا: اللَّهُ ورسولُه ﷺ أعلمُ، قال: **«فإنه خيّرني بين أن يدخُل نصفُ أمتي الجنةَ وبين الشفاعة، فاخترتُ الشفاعةَ»**.

قلنا: يا رسولَ اللَّهِ، ادعُ اللَّهَ أن يجعلَنا من أهلها. قال: **«هي لكل مسلم»**.

ورواه الترمذي[4] بلفظ: **«فاخترتُ الشفاعةَ، وهي لمن مات لا يشرك بالله شيئاً»**.

والأحاديثُ في هذا البابِ كثيرةٌ جداً مشهورةٌ مستفيضةٌ بل متواترةٌ، وقد ذكرنا منها ما فيه كفايةٌ، وتقدم في أحاديث الرؤيةِ جملةٌ منها عن جماعة من الصحابة، وبقيَ من النصوصِ في هذا البابِ كثيرٌ، وبالله التوفيق.

---

(١) في «السنن» (٢/١٤٤٣ رقم ٤٣١٥).

(٢) أي لابن ماجه في «السنن» (٢/١٤٤١ رقم ٤٣١١).
وقال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (٣/ ٣٢٠ - ٣٢١ رقم ١٥٤٢/ ٤٣١١).
هذا إسناد صحيح رواه أحمد بن حنبل في مسنده من حديث أبي موسى أيضاً.
ورواه الترمذي في «الجامع» من حديث أبي موسى أيضاً مختصراً: **أتاني آت من ربي فخيرني بين أن تدخل نصف أمتي الجنة وبين الشفاعة فاخترت الشفاعة وهي لمن مات لا يشرك بالله شيئاً»**.
ورواه ابن حبان في صحيحه والحاكم في «المستدرك» من حديث أبي موسى أيضاً قال الحاكم: **صحيح على شرط الشيخين**.
وخلاصة القول: أن الحديث صحيحٌ دون قوله: «لأنها أعمُّ وأكفى...». «الضعيفة» (٣٥٨٥).

(٣) أي لابن ماجه في «السنن» (٢/ ١٤٤٤ رقم ٤٣١٧).
قلت: وأخرجه أحمد (٦/ ٢٨، ٢٩) والآجري في «الشريعة» رقم (٨٤٦/ ٤٥١) وابن أبي عاصم في «السنة» رقم (٨١٨).
وللحديث شاهد من حديث أبي موسى الأشعري وقد تقدم تخريجه.
وخلاصة القول أن الحديث صحيح، والله أعلم.

(٤) في «السنن» (٤/ ٦٢٧ - ٦٢٨ رقم ٢٤٤١).

[الركن السادس]: بابُ الإيمانِ بالقضاء والقدرِ

(والسادسُ الإيمانُ بالأقدار فأيقننْ بها ولا تُمارِ)
(فكلُ شيء بقضاءٍ وقدَرْ والكلُّ في أم الكتابِ مستطَرْ)

والسادسُ من أركان الإيمان المشروحةِ في حديث جبريلَ وغيرِه هو الإيمانُ بالقدر خيرِه وشرِّه، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩]. الآيات. وقال تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزاب: ٣٨]. وقال تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا﴾ [النساء: ٤٧]. وقال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ [التغابن: ١١]. وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٦٦].

وقال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة].

وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾﴾ [الليل].

وقال تعالى: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾﴾ [الفاتحة]. إلى آخر السورة.

وقال مسلم[1] رحمه الله تعالى: حدثنا عبدُ الأعلى بنُ حمادٍ قال: قرأتُ على مالك بنِ أنسٍ (ح).

وحدثنا قُتيبةُ بنُ سعيدٍ عن مالك فيما قُرئ عليه عن زيادِ بنِ سعدٍ عن عمْرِو بنِ مسلم عن طاوسٍ أنه قال: أدركتُ ناساً من أصحاب رسولِ الله ﷺ يقولون: «كلُ شيءٍ بقدر». قال: وسمعتُ عبدَ الله بنَ عمرَ يقول: قال رسولُ الله ﷺ: «كلُ شيءٍ بقدر، حتى العجزُ والكَيْسُ»، أو «الكيس والعجز».

حدثنا أبو بكرِ بنُ أبي شيبةَ وأبو كُريبٍ قالا: حدثنا وكيعٌ عن سفيانَ عن

---

(١) في صحيحه (٤/ ٢٠٤٥ رقم ٢٦٥٥).

زيادِ بنِ إسماعيلِ عن محمد بنِ عيَّاد بنِ جعفرِ المخزوميِّ عن أبي هريرة قال: جاء مشركو قريشٍ يخاصمون رسولَ الله ﷺ في القدر فنزلت: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر]. ورواه الترمذيُّ[1] وابنُ ماجه[2].

وقال البخاريُّ[3] رحمه الله تعالى: باب ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزاب: ٣٨]. حدثنا عبدُ الله بنُ يوسفَ أخبرنا مالكٌ عن أبي الزِّنادِ عن الأعرج عن أبي هريرةَ قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«لا تسألُ المرأةُ طلاقَ أختِها لتستفرغَ صحفتَها، ولِتُنكحَ، فإن لها ما قُدِّر لها»**.

حدثنا مالكُ بنُ إسماعيلَ، حدثنا إسرائيلُ عن عاصم عن أبي عثمانَ عن أسامةَ قال: كنت عند النبيِّ ﷺ إذ جاءَه رسولُ إحدى بناتِه وعنده سعدٌ وأُبيُّ بنُ كعبٍ ومعاذ أن ابنها يجود بنفسه، فبعث إليها: **«لله ما أخذ ولله ما أعطى، كلٌّ بأجلٍ، فلْتصبِرْ ولْتحتسِبْ»**[4].

حدثنا حِبانُ بنُ موسى أخبرنا عبدُ الله أخبرنا يونسُ عن الزهري قال: أخبرني عبدُ الله بنُ مُحَيريزٍ الجُمحيُّ أن أبا سعيد الخدريَّ أخبره أنه بينما هو جالسٌ عند النبيِّ ﷺ جاء رجلٌ من الأنصار فقال: يا رسولَ اللّهِ إنا نُصيب سَبْياً ونُحب المالَ، كيف ترى في العزْل؟ فقال رسول الله ﷺ: **«أوَ أنكم تفعلون ذلك؟ لا عليكم أن لا تفعلوا، فإنه ليست نسَمةٌ كتب اللّهُ أن تخرُجَ إلا هي كائنةٌ»**[5].

وقال[6] رحمه الله تعالى: حدثنا بشرُ بنُ محمدٍ أخبرنا عبدُ الله أخبرنا مَعمرٌ عن همّام بنِ منبِّهٍ عن أبي هريرةَ رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«لا يأتي ابنَ آدمَ النذرُ**

---

(١) في «السنن» (٥/٣٩٨ ـ ٣٩٩ رقم ٣٢٩٠) وقال الترمذي: **هذا حديث حسن صحيح**.

(٢) في «السنن» (١/ ٣٢ رقم ٨٣).
قلت: وأخرجه مسلم (٤/٢٠٤٦ رقم ٢٦٥٦).

(٣) في صحيحه (١١/٤٩٤ رقم ٦٦٠١).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (١١/٤٩٤ رقم ٦٦٠٢).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه (١١/٤٩٤ رقم ٦٦٠٣).

(٦) أي البخاري في صحيحه (١١/٥٧٦ رقم ٦٦٩٤).
قلت: وأخرجه مسلم (٣/١٦٦٢ رقم ١٦٤٠).

بشيء لم يكن قد قدَّرتُه ولكن يُلقيه القدرُ وقد قدرتُه له أستخرِجُ به من البخيل».

وقال[1] أيضاً: حدثنا أبو اليمانِ أخبرنا شعيبٌ حدثنا أبو الزنادِ عن الأعرج عن أبي هريرةَ قال: قال النبيُّ ﷺ: **«لا يأتي ابنَ آدمَ النذرُ بشيء لم يكن قد قُدِّر له، ولكن يُلقيه النذرُ إلى القدر قد قُدِّرَ له فيستخرج اللَّهُ تعالى به من البخيل، فيؤتى عليه ما لم يكن يؤتى عليه من قبلُ».**

وقال مسلم[2] رحمه الله تعالى: حدثنا أبو بكرِ ابنُ أبي شيبةَ وابنُ نمير قالا: حدثنا عبدُ الله بنُ إدريسَ عن ربيعةَ بنِ عثمانَ عن محمد بنِ يحيى بنِ حبانَ عن الأعرج عن أبي هريرةَ قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«المؤمنُ القويُّ خيرٌ وأحبُّ إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خيرٌ، احرِصْ على ما ينفعُك واستعنْ بالله ولا تعجَزْ، وإن أصابك شيءٌ فلا تقل: لو أني فعلتُ كذا وكذا، ولكن قل: قدر اللَّهُ وما شاء فعل، فإنَّ لو تفتح عملَ الشيطان».**

وفي حديث ابن عباسٍ رضي الله عنهما في الترمذيّ[3] وغيره[4] قولُ النبيِّ ﷺ له: **«واعلم أن ما أصابك لم يكن ليُخطئَك، وما أخطأكَ لم يكن ليُصيبك»**. الحديث.

والأحاديث في القدر كثيرةٌ جداً قد تقدم منها أشياءُ متفرقةٌ، وسنذكر منها ما يُيَسِّره اللَّهُ عز وجل في هذا الباب.

[الإيمان بالقدر على أربع مراتب]

(فصل) واعلم رحِمكَ اللَّهُ تعالى، ووفقنا وإياكَ لما يحبه ويرضاه، وهدانا وإياك صراطَه المستقيمَ أن الإيمانَ بالقدر على أربع مراتبَ:

المرتبة الأولى: الإيمانُ بعلم اللَّهِ عز وجل المحيطِ بكل شيءٍ من الموجوداتِ

---

(١) البخاري في صحيحه (١١/٤٩٩ رقم ٦٦٠٩).

(٢) في صحيحه (٤/٢٠٥٢ رقم ٣٤/٢٦٦٤).

قلت: وأخرجه أحمد (٢/٣٦٦، ٣٧٠) والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٦٢٣، ٦٢٤) والطحاوي (٢٦٠، ٢٦١) من طريق محمد بن عجلان عن ربيعة عن عثمان عن الأعرج عن أبي هريرةَ **وهو حديث صحيح.**

(٣)(٤) تقدم تخريجه.

والمعدوماتِ والممكناتِ والمستحيلاتِ. فعلم ما كان وما يكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، وأنه علم ما الخلقُ عاملون قبل أن يخلُقهم، وعلم أرزاقَهم وآجالَهم وأحوالَهم وأعمالَهم في جميع حركاتِهم وسكناتِهم وشقاوتِهم وسعادتِهم، ومن هو منهم من أهلِ الجنةِ ومن هو منهم من أهلِ النارِ من قبل أن يخلُقَهم ومن قبل أن يخلُق الجنةَ والنارَ، علم دِقَّ ذلك وجليلَه وكثيرَه وقليلَه وظاهرَه وباطنَه وسرَّه وعلانيتَه ومَبدأَهُ ومُنتهاه، كل ذلك بعلمه الذي هو صفتُه ومقتضى اسمِه العليم الخبيرِ عالم الغيبِ والشهادةِ علام الغيوب، كما قال تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ [الحشر: ٢٢].

وقال تعالى: ﴿لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾ [الطلاق: ١٢]. وقال تعالى: ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا﴾ [الجن: ٢٨]. وقال تعالى: ﴿عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ﴾ [سبأ: ٣].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾ [النجم: ٣٠]. [وقال تعالى]: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النجم: ٣٢]. وقال تعالى: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الأنعام: ٥٣]. ﴿أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [العنكبوت: ١٠].

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠] الآيات. وقال تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦].

وقال البخاريُّ(١) رحمه الله تعالى: بابُ: اللَّهُ أعلمُ بما كانوا عاملين، حدثنا محمدُ بنُ بشارٍ حدثنا غُندَرٌ حدثنا شعبةُ عن أبي بشرٍ عن سعيد بن جبيرٍ عن ابن

---

(١) في صحيحه (١١/٤٩٣ رقم ٦٥٩٧) و (٣/٢٤٥ رقم ١٣٨٣).
قلت: وأخرجه مسلم في صحيحه (٤/٢٠٤٩ رقم ٢٦٦٠) وأبو داود (٥/٨٤ رقم ٤٧١١) والنسائي (٤/٥٩ رقم ١٩٥٢).

عباس ﷺ قال: «سُئل النبيُّ ﷺ عن أولاد المشركين فقال: **«الله أعلمُ بما كانوا عاملين»**.

حدثنا يحيى بنُ بكيرٍ حدثنا الليثُ عن يونسَ عن ابن شهابٍ قال: وأخبرني عطاءُ بنُ يزيدَ أنه سمعَ أبا هريرةَ يقول: «سُئل رسولُ اللّهِ ﷺ عن ذراري المشركين فقال: **«الله أعلمُ بما كانوا عاملين»**[1].

حدثني إسحاقُ أخبرنا عبدُ الرزاقِ أخبرنا مَعْمرٌ عن همّامٍ عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«ما من مولود إلا يولد على الفطرَة، فأبواه يهوّدانه أو ينصّرانه كما تُنتجون البهيمة هل تجدون فيها من جدعاءَ حتى تكونوا أنتم تجدّعونها»**[2]، قالوا: يا رسولَ الله أفرأيتَ من يموت وهو صغيرٌ؟ قال: **«اللّهُ أعلمُ بما كانوا عاملين»**[3].

وقال[4] أيضاً رحمه الله تعالى: حدثنا آدمُ حدثنا شعبةُ حدثنا يزيدُ الرشك قال: سمعتُ مُطَرِّفَ بنَ عبدِ الله بنِ الشخّير يحدث عِمرانَ بنِ حُصينٍ قال: قال رجلٌ: يا رسولَ اللّهِ، أيُعرف أهلُ الجنةِ من أهل النار؟ قال: **«نعم»**. قال: فلِمَ يعمل العاملون؟ قال: **«كلٌّ يعمل لما خُلق له»**. أو: **«لما يُسّر له»**.

وقال رحمه الله أيضاً[5]: حدثنا سعيدُ بنُ أبي مريمَ، حدثنا أبو غسانَ، حدثني أبو حازمٍ عن سهلٍ أن رجلاً من أعظم المسلمين غَناءً عن المسلمين في غزوة غزاها مع النبي ﷺ، فنظر إليه النبيُّ ﷺ فقال: **«من أحب أن ينظرَ إلى رجل من أهل النارِ فلينظُر إلى هذا»**. فاتبعه رجلٌ من القوم وهو على تلك الحالِ من

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (١١/ ٤٩٣ رقم ٦٥٩٨) ومسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٤٩ رقم ٢٦٥٩) والنسائي في «السنن» (٤/ ٥٨ رقم ١٩٤٩).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (١١/ ٤٩٣ رقم ٦٥٩٩) ومسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٤٧ ـ ٢٠٤٨).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (١١/ ٤٩٣ رقم ٦٦٠٠).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (١١/ ٤٩١ رقم ٦٥٩٦) ومسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٤١ رقم ٢٦٤٩).

(٥) البخاري في صحيحه (١١/ ٤٩٩ رقم ٦٦٠٧).
قلت: ومسلم في صحيحه (١/ ١٠٦ رقم ١١٢).

أشدَّ الناسِ على المشركين حتى جُرح، فاستعجل الموتَ فجعل ذبابةَ سيفه بين ثدييه حتى خرج من بين كتِفيه، فأقبلَ الرجل إلى النبي ﷺ مسرعاً فقال: أشهدُ أنك رسولُ الله، فقال: **«وما ذاك؟»**، قال: قلتَ لفلانٍ من أحب أن ينظُر إلى رجل من أهل النار فلينظر إليه، وكان من أعظمنا غَناءً عن المسلمين، فعرفتُ أنه لا يموت على ذلك، فلما جُرح استعجل الموتَ فقتل نفسَه.

فقال النبيُّ ﷺ عند ذلك: **«إن العبدَ ليعملُ بعملِ أهلِ النارِ وإنه من أهل الجنة، ويعملُ بعمل أهلِ الجنةِ وإنه من أهل النار، وإنما الأعمالُ بالخواتيم»**.

وقال مسلم[1] رحمه الله تعالى: حدثنا عبدُ الله بنُ مسلمةَ بنِ قنعب، حدثنا مُعتمرُ بنُ سليمانَ عن أبيه عن رقَبَة بنِ مسقلةَ عن أبي إسحاقَ عن سعيد بنِ جبيرٍ عن ابن عباس عن أبيِّ بنِ كعبٍ قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«إن الغلامَ الذي قتلَه الخِضْرُ طُبع كافراً، ولو عاش لأرهق أبويه طغياناً وكفراً»**.

حدثني زهيرُ بنُ حربٍ، حدثنا جريرٌ عن العلاء بنِ المسيّبِ عن فُضيل بنِ عمْرٍو عن عائشةَ بنتِ طلحةَ عن عائشةَ أمِّ المؤمنين قالت: «تُوفِّيَ صبيٌّ فقلتُ: طوبى له عصفورٌ من عصافير الجنة، فقال رسولُ الله ﷺ: **«أوَلا تدْرينَ أن اللَّهَ تعالى خلقَ الجنةَ وخلقَ النارَ، فخلق لهذه أهلاً ولهذه أهلاً»**[2].

حدثنا أبو بكر ابنُ أبي شيبةَ، حدثنا وكيعٌ عن طلحةَ بنِ يحيى عن عمتِه عائشةَ بنتِ طلحةَ عن عائشةَ أمِّ المؤمنين قالت: «دُعيَ رسولُ الله ﷺ إلى جنازةِ صبيٍّ من الأنصار، فقلت: يا رسولَ اللَّهِ طوبى له، عصفورٌ من عصافير الجنةِ لم يعمل السوءَ ولم يدرِكْه، قال: **«أو غيرَ ذلكَ يا عائشةَ، إن الله خلقَ للجنة أهلاً**

---

(١) في صحيحه (٤/ ٢٠٥٠ رقم ٢٦٦١) ورقم (١٧٢/ ٢٣٨٠).

قلت: وأخرجه أبو داود رقم (٤٧٠٥) و (٤٧٠٦) والترمذي رقم (٣١٥٠) وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب.

وأحمد وابنه عبد الله في «زوائد المسند» (٥/ ١٢١) والبغوي في «معالم التنزيل» (٣/ ١٧٤) من طرق من حديث أبي بن كعب.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٥٠ رقم ٣٠/ ٢٦٦٢).

خلقهم لها وهم في أصلاب آبائِهم، وخلق للنار أهلاً خلقهم لها وهم في أصلاب آبائِهم»[1].

وقال[2] رحمه الله تعالى: حدثنا قتيبةُ بنُ سعيدٍ، حدثنا عبدُ العزيز ـ يعني ابنَ محمد ـ عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرةَ رضي الله عنه أن رسولَ الله ﷺ قال: «**إن الرجلَ ليعملُ الزمنَ الطويلَ بعمل أهلِ الجنةِ ثم يُختم له عملُه بعمل أهلِ النارِ، وإن الرجلَ ليعملُ الزمنَ الطويلَ بعمل أهلِ النارِ ثم يُختم له عملُه بعملِ أهلِ الجنةِ**».

قلت: وهذا الحديثُ وما في معناه تفسيرُه عند أهل العلمِ والسنةِ على حديث سهلِ بنِ سعدٍ عند مسلم[3] رحمه الله تعالى قال: حدثنا قتيبةُ بنُ سعيدٍ، حدثنا يعقوبُ ـ يعني ابنَ عبد الرحمنِ القاري ـ عن أبي حازم عن سهل بنِ سعدٍ الساعديِّ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**إنَّ الرجلَ ليعمل عملَ أهلِ الجنةِ فيما يبدو للناس وهو من أهل النارِ، وإن الرجلَ ليعمل عملَ أهل النارِ فيما يبدو للناس وهو من أهلِ الجنةِ**».

الحديث يفسر الأول أن عملَ المختومِ له بالشقاوة إذا ظهرَ صلاحُه إنما هو فيما يبدو للناس.

وقال[4] رحمه الله تعالى: حدثنا إسحاقُ بنُ إبراهيمَ الحنظليُّ، حدثنا عثمانُ بنُ عمرَ، حدثنا عَزْرةُ بنُ ثابتٍ عن يحيى بنِ عقيلٍ عن يحيى بنِ يَعمَرَ عن أبي الأسودِ الدُؤَليِّ قال: قال لي عِمرانُ بنُ الحُصين: أرأيتَ ما يعملُ الناسُ اليوم ويكدحونَ فيه، أشيءٌ قُضي عليهم ومضَى عليهم من قَدر ما سبق، أو فيما يستقبلون به مما أتاهم به نبيُهم وثبتت الحجةُ عليهم.

فقلت: بل شيءٌ قُضيَ عليهم ومضى عليهم، قال: فقال: أفلا يكون ظلماً؟ قال: ففزِعتُ من ذلك فزعاً شديداً وقلت: كلُ شيءٍ خلقُ اللّهِ ومُلكُ يدِه فلا يُسئل

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٥٠ رقم ٣١/ ٢٦٦٢) وأبو داود (٥/ ٨٦ رقم ٤٧١٣) والنسائي (٤/ ٥٧ رقم ١٩٤٧) وابن ماجه (١/ ٣٢ رقم ٨٢) وأحمد في «المسند» (٦/ ٤١، ٢٠٨).

(٢) أي مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٤٢ رقم ١١/ ٢٦٥١).

(٣) في صحيحه (١/ ١٠٦ ـ ١٠٧ رقم ١١٢).

(٤) أي مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٤١ رقم ١٠/ ٢٦٥٠).

عما يفعلُ وهم يُسألون، فقال لي: يرحمك اللَّهُ تعالى إني لم أُرِدْ بما سألتُك إلا حَزْرَ عقلك، إن رجلين من مزينةَ أتيا رسولَ اللَّهِ ﷺ فقالا: يا رسولَ الله أرأيتَ ما يعمل الناسُ اليوم ويكدحون فيه، أفي شيءٍ قُضيَ عليهم ومضى فيهم من قدَر قد سبق أو فيما يستقبلون به مما أتاهم به نبيُّهم ﷺ وثبتت الحجةُ عليهم؟.

فقال: لا بل شيءٌ قُضيَ عليهم ومضى فيهم، وتصديقُ ذلك في كتابِ الله عز وجل: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨﴾ [الشمس].

وفيه[1] عن علي رضي الله عنه قال: **«كان رسولُ الله ﷺ ذات يومٍ جالساً وفي يده عودٌ ينكتُ به، فرفع رأسه فقال: ما منكم من نفس إلا وقد عُلمَ منزِلُها من الجنة والنار»**.

قالوا: يا رسولَ اللَّهِ فلِمَ نعملُ، أفلا نتكلُ؟ قال: **«اعملوا فكلٌ مُيَسَّرٌ لما خُلق له»**. ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦﴾ إلى قوله: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠﴾ [الليل: ٥ ـ ١٠]. والآياتُ والأحاديثُ في هذا البابِ كثيرةٌ شهيرةٌ يطول استقصاؤها، وقد تقدم منها جملةٌ في إثباتِ علمِ اللَّهِ عز وجل من توحيد المعرفةِ والإثباتِ.

[فصل]:

(المرتبةُ الثانيةُ من مراتب الإيمان بالقدر): **الإيمانُ بكتاب اللَّهِ تعالى الذي لم يفرِّطْ فيه من شيء.**

قال الله عز وجل: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]. وقال تعالى: ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: ١٢]. وقال تعالى: ﴿وَكُلُّ شَىْءٍ فَعَلُوهُ فِى ٱلزُّبُرِ ۝٥٢ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ۝٥٣﴾ [القمر].

وقال تعالى عن موسى حين قال له فرعون: ﴿فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ۝٥١ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ۝٥٢﴾ [طه]. وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج: ٧٠].

---

(١) أي عند مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٤٠ رقم ٧/ ٢٦٤٧).

وقال تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ - إلى قوله - ﴿وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩].

وقال تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [يونس: ٦١].

وقال تعالى: ﴿وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَـٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [فاطر: ١١]، إلى غير ذلك من الآيات التي يُقرن فيها بين إثبات العلمِ والكتاب، أو يُذكر كلٌ على حدته، وكتابُه تعالى من علمه.

وقال البخاريُّ[١] رحمه الله تعالى: حدثنا عُبدانُ بنُ أبي حمزةَ عن الأعمش عن سعد بنِ عبيدةَ عن أبي عبد الرحمنِ السّلمي عن علي ﷺ قال: «كنا جلوساً مع النبيِّ ﷺ ومعه عودٌ ينكتُ في الأرض وقال: **«ما منكم من أحد إلا قد كُتب مقعدُه من النار أو من الجنة»**. فقال رجلٌ من القوم: ألا نتكلُ يا رسولَ الله؟ قال: **«لا، اعمَلوا فكلٌ مُيسَّرٌ»**، ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ﴾ [الليل: ٥]. الآية.

ورواه مسلمٌ[٢] بأبسطَ منه فقال رحمه الله تعالى: حدثنا عثمانُ بنُ أبي شيبةَ وزهيرُ بنُ حربٍ وإسحاقُ بنُ إبراهيمَ - واللفظُ لزهير - قال إسحاقُ: أخبرنا، وقال الآخران: حدثنا جريرٌ عن منصور عن سعد بنِ عبيدةَ عن أبي عبدِ الرحمنِ السُّلَميِّ عن علي ﷺ قال: كنا في جنازة في بقيع الغَرقدِ، فأتانا رسولُ اللّهِ ﷺ فقعد وقعدْنا حوله ومعه مِخْصَرَةٌ، فنكس ثم جعل ينكُت بمخصرته ثم قال: **«ما منكم من أحد، ما من نفس منفوسةٍ إلا وقد كتب الله تعالى مكانها من الجنة والنار، وإلا وقد كتبت شقيةً أو سعيدةً»**.

قال: فقال رجل: يا رسولَ الله أفلا نمكث على كتابنا وندعُ العملَ؟ فقال:

---

(١) في صحيحه (٣/ ٢٣٥ رقم ١٣٦٢) وأطرافه رقم (٤٩٤٥، ٤٩٤٦، ٤٩٤٧، ٤٩٤٨، ٦٢١٧، ٦٦٠٥، ٧٥٥٢).

(٢) في صحيحه (٤/ ٢٠٣٩ - ٢٠٤٠ رقم ٦/ ٢٦٤٧).

«**من كان من أهلِ السعادةِ فسيصير إلى عملِ أهلِ السعادةِ، ومن كان من أهلِ الشقاوةِ فسيصير إلى عملِ أهلِ الشقاوةِ**»، فقال: «**اعمَلوا فكلٌ ميسّرٌ، أما أهلُ السعادةِ فيُيسَّرون لعملِ أهلِ السعادةِ، وأما أهلُ الشقاوةِ فيُيسَّرون لعملِ أهلِ الشقاوة**». ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠﴾ [الليل].

وقال[1] رحمه الله تعالى: حدثنا أحمدُ بنُ يونسَ، حدثنا زهيرٌ، حدثنا أبو الزبيرِ (ح).

وحدثنا يحيى بنُ يحيى، أخبرنا أبو خيثمةَ عن أبي الزبير عن جابر قال: «جاء سراقةُ بنُ مالكِ بنِ جُعشُم قال: يا رسولَ الله، بيِّنْ لنا دينَنا كأنا خُلِقْنا الآن، فيما نعمل اليومَ؟ أفيما جفت به الأقلامُ وجرت به المقاديرُ، أم فيما نَستقبلُ؟ قال: «**لا بل فيما جفَّت به الأقلامُ وجرت به المقاديرُ**». قال: ففيمَ العملُ؟ قال زهيرٌ: ثم تكلم أبو الزبيرِ بشيء لم أفهَمْه، فسألتُ: ما قال؟ فقال: «**اعمَلوا فكلٌ ميسَّرٌ**».

وفي رواية[2] قال رسولُ الله ﷺ: «**كلُ عاملٍ ميسَّرٌ لعمله**».

وقال البخاريُّ[3] رحمه الله تعالى: باب: ﴿وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٥]، ﴿أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ﴾ [هود: ٣٦]، ﴿وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ [نوح: ٢٧].

وقال منصورُ بنُ النعمانِ عن عِكرِمَةَ عن ابن عباس رضي الله عنهما: وحِرْمٌ بالحبشية وَجَب.

حدثني محمودُ بنُ غيلانَ، حدثنا عبدُ الرزاق، أخبرنا مَعمرٌ عن ابن طاوسٍ عن أبيه عن ابنِ عباس رضي الله عنهما قال: «ما رأيتُ شيئاً أشبهَ باللَّمَم مما قال أبو هريرةَ عن النبي ﷺ: إن اللَّهَ تعالى كَتَبَ على ابنِ آدمَ حظَّه من الزنا أدرك ذلك لا محالةَ، فزِنا العينِ النظرُ، وزِنا اللسانِ المنطِقُ، والنفسُ تَمنَّى وتشتهي، والفرجُ يصدّق ذلك

---

(١) أي مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٤٠ ـ ٢٠٤١ رقم ٨/ ٢٦٤٨).

(٢) (٤/ ٢٠٤١ رقم .../ ٢٦٤٨).

(٣) في صحيحه تعليقاً (١١/ ٥٠٢). وقال الحافظ: لم أقف على هذا التعليق موصولاً... وانظر بقية كلام ابن حجر.

أبو يكذبه». رواه[1] مسلمٌ بهذا اللفظِ وبلفظ[2] قال ﷺ: **«كُتب على ابن آدمَ نصيبَه من الزنا مُدركٌ ذلك لا محالة، فالعينانِ زناهما النظرُ، والأذنانِ زناهما الاستماعُ، واللسانُ زِناه الكلامُ، واليدُ زناها البطشُ، والرجلُ زناها الخُطا، والقلبُ يهوَى ويتمنّى ويصدّق ذلك الفرجُ ويكذبه»**.

وقال الإمامُ أحمد[3] رحمه الله تعالى: حدثنا يونسُ، حدثنا الليثُ عن قيس بنِ الحجاجِ عن حنَشٍ الصنعانيِّ عن عبد الله بنِ عباس ﵄ أنه ركبَ خلفَ رسولِ الله ﷺ يوماً فقال له رسولُ الله ﷺ: **«يا غلامُ إني مُعلِّمُك كلماتٍ ينفعُك اللَّهُ بهن: احفظ اللَّهَ يحفظْك، احفَظ اللَّهَ تجدْه تُجاهك، وإذا سألْتَ فاسأل الله، وإذا استعنتَ فاستعن بالله، واعلم أن الأمةَ لو اجتمعوا على أن ينفعوك لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبهُ اللَّهُ لك، ولو اجتمعوا على أن يضُرّوك لم يضُرّوك إلا بشيء قد كتبَه اللَّهُ عليك، رُفعت الأقلامُ وجفّت الصحُفُ»**. ورواه الترمذي[4] بنحوه وقال: حسنٌ صحيحٌ.

وقال الإمامُ أحمدُ[5] أيضاً: حدثنا هاشمُ بنُ القاسمِ، حدثنا ليثٌ، حدثني أبو قَبيلٍ المعافِريُّ عن شُفَيِّ الأصبحيِّ عن عبد اللَّهِ بنِ عَمرِو بنِ العاصِ ﵄ عن رسولِ الله ﷺ قال: خرجَ علينا رسولُ الله ﷺ وفي يده كتابان فقال: **«أتدرون ما هذان الكتابان؟»**. قال قلنا: إلا أن تُخبِرَنا يا رسولَ الله، قال للذي في يده اليمنى: **«هذا كتابٌ من ربِّ العالمين تبارك وتعالى بأسماء أهلِ الجنةِ وأسماءِ آبائِهم وقبائِلهم، ثم أُجمل على آخرهم فلا يُزاد فيهم ولا يُنقص منهم أبداً»**.

ثم قال للذي في يساره: **«هذا كتابُ أهلِ النارِ بأسمائِهم وأسماءِ آبائِهم وقبائِلهم، ثم أُجملَ على آخرِهم لا يزاد فيهم ولا يُنقص منهم أبداً»**.

فقال أصحابُ رسولِ الله ﷺ: فلأي شيءٍ إذاً نعملُ إن كان هذا أمرٌ قد فُرغ منه؟

---

(١) في صحيحه (٤/٢٠٤٦ رقم ٢٠/٢٦٥٧).

(٢) في صحيحه (٤/٢٠٤٦ ـ ٢٠٤٧ رقم ٢١/٢٦٥٧).

(٣) في «المسند» (١/٢٩٣). وقد تقدم تخريجه.

(٤) في «السنن» (٤/٦٦٧ رقم ٢٥١٦) وقال: هذا حديث حسنٌ صحيح.

(٥) في «المسند» (٢/١٦٧) بإسناد صحيح.

قال رسول الله ﷺ: «**سدِّدوا وقاربوا، فإن صاحبَ الجنةِ يُختم بعملِ الجنةِ وإن عمِلَ أيَّ عمل، وإن صاحبَ النارِ ليُختم بعمل أهلِ النارِ وإنْ عمل أيَّ عملٍ**»، ثم قال بيده فقبضها ثم قال: «**فرَغ ربُكم عز وجل من العباد**»، ثم قال باليُمنى فنَبَذ بها فقال: «**فريقٌ في الجنة**»، ونبذ باليسرى فقال: «**فريقٌ في السعير**». ورواه الترمذيُّ[1] بنحوه وقال: حديثٌ حسنٌ صحيح غريبٌ. وغيرُ ذلك من الأحاديث[2] كثيرٌ.

(فصل) والإيمانُ بكتابة المقاديرِ يدخُل فيه خمسةُ تقاديرَ:

الأول: التقديرُ الأزليُّ قبل خلق السمواتِ والأرضِ عندما خلق اللّهُ تعالى القلمَ، كما قال ربنا تبارك وتعالى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ﴾ [التوبة: ٥١] الآية. وقال سبحانه وتعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [الحديد: ٢٢ ـ ٢٣].

وقال البخاريُّ[3] رحمه الله تعالى: حدثنا عمرُ بنُ حفصِ بنِ غياثٍ، حدثنا أبي، حدثنا الأعمشُ، حدثنا جامعُ بنُ شدادٍ عن صفوانَ بنِ مُحرزٍ أنه حدثه عن عِمرَانَ بنِ حُصينٍ رضي الله عنهما قال: دخلتُ على النبيِّ ﷺ وعقَلتُ ناقتي بالباب، فأتاه ناسٌ من بني تميم فقال: «**اقبلوا البُشرى يا بني تميم**»، قالوا: قد بشّرتَنا فأعطِنا (مرتين). ثم دخلَ عليه ناسٌ من أهلِ اليمنِ فقال: «**اقبَلوا البُشرى يا أهلَ اليمن إذ لم يقبلْها بنو تميم**»، قالوا: قبِلْنا يا رسولَ الله، قالوا: جئناكَ نسألك عن أول هذا الأمر، قال: «**كان اللّهُ ولم يكن شيءٌ غيرُه، وكان عرشُه على الماء، وكتب في الذكر كلَّ شيءٍ وخلقَ السمواتِ والأرضَ**». فنادى منادٍ: ذهبتْ ناقتُك يا ابنَ الحُصين، فانطلقتُ فإذا هي يُقطع دونها السرابُ، فوالله لودِدْتُ أني كنتُ تركتُها.

وقال مسلمٌ[4] رحمه الله تعالى: حدثني أبو الطاهرِ أحمدُ بنُ عمْرِو بنِ

---

(١) في «السنن» (٤/٤٤٩ ـ ٤٥٠ رقم ٢١٤١).
(٢) تقدم ذلك.
(٣) في صحيحه (٦/٢٨٦ رقم ٣١٩١).
(٤) في صحيحه (٤/٢٠٤٤ رقم ٢٦٥٣).

عبدِ اللَّهِ بنِ عمرِو بنِ سَرحٍ، حدثنا ابنُ وهْبٍ، أخبرني أبو هانيءٍ الخولانيُّ عن أبي عبدِ الرحمنِ الحبلي عن عبد اللَّهِ بنِ عمرِو بن العاص رضي الله عنهما قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**كتب اللَّهُ مقاديرَ الخلائقِ قبل أن يخلُق السمواتِ والأرضَ بخمسين ألف سنةٍ**»، قال: «**وعرشُه على الماء**».

ولهما[1] عن أبي هريرةَ حديثُ احتجاجِ آدمَ وموسى، وهذا اللفظ لمسلم قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**احتج آدمُ وموسى عليهما السلام عند ربِّهما، فحج آدمُ موسى. قال موسى: أنت آدمُ الذي خلقك اللَّهُ بيده، ونفخ فيك من روحه وأسجد لك ملائكتَه، وأسكنك في جنته، ثم أهبطتَ الناسَ بخطيئتك إلى الأرض. فقال آدمُ: أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالته وبكلامه، وأعطاك الألواحَ فيها تبيانُ كلِّ شيءٍ وقرّبك نجياً. فبكم وجدتَ اللَّهَ تعالى كتب التوراةَ قبل أن أُخلقَ؟ قال موسى: بأربعين عاماً. قال آدمُ: فهل وجدت فيها: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ [طه: ١٢١]؟ قال: نعم. قال: أفتَلومُني على أن عملتُ عملاً كتب اللَّهُ عليّ أن أعمَلَه قبل أن يخلُقني بأربعينَ سنة. قال رسولُ الله ﷺ: فحج آدمُ موسى**».

وله[2] عندهما وغيرِهما[3] ألفاظٌ من طرق كثيرة.

وقال أبو داودَ[4] رحمه الله تعالى: حدثنا جعفرُ بنُ مسافرٍ الهُذَليُّ حدثنا يحيى بنُ حسانَ، حدثنا الوليدُ بنُ رباحٍ عن إبراهيمَ بنِ أبي عَبْلَةَ عن أبي حفصةَ

---

(١) أخرجه البخاري (٦/ ٤٤١ رقم ٣٤٠٩) ومسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٤٢ ـ ٢٠٤٤ رقم ٢٦٥٢).

(٢) أي البخاري في صحيحه (١١/ ٥٠٥ رقم ٦٦١٤) ومسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٤٢ ـ ٢٠٤٣ رقم ١٣/ ٢٦٥٢).

(٣) كأبي داود (٥/ ٧٨ رقم ٤٧٠٢) وابن أبي عاصم في «السنة» رقم (١٣٧) والآجري في «الشريعة» (ص١٧٩) وابن خزيمة (ص١٤٣) والفريابي في «القدر» رقم (١١٧) والبيهقي في «الأسماء والصفات» (ص١٩٣)، من طرق بسند حسن. **والخلاصة إنَّ الحديث حسنٌ.**

(٤) في «السنن» (٥/ ٧٦ رقم ٤٧٠٠).
قلت: وأخرجه الطيالسي رقم (٥٧٧) وأحمد (٥/ ٣١٧) والآجري في «الشريعة» (ص١٧٧).
وهو حديث صحيح.

قال: قال عبادةُ بنُ الصامتِ لابنه: يا بنيَّ إنك إن تجدُ طعمَ حقيقةِ الإيمانِ حتى تعلمَ أن ما أصابك لم يكن ليُخطئك، وما أخطأكَ لم يكن ليُصيبَك.

سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**إن أولَ ما خلقَ اللَّهُ القلمَ فقال له: اكتب. قال: ربِّ وماذا أكتبُ؟ قال: اكتب مقاديرَ كلِّ شيءٍ حتى تقومَ الساعة**». يا بنيَّ إني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**من مات على غير هذا فليس مني**».

وقال الترمذيُّ[1] رحمه الله تعالى: حدثنا يحيى بنُ موسى، أخبرنا أبو داودَ الطيالسيُّ، أخبرنا عبدُ الواحد بنُ سليم قال: قدمتُ مكةَ فلقِيتُ عطاءَ بنَ أبي رباح فقلت له: يا أبا محمدٍ إن أهلَ البصرةِ يقولون في القدر، قال: يا بنيَّ أتقرأُ القرآن؟ قلت: نعم، قال: فاقرأ الزخرُفَ، قال: فقرأتُ: ﴿حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ۝٣ وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلۡكِتَٰبِ لَدَيۡنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ ۝٤﴾ [الزخرف].

قال: أتدري ما أمُّ الكتاب؟ قلت: اللَّهُ ورسولُه أعلمُ. قال: فإنه كتاب كتبه اللَّهُ قبل أن يخلقَ السماءَ وقبل أن يخلُق الأرضَ، فيه: إن فرعونَ من أهل النارِ، وفيه تبّت يدا أبي لهبٍ وتبَّ.

قال عطاءٌ: فلقِيتُ الوليدَ بنَ عبادةَ بنِ الصامتِ صاحبِ رسولِ اللَّهِ ﷺ فسألتُه: ما كانت وصيةُ أبيك عند الموت؟ قال: دعاني فقال: يا بني اتقِ اللَّهِ، واعلم أنك لن تتَّقيَ الله تعالى حتى تؤمنَ بالله وتؤمنَ بالقدرِ كلِه خيرِه وشرِه، فإن متَّ على غير هذا دخلتَ النارَ. إني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**إن أولَ ما خلقَ اللَّهُ تعالى القلمَ فقال: اكتُبْ، قال: ما أكتبُ؟ قال: اكتُب القدرَ ما كان وما هو كائنٌ إلى الأبد**». هذا حديثٌ غريبٌ.

وقال البخاريُّ[2] رحمه الله تعالى: قال أَصْبَغُ: أخبرني ابنُ وهبٍ عن يونسَ بنِ يزيدَ عن ابن شهابٍ عن أبي سلمةَ عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: قلتُ: يا

---

(١) في «السنن» (٥/ ٤٢٤ رقم ٣٣١٩) وقال: هذا حديث حسن غريب.
قلت: وأخرجه الفريابي في «القدر» رقم (٤٢٥) وابن أبي عاصم في «السنة» رقم (١٠٤) بسند حسن. وهو حديث صحيح لغيره.

(٢) في صحيحه (٩/ ١١٧ رقم ٥٠٧٦).

رسولَ الله إني رجلٌ شابٌّ وأخاف على نفسي العنَتَ ولا أجد ما أتزوج به النساءَ، فسكت عني. ثم قلت مثل ذلك فسكت عني، ثم قلتُ مثلَ ذلك فسكت عني، ثم قلتُ مثلَ ذلك فقال النبيُّ ﷺ: **«يا أبا هريرةَ جفَّ القلمُ بما أنت لاقٍ، فاختصِرْ على ذلك أو ذرْ»**. وغيرُ ذلك من الأحاديث.

(فصل) التقدير (الثاني) من تقادير الكتابةِ: كتابةُ الميثاقِ يومَ ألستُ بربكم.

قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٧٤﴾﴾ [الأعراف].

وقال تبارك وتعالى: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ ۖ وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ﴾ [الأعراف: ١٠٢].

وقال الإمامُ أحمدُ[(١)] رحمه الله تعالى: حدثنا معاويةُ بنُ عمرٍو، حدثنا إبراهيمُ بنُ محمدٍ أبو إسحاقَ الفزاريُّ، حدثنا الأوزاعيُّ، حدثني ربيعةُ بنُ يزيدَ عن عبدِ اللَّهِ بنِ الدَّيليِّ عن عبدِ الله بنِ عمرَ رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: **«إن اللَّهَ عز وجل خلق خلقَه في ظلمة ثم ألقى عليهم من نوره يومئذ، فمن أصابه من نوره يومئذ اهتدى ومن أخطأه ضل، فلذلك أقولُ جفَّ القلمُ على علم الله عز وجل»**. حسنه الترمذي[(٢)].

وقال أحمدُ[(٣)] رحمه الله تعالى: حدثنا هُشيمٌ وسمعتُه أنا منه قال: حدثنا أبو

---

(١) في «المسند» (٢/١٧٦ و ١٩٧).
قلت: وأخرجه الترمذي في «السنن» (٥/٢٦ رقم ٢٦٤٢) وقال: **هذا حديث حسن**.
وابن أبي عاصم في «السنة» رقم (٢٤١) و (٢٤٢) و (٢٤٣) و (٢٤٤). واللالكائي رقم (١٠٧٩) والآجري في «الشريعة» (ص١٧٥) والبزار رقم (٢١٤٥) والحاكم (١/ ٣٠) وصححه ووافقه الذهبي.
وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/١٩٣ ـ ١٩٤) وقال: رواه أحمد بإسنادين والبزار، والطبراني، ورجال أحد إسنادي أحمد ثقات.
(٢) في «السنن» (٥/ ٢٦).
(٣) في «المسند» (٢٧٣٦١) بسند صحيح. =

الربيع عن يونسَ عن أبي إدريسَ عن أبي الدرداءِ رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**خلق اللَّهُ آدمَ حينَ خلقه فضرب كتِفه اليمنى فأخرج ذريةً بيضاءَ كأنهم الذرُّ، وضرب كتِفَه اليسرى فأخرج ذريةً سوداءَ كأنهم الحُمَمُ، فقال للذي في يمينه: إلى الجنة ولا أبالي، وقال للذي في كفه اليسرى: إلى النار ولا أبالي**».

وقال[1] رحمه الله تعالى: حدثنا الحسنُ بنُ سوارٍ، حدثنا الليثُ ـ يعني ابنَ سعدٍ ـ عن معاويةَ بنِ راشد بنِ سعدٍ عن عبد الرحمنِ بنِ قتادةَ السّلَميِّ رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**إن اللَّهَ عز وجل خلقَ آدمَ ثم أخذ الخلقَ من ظهره وقال: هؤلاء في الجنة ولا أبالي، وهؤلاء في النار ولا أبالي**».

قال: فقال قائلٌ: يا رسولَ الله، فعلى ماذا نعمل؟ قال: «**على مواقع القدر**».

وفي البابِ عن معاذٍ ونضرةَ عن رجل من أصحاب النبيِّ ﷺ، وحديثُ عبدِ الرحمن هذا رجالُه رجالُ الصحيحين إلى الصحابي.

وروى إمامُ دارِ الهجرةِ مالكُ بنُ أنسٍ[2] رحمه الله تعالى عن زيدِ بنِ أُنيسةَ عن عبد الحميدِ بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ زيدِ بنِ الخطابِ أنه أخبرَه عن مسلم بنِ يسارٍ الجهنيِّ أن عمرَ بنَ الخطابِ سُئلَ رضي الله عنه عن هذه الآيةِ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

فقال عمرُ بنُ الخطاب رضي الله عنه: سمعتُ رسولَ الله ﷺ، يسأل عنها فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «**إن اللَّهَ تبارك وتعالى خلق آدمَ ثم مسح ظهرَه بيمينه حتى استخرج منه ذريةً، فقال: خلقتُ هؤلاء للجنة وبعمل أهلِ الجنةِ يعملون، ثم مسحَ ظهرَه فاستخرج منه ذريةً فقال: خلقتُ هؤلاء للنارِ وبعمل أهلِ النارِ يعملون**».

فقال رجلٌ: يا رسولَ اللَّهِ ففيمَ العملُ؟ قال: فقال رسولُ الله ﷺ: «**إن اللَّهَ**

= قلت: وأخرجه الفريابي في «القدر» رقم (٣٦) والبزار رقم (٢١٤٤ ـ كشف) وقال البزار: «لا نعلمه يروى بهذا اللفظ إلا بهذا الإسناد، **وإسناده حسن**.
كما عزاه الهيثمي في «المجمع» (٧/ ١٨٥) للطبراني.

(١) تقدم تخريجه في الميثاق.

(٢) تقدم تخريجه في الميثاق، **وهو حديث صحيح لغيره**.

إذا خلقَ العبدَ للجنة استعمله بعمل أهلِ الجنةِ حتى يموتَ على عمل من أعمال أهلِ الجنةِ فيُدخلُه ربُه الجنةَ، وإذا خلق العبدَ للنار استعمله بعمل أهلِ النارِ حتى يموتَ على عمل من أعمال أهلِ النارِ فيُدخلُه ربُه النارَ».

وقال الإمامُ أحمدُ[1] رحمه الله تعالى: حدثنا حسينُ بنُ محمدٍ حدثنا جريرٌ - يعني ابنَ أبي حازم - عن كلثوم بنِ جَبرٍ عن سعيد بنِ جُبيرٍ عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**أخذ اللَّهُ تعالى الميثاقَ من ظهر آدمَ بنُعمانَ - يعني عرفةَ - فأخرج من صُلبه كلَّ ذرية ذرأها، فنثرهم بين يديه كالذّرّ ثم كلمهم قُبلًا: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾﴾** [الأعراف: ١٧٢ - ١٧٣]. صححه الحاكم[2].

وروى ابنُه عبدُ اللَّهِ في زوائدِه[3] على مسند أبيه: حدثنا محمدُ بنُ يعقوبَ الربالي، حدثنا المعتمِرُ بنُ سليمانَ سمعتُ أبي يحدث عن الربيع بن أنسٍ عن رفيع أبي العاليةِ عن أُبيِّ بنِ كعبٍ رضي الله عنه في قول الله عز وجل: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢]. الآية.

قال: جمعهم فجعلهم أرواحاً ثم صوّرهم فاستنطقهم فتكلموا، ثم أخذ عليهم العهد والميثاقَ وأشهدهم على أنفسِهم ألستُ بربكم؟ قالوا: بلى، قال: فإني أُشهد عليكم السمواتِ السَّبع والأرضينَ السبعَ وأُشهد عليكم أباكم آدمَ عليه السلام أن تقولوا يوم القيامةِ لم نعلمْ بذلك، اعلموا أنه لا إلهَ غيري ولا ربَّ غيري فلا تُشركوا بي شيئاً، إني سأرسل إليكم رسلي يذكّرونكم عهدي وميثاقي، وأُنزل عليكم كتبي، قالوا: شهِدنا بأنك ربُنا وإلهُنا لا ربَّ غيرُك. فأقرّوا بذلك» الحديث. وقال الإمامُ الحاكمُ صحيحُ الإسنادِ ولم يخرِّجاه.

وقال البخاريُ[4] رحمه الله تعالى: حدثنا محمدُ بنُ بشارٍ، حدثنا غُندَرُ،

---

(١) تقدم تخريجه في الميثاق. وهو حديث صحيح.
(٢) في «المستدرك» (١/ ٢٧).
(٣) تقدم تخريجه في الميثاق. وهو حديث صحيح.
(٤) في صحيحه (١١/ ٤١٦ رقم ٦٥٥٧).

حدثنا شعبةُ عن أبي عِمرانَ قال: سمعتُ أنسَ بنَ مالكٍ ﷺ عن النبيِّ ﷺ قال: «**يقول اللّهُ تعالى لأهونِ أهلِ النارِ عذاباً يوم القيامة: لو أن لك ما في الأرض من شيء أكنتَ تفتدي به؟ فيقول: نعم. فيقول: أردتُ منك أهونَ من هذا وأنتَ في صُلب آدمَ أن لا تشركَ بي، فأبيتَ إلا أن تُشركَ بي**». ورواه مسلمٌ[1] وغيرهُ.

والأحاديثُ في هذا البابِ كثيرةٌ، وقد قدَّمنا منها جملةً وافيةً في أول هذا الشرحِ عند الكلامِ على الميثاق، ولله الحمدُ والمنّةُ.

(فصل) التقدير (الثالث) العُمريُّ عند تخليقِ النطفةِ في الرحم، فيُكتب إذ ذاك ذكوريّتُها وأنوثتُها والأجلُ والعملُ والشقاوةُ والسعادةُ والرزقُ وجميعُ ما هو لاقٍ، فلا يُزاد فيه ولا يُنقص منه.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ﴾ [الحج: ٥] الآيات.

وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا ۚ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [فاطر: ١١].

وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [غافر: ٦٧]. وقال تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ ۖ﴾ [النجم: ٣٢]. وغيرُها من الآيات.

وروى البخاريُّ[2] ومسلمٌ[3] بإسناديهما إلى سليمانَ الأعمشِ قال: سمعتُ

---

(١) في صحيحه (٤/ ٢١٦٠ رقم ٢٨٠٥). وقد تقدم تخريجه.

(٢) في صحيحه (١١/ ٤٧٧ رقم ٦٥٩٤). وقد تقدم.

(٣) في صحيحه (٤/ ٢٠٣٦ رقم ٢٦٤٣).

زيدَ بنَ وهْبٍ عن عبد اللَّهِ ـ يعني ابنَ مسعودٍ رضي الله تعالى عنه ـ قال: حدثنا رسولُ الله ﷺ وهو الصادقُ المصدوقُ: «**إن أحدَكم يُجمع خلقُه في بطن أمِّه أربعين يوماً، ثم يكون في ذلك علقةً مثلَ ذلك، ثم يكون في ذلك مضغةً مثلَ ذلك، ثم يُرسل الملَكُ فينفُخُ فيه الروحَ ويؤمر بأربع كلماتٍ تُكتب: رزقُه، وأجلُه، وعملُه، وشقيٌّ أو سعيدٌ.**

فوالذي لا إله غيرُه إن أحدَكم ليعمل بعمل أهلِ الجنةِ حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراعٌ فيسبقُ عليه الكتابُ فيعمل بعمل أهلِ النارِ فيدخُلها، وإن أحدَكم ليعمَلُ بعمل أهلِ النارِ حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراعٌ فيسبقُ عليه الكتابُ فيعمل بعمل أهلِ الجنةِ فيدخلها». وهذا لفظُ مسلم.

ولهما[1] من حديث حمادِ بنِ يزيدٍ عن عبيدِ اللَّهِ بنِ أبي بكرِ بنِ أنسٍ عن أنس بنِ مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**وكَل اللَّهُ تعالى بالرحم ملكاً فيقول: أيْ ربِّ نطفةٌ، أي ربِّ علقةٌ، أي ربِّ مضغةٌ، فإذا أراد اللَّهُ أن يقضيَ خلْقَها قال: أي ربِّ ذكرٌ أم أنثى؟ أشقيٌّ أم سعيد؟ فما الرزقُ؟ فما الأجلُ؟ فيُكتب كذلك في بطن أمِّه**».

وقالـم مسلمٌ[2] رحمه الله تعالى: حدثني أبو الطاهرِ أحمدُ بنُ عمرِو بنِ سرحٍ، أخبرنا ابنُ وهب أخبرني عمْرُو بنُ الحارثِ عن أبي الزبير المكيِّ أن عامرَ بنَ واثلةَ حدثه أنه سمع عبدَ الله بنَ مسعودٍ رضي الله عنه يقول: الشقيُّ من شقيَ في بطن أمِّه، والسعيدُ من وعُظ بغيره.

فأتى رجلٌ من أصحاب رسولِ الله ﷺ يُقال له حُذيفةُ بنُ أُسيدٍ الغِفاريُّ فحدثه بذلك من قول ابنِ مسعودٍ فقال: وكيف يشقى رجلٌ بغير عمل؟ فقال له الرجل: أتعجب من ذلك؟ فإني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**إذا مر بالنطفة اثنتان وأربعون ليلةً بعث اللَّهُ تعالى إليها ملَكاً فصوّرها وخلق سمعَها وبصرَها وجِلدها ولحمَها وعظامَها ثم قال: يَا ربِّ ذكرٌ أم أنثى؟ فيقضي ربُّك ما شاء ويكتبُ**

---

(١) أي للبخاري في صحيحه (١١/٤٧٧ رقم ٦٥٩٥)، ومسلم (٤/٢٠٣٨ رقم ٢٦٤٦).
(٢) في صحيحه (٤/٢٠٣٧ رقم ٢٦٤٥).

الملكُ، ثم يقول: يا ربِّ أجلُه؟ فيقول ربك ما شاء ويكتب المَلكُ، ثم يقول: يا رب ما رزقُه؟ فيقضي ربُّك ما شاء ويكتب الملك، ثم يخرج المَلكُ بالصحيفة في يده فلا يزيد على ما أُمر ولا يَنقُص».

وفي رواية له[1] من طريق أخرى: «**فيقول: يا ربِّ أذكرٌ أم أنثى؟ فيجعله اللَّهُ ذكراً أو أنثى. ثم يقول: يا ربِّ أسَوِيٌّ أو غيرُ سويّ؟ فيجعله الله تعالى سوياً أو غيرَ سويٍّ. ثم يقول: يا ربِّ ما رزقُه، ما أجلُه، ما خلقُه؟ ثم يجعله الله تعالى شقياً أو سعيداً**».

وفي رواية لأحمدَ[2]: «**فيقول: يا ربِّ ماذا؟ أشقيٌّ أم سعيدٌ؟ فيقول الله تبارك وتعالى فيُكتبان، فيقول: ماذا أذكرٌ أم أنثى؟ فيقول اللَّهُ عز وجل فيُكتبان. فيكتب عملَه وأثرَه ومصيبتَه ورزقَه، ثم تطوى الصحيفةُ فلا يُزاد على ما فيها ولا يُنقص**».

وله[3] عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا استقرت النطفةُ في الرحِم أربعين يوماً أو أربعين ليلةً بعث الله إليه ملكاً فيقول: يا ربِّ ما رزقُه؟ فيقال له. فيقول: يا ربِّ ما أجلُه؟ فيقال له. فيقول: يا ربِّ ذكرٌ أم أنثى؟ فيعلمه[4]. فيقول: يا ربِّ شقيٌّ أو سعيد؟ فيعلمه[4]**». تفرد به وإسنادُه حسن.

وله[5] عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسولَ الله ﷺ يقول: «**فرغَ اللَّهُ إلى كل عبد من خمس: من أجله ورزقِه وأثرِه وشقيٌّ أم سعيدٍ**». والأحاديث في ذلك كثيرٌ.

---

(١) في صحيحه (٤/ ٢٠٣٨ رقم ٤/ ٢٦٤٥).

(٢) في «المسند» (١/ ٣٧٥ و ٣٨٢) بسند صحيح.

(٣) أي لأحمد في مسنده (٣/ ٣٩٧) وفي سنده خُصيف بن عبد الرحمن الجزري، سيء الحفظ اختلط قبل موته، والخطاب بن القاسم اختلط قبل موته.
وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٩٢): «وفيه خصيف، وثقه ابن معين وجماعة وفيه خلاف، وبقية رجاله ثقات».
قلت: وأخرجه الطحاوي في «شرح مشكل الآثار» رقم (٢٦٦٥) و (٢٦٦٦) وابن بطة في «الإبانة» رقم (١٤٠٥) والفريابي في «القدر» رقم (١٤٣) وله شاهد من حديث حذيفة عند مسلم رقم (٢٦٤٥).
وخلاصة القول أن الحديث صحيح لغيره، والله أعلم.

(٤) كذا في «الأصل وفي «المسند» (فيعلم).

(٥) لأحمد في مسنده (٥/ ١٩٧) والبزار (٣/ ٢٤ رقم ٢١٥٢ ـ كشف). والطبراني في=

(فصل) **والرابعُ التقديرُ الحَوْليُّ في ليلة القدْر**، يقدّر فيها كلُ ما يكون في السنة إلى مثله.

قال الله تبارك وتعالى: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣ فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ ۝٤ أَمۡرٗا مِّنۡ عِندِنَآۚ إِنَّا كُنَّا مُرۡسِلِينَ ۝٥﴾ [الدخان]. الآيات.

قال مجاهدٌ[1] ليلةُ القدْرِ ليلةُ الحكْم، وقال سعيدُ بنُ جبيرٍ[2]: يُؤذَن للحجاج في ليلة القدْر فيُكتبون بأسمائِهم وأسماءِ آبائِهم فلا يغادر منهم أحدٌ ولا يزاد فيهم ولا يُنقص منهم.

وقال الحسنُ البصريُّ[3]: واللّهِ الذي لا إله إلا هو إنها لفي رمضان، وإنها لليلةُ القدرِ، يُفرق فيها كلُ أمرِ حكيم، فيها يقضي اللّهُ تعالى كلَّ أجلٍ وعملٍ ورزقٍ إلى مثلها.

وقال ابن عباس[4]: يُكتب من أم الكتابِ في ليلة القدر ما يكون في السنة من موت وحياةٍ ورزقٍ ومطرٍ، حتى الحجاجُ يقال: يحُجُّ فلانٌ ويحج فلان.

وقال مقاتل[5]: يقدر اللّهُ تعالى في ليلة القدرِ أمرَ السنةِ في بلاده وعبادِه إلى السنة القابلة، وقال أبو عبدِ الرحمنِ السّلميُّ[6]: يقدَّرُ أمرُ السنةِ كلِها في ليلةِ القدر، وذكر عن سعيد بنِ جبيرٍ[4] في هذه الآية: إنك ترى الرجلَ غشِيَ في الأسواق وقد وقع اسمُه في الموتى.

= «الكبير» كما في «المجمع» (٧/ ١٩٨) و «الأوسط» (٣/ ٢٧٢ رقم ٣١٢٠) وابن أبي عاصم في «السنة» رقم (٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٠٧، ٣٠٨). وابن حبان في «الإحسان» رقم (٦١٥٠). **وهو حديث صحيح.**

(١) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره رقم (٣٦٦٧).

(٢) انظر: «الدر المنثور» (٧/ ٣٩٩).

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٣/ ج٢٥/ ١٠٨) والسيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٤٠٠).

(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٣/ ج٢٥/ ١٠٩) والسيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٤٠٠) وقال: أخرجه عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم في تفسيره رقم (١٨٥٣٠) والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٤٤٩).
وقال الحاكم: **صحيح الإسناد ولم يخرجاه.**

(٥) لم أعثر على مصدره؟!

(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٣/ ج٢٥/ ١٠٨) والسيوطي في «الدر المنثور» =

ورُوى عن ابن عمرَ(١) ومجاهدٍ(٢) وأبي مالكٍ(٣) والضحاك: في ليلة القدر يُفصّل من اللوح المحفوظِ الكتبةَ أمرُ السنةِ وما يكون فيها من الآجال والأرزاقِ وما يكون فيها إلى آخرها.

والآثارُ في ذلك عن الصحابةِ وأئمةِ التفسيرِ من تابعيهم بإحسان كثيرةٌ مشهورةٌ.

(فصل) والخامسُ التقديرُ اليوميُّ وهو سَوقُ المقاديرِ إلى المواقيت التي قُدِّرت لها فيما سبق، قال الله تبارك وتعالى: ﴿يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩].

وروى ابنُ جرير(٤) رحمه الله تعالى عن منُيب بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ منيبِ الأزديِّ عن أبيه قال: «تلا رسولُ الله ﷺ هذه الآيةَ: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩]، فقلنا: يا رسولَ الله، وما ذاك الشأنُ؟ قال: **«أن يغفرَ ذنباً، ويفرِّجَ كَرباً، ويرفَع قوماً ويضعَ آخرين»**.

وروى ابنُ أبي حاتم(٥) عن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **قال اللَّهُ عز**

= (١٣/ ٤٠٠) وعزاه إلى عبد بن حميد ومحمد بن نصر وابن جرير والبيهقي.

(١) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره رقم (١٨٥٢٨). والسيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٣٩٩).

(٢) ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٣٩٩ ـ ٤٠٠).

(٣) أخرجه ابن جرير الطبري في «جامع البيان» (١٣/ج٢٥/ ١٠٨).
قلت: وعزاه الحافظ في «الفتح» (٤/ ٢٥٥) إلى عبد الرزاق وغيره من المفسرين **بأسانيد صحيحة**.

(٤) في «جامع البيان» (١٣/ج٢٧/ ١٣٥).
قلت: وأخرجه البزار (٣/ ٧٣ رقم ٢٢٦٦ ـ كشف). وابن حجر في «الإصابة» (٤/ ٢١١ رقم ٤٩٩٩).
وقال ابن منده: **غريب جداً**. وقال ابن عبد البر: أخشى أن يكون حديثه مرسلاً. وتعقبه ابن حجر فقال: رواية الحسن المذكورة دالةٌ على اتصال حديثه.
وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١١٧): رواه الطبراني في «الكبير» و «الأوسط» وفيه من لم أعرفهم.
قلت: وفيه أيضاً ـ عمرو بن بكر السكسكي ـ وهو متروك كما في «التقريب» رقم (٤٩٩٣).

(٥) في تفسيره رقم (١٨٧٣٧).

وجل: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩]. **قال: «مِن شأنِه أن يغفرَ ذنباً، ويفرّج كرباً، ويرفعَ قوماً ويضَعَ آخرين»**. وعلّقه البخاريُّ[١] موقوفاً.

وروى البزارُ[٢] عن ابن عمرَ رضي الله عنه عن النبي ﷺ: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩]، قال: **«يغفرُ ذنباً ويكشِفُ كرباً»**.

وله[٣] هو وابنُ جريرٍ[٤] عن ابن عباس رضي الله عنهما: إن اللّهَ خلقَ لوْحاً محفوظاً من دُرّة بيضاءَ، دُفّتاه ياقوتةٌ حمراءُ قلمُه نورٌ وكتابُه نورٌ، وعَرضُه ما بين السّماء والأرضِ، ينظر فيه كلَّ يوم ثلاثمائةٍ وستين نظرةً، يخلُق في كل نظرةٍ ويُحيي ويُميتُ، ويُعزُّ ويُذِلّ، ويفعل ما يشاء.

وروى ابنُ أبي حاتم[٥] عن سويدِ بنِ جَبَلَةَ الفزاريِّ قال: إن رَبكم كلَّ يوم هو في شأن فيُعتِق رقاباً، ويُعطي رغاباً، ويُقحم عقاباً.

---

(١) في صحيحه (٨/ ٦٢٣).

(٢) (٣/ ٧٤ رقم ٢٢٦٧ ـ كشف).
قلت: وأخرجه ابن ماجه رقم (٢٠٢) وابن أبي عاصم رقم (٣٠١).
وقال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (ص١٢): هذا إسناد حسن لتقاصر الوزير عن درجة الحفظ والإتقان... ثم نقل ما تقدم، وقال: «روى البخاري هذا الحديث (٨/ ٦٢٣) تعليقاً في تفسير سورة الرحمن....
قال الحافظ ابن حجر: وصله المصنف في «التاريخ»، وابن حبان في «الصحيح» وابن ماجه وابن أبي عاصم والطبراني عن أبي الدرداء مرفوعاً. وأخرجه البيهقي في «الشعب» من طريق أم الدرداء عن أبي الدرداء موقوفاً ونسبه البوصيري إلى أبي يعلى حدثنا ابن أبان الكوفي، حدثنا إسحاق بن سليمان، عن معاوية بن يحيى، عن يونس بن ميسرة، عن أبي إدريس الخولاني عن أبي الدرداء موقوفاً...
وللمرفوع شاهد آخر، عن ابن عمر أخرجه البزار رقم (٢٢٦٨) وفي سنده عبد الرحمن البيلماني، قال في «التقريب» ضعيف واتهمه ابن عدي...».
وخلاصة القول أن الحديث حسن.

(٣) لم أجدهُ في «كشف الأستار»، ولا في مسند البزار لأن مسند ابن عباس لم يطبع بعد.

(٤) في «جامع البيان» (١٣/ ج٢٧/ ١٣٥).
قلت: وذكره البغوي في «معالم التنزيل» (٧/ ٤٤٦) والسيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٦٩٩) وعزاه لابن المنذر والطبراني وأبي الشيخ في «العظمة» وابن مردويه وأبي نعيم في «الحلية» والبيهقي في «الأسماء والصفات».

(٥) في تفسيره رقم (١٨٧٣٦).

وقال الأعمشُ[1] عن مجاهد عن عُبيد بن عمير: ﴿كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩]. قال: من شأنه أن يجيب داعياً، أو يعطي سائلاً، أو يفُكَّ عانياً، أو يشفي سقيماً.

وقال ابنُ نجيحٍ[2] عن مجاهد قال: كلَّ يوم هو يجيب داعياً، ويكشِف كرباً، ويجيب مضطراً، ويغفر ذنباً.

وقال قتادةُ[3]: لا يستغني عنه أهلُ السمواتِ والأرضِ، يُحيي حياً ويميت ميتاً، ويربّي صغيراً ويفُكّ أسيراً، وهو منتهى حاجات الصالحين وصريخُهم، ومنتهى شكواهم.

وقال الحسينُ بنُ فضل[4]: هو سَوقُ المقاديرِ إلى المواقيت. وقال أبو سليمانَ الدارنيُّ[5] في هذه الآية: كلَّ يوم له إلى العبيد برٌّ جديدٌ. وذكر البغويُّ[6] رحمه الله تعالى قولَ المفسرين: من شأنه أن يُحييَ ويُميتَ، ويخلقَ ويرزُقَ، ويُعزَّ قوماً، ويُذِلّ قوماً، ويشفي مريضاً ويفُك عانياً، ويفرّج مكروباً، ويجيب داعياً، ويعطي سائلاً، ويغفر ذنباً، إلى ما لا يُحصى من أفعاله وإحداثِه في خلقه ما يشاء.

وجملةُ القولِ في ذلك أن التقديرَ اليوميَّ هو تأويل المقدورِ على العبد وإنفاذُه فيه، في الوقت الذي سبق أنه ينالُه فيه، لا يتقدمه ولا يتأخره.

كما أن في الآخرة يأتي تأويلُ الجزاء الموعودِ إن خيراً فخيرٌ وإن شراً فشرٌّ، ولكل نبأٍ مستقرٌ وسوف تعلمون.

ولهذا قال سفيانُ بن عُيينة فيما ذكره البغويُّ[7] رحمه الله تعالى: الدهرُ كلُه عند الله يومان: أحدُهما مدةُ أيام الدنيا، والآخرُ يومُ القيامة، فالشأنُ الذي هو فيه

---

(١) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٣/ج٢٧/ ١٣٥).
(٢) أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره (١٣/ج٢٧/ ١٣٥).
(٣) أخرجه عبد بن حميد وابن جرير كما في «الدر المنثور» (٧/ ٧٠٠).
(٤) ذكره البغوي في «معالم التنزيل» (٤/ ٤٤٧) وابن الجوزي في «زاد المسير» (٨/ ١١٤).
(٥) لم أعثر على مصدر له.
(٦) ذكره البغوي في معالم التنزيل (٧/ ٤٤٦).
(٧) في «معالم التنزيل» (٧/ ٤٤٦).

اليومُ الذي هو مدةُ الدنيا الاختبارُ بالأمر والنهي والإحياءِ والإماتةِ والإعطاءِ والمنع يعني وغيرَ ذلك، وشأن يومُ القيامةِ الجزاءُ والحسابُ والعقابُ اهـ.

ثم هذا التقديرُ اليومي تفصيلٌ من التقدير الحوليّ، والحوليُّ تفصيلٌ من التقدير العُمريِّ عند تخليقِ النطفةِ، والعُمريُّ تفصيلٌ من التقدير العمريِّ الأولِ يوم الميثاقِ، وهو تفصيلٌ من التقدير الأزليِّ الذي خطه القلمُ في الإمام المبين.

والإمامُ المبينُ هو من علم اللَّهِ عز وجل، وكذلك منتهى المقاديرِ في آخريتها إلى علم الله عز وجل، فانتهت الأوائلُ إلى أوَّليته وانتهت الأواخرُ إلى آخريّته: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ [النجم: ٤٢].

(فصل) والمرتبةُ الثالثةُ من مراتب الإيمانِ بالقدر، الإيمانُ بمشيئة اللَّهِ النافذةِ وقُدرتِهِ الشاملة، وهما يجتمعان فيما كان وما سيكون، ويفترقان فيما لم يكن ولا هو كائنٌ.

فما شاء اللَّهُ تعالى كونَه فهو كائنٌ بقدرته لا محالة: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢].

وما لم يشأ اللَّهُ تعالى لم يكن لعدم مشيئةِ اللَّهِ تعالى إياه ليس لعدم قدرته عليه ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ [الأنعام: ٣٥]. ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ [هود: ١١٨]. ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا﴾ [يونس: ٩٩]. ﴿أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [الرعد: ٣١]. ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟﴾ [البقرة: ٢٥٣]. ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [السجدة: ١٣].

فالسببُ في عدم وجودِ الشيء هو عدم مشيئةِ اللَّهِ تعالى إيجادَه، لا أنه عجز عنه، تعالى الله وتقدس وتنزه عن ذلك: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾ [فاطر: ٤٤].

(فصل) والمرتبةُ الرابعةُ مرتبة الخلقِ، وهو الإيمانُ بأن الله سبحانه وتعالى خالقُ كلِّ شيءٍ، فهو خالقُ كلِّ عاملٍ وعملِه، وكلِّ متحركٍ وحركتِه، وكلِّ ساكنٍ وسكونِه، وما من ذرة في السموات ولا في الأرض إلا واللَّهُ سبحانه وتعالى خالِقُها وخالقُ حركتِها وسكونِها، سبحانَه لا خالقَ غيرُه ولا ربَّ سواهُ.

وهاتان المرتبتان قد تقدم بسطُ الكلامِ عليهما في توحيد المعرفةِ والإثباتِ بما أغنى عن إعادته، ولله الحمدُ والمنةُ وبه التوفيقُ والعصمَةُ.

(فصل) وللعباد قدرةٌ على أعمالِهم ولهم مشيئةٌ، واللَّهُ تعالى خالقُهم وخالقُ قدرتِهم ومشيئتِهم وأقوالِهم وأعمالِهم، وهو تعالى الذي منحهم إياها وأقدرهم عليها وجعلها قائمةً بهم مضافةً إليهم حقيقةً، وبحسَبها كُلِّفوا وعليها يثابون ويعاقبون، ولم يكلفهم اللَّهُ تعالى إلا وُسْعَهم، ولم يحمِّلْهم إلا طاقَتهم.

وقد أثبت اللَّهُ تعالى ذلك لهم في الكتابِ والسنةِ، ووصفهم به، ثم أخبر تعالى أنهم لا يقدرون إلا على ما أقدرهم اللَّهُ تعالى عليه، ولا يشاءون إلا أن يشاءَ اللَّهُ عز وجل، ولا يفعلون إلا بجعله إياهم فاعلين، كما جمع تعالى بين ذلك في غيرِ ما موضع من كتابِه، كقوله عز وجل: ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِىۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٨]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾﴾ [الإنسان].

وقوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [التكوير]. وقوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْۗ﴾ [البقرة: ٢٨٦] الآية. وقال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَاۚ﴾ [الطلاق: ٧]. وقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الزخرف: ٧٢] أي بسببه. وقال تعالى: ﴿وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٤].

وقال النبيُّ ﷺ: «**الحمدُ للهِ، نحمَده ونستعينُه ونستهديه ونستغفره ونتوبُ إليهِ، ونعوذُ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئاتِ أعمالنا، من يهد اللَّهُ فلا مُضلَّ له، ومن يضللْ فلا هاديَ له**»[1].

وقال البخاريُّ[2] رحمه الله تعالى في باب: ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا

(١) تقدم تخريجه في مقدمة المحقق في المجلد الأول.
وهو حديث صحيح.

(٢) في صحيحه (١١/ ٥١٥ ـ ٥١٦ رقم ٦٦٣٠).

ٱللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣]، ﴿لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الزمر: ٥٧]:

حدثنا أبو النُعمان أخبرنا جريرٌ ـ هو ابنُ حازم ـ عن أبي إسحاق عن البراء بنِ عازبٍ رضي الله عنه قال: رأيتُ النبيَّ ﷺ يوم الخندقِ ينقُل معنا الترابَ وهو يقول: **«واللّهِ لولا اللّهُ ما اهتدَينا، ولا صُمنا ولا صلَّينا، فأنزلن سكينةً علينا، وثبِّت الأقدامَ إن لاقَينا، والمشركون قد بغَوا علينا، إذا أرادوا فتنةً أبينا»**.

وقال ﷺ في الحمر: **«ما أنزل اللّهُ عليَّ فيها شيئاً إلا هذه الآيةَ الجامعة الـفـاذَّة**: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝﴾ [الزلزلة][1]. وغيرُ ذلك ما لا يُحصى.

وقد تقدم منها جملةٌ وافيةٌ في إثبات الإرادةِ والمشيئةِ والخلقِ، فكما لم يوجِد العبادُ أنفسَهم لم يوجِدوا أفعالَهم، فقدرتُهم وإرادتُهم ومشيئتُهم وأفعالُهم، تبعٌ لقدرةِ اللّهِ سبحانه وإرادتِهِ ومشيئتِهِ وأفعالِهِ، إذ هو تعالى خالِقُهم وخالقُ قدرتِهم ومشيئتِهم وإرادتِهم وأفعالِهم، وليس مشيئتُهم وإرادتُهم وقدرتُهم وأفعالُهم هي عين مشيئةِ اللّهِ تعالى وإرادتِه وقدرتِه وفعلِه، كما ليسوا هم إياه، تعالى اللّهُ عن ذلك، بل أفعالُهم المخلوقةُ لله قائمةٌ بهم لائقةٌ بهم مضافةٌ إليهم حقيقةً، وهي من آثار أفعال الله تعالى القائمة به، اللائقة به، المضافة إليه حقيقة، فالله فاعلٌ حقيقةً والعبدُ مُنفعلٌ حقيقةً، واللّهُ تعالى هادٍ حقيقةً، والعبدُ مهْتدٍ حقيقةً، ولهذا أضاف تعالى كُلًّا من الفعلين إلى من قام به، فقال عز وجل: ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ﴾ [الكهف: ١٧].

فإضافةُ الهدايةِ إلى اللّهِ تعالى حقيقةٌ، وإضافةُ الاهتداء إلى العبد حقيقةٌ، وكما أن الهاديَ تعالى ليس هو عينَ المهتدي، فكذلك ليست الهدايةُ هي عينَ الاهتداءَ، وكذلك يُضِلُّ الله تعالى من يشاء حقيقةً، وذلك العبدُ يكون ضالاً حقيقةً، وهو سبحانه وتعالى خالقُ المؤمن وإيمانِه، والكافرِ وكفرِه، كما قال جل وعلا: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [التغابن: ٢].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (١٣/٣٢٩ ـ ٣٣٠ رقم ٣٧٥٦). ومسلم في صحيحه (٢/ ٦٨٠ ـ ٦٨٢ رقم ٢٤/ ٩٨٧).

أي هو الخالقُ لكم على هذه الصفةِ وأراد منكم ذلك كَوناً لا شرعاً، فلا بد من وجود مؤمنٍ وكافر، وهو البصيرُ بمن يستحق الهدايةَ ممن يستحق الضلالَ، وهو شهيدٌ على أعمال عبادِه، وسيجزيهم بها أتمَّ الجزاء، ولهذا قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [التغابن: ٢].

فأضاف اللَّهُ تعالى الخلْقَ الذي هو فعلُه القائمُ به إليه حقيقةً، وأضاف الإيمانَ والكفرَ الذي هو عملُهم القائمُ بهم إليهم حقيقةً، واللَّهُ تبارك وتعالى هو الذي جعلهم كذلك، وهم فعلوه باختيارهم وقدرتِهم ومشيئتِهم التي منحهم الله إياها وخلقها فيهم وأمرَهم ونهاهم بحسبها.

[مذهب الجهمية[1] والمعتزلة[2] في إنكار القدر]

والمقصودُ أن اللَّهَ سبحانه في جميع تصرفاتِه في عباده فاعلٌ حقيقةً، والعبدُ منفعلٌ حقيقة، فمن أضاف الفعلَ والانفعالَ كليهما إلى المخلوق كفَرَ، ومن أضافهما كليهما إلى الله تعالى كفر.

ومن أضافَ الفعلَ إلى اللَّهَ تعالى حقيقةً والانفعالَ إلى المخلوق حقيقةً كما أضافهما اللَّهُ تعالى فهو المؤمنُ حقيقةً. فالأول قولُ القدَرية[3] النفاقِ، وأولُ من أحدثه في هذه الأمة مَعبدٌ الجهنيُّ في آخر عصْرِ الصحابةِ كما قدَّمنا عن يحيى بنِ يَعْمَرَ في سياق حديثِ جبريلِ السابقِ في سؤاله النبيَّ ﷺ عن الدين، وأنكر عليه ذلك بقيةُ الصحابة وأئمةُ التابعين، وتبرأوا من هذا الاعتقادِ وكفَّروا مُنتحِلَه ونفَوا عنه الإيمانَ، وأوصى بعضُهم بعضاً بمجانبته والفرارِ من مجالسته.

ثم تقلد عنه ذلك المذهبَ الفاسدَ والسنةَ السيئةَ التي انتحلَها هو رؤوسُ المعتزلةِ وأئمتُهم المُضِلّون كواصل بنِ عطاءِ الغزّالِ، وعمْرِو بنِ عُبيد ومن في معناهم وعلى طريقتِهم حتى بالغ بعضُهم فأنكر علمَ الله تعالى وأنكرَ كتابةَ المقاديرِ السابقةِ، وجعَل العبادَ هم الخالقين لأفعالِهم، ولهذا كانوا هم مَجوسَ هذه الأمةِ.

---

(١) تقدم التعريف بها.

(٢) تقدم التعريف بها.

(٣) تقدم التعريف بهم.

فأما واصلُ بنُ عطاءٍ[1] فقال فيه أبو الفتح الأزديُّ[2] رجلُ سوءٍ كافرٌ، قال الذهبي: كان من أجلاد المعتزلة، وُلد سنةَ ثمانينَ بالمدينة، ومما قيل فيه:

ويجعل البُرَّ قمحاً في تصرّفه ... وخالف الراءَ حتى احتال للشَّعر
ولم يُطقْ مطراً [في القول يجعله][3] ... فعاذَ بالغيث إشفاقاً من المطر

وكان يتوقف في عدالة أهلِ الجمَلِ ويقول: إحدى الطائفتين فسَقَتْ لا بعينها، فلو شهدتْ عندي عائشةُ وعليٌّ وطلحةُ على باقة بقْلٍ لم أحكُم بشهادتهم. هلك سنةَ إحدى وثلاثين ومائة.

وأما عمْرُو بنُ عُبيد[4] فهو ابنُ ثوبانَ ـ ويُقال ابنُ كيسانَ ـ التيميُّ مولاهم أبو عثمانَ البصريّ من أبناء فارسَ، قال ابنُ كثير: هو شيخُ القدرية والمعتزلة، روى الحديثَ عن الحسن البصري وعُبيد اللَّهِ بنِ أنسٍ وأبي العالية وأبي قُلابةَ، وعنه الحمّادانِ، وسفيانُ بنُ عُيينةَ والأعمشُ، وكان من أقرانِه، وعبدُ الوارث بنُ سعيدٍ وهارونَ بنُ موسى، ويحيى القطّانُ، ويزيد بن زُريع، قال الإمامُ أحمدُ[5]: ليس بأهل أن يُحدَّثَ عنه.

وقال عليُّ بنُ المدينيِّ ويحيى بنُ معين: ليس بشيء. وزاد ابنُ مَعينٍ: وكان رجلَ سوءٍ وكان من الدهرية الذين يقولون إنما الناسُ مثلُ الزرع.

---

(١) وهو واصل بن عطاء البصريُّ، الغزّال المتكلم البليغ المتشدّق، الذي كان يلثغ بالراء. فلبلاغته هجر الراء وتجنّبها في خطابه. سمع من الحسن البصري وغيره.
كان من أجلاد المعتزلة، وُلد سنة ثمانين بالمدينة.
له من التصانيف: كتاب «أصناف المرجئة» وكتاب «التوبة» وكتاب «معاني القرآن». مات سنة إحدى وثلاثين ومائة.
انظر: «الميزان» [٧/١١٨ ـ ١١٩ رقم ٩٣٣٣/٩٠٥٨].

(٢) ذكر ذلك الذهبي في «الميزان» (٧/١١٨).

(٣) وصوابه [في القول يُعجلُه] ولا معنى ليجعله لأن واصلاً كان ألثغ بحرف الراء، ويخطب دون أن يأتي بحرف الراء.

(٤) انظر ترجمته في: «ميزان الاعتدال» (٥/٣٢٩ رقم ٦٤١٠/٤٢٧٩) «وتهذيب التهذيب» (٣/٢٨٨ ـ ٢٩٠).

(٥) في «بحر الدم» (ص٣٢١ رقم ٧٦٥).

وقال الفلاسُ[1]: متروكٌ صاحبُ بدعة، كان يحيى القطان يحدثنا عنه ثم تركه. وكان ابنُ مهديٍّ لا يحدّث عنه، وقال أبو حاتم[2]: متروكٌ، وقال النسائيُّ[3]: ليس بثقة، وقال شُعبةُ عن يونسَ بنِ عُبيدٍ: كان عَمْرُو بنُ عُبيدٍ يكذب في الحديث.

وقال حمادُ بنُ سلمةَ[4] قال لي حُميدٌ: لا تأخذْ عنه فإنه كان يكذب على الحسن البصْري.

وكذا قال أيوبُ[4] وعَوفُ بنُ عَونٍ، وقال أيوبُ[4]: ما كنت أعُدُّ له عقلاً، وقال مطرٌ الورّاق: واللَّهِ لا أصدّقه في شيء، وقال ابنُ المبارك: إنما تركوا حديثَه لأنه كان يدعو إلى القدَر.

وقد ضعّفه غيرُ واحدٍ من أئمةِ الجرحِ والتعديلِ، وأثنى عليه آخرون في عبادتِه وزهدِه وتقشُّفه، قال الحسن البصْريُّ: هذا سيدُ شبَابِ القرّاء ما لم يُحْدِثْ، قالوا: فأحدث واللَّهِ أشدَّ الحدثِ.

وقال ابنُ حبانَ[5]: كان من أهلِ الورعِ والعبادةِ إلى أن أحدَث ما أحدَث، واعتزل مجلسَ الحسنِ هو وجماعةٌ معه فسُمُّوا المعتزلةَ.

وكان يشتم الصحابةَ ويكذِب في الحديث وهماً لا تعمداً. وقد رُويَ عنه[6] أنه قال: إن كانت ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ﴾ [المسد: ١] في اللوح المحفوظِ فما تُعدُّ منه على ابن آدمَ حجةٌ.

ورُويَ له حديثُ ابنِ مسعودٍ: حدثنا الصادقُ المصدوقُ: **«إنَّ خلْقَ أحدِكم يُجمع في بطن أمّه أربعين يوماً ـ حتى قال ـ فيؤمر بأربع كلماتٍ: رزقُه وأجلُه**

---

(١) ذكره الذهبي في «ميزان الاعتدال» (٥/ ٣٣١).

(٢) في «الجرح والتعديل» (٦/ ٣٤٦ رقم ١٣٦٥).

(٣) في «الضعفاء والمتروكين» (ص١٩٢ رقم ٥٠١).

(٤) انظر: «تهذيب التهذيب» (٣/ ٢٨٨).

(٥) في «المجروحين» (٢/ ٦٩).

(٦) انظر: «ميزان الاعتدال» (٥/ ٣٣٢).

وعملُه وشقيٌ أو سعيدٌ»[1] إلى آخره، فقال: لو سمعتُ الأعمشَ يرويه لكذَّبته، ولو سمعتُه من زيد بنِ وهْب لما أحببتُه، ولو سمعتُه من ابن مسعودٍ لما قبلتُه، ولو سمعتُه من رسولِ الله ﷺ لردَدْتُه: ولو سمعتُ اللَّهَ يقول هذا لقلتُ: ما على هذا أخذتَ علينا الميثاقَ.

وهذا من أقبحِ الكفرِ، لعنه اللَّهُ إن كان قال هذا، وإذا كان مكذوباً عليه فعلى من كذبه عليه ما يستحقّه. وقد قال عبدُ اللَّهِ بنُ المباركِ[2] رحمه الله تعالى:

أيها الطالبُ علما ... إئتِ حمادَ بنَ زيدِ
فخُذ العلمَ بحِلم ... ثمَّ قيِّدهُ بقيدِ
وذرِ البِدعةَ من آثـ ... ـار عمْرِو بنِ عبيدِ

وقال ابنُ عديٍّ[3]: كان عمْرٌو يغُرّ الناسَ بتقشّفه، وهو مذمومٌ ضعيفُ الحديثِ جداً مُعلنٌ بالبدع.

وقال الدارقطنيُّ[4]: ضعيفُ الحديثِ. وقال الخطيبُ البغداديُّ[5]: جالس الحسنَ واشتهر بصحبتِه، ثم أزاله واصلُ بنُ عطاءٍ عن مذهب أهلِ السنة وقال بالقدَر ودعا إليه واعتزل أصحابَ الحديثِ رحمهم الله تعالى.

ثم توارثت القدريةُ هذا المذهبَ الفاسدَ بعد هؤلاء وتواصوا به، ثم منهم من نفى علمَ اللَّهِ تعالى كأولِّيهم، ففيهم من نفى علمَه بالكليات والجُزئيات، ومنهم من أثبتَ العلمَ بالكليات دون الجزئياتِ، ثم افترقوا في أفعالِ اللَّهِ كما افترقوا في علمه.

ففرقةٌ قالت: كلُ أفعالِ العبادِ ليست مقدورةً لله ولا مخلوقةً له، لا خيرُها ولا شرُها.

والأخرى قالت: الخيرُ من أفعالهم مخلوقٌ له تعالى ومقدورٌ له، وأما الشرُّ

---

(١) تقدم تخريجه.
(٢) ذكره ابن عدي في «الكامل» (٥/ ١٧٥٣).
(٣) في «الكامل» (٥/ ١٧٦٣).
(٤) ذكر ذلك الذهبي في «الميزان» (٥/ ٣٣٠).
(٥) في «تاريخ بغداد» (١٢/ ١٦٦ رقم ١٦٥٢).

فليس عندهم مخلوقاً لله ولا مقدوراً له. فأثبتوا نصفَ القدَرِ ونفَوا نصفَه، وأثبتوا خالقَين. فهم في الحقيقة مجوسٌ ثِنْويةٌ، بل أعظم منهم، فإن الثِنويةَ أثبتوا خالقَين للكون كلِّه وهؤلاء أثبتوا خالقَين لكل فردٍ من الأفراد ولكل فعلٍ من الأفعال، بل جعلوا المخلوقين كلَّهم خالِقين.

ولولا تناقضُهم لكانوا أكفرَ من المجوس، فإن اطرادَ قولِهم ولازمَه وحاصلَه هو إخراجُ أفعالِ العبادِ عن خلقِ اللَّهِ عز وجل وملكِه وأنها ليست داخلةً في ربوبيته عز وجل، وأنه يكون في ملكه ما لا يريد، ويريد ما لا يكون، وأنهم أغنياء عن الله عز وجل فلا يستعينون على طاعته ولا تركِ معصيتِه، ولا يعوذون به من شرور أنفسِهم ولا سيئاتِ أعمالِهم، ولا يستهدونه الصراطَ المستقيم.

فقولُ إياك نعبد وإياك نستعين، وقولُ لا حولَ ولا قوة إلا بالله لا معنى له عندهم، وربما استنكروه، كما جحدوا قولَه تعالى: ﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام: ٣٩].

هذا مع إنكاره علمَ اللَّهِ عز وجل وقدرتَه ومشيئتَه وإرادتَه، وغيرَ ذلك من صفاتِه، تبارك وتعالى عما يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيراً.

[مذهب الجبرية في إضافة الفعل والانفعال إلى الله]

(فصل) والقولُ الثاني وهو إضافةُ الفعلِ والانفعالِ كليهما إلى الله عز وجل هو قولُ الجبريةِ الغُلاةِ الجُفاةِ الذين يقولون: إن العبدَ مجبورٌ على أفعاله مقسورٌ عليها كالسَّعفَة يحركها الريحُ العاصفُ، وكالهاوي من أعلى إلى أسفلَ.

وأن تكليف اللَّهِ سبحانه وتعالى عبادَه ـ من أمْرِهم بالطاعات ونهْيِهم عن المعاصي ـ كتكليف الحيوانِ البهيم بالطيرانِ، وتكليفِ المُقعدِ بالمشي، وتكليفِ الأعمى بنقْط الكتاب، وأن تعذيبَه إياهم على معصيتهم إياه هو تعذيبٌ لهم على فعله لا على أفعالهم، وأن ذلك كتعذيب الطويلِ لِمَ لم يكن قصيراً، والقصيرِ لمَ لمْ يكن طويلاً، والأسودِ لم لمْ يكن أبيضَ، والأبيضِ لمَ لمْ يكن أسودَ.

فسلبوا العبدَ قدرتَه واختيارَه، وأخرجوا عن أفعال اللَّهِ تعالى وأحكامه حكمَها ومصالحَها، ونفوا عن الله تعالى حِكمتَه البالغةَ، وجحدوا حجّتَه الدامغة، وأثبتوا

عليه تعالى الحجةَ لعباده، ونسبوه تعالى إلى الظلم وطعنوا في عدلِه وشرعِه، فلا قيامَ عندهم لسوق الجهادِ، ولا معنى لإقامةِ الحدودِ ولا للثواب والعقاب، بل ولا لإرسال الرسلِ والكتبِ إلا التكليفَ في غيرِ وُسْعٍ وتحميل ما لا يُطاق، والظلمَ الذي حرمه اللَّهُ تعالى على نفسه، وجعله بين عبادِه محرماً.

فأقاموا عذرَ إبليسَ اللعينَ وعذرَ فرعونَ وهامانَ وقارون وسائِر الأممِ العصاةِ الممقوتين المقبوحين المغضوبِ عليهم، المخسوفِ بهم المُعدَّةِ لهم جهنم وساءت مصيراً، وأن غضبَ الله عليهم ولعنه وعقابه إياهم على فعله لا على أفعالِهم، بل قالوا: إنه عاقبَهم ومقَتهم على طاعتِهم إياه، لأنهم إن كانوا خالفوا شرعَه فقد أطاعوا إرادتَه ومشيئتَه. هذا معنى إثبات القدَرِ عند هذه الفرقةِ الإبليسيةِ.

وقد ذكر ابنُ القيم[1] رحمه الله تعالى كثيراً من عباراتهم التي لا يستطيع المؤمنُ حكايتَها لولا أن اللَّهَ تعالى حكى في كتابه أقوالَ الكفارِ قبحهم الله. فمن ذلك قولِ بعضهم:

ألقاه في اليم مكتوفاً وقال له	إياك إياك أن تبتلَّ بالماء

وقولُ آخر قبَّحه الله:

دعاني وسدَّ البابَ عني فهل إلى	دخولي سبيلٌ؟ بيِّنوا لي قضيتي

وقولُ كافرٍ آخر فضّ الله فاه.

وضعوا اللحمَ للبُزا	ةِ على ذُروتي عدَنْ
ثم لاموا البُزاةَ إذ	خلعوا عنهم الرسَنْ
لو أرادوا صيانتي	ستروا وجهَكِ الحسَنْ. اهـ

وقالَ بعضُهم وقد ذُكر له من يُخاف إفسادُه فقال: لي خمسُ بناتٍ لا أخاف على إفسادهن غيرَه.

وصعِد رجلٌ يوماً على سطح دارٍ له فأشرفَ على غلام له يفجُر بجاريته فنزل وأخذهما ليُعاقبَهما، فقال الغلام: إن القضاءَ والقدرَ لم يدَعانا حتى فعلنا ذلك، فقال: لَعِلمُك بالقضاء والقدرِ أحبُّ إليّ من كل شيءٍ، أنت حرٌ لوجه اللَّهِ.

---

(١) في كتابه «طريق الهجرتين» (ص١٥٢ ـ ١٥٦).

ورأى آخرَ يفجرُ بامرأتِه فبادر ليأخذَه فهرب فأقبلَ يضرب المرأةَ وهي تقول: القضاءُ والقدرُ، فقال: يا عدوةَ اللَّهِ أتزنين وتعتذرين بمثل هذا؟ فقالت: أوَّهْ تركتَ السنةَ وأخذتَ بمذهب ابنِ عباس. فتنبه ورمى بالسوط من يده واعتذر إليها وقال: لولاكِ لضلَلْتُ.

ورأى آخرُ رجلًا يفجر بامرأته فقال: ما هذا؟ فقالت: هذا قضاءُ اللَّهِ وقدَرُه، فقال: الخِيرَةُ فيما قضى الله. فلُقِّبَ بالخِيرةِ فيما قضى الله، وكان إذا دُعي به غضب.

وقيل لبعض هؤلاء: أليس هو يقول ولا يَرْضىٰ لعبادِه الكفرَ؟ فقال: دعْنا من هذا، رضِيَه وأحبه وأراده، وما أفسدنا غيرُه. ولقد بالغ بعضُهم في ذلك حتى قال: القدرُ عذرٌ لجميعِ العصاةِ، وإنما مَثلُنا في ذلك كما قيل:

إذا مرضنا أتيناكم نعودُكمُ وتُذنبون فنأتيكم فنعتذِرُ

وبلغَ بعضَ هؤلاء أن علياً مرَّ بقتلى النهْروان فقال: بؤساً لكم، لقد ضرّكم من غرّكم. فقيل: من غرّهم؟ فقال: الشيطانُ والنفسُ الأمارةُ بالسوء والأمانيُّ. فقال هذا القائلُ: كان عليٌّ قدرياً، وإلا فاللَّهُ غرَّهم وفعل بهم ما فعل وأوردهم تلك المواردَ.

واجتمعَ جماعةٌ من هؤلاء يوماً فتذاكروا القدرَ، فجرى ذكرُ الهُدهدِ وقولِه: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [النمل: ٢٤]، فقال: كان الهُدهدُ قدرياً، أضافَ العملَ إليهم والتزيينَ إلى الشيطان، وجميعُ ذلك فعلُ الله.

وسُئل بعضُ هؤلاء عن قول اللَّهِ تعالى لإبليسَ: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: ٧٥]، أيمنعه ثم يسأله ما منعه؟ قال: نعم قضى عليه في السر ما منعه في العلانية ولعنه عليه.

قال له: فما معنى قوله عز وجل: ﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ﴾ [النساء: ٣٩] إذا كان هو الذي منعهم؟ قال: استهزاءً بهم. قال: فما معنى قولِه: ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ﴾؟ [النساء: ١٧٤]

قال: فعل ذلك بهم من غير ذنبٍ جنوه بل ابتدأهم بالكفر ثم عذبهم عليه وليس للآية معنى.

وقال بعضُ هؤلاء وقد عوتِب على ارتكابه معاصيَ اللَّهِ فقال: إن كنتُ عاصياً لأمره فأنا مطيعٌ لإرادتِه. وجرى عند بعضِ هؤلاء ذكرُ إبليسَ وإبائِه وامتناعِه من السجود لآدم، فأخذ الجماعة يلعنونه ويذمونه فقال: إلى متى هذا اللومُ؟ لو خُلِّيَ لسجدَ، ولكن مُنع. وأخذ يقيمُ عُذره. فقال بعضُ الحاضرين: تباً لك سائرَ اليوم، أتذُبُّ عن الشيطان وتلومُ الرحمنَ؟

وجاء جماعةٌ إلى منزل رجلٍ من هؤلاء فلم يجدوه، فلما رجع قال: كنتُ أصلحُ بين قوم. فقيل له: وأصلحت بينهم؟ قال: أصلحتُ إن لم يُفسِدِ اللَّهُ. فقيل له: بؤساً لك أتُحسِنُ الثناءَ على نفسك وتُسيءُ الثناءَ على ربك.

ومُرَّ بلصٍّ مقطوعِ اليدِ على بعض هؤلاء فقال: مسكينٌ مظلومٌ أجبره على السرقة ثم قطعَ يدَه عليها، وقيل لبعضهم: أترى اللَّهَ كلّف عبادَه ما لا يطيقون ثم يعذبهم عليه؟ قال: واللَّهِ قد فعلَ ذلك، ولكن لا نجسُر أن نتكلم.

وقال بعضُ هؤلاء: ذنبةٌ أُذنِبُها أحبُّ إليَّ من عبادةِ الملائكةِ. قيل: ولم؟ قال: لعلمي بأن الله قضاها عليَّ وقدَّرها، ولم يقضِها إلا والخِيرةُ لي فيها، وقال بعضُ هؤلاء: العارفُ لا يُنكرُ مُنكراً لاستبصارِه بسر اللَّهِ في القدر.

قال: وسمعتُ شيخَ الإسلامِ ابن تيميةَ رحمه الله يقول: عاتبْتُ بعضَ شيوخ هؤلاء، فقال لي: المحبةُ نارٌ تُحرِق من القلب ما سوى مُرادِ المحبوبِ، والكونُ كلُه مرادُه، فأيَّ شيءٍ أُبغِضُ منه؟ قال: فقلتُ له: إذا كان المحبوبُ قد أبغض بعضَ مَن في الكون وعاداهم ولعنهم، فأحببْتَهم أنتَ وواليتَهم، أكنتَ ولياً للمحبوب، أو عدواً له؟ قال: فكأنما أُلقِم حجراً.

وقرأ قارئٌ بحضرة بعضِ هؤلاء: ﴿قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ﴾ [ص: ٧٥]؟ فقال: هو واللَّهِ مَنَعه، ولو قال إبليسُ ذلك لكان صادقاً. وقد أخطأ إبليس الحجةَ، ولو كنتُ حاضراً لقلتُ له: أنت منعْتَه. وسمع بعضُ هؤلاء قارئاً يقرأ: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيۡنَٰهُمۡ فَٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡعَمَىٰ عَلَى ٱلۡهُدَىٰ﴾ [فصلت: ١٧].

فقال: ليس من هذا شيءٌ، بل أضلّهم وأعماهم اهـ ـ إلى أن قال: فيقال: اللَّهُ أكبرُ على هؤلاء الملاحدةِ أعداءِ اللَّهِ حقاً، الذين ما قدروا اللَّهَ حقَّ قدرِه، ولا عرفوه حقَّ معرفته، ولا عظّموه حقَّ تعظيمه، ولا نزّهوه عما لا يليق به، وبغّضوه

إلى عبادِه وبغّضوهم إليه سبحانه، وأساءوا الثناءَ عليه جُهدَهم وطاقتَهم، وهؤلاء خُصماءُ اللَّهِ حقاً الذين جاء فيهم الحديثُ: «**يقال يوم القيامةِ أين خُصماءُ الله؟ فيؤمر بهم إلى النار**»[1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية[2] رحمه الله في تائيته:

ويُدعى خُصومُ اللَّهِ يوم معادِهم ... إلى النارِ طُرًّا فِرقةُ القدريةِ
سواءٌ نفَوه أو سعَوا ليُخاصموا ... به اللَّهَ أو ماروا به للشريعةِ

قال: وسمعتُه يقول: القدريةُ المذمُّون في السنة وعلى لسان السلفِ هم هؤلاء الفِرقُ الثلاثُ: نُفاتُه وهم القدريةُ المجوسيةُ، والمُعارضون به للشريعة الذين قالوا: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا﴾ [الأنعام: ١٤٨] وهم القدريةُ المشركون. والمُخاصمون به للرب سبحانه، وهم أعداءُ الله تعالى وخُصومُه، وهم القدريةُ[3] الإبليسيةُ وشيخُهم إبليسُ، وهو أولُ من احتج على الله بالقدر فقال: ﴿بِمَآ أَغْوَيْتَنِى﴾ [الحجر: ٣٩]. ولم يعترِف بالذنب ويبوء به كما اعترف به آدمُ.

فمن أقرّ بالذنب وباءَ به ونزه ربّه فقد أشبه أباه آدمَ، ومن أشبَه أباه فما ظُلم، ومن برّأ نفسَه واحتج على ربه بالقدر فقد أشبَه إبليسَ».

ثم ساق كلاماً طويلاً في فِرق القدرية وضلالِهم إلى أن قال[4] رحمه الله تعالى: «فانظر كيف انقسمت هذه المواريثُ على هذه السهامِ، وورِث كلُّ قومٍ أئمتَهم وأسلافَهم إما في جميع تركتِهم، وإما في كثير منها، وإما في جزء منها، وهدى اللَّهُ بفضله ورثةَ أنبيائِه ورسلِه لميراثِ نبيِّهم ﷺ وأصحابه ﷺ، فلم يؤمنوا ببعض الكتاب ويكفُروا ببعض، بل آمنوا بقضاء اللَّهِ وقدرِه ومشيئتِه العامةِ النافذةِ

---

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (١/١٤٨ رقم ٣٣٦). والطبراني في «الأوسط» (٦/٣١٧ رقم ٦٥١٠).
وأورده الهيثمي في المجمع «(٧/٢٠٦) وقال: بقية مدلس، وحبيب بن عمرو (عمر) مجهول.
قلت: بقية صرح بالتحديث، والحديث ضعيف لضعف حبيب، وجهالة أبيه، والله أعلم.
(٢) في «مجموع الفتاوى» (٨/٢٤٥ ـ ٢٥٥).
(٣) انظر تفصيل ذلك في: «مجموع الفتاوى» (٨/٢٥٨ ـ ٢٦١).
(٤) في «طريق الهجرتين» (ص١٦٠ ـ ١٦٢).

وأنه ما شاءَ اللَّهُ كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه مقلِّبُ القلوب ومُصرِّفُها كيف أراد.

وأنه هو الذي جعلَ المؤمنَ مؤمناً والمُصليَ مُصلياً والمتقي متقياً، وجعل أئِمةَ الهُدى يهدون بأمره، وأئمةَ الضلالةِ يدعون إلى النار، وأنه ألهم كلَّ نفسٍ فجورَها وتقواها، وأنه يهدي من يشاء بفضله ورحمتِه، ويُضل من يشاء بعدِله وحكمتِه، وأنه هو الذي وفّق أهل الطاعةِ لطاعتِه فأطاعوهُ ولو شاء لخذلهم فعصَوه، وأنه تعالى حال بين الكفار وقلوبِهم فإنه تعالى يحول بين المرءِ وقلبِه فكفروا به، ولو شاء لوفَّقهم فآمنوا وأطاعوه، وأنه من يهدِه اللَّهُ فلا مُضلَّ له ومن يُضللْ فلا هاديَ له، وأنه لو شاء لآمن من في الأرض كلُهم جميعاً إيماناً يثابون عليه ويُقبل منهم ويرضى به عنهم، وأنه لو شاء ما اقتتلوا ولكن الله يفعلُ ما يريد، ولو شاء ربُك ما فعلوه فذرهم وما يفترون.

والقضاءُ والقدرُ عندهم أربعُ مراتب جاء بها نبيُّهم ﷺ وأخبر بها عن ربه تعالى:

الأولُ: علمُهُ السابقُ بما هم عاملوه قبل إيجادِهم.

الثانيةُ: كتابتُه ذلك في الذكرِ عنده قبل خلقِ السمواتِ والأرضِ.

الثالثةُ: مشيئتُه المتناولةُ لكل موجودٍ، فلا خروجَ لكائن عن مشيئته كما لا خروجَ له عن علمه.

الرابعة: خلقُه له وإيجاده وتكوينه، فإنه لا خالِقَ إلا اللَّهُ، واللَّهُ خالقُ كلِ شيء.

فالخالقُ عندهم واحد وما سواه فمخلوقٌ ولا واسطةَ عندهم بين الخالقِ والمخلوقِ. ويؤمنون مع ذلك بحكمته وأنه حكيمٌ في كل ما فعله وخلقه، وأن مصدَرَ ذلك جميعِه عن حكمة تامةٍ هي التي اقتضت صدورَ ذلك وخلْقِه، وأن حكمتَه حكمةُ حقٌ عائدةٌ إليه قائمة به كسائر صفاتِه، وليست عبارةً عن مطابقة علمِه لمعلومه وقدرتِه لمقدوره كما يقوله نُفاةُ الحِكمةِ الذين يُقِرّون بلفظها دون حقيقتِها، بل هي أمرٌ وراءَ ذلك، وهي الغايةُ المحبوبةُ له المطلوبةُ التي هي متعلّقُ محبتِه وحمدِه ولأجلها خَلقَ فسوّى وقدّر فهدى، وأمات وأحيا وأسعد وأشقى، وأضلَّ وهدى ومنع وأعطى.

وهذه الحِكمةُ هي الغايةُ، والفعلُ وسيلةٌ إليها، فإثباتُ الفعلِ مع نفيها إثباتٌ للوسائل ونفيٌ للغايات، وهو مُحالٌ، إذ نفيُ الغايةِ مستلزمٌ لنفي الوسيلةِ، فنفيُ الوسيلةِ وهي الفعلُ لازمٌ لنفي الغايةِ وهي الحكمةُ، ونفيُ قيامِ الفعلِ والحكمةِ به نفيٌ لهما في الحقيقة، إذ فعلٌ لا يقوم بفاعله وحكمةٌ لا تقوم بالحكيم شيءٌ لا يُعقل، وذلك يستلزمُ إنكارَ ربوبيتِه وإلهيَّته، وهذا لازمٌ لمن نفى ذلك، ولا محيدَ له عنه وإن أبى التزامِه.

وأما من أثبت حكمتَه تعالى وأفعالَه على الوجه المطابقِ للعقلِ والفطرةِ ولِما جاءت به الرسلُ لم يلزَم من قوله محذورٌ البتة، بل قولُه حقٌ، ولازمُ الحقِّ حقٌّ كائناً ما كان[1].

والمقصودُ أن ورثةَ الرسلِ وخلفاءَهم لكمال ميراثِهم لنبيهم آمنوا بالقضاء والقدرِ والحِكَم والغاياتِ المحمودةِ في أفعال الربِّ تعالى وأوامرِه، وقاموا مع ذلك بالأمر والنهْي وصدقوا بالوعد والوعيدِ، فآمنوا بالخالق الذي من تمام الإيمانِ به إثباتُ القَدرِ والحِكمة، وبالأمر الذي من تمام الإيمانِ به الإيمانُ بالوعد والوعيد وحشرِ الأجسادِ والثَوابِ والعقابِ، فصدّقوا بالخلق والأمرِ ولم ينفُوهما بنفي لوازِمهما كما فعلت القدَريةُ المجوسيةُ والقدريةُ المعارضةُ للأمرِ بالقدرِ، وكانوا أسعدَ الناسِ بالحق وأقربَهم عَصَبةً في هذا الميراثِ النبويِّ، وذلك فضلُ اللَّهِ يؤتيه من يشاء واللَّهُ ذو الفضلِ العظيمِ»، انتهى ما سُقنا من كلامه[2] رحمه الله تعالى.

وقد بسطَ الكلامَ قبل ذلك وبعده فشفى وكفى، رحمه الله تعالى.

والمقصودُ أن الإيمانَ بالقدر مرتبطٌ بامتثال الشرعِ، وامتثالُ الشرعِ مرتبطٌ بالإيمانِ بالقدر، وانفكاكُ أحدِهما من الآخر مُحالٌ، فإن الإقرارَ بالقَدر مع الاحتجاج به على الشرع ومحاربتَه به مخاصمةٌ لله تعالى في أمره وشرعِه ووعدِه ووعيدِه وثوابِه وعقابِه، وطعنٌ في حكمتِه وعدْلِه، وانتقادٌ عليه في إرسال الرسلِ وإنزالِ الكتب، وخلقِ الجنةِ لأوليائِه المصدِّقين بها، وخلقِ النارِ لأعدائِه المكذبين،

---

(١) انظر: «شفاء العليل» لابن القيم (ص١١٠ ـ ١١٩).

(٢) أي ابن القيم من كتابه «طريق الهجرتين».

ونسبةٌ لأحكم الحاكمين وأعدل العادلين ـ الحكيمِ في خلقه وشرعِه، العدْلِ في قولِه وفعِله وحكمِه ـ إلى العبث والظلمِ في ذلك كلِّه.

وكذلك الانقيادُ في الشرع مع نفْي القدرِ وإخراجِ أفعالِ العباد عن قدرة الباري، وجعلِهم مستقلّين بها مستغْنين عنه طعنٌ في ربوبيةِ المعبودِ وملكوته ونسبتِه إلى العجز ووصفِه بما لا يستحق الإلهيةَ ولا يتصف بها مما لا يبدئ ولا يعيد ولا يُغني عنك شيئاً، تعالى ربُنا وتقدَّس وتنزه وجل وعلا عما يقول الظالمون الجاحدون الملحدون علوّاً كبيراً.

بل الإيمانُ بالقدر، خيرِه وشرِه، هو نظامُ التوحيدِ، كما أن الإتيانَ بالأسباب التي توصل إلى خيرِه وتحجُز عن شرِه واستعانةَ اللّهِ عليها هو نظامُ الشرع، ولا ينتظم أمرُ الدين ولا يستقيم إلا لمن آمن بالقدر وامتثل الشرعَ كما قرر النبيُّ ﷺ الإيمان بالقدر ثم قال لما قيل له: أفلا نتكلُ على كتابنا وندعُ العملَ؟ قال: «**لا، اعملوا فكل ميسر لما خُلق له**»(١).

فمن نفى القدَرَ رغم منافاتِه للشرع فقد عطّل اللّهَ تعالى عن علمه وقدرتِه ومعاني ربوبيتِه، وجعل العبدَ مستقلاً بأفعاله خالقاً لها، فأثبتَ خالقاً آخرَ مع الله تعالى، بل أثبت أن جميعَ المخلوقين خالقون، ومن أثبته محتجاً به على الشرع محارباً له به نافياً عن العبد قدرتَه واختيارَه التي منحه اللّهُ تعالى إياها وأمره ونهاه وأخبره بحسبها زاعماً أن الله تعالى كلف عباده ما لا يُطاق، فقد نسب اللّهَ تعالى إلى الظلم وإلى العبث وإلى ما لا يليق به، ورجحَ حجةَ إبليسَ وأثبتها وأقامَ عُذرَه وكان هو إمامُه في ذلك إذ يقول: ﴿رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي﴾ [الحجر: ٣٩].

وأما المؤمنون حقاً فيؤمنون بالقدر خيرِه وشرِه وأن اللّهَ تعالى خالقُ ذلك كلِه لا خالقَ غيرُه ولا ربَّ سواه، وينقادون للشرع أمرِه ونهْيه، ويصدِّقون خبرَ الكتابِ والرسولِ، ويحكّمونه في أنفسهم سراً وجهراً، وأن الهدايةَ والإضلالَ بيدِ اللّهِ يهدي من يشاء بفضله ورحمتِه ويُضل من يشاء بعدله وحكمتِه، وهو أعلمُ بمواقع فضلِه وعدلِه: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ﴾ [النجم: ٣٠].

---

(١) تقدم تخريجه.

وله في ذلك الحكمةُ البالغةُ والحجةُ الدامغةُ، وأن الثوابَ والعقابَ مترتبٌ على الشرع فعلاً وتركاً لا على القدر، ويعزّون أنفسَهم بالقدر عند المصائب ولا يحتجون به على المعاصي والمعايب، فإذا وفّقوا لحسنة عرَفوا الحقَ لأهله فقالوا: الحمدُ لله الذي هدانا سبلنا: ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣]، ولم يقولوا كما قال الفاجرُ: ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِيٓ﴾ [القصص: ٧٨].

وإذا اقترفوا سيئةً باءوا بذنبهم وأقروا به وقالوا كما قال الأبوانِ: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣]. ولم يحملوا ذنبَهم وظلمَهم على القدر ويحتجوا به عليه، ولم يقولوا كما قال إبليسُ لعنه اللّهُ: ﴿رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾ [الحجر: ٣٩].

وإذا أصابتهم مصيبةٌ رضوا بقضاء الله وقدرِه واستسلموا لتصرف ربِّهم ومالكِهم تبارك وتعالى وقالوا كلمةَ الصابرين: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦]. ولم يقولوا كما قال الذين كفروا: ﴿وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَّوْ كَانُوا عِندَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَٰلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٥٦].

(فصل) واتفقت جميعُ الكتبِ السماويةِ والسننِ النبويةِ على أن القدر السابقَ لا يمنع العملَ ولا يوجب الاتكالَ، بل يوجب الجدَّ والاجتهادَ والحِرصَ على العمل الصالح، ولهذا لما أخبر النبيُّ ﷺ أصحابَه بسبْق المقاديرِ وجَرَيانِها وجُفوفِ القلم بها فقيل له: أفلا نتكِلُ على كتابِنا وندعُ العملَ؟ قال: «**لا، اعملوا فكلٌ ميسّرٌ**»[1]، ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَن بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠﴾ [الليل]، كما في الأحاديث التي قدمنا غيرها.

فاللّهُ سبحانه وتعالى قدّر المقاديرَ وهيأ لها أسباباً، وهو الحكيمُ بما نصبَه من الأسباب في المعاش والمَعادِ، وقد يسّر كلاً من خلقه له في الدنيا والآخرة، فهو مهيأٌ له ميسّرٌ له، فإذا علمَ العبدُ أن مصالحَ آخرتِه مرتبطةٌ بالأسبابِ المُوصلةِ إليها

---

(١) تقدم تخريجه.

كان أشدَّ اجتهاداً في فعلها والقيامِ بها، وأعظمَ منه في أسبابِ معاشِه ومصالِح دُنياه من كون الحرثِ سبباً في وجود الزرع، والنكاحِ سبباً في وجود النسل، وكذلك العملُ الصالحُ سببٌ في دخول الجنةِ، والعملُ السيءُ سببٌ في دخول النارِ.

وقد فقِه هذا كلَّ الفقهِ من قال من الصحابة لما سمع أحاديثَ القدَر: «**ما كنتُ بأشدَّ اجتهاداً مني الآنَ**»[1].

وقال النبيُّ ﷺ في الحديث المتقدم: «**احرصْ على ما ينفعُك واستعنْ بالله ولا تعجزَن، وإن أصابك شيءٌ فلا تقلْ لو أني فعلتُ كذا لكان كذا وكذا، ولكن قُل قدَّر اللَّهُ وما شاء فعل**»[2].

وفي المسند[3] والترمذيِّ[4] وابن ماجه[5] من حديث الزُّهريِّ عن ابن أبي خُزامةَ عن أبيه أن رجلاً أتى النبيَّ ﷺ فقال: أرأيتَ رُقًى نسترقيها ودواءً نتداوى به وتُقاةً نتَّقيها هل ترُدّ من قدَر الله شيئاً؟ قال: «**هي من قدر اللَّهِ**». يعني أن الله تبارك وتعالى قدّر الخيرَ والشرَّ وأسبابَ كل منهما.

ذكرُ ما جاء من الأحاديث في ذم القدَرية

تقدم في الحديث الذي رواه مسلمٌ[6] عن أبي هريرةَ أن هذه الآيةَ: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر] أنها نزلت في المخاصمين في القدر.

وتقدم فيهم أحاديثُ الصحابةِ من مواضِعَ من هذا المجموعِ، وقال أبو داودَ[7] رحمه الله تعالى: حدثنا موسى بنُ إسماعيلَ، حدثنا عبدُ العزيزِ بنُ أبي

---

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (١/ ٧٦ رقم ١٧٣) **بسند ضعيف**. رجاله ثقات رجال البخاري غير أبي حنيفة قاله الألباني. ولفظه: «**الآن حق العلم**».

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) (٣/ ٤٢١).

(٤) في «السنن» (٤/ ٣٩٩ ـ ٤٠٠ رقم ٢٠٦٥) وقال: **حديث حسنٌ صحيح**.

(٥) في «السنن» (٢/ ١١٣٧ رقم ٣٤٣٧). **وهو حديث صحيح**.

(٦) تقدم تخريجه.

(٧) في «السنن» (٥/ ٦٦ ـ ٦٧ رقم ٤٦٩١) **بسند منقطع** أبو حازم ـ سلمة بن دينار ـ لم=

حازم قال: حدثني بمِنًى عن أبيه عن ابن عمرَ ﵄ عن النبيِّ ﷺ قال: **«القدريةُ مَجوسُ هذه الأمةِ، إنْ مَرضوا فلا تعودوهم وإن ماتوا فلا تشهدوهم»**.

ورواهُ الإمامُ أحمدُ[1] عنه بلفظِ: أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: **«لكل أمةٍ مجوسٌ، ومَجوسُ أمتي الذين يقولون لا قدَرٌ، إن مرضوا فلا تعودوهم»**، إلخ.

وفي رواية[2]: **«إن لكل أمةٍ مجوساً، وإن مجوسَ أمتي المكذبون بالقدرَ»** إلخ.

وله[3] عنه: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: **«سيكون في هذه الأمةِ مسخٌ ألا وذاك في المكذبين بالقدر والزنديقيَّة»**.

وله[4] عن نافع قال: كان لابن عمرَ ﵄ صديقٌ من أهلِ الشام يكاتبه، فكتب إليه مرة عبدُ اللَّهِ بنُ عمرَ: إنه بلغني أنك تكلمتَ في شيء من القدر، فإياكَ أن تكتب إليَّ، فإني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: **«سيكون في أمتي أقوامٌ يكذّبون بالقدر»**.

وللترِمذي[5] عن نافع عنه ﵁ جاءه رجلٌ فقال: إن فلاناً يقرأ عليك السلام. فقال: إنه بلغني أنه قد أحدثَ، فإن كان قد أحدثَ فلا تُقْرِئْه مني السلامَ، فإني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: **«في هذه الأمةِ ـ أو في أمتي، الشكُّ منه ـ**

= يسمع من ابن عمر وقد رُوي هذا الحديث عن ابن عمر من طرق ليس فيها شيء يثبت.
قلت: وأخرجه الحاكم (١/ ٨٥) من طريق أبي حازم أيضاً. وأخرجه اللالكائي رقم (١١٥٠) والآجري في «الشريعة» (ص١٩٠) من طريق زكريا بن منظور عن أبي حازم عن نافع عن ابن عمر...
وزكريا بن منظور ضعيف ومع هذا فقد حسن الألباني الحديث في صحيح أبي داود.

(١) في «المسند» (٢/ ٨٦) **بسند ضعيف**.

(٢) في «المسند» (٢/ ٤٠٦ ـ ٤٠٧) **بسند حسن**.

(٣) أي لأحمد في «المسند» (٢/ ١٠٨) **بسند ضعيف**.
قلت: وأخرجه الترمذي رقم (٢١٥١، ٢١٥٢) وأبو داود رقم (٤٦١٣) وابن ماجه رقم (٤٠٦١) والحاكم (١/ ٨٤). **وهو حديث حسن**.

(٤) أي لأحمدَ في «المسند» (٢/ ٩٠).

(٥) في «السنن» (٤/ ٤٥٦ رقم ٢١٥١، ٢١٥٢) وقد تقدم.

خسفٌ أو مسخٌ أو قذفٌ في أهلَ القدرِ». هذا حديثٌ حسن[1] صحيحٌ غريبٌ.

وقال أبو داودَ[2] رحمه الله أيضاً: حدثنا محمدُ بنُ أبي كثيرٍ، أخبرنا سفيانُ عن عمرَ بنِ محمدٍ عن عمرَ مولى غُفْرَةَ عن رجل من الأنصار عن حُذيفة رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«لكل أمةٍ مجوسٌ، ومَجوسُ هذه الأمةِ الذين يقولون لا قدَرٌ. من مَاتَ منهم فلا تشهدوا جنازتَه، ومن مرضَ منهم فلا تعودوهم، وهم شيعةُ الدّجال، وحقٌّ على الله أن يُلحقهم بالدجال»**.

وقال[3] رحمه الله تعالى: حدثنا أحمدُ بنُ حنبلٍ حدثنا عبدُ اللَّهِ بنُ يزيدَ المُقْرِيُّ أبو عبد الرحمنِ قال: حدثني سعيدُ بنُ أبي أيوبَ قال: حدثني عطاءُ بنُ دينارٍ عن حكيم بنِ شريكٍ الهُذليِّ عن يحيى بن ميمونٍ الحضرميِّ عن ربيعةَ الجُرشيّ عن أبي هريرةَ عن عمرَ بنِ الخطاب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«لا تجالسوا أهلَ القدرِ ولا تفاتِحوهم»**. صحيحٌ.

وقال[4] رحمه الله تعالى: حدثنا محمدُ بنُ كثيرٍ أخبرنا سفيانُ عن أبي سنانٍ عن وهْب بنِ خالدٍ الحِمْصيِّ عن ابن الديلميِّ قال: أتيتُ أُبيَّ بنَ كعْبٍ فقلتُ له: وقع في نفسي شيءٌ من القدر فحدثني بشيء لعل اللَّهَ أن يُذهبَه من قلبي، فقال:

---

(١) في «السنن» (٤/ ٤٥٦).

(٢) في «السنن» (٥/ ٦٧ رقم ٤٦٩٢) **وهو حديث ضعيف.**

(٣) أي لأبي داودَ في «السنن» (٥/ ٨٤ رقم ٤٧١٠).
قلت: وأخرجه أحمد (١/ ٣٠) وابنه عبد الله في «السنة» رقم (٦٧٣) وابن أبي عاصم في «السنة» (١/ ١٤٥ رقم ٣٣٠) والحاكم (١/ ٨٥) واللالكائي (٤/ ٣٦٠ رقم ١١٢٤) والبيهقي في «السنن» (١٠/ ٢٠٤). وابن حبان في صحيحه رقم (٧٩) وابن الجوزي في «العلل المتناهية» (١/ ١٤٨ ـ ١٤٩ رقم ٢١٨).
وقال ابن الجوزي: **«هذا حديث لا يصح...»**.
وخلاصة القول أنَّ الحديث ضعيف، والله أعلم.

(٤) أي لأبي داود في «السنن» (٥/ ٧٥ رقم ٤٦٩٩).
قلت: وأخرجه أحمد (٥/ ١٨٥) وابن ماجه (١/ ٢٩ رقم ٧٧) وابن حبان رقم (٧٢٧) والبيهقي (١٠/ ٢٠٤) والطبراني في «الكبير» رقم (٤٩٤٠) والآجري في «الشريعة» (ص١٨٧).
وهو حديث صحيح.

لو أن اللَّهَ عذَّب أهلَ سماواتِه وأهلَ أرضِه عذبهم وهو غيرُ ظالِمهم، ولو رحِمهم كانت رحمتُه خيراً لهم من أعمالِهم، ولو أنفقتَ مثلَ أُحدٍ ذهباً في سبيل اللَّهِ ما قبِلَه اللَّهُ منك حتى تؤمنَ بالقدرِ، وتعلمَ أن ما أصابَك لم يكن ليُخطئك وأن ما أخطأكَ لم يكن ليُصيبَك، ولو مُتَّ على غيرِ هذا لدخلتَ النارَ.

قال: ثم أتيتُ عبدَ اللَّهِ بنَ مسعودٍ فقال مثلَ ذلك، قال: ثم أتيتُ حُذيفةَ بنَ اليمانِ فقال مثلَ ذلك، قال: ثم أتيتُ زيدَ بنَ ثابتٍ فحدثني عن النبيّ ﷺ مثلَ ذلك. وتقدم ذكرُ وصية عُبادةَ لابنه في ذلك.

وقال التِرمِذيُّ[1] رحمه الله تعالى: حدثنا واصلُ بنُ عبدِ الأعلى أخبرنا محمدُ بنُ فُضيلٍ عن القاسمِ بنِ حبيبٍ وعليِّ بنِ نزارٍ عن نزارٍ عن عِكرمةَ عن ابنِ عباس رضي الله عنهما قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«صِنفانِ من أمتي ليس لهما في الإسلام نصيبٌ، المُرجئةُ والقدريةُ»**. هذا حديث حسنٌ غريبٌ[2].

وقال[3] رحمه الله تعالى: حدثنا محمودُ بنُ غيلانَ أخبرنا أبو داودَ أنبأنا شُعبةُ عن منصورٍ عن رِبْعيِّ بنِ حِراش عن علي رضي الله عنه قال رسولُ الله ﷺ: **«لا يؤمن عبدٌ**

---

(١) في «السنن» (٤/ ٤٥٤ رقم ٢١٤٩).
قلت: وأخرجه ابن ماجه (١/ ٣١ رقم ٦٢) وابن أبي عاصم في «السنة» (١/ ١٤٧ رقم ٣٣٤) و (٢/ ٤٦١ رقم ٩٤٦) وابن عدي في «الكامل» (٥/ ١٨٣٨) والخطيب في «تاريخ بغداد» (٥/ ٣٦٨) وابن الجوزي في «العلل المتناهية» (١/ ١٥٨ رقم ٢٤٠) والبخاري في «التاريخ الكبير» (٢/ ٢/ ١٣٣) والطبراني في «الكبير» (١١/ ٢٦٢ رقم ١٦٨٢) واللالكائي رقم (١١٥٦) **بسند ضعيف.**
وقال ابن الجوزي: **هذا حديث لا يصح.**
وخلاصة القول أن الحديث ضعيف.

(٢) في «السنن» (٤/ ٤٥٤).

(٣) أي الترمذي في «السنن» (٤/ ٤٥١ رقم ٢١٤٤).
قلت: وأخرجه أحمد (١/ ١٣٣) والحاكم في «المستدرك» (١/ ٣٢ ـ ٣٣) وقال: صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي. وابن أبي عاصم في «السنة» (١/ ٥٩ رقم ١٣٠) وابن ماجه (١/ ٣٢ رقم ٨١). وابن حبان في صحيحه (١/ ٤٠٤ رقم ١٧٨). والبغوي في «شرح السنة» رقم (٦٦).
وهو حديث صحيح.

حتى يؤمن بأربع: **يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسولُ اللَّهِ بعثني بالحق، ويؤمن بالموت، ويؤمن بالبعث بعد الموت، ويؤمن بالقدَر**».

وقال(١) رحمه الله تعالى: باب ما جاء من التشديد في الخوضِ في القدَر.

حدثنا عبدُ اللَّهِ بنُ معاويةَ الجُمَحيُّ، أنبأنا صالحٌ المُريُّ عن هشامِ بنِ حسانَ عن محمد بنِ سيرينَ عن أبي هريرةَ ﷺ قال: خرج علينا رسولُ الله ﷺ ونحن نتنازع في القدر، فغضِبَ حتى احمرَّ وجهُه حتى كأنما فُقِىءَ في وجنتيه حبُّ الرمان، فقال: «**أبهذا أُمرتم، أم بهذا أُرسِلْتُ إليكم؟ إنما هلكَ من كان قبلكم حين تنازعُوا في هذا الأمرِ، عزمتُ عليكم ألا تنازَعوا فيه**».

ولأحمد(٢) عن عمْرِو بنِ شعيبٍ عن أبيه عن جده قال: خرج علينا رسولُ الله ﷺ ذاتَ يوم والناسُ يتكلمون في القدر، قال وكأنما تَفَقأَ في وجهِه حبُّ الرمّانِ من الغضب، قال: فقال لهم: «**ما لكم تضرِبون كتابَ اللَّهِ بعضَه ببعض؟ بهذا هلك من كان قبلكم**». قال: فما غبَطْتُ نفسي بمجلس فيه رسولُ الله ﷺ لم أشهدْه بما غبطتُ نفسي بذلك المجلسِ أني لم أشهدْه. ورواه ابنُ ماجه(٣).

ولأحمدَ(٤) عن أبي الدرداءِ ﷺ عن النبيِّ ﷺ قال: «**لا يدخل الجنةَ عاقٌّ ولا مدمنُ خمرٍ ولا مُكذِّبٌ بقدَر**».

---

(١) أي للترمذي في «السنن» (٤/٤٤٣ رقم ٢١٣٣).
وقال الترمذي: «وفي الباب عن عُمرَ وعائشة وأنس، **وهذا حديثٌ غريبٌ** لا نعرفه إلاَّ من هذا الوجه من حديث صالح المُريّ وصالحٌ المُريُّ لَهُ غرائبُ ينفردُ بها لا يُتابعُ عليها» وله شواهد.
وهو حديث حسن بشواهده.

(٢) في «المسند» (٢/١٧٨).

(٣) في «السنن» (١/٣٣ رقم ٨٥) وقال البوصيري: **هذا إسناد صحيح**، رجاله ثقات.
وقال الألباني: **إسناده حسن.**

(٤) في «المسند» (٦/٤٤١).
قلت: وأخرجه البزار (٣/٣٦ رقم ٢١٨٢ ـ كشف).
وقال البزار: **إسناده حسن.**
وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/٢٠٢) وقال: رواه أحمد والبزار والطبراني وزاد: ولا مَنّان، وفيه سليمان بن عُتبة الدمشقي وثقه أبو حاتم وغيره، وضعفه ابن معين وغيره.
وخلاصة القول أن الحديث صحيح.

وله(١) عن محمد بنِ عبيدِ المكيِّ عن ابن عباس ﵄ قال: قيل لابن عباس ﵄ إن رجلاً قدم علينا يكذّب بالقدر، فقال: دُلُّوني عليه، وهو يومئذ قد عميَ، قالوا: وما تصنع به يا أبا عباس؟ قال: والذي نفسي بيده لئن استمكنتُ منه لأعضَنَّ أنفَه حتى أقطعَه، ولئن وقعْتُ على رقبتِه في يدي لأدُقَّنَّها، فإني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «كأني بنساء بني فِهر يطُفنَ بالخزرج تصطفق إلياتُهن مشركاتٍ». هذا أولُ شركِ هذه الأمةِ، والذي نفسي بيده لَيَنتهيَنّ بهم سوءُ رأيِهم حتى يُخرجوا اللّهَ من أن يكون قدّر خيراً، كما أخرجوه من أن يكون قدّر شراً.

وروى البزارُ(٢) عن عمْرِو بنِ شعيبٍ عن أبيه عن جده قال: ما نزلتْ هذه الآيــاتُ: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر]. إلا في أهلِ القدَرِ.

ولابن أبي حاتم(٣) عن ابن زُرارةَ عن أبيه عن النبي ﷺ أنه تلا هذه الآية: ﴿ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر].

قال: «نزلت في أناس من أمتي يكونون في آخر الزمانِ يكذّبون بقدر الله».

وروى الحسنُ(٤) بنُ عرفةَ عن عطاءَ بنِ رباحٍ قال: أتيتُ ابنَ عباس وهو ينزِع

---

(١) أي لأحمد في «المسند» (١/ ٣٣٠) من طريقين. بسند ضعيف.
قلت: وأخرجه اللالكائي رقم (١١١٦) بسند ضعيف.

(٢) (٣/ ٧٢ ـ ٧٣ رقم ٢٢٦٥ ـ كشف).
وقال الهيثمي في المجمع (٧/ ١١٧) رواه البزار، وفيه يونس بن الحراث، وثّقه ابن معين وابن حبان، وفيه ضعيف.
قلت: وأخرجه ابن المنذر كما في «الدر المنثور» (٧/ ٦٨٣). وفيه يونس بن الحارث وهو ضعيف.
وأصل الحديث عند مسلم من رواية أبي هريرة ﵁ (٤/ ٢٠٤٦ رقم ٢٢٥٦). وأحمد (٢/ ٤٤٤ و ٤٧٦).

(٣) في تفسيره (١٠/ ٣٣٢١ رقم ١٨٧١٤).
قلت: وأخرجه الطبراني (٥/ ٢٧٦ رقم ٥٣١٦) وابن الأثير في «أسد الغابة» (٢/ ٣١٤ رقم ١٧٤٠).
وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١١٧): وفيه من لم أعرفه.
قلت: ويشهد له ما تقدم.

(٤) رقم (١٠).

=

من زمزمَ وقد ابتلتْ أسافِلُ ثيابِه، فقلت له: تُكُلِّمَ في القدر. فقال: أوَقدْ فعلوها؟ قلت: نعم. قال: فواللَّهِ ما نزلتْ هذه الآيةُ إلا فيهم: ﴿ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ ۝٤٨ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ۝٤٩﴾ [القمر]. أولئك شرارُ هذه الأمةِ، فلا تعودوا مَرضاهم، ولا تصلوا على موتاهم. إن رأيْتُ أحداً منهم فقأتُ عينيه بأُصبعيَّ هاتين.

ذكرُ أقوالِ الصحابةِ في هذا البابِ

تقدم قولُ ابنِ عمرَ ليحيى بنِ يعمَرَ، وقولُ أُبيِّ بنِ كعبٍ وعبدِ اللَّهِ بنِ مسعود وحُذيفةَ بنِ اليمانِ وزيدِ بنِ ثابت لابن الديلمي، ووصيةُ عُبادةَ ابنِ الصامتِ لابنه.

وروى عبدُ الله[1] بنُ أحمدَ عن ابن عباس قال: أولُ ما خلق الله القلمَ ثم قال: اكتبْ، قال: ما أكتب؟ قال: اكتبْ ما هو كائنٌ إلى يوم القيامة.

وله عنه: فكتب فيما كتب: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ﴾ [المسد: ١].

وله[2] عنه قال: أخرج اللَّهُ ذريةَ آدمَ من ظهره مثلَ الذرِّ فسمّاهم، قال: هذا فلانٌ وهذا فلانٌ، ثم قبض قبضتين فقال للتي في يمينه: ادخُلوا الجنة، وقال للتي في يده الأخرى: ادخلُوا النارَ ولا أبالي.

وله[3] عنه قال: إن الرجلَ ليمشي في الأسواق وإن اسمه لفي الموتى.

وله[4] عنه: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ﴾ [الرعد: ٣٩].

= قلت: وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠/ ٣٣٢١ رقم ١٨٧١٥) واللالكائي في «أصول الاعتقاد» (٤/ ٧١٢ رقم ١١٦٢) وابن بطة في «الإبانة» (٢/ ١٢١ ـ ١٢٢ رقم ١٥٥٠) كلاهما من طريق الحسن عن مروان بن مالك الجزري. ومروان: قال الحافظ صدوق له أوهام.

(١) في «السنة» رقم (٨٧١، ٨٧٢، ٨٩٤، ٨٩٨) بأسانيد بعضها صحيح.
قلت: وأخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» (ص٢٧١) وزيادة «تبت يدا أبي لهب». والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٤٩٨) وقال: **صحيح على شرط الشيخين** ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٢) أبي لعبد الله في «السنة» رقم (٨٧٦) **بسند صحيح**.
قلت: وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٦١٣ رقم ٨٥٣١).

(٣) لعبد الله في «السنة» رقم (٨٨٧) **بسند صحيح**.

(٤) أي لعبد الله في «السنة» رقم(٨٩٧) **بسند ضعيف**. فيه محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى: وهو سيء الحفظ.

قال: إلاَّ الشقاوةَ والسعادةَ والحياةَ والموتَ.

وله[1] عنه أن أولَ ما خلقَ اللَّهُ القلمَ فأمرَه أن يكتُبَ ما يريده أن يُخلَقَ، فالكتابُ عنده، ثم قرأ: ﴿وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ﴾ [الزخرف: ٤].

وله[2] عن عكرمةَ قال: سُئل ابنُ عباسٍ كيف تفقّد سليمانُ الهدهدَ من بين الطير؟ قال: إن سليمانَ نزل منزلاً فلم يدرِ ما بُعدُ الماء، وكان الهدهد مهندساً قال: فأراد أن يسأله عن الماء ففقدَه. قلت: وكيف يكون مهندساً والصبيُّ ينصب له الحِبالةَ فيَصيدَه. قال: إذا جاء القدَرُ حال دون البصرِ.

وله[3] عن أبي الزبيرِ أنه كان يطوف مع طاوسٍ بالبيت فمرّ بمعبد الجهني، فقال قائلٌ لطاوسٍ: هذا معبد الجهنيُّ الذي يقول في القدر، فعدل إليه طاوسٌ حتى وقف عليه، فقال: أنت المفتري على الله، القائلُ ما لا تعلم. قال معبد: يَكذب عليَّ. قال أبو الزبير: فعدلتُ مع طاوس حتى دخلنا على ابن عباسٍ، فقال له طاوسٌ: يا أبا عباسٍ الذين يقولون في القدر. فقال ابن عباس: أروني بعضَهم، قال: قلنا صانعٌ ماذا؟ قال: إذن أجعلُ يدي في رأسِه ثم أدقّ عُنُقَه.

وله[4] عنه قال: ليس قومٌ أبغضَ إليَّ من القدَرية، إنهم لا يعلمون قُدرةَ الله، إن اللَّهَ تعالى يقول: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣].

وله[5] عن طاوس قال: كنت مع ابن عباس في حلْقة قال: فذكروا أهلَ القدَر، قال فقال: أفي الحلقة منهم أحدٌ فآخذُ برأسِه ثم اقرأ عليه: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٤]، وأقرأ عليه آية كذا وآية كذا.

---

(١) أي لعبد الله في «السنة» رقم (٨٩٨) **بسند صحيح.**
قلت: وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠/٣٢٨١ رقم ١٨٤٩٤).

(٢) أي عبد الله في «السنة» رقم (٩٠٠ و ٩٣١) **بسند حسن.**
قلت: وأخرجه الحاكم في «المستدرك» (٢/٤٠٦) وقال: **هذا حديث صحيح على شرط الشيخين** ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٣) أي لعبد الله في «السنة» رقم (٩١١). **وسنده صحيح.**

(٤) أي لعبد الله في «السنة» رقم (٩١٢) **وسنده حسن.**

(٥) لعبد الله في «السنة» رقم (٢٩٢) **وسنده صحيح.**
قلت: وأخرجه الحاكم في «المستدرك» (٢/٣٦٠).

وله[1] عنه وذُكر عنده القدَريةُ قال فقال: لو رأيتُ أحداً منهم لعضَضْتُ أنفَه.
وله[2] عنه قال: الإيمانُ بالقدر نظامُ التوحيدِ، فمن آمن وكذب بالقدر فهو نقضٌ للتوحيد. وفي لفظ[3]: فمن وحّد وكذّب بالقدر فقد نقض التوحيد.

وله[4] عن أبي يحيى مولى ابنِ عفراءَ قال: أتيتُ ابنَ عباسٍ ومعي رجلان من الذين يذكُرون القدَرَ أو يُنكِرونه، فقلت: يا ابن عباس ما تقول في القدر لو أن هؤلاء أتَوك يسألونك ـ وقال مرة ـ يسألونك عن القدر إن زنا أو سَرق أو شرب؟ فحسّر قميصَه حتى أخرج مَنكِبيه وقال: يا أبا يحيى لعلك من الذين يُنكرون القدَرَ ويكذبون به، واللّهِ لو أعلم أنك منهم أو هذين معك لجاهدتُهم، إن زنا فبقدَرٍ، وإن سَرق فبقدر، وإن شربَ الخمرَ فبقدر.

وروى إسحاقُ ابنُ الملائيِّ[5] عنه في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، قال: إن الله تعالى أخذ على آدمَ ميثاقَه أنه ربُّه وكتب رزقَه وأجلَه، ومُصيباتِه، ثم أخرج من ظهره ولدَه كهيئةِ الذرِّ فأخذ عليهم الميثاقَ أنه ربُهم، وكتب رزقَهم وأجلَهم ومصيباتِهم.

وفي تفسير أسباط[6] عن السُدي عن أصحابِه: أي مالكٍ وأبي صالحٍ عن ابن عباس.

وعن مُرَّةَ الهمدانيِّ[7] عن ابن مسعودٍ. وعن أناسٍ من أصحابِ النبيِّ ﷺ

---

(١) لعبد الله في «السنة» رقم (٩٢٤أ) **وسنده صحيح** وقد تقدم.
(٢) لعبد الله في «السنة» رقم (٩٢٥) **وفي سنده مجهول.**
قلت: وأخرجه اللالكائي رقم (١٢٢٤) **بسند فيه انقطاع.**
وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٩٧) رواه الطبراني في «الأوسط» ـ (رقم ٣٥٧٣) ـ وفيه هانئ بن المتوكل وهو ضعيف. فأسانيده لا تخلو من مجاهيل أو ضعفاء.
(٣) لعبد اللّهِ في «السنة» رقم (٩٢٨) **بسند ضعيف.**
(٤) لعبدالله في «السنة» رقم (٩٣٧) **وفي سنده من لا يعرف.**
قلت: وأخرجه اللالكائي في «أصول الاعتقاد» رقم (١٢٣٠) **بسند عبد الله بن أحمد.**
(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٦١٣ رقم ٨٥٣٠).
(٦) ذكر ذلك ابن جرير في تفسيره (٦/ ج٩/ ١١٦ ـ ١١٧).
وانظر: «الدر المنثور» (٣/ ٥٩٩).
(٧) انظر: «الدر المنثور» (٣/ ٥٩٩) حيث عزاه إلى ابن عبد البر في «التمهيد».

ورضي عنهم في قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢] الآية، قال: لما أخرج اللَّهُ آدمَ من الجنة قبل أن يهبِطَ من السماء مسح صفحةَ ظهرِ آدمَ اليمنى فأخرجَ منه ذرية بيضاءَ مثلَ اللؤلؤ كهيئة الذرِّ فقال لهم: ادخلُوا الجنةَ برحمتي، ومسحَ صفحةَ ظهرِه اليسرى فأخرج منه ذريةً سوداءَ كهيئةِ الذرِّ فقال: ادخلوا النارَ ولا أبالي. فذلك حين يقول أصحابُ اليمين وأصحابُ الشمال، ثم أخذ منهم الميثاقَ فقال: ألستُ بربكم؟ قالوا: بلى. فأعطاه طائفةٌ طائعين وطائفةٌ كارهين على وجه التَّقيَّة، فقال هو والملائكة: ﴿شَهِدْنَآۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ أَوْ تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ﴾ [الأعراف: ١٧٢ ـ ١٧٣]. الآية.

فلذلك ليس أحدٌ من ولد آدمَ إلا وهو يعرف أن اللَّهَ ربُّه، ولا مشركٌ إلا وهو يقول: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣]. فذلك قولُه عز وجل: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، وذلك حين يقول تعالى: ﴿وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [آل عمران: ٨٣]، وذلك حين يقول: ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٩]. قال:[١] يعني يومَ الميثاقِ.

وعن مِقْسَم عن ابن عباس[٢] رضي الله عنهما: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية: ٢٩]. قال: تستنسخ الحفَظةُ من أم الكتابِ ما يعمل بنو آدمَ، فإنما يعمل الإنسانُ على ما استنسخ الملكُ من أم الكتاب.

وعنه[٣] رضي الله عنه قال: كتب في الذكر عنده كلَّ شيءٍ هو كائنٌ، ثم بعث الحفَظةَ على آدمَ وذريتِه، وكلُ ملائكتِه ينسخون من الذكر ما يعمل العبادُ، ثم قرأ: ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية: ٢٩].

وفي تفسير الضحاكِ[٤] عنه رضي الله عنه في هذه الآيةِ قال: هي أعمالُ أهلِ الدنيا

---

(١) انظر: «جامع البيان» للطبري (٦/ج٩/١١٦).
(٢) أخرجه الطبري في «جامع البيان» (١٣/ج٢٥/١٥٦).
(٣) أخرجه الطبري في «جامع البيان» (١٣/ج٢٥/١٥٦).
(٤) ذكر ذلك السيوطي في تفسيره (٧/ ٤٣٠) وقال: أخرجه ابن مردويه بسند ضعيف عن ابن عباس رضي الله عنهما.

الحسناتُ والسيئاتُ تنزل من السماء كل غداةٍ وعشيةٍ ما يصيب الإنسانَ في ذلك اليوم أو الليلة، الذي يُقتل والذي يغرَق والذي يقع من فوق بيتٍ والذي يتردى من جبل، والذي يقع ، والذي يُحرق بالنار فيحفظون عليه ذلك كلَّه، وإذا كان الشيءُ صعِدوا به إلى السماء فيجدونه كما في السماء مكتوباً في الذكر الحكيم.

وقال أبو بكر الصديق[1] رضي الله عنه: خلقَ اللَّهُ الخلقَ قبضتين، فقال لمن في يمينه: ادخُلوا الجنة بسلام، وقال لمن في يده الأخرى: ادخُلوا النارَ ولا أبالي.

ولعبدِ اللَّهِ[2] ابنِ الإمامِ أحمدَ عن ابن عباسٍ رضي الله عنهما قال: لا يزالُ أمرُ هذه الأمةِ قِواماً، أو مقارباً، ما لم يتكلموا في القدر.

وله[3] عن عمرَ بنِ الخطابِ رضي الله عنه أنه قال حين طُعن: ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزاب: ٣٨].

وله[4] عن عبد اللَّهِ بنِ الحارثِ الهاشميِّ قال: خطبَ عمرُ رضي الله عنه بالجابية - في لفظ بالشام - والجاثليق[5] ماثلٌ فتشهد فقال: «مَنْ يهدِهِ اللَّهُ فلا مضِلَّ له، ومَن يُضللْ فلا هاديَ له»، فقال الجاثليقُ بقميصه هكذا يعني نفضَه، وقال: إن اللَّهَ لا يُضل أحداً. فقال: ما يقولُ؟ فقالوا ما قال. فقال: كذبتَ عدوَّ الله، اللَّهُ

---

(١) أخرجه سفيان بن عيينة في «جامعه» عن عمرو بن دينار أن أبا بكر الصديق قام على المنبر. . . الأثر - كما في «كنز العمال» (١/ ٣٣٥ - ٣٣٦ رقم ١٥٤٢) -.

(٢) في «السنة» رقم (٨٧٠) **وإسناده صحيح**.
قلت: وأخرجه الحاكم في «المستدرك» (١/ ٣٣) وقال: **حديث صحيح على شرط الشيخين** ولا نعلم له علة ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي.
ولفظه عند الحاكم: «**لا يزال أمر هذه الأمة قواماً أو قال مقارباً ما لم يتكلموا في الولدان والقدر**».
وأخرجه اللالكائي رقم (١١٢٧).

(٣) أي لعبد اللَّهِ في «السنة» رقم (٨٩٢) **وإسناده صحيح**.

(٤) أي لعبد الله في «السنة» رقم (٩٢٩).
قلت: وأخرجه اللالكائي رقم (١١٩٨) والأصبهاني في «الحجة في بيان المحجة» (٢/ ٦١) والفريابي في «القدر» رقم (٥٤،٥٥) وابن وهب في القدر (٢٢،٢٣) وأبو داود في كتاب «القدر» كما في «تهذيب الكمال» (١٦/ ٣٥٨) **بسند ضعيف**.

(٥) الجاثليق: لقب عظيم عظماء النصارى كما عند ابن وهب في كتاب «القدر» رقم (٢٣).

خلقكَ، واللَّهُ أضلّك ثم يميتك ثم فيدخِلُك النارَ إن شاء الله، واللَّهِ لولا عقدٌ لك لضربتُ عنقَك، ثم قال: إن اللَّهَ خلقَ آدمَ فنثر ذريتَه في يديه ثم كتب أهلَ الجنةِ وما هم عاملون، وكتبَ أهلَ النارِ وما هم عاملون، ثم قال: هؤلاء لهذه وهؤلاء لهذه. قال: فتصدّع الناسُ وما يُتنازعُ في القدر.

وقال علي[1] رضي الله عنه: ما من آدميٍّ إلا ومعه ملكٌ يقيه ما لم يقدَّر له، فإذا جاء القدرُ خلّاه وإياه.

وله[2] عنه رضي الله عنه قال: وذُكر عنده القدرُ يوماً فأدخلَ إصبعَيه السبابةَ والوسطى في فيه فرَقَم بهما باطنَ يديه فقال: أشهد أن هاتين الرقْمتينِ كانتا في أمِّ الكتابِ.

وله[3] عن أسير بن جابرٍ قال: طلبتُ علياً في منزله فلم أجدْه، فنظرت فإذا هو في ناحية المسجد. قال: فقلت له ـ كأنه خوفه ـ قال فقال: إيهِ ليس أحدٌ إلا ومعه ملكٌ يدفع عنه ما لم ينزِل القدرُ، فإذا نزل القدر لم يُغنِ شيئاً.

وله[4] عن عبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ رضي الله عنهما ـ وقال له رجلٌ إنا نسافر فنلقى قوماً يقولون لا قدَرٌ ـ قال: إذا لقيتَ أولئكَ فأخبِرهُم أن ابنَ عمرَ منهم بريءٌ وهم منه بُرَآءُ، ثلاث مرات.

ولعبد الرزاقِ[5] عن يحيى بنِ يعمَرَ قال: قلت لابن عمرَ: إن أناساً عندنا يقولون: الخيرُ والشرُ بقدر. وناسٌ عندنا يقولون الخيرُ بقدر والشرُ ليس بقدر ـ فقال ابنُ عمرَ: إذا رجعتَ إليهم فقل لهم: إن ابنَ عمرَ يقول إنه منكم بريءٌ وأنتم منه بُرآءُ.

---

(١) أخرجه عبد الله في «السنة» رقم (٨٧٤) وإسناده صحيح.
(٢) لعبد الله في «السنة» رقم (٩٥٥) والآجري في «الشريعة» (ص٢٠٢) واللالكائي رقم (١٢١٣) وفيه عبد الله بن عبد الرحمن بن كعب بن مالك، قال عنه الحافظ في «تعجيل المنفعة» (١/ ٧٥٠ رقم ٥٦٣): «فيه نظر».
(٣) لعبد الله في «السنة» رقم (٨٧٧) وإسناده صحيح.
(٤) لعبد الله في «السنة» رقم (٩٢١).
قلت: وأصله عند مسلم في صحيحه (١/ ٣٨ رقم ٢/ ٨).
وأخرجه الفريابي في «القدر» (ص١٤٥) رقم (٢٠٩) و (ص١٤٧ رقم ٢١٠).
(٥) أخرجه عبد الله في «السنة» رقم (٩٢٦). وفي سنده سعيد بن حيان لم أعرف له ترجمة.
وأخرجه اللالكائي رقم (١٢٣١) بسند آخر إلى يحيى بن معمر.

ولعبد اللَّهِ بنِ أحمدَ[1] رضي الله عنه قال: من زعم أن مع الله بارئاً أو قاضياً أو رازقاً أو يملِك لنفسه ضراً أو نفعاً أو موتاً أو حياةً أو نشوراً بعثه اللَّهُ يوم القيامةِ فأخرسَه وأعمى بصرَه وجعل عملَه هباءً منثوراً وقطّع به الأسباب وكبّه على وجهه في النار.

وله[2] عن نافعٍ قال: قيل لابن عمرَ: إن قوماً يقولون لا قدر. فقال: أولئك القدَريون، أولئكَ مَجوسُ هذه الأمةِ.

وله[3] عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: مضت الكتبُ وجفّت الأقلامُ فشقيٌّ أو سعيد، فريقٌ في الجنة وفريق في السعير.

وله[4] عن الحسن بنِ عليٍّ رضي الله عنه قال: رفع الكتابُ وجفت الأقلامُ، وأمورٌ تقضى في كتاب قد خلا.

وفي رواية[5] قُضيَ القضاءُ وجَفّ القلمُ وأمورٌ تُكفى في كتاب قد خلا.

وله[6] عنه رضي الله عنه قال: سيكون ناسٌ يصدّقون بقدر ويكذبون بقدر، فيلعنهم أبو هريرةَ عند قولهم هذا.

وله[7] عن عمارٍ مولى بني هاشمٍ قال: سألتُ أبا هريرةَ عن القدر فقال: اكتفِ بآخر سورةِ الفتحِ.

وله[8] عن أبي الحجاجِ الأزديّ عن سلمان رضي الله عنه قال: لقِيتُه بماء سبَذَانَ، قال

---

(١) في «السنة» رقم (٩٥٧) وفي سنده مؤمل: صدوق سيء الحفظ وسنده حسن.
(٢) لعبد الله في «السنة رقم (٩٥٨) وفي سنده مؤمل: صدوق سيء الحفظ وسنده حسن.
(٣) لعبد الله في «السنة» رقم (٨٧٨). في إسناده كريب الحضرمي وكثير بن نمر لم أقف لهما على ترجمة.
(٤) لعبد الله في «السنة» رقم (٨٧٥ و ٨٨١) ورجاله ثقات.
قلت: وأخرجه الطبراني في «الكبير» رقم (٢٦٨٤) بسند لين في ليث بن أبي سليم. واللالكائي رقم (١٢٣٤) والآجري (ص٢٤٨).
(٥) لعبد الله في «السنة» رقم (٨٨١) وفيه حميد الطويل ثقة يدلس.
(٦) لعبد الله في «السنة» رقم (٩٢٠) بسند حسن وليس في سنده ابن لهيعة.
قلت: وأخرجه الطبراني في «الأوسط» رقم (٣١١٤) وقال الهيثمي في «المجمع» (٧/ ٢٠٥) وفيه ابن لهيعة وهو لين الحديث.
(٧) لعبد الله في «السنة» رقم (٩٣٠) بسند حسن.
(٨) لعبد الله في «السنة» رقم (٩٢٣).
=

فقلت له: أخبرني كيف الإيمانُ بالقدر؟ قال: أن تعلمَ أنَّ ما أصَابك لم يكن ليُخطئك، وما أخطأك لم يكن ليُصيبك، ولا تقل لو كان كذا لكان كذا، ولو نفعل كذا لكان كذا.

وروى عبدُ الرزاق[1] عن معمرٍ قال: قال عمرُو بنُ العاصِ لأبي موسى الأشعريِّ: ودِدْتُ أني وجدتُ من أخاصمُ إليه ربي. فقال أبو موسى: أنا. فقال عمْرُو بنُ العاصِ: أيقدِّر عليَّ شيئاً يعذِّبني عليه؟ فقال أبو موسى: نعم، قال: لِمَ؟ قال: لأنه لا يظلمك. فقال عمْرٌو: صدقْتَ.

وله[2] عن ابن الديلميِّ: سألتُ عبدَ الله بنَ عمرٍو عن «جف القلم» فقال: إن اللَّهَ حين خلق الخلقَ ألقى عليهم من نوره، فمن أصابه شيءٌ منه اهتدى. وكلامُ الصحابةِ في هذا البابِ يطول ذكرُه، وقد جُمعت فيه التصانيفُ الكثيرة.

ذكرُ أقوالِ التابعين

قال[2] عبيدُ بنُ عمير: إنكم مكتوبون عند الله بأسمائكم وسيماكم ونجواكم وحِلاكم ومجالسِكم.

وقال[3] سعيدُ بنُ جبير: ﴿يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾ [الأنفال: ٢٤]، قال: يحولُ بين المؤمنِ والكفرِ، وبين الكافر والإيمان.

= قلت: وأخرجه عبد الرزاق في مصنفه رقم (٢٠٠٨٣) والآجري (ص٢٠٦) واللالكائي في «الاعتقاد» رقم (١٢٤٠) والطبراني في «الكبير» (٦/ ٢٢٠ رقم ٦٠٦٠).

وأورده الهيثمي في «المجمع» (٧/ ١٩٩) وقال: رواه الطبراني وأبو الحجاج لم أعرفه وبقية رجاله رجال الصحيح.

(١) في مصنفه رقم (٢٠٠٩٧).

قلت: وأخرجه عبد الله في «السنة» رقم (٩٢٧) **بسند منقطع** لأن معمر لم يرو عن عمرو.

(٢) أخرجه عبد الله في «السنة» رقم (٨٧٩) وفي سنده الأعمش ثقة حافظ يدلس.

(٣) أخرجه عبد الله في «السنة» رقم (٨٨٠) **بسند حسن**.

وابن جرير في «جامع البيان» (٦/ ج٩/ ٢١٥). وابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٦٨٠ رقم ٨٩٥٤).

وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ٤٤ ـ ٤٥) لابن مردويه.

وأخرجه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٣٢٨) موقوفاً، وقال: **صحيح على شرط الشيخين** ولم يخرجاه. =

وقال[1] رحمه الله تعالى فذكرَ قصةَ بُختَ نَصَّرَ ومُلكِ ابنِه، فرأى كفاً فُرجتْ بين لوحين ثم كَتبتْ سطرين. فدعا الكُهّانَ والعلماءَ فلم يجد عندهم منه علماً، فقالت له أمُّه: إنك لو أعذتَ لدانيال منزلتَه التي كانت له من أبيك ـ وكان قد جفاه ـ أخبرك. فدعاه فقال: إني معيدٌ لك منزلتَك من أبي، فأخبرنا ما هذان السطرانِ؟ قال: أما ما ذكرتَ أنك معيدٌ لي منزلتي من أبيك فلا حاجةَ لي بذلك. وأما هذان السطرانِ فإنك تُقتل الليلةَ. فأخرج من في القصرِ أجمعين، وأمر بقَفلةِ جِلادٍ فقُفّلت بها الأبوابُ عليه، وأدخل معه آمنَ أهلِ القريةِ في نفسِه، معه سيفٌ، وقال له: من جاء من خلق اللّهِ فاقتله وإن قال: أنا فلان. وبعث اللّهُ عليه البطن فجعل يمشي والآخرُ مستيقظٌ، حتى إذا كان على شطرِ الليلِ رقَد ورقد صاحبُه، ثم نبّهه البطنُ فذهب يمشي والآخرُ راقدٌ فرجع فاستيقظ فقال: أنا فلان، وضربَه بالسيف فقتله.

وقال ابنُ المسيِّبِ[2] ما قدّر اللّهُ فهو قدرٌ. وكان إياسُ بنُ معاويةَ[3] يقول: أعلمُ الناسِ بالقدرِ ضعفاؤُهم، يقول: إن كلَّ من لم يدخُل في خصومة القدر كان من قوله إذا تكلم: كان من قدرِ اللّهِ كذا وكذا.

وقال معْمَرٌ[4]: إن ابنَ شُبْرمَةَ كان يغضب إذا قيل له مدّ الله في عمرك، يقول: إن العمر لا يزاد فيه ولا يُنقص.

وقال أبو حازم[5]: قال الله تعالى: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۞﴾ [الشمس].

قال: الفاجرةُ ألهمها اللّهُ الفجورَ، والتقيّةُ ألهمها اللّهُ التقوى.

= وعزاه ابن كثير في تفسيره (٢/ ٣١٠) لابن مردويه مرفوعاً.
وقال ابن كثير: ولا يصح لضعف إسناده والموقوف أصح.

(١) أخرجه عبد الله في «السنة» رقم (٨٨٢) **بسند صحيح.**

(٢) أخرجه عبد الله في «السنة» رقم (٨٨٣) **بسند صحيح.**
وابن بطة في «الإبانة» (٢/ ٢٢١ رقم ١٧٩٩ ـ ك٢).

(٣) أخرجه عبد الله في «السنة» رقم (٨٨٤) **بسند صحيح.**

(٤) أخرجه عبد الله في «السنة» رقم (٨٨٥) **بسند صحيح.**

(٥) أخرجه عبد الله في «السنة» رقم (٨٩٠) **بسند صحيح.**
وأخرجه الآجري في «الشريعة» (١/ ٤٣٤ رقم ٥٤٣/ ٢٦٨) وقال الشيخ مقبل في «كتاب القدر» (ص٥٠٨): «هذا الأثر صحيح».

وقال مجاهدٌ[1]: قولُ الله: ﴿إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ٣٠]. قال: علمَ من إبليسَ المعصيةَ وخلقه لها.

وعن إبراهيمَ[2] بنِ أبي عَبلةَ قال: وقف رجاءُ بنُ حَيوة على مكحول وأنا معه فقال: يا مكحولُ بلغني أنك تكلمتَ في شيء من القدر، ووالله لو أعلم ذلك لكنتُ صاحبَك من بين الناس. فقال مكحول: لا والله أصلحك الله، ما ذاك من شأني ولا من قولي. أو نحوَ ذلك.

وقال إبراهيمُ النخعيُّ[3]: إن آفةَ كلِّ دينٍ كان قبلكم ـ أو قال: ـ آفةُ كلِّ دينٍ القدرُ.

وقال مُطرِّفُ[4] بنُ عبدِ الله بنِ الشِّخِّيرِ: لم يُوكلْ في القرآن إلى القدر، وأخبرنا أنا إليه نَصيرُ.

وكان طاوسٌ[5] بمكةَ يصلي ورجلان خلفَه يتجادلان في القدر، فانصرف إليهما فقال: يرْحَمُكما اللهُ تُجادلان في حكم الله؟

وقال ميمونٌ[6]: لا تسبوا أصحابَ النبيِّ ﷺ، ولا تَعلَّموا النجومَ، ولا تجادلوا أهلَ القدرِ.

---

(١) أخرجه عبد الله في «السنة» رقم (٨٩١): **بسند صحيح**.
وابن أبي حاتم في تفسيره (١/ ٧٩ رقم ٣٣٤).
وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١/ج١/ ٢١٢).

(٢) أخرجه عبد الله في «السنة» رقم (٨٩٣) **بسند صحيح**.

(٣) أخرجه عبد الله في «السنة» رقم (٨٩٥) **رجاله ثقات غير أن فيه انقطاعاً بين يعلى ووائل**.
وابن بطة في «الإبانة» (٢/ ٢٢١ رقم ١٨٠١ك٢).

(٤) أخرجه عبد الله في «السنة» رقم (٨٩٩) **بإسناد صحيح**.
وابن بطة في «الإبانة» (٢/ ١٩٧ رقم ١٧١٧ك٢) والآجري (ص٢٢٠) وعبد الرزاق في مصنفه رقم (٢٠٠٨٩) و (٢٠٠٩٨).
وصححه الشيخ مقبل بمعناه في كتاب «القدر» (ص٥٠٧).

(٥) أخرجه عبد الله في «السنة» رقم (٩٠٩) **بسند حسن**.

(٦) أخرجه عبد الله في «السنة» رقم (٩١٠) رجاله ثقات.
وأخرجه الإمام أحمد في «فضائل الصحابة» (١/ ٦٠ رقم ١٩) **بإسناد صحيح**.
وانظر: تعليق محقق «فضائل الصحابة».

وقال طاوسٌ[1] أيضاً: أدركتُ ناساً من أصحاب النبيِّ ﷺ يقولون كلُّ شيء بقدر.

وقال أبو حازم[2]: لعنَ اللَّهُ ديناً أنا أكبرُ منه ـ يعني التكذيب بالقدر ـ يقول هذا عندما يروي حديثَ عمْرِو بنِ شعيبٍ عن أبيه عن جده أن رسولَ الله ﷺ قال: **«لا يؤمن المرءُ حتى يؤمنَ بالقدر خيرِه وشرِّه»**[3].

وعن عمْرو بنِ محمدٍ[4] قال: كنتُ عند سالم بنِ عبدِ اللَّهِ فجاءَه رجلٌ فقال: الزنا بقدر؟ فقال: نعم. قال: كتبَه علي؟ قال: نعم. قال: ويعذّبني عليه؟ قال: فأخذ له الحصى.

وقال الحسن[5]: من كذّب بالقدر فقد كذّب بالقرآن. وقال مجاهدٌ[6] في

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٤٥ رقم ٢٦٥٥).
وعبد الله في «السنة» رقم (٩١٣) **بإسناد حسن**.
ومالك في «الموطأ» (٢/ ٨٩٩) والفريابي في «القدر» (ص١٨٩ رقم ٢٩٩).

(٢) أخرجه عبد الله في «السنة» رقم (٩١٦) **بسند حسن**.

(٣) أخرجه أحمد في «المسند» (٢/ ١٨١ و ٢١٢) وعبد الله في «السنة» رقم (٩١٦) وأبو يعلى رقم (٧٣٤٠) والفريابي في «القدر» (ص١٤٢) رقم (٢٠٢).
وابن أبي عاصم (١/ ٦١) واللالكائي (٢/ ٦٠١) وابن بطة في «الإبانة»(٢/ ٥٩ رقم ١٤٦٣ك٢).
وأورده الهيثمي في «المجمع» (٧/ ١٩٩) وقال: رواه الطبراني في «الأوسط» (٧/ ١٢٢ رقم ٧٠٤٣) وأبو يعلى **ورجاله ثقات**.

(٤) أخرجه عبد الله في «السنة» رقم (٩٣٣).
وابن بطة في «الإبانة» (٢/ ٤٦ رقم ١٤٣٧) والآجري في «الشريعة» (ص٢٤٠) واللالكائي رقم (١٢٧٠).

(٥) أخرجه عبد الله في «السنة» رقم (٩٣٤) **إسناده صحيح**.
وأخرجه عبد الرزاق في مصنفه رقم (٢٠٠٨٥) واللالكائي رقم (١٢٥٤) وابن بطة في «الإبانة» (٢/ ١٨٠ رقم ١٦٦ك٢).

(٦) أخرجه عبد الله في «السنة» رقم (٩٣٩) **بإسناد صحيح**.
وابن بطة في «الإبانة» (٢/ ٢٠٦) رقم (١٧٤٨ك٢). وابن جرير في «جامع البيان» (١٠/ ج١٨/ ٣٦).
وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ١٠٧) لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٣]، قال: أعمالٌ لا بد لهم من أن يعملوها.

وعن أبي صالح[١]: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ [النساء: ٧٩] وأنا قدَّرتُها عليك.

وقال حُميدٌ[٢]: قدِم الحسنُ مكةَ، فقال لي فقهاءُ مكةَ ـ الحسنُ بنُ مسلم وعبدُ الله بنُ عبيدٍ ـ لو كلمتَ الحسنَ فأخلانا يوماً. فكلمتُ الحسنَ فقلت: يا أبا سعيدٍ إخوانُك يُحبّون أن تجلِس لهم يوماً. قال: نعم ونِعمتْ عينٌ، فواعدَهم يوماً فجاءوا واجتمعوا، وتكلم الحسنُ، وما رأيتُه قبلَ ذلك اليومِ ولا بعد أبلغَ منه ذلك اليومَ، فسألوه عن صحيفة طويلةٍ فلم يُخطئ فيها شيئاً إلا في مسألة.

فقال له رجلٌ: يا أبا سعيدٍ من خلقَ الشيطانَ؟ قال: سبحان الله، سبحان الله، وهل من خالق غيرُ الله؟ ثم قال: إن الله تعالى خلق الشيطانَ وخلق الشرَّ وخلق الخير. فقال رجلٌ منهم: قاتلهم اللَّهُ يكْذِبون على الشيخ.

وقال[٣] أيضاً: قرأتُ على الحسن في بيتِ أبي خليفةَ القرآنَ أجمعَ من أوله إلى آخرِه، وكان يفسّره على الإثبات.

وقال خالدٌ الحذّاءُ[٤]: قلت للحسن: أرأيتَ آدمَ أللجنة خُلق أم للأرض؟ قال: للأرض؟ قال قلت: أرأيتَ لو اعتصم؟ قال: لم يكن بدٌّ من أن يأتي على الخطيئة.

وقال إياسُ بنُ معاويةَ[٥]: ما كلمتُ أحداً من أهلِ الأهواء بعقلي كلِّه، إلا

---

(١) أخرجه عبد الله في «السنة» رقم (٩٤٠) **بإسناد صحيح**.
وابن جرير في «جامع البيان» (٤/ج٥/١٧٦) وابن أبي حاتم في تفسيره (٣/ ١٠١١ رقم ٥٦٦١).

(٢) أخرجه عبد الله في «السنة» رقم (٩٤٢) **وفي سنده حميد الطويل ثقة مدلس**.

(٣) أخرجه عبد الله في «السنة» رقم (٩٤٤) **وفيه حميد الطويل ثقة يدلس**.

(٤) أخرجه عبد الله في «السنة» رقم (٩٤٥) **بإسناد صحيح**.
وابن بطة في «الإبانة» (٢/ ١٨٤ رقم ١٦٨٠ ـ ك٢) والآجري في «الشريعة» (١/ ٤٢٣ رقم ٥٠٧/ ٢٣٢) ورقم (٥٠٨/ ٢٣٣).

(٥) أخرجه عبد الله في «السنة» رقم (٩٤٦) **بإسناد صحيح**. =

القدرَ، فإني قلت لهم: ما الظلمُ فيكم؟ فقالوا: أن يأخذ الإنسانُ ما ليس له. فقلتُ لهم: فإن اللَّهَ على كل شيء قديرٌ.

ولعبد الرزاق[1] عن مَعْمَرٍ قال: كتب عمرُ بنُ عبد العزيزِ إلى عديٍّ بنِ أرطاةَ: «أما بعدُ: فإن استعمالكَ سعدَ بنَ مسعودٍ على عُمانَ كان من الخطايا التي قدر الله عليكَ وقدّر أن تُبتليَ بها».

ولعبدِ الله[2] بنِ أحمدَ عنه ﷺ قال: لو أرادَ الله ألاّ يُعصى لم يخْلق إبليسَ. ثم قرأ: ﴿مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ۝١٦٢ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ۝١٦٣﴾ [الصافات].

وله[3] عنه ﷺ أنه قال لغيلان: ألستَ تُقرّ بالعلم؟ قال: بلى. قال: فما تريد مع أن اللَّهَ يقول: ﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ۝١٦١ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ ۝١٦٢ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ۝١٦٣﴾ [الصافات].

وله[4] عن أبي جعفرٍ الخطميِّ قال: شهدتُ عمرَ بنَ عبدِ العزيزِ وقد دعا غيلانَ لشيء بلغه في القدر، فقال: ويحك يا غيلانُ، ما هذا الذي بلغني عنك؟ قال: يُكذبُ عليَّ يا أميرَ المؤمنين ويقالُ عليَّ ما لم أقل، قال: ما تقول في العلم،

= والآجري في «الشريعة» (١/ ٤٢٦ رقم ٥١٩/ ٢٤٤). واللالكائي (٢/ ٦٦١ رقم ١٢٨٠). وقال الشيخ مقبل في «القدر» (ص٥٠١) هذا الأثر صحيح.

(١) في مصنفه رقم (٢٠٠٩١).
قلت: وأخرجه اللالكائي رقم (١٢٤٨) وابن بطة في «الإبانة» (٢/ ٢٣٧ رقم ١٨٤٤ ـ ك٢) وعبد الله في «السنة» رقم (٩٣٥) **بإسناد صحيح**.

(٢) في «السنة» رقم (٩٣٦) **بإسناد صحيح**.
قلت: وأخرجه عبد الرزاق في تفسيره (٢/ ١٢٨ رقم ٢٥٦٢) والبيهقي في «الأسماء والصفات» رقم (٣٢٧) والفريابي في «القدر» (ص١٩٣ رقم ٣١٤).

(٣) لعبد الله في «السنة» رقم (٩٤٧) في سنده خصيف بن عبد الرحمن صدوق سيء الحفظ خلط بآخره ورمي بالإرجاء.
قلت: وأخرجه الفريابي في «القدر» (ص٢٠٣ رقم ٣٤٠).

(٤) لعبد الله في «السنة» رقم (٩٤٨) **بسند حسن**.
قلت: وأخرجه الآجري في «الشريعة» (١/ ٤٣٨ ـ ٤٣٩ رقم ٥٥٦/ ٢٨١) والفريابي في «القدر» (ص١٨١ ـ ١٨٢ رقم ٢٨٠) وابن بطة في «الإبانة» (٢/ ٢٣٤ ـ ٢٣٥ رقم ١٨٣٨ ـ ك٢) واللالكائي رقم (١٣٢٣). **بسند حسن**.

قال: قد نفِذَ العلمُ. قال: فأنت مخصومٌ. اذهب الآن فقل ما شئتَ. ويحك يا غيلانُ إنك إن أقررتَ بالعلم خُصِمْتَ، وإن جحدتَ كفرْتَ. وإنك أنْ تُقِرَّ به فتُخْصَمَ خيرٌ لك من أن تجحدَه فتكفر.

قال ثم قال له: تقرأ يس؟ فقال نعم. فقال له اقرأ: ﴿يسٓ ۝١ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢﴾ [يس]. فقرأ: ﴿يسٓ ۝١ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢﴾ - إلى قوله - ﴿لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٧﴾ [يس]، قال: قفْ، كيف ترى؟ قال: كأني لم أقرأ هذه الآيةَ يا أميرَ المؤمنين. قال: زد. قال: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ۝٨ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا﴾ [يس: ٨ - ٩]. قال له عمرُ: قل سداً فأغشيناهم. قال، قال له عمرُ قل: ﴿فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝١٠﴾ [يس].

قال: كيف ترى؟ قال: كأني لم أقرأ هذه الآياتِ، وإني أعاهد اللّهَ أن لا أتكلمَ في شيء مما كنت أتكلم فيه أبداً. قال: اذهب، فلما ولّى قال: اللهم إن كاذباً فيما قال فأذِقْهُ حرَّ السلاحِ.

قال: فلم يتكلم زمنَ عمرَ، فلما كان زمنُ يزيدَ بنِ عبدِ الملكِ جاء رجلٌ لا يهتم لهذا ولا ينظر فيه، قال: فتكلم غيلانُ، فلما وَلِيَ هشامٌ أرسل إليه فقال: أليس عاهدتَ اللّهَ تعالى لعمرَ أن لا تتكلمَ في شيء من هذا الأمرِ أبداً. قال: أقِلْني، فلا واللّهِ لا أعودُ. قال: لا أقالني اللّهُ إن لم أقتُلْكَ، هل تقرأ فاتحةَ الكتابِ؟ قال: نعم، قال: اقرأها. فقرأ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة].

قال: قفْ علامَ تستعينُه؟ أعلى أمر بيده لا تستطيعه إلا به، أو على أمر في يدك أو بيدك؟ اذهبا به فاقطعا يديه ورجليه، واضربوا عُنقَه واصلبوه.

قال ابنُ عونٍ[1]: أنا رأيتُ غيلانَ مصلوباً على باب دمشقَ.

---

(١) أخرجه عبد الله في «السنة» رقم (٩٤٩) **بإسناد صحيح**.

والفريابي في «القدر» (ص١٨٣ رقم ٢٨١). وابن بطة في «الإبانة» (٢/ ٢٣٥ رقم ١٨٣٩ - ك٢)، =

وعنه[1] قال في أصحابِ القدَر: فإن تابوا وإلا نُفوا من دار المسلمين.

وقال[2] مالكٌ عن عمه سهْلٍ قال: كنتُ مع عمرَ بنَ عبدِ العزيزِ فقال لي: ما ترى في هؤلاء القدَرية؟ قال قلت: أرى أن تستتيبَهم فإن قبِلوا وإلا عرضْتَهم على السيف. فقال عمرُ بنُ عبد العزيز: ذلك رأيي، قلت: أسألُك فما رأيُك أنت؟ قال: هو رأيي. القائلُ لمالك فما رأيُك؟ هو إسحاقُ بنُ عيسى.

وكان نافعٌ[3] مولى ابنِ عمرَ يقول لأميرٍ كان على المدينة: أصلحك اللّهُ اضربْ أعناقَهم. يعني القدَرية.

وقال ابنُ سيرينَ[4]: إن لم يكن أهلُ القدَر من الذين يخوضون في آياتِ الله فلا أدري من هم.

وقال مجاهد[5]: لا يكون مَجوسيةٌ حتى يكون قدريةٌ، ثم تزندقوا ثم تمجّسوا.

وقال منصورُ[6] بنُ عبدِ الرحمنِ: سألتُ الحسنَ عن قوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ [هود: ١١٨ ـ ١١٩]. فقال: الناس مختلفون على أديان شتى إلا من رحم ربك، ومن رحم غير مختلف فيه، فلقّنته: ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود: ١١٩]. قال: نعم، خلق هؤلاء لجنته وخلق هؤلاء لناره. وخلقَ هؤلاءِ لرحمتِه وهؤلاء لعذابِه.

= واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٢/ ٦٨٩).
وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٢٠٧) وقال: «رواه أحمد ورجاله ثقات».

(١) عبد الله في «السنة» رقم (٩٥١) **بسند حسن.**
قلت: وأخرجه ابن بطة في «الإبانة» (٢/ ٢٣٧ رقم ١٨٤٣ ـ ك٢)، واللالكائي (٢/ ٢٨٦).

(٢) أخرجه عبد الله في «السنة» رقم (٩٥٢) **بإسناد حسن.**
وابن أبي عاصم في «السنة» رقم (١٩٩) والآجري في «الشريعة» رقم ((٥٥٢/ ٢٧٧) **بسند صحيح.** ورقم (٥٥٣/ ٢٧٨) **بسند ضعيف.** ورقم (٥٥٤/ ٢٧٩) **بسند صحيح.** ومالك في «الموطأ» (٢/ ٩٠٠) وابن بطة في «الإبانة» (٢/ ٢٣٣ رقم ١٨٣٤ ـ ك٢).

(٣) أخرجه عبد الله في «السنة» رقم (٩٥٤).

(٤) أخرجه عبد الله في «السنة» رقم (٩٥٦)، والآجري في «الشريعة» (ص٢٠٢) واللالكائي رقم (١٢١٣). **بسند حسن.**

(٥) أخرجه عبد الله في «السنة» رقم (٩٦٠) **بإسناد حسن.**

(٦) أخرجه عبد الله في «السنة» رقم (٩٥٠). وفي سنده منصور بن عبد الرحمن صدوق يهم.
وابن جرير في «جامع البيان» (٧/ج١٢/ ١٤٣). وابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ٢٠٩٥ رقم ١١٢٩٥).

وقال[1] أيضاً للحسن: قوله تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ﴾ [الحديد: ٢٢]. قال: قسمةُ الله، ومن يشكُ في هذا؟ كلُ مصيبةٍ بين السماء والأرض ففي كتابِ اللّهِ تعالى قبل أن تُبرأَ النَسمةُ.

وقال محمدُ بنُ كعبٍ[2] القُرظيُّ نزلت هذه الآيةُ: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾ [القمر]. في أهل القدَر.

وفي رواية[3] عنه قال: نزلت تعييراً لأهل القدَر.

وعنه[4] أن الفضلَ[5] الرُقاشيَّ قعد إليه فذاكره شيئاً من القدر، فقال له محمدُ بنُ كعبٍ القرظيُّ تَشهدُه فلما بلغ: «من يهده اللّهُ فلا مُضلَّ له ومن يُضللْ فلا هاديَ له» رفع محمدٌ عصاً معه فضرب بها رأسَه وقال: قم. فلما قام فذهب قال: لا يرجِعُ هذا عن رأيه أبداً.

وقال مطرٌ[6] رحمه الله: لقِيني عمرُو بنُ عُبيدٍ[7] فقال: واللّهِ إني وإياك لعلى

---

(١) أخرجه عبد الله في «السنة» رقم (٩٦١). في إسناده منصور بن عبد الرحمن الغداني صدوق يهم.
والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧/ ١٤٠ ـ ١٤١ رقم ٩٧٧٠) وابن جرير في «جامع البيان» (١٣/ج٢٧/ ٢٣٤).
وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٦٢) وعزاه للبيهقي في «الشعب» وذكره ابن كثير في تفسيره (٤/ ٣٣٦).

(٢) أخرجه عبد الله في «السنة» رقم (٩١٩) في إسناده خصيف صدوق سيء الحفظ خلط بأخره ورمي بالإرجاء.
وأخرجه الفريابي في «القدر» (١٦٠ ـ ١٦١ رقم ٢٢٦) وابن بطة في «الإبانة» (٢/ ٢١٢ رقم ١٧٦٨ ـ ك٢). والأجري في «الشريعة» (١/ ٤٢٩ رقم ٥٢٦/ ٢٥١). **وإسناده ضعيف.**

(٣) أخرجه عبد الله في «السنة» رقم (٩٤١) والآجري في «الشريعة» (١/ ٤٢٩ رقم ٥٢٧/ ٢٥٢ **بإسناد لا بأس به**، من أجل سالم ابن أبي حفص صدوق في الحديث إلا أنه شيعي غالي، قال الحافظ: وتابعه خصيف عند عبد الله في «السنة» رقم (٩١٩) و (٩٤١) وأخرجه اللالكائي رقم (١٢٦٠) بمتابعة عاصم بن محمد العمري.

(٤) أخرجه عبد الله في «السنة» رقم (٩٦٢) **بإسناد حسن.**

(٥) وهو قدري منكر الحديث. انظر ترجمته في «تهذيب التهذيب» (٣/ ٣٩٤).

(٦) أخرجه عبد الله في «السنة» رقم (٩٦٣) في سنده مطر الوراق صدوق كثير الخطأ.
وأخرجه ابن بطة في «الإبانة» (٢/ ٢٠٨ رقم ١٧٥٦ ـ ك٢).

(٧) هو عمرو بن عبيد بن أبان، أبو عثمان البصريُّ المعتزليُّ القدري مع زهده وتألُهه... =

أمرٍ واحدٍ. قال: وكذب واللَّهِ إنما عني على الأرض. وقال: واللَّهِ ما أصدِّقُه في شيء.

وعن ثابتٍ البنانيِّ[1] قال: رأيتُ عمْرَو بنَ عبيدٍ وهو يحكّ المُصحَفَ، فقلت: ما تصنع؟ فقال: أُثبِتُ مكانه أخيرَ منه.

وعن حماد بنِ زيدٍ[2] قال: كنت مع أيوبَ ويونسَ وابنِ عونٍ وغيرِهم، فمر بهم عمرُو بنُ عبيدٍ فسلم عليهم ووقف وقْفتَه، فما ردّوا عليه السلام، ثم جاز فما ذكروه.

وعن الحسن[3] بنِ شقيقٍ قال: قلت لعبد الله ـ يعني ابنَ المبارك ـ: سمعتُ من عمْرِو بنِ عبيدٍ؟ قال: هكذا بيده، أي كثيراً. قلت: فلم لا تسمّيه وأنت تسمي غيرَه من القدَرية؟ قال: لأن هذا كان رأساً.

وعن معاذ بنِ مُكْرم[4] قال: رآني ابنُ عونٍ مع عمرو بنِ عبيدٍ في السوق فأعرض عني، قال: فاعتذرتُ إليه قال: أما إني قد رأيتُك فما زادني.

وعن أبي بحرٍ البكراويِّ[5] قال: قال رجلٌ لعمرو ـ يعني ابنَ عبيدٍ ـ وقرأ عنده هذه الآيةَ: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ۝٢٢﴾ [البروج]. فقال له: أخبرني عن: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ﴾ [المسد: ١] كانت في اللوح المحفوظ؟ قال: ليست هكذا كانت. قالوا: وكيف كانت؟ قال: كانت تبتْ يدا من عمل بمثلِ ما عمل أبو لهب، فقال له الرجل: وهكذا ينبغي لنا أن نقرأ إذا قمنا إلى الصلاة؟ فغضِبَ عمرٌو. فتركه حتى سكَن ثم قال له: يا أبا عثمانَ أخبرني عن تبت يدا أبي

= انظر ترجمته في: «الميزان» (٥/ ٣٢٩ ـ ٣٣٤) رقم (٦٤١٠/ ٤٢٧٩).

(١) أخرجه عبد الله في «السنة» رقم (٩٦٤) وفي سنده الحسن بن عبد الرحمن بن العريان الحارثي: لم أقف على ترجمته.
وأخرجه ابن عدي في «الكامل» (٥/ ١٧٥١) واللالكائي رقم (١٣٧١) والخطيب في «تاريخ بغداد» (١٢/ ١٧١).

(٢) أخرجه عبد الله في «السنة» رقم (٩٦٥). وفي سنده الهيثم: لم أقف له على ترجمة.

(٣) أخرجه عبد الله في «السنة» رقم (٩٦٦). **رجاله ثقات.**

(٤) أخرجه عبد الله في «السنة» رقم (٩٦٧) وفي سنده معاذ بن مكرم لم أقف على ترجمته.

(٥) أخرجه عبد الله في «السنة» رقم (٩٧٥) وفي سنده **ضعيف ومجهول.**

لهب كانت في اللوح المحفوظ؟ فقال: ليس هكذا كانت. قال: فكيف كانت؟ قال: تبت يدا من عملَ بمثل عملِ أبي لهب، قال: فرددْتُ عليه، قال عمرٌو: إن علمَ اللَّهِ ليس بسلطان، إن علمَ الله لا يضُرّ ولا ينفع.

قلت: إن كان قال هذا ومات عليه فعليه لعنةُ الله والملائكةِ والناس أجمعين، وإن كان ذلك مكذوباً عليه فلعنةُ اللَّهِ على الكاذبين.

وعن سلامِ بنِ أبي مطيع[1] قال: كنت أمشي مع أبي في جنازة وبين أيدينا ثلاثةُ رهْطٍ قد كانوا مع عمرو بنِ عبيدٍ في الاعتزال ثم تركوا رأيه ذلك وفارقوه، قال: فقال لي أيوبُ من غير أن أسأله: لا ترجِعُ قلوبُهم إلى ما كانت عليه.

وعن أبي رجاء[2] قال: رأيتُ رجلين يتكلمان في المِربْد في القدَر، فقال فضلٌ الرُقاشيُّ لصاحبه: لا تُقِرَّ له بالعلم، وإن أقررْتَ له بالعلم فأمكنْتَ من نفسك، يسحبك عرض المِربْد.

وعن حوثرة بنِ أشرس[3] قال: سمعتُ سلاماً أبا المنذرِ غيرَ مرةٍ وهو يقول: سلوهم عن العلم، هل علمَ أو لم يعلم؟ فإن قالوا: قد علمَ فليس في أيديهم شيءٌ، وإن قالوا لم يعلمْ فقد حلت دماؤُهم.

قال حوثرةُ[4]: وحدثنا حمادُ بنُ سلمةَ عن أبي جعفرِ الخطميِّ قال: قيل لعمرَ بنِ عبدِ العزيز: إن غيلانَ يقول القدَرُ كذا وكذا، قال: فمرَّ به فقال: أخبرني عن العلم، قال: سبحان اللَّهِ فقد علمَ اللَّهُ كلَّ نفسٍ ما هي عاملةٌ وإلى ما هي صائرةٌ. فقال عمرُ بنُ عبدِ العزيز: والذي نفسي بيده لو قلت غير هذا لضربتُ عُنقك، اذهب الآن فجاهد جهدَك.

وعن معاذ بنِ معاذٍ[5] قال: صليتُ خلف رجلٍ من بني سعدٍ، ثم بلغني أنه قدريٌّ، فأعدتُ الصلاةَ بعد أربعين سنةً أو ثلاثين سنة.

---

(١) أخرجه عبد الله في «السنة» رقم (٩٧٩) **بإسناد صحيح.**

(٢) أخرجه عبد الله في «السنة» رقم (٨٣٦) **بإسناد ضعيف.**

(٣) أخرجه عبد الله في «السنة» رقم (٨٣٧). **في إسناده من لا يعرف وهو شيخ المؤلف.**

(٤) أخرجه عبد الله في «السنة» رقم (٨٣٨). **فيه انقطاع بين عبد الله وحوثرة.**

(٥) أخرجه عبد الله في «السنة» رقم (٨٣٩) **بإسناد صحيح.** =

وقال إبراهيمُ بنُ طهمانَ[1]: الجهْميةُ كفارٌ والقدريةُ كفارٌ. وقال[2] عمرُو بنُ دينارٍ: قال لنا طاوسٌ: أُخزُوا معبداً الجُهنيّ فإنه قدريٌّ.

وقال الحسنُ بنُ محمدِ بنِ علي[3]: لا تجالسوا أهلَ القدَر. وقال عكرمةُ بنُ عمارٍ[4]: سمعت القاسمَ بنَ محمدٍ وسالمَ بنَ عبد الله يلعنان القدَريةَ الذين يكذّبون بقدرِ اللّهِ حتى يؤمنوا بخيره وشرِّه.

وقال مرحومُ بنُ عبدِ العزيز العطار[5]: سمعتُ أبي وعمي يقولان: سمعنا الحسن - وهو ينهى عن مجالسة معبدٍ الجهنيّ - يقول: لا تجالسوا معبداً فإنه ضالٌّ مضلٌّ. قال مرحومٌ قال أبي: ولا أعلم أحداً يومئذ يتكلم بالقدر غيرَ معبدٍ ورجلٍ من الأساورة يقال له[6] سِسْوَيهِ.

= وأخرجه الفريابي في «القدر» (ص٢١٠ رقم ٣٦٠) وابن بطة في «الإبانة» (٢/ ٢٨٧ رقم ١٩٣١ - ك٢).

(١) أخرجه عبد الله في «السنة» رقم (٨٤٠) **رجاله ثقات إلا حماد بن قيراط.**

(٢) أخرجه الآجري في «الشريعة» (١/ ٤٥٦ رقم ٥٨٩/ ٣٠٩) **بسند صحيح.**
وعبد الله في «السنة» رقم (٨٤٧أ) واللالكائي رقم (١١٤١) والفريابي في «القدر» (ص١٧٧) رقم (٢٦٦).

(٣) أخرجه عبد الله في «السنة» رقم (٨٤٧ ب). والفريابي في «القدر» (ص١٧٨ - ١٧٩ رقم ٢٧٠) وابن بطة في «الإبانة» رقم (١٨٢٩) **رجاله ثقات، لكن فيه تدليس الأعمش.**

(٤) أخرجه عبد الله في «السنة» رقم (٨٤٨) والفريابي في «القدر» (ص١٦٥ رقم ٢٣٩) وابن بطة في «الإبانة» رقم (١٥٥٢) واللالكائي رقم (١١٦٧) والآجري في «الشريعة» (١/ ٤٣١ رقم ٥٣٣/ ٢٥٨).
إسناد حسن من أجل عكرمة بن عمار. قال عنه الحافظ: «صدوق يغلط».
انظر: تهذيب التهذيب» (٣/ ١٣٢).
وقال الشيخ مقبل في كتاب «القدر» (ص٥٠٢): «هذا أثر حسن».

(٥) أخرجه عبد الله في «السنة» رقم (٨٤٩) **بإسناد ضعيف.** واللالكائي رقم (١١٤٢).

(٦) هو زوج والدة موسى الأسواري. مجهول، هكذا قال الذهبي، لكن ابن حجر عقب عليه بقوله: اسمه يونس الأسواري أول من تكلم بالقدر وكان بالبصرة فأخذ عنه معبد الجهني ذكره الكعبي في «طبقات المعتزلة» (ص٦٠).
وقال الحافظ في «لسان الميزان» (٦/ ٣٣٥): كان يلقب سيسْوَيهِ.
انظر: «لسان الميزان» (٣/ ١٣١) و (٦/ ٣٣٥).

وقال عِكرِمةُ[1]: سألتُ يحيى بنَ أبي كثيرٍ عن القدرية فقال: هم الذين يقولون: إن اللَّهَ لم يقدّر الشرَّ.

وقال مسلمُ بنُ يسارٍ[2]: إن معبداً يقول بقول النصارى. وقال عُمارةُ بنُ زاذانَ[3]: بلغني أن القدرية يُحشرون يوم القيامة مع المشركين، فيقولون: واللَّهِ ما كنا مشركين، فيقال لهم: إنكم أشركتم من حيث لا تعلمون. قال: وبلغني أنه يقال لهم يوم القيامة: أنتم خُصماءُ الله عز وجل.

وقال عبدُ الله بنُ أحمدَ[4]: سمعتُ أبي يقول: لا يُصلى خلفَ القدَريةِ والمعتزلةِ والجهميةِ.

وسألتُ أبي[5] مرة أخرى عن الصلاة خلف القدَريِّ فقال: إن كان يخاصِم فيه أو يدعو إليه فلا يصلى خلفه.

سمعتُ أبي[6] وسأله عليُّ بنُ الجهْم عمن قال بالقدر يكون كافراً؟ قال: إذا جحدَ العلمَ، إذا قال: إن اللَّهَ لم يكن عالِماً حتى خلق علماً فعلم فجحد علمَ اللَّهِ فهو كافرٌ اهـ. من كتاب السنة.

وكلامُ الصحابةِ والتابعين وسائرِ الأئمةِ من القرون الثلاثةِ المفضّلةِ ذكرُه، ومحلُّه كتبُ النقلِ الجامعةِ، وفيما ذكرنا كفايةٌ، ولله الحمدُ والمنة.

اللهم يا ربنا ومليكَنا وإلَهنا قد علِمْتَ مَن سعِد بطاعتك والجنة، ومن شقيَ بمعصيتك والنار، وكتبتَ ذلك وسطرتَه وقدّرته وقضيتَه وشَملت الجميعَ قدرتُك ونفذت فيه مشيئتُك، ولك الحكمةُ البالغةُ والحجةُ الدامغةُ، ولا يدري عبدُك في أي القسمين ولا في أي القبضتين هو وأنت تعلم.

---

(١) أخرجه عبد الله في «السنة» رقم (٨٥٠) **بإسناد صحيح.**

(٢) أخرجه عبد الله في «السنة» رقم (٨٥٢). وفي إسناده كلثوم بن جبر: أبو محمد. صدوق يخطئ روى عن مسلم بن يسار وعنه ابنه ربيعة.

(٣) أخرجه عبد الله في «السنة» رقم (٨٥٣) في إسناده المؤمل: صدوق سيء الحفظ.

(٤) في «السنة» رقم (٨٣٣). **إسناده صحيح.**

(٥) في «السنة» رقم (٨٣٤) **بسند صحيح.**

(٦) في «السنة» رقم (٨٣٥) **بسند صحيح.**

اللهم إياكَ نعبدُ، إيماناً بكتبك وتصديقاً لرسُلك وانقياداً لشرعك وقياماً بأمرك ودينِك، وإياك نستعين إيماناً بربوبيتك واستسلاماً لقضائك وقدرِك وافتقاراً إليك وتوحيداً لك في إلٰهيتك وربوبيتك وأسمائك وصفاتِك وخَلْقِك وتكوينك. ولا مشيئةَ إلا أن تشاء، ولا قدرةَ لنا إلا على ما أقدَرْتَنا عليه، ولا معصومَ إلا من عصمْتَ، ولا حول ولا قوة إلا بك.

اللهم اجعلنا ممن أعطى واتقى وصدق بالحسنى فيسِّرتَه لليسرى، اهدنا الصراطَ المستقيمَ صراطَ الذين أنعمتَ عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحينَ وحسُن أولئك رفيقاً، غيرِ المغضوبِ عليهم ممن علمَ الحقَّ وكتمه وتركه وأباه واشترى بآياتك ثمناً قليلاً، ولا الضالينَ الذين ضلَّ سعيُهم في الحياةِ الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً.

اللهم يا من يحول بين المرء وقلبه حُلْ بيننا وبين معصيتِك والكفر، يا مقلبَ القلوبِ ثبتْ قلوبنا على دينك حتى نلقاك به: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨].

[نفي الخصال الست إيمان بالقدر]

(لا نوءَ لا عدوى ولا طيرَ ولا عما قضى اللّهُ تعالى حِولا)
(لا غُولَ لا هامةَ لا ولا صَفَرْ كما بذا أخبر سيدُ البشر)

هذان البيتان من تتمة بحث القدر، فإن نفيَ هذه الخصالِ الستِّ وما في معناها إيمانٌ بالقدر وتوكلٌ على خالق الخيرِ والشرِ، الذي بيده النفعُ والضرُّ. واعتقادُ صحةِ شيءٍ منها شركٌ منافٍ للتوحيد أو لكماله، مناقضٌ للتوكل على الله عز وجل عياذاً بالله منه.

الكلامُ على النَّوء

فأما النوءُ فهو من الاعتقاد في النجوم الذي سبق بسطُ القولُ في بيانِ بطلانِه، فإنهم يعتقدون أن لمطالع الكواكبِ ومغارِبها وسيرِها وانتقالِها واقترانِها وافتراقِها تأثيراً في هبوب الرياحِ وسكونِها، وفي مجيء المطرِ وتأخُّرِه، وفي رُخص الأسعارِ وغلائِها وغيرِ ذلك.

فإذا وقع شيءٌ من الحوادث نسبوه إلى النجوم فقالوا: هذا بنَوء عُطارِدَ أو المشتري أو المرّيخِ أو كذا أو كذا.

وردّ اللَّهُ تعالى ذلك عليهم وأكذبهم بما أنزله على رسولِ الله ﷺ، قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَـٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَـٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾ [الروم].

وقال تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَـٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّـٰلِمُونَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾﴾ [لقمان].

وقال تعالى: ﴿۞ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾﴾ - إلى قوله تعالى - ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الواقعة].

وقال الإمامُ مالكُ بنُ أنسٍ في موطئه[1] رحمه الله تعالى: باب الاستمطار بالنجوم. عن صالح بنِ كيسان عن عبيد الله بنِ عبدِ الله بنِ عُتبةَ بنِ مسعود عن زيد بنِ خالدِ الجُهنيِّ أنه قال: صلى لنا رسولُ الله ﷺ صلاةَ الصبحِ بالحُديبية على أثر سماءٍ كانت من الليل، فلما انصرف أقبل على الناس فقال: «**أتدرون ماذا قال ربُكم؟** قالوا: اللَّهُ ورسولُه أعلمُ. قال: «**قال أصبح من عبادي مؤمنٌ بي وكافرٌ بي، فأما من قال: مُطرنا بفضل اللَّهِ ورحمتِه فذلك مؤمنٌ بي كافرٌ بالكوكب، وأما من قال: مُطِرْنا بنَوءِ كذا وكذا فذلكَ كافرٌ بي مؤمنٌ بالكوكب**». ورواه الشيخان[2] من طريقه بلفظه، وعليه ترجم البخاريُّ رحمه الله تعالى: بابُ[3] قولِ اللَّهِ تعالى: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة: ٨٢].

---

(١) (١/ ١٩٢ رقم ٤).

(٢) البخاري (٢/ ٣٣٣ رقم ٨٤٦) وأطرافه رقم (١٠٣٨) و (٤١٤٧) و (٧٥٠٣) ومسلم في صحيحه (١/ ٨٣ رقم ٧١).

(٣) في صحيحه (٢/ ٥٢٢) رقم الباب (٢٨). والحديث رقم (١٠٣٨).

وقال مسلمُ[1] بنُ الحجاجِ رحمه الله تعالى: حدثنا حَرملةُ بنُ يحيى وعمرُو بنُ سوادٍ العامريُّ ومحمدُ بنُ سلمةَ المُراديُّ، قال المُراديُّ: حدثنا عبدُ الله ابنُ وهْبٍ عن يونسَ، وقال الآخران أخبرنا ابنُ وهْبٍ، قال: أخبرني يونسُ عن ابن شهابٍ قال: حدثني عُبيد اللَّهِ بنِ عبد الله بن عُتبة أن أبا هريرةَ ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**ألم تروا إلى ما قال ربُكم؟ قال: ما أنعمتُ على عبادي من نعمة إلا أصبحَ فريقٌ منهم بها كافرين يقولون الكواكبَ وبالكواكبِ**».

وحدثني محمدُ بنُ سلمةَ المراديُّ، حدثنا عبدُ الله بنُ وهْبٍ عن عمْرو بنِ الحارثِ (ح).

وحدثني عمرو بنُ سوادٍ أخبرنا عبدُ اللَّهِ بنُ وهبٍ أخبرنا عمرُو بنُ الحارث أن أبا يونسَ مولى أبي هريرةَ حدثه عن أبي هريرةَ عن رسولِ الله ﷺ قال: «**ما أنزل اللَّهُ من السماء من بركة إلا أصبحَ فريقٌ من الناس بها كافرين، ينزلُ اللَّهُ الغيثَ فيقولون: الكوكبُ كذا وكذا**»[2]، وفي حديث المراديِّ[2]: «**بكوكب كذا وكذا**».

وحدثني[3] عباسُ بنُ عبدِ العظيم العَنبريُّ حدثنا النضْرُ بنُ محمدٍ حدثنا عكرمةُ ـ وهو ابنُ عمارٍ ـ حدثنا أبو زُمَيلٍ قال: حدثنا ابنُ عباس قال: مُطر الناسُ على عهد النبيِّ ﷺ فقال النبيُّ ﷺ: «**أصبح من الناسُ شاكرٌ ومنهم كافرٌ، قالوا: هذه رحمةُ الله، وقال بعضُهم: لقد صدقَ نوءُ كذا وكذا**. قال: فنزلت هذه الآية: ﴿۞ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾﴾ ـ حتى بلغ ـ ﴿وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الواقعة].

وقال التِرمذيُّ[4] رحمه الله تعالى: حدثنا أحمدُ بنُ منيع حدثنا الحسينُ بنُ

---

(١) في صحيحه (١/ ٨٤ رقم ١٢٦/ ٧٢).
(٢) في صحيح مسلم (١/ ٨٤ رقم .../ ٧٢).
(٣) في صحيح مسلم (١/ ٨٤ رقم ١٢٧/ ٧٣).
(٤) في «السنن» (٥/ ٤٠١ رقم ٣٢٩٥) وقال: **هذا حديث حسن غريب صحيح**، لا نعرفُه مرفوعاً إلا من حديث إسرائيل.
ورواه سفيان الثوري عن عبد الأعلى عن أبي عبد الرحمن السلمي عن عليٍّ نحوَه ولم يرفعه.

محمدٍ حدثنا إسرائيلُ عن عبد الأعلى عن أبي عبد الرحمنِ عن عليٍّ ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة: ٨٢] قال: **شُكرَكم، تقولون مُطرنا بنَوء كذا وكذا وبنجم كذا وكذا**. هذا حديث حسنٌ غريب. ورواه الإمامُ أحمدُ[١] وابنُ أبي حاتمٍ[٢].

وقال ابنُ جريرٍ[٣] حدثني يونسُ أخبرنا سفيانُ عن محمد بنِ إسحاقَ عن محمد بنِ إبراهيمَ بنِ الحارثِ التيميِّ عن أبي سلمةَ عن أبي هريرةَ ﷺ أن رسولَ الله ﷺ قال: «**إن الله ليُصبّح القومَ بالنعمة أو يمسّيهم بها، فيصبح بها قومٌ كافرين يقولون مُطرنا بنوء كذا وكذا**».

قال محمد[٤] هو ابنُ إبراهيمَ فذكرتُ هذا الحديثَ لسعيد بنِ المسيِّبِ فقال: ونحن قد سمعِنا من أبي هريرة.

وقال رحمه الله تعالى: حدثني يونسُ أخبرنا سفيانُ عن إسماعيلَ بنَ أميةَ ـ فيما أحسبه أو غيرِه ـ أن رسولَ الله ﷺ سمعَ رجلاً ومُطروا يقول: مُطرْنا ببعض عَثانينِ الأسد، فقال ﷺ: «**كذبتَ بل هو رزقُ اللّهِ عز وجل**».

وقال[٥] رحمه الله تعالى: حدثني أبو صالح الصراريُّ حدثنا أبو جابرِ محمدُ بنُ عبدِ الملِك الأوديُّ حدثنا جعفرُ بنُ الزبيرِ عن القاسم عن أبي أمامةَ عن النبي ﷺ قال: «**ما مُطِرَ قومٌ من ليلة إلا أصبح قومٌ بها كافرين**، ثم قال: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة: ٨٢]. **يقول قائلٌ مُطرِنا بنجم كذا وكذا**».

وعن الإمام مالك[٦] بنِ أنسٍ رحمه الله أنه بلغه أن أبا هريرةَ ﷺ كان يقول

---

(١) في «المسند» (١/ ٨٩ و ١٠٨ و ١٣١).
(٢) في تفسيره (١٠/ ٣٣٣٤ رقم ١٨٨٠٦).
وقال الألباني: **هذا حديث ضعيف الإسناد**.
(٣) في «جامع البيان» (١٣/ج٢٧/ ٢٠٨).
(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٣/ج٢٧/ ٢٠٨).
(٥) أي ابن جرير في «جامع البيان» (١٣/ج٢٧/ ٢٠٩).
(٦) في «الموطأ» (١/ ١٩٢).
قلت: ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٧/ ٥).
وأخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٠٧١ رقم ١٧٩٢٦).

إذا أصبحَ وقد مُطِرَ الناسُ: مُطِرنا بنَوء الفتح، ثم يتلو هذه الآية: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ [فاطر: ٢].

وروى ابنُ جريرٍ(١) بسنده عن سعيدِ بنِ جبيرٍ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ما مُطر قومٌ قطُّ إلا أصبح بعضُهم كافراً يقولون مُطرنا بنَوء كذا وكذا، وقرأ ابنُ عباس: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة: ٨٢]. وهذا إسنادٌ صحيحٌ إلى ابنِ عباس.

ما ورد في العدوى

وأما العدوى فكانوا يعتقدون سَرَيان المرضِ من جسد إلى جسد بطبيعته، فنفى اللَّهُ تعالى ذلك ورسولُه ﷺ، قال الله تعالى: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ٥١]. وقال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ [التغابن: ١١].

وقال تعالى: ﴿قُلْ فَٱدْرَءُوا۟ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [آل عمران: ١٦٨]. وقال تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ [النساء: ٧٨]. الآيات. وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ﴾ [الجمعة: ٨].

وروى البخاريُّ(٢) عن الزهري قال: أخبرني سنانُ بنُ أبي سنانٍ الدُؤَليُّ أنا أبا هريرةَ رضي الله عنه قال: إن رسولَ الله ﷺ قال: «**لا عدوى**». فقام أعرابيٌّ فقال: أرأيتَ الإبلَ تكون في الرمال أمثالَ الظباءِ فيأتيها البعيرُ الأجربُ فتَجْرَبُ، قال النبيُّ ﷺ: «**فمن أعدى الأول**». ورواه مسلم(٣) من طريق آخر بنحوه.

وقال البخاريُّ(٤) رحمه الله تعالى: حدثني محمدُ بنُ بشارٍ حدثنا محمدُ بنُ

---

(١) في «جامع البيان» (١٣/ج٢٧/٢٠٨).
قلت: وأخرجه ابن كثير في تفسيره (٤/ ٣٢٠) وقال: هذا إسناد صحيح إلى ابن عباس.
(٢) في صحيحه (١٠/ ٢٤١ رقم ٥٧٧٠).
(٣) في صحيحه (٤/ ١٧٤٢ ـ ١٧٤٣ رقم ١٠١/ ٢٢٢٠).
(٤) في صحيحه (١٠/ ٢٤٤ رقم ٥٧٧٦).

جعفرٍ حدثنا شُعبةُ قال: سمعتُ قتادةَ عن أنس بنِ مالكٍ رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ قال: **«لا عدوى ولا طِيَرة، ويُعجبني الفألُ**. قالوا: وما الفألُ؟ قال: **كلمة طيبة»**. ورواه مسلمٌ[1].

ولهما[2] من طرُق عن أبي هريرةَ رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **«لا عدوى ولا طِيَرة ولا هامةَ ولا صَفَر»**. هذا لفظ البخاريِّ.

والأحاديثُ في نفي العدوى كثيرةٌ في الصحيحين والسننِ وغيرِهما، ولا يُعارض ذلك حديثُ: **«لا يُورِد مُمرضٌ على مُصِحّ»**[3]، وحديث: **«فِرَّ من المجذوم فرارَك من الأسد»**[4]. وكلاهما في الصحيح متصلاً بحديث: **«لا عدوى ولا طِيَرَة»**. فإن البخاريَّ رحمه الله قال: حدثنا أبو اليمانِ أخبرنا شعيبٌ عن الزهري قال: حدثني أبو سلمةَ بنُ عبدِ الرحمنِ أنَّ أبا هريرةَ قال: إن رسُولَ الله ﷺ قال: **«لا عدوى»**. قال أبو سلمةَ بنُ عبدِ الرحمنِ: سمعتُ أبا هريرةَ عن النبي ﷺ قال: **«لا تُوردوا المُمْرِضَ على المُصِحّ»**[5].

وقال رحمه الله تعالى: قال عفانُ: حدثنا سليمُ بنُ حيانَ حدثنا سعيدُ بنُ ميناءَ قال: سمعتُ أبا هريرةَ يقول: قال رسولُ الله ﷺ: **«لا عدوى ولا طِيَرةَ ولا هامةَ ولا صفَرَ، وفِرَّ من المجذوم كما تفِرّ من الأسد»**[4]. **والجمعُ بين نفي العدوى وبين النهي عن إيرادِ المُمْرِض على المُصح والأمرِ بالفرار من المجذوم وما في معناها من ثلاثة أوجهٍ كلُها نفيُ العدوى فيها على إطلاقِه.**

الوجهُ الأول: أنه ﷺ أمر بالفرار من المجذوم لئلا يتّفقَ للمخالط شيءٌ من ذلك ابتداءً لا بالعدوى المنفيّة، فيظُن أنه بسبب المخالطةِ فيعتقد ثبوتَ العدوى التي

---

(١) في صحيحه (٤/١٧٤٦ رقم ١١٢/٢٢٢٤).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (١٠/٢١٥ رقم ٥٧٥٧) ومسلم في صحيحه (٤/١٧٤٤ رقم ١٠٦/٢٢٢٠).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (١٠/٢٤٣ رقم ٥٧٧٤). ومسلم في صحيحه (٤/١٧٤٣ رقم ١٠٤/٢٢٢١).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (١٠/١٥٨ رقم ٥٧٠٧) وأطرافه (٥٧١٧) و (٥٧٥٧ و ٥٧٧٣ و ٥٧٧٥).

(٥) تقدم تخريجه.

نفاها رسولُ الله ﷺ فيقع في الحرج، فأمر رسولُ الله ﷺ بتجنّب ذلك شفقةً منه على أمته ورحمةً بهم وحسماً للمادة وسدّاً للذريعة لا إثباتاً للعدوى كما يظن بعضُ الجهلةِ من الأطباء.

والدليلُ على ذلك قولُه ﷺ للأعرابي الذي استشهد لصحة العدوى بكون البعيرِ الأجربِ يدخل في الإبل الصِحاحِ فتجرَب، فقال له ﷺ: **«فمن أعْدى الأول»**[1]، يعني أن اللّهَ تعالى ابتدأ المرضَ في الباقي كما ابتدأه في الأول لا أن ذلك من سريانِ المرضِ بطبيعته من جسد إلى آخرَ.

الوجه الثاني: أن نهيَه ﷺ عن المخالطة لأنها من الأسباب التي أجرى اللّهُ تعالى العادةَ بأنها تُفضي إلى مسبَّباتها لا استقلالاً بطبعها، ولكن اللّهَ سبحانه وتعالى هو الذي خلق الأسبابَ ومسبَّباتِها، فإن شاء تعالى أبقى السببَ وأثّر في مسبَّبه بقضاء اللّهِ تعالى وقدرِه، وإن شاء سلب الأسبابَ قُواها فلا تؤثر شيئاً، ومن قويَ إيمانُه وكملَ توكلُهُ وثقتُه بالله، وشاهد مصيرَ الأمورِ كلِها إلى رب الأربابِ ومسبِّب الأسبابِ كما أن مصدرها من عنده عز وجل، فنفسُه أبيةٌ وهمتُه عليّةٌ وقلبُه ممتلىءٌ بنور التوحيدِ فهو واثقٌ بخالق السببِ ليس لقلبه إلى الأسباب أدنى التفاتٍ سواءٌ عليه فعَلها أو لم يفعلها.

والدليلُ على ذلك ما روى أبو داودَ[2] رحمه الله تعالى حدثنا عثمانُ بنُ أبي شيبةَ حدثنا يونسُ بنُ محمدٍ حدثنا مُفضّلُ بنُ فضالةَ عن حبيب بنِ الشهيدِ عن محمد بنِ المنكدرِ عن جابر ﷺ أن رسولَ الله ﷺ أخذ بيد مجذومٍ فوضعها معه في القصعة وقال: **«كلْ ثقةً بالله وتوكلْ عليه»**.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) في «السنن» (٤/ ٢٣٩ رقم ٣٩٢٥).
قلت: وأخرجه الترمذي (٤/ ٢٦٦ رقم ١٨١٧)، وابن ماجه (٢/ ١١٧٢ رقم ٣٥٤٢).
قال الترمذي: **هذا حديث غريب**.
وأخرجه الحاكم (٤/ ١٣٦ ـ ١٣٧) وقال الحاكم: حديث صحيح الإسناد ووافقه الذهبي.
وتعقبه الألباني في «الضعيفة» (٣/ ٢٨٢).
لا يخفى بعده عن الصواب ونحوه قول المناوي في «التيسير»: «إسناده حسن»، مغتراً بما نقل في الفيض عن ابن حجر أنه قال: **«حديث حسن»**.
وخلاصة القول أن الحديث ضعيف. انظر: «الضعيفة» رقم (١١٤٤).

ففي أمره ﷺ بمجانبة المجذومِ إثباتٌ للأسباب التي خلقَها الله عزَ وجل، وفي أكله ﷺ معه تعليمٌ لنا بأن اللَّهَ هو مالكُها فلا تؤثر إلا بإذنه ولا يصيب العبدَ إلا ما كَتب اللَّهُ له.

الوجه الثالثُ: أن النفوسَ تستقذر ذلك وتنقبض عند رؤيتِه وتشمئز من مخالطته وتكرهه جداً، لا سيما مع ملامسته وشمِّ رائحتِه فيحصُل بذلك تأثيرٌ بإذن الله في سَقَمها قضاءً من الله وقدراً لا بانتقال الداءِ بطبيعته كما يعتقده أهلُ الجاهلية.

والدليلُ على هذا ما رواه أبو داود[1] رحمه الله تعالى: حدثنا مُخلّدُ بنُ خالدٍ وعباسٌ العنبريُّ قالا: حدثنا عبدُ الرزاق أخبرنا معمرٌ عن يحيى بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ بُحيرٍ قال: أخبرني من سمِعَ فَروةَ بنَ مُسَيكٍ قال: قلتُ يا رسولَ الله أرضٌ عندنا يُقال لها: أرضُ أبينَ، هي أرضُ ريفنا وميرتِنا، وإنها وبِئةٌ ـ أو قال: وباؤُها شديد ـ فقال النبيُّ ﷺ: **«دعْها عنك فإن من القرف التلفَ»**. والقرف بالتحريك هو مقاربةُ الوباءِ ومداناةُ المرض، والتلفُ بوزنه هو الهلاكُ، يعني أنه سببٌ فيه قد يؤثر بإذن اللَّهِ تعالى لا سيما مع كراهةِ النفسِ له واشمئزازِها منه: ﴿فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [يوسف: ٦٤].

فإذا تبين لك هذا الجمعُ بين نفي العدوى وبين الأمرِ بمجانبة الداء، تبين لك الجمعُ بينها وبين النهي عن إيراد المُمْرِضِ على المُصِحّ، فإنه إذا كان ﷺ قد أمر المُصِحَّ بمجانبة الداء فلأن ينهى المُمرِضَ عن إيرادِه على المُصح من باب أولى، فإن العللَ التي قدمنا أنها من سبب النهي عن القدوم على الوباء والأمرِ بمجانبته موجودةٌ في إيرادِ الممرضِ على المصِحّ بزيادة كونِها ليست باختيار المُصحّ كقدومه هو، بل مع كراهته لها وانقباضه من ذلك المُمرِضِ، وربما أدى ذلك إلى بغضه إياه وغيرِ ذلك.

---

(١) في «السنن» (٤/٢٣٨ رقم ٣٩٢٣).
قلت: وأخرجه أحمد (٣/ ٤٥١) وعبد الرزاق في «المصنف» (١١/ ١٤٨ رقم ٢٠١٦٢) والبخاري في «التاريخ الكبير» (٨/ ٢٨٦ رقم ٣٠٢٤) والبيهقي في «السنن الكبرى» (٩/ ٣٤٧) بسند ضعيف لجهالة الراوي عن فروة.

والمقصودُ أن نفيَ العدوى مطلقٌ على عمومه، وفيه إفرادُ اللَّهِ سبحانه وتعالى بالتصرف في خلقه وأنه مالكُ الخيرِ والشرِّ وبيده النفعُ والضرُّ، لا مانع لما أعطى ولا مُعْطيَ لما منع، ولا رادَّ لقضائه ولا مُعقب لحكمه، ولا مغالبَ له في شيء من خلقه وأمرِه، وفي ذلك تقويةٌ لقلوب المؤمنين، وإمدادٌ لهم بقوة التوكلِ وصِحّةِ اليقينِ، وحجةٌ لهم على المشركين وسائر المعاندين.

وليس في الأمر بمجانبة البلاءِ ولا في النهي عن إيراده على المعافى منه منافاةٌ ولا مناقضةٌ، بل ذلك مع الثقة بالله والتوكلِ عليه من فعل الأسبابِ النافعةِ وتوقِّي الأسبابِ المؤذيةِ، ودفعِ القدرِ بالقدرِ والالتجاءِ من الله إليه، وليس في فعل الأسبابِ ما ينافي التوكلَ مع اعتماد القلبِ على خالق السبب.

وليس التوكلُ بترك الأسباب، بل التوكلُ من الأسباب، وهو أعظمُها وأنفعُها وأنجحُها وأرجحُها، كما أن من اضطربت نفسُه ووجِلَ قلبُه فرَقاً وخوفاً وارتياباً وعدمَ يقينٍ بالقدر لا يكون متوكلاً على الله بمداناته المرضى والمبتلين وترْكِه فعلَ الأسبابِ، فكما لا يكون المرتابُ متوكلاً بمجرد تركِه الأسبابَ، كذلك لا يكون المُوَحدُ تاركاً التوكلَ أو ناقصَه بمجرد فعلِ الأسبابِ النافعةِ وتوقِّي المضَرَّةِ وحرصِه على ما ينفعه، فإنما الشأنُ فيما وقرَ في القلوب وسكنت إليه النفوسُ، والتوفيقُ بيد الله، والمعصومُ من عصمه اللَّهُ تعالى.

ومن هذا الباب نهيُه ﷺ عن القدوم على البلاد التي بها الطاعونُ، وعن الخروج منها فراراً منه، فإن في القدوم عليه تعرّضاً للبلاء، وإلقاءً بالأيدي إلى التهلكة وتسبباً للأمور التي أجرى اللَّهُ تعالى العادةَ بمضَرَّتِها، وفي الفرار منه تسخُّطٌ لقضاء اللَّهِ عز وجل وارتيابٌ في قدره وسوءُ ظنٍ بالله عز وجل.

فأينَ المهربُ من الله وإلى أين المفرُّ؟ لا ملجأ من الله إلا إليه، كما روى مالكٌ[1] في موطّئه عن ابن شهابٍ عن عبد الحميدِ بنِ عبد الرحمنِ بنِ زيدِ بنِ الخطابِ عن عبد اللَّهِ بنِ عبد اللَّهِ بنِ الحارثِ بنِ نوفلٍ عن عبدِ الله بنِ عباس أن

---

(١) في الموطأ (٢/ ٨٩٤ ـ ٨٩٦ رقم ٢٢).
قلت: وأخرجه البخاري (١٠/ ١٧٩ رقم ٥٧٢٩) وطرفاه رقم (٥٧٣٠ و ٦٩٧٣) ومسلم (٤/ ١٧٤٠ رقم ٩٨/ ٢٢١٩).

عمرَ بنَ الخطابَ ﷺ خرج إلى الشام حتى إذا كان بسَرْغٍ لقِيَهُ أمراءُ الأجنادِ أبو عبيدةَ بنُ الجراحِ وأصحابُه فأخبروه أن الوباءَ قد وقع بأرض الشام.

قال ابنُ عباس: فقال عمرُ بنُ الخطاب: ادعُ إليَّ المهاجرين الأولين، فدعاهم فاستشارَهم وأخبرهم أن الوباءَ قد وقع بالشام فاختلفوا، فقال بعضُهم: قد خرجتَ لأمر ولا نرى أن ترجعَ عنه، وقال بعضُهم: معكَ بقيةُ الناسِ وأصحابُ رسولِ الله ﷺ ولا نرى أن تقدُمَهم على هذا الوباءِ. فقال عمرُ: ارتفعوا عني، ثم قال: ادعُ ليَ الأنصارُ، فدعَوهم فاستشارَهم فسلكوا سبيلَ المهاجرينَ واختلفوا كاختلافِهم. فقال: ارتفعوا عني. ثم قال: ادعُ لي من كان ها هنا من مَشْيَخة قريشٍ من مُهاجرة الفتحِ، فدعَوهم فلم يختلف عليه منهم رجلان، فقالوا: نرى أن ترجِعَ بالناس ولا تُقدِمَهم على هذا الوباء.

فنادى عمرُ في الناس: إني مصبحٌ على ظَهْر، فأصبحوا عليه، فقال أبو عبيدةَ: أفراراً من قدرِ الله؟ فقال عمرُ: لو غيرُكَ قالها يا أبا عبيدةَ، نعم نفِرّ من قدرِ الله إلى قدرِ اللّهِ. أرأيتَ لو كان لك إبلٌ فهبطْتَ وادياً له عُدْوتان إحداهما مُخصِبةٌ والأخرى جَدْبةٌ، أليس إن رعيتَ الخِصْبةَ رعيتها بقدر الله، وإن رعيتَ الجدبةَ رعيتها بقدر الله؟ فجاء عبدُ الرحمن بنُ عوفٍ وكان غائباً في بعضِ حاجتِه فقال: إن عندي من هذا علماً، سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**إذا سمعتم به بأرض فلا تَقدمُوا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرُجوا فراراً منه**». قال: فحمِدَ اللّهَ عمرُ ثم انصرف.

وأخرجه الشيخانِ[1] من طريقه بلفظه، وقولُه ﷺ: «**فلا تخرجوا فراراً منه**»، تقييدٌ للنهي بخروج لقصد الفرارِ، فلا يدخل في ذلك من خرج لحاجته اللازمة، كما قيد ﷺ الشهادةَ به للماكث ببلده بما إذا كان صابراً محتسباً صحيحَ اليقينِ ثابتَ العزيمةِ قويَّ التوكلِ مستسلماً لقضاء الله عز وجل.

كما قال البخاريُّ[2] رحمه الله تعالى: بابُ أجرِ الصابرِ في الطاعون. حدثنا

---

(١) تقدم تخريجه قريباً.
(٢) في صحيحه (١٠/١٩٢ رقم ٥٧٣٤).

إسحاقُ أخبرنا حِبانُ حدثنا داودُ بنُ أبي الفُراتِ حدثنا عبدُ الله بنُ بريدةَ عن يحيى بنَ يَعمَرَ عن عائشةَ زوجِ النبيِّ ﷺ و رضي الله عنها أنها أخبرتْنا أنها سألت رسولَ الله ﷺ عن الطاعون فأخبرها نبيُّ الله ﷺ أنه كان عذاباً يبعثه اللَّهُ على من يشاء، فجعله الله تعالى رحمةً للمؤمنين، فليس من عبد يقع الطاعونُ فيمكُث في بلده صابراً يعلم أنه لن يُصيبَه إلا ما كتب الله له إلا كان له مثلُ أجرِ الشهيد».

فخرج بهذه الأوصافِ من مكث في أرضه مع نقصان توكله وضعفِ يقينِه فليس له هذه الفضيلةُ، ومع هذا فلا يحلّ له الفرار منه لعموم النهي، وله أجرُه على امتثال الشرعِ بحسَبِ نيتِه وقُوةِ إيمانِه، وإن خرج فراراً منه فهي معصيةٌ أضافَها إلى ارتيابِه وضعفِ يقينِه والعياذُ بالله، وعلى هذا يحمل حديثُ أنسٍ عن البخاريِّ[1] أيضاً قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**الطاعونُ شهادةٌ لكل مسلمٍ**».

فإن مفهوم الحديث الأولِ أن من لم يتصف بالصفات المذكورةِ لا يكون شهيداً وذلك لضعف يقينِه، وقد يقال شهيدٌ في الصورة وليس مثلَ المتصفِ بتلك الصفاتِ، كما أن شهداءَ المعركةِ الذين يُقتلون في معركةِ الكفارِ ليسوا سواءً، بل يتفاوتون بتفاوت نياتِهم وما في قلوبهم، وذلك معلومٌ من الدين بالضرورة، واللَّهُ تبارك وتعالى أعلم.

الكلام على الطِيَرةِ والتطيُّر والغُول

وأما الطِيَرةُ فهي ترك الإنسان حاجتَه، واعتقادُه عدمَ نجاحها، تشاؤماً بسماع بعضِ الكليماتِ القبيحةِ، كيا هالك أو يا ممحوق ونحوِها. وكذا التشاؤمُ ببعض الطيورِ كالبومة وما شاكلها إذا صاحتْ، قالوا: إنها ناعبةٌ أو مُخبرةٌ بشرّ، وكذا التشاؤم بملاقاةِ الأعورِ أو الأعرجِ أو المهزولِ أو الشيخِ الهرِم أو العجوز الشمطاء، وكثيرٌ من الناس إذا لقِيَه وهو ذاهبٌ لحاجة صدّه ذلك عنها ورجع معتقداً عدمَ نجاحها.

وكثيرٌ من أهلِ البيعِ لا يبيع ممن هذه صفتُه إذا جاءَه أولَ النهار، حتى يبيعَ من غيرِهِ تشاؤماً به وكراهةً له.

---

(١) في صحيحه (١٠/ ١٨٠ رقم ٥٧٣٢).
قلت: وأخرجه مسلم في صحيحه (٣/ ١٥٢٢ رقم ١٦٦/ ١٩١٦).

وكثيرٌ منهم يعتقد أنه لا ينال في ذلك اليومِ خيراً قط، وكثيرٌ من الناس يتشاءم بما يعرض له نفسه في حال خروجِه كما إذا عثر أو شِيكَ يرى أنه لا يجد خيراً.

ومن ذلك التشاؤمِ ببعضِ الأيامِ أو ببعض الساعاتِ كالحادي والعشرين من الشهر، وآخِرِ أربعاء فيه ونحوِ ذلك، فلا يسافر فيها كثيرٌ من الناس ولا يعقِد فيها نكاحاً ولا يعمل فيها عملاً مهماً ابتداءً، يظن أو يعتقد أن تلك الساعة نحسٌ.

وكذا التشاؤمُ ببعضِ الجهاتِ في بعض الساعاتِ فلا يستقبلها في سفر ولا أمرٍ حتى تنقضيَ تلك الساعةُ أو الساعاتُ.

وهي من أكاذيب المنجمين الملاعين، يزعُمون أن هناك فلكاً دوّاراً يكون كلَّ يومٍ أو ليلةٍ في جهة من الجهات، فمن استقبل تلك الجهةَ في الوقت الذي يكون فيها هذا الفلكُ لا ينالُ خيراً ولا يأمن شراً، وهم في ذلك كاذبون مفترون، قبحهم الله ولعنهم، قد ضلوا من قبلُ وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل.

ومن ذلك التشاؤم بوقوع بعضِ الطيورِ على البيوتِ يرَوْنَ أنها مُعْلمةٌ بشر، وكذا صوتُ الثعلبِ عندهم، ومن ذلك الاستقسامُ بتنفير الطيرِ والظِباءِ، فإن تيامنتْ ذهبوا لحاجتهم وإن تياسرتْ تركوها.

وهذا من الاستقسام بالأزلام الذي أمر اللّهُ تعالى باجتنابه وأخبر أنه رجسٌ من عمل الشيطان، وهذا وما شاكله كثيرٌ منه كان في الجاهلية قبلَ النبوةِ، وقد أبطله الإسلامُ فأعاده الشيطان في هذا الزمانِ أكثرَ مما كان عليه في الجاهلية بأضعافِ مضاعفة. ووسّع دائرةَ ذلك، وساعده عليه شياطينُ الإنسِ من الكهنة والمنجمين وأضرابِهم وأتباعهم، أرداهم اللّهُ وألحقهم بهم آمين.

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٠ ـ ١٣١].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ ۖ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ ۚ قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ ۖ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [النمل].

وقال تعالى في قصة الثلاثةِ رسلِ عيسى: ﴿قَالُواْ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٧﴾ قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ﴾ [يس: ١٦ ـ ١٨].

قال مجاهد[(١)] في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦ﴾ [الأعراف: ١٣١]، قالوا: العافيةُ والرخاءُ نحن أحقُّ بها، ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣١]. قال بلاءٌ وعقوبة: ﴿يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ﴾ [الأعراف: ١٣١] قال: يتشاءموا به.

وأخرج ابن جرير[(٢)] عن ابن عباس: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ﴾، قال: الأمرُ من قِبل الله.

وقال[(٣)] رضي الله عنه في قوله: ﴿طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [النمل: ٤٧]، قال: الشؤمُ أتاكم من عند اللهِ لكفركم، وتقدم ذكرُ الطِيَرةِ ونفيها في الأحاديث السابقة.

وقال البخاري[(٤)] رحمه الله تعالى: حدثني عبدُ اللَّهِ بنُ محمدٍ حدثنا عثمانُ بنُ عمرَ حدثنا يونسُ عن الزهري عن سالمٍ عن ابن عمرَ رضي الله عنهما أن رسولَ الله ﷺ قال: **«لاعدوى، ولا طِيَرةَ، والشُؤمُ في ثلاث: في المرأة، والدارِ، والدابة»**.

والشؤمُ ضدُّ اليُمنِ، وهو عدم البركةِ، والمرادُ به الأمرُ المحسوسُ المشاهَدُ كالمرأة العاقرُ التي لا تلِد، أو اللَّسِنةُ المؤذيةُ أو المبذّرةُ بمال زوجها سفاهةً ونحو ذلك.

وكذا الدارُ الجدِبةُ أو الضيقةُ أو الوبيئةُ الوخيمةُ المشربِ أو السيئةُ الجيرانِ وما في معنى ذلك.

وكذا الدابةُ التي لا تلد ولا نسلَ لها، أو الكثيرةُ العيوبِ الشيْنةُ الطبعِ وما في

---

(١) أخرجه ابن جرير الطبري في «جامع البيان» (٦/ج٩/ ٢٩).
وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٥١٩) ونسبه لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ.
(٢) في «جامع البيان» (٦/ج٩/ ٣٠).
وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ٥١٩) وزاد نسبته لابن المنذر.
(٣) ذكره البغوي في تفسيره (٦/ ١٦٩).
(٤) في صحيحه (١٠/ ٢١٢ رقم ٥٧٥٣).
قلت: وأخرجه مسلم في صحيحه (٤/ ١٧٤٦ ـ ١٧٤٧ رقم ١١٥/ ٢٢٢٥).

معنى ذلك، فهذا كلُه شيءٌ ضروريٌّ مشاهدٌ معلومٌ ليس هو من باب الطِيرةِ المنفيةِ، فإن ذلك أمرٌ آخرُ عند من يعتقده ليس من هذا لأنهم يعتقدون أنها نحْسٌ على صاحبها لذاتِها لا لعدم مصلحتِها وانتفائِها، فيعتقدون أنه إن كان غنياً افتقر ليس بتبذيرها بل لنَحاستها عليه، وأنه إن يأخُذها يموت بمجرد دخولِها عليه لا بسبب محسوس، بل عندهم أن لها نجماً لا يوافق نجمَه بل ينطَحُه ويكسِره، وذلك من وحي الشيطانِ يوحيه إلى أوليائِه من المشركين، قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ﴾ [الأنعام: ١٢١].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَـٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٢٧].

حتى إن رجلاً في زماننا هذا كان يشعوذ على الناس بذلك، ويفرّق به بين المرء وزوجه، فتنبّه له بعضُ العامةِ ممن يحضُر مجالسَ الذكرِ ويسمع ذمَّ المنجّمين وتكذيبَهم بالآياتِ والأحاديث، فقال له: إني أريد أن أُنكِحَ امرأة، ما ترى فيها هل هي سعدٌ لي أو نحسٌ عليّ؟ فعرض ذلك على قواعده الشيطانية ثم قال له: دعْها فإنك إن أخذتها لا تُبلي معها ثوباً، يعني يموت سريعاً لا تطول معها صحبتُه، وكانت تلك المرأةُ التي سأله عنها وسماها له هي زوجتُه وقد طالت صحبتُه معها وله منها نحوُ خمسةٍ من الأولاد، فدعاهم كلَّهم بأسمائِهم حتى حضروا فقال له: هؤلاء أولادي منها. ولهذا نظائرُ كثيرةٌ من خُرافاتِهم.

والمقصودُ أن الشؤمَ المُثبتَ في هذا الحديثِ أمرٌ محسوسٌ ضروريٌّ مشاهدٌ ليس من باب الطِيَرةِ المنفيةِ التي يعتقدها أهلُ الجاهليةِ ومن وافقهم.

وقال البخاريُّ[(١)] رحمه الله تعالى: حدثنا أبو اليمانِ أخبرنا شعيبٌ عن الزهري قال: أخبرني عبيدُ اللَّهِ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ عُتبةَ أن أبا هريرةَ رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**لا طيَرةَ، وخيرُها الفألُ**، قالوا: وما الفألُ؟ قال: **الكلمةُ الصالحةُ يسمَعُها أحدُكم**».

قال[(٢)] حدثنا مسلمُ بنُ إبراهيمَ حدثنا هشامٌ عن قَتادةَ عن أنس رضي الله عنه عن

---

(١) في صحيحه (١٠/ ٢١٢ رقم ٥٧٥٤) وطرفه رقم (٥٧٥٥).

(٢) أي البخاري في صحيحه (١٠/ ٢١٤ رقم ٥٧٥٦).

النبي ﷺ قال: **«لا عدوى ولا طِيَرةَ، ويعجبني الفألُ الصالحُ الكلمةُ الحسنةُ»**.

قلت: ومن ذلك قولُه ﷺ يومَ صلح الحديبية حين جاء سهيلُ بنُ عمرٍو قال: **«سهَّل اللّهُ أمرَكم»**[1]، الحديثُ وما شاكله.

ومن شرط الفألِ أن لا يُعتمَدَ عليه وأن لا يكون مقصوداً، بل أن يتفق للإنسان ذلك من غير أن يكون له على بال.

ومن البِدَعِ الذميمةِ والمُحدثاتِ الوخيمة مأخذُ الفألِ من المُصحف فإنه من اتخاذ آياتِ اللّهِ هزواً ولعِباً ولهواً، ساء ما يعملون.

وما أدري كيفَ حالُ من فتح على قوله تعالى: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [المائدة: ٧٨]. وقولِه: ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ﴾ [النساء: ٩٣]، وأمثالِ هذه الآيات.

ويروى أن أولَ من أحدث هذه البِدعةَ بعضُ المروانيةِ وأنه تفاءل يوماً ففتح المصحفَ فاتفق لاستفتاحه قولُ اللّهِ عز وجل: ﴿وَٱسْتَفْتَحُوا۟ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ [إبراهيم: ١٥] الآيات، فيقال أنه أحرق المصحفَ غضباً لذلك فقال أبياتاً لا نسوّد بها الأوراقَ. والمقصودُ أن هذه بدعةٌ قبيحةٌ، والفألُ إذا قصده المتفائلُ فهو طِيرةٌ كالاستقسام بالأزلام.

وقد روى الإمامُ أحمدُ[2] في تعريف الطِيَرة حديث الفضلِ بنِ العباسِ رضي الله عنهما: **«إنما الطِيَرةُ ما أمضاك أو ردّك»**.

وروى[3] في كفارتها حديثَ عبدَ الله بنِ عمرو بنِ العاصِ رضي الله عنهما وقفه: **«من ردته الطِيَرةُ عن حاجته فقد أشركَ**، قالوا: فما كفارةُ ذلك؟ قال: **أن تقول: اللهم لا خيرَ إلا خيرُك، ولا طيرَ إلا طيرُك، ولا إلهَ غيرُك»**.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٥/ ٣٢٩ ـ ٣٣٣ رقم ٢٧٣١ و ٢٧٣٢).

(٢) في «المسند» (١/ ٢١٣) **بإسناد ضعيف لانقطاعه**.

(٣) أي أحمد في «المسند» (٦/ ٤٧١ ـ ٤٧٢ رقم ٧٠٤٥ ـ شاكر) **بإسناد صحيح**.

قلت: وأورده الهيثمي في «المجمع» (٥/ ١٠٥) وقال: رواه أحمد والطبراني وفيه ابن لهيعة وحديثه حسن وفيه ضعف وبقية رجاله ثقات».

وقال أبو داودَ[1] رحمه الله تعالى: حدثنا محمدُ بنُ كثيرٍ أخبرنا سفيانُ عن سلمَةَ بنِ كهيلٍ عن عيسى بنِ عاصمٍ عن زرِّ بنِ حُبيش عن عبد الله بنِ مسعودٍ عن رسول اللّهِ ﷺ قال: «**الطيرةُ شركٌ - ثلاثاً - وما منا إلا، ولكن اللّهَ يُذهبُه بالتوكل**»، وقوله: «**وما منا إلا**» إلخ هو من كلام ابن مسعودٍ.

كما فصّله الترمذيُّ[2] رحمه الله في روايته عن المرفوع حيث قال: سمعتُ محمدَ بنَ إسماعيلَ يقول: كان سليمانُ بنُ حربٍ يقول في هذا الحديثِ: «**وما منا إلا، ولكن اللّهَ يذهبه بالتوكل**»، كلُّ هذا عندي قولُ عبدِ اللّهِ بنِ مسعودٍ.

وقال[3] رحمه الله تعالى: حدثنا أحمدُ بنُ حنبلٍ وأبو بكر بنُ أبي شيبةَ قالا: حدثنا وكيعٌ عن سفيانَ عن حبيب بنِ أبي ثابتٍ عن عروةَ بنِ عامرٍ عن أحمدَ القرشيِّ قال: ذُكرت الطِيَرةُ عند رسولِ الله ﷺ فقال: «**أحسنُها الفألُ ولا تردّ مسلماً، فإذا رأى أحدكم ما يكره فليقل: اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يدفعُ السيئاتِ إلا أنت، ولا حولَ ولا قوةَ إلا بك**».

وأما الغُولُ فهي واحدُ الغِيلانِ، وهي من شرِّ شياطينِ الجنِّ وسحَرَتِهم[4]،

---

(1) في «السنن» (٤/ ٢٣٠ رقم ٣٩١٠).
قلت: وأخرجه الترمذي في «السنن» (٤/ ١٦٠ - ١٦١ رقم ١٦١٤) وقال: **هذا حديث حسن صحيح** لا نعرفه إلا من حديث سلمة بن كهيل.
وابن ماجه في «السنن» (٢/ ١٧٠ رقم ٣٥٣٨). وأحمد (١/ ٣٨٩ و ٤٣٨ و ٤٤٠) والبخاري في «الأدب المفرد» (٢/ ٣٦٧ رقم ٩٠٩).
والحاكم في «المستدرك» (١/ ١٧ - ١٨) وقال: **هذا حديث صحيح سنده** ثقات رواته ولم يخرجاه.
وخلاصة القول أن الحديث صحيح.
(2) في «السنن» (٤/ ١٦١).
(3) أبو داود في «السنن» (٤/ ٢٣٥ رقم ٣٩١٩).
قلت: وأخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» (٨/ ١٣٩) **بإسناد ضعيف.**
وقال المنذري في «المختصر» (٥/ ٣٧٩): عروة - هذا - قيل فيه: القرشي، كما تقدم: وقيل فيه: الجهني.
حكاهما البخاري وقال أبو قاسم الدمشقي. وله صحبة له تصح.
وذكر البخاري وغيره: أنه سمع من ابن عباس. **فعلى هذا يكون الحديث مرسلاً**».
(4) قال الحافظ في «الفتح» (٦/ ٣٤٤): «وفيه أثر عن عمر ﷺ [أخرجه ابن أبي شيبة في=

والنفيُ لِما كان يعتقده أهلُ الجاهليةِ فيهم من الضرِّ والنفعِ، وكانوا يخافونهم خوفاً شديداً ويستعيذون ببعضهم من بعض كما قال تعالى عنهم: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلۡإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَزَادُوهُمۡ رَهَقًا﴾ [الجن: ٦]. زادَ الإنسُ الجنَّ جُرأةً عليهم وشراً وطغياناً، وزادتهم الجنُّ إخافةً وخَبلاً وكُفراناً.

وكان أحدُهم[1] إذا نزل وادياً قال: أعوذ بسيد هذا الوادي من سفهائِه، فيأتي الشيطانُ فيأخذ من مال هذا المُستعيذِ أو يُروِّعه في نفسه، فيقول: يا صاحبَ الوادي، جارَك، أو نحوَ ذلك. فيسمع منادياً ينادي ذلك المعتديَ أن اترُكه أو دعْه أو ما أشبه ذلك.

فأبطل اللَّهُ تعالى ورسولُه ﷺ ذلك ونفى أن يضُروا أحداً إلا بإذن الله عز وجل، وأبدلنا عن الاستعاذة بالمخلوقين الاستعاذةَ بجبار السمواتِ والأرض، ربِّ الكونِ وخالقِه ومالكِه وإلهه، وبأسمائِه الحسنى وصفاتِه العُليا وكلماتِه التاماتِ التي لا يجاوِزُهن جبارٌ ولا متكبرٌ، فقال الله تبارك وتعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنۡ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ۝٩٧ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحۡضُرُونِ ۝٩٨﴾ [المؤمنون]. وقال تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٌ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ﴾ [الأعراف: ٢٠٠]. وقال تعالى: ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ﴾ [الفلق: ١] إلى آخر السورة، و ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ١] إلى آخر السورة. وغيرُها من الآيات.

وقال رسولُ الله ﷺ في هاتين السورتين: **«ما سأل سائلٌ بمثلها ولا استعاذ مستعيذٌ بمثلها»**[2].

= مصنفه (٥/ ١٦٢) **بسند صحيح**] «أن الغيلان ذكروا عند عمر فقال: إن أحداً لا يستطيعُ أن يتحول عن صورته التي خلقه اللَّهُ عليها، ولكن لهم سحرة كسحرتكم، فإذا رأيتم ذلك فأذنوا».

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٤/ج٢٩/ ١٠٨ ـ ١٠٩).
وذكره ابن كثير في تفسيره (٤/ ٤٥٧). وابن أبي حاتم في تفسيره (١٠/ ٣٣٧٧ رقم ١٩٠٠٢).

(٢) أخرجه النسائي في «السنن» (٨/ ٢٥٠ ـ ٢٥١). **بسند صحيح**.
والدارمي (٢/ ٤٦٢) من حديث معاذ بن عبد الله بن خبيب.
* وأخرجه أبو داود في «السنن» رقم (١٤٦٣) من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه بلفظ قال: =

وقال ﷺ: «**من نزل منزلاً فقال: أعوذ بكلمات اللّهِ التاماتِ من شر ما خلق، لم يضُرُّه شيءٌ حتى يرحَلَ من منزله ذلك**» وهو في الصحيح[1]، وفي بعض الأحاديثِ: «**إذا تغوّلت الغِيلانُ فبادروا بالآذان**»[2].

وفي الحديث الصحيح[3]: «**إن الشيطانَ إذا سمعَ النداءَ أدبر وله ضُراطٌ - وفي لفظ - حُصاصٌ**».

= بينما أنا أسير مع رسولِ الله ﷺ بين الجحفة والأبواء إذ غشيتنا ريحٌ وظلمةٌ شديدةٌ، فجعل رسول الله ﷺ يتعوذ بـ: «أعوذ برب الفلق» و «أعوذ برب الناس» ويقول:
يا عقبةُ! تعوَّذ بهما، فما تعوّذ متعوذٌ بمثلِها». قال: وسمعتُه يؤمُّنا بهما في الصلاة.
* وأخرجه الحاكم (٢/ ٥٤٠) وصححه، ووافقه الذهبي.
وخلاصة القول أن حديث عقبة بن عامر صحيح.

(١) مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٨٠ رقم ٢٧٠٨).
قلت: وأخرجه ابن ماجه (٣٥٤٧) وابن خزيمة رقم (٢٥٦٧) والنسائي في «اليوم والليلة» (٥٦٠) وعنه ابن السني في «اليوم والليلة» رقم (٥٢٨) والترمذي (٣٤٣٧) والبيهقي (٥/ ٢٥٣) وأحمد (٦/ ٣٧٧) من طرق من حديث خولة بنت حكيم السُلميةِ.
وهو حديث صحيح.

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» (٣/ ٣٠٥، ٣٨١، ٣٨٢) والنسائي في «عمل اليوم والليلة» رقم (٩٥٥) وابن السني رقم (٥٢٣) وابن أبي شيبة في «المصنف» (١٠/ ٣٩٧ رقم ٩٧٩٠). وعبد الرزاق في «المصنف» رقم (٩٢٤٧) وابن خزيمة رقم (٢٥٤٨) من حديث جابر رضي الله عنه والحسن لم يسمع من جابر.
* وأخرجه البزار (٤/ ٣٤ - كشف) وابن عدي في «الكامل» (٥/ ١٧٦٠) من حديث سعد بن أبي وقاص، والحسن لم يسمع من سعد بن أبي وقاص.
وأورده الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ١٣٤) وقال: رواه البزار ورجاله ثقات إلا أن الحسن البصري لم يسمع من سعد فيما أحسب» اهـ.
* وأخرجه الطبراني في «الأوسط» رقم (٧٤٣٦) وفي «الدعاء» رقم (٢٠٠٩).
وأورده الهيثمي في «المجمع (١٠/ ١٣٤) وقال) وفيه عدي بن الفضل وهو متروك.
* وأخرجه ابن عدي (٥/ ١٦٨٥) من حديث ابن عمر وفي سنده عمر بن صبح وهو واهم.
والخلاصة أن الحديث ضعيف، والله أعلم.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٢/ ٨٤ - ٨٥ رقم ٦٠٨) وأطرافه رقم (١٢٢٢ و ١٢٣١ و ١٢٣٢ و ٣٢٨٥).
ومسلم في صحيحه (١/ ٢٩١ رقم ١٦/ ٣٨٩).

وأحاديثُ الاستعاذةِ والأذكارِ في طرد الشيطانِ وغيرِه كثيرةٌ مشهورةٌ مسبورةٌ في مواضعها من كتب السنة.

وأما قولُ من قال: إن المُرادَ في الحديث نفيُ وجُودِ الغِيلانِ مطلقاً فليس بشيء، لأن ذلك مكابرةٌ للأمور المشاهدةِ المعلومةِ بالضرورة في زمن النبيِّ ﷺ وقبلَه وبعدَه من إتيانِهم وانصرافِهم ومخاطبتِهم وتشكّلِهم، والله أعلم.

وأما الهامةُ والصفرُ فقال أبو داودَ[1] رحمه الله تعالى: حدثنا محمدُ بنُ المُصفى حدثنا بقيةُ قال: قلتُ لمحمد ـ يعني ابنَ راشدٍ ـ قولُه: «هام»، قال: كانت الجاهليةُ تقول: ليس أحدٌ يموت فيدفن إلا خرج من قبرِه هامةٌ.

قلت: فقولُه: «صفَر»، قال: سمعتُ أهلَ الجاهليةِ يستشئمون بصفرٍ، فقال النبيُّ ﷺ: «لا صفرَ». قال محمدٌ: وقد سمعنا من يقول هو وجعٌ يأخذ في البطن، فكانوا يقولون: هو يُعدي فقال: «لا صفرَ».

وقال[2] رحمه الله: حدثنا يحيى بنُ خلفٍ حدثنا أبو عاصم حدثنا ابنُ جريج عن عطاءٍ قال: يقول الناسُ: الصفرُ وجعٌ يأخذ في البطن. قلت: فما الهامةُ؟ قال: يقول الناسُ: الهامةُ التي تصرخ هامةُ الناسِ، وليست بهامة الإنسان، إنما هي دابةٌ.

وقال[3] رحمه الله: قرئ على الحارث بنِ مسكينٍ وأنا شاهدٌ أخبركم أشهب قال: سُئل مالك عن قوله: «لا صفر». قال: إن أهلَ الجاهليةِ كانوا يُحلّون صفرَ، يحلّونه عاماً ويحرّمونه عاماً، فقال النبيُّ ﷺ: «لا صفر».

قلت: وكلُ هذه المعاني لهذه الألفاظِ قد اعتقدها الجهّالُ، وكلُها بجميع معانيها المذكورةِ مَنفيةٌ بنص الحديثِ، ولله الحمدُ والمنة.

---

(١) في «السنن» (٤/ ٢٣٤ رقم ٣٩١٥).
وقال الألباني: **صحيح مقطوع**.

(٢) أبو داود في «السنن» (٤/ ٢٣٥ رقم ٣٩١٨) **وهو حديث مقطوع**.

(٣) أبو داود في «السنن» (٤/ ٢٣٣ رقم ٣٩١٤) **وهو حديث صحيح مقطوع**.
وقد أخرج البخاري في صحيحه (١٠/ ٢١٥ رقم ٥٧٥٧) ومسلم في صحيحه (٤/ ١٧٤٣ رقم ١٠٢/ ٢٢٢٠) من حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: **«لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صَفرَ»**.

مرتبةُ الإحسان

(وثالثٌ مرتبةُ الإحسانِ وتلك أعلاها لدى الرحمنِ)
(وهو رسوخُ القلبِ في العِرفان حتى يكونَ الغيبُ كالعِيان)

هذه المرتبةُ هي الثالثةُ من مراتب الدين المفصّلة في حديث جبريلَ[1] المتقدم، وهي أعلى مراتبِ الدينِ وأعظمُها خطراً، وأهلُها هم المستكملون لها السابقون بالخيرات المقرّبون في علو الدرجات.

وقد قدمنا أن الإسلامَ هو الأركانُ الظاهرةُ عند التفصيلِ واقترانه بالإيمان، والإيمانُ إذ ذاك هو الأركانُ الباطنةُ، والإحسانُ هو تحسينُ الظاهرِ والباطن، وأما عند الإطلاق فكلٌ منها يشمل دينَ اللَّهِ كلَّه.

وقد جاء الإحسانُ في القرآن في مواضِع كثيرةٍ، تارة مقترناً بالإيمان، وتارة بالتقوى، وتارةً بهما معاً، وتارةً بالجهاد، وتارة بالإسلامِ، وتارةً بالعمل الصالحِ مطلقاً.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّءَامَنُواْ ثُمَّ ٱتَّقَواْ وَّأَحْسَنُواْ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: ٩٣]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ [الكهف: ٣٠].

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩]. وقال تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ١١٢].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [لقمان: ٢٢].

---

(١) تقدم تخريجه.

وتارةً بالإنفاق في سبيل اللَّهِ وهو من الجهاد كقوله تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥].

وقد فسّره النبيُّ ﷺ تفسيراً لا يستطيعه من المخلوقين أحدٌ غيرُه ﷺ لما أعطاه اللَّهُ تعالى من جوامع الكلِم، فقال ﷺ: **«الإحسانُ أن تعبدَ اللَّهَ كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك»**[١]. أخبر ﷺ أن مرتبةَ الإحسانِ على درجتين، **وأن للمحسنين في الإحسان مقامين متفاوتين:**

(المقام الأول) ـ وهو أعلاهما ـ **أن تعبدَ اللَّهَ كأنك تراه، وهذا مقامُ المشاهدة،** وهو أن يعمل العبدُ على مقتضى مشاهدتِه اللَّهَ عز وجل بقلبه، وهو أن يتنور القلبُ بالإيمانِ وتنفُذَ البصيرةُ في العِرفان حتى يصيرَ الغيبُ كالعِيان، فمن عبدَ اللَّهَ عز وجل ـ على استحضار قُربه منه وإقبالِه عليه وأنه بين يديه كأنه يراه ـ أوجب له ذلك الخشيةَ والخوفَ والهيبةَ والتعظيم.

وفي حديث حارثةَ المرسَل أن النبيَّ ﷺ قال له: **«يا حارثةُ كيف أصبحت؟** قال: أصبحتُ مؤمناً حقاً، قال: **انظر ما تقول، فإن لكل قولٍ حقيقةً،** قال: يا رسولَ اللَّهِ، عزفتْ نفسي عن الدنيا فأسهرْتُ ليلي وأظمأتُ نهاري وكأني أنظرُ إلى عرشِ ربي بارزاً، وكأني أنظرُ أهلَ الجنةِ في الجنة يتزاورون فيها، وكأني أنظُر إلى أهلِ النار في النار كيف يتعاوونَ فيها. قال: **أبصرتَ فالزم»**[٢] عبدٌ نوَّر اللَّهُ تعالى بصيرتَه.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٣/٢٦٦ ـ ٢٦٧ رقم ٣٣٦٧).
وأورده الهيثمي في «المجمع» (١/٥٧) وقال: أخرجه الطبراني في «الكبير» وفيه ابن لهيعة وفيه من يحتاج إلى الكشف عنه.
وأخرجه البزار (١/٢٦ رقم ٣٢ ـ كشف) عن أنس.
وأورده الهيثمي في «المجمع» (١/٥٧) وقال: رواه البزار يوسف بن عطية لا يحتج به.
وأخرجه البيهقي في «الزهد» رقم (٩٧٣) من طريق آخر ضعيف.
وأخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١١/٤٣ رقم ١٠٤٧٤). وفي «الإيمان» (ص٤٣) من طريق مالك بن مغول عن زبيد.
وأخرجه ابن المبارك في «الزهد» (ص١٠٦ رقم ٣١٤) عن معمر عن صالح بن مسمار.
قال ابن الوراق: قال ابن صاعد: ولا أعلمُ صالح بن مسمار أسند إلا حديثاً واحداً»، زاد الحافظ في «الإصابة» (١/ ٢٩٠) بعد ذكر كلام ابن صاعد: وهذا الحديث لا يثبت موصولاً. =

(المقام الثاني) : **مقامُ الإخلاصِ**، وهو أن يعملَ العبدُ على استحضار مشاهدَةِ اللَّهِ إياه واطلاعه عليه وقُربِه منه، فإذا استحضر العبدُ هذا في عمله وعمِل عليه فهو مخلصٌ لله تعالى، لأن استحضارَه ذلك في عمله يمنعه من الالتفات إلى غير اللَّهِ وإرادتِه بالعمل، وهذا المقامُ هو الوسيلةُ الموصلةُ إلى المقام الأول.

ولهذا أتى النبيُّ ﷺ تعليلاً للأول فقال: «**فإن لم تكن تراه فإنه يراك**»[1]. وفي بعضِ ألفاظِ الحديثِ: «**فإنك إلا لم تكنْ تراه فإنه يراك**»[1].

فإذا تحقق في عبادتِه بأن الله تعالى يراه ويطّلع على سره وعلانيته وباطِنه وظاهرِه، ولا يخفى عليه شيءٌ من أمره، فحينئذ يسهُل عليه الانتقالُ إلى المقام الثاني، وهو دوامُ التحقيقِ بالبصيرة إلى قربِ اللَّهِ تعالى مِن عبدِه ومَعيّته حتى كأنه يراه.

وقد ذكرَ اللَّهُ تبارك وتعالى هذا المعنى في غير ما موضعٍ من القرآنِ، كما قال تبارك وتعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾ [يونس].

وقال تبارك وتعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦]. وقال تبارك وتعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِي يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾﴾ [الشعراء]. وغيرُ ذلك من الآياتِ.

فأولياءُ اللَّهِ المتقون المحسنون، هم الذين آمنوا بالله عز وجل وبإلهيته وربوبيتِه وأسمائِه وصفاتِه، وأفردوه بالعبادة محبةً وتذلّلاً وانقياداً وخوفاً ورجاءً ورغبةً ورهبةً وخشيةً وخشوعاً ومَهابةً وتعظيماً وتوكُّلاً عليه وافتقاراً إليه واستغناءً به

= **وخلاصة القول أن الحديث ضعيف جداً.**

(١) تقدم تخريجه.

عما سواه، واتقوا بامتثال أوامرِه ومحبةِ مرضاتِه وتركِ مناهيه وموجباتِ سخطِه سراً وعلناً وظاهراً وباطناً قولاً وعملاً واعتقاداً، واستشعرت قلوبُهم ونفوسُهم إحاطةَ اللَّهِ عز وجل بهم علماً وقدرةً ولطفاً وخِبرةً بأقوالهم وأعمالِهم ونياتِهم وأسرارِهم وعلانياتِهم وحركاتِهم وسكناتِهم وجميعِ أحوالِهم، كيف عملوا وأين عملوا ومتى عملوا، فكان عملُهم خالصاً لله موافقاً لشرعه مُناطاً بما جاءت به رسلُه ونطقت به كُتبه، مستحضرينَ ذلك بقلوبهم نافذةً فيه بصائرُهم. فأخصلوا لله العملَ وراقبوه مراقبةَ من ينظُر إلى ربه، لكمال علمِهم بأن اللَّهَ ينظر إليهم ويرى حالَهم ويسمع مقالَهم.

فطرحوا النفوسَ بين يديه وأقبلوا بكليتهم عليه، والتجأوا منه إليه، وعاذُوا به منه، وأحبوه من كل قلوبِهم، فامتلأت بنور معرفتِه، فلم تتسع لغيره، فيه يُبصرون وبه يسمعون وبه يبطشون وبه يمشون، وبرؤيتهم يُذكر اللَّهُ تعالى، وبذكره يُذكرون.

وقال البخاريُّ[1] رحمه الله تعالى: حدثنا عمرُ بنُ حفصٍ حدثنا أبي حدثنا الأعمشُ سمعتُ أبا صالحٍ عن أبي هريرةَ رضي الله عنه يقول: قال النبيُّ ﷺ: «**يقول الله تعالى: أنا عند ظنِّ عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرتُه في نفسي، وإن ذكرني في ملأٍ ذكرتُه في ملأٍ خيرٍ منهم، وإن تقرّب إليَّ شبراً تقرَّبْتُ إليه ذراعاً، وإن تقرّب إليَّ ذراعاً تقرّبتُ إليه باعاً، وإن أتاني يمشي أتيتُه هرولة**».

وقال[2] رحمه الله تعالى: حدثني محمدُ بنُ عثمانَ بنِ كرامةَ، حدثنا خالدُ بنُ مخلَّدٍ، حدثنا سليمانُ بنُ بلالٍ، حدثني شريكُ بنُ عبدِ اللَّهِ بن أبي نمرٍ عن عطاءٍ عن أبي هريرةَ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إن الله تعالى قال: من عادى لي ولياً فقد آذنتُه بالحرب، وما تقرَّب إليَّ عبدي بشيء أحبَّ إليَّ مما افترضتُه عليه، وما يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أُحبَّه، فإذا أحببْتُه كنتُ سمعَه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويدَه التي يبطش بها، ورجلَه التي يمشي بها، وإن سألني لأُعطِيَنَّه، ولئن عاذ بي لأُعيذَنّه، وما ترددت عن شيء أنا فاعلُه تردُّدي عن نفس عبدي المؤمن، يكره الموتَ وأنا أكره مساءتَه**».

---

(١) في صحيحه (١٣/ ٥١١ ـ ٥١٢ رقم ٧٥٣٦) ومسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٦١ رقم ٢/ ٢٦٧٥).

(٢) أي البخاري في صحيحه (١١/ ٣٤٠ ـ ٣٤١ رقم ٦٥٠٢) وقد تقدم.

ذكروا الله تعالى فذكرهم، وشكروه فشكرهم، وتولَّوه ووالَوا فيه فتولاّهم، وعادَوا أعداءَه لأجله فآذن بالحرب مَن عاداهم، وأحسنوا عبادةَ ربِهم فأحسن جزاءهم وأجزله، عبدوه على قدر معرفتِهم به فجازاهم بفضله وزادهم: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ [الرحمن: ٦٠].

ولما ذكر أهلَ الجنة وما وعدهم به من النِعم وصفهم أن ذلك جزاءُ إحسانِهم، فقال: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾﴾ [الذاريات]. ثم فسر إحسانهم: ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾﴾ [الذاريات]. وقدمنا في الفصل الأول أن الحُسنى التي وعد اللَّهُ عز وجل المحسنين هي الجنةُ، والزيادةُ هي النظرُ إلى وجه اللَّهِ عز وجل كما رواه مسلمٌ[1] عن صهيبٍ عن النبي ﷺ.

فلما كانوا يعبُدون اللَّهَ عز وجل في الدنيا على وجه الحضورِ والمراقبةِ كأنهم يرَونه بقلوبهم وينظُرون إليه في حال عبادتِهم إياه، كان جزاؤُهم على ذلك النظرَ إلى وجهه تبارك وتعالى في الآخرة عِياناً بأبصارِهم.

وعكسُ هذا ما أخبر به عن المكذبين الذين ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون، فقال تعالى فيهم: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]. لما كان حالُهم في الدنيا التكذيبَ، وأعقبَهم ذلك التكذيبُ تراكمَ الرانِ على قلوبِهم حتى حُجبت عن معرفتِه ومراقبتِه في الدنيا فكان جزاؤُهم على ذلك أن حُجبوا عن رؤيتِه في الآخرة. وذلك قول اللَّهِ عز وجل: ﴿لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى﴾ [النجم: ٣١]، ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١].

---

(١) في صحيحه (١/١٦٣ رقم ٢٩٦/١٨٠).
عن صهيب عن النبي ﷺ: **«إذا دخل أهلُ الجنةِ الجنةَ، قال: يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون: ألم تُبيِّض وجُوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة وتُنجِّينا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئاً أحبَّ إليهم من النَّظر إلى ربهم عزَّ وجلَّ»**.

[خاتمة الكلام على حديث جبريل]

هذا آخرُ ما يسَّر الله تعالى من الكلام على مفردات حديثِ جبريلَ[1]، وقد قال ابنُ رجبٍ رحمه الله تعالى في شرح الأَربعين[2] بعد كلامِه على مراتب الدينِ في هذا الحديثِ، قال: «فمن تأمل ما أشرنا إليه مما دل عليه هذا الحديث العظيمُ علم أن جميعَ العلومِ والمعارفِ يرجِعُ إلى هذا الحديثِ ويدخُل تحته، وأن جميعَ العلماءِ من فِرقَ هذه الأمة لا تخرج علومُهم التي يتكلمون فيها على هذا الحديثِ وما دلَّ عليه مجملاً ومفصلاً، فإن الفقهاءَ إنما يتكلمون في العبادات التي هي من جملةِ خِصال الإسلامِ، ويُضيفونَ إلى ذلك الكلامَ في أحكامِ الأموالِ والأبضاعِ والدماء، وكلُ ذلك من علم الإسلام كما سبق التنبيهُ عليه، ويبقى كثيرٌ من عِلم الإسلامِ ـ من الآداب والأخلاقِ وغير ذلك ـ لا يتكلم عليه إلا القليلُ منهم، ولا يتكلمون على معنى الشهادتين وهما أصلُ الإسلامِ كلِه.

والذين يتكلمون على أصول الديانات يتكلمون على الشهادتين وعلى الإيمانِ بالله وملائكتِه وكتبِه ورسلِه واليومِ الآخرِ والإيمانِ بالقدر خيرِه وشره، والذين يتكلمون على علم المعارفِ ومقاماتِ العبادِ يتكلمون على مقام الإحسانِ وعلى الأعمال الباطنةِ التي تدخل في الإيمانِ أيضاً كالخشية والمحبةِ والتوكلِ والرضا والصبْرِ ونحوِ ذلك، فانحصرت العلومُ الشرعيةُ التي يتكلم عليها فرقُ المسلمين في هذا الحديثِ ورجعت كلُها إليه، ففي هذا الحديثِ وحده كفايةٌ ولله الحمدُ والمنة». انتهى كلامُه رحمه الله تعالى.

(١) تقدم تخريجه.

(٢) (١/ ١٣٤ ـ ١٣٥).

[ال] فصْلُ: [العاشر]
في ست مسائل تتعلق بمباحث الدين



(فصل) في مسائل تتعلق بما تقدم من مباحث الدين:

(الأولى): كونُ الإيمانِ يزيد بالطاعة وينقُص بالمعصية.

(والثانية): تفاضلُ أهلِه فيه.

(والثالثة): أن فاسقَ أهلِ الملةِ الإسلاميةِ لا يكفر بذنب دون الشركِ ولوازِمه إلا إذا استحلَّه.

(والرابعة): أنه لا يخلد في النار.

(والخامسةُ): أنه في العقاب وعدمِه تحت المشيئةِ.

(والسادسةُ): أن التوبةَ في حق كلِّ فردٍ مقبولةٌ ما لم يُغرْغِرْ سواءٌ من كفر أو دونه من أي ذنبٍ كان.

١ ـ الإيمانُ يزيدُ وينقصُ

(إيمانـنـا يـزيـد بـالـطـاعـات ونـقـصُـه يـكـون بـالـزلاّت)

هذه هي المسألةُ الأولى من مسائلِ الفصلِ، وهي أن الإيمانَ يزيد وينقصُ وعلى ذلك ترجمَ البخاريُّ رحمه الله تعالى في كتابه فقال في جامِعه: كتابُ الإيمانِ، بابُ قولِ النبيِّ ﷺ: «بُنيَ الإسلامُ على خمس»[1]. وهو قولٌ وفعلٌ ويزيد وينقص، قال الله تعالى: ﴿لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ [الفتح: ٤]. ﴿وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾ [الكهف: ١٣]. ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ هُدًى﴾ [مريم: ٧٦].

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ﴾ [محمد: ١٧]. ﴿وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنًا﴾ [المدثر: ٣١]. وقوله تعالى: ﴿وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٢٢].

---

(١) تقدم تخريجه.

وقال الترمذيُّ[1] رحمه الله تعالى: بابٌ في استكمال الإيمانِ والزيادةِ والنقصانِ، وساق فيه حديثَ عائشةَ ﵂ قالت: قال رسولُ الله ﷺ: «**إن أكملَ المؤمنين إيماناً أحسنُهم خُلقاً وألطفُهم بأهله**»، وحديثَ: «**يا معشرَ النساءِ تصدّقنَ**» إلخ، وهو في الصحيحين[2].

والشاهدُ منه قولُه ﷺ: «**ما رأيتُ من ناقصاتِ عقلٍ ودينٍ أغلبَ لذوي الألبابِ وذوي الرأي منكن**»[2].

وذكر حديثَ أبي هريرةَ وهو في الصحيحين[3] أيضاً قال: قال رسول الله ﷺ: «**الإيمانُ بضعٌ وسبعون باباً، فأدناها إماطةُ الأذى عن الطريق وأرفعُها قولُ لا إله إلا الله**». هذا لفظُ التِرمذيّ[4] وقال: حسنٌ صحيحٌ ولفظه: «**بضع وستون**».

ولمسلم[5] روايةٌ: «**بضعٌ وسبعون**»، لكن قالا: «**شعبةً**» بدلَ «**باباً**».

وقال النسائي[6]: بابُ زيادةِ الإيمانِ ـ وذكر فيه حديثَ الشفاعةِ، ودِلالُته ـ منطوقاً ـ على تفاضل أهلِ الإيمانِ فيه، وأما الزيادةُ والنقصُ فدِلالُته عليها مفهوماً لا منطوقاً.

---

(١) في «السنن» (٥/ ٩ رقم ٢٦١٢) وقال: **هذا حديث صحيح**. ولا نعرف لأبي قلابة سماعاً من عائشة.
قلت: وأخرجه أحمد (٦/ ٤٧ و ٩٩) والحاكم (١/ ٥٣) من طريق أبي قلابة عن عائشة ﵂.
قال الحاكم: رواته عن آخرهم ثقات على شرط الشيخين ولم يخرجاه وتعقبه الذهبي بقوله: «فيه انقطاع».
وخلاصة القول أن الحديث ضعيف.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٢/ ٤٤٨ ـ ٤٤٩ رقم ٩٥٦). ومسلم في صحيحه (٢/ ٦٠٥ رقم ٩/ ٨٨٩).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (١/ ٥١ رقم ٩) ومسلم في صحيحه (١/ ٦٣ رقم ٥٧/ ٣٥) عن أبي هريرة ولفظه: «**الإيمانُ بضعٌ وستون شُعبةً، والحياءُ شعبةٌ من الإيمان**».

(٤) في «السنن» (٥/ ١٠ رقم ٢٦١٤) وقال: **هذا حديث حسن صحيح**.

(٥) في صحيحه (١/ ٦٣ رقم ٥٨/ ٣٥).

(٦) في «السنن» (٨/ ١١٢ ـ ١١٣).
وهو حديث صحيح.

ومثلُه حديث أبي سعيدٍ الخُدريِّ[1]: «**رأيتُ الناسَ وعليهم قُمُصٌ منها ما يبلُغ الثديَ**». الحديث.

وفيه: «**وعُرِض عليَّ عمرُ بنُ الخطابِ وعليه قميصٌ يجُرّه**، قالوا: فما أوّلت ذلك يا رسولَ الله؟ قال: **الدين**»، ثم ذكر[2] حديثَ عمرَ في نزول قولِه تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣]، ودلالتُها على ذلك منطوقاً.

وعلى ذلك ترجم البخاريُّ[3] رحمه الله تعالى وقال: حدثنا الحسنُ بنُ الصباحِ سمع جعفرَ بنَ عون حدثنا أبو العَميس قال: أخبرنا قيسُ بنُ مسلم عن طارق بنِ شهابٍ عن عمرَ بنَ الخطابِ ﷺ أن رجلاً من اليهود قال له: يا أمير المؤمنين آيةٌ في كتابِكم تقرَءُونها لو علينا معشرَ اليهودِ نزلت لاتخذنا ذلك اليومَ عيداً. قال: أيُّ آية؟ قال: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ﴾ [المائدة: ٣].

قال عمرُ: قد عرَفنا ذلك اليومَ والمكانَ الذي نزلت فيه على النبيِّ ﷺ، وهو قائمٌ بعرَفةَ يومَ جُمعةٍ.

وعلى ذلك ترجمَ أبو داودَ[4] وغيرُه من أئمةِ السنة، وساقوا في ذلك أحاديثَ تتضمنُه منطوقاً ومفهوماً.

قال مسلمُ[5] بنُ الحجاجِ رحمه الله تعالى: حدثنا يحيى بنُ يحيى التيميُّ وقَطَنُ بنُ نُسير ـ واللفظُ ليحيى ـ أخبرنا جعفرُ بنُ سليمانَ عن سعيدِ بنِ إياسٍ

---

(١) أخرجه النسائي في «السنن» (٨/ ١١٣).
قلت: وأخرجه البخاري (٧/ ٤٣ رقم ٣٦٩١). ومسلم في صحيحه (٤/ ١٨٥٩ رقم ١٥/ ٢٣٩٠).

(٢) أي النسائي في «السنن» (٨/ ١١٤) و (٥/ ٢٥٠).
قلت: وأخرجه البخاري (١/ ١٠٥ رقم ٤٥) ومسلم في صحيحه (٤/ ٢٣١٣ رقم ٥/ ٣٠١٧). والترمذي (٥/ ٢٥٠ رقم ٣٠٤٣).

(٣) في صحيحه (١/ ١٠٥ رقم ٤٥).
وتقدم تخريجه في التعليقة السابقة.

(٤) في «السنن» (٥/ ٥٩ ـ ٦٦) باب رقم (١٦) الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه.

(٥) في صحيحه (٤/ ٢١٠٦ رقم ١٢/ ٢٧٥٠).

الجَريريِّ عن أبي عثمانَ النهْديِّ عن حنظلةَ الأُسيديِّ قال: وكان من كُتَّابِ رسولِ الله ﷺ قال: «لقِيني أبو بكرٍ رضي الله عنه فقال: كيف أنت يا حنظلةُ؟ قال: قلت: نافقَ حَنظلةُ. قال: سبحان الله ما تقول؟ قال قلت: نكونُ عند رسولِ الله ﷺ يُذكِّرنا بالنار والجنةِ حتى كأنا رأيَ عينٍ، فإذا خرجنا من عند رسولِ اللَّهِ ﷺ عافسْنا الأزواجَ والأولادَ الصغارَ، فنسِينا كثيراً.

قال أبو بكر رضي الله عنه: فواللَّهِ إنا لنلقى مثل هذا. فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسولِ الله ﷺ قلت: نافق حنظلةُ يا رسول اللَّهِ.

فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «**وما ذاك؟**». قلت: يا رسولَ اللَّهِ نكون عندك تذكّرنا بالنارِ والجنةِ حتى كأنا رأيَ عين، فإذا خرجنا من عندك عافسْنا الأزواجَ والأولادَ والضَّيعاتِ، نسينا كثيراً. فقال رسولُ الله ﷺ: «**والذي نفسي بيده أن لو تدومون على ما تكونون عندي وفي الذكر لصافحتْكُم الملائكةُ على فُرشكم وفي طُرُقكم، ولكن يا حنظلةُ، ساعةً وساعةً**». ثلاث مرات.

حدثني[1] إسحاقُ بنُ منصورٍ أخبرنا عبدُ الصمدِ سمعتُ أبي يحدّث حدثنا سعيدٌ الجَريريُّ عن أبي عثمانَ النهْديِّ عن حنظلةَ قال: كنا عند رسولِ الله ﷺ فوعظنا فذكر النارَ. قال: ثم جئتُ إلى البيت فضاحكتُ الصبيانَ ولاعبْتُ المرأةَ، قال: فخرجتُ فلقِيتُ أبا بكرٍ فذكرتُ ذلك له قال: وأنا قد فعلتُ مثل ما تذكر. فلقينا رسولَ الله ﷺ فقلتُ: يا رسولَ الله نافق حنظلةُ. فقال: «**مَهْ**». فحدثْتُه بالحديث فقال أبو بكر: وأنا قد فعلتُ مثلَ ما فعلَ فقال: «**يا حنظلةُ ساعةٌ وساعة، ولو كانت تكون قلوبكم كما تكون عند الذِكرِ لصافحتْكُم الملائكةُ حتى تُسلّمُ عليكم في الطرق**». ومن طريق ثالثٍ[2]: فذكرنا الجنةَ والنارَ الحديث.

وعلى هذا إجماعُ الأئمةِ المعتدِّ بإجماعِهم، وأن الإيمانَ قولٌ وعملٌ ويزيد وينقص، وإذا كان ينقُص بالفترة عن الذكر فلأَن ينقُصَ بفعل المعاصي من بابِ أولى كما سيأتي إن شاء اللَّهُ تبارك وتعالى بيانه قريباً.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٢١٠٧/٤ رقم ١٣/ ٢٧٥٠).

(٢) عند مسلم في صحيحه (٢١٠٧/٤ رقم .../ ٢٧٥٠).

٢ ـ تفاضُلُ أهلِ الإيمانِ

(وأهــلُــه فــيــه عــلــى تــفــاضــل   هــل أنــت كــالأمــلاك أو كــالــرُسُــلِ!)

هذه المسألةُ الثانيةُ، وهي تفاضلُ أهلِ الإيمانِ فيه، كما ذكر اللَّهُ تبارك وتعالى أقسامَهم التي قسمهم عليها بمقتضى حكمتِه فقال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [فاطر: ٣٢]. الآيات.

فقسم تعالى الناجين منهم إلى مقتصدين، وهم الأبرارُ أصحابُ اليمينِ الذين اقتصروا على التزام الواجباتِ واجتنابِ المحرماتِ فلم يزيدوا على ذلك ولم ينقصوا منه، وإلى سابق بالخيراتِ، وهم المقرّبونَ الذين تقرَّبوا إليه بالنوافل بعد الفرائضِ وتركوا ما لا بأسَ به خوفاً مما به بأسٌ، وما زالوا يتقربون إلى الله تعالى بذلك حتى كان سمعهم الذي يسمعون به وبصرَهم الذي يبصرون به إلى آخر معنى الحديثِ السابق، فبه يسمعون وبه يبصرون وبه يبطشون وبه يمشون وبه ينطِقون وبه يعقِلون، يسبحون الليلَ والنهارَ لا يفتُرون.

وأما الظالمُ لنفسه ففي المراد به عن السلف الصالحِ قولان:

أحدُهما: أن المُراد به الكافرُ، فيكون كقولِ الله عز وجل في تقسيمهم في سورة الواقعةِ عند البعثِ: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ۝٧ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ۝٨ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ۝٩ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝١١﴾ [الواقعة]. إلى آخر الآيات.

وقسمهم عند الاحتضار كذلك، فقال عز وجل: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ۝٨٨ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ۝٨٩ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ۝٩٠ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ۝٩١ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ۝٩٢ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ۝٩٣ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ۝٩٤﴾ [الواقعة].

فإن تفاضلَ أهلِ الإيمانِ في تقسيم هذه السورةِ إنما هو على درجتين: سابقين مقرّبين، وأبرارهم أصحابُ اليمين. وأما أصحابُ الشمالِ الذين هم

المكذبون الضالون فليسوا من أهل الإسلامِ باتفاق، وإنما الخلافُ في الظالم نفسه في آيةِ فاطر[1].

والقولُ الثاني أن المُرادَ به عصاةُ الموحدين فإنهم ظالمون لأنفسِهم، ولكن ظلمٌ دون ظلم، لا يخرُج من الدين ولا يخلّد في النار، فعلى هذا يكون قسمٌ ثالثٌ في تفاضلِ أهلِ الإيمانِ.

ورجح هذا القولَ ابنُ القيِّم[2] رحمه الله تعالى، فإذا كان هذا التفاوتُ بين أتباعِ الرسلِ فكيف تفاوتُ ما بينهم وبين رسلِهم، وقد ذكر الله تبارك وتعالى أن الرسلَ متفاضلون فقال: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣]. وقد تقدم تقرير ذلك في موضعه.

وكما أخبر الله تبارك وتعالى عن تفاوتهم في الإيمان في دار التكليفِ كذلك جعل الجنةِ التي هي دارُ الثوابُ متفاوتةَ الدرجاتِ مع كون كلٍ منهم فيها، فقال في سورة الرحمن: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾﴾ [الرحمن]. إلى آخر السورة.

وكذا في سورة الواقعةِ أخبرَ بصفة الجنةِ التي يدخلها السابقون أعظمَ وأعلى من صفاتِ الجنةِ التي يدخلها أصحابُ اليمين، وكذلك في سورة المطففين. قال تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [المطففين]. وغيرُ ذلك من الآيات.

---

(١) فاطر: (٣٢).

(٢) في كتابه «طريق الهجرتين» (ص٢٨٩ ـ ٢٩٦).

وقال النبيُّ ﷺ: **«جنتانِ من ذهب، آنيتهما وما فيهما، وجنتانِ من فضة، آنيتُهما وما فيهما، وما بين القومِ وبين أن ينظروا إلى ربهم إلاَّ رداءُ الكبرياءِ على وجهه في جنة عذنٍ»**[1].

وأهلُ الجنةِ متفاوتون في الدرجات حتى إنهم يتراءَوْن، أهلُ عِلّيين يرَون غُرفَهم مِن فوقهم كما يُرى الكوكبُ في الأفق الشرقي أو الغربي، ومتفاوتون في الأزواج. ومتفاوتون في الفواكه من المطعومِ والمشروبِ، ومتفاوتون في الفُرش والملبوساتِ، ومتفاوتون في المُلك، ومتفاوتون في الحسن والجمالِ والنور، ومتفاوتون في قربهم من الله عز وجل، ومتفاوتون في تكثير زيارتِهم إياه، ومتفاوتون في مقاعدهم يومَ المزيد، ومتفاوتون تفاوتاً لا يعلمه إلا اللّهُ عز وجل.

وقد قدمنا أحاديث الشفاعةِ[2] وفيها أن عُصاةَ الموّحدين الذين تمسُّهم النارُ بقدْرِ ذنوبِهم، متفاوتون تفاوتاً بعيداً: متفاوتون في مقدار ما تأخذُه منهم، فمنهم من تأخذُه النارُ إلى كعبيه، ومنهم من تأخذُه إلى أنصافِ ساقيه، ومنهم من تأخذُه إلى ركبتيه، ومنهم من تأخذُه إلى حِقْوَيه، ومنهم من تأخذُه كلَّه إلا مواضعَ السجودِ.

وكذلك يتفاوتون في مقدار لُبثِهم فيها وسُرعةِ خروجِهم منها، لأنهم متفاوتون في الإيمانِ والتوحيدِ الذي بسببه يخرجون منها، ولولاه لكانوا مع الكافرين خالدين مخلّدين أبداً.

فيُقال للشفعاء أخرِجوا من كان في قلبِه مثقالُ دينارٍ من إيمان، ثم من كان في قلبه نصفُ دينارٍ من إيمان، ثم من كان في قلبه وزنُ بُرّةٍ من إيمان، ثم من كان في قلبه ذرّةٌ من إيمان، ثم من كان في قلبه أدنى أدنى أدنى من مثقالِ ذرةٍ من إيمان.

فأين هذا ممن الإيمانُ في قلبه مثلُ الجبلِ العظيم، وأين مَن نورُه على الصراط كالشمس، ممن نورُه على إبهام قدمه يُنوْنِصُ تارةً ويَطْفأُ أخرى: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [القلم].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٨/ ٦٢٤ رقم ٤٨٧٩).

(٢) تقدم تخريجها.

وفي الصحيحين[1] من حديث أبي سعيدٍ الخدريِّ رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ اللّهِ ﷺ يقول: «**بينا أنا نائمٌ رأيتُ الناسَ عُرضوا عليَّ وعليهم قُمُصٌ، فمنها ما يبلُغ الثُديَّ، ومنها ما يبلغ دون ذلك. وعُرض عليَّ عمرُ وعليه قميصٌ يجرُّه: قالوا: فما أوّلْته يا رسولَ الله؟ قال: الدين**».

وقال ابنُ أبي مُلَيكةَ: أدركتُ ثلاثين من أصحابِ النبيِّ ﷺ كلُهم يخاف النفاق على نفسِه. ما منهم أحدٌ يقول إنه على إيمان جبريل وميكائيل. ذكره البخاريُّ[2] تعليقاً مجزوماً به.

وقال النبيُّ ﷺ: «**مُلئ عمارٌ إيماناً إلى مُشاشِه**»[3].

وقال ﷺ: «**من رأى منكم منكراً فليغيِّرْه بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعفُ الإيمانِ**»[4].

وقال عمرُ بنُ الخطابِ رضي الله عنه: «لو وُزن إيمانُ أبي بكرٍ بإيمان أهلِ الأرض لرجح»[5].

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) في صحيحه (١/ ١٠٩ ـ ١١٠ رقم ٣٦). **تعليقاً**.

(٣) أخرجه النسائي في «السنن» (٨/ ١١١ رقم ٥٠٠٧).
والحاكم (٣/ ٣٩٢ ـ ٣٩٣) وقال الحاكم: «**صحيح على شرط الشيخين**، إنْ كان محمدُ بن أبي يعقوب حفظ عن عبد الرحمن بن مهدي». ووافقه الذهبي.
قلت: محمد بن أبي يعقوب هذا ثقة من شيوخ البخاري، واسم أبيه إسحاق، «فإذا كان قد حفظه فلا يزيد على كونه صحيحاً لأن أبا عمار ليس من رجال الشيخين».
وله طريق أخرى أخرجها ابن ماجه (١/ ٥٢ رقم ١٤٧) وأبو نعيم في «الحلية» (١/ ١٣٩).
ورجاله ثقات، رجال البخاري غير هاني بن هانئ وهو مستور كما في «التقريب» رقم (٧٢٦٤) ومن طريق أبي يعلى (١/ ١١٧) وابن جرير في «التهذيب» (١٥٧/ ٢٥٨) وقال: «مجهول».
«الصحيحة» رقم (٨٠٧).
وخلاصة القول أن الحديث صحيح، والله أعلم.

(٤) أخرجه مسلم (١/ ٦٩ رقم ٧٩/ ٤٩) وأحمد (٣/ ١٠) وأبو داود رقم (١١٤٠) و (٤٣٤٠) وابن ماجه رقم (١٢٧٥) و (٤٠١٣) والبيهقي في «السنن» (٦/ ٩٤ ـ ٩٥). من حديث أبي سعيد الخدري.

(٥) أخرجه أحمد في «فضائل الصحابة» (١/ ٤١٨ رقم ٦٥٣). **بإسناد ضعيف جداً** لأجل أيوب بن سويد الرملي. =

وقرأ الفضيلُ بنُ عياض[1] رحمه الله أولَ الأنفال حتى بلغ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: ٤]. قال حين فرَغَ: إن هذه الآيةَ تخبرك أن الإيمانَ قولٌ وعملٌ، وأن المؤمنَ إذا كان مؤمناً حقاً فهو من أهل الجنةِ، فمن لم يشهد أن المؤمن حقاً من أهل الجنةِ فهو شاكٌّ في كتاب اللّهِ، مكذّبٌ أو جاهلٌ لا يعلم.

فمن كان على هذه الصفةِ فهو مؤمنٌ حقاً مستكمل الإيمان، ولا يُستكمل الإيمانُ إلا بالعمل، ولا يستكمل عبدٌ الإيمانَ ولا يكون مؤمناً حقاً حتى يؤْثِرَ دينه على شهوتِه، ولن يهلِكَ عبدٌ حتى يؤْثِرَ شهوتَه على دينه.

يا سفيهُ ما أجهلك، لا ترضى أن تقولَ أنا مؤمنٌ حتى تقول أنا مؤمنٌ حقاً مستكملٌ الإيمان، واللّهِ لا تكون مؤمناً حقاً مستكملَ الإيمانِ حتى تؤدّيَ ما افترض اللّهُ عليك، وتجتنب ما حرم الله عليك، وترضى بما قسمَ اللّهُ لك، ثم تخاف مع هذا أن لا يقبَلَ اللّهُ منك.

ووصفَ فضيلٌ الإيمانَ بأنه قولٌ وعملٌ، وقرأ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥].

قد سمّى اللّهُ تعالى دينَ القيمةِ بالقول والعملِ، فالقولُ الإقرارُ بالتوحيد والشهادةِ للنبيِّ ﷺ، والعملُ أداءُ الفرائضِ واجتنابُ المحارم، وقرأ: ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾﴾ [مريم]. وقال: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ﴾ [الشورى: ١٣].

فالدينُ التصديقُ بالعمل كما وصفه الله تعالى، وكما أمر به أنبياءَه ورسلَه بإقامتِه. والتفرّقُ فيه تركُ العملِ والتفريقُ بين القولِ والعملِ، قال الله تبارك وتعالى:

= وتابعه ابن المبارك عند أبي خيثمة في «فضائل أبي بكر» (ص١٣٣) والبيهقي في شعب الإيمان (١/ ٢٥ ـ ٢٦). وأبو عثمان في «عقائد السلف» رقم (١١٠). **بإسناد صحيح**.
وأخرجه عبد الله في «السنة» رقم (٨٢٣) **بإسناد حسن**.

(١) أخرجه عبد الله في «السنة» رقم (٨١٨).

﴿فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا الزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى الدِّينِ﴾ [التوبة: ١١]. فالتوبةُ من الشرك جعلها الله تعالى قولاً وعملاً بإقامة الصلاةِ وإيتاءِ الزكاة.

وقال أصحابُ الرأي[١]: ليس الصلاةُ ولا الزكاةُ ولا شيءٌ من الفرائض من الإيمان، افتراءً على الله وخلافاً لكتابه وسنةِ نبيِّه، ولو كان القولُ كما يقولون لم يقاتل أبو بكرٍ أهلَ الردةِ.

وقال فُضيلٌ[١]: يقول أهلُ البدع: الإيمانُ الإقرارُ بلا عملٍ، والإيمانُ واحدٌ، وإنما يتفاضل الناسُ بالأعمال ولا يتفاضلون بالإيمان. قال: فمن قال ذلك فقد خالفَ الأثرَ، ورد على رسولِ الله قوله، لأن رسولَ الله ﷺ قال: «**الإيمانُ بضعٌ وسبعون شعبةً أفضلُها لا إله إلا الله، وأدناها إماطةُ الأذى عن الطريق، والحياءُ شعبةٌ من الإيمانِ**»[٢].

وتفسيرُ[٣] من يقول: الإيمانُ لا يتفاضل يقول إن فرائضَ اللَّهِ ليست من الإيمان، فميّز أهلُ البِدَع العملَ من الإيمان وقالوا: إن فرائضَ اللَّهِ ليست من الإيمان، ومن قال ذلك فقد أعظم الفِرْيةَ، أخاف أن يكون جاحداً للفرائض رادّاً على الله أمرَه.

ويقول أهلُ السنةِ[٤]: إن الله تعالى قرّر العملَ بالإيمانِ وإن فرائضَ اللَّهِ من الإيمان. قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ﴾ [العنكبوت: ٧] فهذا موصولُ العملِ بالإيمان.

ويقولُ أهلُ الإرجاء: لا ولكنه مقطوعٌ غيرُ موصول، وقال أهلُ السنةِ: قال اللَّهُ: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ [النساء: ١٢٤]. فهذا موصولٌ. وأهلُ الإرجاء يقولون بل هو مقطوعٌ، وقال أهلُ السنةُ[٤]: قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ [الإسراء: ١٩]. فهذا موصولٌ.

---

(١) أخرجه عبد الله في «السنة» رقم (٨١٨).
(٢) تقدم تخريجه.
(٣) أخرجه عبد الله في «السنة» رقم (١/ ٣٧٦).
(٤) أخرجه عبد الله في «السنة» (١/ ٣٧٦).

وكلُ شيءٍ في القرآن من أشباه هذا فأهلُ السنةِ يقولون: هو موصولٌ مجتمعٌ، وأهلُ الإرجاءِ يقولون: بل هو مقطوعٌ متفرقٌ. ولو كان الأمرُ كما يقولون كان من عصى وارتكبَ المعاصيَ والمحارِمَ لم يكن عليه سبيلٌ فكان إقرارُه يكفيه من العمل، فما أسوأ هذا مِن قولٍ وأقبَحه، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وقال فضيلٌ[1]: أصلُ الإيمانِ عندنا وفرعُه ـ بعد الشهادةِ لله بالتوحيد والشهادةِ للنبيِّ ﷺ بالبلاغ، وبعد أداء الفرائض ـ صدقُ الحديث، وحِفظُ الأمانةِ، وتركُ الخيانةِ، والوفاءُ بالعهد، وصلةُ الرحم، والنصيحةُ لجميع المسلمين، والرحمةُ للناس عامة.

قيل له ـ يعني فضيلاً ـ هذا من رأيك تقوله أو سمعتَه؟ قال: بل سمعناه وتعلّمناه. ولو لم آخُذْه من أهلِ الفقهِ والفضْل لم أتكلم به.

وقال فُضيلٌ[1]: يقول أهلُ الإرجاءِ: الإيمانُ قولٌ بلا عملٍ، ويقول الجهميةُ: الإيمانُ المعرفةُ بلا قولٍ ولا عمل، ويقول أهلُ السنةِ: الإيمانُ: المعرفةُ والقولُ والعملُ.

فمن قال الإيمانُ قولٌ وعملٌ فقد أخذ بالتوثقة. ومن قال الإيمانُ قولٌ بلا عمل فقد خاطر. لأنه لا يدري أيُقبلُ إقرارُه أو يُرَدّ عليه بذنوبه. وقال يعني فضيلاً: قد بيّنتُ لك إلا أن تكون أعمى.

وقال فضيل[1]: لو قال لي رجلٌ: مؤمنٌ أنت؟ ما كلّمته ما عشتُ. وقال: إذا قلتَ: آمنتُ بالله فهو يُجزيك من أن تقول أنا مؤمن. وإذا قلتَ أنا مؤمنٌ لا يُجزيك من أن تقول آمنتُ بالله لأن (آمنتُ بالله) أَمْرٌ، قال الله تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٣٦]. الآية.

وقولُك أنا مؤمنٌ تكلّفٌ لا يضُرك أن لا تقوله ولا بأسَ إن قلتَه على وجه الإقرارِ، وأكرهُه على وجه التزكية.

وقال فضيلٌ[2] سمعتُ الثوريَّ يقول: من صلّى إلى هذه القِبلةِ فهو عندنا

---

(١) أخرجه عبد الله في «السنة» (١/ ٣٧٦).

(٢) أخرجه عبد الله في «السنة» (١/ ٣٧٧).

مؤمنٌ، والناسُ عندنا مؤمنون بالإقرار في المواريث والمناكحةِ والحدودِ والذبائحِ والنُسُك. ولهم ذنوب وخَطايا اللَّهُ حسبُهم، إن شاء عذّبهم وإن شاء غفر لهم، لا ندري ما لهم عند اللَّهِ عزَّ وجل.

وقال فضيلٌ[1]: سمعتُ المُغيرةَ الضَّبيَّ يقول: من شك في دينه فهو كافرٌ وأنا مؤمنٌ إن شاء الله. قال فضيلٌ[1]: الاستثناءُ ليس بشك.

وقال فضيلٌ[1] المُرجئةُ كلما سمعوا حديثاً فيه تخويفٌ قالوا: هذا تهديدٌ. وإن المؤمنَ يخافُ تهديد اللَّهِ وتحذيرَه وتخويفَه ووعيدَه ويرجو وعْدَه، وإن المنافقَ لا يخاف تهديدَ الله ولا تحذيرَه ولا تخويفَه ولا وعيدَه ولا يرجو وعدَه.

وقال فضيلٌ[1]: الأعمالُ تُحبِطُ الأعمالَ، والأعمالُ تحول دون الأعمالِ.

قال عبدُ الله[2] قال أبي: أُخبِرْتُ عن فضيلٍ عن ليثٍ عن مجاهدٍ في قوله: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩]. قال: الفقه والعلم اهـ من «كتاب السنة».

وفيه[3] عن حذيفة بن اليمان ﷺ قال: «القلوبُ أربعةٌ: قلبٌ أجردُ كأنما فيه سراجٌ يُزْهِرُ، فذلك قلبُ المؤمن. وقلبٌ أغلفُ، فذلك قلبُ الكافر، وقلبٌ مُصْفَحٌ فذلك قلبُ المنافق. وقلبٌ فيه إيمانٌ ونفاقٌ، ومَثَلُ الإيمانِ فيه كمثَلِ شجرةٍ يَسقيها ماءٌ طيّبٌ، ومثلُ النفاقِ فيه كمثل قُرحةٍ يُمدّها قيحٌ ودمٌ، فأيُّهما غلب عليه غلبه» اهـ.

وهذا الموقوفُ قد رُوي مرفوعاً إلى النبيِّ ﷺ بإسنادٍ جيدٍ حسن.

فقال الإمامُ أحمدُ[4] رحمه الله تعالى: حدثنا أبو النضرِ حدثنا أبو معاويةَ

---

(١) أخرجه عبد الله في «السنة» (١/ ٣٧٧).

(٢) أخرجه عبد الله في «السنة» (١/ ٣٧٧ رقم ٨١٩) **وفي سنده مجهول.**
قلت: وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٣/ج٣/ ٩٠).

(٣) أي «السنة» (١/ ٣٧٧ رقم ٨٢٠) **في سنده مجهول.**

(٤) في «المسند» (٣/ ١٧) **بإسناد صحيح.**
قلت: وأخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (١١/ ٣٦ رقم ١٠٤٥٣) والطبراني في «الصغير» (٢/ ١١٠) وأبو نعيم في «الحلية» (٤/ ٣٨٥).
وأورده الهيثمي في «المجمع» (١/ ٦٣) وقال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

حدثنا شيبانُ عن ليثٍ عن عمْرِو بنِ مُرّةَ عن أبي البَخْترِيّ عن أبي سعيدٍ الخُدريِّ ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**القلوبُ أربعةٌ: قلبٌ أجردُ فيه مثلُ السِراجِ يُزهرُ، وقلبٌ أغلفُ مربوطٌ على غلافه، وقلبٌ منكوسٌ، وقلبٌ مُصْفَحٌ. فأما القلبُ الأجردُ فقلبُ المؤمنِ سراجُه فيه نورُه، وأما القلبُ الأغلفُ فقلبُ الكافر، وأما القلبُ المنكوسُ فقلبُ المنافق عرَف ثم أنكر.**

وأما القلبُ المصفحُ فقلبٌ فيه إيمانٌ ونفاقٌ. ومثلُ الإيمانِ فيه كمثل البقْلةِ يُمدّها الماءُ الطيبُ، ومثلُ النفاقِ فيه كمثلِ القُرحةِ يُمدّها الدمُ والقيحُ، فأيُّ المادتين غلبت على الأخرى غلبتْ عليه».

والآياتُ والأحاديثُ وآثارُ الصحابةِ والتابعين في هذا الباب أكثرُ من أن تُحصرَ وأشهرُ من أن تُذكرَ.

والمقصودُ بيانُ بأن الناسَ متفاوتون في الدين بتفاوت الإيمانِ في قلوبهم، متفاضلون فيه بحسب ذلك، فأفضلُهم وأعلاهم أولو العزمِ من الرسل، وأدناهم المخلّطون من أهل التوحيد. وبين ذلك مراتبُ ودرجاتٌ لا يحيط بها إلا اللّهُ عز وجل الذي خلقهم ورزقهم.

وكما يتفاوتون في مبلغ الإيمان من قلوبهم يتفاوتون في أعمال الإيمانِ الظاهرةِ، بل واللّهِ يتفاضلون في عملٍ واحدٍ يعملُه كلُّهم في آنٍ واحدٍ وفي مكانٍ واحد، فإن الجماعةَ في الصلاة صافّون كلُهم في رأيِ العين، مستوون في القيامِ والركوعِ والسجودِ، والخفْضِ والرفْعِ، والتكبيرِ والتحميدِ، والتسبيحِ والتهليلِ، والتلاوةِ وسائرِ الأذكارِ والحرَكات والسكنات، في مسجد واحدٍ ووقت واحدٍ وخلف إمامٍ واحدٍ، وبينهم من التفاوت والتفاضلِ ما لا يُحصى: فهذا قُرّةُ عينه في الصلاة يودّ إطالتَها ما دام عمرُه، وآخرُ يرى نفسَه في أضيق سجنٍ يود انقضاءَها في أسرع من طرفةِ عينٍ، أو يود الخروجَ منها، بل يتندّم على الدخول فيها، وهذا يعبد الله على وجه الحضورِ والمراقبةِ كأنه يشاهده، وآخرُ قلبُه في الفلوات قد تشعَبتْ به الضَّيعاتُ وتفرقت به الطُرقاتُ، حتى إنْ يدري ما يقول ولا ما يفعل ولا كم صلى.

وهذا تُرفع صلاتُه تتوهج بالنورِ حتى تخترقَ السمواتِ إلى عرشِ الرحمنِ عز وجل. وهذا تخرُج مُظلمةً لظلمة قلبِه فتُغلق أبوابُ السماءِ دونها فتُلفّ كما يُلفّ

الثوبُ الخلِقُ فيُضربُ بها وجهُ صاحبِها، وهذا يُكتبُ له أضعافُها وأضعافٌ مضاعفةٌ. وهذا يخرُج منها وما كتب له إلا نصفُها، إلا ربعُها، إلا ثمنُها، إلا عشرُها، وهذا يحضُرها صورةً ولم يُكتب له منها شيءٌ، وهذا منافقٌ يأتيها رياءَ الناسِ ولا يؤمن بالله واليومِ الآخر.

هذا والناظرُ إليهم يراهُم مستوين في فعلِها، ولو كُشفَ له الحجابُ لرأى من الفُرقان ما لا يقدِر قدْرَه إلا اللَّهُ الرقيبُ على كل نفسٍ بما كسبت، الذي أحاط بكل شيءٍ علماً لا تخفى عليه خافية.

وكذلك الجهادُ ترى الأمةَ من الناس يخرُجون فيه مع إمامٍ واحدٍ ويقاتلون عدواً واحداً، على دينٍ واحدٍ متساوين ظاهراً في القُوى والعدد، فهذا يُقاتل حميةً وعصبيةً، وهذا يقاتل رياءً وسمعةً لتُعلَم شجاعتُه ويُرى مكانَه، وهذا يقاتل للمغنم ليس له همٌّ غيرُه، وهذا يقاتل لتكون كلمةُ اللَّهِ هي العليا، وذا هو المُجاهدُ في سبيلِ اللَّهِ لا لغيره، وهذا هو الذي يُكتب له بكل حركةٍ أو سكونٍ أو نصَبٍ أو مخمصةٍ عملٌ صالحٌ.

وهكذا الزكاةُ والصومُ والحجُّ والأمرُ بالمعروفِ والنهي عن المنكر وجميعُ أعمالِ الإيمانِ، الناسُ فيها على هذا التفاوتِ والتفاضلِ بحسب ما وقرَ في قلوبهم من العلم واليقين.

وعلى ذلك يموتون، وعليه يُبعثون، وعلى قدره يقِفون في عرَق الموقفِ، وعلى ذلك الوزنُ والصحفُ. وعلى ذلك تُقسَم الأنوارُ على الصراط، وبحسب ذلك يمرون عليه. **«ومن يُبطِئ به عملُه لم يُسرعْ به نسبُه»**[1].

وبذلك يتسابقون في دخول الجنة، وعلى حسبه رفعُ درجاتِهم، وبقدْرِه تكون مقاعِدُهم من ربهم تبارك وتعالى في يوم المزيد، وبمقدار ذلك ممالكُهم فيها ونعيمُهم، واللَّهُ يختص برحمتِه من يشاء، واللَّهُ ذو الفضلِ العظيمِ.

---

(١) وهو جزء من حديث صحيح.
أخرجه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٧٤ رقم ٣٨/ ٢٦٩٩) وابن ماجه رقم (٢٢٥) وأحمد (٢/ ٤٠٧) من حديث أبي هريرة.

٣ ـ فاسقُ أهلِ القبلةِ مؤمنٌ ناقصُ الإيمان

(والفاسقُ المليُّ ذو العصيانِ لم يُنفَ عنه مطلقُ الإيمانِ)

(لكن بقدر الفسقِ والمعاصي إيمانُه ما زال في انتقاص)

هذه هي المسألةُ الثالثةُ. وهي أن فاسقَ أهلِ القبلةِ لا يُنفى عنه مُطلقُ الإيمانِ بفسوقه. ولا يوصف بالإيمان التامِّ. ولكنْ هو مؤمنٌ ناقصُ الإيمانِ، أو مؤمنٌ بإيمانِه فاسقٌ بكبيرتِه. فلا يُعطى الاسمَ المطلقَ ولا يُسلبُ مطلقَ الاسم.

والمُرادُ بالفسق هنا هو الأصغرُ. وهو عملُ الذنوبِ الكبائرِ التي سمَّاها اللَّهُ ورسولُه فسقاً وكفراً وظلماً مع إجراء أحكام المؤمنين على عاملها. فإن الله تعالى سمى الكاذب فاسقاً فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ [الحجرات: ٦]. ومع هذا لم يخرُجْ ذلك الرجلُ الذي نزلت فيه الآية من الدين بالكلية ولم يُنف عنه الإيمانُ مُطلقاً ولم يُمنع من جريان أحكامِ المؤمنين عليه.

وكذلك قال النبي ﷺ: «**سبابُ المسلمِ فسوقٌ وقتالهُ كفرٌ**»[١].

وقال ﷺ: «**لا ترجِعوا بعدي كفاراً يضرِبُ بعضُكم رقابَ بعض**»[٢] الحديث وغيرُه.

وقد استُبَّ كثيرٌ من الصحابةِ على عهده وفي حضورِه فوعظهم وأصلح بينهم ولم يكفرهم بل بقُوا أنصارَه ووزراءَه في الدين. وقال الله سبحانه: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [الحجرات: ٩]. فسمى الله تعالى كلاًّ من الطائفتين المُقتتِلتين مؤمنةً وأمرَ بالإصلاحِ بينهما ولو بقتال الباغية، ثم قال: ﴿فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓاْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الحجرات: ٩].

ثم لم ينفِ عنهم الأخوّةَ أخوةَ الإيمانِ لا فيما بين المقتتلين ولا فيما بينهما وبين بقيةِ المؤمنين بل أُثبتت أخوّةُ الإيمان لهم مطلقاً، فقال عز وجل: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات: ١٠].

---

(١) أخرجه البخاري (١٣/ ٢٦ رقم ٧٠٧٦)، ومسلم في صحيحه (١/ ٨١ رقم ١١٦/ ٦٤).

(٢) أخرجه البخاري (١٣/ ٢٦ رقم ٧٠٧٧)، ومسلم (١/ ٨١ ـ ٨٢ رقم ١١٨/ ٦٥).

وكذلك في آيةِ القصاصِ أثبتَ الإيمانَ للقاتل والمقتول من المؤمنين وأثبت لهم أُخوّةَ الإيمانِ فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ ۚ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ۗ﴾ [البقرة: ١٧٨].

وكذلك الذين قال لهم النبيُّ ﷺ: **«لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرِبُ بعضُكم رقابَ بعضٍ»**[(١)] سماهم أيضاً مسلمين بعد أن رجَعوا كذلك فقال في صفةِ الخوارجِ: **«تمرُق مارقةٌ عند فرقةٍ من المسلمين يقتلها أولى الطائفتين بالحق»**[(٢)].

ومعلومٌ أن أصحابَ عليٍّ بنِ أبي طالبٍ وأهلَ الشامِ هما الفرقتان اللتان مرقت الخوارجُ من بينهما قد اقتتلا قتالاً عظيماً، فسمى الجميعَ مسلمين.

وقال ﷺ في سِبطه الحسن بن عليٍّ: **«إن ابني هذا سيدٌ، وسيُصلحُ الله تعالى به بين فرقتين عظيمتين من المسلمين»**[(٣)]، فأصلح الله تعالى به بين هاتين الفرقتين[(٤)] بعد موت أبيه رضي الله عنهما في عام الجماعة ولله الحمدُ والمنة.

ولا منافاة بين تسمية العملِ فسقاً أو عامِله فاسقاً، وبين تسميته مسلماً وجريانِ أحكام المسلمين عليه، لأنه ليس كلُّ فسقٍ يكون كفراً، ولا كلُّ ما سُمي كفراً وظلماً يكون مُخرجاً من الملة حتى يُنظر إلى لوازِمه وملزوماتِه، وذلك لأن كلًّا من الكفرِ والظلمِ والفسوقِ والنفاقِ جاءت في النصوص على قسمين: أكبرَ يُخرج من الملة لمنافاته أصلَ الدين بالكلية، وأصغرَ ينقُص الإيمانَ وينافي كمالَه ولا يُخرج صاحبَه منه، فكفرٌ دون كفرٍ، وظلمٌ دون ظلمٍ، وفسوقٌ دون فسوق، ونفاقٌ دون نفاق.

قال الله تعالى في بيان الكفر: ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤]. وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدْ ضَلُّواْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٦٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٦٩﴾﴾ [النساء].

---

(١) أخرجه البخاري (١٣/ ٢٦ رقم ٧٠٧٧)، ومسلم (١/ ٨١ ـ ٨٢ رقم ١١٨/ ٦٥) وقد تقدم.
(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٢/ ٧٤٥ رقم ١٥٠/ ١٠٦٥).
(٣) أخرجه البخاري (٧/ ٩٤ رقم ٣٧٤٦).
(٤) انظر: «فتح الباري» (١٣/ ٦١ ـ ٦٨).

وقال النبيُّ ﷺ في بيان الكفرِ الأصغرِ: **«سبابُ المسلم فسوقٌ وقتالُه كفرٌ»**[1]. وقال الله تعالى في الظلم الأكبر: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]. وقال في الظلم الأصغر: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ ۖ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا﴾ [الطلاق: ١].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ١٠].

وقال في الفسوق الأكبر: ﴿إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾ [الكهف: ٥٠]. وقال تعالى في النفاق الأكبر: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٨]. وقال: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥].

وقال النبيُّ ﷺ في النفاق الأصغرِ: **«أربعٌ من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلةٌ منهن كانت فيه خصلةٌ من النفاق حتى يدَعها: إذا حدّث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا وعد أخلف، وإذا خاصم فجَر»**[2].

فهذه الخصالُ كلُها نفاقٌ عمليٌّ لا يُخرِج من الدين إلا إذا صحبه النفاقُ الاعتقادي المتقدِّم، وما تمسك به الخوارجُ[3] والمعتزلةُ[3] وأضرابُهم من التشبث بنصوص الكفرِ والفسوقِ الأصغرِ، واستدلالِهم به على الأكبر فذلك مما جنتْه أفهامُهم الفاسدةُ وأذهانُهم البعيدةُ وقلوبُهم الغُلْفُ، فضربوا نصوصَ الوحي بعضَها ببعض، واتبعوا ما تشابه منه ابتغاءَ الفتنةِ وابتغاءَ تأويلِه.

فقالت الخوارجُ: المُصرُّ على كبيرة من زِناً أو شُربِ خمرٍ أو رباً كافرٌ مرتدٌّ خارجٌ من الدين بالكلية لا يصلّى عليه ولا يُدفن في مقابرِ المسلمين، ولو أقرَّ لله تعالى بالتوحيد وللرسول ﷺ بالبلاغ، وصلى وصام وزكّى وحجّ وجاهد، وهو مخلّدٌ في النار أبداً مع إبليسَ وجنودِه ومع فرعون وهامانَ وقارونَ.

---

(١) تقدم تخريجه.
(٢) أخرجه البخاري (١/ ٨٩ رقم ٣٤)، ومسلم في صحيحه (١/ ٧٨ رقم ١٠٦/ ٥٨).
(٣) تقدم التعريف بهما.

وقالت[1] المعتزلةُ: العصاةُ ليسوا مؤمنين ولا كافرين ولكن نسمّيهم فاسقين. فجعلوا الفسقَ منزلةً بين المنزلتين. ولكنهم لم يحكموا له بمنزلة في الآخرة بين المنزلتين. بل قضوا بتخليده في النار أبداً كالذين قبلهم، فوافقوا الخوارجَ مآلاً وخالفوهم مقالاً، وكان الكلُّ مخطئين ضُلاّلاً.

وقابل ذلك المرجئةُ[2] فقالوا: لا تضُر المعاصي مع الإيمانِ لا بنقص ولا منافاةٍ ولا يدخُل النارَ أحدٌ بذنب دون الكفر بالكلية. ولا تفاضُلَ عندهم بين إيمان الفاسقِ الموحّدِ وبين إيمان أبي بكرٍ وعمرَ، حتى ولا تفاضلَ بينهم وبين الملائكة، لا ولا فرق عندهم بين المؤمنين والمنافقين، إذ الكلُّ مستوفي النطقِ بالشهادتين كما قدمنا اعتقادَهم في بحث الإيمانِ، نسأل الله تعالى العافية.

٤ ـ العاصي لا يخلّد في النار وأمرُه إلى الله

(ولا نـقـول إنـه فـي الـنـار ... مـخـلّـدٌ بـل أمـرُه لـلـبـاري)

(تـحـت مـشـيـئـةِ الإلـهِ الـنـافـذة ... إن شـا عـفـا عـنـه وإن شـا آخـذهْ)

(بـقـدر ذنـبِـه إلـى الـجـنـان ... يـخـرُج إن مـات عـلـى الإيـمـان)

(ولا نقول إنه) أي الفاسقَ بالمعاصي التي لا توجب كفراً **(في النار مخلد)** هذه هي المسألةُ الرابعةُ من مسائل الفصلِ **(بل نقول أمرُه)** مردودٌ حكمُه **(للباري)** في الجزاء والعفوِ **(تحت مشيئة الإله النافذة)** في خلقه **(إن شاء)** اللّهُ عز وجل **(عفا عنه)** وأدخلَه الجنةَ من أولِ وهْلةٍ برحمته وفضلِه **(وإن شاء آخذه)** أي جازاه وعاقبه **(بقدر ذنبه)** الذي مات مُصِرّاً عليه.

كما في الصحيحين[3] من حديث عُبادة بنِ الصامتِ رضي الله عنه أن رسولَ الله ﷺ قال وحوله عِصابةٌ من أصحابه: «**بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً، ولا تَسرِقوا، ولا تزنوا، ولا تقتُلوا أولادكم، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم**

---

(١) انظر: «الملل والنحل» (١/ ٦٥ ـ ٦٦).

(٢) انظر: «الملل والنحل» للشهرستاني (١/ ١٦٢).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (١/ ٦٤ رقم ١١) ومسلم في صحيحه (٣/ ١٣٣٣ رقم ٤١/ ١٧٠٩).

وأرجلِكم، ولا تعصوا في معروف، فمن وفى منكم فأجرُه على الله، ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب به في الدنيا فهو كفارةٌ له، ومن أصاب من ذلك شيئاً ثم ستره اللَّهُ عليه فهو إلى الله إن شاء عفا عنه، وإن شاء عاقبه». فبايعناه على ذلك.

(إلى الجنان يخرج) من النار (إن) كان (مات على الإيمان) كما تقدم في أحاديث الشفاعةِ، وأنه لا يخلد في النار أحدٌ مات على التوحيد بل يخرج منها برحمة أرحمِ الراحمين ثم بشفاعةِ الشافعين.

(والعرضُ تيسيرُ الحسابِ في النبا ومن يُناقَشِ الحسابَ عُذِّبا)

في هذا البيتِ إشارةٌ إلى تفسيرِ رسولِ الله ﷺ لقوله عز وجل: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨﴾ [الإنشقاق]. الآيات، كما في صحيح البخاريِّ[1] وغيره[2] من طرق عن عائشةَ رضي الله عنها قالت: قال رسولُ الله ﷺ: «**ليس أحدٌ يحاسب إلا هلك**، قالت: قلت يا رسولَ الله جعلني اللَّهُ فداءَك أليس يقولُ الله عز وجل: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨﴾ [الانشقاق].

قال: **ذلك العَرضُ، يُعرضون، ومن نوقش الحسابَ هلك**»، وفي رواية:[3] «**عُذِّب**».

وقد قدمنا من نصوص الحشرِ وأحوالِ الموقفِ والميزانِ ونشرِ الصحفِ والعرضِ والحسابِ والصراطِ والشفاعاتِ وغيرِها ما يُعلم به تفاوتُ مراتب الناسِ وتبايُن أحوالِهم في الآخرة بحسب تفاوتِهم في الدار الدنيا في طاعة ربِّهم وضدِّها من سابق ومقتصدٍ وظالمٍ لنفسه.

إذا عرفتَ هذا فاعلم أن الذي أثبتته الآياتُ القرآنيةُ والسننُ النبويةُ ودرج عليه السلفُ الصالحُ والصدْرُ الأولُ من الصحابةِ والتابعين لهم بإحسان من أئمةِ التفسيرِ والحديثِ والسنةِ أن العصاةَ من أهلِ التوحيدِ على ثلاث طبقاتٍ:

---

(١) في صحيحه (١٩٦/١ ـ ١٩٧ رقم ١٠٣) وأطرافه (٤٩٣٩ و ٦٥٣٦ و ٦٥٣٧).

(٢) كمسلم في صحيحه (٢٢٠٥/٤ رقم ٢٨٧٦/٨٠) وأبو داود رقم (٣٠٩٣) والترمذي رقم (٢٤٢٨) و (٣٣٣٧).

(٣) عند مسلم في صحيحه (٢٢٠٤/٤ رقم ٢٨٧٦/٧٩).

الأولى: قومٌ رجَحَت حسناتُهم بسيئاتهم فأولئك يدخلون الجنةَ من أول وهلةٍ ولا تمسهم النارُ أبداً.

الطبقةُ الثانيةُ: قومٌ تساوت حسناتُهم وسيئاتُهم وتكافأت فقصّرتْ بهم سيئاتُهم عن الجنة وتجاوزت بهم حسناتُهم عن النار، وهؤلاء هم أصحابُ الأعرافِ الذين ذكر اللّهُ تعالى أنهم يوقَفون بين الجنةِ والنارِ ما شاء اللّهُ أن يوقفوا، ثم يُؤذَن لهم في دخول الجنة، كما قال تبارك وتعالى بعد أن دخل أهلُ الجنةِ الجنةَ، وأهلُ النار النـــارَ: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ كَٰفِرُونَ ﴿٤٥﴾ وَبَيۡنَهُمَا حِجَابٞۚ وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٞ يَعۡرِفُونَ كُلَّۢا بِسِيمَىٰهُمۡۚ وَنَادَوۡاْ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۚ لَمۡ يَدۡخُلُوهَا وَهُمۡ يَطۡمَعُونَ ﴿٤٦﴾ ۞ وَإِذَا صُرِفَتۡ أَبۡصَٰرُهُمۡ تِلۡقَآءَ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُواْ رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٗا يَعۡرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمۡ قَالُواْ مَآ أَغۡنَىٰ عَنكُمۡ جَمۡعُكُمۡ وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحۡمَةٍۚ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [الأعراف].

الطبقةُ الثالثةُ: قومٌ لقُوا اللّهَ تعالى مُصِرّين على كبائر الإثم والفواحش، ومعهم أصلُ التوحيد، فرجَحَتْ سيئاتُهم بحسناتِهم، فهؤلاء هم الذين يدخُلون النارَ بقدْر ذنوبِهم، فمنهم من تأخذُه إلى كعبيه، ومنهم من تأخُذه إلى أنصافِ ساقَيه، ومنهم من تأخُذه إلى ركبتيه، ومنهم من تأخذه إلى حِقْوَيْه، ومنهم فوقَ ذلك، حتى إن منهم من لم يحرَّم منه على النار إلا أثرَ السجودِ، حرَّم اللّهُ على النار أن تأكلَ أثرَ السجود، وهؤلاء هم الذين يأذن اللّهُ تعالى بالشفاعة فيهم لنبينا محمدٍ ﷺ ولغيره من الأنبياء من بعده والأولياء والملائكةِ ومن شاءَ اللّهُ أن يُكرِمَه، فيَحُدّ لهم حداً فيُخرجونهم، ثم يَحُدّ لهم حداً فيُخرجونهم، ثم هكذا، فيُخرجون من كان في قلبه وزنُ دينارٍ من خير، ثم من كان في قلبه نصفُ دينارٍ من خير، ثم بُرّةٍ، ثم خردلةٍ، ثم ذرةٍ، ثم أدنى من ذلك إلى أن يقول الشفعاءُ: ربَّنا لم نذَرْ فيها خيراً.

ويُخرجُ اللّهُ تعالى من النار أقواماً لا يعلم عدتَهم إلا هو بدون شفاعةِ الشافعين، ولم يخلّد في النار أحدٌ من الموحّدين ولو عمِل أيَّ عملٍ، ولكن كلُ من كان منهم أعظمَ إيماناً وأخفَّ ذنباً كان أخفَّ عذاباً في النار وأقلَّ مكثاً فيها

وأسرعَ خروجاً منها، وكلُ من كان أضعفَ إيماناً وأعظمَ ذنباً كان بضد ذلك والعياذ بالله.

والأحاديثُ في هذا البابِ لا تحصى كثرةً، وقد قدمنا منها ما فيه كفايةٌ.

وإلى هذا المعنى أشار النبيُّ ﷺ بقوله: «**من قال لا إله إلا الله نفعتْه يوماً من الدهر يُصيبه قبل ذلك ما أصابه**»[1].

وهذا مقامٌ ضلتْ فيه الأفهام، وزلت فيه الأقدام، وهدى اللَّهُ الذين آمنوا لما اختُلف فيه من الحق بإذنه، واللَّهُ يهدي من يشاء إلى صراطٍ مستقيم.

قال إمامُ الأئمةِ أبو بكرٍ محمدُ بنُ إسحاقَ بنِ خزيمةَ رحمه الله تعالى في كتاب التوحيد[2] بعد سرْدِه أحاديثَ الشفاعةِ بأسانيدِها قال: «قد رَوينا أخباراً عن النبيِّ ﷺ يحسب كثيرٌ من أهلِ الجهلِ والعنادِ أنها خلافُ هذه الأخبارِ التي ذكرناها مع كثرتها وعدالةِ ناقليها في الشفاعة، وفي إخراج بعضِ أهلِ التوحيدِ من النار بعد ما دخلوها بذنوبِهم وخطَاياهم، وليست بخلاف تلك الأخبارِ عندنا بحمدِ اللَّهِ ونعمتِه. وأهلُ الجهلِ الذين ذكرتُهم في هذا الفصلِ صنفانِ:

صنفٌ منهم من الخوارج والمعتزلةِ أنكرت إخراجَ أحدٍ من النار ممن يدخُل النارَ، وأنكرتْ هذه الأخبارَ التي ذكرناها في الشفاعة.

الصنفُ الثاني: الغاليةُ من المُرجئةِ التي تزعمُ أن النارَ حُرّمت على من قال: لا إله إلا الله تتأولُ هذه الأخبارَ التي رُويت عن النبي ﷺ في هذه اللفظةِ على خلافِ تأويلِها.

---

(١) أخرجه البزار (١/ ١٠ رقم ٣ ـ كشف). والطبراني في «الأوسط» رقم (٤) كما في «مجمع البحرين» و «الصغير» (١/ ١٤٠).
وأورده الهيثمي في «المجمع» (١/ ١٧) وقال: رواه البزار والطبراني في «الأوسط» و «الصغير» ورجاله رجال الصحيح.
وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٥/ ٤٦) والخطيب في «موضع أوهام الجمع والتفريق» (٢/ ٢٠٥) وصححه الألباني في «صحيح الجامع» رقم (٦٣١٠) وأورده في «الصحيحة» رقم (١٩٣٢).
وخلاصة القول أن الحديث صحيح، والله أعلم.

(٢) (٢/ ٧٦٩ ـ ٧٧٠).

فأولُ ما نبدأ بذكر الأخبارِ بأسانيدِها وألفاظِ متونِها ثم نبين معانيَها بعون اللَّهِ ومشيئتِهِ ونشرح ونوضح أنها ليست بمُخالفة للأخبار التي ذكرناها في الشفاعة وفي إخراج من قضى اللَّهُ إخراجَهم من أهلِ التوحيدِ من النارِ.

ثم ساق[1] منها حديثَ ابنِ مسعودٍ[2] رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ قال: **«لا يدخُل الجنةَ من كان في قلبه مثقالُ ذرةٍ من كِبْر، ولا يدخل النارَ من كان في قلبه مثقالُ ذرةٍ من إيمان»**.

وحديثَ عمرَ[3] بنَ الخطاب رضي الله عنه: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: **«إني لأعلمُ كلمةً لا يقولُها عبدٌ حقاً من قلبه فيموتُ على ذلك إلا حُرِّم على النار: لا إله إلا الله»**.

وحديثَ عِتْبانَ[4] بنِ مالك: قال رسولُ الله ﷺ: **«لن يُوافى عبدٌ يومَ القيامةِ**

---

(١) أي ابن خزيمة في كتابه «التوحيد» (٢/ ٧٧٠ ـ ٨١٠).

(٢) أخرجه مسلم رقم (١٤٨/ ٩١) وابن ماجه رقم (٤١٧٣) وابن منده في «الإيمان» رقم (٥٤٢) من طرق عن علي بن مهر عن الأعمش عن إبراهيم عن علقمة عن ابن مسعود.
وأخرجه أبو داود رقم (٤٠٩١) والترمذي رقم (١٩٩٨) وأحمد (١/ ٤١٢ و ٤١٦) والطبراني في «الكبير» (١٠٠٠٠ و ١٠٠٠١) وابن أبي شيبة (٩/ ٨٩) وأبو عوانة في مسنده (١/ ١٧) من طرق عن الأعمش به.
وأخرجه مسلم رقم (٩١) والترمذي رقم (١٩٩٩) وابن منده رقم (٥٤٠ و ٥٤١) والبغوي في «شرح السنة» رقم (٣٥٨٧) وابن خزيمة في «التوحيد» (٢/ ٧٧٢ رقم ٨/ ٤٩٨) وأبو عوانة (١/ ٣١) من طريق أبان بن تغلب.
وأحمد (١/ ٤٥١) من طريق حجاج.
كلاهما عن فضيل بن عمرو الفقيمي عن إبراهيم النخعي به. **وهو حديث صحيح**.

(٣) أخرجه أحمد (١/ ٦٣) والحاكم (١/ ٧٢) أبو نعيم في «الحلية» (٢/ ٢٩٦) وابن خزيمة في «التوحيد» (٢/ ٧٧٤ رقم ١١/ ٥٠٠).
قال الحاكم: «**هذا حديث صحيح على شرط الشيخين** لم يخرجاه بهذا اللفظ ولا بهذا الإسناد....» ووافقه الذهبي.
والحديث صحيح. فقد أخرجه مسلم رقم (٢٦) من طرق كثيرة، أحدُهما هذا الطريق من حمران... به.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (١١/ ٢٤١ رقم ٦٤٢٣) ومسلم في صحيحه (١/ ٦١ ـ ٦٢ رقم ٥٤/ ٣٣).
وابن خزيمة في «التوحيد» (٢/ ٧٧٥ رقم ١٢/ ٥٠١).

وهو يقول: **لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجهَ الله إلا حرم الله على النار - وفي رواية[1]: فإن الله قد حرم على النار - أن تأكل من قال لا إله إلاّ الله»**.

وحديثَ عثمانَ[2] عن النبي ﷺ قال: «**من مات وهو يشهد أن لا إله إلا اللَّهُ دخل الجنةَ**».

وحديثَ معاذِ[3] بنِ جبلٍ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**من مات وهو يشهد أن لا إله إلا اللَّهُ وأن محمداً رسولُ اللَّهِ صادقاً من قلبه دخل الجنة**».

وحديثَ عبادةَ[4] بنِ الصامتِ: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**من لقيَ اللَّهَ يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسولُ اللَّهِ دخل الجنة**»، وفي رواية[5]: «**حرَّمه الله على النار**».

وحديثَ جابرِ[6] بنِ عبدِ اللَّهِ أن رسولَ الله ﷺ بعثه فقال: «**اذهبْ فنادِ في الناس أن من شهد أن لا إله إلا الله موقناً - أو مخلصاً - دخل الجنة**».

وحديثَ أنسِ بنِ مالكٍ[7] ﵁ قال: قال رجلٌ: يا رسولَ الله ما تركتُ من حاجة ولا داجةٍ إلا أتيتُ عليها، قال: «**أَوَ تشهدُ أن لا إله إلا الله وأن محمداً**

---

(١) أخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» (٢/ ٧٨٤ - ٧٨٥ رقم ٢٣/ ٥١١).

(٢) أخرجه مسلم (١/ ٥٥ رقم ٤٣/ ٢٦) وأبو عوانة (١/ ٦، ٧) وابن منده في الإيمان رقم (٣٢، ٣٣) وأحمد (١/ ٦٥، ٦٩) والنسائي في عمل اليوم والليلة (١١١٣ و ١١١٤ و ١١١٥) وابن خزيمة (٢/ ٧٨٦ رقم ٢٥/ ٥١٣) من طرق. . .

(٣) أخرجه أحمد (٥/ ٢٣٦) والحميدي في مسنده رقم (٣٦٩) وابن منده في «الإيمان» رقم (١١١، ١١٢، ١١٣) والطبراني في «الكبير» (٢٠ رقم ٥٩، ٦٠، ٦١، ٦٢، ٦٣) من طرق عن عمرو بن دينار عن معاذ.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (٦/ ٤٧٤ رقم ٣٤٣٥) ومسلم في صحيحه (١/ ٥٧ رقم ٤٦/ ٢٧).

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه (١/ ٥٧ - ٥٨ رقم ٤٧/ ٢٩).
وابن خزيمة في «التوحيد» (٢/ ٧٩٩ رقم ٤١/ ٥٢٢).

(٦) أخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» (٢/ ٨٠١ - ٨٠٢ رقم ٤٤/ ٥٢٥) ومسلم في صحيحه (١/ ٩٤ رقم ١٥١/ ٩٣) دون القصة.
والقصة في صحيحه (١/ ٥٩ - ٦١ رقم ٥٢/ ٣١) من حديث أبي هريرة ﵁.

(٧) أخرجه ابن خزيمة في التوحيد (٢/ ٨٠٣ رقم ٤٦/ ٥٢٦) إسناده صحيح ورجاله ثقات.

رسولُ الله؟»، قال: نعم. قال: **«فإن هذا يأتي على ذلك كلِه»**.

وحديثَ عمرَ[1] رضي الله عنه: أن رسولَ الله أمرَه أن يُؤْذِنَ الناسَ أن من يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له مخلصاً فله الجنة. قال عمرُ: يا رسولَ الله إذاً يتّكلوا. قال: **فدعْهم**.

وحديثَ عبدِ الله بنِ سلام قال[2]: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: **«من شهَد أن لا إله إلا اللّهُ وأن محمداً رسولُ اللّهِ وجبتْ له الجنةُ»**.

وحديثَ أبي ذر[3] رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«قال لي جبريلُ: من مات من أمتك لا يُشرِك بالله شيئاً دخلَ الجنةَ ولم يدخُل النارَ. قلت: وإن زنى وإن سرَق؟ قال: وإن زنى وإن سرق»**.

وحديثَ أبي الدرداءِ[4] عن النبي ﷺ أنه قرأ: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٤٦]. قلت: وإن زنا وإن سرق يا رسولَ الله؟ قال: فقرأها رسولُ الله ﷺ: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ قلتُ: فإن زنى وإن سرقَ يا رسولَ الله؟ قال: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ قلتُ: يا رسولَ الله وإن زنى وسرق؟ يا رسولَ الله قال: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ قلتُ: يا رسولَ الله وإن زنى وسرق؟ قال: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ **وإن زنى وسرق، ورغم أنفِ أبي الدرداء»**. فلا أزال أقرؤها كذلك حتى ألقاه.

---

(١) أخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» (٢/ ٨٠٣ ـ ٨٠٤ رقم ٤٧/ ٥٢٧)، والبزار في مسنده (١/ ١٣ رقم ٩ ـ كشف).
وأورده الهيثمي في «المجمع» (١/ ١٦) وقال: رواه أبو يعلى والبزار إلا أن عمر قال: يا رسولَ الله إذاً يتّكلوا: قال: **دعهم يتكلوا**.
وفي إسناده عبد الله بن محمد بن عقيل وهو ضعيف لسوء حفظه.

(٢) أخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» (٢/ ٨٠٨ ـ ٨٠٩ رقم ٥٤/ ٥٣١).
إسناده صحيح ورجاله كلهم ثقات.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٣/ ١١٠ رقم ١٢٣٧) ومسلم في صحيحه (١/ ٩٤ رقم ١٥٣/ ٩٤) وابن خزيمة في «التوحيد» (٢/ ٨٠٩ رقم ٥٥/ ٥٣٢).

(٤) أخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» (٢/ ٨١٠ ـ ٨١١ رقم ٥٦/ ٥٣٣). والنسائي في «عمل اليوم والليلة» رقم (١١٢٤، ١١٢٥، ١١٢٦) وفي تفسيره رقم (٥٨٠) والبزار (١/ ١١ رقم ٥ ـ كشف) وأحمد (٢/ ٣٥٧). =

وحديثَ ابنِ مسعودٍ[1] رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ كلمةً وأنا أقول أخرى، قال: «**من مات وهو يجعل لله نِدّاً دخل النار**». قال وأقول: من مات وهو لا يجعل لله نِدّاً دخلَ الجنة.

قال أبو بكرٍ[2]: قد كنتُ أمليتُ أكثرَ هذا البابِ من كتاب الإيمان وبينتُ في ذلك الموضع معنى هذه الأخبارِ وأن معناها ليس كما يتوهمه المُرجئةُ، وبيقين يعلم كلُ عالم من أهلِ الإسلامِ أن النبيَّ ﷺ لم يُرد بهذه الأخبار أن من قال لا إله إلا الله أو زاد معها شهادةَ أن محمداً رسولُ الله ولم يؤمن بأحدٍ من الأنبياء غيرِ محمدٍ ﷺ ولا آمن بشيء من كتاب اللَّهِ عز وجل ولا بجنة ولا نار ولا بعثٍ ولا حسابٍ أنه من أهل الجنة لا يعذب بالنار.

ولئن جاز للمرجئة الاحتجاجُ بهذه الأخبار، وإن كانت هذه الأخبارُ ظاهرُها خلافُ أصلِهم[3] وخلافُ كتابِ اللَّهِ عز وجل، وخلافُ سننِ النبيِّ ﷺ لجاز للجهمية الاحتجاجُ بأخبار رُويت عن النبي ﷺ إذا تُؤُوِّلت على ظاهرها استحق الجنة من يعلم أن اللَّهَ ربُّه وأن محمداً نبيُّه وإن لم ينطق بذلك لسانُه، ولا يزالُ يسمع أهلُ الجهلِ والعنادِ يحتجون بأخبار مختصرةٍ غيرِ مُتقصّاة وبأخبار مجملةٍ غيرِ مفصّلةٍ لا يفهمون أصولَ العلم فيستدلون بالمتقصّي من الأخبار على مختصرها، وبالمفسّر منها على مُجملِها.

قد ثبتت الأخبارُ عن النبيِّ ﷺ بلفظة لو حُملت على ظاهرِها كما حمَلت

= وأورده الهيثمي في «المجمع» (١/ ١٦) وقال: رواه أحمد والبزار والطبراني في «الكبير» و «الأوسط» وإسناد أحمد أصح وفيه ابن لهيعة وقد احتج به غير واحد.
وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١٠/ ٣٣٢٦ رقم ١٨٧٤٢) وابن جرير في «جامع البيان» (١٣/ ج٢٧/ ١٤٦) والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٤٥٢) وفي «شرح السنة» (١٤/ ٣٨٦ رقم ٤١٨٩) وصححه الألباني في «ظلال الجنة» رقم (٩٧٥).
وخلاصة القول أن الحديث صحيح.

(١) أخرجه البخاري (٨/ ١٧٦ رقم ٤٤٩٧) ومسلم في صحيحه (١/ ٩٤ رقم ١٥٠/ ٩٢) وابن خزيمة في «التوحيد» (٢/ ٨١٥ رقم ٦٠/ ٥٣٧).
(٢) ابن خزيمة في «التوحيد» (٢/ ٨١٥).
(٣) أي أصلُ المرجئة:
لا تضر مع الإيمان معصية، كما لا تنفع مع الكفر طاعة. الملل والنحل للشهرستاني (١/ ١٦٢).

المُرجئةُ الأخبارَ التي ذكرناها في شهادةِ أن لا إله إلا الله على ظاهرِها لكان العالمُ بقلبه أن لا إله إلا الله مستحقاً للجنة وإن لم يُقِرَّ بذلك بلسانه ولا أقرَّ بشيء مما أمر اللَّهُ تعالى بالإقرار به، ولا آمن بقلبه بشيء مما أمر اللَّهُ بالإيمانِ به، ولا عملَ بجوارِحه شيئاً أمرَ الله به، ولا انزجر عن شيء حرمه اللَّهُ من سفك دماءِ المسلمين وسبْيِ ذرارِيهم وأخذِ أموالِهم واستحلالِ حُرَمِهم، فاسمع الخبرَ الذي ذكرتُ أنه غيرُ جائزٍ أن يُحمَلَ على ظاهره كما حملت المُرجئةُ الأخبارَ التي ذكرناها على ظاهرها.

ثم ذكر حديثَ عثمانَ عن النبيِّ ﷺ قال: «**من مات وهو يعلم أن لا إله إلا اللَّهُ دخل الجنة**»[1].

وحديثَ عِمرَانَ[2] بن حُصينٍ: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**من علم أن اللَّهَ ربُّه وأني نبيُّه صادقا من قلبه ـ وأومأ بيده إلى فِلْذة صدرِه ـ حرم اللَّهُ لحمه على النار**».

وحديثَ معاذٍ[3] رضي الله عنه سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**من مات وهو يُوقِنُ بقلبه أن اللَّهَ حقٌ، وأن الساعةَ قائمةٌ، وأن اللَّهَ يبعث من في القبور**، قال ابنُ سيرين[4]: **إما دخل الجنةَ**، وإما قال: **نجا من النَّار**».

كيف جاز للجَهميّ الاحتجاجُ بهذه الأخبارِ أن المرءَ يستحقُ الجنةَ بتصديق القلبِ أن لا إله إلا اللَّهُ وبأن اللَّهَ حقٌ وأن الساعةَ قائمةٌ وأن اللَّهَ يبعث من في القبور، ويترُك الاستدلالَ بما سنبيّنه بعد إن شاء اللَّهُ تعالى من معنى هذه الأخبارِ، لم يؤمَنْ أن يحتجّ جاهلٌ لم يعرِف دينَ الله ولا أحكامَ الإسلامِ بخبر عثمانَ عن

---

(١) أخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» (٢/ ٨١٧ رقم ٦١/ ٥٣٨).
ومسلم في صحيحه (١/ ٥٥ رقم ٤٣/ ٢٦) وقد تقدم.

(٢) أخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» (٢/ ٨٢٢ رقم ٧٢/ . . .).
والطبراني في «الكبير» (١٨/ ١٢٤ رقم ٢٥٣).
وأورده الهيثمي في «المجمع» (١/ ١٩) وقال: وفي إسناده عمر بنُ محمد بنُ عمر بن صفوان وهو واهي الحديث.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) أخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» (٢/ ٨٢٤).

النبي ﷺ: «**من علم أن الصلاةَ عليه حقٌّ واجبٌ دخل الجنة**»[1].

فيدعي أن جميعَ الإيمانِ هو العلمُ بأن الصلاةَ عليه حقٌّ واجبٌ وإن لم يقِرَّ بلسانِه مما أمر اللَّهُ بالإقرار به، ولا صدّق بقلبه بشيء مما أمرَ اللَّهُ بالتصديق به، ولا أطاع في شيء مما أمر اللَّهُ به، ولا انزجر عن شيء حرمه الله. إذ النبيُّ ﷺ قد أخبرَ[2] أن مَن علم أن الصلاةَ عليه حقٌّ واجبٌ دخل الجنةَ.

كما أخبر[2] أن من شهد أن لا إله إلا اللَّهُ دخلَ الجنةَ، ثم ذكر حديثَ عثمانَ بسنده.

قال أبو بكر[3]: فإن جاز الاحتجاجُ بمثل هذا الخبرِ المختصرِ في الإيمان واستحقاقِ المرءِ به الجنةَ وترْكِ الاستدلالِ بالأخبارِ المفسّرة المتقصّاة لم يؤمَن أن يحتجَّ جاهلٌ معاندٌ فيقول: بل الإيمانُ إقامُ صلاةِ الفجرِ وصلاةِ العصرِ وأن مُصلّيها يستوجب الجنةَ ويُعاذُ من النار وإن لم يأت بالتصديق ولا بالإقرار بما أمر أن يصدَّقَ به ويُقرَّ به، ولا يعمل بشيء من الطاعات التي فرض اللَّهُ على عباده، ولا انزجر عن شيء من المعاصي التي حرمها الله، ويحتجُّ بخبرِ عمارِ بنِ رُويبة فذكره بإسنادِه إلى عمار بنِ رويبة رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقول: «**من صلّى قبل طلوعِ الشمسِ وقبل غروبِها حرمه اللَّهُ على النار**»[4].

فقال رجلٌ من أهلِ البصرةِ: وأنا سمعتُه عن رسول اللَّهِ ﷺ.

قال أبو بكر: قد أمليتُ طرقَ هذا الخبرِ في كتاب المختصر من كتاب الصلاةِ مع أخبار النبيِّ ﷺ: «**من صلَّى الصبحَ فهو في ذمة الله**»[5].

---

(١) أخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» (٢/ ٨٢٥ رقم ٧٤/ ٥٤٤).
وأحمد (١/ ٦٠) والبزار (١/ ١٦٩ رقم ٣٣٥ ـ كشف).
وأورده الهيثمي في «المجمع» (١/ ٢٨٨) وقال: رواه عبد الله بن أحمد في زياداته وأبو يعلى إلا أنه قال: حق مكتوب واجب. والبزار بنحوه ورجاله موثقون.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) ابن خزيمة في «التوحيد» (٢/ ٨٢٦).

(٤) أخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» (٢/ ٨٢٧ رقم ٧٧/ ٥٤٧). وفي صحيحه (١/ ١٦٤ رقم ٣١٨). ومسلم في صحيحه (١/ ٤٤١ رقم ٢١٣/ ٦٣٤). **وهو حديث صحيح**.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه رقم (٢٦١/ ٦٥٧) والترمذي رقم (٢٢٢).
وقال الترمذي: «**حديث حسن صحيح**». وأبو داود الطيالسي رقم (٩٣٨) وأحمد (٤/ ٣١٢ ـ ٣١٣). **وهو حديث صحيح**.

وكلُ عالمٍ يعلم دينَ الله وأحكامه يعلم أن هاتين الصلاتينِ لا توجبان الجنةِ مع ارتكابِ جميع المعاصي، إنها إنما رُويت في فضائل هذه الأعمال، وإنما رُويت أخبارُ النبيِّ ﷺ: «**من قال لا إله إلا الله دخل الجنة**»[1] فضيلةً لهذا القولِ، لا أن هذا القولَ كلُ الإيمان.

قلت[2]: لِلا إلهَ إلا اللّهُ لوازِمُ ومُقتضياتٌ وشروطٌ مقيدٌ دخولُ الجنةِ بالتزام قائِلها لجميعها واستكمالِه إياها كما قدمنا بسطَه ولله الحمد.

قال رحمه الله تعالى: ولئن جاز لجاهل أن يقولَ إن شهادةَ أن لا إله إلا الله جميعُ الإيمانِ إذ النبيُّ ﷺ أخبرَ أن قائلَها يستوجب الجنةَ ويعاذ من النار لم يؤمَن أن يدّعيَ جاهلٌ معاندٌ أيضاً أن جميع الإيمانِ القتالُ في سبيل اللّهِ فوَاقَ ناقةٍ.

فيحتج بقول النبيِّ ﷺ: «**من قاتل في سبيل الله فواقَ ناقةٍ دخل الجنة**»[3]، كاحتجاج المرجئةِ بقول النبيِّ ﷺ: «**من قال لا إله إلا الله دخل الجنة**»[4].

ويقول معاندٌ آخرُ جاهلٌ إن الإيمانَ بكماله المشيُ في سبيل الله حتى تُغَبّر قدما الماشي، ويحتج بقول النبيِّ ﷺ: «**من اغبرّت قدماه في سبيل الله حرمه الله على النار**»[5]، وبقوله ﷺ: «**لا يجتمع غبارٌ في سبيل الله ودخانُ جهنمَ في منْخَرَيْ رجلٍ مسلم**»[6].

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أي المصنف رحمه الله «حافظ الحكمي».

(٣) أخرجه أبو داود رقم (٢٥٤١) والترمذي رقم (١٦٥٧) والنسائي (٦/ ٢٥ ـ ٢٦). وابن ماجه رقم (٢٧٩٧) وابن خزيمة (٢/ ٨٢٨ رقم ٧٧/ ٢٤٧)، وأحمد (٥/ ٢٣٠ ـ ٢٣١، ٢٣٥، ٢٤٤) وعبد الرزاق رقم (٩٥٣٤) والبيهقي في «السنن الكبرى» (٩/ ١٧٠) والطبراني في «الكبير» (٢٠/ رقم ٢٠٣ و ٢٠٤ و ٢٠٦ و ٢٠٧) والدارمي (٢/ ٢٠١) والحاكم في المستدرك» (٢/ ٧٧) من طرق عن معاذ بن جبل.
وقال الحاكم: **صحيح على شرط مسلم**.
قلت: سليمان بن موسى لم يخرج له مسلم.
وخلاصة القول أن حديث معاذ بن جبل صحيح، والله أعلم.

(٤) تقدم تخريجه.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه (٦/ ٢٩ رقم ٢٨١١). وابن خزيمة في «التوحيد» (٢/ ٨٢٩) والترمذي رقم (١٦٣٢) والنسائي (٦/ ١٤) وأحمد (٣/ ٤٧٩). والبغوي رقم (٢٦١٨) والبيهقي (٩/ ١٦٢).

(٦) أخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» (٢/ ٨٢٩) والنسائي (٦/ ١٢) وابن ماجه رقم (٢٧٧٤)=

ويدعي جاهلٌ آخرُ أن الإيمانَ كلَّه عِتقُ رقبةٍ مؤمنةٍ ويحتج بأن النبيَّ ﷺ قال: «**من أعتقَ رقبةً مؤمنةً أعتقَ اللَّهُ بكل عضوٍ منه عضواً من النار**»[1].

ويدعي جاهلٌ آخرُ أن جميعَ الإيمانِ البكاءُ من خشيةِ الله تعالى، ويحتجُ بقول النبيِّ ﷺ: «**لا يدخل النارَ من بكى من خشيةِ اللَّهِ تعالى**»[2].

ويدعى جاهلٌ آخرُ أن جميعَ الإيمانِ صومُ يوم في سبيل الله، ويحتج بأن النبيَّ ﷺ قال: «**من صام يوماً في سبيل اللَّهِ باعد اللَّهُ وجهه عن النار سبعين خريفاً**»[3].

ويدعي جاهلٌ آخرُ أن جميعَ الإيمانِ قتلُ كافرٍ، ويحتجُ بقول النبيِّ ﷺ: «**لا يجتمع كافرٌ وقاتلُه في النار أبداً**»[4] ثم ذكره بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه.

ثم قال[5] رحمه الله تعالى: وهذا الجنسُ من فضائلِ الأعمال يطول بتقصيّه

= والترمذي رقم (١٦٣٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
وقال الترمذي: **هذا حديث حسن صحيح**.
قلت: **وهو حديث صحيح**.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (١١/ ٥٩٩ رقم ٦٧١٥) ومسلم في صحيحه (٢/ ١١٤٧ رقم ٢٢/ ١٥٠٩).

(٢) أخرجه أحمد (٢/ ٥٠٥) وابن خزيمة في «التوحيد» (٢/ ٨٣٠) والترمذي رقم (١٦٣٣) والنسائي (٦/ ١٢) والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٢٦٠).
قال الترمذي: **هذا حديث حسن صحيح**.
وقال الحاكم: **هذا حديث صحيح الإسناد** لم يخرجاه ووافقه الذهبي.
قلت: **وهو حديث صحيح**.

(٣) أخرجه البخاري (٦/ ٤٧ رقم ٢٨٤٠) ومسلم في صحيحه (٢/ ٨٠٨ رقم ١٦٧/ ١١٥٣) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه (٣/ ١٥٠٥ رقم ١٨٩١) وأحمد (٢/ ٣٦٨، ٣٧٨، ٣٧٩، ٤١٢) وأبو داود رقم (٢٤٩٥) والبيهقي (٩/ ١٦٥) والبغوي رقم (٢٦٢١) من طرق عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة.
وأخرجه أحمد (٢/ ٢٦٣ و٣٤٠ و٣٥٣ و٣٩٩) ومسلم رقم (١٣٠/ ١٨٩١) والحاكم (٢/ ٧٢) والبيهقي (٩/ ١٦٥) من طرق عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه أبي هريرة.
وقال الحاكم على شرط مسلم ووافقه الذهبي.
وخلاصة القول أن الحديث صحيح.

(٥) أي ابن خزيمة في «التوحيد» (٢/ ٨٣٢).

الكتابِ، وفي قدْرِ ما ذكرنا غنيةٌ وكفايةٌ لما له قصَدْنا أن النبيَّ ﷺ إنما أخبر بفضائلِ الاعمالِ التي ذكرنا وما هو مثلُها، لا أن النبيَّ ﷺ أراد أن كلَّ عملٍ ذكرَه أعلمَ أن عاملَه يستوجب بفعله الجنةَ أو يُعادُ من النار أنه جميعُ الإيمانِ.

وكذلك إنما أرادَ النبيُّ ﷺ بقوله: **«من قال لا إله إلا الله دخل الجنة»**[1] **«أو حُرّم على النار»**[1] فضيلةَ لهذا القولِ، لا أن جميعَ الإيمانَ كما ادعى من لا يفهم العلمَ، ويعاندَ فلا يتعلم هذه الصناعَة من أهلها.

ومعنى قوله ﷺ: **«لا يجتمع كافرٌ وقاتِلُه في النار أبداً»**[2]، هذا لفظٌ مختصرُه الخبرُ المقتضي لهذه اللفظةِ المختصرةِ ما حدثنا الربيعُ بنُ سليمانَ قال: حدثنا شعيبُ بنُ الليث قال: حدثنا الليثُ عن محمد بنِ العجلانِ عن سهيلِ بنِ أبي صالحٍ عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: **«لا يجتمعان في النار اجتماعاً»**[3] يعني أحدُهما مسلمٌ قتل كافراً ثم سدّد المسلمُ وقارب.

قال أبو بكر[4]: لذاك نقول في فضائل الأعمالِ التي ذكرنا: من عمل من المسلمين بعضَ تلك الأعمالِ ثم سدّد وقارب ومات على إيمانِه دخل الجنةَ ولم يدخُلِ النارَ موضعَ الكفرِ منها وإن ارتكب بعضَ المعاصي، لذلك لا يجتمع قاتلُ الكافرِ إذا مات على إيمانِه مع الكافر المقتولِ في موضعٍ واحدٍ من النار، لا أنه لا يدخل النارَ ولا موضعاً منها وإن ارتكب جميعَ الكبائرِ خلا الشّرك بالله عز وجل إذا لم يشأ تعالى أن يغفرَ له ما دون الشرك، فقد أخبر اللَّهُ عز وجل أن للنار سبعةَ أبوابٍ فقال لإبليسَ: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾﴾ ـ إلى قوله تعالى ـ: ﴿لِكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ [الحجر: ٤٢ ـ ٤٤].

فأعلمنا ربُنا عز وجل أنه قَسمَ تابعي إبليس من الغاوين سبعةَ أجزاءٍ على عدد أبوابِ النارِ، فجعل لكل بابٍ منهم جزءاً معلوماً، واستثنى عبادَه المُخلصين من هذا القسمِ، فكلُّ مرتكبِ معصيةٍ زجر اللَّهُ عنها فقد أغواه إبليسُ، واللَّهُ عز وجل

(١) تقدم تخريجه.
(٢) تقدم تخريجه قريباً.
(٣) أخرجه مسلم في صحيحه (٣/ ١٥٠٥ رقم ١٣١/ ١٨٩١) وقد تقدم.
(٤) في «التوحيد» (٢/ ٨٣٣).

قد يشاء غفرانَ كلِّ معصيةٍ يرتكبُها المسلمُ دون الشركِ وإن لم يتُبْ منها.

لذاك علّمنا في محكم تنزيلِه قولَه: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ١١٦].

وأعلمنا خالِقُنا عز وجل أن آدمَ الذي خلقه الله بيدِه وأسكنه جنتَه وأمر ملائكتَه بالسجود له عصاه فغوى، وأنه عز وجل برأفتِه ورحمتِه اجتباه بعد ذلك فتاب عليه وهدى، ولم يحرمه اللَّهُ بارتكاب هذا الحُوبِ بعد ارتكابِه إياه.

فمن لم يغفر اللَّهُ له حوبتَه التي ارتكبها وأوقع عليه اسمَ غاوٍ فهو داخلٌ في الأجزاء جزءاً وقَسْماً لأبواب النارِ السبعةِ.

وفي ذكره آدمَ ﷺ وقولِه عز وجل: ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ﴾ [طه: ١٢١]، ما يبين ويوضح أن اسمَ الغاوي قد يقع على مرتكبِ خطيئةٍ قد زجر اللَّهُ عن إتيانِها وإن لم تكن تلك الخطيئةُ كفراً ولا شركاً ولا ما يُقاربُهما ويُشبِهُهما.

ومُحالٌ أن يكون المؤمنُ الموحّدُ لله عز وجل قلبُه ولسانُه، المُطيعُ لخالقه في أكثرِ ما فرض اللَّهُ عليه وندَبه إليه من أعمالِ البرِّ غيرِ المفروضِ عليه، والمنتهي عن أكثر المعاصي وإن ارتكب بعضَ المعاصي والحوباتِ في قسْم مَن كفر بالله ودعا معه آلهةً له أو صاحبةً أو ولداً ـ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ـ ولم يؤمن بشيء مما أمر اللَّهُ تعالى بالإيمان به ولا أطاعَ اللَّهَ في شيء أمر به من الفرائضِ والنوافلِ ولا انزجرَ عن معصية نهى اللَّهُ عنها، مُحالٌ أن يجتمع هذان في درجةٍ واحدةٍ من النار.

والعقلُ مركب على أن يعلمَ أن كلَّ من كان أعظمَ خطيئةً وأكثرَ ذنوباً لم يتجاوز اللَّهُ عن ذنوبِه كان أشدَّ عذاباً في النارِ، كما يعلم كلُ عاقلٍ أن كلَّ من كان أكثرَ طاعةً لله عز وجل وتقرباً إليه بفعلِ الخيراتِ واجتنابِ السيئاتِ كان أرفعَ درجةً في الجِنان وأعظمَ ثواباً وأجزَلَ نعمة.

فكيف يجوز أن يتوّهم عاقلٌ مسلمٌ أن أهلَ التوحيدِ يجتمعون في النارِ في الدرجة مع من كان يفتري على الله عز وجل فيدعو له شريكاً وشركاً فيدعو له صاحبةً وولداً، ويكفر به ويُشرِك، ويكفر بكل ما أمرَ اللَّهُ بالإيمانِ به، ويكذب جميعَ الرسلِ ويتركَ جميعَ الفرائض، ويرتكب جميعَ المعاصي فيعبد النيرانَ ويسجد للأصنام والصُلبان؟

فمن لم يفهم هذا البابَ لم يجدْ بداً من تكذيب الأخبارِ الثابتةِ من التي ذكرتُها عن النبي ﷺ في إخراج أهلِ التوحيدِ من النار، إذ مُحالٌ أن يقالَ أخرجوا من النار مَن ليس فيها، وأكثرُ استحالةً من هذا أن يقال: يخرُج من النار مَن ليس فيها.

وفي إبطال أخبارِ النبيِّ ﷺ اضمحلالُ الدينِ وإبطالُ الإسلامِ، واللَّهُ عز وجل لم يجمع بين جميعِ الكفار في موضع واحدٍ من النار ولا سوّى بين عذابِ جميعِهم، قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥]. وقال: ﴿أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦].

ثم لما انتهى من الكلام على ما احتج به المرجئة على باطلِهم وكفَر به الخوارِجُ وردّوه بباطل آخَر، شرعَ رحمه الله في بيان ما تشبث به الخوارجُ واحتجوا به على باطِلهم، وما كفرَ به المُرجئةُ وردّوه بباطل آخر.

فقال[١] رحمه الله تعالى: بابُ ذكرِ أخبارِ رُويت عن النبي ﷺ ثابتةٍ من جهةِ النقلِ، جَهِلَ معناها فِرقتانِ: فرقةُ المعتزلةِ والخوارجِ احتجوا بها وادّعوا أن مرتكبَ الكبيرةِ إذا مات قبلَ التوبةِ منها مخلدٌ في النار محرّمٌ عليه الجِنانُ.

والفرقةُ الأخرى المُرجئةُ كفرت بهذه الأخبارِ وأنكرتها ودفعتها جهلاً منها بمعانيها. وأنا ذاكرُها بأسانيدِها وألفاظِ متونِها ومبيّن معانيها بتوفيق الله.

ثم ذكر بأسانيده حديثَ أسامةَ بنِ زيدٍ[٢] وسعد بنِ أبي قاصٍ[٣]، وأبي بكرةَ[٤]، وسعد بنِ أبي مالك[٥]، ﷺ، قال رسولُ الله ﷺ: **«من ادّعى إلى غير أبيه وهو يعلم أنه غيرُ أبيه فالجنةُ عليه حرامٌ»**.

---

(١) أي ابن خزيمة (٢/ ٨٣٦).

(٢) أخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» (٢/ ٨٤٠ ـ ٨٤١ رقم ٧/ ٥٥٣) من حديث أسامة بن زيد وسعد بن أبي وقاص ورجل آخر.
والرجل الآخر هو أبو بكرة لما جاء مصرحاً به في بعض الروايات وإن كان غيره فجهالة الصحابي لا تضر.

(٣) أخرجه البخاري (١٢/ ٥٤ رقم ٦٧٦٦) ومسلم (١/ ٨٠ رقم ١١٤/ ٦٣).

(٤) أخرجه البخاري (١٢/ ٥٤ رقم ٦٧٦٧) ومسلم (١/ ٨٠ رقم ١١٥/ ٦٣).
وابن خزيمة في «التوحيد» (٢/ ٨٣٨ رقم ٣).

(٥) هو نفسه سعد بن مالك أبي وقاص الزهري. =

وحديثَ عبدِ الله[1] بنِ عمروٍ عن النبي ﷺ قال: **«من انتسب إلى غير أبيه فلن يُرَحْ بريح الجنة، وريحُهَا يوجدُ من مسيرة سبعين عاماً»**.

وحديثَ حُذيفةَ[2] قال: قال رسولُ اللّهِ: **«لا يدخل الجنةَ قتّاتٌ»**، وفي رواية[3]: **«نمّام»**.

وحديثَ أبي أُمامةَ[4] أن رسولَ اللّهِ ﷺ قال: **«من اقتطع حقَّ امرىءٍ مسلم بيمينه فقد أوجب اللّهُ له النارَ وحرم عليه الجنةَ**. فقال رجلٌ: وإن كان شيئاً يسيراً؟ قال: **«وإن كان قضيباً من آراكٍ»**.

وحديثَ عبدِ الله بنِ عمْرٍو[5] عن النبي ﷺ: **«لا يدخُلُ الجنةَ نمّامٌ ولا عاقٌّ ولا مُدمنُ خمرٍ»**.

= قلت: وفي الباب عن ابن عباس أخرجه أحمد (١/ ٣١٨ و ٣٢٨) وابن ماجه رقم (٢٦٠٩). **وهو حديث صحيح**.

* وعن علي بن أبي طالب أخرجه أحمد (١/ ١٨١ و ١٢٦) والبخاري رقم (٦٧٥٥) ومسلم رقم (١٣٧٠).

* وعن أبي ذر أخرجه البخاري رقم (٣٥٠٨) ومسلم رقم (٦١).

* وعن أنس بن مالك أخرجه أبو داود في «السنن» رقم (٥١١٥) **وهو حديث صحيح**.

* وعن أبي أمامة الباهلي، أخرجه أحمد (٥/ ٢٦٧) والطيالسي رقم (١١٢٧).

* وعن عمرو بن خارجة الخشني أخرجه أحمد (٤/ ١٨٧ و ٢٣٨ و ٢٣٩).

* وعن جابر أورده الهيثمي في «المجمع» (٨/ ١٤٩) وقال: رواه أبو يعلى وفيه عمران القطان، وثقه ابن حبان، وضعّفه غيره.

(١) أخرجه أحمد (٢/ ١٧١ و ١٩٤).
والطيالسي رقم (٢٢٧٤).
وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ٩٨) وقال: ورجال أحمد رجال الصحيح.
وخلاصة القول أن الحديث صحيح.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (١٠/ ٤٧٢ رقم ٦٠٥٦). ومسلم في صحيحه (١/ ١٠١ رقم ١٦٩/ ١٠٥).
وابن خزيمة في «التوحيد» (٢/ ٨٤٤ رقم ١٣/ ٥٥٨).

(٣) أخرجه مسلم (١/ ١٠١ رقم ١٦٨/ ١٠٥) وابن خزيمة في «التوحيد» (٢/ ٨٤٥ رقم ١٤/ ٥٥٩).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه (١/ ١٢٢ رقم ٢١٨/ ١٣٧).
وابن خزيمة في «التوحيد» (٢/ ٨٤٦ رقم ١٦/ ٥٦١).

(٥) أخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» (٢/ ٨٥٨ رقم ١/ ٥٧٣) وأحمد (٢/ ٢٠١) والدارمي =

وحديثَ جبيرِ[1] بنِ مُطعمٍ قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«لا يدخل الجنةَ قاطعٌ»**.

وحديثَ عمرَ بنِ الخطابِ[2] رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«ثلاثةٌ لا يدخلون الجنةَ: العاقُّ لوالديهِ، والديّوثُ، ورَجُلَةُ النساء»**.

وحديثَ عبدِ اللَّهِ[3] بنِ عمرَ رضي الله عنهما قال رسولُ الله ﷺ: **«ثلاثةٌ لا ينظر اللَّهُ إليهم يوم القيامة: العاقُّ لوالديه، ومُدْمِنُ خمرٍ، والمنّان بما أعطى»**.

وحديثُ أبي بكرةَ[4] عن النبي ﷺ قال: **«من قتل نفساً معاهَدةً بغير حقها حرَّم اللَّهُ عليه الجنةَ أن يشمَّ ريحَها»**.

= (٢/ ١١٢) والبخاري في «التاريخ الصغير» (١/ ٢٦٢ ـ ٢٦٣) **بسند ضعيف**.
وابن حبان في صحيحه رقم (٣٣٨٤ ـ الإحسان) **بسند ضعيف** لضعف نبيط وجابان.
كما أنه لا يعرف لـ (جابان) سماع من عبد الله بن عمرو ولا لسالم من جابان ولا من نبيط.
وخلاصة القول أن الحديث ضعيف.

(١) أخرجه البخاري (١٠/ ٤١٥ رقم ٥٩٨٤) ومسلم في صحيحه (٤/ ١٩٨١ رقم ٢٥٥٦).

(٢) أخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» (٢/ ٨٥٩ رقم ٣/ ٥٧٥) **بإسناد حسن**.

(٣) أخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» (٢/ ٨٦١ رقم ٥/ ٥٧٧) والحاكم (٤/ ١٤٦ ـ ١٤٧) من طرق إسماعيل بن أبي أويس عن أخيه عن سليمان بن بلال عن عبد الله بن يسار عن سالم عن ابن عمر. وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.
وأخرجه أحمد (٢/ ١٣٤) والنسائي(٥/ ٨٠) والطبراني في «الكبير» رقم (١٣١٨٠) من طرق عن عمر بن محمد به. وفي أوله زيادة.
وأخرجه البزار (٢/ ٣٧٢ رقم ١٨٧٥) من طريق عمران القطان عن محمد بن عمرو عن سالم بن عبد الله به.
وأورده الهيثمي في «المجمع» (٨/ ١٤٨) وقال: رواه البزار بإسنادين ورجالهما ثقات.

(٤) أخرجه أحمد (٥/ ٣٦، ٣٨، ٥٢) والنسائي (٨/ ٢٥) والحاكم (١/ ٤٤) والبيهقي (٩/ ٢٠٥) وابن حبان رقم (٤٨٨٢) وأبو داود رقم (٢٧٦٠).
وهو حديث صحيح.
* وأخرج أحمد (٢/ ١٨٦) والبخاري رقم (٣١٦٦ و ٦٩١٤) والنسائي (٨/ ٢٥) وابن ماجه رقم (٢٦٨٦) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص مرفوعاً بلفظ: **«من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة، وإنَّ ريحَها توجد من مسيرةِ أربعين عاماً»**.

ثم قال[1] رحمه الله تعالى: معنى هذه الأخبارِ إنما هو على أحد معنيين:

أحدُهما: لا يدخل الجنةَ أي بعضَ الجِنان، إذ النبيُّ ﷺ قد أعلمَ أنها جِنانٌ من جنة، واسمُ الجنةِ واقعٌ على كل جنة منها، فمعنى هذه الأخبارِ التي ذكرها: من فعل كذا ـ لبعض المعاصي ـ حرم اللَّهُ عليه الجنةَ أو لم يدخل الجنة، معناه لا يدخل بعضَ الجِنان التي هي أعلى وأشرفُ وأنبلُ وأكثرُ نعيماً وسروراً وبهجةً وأوسعَ، لأنه أراد لا يدخل شيئاً من تلك الجِنان التي هي في الجنة.

وعبدُ اللَّهِ بنُ عمرٍو قد بيَّنَ خبرُه الذي رَوى عن النبي ﷺ: **«لا يدخل الجنةَ عاقٌّ ولا منّانٌ ولا مُدمنُ خمرٍ»**[2]، إنه إنما أراد حظيرةَ القدسِ من الجنة على ما تأولت على أحد المعنيين. ثم ساق بإسنادِه عن عبدِ اللَّهِ بنِ عمرٍو[3] أنه قال: **«لا يدخل حظيرةَ القدس سِكِّيرٌ ولا عاقٌّ ولا منّانٌ»**.

قال[4]: والمعنى الثاني ما قد أعلمتُ أصحابي ما لا أُحصي من مرة أن كلَّ وعيدٍ في الكتاب والسنةِ لأهلِ التوحيدِ فإنما هو على شريطة، أي إلا أن يشاء اللَّهُ تعالى أن يغفرَ ويصفحَ ويتكرمَ ويتفضلَ فلا يعذّب على ارتكاب تلك الخطيئة، إذِ اللَّهُ عز وجل قد خبّر في مُحكم كتابِه أنه قد يشاء أن يغفر دون الشركِ من الذنوب في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ١١٦].

وقد أمليت هذه المسألةَ في كتاب معاني القرآن، الكتابِ الأول، واستدللتُ أيضاً بخبر عن النبي ﷺ بهذا المعنى. وساق بإسنادِه إلى قيس بنِ محمدِ بنِ الأشعثِ أن الأشعثَ وهب له غلاماً، فغضِبَ عليه وقال: والله ما وهبْتُ لك شيئاً. فلما أصبحَ ردّه عليه وقال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: **«من حلفَ على يمين صبراً ليقتطع مالَ امرىءٍ مسلم لقي اللَّهَ يوم القيامة وهو مجتمعٌ عليه غضبانُ، إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه»**[5].

---

(١) أي ابن خزيمة في «التوحيد» (٢/ ٨٦٨).
(٢) تقدم تخريجه.
(٣) أخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» (٢/ ٨٦٩ رقم ١٨) **بإسناد حسن**.
(٤) أي ابن خزيمة في «التوحيد» (٢/ ٨٦٩).
(٥) أخرجه البخاري (١١/ ٥٥٨ رقم ٦٦٧٧) ومسلم في صحيحه (١/ ١٢٢ رقم ٢٢٠/ ١٣٨) وابن خزيمة في «التوحيد» (٢/ ٨٧٠ رقم ١٩/ ٥٨٧).

قلت: وتقدم حديثُ عُبادةَ بنِ الصامتِ[١] في قصةِ البيعةِ، وهو دليلٌ على هذا المعنى.

قال أبو بكر[٢]: فاسمعوا الخبرَ المصرِّحَ بصحةِ ما ذكرتُ أنها جِنانٌ في جَنة، واسمُ الجنةِ واقعٌ على كل جنةٍ منها على الانفراد لتستدلوا بذلك على صحة تأويلِنا الأخبار التي ذكرنا عن النبي ﷺ مَن فعلَ كذا وكذا ـ لبعض المعاصي ـ لم يدخل الجنةَ، إنما أراد بعضَ التي هي أعلى وأشرفُ وأفضلُ وأنبلُ وأكثرُ نعيماً وأوسعُ، إذ مُحالٌ أن يقول النبيُّ ﷺ من فعل كذا وكذا لم يدخل الجنةَ يريد لا يدخل شيئاً من الجنان، ويخبر أنه يدخُل الجنةَ فتكون إحدى الكلمتين دافعةً الأخرى، وأحدُ الخبرين دافعاً للآخر، لأن هذا الجنسَ مما لا يدخُله الناسخُ، ولكنه من ألفاظِ العامِّ الذي يُرادُ به الخاصُّ.

ثم ساق بإسناده إلى أنس بن مالكٍ[٣] رضي الله عنه: «أن أمَّ الرُّبَيِّعِ أتتْ النبيَّ ﷺ فقالت: يا رسولَ الله أنبئني عن حارثةَ أُصيبَ يومَ بدرٍ فإن كان في الجنة صبرتُ واحتسبْتُ، وإن كان غير ذلك اجتهدتُ في البكاء»، فقال: **«يا أمَّ حارثةَ إنها جِنانٌ في جنة وإنه أصابَ الفردوسَ الأعلى»**.

قال أبو بكرٍ[٤]: قد أمليتُ أكثرَ طرقِ هذا الخبر في كتاب الجهادِ، وقد أمليتُ في كتاب ذكر نعيمِ الجنة ذكرَ درجاتِ الجنةِ وبُعدَ ما بين الدرجتين.

منها أن إخبارَ النبيِّ ﷺ أن أهلَ الجنةِ ليتراءَون أهلَ الغُرفِ كما تروْنَ الكوكبَ الدُّريَّ في أفقٍ من آفاق السماءِ لتفاضُل ما بينهما، وقولُ بعضِ أصحابِه: تلك منازلُ الأنبياءِ لا يبلُغها غيرُهم، قال: **«بلى رجالٌ آمنوا بالله وصدّقوا المرسلين»**[٥].

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أي ابن خزيمة في «التوحيد» (٢/ ٨٧١).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٦/ ٢٥ ـ ٢٦ رقم ٢٨٠٩) وأطرافه: (٣٩٨٢ و ٦٥٥٠ و ٦٥٦٧).

(٤) في «التوحيد» (٢/ ٨٧٤).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه (٦/ ٣٢٠ رقم ٣٢٥٦) وطرفه رقم (٦٥٥٦) ومسلم في صحيحه (٤/ ٢١٧٧ رقم ١١/ ٢٨٣١) من حديث أبي سعيد الخدري.

وأمليتُ[1] إخبارَ النبيِّ ﷺ بين كلِّ درجتين من دَرجِ الجنةِ مسيرةُ مائةِ عام.

فمعنى هذه الأخبارِ التي فيها ذِكْرُ بعضِ الذنوبِ الذي يرتكبُه بعضُ المؤمنين أن مرتكبَه لا يدخُل الجنةَ، معناها لا يدخُل العاليَ من الجنان التي هي دارُ المتقين الذين لم يرتكبوا تلك الذنوبَ والحُوباتِ والخطايا.

ثم قال: وقد يجوز أن يقولَ ﷺ مَن فعل كذا وكذا لم يدخُل الجنةَ يريد لم يدخُل الجنةَ التي يدخُلها فيه من لم يرتكبْ هذه الحُوبةَ، لأنه يُحبس عن دخول الجنة، إما للمحاسبة على الذنب أو لإدخالِه النارَ ليعذَّبَ بقدْر ذلك الذنبِ، إن كان ذلك الذنبُ مما يستوجبُ به المرتكبُ النارَ إن لم يعفُ اللَّهُ ويصفَحْ ويتكرمْ فيغفرْ ذلك الذنبَ، فمعنى هذه الأخبارِ على هذه المعاني، لأنها إذا لم تُحمَلْ على هذه المعاني كانت على وجْه التهاتُرِ والتكاذبُ، وعلى العلماء أن يتأولوا أخبارَ رسولِ اللَّهِ ﷺ على ما قال عليُّ بنُ أبي طالب[2] رضي الله عنه: «إذا حدثتم عن رسولِ اللَّهِ ﷺ فظُنّوا به الذي هو أهناه وأهداه وأتقاه». ثم ساقه[3] بإسناده عن علي رضي الله عنه فذكره.

انتهى كلامُه[3] رحمه الله تعالى باختصار بعضِ مكرَّرِه فلا تستَطِلْه فإنه كلامٌ متينٌ من إمامٍ متضلِّعٍ من معاني الكتابِ والسنة، ذي خِبرةٍ وعلمٍ لمواردِها ومصادِرها.

وقولُه رحمه اللَّهُ تعالى: وعلى العلماء أن يتأولوا أخبارَ رسولِ الله ﷺ لم يعْنِ[3] رحمه الله التأويلَ الذي اصطلحه المتكلمون لصرف النصوصِ عن معانيها إلى الاحتمالات البعيدةِ التي هضَموا بها معانيَ النصوصِ بما اقتضتْه عقولُهم

---

(١) أي ابن خزيمة في «التوحيد» (٢/ ٨٧٥).

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» (٢/ ٣٣ رقم ٩٨٥، ٩٨٦، ٩٨٧) **بإسناد صحيح**.
وابن خزيمة في «التوحيد» (٢/ ٨٧٨ رقم ٢٥/ ٥٩١).
وأخرجه ابن ماجه في «السنن» (١/ ٩ رقم ٢٠).
وقال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (١/ ٤٧ رقم ٨): هذا إسناد صحيح ورجاله محتج بهم في الصحيحين.
وخلاصة القول أن الحديث صحيح.

(٣) أي ابن خزيمة في «التوحيد» (٢/ ٨٧٨ رقم ٢٥/ ٥٩١).

السخيفةُ، وليس ذلك من طريقته ولا من شأنِه رحمه الله، وإنما عنى ما أشار إليه في غير موضعٍ من كتبه من حمل المجملِ على المفسر، والمختصرِ على المُتقصَّى، والمطلقِ على المُقيد، والعموم على الخصوص، وما أشبه ذلك من التأليف بين النصوصِ ومدلولاتِها لئلا تكونَ متناقضةً يُرَدّ بعضُها معنى بعض لأن ذلك مما يُنزَّه عنه كلامُ اللَّهِ وكلامُ رسولِه ﷺ.

وهذه طريقةُ جميعِ أئمةِ المسلمين من علماء التفسيرِ والحديثِ والفقهِ في أصول الدينِ وفروعِه رحمهم الله تعالى ورضيَ عنهم.

مسألة: فإن قيل وما الجمعُ بين ما تقدم من حديثِ عُبادةَ بنِ الصامتِ[1] فيمن ارتكبَ حدّاً لم يُقِمْ عليه قال فهو إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه، وبين ما صرَّحت به النصوصُ التي في الميزانِ والحسابِ والجنةِ من أن مَن رجحتْ خطاياه وسيئاتُه بحسناتِه تمَسّه النار ولا بد.

قلنا: لا إشكالَ في ذلك ولا منافاةَ ولله الحمدُ، وقد حصلَ الجمعُ الفاصلُ للنزاع بحديث عائشةَ ﵂ الذي ذكرنا في شرح البيتِ الأدنى بأن من يشأ عز وجل أن يعفوَ عنه يحاسبْه الحسابَ اليسيرَ الذي فسَّره النبيُّ ﷺ بالعَرْض.

وقال في معنى العرضِ في الأحاديثِ السابقةِ في صفته: «**يدنو أحدكُم من ربِّه عز وجل حتى يضع عليه كنفه، فيقول: أعملتَ كذا وكذا؟ فيقول: نعم، ويقول أعملْتَ كذا وكذا؟ فيقول: نعم، فيقرّره ثم يقول: إني سترتُ عليك في الدنيا وأنا أغفِرُها لك اليومَ**»[2].

وأما الذين يدخُلون النارَ بذنوبِهم فهم ممن يُناقش الحسابَ، وقد قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «**من نوقش الحساب عُذِّب**»[3].

نسألُ اللَّهَ عز وجل أن يُيسِّرَ حسابَنا ويتجاوزَ عنا ويغفرَ لنا بمنه وكرمه آمين.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٩٦/٥ رقم ٢٤٤١) وأطرافه رقم (٤٦٨٥ و ٦٠٧٠ و ٧٥١٤).
ومسلم في صحيحه (٢١٢٠/٤ رقم ٥٢/٢٧٦٨) من حديث صفوان بن محرز المازني.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (١٩٦/١ ـ ١٩٧ رقم ١٠٣) ومسلم في صحيحه (٢٢٠٤/٤ رقم ٢٨٧٦) من حديث عائشة.

[المؤمن لا يكفر بالمعاصي إلا إذا استحلَّها]

(ولا نكفرُ بالمعاصي مؤمناً إلا مع استحلاله لما جنى)

(ولا نكفرُ بالمعاصي) التي قدمنا ذكرَها وأنها لا توجب كفراً، والمُرادُ بها الكبائرُ التي ليست بالشركِ، ولا تستلزِمُه، ولا تُنافي اعتقادَ القلبِ ولا عمَلَه **(مؤمناً)** مُقِرًّا بتحريمها معتقداً لها، مؤمناً بالحدود المترتبةِ عليها، ولكن نقول يُفسَّق بفعلِها ويُقام عليه الحدُّ بارتكابِها وينقُص إيمانُه بقدْرِ ما تجارَأ عليه منها.

والدليلُ على فسقِه ونُقصانِ إيمانِه قولُ اللّهِ عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (٤) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٥)﴾ [النور]. وما في معناها من آياتِ الحدودِ والكبائرِ.

وقولُ النبيِّ ﷺ: «**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمنٌ، ولا يسرقُ حين يسرِقُ وهو مؤمنٌ، ولا يشرَب حين يشرب وهو مؤمنٌ، والتوبةُ معروضةٌ بعْدُ**». الحديث في الصحيحين[1] وغيرِهما[2] عن أبي هريرةَ رضي الله عنه.

والدليلُ على أن النفيَ في هذا الحديثِ وغيره ليس لمطلق الإيمانِ بل لكمالِه هو ما قدمنا من النصوص التي صرَّحت بتسميته مؤمناً وأثبتت له أخوّةَ الإيمانِ، وأبقت له أحكامَ المؤمنين.

(إلا مع استحلاله لما جنى) هذه هي المسألةُ الخامسةُ، وهو أن عاملَ الكبيرة يكفُرُ باستحلاله إياها، بل يكفر بمجرد اعتقادِه بتحليل ما حرم اللّهُ ورسولُه لو لم يعمَلْ به، لأنه حينئذ يكون مكذباً بالكتاب ومكذباً بالرسول ﷺ وذلك كفرٌ بالكتاب والسنة والإجماعِ.

فمن جحد أمراً مُجمَعاً عليه معلوماً من الدين بالضرورة فلا شكَّ في كفره.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (١١٩/٥ رقم ٢٤٧٥) ومسلم في صحيحه (٧٦/١ رقم ٥٧/١٠٠).

(٢) كأبي داود رقم (٤٦٨٩) والترمذي رقم (٢٦٢٥) والنسائي (٦٤/٨، ٦٥) وابن ماجه رقم (٣٩٣٦).

[التوبة إذا استكملت شروطها مقبولة من كل ذنب]

(وتقبل التوبةُ قبلَ الغرغرةْ   كما أتى في الشّرعة المطهرة)

هذه هي المسألةُ السادسةُ وهي أن التوبةَ إذا استكملت شروطَها مقبولةٌ من كل ذنب كفراً كان أو دونه.

وقد دعا اللّهُ تبارك وتعالى إليها جميعَ عبادِه، فدعا إليها من قال المسيحُ هو الله، ومن قال هو ثالث ثلاثةٍ، ومن قال يدُ الله مغلولةٌ، ومن قال إن اللّهَ فقيرٌ ونحن أغنياءُ، ومن دعا لله الصاحبةَ والولدَ فقال لهم جميعاً: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: ٧٤].

ودعا إليها من هو أعظمُ مُحادةً لله من هؤلاء، وهو من قال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤]، ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ [القصص: ٣٨]. فقال الله تبارك وتعالى لرسوله موسى: ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾﴾ [النازعات].

وقال له في الآية الأخرى: ﴿أَنِ ٱئْتِ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾﴾ [الشعراء]. وفي الآية الأخرى: ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ [طه].

ودعا إلى التوبة من عملِ أكبرِ الكبائرِ وهي الشركُ وقتلُ النفس بدون حق والزنا، فقال تعالى: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [الفرقان]. ودعا إليها من كتم ما أنزل اللّهُ من البينات والهدى فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَبَيَّنُوا۟ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾﴾ [البقرة].

ودعا إليها المشركين قاطبةً فقال بعد الأمر بقتلِهم حيث وُجدوا: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ٥]. ودعا إليها المنافقين قاطبةً فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ

لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ وَأَصْلَحُوا۟ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء: ١٤٥ ـ ١٤٦].

ودعا إليها جميعَ المسرفين بأي ذنبٍ كان، فقال تعالى: ﴿يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ﴾ [الزمر: ٥٣ ـ ٥٤]. الآياتُ وغيرُها ما لا يُحصى.

بل لم يُرسلْ اللَّهُ تعالى الرسلَ وينزّل الكتبَ إلا دعوةً منه لعباده إلى التوبة ليتوبَ عليهم إنه هو التوابُ الرحيم.

وفي الصحيح[١] من حديثِ أنسٍ رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: **«لله أشدُّ فرحاً بتوبةِ عبدِه حين يتوب إليه من أحدِكم كان على راحلتِه بأرضٍ فَلاةٍ فانفلتتْ منه وعليها طعامُه وشرابُه فأَيِسَ منها، فأتى شجرةً فاضطجع في ظلّها قد أَيِسَ من راحلتِه، فبينا هو كذلك إذ هو بها قائمةٌ عنده فأخذ بخِطامها ثم قال من شدة الفرحِ: اللهم أنت عبدي وأنا ربُك، أخطأ من شدةِ الفرحِ»**.

وفيه[٢] عن أبي هريرةَ رضي الله عنه عن النبي ﷺ فيما يحكي عن ربه عز وجل قال: **«أذنبَ عبدي ذنباً فقال: اللهم اغفِرْ لي ذنبي، فقال تبارك وتعالى: أذنبَ عبدي ذنباً فعلِمَ أن له رباً يغفِرُ الذنبَ ويأخُذ بالذنب. ثم أعاد فأذنب فقال: أيْ ربِّ اغفر لي ذنبي، فقال تبارك وتعالى: أذنبَ عبدي ذنباً فعلم أن له رباً يغفرُ الذنبَ ويأخذ بالذنب، اعمَل ما شئتَ فقد غفرتُ لك»**.

وفيه[٣] عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال: **«إن اللَّهَ عز وجل يبسُط يده بالليل ليتوبَ مُسيءُ النهار، ويبسُط يده بالنهار ليتوبَ مُسيءُ الليل، حتى تطلُعَ الشمس من مغربها»**.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٤/ ٢١٠٤ رقم ٧/ ٢٧٤٧).
قلت: وأخرجه البخاري مختصراً (١١/ ١٠٢ رقم ٦٣٠٩).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (١٣/ ٤٦٦ رقم ٧٥٠٧). ومسلم في صحيحه (٤/ ٢١١٢ رقم ٢٩/ ٢٧٥٨).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه (٤/ ٢١١٣ رقم ٣١/ ٢٧٥٩).

وفيه[1] عن أبي سعيد الخدري ﷺ أن النبيَّ ﷺ قال: «**كان فيمن كان قبلَكم رجلٌ قتل تسعةً وتسعينَ نفساً، فسأل عن أعلمِ أهلِ الأرضِ، فدُلّ على راهبٍ فأتاه فقال: إنه قتل تسعةً وتسعينَ نفساً، فهل له من توبة؟ فقال: لا، فقتله، فكمّل به مائةً. ثم سأل عن أعلم أهلِ الأرضِ، فدُلّ على رجل عالم فقال: إنه قتل مائة نفسٍ، فهل له من توبة؟ فقال: نعم، ومن يحول بينه وبين التوبةِ؟ انطلِق إلى أرض كذا وكذا فإن بها أناساً يعبُدون اللّهَ تعالى فاعبُد اللّهَ معهم، ولا ترجِعْ إلى أرضك فإنها أرضُ سوءٍ.**

فانطلَق حتى إذا نصفَ الطريقَ أتاه الموتُ، فاختصمتْ فيه ملائكةُ الرحمةِ وملائكةُ العذابِ، فقالت ملائكةُ الرحمةِ: جاء تائباً مُقبلاً بقلبه إلى الله، وقالت ملائكةُ العذاب: إنه لم يعمَلْ خيراً قطُّ. فأتاهم ملكٌ في صورةِ آدميٍّ فجعلوه بينهم، فقال: قِيسوا ما بين الأرضَين، فإلى أيتهما كان أدنى فهو له. فقاسُوه، فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد، فقبضتْه ملائكةُ الرحمةِ».

قال قتادةُ[2] فقال الحسن: ذُكر لنا أنه: «**لما أتاه الموتُ ناء بصدْره**».

وفي رواية[3]: «**فلما كان في بعضِ الطريق أدركَه الموتُ فَناءَ بصدرِه، ثم مات، فاختصمتْ فيه ملائكةُ الرحمةِ وملائكةُ العذاب، فكان إلى القريةِ الصالحةِ أقربَ منها شبراً فجُعل من أهلِها**».

وفيه[4] من حديث ابنِ عباسٍ ﷺ: أن أناساً من أهل الشركِ كانوا قد قَتلوا وأكثروا، وزَنَوا وأكثروا، فأتوا محمداً ﷺ فقالوا: إن الذي تقول وتدعو إليه لَحَسنٌ لو تُخبرُنا هل لِما عمِلنا كفارةٌ؟ فنزَلَ: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ﴾ [الفرقان: ٦٨]، ونزل: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٣].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٦/ ٥١٢ رقم ٣٤٧٠) ومسلم في صحيحه (٤/ ٢١١٨ رقم ٤٦/ ٢٧٦٦).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٤/ ٢١١٨).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه (٤/ ٢١١٩ رقم ٤٧/ ٢٧٦٦).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (٨/ ٥٤٩ رقم ٤٨١٠). ومسلم في صحيحه (١/ ١١٣ رقم ١٩٣/ ١٢٢).

وقال محمدُ بنُ إسحاقَ[1]: قال نافعٌ عن عبد اللَّهِ بنِ عمرَ عن عمرَ رضي الله عنهما في حديثه قال: وكنا نقول: ما اللَّهُ بقابلٍ ممن افتُتِنَ صَرْفاً ولا عدْلاً ولا توبةً، عَرفوا اللَّهَ ثم رجعوا إلى الكفر لبلاء أصابَهم. قال: وكانوا يقولون ذلك لأنفسهم. قال: فلما قدِمَ رسولُ اللَّهِ ﷺ المدينةَ أنزلَ اللَّهُ تعالى فيهم وفي قولِنا وقولِهم لأنفسهم:

﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥٣ وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ۝٥٤ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحۡسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ بَغۡتَةً وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ۝٥٥﴾ [الزمر].

قال عمرُ رضي الله عنه: فكتبتُها بيدي في صحيفة، وبعثتُ بها إلى هشامِ بنِ العاص رضي الله عنه. قال فقال هشامٌ: لما أتتني جعلتُ أقرأها بِذي طُوى، أصعَدُ بها فيه وأصوِّبُ ولا أفهمها، حتى قلتُ: اللهم أفهِمْنيها.

قال: فألقى اللَّهُ عز وجل في قلبي أنها إنما أُنزلت فينا وكنا نقول في أنفسنا ويُقال فينا، فرجَعتُ إلى بعيري فجلستُ عليه فلحِقْتُ برسول اللَّهِ ﷺ بالمدينة».

[شروط التوبة النصوح]

والأحاديثُ في شأن التوبةِ والحثُّ عليها وفي تكفيرها للذنوب كثيرةٌ جداً لها مصنفاتٌ مستقلةٌ، وحيثُ ذُكرتْ من الآيات والأحاديثِ فإنما المُرادُ بها التوبةُ النَّصوحُ، وهي التي اجتمَعَ فيها ثلاثةُ شروطٍ:

الأولُ: الإقلاعُ عن الذنب.

الثاني: الندمُ على فعلِه.

الثالثُ: العزمُ على أن لا يعودَ فيه.

فإذا كان في ذلك الذنبِ حقٌّ لآدميٍّ لزم استحلالُه منه إن أمكن، للحديث الذي قدَّمنا: «**من كان عنده لأخيه مظلِمةٌ فليتحلّلْ منه اليوم، فإنه ليس ثَمَّ دينارٌ ولا**

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (١٢/ج٢٤/ ١٥) بسند حسن.
وابن كثير في تفسيره (٤/ ٦٥).

درهم»، الحديث في الصحيح[1]. وهذه الشروطُ في كيفية التوبة.

وأما الشرطُ في زمانِها فهو ما أشرنا إليه في المتن بقولنا: **«قبل الغرغرة»**، وهي حشرجةُ الروحِ في الصدْر، والمُرادُ بذلك الاحتضارُ عندما يرى الملائكةَ ويبدأُ بها السياقُ، قال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾﴾ [النساء].

وعن أبي العاليةِ أنه كان يحدّث أن أصحابَ رسولِ الله ﷺ كانوا يقولون: كلُ ذنبٍ أصابه عبدٌ فهو جَهالة. رواه ابنُ جرير[2].

وقال عبدُ الرزاق[3]: أخبرنا مَعمرٌ عن قتادة قال: اجتمع أصحابُ رسولِ اللّهِ ﷺ فرأَوا أن كلَّ شيءٍ عُصيَ اللّهُ به فهو جهالةٌ عمداً كان أو غيره.

وقال مُجاهد[4]: كلُ عاملٍ بمعصيةِ اللّهِ فهو جاهلٌ حين عملها.

وقال ابنُ عباس[5] رضي الله عنهما: من جهالتِه عملُ السوءِ.

وعنه[6] رضي الله عنه قال: ﴿ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ﴾ [النساء: ١٧] قال: بينه وبين أن ينظر إلى ملك الموت.

وقال الضحاك[7]: ما كان دون الموتِ فهو قريبٌ. وقال قتادةُ[8] والسُدّي[8]:

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٥/١٠١ رقم ٢٤٤٩).
(٢) في «جامع البيان» (٣/ج٤/٢٩٨).
(٣) في تفسيره (١/١٥١ رقم ٥٣٣).
قلت: وأخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٣/ج٤/٢٩٨).
(٤) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٣/ج٤/٢٩٨ ـ ٢٩٩).
(٥) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٣/ج٤/٢٩٩).
(٦) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٣/ج٤/٣٠٠).
وابن أبي حاتم في تفسيره (٣/٨٩٨ رقم ٥٠٠٥).
(٧) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٣/ج٤/٣٠١).
وعبد الرزاق في تفسيره (١/١٥١ رقم ٥٣٧).
(٨) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣/٨٩٩ رقم ٥٠٠٨) وابن جرير في «جامع البيان» (٣/ج٤/٣٠٠).

ما دام في صحته. وهو مرويٌّ عن ابن عباس[1].

وقال الحسن[2] البصْري: ثم يتوبون من قريب ما لم يُغرغِرْ. وقال عكرمةُ[3]: الدنيا كلُها قريبٌ.

وروى الإمامُ أحمدُ[4] وغيرُه[5] عن ابن عمرَ رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: **«إن اللّهَ يقبل توبةَ العبدِ ما لم يُغرغِرْ»**.

وله[6] عن عبد الرحمن بنِ البيلمانيِّ قال: اجتمع أربعةٌ من أصحاب رسولِ اللّهِ ﷺ فقال أحدُهم: سمعتُ رسولَ اللّهِ ﷺ يقول: **«إن اللّهَ تعالى يقبل توبةَ العبدِ قبل أن يموتَ بيوم»**.

فقال الآخرُ: أنت سمعتَ هذا من رسولِ اللّهِ ﷺ؟ قال: نعم. قال: وأنا سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: **«إن الله يقبل توبةَ العبدِ قبل أن يموتَ بنصف يوم»**.

فقال الثالثُ: أنت سمعتَ هذا من رسولِ اللّهِ ﷺ؟ قال: نعم، قال: وأنا سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: **«إن الله يقبل توبةَ العبدِ قبل أن يموتَ بضَحوة»**.

وقال الرابعُ: أنت سمعتَ هذا من رسولِ اللّهِ ﷺ؟ قال: نعم. قال: وأنا سمعتُ رسولَ اللّهِ ﷺ يقول: **«إن الله يقبلُ توبةَ العبدِ ما لم يُغرغِرْ بنفَسه»**.

وروى ابنُ مردويه[7] عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«إن الله يقبل توبةَ العبدِ ما لم يغرغر»**.

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٣/ج٤/٣٠٠).
(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣/٨٩٩ رقم ٥٠٠٩).
(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٣/ج٤/٣٠١).
وابن أبي حاتم في تفسيره (٣/٨٩٨ رقم ٥٠٠٧).
(٤) في «المسند» (٥/٤٠٠ رقم ٦١٦٠ - شاكر). **بإسناد صحيح**.
(٥) كابن ماجه رقم (٤٢٥٣) والترمذي رقم (٣٥٣٧) وقال: **هذا حديث حسن غريب**.
والحاكم في «المستدرك» (٢٥٧٤) وأبو نعيم في «الحلية» (٥/١٩).
وهو حديث حسن.
(٦) في «المسند» (٣/٤٢٥).
وأورده الهيثمي في «المجمع» (١٠/١٩٧) وقال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير عبد الرحمن وهو ثقة.
(٧) ذكره ابن كثير في تفسيره (١/ ٤٧٤). =

وهذا توقيتُ زمانِ التوبةِ في حق كلِ فردٍ من العباد، وأما في حق عمرِ الدنيا، فقد تقدم في الآيات والأحاديثِ أنها تنقطع بطلوعِ الشمسِ من مغرِبها، لأنها أولُ آياتِ القيامةِ العِظامِ وحين الإياسِ من الدنيا كما أن رؤيةَ ملكِ الموتِ آيةُ الانتقالِ من الدنيا وحين الإياسِ من الحياة، وكذلك الأممُ المخسوفُ بها انقطعت التوبةُ عنهم برؤيتِهم العذابَ.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [غافر].

= قلت: وأخرجه البزار (٤/ ٧٩ رقم ٣٢٤٣ ـ كشف).

وأورده الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ١٩٨) وقال: رواه البزار، وفيه يزيد بن عبد الملك النوفلي وهو متروك.

[ال] فصل [الحادي عشر]
في معرفة نبيِّنا محمد ﷺ
وتبليغِه الرِّسالةَ وإكمال الله لنا به الدين، وأنه خاتم النبييّن، وأفضلُ الخلقِ أجمعين، وأن من ادَّعى النبوة بعده فهو كاذب، يكفر من صدّقه واتّبعه



[نسبه[1] ﷺ]

(نـبـيُّـنـا مـحـمـدٌ مـن هـاشـمِ   إلـى الـذبـيـح دون شـكٍ يـنـتـمـي)

(**نبينا محمدٌ** ﷺ (**من**) ولدِ (**هاشم**)، وهو ﷺ أبو القاسم محمد بن عبدِ الله بنِ عبدِ المُطلبِ واسمه شيبةُ الحمدِ بنِ هاشمٍ واسمه عَمْرو بنِ عبدِ منافٍ واسمُه مُغيرةُ بنُ قُصيٍّ واسمُه زيد بنِ كِلابِ بن مُرةَ بنِ كعبِ بنِ لؤيٍّ بنِ غالبِ بنِ فِهْرِ بنِ مالكِ بنِ النضرِ بنِ كِنانةَ بنِ خُزيمةَ بنِ مُدركةَ بنِ إلياسَ بنِ مُضرَ بنِ نِزارِ بنِ مَعدِّ بنِ عدنانَ.

وأمُّه ﷺ: آمنةُ بنتُ وهْبِ بنِ عبدِ منافِ بنِ زُهرةَ بنِ كلابِ بن مُرّة بنِ كعبِ بنِ لؤي.

وأمُّ عبدِ الله: فاطمةُ بنتُ عمرِو بنِ عائذِ بنِ عِمرانَ بنِ مخزومِ بنِ يَقظةَ بنِ مرةَ بن كعب بن لؤي.

وأمُّ عبدِ المطلّب: سلمى بنتُ عمْرِو بنِ زيد بنِ لبيدِ بن خداشِ بنِ عامرِ بنِ غنمِ بن عديٍّ بن النجار.

وأمُّ هاشمٍ: عاتكةُ بنتُ مرة بن هلال.

وأمُّ عبدِ مناف: حبَّى بنتُ حليلِ بنِ حبشيةَ ابنِ سَلولِ بنِ كعب بن عمْرِو الخُزاعيّ.

وأمُّ قُصيّ: فاطمةُ بنتُ سعيدِ بنِ سيلِ أحد الجدرة من جعثمةِ الأسد من اليمن.

وأمُّ كلابٍ: هندُ بنتُ سريرِ بنِ ثعلبةَ بنِ الحارثِ بنِ مالك بنِ كِنانةَ بنِ خُزيمةَ.

---

(١) انظر: «السيرة النبوية» لابن هشام (١/ ٣٣ ـ ٣٥) و «البداية والنهاية» (٢/ ١٩٤ ـ ١٩٥).

وأمُ مرّة: حبشيةُ بنتُ شيبانَ بنَ محاربِ بنِ فهرِ بنِ مالكِ بنِ النضر. وأم كعبِ: ماويةُ بنتُ كعب بنِ القَينِ بنِ الجسرِ من قُضاعةَ.

وأمُ لؤي: سلمى بنتُ عمرِو الخُزاعيِّ. وأمُ غالبِ: ليلى بنتُ سعدِ بنِ هُذيلِ بنِ مُدركةَ.

وأمُ فهرِ بنِ مالكِ: جَندلةُ بنتُ الحارثِ بنِ مضّاضِ الجُرهُميِّ. وأمُ مالكِ عاتكةُ: بنتُ عُدوانَ بنِ عمرِو بنِ قيسِ بنِ عَيلان.

وأمُ النضرِ: بَرّةُ بِنتُ مُرِّ بنِ أُدِّ بنِ طابخةَ بنِ إلياسَ بن مُضر. وأمُ كنانةَ: عَوانةُ بنتُ سعدِ بنِ قيس بنِ عَيلانَ بنِ مضَر.

وأمُ خزيمةَ: امرأةٌ من قُضاعةَ. وأمُ مدركةَ بنِ إلياسِ: خِنْدِفُ بنتُ عمرانَ بنِ الحافِ بنِ قضاعة.

وأمُ إلياسَ بن مضرَ جُرهُميةٌ. وأم مضرَ: سَودةُ بنتُ عَكٍّ بنِ عدنان. وأمُ ربيعةَ أخي مضرَ شقيقةُ بنتُ عكٍّ بن عدنانَ، وهاتان القبيلتان المضروبُ بهما المثلُ - ربيعةُ ومضرُ - ابنا نزارِ بنِ مَعَدِّ بنِ عدنانَ.

ولِمُضَرَ أخٌ شقيقٌ وهو إيادُ بنُ نزارِ، ولربيعةَ أخٌ شقيقٌ أيضاً وهو أنمارُ بنُ نزارِ.

وهذا هو النسبُ المتفقُ على سرْده، لا خلافَ فيه لأحد. وكذا لا خلاف في أن نسبَ عدنانَ إلى الذبيح إسماعيلَ الحليمِ ابنِ إبراهيمَ الخليل عليهما الصلاة والسلام.

وكذا لا خلاف في أن إبراهيمَ ينتمي إلى سامِ بنِ نوحِ، وهو أبو العربِ قاطبةً، وكذا لا خلافَ في أن نوحاً ينتمي إلى شيثِ بنِ آدمَ وهو وصيُّ أبيه عليهم السلام.

وإنما الخلافُ في كميةِ الآباء بين عدنانَ وإسماعيلَ بنِ إبراهيمَ، وبين إبراهيمَ وسامَ بنِ نوحِ، وبين نوحِ وشيثِ بنِ آدمَ.

وقد كان كثيرٌ من أئمةِ الدينِ - كمالك بنِ أنسِ الإمامِ وغيرِه - يكرهون تعدادَ الآباءِ من فوق عدنانَ. ويقولون: هو رجْمٌ بالغيب، وما يدري من يفعل ذلك، واللّهُ تعالى يقول: ﴿وَقُرُونًا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٨].

وقال أبو عمرَ بنُ عبدِ البرِّ[1] رحمه الله: كان قومٌ من السلف - منهم عبدُ الله بنُ مسعودٍ[2] وعمرُو بنُ ميمون الأوديُّ[3] ومحمدُ بنُ كعبٍ القُرَظيُّ[4] - إذا تلَوا: ﴿وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ﴾ [إبراهيم: ٩] قالوا: كذب النسابون. ورُوي عن ابن عباس[5] رضي الله عنهما أنه كان إذا بلغ عدنانَ يقول: كذب النسابون.

قال السُّهَيليُّ[6]: وقد رأى جماعةٌ جوازَ ذلك، منهم ابنُ إسحاقَ والبخاريُّ والزبيرُ بنُ بكارٍ والطبريُّ وغيرُهم من العلماء.

قال أبو عمرَ بنُ عبدِ البر[7]: والذي عليه أئمةُ هذا الشأن في نسب عدنانَ قالوا: عدنانُ بنُ أُدَدَ بنِ مِقْوم بنِ ناحور بنِ تَيرحَ بنِ يعربَ بنِ يشجُبَ بنِ نابتِ بنِ إسماعيلَ بنِ إبراهيمَ الخليلِ عليهما السلام.

والمقصودُ أن نبيَّنا محمداً ﷺ أخرجه اللّهُ تعالى من أوسطِ العربِ نسباً وأكرَمِهم حَسباً، وأعلاهُم كعْباً، وأعظَمِهم جُرْثومةً، وأشرفِهم أصلاً وأطيبِهم فَرعاً.

وقال مسلمُ[8] بنُ الحجاجِ رحمه الله تعالى: حدثنا محمدُ بنُ مُهرانَ الرازيُّ ومحمدُ بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ سهمٍ جميعاً عن الوليد.

قال ابنُ مُهرانَ: حدثنا الوليدُ بنُ مسلمٍ حدثنا الأوزاعيُّ عن أبي عمارٍ شدّادِ

---

(١) في «الأنباه على قبائل الرواة» (ص١٩).

(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ج١٣/١٨٧).
وابن أبي حاتم في تفسيره (٧/٢٢٣٦ رقم ١٢٢١٩).
وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٥/٩) وزاد نسبته لابن المنذر وعبد بن حميد.
والبغوي في تفسيره (٤/٣٣٧).

(٣) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٨/ج١٣/١٨٧) والسيوطي في «الدر المنثور» (٥/٩).

(٤) ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٥/١١).
وابن كثير في تفسيره (٢/٥٤٣) وذكره ابن عبد البر في «الأنباه على قبائل الرواة» (ص١٩).

(٥) أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١/٥٦).

(٦) في «الروض الأنف» (١/٨).

(٧) في «الأنباه على قبائل الرواة» (ص٢٠).

(٨) في صحيحه (٤/١٧٨٢ رقم ٢٢٧٦).

أنه سمع واثِلةَ بنَ الأسقعِ يقول: سمعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقول: «**إن اللَّهَ اصطفى كِنانةَ من ولد إسماعيلَ، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشمٍ، واصطفاني من بني هاشم**».

وروى التِرمذيُّ[1] عن العباس بن عبدِ المطلب قال: قلت: يا رسولَ اللَّهِ إن قريشاً جلسوا فتذاكروا أحسابَهم بينهم، فجعلوا مثلَكَ مثَلَ نخلةٍ في كبوة من الأرض.

فقال النبيُّ ﷺ: «**إن اللَّهَ تعالى خلق الخلقَ فجعلني من خير فِرَقهم وخيرِ الفريقينِ، ثم خيرِ القبائلَ فجعلني في خيرِ قبيلةٍ، ثم خيرِ البيوتِ فجعلني في خيرِ بيوتِهم، فأنا خيرُهم نفساً وخيرُهم بيتاً**».

وفي رواية[2]: فقام النبيُّ ﷺ على المنبر فقال: «**من أنا؟**»، فقالوا: أنتَ رسولُ اللَّهِ عليك السلام. قال: «**أنا محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ عبدِ المُطلب، إن الله تعالى خلق الخلقَ فجعلني في خيرِهم، ثم جعلَهم فِرقتين فجعلني في خيرِهم فِرقةً، ثم جعلهم قبائلَ فجعلني في خيرِهم قبيلةً، ثم جعلَهم بيوتاً فجعلني في خيرِهم بيتاً وخيرِهم نفساً**». هذا حديثٌ حسنٌ.

وحمى اللَّهُ تبارك وتعالى أصولَ نبيِّنا من سفاح الجاهليةِ فلم يشِبْ نسبَه شيءٌ من ذلك لا من جهة آبائِه ولا من جهةِ أمهاتِه ولم يولد إلا من نكاح كنكاح الإسلامِ كما رواه جماعةٌ عن جعفر الصادقِ عن آبائه مرفوعاً: «**إني وُلِدتُ من نكاحٍ ولم أولدْ من سِفاح**»[3].

---

(١) في «السنن» (٥/ ٥٨٤ رقم ٣٦٠٧) وفي سنده يزيد بن أبي زياد وهو ضعيف.
وقال الترمذي: **هذا حديث حسن**.
وقال الألباني في «ضعيف الترمذي» رقم (٧٣٨) **حديث ضعيف**.
قلت: وأخرجه أحمد في «المسند» (٤/ ١٦٦) من طريق عبد الله بن الحارث بن نوفل به.
وأورده الهيثمي في «المجمع» (٨/ ٢١٥ ـ ٢١٦) وقال: رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

(٢) أخرجه الترمذي في «السنن» (٥/ ٥٨٤ رقم ٣٦٠٨) وقال: **هذا حديث حسن**.
قلت: وأخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» (١/ ١٦٩ ـ ١٧٠). وأحمد في «المسند» (١/ ٢١٠).
وقال الألباني في «ضعيف الترمذي» رقم (٧٣٩) **حديث ضعيف**.

(٣) روي من حديث علي بن أبي طالب، وعبد الله بن عباس، وعائشة، وأبي هريرة. =

....

= أما حديث علي فله طريقان:

الأولى: عن زكريا بن عمر المعروف بـ «الدشتي» ثنا ابن فضيل عن عطاء بن السائب عن ميسرة عنه مرفوعاً بلفظ: **«ولدت من آدم في نكاح، لم يصبني عهر الجاهلية»**.

أخرجه ابن شاذان في «فوائد ابن قانع وغيره» (ق١٦٣/١) كما في «الإرواء» (٦/ ٣٢٩) **بسند ضعيف**.

الثانية: قال محمد بن يحيى بن أبي عمر العدني: حدثنا محمد بن جعفر العلوي قال: أشهد على أبي لحدثني عن أبيه عن جده عن عليٍّ مرفوعاً بلفظ: **«خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح، من لدن آدم إلى أن ولدني أبي وأمي، لم يصبني من سفاح الجاهليةِ شيءٌ»**.

أخرجه الرامهرمزي في «الفاصل بين الراوي والواعي» (ص١٣٦) والجرجاني السهمي في «تاريخ جرجان» (ص٣٦١ ـ ص٣٦٢) والطبراني في «الأوسط» رقم (٤٧٢٨) وأورده الهيثمي في «المجمع» (٨/ ٢١٤) وقال: «وفيه محمد بن جعفر بن محمد بن علي صحح له الحاكم في «المستدرك» وقد تكلم فيه، وبقية رجاله ثقات».

وله عن الباقري طريق أخرى مرسلاً يرويه سفيان عن جعفر بن محمد عن أبيه في قوله تعالى: **﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾** [التوبة: ١٢٨].

قال: لم يصبه شيء من ولادة الجاهلية، قال: وقال النبي ﷺ: **«خرجت من نكاح غير سفاح»**.

أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٧/ج١١/ ٧٦) والبيهقي (٧/ ١٩٠) وعبد الرزاق في تفسيره (١/ ٢٥٧ رقم ١١٤٨) وابن أبي حاتم (٦/ ١٩١٧ رقم ١٠١٥٨).

وأورده السيوطي في «الدر المنثور» (٤/ ٣٢٧) وزاد نسبته لأبي الشيخ.

وقال الألباني في «الإرواء» (٦/ ٣٣١) : **وهذا مُرسلٌ صحيح الإسناد**.

وأخرجه ابن سعد في «الطبقات» (١/ ٦٠ ـ ٦١) من طريق أخرى عن جعفر به دون ذكر الآية.

وأما حديث ابن عباس فله عنه طرق:

الأولى: قال ابن سعد في «الطبقات» (١/ ٦١) أخبرنا محمد بن عمر الأسلمي نا أبو بكر بن عبد الله بن أبي سبرة عن عبد المجيد بن سهيل عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: **«خرجتُ من لدن آدم من نكاح وغير سفاح»**.

وسنده ضعيف جداً.

وله طريق أخرى عن عكرمة، يرويه أنس بن محمد قال: ثنا موسى بن عيسى قال: ثنا يزيد بن أبي حكيم عنه به.

ولفظه: **«لم يلتق أبواي في سفاحٍ، لم يزل الله عز وجل ينقلني من أصلابٍ طيبة إلى أرحام طاهرة، صافياً مُهذباً، لا تتشعبَ شعبتان إلا كنت في خيرِهما»**.

أخرجه أبو نعيم في «أعلام النبوة» (١/ ١١/ ١٢).

وكان مولدُه ﷺ عامَ الفيلِ كما روى التِرمِذيُّ[1] وغيرُه[2] عن عبد المطلبِ بنِ

= وقال الألباني في «الإرواء» (٦/ ٣٣٢): **وإسناده واهٍ، مَن دون عكرمة لم أعرفهم.**

طريق أخرى عنه موقوفاً، يرويه شبيب عن عكرمة عن ابن عباس: ﴿**وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ**﴾ [الشعراء: ٢١٩].

قال: «**من نبيّ إلى نبيّ حتى أخرجت نبياً**»، أخرجه ابن عساكر.

وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٨٦) وقال: «رواه البزار والطبراني ورجالهما رجال الصحيح غير شبيب بن بشر وهو ثقة».

قلت: وشبيب هذا قال عنه الحافظ في «التقريب» (٢٧٣٨) صدوق يخطئ.

الثانية: عن هشيم نا المديني عن أبي الحويرث عنه به، ولفظه: «**ما ولدني من سفاح الجاهلية شيء، وما ولدني إلا نكاح كنكاح الإسلام**».

أخرجه الطبراني في «الكبير» (١٠/ ٣٩٩ رقم ١٠٨١٢). والبيهقي (٧/ ١٩٠).

وأورده الهيثمي في «المجمع» (٨/ ٢١٤) وقال: رواه الطبراني عن المديني عن أبي الحويرث ولم أعرف المديني ولا شيخه، وبقية رجاله وثقوا».

قلت: شيخه عبد الرحمن بن معاوية أبو الحويرث من رجال التهذيب، قال الحافظ: «صدوق سيء الحفظ رمي بالإرجاء».

ثالثاً: حديث عائشة.

قال ابن سعد في «الطبقات» (١/ ٦١) أخبرنا محمد بن عمر الأسلمي قال: حدثني محمد بن عبد الله بن مسلم عن عمه الزهري عن عروة عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**خرجت من نكاح غير سفاح**».

وفي الطريق إلى الزهري محمد بن عمر الأسلمي وهو متروك. «التقريب» رقم (٦١٧٥).

رابعاً: حديث أبي هريرة.

يرويه أبو حامد أحمد بن محمد بن شعيب: أنبأنا سهل بن عمّار العتكي أنبأنا أبو مُعاوية أنبأنا سعد بن محمد بن ولد بن عبد الرحمن بن عوف عن الزهري عن سعيد بن المسيب عنه مرفوعاً بلفظ: «**ما ولدتني بغيّ قط، قد خرجت من صلب أبي آدم، ولم تزل تنازعني الأمم كابراً عن كابر حتى خرجت من أفضل حيين من العرب: هاشم وزهرة**».

أخرجه ابن عساكر (١/ ٢٦٧/ ١) كما في «الإرواء» (٦/ ٣٣٤) **بسند ضعيف جداً.**

وخلاصة القول أن الحديث حسن لغيره لأنه صحيح الإسناد عن أبي جعفر الباقر مرسلاً، ويشهد له الطريق الأولى عن علي.

والثانية عن ابن عباس لأن ضعفها يسير محتمل، وأما بقية الطرق فإنها شديدة الضعف لا يصلح شيء منها للاستشهاد بها، والله أعلم. «الإرواء» رقم (١٩١٤).

(١) في «السنن» (٥/ ٥٨٩ رقم ٣٦١٩).
وقال: **هذا حديث حسن غريب** لا نعرفه إلا من حديث محمد بن إسحاق.

(٢) كأحمد في «المسند» (٤/ ٢١٥) والبيهقي في «دلائل النبوة» (١/ ٧٧) وأبي نعيم في =

عبدِ اللَّهِ بنِ قيسِ بنِ مَخْرمةَ عن أبيه عن جده قال: وُلدتُ أنا ورسولُ الله ﷺ عامَ الفيل. قال: وسأل عثمانُ بنُ عفانَ قَباثَ بنَ أَشْيَمَ أخا بني يَعمَرَ بنِ ليثٍ: أنت أكبرُ أم رسولُ الله ﷺ؟ فقال: رسولُ اللَّهِ أكبرُ مني وأنا أقدمُ منه في الميلاد.

قال: ورأيتُ حَذَقَ الفيلِ أخضرَ مَحيلاً. قال الترمذي: حديث حسن.

[مولده ﷺ]

(مولده بمكة المطهرةْ ... هجرتُه لطيبةَ المنورة)

(بعد أربعينَ بدأ الوحيُ به ... ثم دعا إلى سبيل ربِّه)

(عشرَ سنينَ أيها الناسُ اعبدوا ... رباً تعالى شأنُه ووحِّدوا)

(وكان قبل ذاك في غارِ حِرا ... يخلو بذكر ربِّه عن الورى)

(مولدُه) ﷺ **(بمكة المطهرة)** من كل رجسٍ حِساً ومعنىً، **(هجرته)** ﷺ **(لطيبةَ)** المدينةِ **(المنورة)** وكان موجوداً في الصُحف التي بشرت به ﷺ من التوراةِ والإنجيل وغيرِهما والآياتُ في ذلك والدلائلُ على ذلك لا تُحصى.

ثم كان الأمرُ كما بشَّرتْ، فوُلدَ بمكةَ وأُوحيَ إليه فيها، وبُعث بالدعوة إلى الله فيها. ثم كانت هجرتُه إلى المدينة كما سيأتي إن شاء اللَّهُ عز وجل.

[بدء الوحي إليه ﷺ]

(بعد أربعين) سنةً من عمره ﷺ **(بدأ الوحيُ)** من الله عز وجل إليه **(به)** ﷺ، كما في الصحيحين[1] عن أنسِ بنِ مالكٍ رضي الله عنه قال: كان رسولُ الله ﷺ رَبْعةً من القوم، ليس بالطويل البائنِ ولا بالقصير، أزهرَ اللونِ ليس بأبيض أمْهقَ ولا آدمَ، ليس بجَعْدٍ قَطَط ولا سَبْطٍ رجل. بعثه الله على رأس أربعينَ سنةً فأقام بمكةَ عشرَ سنين»، الحديث.

= «دلائل النبوة» (ص١٠١) والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٦٠٣).
وقال: **هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه** ووافقه الذهبي.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٦/ ٥٦٤ رقم ٣٥٤٧) وطرفاه رقم (٣٥٤٨، ٥٩٠٠).
ومسلم في صحيحه (٤/ ١٨٢٤ رقم ١١٣/ ٢٣٤٧).

وكيفيةُ بدء الوحيْ ما ذكره البُخاريُّ[1] رحمه الله تعالى قال: حدثنا يحيى بنُ بكيرٍ قال: حدثنا الليثُ عن عقيلٍ عن ابن شهابٍ عن عُروةَ بنِ الزبيرِ عن عائشةَ أم المؤمنين ﷺ أنها قالت: أولُ ما بُدئ به رسولُ الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحةُ في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثلَ فلقِ الصُّبْحِ.

ثم حُبِّبَ إليه الخلاءُ، وكان يخلو بغارِ حِراء فيتحنّث فيه ـ وهو التعبُّد ـ الليالِيَ ذواتِ العدَدِ قبل أن ينزِع إلى أهله ويتزود لذلك.

ثم يرجع إلى خديجةَ فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحقُ وهو في غار حِراء، فجاءَه المَلكُ فقال: «اقرأ». قال: «**ما أنا بقارئ**». قال: «**فأخذني فغطّني حتى بلغ مني الجَهْدَ، ثم أرسلني فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ. فأخذني فغطّني الثانية حتى بلغ مني الجَهْدَ، ثم أرسلني فقال: اقرأ. فقلت: ما أنا بقارئ. فأخذني فغطني الثالثةَ، ثم أرسلني فقال**: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣﴾ [العلق]. فرجع بها رسولُ الله ﷺ يرجُف فؤادُه، فدخل على خديجةَ بنتِ خويلدٍ فقال: زمِّلوني زمِّلوني، فزمَّلوه حتى ذهب عنه الرَّوْعُ، فقال لخديجة وأخبرها الخبرَ: «**لقد خشيتُ على نفسي**».

فقالت خديجةُ: كلا واللّهِ لا يُخزيكَ اللّهُ أبداً، إنك لتصلُ الرحمَ، وتحمِلُ الكَلَّ، وتُكسِبَ المعدومَ، وتُقري الضيفَ، وتُعينُ على نوائبِ الحقِّ.

فانطلقتْ به خديجةُ حتى أتت به ورقةَ بنَ نوفلِ بنِ أسدِ بنِ عبدِ العُزَّى بنَ عمِّ خديجةَ، وكان امرءاً قد تنصّر في الجاهلية، وكان يكتب الكتابَ العِبرانيَّ، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء اللّهُ أن يكتُبَ، وكان شيخاً كبيراً قد عمِيَ.

فقالت له خديجةُ: يا ابنَ عمٍّ، اسمع من ابن أخيك. فقال له ورقةُ: يا ابنَ أخي ماذا ترى؟ فأخبرَه رسولُ الله ﷺ خبرَ ما رأى. فقال له ورقةُ: هذا الناموسُ الذي أنزل اللّهُ على موسى. يا ليتني فيها جَذَعٌ. ليتني أكون حياً إذ يُخرجُك قومُك. فقال رسولُ الله ﷺ: «**أوَ مُخرِجِيَّ هم؟**»، قال: نعم، لم يأتِ رجلٌ قطُّ

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (١/ ٢٣ رقم ٣) وأطرافه رقم (٣٣٩٢ و ٤٩٥٣ و ٤٩٥٥ و ٤٩٥٦ و ٤٩٥٧ و ٦٩٨٢).

بمثل ما جئتَ به إلا عُوديَ. وإن يُدركني يومُك أنصُرْك نصراً مؤزراً. ثم لم ينشب ورقةُ أن تُوفِّيَ وفتر الوحْيُ».

قال ابنُ شهابٍ: وأخبرني أبو سلمةَ بنُ عبدِ الرحمنِ أن جابرَ بنَ عبدِ اللَّهِ الأنصاريَّ قال وهو يحدّثُ عن فترة الوحي. فقال في حديثه[1]: «**بينا أنا أمشي إذ سمعتُ صوتاً من السماء فرفعتُ بصري فإذا الملَكُ الذي جاءني جالسٌ على كرسيٍّ بين السماء والأرض، فرُعبتُ منه، فرجعتُ فقلت: زمِّلوني زملوني. فأنزل الله تعالى:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢﴾ - إلى قوله - ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥﴾ [المدثر]. **فحميَ الوحْيُ وتتابع**».

تابعه عبدُ اللَّهِ بنُ يوسفَ وأبو صالحٍ وتابعه هلالُ بنُ ردادٍ عن الزُهريِّ. وقال يونسُ ومعمرٌ: «بوادره».

حدثنا موسى بنُ إسماعيلَ قال: حدثنا أبو عُوانةَ قال: حدثنا موسى بنُ أبي عائشةَ قال: حدثنا سعيدُ بنُ جبيرٍ عن ابن عباس[2] ﵄ في قوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ۝١٦﴾ [القيامة]. قال: كان رسول الله ﷺ يعالجُ من التنزيل شدّة، وكان مما يحرّك شفتيه. فقال ابنُ عباس فأنا أحركُهما لك كما كان رسولُ الله ﷺ يحركُهما.

وقال سعيدٌ: وأنا أحرّكهما كما رأيتُ ابنَ عباسٍ يحركهما. فحرّك شفتيه. فأنزل الله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ۝١٦ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ۝١٧﴾ [القيامة]. قال: جمْعَه لك بصدرك وتقرأُه: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٨] قال: فاستمعْ له وأنصتْ ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٩] ثم إن علينا أن تقرأَه.

وكان رسولُ اللَّهِ ﷺ بعد ذلك إذا أتاه جبريلُ استمعَ فإذا انطلقَ جبريلُ قرأه النبيُّ ﷺ كما قرأه».

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (١/ ٢٧ رقم ٤) وأطرافه رقم (٢٢٣٨، ٤٩٢٢، ٤٩٢٤، ٤٩٢٥، ٤٩٢٦، ٤٩٥٤، ٦٢١٤).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (١/ ٢٩ رقم ٥) وأطرافه رقم (٤٩٧٢، ٤٩٢٨، ٤٩٢٩، ٥٠٤٤، ٧٥٢٤).
ومسلم في صحيحه (١/ ٣٣٠ رقم ١٤٧/ ٤٤٨).

وقال[1] رحمه الله تعالى: حدثنا عبدُ اللَّهِ بنُ يوسفَ قال: أخبرنا مالكٌ عن هشامِ بنِ عُروةَ عن أبيه عن عائشةَ أمِّ المؤمنين رضي الله عنها: أن الحارث بنَ هشام رضي الله عنه سأل رسولَ اللَّهِ ﷺ فقال: يا رسولَ اللَّهِ كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسولُ الله ﷺ: **«أحياناً يأتيني مثلَ صَلْصَلةِ الجرسِ وهو أشدُّه عليَّ، فيفصِمُ عني وقد وعَيتُ عنه ما قال، وأحياناً يتمثل ليَ الملكُ رجلاً فيكلّمني فأعي ما يقول»**.

قالت عائشةُ رضي الله عنها: ولقد رأيته ينزل عليه الوحيُ في اليومِ الشديدِ البرد فَيفصِمُ عنه وإن جبينَه ليتفصّدُ عرَقاً.

[دعوته إلى سبيل ربه]

(ثم دعا إلى سبيل ربه) وهو على دينِ الإسلامِ الذي أرسل اللَّهُ تعالى به رسلَه وأنزل به كتبَه، وهو دينه في السماء والأرضِ، ولن يقبلَ اللَّهُ تعالى من أحد ديناً سواه.

(عشر سنينَ) دعوتُه إلى التوحيد وتركِ عبادةِ الأوثانِ فقط قبل أن يُفرضَ عليه الصلواتُ الخمسُ ولا غيرُها قائلاً: **(أيها الناسُ اعبدوا رباً تعالى شأنُه)** لا تعبُدوا إلا الله **(ووحّدوا)** تفسيرٌ لذلك.

وهذه دعوةُ من قبله من نوحٍ إلى خاتمهم محمدٍ ﷺ، كلُهم يقول: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٥٩].

وكانت الدعوةُ في أول البعثةِ سراً ثلاثَ سنين فيما ذكر ابنُ إسحاقَ[2] وغيرُه، قال ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه: ما زال النبيُّ ﷺ مستخفياً حتى نزلتْ: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [الحجر: ٩٤].

وقال البخاريُّ[3] رحمه الله تعالى في تفسير سورة الشعراءِ: قولُه عز وجل: ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ﴾ [الشعراء: ٢١٤ ـ ٢١٥]: حدثنا عمرُ بنُ حفصِ بنِ غياثٍ حدثنا أبي حدثنا الأعمشُ قال: حدثني عَمرُو بنُ مُرَةَ عن سعيد بنِ

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (١/ ١٨ رقم٢) وطرفه (٣٢١٥).
(٢) في السيرة (١/ ٣٢٥).
(٣) في صحيحه (٨/ ٥٠١ رقم ٤٧٧٠).

جبيرٍ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما نزلت: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، صعِد النبيُّ ﷺ على الصفا فجعل ينادي: يا بني فهرٍ، يا بني عديّ، لبطون قريشٍ، حتى اجتمعوا، فجعلَ الرجلُ إذا لم يستطع أن يخرُج أرسلَ رسولاً لينظُرَ ما هو. فجاء أبو لهبٍ وقريشٌ فقال: «**أرأيتكم لو أخبرتُكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تُغير عليكم أكنتم مُصدّقيَّ؟**»، قالوا: نعم، ما جرّبنا عليك إلا صدقاً. قال: «**فإني نذيرٌ لكم بين يدي عذابٍ شديد**».

فقال أبو لهبٍ: تباً لك سائرَ اليوم، ألهذا جمعْتَنا؟ فنزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢﴾ [المسد].

حدثنا أبو اليمانِ أخبرنا شعيبٌ عن الزُهريّ قال: أخبرني سعيدُ بنُ المسيّبِ وأبو سلمةَ عن عبد الرحمنِ أن أبا هريرةَ[1] رضي الله عنه قال: قام رسولُ الله ﷺ حين أنزلَ اللّهُ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] قال: «**يا معشرَ قريشٍ** - أو كلمةً نحوَها - **اشترُوا أنفسَكم، لا أغني عنكم من اللّهِ شيئاً، يا بني عبدِ منافٍ، لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا عباسُ بنَ عبدِ المطلب، لا أغني عنك من الله شيئاً، ويا صفيةُ عمةَ رسولِ اللّهِ ﷺ، لا أغني عنك من الله شيئاً، ويا فاطمةُ بنتَ محمدٍ ﷺ، سليني ما شئتِ من مالي، لا أغني عنك من الله شيئاً**». ورواهما مسلم[2] أيضاً.

وقال[3] رحمه الله: حدثنا قُتيبةُ بنُ سعيدٍ وزهيرُ بنُ حربٍ قالا: حدثنا جريرٌ عن عبد الملكِ بنِ عميرٍ عن موسى بنِ طلحةَ عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه الآيةُ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] دعا رسولُ اللّهِ ﷺ قريشاً فاجتمعوا، فعمّ وخصّ، فقال: «**يا بني كعبِ بنِ لُؤيٍّ، أنقذوا أنفسَكم من النار، يا بني مُرَّةَ بنِ كعبٍ أنقذوا أنفسَكم من النار. يا بني عبدِ شمسٍ، أنقذوا أنفسَكم من النار. يا بني عبد مناف، أنقذوا أنفسَكم من النار. يا بني هاشم، أنقذوا أنفسَكم من**

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٨/ ٥٠١ رقم ٤٧٧١).
(٢) حديث ابن عباس المتقدم أخرجه مسلم (١/ ١٩٣ - ١٩٤ رقم ٣٥٥/ ٢٠٨).
وحديث أبي هريرة أخرجه مسلم في صحيحه (١/ ١٩٢ رقم ٣٥١/ ٢٠٦).
(٣) أي مسلم في صحيحه (١/ ١٩٢ رقم ٣٤٨/ ٢٠٤).

النار. يا بني عبدِ المطلبِ، أنقذوا أنفسَكم من النار. يا فاطمةُ أنقذي نفسَك من النار، فإني لا أملِك لكم من الله شيئاً غيرَ أن لكم رَحِماً سأبلُّها بِبلالها»[1].

وله[2] عن عائشةَ رضي الله عنها قالت: لما نزلت: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] قام رسولُ اللَّهِ ﷺ على الصفا فقال: «**يا فاطمةُ بنتَ محمدٍ، يا صفيةُ بنتَ عبدِ المطلب، يا بني عبدِ المطّلب، لا أملِك لكم من الله شيئاً، سَلوني من مالي ما شئتم**».

وله[3] عن قُبيصةَ بنِ المخارق وزهيرِ بنِ عمرو قالا: لما نزلت: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]. انطلق رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى رضمة من جبل فعلا أعلاها حجراً ثم نادى: «**يا بني عبدَ منافٍ إني نذيرٌ، إنما مَثَلي ومثَلُكم كمثل رجلٍ رأى العدوَّ فانطلق يربأ أهلَه، فخشيَ أن يسبقوه، فجعل يهتفُ: يا صبَاحاه (وكان قبل ذلك في غار حراء)** تقدم معناه في حديث الحارثِ[4] بنِ هشام.

حديثُ الإسراء والمعراجِ

(وبعد خمسينَ من الأعوام مضت لِعُمر سيدِ الأنام)
(أسرى به اللَّهُ إليه في الظلمْ وفرضَ الخمسَ عليه وحتمْ)

وكان الإسراءُ من المسجد الحرامِ إلى المسجدِ الأقصى، والمعراجُ من المسجد الأقصى إلى سِدرةِ المنتهى ثم إلى حيث شاء الله عز وجل، قال الله تبارك وتعالى في ذكر الإسراء: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١].

وقال تبارك وتعالى في ذكرى المِعراج: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ

---

(١) (سأبلُّها ببلالها) بفتح الباء الثانية وكسرها، وهما وجهان مشهوران ذكرهما جماعات من العلماء.
والبلال: الماء، ومعنى الحديث سأصلها، شبهت قطيعة الرحم بالحرارة ووصلها بإطفاء الحرارة ببرودة. ومنه: «**بلُّوا أرحامكم**»، أي: صِلوها.
(٢) لمسلم في صحيحه (١/ ١٩٢ رقم ٣٥٠/ ٢٠٥).
(٣) لمسلم في صحيحه (١/ ١٩٣ رقم ٣٥٣/ ٢٠٧).
(٤) تقدم تخريجه.

ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾ [النجم].

وقال البُخاريُّ[1] رحمه الله تعالى: بابُ حديثِ الإسراء وقولِ اللَّهِ تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ [الإسراء: ١].

حدثنا يحيى بنُ بكيرٍ حدثنا الليثُ عن عقيل عن ابن شهابٍ حدثني أبو سلمة بنِ عبدِ الرحمنِ سمعتُ جابرَ بنِ عبدِ اللَّهِ رضي الله عنهما قال: سمعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقول: «**لما كذبني قريشٌ، قُمتُ في الحِجْر فجلَّى اللَّهُ لي بيتَ المقدس، فطفِقْتُ أُخبرهم عن آياتِه وأنا أنظُر إليه**».

بابُ المعراج. حدثنا هُدبةُ بنُ خالدٍ حدثنا هُمامُ بنُ يحيى حدثنا قَتادةُ عن أنسِ بنِ مالكٍ عن مالكِ[2] بنِ صَعصعةَ رضي الله عنهما أن نبيَّ اللَّهِ ﷺ حدثهم عن ليلة أُسريَ به قال: «**بينما أنا في الحطيم** - وربما قال في الحِجْر - **مضطجعاً إذ أتاني آتٍ** - فقد قال وسمعتُه يقول، **فشقَّ ما بين هذه إلى هذه**».

فقلت للجارود: وهو إلى جنبي ما يعني به؟ قال: من ثُغْرة نحرِه إلى شِعْرتِه. وسمعتُه يقول: من قصِّهِ إلى شِعرته: «**فاستخرج قلبي. ثم أُتيتُ بطَستٍ من ذهب مملوءةٍ إيماناً فغَسل قلبي، ثم حُشيَ ثم أعيد. ثم أُتيتُ بدابةٍ دون البغلِ وفوقَ الحمار أبيضَ**».

فقال الجارود: هو البُراقُ يا أبا حمزة؟ قال أنسٌ: نعم. «**يضع خَطوَه عند أقصى طرفِه، فحُمْلتُ عليه، فانطلق بي جبريلُ حتى أتى السماءَ الدنيا فاستفتح، فقيل: مَن هذا؟ قال جبريلُ، قيل: ومن معك؟ قال: محمدٌ، قيل: وقد أُرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحباً به فنعم المجيءُ جاء، ففُتح فلما خلَصتُ فإذا فيها آدمُ فقال: هذا أبوك آدمُ فسلِّم عليه، فسلمْتُ عليه فردَّ السلامَ، ثم قال: مرحباً بالابن الصالحِ والنبيِّ الصالح.**

ثم صعِد حتى أتى السماء الثانيةَ فاستفتح، قيل: من هذا؟ قال: جبريلُ،

---

(١) في صحيحه (٧/١٩٦ رقم ٣٨٨٦) وطرفه (٤٧١٠) ومسلم (١/١٥٦ رقم ٢٧٦/ ١٧٠).
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٧/٢٠١ - ٢٠٢ رقم ٣٨٨٧).

قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد أُرسل إليه؟ قال: نعم. قيل: مرحباً به فنعم المجيء جاء. ففتح فلما خلَصتُ إذا يحيى وعيسى وهما ابنا الخالةِ قال: هذا يحيى وعيسى فسلِّم عليهما. فسلمتُ فردا ثم قالا: مرحباً بالأخ الصالحِ والنبيِّ الصالح.

ثم صعِد السماء الثالثةِ فاستفتح. قيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد ﷺ، قيل: وقد أُرسل إليه؟ قال: نعم، قيل: مرحباً به فنعم المجيءُ جاء، ففتح فلما خلَصْتُ فإذا يوسفُ، قال: هذا يوسفُ فسلمْ عليه، فسلمتُ عليه فردّ ثم قال: مرحباً بالأخ الصالحِ والنبيِّ الصالح.

ثم صَعِد بي حتى أتى السماء الرابعةَ فاستفتح. قيل: من هذا؟ قال: جبريلُ. قيل: ومن معك؟ قال: محمدٌ ﷺ، قيل: أوَقد أُرسلَ إليه؟ قال: نعم. قيل، مرحباً به فنعم المجيءُ جاء. فلما خلصْتُ إذا إدريسُ، قال: هذا إدريسُ فسلم عليه، فسلمتُ عليه فرد ثم قال: مرحباً بالأخ الصالحِ والنبيِّ الصالح.

ثم صَعِد بي حتى أتى السماءَ الخامسةَ فاستفتح، قيل: من هذا؟ قال: جبريلُ، قيل: ومن معك؟ قال: محمد ﷺ، قيل: أوَقد أُرسِل إليه؟ قال: نعم. قيل مرحباً به فنعم المجيءُ جاء. فلما خلصتُ فإذا هارونُ، قال: هذا هارونُ فسلِّم عليه، فسلمتُ عليه فرد ثم قال: مرحباً بالأخ الصالح والنبيِّ الصالحِ.

ثم صَعِد بي حتى أتى السماءَ السادسةَ فاستفتح، قيل: من هذا؟ قال: جبريلُ، قيل: ومن معك؟ قال: محمد ﷺ، قيل: أوَقد أُرسِل إليه؟ قال: نعم. قال: مرحباً به فنعم المجيءُ جاء، فلما خلصتُ فإذا موسى، قال: هذا موسى فسلّم عليه، فسلمتُ عليه فرد ثم قال: مرحباً بالأخ الصالحِ والنبيِّ الصالحِ، فلما تجاوزتُ بكى، قيل: ما يبكيك؟ قال: أبكي لأن غلاماً بُعث بعدي يدخُل الجنةَ من أمته أكثرُ ممن يدخُلها من أمتي.

ثم صَعِد بي إلى السابعة فاستفتح جبريلُ، قيل: من هذا؟ قال: جبريلُ. قيل: ومن معك؟ قال: محمدٌ ﷺ، قيل: وقد بُعث إليه؟ قال: نعم. قال: مرحباً به فنعم المجيءُ جاء. فلما خلصتُ فإذا إبراهيمُ قال: هذا أبوكَ فسلِّم عليه، فسلمتُ عليه فردّ عليّ السلامَ، قال: مرحباً بالابن الصالح والنبيِّ الصالح.

ثم رُفعتُ إلى سِدرةِ المُنتهى فإذا نَبْقُها مِثلُ قِلالِ هَجَرَ، وإذا ورقُها مثلُ آذانِ الفِيَلةِ، قال: هذه سِدرةُ المنتهى، وإذا أربعةُ أنهارٍ: نهران باطنان ونهرانِ ظاهرانِ، فقلت: ما هذان يا جبريلُ؟ قال أما الباطنان فنهران في الجنة، وأما الظاهرانِ فالنيلُ والفراتُ، ثم رُفع لي البيتُ المعمورُ، ثم أُتيتُ بإناء من خمرٍ وإناءٍ من لبن وإناءٍ من عسل، فأخذتُ اللبنَ فقال: هي الفِطرةُ أنت عليها وأُمتُك، ثم فُرضت عليَّ الصلواتُ خمسينَ صلاةً كلَّ يومٍ.

فرَجَعتُ فمررْتُ على موسى فقال: بما أُمرتَ؟ قال: أُمرتُ بخمسين صلاةً كلَّ يوم، قال: إن أمتك لا تستطيع خمسينَ صلاةً كلَّ يوم، وإني واللَّهِ قد جربْتُ الناسَ قبلك وعالجتُ بني إسرائيلَ أشدَّ المُعالجة، فارجعْ إلَى ربك فاسأله التخفيفَ لأمتك.

فرَجَعْتُ فوضع عني عشراً، فرجعتُ إلى موسى فقال مثلَه، فرجعتُ فوضع عني عشراً، فرجعتُ إلى موسى فقال مثلَه، فرجَعتُ فوضعَ عني عشراً، فرجعتُ إلى موسى فقال مثلَه، فرجَعتُ فأُمرتُ بعشر صلواتٍ كلَّ يومٍ.

فرجَعتُ فقال مثلَه، فرجعتُ فأُمرتُ بخمس صلواتٍ كلَّ يوم. فرجَعتُ إلى موسى فقال: بما أُمرتَ؟ قلت: أُمرتُ بخمس صلواتٍ كلَّ يوم، قال: إن أُمتك لا تستطيع خمسَ صلواتٍ كلَّ يوم، وإني قد جربتُ الناسَ قبلك وعالجتُ بني إسرائيلَ أشدَّ المُعالجة، فارجِعُ إلى ربك فاسأله التخفيفَ لأمتك، قال: سألتُ ربي حتى استَحْيَيتُ ولكني أرضى وأسلِّم، قال: فلما جاوزْتُ ناداني منادٍ: أمضيتُ فريضتي وخففْتُ عن عبادي». رواه مسلمٌ[1] مختصراً.

قلت: وقولُه في هذه الروايةِ عن إدريسَ مرحباً بالأخ الصالحِ هذا قد يُشكل، لأن إدريسَ من آبائِه، والمعنى واللَّهُ أعلمُ على ما في الحديث: «**نحن معاشرَ الأنبياء أبناءُ علاّتٍ**»[2] إلخ.

---

(١) في صحيحه (١/١٤٩ ـ ١٥٢ رقم ٢٦٤/١٦٤).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٦/٤٧٧ ـ ٤٧٨ رقم ٣٤٤٢) وطرفه رقم (٣٤٤٣).
ومسلم في صحيحه (٤/١٨٣٧ رقم ١٤٣/٢٣٦٥).

وقال البخاريُّ[1] رحمه الله تعالى: حدثنا عبدُ العزيزِ بنُ عبدِ اللَّهِ حدثني سليمانُ عن شريك بنِ عبدِ اللَّهِ أنه قال: سمعتُ ابنَ مالكٍ ـ يعني أنساً رضي الله عنه ـ يقول ليلةَ أُسريَ برسولِ اللَّهِ ﷺ من مسجد الكعبةِ: «إنه جاءَه ثلاثةُ نفرٍ قبل أن يوحى[2] إليه وهو نائمٌ في المسجد الحرامِ فقال أولُهم: أيُّهم هو؟ فقال أوسطُهم: هو خيرُهم، فقال آخرَهم: خذوا خيرَهم، فكانت تلك الليلةُ فلم يرَهم حتى أتوه ليلةً أخرى فيما يرَى قلبُه وتنامُ عينُه ولا ينامُ قلبُه.

وكذلك الأنبياءُ تنامُ أعينُهم ولا تنام قلوبُهم. فلم يكلّموه حتى احتملوه فوضعوه عند بئرِ زمزمَ فتولاه منهم جبريلُ فشق جبريلُ ما بين نحرِه إلى لبته حتى أفرغ من صدره وجَوفِه فغسله من ماء زمزمَ بيده حتى أنقى جوفَه.

ثم أتى بطَسْتٍ من ذهب فيه تورٌ من ذهب، محشو إيماناً وحكمةً، فحشا به صدرَه ولغاديدَه يعني عروقَ حلقِه ثم أطبقه.

ثم عرَج به إلى السماء الدنيا فضرب باباً من أبوابِها فناداه أهلُ السماء: من هذا؟ فقال: جبريلُ. قالوا: ومن معك؟ قال: محمدٌ. قال: وقد بُعث إليه؟ قال: نعم، قالوا: فمرحباً به وأهلاً، فيستبشرُ أهلُ السماء لا يعلمُ أهلُ السماء بما يريدُ اللَّهُ به في الأرض حتى نعلمهم.

فوجد في السماء الدنيا آدمَ فقال له جبريل: هذا أبوك فسلّم عليه، فسلَّم ورد عليه آدمُ وقال: مرحباً وأهلاً يا بُنيَّ، نعم الابنُ أنت، فإذا هو في السماء الدنيا بنهرين يَطّردان، فقال: **ما هذان النهرانِ يا جبريلُ؟** قال: هذا النيلُ والفراتُ.

ثم مضى به في السماء فإذا هو بنهر خرّ عليه قصرٌ من لؤلؤٍ وزَبَرْجَدٍ، فضربَ يده فإذا هو مسكٌ، **فقال: ما هذا يا جبريلُ؟** قال هذا الكوثرُ الذي خبأ لك ربُك.

---

(١) في صحيحه (١٣/ ٤٧٨ ـ ٤٧٩ رقم ٧٥١٧).

(٢) قال الحافظ في «الفتح» (١٣/ ٤٨٠): أنكرها الخطابي وابن حزم وعبد الحق والقاضي عياض والنووي وعبارة النووي: وقع في رواية شريك ـ يعني هذه ـ أوهام أنكرها العلماء أحدُها قولُه: «قبل أن يوحى إليه» وهو غلط لم يوافق عليه، وأجمع العلماء أن فرض الصلاة كان ليلة الإسراء فكيف يكون قبل الوحي.

* وردَّ الحافظ على ذلك القول في «الفتح» (١٣/ ٤٨٠).

ثم عرجَ إلى السماء الثانية فقالت الملائكةُ له مثل ما قالت له الأولى: مَن هذا؟ قال: جبريلُ، قالوا: ومن معك؟ قال: محمدٌ ﷺ، قالوا: وقد بُعث إليه؟ قال: نعم، قالوا: مرحباً به وأهلاً.

ثم عرَج به إلى السماء الثالثةِ وقالوا مثلَ ما قالت الأولى والثانيةُ. ثم عرَج به إلى الرابعة فقالوا مثلَ ذلك، ثم عرج به إلى السماء الخامسةِ فقالوا له مثلَ ذلك. ثم عرَج به إلى السادسةِ فقالوا له مثلَ ذلك، ثم عرج به إلى السماء السابعةِ فقالوا له مثلَ ذلك.

كلُّ سماءٍ فيها أنبياءُ قد سمّاهم فأوعيتُ منهم إدريسَ في الثانية وهارون في الرابعة، وآخرَ في الخامسة لم أحفَظ اسمه، وإبراهيمَ في السادسة وموسى في السابعة بتفضيل كلامِ الله.

فقال موسى: ربِّ لم أظنَّ أن يُرفعَ عليّ أحدٌ، ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلمه إلا اللّهُ تعالى حتى جاء سدرة المُنتهى ودنا الجبارُ ربُّ العزةِ فتدلى حتى كان منه قابَ قوسين أو أدنى، فأوحى اللّهُ فيما أوحى إليه خمسينَ صلاةً على أمتك كلَّ يومٍ وليلةٍ.

ثم هبطَ حتى بلغ موسى فاحتبسه موسى فقال: يا محمدُ ماذا عهِد إليك ربُك؟ قال: **عهِد إليّ خمسين صلاةً كلَّ يومٍ وليلة**. قال: إن أمتك لا تستطيع ذلك فارجِعْ فليخفِفْ عنك ربُك وعنهم، فالتفَت النبيُّ إلى جبريلَ كأنه يستشيره في ذلك، فأشار إليه جبريلُ أن نعم إن شِئت، فعلا به إلى الجبار فقال وهو مكانه: **يا ربِّ خففْ عنا فإن أمتي لا تستطيع هذا**، فوضع عنه عشرَ صلواتٍ.

ثم رجع إلى موسى فاحتبسَه فلم يزل يردِّدُه موسى إلى ربه حتى صارت إلى خمس صلواتٍ، ثم احتبسَه موسى عند الخمسِ فقال: يا محمدُ واللّهِ لقد راودتُ بني إسرائيلَ قومي على أدنى من هذا فضعُفوا فتركوه، فأمتُك أضعفُ أجساداً وقلوباً وأبداناً وأبصاراً وأسماعاً، فارجِعْ فليخففْ عنك ربُك، كلَّ ذلك يلتفت النبيُّ ﷺ إلى جبريلَ ليُشيرَ عليه ولا يكره ذلك جبريلُ، فرفعه عند الخامسةِ فقال: **يا ربِّ إن أمتي ضعفاءُ أجسامُهم وقلوبُهم وأسماعُهم وأبدانُهم فخفف عنا**.

فقال الجبارُ: **يا محمدُ**، قال: **لبيك وسعديك**، قال: **إنه لا يبدلُ القول**

لديَّ، كما فرضتُ عليك في أم الكتاب، قال: فكلُ حسنةٍ بعشرِ أمثالِها فهي خمسونَ في أمِّ الكتاب، وهي خمسٌ عليك.

فرجع إلى موسى فقال: كيف فعلتَ؟ فقال: خففَ عنا. أعطانا بكل حسنةٍ عشرَ أمثالِها، قال موسى: قد والله راودتُ بني إسرائيلَ على أدنى من ذلك فتركوه، ارجِع إلى ربك فليخففْ عنك أيضاً، قال رسولُ الله ﷺ: يا موسى قد والله استحييتُ من ربي مما اختلفتُ إليه. قال: فاهبِط باسمِ الله. قال: واستيقظ وهو في المسجد الحرام.

ورواه مسلمٌ[1] بعد حديثِ ثابتٍ البنانيِّ أصْلِه، وقال: نحوَ حديثِ ثابتٍ البنانيِّ وقدم فيه شيئاً وأخّر وزاد ونقص، وهذا السياقُ روايتُه لحديث ثابتٍ قال: رحمه الله تعالى: حدثنا شيبانُ بنُ فرُّوخَ حدثنا حمادُ بنُ سلمةَ حدثنا ثابتٌ البنانيُّ عن أنس بن مالكٍ رضي الله عنه أن رسولَ اللّهِ ﷺ قال: «أُتيتُ بالبُراقِ وهو دابةٌ أبيضُ طويلٌ فوق الحمارِ ودون البغلِ، يضع حافرَه عند مُنتهى طرْفِه، قال: فركبتُه حتى أتيتُ بيتَ المقدسِ. قال: فربطتُه بالحلقة التي يَربِطُ الأنبياءُ. قال: ثم دخلتُ المسجدَ فصليتُ فيه ركعتين ثم خرجتُ، فجاءني جبريلُ عليه السلام بإناء من خمر وإناءٍ من لبن فاخترتُ اللبنَ، فقال: جبريلُ عليه السلامُ: اخترتَ الفِطرةَ. ثم عرج بنا إلى السماء فاستفتح جبريلُ فقيل: من أنت؟ قال: جبريلُ، قيل: ومن معك؟ قال: محمد. قيل: وقد بُعث إليه؟ قال: قد بُعث إليه، ففتح لنا فإذا أنا بآدمَ فرّحب بي ودعا لي بخير.

ثم عرج بنا إلى السماء الثانيةِ فاستفتح جبريلُ عليه السلام، فقيل: من أنت؟ قال: جبريلُ، قيل: ومن معك؟ قال: محمد ﷺ، قيل: وقد بُعث إليه؟ قال: قد بُعث إليه. ففُتح لنا فإذا أنا بِابنَيِ الخالةِ عيسى بنِ مريمَ ويحيى بنِ زكريا صلواتُ الله عليهما وسلامه، فرحبا ودَعَوا لي بخير.

ثم عرَج بي إلى السماء الثالثةِ فاستفتح جبريلُ فقيل: من أنت؟ قال: جبريلُ. قيل: ومن معك؟ قال: محمدٌ ﷺ، قيل: وقد بُعث إليه؟ قال: قد بُعث إليه.

---

(١) في صحيحه (١/ ١٤٥ ـ ١٤٧ رقم ٢٥٩/ ١٦٢).

ففتح لنا فإذا أنا بيوسفَ عليه السلام إذ هو قد أُعطِيَ شطرَ الحُسنِ، فرحب ودعا لي بخير.

ثم عرج بنا إلى السماء الرابعةِ فاستفتحَ جبريلُ عليه السلامُ، قيل: من هذا؟ قال: جبريلُ، قيل: ومن معك؟ قال: محمدٌ ﷺ. قال: وقد بُعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففتح البابُ فإذا أنا بإدريسَ عليه السلام فرحب ودعا لي بخير، قال اللَّهُ عز وجل: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم: ٥٧].

ثم عرج بنا إلى السماء الخامسةِ فاستفتح جبريلُ، قيل: من هذا؟ قال: جبريلُ، قيل: ومن معك؟ قال: محمدٌ ﷺ، قيل: وقد بعث إليه؟ قال: قد بُعث إليه، ففُتح لنا فإذا أنا بهارونَ ﷺ، فرحب ودعا لي بخير.

ثم عرج بنا إلى السماء السادسةِ فاستفتح جبريلُ عليه السلامُ، قيل: من هذا؟ قال: جبريلُ. قيل: ومن معك؟ قال: محمدٌ ﷺ، قيل: وقد بُعث إليه؟ قال: قد بُعث إليه، ففتح لنا فإذا بموسى ﷺ فرحب بي ودعا لي بخير.

ثم عرج بنا إلى السماء السابعةِ، فاستفتح جبريلُ فقيل: من هذا؟ قال: جبريلُ، قيل: ومن معك؟ قال: محمدٌ ﷺ، قيل: وقد بُعث إليه؟ قال: قد بعث إليه، ففُتح لنا فإذا أنا بإبراهيمَ ﷺ مُسنداً ظهرَه إلى البيت المعمورِ، وإذا هو يدخُله كلَّ يوم سبعونَ ألف ملكٍ ثم لا يعودون إليه.

ثم ذهب بي إلى سِدرة المنتهى، وإذا ورقُها كآذان الفِيَلةِ، وإذا ثمرُها كالقِلال، قال: فلما غشِيَها من أمر الله ما غشِيَ تغيّرتْ فما أحدٌ من خلقِ اللَّهِ يستطيعُ أن ينعتها من حُسنِها، فأوحى اللَّهُ إليَّ ما أوحى، ففرض عليَّ خمسينَ صلاةً في كل يوم وليلة، فنزلتُ إلى موسى ﷺ فقال: ما فرضَ ربُك على أمتك؟ قلت: خمسينَ صلاةً، قال: ارجِعْ إلى ربك فاسأله التخفيفَ فإن أمَتك لا يُطيقون ذلك، فإني قد بلوتُ بني إسرائيلَ وخَبَرتُهم.

قال: فرجعتُ إلى ربي فقلتُ: يا ربِّ خففْ عن أمتي، فحطَّ عني خمساً، فرجعتُ إلى موسى فقلتُ: حطَّ عني خمساً، قال: إن أمتَك لا تُطيق ذلك، فارجِعْ إلى ربِّك فاسأله التخفيفَ.

قال: فلم أزل ارجِعُ بين ربي تبارك وتعالى وبين موسى عليه السلام حتى

قال: يا محمدُ إنهن خمسُ صلواتٍ كلَّ يومٍ وليلةٍ، لكل صلاةٍ عشرٌ فذلك خمسون صلاةً، ومن همَّ بحسنة فلم يعملها كُتبتْ له حسنةً، فإن عملِها كُتبتْ له عشراً، ومن همَّ بسيئة فلم يعملْها لم تكتب شيئاً، فإن عمِلها كتبتْ سيئةً واحدةً.

قال: فنزلتُ حتى انتهيتُ إلى موسى ﷺ فأخبرتُه، فقال: ارجِعْ إلى ربك فاسأله التخفيف، فقال رسولُ الله ﷺ: فقلتُ قد رجعتُ إلى ربي حتى استحييتُ منه.

وقال البخاريُّ[1] رحمه الله تعالى: بابُ كيف فُرِضتْ الصلاةُ في الإسراء: حدثنا يحيى بنُ بَكيرٍ قال: حدثنا الليثُ عن يونسَ عن ابن شهابٍ عن أنس بنِ مالكٍ رضي الله عنه قال: كان أبو ذرٍّ رضي الله عنه يحدّث أن رسولَ اللّهِ ﷺ قال: «فُرِجَ عن سقف بيتي وأنا بمكةَ، فنزل جبريلُ ففرَج صدري ثم غسله بماء زمزمَ، ثم جاء بطَسْتٍ من ذهب مُلئ حكمةً وإيماناً فأفرغه في صدري، ثم أطبقه، ثم أخذ بيدي فخرج بي إلى السماء الدنيا، فلما جئتُ السماء الدنيا قال: جبريلُ لخازن السماءِ: افتح، قال: من هذا؟ قال: جبريلُ، قال: هل معك أحد قال: نعم معي محمدٌ ﷺ، فقال: أُرسل إليه؟ قال: نعم. فلما فتح علونا السماءَ الدنيا فإذا رجلٌ قاعدٌ على يمينه أَسْوِدةٌ وعلى يساره أسودة، إذا نظر قِبَلَ يمينِه ضحِك، وإذا نظر قِبلَ يسارِه بكى، فقال: مرحباً بالنبي الصالحِ والابنِ الصالحِ، قلتُ لجبريلَ: من هذا؟ قال: هذا آدمُ، وهذه الأسوِدةُ عن يمينه وشِمالِه ذُريته.

فأهلُ اليمينِ منهم أهلُ الجنةِ والأسودةُ التي عن شمالِه أهلُ النارِ، فإذا نظر عن يمينه ضحِك وإذا نظر قِبل شمالِه بكَى، حتى عرج بي إلى السماء الثانية فقال لخازِنها: افتح، فقال له خازنُها مثلَ ما قال: الأولُ، ففتح.

قال أنسٌ: فذكرَ أنه وجد في السمواتِ آدمَ وإدريسَ وموسى وعيسى وإبراهيمَ صلواتُ الله وسلامُه عليهم، ولم يُثبتْ كيف منازلُهم غير أنه ذكر أنه وجد آدمَ في السماء الدنيا وإبراهيمَ في السماء السادسةِ.

---

(١) في صحيحه (١/٤٥٨ ـ ٤٥٩ رقم ٣٤٩) وطرفاه رقم (١٦٣٦) و (٣٣٤٢).

قلت: وأخرجه مسلم في صحيحه (١/١٤٨ ـ ١٤٩ رقم ٢٦٣/١٦٣).

قال أنس: فلما مر جبريلُ بالنبيِّ ﷺ بإدريسَ قال: مرحباً بالنبي الصالحِ والأخِ الصالحِ، فقلتُ: من هذا؟ قال: هذا إدريسُ، ثم مررتُ بموسى فقال: مرحباً بالنبي الصالحِ والأخِ الصالحِ، قلت: من هذا؟ قال: هذا موسى، ثم مررتُ بعيسى فقال: مرحباً بالنبي الصالحِ والأخِ الصالحِ، قلتُ: من هذا؟ قال: هذا عيسى، ثم مررتُ بإبراهيمَ فقال: مرحباً بالنبي الصالحِ والابنِ الصالحِ، قلت: من هذا؟ قال: هذا إبراهيمُ ﷺ».

قال ابنُ شهابٍ[١]: فأخبرني ابنُ حزمٍ أن ابنَ عباسٍ وأبا حَبّةَ الأنصاريَّ كانا يقولانِ: قال النبيُّ ﷺ: «ثم عُرج بي حتى ظهرتُ لمستوىً أسمعُ فيه صريفَ الأقلامِ»[٢].

قال: ابنُ حزم وأنس بنُ مالك قال النبي ﷺ: «فرض اللّهُ على أمتي خمسين صلاةً، فرجعتُ بذلك حتى مررتُ على موسى فقال: ما فَرَض اللّهُ لك على أمتك؟ قلت: فرضَ خمسين صلاةً، قال: فارجِعْ إلى ربك فإن أمتَك لا تُطيق ذلك، فراجعتُ فوضع عني شطرَها، فرجعتُ إليه فقال: ارجِع إلى ربك فإن أمتَك لا تُطيق ذلك، فراجعتُه فقال: هي خمسٌ وهي خمسون، لا يبدّل القول لديَّ، فرجعتُ إلى موسى فقال: راجِعْ ربَّك، فقلتُ: استحْييتُ من ربي.

ثم انطلق بي حتى انتهى بي إلى سِدرةَ المنتهى، وغشِيها ألوانٌ لا أدري ما هي.

ثم أُدخلتُ الجنةَ فإذا فيها جبالُ اللؤلؤِ، وإذا ترابُها المِسكُ». وافقه عليه مسلمٌ رحمه الله تعالى.

وله[٣] عن مُرّةَ عن عبد الله قال: لما أُسْريَ برسول الله ﷺ انتُهيَ به إلى سِدرةِ المُنتهى وهي في السماء السادسةِ، إليها ينتهي ما يُعرَجُ به من الأرض فيُقبض

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (١/ ١٤٩) بعد الحديث رقم (٢٦٣/ ١٦٣).

(٢) (صريف الأقلام) تصويتها حال الكتابة.
قال الخطابيّ: هو صوت ما تكتبه الملائكةُ من أقضية الله تعالى ووحيه ينسخونه من اللوح المحفوظ.

(٣) لمسلم في صحيحه (١/ ١٥٧ رقم ٢٧٩/ ١٧٣).

منها، وإليها ينتهي ما يُهبَطُ به من فوقها فيُقبض منها، قال: ﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ﴾ [النجم: ١٦]. قال: فراشٌ من ذهب.

قال: فأُعطيَ رسولُ الله ﷺ ثلاثاً: أعطي الصلواتِ الخمسَ، وأعطيَ خواتيمَ سورةِ البقرةِ وغُفر ـ لمن لم يشركْ بالله من أمته شيئاً ـ المُقْحِماتُ[1].

وله[2] عن أبي هريرةَ ﷺ قال: قال رسولُ اللّهِ ﷺ: «**لقد رأيتُني في الحِجْرِ وقريشٌ تسألني عن مسْراي فسألتني عن أشياءَ من بيت المقدس لم أُثبِتْها، فكُرِبْتُ كُربةً ما كُربت مثلَها قطُّ**، قال: **فرفعه الله لي أنظر إليه: ما يسألوني عن شيء إلا أنبأتهم**». الحديث.

وهذا الذي ذكرنا من حديث أنسٍ وجابرٍ ومالكِ بنِ صعصعةَ وأبي ذرٍ وابنِ مسعودٍ وأبي هريرةَ وابنِ عباسٍ وأبي حَبةَ هي من أصح ما ورد وأقواه وأجودِه وأسندِه وأشهرِه وأظهرِه لاتفاق الشيخين على إخراجهما، وعن هؤلاء رواياتٌ أُخَرُ لم نذكُرها استغناءً عنها بما في الصحيحين.

وفي الباب أحاديثُ أُخَرُ عن جماعة من الصحابة منهم مَن لم نذكر: عمرُ بنُ الخطابِ وعليٌّ وأبو سعيدٍ وشدّادُ بنُ أوسٍ وأُبيُّ بنُ كعبٍ وعبدُ الرحمنِ بنُ قَرَظٍ وأبو ليلى وعبدُ الله بنُ عمرٍو وحذيفةُ وبُريدةُ وأبو أيوبَ وأبو أمامةَ وسَمُرةَ بنُ جُندبٍ وأبو الحَمَأ وصُهيبٌ الروميُّ وأمُّ هانئٍ وعائشةُ وأسماءُ ابنتا أبي بكرٍ ﷺ أجمعين.

ثم الذي دلت عليه الآياتُ والأحاديثُ أن الإسراءَ والمعراجَ كانا يقظةً لا مناماً، ولا ينافي ذلك ما ذُكر في بعض الرواياتِ في قوله ﷺ: «**بينما أنا نائمٌ**»[3]، فإن ذلك عند أولِ ما أتياه ولا يدُل على أنه استمر نائماً.

---

(١) (المقحمات): معناه الذنوب العظام الكبائر التي تهلك أصحابها وتوردهم النار وتقحمهم إياها.
والتقحم: الوقوع في المهالك. ومعنى الكلام: من مات من هذه الأمة غير مشرك بالله غفر له المقحمات.

(٢) لمسلم في صحيحه (١/ ١٥٦ ـ ١٥٧ رقم ٢٧٨/ ١٧٢).

(٣) تقدم التعليق عليه. وانظر «فتح الباري» (١٣/ ٤٨٠ ـ ٤٨٥).

ولذا كانت رؤيا الأنبياء وحياً، ولكن في سياق الأحاديثِ من ركوبه ونزولِه وربطِه، وصلاتِه، وصعودِه وهبوطِه، وغير ذلك مما يدل على أنه أُسريَ بروحه وجسدِه يقظةً لا مناماً.

وكذا لا ينافي ذلك روايةُ شريكٍ: «**فاستيقظتُ وأنا بالمسجد الحرام**»[1]، فإن روايةَ شريكٍ فيها أوهامٌ كثيرةٌ تخالف روايةَ الجمهورِ عن أنس في أكثرَ من عشرةِ مواضعَ سَرَدها في الفتح، وسياقه يدل على أنه بالمعنى، وصرّح في مواضع كثيرةٍ أنه لم يثبت، وتصريحُ الآيةِ: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ١]. شاملٌ للروح والجسدِ، وكذلك قولُه تعالى في سورة النجم: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾﴾ [النجم]، جَعل رؤيةَ النبيِّ ﷺ لجبريلَ عند سدرةِ المنتهى مقابلاً لرؤيتِه إياه في الأبطح، وهي رؤيةُ عينٍ حقيقةً لا مناماً.

ولو كان الإسراءُ والمعراجُ بروحه في المنام لم تكن معجزةً ولا كان لتكذيب قريشٍ بها وقولِهم: كنا نضرِب أكبادَ الإبلِ إلى بيت المقدسِ شهراً ذهاباً وشهراً إياباً، ومحمدٌ يزعم أنه أُسريَ به إليه وأصبح فينا، إلى آخر تكذيبهم واستهزائِهم به ﷺ.

لو كان ذلك رؤيا مناماً لم يستبعدوه ولم يكن لردهم عليه معنىً، لأن الإنسانَ قد يرى في منامه ما هو أبعدُ من بيت المقدِس ولا يكذبه أحدٌ استبعاداً لرؤياه، وإنما قصّ عليهم رسولُ اللّهِ ﷺ مسْرىً حقيقةً يقظةً لا مناماً فكذبوه واستهزءوا به استبعاداً لذلك واستعظاماً له، مع نوع مكابرةٍ لقلة علمِهم بقدرة اللّهِ عز وجل وأن الله يفعل ما يريد.

ولهذا لما قالوا:[2] للصدّيق وأخبروه الخبرَ قال: إن كان قال: ذلك لقد صدق. قالوا وتصدّقه بذلك؟ قال: نعم، إني لأُصدّقه فيما هو أبعدُ من ذلك، في خبر السماء يأتيه بُكرةً وعشياً أو كما قال.

---

(١) تقدم التعليق عليه. وانظر «فتح الباري» (١٣/ ٤٨٠ ـ ٤٨٥).

(٢) انظر: سيرة ابن هشام (٢/ ٤٤ ـ ٤٥) فقد أخرجه ابن إسحاق معلقاً.

فالحديث ضعيف.

[هل رأى النبي ﷺ ربه ليلة المعراج]

واختلف السلفُ الصالحُ هل رأى نبيُّنا محمدٌ ﷺ ربَّه ليلةَ المعراجِ؟ فروى ابنُ خزيمةَ[1] وغيرُه[2] عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: أتعجبون أن تكونَ الخُلَّةُ لإبراهيمَ، والكلامُ لموسى، والرؤيةُ لمحمد ﷺ؟

وعن عكرمةَ[3] قال: سمعتُ ابن عباس وسُئل هل رأى محمدٌ ﷺ ربَّه؟ قال: نعم. قال: فقلت لابن عباس: أليس يقول الله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ﴾ [الأنعام: ١٠٣] قال: لا أمَّ لك، ذلك نورُه إذا تجلى بنوره لم يدركه شيءٌ.

ورُويَ عنه من طرق لا تُحصى كثرة قال: رأى محمدٌ ﷺ ربه. وعنه[4]: رآه

---

(١) في «التوحيد» (٢/ ٤٧٩ رقم ١/ ٢٧٢).

(٢) كابن أبي عاصم في «السنة» (١/ ١٩٢ رقم ٤٤٢).
وقال الألباني: **إسناده صحيح على شرط البخاري.**
وعبد الله بن أحمد في «السنة» (١/ ٢٩٩ رقم ٥٧٩) **بسند صحيح.**
والحاكم في «المستدرك» (١/ ٦٥) وقال: **هذا حديث صحيح على شرط البخاري** ووافقه الذهبي.
والنسائي في «السنن الكبرى» (٦/ ٤٧٢ رقم ١١٥٣٩/ ٥).

(٣) أخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» (٢/ ٤٨١ رقم ٢/ ٢٧٣).
وابن أبي عاصم في «السنة» (١/ ١٩٠ رقم ٤٣٧).
وقال الألباني في «ظلال الجنة» (١/ ١٩٠) **إسناده ضعيف**، ورجاله ثقات، لكن الحكم بن أبان فيه ضعف من قبل حفظه. وسلم هو ابن جعفر. ومحمد بن أبي صفوان هو ابن عثمان بن أبي صفوان نسب إلى جده وهو ثقة توفي سنة (٢٥٠).
وأخرجه الترمذي في «السنن» (٥/ ٣٩٥ رقم ٣٢٧٩) وقال: **هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.**
وابن أبي حاتم في تفسيره (٤/ ١٣٦٣ رقم ٧٧٣٨).
وهو حديث ضعيف.

(٤) أخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» (٢/ ٤٨٣ رقم ٤/ ٢٧٥) **إسناده ضعيف.**
وفيه محمد بن عيسى مقبول وسلمة بن الفضل. وهو صدوق له أوهام ومحمد بن إسحاق صدوق يرسل، وقد عنعن.
وابن أبي عاصم في «السنة» (١/ ١٨٩ رقم ٤٣٥) من طريق محمد بن الصباح عن إسماعيل بن زكريا عن عاصم، عن الشعبي عن عكرمة عن ابن عباس. =

بقلبه. وفي رواية: رآه بفؤادِه مرتين، رواه مسلمٌ[1] وغيرُه[2].

وله[3] عن أبي ذرٍ قال: سألتُ رسولَ الله ﷺ هل رأيتَ ربَّك؟ قال: **«نورٌ أنّى أراه؟»**. وفي رواية[4] قال: **«رأيتُ نوراً»**.

قال: ابنُ خزيمة[5] في قوله: **«نورٌ أنى أراه»**: هذا يحتمل معنيين على سَعةِ لسانِ العربِ:

أحدُهما: الإثباتُ ومعناه أنى أراه، أو كيف أراه فهو نورٌ، أو فإن ما أرى نورٌ. ويؤيد هذا روايةُ: **«رأيتُ نوراً»**.

المعنى الثاني: النفيُ، قال: والعربُ قد تقول: «أنى» على معنى النفي كقوله عز وجل: ﴿قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا﴾ [البقرة: ٢٤٧]. الآية.

يريدون كيف يكون له الملكُ علينا ونحن أحقُّ بالملك منه. ثم رُويَ عن أبي ذر[6] قال: رآه بقلبه ولم يرَه بعينِه.

وله[7] عن عبّادِ بنِ منصور قال: سألتُ الحسنَ فقلت: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾

= قال الألباني في «ظلال الجنة» (١/ ١٨٩) **إسناده صحيح موقوف** وهو على شرط البخاري.
ومن طريق ابن أبي عاصم أخرجه الحاكم في «المستدرك» (١/ ٦٥).

(١) في صحيحه (١/ ١٥٨ رقم ٢٨٤/ ١٧٦).

(٢) كالترمذي في «السنن» (٥/ ٣٩٦ رقم ٣٢٨١) وقال: **هذا حديث حسن**.
وابن أبي عاصم في «السنة» (١/ ١٩١ رقم ٤٣٩). **وهو حديث صحيح**.

(٣) أي مسلم: في صحيحه (١/ ١٦١ رقم ١٧٨).
وابن خزيمة في «التوحيد» (٢/ ٥١٠ رقم ٤١/ ٣٠٥).
والترمذي في «السنن» (٥/ ٣٩٦ رقم ٣٢٨٢) وقال: **هذا حديث حسن**.
وأحمد (٥/ ١٥٧ و ١٧١ و ١٧٥) من طرق.
وابن أبي عاصم في «السنة» (١/ ١٩٢ رقم ٤٤١).
وقال الألباني في «ظلال الجنة» (١/ ١٩٢) **إسناده صحيح** رجاله كلهم ثقات على شرط البخاري غير عبد الله بن سقيف وهو العقيلي فهو على شرط مسلم. **وهو حديث صحيح**.

(٤) أخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» (٢/ ٥١٢ ـ ٥١٣ رقم ٤٣/ ٣٠٧).
وانظر بسط المسألة في: «مختصر الصواعق» لابن قيم الجوزية (٢/ ١٨٩ ـ ١٩٠).

(٥) في «التوحيد» (٢/ ٥١٤ ـ ٥١٥).

(٦) أخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» (٢/ ٥١٦ رقم...) **بسند صحيح**.

(٧) أخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» (٢/ ٥٢٩ رقم ٥٢/ ٣١٦).

[النجم: ٨]، من ذا يا أبا سعيد؟ قال: ربي.

وله[1] عن المبارك بنِ فضالةَ قال: كان الحسنُ يحلِف بالله لقد رأى محمدٌ ﷺ ربَّه.

وله[2] عن كعب قال: إن الله قسمَ رؤيتَه وكلامَه بين موسى ومحمدٍ صلواتُ الله عليهما فرآه محمدٌ مرتين وكلم موسى مرتين.

وروى ابنُ أبي حاتم[3] عن عباد بنِ منصورٍ قال: سألتُ عكرِمةَ عن قوله: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ⑪﴾ [النجم].

فقال عكرمةُ: تريد أن أُخبركَ أنه قد رآه؟ قلت: نعم. قال: قد رآه، ثم قد رآه.

وروى ابنُ جريرٍ[4] عن محمد بن كعبٍ عن بعضِ أصحابِ النبيِّ ﷺ قال: قلنا يا رسولَ اللهِ هل رأيتَ ربَّك؟ قال: **«لم أره بعيني، ورأيتُه بفؤادي مرتين»**، ثم تلا: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾ [النجم: ٨].

وقال البغويُّ[5]: وذهب جماعةٌ إلى أنه رآه بعينه، وهو أنسٌ والحسنُ وعكرمةُ قالوا: رأى محمدٌ ربَّه، قال ابنُ كثيرٍ[6]: وقولُ البغويِّ فيه نظرٌ.

وروى البخاريُّ[7] ومسلمٌ[8] عن مسروق قال: قلت لعائشةَ رضي الله عنها: يا أمّتاه هل رأى محمدٌ ﷺ ربَّه؟ فقالت: لقد قفّ شعري مما قلتَ، أين أنت مِن ثلاثٍ:

---

(١) أخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» (٢/ ٤٨٨ رقم ١٠/ ٢٨١).

(٢) أخرجه ابن خزيمة في «التوحيد» (٢/ ٤٩٦ رقم ٢١/ ...) بسند حسن.
والترمذي في «السنن» (٥/ ٣٩٤ رقم ٣٢٧٨) والدارقطني في «الرؤية» (ص١٦٤ - ١٦٥ رقم ٢٥١).

(٣) في تفسيره (١٠/ ٣٣١٨ رقم ١٨٦٩٧).

(٤) في «جامع البيان» (١٣/ ج٢٧/ ٤٨).
وأورده ابن كثير في تفسيره (٤/ ٢٦٧).

(٥) في «معالم التنزيل» (٧/ ٤٠٢).

(٦) في تفسيره (٤/ ٢٦٧).

(٧) في صحيحه (٨/ ٦٠٦ رقم ٤٨٥٥).

(٨) في صحيحه (١/ ١٥٩ رقم ٢٨٧/ ١٧٧).

من حدّثكهن فقد كذب: من حدثك أن محمداً ﷺ رأى ربَّه فقد كذب - ثم قرأت: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ﴾ [الشورى: ٥١] - ومن حدثك أنه يعلم ما في غد فقد كذب - ثم قرأت: ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ﴾ [لقمان: ٣٤] - ومن حدثك أنه كتمَ فقد كذب - ثم قرأت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ﴾ [المائدة: ٦٧] الآية، ولكنه رأى جبريلَ عليه السلام في صورته مرتين.

هذا لفظُ البخاريِّ(١)، ولفظُ مسلم(٢) عن مسروق قال: كنت متكئاً عند عائشةَ ﵂ فقالت: «يا أبا عائشٍ ثلاثٌ من تكلم بواحدة منهن فقد أعظمَ على الله الفريةَ، قلت: ما هن؟ قالت: من زعم أن محمداً ﷺ رأى ربَّه فقد أعظم على الله الفرية». قال: وكنت متكئاً فجلستُ فقلتُ: يا أمَّ المؤمنين أَنظِريني ولا تُعجليني، ألم يقُل اللَّهُ عز وجل: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ﴾ [التكوير: ٢٣] ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ [النجم: ١٣]؟

فقالت: أنا أولُ هذه الأمةِ سأل عن ذلك رسولَ الله ﷺ فقال: إنما هو جبريلُ لم أرَه على صورتِه التي خُلق عليها غيرَ هاتين المرتين، منهبطاً من السماء سادًا أعظمُ خلقِه ما بين السماء إلى الأرض. فقالت: أوَ لم تسمعْ أن اللَّهَ يقول: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣].

أوَ لم تسمعْ أن الله يقول: ﴿۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ﴾ [الشورى: ٥١].

قالت: ومن زعم أن رسولَ اللَّهِ ﷺ كتم شيئاً من كتاب اللَّهِ فقد أعظَمَ على الله الفريةَ، واللَّهُ يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ﴾ [المائدة: ٦٧].

قالت: ومن زعم أنه يخبر بما يكون في غد فقد أعظم على الله الفريةَ، والله يقول: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ﴾ [النمل: ٦٥].

---

(١) في صحيحه (٨/٦٠٦ رقم ٤٨٥٥).

(٢) في صحيحه (١/١٥٩ رقم ٢٨٧/١٧٧).

وزاد في رواية[1] قالت: ولو كان محمدٌ ﷺ كاتماً شيئاً مما أُنزل إليه لكتم هذه الآية: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾ [الأحزاب: ٣٧].

وعن أبي هريرةَ[2] وابنِ مسعودٍ[3] في آيةِ النجمِ مثلُ قولِ عائشةَ.

قال أبو بكرِ بنُ خزيمةَ[4] رحمه الله في قول عائشةَ رضي الله عنها: «فقد أعظمَ على الله الفريةَ»[5] قال: هذه لفظةٌ أحسَب عائشةَ تكلمت بها في وقت غضبٍ كانت لفظةٌ أحسنُ منها يكون فيها دَرْكٌ لبُغْيتِها، كان أجملَ بها، ليس يحسنُ في اللفظ أن يقول قائلٌ أو قائلةٌ قد أعظمَ ابنُ عباسٍ الفريةَ وأبو ذرٍ وأنسُ بنُ مالكٍ وجماعاتٌ من الناسِ الفريةَ على ربهم.

ولكن قد يتكلمُ المرءُ عند الغضبِ باللفظةِ التي يكون غيرُها أحسنَ وأجملَ منها، أكثرُ ما في هذا أن عائشةَ رضي الله عنها وأبا ذرٍ وابنَ عباسٍ رضي الله عنهما وأنسَ بنَ مالكٍ رضي الله عنه قد اختلفوا: هل رأى النبيُّ ﷺ ربَّه؟ فقالت عائشةُ رضي الله عنها: لم يرَ النبيُّ ﷺ ربَّه. وقال أبو ذر وابنُ عباس رضي الله عنهما قد رأى النبيُّ ﷺ ربه.

وقد أعلمتُ في مواضعَ من كتبنا أن النفيَ لا يوجب علْماً، والإثباتُ هو الذي يوجب العلمَ، لم تحْكِ عائشةُ عن النبيِّ ﷺ أنه أخبرها أنه لم يرَ ربَّه عز وجل، وإنما تلتْ قولَه عز وجل: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، وقولَه: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا﴾ [الشورى: ٥١].

---

(١) أي مسلم في صحيحه (١/ ١٦٠ رقم ٢٨٨/ ١٧٧).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (١/ ١٥٨ رقم ٢٨٣/ ١٧٥).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه (١/ ١٥٨ رقم ٢٨٠/ ١٧٤).
وأحمد في «المسند» (١/ ٤٦٠) **بسند صحيح**.
وأورده ابن كثير في تفسيره (٤/ ٢٦٩) وقال: **إسناده جيد**.
وأخرجه أحمد في «المسند» (١/ ٤٠٧) من طريق أخرى عن مسعود مرفوعاً بلفظ: «**رأيتُ جبريلَ على سدرة المنتهى، وله ستمائة جناح**».
أورده ابن كثير في تفسيره (٤/ ٢٦٩) وقال: **هذا أيضاً إسناد جيد**.

(٤) في «التوحيد» (٢/ ٥٥٦ ـ ٥٦٠).

(٥) تقدم تخريجه.

ومن تدبر هاتين الآيتين ووُفّق لإدراك الصوابِ علم أنه ليس في واحدة من الآيتين ما يستحق من قال إن محمداً رأى ربَّه الرميَ بالفريةِ على الله، كيف بأن يقول قد أعظمَ الفريةَ على الله.

ثم قال[1] رحمه الله تعالى: فقد ثبت عن ابن عباس إثباتُه أن النبيَّ ﷺ قد رأى ربَّه[2]، وبيقين يعلم كلُ عالم أن هذا ليس من الجنس الذي يُدرك بالعقول والآراءِ والجَنان والظنون، ولا يُدرك مثلُ هذا العلمِ إلا من طريق النبوّة إما بكتاب أو بقول نبيٍّ مُصْطفىً.

ولا أظنُّ أحداً من أهلِ العلم يتوهم أن ابنَ عباسٍ قال رأى النبيُّ ﷺ ربَّه برأي ولا ظنٍّ، لا، ولا أبو ذرٍ ولا أنسُ بنُ مالك.

نقول كما قال مَعمرُ بنُ راشدٍ لما ذكر اختلافَ عائشةَ رضي الله عنها وابنِ عباس في هذه المسألة: ما عائشةُ عندنا أعلمَ من ابن عباس.

نقول عائشةُ الصديقةُ بنتُ الصديقِ حبيبةُ حبيبِ الله عالمةٌ فقيهةٌ، كذلك ابنُ عباس رضي الله عنهما ابنُ عمِّ النبيِّ ﷺ قد دعا[3] النبيُّ ﷺ له أن يُرزقَ الحكمةَ والعلمَ.

وهذا المعنى من الدعاء وهو المسمَّى تَرجمانُ القرآن[4]، وقد كان الفاروقُ رضي الله عنه يسأله عن معاني القرآن فيقبَلُ منه وإن خالفَه غيره ممن هو أكبرُ سناً

---

(١) أي ابن خزيمة في «التوحيد» (٢/ ٥٥٩).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) يشير إلى الحديث الذي أخرجه البخاري في صحيحه (٨/ ١٠٠ رقم ٣٧٥٦) عن ابن عباس قال: «ضمني النبي ﷺ إلى صدره وقال: **اللهم علّمه الحكمةَ**».
وفي لفظ: «**اللهم علّمه الكتاب**».

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٢/ ١١١ رقم ١٢٢٦٩) والحاكم في «المستدرك» (٣/ ٥٣٧) من طريق أبي معاوية عن الأعمش.
وقال الحاكم: **هذا حديث صحيح على شرط الشيخين** ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.
وابن سعد في الطبقات (٢/ ٣٦٦) من طرق عن عبد الله بن مسعود.
* وأخرجه الطبراني في الكبير (١١/ ٨٠ رقم ١١١٠٨).
وأورده الهيثمي في «المجمع» (٩/ ٢٧٦) وقال: «رواه الطبراني وفيه عبد الله بن خراش وهو ضعيف» عن مجاهد عن ابن عباس قال: «دعا لي رسولُ الله ﷺ فقال: **«نعم الترجمان أنت»**.

منه وأقدمُ صحبةً للنبيِّ ﷺ، وإذا اختلفا فمُحالٌ أن يقال قد أعظم ابنُ عباس الفريةَ على الله لأنه قد أثبت شيئاً نفتْه عائشةُ رضي الله عنها.

والعلماءُ لا يُطلقون هذه اللفظةَ، وإن غلِطَ بعضُ العلماء في معنى الآية من كتابِ اللَّهِ عز وجل أو خالف سنةً أو سنناً من سنن النبيِّ ﷺ لم تبلُغ المرءَ تلك السننُ، فكيف يجوز أن يقال أعظمَ الفريةَ على الله من أثبت شيئاً لم ينْفه كتابٌ ولا سنةٌ، فتفهموا هذا لا تغالطوا.

ثم قال[1] رحمه الله تعالى: وقد كنت قديماً أقول إن عائشةَ حكت عن النبيِّ ﷺ ما كانت تعتقد في هذه المسألةِ أن النبيَّ ﷺ لم يرَ ربَّه جل وعلا وأن النبيَّ ﷺ أعلمها بذلك.

وذكر ابنُ عباس رضي الله عنهما وأنسُ بنُ مالكٍ وأبو ذرٍ رضي الله عنهم عن النبيِّ ﷺ أنه رأى ربَّه لعلم كلِّ عالمٍ يفهم هذه الصناعةَ أن الواجبَ من طريق العلمِ والفقهِ قبولُ قولِ من رَوى عن النبيِّ ﷺ أنه رأى ربَّه.

إذ جائزٌ أن تكونَ عائشةُ رضي الله عنها سمعت النبيَّ ﷺ يقول: لم أرَ ربي قبل أن يرى ربَّه عز وجل، ثم يسمعُ غيرُها أن النبيَّ ﷺ يخبر أنه قد رأى ربَّه بعد رؤيتِه ربَّه، فيكون الواجبُ من طريق العلمِ قَبولِ خبرِ من أخبرَ أن النبيَّ ﷺ رأى ربَّه. انتهى كلامُه[1] رحمه الله.

حديثُ الهجرةِ

(وبـعـد أعـوامٍ ثـلاثـةٍ مـضـت	من بعد معراجِ النبيِّ وانقضتْ)
(أُوذِنَ بـالـهـجـرةِ نـحـوَ يـثـربـا	مـعْ كـلِ مـسـلـمٍ لـه قـد صَـحِـبـا)

(**وبعد أعوام ثلاثةٍ**) وقيل خمسةٍ، وقيلَ أقلَّ من ذلك وقيل أكثرَ، وهذا الذي في المتْنِ هو اختيارُ الشيخ محمدِ بنِ عبدِ الوهّابِ رحمه الله تعالى في الثلاثة الأصولِ[2]، وله فيه سلفٌ، وليست مسألةُ التاريخ اعتقاديةً في هذا الباب، والإسراءُ والمعراجُ ثابتٌ بالكتابِ والسنةِ وإجماعِ الأمةِ فلا تأثيرَ لاختلاف أهلِ السِيَرِ في تاريخه، وتعيينِ سنَتِه ووقتِه.

---

(١) ابن خزيمة في «التوحيد» (٢/ ٥٦٣).

(٢) (ص٨).

غيرَ أن الراجحَ فيه كونه بين عاشرِ البعثةِ وبين هجرته ﷺ إلى المدينة. وعلى قول من يقول إن خديجةَ ﵂ أدركتْ فريضةَ الصلواتِ، فالمعراجُ في سنة عشرٍ أو قبلَها والله أعلم، لأنها توفيتْ[1] هي وأبو طالبٍ في ذلك العامِ.

(**أوذنَ بالهجرةِ**) أمره اللَّهُ عز وجل بها (**نحوَ يثربَ**) وهي المدينةُ المنورةُ (**مع كل مسلم**) في ذاك الزمنِ (**له قد صحِبا**) على الإسلامِ، وكانت هجرةُ النبيِّ ﷺ بعد ثلاثَ عشرةَ سنةً من البعثة وهو ابنُ ثلاثٍ وخمسين سنةً.

قال البخاريُّ[2] رحمه الله تعالى: حدثنا مطَرُ بنُ الفضلِ حدثنا رَوْحُ بنُ عبادةَ حدثنا هشامٌ حدثنا عِكرمةُ عن ابن عباس ﵄ قال: بُعث رسولُ الله ﷺ لأربعينَ سنةً، فمكث بمكةَ ثلاثَ عشرةَ سنةً يوحى إليه، ثم أُمر بالهجرة فهاجر عشرَ سنينَ، ومات وهو ابنُ ثلاثٍ وستين.

وقال البغويُّ[3] رحمه الله تعالى في تفسير قولِ اللَّهِ عز وجل: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠]: وهذه الآيةُ معطوفةٌ على قوله: ﴿وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ﴾ [الأنفال: ٢٦]. واذكرْ: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾، ﴿وَإِذْ قَالُوا۟ ٱللَّهُمَّ﴾ [الأنفال: ٣٢]. وأن

---

(١) انظر السيرة النبوية (٢/ ٦٦).
وأخرج البخاري في صحيحه (٧/ ٢٢٤ رقم ٣٨٩٦) من حديث هشام بن عروة عن أبيه قال: «توفيت خديجة قبل مخرج النبي ﷺ إلى المدينة بثلاث سنين، فلبث سنتين أو قريباً من ذلك، ونكح عائشة وهي بنت ست سنين، ثم بنى بها وهي بنت تسع سنين».

(٢) في صحيحه (٧/ ٢٢٥ رقم ٣٩٠٢).

(٣) في «معالم التنزيل» (٣/ ٣٤٩ ـ ٣٥٠).
قلت: أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٦/ ٩/ ٢٢٧ ـ ٢٢٨).
من طريق ابن إسحاق والكلبي **وهو ضعيف**. ومن طريق مجاهد **وسند مجاهد متصل إلى ابن عباس**.
* وأخرجه ابن إسحاق في «السيرة» (٢/ ١٣٦) **وسنده منقطع لجهالة من حدثه** فقد قال: «فحدثني من لا أتهم من أصحابنا».
ومن طريقه أخرجه البيهقي في «الدلائل» (٢/ ٤٦٦ رقم ٢٤٦٨).
* وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (٥/ ١٦٨٦ ـ ١٦٨٧ رقم ٨٩٩٤).
فالأثر صحيح من طريق مجاهد، والله أعلم.

هذه السورةَ مدنيةٌ وهذا المكرُ والقولُ إنما كان بمكةَ، ولكن اللَّهَ ذكرهم بالمدينة كقوله تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ﴾ [التوبة: ٤٠].

وكان هذا المكرُ على ما ذكره ابنُ عباس وغيرُه من أهلِ التفسيرِ أن قريشاً فرَقوا لما أسلمت الأنصارُ أن يتفاقم أمرُ رسولِ اللَّهِ ﷺ فاجتمع نفرٌ من كبارهم في دار الندوةِ ليتشاوروا في أمر رسولِ اللَّهِ ﷺ، وكانت رؤوسُهم عتبةُ وشيبةُ ابنا ربيعةَ وأبو جهلِ بنُ هشامٍ وأبو سفيان والمطعم بن عدي والنضر بن الحارث وأبو البَخْتريّ بن هشام وَزُمعةُ بنُ الأسودِ وحكيمُ بنُ حِزامٍ ونبيهٌ ومنبّهُ بنُ الحجاج وأميةُ بنُ خلفٍ، فاعترضَهم إبليسُ لعنه الله في صورةِ شَيخٍ، فلما رأوه قال: شيخٌ من نجد سمعتُ باجتماعِكم فأردتُ أن أحضُركَم ولن تعدَموا مني رأياً ونُصْحاً.

قالوا: ادخُل، فدخل. فقال أبو البَختريُّ: أما أنا فأرى أن تأخذوا محمداً وتحبسوه في بيتٍ وتشدُّوا وَثاقَه، وتسدوا بابَ البيتِ، غيرَ كوةٍ تُلقونَ إليه طعامَه وشرابه وتتربصوا به ريبَ المَنون حتى يهلك فيه كما هلك مَن قبلَه من الشعراء.

قال: فصرخ عدوُّ اللَّهِ الشيخُ النجْديُّ وقال: بئس الرأيُ رأيتم، والله لئن حبستموه في بيت فخرج أمرُه من وراء الباب الذي أغلقتم دونه إلى أصحابِه فيوشِك أن يثِبوا عليكم ويقاتلوكم ويأخذوه من أيديكم. قالوا: صدق الشيخُ النجْديُّ. فقال هشامُ بنُ عمرٍو من بني عامرِ بنِ لؤيّ: أما أنا فأرى أن تحملوه على بعير وتُخرجوه من بين أظهرِكُم فلا يضُرُّكم ما صنع وإلى أين وقع إذا غاب عنكم واسترحتم منه.

فقال إبليسُ لعنه الله: ما هذا لكم برأيٍ تعتمدونَه، تعمِدون إلى رجل قد أفسدَ أحلامَكم فتخرجونَه إلى غيركم فيُفسدهُم، ألم ترَوا إلى حلاوة منطقِه وحلاوةِ لسانِه وأخذِ القلوبِ بما تسمع من حديثه؟ والله لئن فعلتم ذلك ليذهبن وليستميلَن قلوبَ قومٍ ثم يسير بهم إليكم فيخرجكم من بلادكم، قالوا: صدق الشيخُ النجدي.

فقال أبو جهل: واللَّهِ لأُشيرَن عليكم برأيٍ ما أرى غيرَه، إني أرى أن تأخذوا من كل بطنٍ من قريش شاباً نسيباً وسيطاً فتياً ثم يُعطى كلُ فتىً منهم سيفاً صارماً ثم يضربونه ضربةَ رجلٍ واحدٍ، فإذا قتلوه تفرّق دمُه في القبائل كلِها، ولا أظنّ هذا الحيَّ من بني هاشم يقْوُون على حرب قريشٍ كلِها، وإنهم إذا رأَوا ذلك قبلوا العقْلَ فتؤدي قريشٌ ديَته.

فقال إبليسُ لعنه الله: صدق هذا الفتى وهو أجودُكم رأياً، القولُ ما قال لا أرى رأياً غيرَه. فتفرقوا على قولِ أبي جهلٍ وهم مُجمعون له، فأتى جبريلُ النبيَّ ﷺ وأخبره بذلك، وأمره ألا يبيتَ في مضجعه الذي يبيت فيه، فأذن اللَّهُ له عند ذلك بالخروج إلى المدينة، فأمر رسولُ الله ﷺ عليَّ بن أبي طالبٍ أن ينامَ في مضجعه وقال له: «**اتّشح ببُردتي هذه فإنه لن يخلُصَ إليك منهم أمرٌ تكرَهه**».

ثم خرج النبيُّ ﷺ فأخذ قبضةً من تراب فأخذ اللَّهُ أبصارَهم عنه، فجعل ينثرُ الترابَ على رؤوسِهم وهو يقرأ: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَـٰقِهِمْ أَغْلَـٰلًا﴾ ـ إلى قوله ـ ﴿فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [يس: ٨ ـ ٩]. ومضى إلى الغار من ثَورٍ هو وأبو بكرٍ، وخلّف علياً بمكةَ حتى يؤدّيَ عنه الودائعَ التي كانت عنده، وكانت الودائعُ تودَع عنده ﷺ لصدقه وأمانته، وبات المشركونَ يحرُسون علياً في فراشِ رسولِ اللَّهِ ﷺ يحسَبون أنه النبيُّ ﷺ، فلما أصبحوا ساروا إليه فرأوا علياً رضي الله عنه فقالوا: أين صاحبُك؟ قال: لا أدري، فاقتصوا أثرَه وأرسلوا في طلبه، فلما بلغوا الغارَ رأوا على بابه نسْجَ العنكبوتِ فقالوا: لو دخلَه لم يكن نسجُ العنكبوتِ على بابه، فمكث فيه ثلاثاً ثم قدِم المدينةَ، فذلك قولُه تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [الأنفال: ٣٠].

وبسْطُ حديثِ الهجرةِ ما ساقه البخاريُّ[(١)] رحمه الله تعالى قال: حدثنا يحيى بنُ بكيرٍ قال: حدثنا الليثُ عن عقيلٍ قال ابنُ شهابٍ: فأخبرني عُروةُ بنُ الزبيرِ رضي الله عنه أن عائشةَ رضي الله عنها زوجَ النبيِّ ﷺ قالت: «لم أعقِلْ أبويَّ قطُّ إلا وهما يَدينان الدينَ، ولم يمرَّ علينا يومٌ إلا يأتينا فيه رسولُ الله ﷺ طرَفي النهار بُكرةً وعشيّةً».

فلما ابتُليَ المسلمون خرج أبو بكر مهاجراً نحوَ أرضِ الحبشةِ حتى إذا بلغَ بَرْكَ الغَمادِ لقيَه ابنُ الدُّغْنةِ وهو سيد القارةِ فقال: أين تريد يا أبا بكر؟ فقال أبو بكر: أخرجَني قومي فأريد أن أسيحَ في الأرضِ وأعبُدَ ربي، قال ابنُ الدغنة: فإن مثلَك يا أبا بكر لا يخرُج ولا يُخرَج، إنك تكسبُ المعدومَ وتصِلُ الرحِمَ وتحمِلُ الكَلَّ وتَقْري الضيفَ وتُعين على نوائب الحق، فأنا لك جارٌ، ارجع واعبُدْ ربَّك ببلدك.

---

(١) في صحيحه (٧/ ٢٣٠ ـ ٢٣٣ رقم ٣٩٠٥).

فرجع وارتحلَ معه ابنُ الدُغْنة، فطاف ابن الدغنةِ عشيةً في أشراف قريشٍ فقال لهم: إن أبا بكر لا يَخرُج مثلُه ولا يُخرج، تُخرجون رجلاً يُكسب المعدومَ ويصل الرحِمَ ويحمِل الكَلَّ ويَقْري الضيفَ ويُعين على نوائب الحقِّ؟

فلم تُكذِّبْ قريشاً بجوار ابن الدغنة، وقالوا لابن الدغنة: مُر أبا بكر فلْيعبُدْ ربَّه في داره، فلْيُصلِّ فيها وليقرأ ما شاء، ولا يؤذينا بذلك ولا يستعْلِن به، فإنا نخشى أن يفتِنَ نساءَنا وأبناءَنا.

فقال ذلك ابن الدغنة لأبي بكر، فلبث أبو بكر بمكةَ يعبُد ربَّه في داره ولا يستعْلِن بصلاتِه ولا يقرأ في غيرِ داره.

ثم بدا لأبي بكر فابتنى مسجداً بفِناء دارِه، وكان يصلي فيه ويقرأ القرآنَ، فينقذِفُ عليه نساءُ المشركين وأبناؤُهم وهم يعجبون منه وينظُرون إليه، وكان أبو بكر رجلاً بكّاءً لا يملك عينيه إذا قرأ، وأفزع ذلك أشرافَ قريشٍ من المشركين فأرسلوا إلى ابن الدغنة فقدِم عليهم فقالوا إنا كنا قد أجرنا أبا بكر بجوارك على أن يعبُد ربَّه في داره، فقد جاوز ذلك وابتنى مسجداً بفِناء دارِه فأعلن بالصلاةِ والقراءةِ فيه، وإنا قد خشِينا أن يَفتِنَ نساءَنا وأبناءَنا فانْهَهُ، فإن أحبَّ أن يقتصِرَ على أن يعبدَ ربَّه في داره فعل، وإن أبى إلا أن يُعلن بذلك فسَلْه أن يردَّ إليك ذمّتَك، فإنا قد كرِهنا أن نُخفرَك، ولسنا مُقرِّين لأبي بكرٍ الاستعلانَ.

قالت عائشةُ: فأتى ابنُ الدغنة إلى أبي بكر فقال: قد علمْتَ الذي عاقدتُ لك عليه، فإما أن تقتصِرَ على ذلك وإما أن ترجِعَ إليَّ ذمتي فإني لا أحب أن تسمَعَ العربُ أن أخفَرْتُ رجلاً عقدتُ له.

فقال أبو بكر: فأنا أردُّ إليك جِوارَك وأرضى بجوارِ اللّهِ عز وجل ـ والنبيُّ ﷺ يومئذ بمكة ـ فقال النبيُّ ﷺ للمسلمين: **«إني رأيتُ دارَ هجرتِكم ذاتَ نخلٍ بين لابتَيْنِ»**، وهما الحرَّتان، فهاجر مَن هاجر قِبَلَ المدينةِ، ورجع عامةُ من كان هاجرَ بأرض الحبشةِ إلى المدينة.

وتجهز أبو بكر قِبَلَ المدينة، فقال له رسولُ اللّهِ ﷺ: **«على رِسْلك، فإني أرجو أن يُؤذنَ لي»**. فقال أبو بكر: وهل ترجو ذلك بأبي أنت؟ قال: نعم. فحبَسَ أبو بكر نفسَه على رسول الله ﷺ لِيَصْحَبَه، وعلفَ راحلتين كانتا عنده ورَق السَّمُرِ وهو الخبطُ أربعةَ أشهر.

قال ابنُ شهابٍ[1]: قال عُروةُ: قالت عائشةُ ﵂: فبينما نحن في يوم جلوسٌ في بيت أبي بكرٍ في نحرِ الظهيرةِ قال قائلٌ لأبي بكر: هذا رسولُ الله متقنّعاً في ساعة لم يكن يأتينا فيها، فقال أبو بكر، فِدىً له أبي وَأمي، واللَّهِ ما جاء به في هذه الساعةِ إلا أمرٌ.

قالت: فجاء رسولُ اللَّهِ ﷺ فاستأذن فأُذن له فدخل فقال النبيُّ ﷺ لأبي بكر: أخرِجْ من عندَك، فقال أبو بكر: إنما هم أهلُك بأبي أنت يا رسولَ الله، قال: فإني قد أُذن لي في الخروج، فقال أبو بكر: الصحبةَ بأبي أنت وأمي يا رسولَ الله.

قال رسولُ الله ﷺ: نعم. قال أبو بكر: فخُذ بأبي أنت يا رسولَ اللَّهِ إحدى راحلتيَّ هاتينِ، قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: بالثمن. قالت عائشةُ: فجهّزْناهما أحثَّ الجَهازِ، وصنعنا لهما سُفرةً في جِراب، فقطعت أسماءُ بنتُ أبي بكرٍ قطعةً من نطاقِها فربطتْه على فم الجِرابِ فبذلك سُمّيتْ ذاتَ النطاقِ.

قالت: ثم لحِقَ رسولُ الله ﷺ وأبو بكر بغار في جبل ثَورٍ فكَمنا فيه ثلاثَ ليالٍ يبيتُ عندَهما عبدُ الله بنُ أبي بكرٍ وهو غلامٌ شابٌّ ثَقِفٌ لقِنٌ، فيُدلج عندهما بسحَرٍ فيُصبح مع قريش بمكةَ كبائتٍ، فلا يسمع أمراً يُكادانِ به إلا وعاه، حتى يأتيهما بخبرِ ذلك حين يختلط الظلام.

ويرعى عليهما عامرُ بنُ فهيرةَ مولى أبي بكر مِنْحةً من غنَم فيُريحَها عليهم حين تذهب ساعةٌ من العِشاء فيَبيتانِ في رِسْل، وهو لبنُ منحتِهما ورضيفِهما حتى ينعَقَ بهما عامرُ بنُ فهيرةَ بغلس، يفعل ذلك في كل ليلةٍ من تلك الليالي الثلاثِ.

واستأجرَ رسولُ اللَّهِ ﷺ وأبو بكر رجلاً من بني الدِيلِ وهو من بني عبد بنِ عَديٍّ هادياً خِرِّيتاً ـ والخرّيتُ الماهرُ بالهداية ـ قد غمس حِلفاً في آل العاصِ بنِ وائلِ السهميّ وهو على دين كفارِ قريشٍ فأمّناهُ فدفعا إليه راحلتيهما وواعداه غارَ ثورٍ بعد ثلاثِ ليالٍ براحلتيهما صُبحَ ثلاثٍ، وانطلق معهما عامرُ بنُ فهيرةَ والدليلُ، فأخذ بهم طريق السواحل.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٧/ ٢٣١ ـ ٢٣٢ رقم ٣٩٠٥).

قال ابنُ شهابٍ[1]: وأخبرني عبدُ الرحمنِ بنُ مالكٍ المُدْلِجيّ ـ وهو ابنُ أخي سُراقةَ بنِ جُعْشُم يقول: جاءنا رسُل كفارِ قريشٍ يجعلون في رسولِ اللَّهِ ﷺ وأبي بكر ديةَ كلِّ واحدٍ منهما مَن قتله أو أسره. فبينما أنا جالسٌ في مجلس من مجالس قومي بني مُدْلِجٍ أقبل رجلٌ منهم حتى قام علينا ونحن جلوسٌ فقال: يا سُراقةُ إني رأيتُ آنفاً أسودةً بالساحل أراها محمداً وأصحابَه.

قال سُراقةُ: فعَرفتُ أنهم هم فقلت له: إنهم ليسوا هم، ولكنك رأيتَ فلاناً وفلاناً انطلقوا بأعيننا يبتغون ضالّةً لهم. ثم لبثتُ في المجلس ساعةً ثم قمتُ فدخلتُ فأمرتُ جاريتي أن تُخرِجَ بفرسي وهي من وراء أكمةٍ فتحبِسُها عليّ، وأخذتُ رمحي فخرجتُ به من ظهر البيتِ، فخططتُ بزُجّه الأرضَ وخفضتُ عاليَهُ حتى أتيتُ فرسي فركبتُها فرفعتُها تقرّب بي حتى دنوتُ منهم، فعثَرَتْ بي فرسي فخرَرْتُ عنها، فقمتُ فأهويتُ يدي إلى كنانتي فاستخرجتُ منها الأزلامَ فاستقسمتُ بها أضرّهم أم لا؟ فخرج الذي أكره.

فركبتُ فرسي وعصيتُ الأزلامَ تقرب بي، حتى إذا سمعتُ قراءةَ رسولِ الله ﷺ وهو لا يلتفت وأبو بكر يُكثر الالتفاتَ ساخت يدا فرسي في الأرض حتى بلغتا الركبتين، فخرَرْتُ عنها ثم زجرتُها فنهضت، فلم تكد تُخرج يديها، فلما استوت قائمةً إذا لإثر يديها عنانٌ ساطعٌ في السماء مثلُ الدخان، فاستقسمت بالأزلام فخرج الذي أكره، فناديتُهم بالأمان فوقفوا، فركبتُ فرسي حتى جئتُهم، ووقع في نفسي حين لقيتُ ما لقيتُ من الحبس عنهم أنْ سيظهرُ أمرُ رسولِ الله ﷺ، فقلت له: إن قومَك قد جعلوا فيك الديةَ، وأخبرتُهم أخبارَ ما يريد الناسُ بهم، وعرضتُ عليهم الزادَ والمتاع، فلم يرْزآني ولم يسألاني إلا أن قال: أخْفِ عنا، فسألتُه أن يكتبَ لي كتابَ أمنٍ فأمر عامرَ بنَ فهيرةَ فكتب في رقعة من أديمٍ. ثم مضى رسولُ الله ﷺ.

قال ابنُ شهاب[2]: فأخبرني عروةُ بنُ الزبيرِ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ لقيَ الزبيرَ في ركْب من المسلمين كانوا تجاراً قافلين من الشام، فكسا الزبيرُ رسولَ الله ﷺ وأبا بكرٍ ثياباً بيضاً.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٧/٢٣٨ ـ ٢٣٩ رقم ٣٩٠٦).
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٧/٢٣٨ ـ ٢٤٠ رقم ٣٩٠٦).

وسمع المسلمون بالمدينة بمخرَج رسولِ اللَّهِ ﷺ من مكةَ فكانوا يغْدون كلَّ غداة إلى الحرّة فينتظرونه حتى يرُدَّهم حرُّ الظهيرةِ، فانقلبوا يوماً بعد ما أطالوا انتظارَه فلما أوَوا إلى بيوتِهم أوفى رجلٌ من يهودَ على أُطُم من آطامهم لأمر ينظر إليه، فبصُرَ برسولِ اللَّهِ ﷺ وأصحابِه مُبيضين يزول بهم السراب، فلم يملِكْ اليهوديُّ أن قال بأعلى صوتِه: يا معشرَ العربِ، هذا جدّكم الذي تنتظرون.

فثار المسلمون إلى السلاح فتلقَّوا رسولَ الله ﷺ بظهر الحَرَّةِ فعدَل بهم ذاتَ اليمين حتى نزل بهم في بني عمرِو بنِ عوفٍ، وذلك يوم الاثنين من شهر ربيعِ الأولِ، فقام أبو بكر للناس وجلس رسولُ اللَّهِ ﷺ صامتاً، فطفِقَ مَن جاء من الأنصار من لم يرَ رسولَ الله ﷺ يُحيّ أبا بكر، حتى أصابت الشمسُ رسولَ الله ﷺ، فأقبلَ أبو بكر حتى ظلّل عليه بردائِه، فعرَف الناسُ رسولَ اللَّهِ ﷺ عند ذلك، فلبِثَ رسولُ الله ﷺ في بني عمرِو بنِ عوفٍ بضْعَ عشرةَ ليلةً، وأسس المسجدَ الذي أُسِّس على التقوى، وصلى فيه رسولُ الله ﷺ.

ثم ركِب راحلتَه فسار يمشي معه الناسُ حتى بركت عند مسجد النبيِّ ﷺ بالمدينة وهو يصلي فيه يومئذ رجالٌ من المسلمين، وكان مِرْبداً للتمر لسهلٍ وسُهيل: غلامين يتيمين في حِجْر أسعَدَ بنَ زُرارةَ، فقال رسولُ الله ﷺ حين بركت به راحلتُه: هذا إن شاءَ اللَّهُ المنزلُ.

ثم دعا رسولُ اللَّهِ ﷺ الغلامين فساومهما بالمِرْبد ليتخِذَه مسجداً، فقالا: لا بل نهبه لك يا رسولَ اللَّهِ، فأبى رسولُ اللَّهِ ﷺ أن يقبلَه منهما هبةً حتى ابتاعه منهما، ثم بناه مسجداً وطفِق رسولُ الله ﷺ ينقُل معهم اللبِنَ في بنيانِه، ويقول وهو ينقُل اللبِنَ:

هذا الحِمالُ لا حمالُ خيبرْ ... هذا أبرُّ - ربَّنا - وأطهرْ

ويقول:

اللهم إن الأجرَ أجرُ الآخرةْ ... فارحم الأنصارَ والمهاجِرةْ

فتمثل بشعر رجلٍ من المسلمين لم يُسمَّ لي.

قال ابنُ شهاب[1]: ولم يبلُغنا في الأحاديث أن رسولَ اللَّهِ ﷺ تمثل ببيت شعرٍ تامٍّ إلا هذا البيتَ.

---

(١) انظر: فتح الباري (٧/ ٢٤٠).

وهذا الكلامُ كما ترى ليس من باب الشعرِ ولا هو في شيء من بحوره وأوزانِه، وإنما هو كلامٌ منثرٌ اتفقت تقْفيتُه لا عن قصد كما يقع كثيراً.

وقال[1] رحمه الله تعالى: حدثني محمدٌ حدثنا عبدُ الصمدِ حدثنا أبي حدثنا عبدُ العزيزِ ابنُ صهيبٍ حدثنا أنسُ بنُ مالكٍ ﷺ قال: أقبل نبيُّ اللَّهِ ﷺ إلى المدينة وهو مُردفٌ أبا بكر، وأبو بكر شيخٌ يُعرف، ونبيُّ الله ﷺ شابٌّ لا يعرف، قال فيلقى الرجلُ أبا بكر فيقول: يا أبا بكرٍ: من هذا الرجلُ الذي بين يديك؟ فيقول: هذا الرجلُ يهديني السبيلَ.

قال فيحسَب الحاسبُ أنه إنما يعني الطريقَ وإنما يعني سبيلَ الخيرِ. فالتفت أبو بكر فإذا هو بفارس قد لحِقهم فقال: يا رسولَ الله هذا فارسٌ قد لحِق بنا، فالتفت نبيُّ اللَّهِ ﷺ فقال: «**اللهم اصرَعه**» فصرعه الفرسُ، ثم قامت تُحمحِمُ، فقال: يا نبيَّ اللَّهِ مُرْني بما شئتَ. قال: فقفْ مكانَك لا تتركُنّ أحداً يلحقُ بنا.

قال: فكان أولُ النهارِ جاهداً على نبي اللَّهِ ﷺ وكان آخرُ النهارِ مسْلَحةً له، فنزل رسولُ الله ﷺ جانبَ الحرةِ، ثم بعث إلى الأنصار فجاءوا إلى نبي اللَّهِ ﷺ وأبي بكر فسلموا عليهما وقالوا: اركبا آمنَينِ مُطاعَين، فركب نبي الله ﷺ وأبو بكر وحفّوا بهما بالسلاح، فقيل في المدينة: جاء نبيُّ الله، جاء نبيُّ اللَّهِ ﷺ، فأشرفوا ينظرون ويقولون: جاء نبيُّ الله جاء نبيُّ الله ﷺ، فأقبل يسير حتى نزل دارَ أبي أيوبَ، فإنه ليحرُث أهلُه إذ سمع به عبدُ الله بنُ سلام وهو في نخل لأهله يخترِفُ لهم، فعجّل أن يضَعَ الذي يخترف لهم فيها، فجاء وهي معه فتسمع من نبيِّ الله ﷺ، ثم رجَع إلى أهله، فقال نبيُّ الله ﷺ: «**أيُّ بيوتِ أهلِنا أقربُ؟**»، فقال أبو أيوبَ: أنا يا نبيَّ الله صلى الله عليك وسلم، هذه داري وهذا بابي. قال: «**فانطلقْ فهيِّئْ لنا مَقيلاً**». قال: قوما على بركة الله تعالى.

فلما جاء نبيُّ الله ﷺ جاء عبدُ الله بنُ سلامٍ[2] فقال: أشهدُ أنك رسولُ اللَّهِ

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٧/٢٤٩ ـ ٢٥٠ رقم ٣٩١١).

(٢) انظر ترجمته في الإصابة (٤/١٠٢ رقم ٤٧٤٣): «هو عبدُ الله بن سلام بن الحارث أبو يوسف، من ذرية يوسف النبي عليه السلام، حليف القوافل من الخزرج، الإسرائيلي ثم الأنصاري. =

وأنك جئتَ بحق، وقد علمتْ يهودُ أني سيدُهم وابنُ سيدِهم، وأعلمُهم وابنُ أعلمِهم، فادعُهم فاسألهم عني قبل أن يعلموا أني قد أسلمتُ فإنهم إن يعلموا أني قد أسلمتُ قالوا فيَّ ما ليس فيَّ.

فأرسلَ نبيُّ اللَّهِ ﷺ فأقبلوا فدخلوا عليه فقال لهم رسولُ الله ﷺ: يا معشرَ اليهودِ، ويلكم اتقوا الله، فوالله الذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أني رسولُ الله حقاً وأني جئتُكم بحق، فأسلِموا. قالوا: ما نعلمه. قالوا للنبي ﷺ قالها ثلاثَ مِرارٍ. قال: **فأيُّ رجلٍ فيكم عبدُ الله بنُ سلام؟** قالوا: ذاك سيدُنا وابنُ سيدنا وأعلمُنا وابنُ أعلمِنا. قال: **أفرأيتُم إن أسلم؟** قالوا: حاشا لله، ما كان لِيُسلِم. قال: **أفرأيتم إن أسلم؟** قالوا: حاشا لله ما كان لِيُسلم. قال: **أفرأيتم إن أسلمَ؟** قالوا: حاشا لله، ما كان ليسلم. قال: **يا ابنَ سلام اخرُج إليهم**. فخرج فقال: يا معشرَ اليهودِ اتقوا اللَّهَ، فوالله الذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أنه رسولُ اللَّهِ وأنه جاء بحق، فقالوا: كذَبْتَ، فأخرَجهم رسولُ الله ﷺ.

وقال[1] رحمه الله تعالى: حدثنا أحمدُ بنُ عثمانَ حدثنا شريحُ بنُ مَسلمَةَ حدثنا إبراهيمُ بنُ يوسفَ عن أبيه عن أبي إسحاقَ قال: سمعتُ البراءَ يحدث قال: ابتاع أبو بكرٍ مِن عازبٍ رحْلاً[2] فحملتُه معه، قال: فسأله عازبٌ عن مسير رسولِ الله ﷺ، قال: أخذ علينا بالرّصَد فخرجْنا ليلاً فأحْثَثْنا[3] ليلتنا ويومنا حتى قام قائمُ الظهيرة، ثم رُفعت لنا صخرةٌ أتيناها ولها شيءٌ من ظل، قال: ففرشتُ لرسول اللَّهِ ﷺ فروةً معي ثم اضطجع عليها النبيُّ ﷺ فانطلقتُ أنفُضُ ما حوله فإذا أنا براعٍ قد أقبل في غنمه يريد من الصخرة مثلَ الذي أردْنا، فسألْتُه: لمن أنت يا غلامُ؟ فقال: أنا لفلان، فقلت: هل في غنمك من لبن؟ قال: نعم. قلت له: هل أنت حالبٌ؟ قال: نعم.

= كان حليفاً لهم، وكان من بني قينقاع، يقال كان اسمه الحصين، فغيَّره النبي ﷺ وجزم بذلك الطبري وابن سعد...».

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٧/ ٢٥٥ رقم ٣٩١٧).

(٢) الرحل للبعير بمثابة السرج للفرس. وهو أصغر من القتب.
انظر: لسان العرب (٥/ ١٦٩ ـ ١٧٠).

(٣) يقصد بعض ليلتنا.

قال: فأخذ شاةً من غنمه، فقلتُ له، انفُض الضَّرْعَ، قال: فحلَبَ كُثْبَةً[١] من لبن ومعي إداوةٌ[٢] من ماء عليها خِرقةٌ قد روَّأْتُها لرسول اللّهِ ﷺ، فصببْتُ على اللبن حتى برَد أسفلُه ثم أتيتُ به النبيَّ ﷺ فقلت: اشرَب يا رسولَ الله، فشرِبَ رسولُ الله ﷺ حتى رضِيتُ. ثم ارتحلْنا والطلبُ في أثرنا[٣].

قال البراء[٤]: فدخلتُ مع أبي بكرٍ على أهله فإذا عائشةُ ابنتُه مضطجعةً قد أصابتْها حُمّى، فرأيتُ أباها أقبل وقال: كيف أنتِ يا بُنية؟

وقال[٥]: حدثنا محمدُ بنُ بشارٍ حدثنا غُندَرُ حدثنا شعبةُ عن أبي إسحاقَ قال: سمعتُ البراءَ بنَ عازبٍ ﷺ قال: أولُ ما قدِمَ علينا مصعبُ بنُ عُميرٍ وابنُ أمِّ مكتومٍ وكانا يُقرئان الناسَ، فقدم بلالٌ وسعدٌ وعمارُ بنُ ياسر، ثم قدم عمرُ بنُ الخطابِ في عشرين من أصحابِ النبيِّ ﷺ، ثم قدم النبيُّ ﷺ، فما رأيتُ أهلَ المدينةِ فرِحوا بشيء فرَحَهم برسول الله حتى جعل الإماءُ يقُلن: قدِم رسولُ الله ﷺ، فما قدِم حتى قرأتُ: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١]. في سور من المفصل.

الإذنُ بالقتال

(وبعدَها كُلِّف بالقتال لشيعةِ الكفرانِ والضلالِ)

(حتى أتَوا للدين منقادينا ودخلوا في السلم مُذْعنينا)

---

(١) كثبة: كل قليل جمعته من طعام أو لبن أو غير ذلك، والجمع كثب ومنه سُمِّي الكثيبُ من الرمل، لأنه انصبَّ في مكان فاجتمع فيه.
انظر: «النهاية» (٤/ ١٥١)، و «لسان العرب» (١٢/ ٣٤).

(٢) إداوة: بالكسر ـ إناء صغير من جلد يتخذ للماء ـ كالسطيحة ونحوها وجمعها إداوي.
انظر: «النهاية» (١/ ٣٣) و «لسان العرب» (١/ ١٠٠).

(٣) قال ابن حجر في «الفتح» (٧/ ١٠ ـ ١١): وفي الحديث من الفوائد...
١ ـ خدمة التابع الحر المتبوع في يقظته، والذب عنه عند نومه.
٢ ـ شدة محبة أبي بكر للنبي ﷺ وأدبه معه وإيثاره على نفسه.
٣ ـ أدب الأكل والشرب واستحباب التنظيف لما يؤكل ويشرب.
٤ ـ استصحاب آلة السفر كالإداوة والسفرة ولا يقدح ذلك في التوكل.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (٧/ ٢٥٥ رقم ٣٩١٨).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه (٧/ ٢٥٩ ـ ٢٦٠ رقم ٣٩٢٤ و ٣٩٢٥).

(وبعدها) أي بعد الهجرةِ **(كُلف)** أي أُمر **(بالقتال)** في سبيل اللّهِ عز وجل **(لشيعةِ)** أعوانِ **(الكُفرانِ)** بالله وما أرسل اللّهُ به رسلَه ونزّل به كتبَه **(والضلال)** عن صراطه المستقيم.

وكان الجهادُ بمكةَ بإقامةِ الحُجةِ والبيانِ بما يتلوه عليهم من القرآن من حين أُنزل عليه ﷺ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢﴾ [المدثر] الآيات.

وهي أولُ ما نزل بعد فترةِ الوحي[1]، وبينها وبين نزول الآياتِ من صدر سورةِ العلقِ ثلاثُ سنينَ فيما ذكر ابنُ إسحاقَ[2] رحمه الله، وذلك مدةُ الفترةِ، وسمّى اللّهُ تعالى تلاوةَ القرآنِ على المشركين جهاداً لهم، فقال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَٰهُ بَيۡنَهُمۡ لِيَذَّكَّرُواْ فَأَبَىٰٓ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورٗا ۝٥٠ وَلَوۡ شِئۡنَا لَبَعَثۡنَا فِي كُلِّ قَرۡيَةٖ نَّذِيرٗا ۝٥١ فَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ جِهَادٗا كَبِيرٗا ۝٥٢﴾ [الفرقان].

وأما الجهادُ المحسوسُ بالسيف فلم يكن بمكةَ مأموراً إلا بالعفو، أو

---

(١) للحديث الذي أخرجه البخاري في صحيحه (١/٢٧ رقم ٤) وأطرافه [٣٢٣٨، ٤٩٢٢، ٤٩٢٣، ٤٩٢٤، ٤٩٢٥، ٤٩٢٦، ٤٩٥٤، ٦٢١٤].
ومسلم في صحيحه (١/١٤٣ رقم ٢٥٥/١٦١) وأحمد في «المسند» (٣/ ٣٢٥ و ٣٧٧) ومالك في «الموطأ» (١/٢٠٢، ٢٠٣).
من حديث جابر بن عبد الله قال: ـ وهو يحدث عن فترة الوحي ـ فقال في حديثه: «**بينما أنا أمشي، إذ سمعتُ صوتاً من السماء، فرفعتُ بصري فإذا الملكُ الذي جاءني بحِراء جالسٌ على كرسيٍّ بين السماء والأرض، فرُعِبْتُ منه، فرَجَعْتُ فقلت: زَمّلوني، فأنزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّها المُدَّثِّرُ * قُمْ فأَنذِرْ﴾ ـ إلى قوله ـ ﴿وَالرُّجْزَ فَاهجُرْ﴾** [المدثر: ١ ـ ٥]. **فحميَ الوحيُ وتتابع**».
وقال الحافظ في «الفتح» (١/٢٨): ودلَّ قوله: «عن فترة الوحي»، قوله: «**الملك الذي جاءني بحراء**»، على تأخر نزول سورة المدثر عن اقرأ.
وقوله: «**فحمي الوحي**» أي جاء كثيراً، وفيه مطابقة لتعبيره عن تأخره بالفتور، إذ لم ينته إلى انقطاع كلي فيوصف بالضد وهو البرد.
وقوله: **تتابع**» تأكيد معنوي، ويحتمل أن يُراد «**بحمي**» قوي وتتابع وتكاثر...».
(٢) قال ابن إسحاق في «السيرة» (١/٣٠٦): «ثم فتر الوحي عن رسول الله ﷺ فترة من ذلك حتى شقَّ عليه فأحزنه...».
وقال ابن سعد في «الطبقات» (١/١٩٦): «.. لما نزل عليه الوحي بحراء مكث أياماً لا يرى جبريل فحزن حزناً شديداً...».
وقال ابن كثير في «البداية والنهاية» (٣/١٧): «وقد قال بعضهم كانت مدة الفترة قريباً من سنتين أو سنتين ونصف...».

الإعراضِ عن الجاهلين والصبرِ على أذاهم، واحتمالِ ما يُلقى منهم، كقوله تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩][1] الآيات.

وقولِه: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الحجر: ٩٤][2] الآياتُ وغيرُها.

ولهذا قال أئمة التفسيرِ إن آياتِ الإعراض عن المشركين نسختْها آياتُ السيف، فلما هاجر رسولُ الله ﷺ إلى المدينة، وصارت لهم دارَ مَنَعةٍ وإخوانَ صدقٍ وأنصارَ حقٍّ، أذِن اللَّهُ تعالى لهم في الجهاد فقال عز وجل: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾﴾ [الحج].

وقال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ ۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾﴾ [البقرة]. الآيات.

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ﴾ [محمد: ٤]. الآيات.

وقال تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن

---

(١) قال الطبري في «جامع البيان» (٦/ج٩/١٥٥): «وأولى هذه الأقوال بالصواب قول من قال: معناه خُذ العفو من أخلاق الناس واترك الغلظة عليهم».

(٢) وقد ذكر محقق «الناسخ والمنسوخ» لأبي جعفر النحاس (١/٥١٥ ـ ٥١٦) «أنه لا تعارض في الحقيقة بين آيات الأمر بالعفو والصفح والإعراض عن المشركين، وبين آيات القتال وأنَّ كل منهما موقوتةٌ بمناسبتها، وأنه للأمةِ أن تطبق منها ما قدرت عليه حسب مراحل قوتها وضعفها، فتطبق الأمر بالقتال حال قوتها، وتطبق الأمر بالعفو والصفح والإعراض حال ضعفها، وعلى هذا فلا نسخ».

يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ وَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٤٠﴾﴾ [الأنفال].

وقال تعالى: ﴿۞ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾﴾ [التوبة].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصف: ٤] - إلى أن قال عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ﴾ [الصف] الآية.

وقال النبيُّ ﷺ: «**أُمرتُ أن أُقاتل الناسَ حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله**»[1] الحديث.

وقال ﷺ: «**بُعثت بالسيف بين يدي الساعةِ حتى يعبدوا الله وحده لا شريك له بأن يقولوا: لا إله إلا الله**»[2] أو كما قال.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (١/ ٧٥ رقم ٢٥). ومسلم في صحيحه (١/ ٥٣ رقم ٣٦/ ٢٢).

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» (٢/ ٥٠، ٩٢) **بسند صحيح**.

وابنُ أبي شيبة في «المصنف» (٥/ ٣١٣) والطحاوي في «مشكل الآثار» (١/ ٢١٣ رقم ٢٣١) كلهم عن ابن عمر **بسند قوي**.

* وعلّق البخاري في صحيحه (٦/ ٩٨) جزءاً منه عن عبد الله بن عمر عن النبي ﷺ: «**جُعل رزقي تحت ظلِّ رُمحي، وجُعلَ الذِّلةُ والصَّغار على مَن خالف أمري**».

* وقال الحافظ في «تغليق التعليق» (٣/ ٤٤٥ - ٤٤٦): **وله شاهد بإسناد حسن لكنه مرسل**.

رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٥/ ٣٢٢).

وقال ﷺ: «**اغزوا باسم الله في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله**»[1] الحديث. والآياتُ والأحاديثُ في الجهاد أكثرُ من أن تُحصى، وقد أُفردتْ لها مصنفاتٌ مستقلاتٌ.

والجهادُ ذُروةُ سنامِ الإسلامِ، ولا يقوم إلا به، كما أن بيانَ شرائِعه لا تقوم إلا بالكتاب، ولهذا قرَنَ اللَّهُ تعالى بينهما فقال: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ [الحديد: ٢٥]. فالكتابُ لبيان الحقِ والهدايةِ إليه، والحديدُ لحمل الناسِ على الحقِ وأَطْرِهم عليه.

[انتشار الإسلام وإذعان الناس له]

والمقصودُ أن النبيَّ ﷺ حين أذن الله له بالقتال وأمره به، شمّر عن ساعد الاجتهادِ في شأنه وكان بينه وبين المشركين ما كان من الوقائع المشهورةِ والغزواتِ المذكورةِ كبدر وأُحد والخندقِ وخيبرَ والفتحِ وغيرِها فوق عشرين غزوةً وفوق أربعين سريةً، ونصره اللَّهُ بالرعب[2] في قلوب أعدائه مسافةَ شهر، حتى فتح الله به وبكتابه وأنصارِه البلادِ والقلوبَ وعمَرها، ففتح البلادَ بالسيف والقلوبَ بالإيمان، وعَمر البلادَ بالعدل والقلوبَ بالعلم، فلله الحمدُ والمنة.

وقال عليُّ بنُ أبي طالبٍ[3] رضي الله عنه: بُعث النبيُّ ﷺ بأربعةِ أسيافٍ: سيفُ للمشركين: ﴿وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً﴾ [التوبة: ٣٦]، وسيفٍ للمنافقين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ٧٣]، وسيفٍ لأهل الكتاب: ﴿قَٰتِلُوا۟

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٣/ ١٣٥٧ رقم ٣/ ١٧٣١).
وأبو داود في «السنن» (٣/ ٨٣ رقم ٢٦١٢) والترمذي رقم (١٦١٧) وابن ماجه في «السنن» رقم (٢٨٥٨).
من حديث سليمان عن بريدة عن أبيه. **وهو حديث صحيح**.

(٢) يشير رحمه الله إلى الحديث الذي أخرجه البخاري في صحيحه (١/ ٤٣٥ - ٤٣٦ رقم ٣٣٥) وطرفاه رقم (٤٣٨، ٣١٢٢).
عن جابر بن عبد الله أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**أُعطيتُ خمساً لم يُعطهُنَّ أحدٌ قبلي: نُصرتُ بالرُعْبِ مسيرةَ شهرٍ، وجُعِلتْ لي الأرض مسجداً وطهوراً، فأيُما رجلٍ من أُمتي أدرَكَتْهُ الصلاةُ فليُصَلِّ، وأُحلتْ ليَ المغانمُ ولم تُحلَّ لأحدٍ قبلي، وأُعطيتُ الشفاعةَ، وكان النبيُّ يُبعثُ إلى قومه خاصة وبُعثت إلى الناس عامَّة**».

(٣) أخرجه ابن كثير في تفسيره (٢/ ٣٥٠).

﴿الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩]، وسيفٍ للبُغاة: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الحجرات: ٩].

وقد بذل المهاجرون والأنصارُ مع رسول الله ﷺ أموالَهم وأنفسَهم في سبيل الله كما وصفَهم اللَّهُ تبارك وتعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [الحجرات: ١٥].

وبذل المشركون جهدَهم ومجهودَهم في عداوته وقتالِه وألّبوا وتحزّبوا كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ﴾ [الأنفال: ٣٦] الآيات. وقال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾﴾ [الصف]، فقد فعل تبارك وتعالى.

(حتى أتوا للدين) دينِ الإسلامِ **(منقادينا)** الألفُ للإطلاق، طَوعاً وكَرهاً، **(ودخلوا في السلم)** أي الإسلام **(مذعنينا)** مستسلمين.

وكان مُعظمُ ظهورِه بعد الفتحِ لأن الناسَ كانوا ينتظرون بإسلامهم قريشاً لأنهم في الجاهلية هم سادةُ العربِ وقادتُها، وكذلك هم في الإسلام، فلما أسلموا بادر كلُ قومٍ بإسلامِهم.

وتواترت الوفود إلى رسول اللّهِ ﷺ من كل فج عميق، وانتشر الإسلامُ وجرتْ أحكامُه، وانتشرت أعلامُه في كل جزيرة العربِ والنبيُّ ﷺ حيٌّ، وأنزل اللّهُ عز وجل عليه: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾﴾ [النصر].

ولهذا علم هو وأصحابُه أن ذلك أجلُه، أعلمه اللّهُ به، كما قال البخاريُّ[(١)] رحمه الله تعالى: حدثنا موسى بنُ إسماعيلَ حدثنا أبو عَوانَة عن أبي بشرٍ عن سعيد بنِ جُبيرٍ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان عمرُ يدخلني مع أشياخ بدْرٍ، فكأن بعضَهم وجد

(١) في صحيحه (٨/ ٢٠ رقم ٤٢٩٤).

في نفسه فقال: لِمَ تُدخلُ هذا معنا ولنا أبناءٌ مثلُه؟ فقال عمرُ: إنه من حيث علمتم.

فدعاه ذات يوم فأدخله معهم فما روِّيتُ أنه دعاني يومئذ إلا ليُرِيَهم أنه قال: ما تقولون في قول اللّهِ تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾ [النصر: ١].

فقال بعضُهم: أُمرنا أن نحمَدَ اللّهَ ونستغفِرَه إذا نصرنا وفتح علينا. وسكت بعضُهم فلم يقل شيئاً. فقال لي: أكذلك تقول يا ابنَ عباس؟ فقلت: لا. قال: فما تقول؟ قلت: هو أجلُ رسولِ اللّهِ ﷺ أعلَمَه له، قال: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾ [النصر: ١] وذلك علامةٌ من أجلك ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾ [النصر: ٣].

فقال عمرُ: ما أعلمُ منها إلا ما تقول.

وفرض الله عليه بعد الهجرة جميعَ الفرائضِ التي لم تُفرضْ من قبلُ، فالجهادُ في السنة الأولى(١)، وأُتِمت صلاةُ السفر في الأولى(٢)، وشُرع الأذانُ(٣) والصيامُ(٤) وزكاةُ الفطرِ وزكاةُ النُصب وتحويلُ القبلة إلى الكعبة كلُّها في الثانية(٥)، وشُرع التيمُم سنةَ ستٍ(٦)، وصلاةُ الخوفِ سنةَ سبعٍ(٧)، والحجُّ في السادسة(٨) وقيل في التاسعة وقيل في العاشرة وفيها حجَّ ﷺ، وأنزل اللّهُ عز وجل عليه وهو واقفٌ بعرفةَ يوم الجمعة: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ﴾ [المائدة: ٣].

كما قدمنا في الحديث في الصحيحين(٩).

---

(١) بل فرض الجهاد في الثانية من الهجرة. انظر: «فقه السنة» (٣/ ٢٩).
(٢) وهو كما قال.
(٣) انظر: «فتح الباري» (٢/ ٧٨).
(٤) انظر: «زاد المعاد» (٢/ ٣٠).
(٥) انظر: «زاد المعاد» (٣/ ٦٦) و «الطبقات» لابن سعد (١/ ٢٤١).
(٦) انظر: «فتح الباري» (١/ ٤٣٤ ـ ٤٣٥).
(٧) وهو كما قال.
(٨) انظر: «زاد المعاد» (٢/ ١٠١).
(٩) أخرجه البخاري في صحيحه (٨/ ٢٧٠ رقم ٤٦٠٦).
ومسلم في صحيحه (٤/ ٢٣١٢ رقم ٣/ ٣٠١٧).

وفاتُه صلواتُ اللَّهِ وسلامُه عليه

(وبـعـد أن قـد بَـلَّـغ الـرسـالـةْ ... واستـنـقـذ الـخـلـقَ مـن الـجَـهـالـة)

(وأكـمـل الله بـه الإسـلامـا ... وقـام ديـنُ الـحـقِّ واسـتـقـامـا)

(قـبـضَـه الله الـعـلـيُّ الأعـلـى ... سـبـحـانـه إلـى الـرفـيـق الأعـلـى)

(وبعد أن قد بلغ) الرسولُ محمدٌ ﷺ **(الرسالةَ)** من القرآن وبيانَه أمراً ونهْياً وخبراً ووعداً ووعيداً وقَصَصاً، **(واستنقذ الخلقَ)** حتى أنقذَهم اللَّهُ به **(من الجهالة)** من الشرك وما دونه **(وأكمل الله به الإسلاما)** بجمع شرائعه ظاهرها وباطنها، **(وقام)** ظهر **(دين الحقِ)** الذي بعثه اللَّهُ ليُظهره على الدين كلِّه، **(واستقاما)** اعتدل فلم يبقَ عليه غبارٌ ولا عنه معدِلٌ، وذهبت عنه غياهبُ الشركِ وظُلَمُ الغيِّ وطِغايةُ الشبهات، وجاء الحقُّ وظهر أمرُ الله وهم كارهون: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١]، ﴿قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ [سبأ: ٤٩]، وتبين الرشدُ من الغي، والشركُ من التوحيد، والصدقُ من النفاق، واليقينُ من الشك، وسبيلُ النجاةِ من سُبل الشكِّ، وطريقُ الجنةِ من طريق جهنم: ﴿لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ ٱلْخَبِيثَ بَعْضَهُۥ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُۥ فِى جَهَنَّمَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٧].

ولم يبقَ من خير آجلٍ ولا عاجلٍ إلا دل الأمةَ عليه، ولا شرٌّ عاجلٍ ولا آجلٍ إلا وحذرهم منه ونهاهم عنه، حتى ترك أمتَه على المحجةِ البيضاءِ ليلُها كنهارِها لا يَزيغُ عنها إلا هالكٌ[1]، وترك فيهم ما لن يضلّوا إن تمسكوا به، كتابَ الله، وبعد

---

(١) يشير إلى الحديث الذي أخرجه أبو داود رقم (٤٦٠٧) والترمذي رقم (٢٦٧٦) وقال: **هذا حديث حسن صحيح**.
والدارمي في «السنن» (١/ ٤٤ - ٤٥) والحاكم في «المستدرك» (١/ ٩٥ - ٩٦) وقال: «**صحيح ليس له علة**». ووافقه الذهبي.
وابن أبي عاصم في «السنة» (٢٧، ٣١ - ٣٤، ٢٨، ٥٤، ٥٦، ٥٧).
عن عبد الرحمن بن عمرو الأنصاري السلمي أنه سمع عرباض بن سارية يقول: وعظنا رسول الله ﷺ موعظة ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقلنا: يا رسول الله! إن هذه لموعظة مُودِّع فماذا تعهد إلينا؟ قال: «**تركتكم على البيضاء ليلُها كنهارِها، لا يزيغ عنها إلا هالك، ومن يعش فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بما عرفتم من سنتي وسنة الخلفاء** =

هذا (قبضه الله العليّ) بجميع معالي العلوّ ذاتاً وقهراً وقدْراً (الأعلى) بكل تلك المعاني، فلا شيءَ أعلى منه عز وجل (سبحانه).

وكان قبضُه إياه (إلى الرفيق الأعلى) وهي أعلى عِلّيين، وهي الوسيلةُ التي هي أعلى درجةً في الجنة ولا تنبغي إلا له ﷺ، وقد أمرَنا أن نسأل[1] اللَّهَ له ذلك، اللهم آتِ نبيَّنا محمداً الوسيلةَ والفضيلةَ آمين.

وكانت وفاتُه ﷺ في ربيعِ الأولِ نهارَ الاثنين[2] بعد حجَةِ الوداعِ بفوق ثمانين ليلةً، قال تبارك وتعالى:

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔاۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًاۗ وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلْءَاخِرَةِ نُؤْتِهِۦ مِنْهَاۚ وَسَنَجْزِى ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٤٥﴾﴾ [آل عمران].

وقال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَۖ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةًۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأنبياء]. وقال: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾﴾ [الزمر].

= **المهديين الراشدين، وعليكم بالطاعة وإن كان عبداً حبشياً، عضُّوا عليها بالنواجذ، فإنما المؤمنُ كالجمل الأنف، كلما قيد انقاد».**
وهو حديث صحيح.

(١) للحديث الذي أخرجه البخاري رقم (٦١٤) و (٤٧١٩) وأبو داود رقم (٥٢٩) والترمذي رقم (٢١١) والنسائي في «السنن» (٢/ ٢٦ رقم ٦٨٠) وفي «عمل اليوم والليلة» رقم (٤٦) وابن ماجه رقم (٧٢٢).
وأحمد (٣/ ٣٥٤) والبيهقي في «السنن الكبرى» (١/ ٤١٠).
وابن السني في «عمل اليوم والليلة» رقم (٩٥) وابن خزيمة (١/ ٢٢٠ رقم ٤٢٠) والبغوي في «شرح السنة» (٢/ ٢٨٤). وقال: **حديث صحيح.**
والطحاوي في «شرح معاني الآثار» (١/ ١٤٦).
عن جابر - ﵁ - أن رسولَ الله ﷺ قال: **«من قال - حين يسمع النداء - اللهمَّ ربَّ هذه الدعوةِ التّامةِ والصلاةِ القائمةِ، آتِ محمداً الوسيلةَ والفضيلة وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته، حلّت لَهُ شفاعتي يوم القيامة».**

(٢) انظر: «فتح الباري» (٣/ ٢٥٣).

وقال البخاريُّ[1] رحمه الله تعالى: حدثنا قُتيبةُ حدثنا سفيانُ عن سليمانَ الأحول عن سعيد بنِ جبيرٍ قال ابن عباس: يوم الخميسِ وما الخميسُ، اشتد برسول الله ﷺ وجعُه فقال: «**آتوني أكتبْ لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً**». فتنازعوا ولا ينبغي عند نبيٍّ تنازعٌ، فقالوا: ما شأنه، استفهموه فذهبوا يُردّون عليه فقال: «**دعوني فالذي أنا فيه خيرٌ مما تدعوني إليه**».

وأوصاهم بثلاث قال: «**أخرجوا المشركين من جزيرةِ العربِ، وأجيزوا الوفدَ بنحو ما كنت أُجيزهم**»، وسكت عن الثالثة، أو قال: فنسيتُها.

وله[2] عن عائشةَ ﵂: دخلَ عبدُ الرحمن بنُ أبي بكرٍ على النبيِّ ﷺ وأنا مُسنِدتُه إلى صدري، ومع عبد الرحمن سواكٌ رطْبٌ يستنّ به، فأبَدَّهُ رسولُ اللّهِ ﷺ بصره، فأخذتُ السواكَ فقصمتُه ونفضتُه وطيّبتُه ثم دفعتُه إلى النبيِّ ﷺ فاستنّ به، فما رأيتُ رسولَ الله ﷺ استنّ استناناً قطُّ أحسنَ، فما عدا أن فرغَ رسولُ الله ﷺ رفع يدَه أو إصبَعه ثم قال: «**في الرفيق الأعلى**» ثلاثاً ثم قضى. وكانت تقول[3]: مات ورأسُه بين حاقِنتي وذاقِنتي.

وفي رواية[4] قالت: وبين يديه رِكْوةٌ فيها ماءٌ فجعل يُدخل يديه في الماء فيمسح بهما وجهَه ويقول: «**لا إله إلا الله، إن للموت سكراتٍ**»، ثم نصب يدَه فجعل يقول: «**في الرفيق الأعلى**». حتى قُبض ومالت يدُه.

وفي أخرى[5] قالت: فجمع اللّهُ بين ريقي وريقِه في آخر يومٍ من الدنيا وأولِ يومٍ من الآخرة.

وفي الصحيحين[6] وهذا لفظُ مسلمٍ عن عبيد اللّهِ بنِ عبدِ الله قال: دخلتُ

---

(١) في صحيحه (٨/ ١٣٢ رقم ٤٤٣١).
قلت: وأخرجه مسلم في صحيحه (٣/ ١٢٥٧ ـ ١٢٥٨ رقم ٢٠/ ١٦٣٧).
(٢) للبخاري في صحيحه (٨/ ١٣٨ رقم ٤٤٣٨).
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٨/ ١٤٠ رقم ٤٤٤٦).
(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (٨/ ١٤٤ رقم ٤١٤٩).
(٥) أخرجه البخاري في صحيحه (٨/ ١٤٤ رقم ٤٤٥١).
(٦) أخرجه البخاري في صحيحه (٢/ ١٧٢ ـ ١٧٣ رقم ٦٨٧).
ومسلم في صحيحه (١/ ٣١١ ـ ٣١٢ رقم ٩٠/ ٤١٨).

على عائشةَ رضي الله عنها فقلت لها: ألا تحدثيني عن مرض رسولِ الله ﷺ؟ قالت: بلى، ثقلَ النبيُّ ﷺ فقال: «**أصَلَّى الناسُ؟**»، قلنا: لا، وهم ينتظرونك يا رسولَ الله. قال: «**ضعوا لي ماءً في المِخْضب**»، ففعلنا فاغتسل، ثم ذهب لِينوءَ فأُغميَ عليه، ثم أفاق. فقال: «**أصلى الناس؟**»، قلنا: لا، وهم ينتظرونك يا رسولَ الله. فقال: «**ضعوا لي ماء في المِخْضب**» ففعلنا فاغتسل، ثمَّ ذهب لينوءَ فأُغمي عليه، ثم أفاق فقال: «**أصلى الناس؟**» فقلنا: لا، وهم ينتظرونك يا رسولَ الله. فقال: «**ضعوا لي ماءً في المِخْضب**» ففعلنا، فاغتسل ثمَّ ذهب لينوء فأغميَ عليه، ثم أفاق فقال: «**أصلى الناسُ؟**»، فقلنا: لا، وهم ينتظرونك يا رسولَ الله.

قال: والناسُ عكوفٌ في المسجد ينتظرون رسولَ الله ﷺ لصلاة العشاء الآخرة، قالت: فأرسلَ رسولُ الله ﷺ إلى أبي بكر أن يصلي بالناس، فأتاه الرسولُ فقال: إن رسولَ اللَّهِ ﷺ يأمرُك أن تُصليَ بالناس.

فقال أبو بكر - وكان رجلاً رقيقاً - يا عمرُ صلِّ بالناس. قال فقال عمرُ: أنت أحقُّ بذلك. قالت: فصلى أبو بكرٍ بالناس تلك الأيام.

ثم إن رسولَ الله ﷺ وجد من نفسه خِفةً فخرج بين رجلين أحدُهما العباسُ لصلاة الظهر، وأبو بكر يصلي بالناس، فلما رآه أبو بكر ذهب ليتأخَّرَ فأومأ إليه النبيُّ ﷺ أن لا يتأخر، وقال لهما: «**أجلِساني إلى جنبه**»، فأجلساه إلى جنب أبي بكرٍ، وكان أبو بكر يصلي وهو قائمٌ بصلاةِ النبيِّ ﷺ، والناسُ يصلون بصلاةِ أبي بكر، والنبيُّ ﷺ قاعدٌ. الحديث.

وفيه[1] عن أنس رضي الله عنه أن أبا بكر كان يصلي لهم في وجع رسولِ اللَّهِ ﷺ الذي تُوفِّيَ فيه، حتى إذا كان يومُ الاثنين وهم صفوفٌ في الصلاة كشف رسولُ اللَّهِ ﷺ سِتْرَ الحُجرة، فنظرنا إليه وهو قائمٌ كأن وجهَه ورقةُ مُصْحف، ثم تبسم رسولُ اللَّهِ ﷺ ضاحكاً فبُهِتْنا ونحن في الصلاة من فرحٍ بخروج رسولِ الله ﷺ، ونَكَص أبو بكر على عقِبيه ليصِلَ الصفَّ، وظنَّ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ خارجٌ للصلاة،

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٢/ ١٦٤ رقم ٦٨٠) وأطرافه رقم (٦٨١ و ٧٥٤ و ١٢٠٥ و ٤٤٤٨).

ومسلم في صحيحه (١/ ٣١٥ رقم ٩٨/ ٤١٩).

فأشار إليهم رسولُ الله ﷺ بيده أن أتموا صلاتَكم، قال: ثم دخل رسولُ الله ﷺ فأرخى السِتْرَ، قال: فتوفِّيَ رسولُ الله ﷺ من يومه ذلك».

وفي رواية[1] قال: لم يخرج إلينا نبيُّ اللَّهِ ﷺ ثلاثاً، فأُقيمت الصلاةُ فذهب أبو بكر يتقدم، فقال نبيُّ اللَّهِ ﷺ بالحجاب فدفعه، فلما وضَحَ لنا وجهُ نبيِّ الله ﷺ ما نظرنا منظراً قطُّ كان أعجبَ إلينا من وجه النبيِّ ﷺ حين وضح لنا.

وقال البخاري[2] رحمه الله تعالى: حدثنا يحيى بنُ بكيرٍ حدثنا الليثُ عن عقيلٍ عن ابن شهابٍ قال: أخبرني أبو سلمةَ أن عائشةَ ﵂ أخبرتْه أن أبا بكر ﵁ أقبل على فرس من مسكنه بالسُّنْح حتى نزل فدخل المسجدَ فلم يكلِّم الناسَ حتى دخل على عائشةَ فتيمَّم رسولَ اللَّهِ ﷺ وهو مُغشّىً بثوبِ حبرة، فكشف عن وجهه.

ثم أكبَّ عليه فقبّله وبكى، ثم قال: بأبي أنت وأمي، واللَّهِ لا يجمعُ اللَّهُ عليك موتتين: أما الموتةُ التي كُتبت عليك فقد مُتّها.

قال الزهري[3]: وحدثني أبو سلمةَ عن عبد الله بنِ عباسٍ أن أبا بكر خرج وعمرُ بنُ الخطابِ يكلم الناسَ فقال: اجلِس يا عمرُ، فأبى عمرُ أن يجلِس، فأقبل الناسُ إليه وتركوا عمر، فقال أبو بكر: أما بعدُ من كان منكم يعبُد محمداً ﷺ فإن محمداً قد مات، ومن كان منكم يعبُد الله فإن اللَّهَ حيٌّ لا يموت. قال الله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ ـ إلى قوله ـ ﴿ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤ ـ ١٤٥].

وقال: واللَّهِ لكأن الناسَ لم يعلموا أن اللَّهَ تعالى أنزلَ هذه الآية حتى تلاها أبو بكر، فتلقاها الناس منه كلهم، فما أسمع بشراً من الناس إلا يتلوها.

فأخبرني[4] سعيدُ بنُ المسيِّب أن عمرَ ﵁ قال: واللَّهِ ما هو إلا أن سمعتُ

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٢/ ١٦٤ ـ ١٦٥ رقم ٦٨١).
ومسلم في صحيحه (١/ ٣١٥ ـ ٣١٦ رقم ١٠٠/ ٤١٩).

(٢) في صحيحه (٨/ ١٤٥ رقم ٤٤٥٤).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٨/ ١٤٥ رقم ٤٤٥٤).

(٤) تقدم آنفاً في صحيح البخاري رقم (٤٤٥٤).

أبا بكر تلاها فعقَرتُ حتى لا تُقلُّني رجلاي، وحتى أهويتُ إلى الأرض حين سمعتُه قالها أن النبيَّ ﷺ قد مات.

تبليغه صلواتُ الله عليه رسالةَ اللّهِ

(نشهد بالحق بلا ارتياب بأنه المرسلُ بالكتاب)
(وأنه بلّغ ما قد أُرسلا به وكلَّ ما إليه أُنزلا)

(نشهد بالحق) بيقين وصدق **(بلا ارتياب)** بدون شكٍّ **(بأنه المرسل بالكتاب)** بالقرآن إلى كافة الناسِ ببعثةِ رسولِ اللّهِ ﷺ: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ [آل عمران].

وقال تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْمَلِكِ ٱلْقُدُّوسِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا۟ بِهِمْ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤﴾﴾ [الجمعة].

وقال تبارك وتعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

يمتنّ تبارك وتعالى بأجلّ نِعَمِه على عباده وأعظمِها وأعلاها وأتمِّها وأكملِها: إرسالُه فيهم محمداً ﷺ رسولاً من عند اللّهِ تبارك وتعالى العليِّ العظيم الذي ليس كمثله شيءٌ وهو السميع البصير، بكلامه الذي هو صفتُه، وهو كتابُه العزيزُ الذي لا يأتيه الباطلُ من بين يديه ولا من خلفه تنزيلٌ من حكيم حميد، ليهديَهم به من الضلالة، ويبصِّرُهم به من العمى، ويُنقِذُهم به من دركات الردى، ويخرجهم به من الظلمات إلى النور بإذنه: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿١﴾ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ١ ـ ٢].

يا لها نعمةَ ما أعظمها وأجلَّها، ومنَّةً ما أكملها وأجزلَها: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٤]. أكملَ تلك النعمةَ وأتمها وزادها جلالاً بكون ذلك الرسولِ من أنفسِهم يعرِفون شخصَه ونسَبَه ورحِمَه، ما من أهل بيتٍ من العرب إلا وله ﷺ فيهم نسبٌ: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى: ٢٣].

ثم جعل الرسالةَ بلسانِهم الذي به يتحاورون، ومن جنس كلامِهم الذي فيه يتفاخرون، معجزاً بالفصاحة التي في ميدانِها يتسابقون بأوضحِ المباني وأفصحِها، وأكمل المعاني وأصحِّها، مع اتساق سياقِه وسلاسة ألفاظِه، وانتساقِ تراكيبِه وملاحةِ مفرداتِه.

ثم مع هذا التالي له من أنفسهم رسولٌ من عند ربهم ثم هو ﷺ مُؤدٍّ لتلك الأمانةِ، مبلغٌ كلامَ ربه كما قاله ربُّ العزةِ لم يقله النبيُّ ﷺ بالمعنى فقط بل كما قال عز وجل: ﴿يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ﴾ [الجمعة: ٢]، الضميرُ لله عز وجل ليسمعوا لذيذَ خطابه. ويتأملوا لطيفَ عتابِه: ﴿كِتَـٰبٌ أَنزَلْنَـٰهُ إِلَيْكَ مُبَـٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَـٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾ [ص: ٢٩]، ﴿وَيُزَكِّيهِمْ﴾ [الجمعة: ٢]. يطهرهم ظاهراً وباطناً حساً ومعنى لمن التزمه واتبعه.

أما قلوبُهم فيزكيها بالإيمان من دَنس ورِجْس الشركِ ورِجزِه كما قال تعالى: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَـٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾ [الحج: ٣٠]، و ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾ [المدثر: ٥].

وكذا يطهرهم بمحاسن الأخلاقِ الظاهرةِ والباطنةِ من مساوئها وكذا يطهرهم من جميع الذنوبِ بالتوبة النَّصوحِ، وكذا يطهر ظواهرَهم بما أمرهم به وأرشدَهم إليه من الطهارات الحسيةِ من الأحداثِ والأنجاس على اختلاف أضرُبها ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ﴾ [الجمعة: ٢] القرآنَ المجيد، ﴿وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [الجمعة: ٢] السنةَ النبويةَ التي هي تبيانُ القرآنِ وتفسيرُه وتوضيحُه، وتدل كما قال اللّهُ تعالى له ﷺ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤].

وقال النبيُّ ﷺ: **«أُتيتُ القرآنَ ومثلَه»**[1] يعني السنةَ، ﴿وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ﴾

---

(١) أخرجه أبو داود (٥/ ١٠ ـ ١٢ رقم ٤٦٠٤). وأحمد في «المسند» (٤/ ١٣١).
وهو حديث صحيح.

[الجمعة: ٢] إرسالِه إليهم وبَعْثه فيهم ﴿لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢] من الشركِ وعبادةِ الأصنام وغيرِ ذلك من السُّبل المُضلةِ عن الصراط المستقيمِ، الموجبةُ لدخول جهنَمَ، والخلودِ في عذابها الأليم المقيم، أجارنا الله منها.

وذلك تأويلُ دعوةِ أبينا إبراهيمَ عليه السلام إذ يقول فيما أخبر الله عنه: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٩]. فاستجاب اللَّهُ له تلك الدعوةَ المباركةَ كما قضى الله عز وجل ذلك في الأزل وسبق علمُه، وسطّره في كتابه، وأخذ على رسله الميثاقَ في الإيمان به، والقيامِ بنصره كما قال تبارك وتعالى:

﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى قَالُوٓاْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَٱشْهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [آل عمران].

وقال النبيُّ ﷺ فيما روى التِرمذيُّ(١): «**كنتُ نبياً وآدمُ منجدلٌ في طينته**»(٢).

---

(١) لم أجده بهذا اللفظ عند الترمذي.
* بل أخرجه أحمد (٤/ ١٢٧) والبخاري في «التاريخ الكبير» (٦/ ٦٨) والطبراني في «الكبير» رقم (٢٠٧٢) و (٢٠٧٣) و (١٨/رقم ٦٢٩ و ٦٣٠) والبيهقي في «دلائل النبوة» (١/ ٨٠) و (٢/ ١٣٠) والآجري في «الشريعة» (ص٤٢١) من طرق عن معاوية بن صالح، عن سعيد بن سويد، عن عبد الأعلى بن هلال السلمي عن العرباض بن سارية به.
* وأخرجه أحمد (٤/ ١٢٨) وابن أبي عاصم في «السنة» رقم (٤٠٩) والطبراني في «الكبير» (١٨/رقم ٦٣١) والبزار (٣/ ١١٢ ـ ١١٣ رقم ٢٣٦٥ ـ كشف) والحاكم (٢/ ٦٠٠) والبيهقي في «دلائل النبوة» (١/ ٨٣) من طرق عن أبي بكر بن أبي مريم، عن سعيد بن سويد، عن العرباض به.
وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.
وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ٢٢٣) وقال: رواه أحمد بأسانيد، والبزار، والطبراني بنحوه، وأحد أسانيد أحمد رجاله رجال الصحيح غير سعيد بن سويد، وقد وثقه ابن حبان.
وخلاصة القول أن الحديث صحيح لغيره، والله أعلم.
(٢) على تقدير صحته ليس معناه أنه كان قد نبئ يومئذ، ولا أنه ولد نبياً ولم يبدأه الوحيُ إلا بعد تمام الأربعين من عمره، وذلك العمر الذي قال الله تعالى: ﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ=

وفي رواية أخرى[1]: «وآدمُ بين الروح والجسد». يعني وجبت له في الكتاب، ولأن السائلَ قال له: متى وجبت لك النبوةُ؟ هذا معنى الحديث.

وقال ﷺ[2]: «أنا دعوةُ أبي إبراهيمَ، وبُشرى عيسى، ورؤيا أمي» أو كما قال. فأما دعوةُ إبراهيم فما في الآية السابقة، وأما بشرىٰ عيسى فقول الله عز وجـــــل: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦]. الآية.

وأما رؤيا أمِّه فإنها رأت كأنه خرج منها نورٌ أضاء له قصور بُصْرى من أرض الشام، الحديث.

وقد شهد اللَّهُ تبارك وتعالى له بالرسالة كما شهد لنفسه بالإلهية فقال تعالى:

= **عُمراً مِن قَبلِهِ﴾** [يونس: ١٦]. وقال: **﴿وَمَا كُنتَ تَتلُوا مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ﴾** [العنكبوت: ٤٨]. الآية. وقال: **﴿وَمَا كُنتَ تَرجُوا أَن يُلقَى إليك الكِتَابُ﴾** [القصص: ٨٦]. وقال: **﴿مَا كُنتَ تَدرِي مَا الكِتَابُ وَلاَ الإيمَانُ﴾** [الشورى: ٥٢]. ولعله قد بسط هذا المعنى في موضع غير هذا. اهـ مؤلفه.

(١) أخرجه الترمذي رقم (٣٦٠٩) والحاكم (٢/ ٦٠٩) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ١٣٠) من طرق عن الوليد بن مسلم، قال: حدثني الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة، قال: قالوا: يا رسول الله، متى وجبت لك النبوة؟ قال: **«وآدم بين الروح والجسد»**.
وقال الترمذي: **هذا حديث حسن غريب.**
* وأخرجه أحمد (٥/ ٥٩) والطبراني في «الكبير» (٢٠ رقم ٨٣٣ و ٨٣٤) والحاكم (٢/ ٦٠٨ ـ ٦٠٩) وعنه البيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ١٢٩) من طريقين عن بديل بن ميسرة العقيلي، عن عبد الله بن شقيق، عن ميسرة الفجر.
وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.
وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ٢٢٣) رجاله رجال الصحيح.
وخلاصة القول أن الحديث صحيح.

(٢) أخرجه أحمد (٥/ ٢٦٢) والطيالسي في «المسند» رقم (١١٤٠) وابن سعد في «الطبقات» (١/ ١٠٢) والطبراني في «الكبير» رقم (٧٧٢٩) والبيهقي في «دلائل النبوة» (١/ ٨٤) من طريق الفرج بن فضالة عن لقمان بن عامر، عنه.
وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ٢٢٢) وقال: «**رواه أحمد وإسناده حسن**، وله شواهد تقويه. ورواه الطبراني» اهـ.
وخلاصة القول أن الحديث صحيح بشواهده.

﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ﴾ [المنافقون: ١]. وقال تعالى: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٦٦]. وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۖ وَلَا تُسْـَٔلُ عَنْ أَصْحَٰبِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [البقرة: ١١٩]. الآيات.

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾﴾ [الأحزاب]. الآيات.

وقال تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾﴾ [النساء]. وغيرُ ذلك من الآيات.

وقال تبارك وتعالى في عموم رسالته إلى الأحمر والأسودِ والجنِّ والإنس: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ: ٢٨].

وقال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأعراف].

ومعنى كونه أمياً: لا يقرأ ولا يكتب، وكذلك أمتُه أمّية لا يقرأون ولا يكتبون، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓا۟ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ [القصص: ٨٦]. وقال تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٨]. الآيات.

وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢]. وقال تعالى: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا ۖ﴾ [هود: ٤٩]. وغيرُ ذلك من الآيات.

وقال تعالى أيضاً في ذكر عموم رسالتِه إلى أهلِ الشرائعِ من قبله: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ۝١٥ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۝١٦﴾ [المائدة]. الآيات.

﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤].

وقال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ نَبَذَ فَرِيقٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ كَأَنَّهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠١].

وقال: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمۡ كِتَٰبٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ وَكَانُواْ مِن قَبۡلُ يَسۡتَفۡتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٨٩]. وغيرُ ذلك من الآيات.

وفي صحيح مسلم[(١)] عن أبي هريرةَ رضي الله عنه أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «**ما من الأنبياء من نبي إلا قد أُعطِيَ من الآيات ما مثلُه آمن عليه البشرُ، وإنما كان الذي أُوتيتُ وحياً أوحى الله إلي فأرجو أن أكون أكثرَهم تابعاً يوم القيامة**».

وفيه[(٢)] عنه رضي الله عنه عن رسولِ الله ﷺ أنه قال: «**والذي نفسُ محمدٍ بيدِه، لا يسمع بي أحدٌ من هذه الأمةِ يهوديٌّ ولا نصرانيٌّ ثم يموت ولم يؤمن بالذي أُرسلتُ به إلا كان من أصحاب النار**».

وفي حديثِ الخصائصِ: «**وكان النبيُّ يبعث إلى قومه خاصةً وبُعثتُ إلى الناس عامة**». وهو في الصحيحين[(٣)].

---

(١) في صحيحه (١/ ١٣٤ رقم ١٥٢).
قلت: وأخرجه البخاري في صحيحه (٩/ ٣ رقم ٤٩٨١) وطرفه رقم (٧٢٧٤).

(٢) صحيح مسلم (١/ ١٣٤ رقم ٢٤٠/ ١٥٣).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (١/ ٤٣٦ رقم ٣٣٥) وطرفاه رقم (٤٣٨ و ٣١٢٢).
ومسلم في صحيحه (١/ ٣٧٠ ـ ٣٧١ رقم ٣/ ٥٢١).

وقال رسولُ[1] اللَّهِ ﷺ: «**لو كان موسى حياً واتبعتموه وتركتموني لضلَلْتم**».

وقال ﷺ: «**لو كان موسى حياً ما وسِعَه إلا اتباعي**»[2].

وأخبر[3] ﷺ **أن عيسى** ينزل حَكَماً بشريعة نبيِّنا محمدٍ ﷺ **يُقيم** كتابَ اللَّهِ وسنةَ رسولِ اللَّهِ ﷺ، فلا ناسخَ ولا مُغيِّرَ لشريعتِه، ولا يسع أحداً الخروجُ عنها. ولله الحمدُ والمنة.

[اختصاصه ﷺ بعموم الرسالة إلى الثقلين]

والمقصودُ أن اللَّهَ تبارك وتعالى اختصه بعموم الرسالةِ إلى الثقلين، ولم يقبل من أحد صِرفاً ولا عَدلاً إلا باتباعه، ولا يصلُ أحدٌ دارَ السلامِ التي دعا الله إليها عبادَه إلا من طريقه، فهو ﷺ أكرمُ الرسل، وأمتُه خيْرُ الأمم، وشريعتُه أكملُ الشرائع، وكتابُه مهيمنٌ على كل كتابٍ أُنزل، لا نسْخَ له بعده ولا تغييرَ، ولا تحويلَ ولا تبديلَ، وأيده الله تعالى بالمعجزات الظاهرةِ والآياتِ الباهرةِ التي أعظمُها هذا القرآنُ الذي تحدّى اللَّهُ به أفصحَ الأمم وأبلَغها وأقدَرها على المنطِق وأكثرَها فيه اتساعاً وأطولَها فيه باعاً.

---

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٣/ ٤٧١ و ٤/ ٢٦٦) من حديث عبد الله بن ثابت عن عمر. **سنده حسن ويشهد له ما بعده.**

(٢) أخرجه الدارمي في «السنن» (١/ ١٢٢ ـ رقم ٤٤١) من حديث جابر: أن عمر بن الخطاب أتى رسولَ الله ﷺ بنسخة منِ التوراة، فقال: يا رسولَ الله، هذه نسخة من التوراة فسكت، فجعل يقرأ ووجه رسولُ الله ﷺ يتغير، فقال أبو بكر: ثكلتك الثواكل، ما ترى ما بوجه رسول الله ﷺ؟ فنظر عمر إلى وجه رسول الله ﷺ فقال: أعوذ بالله من غضب الله ومن غضب رسوله، رضينا بالله رباً، وبالإسلام ديناً وبمحمدٍ نبياً.
فقال رسولُ الله ﷺ: «**والذي نفس محمد بيده، لو بدا لكُم موسى فاتبعتموه وتركتموني، لضللتم عن سواء السبيل، ولو كان حياً وأدرك نبوتي لاتبعني**».

(٣) يشير إلى الحديث الذي أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٢٢٢٢) ورقم (٢٤٧٦ و ٣٤٤٨) ومسلم رقم (٢٤٢/ ١٥٥) والترمذي رقم (٢٢٣٣) وابن منده في «الإيمان» رقم (٤٠٧) وعبد الرزاق رقم (٢٠٨٤٠) وأحمد (٢/ ٢٤٠) والحميدي رقم (١٠٩٧) وابن أبي شيبة (١٥/ ١٤٤) وابن ماجه رقم (٤٠٧٨) من حديث أبي هريرةَ رضي الله عنه قال رسولُ الله ﷺ: «**والذي نفسي بيده ليُوشكَنَّ أن ينزل فيكُمُ ابنُ مريم حكماً مُقْسِطاً يكسر الصليبَ، ويقتُلُ الخنزير، ويضعُ الجزيةَ، ويفيضُ المالُ حتى لا يقبله أحدٌ**».

وأكملَها على أضرِبه وأنواعِه اطلاعاً، مع عِظَم محادّتِهم له ومشاقّتِهم فيه وشدةِ حرصِهم على رده، وهو ينادي عليهم بأبلغ عبارةٍ وأوجزِها وأمتنِها وأجزلِها: ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾﴾ [الطور]، ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ﴾ [هود: ١٣]، ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [البقرة].

ثم نادى عليهم بالعجز عن ذلك كله فلا يقدِر أحدٌ منهم على شيء منه لا مجتمعين ولا متفرقين، لا في زمن واحدٍ ولا في أزمان، فقال تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨]. وغيرُ ذلك من الآيات.

ولهذا لما أراد مسيلمةُ[١] الكذابُ معارضتَه مكابرةً، ومباهاته مع علمه أنه لا يقدر على شيء البتةَ، فلما فعل ذلك جعل الله تعالى كلامَه أسمَجَ ما يُسمع وأركَّ ما يُنطق به، وصار أضحوكةً للصبيان في كل زمانٍ ومكان، حتى إنه لا يشبه كلامَ

(١) هو مسيلمةُ بن ثمامة بن كبير بن حبيب الحنفي الوائلي، أبو ثمامة متنبئ، من المعمرين. وفي الأمثال: «أكذب من مسيلمة».
ولد ونشأ باليمامة في القرية المسماة اليوم بالجبيلة بقرب «العيينة» بوادي حنيفة، في نجد. وتلقب في الجاهلية بالرحمن. وعُرف برحمان اليمامة.
ولما ظهر الإسلام في غربي الجزيرة وافتتح النبيُّ ﷺ مكة ودانت له العرب جاءه وفد من بني حنيفة، قيل: كان مسيلمة معهم إلا أنه تخلف مع الرحال خارج مكة، وهو شيخ هرم، فأسلم الوفد، وذكروا للنبي ﷺ مكان مسيلمة، فأمر له بمثل ما أمر به لهم، وقال: ليس بشرّكم مكاناً.
ولما رجعوا إلى ديارِهم كتب مسيلمة إلى النبي ﷺ: «من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله سلام عليك، أما بعد: فإني قد أشركت في الأمر معك، وإن لنا نصفُ الأرض ولقريش نصف الأرض ولكن قريشٌ قومٌ يعتدون».
فأجابه: **«بسم الله إلى مسيلمة الكذاب، السلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبةُ للمتقين».**
انظر الأعلام للزركلي (٧/ ٢٢٦).

العقلاء ولا المجانين ولا النساء ولا المخنَّثين، وصار كذِبُه معلوماً عند كل أحدٍ، ووَسَمه اللَّهُ عز وجل على لسان نبيِّه محمدٍ ﷺ باسم الكذاب فلا يُسمّى إلا به ولا يُعرف إلا به، حتى صار أشهرَ عليه من العلم، بل لا علَمَ له غيرُه أبداً.

ويروى أن أصحابَ الفيلسوفِ[1] الكِنْديِّ قالوا له: أيها الحكيم اعمَل لنا مثلَ هذا القرآن، فقال: نعم أعمَل مثل بعضه، فاحتجب أياماً كثيرةً ثم خرج فقال: واللَّهِ ما أقدر ولا يُطيق هذا أحدٌ، إني فتحتُ المُصحفَ فخرجتْ سورة المائدةِ، فنظرتُ فإذا هو قد نطَقَ بالوفاء ونهى عن النُّكثِ وحلّل تحليلاً عاماً، ثم استثنى بعد استثناءٍ، ثم أخبر عن قُدرته وحكمتِه في سطرين، ولا يقدر أحدٌ أن يأتي بهذا.

قلت: وهذا الذي قاله الفيلسوفُ مقدارُ فهمِه ومبلغُ علمِه، وإلا فبلاغةُ القرآنِ فوق ما يصف الواصفون، وكيف يقدر البشرُ أن يصِفوا صفاتِ من ليس كمثله شيءٌ وهو السميع البصير.

ومن ذلك انشقاقُ القمرِ قال الله تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ [القمر: ١]. الآيات.

وفي الصحيحين[2] عن أنس رضي الله عنه قال: «سأل أهلُ مكةَ أن يُريهم آيةً، فأراهم انشقاقَ القمر».

وعن ابن مسعودٍ[3] رضي الله عنه قال: «انشق القمر على عهد رسولِ اللَّهِ ﷺ فِرقتين: فِرقةً فوق الجبلِ وفرقةً دونه، فقال رسولُ الله ﷺ: **اشهدوا**». زاد في رواية[4]: «ونحن مع النبيِّ ﷺ».

---

(١) هو يعقوب بن إسحاق بن الصباح بن عمران بن إسماعيل بن محمد بن الأشعث الكندي فيلسوف العرب.
يكنى أبا يوسف. ذكره ابن النجار وكان متهماً في دينه.
له مصنفات كثيرة في المنطق والنجوم والفلسفة وله معرفة بالأدب.
انظر: «لسان الميزان» (٦/ ٣٠٥).

(٢) أخرجه البخاري (٨/ ٦١٧ رقم ٤٨٦٧).
ومسلم في صحيحه (٤/ ٢١٥٩ رقم ٤٦/ ٢٨٠٢).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٨/ ٦١٧ رقم ٤٨٦٤).
ومسلم في صحيحه (٤/ ٢١٥٨ رقم ٤٤/ ٢٨٠٠).

(٤) أخرجه البخاري (٨/ ٦١٧ رقم ٤٨٦٥).

ومنها حنينُ الجِذْعِ إليه ﷺ كما في الصحيح[1] عن جابر بنِ عبدِ الله رضي الله عنهما: أن النبيَّ ﷺ كان يقومُ يوم الجمعة إلى شجرةٍ أو نخلةٍ، فقالت امرأةٌ من الأنصار أو رجلٌ: يا رسولَ اللَّهِ ألا نجعلَ لك منبراً؟ قال: «**إن شئتم**»، فجعلوا له منبراً، فلما كان يومُ الجمعة دفعَ إلى المنبر فصاحت النخلةُ صياحَ الصبيِّ، ثم نزل النبيُّ ﷺ فضمّها إليه تئنّ أنينَ الصبيِّ الذي يسكن، قال: كانت تبكي على ما كانت تسمع من الذكر عندها.

وفي رواية[2]: قال فلما صُنع له المنبرُ وكان عليه فسمِعنا من ذلك الجذع صوتاً كصوتِ العِشارِ، حتى جاء النبيُّ ﷺ فوضع يده عليها فسكنتْ».

فيا حامداً معنىً بصورةِ عاقلٍ — أما لك من قلب شهيدٍ ولا سمعِ
يحِن إليه الجذعُ شوقاً، وما لنا — ألسْنا بذاك الشوقِ أولى من الجذعِ

ومنها تسبيحُ الطعامِ وتكثيرُ القليلِ بإذن اللَّهِ عز وجل، ونبعُ الماء من أصابعِه الشريفةِ ﷺ، كما في الصحيح[3] عن ابن مسعودٍ رضي الله عنه قال: «كنا نعُدُّ الآياتِ بركةً، وأنتم تعُدونها تخويفاً. كنا مع رسولِ الله ﷺ في سفر فقلَّ الماءُ فقال: «**اطلبوا فضلةً من ماء**». فجاءوا بإناء فيه ماءٌ قليل، فأدخل يده في الإناء ثم قال: «**حيَّ على الطهور المباركِ والبركة من الله عز وجل**»، فلقد رأيتُ الماء ينبع من بين أصابع رسولِ الله ﷺ، ولقد كنا نسمع تسبيحَ الطعامِ وهو يُؤكل».

وعن أنس[4] رضي الله عنه قال: «أتيَ النبيُّ ﷺ بإناء وهو بالزوراء فوضع يده في الإناء فجعل الماءُ ينبُع من بين أصابِعه فتوضأ القومُ، قال: وكانوا ثلاثمائة أو زهاءَ ثلاثمائة».

وعن سالم بنِ أبي الجعْدِ عن جابر[5] بنِ عبدِ اللَّهِ رضي الله عنهما قال: عطِشَ الناسُ

---

(١) البخاري (٦/ ٦٠١ ـ ٦٠٢ رقم ٣٥٨٤).
(٢) عند البخاري في صحيحه (٦/ ٦٠٢ رقم ٣٥٨٥).
(٣) البخاري (٦/ ٥٨٧ رقم ٣٥٧٩).
(٤) أخرجه البخاري (٦/ ٥٨٠ رقم ٣٥٧٢).
ومسلم في صحيحه (٤/ ١٧٨٣ رقم ٦/ ٢٢٧٩).
(٥) أخرجه البخاري (٦/ ٥٨١ رقم ٣٥٧٦) وأطرافه رقم (٤١٥٢، ٤١٥٣، ٤١٥٤، ٤٨٤٠، ٥٦٣٩).
ومسلم في صحيحه (٤/ ١٧٨٣ رقم ٥/ ٢٢٧٩).

يوم الحُديبية والنبيُّ ﷺ بين يديه ركوةٌ فتوضأ، فجهش الناسُ نحوَه فقال: ما لكم؟ قالوا ليس عندنا ما نتوضأ ولا نشرب إلا ما بين يديك.

فوضع يدَه في الركوة فجعل الماءُ يفور بين أصابِعه كأمثال العيونِ فشرِبنا وتوضأنا. قلت: كم كنتم؟ قال: لو كنا مائةَ ألفٍ لكفانا، كنا خمسَ عشرةَ مِائةٍ».

وعن البراء بن عازب[1] رضي الله عنه قال: «كنا يوم الحُديبية أربعَ عشرةَ مائةٍ والحديبيةُ بئرٌ فنزَحناها حتى لم نترك فيها قطرةً، فجلس النبيُّ ﷺ على شفير البئرِ فدعا بماء فمضمض ومجّ في البئر فمكثنا غيرَ بعيد، ثم استقَينا حتى رَوِينا ورويتْ وأصدرتْ ركائبنا».

وعن أنس[2] بنِ مالكٍ قال: قال أبو طلحةَ لأم سُليم: لقد سمعتُ صوتَ رسولِ الله ﷺ ضعيفاً أعرِف فيه الجوعَ، فهل عندكِ من شيء؟ قالت: نعم، فأخرجتْ أقراصاً من شعير ثم أخرجت خِماراً لها فلفت الخبزَ ببعضه ثم دسته تحت يدي ولاثَتْني ببعضه، ثم أرسلتني إلى رسولِ الله ﷺ.

قال فذهبتُ به فوجدتُ رسولَ الله ﷺ في المسجد ومعه الناسُ فقمتُ عليهم فقال لي رسولُ اللّهِ ﷺ: **«أرسلك أبو طلحةَ؟»**. فقلت: نعم، قال: **«بطعام؟»** قلت: نعم. فقال رسولُ الله ﷺ لمن معه: **«قوموا»**. فانطلق وانطلقتُ بين أيديهم حتى جئتُ أبا طلحةَ فأخبرتُه، فقال أبو طلحةَ: يا أمَّ سليم، قد جاء رسولُ الله ﷺ بالناس وليس عندنا ما نُطعمهم، فقالت: اللّهُ ورسولُه أعلمُ، فانطلق أبو طلحةَ حتى لقيَ رسولَ اللّهِ ﷺ، فأقبلَ رسولُ الله ﷺ وأبو طلحةَ معه.

فقال رسولُ اللّهِ ﷺ: **«هلم يا أمَّ سليم ما عندكِ»**؟ فأتتْ بذلك الخبزِ، فأمر رسولُ الله ﷺ ففُتَّ وعصَرتْ أم سليم عُكّةً فأدَمَتْه، ثم قال رسولُ الله ﷺ فيه ما شاء الله أن يقول ثم قال: **«ائذَنْ لعشرة»**، فأذِن لهم فأكلوا حتى شبعوا، ثم خرجوا، ثم قال: **«ائذَنْ لعشرة»**، فأكل القومُ كلُهم حتى شبِعوا، والقوم سبعونَ أو ثمانونَ رجلاً.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٦/ ٥٨١ رقم ٣٥٧٧) وطرفاه رقم (٤١٥٠، ٤١٥١).
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٦/ ٥٨٦ ـ ٥٨٧ رقم ٣٥٧٨).
ومسلم في صحيحه (٣/ ١٦١٢ رقم ١٤٢/ ٢٠٤٠).

وعن جابر[1] رضي الله عنه أن أباه توفيَ وعليه دينٌ، فأتيتُ النبيَّ ﷺ فقلتُ: إن أبي ترك ديْنَاً وليس عندي إلا ما يُخرج نخلُه ولا يبلُغ ما يُخرج سنين ما عليه، فانطلق معي لكيلا يفحُشَ علي الغرماء، فمشى حول بيدر من بيادر التمر، فدعا ثم آخرَ ثم جلس عليه فقال انزِعوه فأوفاهم الذي لهم وبقيَ مثلُ ما أعطاهُم.

وفي حديث[2] أبي قتادةَ الطويلِ في تلك الغزوةِ: ثم دعا بمِيضأة كانت معي فيها شيءٌ من ماء فتوضأ منها وضوءاً دون وضوءٍ، قال: وبقيَ منها شيءٌ من ماء، ثم قال لأبي قتادةَ: **«احفَظ علينا ميضأتَك فسيكون لها نبأٌ»**. الحديث.

إلى أن قال فانتهينا إلى الناس حين امتد النهارُ وحَمِيَ كلُ شيء وهم يقولون: يا رسولَ اللَّهِ هلكْنا عطِشنا، فقال: **«لا هُلكَ عليكم ـ** ثم قال ـ **أطلِقوا لي غُمَري»**. قال ودعا بالميضأة فجعل رسولُ الله ﷺ يصُبُّ وأبو قتادةَ يسقيهم، فلم يعْدُ أن رأى الناسُ ماءَ في المِيضة تكابوا عليها، فقال رسولُ الله ﷺ: **«أحسِنوا الملءَ كلُكم سيَروَى»**. قال: ففعلوا.

فجعل رسولُ اللَّهِ ﷺ يصُبّ وأَسْقيهم حتى ما بقيَ غيري وغيرُ رسولِ اللَّهِ ﷺ، قال: ثم صبَّ رسولُ اللَّهِ ﷺ فقال لي: **«اشرَبْ»**. فقلتُ: لا أشربُ حتى تشربَ يا رسولَ الله، قال: **«إن ساقيَ القومِ آخرُهم شُرباً»**. قال: فشرِبتُ وشرِبَ رسولُ الله ﷺ، قال: فأتى الناسُ الماءَ جامين رُواءً[3].

وعن أبي هريرةَ[4] رضي الله عنه أنه كان يقول: اللَّهَ الذي لا إله إلا هو إنْ كنتُ لأعتمدُ بكبدي على الأرض من الجوع، وإن كنتُ لأشُدُّ الحجَرَ على بطني من الجوع، ولقد قعدتُ يوماً على طريقهم الذي يخرُجون منه فمر أبو بكرٍ فسألتُه عن آية من كتاب اللَّهِ، ما سألته إلا ليُشبعني فمرّ ولم يفعل، ثم مر بي أبو القاسم ﷺ فتبسّم حين رآني وعرَف ما في نفسي وما في وجهي ثم قال: **«أبا هِرّ»**، قلت:

---

(١) أخرجه البخاري (٦/ ٥٨٧ رقم ٣٥٨٠).
(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (١/ ٤٧٢ ـ ٤٧٤ رقم ٣١١/ ٦٨١).
(٣) (جامين رواء): أي مستريحين قد رووا من الماء. والرواء ضد العِطاش جمع ريان وريّاً، مثل عطشان وعطشى.
(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (١١/ ٢٨١ ـ ٢٨٢ رقم ٦٤٥٢).

لبيك يا رسولَ الله، قال: «**الحَقْ**». ومضى فتبعته فدخل فاستأذن فأُذِن لي فدخل فوجد لبناً في قدح فقال: «**من أين هذا اللبن**». قالوا أهداه لك فلانٌ أو فلانة، قال: «**أبا هِرّ**». قلت: لبيكَ يا رسولَ الله، قال: «**الحَقْ إلى أهلِ الصُّفةِ فادْعُهم لي**».

قال وأهلُ الصفةِ أضيافُ الإسلامِ لا يأوون إلى أهل ولا مالٍ ولا على أحدٍ، إذا أتته صدقةٌ بعث بها إليهم ولم يتناول منها شيئاً، وإذا أتته هديةٌ أرسلَ إليهم وأصاب منها وأشركهم فيها، فساءني ذلك فقلت: وما هذا اللبن في أهلِ الصفة، كنتُ أحقَّ أن أُصيبَ من هذا اللبنِ شربةً أتقوّى بها، فإذا جاء أمرني فكنت أنا أُعطيهم، وما عسى أن يبلُغني من هذا اللبن، ولم يكن من طاعةِ اللّهِ وطاعةِ رسولِه بدٌّ، فأتيتُهم فدعوتُهم، فأقبلوا فاستأذنوا فأذِن لهم وأخذوا مجالِسَهم من البيت.

قال: «**أبا هِرّ**»، قلت: لبيك يا رسولَ الله، قال: «**خذ فأعطِهم**»، قال: فأخذتُ القدَح فجعلتُ أعطيه الرجلَ فيشرب حتى يَروى ثم يردّ عليَّ القدح، فأعطي الرجلَ فيشرب حتى يَروى ثم يردّ عليّ القدحَ حتى انتهيتُ إلى النبيِّ ﷺ وقد روِيَ القومُ كلُهم، فأخذ القدحَ فوضعه على يده فنظر إليَّ فتبسَّم فقال: «**يا أبا هِرّ**». قلت: لبيك يا رسولَ الله، قال: «**بقيتُ أنا وأنت**»، قلت: صدقتَ يا رسولَ الله، قال: «**اقعُد فاشربْ**»، فقعدتُ فشربتُ، فقال: «**اشربْ**» فشرِبتُ، فما زال يقول اشرَب حتى قلت: «**لا والذي بعثك بالحق ما أجد له مسلكاً**»، قال: «**فأعطيته القدحَ فحمِدَ الله وسمّى وشرِبَ الفَضْلة**».

وقال أبو داود[1] رحمه الله: حدثنا سليمانُ بنُ داودَ المهري حدثنا ابنُ وهبٍ أخبرني يونسُ عن ابن شهابٍ قال: كان جابرُ بنُ عبدِ الله يحدِّث أن يهوديةً من أهلِ خيبرَ سمّت شاةً مَصْليةً ثم أهدتْها لرسولِ اللّهِ ﷺ فأخذ رسولُ الله ﷺ الذِراعَ فأكلَ منها وأكلَ رهْطٌ من أصحابِه معه، ثم قال لهم رسولُ الله ﷺ: «**ارفعوا أيديَكم**»، وأرسلَ رسولُ الله ﷺ إلى المرأة فدعاها فقال لها: «**أسَمَمْتِ هذه الشاةَ**»؟ قالت

---

(١) في «السنن» (٤/٦٤٨ ـ ٦٤٩ رقم ٤٥١٠) إسناده منقطع لأن الزهري لم يسمع من جابر بن عبد الله.

لكن الحديث صحيح لغيره.

اليهوديةُ: من أخبرك؟ قال: «**أخبرتني هذه التي في يدي**» وهي الذراع. قالت: نعم. قال: «**فما أردتِ بذلك؟**»، قالت: قلتُ إن كنتَ نبياً فلن تضُرَّك، وإن لم تكن نبياً استرحْنا منك. الحديث، وهو في صحيح البخاريِّ[١] عن أبي هريرةَ في مواضعَ مختصراً ومطولاً.

لكنّ الشاهدَ منه في هذه الرواية أصرحُ وهو قولُه: «**أخبرتني هذه**»، للذراع. وقد رواه جماعةٌ من الصحابة[٢] في عامةِ الأمهاتِ وغيرِها.

ودلائلُ نبوتِه ﷺ أكثرُ من أن تُحصى في الأسفار فضلاً عن هذا المختصر، وقد جُمعتْ فيها التصانيفُ[٣] المستقلاتُ من المختصرات والمطوَّلاتِ، وبالله التوفيق.

وكذا قد صُنِّفت التصانيفُ الجمّةُ في صفته الخُلقية والخلْقية وسيرته وشمائلِه ومعاملاتِه مع الحق ومع الخلق فلتراجع لها مصنفاتُها. وكذا خصائصُه التي انفرد بها في الدنيا والآخرةِ عن غيره من الرسل السماويّين والأرضيين، وقد تقدم التنبيهُ على مُهمات من ذلك.

(و) نشهد **(أنه بلغ)** إلى الناس كافةً **(ما)** أي الذي **(قد أُرسلا)** بالبناء للمفعول، والألفُ للإطلاق **(به)** من ربه **(وكلُّ ما إليه أنزلا)** من الكتاب والحِكمة.

وفي هذا البحثِ مسائلُ عظيمةُ الخطرِ:

(الأولى): **أنه أي الرسولَ ﷺ مبلِّغ عن الله عز وجل، لم يقل شيئاً من رأيه فيم يتعلق بالتبليغ**، بل ليس عليه إلا بلاغُ الرسالةِ من الله إلى الناس، وتلاوةُ آياتِه

---

(١) (٦/ ٢٧٢ رقم ٣١٦٩) وطرفاه رقم (٤٢٤٩، ٥٧٧٧).

(٢) منها حديث أنس بن مالك. أخرجه البخاري في صحيحه رقم (٢٦١٧) ومسلم رقم (٤٥/ ٢١٩٠) وأبو داود في «السنن» رقم (٤٥٠٨).

(٣) مثل: ١ ـ «دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة» للبيهقي.
تحقيق الدكتور: عبد المعطي قلعجي. دار الكتب العلمية.
٢ ـ «دلائل النبوة» لأبي نعيم الأصبهاني.
تحقيق مساعد بن سليمان الراشد الحميد. دار العاصمة.
٣ ـ «دلائل النبوة» لأبي بكر جعفر بن محمد الفريابي. دار طيبة.
٤ ـ «الصحيح المسند من دلائل النبوة» للشيخ مقبل بن هادي الوادعي. دار الأرقم.

على الناس، وتعليمُهم الحكمةَ والتبيانَ، وذلك معنى كونِه ﷺ رسولَ الله، فأمرُه ونهيُه تبليغٌ لأمرِه ونهيِه، وأخبارُه وقصصُه تبليغٌ لما قصّهُ اللّهُ وأخبر به، ولذا كانت طاعتُه طاعةً لله عز وجل، ومعصيتُه معصيةً لله عز وجل، وتكذيبُه تكذيباً لإخبار اللّهِ عز وجل في أنه رسولُه.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾﴾ [النساء]. وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الأنفال].

وقال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُوا۟ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [المائدة: ٩٢].

وقال تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [النور: ٥٤]. وقال تعالى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾ [الشورى: ٤٨]. وقال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد: ٧].

وقال تعالى: ﴿إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٣].

وقال: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ [ص: ٦٥]. وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ﴾ [فصلت: ٦]. وقال: ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [ق: ٤٥]. وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾﴾ [الجن].

وقال: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥]. وقال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾﴾ [الأعلى]. وقال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾﴾ [الغاشية].

وقال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧]. وغيرُ ذلك من الآيات.

﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥﴾ [النجم].

وقال الإمامُ أحمدُ[1] رحمه الله تعالى عن أبي أُمامةَ ﷺ أنه سمع رسولَ الله ﷺ يقول: «**ليدخُلن الجنةَ بشفاعة رجلٍ ليس بنبيّ مثلُ الحيَّينِ أو مثلُ أحدِ الحييّن ـ ربيعةَ ومُضرَ**». فقال رجل: يا رسولَ اللّهِ وما ربيعةُ من مُضرَ؟ قال: «**إنما أقول ما أقول**».

وله[2] عن عبد الله بنِ عمرٍو قال: كنت أكتُب كلَّ شيء أسمعه من رسول الله ﷺ أريد حفظَه، فنهتْني قريشٌ فقالوا إنك تكتبُ كلَّ شيءٍ تسمعه من رسولِ الله ﷺ ورسولُ اللّهِ ﷺ يتكلم في الغضب والرضا، فأمسكتُ عن الكتاب حتى ذكرتُ ذلك لرسولِ الله ﷺ فقال: «**اكتُبْ فوالذي نفسي بيده ما خرج مني إلا الحقُّ**».

وله[3] عن أبي هريرةَ ﷺ عن رسولِ الله ﷺ أنه قال: «**لا أقول إلا حقاً**». قال بعضُ الصحابةِ فإنك تُداعبنا، قال: «**إني لا أقول إلا حقًّا**».

---

(١) في «المسند» (٥/ ٢٥٧ و ٢٦١ و ٢٦٧).
قلت: وأخرجه الطبراني في «الكبير» (٨/ ١٦٩ رقم ٧٦٣٨).
وأورده الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ٣٨١) وقال: رواه أحمد والطبراني بأسانيد ورجال أحمد وأحد أسانيد الطبراني رجالهم رجال الصحيح غير عبد الرحمن بن مسيرة وهو ثقة.
قلت: وقال الحافظ في «التقريب» رقم (٤٠٠٢): «مقبول، من الرابعة». ووثقه العجلي وأبو داود.
فحديثه حسن والله أعلم.

(٢) لأحمد في «المسند» (٢/ ١٦٢ و ١٩٢).
قلت: وأخرجه أبو داود رقم (٣٦٤٦) والدارمي (١/ ١٢٥) والحاكم في «المستدرك» (١/ ١٠٥ ـ ١٠٦).
قال الحاكم: رواة هذا الحديث قد احتجا بهم عن آخرهم غير الوليد هذا وأظنه الوليد بن أبي الوليد الشامي فإنه الوليد بن عبد الله وقد علمت على أبيه الكتبة فإن كان كذلك فقد احتج مسلم به. ووافقه الذهبي.
وهو حديث صحيح. انظر: «الصحيحة» (١٥٣٢).

(٣) لأحمد في «المسند» (٢/ ٣٤٠، ٣٦٠).
قلت: وأخرجه الترمذي (٤/ ٣٥٧ رقم ١٩٩٠) وقال: **هذا حديث حسن صحيح**. =

وللبزار[1] عنه رضي الله عنه عن رسولِ الله ﷺ قال: «**ما أخبرتُكم أنه من عند اللَّهِ فهو الذي لا شك فيه**». وغير ذلك من الأحاديث. ويكفي في ذلك قولُ الله تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [الحاقة] الآيات.

(المسألة الثانية): **أنه ﷺ بلغ جميعَ ما أرسل به لم يكتم منه حرفاً واحداً**، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ﴾ [المائدة: ٦٧].

وفي الصحيحين[2] عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: «قام فينا رسول الله ﷺ ذاتَ يوم فذكر الغُلولَ فعظّمه وعظّم أمرَه ثم قال: «**لا أُلفيَنّ أحدَكم يوم القيامة على رقبته بعيرٌ له رُغاءٌ يقول يا رسولَ الله أغثني فأقول لا أملِك لك شيئاً قد أبلغتُك، لا أُلفيَنّ أحدَكم يجيء يوم القيامة على رقبته فرسٌ له حَمحمةٌ فيقول يا رسولَ الله أغثني فأقول لا أملك لك شيئاً قد أبلغتُك، لا أُلفيَنّ أحدَكم يجيء يوم القيامةِ على رقبتِه شاةٌ لها ثُغاءٌ يقول يا رسولَ اللَّهِ أغثني فأقول لا أملك لك شيئاً قد أبلغتُك، لا أُلفين أحدَكم يجيء يوم القيامة على رقبته نفسٌ لها صياحٌ فيقول يا رسولَ الله أغثني فأقول لا أملك لك شيئاً قد أبلغتُك. لا أُلفين أحدَكم يجيء يوم القيامة على رقبتِه رِقاعٌ تخفُقُ فيقول يا رسولَ الله أغثني فأقول لا أملك لك شيئاً قد أبلغتُك، لا أُلفينَ**

= والبغوي في «شرح السنة» رقم (٣٦٠٢) والبخاري في «الأدب المفرد» (١/٣٥٨ رقم ٢٦٥).

وهو حديث صحيح. انظر: «الصحيحة» رقم (١٧٢٦).

(١) في مسنده (١/١١٢ رقم ٢٠٣ ـ كشف).
قلت: وأورده الهيثمي في «المجمع» (١ ـ ١٧٩) وقال رواه البزار وفيه أحمد بن منصور الرمادي وهو ثقة وفيه كلام لا يضر وبقية رجاله رجال الصحيح وعبد الله بن صالح مختلف فيه».
وأخرجه البزار (١/١١١ رقم ٢٠١ ـ كشف) عن ابن عباس بنحوه.
وأورده الهيثمي في «المجمع» (١/١٧٨) وقال إسناده حسن إلا أن إسماعيل بن عبد الله الأصبهاني شيخ البزار لم أر من ترجمه.

(٢) البخاري في صحيحه (٦/١٨٥ رقم ٣٠٧٣) ومسلم في صحيحه (٣/١٤٦١ ـ ١٤٦٢ رقم ٢٤/١٨٣١).

أحدَكم يجيء يوم القيامة على رقبته صامتٌ فيقول يا رسولَ الله أغثني فأقول لا أملك لك شيئاً قد أبلغتُك».

وفي صحيح مسلم[1] من حديث جابرِ الطويلِ قولُه ﷺ: «**وقد تركتُ فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به كتابَ الله، وأنتم تُسألون عني فما أنتم قائلون؟**»، قالوا: نشهدُ أنك قد بلّغتَ وأدّيتَ ونصحْتَ. فقال بأُصبَعه السبابةِ يرفعها إلى السماء وينكُتها إلى الناس: «**اللهم اشهدْ، اللهم اشهدْ**» ثلاثَ مراتٍ. الحديث.

وفيهما[2] من حديث ابنِ عباسٍ في ذلك الجمع الأعظمِ حين خطب: «**اللهم هل بلّغتُ، اللهم هل بلغت؟**».

ومن حديث أبي بكرةَ[3] في تلك الخطبةِ أيضاً: «**ألا هل بلغتُ؟**»، قالوا: نعم. قال: «**اللهم اشهدْ، فلْيُبلِّغِ الشاهدُ الغائبَ فربَّ مُبلَّغٍ أوعى من سامع**».

وفي صحيح البخاريِّ[4] من رواية أبي جُحيفةَ وهْب بنِ عبدِ اللّهِ السوائيِّ قال: قلت لعليِّ بنِ أبي طالبٍ ﷺ: هل عندكم شيءٌ من الوحي مما ليس في القرآن؟ فقال: «لا والذي فلق الحبّةَ وبرأ النسَمةَ، إلا فهماً يعطيه اللّهُ رجلاً في القرآن، وما في هذه الصحيفة». قلت: وما في هذه الصحيفة؟ قال: «العقْلُ وفَكاكُ الأسيرِ وأنْ لا يقتلَ مسلمٌ بكافر».

وفيه[5] من رواية الأعمشِ عن إبراهيمَ التيميِّ عن أبيه عن علي ﷺ قال: ما عندنا شيءٌ إلا كتابَ الله وهذه الصحيفةَ عن النبيِّ ﷺ: «**المدينةُ حرَمٌ ما بين عَيْرٍ إلى كذا، من أحدث فيها حدَثاً أو آوى مُحدثاً فعليه لعنةُ الله والملائكةِ والناسِ أجمعين**». الحديث.

---

(١) (٢/ ٨٨٦ ـ ٨٩٢ رقم ١٢١٨).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٣/ ٥٧٣ رقم ١٧٣٩) وطرفه رقم (٧٠٧٩).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٣/ ٥٧٣ ـ ٥٧٤ رقم ١٧٤١).

(٤) (٦/ ١٦٧ رقم ٣٠٤٧) و (١/ ٢٠٤ رقم ١١١).

(٥) أي في صحيح البخاري (٦/ ٢٧٩ رقم ٣١٧٩) ومسلم في صحيحه (٢/ ٩٩٤ ـ ٩٩٨ رقم ٤٦٧/ ١٣٧٠).

وفي رواية[1] قال: خطبنا عليٌّ ﷺ على منبر من آجرٍ وعليه سيفٌ في صحيفةٍ معلّقةٍ فقال: «والله ما عندنا من كتاب يقرأ إلا كتابُ الله، وما في هذه الصحيفةِ. فنَشَرها فإذا فيها أسنانُ الإبل، وإذا فيها: المدينةُ حرمٌ من عَير إلى كذا، فمن أحدث فيها حدثاً فعليه لعنةُ الله والملائكةِ والناس أجمعين لا يقبلُ اللّهُ منه صرْفاً ولا عدْلاً.

وإذا فيه: ذمةُ المسلمين واحدةٌ يسعى بها أدناهم، فمن أخفر مسلماً فعليه لعنةُ اللّهِ والملائكةِ والناسِ أجمعين، لا يقبل اللّهُ منه صِرْفاً ولا عدْلاً.

وإذا فيها: من والى قوماً بغيرِ إذنِ مواليه فعليه لعنةُ اللّهِ والملائكةِ والناسِ أجمعين لا يقبل الله منه صرْفاً ولا عدْلاً».

ولابن أبي حاتم[2] عن هارونَ بنِ عنترةَ عن أبيه قال: كنتُ عند ابنِ عباسٍ فجاء رجلٌ فقال له: إن أناساً يأتون فيخبرونا أن عندكم شيئاً لم يُبْده رسولُ اللّهِ ﷺ للناس. فقال ابنُ عباس: «ألم تعلم أن اللّهَ تعالى قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ﴾ [المائدة: ٦٧]، والله ما ورّثنا رسولُ اللّهِ ﷺ سوداءَ في بيضاءَ»، وإسنادُه جيدٌ.

وتقدم قولُ عائشةَ[3] ﵂ قالت: «من حدثك أن محمداً ﷺ كتم شيئاً مما أنزل عليه فقد كذب، واللّهُ تعالى يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [المائدة: ٦٧]. الآية.

(المسألةُ الثالثةُ): **أن هذا الذي بلغه الرسولُ ﷺ عن ربه هو جميعُ دينِ الإسلام مكملاً مُحكَماً** لم يبقَ نقصٌ بوجه من الوجوه فيَحتاجَ إلى تكميل، ولم يبقَ فيه إشكالٌ فيحتاجَ إلى حل، ولا إجمالٌ فيفتقرَ إلى تفصيل، قال الله تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨].

---

(١) أخرجه البخاري (٦/ ٢٧٣ رقم ٣١٧٢).
ومسلم في صحيحه (٢/ ٩٩٤ ـ ٩٩٧ رقم ٤٦٧/ ١٣٧٠).

(٢) في تفسيره (٤/ ١١٧٢ ـ ١١٧٣ رقم ٦٦١١).
وأخرجه ابن كثير في تفسيره (٢/ ٨٠) وقال: هذا إسناد جيد.

(٣) تقدم تخريجه.

فكما أن الإمامَ المبينَ قد أحصى كلَّ ما هو كائنٌ كما علمه الله عز وجل، فكذلك هذا القرآنُ وافٍ شافٍ كافٍ محيط بجميع أصولِ الشريعةِ وفروعِها وأقوالِها وأعمالِها وسرِّها وعلانيتِها، فمن لم يكْفِه فلا كُفِيَ، ومن لم يَشفِه فلا شُفِيَ. ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [العنكبوت: ٥١].

وكما وفى بتقرير الدينِ وتكميله وشرحِه وتفصيلِه كذلك هو وافٍ بالذبِّ عنه، وبرَدِّ كلِّ شُبهةٍ تردُ عليه، وبقمع كلِّ ملحدٍ ومعاندٍ ومُشاقٍّ ومُحادٍّ، وبدمغ كلّ باطلٍ وإزهاقه: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٣]. ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ [الأنبياء: ١٨]. ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ۖ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾﴾ [فصلت].

وكذلك السُنةُ من جوامع كلِم رسولِ اللَّهِ ﷺ التي اختصه الله بها، هي روحُ المعاني والوحيُ الثاني، والحكمةُ والبيانُ وتبيانُ القرآن، والنورُ والبرهان.

فلم يُتوفَّ ﷺ حتى بيَّن الشريعةَ أكملَ بيان، ولم يكن ليتوفاه اللَّهُ تعالى قبل بيانِ ما بالناسِ إليه حاجةٌ في دِينهم ودنياهُم وآخرتِهم، واللَّهُ تعالى يقول: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النحل: ٦٤]. ويقول تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤].

ثم يخبر أنه ما أنزل عليكَ الكتابَ إلا لذلك، فكيف يتوفاه قبل إنفاذِ ذلك وإنجازِه، مع قوله تعالى له ﷺ ولأمته كلُهم: ﴿وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ

﴿١٥٠﴾ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾﴾ [البقرة].

فكيف يعِدُنا تعالى بإتمام النعمةِ وإكمالِ الدين ثم يَتوفَّى رسولَه قبل إنجاز ذلك وهو عز وجل: ﴿لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ [آل عمران: ٩].

والذي بعثه بالحق بشيراً ونذيراً ما توفاه اللَّهُ عز وجل حتى بلّغ ما أرسلَه اللَّهُ به أكملَ بلاغٍ وبينه أتمَّ بيانٍ وفصّله أوضحَ تفصيلٍ، وأكملَ به الدينَ وأتمَّ علينا النعمةَ، ولهذا أنزل عليه في آخر ما أنزل في يوم الجمعةِ الذي اختُصَّ به هو وأمتُه، وهداهُم له في أشرفِ موقفٍ وأفضلِ عشيةٍ يوم الحجِّ الأكبرِ وهو واقفٌ بعرفةَ في ذلك الجمعِ الأعظم الذي لم يتفقْ وقوعُ مثلِه ولم يلتق أكثرُ الناس برسول اللَّهِ ﷺ بعده: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

فأخبر فيها بإكمال دينِه الذي وعدنا إظهارَه في قوله عز وجل: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣].

وبإتمامه النعمةَ كما وعد في قوله تعالى: ﴿وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٠].

وتقدم الحديثُ الصحيحُ[١] في قول اليهوديِّ لعمرَ في شأنها وما ردَّ عليه به.

وقال عليُّ بنُ أبي طلحةَ[٢] عن ابن عباس قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣] وهو الإسلامُ، أخبرَ اللَّهُ نبيَّه ﷺ والمؤمنين أنه قد أكمل لهم شرائعَ الإيمانِ فلا يحتاجون إلى زيادة أبداً، وقد أتمه فلا ينقُصه أبداً، وقد رضِيَه فلا يَسخَطُه أبداً.

قلت: وفي ضمن هذا الخطابِ معنى فارضَوا به أنتم لأنفسكم، ولهذا قال النبيُّ ﷺ: **«ذاقَ طعمَ الإيمانِ من رضيَ بالله رباً وبالإسلامِ ديناً وبمحمد ﷺ نبياً»**[٣]، وأمرَنا بهذا الذكرِ في كل مساء وصباحٍ[٤].

---

(١) تقدم تخريجه.
(٢) ذكره ابن جرير في «جامع البيان» (٤/ج٦/٧٩) والسيوطي في «الدر المنثور» (٣/١٧).
(٣) أخرجه مسلم في صحيحه (١/ ٦٢ رقم ٥٦/ ٣٤) من حديث العباس.
(٤) يشير إلى الحديث الذي أخرجه مسلم في صحيحه (٣/ ١٥٠١ رقم ١١٦/ ١٨٨٤) وأبو=

وقال أسباطٌ[1] عن السُديّ: نزلت هذه الآيةُ يوم عرفةَ ولم ينزل بعدها حلالٌ ولا حرامٌ. ورجع رسولُ الله ﷺ فمات.

قالت أسماءُ بنتُ عُميس[2]: حججتُ مع رسولِ الله ﷺ تلك الحجةَ فبينما نحن نسير إذ تجلَّى له جبريلُ، فَمال رسولُ الله ﷺ على الراحلة فلم تُطق الراحلة من ثِقَل ما يُميلُها من القرآن فبركتْ، فأتيتُه فسجيَّتُ عليه بُرداً كان عليّ.

وقال ابنُ جريرٍ[3] وغيرُ واحدٍ: مات رسولُ الله ﷺ بعد يومِ عرفةَ بأحدٍ وثمانين يوماً. رواهما ابنُ جرير.

وله[4] عن هارونَ بن عنترةَ عن أبيه قال: لما نزلت: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣] وذلك يومَ الحجِّ بكى عمر رضي الله عنه، فقال له النبيُّ ﷺ: ما يبكيك؟ قال: كنا في زيادة من ديننا فأما إذا أُكمل فإنه لم يكمُل شيءٌ إلا نقص، فقال: **«صدقتَ»**.

وقال ابنُ عباس[5] رضي الله عنهما في قول الله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٣]. قال: ولا يأتونك بمثل أي بما يلتمسون به غيرَ القرآن والرسولِ ﴿إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ﴾ [الفرقان: ٣٣]. الآية.

أي لإنزال جبريلَ من الله تعالى بجوابِهم، وما هذا إلا اعتناءٌ وكِبْرُ شرفٍ للرسول ﷺ حيث كان يأتيه الوحيُ من الله عز وجل بالقرآن صباحاً ومساء وليلاً

= داود رقم (١٥٢٩) وابن حبان رقم (٢٣٦٨ ـ موارد).
والحاكم في «المستدرك» (١/٥١٨) والنسائي في «عمل اليوم والليلة» رقم (٥).
كلهم من حديث أبي سعيد الخدري: أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: **«يا أبا سعيد! من رضيَ بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمدٍ نبياً، وجبت له الجنة...»**.
وهو حديث صحيح.

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٤/ج٦/ ٧٩ ـ ٨٠).
وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ١٩).
(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٤/ج٦/ ٨٠).
وذكره السيوطي في «الدر المنثور» (٣/ ١٩).
(٣) في «جامع البيان» (٣/ج٦/ ٨٠).
(٤) لابن جرير في «جامع البيان» (٣/ج٦/ ٨٠).
(٥) ذكره ابن كثير في تفسيره (٣/ ٣٣٠).

ونهاراً، سفراً وحضَراً، وكلَّ مرةٍ كان يأتيه الملَكُ بالقرآنِ لا كإنزالِ الكتبِ قبله المتقدمةِ، فهذا المقامُ أعلى وأجلُّ وأعظمُ مكانةً من سائر إخوانِه الأنبياء صلواتِ الله وسلامه عليهم أجمعين.

فالقرآنُ أشرفُ كتابٍ أنزله الله، ومحمدٌ ﷺ أعظمُ نبيٍّ أرسله الله تعالى. وقد جمع اللّهُ للقرآن الصفتين معاً: ففي الملأ الأعلى أُنزل جملةً واحدةً من اللوح المحفوظِ إلى بيت العزةِ في السماء الدنيا، ثم أُنزل بعد ذلك إلى الأرض مُنجَّماً بحسب الوقائعِ والحوادثِ[1]، ﴿كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الفرقان]. ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾ [الإسراء: ١٠٦].

وكما وفى بالرد على كل مشاقٍّ لله ورسوله من الوثنيين والمنافقين والكتابيّين وغيرِهم، ونزل منجّماً على حسب ذلك، فكذلك هو وافٍ بردّ شبهةِ كلِّ ملحدٍ إلى يوم القيامة، اقرأ على من ادعى النبوةَ: ﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ﴾ [الأحزاب: ٤٠]. وعلى الدجال فواتحَ سورةِ الكهفِ، وعلى المعطّل والمشبّه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]. ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠].

وعلى النافي للقدر: ﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام: ٣٩]. ﴿إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩].

وعلى الجبرية الغُلاة: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ﴾ [البقرة: ٢٨٦]. ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ﴾ [النساء: ١٦٥]. ﴿قُلْ فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ فَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٩]. وعلى نُفاةِ الرؤية: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة]. وعلى الرافضة: ﴿ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ﴾ [التوبة: ٤٠].

وعلى الناصبة: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠]. الآية. ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣].

---

(١) انظر تفسير ابن كثير (٣/ ٣٣٠).

وعلى الفريقين: ﴿وَالَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [الحشر: ١٠].

وعلى كل ذي بدعةٍ مطلقاً: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾ [المائدة: ٣]. إلى آخرها مع قوله تعالى: ﴿أَفَغَيۡرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبۡغُونَ﴾ [آل عمران: ٨٣]. ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ﴾ [آل عمران: ٨٥].

(المسألةُ الرابعةُ): **أن هذا الدينَ التامَّ المكمَّل الذي بلغه الرسولُ ﷺ إلى الناس كافةً لا يقبل زيادة على ما شرع فيه من أصولِ الملةِ وفروعِها ولا نقصاً منها ولا تغييراً ولا تبديلاً ولا يُقبل من أحد دينٌ سواه.** ولا تقبل لأحد عبادةٌ لم يتعبدْها محمدٌ رسولُ الله ﷺ ولا أصحابه ولا يُعبد الله تعالى إلا بما شُرع، وهذه المسألةُ يأتي إن شاءَ اللَّهُ الكلامَ عليها في الفصلِ الأخيرِ، واللَّهُ المستعانُ.

محمدٌ ﷺ خاتَمُ الرُسلِ، فلا نبيَّ بعده

(المسألةُ الخامسةُ): **أن محمداً ﷺ خاتَمُ الرسلِ فلا نبيَّ بعده**، وكتابُه خاتمُ الكتبِ فلا كتابَ بعده، فهو محكمٌ أبداً. وهذه المسألةُ هي المُشارُ إليها بهذا البيتِ والذي بعده.

(وكلُ مَن مِن بعدِه قد ادعى ... نبوةً فكاذبٌ فيما ادّعى)
(فهو خِتامُ الرسلِ باتفاق ... وأفضلُ الخلقِ على الإطلاق)

قال الله تبارك وتعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا﴾ [الأحزاب: ٤٠]. وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ﴾ [البقرة: ١٤٣].

وقال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٞ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُۚ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ﴾ [النساء: ١٦٣] إلى غير ذلك من الآيات.

وقال البخاريُّ[1] رحمه الله تعالى: حدثنا إبراهيمُ بنُ المنذرُ قال: حدثني

---

(١) في صحيحه (٦/ ٥٥٤ رقم ٣٥٣٢).

مغنٌ عن مالك عن ابن شهابٍ عن محمد بنِ جبيرِ بنِ مُطعم عن أبيه ﷺ قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: **«لي خمسةُ أسماءٍ: أنا محمدٌ، وأنا أحمدُ، وأنا الماحي الذي يمحو اللَّهُ بي الكفرَ، وأنا الحاشرُ الذي يُحشرُ الناسُ على قدمي، وأنا العاقبُ»**. ورواه مسلم[1] وزاد: **«وأنا العاقبُ الذي ليس بعده نبيٌّ»**[2].

وله[3] عن أبي موسى ﷺ قال: كان رسولُ اللَّهِ ﷺ يسمِّي لنا نفسَه أسماءً فقال: **«أنا محمدٌ وأحمدُ والمُقَفِّي والحاشرُ ونبيُّ التوبةِ ونبيُّ الرحمةِ»**.

وقال البخاريُّ[4] رحمه الله تعالى: بابُ خاتمِ النبيين ﷺ، حدثنا محمدُ بنُ سِنانٍ حدثنا سليمٌ حدثنا سعيدُ بنُ ميناءَ عن جابر بن عبد الله ﷺ قال: قال النبيُّ ﷺ: **«مثلي ومثلُ الأنبياء كمثلِ رجلٍ بنى داراً فأكملَها وأحسَنها إلا موضعَ لبنةٍ فجعل الناسُ يدخُلونها يتعجبون ويقولون: لولا موضعُ اللبنة»**. رواه مسلم[5] وزاد: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: **«فأنا موضعُ اللبنةِ جئتُ فختمتُ الأنبياء»**.

وقال البخاريُّ[6] رحمه الله تعالى: حدثنا قُتيبةُ عن سعيدٍ حدثنا إسماعيلُ بنُ جعفرٍ عن عبدِ اللَّهِ بنِ دينارٍ عن أبي صالحٍ عن أبي هريرةَ ﷺ أن رسولَ الله ﷺ قال: **«إن مثلي ومثلَ الأنبياءِ من قبلي كمثَلِ رجلٍ بنى بيتاً فأحسنه وأجملَه، إلا موضعَ لبنةٍ من زاوية، فجعل الناسُ يطوفون به ويعَجبونَ له ويقولون: هلاّ وُضعَتْ هذه اللبنةَ؟»**، قال ﷺ: **«فأنا اللبِنةُ، وأنا خاتمُ النبيين»**. رواه مسلم[7] من طرق.

وله[8] عن أبي سعيد الخدريِّ ﷺ قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: **«مثلي ومثلُ النبيين»**، فذكر نحوَه.

---

(١) في صحيحه (٤/١٨٢٨ رقم ١٢٤/٢٣٥٤).
(٢) انظر كتاب «الرياض الأنيقة في شرح أسماء خير الخليقة» للسيوطي.
(٣) أي لمسلم في صحيحه (٤/١٨٢٨ ـ ١٨٢٩ رقم ١٢٦/٢٣٥٥).
(٤) في صحيحه (٦/٥٥٨ رقم ٣٥٣٤).
(٥) في صحيحه (٤/١٧٩١ رقم ٢٣/٢٢٨٧).
(٦) في صحيحه (٦/٥٥٨ رقم ٣٥٣٥).
(٧) في صحيحه (٤/١٧٩١ رقم ٢٢/٢٢٨٦).
(٨) أي لمسلم في صحيحه (٤/١٧٩١ رقم... /٢٢٨٦).

وقال الإمامُ أحمدُ[1] رحمه الله تعالى: حدثنا أبو عامر الأزديُّ حدثنا زهيرُ بنُ محمدٍ عن عبد الله بنِ محمدِ بن عقيلٍ عن الطفيل بنِ أُبيِّ بنِ كعبٍ عن أبيه رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ قال: **«مثلي في النبيين كمثل رجلٍ بنى داراً فأحسنَها وأكملها، وترك فيها موضِعَ لِبنةٍ لم يضعْها، وجعلَ الناسُ يطوفون بالبنيان ويعجبون منه ويقولون: لو تم موضعُ هذه اللبنةِ، فأنا في النبيين موضعُ تلك اللبنةِ»**.

ورواه الترمذيُّ[2] عن أبي عامرٍ العُقَديِّ به وقال: حسنٌ صحيح.

وقال البخاريُّ[3] رحمه الله تعالى: حدثنا مسدّدٌ حدثنا يحيى عن شُعبةَ عن الحكَم عن مصعب بنِ سعدٍ عن أبيه أن رسولَ اللّهِ ﷺ خرج إلى تبوكَ واستخلف علياً، فقال: أتُخلّفني في الصبيان والنساء؟ قال: **«ألا ترضى أن تكونَ مني بمنزلةِ هارون من موسى إلا أنه ليس نبيٌّ بعدي»**.

رواه مسلمٌ[4] من طريق مصعبٍ هذه ومن طريق سعيد بنِ المسيِّب[5] عن عامر بن سعدِ بن أبي وقاصٍ عن أبيه قال: قال رسولُ اللّهِ ﷺ لعلي: **«أنت مني بمنزلةِ هارون من موسى إلا أنه ليس نبيٌّ بعدي»**.

قال سعيدُ: فأحببْتُ أن أُشافِه بها سعداً فلقِيتُ سعداً فحدثتُه بما حدثني به عامرٌ فقال: أنا سمعتُه، فقلتُ: أنت سمعتَه؟ فوضع إصْبعيه على أذنيه فقال: نعم وإلا سُكّتا.

وتقدم في حديث الدجالِ[6] قولُه ﷺ: **«أنه يبدأ فيقول أنه نبيٌّ، وأنا خاتمُ النبيين ولا نبيَّ بعدي»**. الحديث.

وفي حديث ثوبانَ الطويلَ عند أبي داودَ[7] وغيرِه[8]: **«وأنه سيكون في أمتي**

---

(١) في «المسند» (٥/ ١٣٨).
(٢) في «السنن» (٥/ ٥٨٦ رقم ٣٦١٣) وقال: هذا حديث حسن، وهو كما قال.
(٣) في صحيحه (٨/ ١١٢ رقم ٤٤١٦).
(٤) في صحيحه (٤/ ١٨٧٠ رقم ٣١/ ٢٤٠٤).
(٥) في صحيحه (٤/ ١٨٧٠ رقم ٣٠/ ٢٤٠٤).
(٦) تقدم تخريجه.
(٧) في «السنن» (٤/ ٤٥٠ ـ ٤٥٢ رقم ٤٢٥٢).
(٨) كمسلم في صحيحه (٤/ ٢٢١٥ رقم ١٩/ ٢٨٨٩). =

كذابون ثلاثون كلُهم يزعُم أنه نبيٌ وأنا خاتمُ النبيين ولا نبيَّ بعدي».

وللبخاريِّ[1] ومسلم[2] وهذا لفظُه: عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**نحن الآخرونَ ونحن السابقون يوم القيامة، بَيدَ أنَّ كلَّ أمةٍ أوتيت الكتابَ من قبلنا وأُوتيناهُ من بعدِهم، ثم هذا اليوم الذي كتبه الله علينا هدانا اللَّهُ له فالناسُ لنا فيه تبعٌ، اليهودُ غداً والنصارى بعد غدٍ**».

وفي رواية[3]: «**وكذلك هم تبعٌ لنا يومَ القيامة، نحن الآخرون من أهلِ الدنيا والأولون يوم القيامة المَقْضيّ لهم قبلَ الخلائقِ**».

وفي صحيح البخاريِّ[4] في موضع من صحيحه من طرق عن ابنِ عمرَ رضي الله عنهما عن رسولِ اللَّهِ ﷺ قال: «**إنما أجَلُكم في أجلِ مَن خلا من الأمم ما بين صلاةِ العصرِ إلى مغربِ الشمس، وإنما مثلُكم ومثلُ اليهودِ والنصارى كرجل استعمل عُمّالاً فقال: مَن يعملُ إلى نصفِ النهارِ على قيراطٍ قيراطٍ؟ فعمِلتْ اليهودُ إلى نصفِ النهارِ على قيراط قيراط. فقال: من يعملُ نصفَ النهارِ إلى صلاةِ العصرِ على قيراطٍ قيراطٍ؟ فعمِلت النصارى من نصفِ النهارِ إلى صلاةِ العصرِ على قيراط قيراط، فقال من يعملُ من صلاةِ العصرِ إلى مغرِب الشمسِ على قيراطين قيراطين؟ قال: ألا فأنتم الذين يعملون من صلاةِ العصرِ إلى مغرِب الشمسِ على قيراطين قيراطين، ألا لكم الأجرُ مرتين. فغضبتْ اليهودُ والنصارى، فقالوا نحن أكثرُ عملاً وأقلُّ عطاءً، قال الله تعالى: هل ظلمتُكم من حقكم شيئاً؟ قالوا: لا، قال: فإنه فضلي أُوتيه مَن شِئتُ**».

ولهما[5] عن أبي حازم قال: قاعدتُ أبا هريرةَ رضي الله عنه خمسَ سنينَ سمعتُه

= والترمذي رقم (٢٢٠٣ و ٢٢١٩) وأحمد (٥/ ١٦، ٤١، ٤٦) وابن ماجه رقم (٣٩٥٢).
وهو حديث صحيح.

(١) في صحيحه (٢/ ٣٥٤ رقم ٨٧٦).
(٢) في صحيحه (٢/ ٥٨٥ رقم ١٩/ ٨٥٥).
(٣) لمسلم في صحيحه (٢/ ٥٨٦ رقم ٢٢/ ٨٥٦).
(٤) في صحيحه (٦/ ٤٩٥ ـ ٤٩٦ رقم ٣٤٥٩).
(٥) أخرجه البخاري في صحيحه (٦/ ٤٩٥ رقم ٣٤٥٥).
ومسلم في صحيحه (٣/ ١٤٧١ ـ ١٤٧٢ رقم ٤٤/ ١٨٤٢).

يحدّث عن النبيِّ ﷺ قال: «**كانت بنو إسرائيلَ تسوسُهم الأنبياءُ كلما هَلك نبيٌّ خلَفَ نبيٌّ وإنه لا نبيَّ بعدي، وسيكون خُلفاء فيكثرون**». قالوا: فما تأمرنا؟ قال: «**فُوا بَيعةَ الأولِ فالأول، أعطوهُم حقَهم، فإن الله تعالى سائلُهم عما استرعاهم**».

وروى الإمامُ أحمدُ[1] والترمذيُّ[2] وصححه عن أنس بنِ مالكٍ رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «**إن الرسالةَ والنبوةَ قد انقطعت، فلا رسولَ بعدي ولا نبيَّ**». قال: فشقَّ ذلك على الناس، فقال: «**ولكنْ المُبشِّرات**». قالوا: يا رسولَ الله وما المبشرات؟ قال: «**رؤيا الرجلِ المسلمِ وهي جزءٌ من أجزاء النبوة**».

وللبخاري[3] من حديث أبي هريرةَ قال: سمعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقول: «**لم يبقَ من النبوة إلا المُبشرات**»، قالوا: وما المبشِّرات؟ قال: «**الرؤيا الصالحة**».

وقال مسلمٌ[4] رحمه الله تعالى: حدثنا يحيى بنُ أيوبَ وقتيبةُ بنُ سعيدٍ وعليُّ بنُ حجر قالوا: حدثنا إسماعيلُ - وهو ابن جعفر - عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرةَ رضي الله عنه أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «**فُضلتُ على الأنبياء بستٍّ: أُعطيتُ جوامعَ الكلِم، ونُصرتُ بالرعب، وأُحلّت لي الغنائم، وجُعلت لي الأرضُ طهوراً ومسجداً، وأُرسلت إلى الخلق كافة، وخُتم بي النبيُّون**».

وروى الإمامُ أحمدُ[5] عن العِرباض بنِ ساريةَ رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «**إني عند اللَّهِ لخاتمُ النبيين وإن آدمَ لَمنْجَدل في طينته**».

وله[6] عن عبد الله بنِ عمرو رضي الله عنه قال: خرج رسولُ الله ﷺ يوماً كالمودع فقال: «**أنا محمدٌ النبيُّ الأميُّ** (ثلاثاً) **ولا نبيَّ بعدي، أُوتيتُ فواتِح الكلِم وجوامعَه وخواتِمَه**».

---

(١) في «المسند» (٣/ ٢٦٧).

(٢) في «السنن» (٤/ ٥٣٣ رقم ٢٢٧٢) وقال: **هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا** الوجه من حديث المختار بن فُلفُل.
قلت: **وهو حديث صحيح الإسناد**.

(٣) في صحيحه (١٢/ ٣٧٥ رقم ٦٩٩٠).

(٤) في صحيحه (١/ ٣٧١ رقم ٥/ ٥٢٣).

(٥) تقدم تخريجه.

(٦) لأحمد في مسنده (٢/ ١٧٢، ٢١١) بسند صحيح.

وقد وردت عدةُ أحاديثَ في صفةِ خاتمِ النبوةِ بين كتِفيه آيةً باهرةً ودِلالةً ظاهرةً على أنه لا نبيَّ بعده، لا بأسَ أن نذكرَ ما تيسر منها.

فروى البخاريُّ[1] ومسلمٌ[2] عن السائب بنِ يزيدَ ﷺ قال: «ذهبتْ بي خالتي إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ فقالت: يا رسولَ الله إن ابن أختي وقع. فمسح رأسي ودعا لي بالبركة، وتوضأ فشربتُ من وَضوئه، ثم قمتُ خلف ظهرِه فنظرتُ إلى خاتم بين كتفيه مثْلِ زِرِّ الحَجلة».

ولمسلم[3] عن جابر بنِ سَمُرةَ ﷺ قال: «كان رسولُ اللَّهِ ﷺ قد شمِطَ مقدّم رأسِه ولحيتِه، وكان إذا ادّهن لك يتبيّن، وإذا شعِثَ رأسُه تبيّن، وكان كثيرَ شعرِ اللحيةِ. فقال رجل: وجهُه مثلُ السيف. قال: بل كان مثل الشمس والقمرِ، وكان مستديراً، ورأيتُ الخاتمَ عند كتفِه مثلَ بيضةِ الحمامةِ، يُشبِههُ الحسَنُ».

وفي رواية[4] قال: «رأيتُ خاتماً في ظهر رسولِ اللَّهِ ﷺ كأنه بيضةُ حَمام».

وله[5] عن عبد الله بنِ سرجس ﷺ قال: «رأيتُ النبيَّ ﷺ وأكلتُ معه خبزاً ولحماً - أو قال ثريداً - قال فقلت له: أستغفر لك النبيُّ ﷺ؟ قال: نعم ولك». ثم تلا هذه الآيةَ: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [محمد: ١٩].

قال: «ثم دُرتُ خلفه إلى خاتم النبوةِ بين كتفيهِ عن ناغض كتفِه اليُسرى جُمع عليه خِيلانٌ كأمثال الثآليل».

وروى أبو داودَ الطيالسيُّ[6] عن معاويةَ بنِ قُرَّةَ عن أبيه قال: «أتيتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ فقلت: يا رسولَ اللَّهِ أرني الخاتمَ، فقال: «**أدخِل يدك**». فأدخلتُ يدي في جُرُبَّانه فجعلتُ ألمسُ أنظرُ إلى الخاتم، فإذا هو على نغض كتفهِ مثلُ

(١) في صحيحه (٦/ ٥٦١ رقم ٢٥٤١).
(٢) في صحيحه (٤/ ١٨٢٣ رقم ١١١/ ٢٣٤٥).
(٣) في صحيحه (٤/ ١٨٢٤ رقم ١٠٩/ ٢٣٤٤).
(٤) لمسلم في صحيحه (٤/ ١٨٢٤ رقم ١١٠/ ٢٣٤٤).
(٥) لمسلم في صحيحه (٤/ ١٨٢٣ - ١٨٢٤ رقم ١١٢/ ٢٣٤٦).
(٦) في «المسند» (ص١٤٤ رقم ١٠٧٧).

البيضة، فما منعه ذاك أن جعلَ يدعو لي وإن يدي لفي جُرُبّانه» ورواه النسائي[1].

وروى الإمامُ أحمدُ[2] عن أبي رَمْثَةَ التيميِّ قال: «خرجت مع أبي حتى أتيتُ رسولَ الله ﷺ فرأيتُ برأسه ردع حِنّاء، ورأيتُ على كتفه مثلَ التفاحةَ، فقال أبي: إني طبيبٌ أفلا أطبّها لك؟ قال: «**طبيبُها الذي خلقَها**». وقال لأبي: «**هذا ابنُك؟**»، قال: نعم. قال: «**أما إنه لا يجني عليك ولا تجني عليه**».

وروى البيهقيُّ[3] عن سلمان الفارسيِّ قال: «أتيتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ فألقى رداءَه وقال: «**يا سلمانُ انظر إلى ما أُمرتُ به؟**»، قال: فرأيتُ الخاتمَ بين كتفيه مثلَ بيضةِ الحمامةِ».

وروى يعقوبُ[4] بنُ سفيانَ بإسنادِه عن التنوخي الذي بعثه هِرَقْلُ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ وهو بتبوكَ الحديث، وفيه: «فحلَّ حَبْوتَه عن ظهرِه ثم قال: «**ههنا امضِ لما أُمرت به**». قال: فجُلتُ في ظهره فإذا أنا بخاتم في موضع غُضْروف الكتِفِ مثلُ الحجمة الضخمة».

وروى الإمامُ أحمدُ[5] عن غياثٍ البكريِّ قال: كنا نجالس أبا سعيدٍ الخدريَّ بالمدينة فسألتُه عن خاتم رسولِ الله ﷺ الذي كان بين كتفيه فقال بأصبعه السبابةِ: هكذا لحمٌ ناشزٌ بين كتفيه ﷺ.

---

(١) في «السنن الكبرى» (٥/ ٨٣ رقم ٨٣٠٧).
(٢) في «المسند» (٢/ ٢٢٦، ٢٢٧ - ٢٢٨).
قلت: وأخرجه أبو داود رقم (٤٢٠٦) و (٤٤٩٥) والترمذي رقم (٢٨١٢) والنسائي (٣/ ١٨٥) والبيهقي في «الدلائل» (١/ ٢٦٥) من طرق.
قال الترمذي: **هذا حديث حسن غريب**.
وخلاصة القول أن الحديث صحيح، والله أعلم.
(٣) في «دلائل النبوة» (١/ ٢٦٦).
قلت: وأخرجه أحمد في «المسند» (٣/ ٤٤١، ٤٤٢) **بسند صحيح**.
ومسلم في صحيحه (٤/ ١٨٢٤ رقم ١٠٩/ ٢٣٤٤) والترمذي في «السنن» رقم (٣٦٤٤) وقال: **هذا حديث حسن صحيح**.
(٤) في «البداية والنهاية» (٦/ ٢٩).
قلت: وأخرجه أحمد في «المسند» (٣/ ٤٤١ - ٤٤٢) والبيهقي في «الدلائل» (١/ ٢٦٦).
(٥) في «المسند» (٣/ ٦٩).
قلتُ: وذكره ابن كثير في «البداية والنهاية» (٦/ ٣٠) وقال: تفرد به أحمد من هذا الوجه.

وقال البخاريُّ[1] رحمه الله تعالى: حدثنا أبو اليمانِ أخبرنا شعيبٌ عن عبد الله بن أبي حسينٍ حدثنا نافعُ بنُ جبيرٍ عن ابن عباس ﷺ قال: «قدِم مسيلمةُ الكذابُ على عهد رسولِ الله ﷺ فجعل يقول: إن جعلَ لي محمدٌ من بعده ـ يعني الأمر ـ تبِعتُه».

وقدِمَها في بشر كثير من قومه، فأقبل إليه رسولُ الله ﷺ ومعه ثابتُ بنُ قيسِ بنِ شماسٍ وفي يد رسول اللّهِ ﷺ قطعةُ جريدٍ حتى وقف مسيلمةَ في أصحابِه وقال: «**لو سألتني هذه القطعةَ ما أعطيتُكها، ولن تعدُوَ أمرَ الله فيك. ولئن أدبرتَ ليعقِرَنّك الله، وإني لأراك الذي أُريتُ فيه ما أُريتُ، وهذا ثابتٌ يُجيبك عني**». ثم انصرف عنه.

قال ابنُ عباس[2]: فسألتُ عن قولِ رسولِ اللّهِ ﷺ: «**وإني لأُراكَ الذي أُريتُ فيك ما رأيت**». فأخبرني أبو هريرةَ[2] ﷺ أن رسولَ الله ﷺ قال: «**بينا أنا نائمٌ رأيتُ في يديَّ سوارين من ذهب، فأهمّني شأنهما، فأُوحيَ إليَّ في المنام أن أنفُخهما، فنفختُهما فطارا فأوّلتهما كذّابين يخرُجان بعدي أحدُهما العنْسيُّ والآخرُ مُسيلمةُ**».

حدثنا إسحاقُ[3] بنُ منصورٍ حدثنا عبدُ الرزاق عن معمّر عن همام أنه سمع أبا هريرةَ ﷺ يقول: قال رسولُ اللّهِ ﷺ: «**بينا أنا نائمٌ أُتيت بخزائنِ الأرضِ، فوُضعَ في كفي سوارانِ من ذهب، فكبُرَ عليّ، فأُوحي إليَّ أن أنفُخهما، فنفختُهما فذهبا، فأولتُهما الكذابَين اللذين أنا بينهما: صاحبَ صنعاءَ، وصاحبَ اليمامة**». والأحاديث في هذا الباب كثيرةٌ جداً وفيما أشرنا إليه كفايةٌ.

(فهو) محمد ﷺ **(ختامُ الرسل)** فلا نبيَّ بعده، والرسالةُ من بابِ أولى إذ لا

---

(١) في صحيحه (٦/٦٢٦ ـ ٦٢٧ رقم ٣٦٢٠).
قلت: وأخرجه مسلم في صحيحه (٤/ ١٧٨٠ رقم ٢١/ ٢٢٧٣).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٦/٦٢٧ رقم ٣٦٢١).
ومسلم في صحيحه (٤/ ١٧٨١ رقم ٢٢٧٤).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (١٢/ ٤٢٣ رقم ٧٠٢٧).
ومسلم في صحيحه (٤/ ١٧٨١ رقم ٢٢/ ٢٢٧٤).

يُرسل إلا بعد أن يتنبأ، فالنبوةُ وحيٌ مطلقٌ مجرداً، فإن أُمر بتبليغه فرسالةٌ، فكلُ رسولٍ نبيٌّ ولا عكس (**باتفاق**) من كلِّ كتابٍ منزّلٍ وكلِّ نبيٍّ مُرسلٍ وكلِّ مؤمنٍ بالله واليوم الآخِر (**وأفضلُ الخلق**) كلِهم (**على الإطلاق**) بلا استثناءٍ، قال الله تبارك وتعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

قال أئمةُ التفسير من الصحابةِ فمن بعدهم: هو محمدٌ ﷺ وتقدمَ قولُه ﷺ: «**أنا سيّدُ ولدِ آدمَ ولا فخر**»[1].

وقد أخذ اللّهُ عز وجل على جميعِ الرسلِ الميثاقَ في الإيمانِ به ونُصرتِه، وبشر به كلَّ نبيٍّ قومَه وبُعث إلى الجن والإنسِ والأسودِ والأحمرِ كافةً، وأتى في الدُنيا من المعجزات ما لم يُؤتَه نبيٌّ قبله من انشقاق القمرِ وحنينِ الجِذعِ إليه ونبعُ الماء من أصابعه، وتسليمِ الأشجارِ والأحجارِ عليه، وغير ذلك.

[القرآنُ أعظمُ مُعجزاتِه ﷺ]

وأعظمُ معجزاتِه هذا القرآنُ، معجزةٌ خالدةٌ أبدَ الآبدين ودهَر الداهرين، لا تفنى عجائِبُه ولا يُدرك غايةُ إعجازِه ولا يندرس بمرور الأعصارِ ولا يمَلّ مع التكرار. بل يُجلى مع ذلك ويتجلى ويعلو على غيره ولا يُعلى، وكلُّ معجزةٍ قبله انقضت بانقضاء زمانِها ولم يبقَ إلا تَذكارُها، وهو كلُّ يوم براهينه في مزيد ومعجزاتُه في تجديد: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢].

[ظهور فضيلته ﷺ بتقدُّمه إماماً بالأنبياء ليلةَ الإسراء والمعراج]

وقد ظهرت فضيلتُه ﷺ في ليلةِ الإسراء والمعراج بتقدُّمه عليهم إماماً، وعلُّوه فوق الجميعِ مقاماً، حتى جاوز السبعَ الطباقَ إلى سِدرةِ المنتهى إلى حيث شاء الله عز وجل، واختص ﷺ بأشياء أُخَرَ في سماحة شريعته ووضعِ الآصارِ عن أمته، وكونِه أكثرَهم تابعاً.

---

(١) تقدم تخريجه.

وكذلك يبدو فضلُه في الآخرة بكونه أول من تنشقُّ عنه الأرضُ، وأولُ شافعٍ وأول مُشفَّعٍ وأولُ من يستفتح بابَ الجنةِ وأولُ من يدخلها من الأمم أمتُه، وله الحوض المورودُ وهو الكوثر، وهو أكثرُ الأنبياء وارداً، وله اللواءُ المعقودُ وهو لواءُ الحمدِ، تحته آدمُ فمن دونه، وله المقامُ المحمودُ الذي يغبِطُه به الأولون والآخرون، ويرغب إليه كلُ الخلائقِ حتى إبراهيمُ خليلُ الرحمنِ.

وهو وأُمتُه أولُ من يجوزُ الصراطَ وهم ثلثا أهلِ الجنةِ، لِما جاء أنهم ثمانون صفاً وغيرُهم من الأمم أربعون صفاً، وهذه عدةُ صفوفِ أهلِ الجنة مائة وعشرين صفاً، ويشفع الواحدُ من أمته في مثل ربيعةَ ومُضرَ.

وله ﷺ الوسيلةُ وهي أعلى درجةٍ في الجنة ليس فوقها إلا عرشُ الرحمن عز وجل، وليست هي لأحد غيرِه ﷺ، وغيرُ ذلك من مقاماتِه العليةِ التي لا ينالها غيرُه ولا يُدركُها سواه، وهذا مقامٌ يطولُ ذكرُه ولا يُقدرُ قدرُه، ولا يُحيط بغايته إلا الذي اصطفاه له، وأكرمه به.

جعلنا اللَّهُ عز وجل ممن اقتدى واهتدى بهديه وكان هواه تبَعاً لما جاء به، آمين.

[لا تفضِّلوا بين الأنبياء]

مسألة: في الصحيحين[1] عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: بينما يهوديٌّ يعرِضُ سلعتَه أُعطيَ بها شيئاً كرهه فقال: لا والذي اصطفى موسى على البشر. فسمِعَه رجلٌ من الأنصار فقام فلطَم خدَّه وقال: تقول والذي اصطفى موسى على البشر والنبيُّ ﷺ بين أظهُرِنا؟ فذهب اليهوديُّ إليه ﷺ فقال: أبا القاسم إن لي ذمةً وعهداً فما بال فلانٍ لطم وجهي؟ فقال: «**لِمَ لطمْتَ وجهَه؟**» فذكره. فغضب النبيُّ ﷺ حتى رُؤيَ في وجهه ثم قال: «**لا تُفضِّلوا بين أنبياء الله عز وجل، فإنه يُنفخ في الصور فيصعَقُ مَن في السمواتِ ومن في الأرض إلا من يشاء الله، ثم ينفخ فيه**

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٥/ ٧٠ رقم ٢٤١٢) وأطرافه رقم (٣٣٩٨، ٤٦٣٨، ٦٩١٦، ٦٩١٧، ٧٤٢٧).
ومسلم في صحيحه (٤/ ١٨٤٣ ـ ١٨٤٤ رقم ١٥٩/ ٢٣٧٣).

أخرى فأكونُ أولَ من بُعث، فإذا موسى آخذٌ بالعرش فلا أدري أحوسِب بصعقته يوم الطورِ أم بُعث قبلي؟ ولا أقول إن أحداً أفضلُ من يونسَ بنِ متّى».

ولهما[1] عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «**ما ينبغي لعبد أن يقولَ إني خيرٌ من يونس بنِ متى**».

ولهما[2] عن أبي هريرةَ رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ أنه قال - يعني الله تبارك وتعالى -: «**لا ينبغي لعبدٍ لي**»، الحديث.

قال النوويُّ[3] رحمه الله تعالى في الحديث الأولِ: قولُه ﷺ: «**لا تفضّلوا بين أنبياء الله**»[4] جوابُه مِن خمسةِ أوجه:

أحدُها: أنه ﷺ قال قبلَ أن يعلم أنه سيدُ ولدِ آدمَ فلما علِمَ أخبر به.

والثاني: قاله أدباً وتواضعاً.

والثالث: أن النهيَ إنما هو تفضيلٌ يؤدي إلى تنقيص المفضول.

والرابعُ: إنما نهى عن تفضيل يؤدّي إلى الخصومة والفتنةِ كما هو المشهورُ في سبب الحديث.

والخامسُ: أن النهيَ مختصٌ بالتفضيل في نفس النبوةِ فلا تفاضلَ فيها، وإنما التفاضلُ بالخصائص وفضائلَ أخرى.

وروى ابنُ كثير[5] رحمه الله تعالى وجهاً أن التفضيلَ ليس إليكم وإنما هو إلى الله عز وجل، وعليكم الانقيادُ له والتسليمُ والإيمانُ به. اهـ.

قلتُ: الوجه الأولُ من كلامِ النوويِّ ضعيفٌ، والثاني والخامسُ فيهما نظرٌ، والرابعُ قريبٌ ويقوي عندي الوجهَ الثالثَ مع ما ذكره ابنُ كثير، فليس التفضيلُ

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٦/ ٤٥٠ رقم ٣٤١٣).
ومسلم في صحيحه (٤/ ١٨٤٦ رقم ١٦٧/ ٢٣٧٧).
(٢) البخاري في صحيحه رقم (٣٢٣٤ - البغا).
ومسلم في صحيحه (٤/ ١٨٤٦ رقم ١٦٦/ ٢٣٧٦).
(٣) في شرح صحيح مسلم (١٥/ ٣٧ - ٣٨).
(٤) تقدم تخريجه.
(٥) في تفسيره (١/ ٣١١).

بالرأي ومجردِ العصبيةِ، ولا بما يلزم منه تنقّصُ المفضولِ والحطُّ من قدرِه، كلُ هذا وما معناه محرمٌ قطعاً منهيٌّ عنه شرعاً، وهو الذي غضِبَ منه رسولُ الله ﷺ ولو لم يقصِدْه ذلك الأنصاريُّ رضي الله عنه.

فغضبُ النبيِّ ﷺ ونهْيُه عن ذلك تعليمٌ عامٌ للأمةِ وزجرٌ بليغٌ لجميعهم كيلا يقعَ ذلك أو يصدُر عن أحدٍ منهم فيهلِكَ.

وأما التفضيلُ بما أكرَمه اللّهُ عز وجل ورفع به درجته ونوّه في الوحي بشرفه من الفضائلِ الشرعيةِ والأخرويةِ وغيرِ ذلك مما شهِدَ الله تعالى به ورسولُه ﷺ مما ذكرنا ومما لم نذكر، فهو الذي يجب اعتقادُه والإيمانُ به والتصديقُ والانقيادُ له والتسليمُ، فلا يؤخذ علمُ ما يختص بالله ورسولِه إلا عن الله وعن رسوله ﷺ. والله المستعانُ وبه التوفيق.

وقال النوويُّ[1] رحمه الله تعالى فيما قاله ﷺ في شأنِ يونسَ: أنه ﷺ قال هذا زاجراً عن أن يتخيلَ أحدٌ من الجاهلينَ شيئاً من حط مرتبةِ يونسَ ﷺ من أجل ما في القرآنِ من قصته: قال العلماء وما جرى ليونسَ ﷺ لم يحطُّ من درجةِ النبوةِ مثقالَ ذرة، وخُصّص يونسُ بالذكر لما ذكرناه من ذكره في القرآن بما ذُكر.

وأما قولُه ﷺ: **«ما ينبغي لعبد أن يقولَ أنا خيرٌ من يونس»**[2]، فالضميرُ قيل يعودُ إلى النبيِّ ﷺ، وقيل يعود إلى القائل، أي لا يقول ذلك بعضُ الجاهلين من المجتهدين في عبادة أو غيرِ ذلك من الفضائل، فإنه لو بلغَ من الفضائل ما بلغ لم يبلُغْ درجةَ النبوةِ، ويؤيد هذا التأويلَ الروايةُ التي فيها قوله ﷺ: **«لا ينبغي لعبد أن يقول أنا خيرٌ من يونسَ بنِ متّى»**[2]، والله أعلم.

---

(١) في شرح صحيح مسلم (١٥/ ١٣٢).
(٢) تقدم تخريجه.

[ال] فصلُ [الثاني عشر]

فيمن هو أفضلُ الأمةِ بعد رسولِ الله ﷺ، وذكرِ الصحابة بمحاسنهم، والكفِّ عن مساوئهم وما شجرَ بينهم ﷺ



أهمُّ ما في هذا الفصل خمسُ مسائلَ: (الأولى) مسألةُ الخِلافةِ.

(والثانية): فضلُ الصحابةِ وتفاضلُهم بينهم.

(والثالثةُ) تولّي أصحابِ النبيِّ ﷺ وأهلِ بيتِه سلامُ اللَّهِ ورحمتُه وبركتُه عليهم، ومحبةُ الجميعِ والذبُّ عنهم.

(الرابعةُ): ذكرُهم بمحاسنِهم والكفُّ عن مساويهم.

(الخامسةُ): السكوتُ عما شجرَ بينهم وأن الجميعَ مجتهدٌ: فمُصيبُهم له أجرانِ: أجرٌ على اجتهادِه وأجرٌ على إصابتِه، ومُخطئُهم له أجرُ الاجتهادِ وخَطؤُه مغفورٌ.

[خلافة الصديق وفضائله]

(وبعده الخليفةُ الشفيقُ   نِعْمَ نقيبُ الأمةِ الصدّيقُ)

(ذاك رفيقُ المصطفى في الغار   شيخُ المهاجرين والأنصارِ)

(وهو الذي بنفسه تولّى   جهادَ من عن الهدى تولّى)

(وبعده) أي بعد رسولِ اللَّهِ ﷺ (**الخليفة**) له في أمته (**الشفيق**) بهم وعليهم (**نِعْمَ**) فعلُ مدح (**نقيبُ**) فاعل نعم، والنقيبُ عَريفُ القومِ وأفضلُهم (**الصدّيقُ**) هو المخصوص بالمدح وهو النِقابةُ منه لجميع الأمةِ، وهو أبو بكرٍ عبدُ اللَّهِ بنُ عثمانَ بنِ عامرِ بنِ عمرِو بنِ كعبِ بنِ سعدِ بنِ مُرَّةَ التَّيميُّ[1]، أولُ الرجالِ إسلاماً، وأفضلُ الأمةِ على الإطلاق ﷺ، فلنسُق الكلامَ أولاً في خلافته، ثم في مقاماته أيامَ خلافتِه ﷺ.

فأما خلافته فقد تقدم الحديثُ في تقديم النبيِّ ﷺ إياه إماماً في الصلاةِ مقامَه

---

(١) انظر ترجمته في: «الإصابة» رقم (٤٨٣٥) و «أسد الغابة» رقم (٣٠٦٦) و «الوافي بالوفيات» (١٧/ ٣٠٥) و «الرياض المستطابة» (ص١٤٠ ـ ١٤٧).

أيامَ مرضِه ﷺ، وهو في الصحيحين[1] من طرق عن عائشةَ بألفاظ، وعن جماعة غيرِها من الصحابة ﷺ في الصحيحين وغيرِهما، منهم أنسٌ[2] وابنُ عباس[3] وسهلُ بنُ سعدٍ[4] وأبو موسى الأشعريُّ[5] وعمرُ بنُ الخطاب[6]، وقد راجعتْه عائشةُ[7] وحفصةُ[8] ﷺ مراراً وهو يكرر مراراً عديدةً يقول: **«مروا أبا بكر فليصلِّ بالناس، مُروا أبا بكرٍ فليُصلِّ بالناس، مروا أبا بكر فليُصلِّ بالناس»**[9]. ولما أُشير بغيره حرك يده وقال: **«لِيُصلِّ بالناس ابنُ أبي قُحافةَ»**. وفي رواية[10]: **«يأبى اللَّهُ والمؤمنون إلا أبا بكر»** ﷺ.

وروى البخاريُّ[11] ومسلمٌ[12] عن محمدِ بنِ جبير بنِ مُطعم عن أبيه ﷺ قال: «أتت امرأةٌ النبيَّ ﷺ فأمرها أن ترجع إليه، قالت: أرأيتَ إن جئتُ ولم أجدْكَ؟ كأنها تقول الموت، قال ﷺ: **«إن لم تجديني فأتي أبا بكرٍ»**.

---

(1) أخرجه البخاري (٢/ ١٥١ رقم ٦٦٤).
ومسلم (١/ ٣١١ ـ ٣١٥ رقم ٩٠، ٩١، ٩٢، ٩٣، ٩٤، ٩٥، ٩٦، ٤١٨/٩٧).

(2) أخرجه البخاري (٢/ ١٦٤ رقم ٦٨٠) وأطرافه رقم (٦٨١، ٧٥٤، ١٢٠٥، ٤٤٤٨).
ومسلم (١/ ٣١٥ ـ ٣١٦ رقم ٩٨، ٩٩، ٤١٩/١٠٠).

(3) لم أعثر عليه بهذا اللفظ في الصحيحين أو أحدهما.

(4) أخرجه البخاري (٥/ ٢٩٧ رقم ٢٦٩٠) ومسلم (١/ ٣١٦ رقم ٤٢١).

(5) أخرجه البخاري (٦/ ٤١٧ ـ ٤١٨ رقم ٣٨٥) وطرفه رقم (٦٧٨).
ومسلم (١/ ٣١٦ رقم ١٠١/ ٤٢٠).

(6) لم أعثر عليه من حديث عمر بن الخطاب بل أخرجه البخاري (٢/ ١٦٥ رقم ٦٨٢) من حديث ابن عمر ﷺ.
* قلت: وأخرجه أبو داود في «السنن» (٥/ ٤٧ ـ ٤٨ رقم ٤٦٦٠ و ٤٦٦١) من حديث عبد الله بن زمعة. **وهو حديث حسن**.

(7) مراجعة عائشة في الحديث الذي أخرجه البخاري (٢/ ١٦٥ رقم ٦٨٢) من حديث ابن عمر ﷺ.

(8) مراجعة حفصة في الحديث الذي أخرجه البخاري (٢/ ١٦٤ رقم ٦٧٩).
ومسلم (١/ ٣١٣ ـ ٣١٤ رقم ٤١٨/٩٥) من حديث عائشة.

(9) وهو حديث صحيح تقدم تخريجه.

(10) أخرجها مسلم (٤/ ١٨٥٧ رقم ٢٣٨٧/١١) من حديث عائشة.

(11) في صحيحه (٧/ ١٧ رقم ٣٦٥٩).

(12) في صحيحه (٤/ ١٨٥٦ ـ ١٨٥٧ رقم ٢٣٨٦/١٠).

وفيهما(١) عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**بينما أنا نائمٌ رأيتُني على قَليب عليها دلوٌ فنزعتُ منها ما شاء الله، ثم أخذها ابنُ أبي قُحافة فنزع منها ذنوباً أو ذنوبين وفي نزعه ضعفٌ والله يغفرُ له ضعفَه. ثم استحالت غَرْباً، فأخذها ابنُ الخطابِ فلم أرَ عبقرياً من الناس ينزِع نزْعَ عمرَ حتى ضرب الناسُ بعطَن**».

وفيهما(٢) عن عبيد اللَّهِ بنِ عبدِ الله بن عُتبةَ أن ابنَ عباسٍ رضي الله عنهما كان يحدِّث: أن رجلًا أتى رسولَ اللَّهِ ﷺ فقال: إني رأيتُ الليلةَ في المنام ظُلَّةً تنطِفُ السمنَ والعسلَ، فأرى الناسَ يتكفّفون منها فالمستكثرُ والمستقلّ، وإذا سببٌ واصلٌ من الأرض إلى السماء فأراك أخذتَ به فعلوتَ، ثم أخذ به رجلٌ آخرُ فعلا به، ثم أخذ به رجلٌ آخرُ فينقطع، ثم وُصل.

فقال أبو بكر: يا رسولَ الله بأبي أنت والله لَتدَعَنّي فأعْبُرها، فقال النبيُّ ﷺ: **اعبُرْها**، قال: أما الظُلةُ فالإسلامُ، وأما الذي ينطِفُ السمنَ والعسلَ فالقرآنُ حلاوتُه تنطِفُ، فالمستكثرُ من القرآن والمستقلُّ. وأما السببُ الواصلُ من السماء إلى الأرض فالحقُّ الذي أنت عليه تأخذ به فيُعليك اللَّهُ عز وجل، ثم يأخذ به رجلٌ من بعدك فيعلو به، ثم يأخذ به رجلٌ آخرُ فيعلو به، ثم يأخذُ به رجلٌ آخرُ فينقطع ثم يُوصل فيعلو به. فأخبرني يا رسولَ الله بأبي أنت أصبتُ أم أخطأتُ؟ قال النبيُّ ﷺ: «**أصبتَ بعضاً وأخطأتَ بعضاً**. قال: فواللَّهِ يا رسولَ اللَّهِ لتُحدِّثَني بالذي أخطأتُ، قال: **أتُقسم**».

وفيهما(٣) عن أبي سعيد الخُدريِّ رضي الله عنه قال: خطب رسولُ الله ﷺ الناسَ وقال: «**إن الله تعالى خيّر عبداً بين الدنيا وبين ما عنده، فاختار ما عندَ اللَّهِ عز وجل**». قال: فبكى أبو بكر، فعجِبْنا لبُكائه أن يُخبرَ رسولُ اللَّهِ ﷺ عن عبدٍ خُيِّرَ، فكان رسولُ الله ﷺ هو المُخيَّر، وكان أبو بكر أعلَمَنا.

---

(١) أي البخاري (٧/ ١٨ ـ ١٩ رقم ٣٦٦٤).
ومسلم (٤/ ١٨٦٠ رقم ١٧/ ٢٣٩٢).

(٢) أي البخاري (١٢/ ٤٣١ رقم ٧٠٤٦) ومسلم (٤/ ٧٧٧ رقم ٢٢٦٩).

(٣) أي البخاري (٧/ ١٢ رقم ٣٦٥٤) ومسلم (٤/ ١٨٤٥ رقم ٢٣٨٢).

فقال رسولُ الله ﷺ: «**إن من أمنّ الناس عليَّ في صحبتِه ومالِه أبا بكر** - رضي الله عنه - **ولو كنتُ متخذاً خليلاً غيرَ ربي لاتخذتُ أبا بكر خليلاً، ولكنْ أُخوّةُ الإسلامِ ومودّتُه، لا يبقَيَنّ في المسجد بابٌ إلا سُدَّ إلا بابُ أبي بكر**» رضي الله عنه.

وروي عن عائشة[1] رضي الله عنها قالت: قال رسولُ الله ﷺ في مرضه: «**ادعي لي أبا بكرٍ أباك، وأخاك حتى أكتُبَ كتاباً، فإني أخافُ أن يتمنى مُتمنٍّ ويقولَ قائلٌ أنا أولى، ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر**».

وروى أبو داودَ[2] عن عبدِ اللَّهِ بنِ زَمْعَةَ رضي الله عنه قال: «لما استَعزَّ برسول الله ﷺ وأنا عنده في نفر من المسلمين دعاه بلالٌ إلى الصلاةِ فقال: **مُروا مَن يصلي للناس**. فخرج عبد الله بن زمعة فإذا عمرُ في الناس، وكان أبو بكرٍ غائباً، فقلتُ: يا عمرُ قم فصلِّ بالناس. فتقدّم فكبّر، فلما سمعَ رسولُ الله ﷺ صوتَه وكان عمرُ رضي الله عنه رجلاً مُجهَراً قال: **فأينَ أبو بكر؟ يأبى اللَّهُ ذلك والمسلمون**، فبعث إلى أبي بكر رضي الله عنه فجاء بعد أن صلى عمرُ تلك الصلاةَ فصلى بالناس».

وفي رواية[3] قال: لما سمعَ النبيُّ ﷺ صوتَ عمرَ رضي الله عنه قال ابنُ زمعةَ: خرج النبيُّ ﷺ حتى أطلعَ رأسَه من حُجرته ثم قال ﷺ: «**لا، لا، لا، ليصل للناس ابنُ أبي قُحافةَ**».

وله[4] عن الحسن عن أبي بكرةَ رضي الله عنه: أن النبيَّ ﷺ قال ذاتَ يوم: «من رأى

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ١٨٥٧ رقم ٢٣٨٧) وقد تقدم.

(٢) في «السنن» (٥/ ٤٧ - ٤٨ رقم ٤٦٦٠).
قلت: وأخرجه أحمد (٤/ ٣٢٢) **بسند صحيح**.
وخلاصة القول أن الحديث حسن.

(٣) لأبي داود في «السنن» (٥/ ٤٨ رقم ٤٦٦١).
قلت: وأخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» رقم (١١٦٠) **بسند صحيح**.
وخلاصة القول أن الحديث صحيح، والله أعلم.
* استعزَّ بالمريض: إذا غلب على نفسه من شدة المرض، وأصله من العزّ: وهو الغلبة والاستيلاء على الشيء، ومن هذا قولهم: «من عزَّ بزَّ» أي من غلب سلب. قاله الخطابي في «معالم السنن».

(٤) أي لأبي داود في «السنن» (٥/ ٢٩ - ٣٠ رقم ٤٦٣٤).
قلت: وأخرجه الترمذي (٤/ ٥٤٠ رقم ٢٢٨٧) وقال: **هذا حديث حسن صحيح**. =

منكم رُؤيا؟»، قلت: أنا رأيتُ كأن ميزاناً نزل من السماء فوُزِنتَ أنتَ وأبو بكرٍ فرجَحْتَ بأبي بكر، ووُزن عمرُ وأبو بكرٍ فرجح أبو بكر، ووُزن عمرُ وعثمانُ فرجح عمرُ، ثم رُفع الميزانُ. فرأينا الكراهية في وجه رسولِ الله ﷺ.

ورواه[1] من طريق عبد الرحمنِ بن أبي بكرةَ بمعناه ولم يذكر الكراهية قال: فاستاء لها رسولُ الله ﷺ يعني فساءه ذلك فقال: **«خِلافةُ نبوة، ثم يؤتي اللّهُ المُلك من يشاء»**.

وله[2] عن جابرِ بنِ عبدِ الله رضي الله عنه أنه كان يحدّث أن رسولَ الله ﷺ قال: **«أُريَ الليلةَ رجلٌ صالحٌ أن أبا بكرٍ نيط برسولِ الله ﷺ ونيطَ عمرُ بأبي بكر ونيطَ**

= وأخرجه الحاكم (٣/ ٧٠ ـ ٧١) وقال: **صحيح على شرط الشيخين** ولم يخرجاه، ولم يوافقه الذهبي. بل قال فيه: أَشعث الحُمْراني، وهو ثقة، لكن ما احتجا به.
وأخرجه أحمد في «المسند» (٥/ ٤٤، ٥٠) وفي «الفضائل» (١/ ١٨٥ رقم ١٩٥) وابنه عبد الله في زياداتِه على الفضائل (١/ ١٨٤ رقم ١٩٤).
وابن أبي عاصم في «السنة» (٢/ ٥٣٦ و ٥٣٦ ـ ٥٣٧ و ٥٣٨ رقم ١١٣١، ١١٣٢، ١١٣٣، ١١٣٥، ١١٣٦) في بعض الروايات ابن أبي عاصم اختصاراً وفي بعضها بلفظ الآخرين.
وخلاصة القول أن الحديث صحيح، والله أعلم.

(١) أي أبو داود في «السنن» (٥/ ٣٠ رقم ٤٦٣٥).
وفي إسناده علي بن زيد بن جدعان القرشي التيمي، ولا يحتج بحديثه. ولكنه يتقوى بالحديث الذي تقدم في التعليقة السابقة فهو بها صحيح.

(٢) أي لأبي داود في «السنن» (٥/ ٣٠ ـ ٣١ رقم ٤٦٣٦).
قال أبو داود: ورواه يونس وشعيب لم يذكرا عمرو بن أبان.
قلت: فعلى هذا يكون الحديث منقطعاً، لأن الزهري لم يسمع من جابر بن عبد الله.
وأخرج الحديث ابن أبي عاصم في «السنة» رقم (١١٣٤).
وقال الألباني: «إسناده ضعيف، ورجاله ثقات غير عمرو بن أبان بن عثمان، فإنه مجهول الحال، لم يرو عنه غير الزهري وعبد الله بن علي بن أبي رافع الملقب (عبادل) ولم أعرفه، وكأنه لذلك لم يوثق ابن أبان هذا أحد غير ابن حبان على قاعدته المعروفة في توثيق المجهولين.
ومع ذلك فقد أبدى شكه في سماعه من جابر فقال: «ولا أدري أسمع منه أم لا؟»».
وأخرج الحديث أحمد (٣/ ٣٥٥) والحاكم (٣/ ٧١ ـ ٧٢) وصححه ووافقه الذهبي.
وخلاصة القول أن الحديث ضعيف، والله أعلم.

عثمانُ بعمرَ». قال جابر: فلما قُمنا من عند رسولِ الله ﷺ قلنا: أما الرجلُ الصالحُ فرسولُ الله ﷺ، وأما تنوُّطُ بعضِهم ببعض فهم ولاةُ هذا الأمرِ الذي بعث اللَّهُ به نبيَّه ﷺ.

وله[1] عن سَمُرَة بنِ جُندُبٍ رضي الله عنه: أن رجلاً قال: يا رسولَ الله إني رأيتُ كأن دلواً دُلِّيَتْ من السماء، فجاء أبو بكر فأخذ بعَراقيها شرِب شرباً ضعيفاً، ثم جاء عمر فأخذ بعَراقيها فشرِب حتى تضلّع، ثم جاء عثمانُ بعراقيها فشرب حتى تضلّع، ثم جاء عليٌّ فأخذ بعراقيها فانتشطتْ وانتضح عليه منها شيءٌ.

وروى التِرمذيُّ[2] عن حذَيفةَ رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إني لأرى ما بقائي**

---

(١) أي لأبي داود في «السنن» (٥/ ٣١ ـ ٣٢ رقم ٤٦٣٧).
قلت: وأخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» رقم (١١٤١) وأحمد (٥/ ٢١).
قال الألباني: «**إسناده ضعيف**، ورجاله موثقون غير عبد الرحمن والد الأشعث وهو الأزدي الجرمي. فإنه مجهول، قال الذهبي: «**ما حدث عنه سوى ولده أشعث**».
قلت: وذكره ابن حبان على قاعدته في «الثقات» !» اهـ.
وخلاصة القول أن الحديث ضعيف، والله أعلم.

(٢) في «السنن» (٥/ ٦٠٩ رقم ٣٦٦٢) وقال: **هذا حديث حسن.**
قلت: وأخرجه أحمد (٥/ ٣٨٢ و ٣٨٥ و ٤٠٢) وابن ماجه (١/ ٣٧ رقم ٩٧) والحاكم في «المستدرك» (٣/ ٧٥) والطحاوي في «مشكل الآثار» (٢/ ٨٣ ـ ٨٤) والحميدي في مسنده (١/ ٢١٤ رقم ٤٤٩) وابن سعد في «الطبقات» (٢/ ٣٣٤) وأبو نعيم في «الحلية» (٩/ ١٠٩) والخطيب في «تاريخه» (١٢/ ٢٠) والبغوي في «شرح السنة» (١٤/ ١٠١ رقم ٣٨٩٤ و ٣٨٩٥) كلهم من طرق عن عبد الملك بن عمير به مختصراً ومطولاً.
وأخرجه الترمذي (٥/ ٦١٠ رقم ٣٦٦٣)، وأحمد (٥/ ٣٩٩) وابن حبان رقم (٢١٩٣ ـ موارد) أيضاً من حديث حذيفة، لكن من طريق سالم أبي العلاء.
وخلاصة القول أن الحديث صحيح.
* وأخرجه الترمذي (٥/ ٦٧٢ رقم ٣٨٠٥) وقال: «هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه...».
وأخرجه الحاكم (٣/ ٧٥ ـ ٧٦) وقال: **إسناده صحيح** ورده الذهبي بقوله، قلت: **سنده واهٍ.**
وأخرجه البغوي في «شرح السنة» (١٤/ ١٠٢ رقم ٣٨٩٦) وقال: **حديث غريب**. كلهم من حديث ابن مسعود.
وأورد الألباني الحديث في «الصحيحة» (٣/ ٢٣٣ رقم ١٢٣٣).
وخلاصة القول أن حديث ابن مسعود حسن، والله أعلم.

فيكم، فاقتدوا باللذَين من بعدي»، وأشار إلى أبي بكر وعمرَ. حديث حسنٌ.

وله[1] عن عائشةَ ﵂ قالت: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: **«لا ينبغي لقوم فيهم أبو بكرٍ أن يؤمَّهم غيرُه»**.

وروى مسلمٌ[2] عن عائشةَ ﵂ وسُئلت: مَن كان رسولُ اللَّهِ ﷺ مستخلِفاً لاستخلفه؟ قالت: أبو بكر. فقيل لها: ثم من يأتي بعد أبي بكر؟ قالت: عمرُ، قيل لها: من بعد عمرَ؟ قالت: أبو عبيدةَ بنُ الجراح.

وصفةُ بيعتِه ﵁ بخلافة النبوةِ ما رواه البخاريُّ[3] عن عائشةَ ﵂ زوجِ النبيِّ ﷺ أن رسولَ اللَّهِ مات وأبو بكر بالسُّنْح[4]، فقامَ عمرُ يقول: واللَّهِ ما مات رسولُ الله ﷺ. قالت: وقال عمرُ والله ما كان يقع في نفسي إلا ذاك، وليَبْعثنَّه اللَّهُ فلَيَقطَعَنّ أيديَ رجالٍ وأرجلَهم، فجاء أبو بكرٍ فكشف عن رسولِ الله ﷺ فقبّله فقال: بأبي أنت وأمي، طِبْتَ حياً وميْتاً، والذي نفسي بيده لا يُذيقَك اللَّهُ الموتتين أبداً.

ثم خرج فقال: أيها الحالفُ على رِسلك. فلما تكلم جلسَ عمرُ ﵄، فحمِدَ اللَّهَ أبو بكر وأثنى عليه وقال: ألا من كان يعبُد محمداً فإن محمداً ﷺ قد مات، ومن كان يعبُد اللَّهَ فإن اللَّهَ حيٌّ لا يموت وقال: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠]. وقال: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤]. قال فنشَجَ الناسُ يبكون.

قال واجتمعت الأنصارُ إلى سعد بنِ عبادةَ في سقيفةِ بني ساعدةَ فقالوا: منا أميرٌ ومنكم أميرٌ، فذهب إليهم أبو بكرٍ الصديق وعمرُ بنُ الخطاب ﵄ وأبو عبيدةَ بنُ الجراح ﵁، فذهبَ عمرُ يتكلم فأسكتَهُ أبو بكرٍ ثم تكلم أبلغُ الناس،

---

(١) أي للترمذي في «السنن» (٥/ ٦١٤ رقم ٣٦٧٣) وقال: **هذا حديث حسن غريب.**
قلت: سنده ضعيف، لكن له شواهد بمعناه يرقى بها إلى الحسن.

(٢) في صحيحه (٤/ ١٨٥٦ رقم ٢٣٨٥).

(٣) في صحيحه (٧/ ١٩ ـ ٢٠ رقم ٣٦٦٧ و ٣٦٦٨).

(٤) السُّنْح: قال إسماعيلُ ـ هو شيخ المصنف فيه وهو ابن أبي أويس ـ يعني بالعالية.

فقال في كلامه: نحن الأمراءُ وأنتم الوُزراء. فقال حُبابَ: واللّهِ لا نفعل، منّا أميرٌ ومنكم أميرٌ.

فقال أبو بكر: لا ولكن نحن الأمراءُ وأنتم الوزراء، إن قريشاً هم أوسطُ العربِ داراً وأعربهم أحساباً، فبايعوا عمرَ بنَ الخطاب أو أبا عُبيدةَ بنَ الجراح.

فقال عمرُ: بل نُبايعُك أنتَ، فأنت سيدُنا وخيرُنا وأحبُّنا إلى رسولِ اللّهِ ﷺ. فأخذ عمرُ بيده فبايعَه وبايعه الناسُ، فقال قائلٌ: قتلتم سعدَ بنَ عبادةَ، فقال عمرُ: قتلَه الله.

زاد في رواية[1]: فما كانت من خطبتِهما من خطبةٍ إلا نفعَ الله بها، لقد خوّف عمرُ الناسَ وإنَّ فيهم النفاقَ، فردَّهم الله بذلك، ثم بصَّر أبو بكر الناسَ الهدى وعرَّفَهم الحقَّ الذي عليهم وخرجوا به يتلون: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ﴾ - إلى - ﴿ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

وفيه[2] أيضاً عن عمرَ رضي الله عنه من خطبته الطويلة قال: «ثم إنه بلغني أن قائلاً منكم يقول: واللّهِ لو مات عمرُ بايعتُ فلاناً. فلا يغترّنّ امرؤٌ أن يقول إنما كانت بيعةُ أبي بكرٍ فلتةً وتمّت، ألا إنها قد كانت كذلك، ولكن اللّهَ وقى شرَّها. وليس منكم من تُقطعُ الأعناقُ إليه مثلَ أبي بكر. من بايع رجلاً من غير مشورةٍ من المسلمين فلا يبايعُ هو ولا الذي بايعَه تَغرَّةً أن يُقتلا، وإنه قد كان من خيرنا حينَ تَوفّى اللّهُ نبيَّنا ﷺ، إلا أن الأنصارَ خالفونا واجتمعوا بأسرهم في سقيفةِ بني ساعدةَ، وخالفَ عنا عليٌّ والزبيرُ ومن معهما، واجتمع المهاجرونَ إلى أبي بكر فقلت لأبي بكر: يا أبا بكرٍ انطلِقْ بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار.

فانطلَقْنا نُريدُهم، فلما دَنونا منهم لقِينا منهم رجلاً صالحاً فذكر لنا ما تمالأ

---

(١) أي البخاري (٧/ ٢٠ رقم ٣٦٦٩ و ٣٦٧٠).

(٢) في صحيح البخاري (١٢/ ١٤٤ ـ ١٤٥ رقم ٦٨٣٠) من حديث ابن عباس.

* «تغرة أن يقتلا: بمثناة مفتوحة، وغين معجمة مكسورة وراء ثقيلة بعدها هاء تأنيث، أي حذار من القتل، وهو مصدر من أغررته تغريراً أو تغرة.

والمعنى أن من فعل ذلك فقد غرر بنفسه وبصاحبه وعرضهما للقتل». اهـ. من «فتح الباري» (١٢/ ١٥٠).

عليه القومُ، فقال: أين تريدون يا معشرَ المهاجرين؟ فقلنا: نريد إخوانَنا هؤلاء من الأنصار، فقال: لا عليكم أن لا تقربوهم، اقضُوا أمرَكم، فقلتُ: واللّهِ لنأتيَّنهم، فانطلَقْنا حتى أتينا سقيفةَ بني ساعدةَ فإذا رجلٌ مُزَمِّلٌ بين ظهرانِيهم، فقلتُ: من هذا؟ فقالوا: هذا سعدُ بنُ عبادةَ. فقلتُ: ما له؟ قالوا: يُوعك. فلما جلَسْنا قليلاً تشهّد خطيبُهم فأثنى على الله بما هو أهلُه ثم قال: أما بعدُ فنحن أنصارُ اللّهِ وكتيبةُ الإسلامِ، وأنتم معشرَ المهاجرين رهْطٌ، وقد دفّتْ دافةٌ من قومكم فإذا هم يريدون أن يختزلونا من أصلنا وأن يخضُنونا من الأمر. فلما سكتَ أردتُ أن أتكلمَ، وكنت [قد] زوَّرتُ مقالةً أعجبتْني أريدُ أن أُقدِّمُها بين يدي أبي بكر، وكنت أداري منه بعض الحدِّ، فلما أردتُ أن أتكلمَ قال أبو بكر: على رِسلك. فكرهتُ أن أُغضِبَه.

فتكلم أبو بكر فكان هو أحلمَ مني وأوقرَ، واللّهِ ما ترك كلمةً أعجبتْني في تزويري إلا قال في بديهته مثلَها وأفضلَ منها، حتى سكت فقال: ما ذُكر فيكم من خير فأنتم له أهلٌ، ولن يُعرَفَ هذا الأمرُ إلا لهذا الحيِّ من قريش، هم أوسطُ العربِ نسباً وداراً، وقد رضيتُ لكم أحدَ هذين الرجلين، فبايعُوا أيَّهما شئتم.

فأخذ بيدي وبيد أبي عُبيدةَ بنِ الجراحِ وهو جالسٌ بيننا، فلم أكرَه مما قال غيرَها. كان واللّهِ أن أُقدَّمَ تُضربُ عُنقي ولا يَقربُني ذلك من إثم أحبُّ إليَّ من أن أتأمَّرَ على قوم فيهم أبو بكر، اللهم إلا أن تُسوِّلَ إليَّ نفسي عند الموتِ شيئاً لا أجدُه الآن.

فقال قائلٌ من الأنصار: أنا جُذَيلُها المُحَكّكُ وعُذَيْقُها المُرَجَّبُ، منا أميرٌ ومنكم أميرٌ يا معشرَ قريش. فكثُر اللغَطُ وارتفعت الأصواتُ حتى فرِقتُ من الاختلاف، فقلتُ: ابسُطْ يدَكَ يا أبا بكر. فَبسَط يده فبايعته وبايعه المهاجرون ثم بايعَته الأنصارُ، ونزَونا على سعد بنِ عُبادةَ. فقال قائلٌ منهم: قتلتم سعدَ بنَ عُبادةَ. فقلتُ: قتل اللّهُ سعدَ بنَ عُبادةَ. قال عمرُ: وإنا واللّهِ ما وجدنا فيما حضَرْنا من أمر أقوى من مبايعة أبي بكر، خشِينا إن فارقْنا القومَ ولم تكن بيعةٌ أن يبايعوا رجلاً منهم بعدنا، فإما بايعناهم على ما لا نرضى وإما نخالفهم فيكون فسادٌ، فمن بايع رجلاً على غير مشورةِ المسلمين فلا يتابَعُ هو والذي بايعه تَغِرَّةً أن يُقتلا».

وروى الإمامُ أحمدُ[1] عن حميد بنِ عبدِ الرحمن قال: توفي رسولُ الله ﷺ وأبو بكر رضي الله عنه في صائفة من المدينة، قال: فجاء فكشف عن وجهه فقبّله وقال: فداك أبي وأمي، ما أطيبك حياً وميتاً، مات محمدٌ وربِّ الكعبةِ. فذكر الحديث.

فانطلق أبو بكر وعمرُ رضي الله عنهما يتعادان حتى أتوَهم، فتكلم أبو بكر فلم يترك شيئاً أُنزل في الأنصار أو ذكره رسولُ اللَّهِ ﷺ من شأنهم إلا ذكره وقال: لقد علمتم أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «**لو سلك الناسُ وادياً وسلكت الأنصارُ وادياً لسلكتُ واديَ الأنصار**». ولقد علمتَ يا سعدُ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال وأنتَ قاعدٌ: «**قريشٌ ولاةُ هذا الأمرِ فبِرَّ الناسِ تبعٌ لِبَرّهم، وفاجِرُهم تبعاً لفاجرهم**». فقال له سعدٌ: صدقتَ، نحن الوزراءُ وأنتم الأمراء.

وله[2] بإسناد جيدٍ عن رافعٍ الطائيِّ رفيق أبي بكر الصديقِ في غزوة ذاتِ السلاسلِ قال: وسألتُه عما قيل في بيعتهم فقال وهو يحدّث عما تقاولت به الأنصارُ وما كلمهم به عمرُ بنُ الخطابِ رضي الله عنه وما ذكر به من إمامتي إياهم بأمر رسولِ اللَّهِ ﷺ في مرضه، فبايعوني لذلك وقبلتُها منهم، وتخوَّفتُ أن تكون فتنةٌ بعدها رِدَّةٌ.

وروى البخاريُّ[3] عن أنس بن مالكٍ أنه سمع خُطبةَ عمرَ الأخيرةَ حين جلس على المنبر، وذلك الغدَ من يوم تُوفّي رسولُ الله ﷺ، وأبو بكر صامتٌ لا يتكلم قال: كنتُ أرجو أن يعيش رسولُ اللَّهِ ﷺ حتى يُدْبِرَنا، يريد بذلك أن يكون آخرهم، فإن يكُ محمدٌ قد مات فإن الله تعالى قد جعل بين أظهرِكم نوراً تهتدون به، به هدى اللَّهُ محمداً ﷺ، وإن أبا بكر صاحبُ رسولِ اللَّهِ ﷺ وثانيَ اثنينِ، وإنه أولى المسلمين بأموركم فقدِّموا فبايعوه، وكانت طائفةٌ قد بايعوه قبل ذلك في سقيفة بني ساعدةَ، وكانت بَيعةُ العامةِ على المنبر.

قال الزهريُّ عن أنس بنِ مالكٍ: سمعتُ عمرَ يقول يومئذ لأبي بكر: اصعَد المنبر، فلم يزَلْ به حتى صعِدَ المنبرَ فبايعه عامةُ الناس.

---

(١) في «المسند» (١/٥) بسند منقطع. لأن حميد بن عبد الرحمن لم يدرك وفاةَ رسولِ الله ﷺ.
ولكن الحديث يتقوى بما تقدم تخريجه في الصحيح.

(٢) أي للإمام أحمد في «المسند» (١/٨) بسند صحيح.

(٣) في صحيحه (١٣/٢٠٦ رقم ٧٢١٩).

وقال محمدُ بنُ إسحاقَ[1]: حدثني الزهريُّ حدثني أنسُ بنُ مالكٍ قال: لما بويع أبو بكر في السقيفة وكان الغدُ جلس أبو بكر رضي الله عنه على المنبر، وقام عمرُ فتكلم قبل أبي بكر، فحمد اللَّهَ وأثنى عليه بما هو أهلُه ثم قال: «أيها الناسُ إني قد كنتُ قلتُ لكم بالأمس مقالةً ما كانت وما وجدتُها في كتاب الله ولا كانت عهداً عهِدَها إليَّ رسولُ الله ﷺ، ولكنني أرى أن رسولَ اللَّهِ ﷺ سيُدبِرُ أمرَنا - يقول يكون آخرَنا - وإن اللَّهَ قد أبقى فيكم كتابَه الذي هدى به رسولَ الله ﷺ، فإن اعتصمتم به هداكم اللَّهُ لما كان هداه الله له، وإن اللَّهَ تعالى قد جمع أمرَكم على خيرِكم صاحبِ رسولِ اللَّهِ ﷺ وثاني اثنين إذ هما في الغار، فقوموا فبايعوه». فبايعَ الناسُ أبا بكر رضي الله عنه بيعةَ العامةِ بعد بيعةَ السقيفةِ.

ثم تكلم أبو بكر فحمِد الله تعالى وأثنى عليه بما هو أهلُه ثم قال: «أما بعدُ أيها الناسُ فإني قد وُلِّيتُ عليكم ولستُ بخيركم، فإن أحسنتُ فأعينوني، وإن أسأتُ فقوِّموني.

الصدقُ أمانةٌ والكذبُ خيانةٌ، والضعيفُ منكم قويٌّ عندي حتى أُزيحَ عِلّته إن شاء الله، والقويُّ فيكم ضعيفٌ حتى آخُذَ منه الحقَّ إن شاء اللَّهُ عز وجل، لا يدع قومٌ الجهادَ في سبيلِ اللَّهِ عز وجل إلا ضربَهم بالذل، ولا يُشيعُ قومٌ قطُّ الفاحشةَ إلا عمَّهم الله بالبلاء. أطيعوني ما أطعتُ الله ورسولَه، فإذا عصيتُ اللَّهَ ورسولَه فلا طاعةَ لي عليكم. قوموا إلى صلاتِكم يرحمُكم الله».

وروى البيهقيُّ[2] من طريق ابنِ خزيمةَ بإسناد عن أبي سعيد الخُدريِّ رضي الله عنه قال: قُبض رسولُ اللَّهِ ﷺ واجتمع الناسُ في دارِ سعدِ بنِ عبادةَ وفيهم أبو بكرِ

---

(١) في سيرة ابن هشام (٤/٤١٣ - ٤١٤) **بسند متصل**، وقد صرح ابن إسحاق بالتحديث.
وأخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (٥/٤٣٧ - ٤٣٨ رقم ٩٧٥٦) **بسند صحيح**.
وخلاصة القول أن الحديث صحيح.
واعلم أن أصل الحديث في صحيح البخاري (١٣/٢٤٥ رقم ٧٢٦٩).

(٢) عزاه إليه ابن كثير في «البداية والنهاية» (٦/٣٠٦) **مسنداً بسند صحيح**.
وذكر ابن كثير في آخره: «قال الحافظ أبو علي النيسابوري: سمعتُ ابن خزيمة يقول: جاءني مسلم بن الحجاج فسألني عن هذا الحديث فكتبته له في رقعة وقرأتُ عليه، فقال: هذا حديث يساوي بدنة، فقلت: يسوي بدنة، بل هذا يسوي بدرة» اهـ.

وعمرُ، قال فقام خطيب الأنصارِ فقال: أتعلمون أن رسولَ الله ﷺ كان من المهاجرين، وخليفته من المهاجرين ونحن كنا أنصار رسولِ الله ﷺ، ونحنُ أنصارُ خليفتِه كما كنا أنصارَه.

قال فقام عمرُ بنُ الخطابِ فقال: صدق قائلُكم أما لو قلتُم غيرَ هذا لم نُبايعكم. وأخذ بيد أبي بكر وقال: هذا صاحبُكم فبايعوه، فبايعه عمرُ وبايعه المهاجرون والأنصارُ.

قال فصعِد أبو بكر المنبرَ فنظر في وجوه القومِ فلم يرَ الزُبير قال: فدعا بالزبير فجاء فقال: قلت ابنَ عمةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ وحَوارِيَّه أردتَ أن تشُقَّ عصى المسلمين. فقال: لا تثريب يا خليفةَ رسولِ الله ﷺ فقام فبايعه.

ثم نظر في وجوه القومِ فلم يرَ علياً، فدعا بعليّ بن أبي طالب فجاء فقال: قلتَ ابنَ عمِّ رسولِ الله ﷺ، وختَنَه على ابنته، أردتَ أن تشُقَّ عصا المسلمين. قال: لا تثريبَ يا خليفةَ رسولِ اللَّهِ ﷺ فبايعَه.

وروى مسلمٌ[1] من طريق ابنِ شهابٍ عن عُروةَ عن عائشةَ رضي الله عنها أنها أخبرتْه أن فاطمةَ بنتَ رسولِ اللَّهِ ﷺ أرسلتْ إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنهما تسأله ميراثَها من رسولِ اللَّهِ ﷺ مما أفاء اللَّهُ عليه بالمدينة وفدَكٍ وما بقيَ من خُمس خيبرَ، فقال أبو بكر: إن رسولَ الله ﷺ قال: **«لا نُورَث ما تركناه صَدقةٌ»**. إنما يأكلُ آلُ محمدٍ ﷺ في هذا المالِ، وإني واللَّهِ لا أُغيِّرُ شيئاً من صدقةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ عن حالتها التي كانت عليها في عهد رسولِ اللَّهِ ﷺ. ولأعملنّ فيها بما عمِل رسولُ الله ﷺ.

فأبى أبو بكر أن يدفَع إلى فاطمةَ شيئاً، فوجدتْ فاطمةُ على أبي بكر في ذلك. قال فهجرتْه فلم تُكلّمه حتى تُوفيتْ.

وعاشت بعد النبيِّ ﷺ ستةَ أشهرٍ، فلما تُوفيتْ دفنها زوجُها عليُّ بنُ أبي طالبٍ ليلاً ولم يُؤْذِنْ بها أبا بكر وصلّى عليها عليٌّ.

وكان لعليّ رضي الله عنه من الناس وِجهةٌ حياةَ فاطمةَ رضي الله عنها، فلما تُوفيتْ استنكر عليٌّ وجوه الناس، فالتمس مصالحةَ أبي بكر ومبايعتَه ولم يكن بايعَ تلكَ الأشهر،

---

(١) في صحيحه (٣/ ١٣٨٠ رقم ١٧٥٩).

فأرسلَ إلى أبي بكر أن ائتنا ولا يأتِنا معك أحدٌ ـ كراهيةَ أن يحضُرَ عمرُ بنُ الخطابِ ﷺ ـ فقال عمرُ لأبي بكر: والله لا تدخل عليهم وحدَك، فقال أبو بكر: وما عساهم أن يفعلوا بي، إني واللّهِ لآتيهم. فدخل عليهم ﷺ، فتشهّد عليُّ بنُ أبي طالب ﷺ ثم قال: إنا عرفنا يا أبا بكر فضيلَتك وما أعطاك الله، ولم ننفسْ عليك خيراً ساقه الله خيراً إليك، ولكنك استبددْتَ علينا بالأمرِ، وكنا نحن نرى حقاً لقرابتنا من رسولِ اللّهِ ﷺ. فلم يزل يكلم أبا بكر حتى فاضتْ عينا أبا بكر ﷺ، فلما تكلم أبو بكر ﷺ قال: والذي نفسي بيده لقرابةُ رسولِ اللّهِ ﷺ أحبُّ إليَّ أن أصل من قرابتي، وأما الذي شجرَ بيني وبينكم من هذه الأموالِ فإني لم آلُ فيها عن الحق، ولم أترك أمراً رأيتُ رسولَ اللّهِ ﷺ يصنعه فيها إلا صنعتُه.

فقال عليٌّ لأبي بكر ﷺ: موعدُك العشيةَ للبَيعةِ. فلما صلى أبو بكر ﷺ صلاةَ الظهر رقَى عليٌّ المنبرَ فتشهّد وذكرَ شأنَ عليٍّ وتخلُّفَه عن البَيعةَ وعذَره بالذي اعتذر إليه، ثم استغفر وتشهد عليُّ بنُ أبي طالب ﷺ فعظّم حقَّ أبي بكر ﷺ وأنه لم يحملْه على الذي صنعه نَفاسةٌ على أبي بكر ولا إنكارٌ للذي فضّله به، ولكنا كنا نرى لنا في الأمر نصيباً فاستبدّ علينا به فوجدْنا في أنفسِنا، فسُرّ بذلك المسلمون وقالوا: أصبتَ، فكان المسلمون إلى عليّ قريباً حين راجعَ الأمرَ بالمعروف.

وهذا لا ينافي ما ذُكر في بَيعته إياه حين أرسل إليه لما افتقده ليلةَ السقيفةِ أو صُبْحتَها، ولفظةُ: «لم يكن بايع تلك الأشهرِ». إن كان من قول عائشةَ فلعلها لم تعلمْ بَيعتَه الأولى التي أثبتها أبو سعيد وغيرُه، لأن الرجال في مثل هذه المسألةِ أقومُ وأعلمُ بها إذ لا يحضُرها النساءُ.

وأيضاً فقد قدمنا مراراً أن مجردَ النفي لا يكون علماً، وعند المُثبت زيادةُ علمِ انفرد بها عن النافي، إذْ آيةُ ما عند النافي أنه لا يعلم.

ولعل عائشةَ تيَقنت عدمَ حضورِه بَيعةَ السقيفةِ من العشيّ ولم يبلُغْها حضُوره صبحتَها في البيعةِ العامةِ. وإن كان هذا كلامَ بعضِ الرواةِ فهو بمجرد ما فهمه من البَيعة الأخرى ظن أنه لم يبايعْ قبل ذلك فقال مصرحاً بظنه: «ولم يكن بايع تلك الأشهر». وإنما كانت هذه البيعةُ بعد موتِ فاطمةَ ﷺ لإزالة ما كان حصل من

الوَحشة والمشاجَرةِ بسبب دعواها، ويشهد لذلك أن عليَّ بنَ أبي طالب رضي الله عنه لم يفارق الصدّيقَ رضي الله عنه في وقت من الأوقات ولا ينقطع في صلاة من الصلوات خلفه، وكان خروجُه معه إلى ذي القَصّة حين عقَد ألويةَ الأمراءِ الأحدَ عشرَ في حياةِ فاطمةَ رضي الله عنها في الشهر الثالث من وفاةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ.

كما روى الدارقطنيُّ[1] من طريق مالكٍ عن ابن شهابٍ عن سعيد بنِ المسيَّبِ عن ابنِ عمرَ رضي الله عنهما قال: «لما برز أبو بكر إلى ذي القصة واستوى على راحلته، أخذَ عليُّ بنُ أبي طالبٍ رضي الله عنه بزمامِها وقال: إلى أينَ يا خليفةَ رسولِ الله ﷺ؟ أقول لك ما قال رسولُ اللَّهِ ﷺ يومَ أُحدٍ: **لُمَّ سيفَك ولا تفجَعْنا بنفسك وارجِع إلى المدينة**، فواللَّهِ لئن فُجعْنا بك لا يكون للإسلامِ نظامٌ أبداً. فرجع.

ورواه زكريا الساجيُّ[2] من حديث عبدِ الوهابِ بنِ موسى بنِ عبدِ العزيزِ بنِ عمرَ بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ عَوفٍ، والزهريُّ أيضاً عن أبي الزناد عن هشام بنِ عُروةَ عن أبيه عن عائشةَ قالت: خرج أبي شاهراً سيفَه راكباً على راحلتِه إلى وادي القصة، فجاء عليُّ بنُ أبي طالبٍ رضي الله عنه فأخذ بزمام راحلتِه فقال: إلى أين يا خليفةَ رسولِ اللَّهِ؟ أقول لك ما قال رسولُ الله ﷺ يوم أحد: «**لُمَّ سيفَك ولا تفجعْنا بنفسك**». فوالله لئن أُصِبنا بك لا يكون للإسلامِ نظامٌ أبداً. فرجع وأمضى الجيشَ.

وفي الصحيح[3] خروجُهما إلى خارج المدينةِ وأن أبا بكر رضي الله عنه وجد الحسنَ بنَ عليٍّ يلعب مع الصبيان فحمَله وهو يقول:

(بأبي شبيهٌ بالنبيّ ... ليس شبيهٌ بعلي[4])

---

(١) عزاه إليه ابن كثير في «البداية والنهاية» (٦/ ٣١٩) مسنداً: **بسند ضعيف**.
وقال ابن كثير عقبه: «**هذا حديث غريب من طريق مالك**».

(٢) عزاه إليه ابن كثير في «البداية والنهاية» (٦/ ٣١٩) مسنداً. **بسند ضعيف**.

(٣) أخرجه البخاري (٦/ ٥٦٣ رقم ٣٥٤٢) و (٧/ ٩٥ رقم ٣٧٥٠).
* وأخرج أحمد في «المسند» (رقم ٤٠ ـ شاكر) **بسند صحيح**: عن عقبةَ بن الحارث قال: «خرجتُ مع أبي بكر الصديق من صلاة العصر بعد وفاة النبي ﷺ بليالٍ وعليّ يمشي إلى جنبه، فمرّ بحسن بن علي يلعب مع غلمان، فاحتمله على رقبته وهو يقول: (وابأبي شِبْه النبيّ ليس شبيهاً بعلي).

(٤) في الأصل:
(يا بأبي شِبيه النبيّ ... ليس شبيهاً بعلي) =

وعليٌّ رضي الله عنه يضحك.

ومن تدبر النصوصَ في ذلك وإجماعَ المهاجرين والأنصارِ وأهلِ بيتِ النبيِّ ﷺ وغيرِهم ظهر له تأويلُ قولِ الصادقِ المصدوقِ ﷺ: «**يأبى اللَّهُ والمؤمنون إلا أبا بكر**»[1].

[فضائل الصديق وفضله]

وأما فضلُه فقال تبارك وتعالى: ﴿ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ﴾ [التوبة: ٤٠]. وقال الله تبارك وتعالى: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [الزمر: ٣٣]. وقال: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ۝١٧ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ۝١٨ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ۝١٩ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٢٠ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ۝٢١﴾ [الليل]. حكى جماعةٌ من المفسرين على أنها نزلت في أبي بكر الصديقِ رضي الله عنه وأرضاه.

وفي الصحيحين[2] من حديث الهجرةِ الطويلِ: «فارتحلنا والقومُ يطلبوننا فلم يُدركنا أحدٌ منهم غيرَ سُراقةَ بنِ مالكِ بنِ جُعْشُم على فرس له، فقلت: هذا الطلبُ، قد لحِقَنا يا رسولَ الله، فقال: «**لا تحزَنْ إنَّ الله معنا**».

وفيهما[3] من حديث أنسِ بنِ مالكٍ رضي الله عنه عن أبي بكر رضي الله عنه قال: «قلتُ للنبيِّ ﷺ وأنا في الغار: لو أن أحدَهم نظر تحت قدميه لأبصَرَنا، فقال: **ما ظنُّك يا أبا بكر باثنين اللَّهُ ثالثهما**».

وفيهما[4] عن ابنِ عمرَ رضي الله عنه قال: «كنا نخيّر بين الناسِ في زمن النبيِّ ﷺ فنخيّر أبا بكر ثم عمرَ بنِ الخطاب ثم عثمانَ بن عفانَ رضي الله عنهم».

= وهو بيت مكسور. والصوابُ ما أثبتناه من صحيح البخاري.

(١) تقدم تخريجه وهو حديث صحيح.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) البخاري (٧/ ٨ - ٩ رقم ٣٦٥٣) وطرفاه (٣٩٢٢) و (٤٦٦٣).
ومسلم (٤/ ١٨٥٤ رقم ١/ ٢٣٨١).

(٤) لم يخرجه مسلم. بل أخرجه البخاري (٧/ ١٦ رقم ٣٦٥٥) وطرفه (٣٦٩٧).
وأخرجه أحمد في «فضائل الصحابة» رقم (٥٣) وابن أبي عاصم في «السنة» رقم (١١٩٢).

وفي لفظ[1] قال: «كنا في زمن النبيِّ ﷺ لا نعدِل بأبي بكر أحداً ثم عمرَ ثم عثمانَ، ثم نترك أصحابَ النبيِّ ﷺ لا نفاضِل بينَهم».

وفيهما[2] واللفظُ لمسلم عن سعيد بنِ المسيِّب وأبي سلمةَ بنِ عبدِ الرحمنِ أنهما سمعا أبا هريرةَ ﷺ قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «**بينما رجلٌ يسوق بقرةً له قد حمل عليها التفتتْ إليه البقرةُ فقالت: إني لم أُخلَقْ لهذا ولكني إنما خُلقتُ للحرث، فقال الناسُ: سبحانَ اللَّهِ ـ تعجّباً وفزَعاً ـ أبقرةٌ تَتكلَّمُ؟**»، فقال رسولُ الله ﷺ: «**فإني أُؤمنُ به وأبو بكر وعمر**».

وقال أبو هريرةَ ﷺ: قال رسولُ الله ﷺ: «**بينما راعٍ في غنمه عدا عليها الذئبُ فأخذ منها شاةً فطلبه الراعي حتى استنقذها منه، فالتفتَ إليه الذئبُ فقال له: مَن لها يومَ السبْعِ، يوم ليس لها راعٍ غيري. فقال الناسُ: سبحانَ الله**. فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: **فإني أؤمنُ بذلك أنا وأبو بكر وعمرُ**». وفي رواية لهما: «**ومن ثَمَّ أبو بكر وعمرُ**». ولمسلم[3]: «**وَمَا هُما ثَمَّ**».

وفي صحيح البخاريِّ[4] عن همام قال: سمعتُ عماراً يقول: «رأيتُ رسولَ الله ﷺ ما معه إلا خمسةُ أعبُدٍ وامرأتان وأبو بكر».

وفيه[5] عن أبي الدرداء ﷺ قال: «كنت جالساً عند النبيِّ ﷺ إذْ أقبلَ أبو بكر آخذاً بطرف ثوبِه حتى أبدى عن ركبته، فقال النبيُّ ﷺ: «**أما صاحبُكم فقد غامرَ**». فسلَّم وقال: يا رسولَ الله إنه كان بيني وبين ابنِ الخطابِ شيءٌ فأسرعتُ إليه ثم ندِمتُ فسألتُه أن يغفِرَ لي فأبى عليَّ فأقبلتُ إليك، فقال: «**يغفِرُ اللَّهُ لك يا أبا بكر**» ثلاثاً.

ثم إن عمرَ ﷺ ندِمَ فأتى منزِل أبا بكر فسأل: أَثَمَّ أبو بكر؟ فقالوا: لا، فأتى إلى النبي ﷺ فسلّم عليه فجعل عليه وجهُ النبيِّ ﷺ يتمعَّرُ حتى أشفق

---

(١) للبخاري في صحيحه (٧/ ٥٣ ـ ٥٤ رقم ٣٦٩٧).
(٢) البخاري (٧/ ١٨ رقم ٣٦٦٣) ومسلم (٤/ ١٨٥٧ ـ ١٨٥٨ رقم ٢٣٨٨).
(٣) في صحيحه (٤/ ١٨٥٨ رقم (...)/ ٢٣٨٨).
(٤) في صحيحه (٧/ ١٨ رقم ٣٦٦٠) وطرفه (٣٨٥٧).
(٥) أي البخاري في (٧/ ١٨ رقم ٣٦٦١) وطرفه (٤٦٤٠).

أبو بكر رضي الله عنه فجثا على ركبتيه فقال: يا رسولَ اللَّهِ والله أنا كنتُ أظلمَ. مرتين.

فقال صلى الله عليه وسلم: «**إن اللَّهَ بعثني إليكم فقلتم كذبتَ وقال أبو بكر صدقتَ، وواساني بنفسِه ومالِه، فهل أنتم تاركوا لي صاحبي؟**» مرتين. فما أُوذيَ بعدَها».

ـ وفي رواية[1] ـ فقال رسولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «**هل أنتم تاركوا لي صاحبي، هل أنتم تاركوا لي صاحبي؟ إني قلتُ: يا أيها الناسُ إني رسولُ اللَّهِ إليكم فقلتم كذبتَ وقال أبو بكر صدَقتَ**». قال أبو عبدِ الله ـ هو البخاري ـ سبق بالخير.

ولهما[2] عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**من أنفق زوجين من شيءٍ من الأشياء في سبيل اللَّهِ دُعيَ من أبوابِ الجنةِ: يا عبدَ اللَّهِ هذا خيرٌ، فمن كان من أهل الصلاةِ دُعيَ من باب الصلاة، ومن كان من أهلِ الجهادِ دُعي من باب الجهادِ، ومن كان من أهلِ الصدقةِ دُعيَ من باب الصدقةِ، ومن كان من أهلِ الصيامِ دُعيَ من باب الصيامِ وبابُ الريانِ**».

فقال أبو بكر: ما على هذا الذي يُدعى من تلك الأبوابِ من ضرورة. وقال: هل يدعى منها كلّها أحدٌ يا رسولَ اللَّهِ؟ قال: «**نعم، وأرجو أن تكونَ منهم يا أبا بكر**».

وفيه[3] عن عمرو بنِ العاص رضي الله عنه أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم بعثه على جيش ذاتِ السلاسل، فأتيتُه فقلتُ: أيُّ الناسِ أحبُّ إليك؟ قال: «**عائشةُ**»، فقلتُ: من الرجال؟ فقال: «**أبوها**»، قلتُ: ثمَّ مَن؟ قال: «**ثم عمرُ بنُ الخطاب**» فعدَّ رجالاً.

وفيه[4] عن محمد بنِ الحنفيةِ قال: قلت لأبي: أيُّ الناسِ خيرٌ بعدَ

---

(١) أخرجها البخاري (٨/ ٣٠٣ رقم ٤٦٤٠).

(٢) البخاري (٧/ ١٩ رقم ٣٦٦٦).
ومسلم (٢/ ٧١١ ـ ٧١٢ رقم ١٠٢٧).

(٣) أي البخاري (٧/ ١٨ رقم ٣٦٦٢) وطرفه (٤٣٥٨).
قلت: وأخرجه مسلم (٤/ ١٨٥٦ رقم ٢٣٨٤).

(٤) أي البخاري (٧/ ٢٠ رقم ٣٦٧١).
قلت: وللحديث طرق كثيرة عن علي بن أبي طالب. انظر: «فضائل الصحابة» للإمام أحمد بن حنبل رقم (٤٠ و ٤١ و ٤٣ و ٤٤ و ٤٥ و...) و «السنة» لابن أبي عاصم رقم (١٢٠٥).

رسولِ اللَّهِ ﷺ؟ قال: أبو بكر، قلت: ثمَّ مَن؟ قال: عمرُ وخشيتُ أن يقولَ عثمانُ، فقلتُ: ثم أنت؟ قال: ما أنا إلا رجلٌ من المسلمين.

وفيه[1] عن عروةَ بنِ الزبيرِ قال: قلتُ لعبد اللَّهِ بنِ عمرِو بنِ العاص: أخبرْني بأشدِّ ما صنع المشركون برسولِ اللَّهِ ﷺ، قال: بينا رسولُ اللَّهِ ﷺ يصلي بفِناء الكعبةِ إذ أقبلَ عُقبةُ بنُ مُعَيط فأخذ بمنكب رسولِ اللَّهِ ﷺ ولوى ثوبَه في عنقه فخنقَه خنقاً شديداً، فأقبل أبو بكر فأخذ بمنكبه ودفع عن رسولِ اللَّهِ ﷺ وقال: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾ [غافر: ٢٨].

وفيهما[2] عن سعيد بنِ المسيِّب قال: أخبرني أبو موسى الأشعريُّ رضي الله عنه أنه توضأ في بيته ثم خرج فقلت: لألزَمَن رسولَ الله ﷺ ولأكونن معه يومي هذا، قال: فجاء المسجدَ فسأل عن النبيِّ ﷺ فقالوا: خرج ووجّه ههنا، فخرجتُ على أثرِه أسأل عنه حتى دخل بئرَ أريسَ فجلستُ عند الباب وبابُها من جريد حتى قضى رسولُ اللَّهِ ﷺ حاجتَه فتوضأ، فقمتُ إليه فإذا هو جالسٌ على بئر أريسَ وتوسّط قُفَّها وكشف عن ساقيه ودلاّهما في البئر، فسلمتُ عليه ثم انصرفت، فجلستُ عند البابِ فقلتُ لأكونَنّ بوابَ رسولِ الله ﷺ اليوم، فجاء أبو بكر فدفعَ البابَ فقلتُ: من هذا؟ فقال: أبو بكر، فقلتُ: على رِسْلك، ثم ذهبتُ فقلتُ: يا رسولَ اللَّهِ هذا أبو بكر يستأذن، فقال **ائذَنْ له وبشره بالجنة**، فأقبلتُ حتى قلتُ لأبي بكر: ادخُل ورسولُ اللَّهِ ﷺ يبشركُ بالجنةِ، فدخل أبو بكر فجلس عن يمين رسولِ اللَّهِ ﷺ معه في القُف ودلّى رجليه في البئرِ كما صنع النبيُّ ﷺ وكف عن ساقيه، ثم رجعتُ فجلست وقد تركت أخي يتوضأ ويلحقني، فقلت: إن يُرِدِ اللَّهُ بفلانٍ خيراً - يريد أخاه - يأتِ به، فإذا إنسانٌ يحرك البابَ فقلتُ: من هذا؟ فقال: عمرُ بنُ الخطابِ، فقلت: على رسلك، ثم جئتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ فسلمتُ عليه فقلتُ: هذا عمرُ بنُ الخطابِ يستأذن، فقال: «**ائذَنْ له وبشره بالجنة**».

---

(١) أي البخاري (٧/ ٢٢ رقم ٣٦٧٨) وطرفاه (٣٨٥٦، ٤٨١٥).

(٢) البخاري (٧/ ٢١ - ٢٢ رقم ٣٦٧٤) وأطرافه: (٣٦٩٣، ٣٦٩٥، ٦٢١٦، ٧٠٩٧، ٧٢٦٢).
ومسلم (٤/ ١٨٦٧ رقم ٢٤٠٣).

فجئتُ فقلتُ له: ادخُل وبشرك رسولُ الله ﷺ بالجنة، فدخل فجلس مع رسولِ الله ﷺ في القُف عن يسارِه ودلَّى رجليه في البئر، ثم رجعتُ فجلستُ فقلتُ: إن يُردِ اللَّهُ بفلانٍ خيراً يأتِ به، فجاء إنسانٌ يحرك الباب، فقلت: من هذا؟ فقال: عثمانُ بنُ عفان، فقلتُ: على رسلك، فجئتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ فأخبرتُه فقال: «**ائذن له وبشره بالجنة على بلوى تُصيبه**»، فقلتُ له: ادخل وبشرك رسولُ اللَّهِ بالجنة على بلوى تُصيبك، فدخل فوجد القف قد مُلئ فجلس وِجاهَه من الشق الآخر. قال سعيد بنُ المسيِّب: فأوّلتُها قبورَهم.

وفيهما[1] عن أنس رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ صعِد أُحُداً وأبو بكر وعمرُ وعثمانُ، فرجَفَ بهم فقال: «**اثبتْ، فإنما عليك نبيٌّ وصدّيقٌ وشهيدان**».

وللترمذي[2] عن ابنِ عمرَ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال لأبي بكر: «**أنت صاحبي على الحوض، وصاحبي في الغار**». وقال حسنٌ صحيح.

وله[3] عن عمرَ بنِ الخطابِ رضي الله عنه قال: «أمرنا رسولُ اللَّهِ ﷺ أن نتصدّق، ووافق ذلك عندي مالاً، فقلتُ اليومَ أسبقُ أبا بكر إن سبقتُه يوماً. قال: فجئتُ بنصِف مالي، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «**ما أبقيتَ لأهلك؟**»، قلت: مثلَه. وأتى أبو بكر رضي الله عنه بكل ما عنده فقال: «**يا أبا بكر ما أبقيتَ لأهلك؟**» قال: أبقيتُ لهم اللَّهَ ورسولَه، قلت: لا أسبقه إلى شيء أبداً». هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ.

ولمسلم[4] عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «**من أصبح منكم اليوم صائماً؟**» قال أبو بكر: أنا، قال: «**فمن تبعَ منكم اليوم جنازةً؟**»، قال أبو بكر: أنا، قال: «**فمن أطعم منكم اليوم مسكيناً؟**»، قال أبو بكر: أنا، قال: «**فمن**

---

(١) لم يخرجه مسلم بل أخرجه البخاري (٧/ ٢٢ رقم ٣٦٧٥)، وطرفاه (٣٦٨٦، ٣٦٩٩).

(٢) في «السنن» (٥/ ٦١٣ رقم ٣٦٧٠) وقال: **هذا حديث حسن صحيح**.
قلت: في سنده كثير بن إسماعيل النواء، وهو ضعيف. ولبعضه شواهد.

(٣) أي للترمذي (٥/ ٦١٤ ـ ٦١٥ رقم ٣٦٧٥) وقال: **هذا حديث حسن صحيح**.
قلت: وأخرجه أبو داود (٢/ ٣١٢ ـ ٣١٣ رقم ١٦٧٨) وابن أبي عاصم في «السنة» رقم (١٢٤٠) **بسند حسن**.
وخلاصة القول أن الحديث حسن، والله أعلم.

(٤) في صحيحه (٢/ ٧١٣ رقم ١٠٢٨).

عاد منكم اليوم مريضاً؟»، قال أبو بكر: أنا، فقال رسولُ الله ﷺ: «ما اجتمعنَ في امرئٍ إلاَّ دخل الجنة». والأحاديث في هذا الصدِّيق كثيرةٌ جداً، قد أُفردتْ بالتصنيف، وفيما ذُكر كفايةٌ في التنبيه على ما وراءه، وما أحسنَ ما قال حسانُ بنُ ثابتٍ رضي الله عنه:

(إذا تذكرتَ شجْواً من أخي ثقةٍ ... فاذكُر أخاك أبا بكرٍ بما فعلا)

(خيرَ البريةِ أوفاها وأعدَلها ... بعدَ النبيِّ وأولاها بما حمَلا)

(والتاليَ الثانيَ المحمودَ مشهدُه ... وأولُ الناسِ منهم صدّق الرُّسُلا)

(عاش حميداً لأمرِ اللّهِ متَّبِعاً ... بأمر صاحبِه الماضي وما انتقلا[1])

[مواقف الصديق في حياة النبي ﷺ وبعد وفاته]

وأما ما منحه الله تعالى من المواقف العظيمةِ مع النبيِّ ﷺ من حين بعثته إلى أن توفاه اللّهُ عز وجل من نُصرته والذبِّ عنه والشفقةِ عليه والدعوةِ إلى ما دعا إليه وملازمته إياه ومواساتِه بنفسه ومالِه، وتقدمِه معه في كل خير، فأمرٌ لا تُدرك غايتُه.

ثم لما توفى اللّهُ عز وجل نبيَّه ﷺ كان من رحمة الله تعالى بهذه الأمة أن ولاهُ أمرَهم بعد نبيِّه، وجمعهم عليه بلطفه، فجمع اللّهُ به شملَ العربِ بعد شتاتِه، وقمع به كلَّ عدوٍّ للدين، ودمر عليه، وألَّفَ له الأمة وردهم إليه، بعد أن ارتد أكثرُهم عن دينه وانقلب الغالبُ منهم على أعقابهم كافرين. حتى قيل: لم يبقَ

---

(١) الأبيات في ديوان حسان (ص٣٥٢ ـ ٣٥٣).
* أخرجه الإمام أحمد في «فضائل الصحابة» رقم (١٠٣) بسند ضعيف جداً. لأجل محمد بن حميد الرازي فإنه متروك، ومجالد بن سعيد ضعيف.
وأخرجه الحاكم (٣/ ٦٤) من طريق مجالد.
وابن الأثير في «الكامل» (٣/ ٢٠٨) من طريق محمد بن حميد مثله.
والطبراني، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/ ٤٣): وفيه الهيثم بن عدي وهو متروك.
ويأتي من طريقه في الكتاب ـ أي فضائل الصحابة ـ رقم (١١٩).
وأخرجه ابن أبي حاتم في «العلل» (٢/ ٣٨٢) عن ابن مغراء مثله. وقال أبوه: منكر.
وقال محقق «فضائل الصحابة» (ص١٣٣): ورواه البغوي في معجمه (ل ٤١٨) عن ابن عباس بإسناد حسن بدون ذكر الشعر.

يُصلى إلا في ثلاثةِ مساجدَ: الحرمين الشريفين، ومسجدِ العلاء بنِ الحضرميِّ بالبحرين، فردهم الله تعالى إلى الحق طوعاً وكرهاً، وأطفأ به كلَّ فتنةٍ في أقلِّ من ستةِ أشهرٍ ولله الحمدُ والمنة.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾ [المائدة: ٥٤]. الآيات.

قال عليُّ بنُ أبي طالبٍ[١] رضي الله عنه والحسنُ البصريُّ[٢] وقتادةُ[٣]: هم أبو بكر وأصحابُه الذين قاتلوا أهلَ الردةِ ومانعي الزكاة. وذلك أن النبيَّ ﷺ لما قُبض ارتد عامةُ العرب، إلا أهلَ مكةَ والمدينةِ والبحرين من عبد قيس، ومنع بعضُهم الزكاةَ.

وهمَّ أبو بكر رضي الله عنه بقتالِهم فكره ذلك أصحابُ النبيِّ ﷺ وقال عمرُ رضي الله عنه: كيف تقاتل الناسَ وقد قال رسولُ الله ﷺ: **«أُمرتُ أن أُقاتلَ الناسَ حتى يقولوا لا إله إلا الله، فمن قال لا إله إلا الله عصم مني مالَه ونفسَه إلا بحقه وحسابُهم على الله»**.

فقال أبو بكر رضي الله عنه: فوالله لأقاتلن من فرَّق بين الصلاةِ والزكاةِ، فإن الزكاةَ حقُّ المالِ، والله لو منعوني عَناقاً كانوا يؤدونها إلى رسولِ اللّهِ لقاتلتُهم على منعها[٤].

قال أنسُ بنُ مالكٍ رضي الله عنه: كرِهتْ الصحابةُ رضي الله عنهم قتالَ مانعي الزكاة وقالوا أهلُ القبلة، فتقلَّد أبو بكر سيفَه وخرج وحده، فلم يجدوا بداً من الخروج في أثره.

قال ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه: كرِهْنا ذلك في الابتداء، ثم حمِدْناه في الانتهاء.

قال أبو بكر ابنُ عياشٍ: سمعتُ أبا حُصينٍ يقول: ما وُلد بعد النبيين مولودٌ أفضلُ من أبي بكر رضي الله عنه، لقد قام مقامَ نبيٍّ من الأنبياء في قتال أهلِ الردة.

---

(١) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٤/ج٦/٢٨٣) بسند ضعيف.
(٢) أخرجه ابن جرير في «جامع البيان» (٤/ج٦/٢٨٣).
(٣) ذكره البغوي في «معالم التنزيل» (٣/ ٧١).
(٤) أخرجه البخاري (١٣/ ٢٥٠ رقم ٧٢٨٤، ٧٢٨٥).
ومسلم (١/ ٥١ رقم ٢٠) من حديث أبي هريرة.

وكان قد ارتد في حياةِ النبيِّ ﷺ ثلاثُ فِرَقٍ منهم بنو مذحج ورئيسُهم ذو الخِمار عَبْهلةُ بنُ كعبٍ العنسيُّ ويلقب بالأسود، وكان كاهناً مُشعبذاً فتنبّأ باليمن واستولى على بلاده، فكتب رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى معاذ بن جبلٍ ومن معه من المسلمين وأمرهم أن يحثُّوا الناسَ على التمسك بدينهم وعلى النهوضِ لحرب الأسودِ، فقتله فيروزُ الديلميُّ على فراشه.

قال رضي الله عنه: فأتى الخبرُ النبيَّ ﷺ من السماء في الليلة التي قُتل فيها، فقال ﷺ: «**قُتل الأسودُ البارحةَ قتله رجلٌ مباركٌ**»، قيل ومن هو؟ قال: «**فيروزُ، فاز فيروز**». فبشّر النبيُّ ﷺ أصحابَه بهلاك الأسودِ، وقُبض النبيُّ ﷺ من الغد، وأتى خبرُ مقتلِ العنسيِّ المدينةَ في آخرِ شهرِ ربيعِ الأولِ بعدما خرج أسامةُ، وكان ذلك أولَ فتح جاء أبا بكر رضي الله عنه[١].

والفرقةُ الثانيةُ بنو حنيفةَ ورئيسُهم مُسيلمةُ الكذاب، وكان قد تنبأ في حياةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ في آخر سنةِ عشرٍ، وزعم أنه اشترك مع محمد ﷺ في النبوة، وكتب إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ: «من مسيلمَة رسولِ الله، إلى محمد رسولِ اللَّهِ: أما بعدُ فإن لي الأرض لي نصفُها ونصفُها لك». وبعث إليه رجلين من أصحابه فقال لهما رسولُ اللَّهِ ﷺ: «**لولا أن الرسلَ لا تُقتل لضَربتُ أعناقَكما**»، ثم أجاب: «**من محمد رسولِ الله ﷺ، إلى مسيلمةَ الكذّاب**»: **أما بعدُ**: ﴿إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٨][٢].

---

(١) انظر: «البداية والنهاية» (٦/ ٣١٤).

(٢) أخرجه ابن إسحاق كما في «السيرة» لابن هشام (٤/ ٣٢٩) وصرح ابن إسحاق بالسماع، **وسنده منقطع لإبهام الشيخ.**
وأخرجه ابن سعد في «الطبقات» (١/ ٢٧٣) **مختصراً معلقاً.**
وأخرجه البلاذري في «فتوح البلدان» (ص١١٩ ـ ١٢٠) **معلقاً.**
وخلاصة القول أن الحديث ضعيف.
خلا قوله ﷺ: «**لولا أن الرُسل لا تُقتلُ لضربتُ أعناقكما**».
فقد صح من حديث نعيم بن مسعود الذي أخرجه أبو داود (٢/ ١٩١ ـ ١٩٢ رقم ٢٧٦١) وأحمد (٣/ ٤٨٧ ـ ٤٨٨). **وهو حديث صحيح.**
وانظر: «مجمع الزوائد» (٥/ ٣١٤ ـ ٣١٥) باب النهي عن قتل الرسل.

ومرض رسولُ اللَّهِ ﷺ وتُوفيَ، فبعث أبو بكرٍ خالدَ بنَ الوليد إلى مسيلمةَ الكذابِ في جيش كثير حتى أهلكه الله على يدَي وحشيٍّ غلام مُطعم بن عديٍّ الذي قتل حمزةَ بنَ عبدِ المطلب بعد حرب شديد، وكان وحشيٌّ يقول: قتلتُ خيرَ الناسِ في الجاهلية وشرَّ الناسِ في الإسلامِ[1].

والفرقةُ الثالثةُ بنو أسدٍ ورأسُهم طُليحةُ بنُ خويلدٍ، وكان طليحةُ آخرَ من ارتدَّ وادّعى النبوة في حياةِ النبيِّ ﷺ وأولَ من قُوتل بعد وفاةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ من أهل الردّة، فبعث أبو بكر خالد بنَ الوليدِ فهزمَهم خالدٌ بعد قتالٍ شديد، وأفلت طُليحةُ فمرَّ على وجهه هارباً نحوَ الشام، ثم إنه أسلم بعد ذلك وحسُن إسلامُه[2].

وارتد بعد وفاةِ النبيِّ ﷺ في خلافةِ أبي بكرٍ ﷺ خلقٌ كثيرٌ حتى كفى اللَّهُ المسلمين أمرَهم، ونصر دينَه على يدي أبي بكر ﷺ، قالت عائشةُ ﷺ: (توفيَ رسولُ اللَّهِ ﷺ وارتدت العربُ واشرأبَّ النفاقُ ونزل بأبي ما لو نزل بجبّار لَهاضَه). انتهى من تفسير البغوي[3] رحمه الله.

وروى ابنُ أبي حاتمٍ[4] عن حسن البصريِّ: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤]. قال حسنٌ: هو والله أبو بكر وأصحابُه.

وأخرج عبدُ بنُ حميد، وابنُ جريرٍ، وابنُ المنذرِ، وأبو الشيخ، والبيهقيُّ في سننه، وابنُ عساكر[5]، عن قتادةَ: قال الله تعالى هذه الآية: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ﴾ [المائدة: ٥٤].

---

(١) قصة قتل مسيلمة ساقها البخاري في صحيحه (٧/ ٣٦٧ ـ ٣٦٨ رقم ٤٠٧٢).

(٢) انظر: ترجمته في «الإصابة» رقم (٤٣٠٩) و «أُسد الغابة» رقم (٢٦٤١) و «الاستيعاب» رقم (١٣٠٠) و «تهذيب الأسماء واللغات» (١/ ٢٥٤ ـ ٢٥٥).

(٣) في «معالم التنزيل» (٣/ ٧١).

(٤) في تفسيره (٤/ ١١٦٠ رقم ٦٥٣٧).
قلت: وأخرجه الإمام أحمد في «فضائل الصحابة» رقم (٦١٣).
وابن جرير في «جامع البيان» (٤/ج٦/ ٢٨٢ ـ ٢٨٣) من عدة طرق عن الحسن.
والبيهقي في «الدلائل» (٦/ ٣٦١).
وهو صحيح إلى الحسن.

(٥) كما في «الدر المنثور» (٣/ ١٠١ ـ ١٠٢).
وابن جرير في «جامع البيان» (٤/ج٦/ ٢٨٣).

وقد علِمَ أنه سيرتد مرتدون من الناس، فلما قبض اللَّهُ نبيَّه ﷺ ارتد عامةُ العربِ عن الإسلامِ إلا ثلاثة مساجدَ: أهلُ المدينةِ، وأهلُ مكةَ، وأهلُ جُؤاثى من عبدِ القيس. وقال الذين ارتدوا: نصلي الصلاة ولا نُزكّي، واللَّهِ لا تُغصَب أموالُنا.

فكلم أبو بكر في ذلك ليتجاوز عنهم، وقيل له: إنهم لو فقِهوا أدّوا الزكاةَ. فقال: واللَّهِ لا أفرّق بين شيء جمعه اللَّهُ عز وجل، ولو منعوني عِقالاً مما فرضَ اللَّهُ ورسولُه لقاتلتهم عليه، فبعث اللَّهُ عصائبَ مع أبي بكر فقاتلوا حتى أقرُّوا بالماعون وهو الزكاة.

قال قتادةُ: فكنا نتحدّث أنَّ هذه الآيةَ نزلت في أبي بكر وأصحابِه: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤]. إلى آخر الآية.

ولا ينافي هذا ما ورد من أنها نزلت في أهلِ اليمن كما أخرج ابنُ جرير[(١)] عن شُريحِ بنِ عُبيدٍ قال: لما أُنزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ﴾ [المائدة: ٥٤]. الآية. قال عمرُ رضي الله عنه: أنا وقومي يا رسولَ اللَّهِ؟ قال: «**لا بل هذا وقومه**»، يعني أبا موسى الأشعريّ.

وأخرج ابنُ سعدٍ[(٢)] وابنُ أبي شيبةَ في مسنده[(٣)] وعبدُ بنُ حميدٍ[(٣)] والحكيمُ الترمذيُّ[(٣)] وابنُ جريرٍ[(٤)] وابنُ المنذر[(٣)] وابنُ أبي حاتمٍ[(٥)] والطبرانيُّ[(٦)] وأبو الشيخ[(٣)] وابنُ مردويه[(٣)] والحاكمُ[(٧)] وصححه البيهقيُّ في الدلائل[(٨)] عن عِياضٍ الأشعريِّ قال: لما نزلت: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤] قال رسولُ الله: «**هم قومُ هذا**»، وأشار إلى أبي موسى الأشعريِّ رضي الله عنه.

---

(١) في «جامع البيان» (٤/ج٦/ ٢٨٤) بسند منقطع.
(٢) في «الطبقات» (٤/ ١٠٧).
(٣) كما في «الدر المنثور» (٣/ ١٠٢).
(٤) في «جامع البيان» (٤/ج٦/ ٢٨٤).
(٥) في تفسيره (٤/ ١١٦٠ رقم ٦٥٣٥) عن عياض الأشعري يحدث عن أبي موسى الأشعري.
(٦) في «الكبير» (١٧/ ٣٧١ رقم ١٠١٦)، وقال الهيثمي في «المجمع» (٧/ ١٦): ورجاله رجال الصحيح.
(٧) في «المستدرك» (٢/ ٣١٣) وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي.
(٨) (٥/ ٣٥١ ـ ٣٥٢).
=

وأخرج أبو الشيخ[1] وابنُ مردويه[1] والحاكم في جمعه لحديث شعبةَ[1]، والبيهقيُّ[1] وابنُ عساكرَ عن أبي موسى الأشعريِّ رضي الله عنه قال: تُليت على النبيِّ ﷺ: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ﴾ [المائدة: ٥٤] الآية، فقال النبيُّ ﷺ: **«قومُك يا أبا موسى الأشعريِّ أهل اليمن»**.

وأخرج ابنُ أبي حاتمٍ في الكُنى[2] والطبرانيُّ في الأوسط[3] وأبو الشيخ[2] وابنُ مردويه[2] بسندٍ حسنٍ عن جابر بنِ عبدِ اللَّهِ قال: سُئل رسولُ الله ﷺ عن قوله: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ﴾ [المائدة: ٥٤] الآية، فقال: **«هؤلاء قومٌ من أهلِ اليمن ثم كِندةَ ثم السكونِ ثم تجيبَ»**.

وأخرج البخاريُّ في تاريخه[4] وابنُ أبي حاتم[4] وأبو الشيخ[4] عن ابن عباس في الآية قال: هم من أهلُ اليمن، ثم كندة من السكون.

وأخرج ابن أبي شيبة[5] عن ابن عباس: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ﴾ [المائدة: ٥٤]. قال: هم أهل القادسية.

قلتُ: وكان غالبُ أهلِ القادسية من أهل اليمن، بل كانت بَجيلةُ ربعَ الناس فضلاً عن غيرهم، وكان بأسُ الناس الذي هم فيه، كما رواه ابنُ إسحاقَ عن إسماعيلَ بنِ أبي خالدٍ عن قيس بن أبي حازمٍ قال: وكان يمرّ عمْرُو بنُ معْدِ يكَرِبَ الزَبيديُّ فيقول: يا معشرَ المهاجرين كونوا أسوداً، فإنما الفارسيُّ تيْسٌ. وقد

= * وعياض بن عمرو الأشعري اختلف في صحبته، وأبو حاتم على أنه تابعي أرسل عن النبي ﷺ. «الجرح والتعديل» (٦/ ٤٠٧ رقم ٢٢٧٦) و «التاريخ الكبير» للبخاري (٧/ ١٩ - ٢٠ رقم ٨٧) و «الإصابة» رقم (٦١٥٣) و «أسد الغابة» رقم (٤١٥٨).

(١) كما في «الدر المنثور» (٣/ ١٠٢).

(٢) كما في «الدر المنثور» (٣/ ١٠٢).

(٣) رقم (١٣٩٢).

وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٦) وقال: رواه الطبراني في «الأوسط» **وإسناده حسن**.

وأورده ابن كثير في «تفسيره» (٢/ ٧٢ ـ ٧٣) وقال: **هذا حديث غريب جداً**.

(٤) كما في «الدر المنثور» (٣/ ١٠٣).

(٥) كما في «الدر المنثور» (٣/ ١٠٣).

قتلَ ﵁ أسواراً فارسَ الفرسِ وأبلى بلاءً حسناً، وكانت له اليدُ البيضاءُ يومئذ[1].

وأخرج البخاريُّ[2] رحمه الله تعالى في تاريخه عن القاسم بن مُخَيْمرةَ قال: أتيتُ ابنُ عمير فرحّب بي ثم تلا: ﴿مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤] الآية، ثم ضربَ على منكبي وقال: أحلِف بالله إنه لمنكم أهلَ اليمن ـ ثلاثاً ـ وكلُ هذا لا ينافي ما قدمناه من نزولها في أبي بكر أولاً، فإن أهلَ اليمن لم يرتدّ جميعُ قبائلِهم يومئذ، وإنما ارتد كثيرٌ منهم مع الأسود العنسيِّ وثبت الكثير منهم على الإيمانِ مع معاذِ بنِ جبل وأبي موسى وفيروز الديلميِّ وغيرِهم من عمال النبيِّ ﷺ، ونشِبَ بين مؤمنهم وكافرِهم قتالٌ عظيمٌ حتى قتل اللَّهُ الأسودَ على يد فيروزَ، وأيدَ اللَّهُ الذين آمنوا منهم على عدوهم فأصبحوا ظاهرين.

ولكن لم يرجع أمرُهم على ما كانوا عليه قبل العنسيِّ إلا في خلافةِ أبي بكر ﵁، فإنه لم يزل يتابعُ الكتائبَ مدداً لمؤمنهم على كافرهم حتى راجعوا الإسلامَ وكانوا من أعظم أنصارِه حتى صار رؤساءُ رِدّتِهم كعمْرِو بنِ مَعْدِ يكَرِبَ وقيسِ بنِ مَكشوحٍ وغيرِهم من أعظمِ الناسِ وأشدِّهم بلاءً في أيام الردّةِ والفتوح، فحينئذٍ عاد المعنى إلى أبي بكر وأصحابه وهم من أصحابه، وكلُ هذا في شأنِ السبب لنزول الآية، وإلا فهي عامةٌ لكل مؤمنٍ يُحبُّ اللَّهَ ويحبه، ويوالي فيه ويعادي فيه ولا يخاف في الله لومةَ لائم.

وكان أبو بكر وأصحابُه أسعدَ الناسِ بذلك وأقدَمهم فيه وأسبقَهم إليه وأولَ من تناولْته الآية، ﵁ وأرضاه وعن أنصارِ الإسلامِ وحزبِه أجمعين.

وفي الصحيحين[3] وغيرهما عن أبي هريرة ﵁ قال: لما تُوفي رسولُ الله ﷺ، واستُخلف أبو بكر بعده وكفر من كفر من العرب قال عمرُ بنُ الخطاب لأبي بكر ﵁: كيف تقاتل الناسَ وقد قال رسولُ الله ﷺ: **«أُمرتُ أن أُقاتل الناسَ حتى يقولوا لا إله إلا الله، فمن قال لا إله إلا اللَّهُ فقد عصم مني مالَه ونفسَه إلا بحقه وحسابُه على الله عز وجل»**؟.

---

(١) «البداية والنهاية» لابن كثير (٧/ ٣٩).

(٢) في «تاريخه الكبير» (٤/ ١/ ١٦١) وفيه (القاسم بن يَنْخُسْره) بدل (القاسم بن مُخَيمرة) وهو الصواب.

(٣) تقدم تخريجه قريباً.

فقال أبو بكر: واللَّهِ لأُقاتلَنّ من فرَّق بين الصلاةِ والزكاةِ، فإن الزكاةَ حقُّ المالِ، واللَّهِ لو منعوني عِقالاً كانوا يؤدّونه إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ لقاتلتهم على منعه، فقال عمرُ بنُ الخطابِ: فواللَّهِ ما هو إلا أن رأيتُ اللَّهَ عز وجل قد شرح صدرَ أبي بكر للقتال فعرفتُ أنه الحقُّ، وتفاصيلُ مواقفِه العِظام رضي الله عنه مشهورةٌ مبسوطةٌ في كتب السيرةِ وغيرِها[1]، وكانت مدةُ خلافتِه سنتين وثلاثةَ أشهر.

[وفاة الصديق]

وكانت وفاتُه رضي الله عنه في يوم الاثنين عشيةً، وقيل بعد المغربِ ودُفن من ليلتِه، وذلك لثمانٍ بقينَ من جُمادى الآخرةِ سنةَ ثلاثَ عشْرةَ بعد مرضِ خمسةَ عشرَ يوماً[2].

وكان عمرُ بنُ الخطابِ رضي الله عنه يصلي بالمسلمين، وفي أثناء هذا المرض عهِد بالأمر من بعده إلى عمر بنَ الخطابِ، وكان الذي كتب العهد عثمانُ بنُ عفانَ وقرئ على المسلمين فأقرّوا به وسمعوا له وأطاعوه.

وكان عمرُ الصديقِ رضي الله عنه يوم توفيَ ثلاثاً وستين سنةً، السنُّ الذي توفيَ فيه رسولُ اللَّهِ ﷺ، وقد جمع اللَّهُ بينهما في التربة كما جمع بينهما في الحياة، فرضيَ اللَّهُ عنه وأرضاه، ومِن جميع أبوابِ الجنةِ دعاه، وقد فعل ولله الحمدُ والمنة.

[خلافةُ الفاروق وفضائله]

(ثانيه في الفضل بلا ارتيابِ الصادعُ الناطقُ بالصوابِ)

---

(١) انظر: «جامع الأصول في أحاديث الرسول» لابن الأثير (٨/ ٥٨٤ ـ ٦٠٦) حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه الشيخ عبد القادر الأرنؤوط.
و «فضائل الصحابة» للإمام أبي عبد الله أحمد بن حنبل (١/ ٦٥ ـ ٢٤٣) حققه وخرج أحاديثه: وصّي الله بن محمد عباس.
و «الصحيح المسند من فضائل الصحابة» (ص٢٧ ـ ٥٩) لأبي عبد الله مصطفى بن العدوي.

(٢) انظر: «تاريخ الإسلام» للذهبي ـ عهد الخلفاء الراشدين ـ (ص٨٧). تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري.

(أعني به الشهمَ أبا حفصٍ عمرْ مَن ظاهَرَ الدينَ القويمَ ونَصَرْ)
(الصارمُ المُنكي على الكُفَّارِ وموسعُ الفتوحِ في الأمصارِ)

(ثانيه) أي ثاني أبي بكرٍ **(في الفضل)** على الناس بعده فلا أفضلَ منه، كذا هو ثانيه في الخلافة بالإجماع **(بلا ارتياب)** أي بلا شك **(الصادعُ)** بالحق المُجاهرُ به الذي لا يخاف في الله لومةَ لائم، ومنه قولُ اللَّهِ تعالى لنبيه ﷺ: ﴿فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ﴾ [الحجر: ٩٤]، فكانَ عمرُ رضي الله عنه كذلك، وبه سماه النبيُّ ﷺ فاروقاً **(الناطقُ بالصواب)** والذي وافق الوحيَ في أشياءَ قبل نزولِه كما سيأتي.

(أعني به) أي بهذا النعتِ **(الشهمَ)** الذكيَّ المتوقدَ السيدَ المطاعَ الحكَمَ، القويَّ في أمر الله، الشديدَ في دين الله **(أبا حفص عمر)** بنَ الخطابِ بنِ نُفيلِ بنِ عبدِ العُزّى بنِ رياحِ بنِ عبدِ الله بنِ قرط بن رزاح بنِ عديِّ بنِ كعب العدَوي، ثاني الخلفاء وإمامُ الحنفاء بعد أبي بكر رضي الله عنهما وأولُ من تسمّى أميرَ المؤمنين[1].

(الصارم) السيفُ المسلولُ **(المنكي)** من النكاية **(على الكفار)** لشدته عليهم وإثخانِه إياهُم حتى إنْ كان شيطانُه ليَخافُه أن يأمرَه بمعصية كما قاله عليُّ بنُ أبي طالب رضي الله عنه. **(وموسع)** من الاتساع **(الفتوح)** فتوحِ الإسلامِ **(في الأمصار)** فكمّل فتوحَ بلادِ الرومِ بعد اليرموكِ، ثم بلادَ فارسَ حتى مزّقَ اللَّهُ به مُلكَهم كلَّ مُمزّق. ثم أوغل في بلاد التركِ كما هو مبسوطٌ في كتب السيَرِ وغيرِها.

وتقدمت إشاراتُ النصوصِ النبويةِ إلى خلافتِه قريباً مع ذكر أبي بكرٍ رضي الله عنه وكثير من فضائلِه أيضاً التي شارك فيها أبا بكر.

وفي الصحيحين[2] عن جابر رضي الله عنه قال: قال النبيُّ ﷺ: **«رأيتُني دخلتُ الجنةَ فإذا أنا بالرُّميصاء امرأةِ أبي طلحةَ، وسمعتُ خشْخشةً فقلت: من هذا؟ فقال: هذا بلالٌ، ورأيتُ قصراً بفِنائِه جاريةٌ، فقلتُ: لمن هذا؟ فقال: لعُمرَ، فأردتُ أن أدخلَه فأنظُرَ إليه فذكرتُ غيرتَك»**. فقال عمرُ: بأبي وأمي يا رسولَ الله أعليك أغارُ؟».

---

(١) انظر ترجمته في: «الإصابة» رقم (٥٧٥٢) و «أُسد الغابة» رقم (٣٨٣٠) و «الاستيعاب» رقم (١٨٩٩) و «الرياض المستطابة» (ص١٤٧).

(٢) البخاري (٧/ ٤٠ رقم ٣٦٧٩) وطرفاه رقم (٥٢٢٦) و (٧٠٢٤).
ومسلم (٤/ ١٨٦٢ رقم ٢٣٩٤).

وعن أبي هريرةَ[١] رضي الله عنه قال: «بينا نحن عند رسولِ اللَّهِ ﷺ إذْ قال: **بينا أنا نائمٌ رأيتُني في الجنة فإذا امرأةٌ تتوضأ إلى جانب قصرٍ، فقلتُ: لمن هذا القصر؟ فقالوا: لعمرَ، فذكرتُ غيرتَه فولَّيتُ مُدبراً.** فبكى عمرُ وقال: أعليك أغارُ يا رسولَ اللَّهِ؟».

وعن حمزةَ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ بنَ الخطابِ عن أبيه[٢] عن رسولِ اللَّهِ ﷺ قال: «**بينا أنا نائمٌ إذ رأيتُ قدَحاً أُتيتُ به، فيه لبنٌ فشربتُ منه حتى إني لأرى الرِّيَّ يجري في أظفاري، ثم أعطيتُ فضْلي عمرَ بنَ الخطابِ.** قالوا: فما أوَّلتَ ذلك يا رسولَ اللَّهِ؟ قال: **العلم**».

وعن أبي سعيد الخُدريِّ[٣] رضي الله عنه قال: سمعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقول: «**بينا أنا نائمٌ رأيتُ الناسَ عُرضوا عليَّ وعليهم قُمُصٌ، فمنها ما يبلغ الثُديَّ، ومنها ما يبلُغ دون ذلك. وعُرِض عليَّ عمرُ بنُ الخطاب وعليه قميصٌ يجترّه.** قالوا: فما أوّلته يا رسولَ الله؟ قال: **الدين**».

وعن محمد بنِ سعدِ بنِ أبي وقاصٍ عن أبيه[٤] قال: «استأذن عمرُ بنُ الخطابِ رضي الله عنه على رسولِ اللَّهِ ﷺ، وعنده نسوةٌ من قريش يكلِّمنه ويستكثِرْنه عاليةً أصواتُهن على صوته ﷺ، فلما استأذن عمرُ بنُ الخطابِ قمْنَ فبادرْنَ الحِجابَ، فأذِنَ له رسولُ الله ﷺ، فدخلَ عمرُ ورسولُ اللَّهِ ﷺ يضحك، فقال عمرُ: أضحكَ اللَّهُ سنَّك يا رسولَ الله، فقال النبيُّ ﷺ: **عجبتُ من هؤلاء اللاتي كنّ عندي، فلما سمعْن صوتَك ابتدَرْنَ الحِجابَ.** فقال عمرُ: فأنت أحقُّ أن يهَبْنَ يا رسولَ الله.

---

(١) أخرجه البخاري (٧/ ٤٠ رقم ٣٦٨٠).
ومسلم (٤/ ١٨٦٣ رقم ٢٣٩٥).

(٢) أخرجه البخاري (٧/ ٤٠ رقم ٣٦٨١).
ومسلم (٤/ ١٨٥٩ رقم ١٦/ ٢٣٩١).

(٣) أخرجه البخاري (٧/ ٤٣ رقم ٣٦٩١).
ومسلم (٤/ ١٨٥٩ رقم ١٥/ ٢٣٩٠).

(٤) أخرجه البخاري (٧/ ٤١ رقم ٣٦٨٣).
ومسلم (٤/ ١٨٦٣ رقم ٢٣٩٦).

فقال عمرُ: يا عدوّاتِ أنفسهن، أتهَبْنني ولا تهَبْنَ رسولَ اللَّهِ ﷺ؟ فقلن: نعم أنت أفظُّ وأغلظُ من رسولِ الله ﷺ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: **إيهاً يا ابنَ الخطابِ، والذي نفسي بيده ما لقِيكَ الشيطانُ سالكاً فجًا قطُّ إلا سلك فجًا غيرَ فجّكَ**».

وعن أبي هريرةَ[1] ﷺ قال: قال النبيُّ ﷺ: «**لقد كان فيمن كان قبلكم من بني إسرائيلَ رجالٌ يُكلَّمون من غير أن يكونوا أنبياءَ، فإن يكن من أمتي منهم أحدٌ فعمرُ**».

وعن ابنِ عمرَ[2] ﷺ أنه قال: لما تُوفيَ عبدُ اللَّهِ بنُ أُبيٍّ جاء ابنُه عبدُ اللَّهِ بنُ عبدِ اللَّهِ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ فأعطاه قميصَه وأمره أن يُكفِّنَه فيه، ثم قام يصلّي عليه، فأخذ عمرُ بنُ الخطابِ بثوبه فقال: تصلي عليه وهو منافقٌ وقد نهاك اللَّهُ أن تستغفرَ لهم؟ قال: «**إنما خيَّرني الله ـ أو أخبرني الله ـ فقال**: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٨٠]. **فقال: سأزيده على سبعين**».

قال فصلى عليه رسولُ اللَّهِ ﷺ وصلينا معه ثم أنزل الله عليه: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [التوبة: ٨٤]. متفقٌ على جميعِها.

وفي البخاري[3] عن ابن عباس ﷺ عن عمرَ بنِ الخطابِ ﷺ أنه قال: «لما مات عبدُ اللَّهِ بنُ أُبيٍّ ابنِ سلولٍ دُعيَ له رسولُ اللَّهِ ﷺ ليُصلي عليه، فلما قامَ رسولُ اللَّهِ ﷺ وثبْتُ إليه فقلتُ: يا رسولَ اللَّهِ أتصلي على ابن أُبيّ وقد قال يوم كذا: كذا وكذا، قال: أُعدِّدُ عليه قولَه. فتبسّم رسولُ اللَّهِ ﷺ وقال: «**أخِّرْ عني يا عمرُ**»، فلما أكثرتُ عليه قال: **إني خُيِّرتُ فاخترتُ، لو أعلم أني إن زِدتُ على السبعين يُغفرُ له لزِدتُ عليها**.

---

(١) أخرجه البخاري (٧/ ٤٢ رقم ٣٦٨٩).
ومسلم (٤/ ١٨٦٤ رقم ٢٣٩٨).

(٢) أخرجه البخاري (٣/ ١٣٨ رقم ١٢٦٩) وأطرافه رقم: (٤٦٧٠) و (٤٦٧٢) و (٥٧٩٦).
ومسلم (٤/ ١٨٦٥ رقم ٢٤٠٠).

(٣) في صحيحه (٨/ ٣٣٣ ـ ٣٣٤ رقم ٤٦٧١).

قال فصلّى عليه رسولُ اللَّهِ ﷺ ثم انصرف، فلم يلبث إلا يسيراً حتى نزلت الآيتان من براءة: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا﴾ - إلى قوله - ﴿وَهُمْ فَـٰسِقُونَ﴾ [التوبة: ٨٤]. قال فعجبْتُ من جَرأتي على رسولِ اللَّهِ ﷺ واللَّهُ ورسولُه أعلمُ».

وفي صحيح مسلم[١] من حديث ابن عباسٍ رضي الله عنه في قصة أُسارى بدرٍ بطوله قال ابنُ عباس: «فلما أسروا الأسارى قال رسولُ اللَّهِ ﷺ لأبي بكر وعمر: **«ما ترون في هؤلاء الأسارى؟»** فقال أبو بكر: هم يا نبيَّ اللَّهِ بنو العمِّ والعشيرةِ، أرى أن تأخذَ منهم فديةً، فتكون لنا قوةً على الكفار فعسى اللَّهُ أن يهديَهم للإسلامِ.

فقالَ رسولُ اللَّهِ ﷺ: **«ما ترى يا ابن الخطابِ؟»**، قلتُ: لا واللَّهِ يا رسولَ اللَّهِ، ما أرى الذي رأى أبو بكر، ولكني أرى أن تُضربَ أعناقُهم فتمكنُ عليًا من عقيل فيَضرِبَ عُنقَه، وتمكّنُني من فُلان - نسيباً لعمر - فأضربُ عُنقَه، فإن هؤلاء أئمةُ الكفرِ وصناديدُها. فهويَ رسولُ الله ﷺ ما قال أبو بكر ولم يهْوَ ما قلتُ، فلما كان الغدُ جئتُ فإذا رسولُ اللَّهِ ﷺ وأبو بكر قاعدين يبكيان، قلت: يا رسولَ اللَّهِ أخبرني من أي شيء تبكي أنت وصاحبُك، فإن وجدتُ بكاءً بكيتُ، وإن لم أجد بكاءً تباكيتُ لبكائِكُما.

فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ: **«أبكي للذي عُرض عليَّ في أصحابك من أخذهم الفداءَ، لقد عُرض عليَّ عذابُهم أدنى من هذه الشجرةِ** - شجرةً قريبةً من نبيِّ اللَّهِ ﷺ - **وأنزل اللَّهُ عز وجل:** ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ - إلى قوله - ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَـٰلًا طَيِّبًا﴾ [الأنفال: ٦٧ - ٦٩]. فأحلَ اللَّهُ الغنيمةَ لهم.

وفي صحيح البخاريِّ[٢] عن أنس رضي الله عنه قال: قال عمرُ رضي الله عنه: وافقتُ اللَّهَ في ثلاث - أو وافقني اللَّهُ في ثلاث - قلتُ: يا رسولَ اللَّهِ لو اتخذتَ من مقامِ إبراهيمَ مصلّى فأنزل الله تعالى: ﴿وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥]. وقلتُ: يا رسول الله يدخُل عليك البرُّ والفاجرُ فلو أمرتَ أمهاتِ المؤمنين بالحجاب، فأنزلَ الله آية الحجاب.

---

(١) (٣/ ١٣٨٣ - ١٣٨٥ رقم ٥٨/ ١٧٦٣).

(٢) (١/ ٥٠٤ رقم ٤٠٢) وأطرافه: (٤٤٨٣) و (٤٧٩٠) و (٤٩١٦).
قلت: وأخرجه مسلم (٤/ ١٨٦٥ رقم ٢٣٩٩).

قال: وبلغني معاتبةُ النبيِّ ﷺ بعضَ نسائِه فدخلتُ عليهنّ قلت: إن انتهيتُنّ أو ليُبدِّلَنّ اللّهُ رسولَه ﷺ خيراً منكن، حتى أتيتُ إحدى نسائه قالت: يا عمرُ ما في رسولِ اللّهِ ﷺ ما يعِظُ نساءَه حتى تعظَهنّ أنت؟ فأنزل الله تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ﴾ [التحريم: ٥].

وعنه[١] رضي الله عنه أن رجلاً سألَ النبيَّ ﷺ عن الساعة فقال: متى الساعة؟ قال: **«وماذا أعددتَ لها؟»**، قال: لا شيء، إلا أنّي أُحبُّ اللّهَ ورسولَه ﷺ. فقال: **«أنت مع من أحببت»**.

قال أنسٌ: فما فرِحنا بشيء كما فرحنا بقول النبي ﷺ: **«أنت مع من أحببت»**. قال أنسٌ: فأنا أُحبُّ النبيَّ ﷺ وأبا بكر وعمرَ، وأرجو أن أكون معهم بحبي إياهم وإن لم أعمَلْ بمثل أعمالِهم.

وعن ابن عمرَ[٢] رضي الله عنه قال: ما رأيتُ أحداً قطُّ بعد رسولِ اللّهِ ﷺ من حينِ قُبض كان أجَدَّ وأجودَ حتى انتهى من عمر بن الخطابِ رضي الله عنه.

وعن المِسور بنِ مَخْرمةَ[٣] قال: لما طُعن عمرُ رضي الله عنه جعل يألَمُ، فقال ابنُ عباس رضي الله عنهما وكأنه يجزعه: يا أميرَ المؤمنين، ولئن كان ذلك لقد صحِبْتَ رسولَ الله ﷺ فأحسنتَ صُحبتَه، ثم فارقتَه وهو عنك راضٍ. ثم صحِبْتَ أبا بكر فأحسَنتَ صحبتَه، ثم فارقتَه وهو عنك راضٍ. ثم صحبتَ صُحْبَتهم، ولئن فارقتَهم لتفارِقنّهم وهم عنك راضون.

قال: أما ما ذكرتَ من صُحبةِ رسولِ اللّهِ ﷺ ورضاه فإنما ذاك من اللّهِ تعالى منّ به تعالى عليَّ، وأما ما ذكرتَ من صُحبةِ أبي بكر ورضاه فإنما ذلك من الله عز وجل ذِكْرُه منَّ به عليَّ، وأما ما ترى من جزَعي فهو من أجلك وأجلِ صاحبِك، واللّهِ لو أن لي طِلاعَ الأرضِ ذهباً لافتديتُ به من عذاب اللّهِ عز وجل قبلَ أن أراه.

---

(١) أخرجه البخاري (٧/ ٤٢ رقم ٣٦٨٨) وأطرافه: (٦١٦٧) و (٦١٧١) و (٧١٥٣). ومسلم (٤/ ٢٠٣٢ رقم ٢٦٣٩).

(٢) أخرجه البخاري (٧/ ٤٢ رقم ٣٦٨٧).

(٣) أخرجه البخاري (٧/ ٤٣ رقم ٣٦٩٢).

وفيهما[1] عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: وُضع عمرُ على سريره، فتكنّفه الناسُ يدعون ويصلون قبل أن يُرفَعَ وأنا فيهم، فلم يرُعْني إلا رجلٌ آخذٌ مِنكبي فإذا عليٌّ رضي الله عنه فترحَم على عمرَ وقال: ما خلّفت أحداً أحبَّ إليَّ أن ألقى اللّهَ بمثل عملِه منك. وأيمُ اللّهِ إن كنتُ لأظنُّ أن يجعلك اللّهُ تعالى مع صاحبيك، وحسبُك أني كنتُ أسمعُ النبيَّ ﷺ يقول كثيراً: **«ذهبتُ أنا وأبو بكر وعمرُ، ودخلتُ أنا وأبو بكر وعمرُ»**.

زاد مسلم[2] في آخره أيضاً: فإنْ كنتُ لأرجو أو لأظن أن يجعلك الله تعالى معهما. **والأحاديث في فضله كثيرةٌ جداً قد أُفردتْ بالتصنيف**[3]، **وفيما ذكرنا كفاية**.

[قصة استشهاد الفاروق]

وكان قصةُ استشهادِه ما ذكره البخاريُّ[4] رحمه الله تعالى قال: حدثنا موسى بن إسماعيلَ حدثنا أبو عُوانةَ عن حصينٍ عن عمرِو بنِ ميمونٍ قال: رأيتُ عمرَ بنَ الخطابِ رضي الله عنه قبل أن يُصاب بأيام بالمدينة وقف على حُذيفةَ بنِ اليمانِ وعثمانَ بنِ حُنيفٍ وقال: كيف فعلتما؟ أتخافان أن تكونا قد حمّلتما الأرضَ ما لا تُطيق؟ قالا: حمّلناها أمراً هي له مُطيقةٌ، ما فيها كبيرُ فضلٍ، قال: انظُرا أن تكونا حملتما الأرضَ ما لا تُطيق. قالا: لا. فقال عمرُ: لئن سلّمني اللّهُ تعالى لأدَعَنّ أراملَ أهلِ العراقِ لا يحتجْن إلى رجلٍ بعدي أبداً.

قال: فما أتت عليه رابعةٌ حتى أُصيبَ رضي الله عنه. قال: إني لقائمٌ ما بيني وبينه

---

(١) أي البخاري (٧/ ٤١ ـ ٤٢ رقم ٣٦٨٥).
ومسلم (٤/ ١٨٥٨ ـ ١٨٥٩ رقم ٢٣٨٩).

(٢) في صحيحه رقم (٢٣٨٩).

(٣) انظر: «فضائل الصحابة» للإمام أحمد (١/ ٢٤٤ ـ ٤٨٨).
و «الصحيح المسند من فضائل الصحابة» (ص٦١ ـ ٨٧).
و «أخبار عمر» للطنطاوي.
و «جامع الأصول» لابن الأثير (٨/ ٦٠٦ ـ ٦٢٥).

(٤) في صحيحه (٧/ ٥٩ ـ ٦٢ رقم ٣٧٠٠).

إلا عبدُ الله بنُ عباسٍ غداةَ أُصيب». وكان إذا مرَّ بين الصفَّين قال استووا، حتى إذا لم يرَ فيهن خللاً تقدم فكبّر، وربما قرأ سورةَ يوسُفَ أو النحلِ أو نحوَ ذلك في الركعةِ الأولى حتى يجتمِع الناسُ، فما هو إلاَّ أن كبَّرَ حتى سمعتُه يقول: قتلني - أو أكلني - الكلبُ حين طعنَه، فطارَ العِلجُ بسكِّينٍ ذات طرفين، لا يمر على أحد يميناً ولا شمالاً إلا طعنَه حتى طعنَ ثلاثةَ عشرَ رجلًا ماتَ منهم سبعةٌ.

فلما رأى ذلك رجلٌ من المسلمينَ طرحَ عليه بُرنُساً فلما ظنَّ العِلجُ أنه مأخوذٌ نحرَ نفسَه، وتناولَ عمرُ يدَ عبدِ الرحمنِ بنِ عَوفٍ فقدّمه، فمن يلي عمرَ فقد رأى الذي أرَى، وأما نواحي المسجد فلا يدرونَ غيرَ أنهم فقدوا صوتَ عمرَ رضي الله عنه وهم يقولون سبحانَ الله سبحانَ الله، فصلى بهم عبدُ الرحمنِ بنُ عوفٍ صلاةً خفيفةً، فلما انصرفوا قال: يا ابنَ عباس، انظُر من قتلَني. فجال ساعةً ثم جاء فقال: غُلامُ المُغيرة، فقال: الصَّنع؟ قال: نعم. قال: قاتله الله، لقد أمرتُ به معروفاً، الحمدُ لله الذي لم يجعل منيتي بيد رجلٍ يدَّعي الإسلامَ، فقد كنتَ أنت وأبوكَ تُحِبانِ أن تكثُر العُلوجُ بالمدينة.

وكان ابنُ عباس أكثرَهم رقيقاً. فقال: إن شئتَ فعلتُ، أي إن شئتَ قتلْنا. قال: كذبتَ، بعدما تكلموا بلسانكم وصلُّوا قبلتَكم، وحجُّوا حجَّكم. فاحتُمل إلى بيتِه فانطلَقْنا معه، وكأن الناسَ لم تُصبْهم مصيبةٌ قبل يومئذٍ. فقائلٌ يقول: لا بأسَ، وقائلٌ يقول: أخافُ عليه. فأُتيَ بنبيذ فشربَه فخرجَ من جوفِه، ثم أُتيَ بلبن فشربه فخرجَ من جُرحه، فعلموا أنه ميتٌ، فدخلْنا عليه وجاء الناسُ يثنون عليه، وجاء رجلٌ شابٌ فقال: أبشرْ يا أمير المؤمنين ببشرى اللَّهِ لك من صحبة رسولِ اللَّهِ ﷺ، وقدمٍ في الإسلامِ ما قد علِمْتَ، ثم وُلِّيتَ فعدلتَ، ثم شهادة.

قال: وددِتُ أن ذلك كَفافٌ، لا عليَّ ولا لي. فلما أدبرَ إذا إزارُه يمسُّ الأرضَ، قال: رُدوا عليَّ الغلامَ، قال: ابنَ أخي ارفع ثوبَك، إنه أبقى لثوبِك، وأتقى لربك. يا عبدَ اللَّهِ بن عمرَ انظُر ما عليَّ من الدَّينِ، فحسَبوه فوجدوه ستةً وثمانين ألفاً أو نحوَه، قال إن وفى له مال آل عمرَ فأدِّه من أموالِهم، وإلا فسل بني عديِّ بنِ كعب، فإن لم تف أموالُهم فسل في قريش ولا تعْدُ إلى غيرِهم، فأدِّ عني هذا المالَ، وانطلقْ إلى عائشةَ فقل: يقرأ عليك عمرُ بن الخطاب السلامَ - ولا تقل

أميرُ المؤمنين، فإني لستُ اليومَ للمؤمنين أميراً ـ وقل: يستأذنُ عمرُ بنُ الخطابِ أن يُدفنَ مع صاحبيه. فسلَّم واستأذن ثم دخَل عليها فوجدها قاعدةً تبكي، فقال: يقرأ عليك عمرُ بنُ الخطابِ السلامَ ويستأذنُ أن يُدفنَ مع صاحبيه.

فقالت: كنتُ أُريدُه لنفسي ولأُوثِرنَّ به اليوم على نفسي. فلما أقبلَ قيل هذا عبدُ اللَّهِ بنُ عمرَ قد جاءَ، قال: ارفعوني، فأسندَه رجلٌ إليه فقال: ما لديك؟ قال: الذي تُحبُّ يا أمير المؤمنين، أذِنَتْ. قال: الحمدُ لله، ما كان من شيء أهمَّ إليَّ من ذلك، فإذا أنا قضيتُ فاحملوني، ثم سلِّمْ فقل: يستأذن عمرُ بنُ الخطابِ، فإن أذِنتْ لي فأدخلوني، وإن ردَّتني ردّوني إلى مقابر المسلمين.

وجاءت أمُّ المؤمنين حفصةُ ﵂ والنساءُ تسيرُ معها، فلما رأيناها قُمنا، فولَجتْ عليه فبكت عندَه ساعةً، واستأذنت الرجالَ فولجت داخلاً لهم فسمعنا بكاءَها منَ الداخلِ، فقالوا: أوصِ يا أمير المؤمنين، استخلِفْ. قال: ما أجدُ أحقَّ بهذا الأمرِ من هؤلاء النفرِ ـ أو الرَّهطِ ـ الذين تُوفيَ رسولُ الله ﷺ وهو عنهم راضٍ، فسمى عليًا وعثمانَ والزبيرَ وطلحةَ وسعداً وعبدَ الرحمنِ، وقال: لِيَشهدْكم عبدُ الله بن عمرَ وليس له من الأمر شيءٌ ـ كهيئة التعزية له ـ فإن أصابتْ الإمرةُ سعداً فهو ذاك ـ وإلا فليَستعنْ به أيُكم ما أُمِّرَ، فإني لم أعزِله عن عجْز ولا خيانة.

وقال: أُوصي الخليفةَ من بعدي بالمهاجرين الأولين أن يعرِفَ لهم حقَّهم، ويحفَظَ لهم حرمَتهم؛ وأُوصيه بالأنصارِ خيراً الذين تبوَّؤا الدارَ والإيمانَ من قبلهم أن يقبَلَ من مُحسِنهم وأن يعفُوَ عن مُسيئِهم. وأُوصيه بأهل الأمصارِ خيراً فإنهم ردءُ الإسلامِ وجُباةُ المال وغيظُ العدوِّ وأن لا يؤخَذَ منهم إلا فضلُهم عن رضاهُم، وأُوصيه بالأعرابِ خيراً فإنهم أصلُ العربِ ومادةُ الإسلام أن يؤخذ من حواشي أموالِهم وتُردَّ على فقرائِهم، وأُوصيه بذمةِ اللَّهِ وذمةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ أن يوفيَ لهم بعهدهم، وأن يُقاتل مِن ورائِهم، ولا يُكلَّفوا إلا طاقتَهم.

فلما قُبضَ خرجْنا به فانطلقنا نمشي. فسلّم عبدُ اللَّهِ بنُ عمرَ قال: يستأذنُ عمرُ بنُ الخطابِ، قالت: أدخلوه. فأُدخلَ. فوُضعَ هنالك مع صاحبيه. فلما فُرغ من دفنه اجتمع هؤلاء الرهطُ، فقال عبدُ الرحمنِ: اجعلُوا أمرَكم إلى ثلاثةٍ منكم، فقال الزبيرُ: قد جعلتُ أمري إلى علي، فقال طلحةُ: قد جعلتُ أمري إلى عثمانَ.

وقال سعدٌ: قد جعلتُ أمري إلى عبدِ الرحمنِ بنِ عوف. فقال عبدِ الرحمنِ: أيُكما تبرأ من هذا الأمر فلنجعلْه إليه، واللَّهُ عليه والإسلامُ لينظرَنَّ أفضلَهم في نفسِه؟ فأُسكِتَ الشيخانِ، فقال عبدُ الرحمن: أفتجعلونَه إليَّ واللَّهِ على أن لا آلو عن أفضلِكم؟ قالا: نعم. فأخذ بيد أحدِهما فقال: لك من قرابةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ والقدمِ في الإسلامِ ما قد علمتَ، فاللَّهَ عليك لئن أمّرتُك لتعدِلنّ، ولئن أمّرتُ عثمانَ لتسمَعَنّ ولتُطيعنّ؟.

ثم خلا بالآخر فقال له مثلَ ذلك. فلما أخذ الميثاقَ قال: ارفع يدك يا عثمانُ، فبايعَه وبايع له عليٌّ رضي الله عنه، وولج أهلُ الدارِ فبايعوه، رضي الله عنهم أجمعين.

[مدةُ خلافةِ الفاروق]

وكانت مدةُ خلافةِ الفاروقِ رضي الله عنه عشرَ سنينَ وستةَ أشهرٍ، وكانت وفاتُه على المشهور لثلاث بقينَ من ذي الحجةِ سنة ثلاثٍ وعشرين، وله من العمر ثلاثٌ وستونَ سنةً على الأشهرِ، وهي السنُّ التي توفيَ لها رسولُ الله ﷺ ثم أبو بكر الصديقُ رضي الله عنه، وبويعَ لعثمانَ في ثلاث من المحرم دخولَ سنةِ أربعٍ وعشرين، وأولُ من بايعه عبدُ الرحمنِ بنُ عوفٍ ثم عليُّ بنُ أبي طالب ثم بقيةُ أصحابِ الشورى ثم بقيةُ أهلِ الدارِ ثم بقيةُ المهاجرين والأنصارِ رضي الله عنهم أجمعين.

[خلافة عثمان وفضائله]

(ثالثهم عثمانُ ذو النورين ... ذو الحلم والحيا بغير مَينِ)
(بحرُ العلوم جامعُ القرآنِ ... منه استحتْ ملائكُ الرحمن)
(بايع عنه سيدُ الأكوانِ ... بكفه في بَيعة الرِضوانِ)

(ثالثهم) في الخلافةِ والفضلِ كما في حديث ابن عمرَ السابقِ **(عثمان)** ابنُ عفانَ[1] بن أبي العاص بن أميةَ بنِ عبدِ شمسِ بنِ عبدِ منافٍ.

من السابقين الأولين إلى الإسلامِ بدعوةِ الصدِّيقِ إياه، وزوّجه رسولُ اللَّهِ ﷺ

---

(١) انظُر: ترجمته في «الإصابة» رقم (٥٤٦٤) و «الاستيعاب» رقم (١٧٩٧)، و «أسد الغابة» رقم (٣٥٨٩).

رُقيةَ ابنتَه ﷺ، وهاجر الهجرتين وهي معه، وتخلّف عن بدر لمرضِها. وضرب له النبيُّ ﷺ بسهمه وأجْرِه، وبعد وفاتِها زوَّجه النبيُّ ﷺ أمَّ كُلثوم بمثل صداقِ رُقية على مثلِ صُحبتِها، وبذلك تسمّى (ذو النورين) لأنه تزوج ابنتي نبيٍّ واحدةً بعد واحدةٍ، ولم يتفقْ ذلك لغيره ﷺ.

(**ذا الحِلم**) التامُّ الذي لم يُدركه غيرُه (**والحياءِ**) الإيمانيِّ الذي يقول فيه النبيُّ ﷺ: «**الحياءُ شُعبةٌ من الإيمان**»[1]. وقال: «**أشدُّكم حياءً عُثمانُ**»[2].

(**بحرُ العلوم**) والفهمِ التامِّ في كتاب اللَّهِ تعالى حتى إنْ كان ليقومُ به في ركعةٍ واحدةٍ فلا يركع إلا في خاتمتها إلا ما كان من سجود القرآن[3].

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) وهو جزء من حديث أنس الصحيح.

أخرجه النسائي في «فضائل الصحابة» رقم (١٨٢) والحاكم (٣/ ٤٢٢) والبيهقي (٦/ ٢١٠) من طرق عن عبد الوهاب الثقفي، حدثنا خالد الحذاء، عن أبي قلابة عن أنس به، **وصححه الحاكم على شرط الشيخين**.

وأخرجه أحمد (٣/ ١٨٤) وابن ماجه رقم (١٥٥)، والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (١/ ٣٥١) وأبو نعيم في «الحلية» (٣/ ١٢٢) والبيهقي (٦/ ٢١٠) والبغوي في «شرح السنة» رقم (٣٩٣٠). من طريق سفيان الثوري، عن خالد الحذاء، به.

وأخرجه أحمد (٣/ ٢٨١) والطيالسي في «المسند» رقم (٢٠٩٦) والنسائي في «فضائل الصحابة» رقم (١٣٨)، والطحاوي في «مشكل الآثار» (١/ ٣٥٠ ـ ٣٥١) والبيهقي (٦/ ٢١٠) من طريق وهيب، عن خالد الحذاء، به.

وأخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٣/ ١٢٢) والبيهقي (٦/ ٢١٠) من طريق عاصم الأحول عن أبي قلابة، به.

وأخرجه الترمذي رقم (٣٧٩٠) من طريق معمر، عن قتادةَ به.

وأخرج ابن أبي عاصم في «السنة» رقم (١٢٨١) و (١٢٨٢) من طريقين عن أبي قلابة، عن أنس مرفوعاً بلفظ: «**أصدق أمتي حياء عثمان**».

وخلاصة القول أن الحديث صحيح، والله أعلم.

(٣) هذا يتعارض مع حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ، قال: قال لي رسولُ الله ﷺ: «**اقرأ القرآن في كل شهر**» قال قلت: إني أجد قوة، قال: «**فاقرأه في عشرين ليلة**». قال: قلت: إني أجد قوة، قال: «**فاقرأه في سبع ولا تزد على ذلك**».

أخرجه البخاري (٩/ ٩٤ ـ ٩٥ رقم ٥٠٥٢ و ٥٠٥٣ و ٥٠٥٤). ومسلم (٢/ ٨١٣ ـ ٨١٤ رقم ١٨٢ و ١٨٣ و ١٨٤).

وجاء في البخاري (٤/ ٢٢٤ رقم ١٩٧٨) عنه، عن النبي ﷺ قال: «**صم من الشهر ثلاثة**، =

(**جامع القرآن**) لما خشيَ الاختلافَ في القرآن والخصامَ فيه في أثناء خلافتِه ﷺ، فجمعَ الناسَ على قراءة واحدةٍ وكتب المصحفَ على القراءةِ الأخيرةِ التي درسها جبريلُ على رسولِ اللّهِ ﷺ سِني حياتِه.

وكان سببُ ذلك أنَّ حذيفةَ بنَ اليمانِ[1] كان في بعض الغزواتِ، وقد اجتمع فيها خلقٌ من أهل الشام ممن يقرأ على قراءةِ المقدادِ بنِ الأسودِ وأبي الدرداء، وجماعةٍ من أهل العراقِ ممن يقرأ على قراءة عبدِ اللّهِ بنِ مسعودٍ وأبي موسى، وجعل من لا يعْلم بجواز القراءةِ على سبعةِ أحرفٍ يفضّل قراءته على غيره، وربما خطأه الآخرُ أو كفّره فأدّى ذلك إلى خلاف شديدٍ وانتشار الكلامِ السيء بين الناسِ، فركبَ حذيفةُ إلى عُثمانَ فقال: يا أمير المؤمنين أدركْ هذه الأمةَ قبل أن تختلف في كتابها كاختلافِ اليهودِ والنصارى في كتبهم، وذكرَ له ما شاهد من اختلافِ الناسِ في القراءة.

فعند ذلك جمع الصحابةَ وشاورَهم في ذلك، ورأى أن يُكتبَ المصحفُ على حرفٍ واحدٍ، وأن يجمعَ الناسُ في سائر الأقاليمِ على القراءة به دون ما سواه، لِما رأى في ذلك من مصلحةِ كفِّ المنازعةِ ودفعِ الاختلافِ، فاستدعى بالصحف التي كان أُمِرَ زيدِ بن ثابتٍ بجمعها، فكانت عند الصدِّيقِ أيامَ حياتِه، ثم كانت عند عمرَ، فلما توفي صارت إلى حفصةَ أمِّ المؤمنين.

فاستدعى بها عُثمانُ وأمر زيد بن ثابتٍ الأنصاريَّ أن يكتُبَ وأن يُمليَ عليه سعيد بنُ العاصِ الأمويُّ بحضرةِ عبدِ الله بنِ الزبيرِ الأَسَديِّ وعبدِ الرحمنِ بنِ

= قال: أطيق أكثر من ذلك، فما زال حتى قال: صم يوماً وأفطر يوماً»، فقال: «**اقرأ القرآن في كل شهر**». قال: إني أطيق أكثر، فما زال حتى قال: «**في ثلاث**».

وقال الحافظ في «الفتح» (٩/ ٩٧): «فلا مانع أن يتعدد قول النبي ﷺ لعبد الله بن عمرو ذلك تأكيداً، ويؤيد الاختلاف الواقع في السياق، وكأن النهي عن الزيادة ليس على التحريم، كما أن الأمر في جميع ذلك ليس للوجوب، وعرف ذلك من قرائن الحال التي أرشد إليها السياق». اهـ.

(١) أخرج البخاري في صحيحه (٩/ ١١ رقم ٤٩٨٧) عن ابن شهاب الزهري عن أنس بن مالك أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان، وكان يغازي أهلَ الشام... الحديث. بنحو ما ذكر المؤلف.

الحارثِ بنِ هشامِ المخزوميِّ، وأمرهم إذا اختلفوا في شيء أن يكتبوه بلغةِ قريش، فكتب لأهل الشامِ مُصحفاً، ولأهلِ مصرَ آخرَ، وبعث إلى البصرة مصحفاً، وإلى الكوفةِ بآخرَ، وأرسل إلى مكةَ مصحفاً، وإلى اليمن مثلَه، وأقرَّ بالمدينة مصحفاً، ويقال لهذه المصاحفِ «الأئمة»، ثم عمِدَ إلى بقيةِ المصاحفِ التي بأيدي الناسِ مما يخالف ما كتبَه فحرّقه لئلا يقعَ بسببه اختلافٌ.

وروى أبو داودَ الطيالسيُّ[(١)] وأبو بكر بنُ أبي داودَ السِّجستانيُّ[(٢)] عن سُويدِ بنِ غفْلةَ قال: قال لي عليٌّ ﷺ حين حرق عثمانُ المصاحف: لو لم يصنعْه هو لصنعتُه.

وروى البيهقيُّ[(٣)] عنه ﷺ قال: قال عليٌّ ﷺ: أيُها الناسُ إياكم والغُلوَّ في عثمانَ تقولون حرق المصاحفَ، واللَّهِ ما حرقها إلا عن ملأ من أصحاب رسولِ اللَّهِ ﷺ، ولو وُليتُ مثلَ ما وَليَ لفعلتُ مثلَ الذي فعلَ[(٤)].

(**منه استحت ملائكُ الرحمنِ**) كما في الصحيح[(٥)] عن عطاء وسليمانَ بنِ يسارٍ وأبي سلمةَ بنِ عبدِ الرحمنِ أن عائشةَ ﷺ قالت: «كان رسولُ اللَّهِ ﷺ مضطجعاً في بيتي كاشفاً عن فخذيه أو ساقيه، فاستأذن أبو بكر فأذِن له وهو على تلك الحال فتحدّث، ثم استأذن عمر فأذن له وهو كذلك فتحدّث، ثم استأذن عثمانُ فجلس رسولُ اللَّهِ ﷺ وسوّى ثيابَه، قال محمد ـ يعني ابنَ أبي حرْمَلَةَ الراوي عنهم ـ ولا أقول ذلك في يومٍ واحدٍ فدخل فتحدث، فلما خرج قالت

---

(١) لم أعثر عليه في «المسند».

(٢) في «المصاحف» (ص١٩).
قلت: وأورده السيوطي في مسند علي بن أبي طالب (ص١٠٢ رقم ٢٩٥) وعزاه لابن أبي داودَ، والصابوني في المأتين.

(٣) «البداية والنهاية» (٧/ ٢١٧).

(٤) انظر: «العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي ﷺ» تأليف القاضي أبي بكر بن العربي. حققه وعلق حواشيه: محب الدين الخطيب (ص٦٦ ـ ٧٢ رقم ٣).
وانظر كتابنا «مدخل إرشاد الأمة إلى فقه الكتاب والسنة» (ص١٥٥ ـ ١٥٧ الشبهة الخامسة».

(٥) في صحيح مسلم (٤/ ١٨٦٦ رقم ٢٤٠١).

عائشةُ: دخلَ أبو بكر فلم تهتشَّ له ودخلَ عمرُ ولم تُبالِه، ثم دخلَ عثمانُ فجلستَ وسوّيتَ ثيابَك. فقال: **«ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة»**.

وعن سعيد بنِ العاصِ أن عائشةَ ﵄ وعثمانَ ﵁ حدّثاه: «أن أبا بكر ﵁ استأذن على رسولِ الله ﷺ وهو مضطجعٌ على فراشِه لابسٌ مُرْطَ عائشةَ، فأذِن لأبي بكر وهو كذلك فقضى إليه حاجته ثم انصرفَ، ثم استأذن عمرُ فأذن له وهو على تلك الحال فقضى إليه حاجتَه، ثم انصرف، قال عثمانُ: ثم استأذنتُ عليه فجلس وقال لعائشةَ: اجمعي عليك ثيابك، فقضيتُ إليه حاجتي ثم انصرفتُ.

فقالت عائشةُ: يا رسولَ اللَّهِ ما لي لم أرَكَ فزِعتَ لأبي بكر وعمرَ ﵄ كما فزِعت لعثمانَ؟ قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: **«إن عثمان رجلٌ حَيِيٌّ وإني خشيتُ إنْ أذِنتُ له على تلك الحالِ أن لا يبلُغَ إليَّ في حاجته»**[1].

(بايع عنه) حين ذهب لمكة في حاجةِ الرسولِ ﷺ والمسلمين **(سيدُ الأكوان)** محمدٌ رسولُ الله ﷺ **(بكفه)** ضرب بها على الأخرى وقال: **«هذه لعثمانَ»** **(في بيعة الرضوان)** لما غاب عنها فيما ذكرنا[2]، وكان انحباسُه بمكةَ سببُ البيعةِ كما قال محمدُ بنُ إسحاقَ بنِ يسارٍ في السيرة[3].

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٤/١٨٦٦ رقم ٢٤٠٢).
قلت: وأخرجه أحمد (١/٧١، ١٥٥، ١٦٧) و (٦/١٥٥) وفي «فضائل الصحابة» رقم (٧٩٣) وابن أبي عاصم في «السنة» رقم (١٢٨٧) والبخاري في «الأدب المفرد» رقم (٦٠٠). **وهو حديث صحيح.**

(٢) لأن بيعة الرضوان حدثت بعدما ذهب عثمان إلى مكة واحتبس أياماً، ووصل الخبرُ إلى النبيِّ ﷺ بأن عثمان قتل، فدعا ﷺ إلى بيعة الرضوان فقال ﷺ بيده اليمنى: **«هذه يدُ عثمان»** فضرب بها على يده فقال: **«هذه لعثمان»**.

(٣) (٣/٤٣٦ ـ ٤٣٧) لابن هشام.
قلت: وأخرجه أحمد في «الفتح الرباني» (٢١/١٠٢ ـ ١٠٤) ولم يصرح ابن إسحاق بالسماع عنده.
وأخرجه ابن سعد في «الطبقات» (٢/٩٩) **معلقاً.**
وأخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (١٤/٤٤٢ ـ ٤٤٣ رقم ١٨٦٩٩).
وفي سنده موسى بن عبيدة وهو ضعيف. انظر: «تقريب التهذيب» رقم (٦٩٨٩).
وأخرجه الطبري في «تاريخه» (٢/٦٣١) من طريق ابن إسحاق.
فالحديث حسن من طريق ابن إسحاق.

ثم دعا رسولُ اللَّهِ ﷺ عمرَ بنَ الخطابِ رضي الله عنه ليبعثه إلى مكة لِيُبلِّغَ عنه أشرافَ قريشٍ ما جاء له فقال: يا رسولَ اللَّهِ إني أخاف قريشاً على نفسي، وليس بمكة من بني عديِّ بنِ كعبٍ من يمنعُني، وقد عرفتْ قريشٌ عداوتي إياها وغِلَظي عليها، ولكني أدُلّك على رجل أعزَّ بها مني: عثمانَ بن عفانَ رضي الله عنه، فبعثه إلى أبي سفيانَ وأشرافِ قريشٍ يخبرهم أن لم يأتِ لحرب، وأنه إنما جاء زائراً لهذا البيتِ ومعظِّماً لحُرمتِه.

فخرج عثمانُ رضي الله عنه إلى مكةَ فلقِيَه أبانُ بنُ سعيدِ بنِ العاصِ حين دخل مكةَ أو قبل أن يدخُلَها فحملَه بين يديه ثم أجارَه حتى بلَّغ رسالةَ رسولِ اللَّهِ ﷺ، فانطلق عثمانُ رضي الله عنه حتى أتى أبا سفيانَ وعظماءَ قريشٍ فبلّغهم عن رسولِ اللَّهِ ﷺ ما أرسلَه به، فقال لعثمانَ رضي الله عنه حين فرَغ من رسالة رسولِ اللَّهِ ﷺ إليهم: إنْ شئتَ أن تطوفَ بالبيتِ فطُف. فقال: ما كنتُ لأفعلَ حتى يطوفَ به رسولُ اللَّهِ ﷺ. واحتبسته قريشٌ عندها. فبلغ رسولَ اللَّهِ ﷺ والمسلمين أن عثمانَ رضي الله عنه قد قُتل.

قال ابنُ إسحاقَ[1]: فحدثني عبدُ الله بنُ أبي رضي الله عنهما أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال حين بلَغه أن عثمانَ رضي الله عنه قد قُتل: **«لا نبرَحُ حتى نُناجزَ القومَ»**، ودعا رسولُ اللَّهِ ﷺ الناسَ إلى البيعة.

فكانت بيعةُ الرضوانِ تحت الشجرةِ، فكان الناسُ يقولونَ: بايعَهم[2] رسولُ اللَّهِ ﷺ على الموت، وكان جابرُ بنُ عبدِ الله رضي الله عنهما يقول: إن رسولَ اللَّهِ ﷺ لم يبايعْهم[3] على الموت، ولكن بايعنا على أن لا نفرَّ.

---

(١) في «السيرة» (٣/ ٤٣٧ ـ ٤٣٨) بسند منقطع.
قلت: وأخرجه الطبري في «تاريخه» (٢/ ٦٣٢) والبيهقي في «الدلائل» (٤/ ١٣٥). وهو حديث ضعيف.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٧/ ٤٤٨ رقم ٤١٦٧) ومسلم في صحيحه (٣/ ١٤٨٦ رقم ٨١/ ١٨٦١).
وأحمد في «المسند» (٢١/ ١٠٦ ـ الفتح الرباني).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه (٣/ ١٤٨٣ ـ ١٤٨٥ رقم ٦٨/ ١٨٥٦).
وأحمد في «المسند» (٢١/ ١٠٦ ـ الفتح الرباني).

فبايعَ الناسُ ولم يتخلّفْ أحدٌ من المسلمين حضَرها إلا الجد بن قيس[1] أخو بني سلمةَ فكان جابر رضي الله عنه يقول: واللّهِ لكأني أنظُرُ إليه لاصقاً بإبْطِ ناقتِه قد مال إليها يستتر بها من الناس، ثم أتى رسولَ اللّهِ ﷺ أن الذي كان من أمرِ عثمانَ باطلٌ.

وفي الصحيحين[2] عن عثمانَ بن مَوْهبٍ قال: جاء رجلٌ من أهلِ مصرَ حج البيتَ فرأى قوماً جلوساً فقال: من هؤلاء القومُ؟ قالوا: هؤلاء قريشٌ. قال: فمن الشيخُ فيهم؟ قالوا: عبدُ اللّهِ بنُ عمرَ. قال: يا ابنَ عمرَ، إني سائلُك عن شيء فحدِّثني عنه، هل تعلم أن عثمانَ فرَّ يومَ أُحدٍ؟ قال: نعم. قال: هل تعلمُ أنه تغيّب عن بدْر ولم يشْهَد؟ قال: نعم. قال: هل تعلم أنه تغيّب عن بَيعةِ الرضوانِ فلم يشْهَدْها؟ قال: نعم. قال: الله أكبرُ.

قال ابنُ عمرَ: تعال أُبيِّن لك، أما فرارُه يوم أُحدٍ فأشهدُ أن الله عفا عنه وغفَرَ له. وأما تغيُّبُه عن بدر فإنه كان تحته بنتُ رسولِ اللّهِ ﷺ وكانت مريضةً فقال له رسولُ اللّهِ ﷺ: إن لك أجرَ رجلٍ ممن شهِدَ بدراً وسهْمَه. وأما تغيُّبُه عن بَيعةِ الرضوانِ فلو كان أحدٌ أعزَّ ببطن مكةَ من عثمانَ لبعثه مكانه، فبعث رسولُ اللّهِ ﷺ عثمانَ فكانت بيعةُ الرضوانِ بعد ما ذهب عثمانُ إلى مكةَ، فقال رسولُ اللّهِ ﷺ بيده اليمنى: **«هذه يدُ عثمانَ»** فضربَ بها على يده فقال: **«هذه لعثمان»**. فقال له ابنُ عمرَ رضي الله عنه: اذهبْ بها الآن معك.

وروى البيهقيُّ[3] عن أنس رضي الله عنه قال: لما أمرَ رسولُ اللّهِ ﷺ ببيعةِ الرضوانِ كان عثمانُ بنُ عفانَ رضي الله عنه رسولَ رسولِ اللّهِ ﷺ إلى أهل مكةَ، فبايعَ الناسُ، فقال رسولُ اللّهِ ﷺ فضرب بإحدى يديه على الأخرى، فكانت يدُ رسولِ اللّهِ ﷺ لعثمانَ رضي الله عنه خيراً من أيديهم لأنفسهم. ورواه الترمذي[4] وقال: حسنٌ صحيحٌ.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٣/ ١٤٨٣ رقم ٦٩/ ١٨٥٦).
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٧/ ٥٤ رقم ٣٦٩٨). ولم يخرجه مسلم.
(٣) في «الدلائل» (٣/ ١٣٣ ـ ١٣٤) الجزء الأول فقط.
(٤) في «السنن» (٥/ ٦٢٦ ـ ٦٢٧ رقم ٣٧٠٢) وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب.
قلت: بل هو حديث ضعيف.

وفي الصحيحين[1] عن عروةَ أن عبدَ اللَّهِ بنَ عديٍّ بن الخيارِ أخبره أن المِسْوَرَ بنَ مَخْرَمَةَ وعبدَ الرحمنِ بنَ الأسودِ بنِ عبدِ يغوثَ قالا: ما منعك أن تكلم عثمانَ لأخيك الوليدِ فقد أكثر الناسُ فيه، فقصدتُ لعثمانَ حتى خرج إلى الصلاة، قلتُ: إن لي إليك حاجةً وهي نصيحةٌ لك. قال: يا أيها المرءُ أعوذ بالله منك. فانصرفت فرجعتُ إليهم إذْ جاء رسولُ عثمانَ فأتيتُه فقال: ما نصيحتُك. فقلتُ: إن الله سبحانه بعث محمداً ﷺ بالحق، وأنزل عليه الكتابَ، وكنتَ ممن استجابَ لله تعالى ولرسولِه ﷺ، فهاجرتَ الهجرتين، وصحِبْتَ رسولَ الله ﷺ ورأيتَ هدْيَه. وقد أكثرَ الناسُ في شأن الوليد.

قال: أدركتَ رسولَ الله ﷺ؟ قلتُ: لا، ولكن خلَص إليَّ مِن علمِه ما يخلُص إلى العذراء في سترها.

قال: أما بعدُ فإن اللَّهَ بعث الله محمداً ﷺ بالحق فكنتُ ممن استجاب لله ولرسوله ﷺ وآمنتُ بما بُعث به وهاجرت الهجرتين ـ كما قلتَ ـ وصحبتُ رسولَ الله ﷺ وبايعتُه، فواللَّهِ ما عصيتُه، ولا غشَشْتُه، حتى توفاه الله عز وجل، ثم أبو بكر مثلُه، ثم عمرُ مثلُه، ثم استخلفْتُ، أفليس لي من الحق مثلُ الذي لهم؟ قلتُ: بلى. قال: فما هذه الأحاديثُ التي تبلُغني عنكم؟ أما ما ذكرت من شأن الوليدِ فسآخُذ فيه بالحق إن شاء الله. ثم دعا علياً فأمره أن يجلِدَه. فجلدَه ثمانين.

وفي المسند[2] والسُنن[3] عن عَمْرو بن جاوانَ قال: قال الأحنفُ: انطلقنا

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٧/ ٥٣ رقم ٣٦٩٦) وطرفاه (٢٨٧٢) و (٣٩٢٧). ولم يخرجه مسلم.

(٢) عند أحمد (١/ ٧٠).

(٣) أي سنن النسائي في (٦/ ٤٦ ـ ٤٧).
قلت: وأخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (٢/ ٥٩٣ رقم ١٣٠٣).
وفي إسناده عمرو بن جاوان التميمي البصري، لم يوثقه غير ابنُ حبان، وباقي رجاله ثقات.
أقول ـ القائل الشيخ عبد القادر الأرنؤوط ـ: ولكن يشهد له معنى حديث أبي عبد الرحمن السلمي الآتي رقم (٦٤٧٥) **فهو به حسن**.
[«جامع الأصول» لابن الأثير (٨/ ٦٣٨)].

حُجَّاجاً فمَرَرْنا بالمدينة، فبينا نحن في منزلنا إذ جاءنا آتٍ فقال: الناسُ في المسجد. فانطلقتُ أنا وصاحبي، فإذا الناسُ مجتمعون على نفر في المسجد، قال فتخلَّلتُهم حتى قُمتُ عليهم، فإذا عليُّ بنُ أبي طالبٍ والزُبيرُ وطلحةُ وسعدُ بنُ أبي وقاص، قال: فلم يكن ذلك بأسرعَ من أن جاء عثمانُ يمشي. فقال: ههنا عليٌّ؟ قالوا: نعم، قال: ههنا الزبيرُ؟ قالوا: نعم، قال: ههنا طلحةُ؟ قالوا: نعم. قال: ههنا سعدُ بنُ أبي وقاص؟ قالوا: نعم. قال أنشُدُكم بالله الذي لا إله إلا هو، تعلمون أن رسولَ اللّهِ ﷺ قال: «**من يبتاعُ مِرْبَدَ بني فلان غَفر اللّهُ له**» فابتعته، فأتيتُ رسولَ اللّهِ ﷺ فقلتُ: إني قد ابتعتُه، فقال: «**اجعلْه في مسجدنا وأجرُه لك؟**» قالوا: نعم. قال: أُنشدُكم بالله الذي لا إله إلا هو، تعلمون أن رسولَ اللّهِ ﷺ قال: «**من يبتاعُ بِئرَ رُومةَ**». فابتعتُها ـ بكذا وكذا فأتيتُ رسول الله ﷺ فقلتُ إني قد ابتعتُها ـ يعني بئر رُومة ـ قال: «**اجعلْها في سقاية للمسلمين، ولك أجرُها؟**» قالوا: نعم. قال: أُنشدُكم بالله الذي لا إله إلا هو، تعلمون أن رسولَ الله ﷺ نظرَ في وجوه القومِ يوم جيشِ العُسرةِ فقال: «**من يجهِّز هؤلاء غفَر اللّهُ له**»، فجهزتُهم حتى ما يفقدون خِطاماً ولا عِقالاً؟ قالوا: اللهم نعم. فقال: اللهم اشهد، اللهم اشهد اللهم اشهد، ثم انصرف رضي الله عنه.

وروى أحمدُ[(١)] والتِرْمِذيُّ[(٢)] والنَّسائيُّ[(٣)] عن ثُمامةَ بنِ جزءٍ القُشيريِّ قال: شهِدتُ الدارَ يومَ أُصيب عثمانُ، فاطلع عليه اطّلاعَةً فقال: ادعُوا لي صاحبيكُم اللذين ألَّباكم عليّ، فدُعيا له، فقال: أنشدُكما اللّهَ، تعلمانِ أن رسولَ اللّهِ ﷺ لما قدِمَ المدينة ضاقَ المسجدُ بأهله فقال: «**من يشتري هذه البُقعةَ من خالص مالِه فيكونُ كالمسلمين وله خيرٌ منها في الجنة**». فاشتريتُها من خالص مالي فجعلتُها بين المسلمين، وأنتم تمنعوني أن أُصليَ فيها ركعتين.

---

(١) في «المسند» (١/ ٧٥).

(٢) في «السنن» (٥/ ٦٢٧ رقم ٣٧٠٣) وقال: **هذا حديث حسن**.

(٣) في «السنن» (٦/ ٢٣٥).

قلت: وأخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» (٢/ ٥٩٤ رقم ١٣٠٥) والدارقطني (٤/ ١٩٧ رقم ٤) والبيهقي (٦/ ١٦٨).

وهو حديث حسن. انظر: «الإرواء» رقم (١٥٩٤).

ثم قال: أنشدكم اللَّهَ أتعلمون أن رسولَ اللَّهِ ﷺ لما قدِمَ المدينةَ لم يكن فيها غيرُ بئرٍ يُستعذَبُ منه إلا بئرَ رُومةَ فقال رسولُ الله ﷺ: «**من يشتريها من خالص مالِه فيكون دلوُه فيها كدِلاء المسلمين وله خيرٌ منها في الجنة**»، فاشتريتُها من خالص مالي، وأنتم تمنعوني أن أشربَ منها، ثم قال: هل تعلمون أني صاحبُ جيشِ العُسرةِ؟ قالوا: اللهم نعم». وقال الترمذيُّ: حسنٌ.

وله[1] عن عبدِ الرحمنِ بنِ خَبّابٍ ﷺ قال: شهِدتُ النبيَّ ﷺ وهو يحثُّ على جيش العُسرةِ، فقام عثمانُ بنُ عفانَ فقال: يا رسولَ الله عليَّ مائةُ بعيرٍ بأحْلاسها وأقتابِها في سبيل الله، ثم حضّ على الجيش فقام عثمانُ فقال: يا رسولَ اللَّهِ عليَّ مائتا بعيرٍ بأحلاسها وأقتابِها في سبيل الله. ثم حض على الجيش، فقام عثمانُ فقال: عليَّ ثلاثمائةِ بعيرٍ بأحلاسها وأقتابِها في سبيل الله، فأنا رأيت رسولَ الله ﷺ ينزِل من على المنبر وهو يقول: «**ما على عثمانَ ما عمِل بعد هذا، ما على عثمانَ ما عملَ بعد هذا**».

وله[2] عن عبدِ الرحمنِ بنِ سَمُرةَ قال: جاء عثمانُ إلى رسول الله ﷺ بألف دينارٍ في كُمِّه حين جهّز جيشَ العُسرةِ فنثرها في حِجْرِه، فقال عبدُ الرحمن: فرأيتُ النبيَّ ﷺ يُقلّبها في حِجْره ويقول: «**ما ضر عثمانَ ما عمِل بعد اليوم**» (مرتين). حسَّنهُ الترمذي[3].

وروى الإمامُ أحمدُ[4] وأصحابُ السنن[5] عن أبي أُمامةَ بنِ سهلِ بنِ حُنيفٍ

---

(١) أي لأحمد في «المسند» (٤/ ٧٥).
قلت: وأخرجه الترمذي (٥/ ٦٢٥ رقم ٣٧٠٠) وقال: **هذا حديث غريب** من هذا الوجه لا نعرفه إلا من حديث السّكن بن المغيرة.
وهو حديث ضعيف.

(٢) لأحمد في «المسند» (٥/ ٦٣) **بإسناد صحيح.**
قلت: وأخرجه الترمذي في «السنن» (٥/ ٦٢٦ رقم ٣٧٠١) وقال: **هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه.**
والحاكم في «المستدرك» (٣/ ١٠٢) وصححه. وسكت عنه الذهبي.
وهو حديث حسن.

(٣) في «السنن» (٥/ ٦٢٦).

(٤) في «المسند» (١/ ٦١، ٦٣، ٧٠) **بسند صحيح.**

(٥) أخرج أبو داود في «السنن» (٤/ ٦٤٠ رقم ٤٥٠٢).

في قصة توعُّدهم إياه بالقتل، قال: ولِمَ يقتُلونني؟ فإني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**لا يحل دمُ امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاثٍ: رجلٌ كفر بعد إسلامِه، أو زنى بعد إحصانِه، أو قتل نفساً بغير نفس**».

فواللّهِ ما زَنَيتُ في جاهلية ولا إسلام قطُّ، ولا تمنّيتُ بدلاً بديني منذ هداني اللّهُ له، ولا قتلتُ نفساً. فيمَ يقتلونني.

وروى الإمامُ أحمدُ[1] وغيرُه[2] عن النعمان بنِ بشيرٍ عن عائشةَ ﵂ قالت: «أرسل رسولُ الله ﷺ إلى عثمانَ بنِ عفانَ فأقبل عليه رسولُ الله ﷺ، فلما رأينا إقبالَ رسولَ الله ﷺ على عثمانَ أقبلتْ إحدانا على الأخرى، فكان من آخر كلمةٍ أن ضرَب على مَنكِبه وقال: «**يا عثمانُ، إن اللّهَ تعالى عسى أن يُلبِسَك قميصاً، فإن أرادك المنافقون على خلعه فلا تخلَعْه حتى تلقاني**» (ثلاثاً).

وروى أحمدُ[3] والترمذيُّ[4] وقال: حسنٌ غريبٌ عن ابن عمرَ ﵄ قال: ذكر رسولُ الله ﷺ فتنةً فقال: «**يُقتلُ فيها هذا المُقنَّعُ يومئذ مظلوماً**»، فنظرنا فإذا هو عثمانُ بنُ عفان.

وروى أحمدُ[5] بإسناد جيدٍ عن أبي هريرةَ ﵁ قال: إني سمعتُ

= والترمذي (٤/ ٤٦٠ رقم ٢١٥٨) والنسائي (٧/ ٩٢) وابن ماجه (٢/ ٨٤٧ رقم ٤٥٣٣).
وقال الترمذي: **هذا حديث حسن صحيح**.
قلت: **وهو حديث صحيح**.

(١) في «المسند» (٦/ ٧٥، ٨٦، ١١٤، ١١٧، ١٤٩.

(٢) كالترمذي (٥/ ٦٢٨ رقم ٣٧٠٥) وقال: **هذا حديث حسن غريب**.
وابن ماجه في «السنن» (١/ ٤١ رقم ١١٢) وابن أبي عاصم في «السنة» (٢/ ٥٥٩ رقم ١١٧٢) **وهو حديث صحيح**.

(٣) في «المسند» (٢/ ١١٥).

(٤) في «السنن» (٥/ ٦٣٠ رقم ٣٧٠٨) وقال: **هذا حديثٌ حسن غريبٌ** من هذا الوجه من حديث ابن عمر.
وهو حديث حسن الإسناد.

(٥) في «المسند» (٢/ ٣٤٥).
قلت: وأخرجه الحاكم (٣/ ٩٩) و (٤/ ٤٣٣) وقال: **صحيح ووافقه الذهبي**.
وقال ابن كثير: تفرد به أحمد **وإسناده جيد حسن**.

رسولَ الله ﷺ يقول: «**إنكم تلقون بعدي فتنةً واختلافاً ـ أو قال اختلافاً وفتنةً ـ** فقال قائلٌ من الناس: فمن لنا يا رسولَ اللَّهِ؟ قال: **عليكم بالأمين وأصحابه، وهو يشير إلى عثمانَ بذلك**».

وله[1] عن مُرّةَ البَهْزيِّ قال: بينما نحن مع رسولِ الله ﷺ في طريق من طرقِ المدينةِ فقال: «**كيف تصنعون في فتنة تثور في أقطار الأرضِ كأنها صياصيَ البقر**». قالوا: نصنعُ ماذا يا رسولَ الله؟ قال: «**عليكم هذا وأصحابَه، أو اتبعوا هذا وأصحابَه**». قال: فأسرعتُ حتى عييتُ، فأدركتُ الرجلَ فقلت: هذا يا رسَولَ الله؟ قال: «**هذا**»، فإذا هو عثمانُ بنُ عفانَ، فقال هذا وأصحابُه، يذكره.

وروى التِرمذيُّ[2] في جامعه عنه ﷺ قال: لولا حديثٌ سمعتُه من رسولِ اللَّهِ ﷺ ما تكلمتُ، وذكر الفتنَ فقَرّبها، فمرّ رجلٌ متقنِّعٌ في ثوب فقال: «**هذا يومئذٍ على الهدى**»، فقمتُ إليه فإذا هو عثمانُ بنُ عفانَ. فأقبلتُ عليه بوجهه فقلت: هذا؟ قال: «**نعم**» . ثم قال الترمذي[3]: هذا حديثٌ حسنٌ صحيحٌ. وفي البابِ[4] عن ابنِ عمرَ وعبدِ اللَّهِ بن حوالةَ وكَعبِ بن عجُرة.

وروى أحمدُ[5] وابنُ ماجه[6] وغيرُهما عن كعب بن عُجرةَ ﷺ قال: «ذكر رسولُ اللَّهِ ﷺ فتنةً فقرّبها وعظّمها، قال: ثم مرَّ رجلٌ مقنعٌ في مِلْحَفة فقال: «**هذا يومئذٍ على الحق**». قال: فانطلقتُ مسرعاً ـ أو مُحْضِراً ـ وأخذتُ بضَبْعَيه فقلت: هذا يا رسولَ الله؟ قال: **هذا**.

---

(١) في «المسند» (١٥/ ١٩٥ ـ ١٩٦ رقم ٢٠٢٥١ ـ الزين) **بإسناد ضعيف** لجهالة الراويين عن مرة.
* وأخرجه أحمد (١٥/ ١٩٠ رقم ٢٠٢٣٠ ـ الزين) **بإسناد صحيح**.
ولفظه عن مرة البهزي قال: كنت عند رسول الله ﷺ ـ وقال بهز في حديثه: قال رسولُ الله ﷺ ـ: «**تهيج فتنة كالصياصي فهذا ومن معه على الحق**». قال: فذهبتُ فأخذتُ بمجامع ثوبه فإذا هو عثمانُ بن عفان ﷺ.

(٢) في «السنن» (٥/ ٦٢٨ رقم ٣٧٠٤) من طرق.
وقال: **هذا حديث حسن صحيح**.

(٣) في «السنن» (٥/ ٦٢٨).

(٤) قاله الترمذي في «السنن» (٥/ ٦٢٨).

(٥) في «المسند» (٤/ ٢٤٢ و ٢٤٣).

(٦) في «السنن» (١/ ٤١ رقم ١١١).

ورَوى أبو داود الطيالسيُّ[1] بإسناد رجاله ثقاتٌ عن عبد الله بنِ حوالةَ رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: **«تهجُمون على رجلٍ مُعتجرٍ ببُردة من أهل الجنة يبايع الناسَ»**، قال: فهجَمْنا على عثمان بنِ عفانَ معتجِراً يبايع الناسَ.

وقد تقدم من الأحاديث التي تشير إلى خلافته وأشياءَ من فضائِله مع ذكر صاحبيه رضي الله عنهما، وفي فضائله منفرداً ومع غيره من السابقين أحاديثُ كثيرةٌ، وفيما أشرنا إليه كفايةٌ.

[استشهاد عثمان]

وكان الاعتداءُ على حياته رضي الله عنه يومَ الجمعةِ لثماني عشْرةَ خلتْ من ذي الحجة سنةَ خمسٍ وثلاثينَ على الصحيح المشهور، وكانت خلافتُه ثنتي عشرةَ سنةً[2] إلا اثني عشر يوماً، لأنه بويع له في مُستهلّ المحرّمِ سنةَ أربعٍ وعشرين. وأما عمرُه رضي الله عنه فإنه قد جاوزَ ثِنتينِ[3] وثمانين سنةً. والله أعلم.

[خلافة علي بن أبي طالب وفضائله]

(والرابعُ ابنُ عمِّ خيرِ الرُسْلِ   أعني الإمامَ الحقَّ ذا القدْرِ العلي)

= وقال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (١/ ٦٦ ـ ٦٧ رقم ٤٥): **هذا إسناد منقطع**، قال أبو حاتم: محمد بن سيرين لم يسمع من كعب بن عجرة، ورجال الإسناد ثقات.
رواه الإمامُ أحمدُ في مسنده من حديث كعب بن عجرة ـ وقد تقدم ـ ورواه أبو بكر ابن أبي شيبة في مسنده عن إسماعيل بن علية عن هشام به.
ورواه أحمد بن منيع في مسنده ثنا يزيد بن هارون ثنا هشام بن حسان فذكره بزيادة كما أوردته في زوائد المسانيد العشرة.
ورواه أبو يعلى الموصلي في مسنده ثنا هدبة ثنا همام ثنا قتادة عن محمد بن سيرين به.
وهو حديث صحيح.

(١) في مسنده رقم (١٢٥٠).
قلت: وأخرجه أحمد في «فضائل الصحابة» (١/ ٥٠٥ رقم ٨٢٥) **بسند صحيح.**

(٢) أخرجه أحمد في «فضائل الصحابة» رقم (٧٧٨) **بسند منقطع.**
وأورده الهيثمي في «المجمع» (٧/ ٢٣٢) وقال: رواه أحمد **وإسناده منقطع.**

(٣) أخرجه أحمد في «فضائل الصحابة» رقم (٧٧٩) **بسند منقطع.**
وأورده الهيثمي في «المجمع» (٩/ ٩٩) وقال: رواه أحمد والطبراني ورجاله إلى قتادة ثقات.

(مُـبـيـدَ كـلِّ خـارجـيٍّ مـارقِ　　وكـلِّ خَـبٍّ رافـضـيٍّ فـاسـقِ)

(مَـن كـان لـلـرسـول فـي مـكـان　　هـارونَ مـن مـوسـى بـلا نُـكـرانِ)

(لا فـي نـبـوَّةٍ فـقـد قـدّمـتُ مـا　　يـكـفـي لـمـن مِـن سوء ظنٍّ سلِما)

(والرابعُ) في الخلافةِ والفضلِ **(ابنَ عمٍّ)** محمدٍ ﷺ **(خيرِ الرسل)**أكرمِهم على الله عز وجل **(أعني)** بذلك **(الإمامَ الحقَّ)** بالإجماع بلا مُدافعةٍ ولا ممانعةٍ **(ذا)** صاحبَ **(القدرِ العليِّ)** الرفيع، وهو أميرُ المؤمنين أبو السِّبطينِ عليُّ بنُ أبي طالبِ بنِ عبدِ المطلبِ بن هاشمٍ رضي الله عنه وأرضاه.

كان أبو طالبٍ عمُّ النبيِّ ﷺ أخاً شقيقاً لأبيه عبدِ اللَّهِ، وأمُّه فاطمةُ بنتُ عمْرِو، كفلَ أبو طالب رسولَ اللَّهِ ﷺ بعد موتِ جدِّه عبدِ المطلبِ وهو ابنُ ثمانِ سنينَ، ولما بُعث آواه اللَّهُ تعالى به وحماه، وهو مع ذلك على دينِ قومِه، ولله في ذلك حكمةٌ، وقد حرَصَ النبيُّ ﷺ على هداية عمِّه كلَّ الحِرص، ولم يكن ذلك حتى خرجتْ روحُه وهو يقول: على ملةِ[1] عبدِ المطّلِبِ، وأنزل اللَّهُ تعالى في ذلك تعزيةً لنبيه: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [القصص: ٥٦].

وقال النبيُّ ﷺ: «**لأستغفِرَنّ لك ما لم أُنهَ عنك**»[1]. فنهاه الله تعالى عن الاستغفار له بقوله عز وجل: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِىِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ﴾ [التوبة: ١١٣]. الآيات.

وفي صحيح مسلمٍ[2] عن العباس بنِ عبد المطلبِ أنه قال: «يا رسولَ الله هل نفعتَ أبا طالب بشيءٍ، فإنه كان يحوطُك ويغضبُ لك، قال: «**نعم، هو في ضَحضاح من نار، ولولا أنا لكان في الدَّرْك الأسفلِ من النار**». وفي لفظ[3]: «**وجدتُه في غمَرَاتٍ من النار فأخرجُته إلى ضَحضاحٍ**».

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٧/ ١٩٣ رقم ٣٨٨٤) وطرفه رقم (٦٥٦٤). ومسلم في صحيحه (١/ ٥٤ رقم ٣٩/ ٢٤).

(٢) بل في الصحيحين.
أخرجه البخاري في صحيحه (٧/ ١٩٣ رقم٣٨٨٣).
ومسلم في صحيحه (١/ ١٩٤ ـ ١٩٥ رقم ٣٥٧/ ٢٠٩).

(٣) عند مسلم في صحيحه (١/ ١٩٥ رقم ٣٥٨/ ٢٠٩).

وفيه[1] عن أبي سعيد الخُدريِّ أن رسولَ الله ﷺ ذُكرَ عنده عمُّه أبو طالبٍ فقال: «**لعله تنفعُه شفاعتي يوم القيامة فيُجعلَ في ضحضاح من نار يبلُغ كعبيه يغْلي منه دِماغُه**».

وفيه[2] عن ابن عباسٍ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «**أهونُ أهلِ النارِ عذاباً أبو طالب، وهو منتعلٌ بنعلين يغلي منهما دِماغُه**». وكفَل النبيُّ ﷺ علياً ﵁ وهو صغيرٌ، فلما بُعث آمن به وهو ابنُ ثمانِ سنينَ[3]، وهو أولُ من آمن من الصبيان، كما أن أبا بكر ﵁ أولُ مَن آمن به من الرجال، وخديجةُ ﵂ أولُ من آمَنَ به من النساء، وورقةُ بنِ نوفل ﵁ أولُ مَن آمن به من الشيوخ، وزيدُ بنُ حارثةَ ﵁ أول من آمن به من الموالي، وبلالٌ ﵁ أولُ من آمن به من الأرِقاء، ﷺ ورضي الله عنهم أجمعين.

وكان عليٌّ ﵁ صاحبَ دعوةِ قريش حين نزلتْ على الرسول ﷺ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]. فأمر علياً أن يدعوهُم له فيجتمعون للنَّذارة[4].

وهو الذي فاداه بنفسه فنام على فراشه ليلةَ مكْرِ المشركين كما قدمنا في حديثِ الهجرةِ[5]. وهو الذي أدَّى الأماناتِ عنه بعدها. وهو الذي برز مع حمزةَ وعُبيدةَ لُخصمائهم يوم بدْر وكان يقول: أنا أولُ من يجثو للخصومةِ بين يدي[6] الرحمنِ يوم القيامة. وشهد مع رسولِ اللَّهِ ﷺ المشاهِدَ[7] كلَّها إلا تبوكَ[8] على ما

---

(١) أي في صحيح مسلم (١/ ١٩٥ رقم ٣٦٠/ ٢١٠).
قلت: وأخرجه البخاري في صحيحه (٧/ ١٩٣ رقم ٣٨٨٥).
(٢) أي في صحيح مسلم (١/ ١٩٦ رقم ٣٦٢/ ٢١٢).
(٣) انظر: «السيرة» لابن هشام (١/ ٣١٢ - ٣١٩). «والاستيعاب» (٣/ ١٩٧ رقم ١٥٧٥).
(٤) لم أعثر على مصدره.
(٥) تقدم تخريجه.
(٦) أخرجه البخاري في صحيحه (٨/ ٤٤٣ رقم ٤٧٤٤).
(٧) انظر: «الروضة الندية في شرح التحفة العلوية» (ص٤٠) و «الاستيعاب» (٣/ ٢٠١ - ٢٠٢).
(٨) فإنه خلّفه رسولُ الله ﷺ على المدينة وعلى عياله بعده في غزوةِ تبوك، وقال له: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي».
أخرجه مسلم في صحيحه (٤/ ١٨٧٠ رقم ٣٠/ ٢٠٤٤) والترمذي في «السنن» رقم=

يأتي. وهو صاحبُ عَمرِو بنِ وُدّ وخيلِهِ[1] يوم الخندق.

وفتح الله على يديه يوم خيبرَ[2] بعد قتلِه فارسَهم مَرْحَباً. وكان مع حُماة النبيِّ[3] ﷺ يوم أُحد. وكان صاحبَ النداء بسورةِ براءةَ[4] تبليغاً عن الرسولِ ﷺ في الموسِم، وشريكَه في هديه[5] في حجَّةِ الوداعِ، وخليفتَه في أهله في غزوةِ تَبوكَ[6] وصاحبَ تجهيزِه حين توفيَ[7] مع جماعة أهلِ البيتِ ﷺ.

وقد ثبت له في الأحاديث الصحاح والحسانِ من الفضائلِ الجمّةِ ما فيه كفايةٌ وغُنيةٌ عن تلفيق الرافضةِ[8] وخَرْطِهم وكذِبهم عليه وعلى رسولِ اللّهِ ﷺ وقولِهم عليه ما لم يقُلْ قبَّحهم الله.

[موقف علي من الخوارج والرافضة وموقفهم منه]

(مبيدُ) أي مُدمِّرُ (كلِّ خارجيٍّ) نسبة إلى الخروج من الطاعة، ولكن صار هذا

= (٣٧٣٠، ٣٧٣١) وابن ماجه رقم (١٢١) وأحمد في «المسند» (١/ ١٧٩) و (٣/ ٣٢) (٦/ ٣٦٩، ٤٣٨) والطبراني في «الكبير» (١/ ١٠٨، ١١٠) وابن أبي شيبة (١٢/ ٦١، ٦٢).

(١) قال ابن هشام في «السيرة» (٣/ ٣٥١): حدثني الثقة أنه حدث عن ابن شهاب الزهري أنه قال: قتل عليُّ بن أبي طالب يومئذ عمرو بن ودّ وابنه حِسْل بن عمرو.

(٢) لما أخرجه البخاري (٧/ ٧٠ رقم ٣٧٠١) ومسلم (٤/ ١٨٧٢ رقم ٣٤/ ٢٤٠٦) من حديث سهل بن سعد.

(٣) ذكره ابن إسحاق في «السيرة» (٣/ ١٢١).

(٤) للحديث الذي أخرجه النسائي في «السنن» (٥/ ٢٤٧).

والدارمي (٢/ ٦٦) والبيهقي (٥/ ١١١) من حديث جابر.

ورجاله رجال مسلم إلا موسى بن طارق فهو ثقة، وفيه عنعنة أبي الزبير وهو مدلس ولكن مسلم احتج بعنعنته عن جابر في أحاديث كثيرة.

* وأخرجه الترمذي في «السنن» (٥/ ٢٧٥ رقم ٣٠٩١) وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه من حديث ابن عباس.

وابن أبي حاتم في تفسيره (٦/ ١٧٤٥ رقم ٩٢١٥) والطبرانى في «المعجم الكبير» (١١/ ٤٠٠ رقم ١٢١٢٨).

والنسائي في «تهذيب خصائص الإمام علي» رقم (٧٠، ٧١، ٧٢، ٧٣) من طرق.

(٥) انظر: «سيرة ابن هشام» (٤/ ٣٣٢).

(٦) تقدم آنفاً.

(٧) انظر: «سيرة ابن هشام»(٤/ ٤١٥).

(٨) سيأتي التعريف بهم قريباً.

الاسمُ علَماً على الحَرورية الذين كفّروا أهلَ القبلةِ والمعاصي، وحكَموا بتخليدهم في النار بذلك، واستحلوا دماءَهم وأموالَهم، حتى الصحابةُ من السابقين الأولين من أهلِ بدرٍ وغيرِهم، حتى عليٌّ بن أبي طالب وعمارُ بنُ ياسرٍ وخبابٌ وأقرانهم رضي الله عنهم.

ثم صار هذا الاسمُ عامّاً لكل من اتبع مذهبَهم الفاسد وسلك طريقتَهم الخائبةَ، وكلُّ ذنبٍ يكفّرون به المؤمنين فهو تكفيرٌ لأنفسهم من وجوه عديدةٍ وهم لا يشعرون.

فمنها أن تكفيرَ المؤمن إن لم يكن كذلك كفَر فاعلُه كما في الحديث: «**أيما امرئ قال لأخيه يا كافرُ فقد باء بها أحدُهما إن كان كما قال، وإلا رجعت عليه**»[1].

ومنها أن من أكبر الكبائرِ التي يُكفرون بها المؤمنين قتلَ النفسِ التي حرم الله إلا بالحق، وهم أسرعُ الناس في ذلك يقتلُون أهلَ الإيمان ويدَعون أهلَ الأوثان.

ومنها أن المؤمنَ وإن عمل المعاصيَ فهو لا يستحلّها وإنما يقع فيها لغلبة نفسِه إياه وتسويلِ شيطانِه له، وهو مُقِرٌّ بتحريمها وبما يترتب عليه من الحدودِ الشرعيةِ فيما ارتكبَه، وهم يقتلُون النفسَ التي حرم اللّهُ قتلَها إلا بالحق، ويأخذون الأموالَ التي حرم اللّهُ أخذها إلا بالحق، ويفعلون الأفاعيلَ القبيحةَ مستحلّينَ لها. والذي يعمل الكبيرةَ مستحلاً لها أَولى بالكفر ممن يعملها مُقِراً بتحريمها، بل لا مُخالفَ في ذلك إذ هو تكذيبٌ بالكتاب وبما أرسل اللّهُ تعالى به رسلَه عليهم السلام، وإنما توقف الصحابةُ عن تكفيرِ أهلِ النّهروان لأنهم كانوا يتأوّلون فحكموا أنهم بُغاةٌ.

(مارقٍ) اسمُ فاعل من المُروق وهو الخروجُ من جانب غيرِ مقصودِ الخروجُ منه، وسُمّيَ الخوارجُ «مارقةً» لقول النبيِّ ﷺ فيهم: «**يمرقون من الدين كما يمرُق السهمُ من الرَّميّة**»[2]، وقوله: «**تمرُق مارقةٌ**»[2]، الحديث.

---

(١) أخرجه البخاري (١٠/ ٥١٤ رقم ٦١٠٤).
ومسلم في صحيحه (١/ ٧٩ رقم ١١١/ ٦٠).

(٢) سيأتي تخريجهما قريباً.

ففي الصحيح[1] عن جابر بنِ عبدِ اللَّهِ ﵄ قال: أتى رجلٌ رسولَ الله ﷺ بالجُعْرانَة مُنْصَرفه من حُنينٍ، وفي ثوب بلالٍ فضةٌ، ورسولُ اللَّهِ ﷺ يقبِضُ منها ويُعطي الناسَ، فقال: يا محمدُ اعدِلْ، قال: **«ويلكَ ومن يعدِلُ إذا لم أكن أعدِلُ؟ لقد خِبتُ وخسِرتُ إن لم أكن أعدِلُ»**.

فقال عمرُ بنُ الخطابِ ﵁: دعني يا رسولَ اللَّهِ فأقتل هذا المنافقَ، فقال: **«معاذَ اللَّهِ أن يتحدثَ الناسُ أني أقتلُ أصحابي، إن هذا وأصحابَه يقرأون القرآنَ لا يجاوز حناجرَهم، يمرُقونَ منه كما يمرق السهم من الرمِيّة»**.

وفيه[2] عن أبي سعيدٍ في قصة الذهبية: فجاء رجلٌ كثُّ اللحيةِ مُشرِفُ الوجنتين غائرُ العينين ناتئُ الجَبينِ محلوقُ الرأسِ فقال: اتقِ اللَّهِ يا محمد، قال: فقال رسولُ الله ﷺ: **«فمن يُطع اللَّهَ إن عصيتُه؟ أيأمَنُني على أهلِ الأرضِ ولا تأمَنوني؟»**، قال: ثم أدبرَ الرجلُ فاستأذنَ رجلٌ من القوم في قتله ـ يرَون أنه خالدُ بنُ الوليدِ ـ فقال رسولُ الله ﷺ: **«إن مِن ضِئْضِىءِ هذا قوماً يقرأون القرآنَ لا يجاوز حناجرَهم، يقتُلون أهلَ الإسلام ويدَعون أهلَ الأوثان، يمرُقون من الإسلام كما يمرُق السهمُ من الرميّة، لئن أدركتُهم لأقتلَنّهم قتلَ عادٍ»**، وفي لفظ: **«ثمود»**[3].

وفي لفظٍ[4]: فقال عمرُ بنُ الخطابِ ﵁: يا رسولَ اللَّهِ ائذَنْ لي فيه أضربُ عُنقَه، قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: **«دعه فإن له أصحاباً يحقِر أحدُكم صلاتَه مع صلاتِهم وصيامَهم مع صيامِهم، يقرأون القرآن لا يجاوز تَراقيَهم، يمرُقون من الإسلام كما يمرُق السهمُ من الرمية، ينظُر إلى نصله فلا يوجد منه شيءٌ، ثم ينظر إلى نَضيِّه فلا يوجد فيه شيءٌ وهو القِدْحُ، ثم ينظُر إلى قُذَذه فلا يوجد فيه شيء، سبَقَ الفرثَ والدمَ، آيتُهم رجلٌ أسودُ إحدى عضُديهِ مثلُ ثدْي المرأةِ مثلُ البَضْعةِ تَدَرْدَر، يخرجون على حين فرقة من الناس»**.

قال أبو سعيد[4]: فأشهد أني سمعتُ هذا من رسولِ الله ﷺ، وأشهدُ أن

---

(١) أي في صحيح مسلم (٢/ ٧٤٠ رقم ١٤٢/ ١٠٦٣).
وأخرج البخاري (٦/ ٢٣٨ رقم ٣١٣٨) الجزء الأول منه.

(٢) أي في صحيح مسلم (٢/ ٧٤١ رقم ١٤٣/ ١٠٦٤).

(٣) لمسلم في صحيحه (٢/ ٧٤٢ رقم ١٤٤/ ١٠٦٤).

(٤) عند مسلم في صحيحه (٢/ ٧٤٤ رقم ١٤٨/ ١٠٦٤).

عليَّ بنَ أبي طالب رضي الله عنه قاتلهم وأنا معه فأمر بذلك الرجلِ فالتُمس فوُجد، فأُتيَ به حتى نظرتُ إليه نظرة رسولِ الله ﷺ الذي نعَتَ.

وفيه[1] عنه رضي الله عنه أن النبيَّ ﷺ ذكر قوماً يكونون في أمته يخرُجون في فِرقة من الناس سيماهم التحالُقُ قال: **«هم شرُّ الخلقِ، أو من أشرِّ الخلقِ، يقتلُهم أدنى الطائفتين إلى الحقِّ»**.

قال: فضربَ النبيُّ ﷺ لهم مثلاً ـ أو قال قولاً ـ **«الرجل يرمي الرميةَ، أو** قال: **«الفوقَ، فينظر في النصل فلا يرى بصيرةً، وينظر في النَّضِيِّ فلا يرى بصيرة، وينظر في الفوق فلا يرى بصيرة»**، قال: قال أبو سعيد: وأنتم قتلتمُوهم يا أهلَ العراق.

وفيه[2] عنه رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«تمرُق مارقةٌ عند فرقةٍ من المسلمين يقتلُها أَولى الطائفتين بالحق** ـ وفي رواية[3] ـ **«يكون في أمتي فرقتان فتخرُج من بينهما مارقةٌ يلي قتلَهم أولاهم بالحق»**.

وفي لفظ قال: قال ﷺ: **«تمرُق مارقةٌ في فرقة من الناس، فيلي قتلَهم أَولى الطائفتين بالحق»**. وفي رواية[4]: **«يخرجون على فِرقة مختلفة، يقتلُهم أقربُ الطائفتين من الحق»**.

وفيه[5] عن سويد بنِ غَفلةَ قال: قال عليٌّ رضي الله عنه: «إذا حدثتكم عن رسولِ اللَّهِ ﷺ فلأن أخِرَّ من السماء أحبُّ إليَّ من أن أقولَ عليه ما لم يقُل، وإذا حدثتكم فيما بيني وبينكم فإن الحربَ خُدعة.

سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: **«سيخُرج في آخر الزمانِ قومٌ أحداثُ الأسنان سفُهاءُ الأحلام، يقولون من خير قولِ البريةِ، يقرأون القرآنَ لا يجاوزُ حناجرَهم،**

---

(1) عند مسلم في صحيحه (٢/ ٧٤٥ رقم ١٤٩/ ١٠٦٤).
(2) في صحيح مسلم (٢/ ٧٤٥ رقم ١٥٠/ ١٠٦٤).
(3) عند مسلم في صحيحه (٢/ ٧٤٦ رقم ١٥١/ ١٠٦٤).
(4) عند مسلم في صحيحه (٢/ ٧٤٦ رقم ١٥٣/ ١٠٦٤).
(5) أي صحيح مسلم (٢/ ٧٤٦ ـ ٧٤٧ رقم ١٥٤/ ١٠٦٦).
قلت: وأخرجه البخاري في صحيحه (٩/ ٩٩ رقم ٥٠٥٧).

يمرُقون من الدين كما يمرُق السهمُ من الرمية، فإذا لقيتمُوهم فاقتلُوهم، فإن في قتلِهم أجراً لمن قتلَهم عند الله يوم القيامة».

وفيه[1] عن عُبيدةَ عنه رضي الله عنه قال: «ذكرَ الخوارجَ فقال: **فيهم رجلٌ مُخْدَجُ اليد ـ أو مُودَنُ اليد، أو مودونُ اليد ـ لولا أن تُطروا لحدثتُكم بما وعد اللّهُ تعالى الذين يقتلُونَهم على لسان محمد ﷺ**. قال: قلت: أنتَ سمعتَ من محمد ﷺ؟ قال: إي وربِّ الكعبةِ، إي وربِّ الكعبةِ، إي وربِّ الكعبةِ».

وفيه[2] عن زيد بنِ وهْب الجُهنيّ أنه كان في الجيش الذين كانوا مع علي رضي الله عنه الذين ساروا إلى الخوارج، فقال علي رضي الله عنه: أيُّها الناسُ إني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**يخرُج قومٌ من أمتي يقرأونَ القرآنَ ليس قراءَتُكم إلى قراءتهم بشيء، ولا صلاتُكم إلى صلاتِهم بشيء، ولا صيامُكم إلى صيامِهم بشيء، يقرأون القرآنَ يحسَبونه أنه لهم وهو عليهم، لا تجاوز صلاتُهم تراقِيَهم، يمرُقون من الإسلام كما يمرُق السهمُ من الرميّة، لو يعلم الجيشُ الذين يُصيبونَهم ما قُضيَ لهم على لسان نبيّهم ﷺ لاتكلوا عن العمل. وآيةُ ذلك أن فيهم رجلًا له عضُدٌ وليس له ذِراعٌ، على رأس عضُدِه مثلُ حَلمةِ الثدْي، عليه شُعيراتٌ بيضٌ**».

فتذهبون إلى مُعاويةَ وأهلِ الشامِ وتتركون هؤلاءِ يخلفُونَكم في ذراريكم وأموالِكم؟ واللّهِ إني لأرجو أن يكونوا هؤلاء القومَ، فإنهم قد سفكوا الدمَ الحرامَ، وأغاروا في سَرْح الناس، فسيروا على اسم الله».

قال سلمةُ بنُ كهيل: فنزّلني زيدُ بنُ وهْب منزلاً حتى مررنا على قنطرة، فلما التقينا وعلى الخوارج يومئذ عبدُ الله بنُ وهْبٍ الراسبيُّ فقال لهم: ألقُوا الرماحَ وسُلُّوا سيوفَكم من جُفونها فإني أخاف أن يناشدوكم كما ناشدوكم يومَ حَروراءِ، فرجعوا فوحَّشوا[3] برماحهم وسلوا السيوفَ وشجرهم الناسُ برماحهم، قال: وقُتِّلَ بعضُهم على بعض، وما أُصيبَ من الناس يومئذ إلا رجلان.

---

(١) أي في صحيح مسلم (٢/٧٤٧ رقم ١٥٥/١٠٦٦).

(٢) أي في صحيح مسلم (٢/٧٤٨ ـ ٧٤٩ رقم ١٥٦/١٠٦٦).

(٣) فوحشوا برماحهم، أي رموا بها عن بعد منهم، ودخلوا فيهم بالسيوف حتى لا يجدوا فرصة.

فقال علي رضي الله عنه: التمسوا فيهم المُخْدَج، فالتمسوه فلم يجدوه. فقام علي رضي الله عنه بنفسه حتى أتى ناساً قد قُتل بعضُهم على بعض قال: أخِّروهم، فوجدوه مما يلي الأرضَ فكبّر ثم قال: صدَق اللَّهُ وبلّغ رسولُه.

قال: فقام إليه عُبيدةُ السّلمانيُّ فقال: يا أميرَ المؤمنين، آللَّهَ الذي لا إله إلا هو لسمعتَ هذا الحديثَ من رسول الله ﷺ؟ فقال: إي واللَّهِ الذي لا إله إلا هو. حتى استحلفه ثلاثاً وهو يحلِف له».

وفيه[1] عن عبيد اللَّهِ بنِ أبي رافعٍ مولى رسولِ الله ﷺ أن الحرورية[2] لما خرجت وهو مع عليِّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه قالوا: لا حُكْمَ إلا لله، قال علي: كلمةُ حقٍ أريدَ بها باطلٌ.

إن رسولَ الله ﷺ وصف لنا، وإني لأعرِف صفتَهم في هؤلاء، يقولون الحقَّ بألسنتِهم ولا يجوز هذا منهم ـ وأشار إلى حلقه ـ من أبغضِ خلق اللَّهِ إليه، منهم أسودُ، إحدى يديه طِبْيُ شاة أو حَلْمةُ ثدي.

فلما قتلَهم عليُّ بنُ أبي طالب رضي الله عنه قال: انظُروا، فنظروا فلم يجدوا شيئاً، فقال: ارجِعوا فوالله ما كذَبْتُ ولا كُذِّبْتُ ـ مرتين أو ثلاثاً ـ ثم وجدوه في خِربة فأتوا به حتى وضعوه بين يديه. قال عبدُ اللَّهِ: وأنا حاضرٌ ذلك من أمرهم وقولِ عليٍّ رضي الله عنه فيهم.

وفيه[3] عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: «**إن بعدي من أمتي قوماً يقرأون القرآنَ لا يجاوز حلاقيمَهم. يخرجون من الدين كما يخرُج السهمُ من الرميّة ثم لا يعودون فيه، هم شرُّ الخلقِ والخليقة**». ومثلُه[4] عن رافعِ بنِ عُمرَ الغِفاري رضي الله عنه.

وفي سنن أبي داودَ[5] عن أبي سعيدِ الخدريِّ وأنسِ بنِ مالكٍ عن

---

(١) أي صحيح مسلم (٢/ ٧٤٩ رقم ١٥٧/ ١٠٦٦).

(٢) اسم من أسماء الخوارج تقدم التعريف بها.

(٣) أي في صحيح مسلم (٢/ ٧٥٠ رقم ١٥٨/ ١٠٦٧).

(٤) أي في صحيح مسلم (٢/ ٧٥٠ رقم ١٥٨/ ١٠٦٧).

(٥) في «السنن» (٥/ ١٢٣ رقم ٤٧٦٥) وهو حديث صحيح.
قلت: وأخرجه ابن أبي عاصم في «السنة» رقم (٩٤٠).

رسولِ الله ﷺ قال: «**سيكون في أمتي اختلافٌ وفُرقةٌ، قومٌ يحبونَ القتلَ ويُسيئون الفعل، يقرأونَ القرآنَ لا يجاوز تراقيَهم، يمرقون من الدين مروقَ السهمِ من الرمية، لا يرجِعونَ حتى يرتدَّ على فُوقِه، هم شرُّ الخلقِ والخليقةِ، طوبى لمن قتلَهم وقتلوه، يدْعون إلى كتابِ اللَّهِ وليسوا منه في شيء، من قاتلهم كان أولى بالله منهم**، قالوا: يا رسولَ اللَّهِ ما سيماهُم؟ **قال: التحليق**».

وله[1] عن أنس ﷺ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال: «**سيماهُم التحليقُ والتسْبيدُ، فإذا رأيتموهم فأَنِيمُوهم**».

قال أبو داودَ[2]: التسبيدُ استئصالُ الشعر، والأحاديث في ذمِّ الخوارجِ والأمرِ بقتالهم والثناء على مُقاتليهم كثيرةٌ جداً وفيما ذكرنا كفايةٌ.

(و) مبيدُ (**كلِّ خبٍّ رافضيٍّ**[3] **فاسق**) الخَبُّ الخدّاعُ الخائنُ، والرافضيُّ نسبةٌ إلى الرفض وهو التَرْكُ بازدراء واستهانةٍ، سُمّوا بذلك لرفضهم الشيخين أبا بكر وعمرَ ﷺ، وزعموا أنهما ظلما علياً واغتصبوه الخلافةَ ومنعوا فاطمة ﷺ فدَكَ،

---

(١) في «السنن» (٥/ ١٢٣ ـ ١٢٤ رقم ٤٧٦٦) **وهو حديث صحيح**.

(٢) في «السنن» (٥/ ١٢٤).

(٣) الرافضة: يطلق على تلك الطائفة ذات الأفكار والآراء الاعتقادية الذين رفضوا خلافة الشيخين وأكثر الصحابة، وزعموا أن الخلافة في علي وذريته من بعده بنص من النبي ﷺ.

* وسنذكر أهم المسائل الاعتقادية عندهم والتي كان لها أثر هام في تباعدهم عن هدي الكتاب والسنة وطريقة أهل الحق.

١ ـ قصر الخلافة في آل البيت، علي وذريته ﷺ.

٢ ـ دعواهم عصمة الأئمة والأوصياء.

٣ ـ تدينهم بالتقية.

٤ ـ دعواهم المهدية.

٥ ـ دعواهم الرجعة.

٦ ـ موقفهم من القرآن.

٧ ـ موقفهم من الصحابة.

٨ ـ القول بالبداء على الله تعالى.

وتوجد لهم آراء أخرى منحرفة. [انظر كتاب: «فرق معاصرة، تنسب إلى الإسلام، وبيان موقف الإسلام منها»، إعداد: غالب بن علي عواجي (١/ ١٦٣ ـ ١٥٧) فقد أجاد وأفاد].

وبذلك يُحطّون عليهما ثم على عائشةَ ثم على غيرها من الصحابة.

وهم أقسامٌ كثيرةٌ لا كثّرهم الله تعالى: أعظمُهم غُلوّاً وأسوأُهم قولاً وأخبثُهم اعتقاداً، بل وأخبثُ من اليهود والنصارى هم السبئيةُ[1] أتباعُ عبدِ الله بن سبأَ اليهوديِّ قبّحه الله، كانوا يعتقدون في علي رضي الله عنه الإلهية كما يعتقد النصارى في عيسى عليه السلام، وهم الذين أحرقَهم عليٌّ رضي الله عنه بالنار، وأنكر ذلك عليه ابن عباس كما في صحيح البخاريِّ[2] والمُسندَ[3] وأبي داودَ[4] والتِرمذيِّ[5] والنَّسائيِّ[6] عن عِكرِمةَ رضي الله عنه قال: أُتيَ عليٌّ رضي الله عنه بزنادقة فأحرقهم، فبلغ ذلك ابنَ عباس فقال: لو كنتُ أنا لم أُحرِقْهم لنهْي رسولِ الله ﷺ: **«لا تعذِّبوا بعذاب الله»**، ولقتلتهم لقول رسولِ الله ﷺ: **«من بدَّل دينه فاقتلُوه»**.

حُكيَ عن أبي المظفر الإسفرايني في المِلل والنِّحل أن الذين أحرقهم علي رضي الله عنه طائفةٌ من الروافض ادَّعوا فيه الإلهيةَ وهم السبئيةُ، وكان كبيرهم عبد الله بنُ سبأ يهودياً ثم أظهرَ الإسلامَ وابتدع هذه المقالةَ.

وتفصيلُ ذلك ما ذكره في الفتح[7] من طريق عبدِ اللَّهِ بنِ شريكٍ العامريِّ عن أبيه قال: قيل لعليّ رضي الله عنه إن هنا قوماً على باب المسجدِ يزعمُونَ أنك ربُّهم فدعاهم

---

(١) السبئية: هم أتباع عبد الله بن سبأ اليهودي، قيل أنه من الحيرة في العراق، وقيل: - وهو الراجح - إنه من أهل اليمن من صنعاء وقيل أصله رومي، أظهر الإسلام في زمن عثمان خديعة ومكراً. وكان من أشد المحرّضين على الخليفة عثمان رضي الله عنه حتى وقعت الفتنة.

وهو أول من أسسس التشيع على الغلو في أهل البيت، ودعا إلى إثبات الوصاية لعليٍّ، ثم زعم بعد ذلك أن علياً هو خير الأوصياء بحكم أنه وصي خير الأنبياء، ثم دعا إلى القول بالرجعة ثم إلى القول بإلهية علي، وأنه لم يقتل بل صعد إلى السماء وأنَّ المقتول هو شيطان تصوَّر بصورة علي.

انظر: «فرق معاصرة» لغالب بن علي عواجي (١/ ١٤٤ ـ ١٤٩).

(٢) (١٢/ ٢٦٧ رقم ٦٩٢٢).

(٣) (١/ ٢٨٢).

(٤) في «السنن» (٤/ ٥٢٠ رقم ٤٣٥١).

(٥) في «السنن» (٤/ ٥٩ رقم ١٤٥٨) وقال: **هذا حديث صحيح حسن**.

(٦) في «السنن» (٧/ ١٠٤ ـ ١٠٥).

(٧) (١٢/ ٢٧٠).

فقال لهم: ويلكم ما تقولون؟ قالوا: أنتَ ربُنا وخالقُنا ورازقُنا، قال: ويلَكم إنما أنا عبدٌ مثلُكم آكلُ الطعامَ كما تأكلون، وأشرب كما تشربون، وإن أطعتُ اللَّهَ أثابني إن شاء، وإن عصيتُه خشِيتُ أن يعذبني. فاتقوا اللَّهَ وارجِعوا، فأبوا.

فلما كان الغدُ غدَوا عليه فجاء قنبرُ فقال: قد والله رجعوا يقولون ذلك الكلامَ، فقال: أدخِلْهم، فقالوا كذلك، فلما كان الثالثُ قال: لئن قلتم ذلك لأقتلنّكم بأخبث قِتلةٍ، فأبَوا إلا ذلك، فأمرَ عليٌّ ﷺ أن يُخدَّ لهم أُخدودٌ بين المسجدِ والقصرِ، وأمر بالحطب أن يُطرح في الأخدود ويُضْرمَ بالنار ثم قال لهم: إني طارِحكم فيها أو ترجِعوا. فأبَوا أن يرجِعوا، فقذف بهم حتى إذا احترقوا قال:

إنــي إذا رأيــتُ أمــراً مُــنــكَــراً أوقــدتُ نــاري ودعــوتُ قــنــبــرا

قال الحافظُ ابنُ حجر[1]: إسنادُه صحيحٌ[2].

ومنهم طائفةٌ يعتقدون أنْ لا إله إلا عليٌّ، وهم النُصيريةُ[3] الذين يقول شاعرُهم الملعونُ قبَّحهُ الله:

---

(١) (١٢/ ٢٧٠).

(٢) بل قال الحافظ في «الفتح» (١٢/ ٢٧٠): **هذا إسناد حسن.**

(٣) النصيرية: هي إحدى فرق الباطنية الغلاة، ظهرت في القرن الثالث للهجرة، انشقت عن فرقة الإمامية الاثني عشرية.

تنسب هذه الطائفة إلى زعيمهم (محمد بن نصير النميري) وكنيته أبو شعيب، وكان من الشيعة الاثنا عشرية وأصله من فارس ثم انفصل عنهم إثر نزاع بينه وبينهم على ثبوت صفة الباب له حيث ادعى أنه الباب إلى المهدي المنتظر، فلم تقر له الإمامية بذلك فانفصل عنهم وكون له طائفة وقد ظل زعيماً لطائفته إلى أن هلك سنة (٢٦٠هـ)، وبعضهم يذكر أنه في سنة (٢٧٠هـ).

* وللنصيرية عقائد كثيرة بعضها ظاهر، وبعضها ـ وهو الأكثر ـ لا يزال في طي الكتمان، وقد اتضح أن أهم عقائدهم وأبرزها:

١ ـ تأليه علي رضي الله عنه.

٢ ـ القول بالتناسخ: ويعود سبب تعلقهم بالتناسخ إلى أنهم لا يؤمنون بيوم القيامة ولا بالحساب والجزاء في الآخرة...

والتناسخ حسب معتقد النصيرية في أربع صور حسب قرب الشخص أو بعده عن الإيمان وطاعة الأئمة أو عصيانهم وهي كما يلي:

أ ـ نسخ: فهو انتقال الروح من جسم آدمي إلى جسم آدمي آخر.

ب ـ مسخ: فهو انتقال الروح من جسم آدمي إلى جسد حيوان. =

أشـــــهـــــد ألا إلـــــه إلا　　حـــيـــدرةَ الأذرَعُ الـــبَـــطـــيـــنُ
ولا ســـبـــيـــلٌ إلـــيـــه إلا　　مـــحـــمـــدٌ الـــصـــادقُ الأمـــيـــن
ولا حـــجـــابٌ عـــلـــيـــه إلا　　ســـلـــمـــانُ ذو الـــقـــوةِ الـــمـــتـــيـــن

ومنهم من يدعي فيه الرسالةَ وأن جبريلَ خانها فنزل بها على محمد ﷺ.

ومنهم من يدعي فيه العصمةَ، ويرى خلافة أبي بكر وعمرَ وعثمانَ باطلةً، ويشتمُون طلحةَ والزبيرَ وعائشةَ ويرمونَها بما رماها به ابنُ سلولٍ قبحهم الله.

ومنهم من يدعي أنه رُفع إلى السماء كما رُفع عيسى وسينزل عيسى كما سينزل وهم أصحابُ الرَّجعْة.

ومنهم من يدعي أنه وصيُّ رسولِ الله ﷺ بأمته، وأنه عهِدَ إليه ما لم يَعْهَدْه إلى غيره وبلغه ما كتمه الناسَ، وغيرُ ذلك من فِرقهم الضالةِ وشِيَعِهم الخاطئة.

وأما الزيديةُ[1] الذين يدعون أنهم أصحابُ زيدِ بنِ عليٍّ وأتباعه فهؤلاء لا يشتُمون الشيخين ولا عائشةَ ولا سائر العشرة، ولكنهم يفضلون علياً رضي الله عنه ويقدّمونه في الخلافة ثم أبو بكر ثم عمرَ ثم يسكتون عن عثمانَ رضي الله عنه ويحُطّون على معاويةَ غفر اللّهُ له.

هذا الذي وقفنا عليه في بعض رسائِلهم، ثم رأيتُ في بعضها السكوتَ عن أبي بكر وعمرَ، فلا يذكرونهما بخير ولا شر، ولا بخلافة ولا غيرها، ثم يحصُرون الخلافةَ في علي رضي الله عنه وذريتِه، ففرقةٌ تدَّعي عِصمتَهم، وأخرى لا تدَّعي ذلك.

والمقصودُ أنهم فرقٌ كثيرة متفاوتون في أقوالهم وأفعالِهم واعتقاداتِهم، وأخفُّهم بدعةً الزيديةُ، هذا في شأن أهلِ البيت طهرهم الله تعالى.

= ج ـ فسخ: فهو خروج الروح من جسم آدمي إلى جسد حشرة من حشرات الأرض وهوامها.
د ـ رسخ: فهو انتقال الروح من جسم آدمي إلى الشجر والنبات والجماد.
٣ ـ تقديس الخمر.
٤ ـ موقفهم من الصحابة.
[انظر: «فرق معاصرة» لغالب بن علي عواجي (١/ ٣٢١ ـ ٣٦٣) و «فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية» (٣٥/ ١٤٥ ـ ١٦٠)].

(١) الزيدية: نسبة إلى زيد بن علي بن الحسين بن علي، الذي ولد سنة (٨٠هـ) تقريباً، وتوفي سنة (١٢٢هـ).
[انظر: تفصيل ذلك في «فرق معاصرة» لغالب بن علي عواجي (١/ ١٥٤ ـ ١٦٣)].

وأما في مسألة الصفاتِ والقرآنِ والقدَرِ والوعدِ والوعيدِ وسائرِ المعتقداتِ فقد دهَى كلَّ فرقةٍ منهم ما دهى غيرَهم من الناس، ولكن المشهورَ من غالبهم الاعتزالُ واعتمادُهم كتبَ العلّافِ والجبائي[1] وأشباهِه، والزيديةُ عمدتُهم في تفسير القرآنِ كشافُ[2] الزمَخشريِّ، وقد شحنَه بقول القدريةِ المعتزلةِ، وهم أخفُّ وأهونُ ممن يكفر بكثير من القرآن بالكلية نعوذ بالله، ومحلُ بسطِ مقالاتِهم وفرقِ ضلالاتِهم كتبُ المقالات.

هذا وقد قال عليٌّ رضي الله عنه في تفضيل أبي بكر وعمرَ رضي الله عنهما ما قدمناه في الصحيح[3]، وفي كتاب السنةِ[4] عن علقمةَ في خُطبة عليٍّ رضي الله عنه على منبر الكوفة: ألا إنه بلغني أن قوماً يفضّلونني على أبي بكر وعمرَ رضي الله عنهما، ولو كنتُ تقدمتُ في ذلك لعاقبْتُ فيه، ولكنْ أكره العقوبةَ قبل التقدُّم.

من قال شيئاً من ذلك فهو مفترٍ، عليه ما على المفتري. وخيرُ الناسِ كان بعد رسولِ الله ﷺ أبو بكر ثم عمرُ، ثم أحدثْنا بعدهم أحداثاً يقضي اللَّهُ فيها ما شاء.

وهذا الكلامُ مشهورٌ عنه من طُرق لا تحصى، لأنه رضي الله عنه وكرَّم الله وجهَه كان يجهر به ويظهرهُ في المحافل وعلى المنابر، ويذُم الرافضة كثيراً، وقد جلد من قيل

---

(١) تقدَّم التعريف به.

(٢) مثال ذلك إذا مر بلفظ يشتبه عليه ظاهره ولا يتفق مع مذهبه يحاول أن يبطل بكل جهوده هذا المعنى الظاهر. وأن يثبت للفظ معنى آخر موجوداً في اللغة.
* عندما تعرض لتفسير قوله تعالى: **﴿وُجُوهٌ يومئذٍ ناضرة * إلى ربِّها نَاظِرَةٌ﴾** [القيامة: ٢٢ ـ ٢٣]. يتخلص من المعنى الظاهر لكلمة ناظرة لأنه لا يتفق مع مذهبه الذي لا يقول برؤية الله تعالى، ونراه يثبت له معنى آخر هو التوقع والرجاء...».
انظر: «التفسير والمفسرون» الدكتور محمد بن حسين الذهبي (١/ ص٤٢٨ ـ ٤٤٦). ونجد ابن القيم يثور على الزمخشري من أجل تفسيره الاعتزالي...
فمثلاً نراه يذكر ما فسر به الزمخشري قوله تعالى في الآية (١٧٦) من سورة الأعراف: **﴿ولَوْ شِئْنَا لَرَفعناهُ بِهَا ولكنَّهُ أخلَدَ إلى الأرضِ واتَّبعَ هَواهُ﴾** [الأعراف: ٧٦]. ثم يقول ابن القيم: «فهذا منه شنشنة نعرفها من قدري ناف للمشيئة العامة، مبعد للنجعة، في جعل كلام الله معتزلياً قدرياً».
ذكره د. محمد حسين الذهبي في «التفسير والمفسرون» (١/ ٤٣٨).

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) تقدم تخريجه.
وانظر: «فضائل الصحابة» لأحمد بن حنبل (١/ ٣٣٦ رقم ٤٨٤).

له إنه تكلم في عرض أمِّ المؤمنين ﵂ جلده مائةً، وكان من أشد الناس على الرافضة وأسطاهم بهم ﵁.

(من كان) بمعنى من صار **(للرسول)** ﷺ **(في مكان)** أي منزلةِ **(هارونَ من موسى)** عليهما السلام في الاستخلاف، فموسى استخلف هارونَ في مدة الميعاد، ومحمدٌ ﷺ استخلف علياً في غزوةِ تبوك.

ففي الصحيحين[1] عن إبراهيمَ بنِ سعدٍ عن أبيه قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ لعلي ﵁: «**أما ترضى أن تكون مني بمنزلةِ هارون من موسى؟**».

وفيها[2] من رواية مصعب بنِ سعدٍ عن أبيه أن رسولَ اللَّهِ ﷺ خرج إلى تبوكَ واستخلفَ علياً ﵁، فقال: «أتخلّفني في الصبيان والنساء؟ قال: «**ألا ترضى أن تكونَ مني بمنزلةِ هارونَ من موسى؟ إلا أنه ليس نبيٌّ بعدي**». هذا الاستثناءُ يزيلُ الإشكالَ من الرواية الأولى، ويخصص عمومَ المنزِلةِ بخصوص الأخوّةِ والاستخلافِ في أهله فقط لا في النبوة كمشاركة هارون لموسى فيه، إذ يقول اللَّهُ تعالى: ﴿ٱشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴿٣٢﴾﴾ [طه]. وقال لهما: ﴿فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ﴾ [طه: ٤٧].

ولهذا قلنا في المتن **(لا في نبوة)** لمنزلة هارون من موسى فيها، فلا تتوهمْ ذلك من اقتصاري على الرواية الأولى، **(فقد قدمت)** في فصل النبوة **(ما يكفي)** في هذا البابِ **(لمن مِن سوء ظن)** بأخيه المسلم **(سلما)** وهو قولي:

(وكلُ مَن مِن بعده قد ادَّعى ... نبوةً فكاذبٌ فيما ادعى)

وما بعده.

وفي الصحيحين[3] في تفسير قولِ اللَّهِ تعالى: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ﴾ [الحج: ١٩] عن قيس بنِ عديٍّ عن أبي ذرٍّ ﵁ إنه كان يُقسم فيها أن هذه

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٧/ ٧١ رقم ٣٧٠٦) وطرفه رقم (٤٤١٦).
ومسلم في صحيحه (٤/ ١٨٧٠ رقم ٣٠/ ٢٤٠٤).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٨/ ١١٢ رقم ٤٤١٦).
ومسلم في صحيحه (٤/ ١٨٧٠ ـ ١٨٧١ رقم ٣١/ ٢٤٠٤).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٨/ ٤٤٣ رقم ٤٧٤٣).
ومسلم في صحيحه (٤/ ٢٣٢٣ رقم ٣٤/ ٣٠٣٣).

الآيةَ نزلت في حمزة وصاحبيه وعُتبةَ وصاحبيه، برزوا يوم بدر.

وفيهما[1] عنه عن عليِّ بنِ أبي طالب رضي الله عنه قال: أنا أولُ من يجثو بين يدي الرحمنِ للخصومة يوم القيامة.

قال قيس: وفيهم نزلت: ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾ قال: هم الذين بارزوا يوم بدرٍ: عليٌّ وحمزةُ وعُبيدةُ، وشيبةُ بنُ ربيعةَ وعُتبةُ بنُ ربيعةَ والوليدُ بنُ عتبةَ.

وفيهما[2] عن سهلِ بنِ سعدٍ رضي الله عنه أن رسولَ الله ﷺ قال يوم خيبرَ: «**لأعطيَنَّ هذه الرايةَ غداً رجلًا يفتح اللَّهُ على يديه يحب اللَّهَ ورسولَه ويُحبه اللَّهُ ورسولُه**»، قال: فباتَ الناسُ يدُكونَ ليلتَهم أيُهم يُعطاها، فلما أصبح الناسُ غدَوا على رسول اللَّهِ ﷺ كلُهم يرجو أن يُعطاها، فقال: «**أين عليُّ بنُ أبي طالب؟**»، فقيل: هو يا رسولَ الله يشتكي عينيه، قال: «**فأرسلوا إليه**»، فأُتيَ به فبصقَ رسولُ الله ﷺ في عينيه ودعا له فبرأ حتى كأن لم يكن به وجعٌ، فأعطاه الرايةَ، فقال علي: يا رسولَ اللَّهِ أقاتلُهم حتى يكونوا مثلَنا، فقال عليه الصلاة والسلامِ: «**انفُذْ على رِسْلك حتى تنزلَ بساحتِهم ثم ادعُهم إلى الإسلامِ وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه، فوالله لأن يهدي اللَّهُ بك رجلاً واحداً خيرٌ لك من حُمْرَ النَّعم**». وعن سلمةَ بنِ الأكوعِ نحوُه مختصراً، ونحوُه عند مسلم أيضاً.

وفيهما[3] عن عبد العزيزِ بنِ أبي حازم عن أبيه أن رجلاً جاء سهل بنَ سعدٍ فقال: هذا فلانٌ - لأمير المدينة - يدعو علياً عند المنبر. قال: ماذا يقول له؟ قال: يقول أبو تراب؟ فضحك وقال: واللَّهِ ما سماه إلا النبيُّ ﷺ وما كان له اسمٌ أحبَّ إليه منه، فاستطعمتُ الحديث سهلاً وقلت: يا أبا العباس كيف؟ قال: «دخل عليٌّ رضي الله عنه على فاطمةَ، ثم خرج فاضطجع في المسجد، فقال النبيُّ ﷺ: «**أين ابنُ عمِّك؟**» قالت: في المسجد فخرج إليه فوجد رداءَه قد سقط عن ظهرِه وخلُص إلى ظهره، فجعل يمسح الترابَ عن ظهره فيقول: «**اجلِس يا أبا ترابٍ**» مرتين.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٨/ ٤٤٣ - ٤٤٤ رقم ٤٧٤٤). ولم يخرجه مسلم.
(٢) أخرجه البخاري (٧/ ٧٠ رقم ٣٧٠١) ومسلم (٤/ ١٨٧٢ رقم ٣٤/ ٢٤٠٦). وقد تقدم.
(٣) البخاري في صحيحه (٧/ ٧٠ رقم ٣٧٠٣).
ومسلم في صحيحه (٤/ ١٨٧٤ - ١٨٧٥ رقم ٣٨/ ٢٤٠٩).

وفي رواية مسلم[1] عن أبي حازم عن سهل بنِ سعدٍ قال: «استُعمل على المدينة رجلٌ من آل مروانَ، قال: فدعا سهلَ بنَ سعدٍ فأمره أن يشتُم علياً، قال: فأبى سهلٌ فقال له: أما إذا أبيتَ فقل: لعن الله أبا تراب، فقال سهل: ما كان لعلي اسمٌ أحبَّ إليه من أبي تراب، وإن كان ليفرَحُ إذا دُعيَ به. فقال له: أخبرنا عن قصته، أَسُمّيَ أبا تراب فذكره.

وفي صحيح البخاريِّ[2] عن سعيد بن عبيدة، قال: جاء رجلٌ إلى ابن عمرَ رضي الله عنهما فسأله عن عثمان فذكر محاسن عملِه وقال: لعل ذلك يسوؤك؟ قال: نعم. قال: فأرغَمَ اللَّهُ بأنفك. ثم سأله عن عليّ فذكر محاسِنَ عملِه وقال: هو ذاك بيتُه أوسطُ بيوتِ النبيِّ ﷺ، ثم قال: لعل ذلك يسوؤك؟ قال: أجل. قال: فأرغم اللَّهُ بأنفِك. انطلق واجهَدْ على جَهدك».

وفيهما[3] عن ابن أبي ليلى قال: حدثنا عليٌّ رضي الله عنه أن فاطمةَ عليها السلام شكت ما تلقى من أثر الرحى، فأتى النبيَّ ﷺ سبْيٌ، فانطلقتْ فلم تجِدْه فوجدت عائشةَ رضي الله عنها فأخبرتْها، فلما جاء النبيُّ ﷺ إلينا وقد أخذنا مضاجعَنا فذهبتُ لأقومَ، فقال: على مكانكما. فقعد بيننا حتى وجدت برْدَ قدميه على صدْري وقال: «**ألا أعلِّمكما خيراً مما سألتُماني؟ إذا أخذتُما مضاجعَكما؟ تكبّران أربعاً وثلاثين، وتسبّحان ثلاثاً وثلاثين، وتَحمَدان ثلاثاً وثلاثين، فهو خيرٌ لكما من خادم**».

وفي البخاري[4] عن ابن سيرينَ عن عُبيدةَ عن علي رضي الله عنه قال: «اقضُوا كما كنتم تَقْضون، فإني أكره الاختلافَ حتى يكون الناسُ جماعةً أو أموتَ كما مات أصحابي». فكان ابنُ سيرينَ يرى أن عامةَ ما يُروى عن علي رضي الله عنه الكذبُ.

قلتُ: وأكثرُ مَن يَكذب على عليّ رضي الله عنه الرافضةُ الذين يدّعون مشايعتَه ونشرَ فضائِله ومثالبِ غيرِه من الصحابةِ، فيُسندون ذلك إليه رضي الله عنه وهو بريءٌ منهم، وهم أعدى عدوٍّ له.

---

(١) في صحيحه (٤/ ١٨٧٤ ـ ١٨٧٥ رقم ٣٨/ ٢٤٠٩).
(٢) (٧/ ٧٠ ـ ٧١ رقم ٣٧٠٤).
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٧/ ٧٠ رقم ٣٧٠٥).
ومسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٩١ رقم ٨٠/ ٢٧٢٧).
(٤) في صحيحه (٧/ ٧١ رقم ٣٧٠٧).

وفي الصحيحين[1] من طرق عنه ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«لا تكْذِبوا عليَّ فإنَّه من كذب عليَّ فلْيلِج النار»**.

وفي فضائله ﷺ من الأحاديث الصِحاحِ والحسانِ ما يغني عن أكاذيب الرافضة، وهم يجهلون غالبَ ما له من الفضائل فيها.

وفي صحيح مسلم[2] عن عامر بنِ سعدِ بنِ أبي وقاصٍ عن أبيه ﷺ قال: أمر معاويةُ بنُ أبي سفيانَ سعداً فقال: ما منعك أن تسُبَّ أبا تراب؟ فقال: أما ما ذكرتَ فثلاثٌ قالهن رسولُ اللّهِ ﷺ، لأن تكونَ لي واحدةٌ منهن أحبُّ إليَّ من حُمْر النَّعَم، سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول له وقد خلفه في مغازيه فقال له علي ﷺ: يا رسولَ اللّهِ خلّفتني مع النساء والصبيان، فقال له رسولُ الله ﷺ: **«أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارونَ من موسى إلا أنه لا نبوةَ بعدي؟»**.

وسمعتُه يقول يوم خيبرَ: **«لأُعطين الرايةَ رجلًا يحب اللّهَ ورسولَه**، قال: فتطاولنا لها قال: **«ادعُوا لي علياً»**، فأُتيَ به أرمدَ فبصق في عينيه ودفع إليه الرايةَ ليلةَ فتح اللّهُ عليه.

ولما نزلت هذه الآيةُ: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ﴾ [آل عمران: ٦١]، **دعا** رسولُ الله ﷺ علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً فقال: **«اللهم هؤلاء أهلي»**.

وفي صحيح مسلم[3] عن زِرٍّ قال: قال عليٌّ ﷺ: والذي فلق الحبةَ وبَرأ النسَمةَ، إنه لعَهدُ النبيِّ ﷺ إليَّ أنْ لا يُحبُّني إلا مؤمنٌ ولا يُبغضُني إلا منافق.

والأحاديثُ في فضله كثيرةٌ جداً، وقد تقدم الحديثُ في الإشارة إلى خلافته ﷺ في رؤيا الرجلِ الصالحِ الدلوَ التي شرِبَ منها أبو بكر وعمرُ وعثمانُ، ثم جاء علي وأخذ بعَراقيها فانتشطتْ وانتضح عليه منها شيءٌ، وكان تأويلُ ذلك ما أصابه ﷺ من اختلاف الناس عليه والفتنِ الهائلة والدماءِ المُهرَقةِ والأمورِ الصعابِ والأسلحةِ المسلولةِ بين المسلمين بسبب السبئيةِ ومن وافقهم من

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (١/١٩٩ رقم ١٠٦).
ومسلم في صحيحه (١/٩ رقم ١/١).

(٢) (٤/١٨٧١ رقم ٣٢/٢٤٠٤).

(٣) (١/٨٦ رقم ١٣١/٧٨).

أهلِ الأمصارِ على قتل عثمانَ، وكان غالبُهم منافقين، وقليلٌ منهم من أبناء الصحابةِ مغرَّرونَ، فحصل من ذلك في يوم الجمَلِ[1] وصفّينَ[2] وغيرِهما وقائعُ يطولُ ذكرُها.

فأما وقعةُ الجملِ[3] فكانت بمحض فعلِ السبئيةِ قبَّحهم الله تعالى، ليس باختيار عليّ رضي الله عنه ولا طلحةَ ولا الزبيرِ ولا أم المؤمنين رضي الله عنهم، بل بات الفريقان متصالحين بخير ليلةً، فتواطأ أهلُ الفتنةِ، وتمالؤا على أن يفرقوا بين الفريقين ويُنشبوا الحربَ بين الفئتين من الغلَس، فثار الناسُ من نومهم إلى السلاح فلم يشعُر أصحابُ رسولِ اللّهِ ﷺ إلا بالرؤوس تُندَر والمعاصِم تتطاير ما يدرون ما الأمرُ حتى عُقر الجملُ وانكشف الحالُ عن عشرةِ آلافِ قتيلٍ فإنا لله وإنا إليه راجعون، وإنما أنشبَ أهلُ الفتنةِ الحربَ بين الفريقينِ لعلمهم أنهما إن تصالحا دارت الدائرةُ عليهم وأخذوا بدم عثمانَ وأُقيمَ عليهم كتابٌ، فقالوا: نشغلهم بأنفسهم، وكان أمرُ الله قدراً مقدوراً.

وأما في قتاله أهلَ الشام فكانوا هم مع معاويةَ، وكان هو رضي الله عنه متأوِّلاً يطالب بدم عثمانَ ويرى أنه وليُّه وأن قَتَلَته في جيش علي، فكان معذوراً في خطئه بذلك، وأما عليٌّ رضي الله عنه فكان مجتهداً مصيباً وفالجاً مُحقاً يريد جمعَ كلمةِ الأمة، حتى إذا كانوا جماعةً وخمدت الفتنُ وطفِئَت نارُها أخذ بالحق من قتلةِ عثمانَ.

وكان رضي الله عنه أعلَمَ بكتاب اللّهِ من المطالبين بدم عثمانَ، وكان السبئيةُ يخافونَه أعظَمَ من خُصمائه، وذلك الذي حملَهم على ما فعلوه يوم الجمل، فكانَ أهلُ الشام بُغاةً اجتهدوا فأخطأوا وعليٌّ رضي الله عنه يقاتلهم ليرجِعوا إلى الحق ويَفيئوا إلى أمر الله، ولهذا كان أهلُ بدرٍ الموجودون على وجه الأرضِ كلُهم في جيشِه وعمارٌ قُتل معه رضي الله عنه كما في الصحيحين[3] من حديث أبي سعيد في بناء المسجدِ، فقال: كنا نحمِلُ لبنةً لبنةً وعمارٌ لبِنتين، فرآهُ النبيُّ ﷺ فينفُض الترابَ عنه ويقول: «ويحَ

---

(1) انظر: «تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة» من روايات الإمام الطبري والمحدِّثين. د. محمد أمحزون (ص١١٣ ـ ١٤٠) و «العواصم من القواصم» (ص١٤٨).

(2) انظر: «تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة» (ص١٤٦)، وانظر: «العواصم من القواصم» (ص١٦٢).

(3) أخرجه البخاري في صحيحه (١/ ٥٤١ رقم ٤٤٧).

عمّارٍ تقتله الفئةُ الباغيةُ، يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار».

قال: يقول عمارٌ أعوذ بالله من الفتن. فقتله أهلُ الشام مصداقَ ما أخبرهم به الصادقُ المصدوقُ ﷺ وهو يدعوهم إلى الجماعة والائتلافِ وإلى طاعةِ الإمامِ التي هي من أسباب دخول الجنةِ، ويدعونه إلى الفتنة والفُرقة التي هي من أسباب دخولِ النارِ، وكان عليٌّ رضي الله عنه أسعدَ منهم وأولاهم بالحق لقتْله الخوارجَ بالنهروان، وقد قال النبيُّ ﷺ: **«تقتلُهم أولى الطائفتين بالحق»**[1] كما قدمنا.

وفي سنن أبي داودَ[2] عن الأقرعِ مؤذِّنِ عمرَ بنِ الخطاب رضي الله عنه قال: بعثني عمرُ إلى الأُسقف فدعوتُه فقال له عمر: وهل تجدُني في الكتاب؟ قال: نعم. قال: كيف تجدني؟ قال: أجدُك قرْناً، فرفع عليه الدِّرّة فقال: قرنُ مَهْ؟ فقال: قرنٌ حديدٌ، أمينٌ شديد. قال: كيف تجد الذي يجيء من بعدي؟ فقال: أجدُه خليفةً صالحاً غيرَ أنه يُؤْثِرُ قرابته، قال عمر: يرحَمُ اللّهُ عثمانَ (ثلاثاً). فقال: كيف تجد الذي بعده؟ قال: أجدُه صَدَأ حديد، فوضع عمرُ يده على رأسه فقال: يا دَفْراه يا دَفراه، فقال: يا أمير المؤمنين إنه خليفةٌ صالحٌ، ولكنه يُستخلف حين يُستخلف والسيفُ مسلولٌ والدمُ مُهراقٌ». وكان الأمرُ كما أخبرَه.

[استشهاد علي بن أبي طالب]

وكان رضي الله عنه أيام خلافته على طريق الحقِ والاستقامةِ والتمسّك بكتاب اللّهِ وهدْيِ محمدٍ ﷺ، مجتهدٌ في جمع شملِ الأمةِ وإطفاء الفِتنِ والتذفيفِ على أهل البِدعِ حتى اعتدى على حياته رضي الله عنه الشقيُّ ابنُ مُلجَم الخارجيُّ قبحه الله وقد فعل، وذلك يومَ الجمعةِ وقتَ الفجرِ وهو يقول: الصلاةَ الصلاة، فمكث يَومَ الجمعةِ وليلةَ السبت وتُوفّيَ ليلةَ الأحدِ لإحدى عشْرةَ ليلةً بقِيتْ من رمضانَ سنةَ أربعينَ عن ثلاثٍ وستينَ سنةً[3]، فكانت مدةُ خلافِته كلِّها أربعَ سنينَ وتسعةَ أشهرٍ إلا لياليَ وهو يومئذ أفضلُ مَن على وجه الأرضِ بالإجماع.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) في «السنن» (٥/ ٤٣ ـ ٤٤ رقم ٤٦٥٦) **بسند ضعيف.**

(٣) انظر: «الإصابة» (٤/ ٤٦٨) و «الاستيعاب» (٣/ ٢٢١).

وذلك مصداقُ ما روى الإمامُ أحمدُ[1] وأبو داودَ[2] وغيرُهما[3] عن سفينةَ أبي عبد الرحمنِ مولى رسولِ الله ﷺ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: **«الخلافةُ ثلاثون سنةً، ثم تكون بعد ملكاً»** قال سفينةُ: فخُذْ سَنَتي أبي بكرٍ وعشرِ عمرَ واثنتي عشرةَ عثمانَ وستَّ عليٍّ ﷺ أجمعين.

قلت: سفينةُ ﷺ حذَفَ الزائدَ والناقصَ عن السنين من الأشهر على ما جرت به عاداتُ العربِ في حذف الكسورِ في الحساب وعلى ما قدّمنا ضبطَه فأيامُ كلٍ منهم لا تكمّلُ ثلاثين إلا بخلافةِ الحسنِ بنِ علي ﷺ، وهي ستةُ أشهر، ثم أصلح اللّهُ به الفئتين من المسلمين كما أخبر النبيُّ ﷺ، ووليَ معاويةُ بذلك واجتمع الناسُ عليه وكان ذلك العامُ يسمّى: عامَ الجماعة»، وكان معاويةُ ﷺ أولَ ملوكِ الإسلامِ وخيرَهم.

وروى الإمامُ أحمدُ[4] عن علي ﷺ قال: سبق رسولُ الله ﷺ، وصلَ أبو بكر، وثلّثَ عمرُ ثم خبَطَتْنا بعده فتنةٌ فهو ما شاء الله. وفي رواية: يقضي الله فيها ما يشاء.

وله عنه[5] ﷺ قال: لَيُحِبَّنّي قومٌ حتى يدخلوا النارَ في حُبِّي، وليُبغضنّي قومٌ حتى يدخلوا النارَ في بغضي.

وله[6] عنه ﷺ قال: يهلِكُ فيَّ رجلان: مُفرِطٌ غالٍ، ومُبغضٌ قالٍ. وله[7]

---

(١) في «المسند» (٥/ ٢٢٠ و ٢٢١).

(٢) في «السنن» (٥/ ٣٦ ـ ٣٧ رقم ٤٦٤٦ و ٤٦٤٧).

(٣) كالترمذي في «السنن» (٤/ ٥٠٣ رقم ٢٢٢٦) وقال: **هذا حديث حسن.**
والحاكم في «المستدرك» (٣/ ١٤٥).
وابن أبي عاصم في «السنة» (٢/ ٥٦٢ ـ ٥٦٣ رقم ١١٨١).
وهو حديث حسن.

(٤) في «المسند» (١/ ١١٢، ١٢٤، ١٢٥، ١٣٢، ١٤٧).
قلت: وأخرجه أحمد في فضائل الصحابة (١/ ٢١٤ رقم ٢٤١) **بإسناد صحيح.**
وابن سعد في «الطبقات» (٦/ ١٣٠).

(٥) لأحمد في «فضائل الصحابة» (٢/ ٥٦٥ رقم ٩٥٢) **بإسناد صحيح.**

(٦) لأحمد في «فضائل الصحابة» (٢/ ٥٧١ رقم ٩٦٤) **بإسناد حسن.**

(٧) لأحمد في «فضائل الصحابة» (٢/ ٥٦٥ رقم ٩٥١) **بإسناد ضعيف.**
قلت: وأخرجه الحاكم (٣/ ١٢٣) من طريق الحكم وصحح إسناده فتعقبه الذهبي بقوله: الحكم وهاه ابن معين.

عنه قال: يهلِك فيَّ رجلانِ مُحِبٌ مفرِطٌ ومبغِضٌ مُفترٍ.

وله[1] عن الشعبي عن علقمةَ قال: أتدري ما مَثلُ عليٍّ في هذه الأمةِ؟ قال قلت: وما مثلُه؟ قال: مثلُه كمثل ابنِ مريمَ، أحبه قومٌ حتى هلكوا في حبه، وأبغضه قومٌ حتى هلكوا في بغضه.

وقد روى[2] عبدُ اللّهِ بنُ أحمدَ هذا المعنى مُسنداً عن عليٍّ بنِ أبي طالبٍ رضي الله عنه قال: دعاني رسولُ اللّهِ ﷺ فقال: «**إن فيكَ من عيسى مثلاً، أبغضتْه يهودُ حتى بهتوا أُمَّه، وأحبَّتْه النصارى حتى أنزلوه بالمنزل الذي ليس به**». ألا وإنه يهلك فيَّ اثنان: مُحبٌّ مفرطٌ يُقرِّظُني بما ليس فيَّ، ومُبغضٌ مفترٍ يحمِله شنَآني على أن بهَتَني، ألا وإني لستُ بنبيٍ ولا موصىً إليَّ، ولكن أعمَل بكتاب اللّهِ تعالى وسنةِ نبيِّه ﷺ ما استطعتُ، فما أمرتُكم به من طاعة اللّهِ فحقٌ عليكم طاعتي فيما أحببتم وكرِهتم.

وكان رضي الله عنه يخبر أصحابه بولاية معاويةَ رضي الله عنه ويقول: لا تكرهوا إمارةَ معاويةَ، والذي نفسي بيده ما بينكم وبين أن تنظروا إلى جماجم الرجالِ تُندَر عن كواهلهم كأنها الحنظلُ إلا أن يفارِقَكم معاويةُ[3].

وكان أحمدُ بنُ حنبلٍ[4] رحمه الله تعالى يقول: لا أعلم أحداً يُحفظ له من الفضائل في الأحاديث الصِحاح ما يُحفظ لعلي، رضي الله عنه وعن أصحاب رسولِ الله ﷺ أجمعين.

---

(١) لأحمد في «فضائل الصحابة» (٢/ ٥٧٥ رقم ٩٧٤).

(٢) في زيادات «المسند» (١/ ١٦٠) وفي «فضائل الصحابة» (٢/ ٦٣٩ رقم ١٠٨٧) **بإسناد ضعيف**.
لأجل الحكم بن عبد الملك القرشي البصري نزيل الكوفة كادوا أن يجمعوا على تضعيفه.
والنسائي في «تهذيب خصائص الإمام علي» رقم (٩٨) **بإسناد ضعيف جداً**.
وابن الجوزي في «العلل» (١/ ٢٢٣).
وأورده الهيثمي في «المجمع» (٩/ ٣٣) وقال: رواه عبد الله والبزار باختصار وأبو يعلى أتم منه، وفي إسناد عبد الله وأبي يعلى الحكم بن عبد الملك وهو ضعيف، وفي إسناد البزار محمد بن كثير القرشي الكوفي وهو ضعيف...

(٣) انظر: «البداية والنهاية» (٨/ ١٣٤) **وسنده ضعيف** فيه الحارث الأعور ومجالد بن سعيد، وهما ضعيفان والأول متهم.

(٤) لم أعثر على مصدره الآن.

[مناقب الستة بقية العشرة المبشرين بالجنة]

(فالستةُ المكمّلونَ العشَرهْ   وسائرُ الصحْبِ الكرامِ البررَهْ)

(**ف**) يليهم في الفضل (**الستةُ المكملون**) عددَ (**العشرة**) المشهودُ لهم بالجنة كما في السنن[1] عن عبد الرحمنِ بنِ الأخنسِ أنه كان في المسجد، فذكر رجلٌ علياً رضي الله عنه، فقام سعيدُ بنُ زيدٍ فقال: أشهَدُ على رسولِ الله ﷺ أني سمعتُه وهو يقول: «**عشَرةٌ في الجنة: النبيُّ ﷺ في الجنة، وأبو بكر في الجنة، وعمرُ في الجنة، وعثمانُ في الجنة، وعليٌّ في الجنة، وطلحةُ في الجنة، والزبيرُ بنُ العوام في الجنة، وسعدُ بنُ مالكٍ في الجنة، وعبدُ الرحمن بنُ عوفٍ في الجنة**». ولو شئتُ لسمّيتُ العاشر. قال فقالوا: من هو؟ فسكت، قال فقالوا: من هو؟ فقال: «هو سعيدُ بنُ زيدٍ» رضي الله عنه.

وكان أبو بكر رضي الله عنه إذا ذكر يومَ أُحدٍ قال: ذاك يومٌ كلُه لطلحةَ[2].

وفي الصحيح[3] عن أبي عثمان قال: لم يبقَ مع النبي ﷺ في بعض تلك الأيامِ التي قاتل فيها رسولُ الله ﷺ غيرُ طلحةَ وسعدٍ.

وفيه[4] عن قيس بنِ أبي حازمٍ قال: رأيتُ يدَ طلحةَ التي وقى بها النبيَّ ﷺ قد شَلَّتْ.

وفيه[5] عن جابر بن عبدِ اللَّهِ رضي الله عنهما قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ يومَ الأحزابِ: «**من يأتينا بخبر القوم؟**»، فقال الزبيرُ: أنا. ثم قال: «**من يأتينا بخبر القوم؟**» فقال الزبير: أنا. ثم قال: «**من يأتينا بخبر القوم؟**»، فقال الزبير: أنا، فقال رسول الله ﷺ: «**إن لكل نبيٍّ حَوارياً، وحواريَّ الزبيرُ**».

---

(١) أخرجه أبو داودَ (٥/ ٣٧ ـ ٣٨ رقم ٤٦٤٨ و ٤٦٤٩ و ٤٦٥٠).
والترمذي (٥/ ٦٤٨ رقم ٣٧٤٨) وابن ماجه رقم (١٣٣) والحاكم في «المستدرك» (٣/ ٤٤٠) وابن أبي عاصم في «السنة» (٢/ ٦١٩ رقم ١٤٢٨) والنسائي في «الكبرى» (٤/ ٤).
وهو حديث صحيح.

(٢) «البداية والنهاية» (٧/ ٢٥٨).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٧/ ٨٢ رقم ٣٧٢٢ و ٣٧٢٣).
ومسلم في صحيحه (٤/ ١٨٧٩ رقم ٤٧/ ٢٤١٤).

(٤) أي في صحيح البخاري (٧/ ٨٢ رقم ٣٧٢٤). وطرفه رقم (٤٠٦٣).

(٥) أي في صحيح البخاري (٧/ ٧٩ ـ ٨٠ رقم ٣٧١٩).
قلت: وأخرجه مسلم في صحيحه (٤/ ١٨٧٩ رقم ٤٨/ ٢٤١٥).

وفيه[1] عن مروانَ بن الحكم قال: أصاب عثمانَ ﷺ رُعافٌ شديدٌ سنةَ الرُعافِ حتى حبَسه عن الحج وأوصى، فدخل عليه رجلٌ من قريش قال: استخلِفْ، قال: وقالوه؟ قال: نعم. قال: ومَن؟ فسكت. فدخل عليه رجلٌ آخرُ - أحسبُه الحارثَ - فقال: استخلف. فقال عثمانُ: وقالوا؟ فقال: نعم. قال: ومن هو؟ فسكت، فلعلهم قالوا الزبير، قال: نعم، أما والذي نفسي بيده إنه لخيرُهم ما علِمْتُ، وإنْ كان لأحبَّهم إلى رسولِ الله ﷺ.

وفي رواية[2] قال: أما واللَّهِ إنكم لتعلمون أنه خيرُكم (ثلاثاً).

وفيه[3] عن عبد اللَّهِ بنِ الزبير ﷺ قال: كنتُ يومَ الأحزابِ جُعلتُ أنا وعمرُ بنُ أبي سلمةَ في النساء فنظرتُ فإذا أنا بالزبير على فرسه يختلف إلى بني قُريظةَ مرتين أو ثلاثاً، فلما رجعتُ قلتُ: يا أبتي رأيتُك تختلِفُ. قال: وهل رأيتني يا بُنيّ؟ قلت: نعم. قال: كان رسولُ الله ﷺ قال: **«من يأتي بني قريظةَ فيأتيني بخبرهم»**. فانطلقتُ، فلما رجعتُ جمع لي رسولُ اللَّهِ بين أبويه فقال: فداك أبي وأمي.

وعن هشام بنِ عُروةَ[4] عن أبيه أن أصحابَ النبيِّ ﷺ قالوا للزبيرِ يوم وقعةِ اليرموك: ألا شُدَّ فنشُدَّ معك، فحمَلَ عليهم، فضربوه ضربتين على عاتقه بينهما ضربةٌ ضُربَها يومَ بدر. قال عروةُ[3]: فكنتُ أُدخِل أصابعي في تلك الضرباتِ ألعب وأنا صغيرٌ.

قلت[5]: وقد اخترق صفوفَ الرومِ يومئذ أربعَ مرات، مرتين دخولاً فيهم ومرتين رجوعاً، وكانت الضربتان في رجعته من المرة الأخرى، كما هو مبسوطٌ في موضعه من السِيَر.

وفي مسلمٍ[6] عن أبي هريرةَ ﷺ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ كان على حِراء هو وأبو

---

(١) أي في صحيح البخاري (٧/ ٧٩ رقم ٣٧١٧) وطرفه رقم (٣٧١٨).
(٢) عند البخاري في صحيحه (٧/ ٧٩ رقم ٣٧١٨).
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٧/ ٨٠ رقم ٣٨٢٠).
ومسلم في صحيحه (٤/ ١٨٧٩ رقم ٤٩/ ٢٤١٦).
(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (٧/ ٨٠ رقم ٣٧٢١).
(٥) انظر: «البداية والنهاية» (٧/ ٢٦٠).
(٦) أي في صحيح مسلم (٤/ ١٨٨٠ رقم ٥٠/ ٢٤١٧).

بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير، فتحركت الصخرةُ فقال رسولُ الله ﷺ: «**اهدأ فما عليك إلا نبيٌ أو صديقٌ أو شهيدٌ**». زاد في رواية[1]: وسعدُ بن أبي وقاصٍ.

وفيه[2] عن عائشةَ رضي الله عنها قالت: أرِقَ رسولُ الله ذات ليلةٍ فقال: «**ليت رجلاً صالحاً من أصحابي يحرُسني الليلةَ**». قالت: وسمِعْنا صوتَ السلاحِ. فقال رسولُ الله ﷺ: «**مَن هذا؟**»، قال: سعدُ بنُ أبي وقاصٍ يا رسولَ اللّهِ، جئتُ أحرُسك. قالت عائشةُ: فنام رسولُ الله ﷺ حتى سمعتُ غطيطه.

وفيهما[3] عن عبدِ اللّهِ بنِ شدادٍ قال: سمعتُ علياً يقول: ما جمع رسُولُ اللّهِ ﷺ أبويه لأحد غيرَ سعدِ بنِ مالكٍ، فإنه جعل يقول له يومَ أُحد: «**ارمِ فداك أبي وأمي**».

وعن عامر بن سعدٍ[4] عن أبيه أن النبيَّ ﷺ جمع له أبويه يوم أحدٍ، قال: كان رجلٌ من المشركين قد أحرق المسلمين فقالَ لي النبيُّ ﷺ: «**ارمِ فداك أبي وأمي**» قال: فنزعْتُ له بسهم ليس فيه نصْلٌ، فأصبتُ جنبَه، فسقط فانكشفتْ عورتُه، فضحِكَ رسولُ الله ﷺ حتى نظرتُ إلى نواجذه.

وفيه[5] عن مصعب بنِ سعدٍ عن أبيه أنه نزلت فيه آياتٌ من القرآن. قال: حَلفتْ أم سعدٍ أن لا تُكلّمه أبداً حتى يكفُرَ بدينه، ولا تأكلَ ولا تشربَ، قالت: زعمتَ أن الله وصاك بوالديك، وأنا أمك وأنا آمرُ بهذا، قال: مكثتْ ثلاثاً حتى غُشِيَ عليها من الجَهْد، فقام ابنٌ لها يقال له: عِمارةٌ فسقاها فجعلت تدعو على سعد، فأنزل الله عز وجل في القرآن: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى﴾ [العنكبوت: ٨]. وقال تعالى: ﴿وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ﴾ [لقمان: ١٥].

---

(١) عند مسلم في صحيحه (٤/ ١٨٨٠ رقم .../٢٤١٧).
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٦/ ٨١ رقم ٢٨٨٥).
ومسلم في صحيحه (٤/ ١٨٧٥) رقم (٣٩/ ٢٤١٠).
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٧/ ٣٥٨ رقم ٤٠٥٩).
ومسلم في صحيحه (٤/ ١٨٧٦ رقم ٤١/ ٢٤١١).
(٤) أخرجه مسلم في صحيحه (٤/ ١٨٧٦ رقم ٢٤١٢).
(٥) أي في صحيح مسلم (٤/ ١٨٧٧ رقم ٤٣/ ١٧٤٨).

قال: وأصابَ رسولُ الله ﷺ غنيمةً عظيمةً فإذا فيها سيفٌ، فأخذتُه فأتيتُ به رسولَ اللَّهِ ﷺ فقلتُ: نفِّلني هذا السيفَ فأنا من قد علِمْتَ حالَه، فقال: «**ردَّه من حيث أخذتَه**»، فانطلقتُ حتى إذا أردتُ أن أُلقِيَه في القبض لامتْني نفسي فرجَعتُ إليه فقلتُ: أعطِنيه. قال: فشَدَّ لي صوتَه: «**ردَّه من حيث أخذتَه**»، قال: فأنزل اللَّهُ عز وجل: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ﴾ [الأنفال: ١].

قال: ومرِضتُ فأرسلتُ إلى النبي ﷺ فأتاني فقلتُ: دعني أقسمُ مالي حيث شئتَ. قال: فأبى. قلت: فالنصفَ، قال: فأبى، قلت: فالثلثَ، قال: فسكت فكان يعدّ الثلثَ جائزاً، قال: وأوتيتُ على نفر من الأنصار والمهاجرين فقالوا: تعال نُطعمك ونَسقيك خمراً، وذلك قبل أن تحرّم الخمر، قال: فأتيتُهم في حُشّ - والحشُّ البُستانُ - فإذا رأسُ جزورٍ مشويٌّ عندهم وزِقٌّ من خمر، قال: فأكلتُ وشربتُ معهم، قال: فذكرتُ الأنصارَ والمهاجرين عندهم فقلت: المهاجرون خيرٌ من الأنصار، قال: فأخذ رجلٌ أحدَ لَحيَيْ الرأسِ فضربني به فجرح بأنفي، فأتيتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ فأخبرتُه، فأنزل الله عز وجل فيَّ - يعني نفسَه - بشأن الخمر: ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ [المائدة: ٩٠].

وعنه[1] رضي الله عنه قال: كنّا مع النبي ﷺ ستةَ نفرٍ، فقال المشركون للنبي ﷺ: اطرُدْ هؤلاء لا يجترئون علينا. قال: وكنتُ أنا وابنُ مسعودٍ ورجلٌ من هُذيلٍ وبلالٌ ورجلان لستُ أسمّيهما، فوقع في نفسِ رسولِ الله ﷺ ما شاء اللَّهُ أنْ يقعَ فتحدّث في نفسه، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الأنعام: ٥٢].

وعن أنس[2] رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**إن لكل أمةٍ أميناً وإن أمينَنا أيتها الأمةُ أبو عبيدةَ بنُ الجراح**».

وعنه[3] رضي الله عنه أن أهلَ اليمنِ قدموا على رسولِ الله ﷺ فقالوا: ابعَث معنا

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٤/ ١٨٧٨ رقم ٤٦/ ٢٤١٣).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٧/ ٩٣ - ٩٤ رقم ٣٧٤٤).
ومسلم في صحيحه (٤/ ١٨٨١ رقم ٥٣/ ٢٤١٩).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه (٤/ ١٨٨١ رقم ٥٤/ ٢٤١٩).

رجلاً يعلمنا السنةَ والإسلامَ، قال: فأخذ بيد أبي عُبيدةَ فقال: **«هذا أمينُ هذه الأمة»**.

وعن حذيفة[1] ﷺ قال: جاء أهلُ نجرانَ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ فقالوا: يا رسولَ اللَّهِ ابعَثْ إلينا رجلاً أميناً فقال: **«لأبعثنَّ إليكم رجلاً أميناً حقَّ أمينٍ حقَّ أمين»**. قال: فاستشرف لها الناسُ، قال: فبعث أبا عبيدةَ بنَ الجراحِ.

وروى ابنُ إسحاقَ[2] في قصة خالدٍ مع بني جَذيمةَ فقال له عبدُ الرحمن: عمِلتَ بأمر الجاهلية في الإسلام. فقال: إنما ثأرتُ بأبيك، فقال عبدُ الرحمنِ: كذبتَ قد قتلتَ قاتلَ أبي ولكنك ثأرتَ بعمك الفاكِهَ بنِ المغيرة، حتى كان بينهما شرٌّ، فبلغ ذاك رسولَ الله ﷺ فقال: **«مهلاً يا خالدُ، دعْ عنك أصحابي، فوالله لو كان لك أُحدٌ ذهباً ثم أنفقتَه في سبيل الله ما أدركتَ غَدوةَ رجلٍ من أصحابي ولا رَوْحةً»**.

(وسائر الصحبِ) بقيتُهم **(الكرامِ البررة)** الذين هم خيرُ القرونِ من هذه الأمة، اختارَهم اللَّهُ تعالى لصُحبة نبيِّه ونُصرةِ دينِه، ثم هم على مراتبهم.

أفضلُهم السابقون الأولون من المهاجرين، ثم الأنصار، ثم أهلُ بدر، ثم أهلُ أحد، ثم أهلُ الثباتِ في غزوةِ الأحزابِ التي نجَم فيها النفاقُ، ثم بيعةُ الرضوانِ، ثم من هاجر من قبل الفتحِ وقاتل أعظمُ درجةً من الذين أنفقوا من بعدُ وقاتلوا، وكلاًّ وعد اللَّه الحسنى.

[الكلامُ على أمهات المؤمنين وسائر أهل البيت]

(وأهلُ بيتِ المصطفى الأطهارِ ... وتابعيه السادةِ الأخيارِ)

(فكلُّهم في محكم القرآنِ ... أثنى عليهم خالقُ الأكوان)

(في الفتح والحديدِ والقتالِ ... وغيرِها بأكملِ الخصال)

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٧/ ٩٣ رقم ٣٧٤٥).
ومسلم في صحيحه (٤/ ١٨٨٢ رقم ٥٥/ ٢٤٢٠).

(٢) في «السيرة النبوية» (٤/ ١٠٤).
وأخرجه مسلم في صحيحه (٤/ ١٩٦٧ رقم ٢٢٢/ ٢٥٤١).

كـذاك فـي الـتـوراة والإنـجـيـلِ صـفـاتُـهـم مـعـلـومـةُ الـتـفـصـيـل)
(وذكـرُهـم فـي سـنـة الـمـخـتـارِ قد سـار سيرَ الشمس في الأقطار)

(وأهلُ بيت) الرسولِ محمدٍ ﷺ **(المصطفى)** تقدم معناه.

(المختار) اسمُ مفعولٍ من الاختيار بمعنى التفضيل، وهن زوجاتُه اللاتي هن أمهاتُ المؤمنين كما قال الله تعالى فيهن: ﴿وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾ [الأحزاب: ٦]. وخيّرهن الله تعالى بين إرادةِ زينةِ الحياة الدنيا وبين إرادةِ اللَّهِ ورسولِه، فاختَرْنَ اللَّهَ تعالى ورسولَ اللَّهِ ﷺ:

وقال اللَّهُ تعالى فيهن: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ﴾ [الأحزاب: ٣٣ ـ ٣٤]. وهن زوجاته في الدنيا والآخرة.

فمنهن خديجةُ أمُّ المؤمنين الصدّيقةُ الأولى التي هي أولُ من صدّقه ﷺ فيما بُعث به على الإطلاق قبل كلِّ أحدٍ ﵂، وقرأ جبريلُ عليها السلامَ من ربِّها وبشّرها ببيت في الجنة من قصَب[١]، لا صخَبَ فيه ولا وصَبَ، وما زالت تُؤْويه وتسكّن جأشَه وتعاضِدُه بالنفس والمالِ حتى توفاها اللَّهُ عز وجل.

وعائشةُ[٢] ﵂ الصّدّيقةُ بنتُ الصدّيقِ، حبيبةُ حبيبِ الله ﷺ المبّرأةُ من فوق سبعِ سمواتٍ[٣] بأربعَ عشْرةَ آيةً تتلى في المحاريب والكتاتيب في كل زمانٍ ومكان، التي كان ينزل الوحيُ عليه وهو في حِجْرها، وتُوفّيَ في حِجْرها، وقد خُلطَ[٤] ريقُها بريقه ﷺ في آخر ساعةٍ من الدنيا وأوّلِها من الآخرة، ودُفن في

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٧/ ١٣٣ ـ ١٣٤ رقم ٣٨٢٠).
ومسلم في صحيحه (٤/ ١٨٨٧ رقم ٧١/ ٢٤٣٢).
من حديث أبي هريرة ﵁ قال: «أتى جبريلُ النبيَّ ﷺ فقال: **يا رسول الله! هذه خديجة قد أتتك معها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب. فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها عزَّ وجل ومنّي وبشِّرها ببيت في الجنة من قصَب لا صخب فيه ولا نصب**».
(٢) انظر ترجمتها في: «طبقات ابن سعد» (٨/ ٥٨ ـ ٨١) و«أُسد الغابة» (٧/ ١٨٨) و«الاستيعاب» (٤/ ٤٣٥ ـ ٤٣٩) و«حلية الأولياء» (٢/ ٤٣).
(٣) أخرجه البخاري رقم (٤٧٥٠)، ومسلم رقم (٢٧٧٠).
(٤) أخرجه البخاري رقم (٤٤٥٠) ومسلم مختصراً رقم (٢٤٤٣).

حُجرتها، وكانت من أفقه الصحابةِ في الحديث والتفسيرِ وغير ذلك، حتى كان الأكابرُ من أصحابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ يسألونها عن أشياءَ كثيرةٍ فيجدون منها عندها علماً، لا سيما ما قاله الرسولُ ﷺ أو فعله في الحضَر، أقرأها جبريلُ[1] السلامَ أيضاً كما أقرأه على خديجة.

ومنهنّ أمُّ سلمةَ[2] رضي الله عنها ذاتُ الهجرتين[3] مع زوجها أبي سلمةَ إلى الحبشة ثم إلى المدينة ثم تزوجها[4] نبيُّ الله ﷺ بعد وفاة زوجها رضي الله عنه، وقد رأت[5] جبريلَ عند النبيِّ ﷺ في صورة دِحْيةَ بنِ خليفةَ رضي الله عنه.

ومنهن زينبُ[6] أمُّ المؤمنين التي زوَّجه اللَّهُ إياها من فوق سبع سمواتٍ[7]، وهي أطولهن يداً لإنفاقِها من كسبِ يدِها، وأسرعهن لحوقاً به ﷺ[8]، وبسببها نزل الحجابُ[9].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٧/١٠٦ رقم ٣٧٦٨).
ومسلم في صحيحه (٤/١٨٩٥ رقم ٩٠/٢٤٤٧).
ولفظه: قالت عائشة رضي الله عنها: «قال رسول الله ﷺ: **يا عائشُ هذا جبريل يقرئك السلامُ**»، فقلت: وعليه السلام ورحمة الله وبركاته، ترى ما لا أرى، تريد رسول الله ﷺ.

(٢) انظر ترجمتها في: «الاستيعاب» (٤/٤٩٣) و «طبقات ابن سعد» (٨/٨٦ ـ ٩٦) و «أسد الغابة» (٧/٣٤٠).

(٣) انظر: سيرة ابن هشام» (١/٣٩٨) و (٤/١٢٢ ـ ١٢٤).

(٤) انظر: «سيرة ابن هشام» (٤/٣٨٩).

(٥) أخرجه البخاري (٦/٦٢٩ رقم ٣٦٣٤).
ومسلم (٤/١٩٠٦ رقم ٢٤٥١).

(٦) انظر ترجمتها في: «طبقات ابن سعد» (٨/١٠١ ـ ١١٥) و «أسد الغابة» (٧/١٢٥) و «الاستيعاب» (٤/٤٠٦ ـ ٤٠٨).

(٧) أخرجه مسلم رقم (١٤٢٨) والنسائي (٦/٧٩ ـ ٨٠) وأحمد في «المسند» (٣/١٩٥ ـ ١٩٦) وأبو يعلى (٦/٧٧ ـ ٧٨).
وهو حديث صحيح.

(٨) أخرجه البزار (٣/٢٤٣ رقم ٢٦٦٧ ـ كشف).
وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/٢٤٨) وقال: «رواه البزار ورجاله رجال الصحيح» اهـ.

(٩) أخرجه البخاري رقم (٧٤٢١) وأحمد (٣/٢٢٦) من حديث أنس.

وصَفيةُ بنتُ حُيَيٍّ[1] من ولد هارونَ بنِ عمرانَ رسولِ الله وأخي رسوله موسى الكليمِ عليهما السلام.

وجُويريةُ بنتُ الحارث[2] مَلِك بني المُصطلق التي كانت هي السببَ في عتق السبْيِ من قبيلتها[3].

وسودةُ بنتُ زمعةَ[4] التي كانت أيضاً من أسباب الحجاب، ولما كبِرت اختارت نبيَّ الله عز وجل أن تبقى في عصمة نكاحِه، ووهبت يومَها لعائشةَ تستحقه مع قسْمِها[5].

وأم حبيبةَ ذاتُ الهجرتين أيضاً، وميمونةُ بنتُ الحارثِ الهلاليةُ رضي الله عنها التي نكحها النبي ﷺ في عُمرة القضاء وهما حلالان على ما حدثت به هي والسفيرُ بينهما. وكلُهن زوجاتُه في الدنيا والآخرة رضي الله عنهن.

ويدخل أهلُ بيته في هذه الآيةِ من بابِ أولى بل بنص الحديثِ الخمسةُ الذين جلَلهم النبيُّ ﷺ بكسائه كما في صحيح مسلم[6] عن عائشةَ رضي الله عنها قالت: خرج النبيُّ ﷺ غداةً وعليه مُرْطٌ مرحلٌ من شعر أسودَ، فجاء الحسنُ بنُ عليّ فأدخله ثم جاء الحسينُ فدخلَ معه ثم جاءت فاطمةُ فأدخلها ثم جاء عليٌّ فأدخله ثم قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣].

---

(١) انظر: ترجمتها في «الاستيعاب» (٤/ ٤٢٦ ـ ٤٢٧) و «طبقات ابن سعد» (٨/ ١٢٠ ـ ١٢٩) و «أسد الغابة» (٧/ ١٦٩).

(٢) انظر: ترجمتها في «الاستيعاب» (٤/ ٣٦٦ ـ ٣٦٧) و «طبقات ابن سعد» (٨/ ١١٦ ـ ١٢٠) و «أسد الغابة» (٧/ ٥٦).

(٣) أخرجه البخاري (٥/ ١٧٠ رقم ٢٥٤١) ومسلم (٣/ ١٣٥٦ رقم ١٧٣٠) من حديث ابن عمر.
وأخرجه أحمد (٦/ ٢٧٧) وأبو داود في «السنن» رقم (٣٩٣١) من حديث عائشة رضي الله عنها.
وهو حديث حسن.

(٤) انظر: ترجمتها في «الاستيعاب» (٤/ ٤٢١ ـ ٤٢٣) و «أسد الغابة» (٧/ ١٥٧) و «طبقات ابن سعد» (٨/ ٥٢ ـ ٥٨).

(٥) أخرجه البخاري (٩/ ٣١٢ رقم ٥٢١٢).
ومسلم (٢/ ١٠٨٥ رقم ١٤٦٣) من حديث عائشة.

(٦) (٤/ ١٨٨٣ رقم ٦١/ ٢٤٢٤).

ويدخل في أهل بيته آلُه الذين حُرّمت عليهم الصدقةُ: بنو هاشم وبنو المطلب كما في الصحيح[1] عن يزيدَ بنِ حيان قال: انطلقتُ أنا وحُصينُ بنُ سبرةَ وعمرُ بنُ مسلم إلى زيد بن أرقم، فلما جلسنا إليه قال له حُصينٌ: لقد لقيتَ يا زيد خيراً كثيراً، رأيتَ رسولَ الله ﷺ وسمعتَ حديثَه وغدوتَ معه وصلَّيتَ خلفَه، لقد لقيتَ يا زيدُ خيراً كثيراً، حدِّثنا يا زيدُ ما سمعتَ من رسولِ الله ﷺ، قال: يا ابنَ أخي واللَّهِ لقد كبرت سني وقدُم عهدي ونسِيتُ بعضَ الذي كنتُ أعرفُ من رسولِ الله ﷺ، فما حدثتكم فاقبلوا وما لا فلا تكلِّفونيه.

ثم قال: قامَ رسولُ الله ﷺ يوماً فينا خطيباً بما يُدعى خُمّاً بين مكةَ والمدينةَ، فحمِد الله وأثنى عليه ووعَظ وذكّر ثم قال: **«أما بعدُ ألا أيها الناسُ فإنما أنا بشرٌ مثلُكم يوشك أن يأتيَ رسولُ ربي فأجيبَ، وأنا تاركٌ فيكم ثَقلينِ أولُهما كتابُ اللَّهِ فيه الهدى والنُّور، فخذوا بكتاب اللَّهِ واستمسكوا به»**، فحثّ على كتاب اللَّهِ تعالى ورغّب فيه ثم قال: **«وأهلُ بيتي، أُذكّركُم اللَّهَ في أهلِ بيتي، أُذكركم اللَّهَ في أهلِ بيتي، أذكركم اللَّهَ في أهل بيتي»**.

فقال له حُصينٌ: ومن أهلُ بيته يا زيدُ؟ أليس نساؤُه من أهلِ بيته؟ قال: نساؤُه من أهل بيته، ولكنّ أهلَ بيتِه مَن حُرم الصدقةَ بعده، قال: ومَن هم؟ قال: هم آلُ عليٍّ وآلُ عقيلٍ وآلُ جعفرٍ وآل عباس، قال: كلُ هؤلاء حُرم الصدقةَ؟ قال: نعم.

وفي رواية[2]: أحدُهما كتابُ الله عز وجل هو حبلُ اللَّهِ من اتبعه كان على الهدى ومن تركه كان على ضلالة.

وفيه[2]: فقلنا مَن أهلُ بيتِه، نساؤُه؟ قال: لا وايمُ الله، إن المرأةَ تكون مع الرجل العصْرَ من الدهر ثم يطلِّقُها فترجِع إلى أبيها وقومِها، أهلُ بيته أصلُه وعَصَبته الذين حُرموا الصدقةَ بعده.

وفي الصحيح[3] أيضاً عن المِسْور بن مَخْرمةَ قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: **«إنما فاطمةُ بَضْعةٌ مني يؤذيني ما آذاها»**.

---

(١) عند مسلم (٤/١٨٧٣ رقم ٣٦/٢٤٠٨).
(٢) عند مسلم في صحيحه (٤/ ١٨٧٤ رقم ٣٧/٢٤٠٨).
(٣) عند مسلم (٤/١٩٠٣ رقم ٩٤/٢٤٤٩).

وفيه[1] عن عائشةَ ﵂ قالت: اجتمع نساءُ النبيِّ ﷺ فلم يغادر منهن امرأةٌ فجاءت فاطمةُ تمشي كأن مشيتِها مشيةُ رسولِ اللّه ﷺ فقال: «**مرحباً بابنتي**»، فأجلسها عن يمينه أو عن شماله ثم إنه أسرَّ إليها حديثاً فبكت فاطمةُ، ثم إنه سارَّها فضحكت أيضاً، فقلت لها: ما يبكيكِ؟ فقالت: ما كنت لأفشي سرَّ رسولِ الله ﷺ. فقلت: ما رأيتُ كاليوم فرحاً أقربَ من حَزَن.

فقلت لها حين بكت: أخَصّك رسولُ الله ﷺ بحديثه دوننا ثم تبْكين، وسألتها عما قال فقالت: ما كنت لأفشي سرَّ رسولِ الله ﷺ. حتّى إذا قُبض سألتُها فقالت: إنه كان حدثني أن جبريلَ كان يعارضُه بالقرآن كلَّ عام مرةً وإنه عارضَه به في العام مرتين ولا أُراني إلا قد حضر أجلي، وإنك أولُ أهلي لحوقاً بي ونعم السلفُ أنا لكِ فبكِيتُ لذلك، ثم إنَّه سارني فقال: ألا ترضين أن تكوني سيدةَ نساء المؤمنين أو سيدة نساء هذه الأمة؟ فضحِكتُ لذلك.

وفيه[2] عن أبي هريرةَ ﵁ عن النبي ﷺ أنه قال لحسَنٍ: «**اللهم إني أُحبُّه فأَحِبَّه وأحببْ من يُحبُّه**» ونحوُه عن براءِ بن عازبٍ[3].

وفيه[4] عن أبي بكرةَ ﵁ سمعتُ النبيَّ ﷺ على المنبر والحسنُ إلى جنبه ينظُر إلى الناس مرةً وإليه مرةً يقول: «**ابني هذا سيدٌ ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين**».

وفيه[5] عن أسامةَ بنِ زيدٍ ﵄ عن النبي ﷺ أنه كان يأخذه والحسنَ ويقول: «**اللهم إني أُحِبُّهما فأحبَّهما**»، أو كما قال.

= قلت: وأخرجه البخاري (٧/ ٧٨ رقم ٣٧١٤) بنحوه.

(١) عند مسلم (٤/ ١٩٠٥ رقم ٩٩/ ٢٤٥٠).
قلت: وأخرجه البخاري (٧/ ٧٨ رقم ٣٧١٥) مختصراً.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٤/ ٣٣٩ رقم ٢١٢٢).
ومسلم في صحيحه (٤/ ١٨٨٢ رقم ٥٦/ ٢٤٢١).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٧/ ٩٤ رقم ٣٧٤٩).
ومسلم في صحيحه (٤/ ١٨٨٤ رقم ٥٨/ ٢٤٢٢).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (٧/ ٩٤ رقم ٣٧٤٦).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه (٧/ ٩٤ رقم ٣٧٤٧).

وللترمذي[1] عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«الحسنُ والحسينُ سيِّدا شبابِ أهلِ الجنةِ»**. وقال حسنٌ[2] صحيح.

وفي الصحيح[3] عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبيَّ ﷺ قال: **«إن الحسنَ والحسينِ ريحانتاي من الدنيا»**.

وللترمذي[4] - وقال حسن - عن بُريدةَ قال: كان رسولُ اللَّهِ ﷺ يخطبُنا إذ جاء الحسنُ والحسينُ عليهما قميصان أحمرانِ يمشيان ويعثُران، فنزل رسولُ الله ﷺ من المنبر فحملهما ووضعهما بين يديه ثم قال: **صدق الله**: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن: ١٥]، **نظرتُ إلى هذين الصبيَّين يمشيان ويعثُران فلم أصبْر حتى قطعتُ حديثي ورفعتهما**.

وله[5] عن علي رضي الله عنه قال: الحسنُ أشبهُ برسول اللَّهِ ﷺ ما بين الصدرِ إلى الرأسِ، والحسينُ أشبه برسولِ الله ﷺ ما كان أسفلَ من ذلك. هذا حديث حسنٌ غريب.

---

(١) في «السنن» (٥/ ٦٥٦ رقم ٣٧٦٨) وقال: **هذا حديث حسن صحيح**.
قلت: وأخرجه الحاكم في «المستدرك» (٣/ ١٦٦ - ١٦٧) والطبراني في «الكبير» (٣/ ٣٨ رقم ٢٦١٢) وأبو نعيم في «الحلية» (٥/ ٧١) وأحمد (٣/ ٣، ٦٢، ٦٤، ٨٠، ٨٢).
وهو حديث صحيح.

(٢) في «السنن» (٥/ ٦٥٦).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٧/ ٩٥ رقم ٣٧٥٣) وطرفه رقم (٥٩٩٤).

(٤) في «السنن» (٥/ ٦٥٨ رقم ٣٧٧٤) وقال: **هذا حديث حسن غريب**.
إنما نعرفه من حديث الحسين بن واقد.
قلت: وأخرجه أبو داود في «السنن» (١/ ٦٦٣ - ٦٦٤ رقم ١١٠٩) والنسائي (٣/ ١٠٨) وأحمد (٥/ ٣٥٤) والحاكم في «المستدرك» (١/ ٢٨٧) وقال: **صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي**.
والبيهقي (٣/ ٢١٨) وابن حبان في صحيحه (١٣/ ٤٠٣ رقم ٦٠٣٩).
وهو حديث صحيح.

(٥) أي للترمذي في «السنن» (٥/ ٦٦٠ رقم ٣٧٧٩) وقال: **هذا حديث حسن صحيح غريب**.
قلت: وأخرجه أحمد في «المسند» (١/ ٩٩، ١٠٨) وفي «الفضائل» رقم (١٣٦٦). **وهو حديث ضعيف**.

[الكلام على التابعين]

(وتابعيه) تابعو الرسولِ ﷺ وأصحابِه **(السادة)** من ساد يسود **(الأخيار)** على مراتبهم كما قال الله تعالى فيهم على الترتيب: ﴿وَالسَّٰبِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَٰجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠]. الآية.

وقال تعالى في سورة الجمعة في ذكر التابعين بعد ذكر الصحابةِ: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَٰبَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢]. هذا في الصحابة، ثم قال في التابعين: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝٣ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ۝٤﴾ [الجمعة]. وغير ذلك من الآيات.

وفي صحيح مسلم[1] عن أبي هريرةَ رضي الله عنه أن رسولَ الله ﷺ أتى المقبرةَ فقال: «**السلام عليكم دارَ قومٍ مؤمنين، وإنا إن شاء اللَّهُ بكم لاحقون، ودِدْتُ أن قد رأينا إخوانَنا**». قالوا: أولسنا إخوانك يا رسولَ الله، قال: «**أنتم أصحابي وإخوانُنا الذين لم يأتوا بعدُ**» الحديث.

في المسند[2] عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ودِدتُ أني لقيتُ إخواني**» قال: فقال أصحابُ النبيِّ ﷺ: نحن إخوانُك، قال: «**أنتم أصحابي ولكن إخواني الذين آمنوا بي ولم يرَوني**» إسناده حسنٌ وقد صُحِّح.

وفيه[3] عن أبي أمامةَ وأنس بنِ مالكٍ رضي الله عنهما قالا: قال رسولُ الله ﷺ: «**طوبى**

---

(١) (٢١٨/١ رقم ٢٤٩/٣٩).

(٢) أخرجه أحمد (١٥٥/٣) **بإسناد صحيح**.

قلت: وأخرج مسلم في صحيحه (٢١٨/١ رقم ٢٤٩/٣٩) من حديث أنس رضي الله عنه مطولاً بنحوه.

(٣) في مسند أحمد (١٥٥/٣).

قلت: وأخرجه أبو يعلى في «المسند» رقم (٣٣٩١) وابن عدي في «الكامل» (٩٧٧/٣) والخطيب في «تاريخ بغداد» (٣٠٦/٣) و (٢٠٠/٦) و (١٢٧/١٣).

* وله شاهد من حديث أبي سعيد الخدري أخرجه أحمد (٧١/٣) وأبو يعلى رقم (١٣٧٤) والخطيب في «تاريخ بغداد» (٩١/٤) **بسند ضعيف**.

* وآخر من حديث ابن عمر عند الطيالسي رقم (١٨٤٥) عن العمري، وابن عدي في=

لمن رآني وآمن بي، وطوبى لمن آمن بي ولم يرَني» سبعَ مرات.

وروى الحاكم[1] وغيرُه عن عبد الرحمن بنِ يزيدَ قال: كنا عند عبد اللَّهِ بنِ مسعودٍ جلوساً فذكرنا أصحابَ النبيِّ ﷺ وما سبقونا به، فقال عبدُ الله: إن أمْرَ محمدٍ ﷺ كان بيِّناً لمن رآه، والذي لا إله غيرُه ما آمن أحدٌ قطُّ إيماناً أفضلَ من إيمان بغيب، ثم قرأ: ﴿الٓمٓ ۞ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۞ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ إلى قوله: ﴿ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ١ ـ ٥]. وقال على شرطهما.

وبالجملة:

(فكلُّهم في محكم القرآنِ أثنى عليهم خالقُ الأكوانِ)

في مواضعَ من كتابه **(كالفتح)** أي سورة الفتحِ من أولها إلى آخرها، (و) سورة **(الحديد)** كقوله تعالى فيها: ﴿ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [الحديد: ٧ ـ ١٠] الآيات.

(و) سورة **(القتال)** كقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُوا۟ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۙ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ۞ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ ۚ﴾ [محمد: ٢ ـ ٣]. الآيات.

(و) سورة **(الحشر)** إلى آخرها، وقد رتب تعالى الصحابةَ على منازلهم

= «الكامل» (٤/ ١٤٢٧) من طريق طلحةَ بن عمرو، كلاهما عن نافع عن ابن عمر.
وأورده الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ٦٧) وقال: «رواه الطبراني وفيه محمد بن القاسم الأسدي الكوفي وهو مجمع على ضعفه».
قلت: والعمري، وطلحة بن عمرو ضعيفان.
* وثالث: عن أبي عبد الرحمن الجهني عند أحمد (٤/ ١٥٢).
وأورده الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ٦٧) وقال: «رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن إسحاق وقد صرح بالسماع».
وخلاصة القول أن الحديث حسنٌ لغيره، والله أعلم.

(١) في «المستدرك» (٢/ ٢٦٠) وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي. وقد تقدم.

وتفاضلهم ثم أردفهم بذكر التابعين فقال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ۝٨ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٩ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝١٠﴾ [الحشر].

أخرج اللَّهُ بهذه الآيةِ وغيرِها شاتِمَ الصحابةِ من جميع الفرق الذين في قلوبهم غِلٌ لهم إلى يوم القيامة، ولهذا منعهم كثيرٌ من الأئمة الفيء وحرَّموه عليهم.

(و) في سورة (**التوبة و**) في سورة (**الأنفال**) بكمالها تارةً في الثناء عليهم وتارة في تحذيرهم من عدوِّهم، ووصْفِ المشركين والمنافقين بأنواعهم، وسمَّاهم ليحذروهم، وتارةً في حثِّهم على الطاعة والجماعةِ والجهادِ في سبيل الله والإثخانِ في الكفار والثباتِ لهم عند لقائِهم إياهم وعدم فرارهم منهم، ووعْدِه تعالى إياهم بالنصر على عدوهم، وتارةً بتذكيرهم بنعم اللَّهِ عليهم وامتنانه عليهم أنْ هداهم للإسلام وجنّبهم السُبلَ المُضِلّةَ، وألَّف بين قلوبهم وآواهم وأيدهم بنصره بعد إذ كانوا مستضعفين أذلةً، وتارةً يخبرهم ويَهيجُهم ويشوّقهم بما أعد لهم في الدار الآخرةِ على قيامهم بطاعته تعالى وطاعةِ رسولِه، وجهادِهم بأموالِهم في سبيله وله الحمدُ والمنة، وغيرُ ذلك من سور القرآنِ وآياتِه.

(**كذاك في التوراة**) الكتابُ المنزلُ على موسى عليه السلام، (**و**) في (**الإنجيل**) الكتابُ المنزلُ على عيسى عليه السلام (**صفاتُهم**) التي جعلهم اللَّهُ عليها (**معلومةُ التفصيل**) كما أخبر الله تعالى عن ذلك بقوله عز وجل: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ﴾ [الفتح: ٢٩] ﷺ ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ﴾ [الفتح: ٢٩].

هنا تم الكلام. ثم قال تعالى: ﴿وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾ [الفتح: ٢٩].

وتقدم قولُ الأُسقفِ[1] لعمرَ وصفةُ الخلفاءِ ﷺ وغير ذلك.

(وذكرهم) بالمناقب الجمّةِ والفضائل الكثيرة **(في سنة المختار)** محمدٍ ﷺ عموماً وخصوصاً من الأحاديث الصحاحِ والحِسان، **(قد سار)** انتشر وأُعلن **(سيرَ الشمس في الأقطار)** تمثيلاً لشهرة فضائِلهم ووضوحِها لا تُحصيها الأسفارُ الكبار.

وفي الصحيح[2] عن أبي بردةَ عن أبيه ﷺ قال: صليتُ المغربَ مع رسولِ الله ﷺ ثم قلنا: لو جلسنا حتى نصليَ معه العشاءَ، فجلسنا فخرج علينا فقال: **«ما زلتم ههنا»**، قلنا: يا رسولَ الله صلينا معك المغربَ ثم قلنا نجلِس حتى نصلي معك العشاء، قال: **«أحسنتم»** أو **«أصبتم»**، قال: فرفعَ رأسَه إلى السماء وكان كثيراً ما يرفع رأسَه إلى السماء فقال: **«النجومُ أَمَنةُ السماء، فإذا ذهبت النجومُ أتى السماءَ ما تُوعَد، وأنا أَمَنةٌ لأصحابي هؤلاء فإذا ذهبتُ أتى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أَمَنةٌ لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون»**.

وفيه[3] عن أبي سعيد ﷺ عن النبيِّ ﷺ قال: **«يأتي على الناس زمانٌ يغزو فِئامٌ من الناس فيقال لهم: فيكم من رأى رسولَ الله ﷺ؟ فيقولون: نعم، ثم يغزو فِئامٌ من الناسِ فيقال لهم: فيكم من رأى من صحِبَ رسولَ الله ﷺ؟ فيقولون: نعم، فيُفتح لهم، ثم يغزو فِئامٌ من الناسِ فيقال لهم: هل فيكم من رأى مَن صحِبَ مَن صحِبَ رسولَ الله ﷺ؟ فيقولون: نعم، فيُفتح لهم»**.

وعن ابن مسعودٍ[4] ﷺ قال: سُئلَ رسولُ الله ﷺ أيُّ الناسِ خيرٌ؟ قال: **«أقراني ثم الذين يلونَهم ثم الذين يلونَهم، ثم يجيء قومٌ تَبدُر شهادةُ أحدِهم يمينَه وتبدُر يمينُه شهادتَه»**.

وعن أبي هريرةَ[5] ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«خيرُ أمتي القرنُ الذي**

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أي صحيح مسلم (٤/ ١٩٦١ رقم ٢٠٧/ ٢٥٣١).

(٣) أي صحيح مسلم (٤/ ١٩٦٢ رقم ٢٠٨/ ٢٥٣٢).
قلت: وأخرجه البخاري في صحيحه (٧/ ٣ رقم ٣٦٤٩).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (٧/ ٣ رقم ٣٦٥١).
ومسلم في صحيحه (٤/ ١٩٦٢ رقم ٢١٠/ ٢٥٣٣).

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه (٤/ ١٩٦٣ رقم ٢١٣/ ٢٥٣٤).

بُعثتُ فيه، ثم الذين يلونهم» والله أعلمُ أذكر الثالثَ أم لا: **«ثم يخلُف قومٌ يُحبون السِّمانة، يشهدون قبل أن يُستَشهدوا»**.

وعن عِمرانَ بنِ حُصينٍ[1] رضي الله عنهما أن رسولَ الله ﷺ قال: **«إن خيرَكم قَرني ثم الذين يلونَهم ثم الذين يلونَهم ثم الذين يلونهم»**. قال عمرانُ[1]: فلا أدري أقال رسولُ الله ﷺ بعد قرْنِه مرتين أو ثلاثاً: **«ثم يكون بعدهم قومٌ يَشهدون ولا يُستشهدون، ويخونون ولا يؤتمنون، ويَنذِرون ولا يُوفون، ويظهر فيهم السِمَنُ»**، زاد في رواية: **«ويحلِفون ولا يُستحلفون»**.

وعن عائشةَ[2] رضي الله عنها قالت: سأل رجلٌ النبيَّ ﷺ أيُّ الناسِ خيرٌ؟ قال: **«القَرنُ الذي أنا فيه ثم الثاني ثم الثالث»**.

وعن أبي هريرة[3] رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«لا تسبُّوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أن أحدَكم أنفق مثلَ أُحدٍ ذهباً ما أدرك مدَّ أحدِهم ولا نصيفَه»**.

وعن أبي سعيد[4] رضي الله عنه قال: كان بينَ خالدِ بنِ الوليدِ وبين عبدِ الرحمنِ بنِ عوفٍ شيءٌ فسبّه خالدٌ، فقال رسولُ الله ﷺ: **«لا تسبوا أحداً من أصحابي، فإن أحدَكم لو أنفق مثلَ أُحدٍ ذهباً ما أدرك مدَّ أحدِهم ولا نصيفَه»**.

وفي الصحيحين[5] من حديث عليٍّ رضي الله عنه في قصةِ كتابِ حاطبٍ مع الظعينة ـ وفيه[5] ـ فقال عمر: إنه قد خان اللَّهَ ورسولَه فدعني فلأضرِبْ عنقَه، فقال: **«أليس من أهل بدر»**؟ فقال ﷺ: **«لعل اللَّهَ اطلع على أهل بدرٍ فقال: اعمَلوا ما شئتم فقد وجبت لكم الجنة»** أو **«فقد غفرت لكم»** فدمَعتْ عينا عمرَ رضي الله عنه وقال: اللَّهُ ورسولُه أعلمُ.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٣/٧ رقم ٣٦٥٠).
ومسلم في صحيحه (٤/ ١٩٦٤ رقم ٢١٤/ ٢٥٣٥).
(٢) أخرجه مسلم في صحيحه (٤/ ١٩٦٥ رقم ٢١٦/ ٢٥٣٦).
(٣) أخرجه مسلم في صحيحه (٤/ ١٩٦٧ رقم ٢٢١/ ٢٥٤٠).
(٤) أخرجه البخاري (٧/ ٢١ رقم ٣٦٧٣) ومسلم (٤/ ١٩٦٧ رقم ٢٢٢/ ٢٥٤١).
(٥) أخرجه البخاري (٧/ ٥١٩ رقم ٤٢٧٤).
ومسلم في صحيحه (٤/ ١٩٤١ رقم ١٦١/ ٢٤٩٤).

وعن البراء بن عازبٍ[1] رضي الله عنه قال: حدثني أصحابُ محمدٍ ﷺ ممن شهد بدراً أنهم كانوا عدةَ أصحابِ طالوتَ الذين جاوزوا معه النهرَ: بضعةَ عشرَ وثلاثمائةَ، قال البراء: لا والله ما جاوز معه النهر إلا مؤمنٌ.

وعن أنس بنِ مالكٍ[2] رضي الله عنه: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ [الفتح: ١]. قال: الحديبية، قال أصحابُه: هنيئاً مريئاً فما لنا؟ فأنزل الله تعالى: ﴿لِّيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [الفتح: ٥]. وكلُ هذا في الصحيح.

وروى التِرمذيُّ[3] عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: **«لا يدخل النارَ أحدٌ ممن بايع تحت الشجرةَ»**. وقال الترمذي: حسن صحيح.

وقد وردت أحاديثُ في فضائل الصحابةِ والتابعين رضي الله عنهم منها عامةٌ ومنها خاصٌ بالمهاجرين ومنها خاصٌ بالأنصار ومنها خاصٌ بالآحاد فرداً فرداً، ومنها القطعُ لأحدهم بالجنة مطلقاً، ومنها القطعُ لبعضهم بمجاورة رسولِ الله ﷺ في الجنة ليس هذا موضعَ بسطِها.

[إجماعُ أهلِ السنة على وجوب السكوتِ عن الخوضِ في الفتن التي جرت بين الصحابة]

(ثم السكوت واجبٌ عما جرى بينهم من فعل ما قد قُدِرا)
(فكلُهم مجتهدٌ مثابُ وخَطؤُهم يغفِرُه الوهابُ)

أجمعَ أهلُ السنةِ والجماعةِ[4] الذين هم أهلُ الحلِّ والعقدِ الذين يُعتدُّ بإجماعِهم على وجوبِ السكوتِ عن الخوضِ في الفتن التي جرت بين

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٧/ ٢٩٠ رقم ٣٩٥٧).
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٧/ ٤٥٠ ـ ٤٥١ رقم ٤١٧٢).
ومسلم في صحيحه (٣/ ١٤١٣ رقم ٩٧/ ١٧٨٦).
(٣) في «السنن» (٥/ ٦٩٥ رقم ٣٨٦٠) وقال: هذا حديث حسن صحيح.
قلت: وأخرجه مسلم في صحيحه (٤/ ١٩٤٢ رقم ١٦٣/ ٢٤٩٦) وأبو داود في «السنن» (٥/ ٤١ رقم ٤٦٥٣) وابن أبي عاصم في «السنة» رقم (٨٦٠).
وزاد مسلم في روايته: « **إن شاء الله**».
وهو حديث صحيح.
(٤) انظر: «الفتح» لابن حجر (١٣/ ٣٤).

الصحابة ﷺ بعد قتلِ عثمانَ ﷺ، والاسترجاعِ على تلك المصائبِ التي أُصيبت بها هذه الأمةُ والاستغفارِ للقتلى من الطرفين والترحُّم عليهم، وحفِظِ فضائل الصحابةِ والاعترافِ لهم بسوابقِهم ونشر مناقبِهم، عملاً بقولِ الله عز وجل: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [الحشر: ١٠] الآية، واعتقادِ أن الكلَّ منهم مجتهدٌ إن أصاب فله أجران: أجرٌ على اجتهادِه وأجرٌ على إصابته، وإن أخطأ فله أجرُ الاجتهادِ والخطأ مغفورٌ، ولا نقول إنهم معصومون بل مجتهدون إما مُصيبون وإما مُخطئون لم يتعمدوا الخطأ في ذلك.

وما رُوي من الأحاديث في مساويهم الكثيرُ منه مكذوبٌ، ومنه ما قد زيد فيه أو نُقِص منه وغُيِّرَ عن وجهه، والصحيحُ منه هم فيه معذورون.

قال شيخ الإسلام[(١)] ابنُ تيميةَ رحمه الله في معتقد أهلِ السنة: وهم مع ذلك لا يعتقدون أن كلَّ واحدٍ من الصحابة معصومٌ عن كبائر الإثمِ وصغائرِه، بل يجوز عليهم الذنوبُ في الجملة، ولهم من السوابق والفضائلِ ما يوجب مغفرةَ ما يصدُر منهم إن صدَر، حتى إنهم يغفر لهم من السيئاتِ ما لا يُغفر لمن بعدهم.

وقد ثبتَ بقول رسولِ الله ﷺ أنهم خيرُ القرونِ، وأن المُدَّ من أحدِهم إذا تصدق به كان أفضلَ من جبل أُحدٍ ذهباً ممّن بعدَهم، ثم إذا كان قد صدَر عن أحد منهم ذنبٌ فيكون قد تاب منه أو أتى بحسنة تمحوه أو غفر له بفضل سابقتِه أو بشفاعةِ محمدٍ ﷺ الذي هم أحقُ النّاس بشفاعتِه، أو ابتُليَ ببلاء في الدنيا كُفِّر به عنه، فإذا كان هذا في الذنوب المحققةِ فكيف بالأمور التي كانوا فيها مجتهدين إن أصابوا فلهم أجران وإن أخطأوا فلهم أجرٌ واحدٌ والخطأ مغفورٌ.

ثم القدْرُ الذي يُنكرُ من فعل بعضِهم قليلٌ نزْرٌ مغفورٌ في جنب فضائلِ القومِ ومحاسِنِهم من الإيمانِ بالله ورسولِه والجهادِ في سبيله والهجرةِ والنُصرةِ والعلم النافع والعمل الصالح.

ومن نظر في سيرة القومِ بعلم وبصيرة وما منّ الله عليهم به من الفضائل علم يقيناً أنهم خيرُ الخلق بعد الأنبياء لا كان ولا يكون مثلُهم، وأنهم الصفوةُ من قرون هذه الأمةِ التي هي خيرُ الأمم وأكرَمهم على الله عز وجل.

---

(١) انظر: «مجموع فتاوى شيخ الإسلام» ابن تيمية (٣٥/٥١، ٥٤، ٥٦، ٦٩).
و «العقيدة الواسطية» لابن تيمية. بتحقيقنا (ص٧٥ ـ ٧٧).

وقال القاضي عِياضٌ[1] في ذكر الصحابةِ ﷺ وفضائِلهم: وأما الحروبُ التي جرت فكانت لكل طائفةٍ شبهةٌ اعتقدتْ تصويبَ نفسِها بسببها، وكلُهم عدولٌ ﷺ ومتأوّلون في حروبِهم وغيرِها، ولم يُخرِجْ شيءٌ من ذلك أحداً منهم عن العدالة لأنهم مجتهدون اختلفوا في مسائلَ من محل الاجتهاد كما يختلف المجتهدون بعدهم في مسائلَ من الدماء وغيرِها، ولا يلزم من ذلك نقصُ أحدٍ منهم.

واعلم أن سببَ تلك الحروبِ أن القضايا كانت مُشتبهةً، فلشدة اشتباهِها اختلف اجتهادُهم وصاروا ثلاثةَ أقسام:

قسمٌ ظهر لهم بالاجتهاد أن الحقَّ في هذا الطرفِ وأن مخالِفَه باغٍ فوجب عليهم نصرتُه وقتالُ الباغي عليه فيما اعتقدوه، ففعلوا ذلك، ولم يكن يحِلّ ـ لمن هذه صفتُه ـ التأخرُ عن مساعدةِ إمامِ العدلِ في قتال البُغاةِ في اعتقاده.

وقسمٌ عكسُ هؤلاء ظهر لهم بالاجتهاد أن الحقَّ في الطرف الآخر فوجب عليهم مساعدَته وقتالُ الباغي عليه.

وقسمٌ ثالثٌ اشتبهتْ عليهم القضيةُ وتحيّروا فيها ولم يظهر لهم ترجيحُ أحدِ الطرفين فاعتزلوا الفريقين، فكان هذا الاعتزالُ هو الواجبَ في حقهم، لأنه لا يحل الإقدامُ على قتالِ مسلم حتى يظهر أنه مُستحِقٌّ لذلك، ولو ظهر لهؤلاء رُجحانُ أحدِ الطرفين وأن الحقَّ معه لما جاز لهم التأخرُ عن نُصرتِه في قتال البُغاةِ عليه فكلُهم معذورون ﷺ.

ولهذا اتفق أهلُ الحق ومن يُعتدُّ به في الإجماع على قبول شهادتِهم ورواياتِهم وكمالِ عدالتِهم ﷺ أجمعين، وكلامُ الأئمةِ في هذا البابِ يطول، وما أحسنَ ما قال إمامُ أهلِ السنةِ أحمدُ بنُ حنبلٍ رحمه الله تعالى وقد سئل عن الفتن أيامَ فقال تالياً قولَ اللّهِ عز وجل: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٣٤][2].

---

(١) انظر: «صحيح مسلم بشرح النووي» (١٨/١٠ ـ ١١).

(٢) انظر: كتاب «تحقيق مواقف الصحابة في الفتنة» من روايات الإمام الطبري والمحدثين. تأليف: د. محمد أمحزون (١/٢). فإنه مفيد في هذا الباب.
وانظر: كتاب «صحابة رسولِ الله ﷺ في الكتاب والسنة».
تأليف: عيادة أيوب الكبيسي.

خاتمة

في وجوب التمسك بالكتاب والسُّنَّة

والرُّجوعِ عند الاختلافِ إليهما، فما خالفَهما فهو ردٌّ



(شرطُ قَبولِ السعْيِ أن يجتمِعا فيه: إصابةٌ وإخلاصٌ معا)
(للَّهِ ربِّ العرشِ لا سواه موافقَ الشرعِ الذي ارتضاه)

(شرط) في(قَبول) الله تعالى (السعيَ) أي العمل من العبد، وخبرُ المبتدأ (أن يجتمعا) الألفُ للإطلاقِ (فيه) أي في السعي، شيئان: أحدُهما (إصابةٌ) ضدُّ الخطأ. والثاني (إخلاصٌ) ضدُّ الشرك (معا) أي لم يفترقا، وتفسيرُه في البيت الذي بعدَه، فتفسيرُ الإخلاصِ كونُ العملِ (لله ربِّ العرش) خالصاً (لا) شركَ فيه لـ (سواه)، وهذا هو معنى لا إله إلا الله، وتفسيرُ الإصابة كونُه (موافقَ الشرع) الثابتِ عن الله (الذي ارتضاه) الله تعالى لعباده ديناً وأرسلَ به رسلَه إليهم وأنزل به كتبَه عليهم، ولم يقبلَ من أحدٍ ديناً سواه، ولا أحسنَ ديناً ممن التزمه، وقد سَفِهَ نفسَه من رغِبَ عنه، وقد جُمع بين هذين الشرطين في قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠]. وقد تقدَّم الكلامُ على الإخلاص مستوفىً في بابه.

وأما مسألةُ التمسك بالكتاب والسنةِ فنذكرَ فيه فصولاً:

(الفصل الأول) في ذكر وجوب طاعةِ اللهِ ورسوله:

قال الله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ [آل عمران].

وقال تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ٣٢].

وقال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء]

وقال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾ ذَٰلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [النساء].

وقال تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾ مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ

أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾﴾ [النساء].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٤﴾﴾ [النساء].

وقال: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا﴾ [النساء: ١٠٥].

وقال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُوا۟ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [المائدة: ٩٢].

وقال تعالى: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ١].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال: ٢٤].

وقال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [النور].

وقال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [النور: ٥٦]. وقال تعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [النور: ٥٤].

وقال تعالى: ﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ

ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًاۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]. وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور: ٦٢].

وقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب].

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

وقال: ﴿۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓا۟ أَعْمَـٰلَكُمْ﴾ [محمد: ٣٣].

وقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الأنفال].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُۖ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الفتح: ١٧].

وقال تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾ [الحشر: ٧].

وقال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَـٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [التغابن: ١٢].

وقال تعالى: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ۚ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَّسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَـٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ﴾ [الطلاق: ١٠ ـ ١١].

وقال: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ

﴿وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٩﴾ [الفتح]. وغيرُ ذلك من الآيات.

وقال البخاريُّ[1] رحمه الله تعالى: حدثنا محمدُ بنُ سنانٍ حدثنا فليحٌ حدثنا هلالُ بنُ عليٍّ عن عطاء بنِ يسارٍ عن أبي هريرةَ ﷺ أن رسولَ الله ﷺ قال: «**كلُّ أمتي يدخلون الجنةَ إلاَّ من أبى**»، قالوا: يا رسولَ اللَّهِ ومن يأبى؟ قال: «**من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى**».

حدثنا محمدُ بنُ عبادةَ[2] أخبرنا يزيدُ حدثنا سليمُ بنُ حيانَ وأثنى عليه حدثنا سعيدُ بنُ ميناء حدثنا - أو سمعتُ - جابرَ بنَ عبدِ اللَّهِ يقول: «جاءت ملائكةٌ إلى النبيِّ ﷺ وهو نائمٌ» الحديث تقدم، وفيه: «فمن أطاع محمداً فقد أطاع الله، ومن عصى محمداً ﷺ فقد عصى الله، ومحمدٌ فرْقٌ بين الناس».

وله[3] عن حذيفةَ قال: يا معشرَ القرّاء استقيموا فقد سُبقتم سبْقاً بعيداً، وإن أخذتم يميناً وشمالاً لقد ضلَلتم ضلالاً بعيداً.

وله[4] عن أبي موسى ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**إنما مثلَي ومَثلُ ما بعثني اللَّهُ به كمثل رجل أتى قوماً فقال: يا قومُ إني رأيتُ الجيشَ بعيني، وإني أنا النذير العُريانُ، فالنَّجاءَ، فأطاعَه طائفة من قومه فأدلجوا فانطلقوا على مهلهم فنجَوا؟ وكذبتْ طائفةٌ منهم فأصبحوا مكانَهم فصبّحهم الجيشُ فأهلَكهم واجتاحَهم. فذلك مثلُ من أطاعني فاتّبع ما جئتُ به، ومثلُ مَن عصاني وكذب بما جئتُ به من الحق**».

وفيهما[5] عن أبي هريرةَ ﷺ عن النبي ﷺ قال: «**دعُوني ما تركتُكم، إنما هلكَ من كان قبلَكم بسؤالِهم واختلافِهم على أنبيائِهم، فإذا نهيتُكم عن شيءٍ فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم**».

---

(١) في صحيحه (١٣/ ٢٤٩ رقم ٧٢٨٠).
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (١٣/ ٢٤٩ رقم ٧٢٨١) وقد تقدم.
(٣) أي البخاري في صحيحه (١٣/ ٢٥٠ رقم ٧٢٨٢).
(٤) أي البخاري في صحيحه (١٣/ ٢٥٠ رقم ٧٢٨٣).
(٥) البخاري في صحيحه (١٣/ ٢٥١ رقم ٧٢٨٨).
ومسلم في صحيحه (٢/ ٩٧٥ رقم ٤١٢/ ١٣٣٧).

وفيه[1] عن عائشة رضي الله عنها قالت: صنع رسولُ الله ﷺ شيئاً ترخّص فيه وتنزّه عنه قومٌ، فبلغ ذلك النبيَّ ﷺ فحَمِد الله ثم قال: **«ما بالُ أقوامٍ يتنزّهونَ عن الشيء أصنَعُه؟ فواللّهِ إني أعلمُهم بالله وأشدُّهم له خشيةً»**.

وفيه[2] عن المغيرة بنِ شعبةَ عن النبي ﷺ قال: **«لا يزال طائفةٌ من أمتي ظاهرين حتى يأتيَهم أمرُ الله وهم ظاهرون»**.

وعن معاويةَ[3] رضي الله عنه قال: سمعتُ النبيَّ ﷺ يقول: **«من يُرد اللّهُ به خيراً يفقِّهه في الدين، وإنما أنا قاسمٌ، ويُعطي اللّهُ عز وجل. ولن يزالَ أمرُ هذه الأمةِ مستقيماً حتى تقومَ الساعةُ، أو يأتيَ أمرُ الله تبارك وتعالى»**.

وفي المسند[4] وابن ماجه[5] وغيرِهما قال: كنا جلوساً عند النبيِّ ﷺ فخطَّ

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه (١٣/ ٢٧٦ رقم ٧٣٠١).
ومسلم في صحيحه (٤/ ١٨٢٩ رقم ١٢٧/ ٢٣٥٦).

(2) أخرجه البخاري في صحيحه (١٣/ ٢٩٣ رقم ٧٣١١).
ومسلم في صحيحه (٣/ ١٥٢٣ رقم ٧١/ ١٩٢١).

(3) أخرجه البخاري في صحيحه (١٣/ ٢٩٣ رقم ٧٣١٢).
ومسلم في صحيحه (٢/ ٧١٩ رقم ١٠٠/ ١٠٣٧).

(4) في «المسند» (٣/ ٣٩٧).

(5) في «السنن» (١/ ٦ رقم ١١).

كلاهما من طريق مجالد بن سعد عن جابر، قال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (١/ ٤٥ رقم ٥): هذا إسناد فيه مقال من أجل مجالد بن سعيد.

* وأخرجه أحمد (١/ ٤٣٥ و ٤٦٥) والدارمي (١/ ٦٧ ـ ٦٨) والطبري في تفسيره رقم (١٤١٦٨) والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٣١٨) وقال: **هذ حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي**.

والبزار (٣/ ٤٩ رقم ٢٢١٠ ـ كشف) والنسائي في تفسيره كما في «التحفة» (٧/ ٤٩).

كلهم عن طريق حماد بن زيد عن عاصم عن أبي وائل عن عبد الله بن مسعود.

* وأخرجه البزار في مسنده (٣/ ٤٩ رقم ٢٢١١ ـ كشف) من طريق الأعمش عن أبي وائل.

* وأخرجه البزار أيضاً في مسند (٣/ ٤٩ رقم ٢٢١٢ ـ كشف) من طريق منذر الثوري عن الربيع.

* وأخرجه النسائي في «الكبرى» كما في «التحفة» (٧/ ٢٥) من طريق زر بن حبيش كلهم عن عبد الله بن مسعود.

وخلاصة القول أن حديث جابر صحيح بشواهده، والله أعلم.

خطاً هكذا أمامه فقال: «**هذا سبيلُ الله عز وجل**»، وخطّين عن يمينه وخطّين عن شمالِه قال: «**هذه سبيلُ الشيطان**»، ثم وضع يده في الخط الأوسط ثم تلا هذه الآيـــة: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وفي المسند[١] والترمذيُّ[٢] وحسنه عن النَّواس بن سِمعانَ ﷺ عن رسولِ الله ﷺ قال: «**ضربَ الله مثلاً صراطاً مستقيماً، وعن جَنبتي الصراطِ سورانِ فيهما أبوابٌ مفتّحةٌ، وعلى الأبواب ستورٌ مُرخاةٌ، وعلى باب الصراطِ داعٍ يقول: يا أيُها الناسُ ادخلوا الصراطَ المستقيمَ جميعاً ولا تفرَّقوا، وداعٍ يدعو من فوق الصراطِ، فإذا أرادَ الإنسانُ أن يفتح شيئاً من تلك الأبوابِ قال: ويحَك لا تفتحْه فإنك إن تفتَحْه تَلِجْه، فالصراطُ الإسلامُ، والسورانِ حدودُ الله، والأبوابُ المفتّحةُ محارمُ الله، وذلك الداعي على رأسِ الصراطِ كتابُ الله، والداعي فوق الصراطِ واعظُ اللّهِ في قلب كلِّ مسلم**».

وفي جامع الترمذيِّ[٣] عن العِرباض بنِ ساريةَ قال: وعظنا رسولُ الله ﷺ يوماً بعد صلاةِ الغَداةِ موعظةً بليغةً ذرَفتْ منها العيونُ ووجِلتْ منها القلوب، فقال رجلٌ: إن هذه موعظةُ مودِّعٍ، فما تعهد إلينا يا رسولَ الله؟ قال: «**أوصيكم بتقوى اللّهِ والسمعِ والطاعةِ وإن عبدٌ حبَشيٌّ، فإنه من يعِش منكم يرَى اختلافاً كثيراً، وإياكم ومُحدثاتِ الأمورِ فإنها ضلالةٌ، فمن أدرك ذلك منكم فعليه بسنتي وسنةِ الخلفاء الراشدين**

---

(١) (٤/ ١٨٢ و ١٨٣).

(٢) في «السنن» (٥/ ١٤٤ رقم ٢٨٥٩) وقال: هذا حديث غريب.

قلت: وأخرجه النسائي في «الكبرى» كما في «التحفة» (٩/ ٦١ رقم ١١٧١٤) والحاكم في «المستدرك» (١/ ٧٣) وقال: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي. وهو حديث صحيح.

(٣) في «السنن» (٥/ ٤٤ رقم ٢٦٧٦) وقال: حديث حسن صحيح.

قلت: وأخرجه أحمد (٤/ ١٢٦ ـ ١٢٧) وأبو داود (٥/ ١٣ رقم ٤٦٠٧) وابن ماجه (١/ ١٦ رقم ٤٣) والدارمي (١/ ٤٤ ـ ٤٥) والحاكم (١/ ٩٥ ـ ٩٦) وقال: هذا حديث صحيح ليس له علّة ووافقه الذهبي.

وابن أبي عاصم في «السنة» (١/ ١٧ و ٢٩) و (١٩، ٣٠) والآجري في «الشريعة» (ص٤٦ ـ ٤٧) وابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (٢/ ١٨١ ـ ١٨٢).

وهو حديث صحيح.

المهديين، عَضُّوا عليها بالنواجذ». وقال: هذا حديثٌ حسنٌ صحيح.

ورواه أحمدُ[1] وزاد: «**وإياكم ومحدثاتِ الأمور، فإن كلَّ محدَثةٍ بدْعةٌ، وكلُّ بدعةٍ ضلالةٌ**».

وفي رواية[2]: قلنا: يا رسولَ الله إن هذه لموعظةٌ، فماذا تعهَد إلينا؟ قال: «**قد تركتكم على البيضاء ليلُها كنهارِها لا يزيغ عنها بعدي إلاَّ هالكٌ**»، وفي رواية[3]: «**فعليكم بما عرفتم من سنتي**».

وفي صحيح مسلم[4] عن عبد اللَّهِ بنِ مسعودٍ ﵁ أن رسولَ الله ﷺ قال: «**ما من نبي بعثه اللَّهُ في أمة قبلي إلا كان له مِن أمته حَواريون وأصحابٌ يأخذون بسنته ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلُف من بعدهم خلوفٌ يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدَهم بيده فهو مؤمنٌ، ومن جاهدَهم بلسانِه فهو مؤمنٌ، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمنٌ، وليس وراء ذلك من الإيمانِ حبةُ خردلٍ**».

ولأحمدَ[5] عن مجاهد بإسناد جيد قال: كنا مع ابن عمرَ ﵄ في سفر بمكان فحاد عنه، فسُئل: لمَ فعلتَ، فقال: رأيتُ رسولَ الله ﷺ فعل هذا ففعلتُ.

وله[6] عن الحسن بنِ جابر قال: سمعتُ المقدامَ بنَ مَعْدِ يكَرِبَ ﵁ يقول: حرَّم رسولُ الله ﷺ يوم خيبرَ أشياءَ ثم قال: «**يوشك أحدُكم أن يكذِّبني وهو متكئٌ على أريكتِه يحدَّث بحديثي فيقول بيننا وبينكم كتابُ الله، فما وجدنا فيه من حلالٍ استحللناه، وما وجدنا فيه من حرام حرَّمناه، ألا وإنّما حرَّم رسولُ الله ﷺ مثلَ ما حرم الله**».

---

(١) في «المسند» (٤/١٢٦ ـ ١٢٧) **بسند صحيح**.

(٢)(٣) أخرجه أحمد في «المسند» (١٣/٢٧٨ ـ ٢٧٩ رقم ١٧٠٧٧ ـ شاكر). **بسند صحيح**.

(٤) (١/٦٩ ـ ٧٠ رقم ٧٩/٤٩).

(٥) في «المسند» (٤/٤٣٣ رقم ٤٨٧٠ ـ شاكر) **بإسناد صحيح**.
قلت: والبزار في مسنده كما في «مجمع الزوائد» (١/١٧٤) قال الهيثمي: رواه أحمد والبزار ورجالهما موثقون.

(٦) أي لأحمد في «المسند» (٤/١٣٢).
قلت: وأخرجه الترمذي (٥/٣٨ رقم ٢٦٦٤) وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه. وابن ماجه (١/٦/١٢). **وهو حديث صحيح**.

وعنه[1] أيضاً قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**ألا إني أوتيتُ الكتابَ ومثلَه معه، ألا يوشك رجلٌ ينثني شَبعانَ على أريكته يقول: عليكم القرآنَ، فما وجدتم فيه من حلال فأحلّوهُ، وما وجدتم فيه من حرام فحرِّموه، ألا لا يحِلُّ لكم لحمُ الحمارِ الأهليِّ ولا كلُّ ذي نابٍ من السباع، ألا ولا لُقَطةٌ من مالِ معاهَدٍ إلا أن يستغنيَ صاحبُها. ومن نزل بقوم فعليهم أن يَقروه، فإذا لم يقْروهم فعليهم أن يُعْقبوهم بمثل قِراهم**». ورواه أبو داوُد[2] والترمذيُّ[3] وابن ماجه[4]، وإسنادُ أحمدَ جيدٌ، وسكت عليه أبو داودَ وحسنه التِرمذيُّ[5]. ولأحمدَ[6] عن أبي هريرةَ نحوه، والأحاديث في هذا الباب كثيرةٌ وفيما أشرنا إليّه كفاية.

(**الفصل الثاني**) في تحريم القولِ على الله بلا علم، وتحريم الإفتاء في دين الله بما يخالف النصوصَ: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٣].

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الحجرات: ١].

وقال: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا﴾ [النساء: ١٠٥].

وقال تعالى: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٣]. وقال تعالى: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ﴾ [الأنعام: ٥٧]. وقال تعالى: ﴿لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ

---

(١) في «المسند» (٤/ ١٣١، ١٣٢) بسند صحيح.

(٢) في «السنن» (٤/ ١٠/ ٤٦٠٤). وهو حديث صحيح.

(٣)(٤)(٥) لم يخرجه الترمذي وابن ماجه بهذا اللفظ وإنما أخرجاه باللفظ السابق.

(٦) في المسند (١/ ١٩٢ ـ ١٩٣ رقم ١٣ ـ الفتح الرباني) بسند حسن.

﴿مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٢٦].

وقال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٤]. ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥]. ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧].

وقال تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ أَن تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿١٥٦﴾﴾ [الأنعام: ١٥٥ ـ ١٥٦]. الآيات. وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ﴾ [الزخرف: ٤٤].

وفي الصحيح[١] عن ابن مسعود ﷺ قال: كنتُ مع النبيِّ ﷺ في حرث بالمدينة وهو يتوكأ على عَسيب، فمرّ بنفر من اليهود فقال بعضُهم: سلوه عن الروح، وقال بعضهم: لا تسألوه لئلا يُسمعَكم ما تكرهون، فقاموا إليه فقالوا: يا أبا القاسم حدثنا عن الروح، فقام ساعةً ينظرُ فعرفتُ أنه يوحى إليه، فتأخرت عنه حتى صعِد الوحيُ، ثم قال: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥].

وفيه[٢] من حديث ابن عباس ﷺ في قصة المتلاعنين لما جاءت به على النعْت المكروهِ فقال النبيُّ ﷺ: «**لولا ما مضى من كتاب الله لكان لي ولها شأن**».

وفيه[٣] عن جابر ﷺ قال: «مرضْت فجاءني رسولُ الله ﷺ يعودني وأبو بكر وهما ماشيان، فأتياني وقد أُغميَ عليّ، فتوضأ رسولُ الله ﷺ ثم صبّ وضوءَه عليَّ فأفقتُ فقلت: يا رسولَ الله كيف أقضي في مالي وكيف أصنعُ في مالي؟ فما أجابني بشيء حتى نزلت آية الميراثِ.

وعلى هذا ترجم البخاريُّ[٤] رحمه الله تعالى: بابُ: كان النبيُّ ﷺ يُسأل مما

---

(١) أي في صحيح البخاري (١٣/ ٢٦٥ رقم ٧٢٩٧).
قلت: وأخرجه مسلم في صحيحه (٤/ ٢١٥٢ رقم ٥٢/ ٢٧٩٤).

(٢) أي في صحيح البخاري (٨/ ٤٤٩ رقم ٤٧٤٧).

(٣) أي في صحيح البخاري (١/ ٣٠١ رقم ١٩٤) وأطرافه رقم (٤٥٧٧، ٥٦٥١، ٥٦٦٤، ٥٦٧٦، ٧٦٢٣، ٦٧٤٣، ٧٣٠٩).
قلت: وأخرجه مسلم في صحيحه (٣/ ١٢٣٥ رقم ٧/ ١٦١٦).

(٤) في صحيحه (١٣/ ٢٩٠) الباب رقم (٨).

لم يَنزلْ عليه الوحيُ فيقول: لا أدري، أو لم يُجبْ حتى ينزل عليه الوحي ولم يقبل برأي ولا بقياس لقوله تعالى: ﴿بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾ [النساء: ١٠٥].

وترجم[١] رحمه الله تعالى: باب ما يذكر من ذم الرأي وتكلُّف القياس: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦].

ثم ذكر فيه[٢] حديث عبدِ الله بنِ عمرَ وقال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**إن الله تعالى لا ينزع العلمَ بعد أن أعطاهموه انتزاعاً، ولكن ينزعه منهم مع قبض العلماء بعلمهم، فيبقى ناسٌ جُهّالٌ يستفتون فيُفتون برأيهم فيَضلون ويُضلون**».

وحديث سهلِ بنِ حُنيف[٣] قال: يا أيها الناسُ اتهموا رأيَكم على دينكم، لقد رأيتُني يوم أبي جندَل لو أستطيعُ أن أرُدَّ أمرَ رسولِ الله ﷺ لرددتُه. الخبر.

وفي خُطَبِه[٤] ﷺ ما لا يُحصى أن يقول: «**أما بعد، فإن أصدقَ الحديثِ كتابُ الله، وإن أفضلَ الهدْيِ هديُ محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمورِ محدثاتُها، وكلَّ بدعةٍ ضلالة**».

وروى أبو داود[٥] عن يزيدَ بن عُميرةَ وكان من أصحابِ معاذِ بنِ جبلٍ قال: كان لا يجلِس مجلساً للذكر حين يجلس إلاّ قال: اللَّهُ حكَمٌ قِسْطٌ، هلك المرتابون. فقال معاذ بنُ جبلٍ يوماً: إن من ورائكم فتناً يكثُر فيها المالُ ويُفتح فيها القرآنُ حتى يأخذَه المؤمن والمنافقُ والرجلُ والمرأةُ والصغيرُ والكبيرُ والعبدُ والحرُّ، فيوشك قائلٌ يقول: ما للناس لا يتبعوني وقد قرأتُ القرآن؟ ما هم بمُتَّبِعِيَّ حتى أُبدعَ لهم غيرَه فإياكم وما ابتُدع، فإن ما ابتُدع ضلالةٌ.

وأحذّركم زَيغةَ الحكيم، فإن الشيطانَ قد يقول كلمةَ الضلالةِ على لسان

---

(١) أي البخاري في صحيحه (١٣/ ٢٩٠) الباب رقم (٧).
(٢) أي في صحيح البخاري (١٣/ ٢٨٢ رقم ٧٣٠٧).
قلت: وأخرجه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٥٨ رقم ١٣/ ٢٦٧٣).
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (١٣/ ٢٨٢ رقم ٧٣٠٨).
ومسلم في صحيحه (٣/ ١٤١١ ـ ١٤١٢ رقم ٩٤/ ١٧٨٥).
(٤) تقدم تخريجه.
(٥) في «السنن» (٥/ ١٧ رقم ٤٦١١).
قلت: وأخرجه الطبراني في «الكبير» (٢٠/ ١١٤ ـ ١١٥ رقم ٢٢٧).
وهو حديث صحيح الإسناد موقوف.

الحكيم، وقد يقول المنافقُ كلمةَ الحق. قال: قلت لمعاذ: ما يُدريني رحمك الله أن الحكيمَ قد يقول كلمةَ الضلالة، وأن المنافقَ قد يقول كلمةَ الحق؟ قال: بلى اجتنبْ من كلام الحكيم المشتهَراتِ التي يقال لها ما هذه، ولا يَثنينك ذلك عنه فإنه لعله أن يراجِع، وتلقَّ الحقَّ إذا سمعته فإن على الحق نوراً.

وله[1] من طرق عن سفيانَ الثوريِّ قال: كتب رجلٌ إلى عمر بنِ عبدِ العزيزِ سأله عن القدر، فكتب: أما بعدُ أوصيك بتقوى اللّهِ والاقتصادِ في أمره واتباع سنةِ نبيِّه ﷺ وتركِ ما أحدثَ المُحدثون بعد ما جرتْ به سنتُه وكُفُوا مُؤنتَه، فعليك بلزوم السنةِ فإنها لك بإذن اللّهِ عِصمةٌ.

ثم اعلم أنه لم يبتدع الناسُ بدعةً إلا قد مضى ما هو دليلٌ عليها أو عبرةٌ فيها، فإن السنةَ إنما سَنَّها مَن قد عَلِم، أما في خلافِ من الخطأ والزللِ والحمَقِ والتعمُّقِ فارضَ لنفسك ما رضيَ به القومُ لأنفسهم، فإنهم على علمٍ وقعوا، وببصر نافذ كُفوا، ولهم عن كشف الأمورِ كانوا أقوى، وبفضل ما كانوا فيه أولى. فإن كان الهدى ما أنتم عليه لقد سبقوكم إليه، ولئن قلتم إن ما حدث بعدهم ما أحدثه إلا من اتبع غيرَ سبيلِهم ورغِب بنفسه عنهم، فإنهم هم السابقون فقد تكلموا فيه بما يكفي، ووصفوا منه ما يشفي، فما دونهم من مقصر، وما فوقهم من مُحسِّر، وقد قصّر قوم من دونهم فجفوا، وطَمَح عليهم أقوامٌ فغَلوا، وإنهم بين ذلك لعلى هدى مستقيم.

كتبتَ تسأل عن الإقرار بالقدر، فعلى الخبير بإذن اللّهِ وقعْتَ، ما أعلم ما أحدثَ الناسُ من مُحدثةٍ ولا ابتدعوا من بدعة هي أبينُ أثراً، ولا أثبتُ أمراً من الإقرار بالقدر.

لقد كان ذكرُه في الجاهلية الجهْلاء، لا يتكلمون به في كلامهم وفي شعرهم يُعزّون به أنفسهم على ما فاتهم، ثم لم يزده الإسلامُ بعدُ إلا شدةً. ولقد ذكره رسولُ الله ﷺ في غيرِ حديثٍ ولا حديثين، وقد سمعه منه المسلمون فتكلموا به في حياته وبعد وفاته يقيناً وتسليماً لربهم وتضعيفاً لأنفسهم أن يكون شيءٌ لم يُحطْ

---

(١) لأبي داود في «السنن» (٥/١٨ ـ ٢٠ رقم ٤٦١٢).
وهو حديث صحيح مقطوع.

به علمُه ولم يُحصه كتابُه ولم يمضِ فيه قدرُه، وإنه مع ذلك لفي مُحكم كتابه، منه اقتبسوه ومنه تعلموه، ولئن قلتم لِمَ أنزلَ اللَّهُ آيةَ كذا، ولم قال كذا؟ لقد قرأوا منه ما قرأتم، وعلِموا من تأويلِه ما جهلتم، وقالوا بعد ذلك كلِّه: بكتاب وقدر، وكُتبت الشقاوةُ، وما يقدَّرْ يكُنْ، وما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، ولا نملِك لأنفسنا ضراً ولا نفعاً، ثم رغبوا بعد ذلك ورهِبوا، والأحاديثُ في هذا الباب كثيرةٌ جداً.

(**الفصل الثالث) في عِظَم إثم مَن أحدثَ في الدين ما ليس منه**. قال تبارك وتعالى: ﴿لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [النحل: ٢٥]. وقال تبارك وتعالى: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ۖ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَمَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾ [العنكبوت: ١٣].

وفي الصحيح[(١)] عن عبد اللَّهِ بنِ مسعودٍ ﷺ قال: قال النبيُّ ﷺ: «**ليس من نفسٍ تُقتل ظلماً إلاَّ كان على ابن آدمَ الأولِ كِفلٌ منها، لأنه أولُ مَن سنَّ القتلَ**».

ولأحمدَ[(٢)] ومسلم[(٣)] عن أبي هريرةَ ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**من سن سُنةَ ضلالٍ فاتُّبع عليها كان عليه مثلُ أوزارِهم من غير أن ينقص من مثل أوزارِهم شيءٌ، ومن سنَّ سنةَ هدىً فاتُّبع عليها كان له مثلُ أجورِهم من غير أن ينقصَ من أجورِهم شيء**».

ولأحمدَ[(٤)] بإسنادٍ جيدٍ عن حبيب بنِ عبيدِ الرَّحْبيِّ عن غُضيف بنِ الحارثِ

---

(١) في صحيح البخاري (١٣/ ٣٠٢ رقم ٧٣٢١).
ومسلم في صحيحه (٣/ ١٣٠٣ ـ ١٣٠٤ رقم ٢٧/ ١٦٧٧).

(٢) في «المسند» (٢/ ٥٠٥) بسند صحيح.

(٣) في صحيحه (٤/ ٢٠٦٠ رقم ١٦/ ٢٦٧٤).
قلت: وأخرجه الترمذي رقم (٢٦٧٥) وابن ماجه رقم (٢٠٧) والدارمي (١/ ١٤١ رقم ٥١٣) بنحوه.
وهو حديث صحيح لغيره.

(٤) في «المسند» (٤/ ١٠٥). بسند ضعيف.
قلت: وأخرجه البزار في مسنده (١/ ٨٢ رقم ١٣١ ـ كشف) والطبراني في «الكبير» (١٨/ ٩٩ رقم ١٧٨). =

الثُماليّ رضي الله عنه قال: بعث إليَّ عبدُ الملك بنُ مروانَ فقال: يا أبا أسماءَ إنَّا قد جمعنا الناسَ على أمرين. قال: وما هما؟ قال: تُرفع الأيدي على المنابر يومَ الجمعة، والقصصُ بعد الصبح والعصر. فقال: أما إنهما أمثلُ بِدعتِكم عندي، ولست مجيبك إلى شيء منهما. قال: لِمَ؟ قال: لأن النبيَّ ﷺ قال: **«ما أحدث قومٌ بدعةً إلاَّ رُفع مثلُها من السنة»**، فتمسكٌ بسنةٍ خيرٌ من إحداث بدعة.

وفي حديث الحوضِ[1] عن جماعة من الصحابة تقدم أكثرُهم قال: **«ليَرِدَنّ عليّ الحوضَ رجالٌ ممن صحبني ورآني حتى إذا رُفعوا إليَّ ورأيتُهم اختلجوا دوني فلأقولنَّ: ربِّ أصحابي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك»**، وفي بعضها زيادةٌ: **«فأقول سُحقاً سُحقاً لمن بدَّل بعدي»**.

وفي الصحيحين[2] عن عائشةَ رضي الله عنها قالت: تلا رسولُ الله ﷺ هذه الآيةَ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران: ٧].

قالت: قال رسولُ الله ﷺ: **«فإذا رأيتَ الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمَّى اللَّهُ فاحذروهم»**.

وعن جرير بنِ عبد الله[3] قال: جاء ناسٌ من الأعراب إلى رسولُ الله ﷺ عليهم الصوفُ، فرأى سوءَ حالِهم قد أصابتْهم حاجةٌ، فحث الناسَ على الصدقة، فأبطأوا عنه حتى رؤي ذلك في وجهه، قال: ثم إن رجلاً من الأنصار جاء بصُرَّة من ورقٍ، ثم جاء آخرُ، ثم تتابعوا حتى عُرف السرورَ في وجهه، فقال

= وأورده الهيثمي في «المجمع» (١/ ١٨٨) وفيه أبو بكر بن أبي مريم منكر الحديث. وانظر: تعليق أبو الأشبال (١٣/ ٢١٧) على هذا الحديث.

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٨/ ٢٠٩ رقم ٤٥٤٧).
ومسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٣٥ رقم ١/ ٢٦٦٥).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٥٩ رقم ١٠١٧).

رسولُ الله ﷺ: «من سنَّ في الإسلامِ سنةً حسنة فعُملَ بها بعده كُتب له مثلُ أجرِ من عَمِل بها، ولا ينقص من أجورهم شيءٌ. ومن سنَّ في الإسلامِ سنةً سيئةً فعُمل بها بعده كتب عليه مثلُ وِزْرِ من عمل بها، ولا ينقص من أوزارِهم شيء».

ورواه الترمذي[1] بلفظ: قال رسولُ الله ﷺ: «من سنَّ سنةَ خيرٍ فاتُبع عليها فله أجرُه ومثلُ أجورِ من اتبعه غيرَ منقوصٍ من أجورِهم شيئاً، ومن سنَّ سنةَ شرٍّ فاتُبع عليها كان عليه وزرُها ومثلُ أوزارِ من اتبعه غيرَ منقوصٍ من أوزارِهم شيئاً».

وله[2] عن كثير بن عبد الله عن أبيه عن جده أن النبيَّ ﷺ قال لبلال بنِ الحارثِ: «اعلم»، قال: أعلمُ يا رسولَ الله، قال: «إنَّه من أحيا سنةً من سنتي قد أميتتْ بعدي كان له من الأجر مثلُ من عمِل بها من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً، ومن ابتدع بدعةَ ضلالةٍ لا يرضاها اللَّهُ ورسولُه كان عليه مثلُ آثامِ من عمل بها لا ينقُص ذلك من أوزار الناسِ شيئاً». قال: هذا حديث حسنٌ. والأحاديثُ في هذا كثيرةٌ وفي هذا كفايةٌ.

(الفصل الرابع والخامس) ما في هذه الأبيات:

(وكلُ ما خالفَ لِلوَحْيينِ ... فإنه ردٌّ بغير مينِ)

(وكلُ ما فيه الخلافُ نُصبا ... فردُّه إليهما قد وجبا)

(فالدينُ إنما أتى بالنقل ... ليس بالأوهام وحذس العقل)

(كل ما) أي أمرٍ كان (خالف الوحيين) نصوصِ الكتابِ والسنةِ، لأن السنة وحيٌ ثانٍ أيضاً كما قال تعالى: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥﴾ [النجم].

---

(١) في «السنن» (٥/ ٤٣ رقم ٢٦٧٥) وقال: هذا حديث حسن صحيح.
قلت: وهو حديث صحيح.

(٢) للترمذي في «السنن» (٥/ ٤٥ رقم ٢٦٧٧) وقال: هذا حديث حسن.
قلت: وأخرجه ابن ماجه في «السنن» رقم (٢١٠). وابن أبي عاصم في «السنة» (١/ ٢٣ رقم ٤٢).
وقال الألباني في «ظلال الجنة» (١/ ٢٣): إسناد ضعيف جداً فيه كثير بن عبد الله وهو ابن عمرو بن عوف متروك...».
قلت: فالحديث ضعيف. وكثير بن عبد الله قال الحافظ في «التقريب» رقم (٥٦١٧): ضعيف أفرط من نسبه إلى الكذب.

وقال النبيُّ ﷺ: «**أوتيتُ القرآنَ ومثلَه معه**»[1] الحديث. (**فإنه**) أي ذلك الأمرُ المخالفُ (**ردٌّ**) أي مردودٌ على مبتدعه مَن كان (**بغير مين**) بدون شكٍ، قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران) ٨٥]. ودينُ الإسلامِ هو الذي أنزل اللّهُ تعالى به كتابَه على رسولِه لِيُبينه للناس، فتلاه الرسولُ ﷺ على أمته وبينه لهم بسنته من أقواله وأفعالِه وتقريراتِه ﷺ، وتقدم في الأحاديث قولُه ﷺ: «**وإياكم ومحدثاتِ الأمورِ فإنَّ كلَّ بدعةٍ ضلالةٌ**»[2].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾ [البقرة: ١٣٠].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾ [النساء: ١٢٥].

وقال تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾ [آل عمران: ٨٣].

وقال تبارك وتعالى: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٣].

وقال تبارك وتعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الجاثية: ١٨]. الآيات.

وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [العنكبوت: ٥١].

وقال تبارك وتعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٣١]. الآية.

وقال تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١]. الآية وغيرُ ذلك من الآيات.

وفي الصحيحين[3] من حديث أمِّ المؤمنين عائشةَ رضي الله عنها قالت: سمعتُ

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٥/٣٠١ رقم ٢٦٩٧).
ومسلم في صحيحه (٣/١٣٤٣ رقم ١٧/١٧١٨).

رسولَ الله ﷺ يقول: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌّ**».

وفي رواية مسلم[1]: «**من عمِل عملاً ليس عليه أمرُنا فهو ردٌّ**»، وقال ﷺ: «**لقد تركتُكم على المحجَةِ البيضاء ليلُها كنهارِها، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالكٌ**»[2].

وفي السنن[3] عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**افترقت اليهودُ على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقةً، وتفترق النصارى على إحدى أو اثنتين وسبعينَ فرقة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقةً**».

وفيها[4] عن معاويةَ بنِ أبي سفيانَ رضي الله عنه أنه قال: ألا إن رسولَ ﷺ قام فينا فقال: «**ألا إن مَن قبلكم مِن أهل الكتاب افترقوا على اثنتين وسبعين مِلةً، وإن هذه الملةَ ستفترق على ثلاث وسبعين: ثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة وهي الجماعة**» - زاد في رواية[5] -: «**وإنه سيخرُج من أمتي أقوامٌ تتجارى بهم تلك الأهواءُ كما يتجارى الكلبُ لصاحبه**». وفي لفظ[4]: «**بصاحبه، لا يبقى منه عِرقٌ ولا مفصِلٌ إلا دخلَه**».

وفي الصحيحين[6] وغيرهما عن أبي هريرةَ رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**لا تقوم الساعةُ حتى تأخُذَ أمتي بأخذ القرونِ قبلها شِبراً بشبر وذراعاً بذراع**». فقيل: يا رسولَ الله كفارسَ والرومَ؟ فقال: «**ومن الناس إلا أولئك**».

---

(١) في صحيحه (٣/ ١٣٤٣ - ١٣٤٤ رقم ١٨/ ١٧١٨).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) أبو داود في «السنن» رقم (٤٥٩٦) والترمذي رقم (٢٦٤٠) وابن ماجه رقم (٣٩٩١). وأحمد (٢/ ٣٣٢) وأبو يعلى في مسنده رقم (٥٩٧٨) و (٦١١٧) والحاكم (١/ ١٢٨) والآجري في «الشريعة» (ص٢٥).
وقال الترمذي: **حديث أبي هريرة حسن صحيح**.
وقال الحاكم: **صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي**.
وهو حديث صحيح. انظر: «الصحيحة» رقم (٢٠٣).

(٤) أخرجه أبو داود رقم (٤٥٩٧) والدارمي (٢/ ٢٤١) وأحمد (٤/ ١٠٢) والحاكم (١/ ١٢٨) والآجري في «الشريعة» (١٨) وابن بطة في «الإبانة» (١/ ٣٧١ رقم ٢٦٨ ك١) واللالكائي في «شرح السنة» رقم (١٥٠).
وهو حديث حسن. وانظر: «الصحيحة» رقم (١٣٤٨).

(٥) أخرجه أبو داود في «السنن» (٥/ ٦) عقب الحديث رقم (٤٥٩٧) وقد تقدم.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه (١٣/ ٣٠٠ رقم ٧٣١٩). ولم يخرجه مسلم.

وعن أبي سعيد الخدريِّ[1] رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**لَتتَّبِعُنَّ سَنَنَ من كان قبلَكم شبراً شبراً وذراعاً ذراعاً حتى لو دخلوا جُحرَ ضَبٍّ لتَبِعْتموه**، قلنا: يا رسولَ الله اليهودُ والنصارى؟ قال: «**فمن**»؟. والأحاديث في هذا الباب كثيرة.

[البدعة ضلالة]

ثم اعلم أن البدعَ كلها مردودةٌ ليس منها شيءٌ مقبولاً، وكلها قبيحةٌ ليس فيها حسنٌ، وكلها ضلالٌ ليس فيها هدىً، وكلها أوزارٌ ليس فيها أجرٌ، وكلها باطلٌ ليس فيها حقٌ.

ومعنى البدعةِ هو شرعُ ما لم يأذن الله به ولم يكن عليه أمرُ النبيِّ ﷺ ولا أصحابه، ولهذا فسر النبيُّ ﷺ البدعةَ بقوله: «**كلُ عمل ليس عليه أمرُنا**»[2]. ووصف الطائفةَ الناجيةَ من الثلاث والسبعين فرقةً بقوله: «**هم الجماعة**»[3]. وفي رواية: **هم مَن كان مثلَ ما أنا عليه وأصحابي**»[4].

ثم البدعُ بحسب إخلالها بالدين قسمان: مكفِّرةٌ لِمُنتحلِها، وغيرُ مكفرة.

فضابطُ البدعةِ المكفرة من أنكر أمراً مُجمعاً عليه متواتراً من الشرع معلوماً من الدين بالضرورة من جُحود مفروضٍ أو فرضِ ما لم يُفرضْ، أو إحلالِ محرم أو تحريم حلالٍ، أو اعتقاد ما يُنزِّه اللّهُ ورسولُه وكتابُه عنه من نفيٍ أو إثبات، لأنَّ ذلك تكذيبٌ بالكتابِ وبما أرسل اللّهُ به رسولَه ﷺ، كبِدعة الجهْمية في إنكار صفاتِ اللّهِ عز وجل والقولِ بخلق القرآنِ، أو خلقِ أي صفةٍ من صفات الله، وإنكارِ أن يكون اللّهُ تعالى اتخذ إبراهيمَ خليلاً وكلَّم موسى تكليماً وغيرِ ذلك، وكبدعةِ القدرية في إنكار علمِ اللّهِ عز وجل وأفعالِه وقضائِه وقدرِه، وكبدعةِ

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (١٣/ ٣٠٠ رقم ٧٣٢٠).
ومسلم في صحيحه (٤/ ٢٠٥٤ رقم ٦/ ٢٦٦٩).

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) أخرجه الترمذي في «السنن» (٥/ ٢٦ رقم ٢٦٤١).
وقال: هذا حديث مُفسَّرٌ غريب لا نعرفُه مثل هذا إلا من هذا الوجه.
وأخرجه اللالكائي في «الشريعة» (١٦). وهو حديث حسن.

المجسّمة الذين يشبهونَ اللَّهَ تعالى بخلقه، وغيرِ ذلك من الأهواء.

ولكنْ هؤلاء منهم مَن علِم أن عينَ قصدِه هدمُ قواعدِ الدينِ وتشكيكُ أهلِه فيه فهذا مقطوعٌ بكفره، بل هو أجنبيٌ عن الدين من أعدى عدوّ له، وآخرون مغرورن مُلبَّس عليهم، فهؤلاء إنما يحكم بكفرهم بعد إقامةِ الحجةِ عليهم وإلزامِهم بها.

والقسم الثاني: البدعُ التي ليست بمكفرة وهي ما لم يلزمْ منه تكذيبٌ بالكتاب ولا بشيء مما أرسل اللَّهُ به رسلَه كبدَع المَرْوانية التي أنكرها عليهم فُضلاء الصحابة ولم يُقرّوهم عليها ولم يكفّروهم بشيء منها ولم ينزِعوا يداً من بيعتِهم لأجلها كتأخيرِهم بعضَ الصلواتِ إلى أواخر أوقاتِها، وتقديمِهم الخطبةَ قبل صلاةِ العيدِ وجلوسِهم في نفسِ الخُطبةِ في الجمعةِ وغيرِها، وسبِّهم كبارَ الصحابةِ على المنابر، ونحوُ ذلك مما لم يكن منهم على اعتقاد شرعيته، بل بنوع تأويلٍ وشهواتٍ نفسانية وأغراضٍ دُنيوية، كما روى الإمامُ أحمدُ[1] والترمذيُّ[2] وحسنه عن أبي عمران الجَوني قال: سمعتُ أنسَ بنَ مالك ﷺ يقول: ما أعرفُ شيئاً اليومَ مما كنا عليه على عهد رسولِ الله ﷺ، قال: قلنا: فأين الصلاة؟ قال: أو لم تصنعوا في الصلاة ما قد علمتم؟.

وله عن ثابتٍ البنانيِّ بإسناد نيِّر قال: قال أنسُ بنُ مالك[3] ﷺ: ما أعرِفُ فيكم شيئاً كنت أعهده على عهد رسولِ الله ﷺ، ليس قولكم لا إله إلا الله. قال: قلت: يا أبا حمزةَ: الصلاةُ؟ قال: قد صليّتَ حين تغرُب الشمسُ، أفكانت تلك صلاةَ رسولِ اللَّهِ ﷺ؟.

---

(١) في «المسند» (٣/ ١٠٠ ـ ١٠١).

(٢) في «السنن» (٤/ ٦٣٢ رقم ٢٤٤٧) وقال: **هذا حديث حسن غريب** من هذا الوجه من حديث أبي عمران الجُونيِّ».
إسناده صحيح فيه زياد ثقة وأبو عمران الجوني هو عبد الملك بن حبيب الأزدي ثقة.
* وقد أخرج البخاري في صحيحه (٢/ ١٣ رقم ٥٢٩) عن أنس ولفظه: «قال: ما أعرف شيئاً مما كان على عهد النبي ﷺ قيل: الصلاة، قال: أليس صنعتم ما صنعتم فيها؟».

(٣) أخرجه أحمد في «المسند» (١١/ ٢٩٢ رقم ١٣٧٩٥ ـ الزين). **وسنده صحيح**.

وفي الصحيحين(١) عن أبي سعيد الخدريّ رضي الله عنه قال: كان رسولُ الله ﷺ يخرج يومَ الفِطْر والأضحى إلى المُصلّى، فأولُ شيءٍ يبدأ به الصلاةُ، ثم ينصرف فيقوم مُقابلَ الناس والناسُ جلوسٌ على صفوفهم فيعظُهم ويوصيهم ويأمرهم. فإن كان يريد أن يقطَعَ بعثاً قطعه أو يأمر بشيء أمر به ثم ينصرف.

قال أبو سعيد(١): فلم يزل الناسُ على ذلك حتى خرجتُ مع مروانَ وهو أميرُ المدينةِ في الأضحى أو الفِطر، فلما أتينا المصلى إذا منبرٌ بناه كُثَيرُ بنُ الصَّلت، فإذا مروانُ يريدُ يرتقيه قبل أن يصلّي، فجبَذتُ بثوبه، فجبَذني فارتفع فخطب قبل الصلاة، فقلت له: غيرتم والله، فقال أبا سعيد: قد ذهب ما تعلم. فقلت: ما أعلمُ واللّهِ خيرٌ مما لا أعلم.

فقال: إن الناسَ لم يكونوا يجلِسون لنا بعد الصّلاة فجعلتُها قبل الصلاة.

وفي رواية مسلم(٢): فلما رأيتُ ذلك منه قلت: أين الابتداءُ بالصلاة؟ فقال: يا أبا سعيد قد تُرِك ما تعلم، قلت: كلا والذي نفسي بيده لا تأتون بخير مما أعلم - ثلاث مرات - ثم انصرف.

وروى أحمدُ(٣) وأبو داودَ(٤) وابنُ ماجه(٥) عن أبي سعيدٍ رضي الله عنه أيضاً قال: أخرج مروانُ المنبرَ في يومِ عيدٍ فبدأ بالخُطبةِ قبل الصلاة، فقامَ رجلٌ فقال: يا مروانُ خالفت السنة، أخرجتَ المنبرَ في يوم عيد ولم يكن يُخرج فيه، وبدأتَ الخُطبةَ قبل الصلاةِ ولم يكن يبدأ بها.

فقال أبو سعيد الخدريّ: من هذا؟ قالوا: فلانُ بنُ فلان، فقال: أما هذا فقد

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٢/ ٤٤٨ - ٤٤٩ رقم ٩٥٦).
ومسلم في صحيحه (٢/ ٦٠٥ رقم ٩/ ٨٨٩).

(٢) في صحيحه (٢/ ٦٠٥ رقم ٩/ ٨٨٩).

(٣) في «المسند» (٣/ ١٠ و ٥٢).

(٤) في «السنن» رقم (١١٤٠).

(٥) في «السنن» رقم (٤٠١٣).

قلت: وأخرجه النسائي رقم (٨/ ١١١). والترمذي رقم (٢١٧٢) وقال: **هذا حديث حسن صحيح.**

قلت: وهو حديث صحيح.

قضى ما عليه، سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: **«من رأى منكم منكراً فاستطاع أن يُغيِّرَه بيده فليُغيِّرْه بيده، فإن لم يستطعْ فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعفُ الإيمانِ»**.

قلت: والمرفوعُ من قول النبيِّ ﷺ في صحيح مسلم[1]، ولعل تغييرَ هذا الرجلِ على مروان كان تارةً أخرى في غير المرةِ التي غيّر فيها أبو سعيد بيده ولسانه، لأن تغييرَ أبي سعيد كان عند أولِ ما ابتُدع ذلك ابتداءً، واللَّهُ أعلمُ.

وفي صحيح مسلم[2] عن جابر بن سَمُرةَ رضي الله عنه أن رسولَ الله ﷺ كان يخطُب قائماً ثم يجلس، ثم يقوم فيخطب قائماً، فمن نبّأكَ أنه يخطُب جالساً فقد كذَب، فقد واللَّهِ صليتُ معه أكثرَ من ألفي صلاة.

وفيه[3] عن كعب بنِ عُجْرةَ رضي الله عنه قال: دخل المسجدَ وعبدُ الرحمن بنُ أمِّ الحكَم يخطُب قاعداً فقال: انظُر إلى هذا الخبيثِ يخطب قاعداً، وقال اللَّهُ تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾ [الجمعة: ١١].

وفيه[4] عن عمار بنِ رُويبةَ قال: رُئيَ بشرُ بنُ مروانَ على المنبر رافعاً يديه فقال: قبّح اللَّهُ هاتين اليدين، لقد رأيتُ رسولَ الله ﷺ ما يزيد على أن يقول بيده هكذا، وأشار بأصبعه المسبِّحة.

وتقدم في فضائل الصحابة نصيحةُ سعدِ بنِ أبي وقاصٍ وسهلِ بن سعدٍ وغيرِهم[5] من الصحابة وعظتُه إياهم عن سب الصحابة.

وعن عامر بنِ سعدٍ[6] رأى جماعة عكوفاً على رجل فأدخل رأسَه من بين اثنين فإذا هو يسبُّ علياً وطلحةَ والزبيرَ فنهاه عن ذلك فلم ينتهِ فقال: أدعو عليك،

---

(١) (١/ ٦٩ رقم ٧٨/ ٤٩).
(٢) (٢/ ٥٨٩ رقم ٣٥/ ٨٦١).
(٣) صحيح مسلم (٢/ ٥٩١ رقم ٣٩/ ٨٦٤).
(٤) صحيح مسلم (٢/ ٥٩٥ رقم ٥٣/ ٨٧٤).
(٥) تقدم تخريجها.
(٦) أخرجه الطبراني في «الكبير» (١/ ١٤٠ رقم ٣٠٧).
وأورده الهيثمي في «المجمع» (٩/ ١٥٤). وقال: رواه الطبراني في «الكبير» ورجاله رجال الصحيح.

فقال الرجلُ تتعهّدني كأنك نبيٌّ، فانصرف سعدٌ فدخل دارَ آل فلانٍ فتوضأ وصلى ركعتين ثم رفع يديه فقال: اللهم إن كنت تعلم أن هذا الرجلَ قد سبَّ أقواماً قد سبَق لهم منك سابقةُ الحسنى وأنه قد أسخطك سبُّه إياهم فاجعلْه اليومَ آيةً وعبرةً، قال: فخرجتْ بُخْتيةٌ نادرةٌ من دار آل فلانٍ لا يردُّها شيءٌ حتى دخلت بين أضعافِ الناسِ فافترق الناسُ فأخذته بين قوائمها فلم تزل تتخبّطه حتى مات، قال: فلقد رأيتُ الناسَ يستعدون وراءَ سعدٍ يقولونَ: استجاب اللّهُ دعاءَك يا أبا إسحاق. وعن مصعب[1] نحوُه.

وروى حمادُ بنُ سلمةَ[2] عن علي بنِ زيدٍ عن سعيد بنِ المسيِّب نحوُه، وغير ذلك من إنكار الصحابةِ عليهم، وكان الصحابةُ ﷺ لا يخافون في الله لومةَ لائم. ﷺ وأرضاهم آمين.

(فصل) ثم تنقسم البدعُ[3] بحسَب ما تقع فيه إلى بدعة في العبادات وبدعة في المعاملات.

فالبدعُ في العباداتِ قسمان أيضاً:

الأولُ: التعبدُ بما لم يأذن اللّهُ تعالى أن يُعبدَ به البتةَ، كتعبُّد جهَلةِ الصوفيةِ بآلاتِ اللهو والرقصِ والصفْقِ والغِناء وأنواعِ المعازفِ وغيرِها مما هم مُضاهئون فعلَ الذين قالَ الله تعالى فيهم: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً﴾ [الأنفال: ٣٥].

والثاني: التعبدُ بما أصلُه مشروعٌ ولكن وُضعَ في غيرِ موضعه، ككشف الرأسِ مثلاً، هو في الإحرامِ عبادةٌ مشروعةٌ، فإذا فعله غيرُ المُحرِمِ في الصومِ أو في الصلاة أو غيرها بنية التعبُّدِ كان بدعةً محرمةً، وكذلك فعلُ سائرِ العباداتِ المشروعةِ في غيرِ ما شُرعتْ فيه كصلواتِ النفلِ في أوقاتِ النهي، وكصيامِ الشكِّ والعيدين ونحوِ ذلك.

---

(١) انظر: «مجابو الدعوة» لابن أبي الدنيا (ص٧٢) رقم (٣٦).

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «مجابو الدعوة» (ص٩٩ ـ ١٠٠ رقم ٦٨).
وأورده الذهبي في «سير أعلام النبلاء» (٤/ ٢٤٢).
وابن سعد في «الطبقات» (٥/ ١٣٦).

(٣) انظر: «حقيقة البدع وأحكامها» سعيد بن ناصر الغامدي (٢/ ١٩٥).

وفي الصحيح[1] عن أنس في الرجل الذي رآه النبيُّ ﷺ يمشي بينَ ابْنيه فقال ﷺ: «**إن اللَّهَ لغنيٌّ عن تعذيبِ هذا نفسَه**».

وفيه[2] عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبيَّ ﷺ مرَّ وهو يطوف بالكعبةِ بإنسان يقود إنساناً بُخزامة في أنفه فقطعها النبيُّ ﷺ بيده ثم أمره أن يقودَه بيده.

وفيه[3] عنه رضي الله عنه قال: بينا النبيُّ ﷺ يخطُب إذ هو برجل قائم فسأل عنه فقالوا: أبو إسرائيلَ، نذر أن يقومَ ولا يقعدَ ولا يستظلَّ ولا يتكلم ويصوم. فقال النبيُّ ﷺ: «**مُره فليتكلم وليستظِلَّ وليقعُد وليُتِمَّ صومَه**». فأمره النبيُّ ﷺ بإتمام الصومِ الذي هو عبادةٌ مشروعةٌ وُضعتْ في محلها، وإلغاء قيامه وسكوتِه لكونه وإنْ كان عبادةً في بعض الأحوالِ لكن ليس هذا محلَّه، وأمره بالاستظلال لكون عدمِهِ ليس بعبادة مشروعة.

وفيه[4] عن عبد الله بن عمرَ رضي الله عنهما سئل عن رجل نذر أن لا يأتيَ عليه يومٌ إلا صامَ فوافق يومَ الأضحى أو الفطرِ فقال: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١]، لم يكن يصومُ يومَ الأضحى والفطرِ ولا يرى صيامَهما.

وعن زياد بنِ جبيرٍ[5] قال: كنت مع ابن عمرَ رضي الله عنهما فسأله رجلٌ فقال: نذرتُ أن أصومَ كلَّ يوم ثلاثاء أو أربعاءَ ما عشتُ، فوافقتُ هذا اليومَ يومَ النحر، فقال: أمر اللَّهُ بوفاء النذر ونُهينا أن نصومَ يومَ النحر، فأعاد فأعاد عليه، فقال مثلَه لا يزيد عليه، والمعنى أن النذرَ قربةٌ من القربات إذا كان مشروعاً كصوم ما لم يُنْهَ عنه من الأيام، فإن نذر صومَ يومٍ منْهيٍّ عنه كان ناذراً معصيةً لا طاعةً، وقد قال ﷺ: «لا

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (١١/ ٥٨٥ ـ ٥٨٦ رقم ٦٧٠١).
ومسلم في صحيحه (٣/ ١٢٦٣ ـ ١٢٦٤ رقم ٩/ ١٦٤٢).

(٢) أي في صحيح البخاري (١١/ ٥٨٦ رقم ٦٧٠٢).

(٣) أي في صحيح البخاري (١١/ ٥٨٦ رقم ٦٧٠٤).

(٤) أي البخاري في صحيحه (١١/ ٥٩٠ ـ ٥٩١ رقم ٦٧٠٥).

(٥) أخرجه البخاري (١١/ ٥٩١ رقم ٦٧٠٦).
ومسلم في صحيحه (٢/ ٨٠٠ رقم ١٤١/ ١١٣٩).

نذْرَ في معصية الله»[1]. وقال ﷺ: **«من نذر أن يعصيَ اللَّهَ فلا يَعْصِه»**[2].

وعن عطاء أن ابن عباسٍ[3] رضي الله عنهما أرسل إلى ابن الزبير في أول ما بويع له: إنه لم يكن يُؤَذَّن بالصلاة يوم الفِطر، وإنما الخطبة بعد الصلاة، قال ذلك رداً لبدعة المروانية في ذلك.

وفيه[4] عن البراء بن عازبٍ قال: قال النبيُّ ﷺ: **«إن أولَ ما نبدأ في يومنا هذا أن نصليَ، ثم نرجِعُ فننحرُ، فمن فعل ذلك فقد أصاب سُنتنا، ومن نحر قبل الصلاةِ فإنما هو لحمٌ قدمه لأهله، ليس من النُسك في شيء»** الحديث.

وفيه[5] عن أنس بن مالكٍ رضي الله عنه قال: جاء ثلاثةُ رهْط إلى نساء النبيِّ ﷺ يسألون عن عبادة النبيِّ ﷺ، فلما أُخبروا كأنهم تقالُّوها فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ قد غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فقال أحدُهم: أما أنا فإني أُصلي الليلَ أبداً، وقال آخرُ: أنا أصومُ الدهرَ ولا أُفطرَ، وقال آخرُ: أنا أعتزلُ النساءَ فلا أتزوج أبداً، فجاء رسولُ اللَّهِ ﷺ فقال: **«أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما واللَّهِ إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصومُ وأُفطر وأصلي وأرقُد وأتزوّج النساء، فمن رغِبَ عن سنتي فليس مني»**.

وقال ﷺ: **«ليس من البر الصيامُ في السفر»**[6]

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٣/ ١٢٦٢ ـ ١٢٦٣ رقم ١٦٤١).
وأحمد (٤/ ٤٣٠، ٤٣٣ ـ ٤٣٤) وأبو داود رقم (٣٣١٦).
والنسائي (٧/ ١٩) وابن ماجه رقم (٢١٢٤) وعبد الرزاق رقم (١٥٨١٤) والبيهقي (١٠/ ٦٨ ـ ٦٩) والبغوي رقم (٢٧١٤).
من حديث عمران بن حصين. وهو حديث صحيح

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (١١/ ٥٨٥ رقم ٦٧٠٠).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٢/ ٤٥١ رقم ٩٥٩).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (٢/ ٤٥٣ رقم ٩٦٥).
ومسلم في صحيحه (٣/ ١٥٥٣ رقم ٧/ ١٩٦١).

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه (٩/ ١٠٤ رقم ٥٠٦٣).
ومسلم في صحيحه (٢/ ١٠٢٠ رقم ٥/ ١٤٠١).

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه (٤/ ١٨٣ رقم ١٩٤٦).
ومسلم في صحيحه (٢/ ٧٨٦ رقم ١١١٥).

وقال ﷺ للذين صاموا بعد أمرِه بالإفطار: **«أولئك العُصاةُ، أولئك العُصاةُ»**[1]، وغيرُ ذلك من الأحاديث في هذا البابِ ما لا يُحصى وهذا مثالٌ يدل على ما بعده.

ثم البدعةُ الواقعةُ في العبادة قد تكون مُبطلةً للعبادة التي تقع فيها لمن صلى الرُّباعيةَ خمساً، أو الثلاثية أربعاً، أو الثُنائيةَ ثلاثاً وما شابه ذلك.

وقد تكون معصيةً ولا تُبطل العملَ الذي تقع فيه كالوضوء أربعاً أربعاً، لأن النبيَّ ﷺ قال في الوضوء المشروعِ: **«فمن زاد على هذا فقد أساء وتعدَّى وظلم»**[2]، ولم يقل فقد بطل وُضوؤُه. وكذا قراءةُ القرآنِ راكعاً أو ساجداً منهيٌّ عنه شرعاً ولا يُبطل الصلاة.

والبدعةُ في المعاملات كاشتراط ما ليس في كتاب اللَّهِ ولا في سنةِ رسولِه ﷺ كما في الصحيح[3] عن عائشةَ رضي الله عنها قال: جاءت بُريرةُ رضي الله عنها فقالت: إني كاتبْتُ أهلي على تسع أواقٍ، في كل عامٍ أُوقيةٌ فأعينيني، فقالت عائشة رضي الله عنها: إن أحبَّ أهلُك أعُدّها لهم عِدّةً واحدةً وأُعتِقَك فعلتُ ويكون ولاؤك لي، فذهبتْ إلى أهلها فأبَوا ذلك عليها، فقالت: عرضتُ ذلك عليهم فأبَوا إلا أن يكون الولاءُ لهم، فسمع بذلك رسولُ الله ﷺ فسألني فأخبرتُه فقال: **«خُذيها فأعتقيها واشرطي لهم الولاء فإنما الولاءُ لمن أعتق»**.

فقالت عائشةُ: فقام رسولُ الله ﷺ فحمِدَ اللَّهَ وأثنى عليه ثم قال: **«أما بعدُ، فما بالُ رجالٍ منكم يشترطونَ شروطاً ليست في كتاب الله، فأيُما شرطٍ ليس في كتاب اللَّهِ فهو باطلٌ وإن كان مائةَ شرْطٍ، فقضاءُ اللَّهِ حقٌ وشرطُ اللَّهِ أوثقُ. ما بالُ رجالٍ منكم يقول أحدُهم أعتقْ يا فلان وليَ الولاءُ، إنما الولاءُ لمن أعتق»**، وأمثالُه كثيرة.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه (٢/ ٧٨٥ رقم ١١١٤).
(٢) أخرجه أحمد (٢/ ١٨٠).
وأبو داود رقم (١٣٥) والنسائي (١/ ٨٨) وابن ماجه رقم (٤٢٢). **بسند حسن**.
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه (٥/ ١٨٧ ـ ١٨٨ رقم ٢٥٦١).
ومسلم في صحيحه (٢/ ١١٤١ ـ ١١٤٢ رقم ٦/ ١٥٠٤).

[كل ما وقع فيه الخلاف بين الصحابة فمن بعدهم يحتكم فيه إلى الكتاب والسنة]

(**وكلُ ما فيه الخلافُ**) بين الصحابة فمن بعدهم (**نُصب**) من فروع العباداتِ والمعاملاتِ (**فردُّه**) أي المختلَفِ فيه من ذلك (**إليهما**) أي إلى الكتاب والسنة (**قد وجب**) على المعتبر، قال اللّهَ تبارك وتعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

والردُّ إلى الله تعالى هو الردُّ إلى كتابه، وإلى الرسول إلى سنته بعد انقطاع الوحي، فما وافقهما قُبل وما خالفهما رُدَّ على قائله كائناً من كان، (**فالدين**) الإسلامُ وشرائِعُه (**إنما أتى**) حصل بيانُه (**بالنقل**) عن الله ورسوله (**ليس**) هو (**بالأوهام**) من آحاد الأمةِ (**وحذس**) تخمين (**العقل**)، قال اللّهُ تعالى لرسوله ﷺ وهو أرجحُ الخلائق عقلاً وأولاهم بكل صواب: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ﴾ [النساء: ١٠٥]. الآيات، ولم يقل بما رأيتَ.

ويقول اللّهُ تعالى له: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ﴾ [الإسراء: ٣٦]. وقال تعالى له: ﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الزخرف: ٤٣].

وأمثالُ هذا ما لا يُحصى، وتقدم في الأحاديث جملةٌ واحدة وأنه ﷺ لا يقول في التشريع إلا عن الله عز وجل، ولهذا لم يجب اليهودَ في سؤالهم إياه عن الروح، ولا جابراً في سؤاله عن ميراث الكلالة، ولا المجادلة في سؤالها عن حكم الظهارِ حتى نزل القرآنُ بتفصيل ذلك وبيانِه. وأمثالُ هذا كثير. ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَـٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٣].

وفي قصة عمرَ[١] رضي الله عنه قال لرسول الله ﷺ وفيه قال: فعمِلتُ لذلك أعمالاً. وقال عثمانُ بنُ حنيفٍ[٢]: اتهموا الرأيَ في دينكم، لقد رأيتني يومَ أبي جَندلٍ ولو أستطيعَ أن أردَّ أمرَ رسولِ الله ﷺ لردَدْتُه.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه (٥/٣٢٩ ـ ٣٣٣ رقم ٢٧٣١، ٢٧٣٢).

(٢) تقدم تخريجه.

وقال عليُّ بنُ أبي طالب[1] رضي الله عنه: لو كان الدينُ بالرأي لكان أسفلُ الخفِّ أولى بالمسح من أعلاه، وقد رأيتُ رسولَ الله ﷺ يمسح على ظاهر خُفِّه.

وأفتى عمرُ[2] السائلَ الثقفِيَّ في المرأة التي حاضت بعد أن زارت البيتَ يومَ النحرِ أن لا تنفِرَ، فقال له الثقفيُّ: إن رسولَ الله ﷺ أفتاني في مثل هذه المرأةِ بغير ما أفتيتَ به، فقام إليه عمرُ يضرِبه بالدِّرة ويقول له: لم تستفتيني في شيء قد أفتى فيه رسولُ اللَّهِ ﷺ؟.

وكان ابنُ مسعود[3] أفتى بأشياء فأخبره بعضُ الصحابةِ عن النبي ﷺ بخلافه، فانطلق عبدُ الله إلى الذين أفتاهم فأخبرهم أنه ليس كذلك.

وقال عمرُ بنُ عبد العزيزِ[4]: لا رأى لأحد مع سنة سنها رسولُ الله ﷺ: والآثارُ في هذا عن الصحابة والتابعين لا تُحصى.

وقال الشافعي[5] رحمه الله تعالى: أجمعَ الناسُ على أن من استبانت له سنةٌ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ لم يكن له أن يدَعها لقول أحدٍ من الناس. وصحَّ عنه[6] أنه قال: لا قولَ لأحد مع سنة رسولِ الله ﷺ.

وقال[7] رحمه الله: إذا وجدتم في كتاب خلافَ سنةِ رسولِ الله ﷺ فقولوا

---

(١) أخرجه أبو داود في «السنن» رقم (١٦٢، ١٦٣، ١٦٤).
وابن حزم في «الأحكام» (٢/ ١٦٥). **وهو حديث صحيح.**

(٢) أخرجه أبو داود رقم (٢٠٠٤) والترمذي (٣/ ٢٨٢ رقم ٩٤٦).
قال الترمذي: حديث الحارث بن عبد الله بن أوس **حديث غريب.**
وهو حديث صحيح منسوخ.

(٣) ذكره ابن قيم الجوزية في «إعلام الموقعين» (٢/ ٢٨٢ ـ ٢٨٣).

(٤) ذكره ابن قيم الجوزية في «إعلام الموقعين» (٢/ ٢٨٢).

(٥) ذكره ابن القيم الجوزية في «إعلام الموقعين» (٢/ ٢٨٢).
وانظر: «الإيقاظ» (ص٥٨ و ١٠٣).

(٦) انظر: «إعلام الموقعين» (٢/ ٢٨٢).

(٧) أخرجه البيهقي في «المناقب» (١/ ٤٧٢ ـ ٤٧٣) وابن حجر في توالي التأسيس (ص١٠٧) وابن كثير في «مناقب الشافعي» (ص١٧٨ رقم ١٨٧) والذهبي في «سير أعلام النبلاء» (١٠/ ٣٤).

بسنة رسولِ الله ﷺ ودعُوا ما قلتُ. وفي لفظ[1]: فاضربوا بقولي عُرض الحائط.

وقال[2] رحمه الله: إذا وجدتم سنةَ رسولِ الله ﷺ خلافَ قولي فخذوا بالسنة ودعُوا قولي، فإني أقول بها.

وقال[3] رحمه الله تعالى: كلُ مسألةٍ تكلمتُ فيها صح الخبرُ فيها عن النبيِّ ﷺ عند أهلِ النقلِ بخلاف ما قلتُ فأنا راجعٌ عنها في حياتي وبعد موتي.

وقال[4] رحمه الله تعالى ـ وروى حديثاً فقال له رجلٌ: تأخذ بهذا يا أبا عبد الله؟ فقال: ـ متى رويتُ عن رسولِ الله ﷺ حديثاً صحيحاً فلم آخُذْ به فأُشهدكم أن عقْلي قد ذهب. وأشار بيده على رؤوسهم.

وسأله[5] رجلٌ عن مسألة فأفتاه وقال: قال النبيُّ ﷺ كذا، فقال الرجل: أتقول بهذا؟ قال: أرأيتَ في وسَطي زُنّاراً؟ أترَاني خرجتُ من الكنيسة؟ أقول: قال النبيُّ ﷺ وتقول لي أتقول بهذا! أروي عن النبيِّ ﷺ ولا أقولُ به!.

---

(١) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٩/ ١٠٧) والذهبي في «سير أعلام النبلاء» (١٠/ ٣٥).
وذكره ابن قيم الجوزية في «إعلام الموقعين» (٢/ ٢٨٢).
وتناوله السبكي في رسالة سمّاها: «معنى قول المطلبي إذا صح الحديث فهو مذهبي» (ص٧١ ـ ٧٩).

(٢) أخرجه ابن كثير في «مناقب الإمام الشافعي» (ص١٨٠ رقم ١٩٤) وابن حجر في «توالي التأسيس» (ص١٠٨).
وذكره ابن قيم الجوزية في «إعلام الموقعين» (٢/ ٢٨٥).

(٣) أخرجه ابن حجر في «توالي التأسيس» (ص١٠٨).
وذكره ابن قيم الجوزية في «إعلام الموقعين» (٢/ ٢٨٥).

(٤) أخرجه البيهقي في «المناقب» (١/ ٤٧٣ ـ ٤٧٤).
وابن كثير في «مناقب الإمام الشافعي» (ص١٧٨ رقم ١٨٨) وابن حجر في «توالي التأسيس» (ص١٠٧).
وذكره ابن قيم الجوزية في «إعلام الموقعين» (٢/ ٢٨٥).

(٥) أخرجه البيهقي في «المناقب» (١/ ٤٧٤ ـ ٤٧٥) وأبو نعيم في «الحلية» (٩/ ١٠٦) وابن كثير في «مناقب الإمام الشافعي» (ص١٧٩ رقم ١٩١). وابن حجر في «توالي التأسيس» (ص١٠٨).
وذكره ابن قيم الجوزية في «إعلام الموقعين» (٢/ ٢٨٥).

وفي لفظ[1]: فارتعد الشافعيُّ رحمه الله واصفرَّ لونُه وقال: ويحك، أيُّ أرضٍ تُقِلُّني وأيُّ سماءٍ تُظِلُّني إذا رويتُ عن رسولِ الله ﷺ شيئاً فلم أقل به، نعم على الرأس والعينين.

وقال[2] رحمه الله تعالى: ما من أحد إلا وتذهب عليه سنةٌ لرسولِ اللَّهِ ﷺ وتعزُبُ عنه، فمهما قلتُ من قول وأصَّلْتُ فيه عن رسولِ الله ﷺ خلافَ ما قلتُ فالقولُ ما قال رسولُ الله ﷺ وهو قولي. وجعل يردد هذا الكلامَ.

وقال الشافعيُّ[3] رحمه الله أيضاً: لم أسمع أحداً نسبتْه العامةُ أو نسب نفسَه إلى علم يخالف في أن فرضَ اللَّهِ تعالى اتباعُ أمرِ رسولِ اللَّهِ ﷺ والتسليمُ لحكمه، فإن اللَّهَ لم يجعل لأحد بعده إلا اتباعَه، وأنه لا يلزم قولُ رجلٍ قال إلا بكتابِ اللَّهِ أو سنةِ رسولِ الله ﷺ، وأن ما سواهما تبعٌ لهما، وأن فرْضَ اللَّهِ علينا وعلى من بعدنا وقبلَنا في قبول الخبرِ عن رسولِ الله ﷺ واحدٌ لا يُختلف فيه.

وقال الربيعُ[4]: سألتُ الشافعيَّ عن الطِيب قبل الإحرامِ بما يبقى ريحُه بعد الإحرامِ وبعد رمي الجمرةِ والحلق وقبل الإفاضة، فقال: جائزٌ وأُحبه ولا أكرَهُه، لثبوت السنةِ فيه عن النبيِّ ﷺ والأخبار عن غير واحدٍ من الصحابةِ. فقلت: وما حجتك فيه؟ فذكر الأخبارَ فيه والآثارَ ثم قال: أخبرنا ابنُ عُيينةَ عن عمرو بنِ دينارٍ عن سالم قال: قال عمرُ رضي الله عنه: من رمى الجمرةَ فقد حلَّ له ما حرم عليه إلا النساءَ والطِيبَ. فقال سالم: وقالت عائشةُ[5] رضي الله عنها: طيّبتُ رسولَ الله ﷺ بيدي.

---

(١) أخرجه البيهقي في «المناقب» (١/ ٤٧٥) وأبو نعيم في «الحلية» (٩/ ١٠٦) وابن حجر في «توالي التأسيس» (ص١٠٨) وابن كثير في «مناقب الإمام الشافعي» (ص١٧٩ رقم ١٩٠).
وذكره ابن قيم الجوزية في «إعلام الموقعين» (٢/ ٢٨٦).

(٢) ذكره ابن قيم الجوزية في «إعلام الموقعين» (٢/ ٢٨٦).

(٣) ذكره ابن قيم الجوزية في «إعلام الموقعين» (٢/ ٢٨٦).

(٤) ذكره ابن قيم الجوزية في «إعلام الموقعين» (٢/ ٢٨٨).

(٥) يشير إلى الحديث الذي أخرجه البخاري في صحيحه (٣/ ٥٨٤ ـ ٥٨٥ رقم ١٧٥٤).
عن عائشةَ رضي الله عنها قالت: «طيبتُ رسولَ الله ﷺ بيديَّ هاتين حين أحرم، ولحلِّه حين أحلَّ قبل أن يطوف، وبسطت يديها».

وسنةُ رسولِ الله ﷺ أحقُّ أن تُتَّبَعَ. قال[1]: وهكذا ينبغي أن يكون الصالحون وأهلُ العلم، فأما ما تذهبون إليه من ترك السنةِ وغيرِها وتركِ ذلك لغير شيءٍ بل لرأي أنفسِكم، فالعلمُ إذاً إليكم تأتون منه ما شئتم وتدعون ما شئتم.

وقال[2] رحمه الله تعالى: من تَبع سنةَ رسولِ الله ﷺ وافقتُه، ومن خلَط فتركها خالفتُه. صاحبي الذي لا أفارق الملازمُ الثابتُ مع رسولِ الله ﷺ وإن بعُدَ، والذي أفارق هو من لم يقل بحديث رسولِ الله ﷺ وإن قرُبَ.

[نبذة من خطبة كتاب إبطال الاستحسان]

وقال رحمه الله تعالى في خطبة كتابِ **(إبطالِ الاستحسان)**[3]: الحمدُ لله على جميعِ نعمِه بما هو أهلُه وكما ينبغي له، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبدُه ورسولُه بعثه بكتاب عزيزٍ لا يأتيه الباطلُ من بين يديه ولا من خلفه تنزيلٌ من حكيمٍ حميد، فهدى بكتابه ثم على لسان رسولِه، ثم أنعم عليه وأقام الحجةَ على خلقه لئلّا يكونَ للناسِ على الله حجةٌ بعد الرسل، وقال: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾ [النحل: ٨٩]. وقال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤].

وفرض عليهم اتباعَ ما أنزل إليهم وسن رسولُ اللّهِ ﷺ، فقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦].

فاعلم أن معصيتَه في ترك أمرِه وأمرِ رسولِ الله ﷺ ولم يجعل لهم إلا اتباعَه، وكذلك قال لرسولِ الله ﷺ: ﴿وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ﴾ [الشورى: ٥٢ ـ ٥٣]. مع ما علّم نبيَّه، ثم فرض اتباع كتابه فقال: ﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ﴾ [الزخرف: ٤٣].

---

(١) أي الشافعي، ذكره ابن قيم الجوزية في «إعلام الموقعين» (٢/ ٢٨٨).

(٢) ذكره ابن قيم الجوزية في «إعلام الموقعين» (٢/ ٢٨٩).

(٣) الإمام الشافعي وهو في موسوعته (١٥/ ١٠٧ ـ ١١٠) وذكره ابن قيم الجوزية في «إعلام الموقعين» (٢/ ٢٨٩ ـ ٢٩٠).

وقال: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ﴾ [المائدة: ٤٩].

وأعلمهم أنه كمّل لهم دينَهم فقال عز وجل: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] إلى أن قال: ثم منّ عليهم بما آتاهم من العلم فأمرهم بالاقتصار عليه وأن لا يقولوا غيرَه إلا ما علّمهم فقال لنبيِّه: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾ [الشورى: ٥٢]. وقال لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ﴾ [الأحقاف: ٩]. وقال لنبيِّه ﷺ: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَا۟ىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الكهف: ٢٣ ـ ٢٤]. ثم أنزل على نبيِّه أنه غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ورضوانَه عنه، وأنه أولُ شافع ومشفَّع يوم القيامة وسيدُ الخلائقِ، وقال لنبيه ﷺ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦].

وجاءه ﷺ رجلٌ في امرأةِ رجلٍ رماها بالزنا فقال له: يَرجِع، فأوحى اللَّهُ إليه آيةَ اللِّعانِ فلاعن بينهما، وقال: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥]. وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ﴾ [لقمان: ٣٤]. الآية، وقال لنبيِّه ﷺ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾﴾ [النازعات]. فحجب عن نبيِّه علْمَ الساعة، وكان مَن عدا ملائكةَ اللَّهِ المقربين وأنبيائه المصطفين من عباد الله أقصرَ علماً من ملائكته وأنبيائه، واللَّهُ عز وجل فرض على خلقه طاعةَ نبيِّه ولم يجعل لهم من الأمر شيئاً.

وكلامُه رحمه الله تعالى في هذا البابِ كثيرٌ مشهورٌ مذكور. وهذا الذي قاله من تحكيم نصوصِ الكتابِ والسنةِ وطرحِ ما خالفهما هو الذي نطقا به وصرحتْ به نصوصُهما وأجمع عليه الصحابةُ والتابعون فمن بعدهم كما حكى إجماعَهم هو وغيرُه، وكما هو المشهورُ من سيرتِهم في الأقوالِ والأفعالِ، ونصوصُهم في هذا البابِ ملءُ الدنيا، وتصانيفُهم في ذلك قد طبّقتْ مشارق الأرض ومغاربَها، ولو رأوا ما عليه مقلّدوهم في هذا الوقت لتبرأوا منهم ومقَتوهم أشدَّ المقْتِ، فإنهم ليسوا على ما كانوا عليه، ولا اهتدوا إلى ما أرشدوهم إليه، بل اختلفوا اختلافاً شديداً وافترقوا افتراقاً بعيداً، وكلٌّ منهم يحصُر الحقَّ في إمامه، ويرى سائرَ أهلِ العلم مفضولين وإمامَه فاضلاً، وإذا خالف مذهبُه نصاً ضربَ له الأمثال، وتكلف

له التأويلَ المُحال، ويقابله الآخرُ بمثل ذلك، فهم بين رادّ ومردودٍ وحاسدٍ ومحسود، وكان فيهم شبهٌ من الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم: ٣٢].

ولم يعلم هؤلاء المساكينُ أن سلفَهم الصالحَ الذين يزعمون الاقتداءَ بهم كانوا أبعدَ من هذه الصفةِ بُعدَ ما بين المشارق والمغارب، بل كانوا ﷺ وأرضاهم أجلَّ شأناً وأكملَ إيماناً من أن يُقدّموا بين يدي الله ورسولِه، بل هم تبعٌ له في أوامره ونواهيه، ولَنُصوص الشرعِ أعظمُ عندهم من أن يقدِّموا عليها آراء الرجال، وهي أجلُّ قدراً في صدورهم من أن تُضرَبَ لها الأمثال، وأعلى منزلةً من أن تُدفع بالأقيسة والتأويلِ المُحال، وإنما المقتدي بهم على الحقيقة من اقتفى أثرَهم واتّبع سيَرهم وحفِظ وصيَّتَهم وأحيا سنتَهم في طلب الحقِّ وأخْذِه أين وجدَه، والوقوفِ عند كتاب اللَّهِ تعالى وسنةِ رسولِه ﷺ كما بَلَغَتْه.

فكما كان اجتهادُ السلفِ رحمهم الله في جمع الأدلةِ واستنباطِ الأحكامِ منها، فالواجبُ عند الخلافِ تتبُّعُ تلك الأدلةِ والاستنباطاتِ، والأخذُ بالأصح منها مع مَن كان، وبِيَد مَن وُجِدَ، فإن الحقَّ واحدٌ لا يُجزّئُه الاختلافُ، وكلُ واحدٍ من أولئك الأئمةِ يدأب في طلبه جاداً مجتهداً إن أصابه فله أجران[1] وإن أخطأه فله أجرٌ والخطأ مغفورٌ، وهذه أقوالُهم مدونةٌ في كتبهم، كلُها تذمّ الرأيَ في الدين، وتحُثّ مَن بعدَهم على اقتفاء أثرِهم في طلب الحقِّ أينما كان، ولم يدْعُ أحدٌ منهم إلى تقليده، ولم يكن أحدٌ منهم معصوماً ولا ادّعى ذلك ولا قال إن الحقَّ معي لا يفارقني، فتمسكوا بما أقول وأفعل، ولا كان لأحدٍ منهم التزامُ قولِ أحدٍ من آحادِ الأمةِ، لا ممن هو مثلُهم ولا مَن هو أفضلُ منهم فضلاً عمن هو دونهم، ولم يكن لهم أن يلتزموه فيما خالف النصَّ الذي لم يبلُغْه أو لم يستحضِرْه.

---

(١) يشير إلى الحديث الذي أخرجه البخاري رقم (٧٣٥٢) ومسلم رقم (١٧١٦) وأبو داود رقم (٣٥٧٤) والترمذي رقم (١٣٢٦) والبيهقي (١١٩/١٠) والبغوي رقم (٢٥٠٩) وابن عبد البر في «جامع بيان العلم» رقم (١٦٦٤) وأحمد (١٩٨/٤ و ٢٠٤ ـ ٢٠٥) والنسائي (٢٢٣/٨ ـ ٢٢٤) والدارقطني (٢٠٤/٤) من طرق عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا حكَمَ الحاكمُ فاجْتَهَد فَأصابَ فلهُ أجران، وإذا حَكمَ فاجتهد فأخطأ فلهُ أجرٌ**».

ولو كان ذلك خيراً لسبقونا إليه، بل كان إمامَ الجميعِ محمدٌ رسولُ الله ﷺ الذي بيَّن للناسِ ما نُزّل إليهم، ويتبعون آثارَه من الأفعالِ والأقوالِ والتقريراتِ يتلقَّونها من حفّاظِها مَن كانوا وأين كانوا وبيد مَن وجدوها وقفوا عندها ولم يعْدوها إلى غيرها.

وكانت طريقتُهم في تلقي النصوصِ أنهم يردّون المتشابه إلى المُحَكم، ويأخذون ما يفسِّر لهم المتشابهَ ويبيِّنه لهم، فتتفق دلالتُه مع دلالة المُحكَم، وتوافق النصوصُ بعضُها بعضاً ويصدّق بعضُها بعضاً، فإنها كلها من عند الله، وما كان من عند الله فلا اختلافَ فيه ولا تناقضَ، وإنما الاختلاف والتناقضُ فيما كان من عند غيره، قال الله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].



[خاتمة منظومة (سُلّم الوصول)
وشرحها (معارج القبول)

(ثم إلى هنا قد انتهيت	وتمَّ ما بجمعه عُنِيتُ)
(سميتُه بسلم الوصول	إلى سمَا مباحثِ الأصول)
(والحمدُ لله على انتهائي	كما حمِدْتُ اللَّهَ في ابتدائي)
(أسأله مغفرةَ الذنوبِ	جميعِها والسترَ للعيوب)
(ثم الصلاةُ والسلامُ أبدا	تغشى الرسولَ المصطفى محمدا)
(ثم جميعَ صحبِه والآلِ	السادةِ الأئمةِ الأبدال)
(تدومُ سرمداً بلا نفاد	ما جرت الأقلامُ بالمِداد)
(ثم الدعا وصيةُ القراء	جميعِهم من غير ما استثناء)
(أبياتُها «يُسْرٌ» بعدّ الجُملِ	تاريخُها «الغفرانُ» فافهم وادعُ لي)

❁ ❁ ❁

(ثم إلى هنا) الإشارةُ إلى آخرِ الكلامِ على الاعتصام بالكتاب والسنة وناسب جعلُ ذلك هو الخاتمةَ بكون الآيةِ التي فيها الإشارةُ إلى ذلك هي من آخر ما نزل وهي قولُه تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣] بل السورةُ كلُها من آخر ما نزل.

ورُويَ أنها نزلت جمْلةً واحدةً ومن جهة أنها الاعتصامُ بها آخِرُ ما أوصى به النبيُّ ﷺ في خُطبتِه في حَجةِ الوداعِ ثم خُطبتِه في غديرِ[1] خمّ، ثم كان من آخرِ ما تكلم به عند خروجه من الدنيا.

(قد انتهيتُ) أي اقتصرتُ على هذا القدر، وفيه إن شاء اللَّهُ تعالى كفايةٌ (وتم) أي قُضيَ (ما) أي الذي (بجمعه) في نظمي (عُنيتُ) اهتممتُ له.

(سميتُه) حين تم (بسلَّم) أي المِرقاة التي يُصعدُ فيها لأجلِ (الوصولُ إلى

---

(١) تقدم تخريجه.

سما) بتثليث السين **(مباحث)** جمعُ مَبْحثٍ وهو ما يحصُل به فهمُ الحكم **(الأصول)** جمعُ أصلٍ وهو ما يُبنى عليه، والمُرادُ بها عند الإطلاقِ أصولُ الدين، وهو ما يجب اعتقادُه فيه وهو المُرادُ هنا، وأما إذا أُضيفتْ فهي بحسب المضافِ إليه.

فأصولُ الحديثِ علمُ الاصطلاحِ الذي يُبحث فيه عن تفاصيل أحوالِ السندِ والمتنِ وأحكامِها، وأصولِ الفقهِ علمٌ يُبحث فيه عن الدليل والمدلولِ وحالِ المستدلّ وغير ذلك. وأصول العربيةِ والنحوِ والصرفِ والمعاني والبديعِ كلٌ بحسبه وتعريفِه في فنه.

وقولُنا: «سما مباحث الأصول» وصفٌ له بالسموّ وهو العلوُّ، إشارةٌ إلى أنه أعلى العلومِ وأهمُّها وأوجبُها وألزمُها لأنه معرفةُ ما خلق اللّهُ له الخلقَ والدنيا والآخرةَ والجنةَ والنارَ، وبه أرسلَ اللّهُ الرسلَ وأنزل الكتبَ، وفيه وله شُرع الجهاد، وعليه يُرتب الجزاءُ من الثوابِ والعقاب وغير ذلك، فحقيقٌ بعلم هذا قدرُه أن يكون هو أولَ ما يهتم به العبدُ، وأعظمَ ما يبذُل فيه جُهده ويُنفقُ فيه عمُرَه حتى يموتَ على ذلك، وناسَب تسميةَ الشرحِ بمعارج القبولِ لأن العروجَ هو الصعودُ، والمعارجُ المصاعدُ فكأنَّ القارىءَ في هذا الشرح يصعد في هذا السلّم. وأضيفت المعارجُ إلى القبول لمناسبة الوصولِ لأن من لم يُقبَلْ لم يصِلْ بل يُردّ أو ينقطع.

(والحمد لله على) جزيل النعمةِ التي منها أن قدّر **(انتهائي)** أي إتمامي هذا المتنَ المشتملَ على معرفةِ اللّهِ تعالى ودينِه ورسولِه ﷺ **(كما حمِدتُ اللّهَ في ابتدائي)** في نظمه كما تقدم، وذلك اقتداءً بكلام اللّه تعالى حيث افتتح ذكرَ الخلق بالحمد فقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [الأنعام: ١]. وختم ذكرَهم فيما ينتهون إليه من الدارين بالحمد فقال: ﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الزمر: ٧٥].

وقال تعالى: ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [يونس: ١٠].

(أسأله) أي أسأل اللّهَ **(مغفرةَ)** أي مغفرته تعالى **(الذنوبَ)** ذنوبي وجميعِ المسلمين، والمغفرةُ سترُ الذنبِ في الدنيا والآخرة والعفُو عنه وعدمُ المؤاخذةِ به **(جميعِها)** من صغائرَ وكبائرَ. والاستغفار من أعلى أنواع الذكرِ **(والستر)** منه تعالى **(للعيوب)** مني ومن جميع المسلمين.

(ثم) عطفٌ على الحمد والاستغفار (**الصلاة والسلام أبدا**) تقدم معناهما (**تغشى الرسولَ المصطفى محمدا**) تغمُره من ربه عز وجل (**ثم**) تغشى (**جميع صحبِهِ والآلِ**) تقدم تعريفِهما (**السادةِ**) جمعُ سيد، وهو النقيبُ المقدّم (**الأئمة**) المقتدى بهم في الدين (**الأبدال**) أي الأولياء لله تعالى (**تدوم**) متواصلةً متواترةً (**سرمداً**) تأكيد للدوام يفسّره (**بلا نفاد**) فَناء وانقطاعٍ (**ما جرت الأقلامُ بالمِداد**) أي عددَ ما جرت به.

(**ثم الدعا**) لجامع هذا العِقْدِ متناً وشرْحاً (**وصيةٌ**) منه يلتمسه من (**القراء**) أن يدعُوا له بخيري الدنيا والآخرة (**جميعِهم**) شاهدِهم وغائبِهم، معاصريه ومن يأتي بعد عصرِهِ (**من غير ما**) صلةٌ، أي من غير (**استثناء**) إخراجِ أحدٍ منهم هذه الوصية.

(**أبياتُها**) أي عِدّتُها رمزُ حروفِ (**يُسْر**) وذلك مائتان وسبعون (**بعدَ الجمل**) الحروفِ الأبجدية المعروفةِ عند عامةِ العربِ، وبما زدتُ فيها أقول (**أبياتُها المقصودُ**) أي الذي فيه الأحكامُ والمسائلُ (**يسر فاعقِلْ**) عني. (**تأريخها**) الذي أُلِّفتْ فيه رمزُه حروفُ (**الغفران**) وذلك ألفٌ وثلاثمائة واثنان وستون، أي عامئِذٍ، نسألُ اللّهَ الغفرانَ.

(**فافهم**) ما في ذا المعتقدِ (**وادعُ لي**) بصالح الدعواتِ في أوقاتِ الإجابةِ كما أوصيتُك، فإن ذلك من أعظم الصدقاتِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَجْزِى ٱلْمُتَصَدِّقِينَ﴾ [يوسف: ٨٨].

اللهم يا حيُّ يا قيومُ يا ذا الجلالِ والإكرامِ، يا بديعَ السماواتِ والأرضِ برحمتك نستغيث. اللهم رحمتَك نرجو فلا تكِلْنا إلى أنفسنا ولا إلى أحدٍ منْ خلقك طرفةَ عينٍ، وأصلِحْ لنا شأننا كلَّه، لا إله إلا أنت سبحانك إني كنتُ من الظالمين.

اللهم مغفرتُك أوسعُ من ذنوبنا، ورحمتُك أرجى عندنا من أعمالنا، فاغفِرْ لنا وارحمنا إنك الغفورُ الرحيم.

اللهم ما كان في هذا السِّفْر من حقٍ وصوابٍ فبتعليمك وإلهامِك، وفضلِك وإنعامِك، وأنت أهلُه ومُوليه، فلك الحمدُ كما أنتَ أهلُه، فانفَعنا اللهم بتفهُّمه، وارزقنا العملَ بما علمنا وجميعَ المسلمين. وما كان فيه من خطأ وزللٍ فمن نفسي

وشيطاني، فألهمني اللَّهمَّ رُشدي، وأعِذني من شرِّ نفسي، وقيِّضْ له من يُصلحه ويسدُّ خَلَلهُ، وأعذْني أن أضِلَّ عن سواء صراطكِ المستقيم، أو يَضِلَّ بخطئي أحدٌ من عبادك، واغفِرْ لي ولوالديَّ ولجميع المسلمين.

سبحان ربِّك ربِّ العزّة عما يصفون، وسلامٌ على المرسلين والحمدُ لله ربِّ العالمين. وصلِّ اللهمّ على سيدنا ونبيِّنا محمدٍ عبدِك ورسولِك سيدِ الأولين والآخرين، وخاتِم الأنبياء والمرسلين، وقائدِ الغرِّ المحجَّلين، ورضي اللَّهُ عن آلِه وأصحابِه وأهلِ بيتِه أجمعين، ومن تبِعَهم بإحسان إلى يوم الدين، وعنا معهم بفضله ورحمتِه ووالدينا وإخوانِنا وجميعِ المسلمين آمين.

وكان الفراغُ من تسويدِه نهارَ الاثنين بعد صلاةِ العصرِ السادسِ عشرَ من جُمادى الأولى سنةَ ١٣٦٦ للهجرة المحمدية على صاحبها أفضلُ الصلاةِ وأتمُّ التسليم.

تم بحمد الله ومنّتِه

الجزء الثالث من كتاب

معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول

وبه تم الكتاب

الفهارس



أولاً: فهرس الأعلام المترجم لهم
في الجزء الأول
من كتاب «معارج القبول»

أولاً: فهرس الأعلام المترجم لهم
في الجزء الثاني
من كتاب «معارج القبول»

أولاً: فهرس الأعلام المترجم لهم
في الجزء الثالث
من كتاب «معارج القبول»

ثانياً: فهرس الفرق والطوائف المعرَّف بهم
في الجزء الأول
من كتاب «معارج القبول»

ثانياً: فهرس الفرق والطوائف المعرّف بهم
في الجزء الثاني
من كتاب «معارج القبول»

ثانياً: فهرس الفرق والطوائف المعرَّف بهم في الجزء الثالث من كتاب «معارج القبول»

ثالثاً: فهرس موضوعات الجزء الأول من كتاب «معارج القبول»

الموضوع	الجزء الأول	الصفحة

الفصل الأول:

الموضوع	الجزء الأول	الصفحة

الموضوع	الجزء الأول	الصفحة

❋ ❋ ❋

ثالثاً: فهرس موضوعات الجزء الثاني
من كتاب «معارج القبول»

الموضوع	الجزء الثاني	الصفحة

الموضوع	الجزء الثاني	الصفحة

الفصل الثالث:

الفصل الرابع:

الموضوع	الجزء الثاني	الصفحة

الموضوع	الجزء الثاني	الصفحة

الموضوع	الجزء الثاني	الصفحة



ثالثاً: فهرس موضوعات الجزء الثالث
من كتاب «معارج القبول»

الموضوع	الجزء الثالث	الصفحة

الموضوع	الجزء الثالث	الصفحة

❁ ❁ ❁

الموضوع	الجزء الثالث	الصفحة

الموضوع	الجزء الثالث	الصفحة

* * *